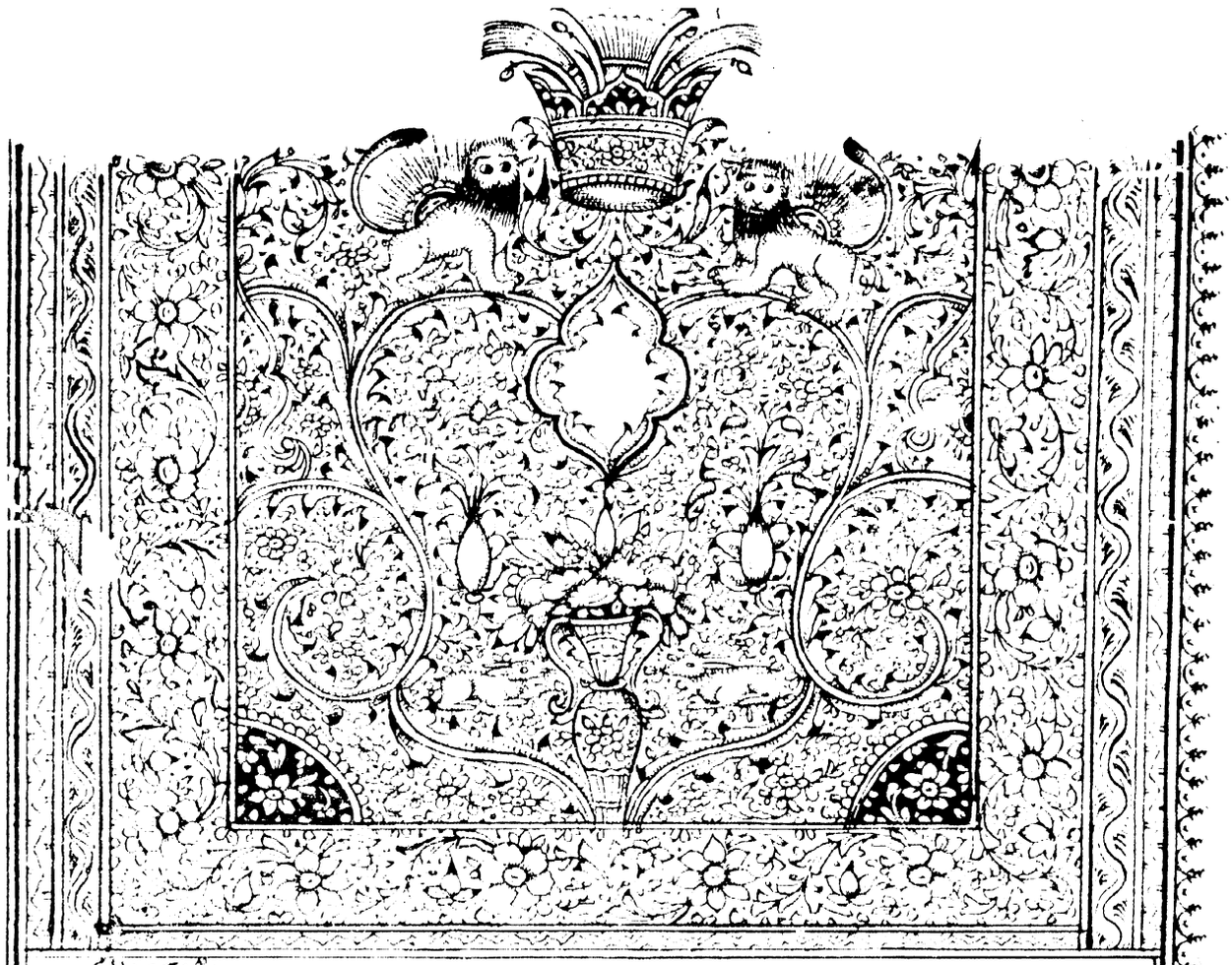
UNIVERSAL
LIBRARY
OU_232619
UNIVERSAL
LIBRARY



بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها الذين امنوا اوفوا بالعقود احلت لكم بهيمة الانعام الا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد وانتم حرم ان الله
يحكم ما يريد يا أيها الذين امنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام يبتغون
فضلا من ربهم ورضوانا واذا حللتم فاصطادوا ولا يجرمنكم شنآن قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا
وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله ان الله شديد العقاب حرمت
عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما اكل
السبع الا ما ذكيتم وما ذبح على النصب وان تستقسموا بالازلام ذلكم فسق اليوم يئس الذين كفروا من دينكم
فلا تخشوهم واخشون اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا فمن
اضطر في مخمصة غير متجانف لاثم فان الله غفور رحيم يسئلونك ماذا احل لهم قل احل لكم الطيبات وما علمتم
من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما امسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه واتقوا
الله ان الله سريع الحساب اليوم احل لكم الطيبات وطعام الذين اوتوا الكتاب حل
لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم
اذا اتيتموهن اجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذي اخدان ومن يكفر بالايمان فقد
حبط عمله وهو في الاخرة من الخاسرين يا أيها الذين امنوا اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم
وايديكم الى المرافق وامسحوا برؤسكم وارجلكم الى الكعبين وان كنتم جنبا فاطهروا وان
كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط او لمستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا
صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد
ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم
به اذ قلتم سمعنا واطعنا واتقوا الله ان الله عليم بذات الصدور يا أيها الذين امنوا
كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا اعدلوا هو اقرب
للتقوى واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة
واجر عظيم والذين كفروا وكذبوا بايتنا اولئك اصحاب الجحيم يا أيها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم

إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون

القراءة ولا يجرمنكم بالتخفيف وروى عن نافع وابن كثير الباقون مشددة شنآن في الموضعين بسكون النون ابن عامر اسمعيل وابو بكر وحماد وهبيرة عن حفص الباقون بالفتح ان صدوكم بكسر الهمزة ابن كثير وابو عمر والباقون بالفتح ولا تعاونوا بتشديد التاء البزي وابن فليح المكي ومن اضطر كما مر في البقرة واخشوني بالياء في الوقف سهل ويعقوب واحلكم النقاب ابن عامر ونافع وعلي المفضل وحفص ويعقوب الاعشى في اختياره الباقون بالجر الوقوف بالعقود لا يستبدأ بالفعل حرم ما يريد ورضوانا لا بتداء هي ان تعتدوا لئلا يتوهم العطف وحذف التاء من تعاونوا والتقوى لعطف المتفقين والعدوان كذلك واتقوا الله شديد العقاب بالذال لأن لام سنوطئ وتحشون مبنيا لان الشرط مع تمام الجزم لا ما يليه لأنه لأن ما بعده جزاء حكمها حالهما قبله السؤال والجواب بالطيبات للعطف اي صيد ما علمتم ما علمكم الله لفظا ومعنى مع عطف المختلفين عليه تعلمونهن الله الحساب الطيبات لان ما بعد مبتدأ لكم لعطف المتفقين تمام لأن قوله والمحصنات عطف على وطعام الذين لا على ما يليه فحذف جملة لعطف المختلفين مع ان ما بعده من تمام جزاء الكفر بعينه الخاسرين الكعبين لابتداء حكم طهروا كذلك وايديكم منه تسكرون واتقوا الله لان اذكروا ظرف المواثقة واطعنا لعطف المتفقين مع وقوع الفاصل بينهما بقوله الله عليم لعطف المتفقين مع زيادة نون التأكيد الموزن بالاستبدا فان لا تعلموا للاستبدا فاعلموا وقفة لطيفة لان الضمير مبتدأ مع شدة اتصاله للمعنى للتقوى واتقوا الله بما تعملون الصالحات لان ما بعده معمول الوعد اي ان لهم مغفرة الجحيم ايديهم عنكم لاعتراض الظرف بين المتفقين واتقوا الله المؤمنون المتقين وفي بالعهد واوفوا بعهدي والعقد وصل الشيء بالشيء على سبيل الاستيثاق والاحكام والعهد اعم مع احكام والمعقود من غير بالعقود اذا عقدتم كالبيع فعلا وتركا والتحقيق ان الايمان معرفة الله بذاته وصفاته واحكامه وافعاله فكانه قيل يا ايها الذين آمنوا بالهكم انعامكم اوفوا بالعقود ومعنى تسمية التكاليف عقودا انها مربوطة بالعباد كما يربط الشيء بالشيء بالحبل الموثوق قال الشافعي اذا نذر صوم يوم العيد او نذر ذبح الولد لغا لقوله ﷺ لا نذر في معصية الله وقال ابو حنيفة يجب عليه الصوم والذبح لقوله ﷺ اوفوا بالعقود غايته ان لغا هذا النذر في خصوص كون الصوم واقعا في يوم العيد وفي خصوص كون الذبح في الولد وقال ابن حنبل عنه ثابت لقوله اوفوا بالعقود وخصص الشافعي عموم الآية بقوله ﷺ المتبايعان كل واحد منهما بالخيار ما لم يفترقا وقال ابو حنيفة الجمع بين الطلقات حرام لان النكاح من العقود بدليل لا تعزموا عقدة النكاح وقال اوفوا بالعقود ترك العمل في الطلقة الواحدة بالاجماع فيبقى ساير ما على الاصل والشافعي خصص هذا العموم بالقياس وهو انه لو حرم الجمع لما نفذ وقد نفذ فلا يحرم ثم انه سبحانه لما مهد القاعدة الكلية ذكر ما يندرج تحتها فقال احلت لكم بهيمة الانعام والبهيمة كل حي لا عقل له من قولهم استبهم الامر اذا اشكل وهذا باب مهم اي مسدود ثم خص هذا الاسم بكل ذات اربع في البر والبحر والانعام هي المال الراعية مولابل والبقر والغنم قال الواحدي ولا يدخل في اسم الانعام الحافر لانه خارج من نعوت الوطي واضافة البهيمة الى الانعام للبيان مثل خاتم فضة بتقدير من وفائدة زيادة لفظ البهيمة مع صحة ما قبل احلت لكم الانعام كما قال في سورة النحل هي فائدة الاجمال ثم التبيين وانما وحد البهيمة لانها اسم جمع يشمل افرادها وجمع الانعام لان النعم مفرد يقع في الاكثر على الابل وحدها وقيل المراد بالبهيمة شيء من الانعام شبيه اخوه وعلى هذا فوجهان احدهما ان البهيمة الظباء وبقر الوحش نحوها كانه اراد ما يماثل الانعام وهذا يهما من جنس الانعام في الاجترار وعدم الانياب فيضاف الى الانعام لملابسة الشبه الثاني انها الاجنة عن ابن عباس ان بقره ذبحت فوجد في بطنها جنين فاخذ ابن عباس بذنبها وقال هذه بهيمة الانعام وعن ابن عمر انها اجنة الانعام وذكوته ذكوة امه قال الشعبي ذبح الحيوانات ابلام والابلام فتح وخصوا ابلام من ابلم بلغ في العجز والجبن الحبث لا يندفع عن نفسها ولم يكن لها ناب يحمي على من يفصدها بلابه والفتح لا يرضى به الا الرجيم لحكم فلا يكون الذبح مباحا الا لفقوده هذه الشبهة فعم البكر من المسلمين انه يدفع الم الذبح عن الحيوانات وقالت المعتزلة ان الابلام انما يفتح اذا لم يكن مشوفا بجنايته وكل ملحوظ بعوض وفيها بعوض الله سبحانه ويتم هذه الحيوانات باعواض يثيبها فلا يكون ظلما وفيها كالفصد والحجامة لطلب الصحة وقالت الاشاعرة الاذن في ذبح الحيوانات مصرف من الله تعالى في ملكه فلا اعتراض عليه لذا قال ان الله يحكم ما يريد قال بعضهم احلت لكم بهيمة الانعام مجملا لاحتمال ان يكون المراد احلال الانتفاع بجلدها او عظمها او صوفها او بالكل والجواب ان الاحلال لا يضاف الى الذات فتعين اضمار الانتفاع بالبهيمة فيشمل اقسام الانتفاع على ان قوله والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون يدل على الانتفاع بها من كل الوجوه الا ما خص بالاية نوعين من الاستثناء الاول قوله الا ما يتلى عليكم اي الا محرم ما يتلى عليكم او الا ما يتلى عليكم اية تحريمه واجمع المفسرون على ان الاية قوله بعد ذلك حرمت عليكم الميتة والدم والثاني قوله غير محلي الصيد انتم حرم داخلون في الحرم او في الاحرام قال الجوهري رجل حرام اي محرم والجمع حرم مثل قذال وقذل وقيل مفرد يستوي فيه الواحد والجمع كما يقال قوم جنب وانتصاب غير محلي على الحال من الضمير في لكم اي احلت لكم هذه الاشياء لا محلين الصيد حالة الاحرام وفي الحرم ثم كان لقائل ان يقول ما السبب في اباحة الانعام جميع الاحوال واباحة الصيد في بعض الاحوال فقيل ان الله يحكم ما يريد فليس لاحد اعتراض على حكمه ولا سؤال له وكيف ثم اكد النهي عن مخالفته بقوله يا ايها الذين امنوا لا تحلوا شعائر الله الاكثرون على انها جمع شعيرة بمعنى مفعلة وقال ابن فارس واحدها شعار ثم المفسرون اختلفوا على قولين احدهما انها عامة في جميع نكاليف دينه وهو قول الحسن شعائر الله دين الله والثاني انها شيء خاص من التكاليف ثم قيل المراد لا تحلوا ما حرم الله عليكم في حال احرامكم من الصيد وقيل لا تفعلوا ما يسخط الله تعالى ثم ذكر انواعا من الاحرام والطواف والسعي والحلق والتحرز قال الفراء كانت عامة العرب لا يقفون

معهد المخطوطات العربية

الواردة في شعائر الحج فهو اعم من الاول بالتتبع في استعمالها وبقلد ليعلم انها هدي وقال ابن عباس ان الحطم واسمه شريح بن ضبيعة الكندي اتى النبي ﷺ من اليمامة الى المدينة فخلف خيله خارج المدينة ودخل وحده على النبي ﷺ فقال له الى ما تدعو الناس فقال الى شهادة ان لا اله الا الله واقام الصلوة وايتاء الزكوة فقال حسن الا ان لي امراء لا اقطع امرا دونهم ولعلي اسلم واتي بهم وقد كان النبي ﷺ قال لاصحابه يدخل عليكم رجل يتكلم بلسان شيطان ثم خرج من عنده فلما خرج قال لقد دخل بوجه كافر وخرج بعقب غادر وما الرجل بمسلم فمر بسرح المدينة فاستاقه فطلبوه فجزوا عنه فلما خرج رسول الله ﷺ عام الفضاء سمع تلبية حجاج اليمامة فقال لاصحابه هذا الحطم واصحابه وكان قد قلد ما نهب من سرح المدينة واهداه الى الكعبة فلما توجهوا قال لعله نزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تحلوا شعائر الله يريد ما اشعر لله وان كانوا على غير دين الاسلام وقال زيد بن اسلم كان رسول الله ﷺ واصحابه بالحديبية حين صدهم المشركون وقد اشتد ذلك عليهم فمر بهم ناس من المشركين يريدون العمرة فقال اصحاب رسول الله ﷺ نصد هؤلاء عن البيت كما صدنا اصحابهم فانزل الله لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدى ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام قوما ناصدين اياه والمعنى لا تتعدوا واعلى هؤلاء العمار لان صدوكم اصحابهم فالشهر الحرام شهر الحج اعني ذي الحجة او المراد رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وعبر عنها بلفظ الواحد اكتفاء باسم الجنس اي لا تحلوا القتال في هذه الاشهر والهدى ما اهدي الى البيت وتقرب به الى الله من النسائك جمع هدية والقلائد جمع قلادة وهي ما قلد به الهدى من نعل او عرى مزادة او لحاء يشجر الحرم والمراد لا تحلوا ذوات القلائد من الهدى او ربما خصصنا بالفضل فضل وجبر بل وميكائيل يحتمل ان يهتى عن التعرض للقلائد لما يلزم النهي عن ذوات القلائد بالطريق الاولى كقوله ولا يبدين زينتهن فانه نهى عن ابداء الزينة مبالغة في النهي عن ابداء مواقعها وللمفسرين خلاف في الآية فذهب كثير منهم كابن عباس ومجاهد والحسن الشعبي وقتادة الى انها منسوخة وذلك ان المسلمين والمشركين كانوا يحجون جميعا فنهى المسلمون ان يمنعوا احدا عن حج البيت بعوله لا تحلوا ثم نزل بعد ذلك انما المشركون نجس فما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله وهؤلاء فسروا ابتغاء الفضل بالتجارة وابتغاء الرضوان بان المشركين كانوا يظنون في انفسهم انهم على شيء من الدين وان الحج يقربهم الى الله فوصفهم الله بظنهم وقال الاخرون هي محكمة وانه تعالى امرنا ان لا نحيف على بعض بيوتهن المسلمين بدليل قوله يبتغون فضلا من الله اي ثوابا ورضوانا ان يرضى عنهم وهذا انما يليق بالمسلم لا بالكافر وقال ابو مسلم المراد بالآية الكفار الذين كانوا في عهد رسول الله ﷺ فلما زال العهد بسورة براءة زال ذلك الحظر واذا حللتم فاصطادوا ظاهر الامر للوجوب لانه بعد حظر فيفيد هيهنا الاباحة لانه لما كان المانع من حال الاحرام هو الاحرام لقوله غير محلي الصيد وانتم حرم فاذا زال الاحرام رجع الى اصل الاباحة ولا يجرمنكم معطوف على لا تحلوا وجرم بمعنى كسب حيث يعدى الى مفعول واحد تارة والى مفعولين اخرى تقول جرم ذنبا نحو كسبه جرمه ذنبا نحو كسبته اياه وهذا هو المذكور في الآية الشنآن بالتحريك والتسكين مصدر شنئته اشنؤه وكلاهما شاذ كالتحريك شاذ في المعتل لان فعلان من بناء الحركة والاضطراب كالضربان والخفقان والتسكين شاذ في اللفظ لانه لم يجئ شيء من المصادر عليه قال الجوهري في صحاحه الا بكسبنكم بعض قوم الاعتداء الا يحملنكم بغضهم على الاعتداء وقوله ان صدوكم من قرأ بكسر الهمزة فهو شرط وجوابه ما قبله لا يجرمنكم ومن قرأ بفتحها ان فمعناه التعليل اي لان صدوكم قبل هذه القراءة اولى لان المراد منع اهل مكة رسول الله ﷺ والمؤمنين يوم الحديبية عن العمرة والتوزن نزلت بعد الحديبية رتعا وتوا على البر والتقوى على العفو والاعضاء او على كل ما يعتبر او تقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان على الانتقام والتشفي او على كل ما يورث الاثم والتجاوز عن الحد والحاصل ان اتباع الاثم لا يصلح لان يقتدى به ويعان عليه انما اللائق به الاقتداء بالتقي عليه هو الخير والبر ما فيه تقوى الله سبحانه وتعالى ثم بالغ في هذا المعنى بقوله واتقوا الله اي في استحلال محارمه ان الله شديد العقاب ثم شرع في تفصيل الاستثناء الموعود فلا وتر في قوله الا ما يتلى عليكم فقال حرمت عليكم الميتة الآية والمجموع المستثنى احد عشر نوعا الاول الميتة كانوا يقولون انكم تاكلون ما قتلتم ولا تاكلون ما قتل الله قال العقلاء الحكمة في تحريم الميتة ان الدم جوهر لطيف فاذا فاتت الحياة احتقن فيه احتباس الدم في عروقه ونعفن فيحصل من اكله مضار كثيرة الثاني الدم كانوا ياكلون الفصيد وهو دم كان يجعل في مصارين مصدر ثم تشوى وتطعم الفتيان في الاذقر وصنع المثل لهم من مصدله البعير وربما يقال لمن فزله الثالث لحم الخنزير انما لعنوا العداء بصيرورته من جوهر المغتذي والابدان بحصل للمغتذي اخلاق وصفات من جنس ما كان حاصلا في الغذاء والخنزير مطبوع على الحرص والشره فحرم اكله لئلا يتكيف الانسان بكيفيته واما الغنم فانها في غاية السلامة وكانها غاية عن جميع الاخلاق فلا يتغير من اكلها احوال الانسان الرابع ما اهل لغير الله به وكانوا يهلون لاصنامهم الصور وكانوا يقولون عند الذبح باسم اللات والعزى وقد مر في سورة البقرة سائر ما يتعلق بهذه الانواع الاربعة فلنرجع الى ما نحن فيه الخامس المنخنقة كانوا في الجاهلية يخنقون الشاة فاذا ماتت اكلوها وقد تختنق بحبل الصائد فقد يدخل راسها بين عودين في شجرة فتختنق فتموت والجملة مبنى وجه انخنقت محل حرام السادس الموقوذة وهي المقتولة بالخشب وقد ذكرنا بقية احوالها السابع المتردية التي تقع في البئر وهو الهلاك وترديه اذا وقع في بئر او سقط من موضع مرتفع ويدخل فيه ما اذا اصابه سهم وهو في الجبل فسقط على الارض فمات حرم اكله لانه لا يعلم ان زهوق روحه بالتردي او بالسهم الثامن النطيحة التي نطحها اخرى فماتت بسببه لا يخفى ان هذه الاقسام الاربعة داخلة في الميتة دخول الخاص في العام فافردت بالذكر لمزيد البيان والهاء في المنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة لانها صفات الشاة بناء على اغلب ما ياكله الناس والا فالحكم عام وانما انث النطيحة مع ان فعيلا بمعنى مفعول لا يدخله الهاء كقولهم كف خضيب ولحية دهين وعين كحيل لان الموصوف عبر عنه بالمؤنث في قوله مررت بامراة قتيل فلان فاذا حذف الموصوف قلت بقتيلة فلان لئلا يقع الاشتباه

التاسع ما أكل السبع وهو اسم يقع على كل ذي ناب يعدو على الانسان ويفترس الحيوان كالاسد والنمر وغيرهما وقال قتادة كان اهل الجاهلية اذا جرح السبع شيئا فقتله وأكل بعضه أكلوا ما بقي فحرمه الله وفي الآية حذف التقدير وما أكل منه السبع لان ما أكل السبع فقد مات ولا حكم له وانما الحكم للباقي قوله الا ما ذكيتم الذكاة في اللغة تمام الشيء ومنه الذكاء في السن لتمام فهمها والمذاكي الخيل التي قد أتى عليها بعد قروحها سنة أو سنتان وتذكية النار رفعها وقوة اشتعالها والتذكية كمال الذبح اما المستثنى منه فعن علي وابن عباس والحسن قتادة انه جميع ما تقدم من قوله والمنخنقة الى قوله وما أكل السبع المعنى انك ان ادركت ذكاة بيان وجدت له عينا تطرف او ذنبا يتحرك او رجلا يركض فاذبح فهو حلال لان ذلك دليل الحياة المستقرة وقيل انه مختص بقوله وما أكل السبع وقيل انه استثناء منقطع من المحرمات كانه قيل لكن ما ذكيتم من غير هذا فهو حلال ومن الناس من حمل الاستثناء على ما مضى أي الا ما ذكيتم فانه لكم حلال العاشر ما ذبح على النصب هو مفرد وجمعه نصاب كطنب واطناب هو كل ما نصب فعبد من دون الله قاله الجوهري وضعف بانه يجب ان يكون كالنكوار لقوله وما اهل لغير الله به وقال ابن جريج النصب ليست باصنام فان الاصنام احجار مصورة منقوشة وهذه النصب احجار كانوا ينصبونها حول الكعبة وكانوا يذبحون عندها للاصنام وكانوا يلطخونها بدماء الذباح ويشرحون اللحوم عليها فالمراد ما ذبح على اعتقاد تعظيم النصب ويحتمل ان يكون الذبح للاصنام وافعا عليها وقيل النصب جمع اما لنصاب كحمر وحمار او لنصب كسقف وسقف الحاء يعتبرها ابدعه اهل الجاهلية وان لم يكن من جملة المطاعم اي حرم عليكم ان تستقسموا بالازلام واما ذكره مع الذبح على النصب لانهم كانوا يفعلون كلا منهما عند البيت كان احدهم اذا اراد سفرا او تجارة او نكاحا او امرا اخر من معاظم الامور ضرب بالقداح وكانوا قد كتبوا على بعضها امرني ربي وعلى بعضها نهاني ربي وتركوا بعضها غفلا اي خاليا عن الكتبة فان خرج الامر قدم على الفعل وان خرج النهي امسك وان خرج الغفل اعاد العمل فمعنى الاستقسام بالازلام طلب معرفة الخير والشر بواسطة ضرب القداح والكثير من اهل اللغة لا يستقسم ههنا هو الميسر المنهي عنه والازلام قداح الميسر التركيب يدل على التسوية والاجادة يقال ما احسن ما قسم سهمك اي سواه ورجل مزلم اذا كان محدث الهيئة وانما سمي مزلما اذا لم تكن طويلة ذلكم فسق اشاره الى جميع ما تقدم من المحرمات اي تناولها فسق ويحتمل ان يرجع الاستقسام بالازلام فقط وكونه فسقا معناه المبالغة ظاهرا واما بمعنى طلب الخير والشر فوجهه انهم كانوا يجيلونها عند اصنامهم ويعتقدون ان ما خرج من الامر او النهي هو رشاد الاصنام واعانتها فلذلك كان فسقا وكفرا وقال الواحدي انما حرم لانه طلب معرفة الغيب وانه تقحم مختص بمعرفته وضعف بان طلب الظن بالامارات المتعارفة غير منهي كالتعبير والفال كما يفعله اصحاب الكرامات في القرآن ثم انه سبحانه وتعالى شرع في نسخ ما شرع فقال اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا بعينه وانما اراد الزمان الحاضر او ما يقبل ذلك من الازمنة الماضية والآتية كقولك كنت بالامس شابا وانت اليوم شيخ وقيل المراد يوم معين وذلك انها نزلت يوم الجمعة وكان يوم عرفة بعد العصر في حجة الوداع سنة عشر والنبي واقف على ناقته العضباء وعن ابن عباس انه قرأه الا بزيوم معهم يهودي فقال اليهودي لو نزلت علينا هذه الآية يوم جمعة واقفون يوم عرفة اي يوم من ان نجعل ذلك اليوم عيدا بدل ان جعلها الله تعالى محرمة او يئسوا من ان يغلبوكم على دينكم لانه تعالى حفظ هذا الدين على سائر الاديان فلا تخشوهم واخشون اخلصوا الى الخشية قيل في الآية دليل على ان التقية جائزة عند الخوف لانه عمل ظاهرا وهذا الشرائع يزال الخوف من الكفار اليوم اكملت لكم دينكم سئل ههنا انه يلزم منه ان الدين كان ناقصا قبل ذلك وكيف يجوز ان يكون النبي مواظبا على الدين الناقص اكثر عمره واجيب بانه كقول الملك اذا استولى على عدوه اليوم كملت ملكي وذبت بان السؤال بعيد بانا لان ملك ذلك الملك لا بد ان يكون قبل قهر العدو ناقصا وقبل المراد اتى اكملت لكم ما تحتاجون اليه في تكليفكم من تعليم الحلال والحرام وتواتر القياس واصول الاجتهاد وضعف انه يلزم ان لا يكمل لهم قبل ذلك اليوم ما كانوا محتاجين اليه من الشرائع وتاخير البيان عن وقت الحاجة غير جائز واجيب بان الدين كان بالكمال بمعنى ان الشرائع النازلة من عند الله في كل وقت ناسخة او منسوخة او مجملة او مبينة او غير ذلك كانت بحسب ذلك الوقت في اخر زمان البعثة حكم بتقرير الاحكام على حالها من غير نسخ وزيادة ونقص الى يوم القيامة قال نفاة القياس اكمال الدين ان يكون حكم كل واقعة منصوصا عليه فلا فائدة في القياس واجيب بانا كما نه هو جعل النصوص بحيث يمكن استنباط احكام نظائرها منها فالتمكين من كل احد ان يحكم بما غلب على ظنه لا يكون اكمالا للدين وانما يكون اكمالا للدين لو كان الله تعالى قد ألقى في قلوب المجتهدين ان يعملوا بقياس معين وليس كذلك لما نزلت الآية على النبي فرح الصحابة واظهروا السرور الا اكابرهم كابي بكر الصديق وعمر فانهم حزنوا وقالوا ليس بعد الكمال الا الزوال كما ظنوا فانه لم يتم بعده الا واحدا وثمانين يوما او اثنين وثمانين يوما ولم يحصل في الشريعة بعدها زيادة ولا نسخ ولا نقص قال العلماء كان ذلك جاريا مجرى اخبار النبي عن قرب وفاته وذلك اخبار بالغيب فيكون معجزا احتج الاستاذ بالآية على ان الدين سواء قيل انه العمل او المعرفة او مجموع الامرين او الاقرار والعمل لا يحصل الا بخلق الله واجباره فانه لن يكون اكمال الدين منه الا واصله منه والمعرفة حملوا ذلك على بيان الدين واظهار الشرائع ثم قال وأتممت عليكم نعمتي اي بذلك الاكمال لانه لا نعمة اتم من نعمة الاسلام او بفتح مكة ودخولها امنين ظاهرين ورضيت لكم الاسلام دينا نصب على الحال ومفعول ثان ان ضمن رضيت معنى صيرت واعلم ان قوله ذلكم فسق الى ههنا اعتراض اكد به معنى التحريم هذه الخبائث من جملة الدين الكامل والنعمة التامة واختيار دين الاسلام للناس من بين سائر الاديان ثم بين الرخصة بقوله فمن اضطر في مخمصة اي مجاعة واصل المخمصة ضمور البطن ثم سمي به الجوع متجانفا منعطفا واصله من الجنف وهو الميل غير متجانف لاثم اي غير مائل اليه بان يأكل فوق الشبع او عاصيا بسفره وذكر في هذه الرخصة مستوفى في سورة البقرة يسئلونك ماذا أحل لهم كانهم حين تلي عليهم ما حرم عليهم من خبائث المآكل سئلوا عما احل لهم والسؤال في بعض الوجوه يتضمن القول وانما لم يقل ماذا احل لنا على حكاية

نحوهم نظرا الى ضمير الغائب في يسئلونك ومثل هذا يجوز فيه الوجهان يقولوا فيم زيد لم يفعلوا ولا تفعلوا ما سيأتي للزوم فعل الى ذا فرع ان جبريل جاء الى النبي
فاستأذن عليه فاذن له فلم يدخل فخرج رسول الله فقال جبريل انا لا ندخل بيتا فيه كلب لا صورة فنظروا فاذا في بعض بيوتهم جرو فقال ابو رافع فامر
ان لا يدع بالمدينة كلبا الا قتلته حتى بلغت العوالي فاذا امرأة عندها كلب يحرسها فرحمها فتركته فاخبرته فامر في بقتله فرجعت الى الكلب
فقتلته فجاء ناس فقالوا يا رسول الله ما ذا يحل لنا من هذه الامة التي تقتلها فسكت رسول الله الى آخر الآية فامر بقتل الكلب الكلب العقور
وما يفترس ويؤذي واذن في اقتناء الكلاب التي ينتفع بها وقال سبعتك جبريل ثلثا فعدي بن حاتم وزيد الخيل الذي سماه رسول الله زيد الخير حين فارقا ابا براقش
الله انا قوم نصيد بالكلاب البزاة وانها تاخذ البقر والحمر والظباء والصيد منه ما ندرك ذكوته وصيده ما نقتل فلا ندرك ذكوته فما يحرم الله المتنه منا ذا يحل لنا
منها قل احل لكم الطيبات اي ما ليس بخبيث منها وهو ما لم تات تحريمه بكتاب وسنة او قياس يجمعها واحل لكم كل ما يستلذ ويشتهى عند اهل المروة
والاخلاق الجميلة واعلم ان الاصل في الاعيان الحل لانها خلقت لمنافع العباد هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا واستثنى من ذلك اصولا لاوجب تخصيص
الكتاب على تحريمه كالمسكة والدم وغيرهما الثاني تخصيص الكتاب بالسنة كما روي عن جمع من الصحابة ان النبي نهى عام خيبر عن نكاح المتعة وعن لحوم الحمر الاهلية
والبغال كالحمير لا يحرم الخيل عند الشافعي لما روي عن جابر انه قال نهانا رسول الله عن اكل البغال والحمير ولم ينهنا عن الخيل الثالث ما هو في معنى المنصوص كما
النبيذ فانه مسكر كالخمر فينشأ كما في تحريم الرابع كل ذي ناب من السباع وذي مخلب من الطير وقد مر معنى السبع عن قريب فلا يحل لموجب هذا الاصل الكلب والاسد
والذئب والنمر والفهد والدب والببر والفرد والفيل لانها تعدو بانيابها ولا يحل من الطيور الباز والشاهين والصقر وجميع جوارح الطير لما
مر بقتله من الحيوانات فهو حرام لان الامر بقتله اسقاط لحرمته ومنع من اقتنائه ولو كان ماكولا لجاز اقتناؤه للتنمية او اعداده للاكل وقت الحاجة
ومنه الفواسق الخمس وهي انه قال خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم الحية والغراب الابقع والكلب العقور الحداة الساذ ما ورد النهي عن قتله
فهو حرام لانه لو كان ماكولا لجاز ذبحه ليؤكل كما روي انه نهى عن قتل الخطاف كذا الصرد والنملة والنحلة والهدهد والخفاش السابع الاستطابة
والاستخباث لقوله ثم قل احل لكم الطيبات قال العلماء فبعد الرجوع الى طبقات الناس فكل قوم علموا استطابوه واستخبثوه لان ذلك يختلف
اختلاف الاحكام في الحل والحرمة وذلك يختلف بوضوح الشرع فالعرب ولي امره بالاعتبار الا الذين عرفهم وهم المخاطبون ولا ولي لهم فهم تعم
تورون ضيق المطاعم على الناس ولكن المعتبر استطابة سكان الغرى والبلاد دون اجلاف البوادي الذين لا يميزهم وابقهم بعتبر اصحاب البساتين
والقرى دون اصحاب القرى وابقهم المعتبر حال الخصب الذي هم فيه دون حال الجدب والشدة والخشونة باسرها مستخبثة كالذباب والخنفساء والبعوض
وهما رقيان الا الضب فانه قال لا اكله ولا احرمه وعن الاصول انه لا يجوز اكل الاعيان النجسة في حال الاختيار وكذا اكل الطاهر النجس عمدا فان النجاسة
كالدهن والسمن الذائب الدبس والخل ومن الاصول الكسب فحامة البحاسة ولكن كسب الحجام حلال عند الشافعي ومن الاصول ما يضر كالزجاج السم
والبنان المسكر والمجتن قوله جل ثناؤه وما علمتم من الجوارح معناه احل لكم صيد ما علمتم على حذف المضاف لانه تكلوا مما امسكن عليكم يجوز ان يكون ما
شرطية والجزاء تكلوا وعلى هذا يجوز الوقف على الطيبات والجوارح الكواسب سباع البهائم والطير كالكلب الفهد والباز والصقر لانهم يعلم منها يجوز
بالنهار اي كسبتم ويجوز بعضهم ان يكون من الجراحة وقال ما اخذ من الصيد فلم يسل منه دم لم يحل وان اصاب مكلبين على الحال ان علمتم وفائدة هذا الحال
مع الاستغناء عنها بعلمتم ان معلم الجوارح ينبغي ان يكون ظاهرا في علمه مدربا به موصوفا بالتكليب نقل عن ابن عمر والضحاك والسدي ان ما صادها غير كلاب
فلم يحل ذكوتهم لم يجز اكله لان قوله مكلبين يدل على كون هذا الحكم مخصوصا بالكلاب والجمهور على ان الجوارح يدخل فيه ما يمكن الاصطياد به من السباع فاما
المكلب فمؤدب الجوارح وزانها لان تضطاد لصاحبها وانما اشتق من الكلب لكثرة هذا المعنى فيه وجنسه ولان سائر السبع يسمى كلبا كقوله اللهم سلط
عليه كلبا من كلابك فاكله اسد ومن الكلب الذي هو بمعنى الضراوة يقال فلان كلب بكذا اذا كان حريصا عليه وهي الملكورة في الآية اما حد العبد بالكلب
لكن يخصه بالذكر لا ينفي حل غيره الجوان الاصطياد بالوحي بالشبكة ونحوها مع سكون الآية عنها تعلمونهن حال ثانية واستيفاء ما علمكم الله من علم
التكليب ان يضمها الهائم من الله وامرتكم ان تعلموه من اتباع الصيد بارسال صاحبه او جنان بزجره واعلم انه يعتبر في صيده الكلب معلما امور منها ان لا
يزجر صاحبه في ابتداء الامر كذا اذا انطلق واشتد عدوه وحذه بشرط ان يزجر بزجره ايقن على الاشتداد بنظره الثاني ومنها ان يسترسل بارسال صاحبه
اي اذا اغرى بالصيد هاج ومنها ان يمسك الصيد لقوله فكلوا مما امسكن عليكم وفي هذا اعتبار وصفين احدهما ان يحفظ ولا يجاوز الثاني ان لا
ياكل منه لقوله لعدي بن حاتم فان اكل فلا تاكل فانما امسكه على نفسه جوارح الطير يشترط فيها ان يجيء عند الاغراء وان يترك الاكل لكن لا مطمع في
ازجارها بعد الطيران ويشترط عند الشافعي تكرر هذه الامور حتى يغلب على الظن ادب الجارحة بها واقله ثلث مرات ولم يعتد الاكثرون عدد المرات كاعلم
راوا العرف مضطربا وطباع الجوارح مختلفة فيرجع الى اهل الخبرة بطباعها وعن سلمان الفارسي وسعد بن ابي وقاص وعمر بن عبد العزيز انه يحل وان اكل عند
الامساك هون تحفظه ولا بركة وعند الاربعة كلوا مما يمسكن لكم الجوارح وان كان بعد اكلها ناسئة من قبل انا نجد نحو كلوا من يمرة وقيل هذه
وذلك ان بعض الصيد لا يوكل كالعظم والدم والريش قال سعيد جبير وابو حنيفة والمزني يؤكل ما بقي من جوارح الطير لا يؤكل ما بقي من الكلب والفرق
ان تاديب الكلب بالضرب على الاكل ممكن وتاديب الطير غير ممكن ولا خلاف انه اذا كان الجارح معلما ثم تسبب صيدا وجرحه وقتله وادركه الصائد حيا
فهو حلال وجرح الجارحة كالذبح وان قتله بالثقل من غير جرح ففي حله خلاف اما قوله سبحانه وتعالى وذكروا اسم الله عليه فالضمير فاكلن يعود الى ما امسكن اي يقول

عليه اذا ادركتم ذكوتموها وما ذبح على النصب اى ما علم ذبحه على اسم الاصنام وعلى الاول فالتسمية محمولة على الندب عندنا خلافا للشافعي وعلى الوجوب عند ابي حنيفة وسيجيء تمام المسئلة في سورة الانعام انشاء الله تعالى اليوم احل لكم الطيبات فائدة الاعادة ان يعلم بناء هذا الحكم عند اكمال الدين و استقراره وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم الاكثرون على ان المراد بالطعام الذبائح لان ما قبل الاية في بيان الصيد والذبائح وكان ما تقدم يصلح ان يكون تمهيدا لبيان حل الصيد والذبائح محل الشك قبل ان كانت اهل الكتاب بعد ان صارت لهم فلا يبقى لتخصيصها باهل الكتاب فائدة وعن بعض ائمة الزيدية ان المراد هو الحبوب والفاكهة ورد بانه لا يجتمع فيه الزكوة وقيل انه جميع الطعومات وطعامكم حل لهم اى يحل لكم ان تطعموهم من طعامكم لانه لا يمتنع ان يحرم الله عليهم اطعاما هو مباح لنا ويحرم علينا اطعمة هي مباحة لهم فائدة ذكره ان يعلم اباحة الذبائح حاصلة في الجانبين ليست كالباحة المناكحة فانها غير حاصلة في الجانبين والمحصنات الحرائر والعفائف عن الموبقات وعلى المتعارف بينهم نبه بنكاح الاماء وقد يرجح الاول بانه تعالى قال اذا اتيتموهن اجورهن مهورهن والاماء لا يدفع اليهن بل الى مواليهن وبان نكاح المحصنات هينا مطلق نكاح لا شرط يلزم طول الحرة وخشية العنت وبان تخصيص العفائف بالحل يدل على تحريم نكاح الزانية وقد ثبت انه غير محرم ولو حملنا المحصنات على الحرائر لزم تحريم نكاح الامة وقد يقول به على بعض التقديرات وبان وصف المحصنين في حق الحرة اكثر ثبوتا منه في حق الامة لان الامة لا تخلو من ان تزوج من رجال واحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم احتج به كثيرون من الفقهاء في انه لا يحل نكاح الكتابية الا اذا دانت بالتوراة والانجيل قبل بزوغ الفرقان لان قوله من قبلكم بناء على ان ما بعد قوله وكان ابن عمر لا يرى نكاح الكتابيات اصلا متمسكا بقوله تعالى ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ويقول لا اعلم شركا اعظم من قولها ان ربها عيسى واول الاية بان المراد النهي عن نكاح الكتابية اذا امنت هل يحل للمسلم التزوج بها ام لا وعن عطاء ان الرخصة كانت مختصة بذلك الوقت لانه كان في المسلمات قلة وكان الاحتراز عن مخالطة الكفار واجبا لئلا تتخذ وا بطانة من دونكم اى مخلطة اشد من الزوجية وقد يحلف الولد قال ابن الام وقال سعيد المسيب الحصن الكتابيات يشمل الذميات والحربيات بجواز التزوج بكلهن واكثر الفقهاء على ان ذلك مخصوص بالذمية فقط وهو مذهب عمر فانه لما اعطى الجزية حل ومن لم يعط لم يحل لقوله تعالى حتى يعطوا الجزية واتفقوا على ان المجوس لما سن بهم سنة اهل الكتاب اخذ الجزية منهم دون اكل ذبائحهم ونكاح نسائهم اذا اتيتموهن اجورهن فيه ان من تزوج امرأة وعزم على ان لا يعطيها صداقا كان كالزاني والزناء ضربان سفاح وهو على سبيل الاعلان والتخادن وهو على سبيل الاسرار فحرمهما الله تعالى في الابد واحل التمتع بمن على سبيل الاحصان وهو التزوج بالشرط والاركان ثم حث على التزام التكاليف المذكورة بقوله ومن يكفر بالايمان اى يشرع في الكفر بعد ما شرع في الايمان فقد ضل سواء السبيل اى تكاليف الله وتكاليفه الحق تتابع الايمان بالله ورسوله وقال ابن عباس ومجاهد معناه ومن يكفر بالايمان اى بالله قال قتادة ومن يكفر بالقرآن الذي انزل بعد هذه التكاليف التي لا بد منها في الايمان فقد غاب وخسر فيه ان اهل الكتاب ان حصلت لهم فضيلة المناكحة واباحة الذبائح في الدنيا الا ان ذلك لا يفيدهم في الاخرة لان كل من كفر بالله فقد حبط عمله في الدنيا ولم يصل الى شيء من الثمار في الاخرة البتة واعلم ان القائلين بالاحباط فسروا قوله فقد حبط عمله بان عقاب كفره يزيل ما كان حاصلا له من ثواب اعماله ومنكروا الاحباط قالوا ان عمله الذي به يعد ذلك الايمان فذلك الايمان لم يكن معتدا به وكان ضائعا في نفسه لانه سيأتي الاتيان بالعفو فكان قائل عمد الى توبته سئل وعمد العبودية بل مناولة اولى بتقديم الوفاء بعهد التوبة فاجاب الله تعالى انا اوفي بعهد التوبة والكرم ومعلوم ان منافع الدنيا محقرة في نوعين للذات المطعم وللذات المنكح فبين الحلال الحرام من المطاعم والمناكح وقدم المنكح لانه اهم وعند تمام هذا البيان كان قال قد وفيت بعهد التوبة فاشغل انها العبد بوظائف العبودية وهو سبحانه بالصلوة التي هي اعظم الطاعات وبمقدماتها وبين بعضها بقوله اذا قمتم فصل القيام والا لزم تأخير الموضوع عن الصلوة وهو بالاجماع باطل واطلق لفظ الغسل لان الاعضاء قبل الصلوة تكون اوساخا او مستقذرة فيخرج عن العهدة بالاجماع فالمراد اذا قمتم للقيام الى الصلوة واردتم ذلك ومعنى هذا المجاز ان الارادة الجازمة سبب لحصول الفعل واطلاق اسم المسبب على السبب مجاز مستفيض اتى به ذهب قوم الى ان الامر بالوضوء يتبع الامر بالصلوة فيسن تكليفا مستقلا لانه شرط القيام الى الصلوة والاصح انه عبادة برأسها لان قوله فاغسلوا امر ظاهره الوجوب غاير ذلك انه مقيد بوقت للصلوة والامر المطلق المقيد بوقت للصلوة يوجب ايقاع الصلوة في ذلك الوقت فلو كان الوضوء واجبا لصلوة الوقت لكان بيانا لها ولم تطلق عليه لفظة الامر وقد قال تعالى في الاية الاخرى ولكن يريد ليطهركم وقال صلى الله عليه وسلم بني الدين على النظافة اتفق عن مجاهد ان معنى الاية اذا قمتم من النوم والاخبار الواردة في كون الوضوء سببا لغفران الذنوب كثيرة الثالثة قال ابو حنيفة يجب الوضوء لكل صلوة فانه ليس المراد بقوله اذا قمتم واحدا في صلوة واحدة والا لزم الاجمال لان كل صلوة تدل على ان ذلك الامر والاجمال خلاف الاصل فوجب حمله على الامر العموم وايضا ذكر الحكم عقيب الوصف المناسب يشعر بالعلية فيتكرر بتكرره يجب الوضوء عند كل قيام الى الصلوة وايضا انه نظافة فلا يكون منها بد عند الاشتغال بالعبودية قال اصحابنا الحنفية ان كلمة اذا لا تفيد العموم ولهذا لو قال لامرأته اذا دخلت الدار فانت طالق لم تطلق الا مرة واحدة بالدخول ثانيا وبرى ان بيتي كان يتوضأ لكل صلوة الا يوم الفتح فانه صلى الصلوات كلها بوضوء واحد فقال عمر فعلت لشيء فقال عمدا فعلته يا عمر واجاب الدبوسي بان خبر الواحد لا يتبع القرآن وايضا الخبر معناه احد اما وجوب الجديد لكل صلوة لا اقل من استحبابه لذلك انا في انه نزل ذلك يوم الفتح والاذن بوجوبه لما بعده والثاني مرجوح لان الفتح يقتضي زيادة الطاعة لا نقصانها وايضا نجد بدا حوط وايضا دلالة ظاهر القرآن قولية ودلالة الخبر فعلية والقولية اقوى لنا ما ذهب اليه ان يقول انهم على المتوسط والجامع واجب اذا لم يجد الماء لقوله او جاء احد منكم من الغائط لانه وذلك يدل على ان وجوب الوضوء قد يكون بسبب اخر سوى القيام الى الصلوة فلم يكن هو موثرا وحده واذا لم يكن موثرا مستقلا جاز تخلف الاثر عنه فنجدد مستحب كما روي ان رسول الله والخلفاء بعده كانوا يتوضأون لكل صلوة وقال من توضأ على طهر كتب الله له عشر حسنات وقيل كان الوضوء لكل صلوة واجبا اول ما فرض ثم نسخ الرابعة الاصح ان في الاية دلالة على ان الوضوء شرط لصحة الصلوة لانه علق وفعل الصلوة

بالطهور ثم بان انه مني عدم الماء لم يصح الصلوة لانا لم نتم فاولم يكن شرطا لم يكن كذلك انما امر بالصلوة مع الوضوء فالاتي بهما قد اتى بالوضوء تارك للموالاة فيسقط العقاب وهذا معنى البقاء في عهدة التكليف الخامسة قال ابو حنيفة النية ليست شرطا في الوضوء ولانها غير مذكورة في الاية والزيادة على النص نسخ ونسخ القرآن بخبر الواحد وبالقياس غير جائز وعند الشافعي هي شرط فيه لان الوضوء ما مور به لقوله فاغسلوا وامسحوا وكل ما مور به يجب ان يكون منويا لقوله ﷺ وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين والاخلاص النية الخالصة قلنا هذا النية يجب ان يكون معتبرة وغايته ما في الباب انها مخصوصة في بعض الصور فيتبع تلك غير محل التخصيص السادسة قال مالك ابو حنيفة الترتيب غير مشروط في الوضوء لانا لا نجد الترتيب فلو قلنا بوجوبه كان الزيادة على النص وهو نسخ غير جائز وقال الشافعي انه واجب لان فاء التعقيب في قوله فاغسلوا يوجب تقديم غسل الوجه ثم سائر الاعضاء على الترتيب قال ولان حديث الصفا ابدا بما بدا الله به وابتدا الله بالترتيب المعتبر في الحس هو الابتداء من الراس الى القدم او بالعكس الترتيب لعطف افراد بعضها لمغسول على بعض المغسول وعن الممسوح ثم ان ترجح الممسوح في المغسول فلذا هذا على الترتيب المذكور في الاية واجب لنا هما قال الترتيب في الترتيب مستفيض موجب نزوله كلام الله تعالى عنه وايضا ايجاب الوضوء غير معقول المعنى لان الحدث يخرج من موضع الغسل يجب ان يوضع اخر وكان اعضاء المحدث ظاهره لقوله المؤمن لا يجس حيا وميتا وتطهير الظاهر محال لان الشرع اقام التيمم مقام الوضوء وليس في التيمم نظافة واقام المسح على الخفين مقام الغسل لانه لا يفيد في نفس العضو نظافة والماء الكدر العفن يفيد الطهارة وما الورد لا يفيد الطهارة فان الاعتماد على مورد النص لعلة الترتيب حكما خفية لا نعرفها او محض التعبد قلنا وجب ابتداء الترتيب في الصلوة مع ان اركان الصلوة غير مذكورة في القرآن مرتبة فرعاية الترتيب في الوضوء مع القرآن اولى السابعة قال الشافعي وابو حنيفة الموالاة في افعال الوضوء غير واجبة لانا لم نجد في هذه الافعال ما يشترط بين اجزائها على سبيل الموالاة وايجابها على سبيل التعبد وهذا القدر معلوم من الاية ومفيد للظهارة والزيادة لا دليل عليها ثم روي انه ﷺ راى رجلا توضأ وترك لمعة من عقبه فامره بغسلها ثم امره بالاعادة ولم يبحث عن المدة الفاصلة وعلى غير هذا شرط كلا نجد لان اجزاء العبادة ما ليس منها وحد التفريق المحل بالموالاة يختلف من الزمان ما يختلف فيه المغسول مع عدد الهواء ومزاج الشخص الثامنة قال ابو حنيفة الخارج من غير السبيلين ينقض الوضوء لان ظاهر الاية يقتضي الايجاب بالوضوء لكل صلوة لما ظهر لنا العمل به عند قيام الخارج الجنس خالف الشافعي نعوذ بالله على ما يكون انه ﷺ اجمع وصلى ولم يزد على غسل اثر مخاجه التاسعة قال لا وضوء في الخارج عن السبيلين اذا كان غير معتاد وسلم في الاستحاضة لنا العمومات نحو الاية العاشرة قال ابو حنيفة المفهوم في الصلوة المشتملة على الركوع والسجود ينقض الوضوء وقال الباقون لا ينقض لابي حنيفة ان تمسك بعموم الاية الحادية عشرة قال ابو حنيفة لمس المراة وكذا مس الفرج لا ينقض الوضوء قال الشافعي ينقض منكرا بالعموم الثاني عشرة لو كان على وجهه بدنه نجاسة فغسلها ونوى انظهارة من الحدث فذلك الغسل هل يصح وضوءا قال في التفصيل الكبير هاهنا هذه المسئلة لا تنسى قال والذي اقوله انه يكفي لانه امر بالغسل في قوله فاغسلوا وقد اتى به واقول الكلام انه لا يكفي لانه لا يرتفع بغسلة واحدة نجاسات حكمية وعينية وهذا بخلاف ما لو نوى الترفه او التنظف فان النجاسة هناك حكمية فقط الثالث عشرة لو وقف تحت ميزاب حتى سال عليه الماء ونوى دفع الحدث هل يصح وضوءه يمكن ان يقال لا لانه لم يات بعمل وان يقال نعم لانه اتى بما اقتضى الى المقصود وهو الاعضاء الرابع عشرة اذا غسل اعضاء الوضوء ثم كشط جلدة فان الظاهر وجوب غسله لتحقيق الاتصال فان ذلك الموضع غير مغسول الخامس عشرة لو ربط الاعضاء من غير سيلان الماء عليها لم يكف لانه ما مور بالغسل وهذا ليس بغسل وفي الجنابة يكفي لانه هناك ما مور بالتطهر لكن يريد ليطهركم والتطهر يحصل بالشرط السادس عشرة لو اثر الثلج على العضو فان ذاب سال جاز والا فلا خلافا لمالك والاوزاعي لنا فاغسلوا وهذا ليس بغسل السابع عشرة التثليث سنة لان ماهية الغسل تحصل بالمرة الثامن عشرة المسواك سنة لاواجبة لان الاية ساكتة عنه وكذا الغرة التسمية خلافا لاحمد واسحق وكذا في تقديم غسل اليدين على الوضوء خلافا لبعضهم التاسع عشرة قال الشافعي لا يجب المضمضة والاستنشاق في الوضوء والغسل واحمد واسحق يجبان فيهما ابو حنيفة يجب في الغسل لا في الوضوء حجة الشافعي انه اوجب غسل الوجه والوجه هو الذي يكون مواجها وحده من منابت شعر الجبهة الى منتهى الذقن طولا ومن الاذن الى الاذن عرضا وداخل الفم والانف غير مواجه العشرون ابن عباس يجب ايصال الماء الى داخل العين لان العين جزء من الوجه البالغون لا يجب لقوله ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج وادخال الماء في العين حرج الحادي والعشرون غسل البياض الذي بين العذار والاذن واجب عند الشافعي وابي حنيفة ومحمد خلافا لابي يوسف لنا انه واجب قبل بيان الشعر بالاجماع فكذا بعده لانه من الوجه والوجه يجب غسله الثاني والعشرون ابو حنيفة لا يجب ايصال الماء الى ما تحت اللحية الخفيفة الشافعي يجب لقوله فاغسلوا ترك العمل عند كثافة اللحية ودفعا للحرج فيبقى عندكثافتها على الاصل الثالث والعشرون الاصح عند الشافعي وجوب امرار الماء على ظاهر اللحية النازلة طولا والخارجة الى الاذنين عرضا لانه مواجه قال ابو حنيفة والمزني لا يجب لانه لا يجلد تحتها حتى يغسل ظاهرها بتغيبها الرابع والعشرون لو بلت المراة لحيتها وجب ايصال الماء الى جلدة الوجه وان كانت لحيتها كثيفة لانا تركنا العمل بظاهر الاية في اللحية الكثيفة للحرج ولحية المراة نادرة وخصوصا الكثيفة فيبقى حكمها على الاصل الخامس والعشرون يجب ايصال الماء الى ما تحت الشعر الكثيف في منبت مواضع الغمقة والحاجب الشارب العذار والهدلة لان قوله فاغسلوا يدل على وجوب غسل كل جلده ترك العمل في اللحية الكثيفة دفعا للحرج وهذه الشعور خفيفة غالبا فيبقى على الاصل السادس والعشرون الشعر الذي على الجبهة من الوجه فيغسل وما دار من راس يجب دخوله في الاذن غير مواجه فعلى الاصل السابع والعشرون الجمهور على ان المرفقين يجب غسلهما مع اليدين وخالف مالك وزفر كذا الكلام في قوله وارجلكم الى الكعبين والمحققون الى يفيد معنى الغاية مطلقا والمراد بالغاية جميع المسافة او حقيقة النهاية فمن حمل الشيء قد يكون منفصلا عن المحدود حتى انقطع الطهارة عن نور في قوله ثم اتموا الصيام الى الليل فيكون محدودا عاريا عن الحدود وقد لا يكون كذلك

نحو حفظت القرآن من أوله الى آخره ويعتبر هذا الثوب من هذا الطرف الى ذلك الطرف فيدخل الحد في المحدود ولا شك ان المرفق وهو موصل الذراع في العضد متى يذلك لا ذفان صاحبها بها غير متيمم في الحس عن تحديدها فلا يكون ايجاب الغسل الى الجزء الاول من ايجابه الى الجزء الاخر الموجب غسلها جميعا وان سلم ان المرفق لا يجب غسلها لكنها اسم لما جاز طرفا العظم ولا نزاع في ان ما وراء طرفا العظم لا يجب غسله وهذا الجواب انما يتجه على مذهب زفر فقط وع الجواب ان المرفق يجب عليه مماس الماء بطرفا العظم وان كان قطع ما فوق المرفقين لم يجب عليه شيء لان محل هذا التكليف لم يبق اصلا الثامن والعشرون تقديم اليمنى على اليسرى سنة وليس بواجب خلافا لاحمد لنا انه ذكر الايدي والارجل في الآية من غير تقديم لاحد اليدين او الرجلين التاسع والعشرون ذهب بعضهم الى ان مسمى الغسل يجب ان يكون الكف بحيث يسيل الماء من الكف الى المرفق لان المرفق جعل غاية في الآية نهاية الغسل وجمهور الفقهاء على ان عكس هذا الترتيب محل بصحة الوضوء لان المراد في الآية بيان جملة الغسل لا بيان ترتيب اجزاء الغسل الثلاثون لو نبت من المرفق ساعد وكف وجب غسل الكل لعموم قوله وايديكم الى المرافق كما لو نبت على الكف اصبع زايدة الحادي والثلاثون المريض يجد بلا الغسل بالمرفق يباح له الوضوء فقط لما ورد في الاخبار ان تطويل الغرة سنة مؤكدة الثاني والثلاثون مالك يجب مسح كل الراس ابو حنيفة يتقدر بالربع لانه مسح على ناصيته وانها ربع الراس الشافعي الواجب قدرها يتطلق عليه اسم المسح لانه انما ثبت مسحه للمتيمل فهذا لا يصدق الا عند مسحه بالكلية اما لو قال مسحت يدي بالمنديل كفى في صدق مسح البعض من اجزاء المنديل هكذا في الآية والاحتجاج في تعيين المقدار الى دليل منفصل وبعضه الآية مجملة وهو خلاف الاصل الثالث والثلاثون لا يجوز الاكتفاء بالمسح على العمامة لان ذلك ليس مسحا للراس قال الاوزاعي والثوري واحمد يجوز لما روى مسح على العمامة واجيب بانه لعله مسح الفرض على الراس والبقية على العمامة الرابع والثلاثون اختلف الناس في مسح الرجلين وفي غسلهما فنقل الفضال في تفسيره عن ابن عباس وانس بن مالك وعكرمة والشعبي وابي جعفر محمد بن علي ان الواجب فيهما المسح وهو مذهب الامامية وجمهور الفقهاء والمفسرين على ان فرضهما الغسل قال داود يجب الجمع بينهما وهو قول الناصر ومن ائمة الزيدية وقال الحسن البصري ومحمد بن جرير الطبري المكلف مخير بين المسح والغسل حجة من اوجب المسح قراءة الجر وارجلكم عطفا على برؤسكم ولا يمكن ان يقال انه كسر على الجوار كما في قوله جحر ضب خرب لان ذلك لم يجئ في كلام الفصحاء وفي السبعة وايضا انه جاء حيث لا يلبس ولا عطف بخلاف الآية واما القراءة بالنصب فيكون للعطف على محل برؤسكم حجة الجمهور انا وردنا بالغسل ان فرض الرجلين محدود الى الكعبين والتحديد انما جاء في الغسل لا في المسح والقوم اجابوا بان انما جاء لاحد الامرين لا تعارض القرآن والسنة بالمنع في محل النزاع فنحن الجمهور ان قراءة النصب ظاهرة في العطف على مغسول فان عسلوا وان كان بعد امسحوا وقراءة الجر بتبعية على ويجوز الانتضاد في نصبا لماء لان الارجل يغسل بالصب فكانت مظنة للاسراف الخامس والثلاثون جمهور الفقهاء على ان الكعبين هما العظمان الناتيان من جانبي الساق وقال الامامية وكل من قال بالمسح ان الكعب عظم مستدير موضوع تحت عظم الساق حيث يكون مفصل الساق والقدم كما في ظهر جميع الحيوانات والمفصل يسمى كعبا ومنه كعوب الرمح لما صله حجة الجمهور انه لو كان الكعب ما ذكره الامامية لكان الحاصل في كل رجل كعبا واحدا وكان ينبغي ان يقال وارجلكم الى الكعاب كما انه لما كان الحاصل في كل يد مرفقا واحدا لا جرم قال الى المرافق والجواب ان العظم المستدير الموضوع في المفصل شيء خفي لا يعرفه الا اهل العلم بتشريح الابدان والعظمان الناتيان في طرفي الساق محسوسان لكل احد فناط التكليف ليس الا امرا ظاهرا يتناوله اسم الكعب قال الصفوا الكعاب بالكعاب السادس والثلاثون الجمهور على جواز مسح الخفين خلافا للشيعة والخوارج حجة الجمهور الاحاديث حجة الشيعة الآية وان جواز المسح على الخفين خاتمة فلو كانت ثابتة لبلغت مبلغ التواتر السابع والثلاثون رجل مقطوع اليدين والرجلين سقط عنه هذان الفرضان ويبقى عليه غسل الوجه ومسح الراس فان لم يكن معه من يوضئه او يتيمم سقط عنه ذلك ايضا لان قوله فاغسلوا وامسحوا مشروط بالقدرة عليه فاذا فات القدرة سقط التكليف الثامن والثلاثون قوله تعالى وان كنتم جنبا فاطهروا الاصل تطهروا ادغم التاء في الطاء فاجتلبت همزة الوصل للجنابة سببان نزول الماء في قوله الماء من الماء والتقاء الجنابتين خلافا لزيد بن ثابت وسعد وابي سعيد الخدري لما روى انه قال اذا التقى الختانان وجب الغسل وختان الرجل هو الموضع الذي يقطع منه جلدة القلفة واما المرأة فان شفرتها يحيطان بشيء شبيه باشياء ثقبة في اسفل الفرج وهو مدخل الذكر ومخرج الحيض والولد وثقبة اخرى فوق هذه مثل حلمة الذكر وهي مخرج البول لا غير لنا ان الجلدة وثقبة فاتحة مثل عرنا لذيك فوق ثقبة البول فقطع هذه الجلدة هو ختانها فاذا لا يجوز للجنب مس المصحف خلافا لداود لنا قوله فاطهروا ويدل على ان الطهارة غير حاصلة والا لكان امرا بتطهير الطاهر وهو لا يجوز له مس المصحف لقوله لا يمسه الا المطهرون الثلاثون فاذا غابت الحشفة حاذى ختانها ختانها وكالطلاق قوله فاطهروا علم انه امر بحصول الطهارة في كل البدن والاخبار تدل لا عضاء المذكر كما في الطهارة الصغرى وعلم انه لا يجب تعميم الوضوء على الغسل خلافا لابي حنيفة وداود وعلم ان الترتيب غير واجب خلافا لاحمد فانه اوجب البداية بالعلى لبدء الله تعالى بالذكر وعلم ان الذكر غير واجب خلافا لمالك الا ما يعود الشافعي لما تضمضا والاستنشاق غير واجبين في الوضوء لقوله اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم الى قوله فاطهروا واجبا لقوله تعالى فاطهروا والتطهير بحصل لا بطهارة جميع الاعضاء ترك العمل به في الاعضاء الباطنة للتعذر وداخل الفم والانف يمكن تطهيرهما فيتبع داخلهما في الغسل لان قوله تعالى فاغسلوا يدخل فيه الانف لان في داخله شعرا واقفوا البشرة يدخل فيه جلده داخل الفم الحادي والاربعون لا يجب نقض الشعر ان لم يمنع وصول الماء الى منابته لان المفهوم من التطهير ان منع وجب خلافا للشافعي الثاني والاربعون ان كان المرض المانع من استعمال الماء حاصلا في بعض جسده دون بعض فقال الشافعي يغسل ما لا ضرر عليه

ثم يتيمم للاحتياط وقال ابو حنيفة ان كان اكثر البدن يجزيه غسل الباقي دون التيمم وان كان اكثره جرحا يكفيه التيمم لان المرض اذا كان ظاهرا في بعض اعضائه
فهو مريض الثالث الاربعون لو لصق على موضع التيمم لصوفا منع وصول الماء الى البشرة ولا يخفى ان نزع ذلك اللصوق ثقيل قال الشافعي يلزمه نزع
اللصوق حتى يصل الماء بنفسه اخذا بالاحوط وقال الاكثرون لا يجب فعلا للحرج الرابع والاربعون قال الشافعي الاستنجاء واجب اما بالماء او بالاحجار لقوله
للمستنجي ثلثة احجار وقال ابو حنيفة انه مجزئ عند الحي من الغائط اما الوضوء او التيمم فهو موجب غسل موضع الحدث فدل على انه غير واجب خامس الاربعون
لمس المرأة ينقض الوضوء عند الشافعي ولا ينقضه عند ابي حنيفة وقد مر المسئلة في سؤر النساء السادس والاربعون لا يكره الوضوء بالماء المستعمل لقوله
فلم نجد ماء وهذا قد وجد ماء وخالف مجاهد الشافعي والاوزاعي ابو حنيفة واحمد لا يكره المتيمم لقوله فلم نجدوا ماء وهذا قد وجد ماء الشافعي
يكره للحديث الثامن والاربعون لا يكره الوضوء بفضل ماء المشرك وبالماء في آنية المشرك لانه واجد للماء فلا يتيمم وقد توضأ النبي ﷺ من مزادة مشرك
وتوضأ عمر من ماء في جرة نصرانية وقال احمد واسحق لا يجوز التاسع الاربعون يجوز الوضوء بماء البحر لانه واجد للماء خلافا لعبد الله بن عمرو بن العاص والحسن
جوز ابو حنيفة الوضوء بنبيذ التمر في السفر لحديث فلم يجدوا الشافعي وقال يتيمم لانه غير واجد للماء الحادي والخمسون مذهبنا وقول الاوزاعي والاصم انه يجوز الوضوء
والغسل بجميع المايعات الطاهرة والاكثرون لا يجوز بجميعها فاغسلوا امرءا مطلق الغسل امر بالمايع على العضو غسل قلنا خشينا ان يغسل
المدفع كحلها لانه عند عدم الماء اوجب التيمم الثاني والخمسون الشافعي الماء المتغير بالزعفران تغيرا فاحشا لا يجوز الوضوء به لان واجده يقدر عليه لانه غير واجد
للماء وخالف ابو حنيفة لان اصل الماء موجود بصفته زيادة كما لو تغير وتعفن بطول المكث وبشاشة الاوراق بالاتفاق الثالث والخمسون مالك وداود المستعمل
في الوضوء يبقى طاهرا طهورا لان واجده واجد للماء وهو قول قديم للشافعي والقول الجديد انه طاهر غير طهور وافقه محمد بن الحسن قال ابو حنيفة في اكثر الروايات انه
نجس كان النجاسة الحكمية كالعينية الرابع والخمسون مالك اذا وقع في الماء نجاسة ولم تغير فيه طاهرا طهورا قليلا كان او كثيرا وهو قول اكثر الصحابة والتابعين وقال
الشافعي ان كان قلتين لم يحمل وقال ابو حنيفة ان كان اثنين في عشرة في عشرة بحيث حجة قال انه واجد للماء ترك العمل بهذا العموم في الماء القليل المتغير
فبقي حجة في الباقي وقوله قوله خلق الماء ظهورا لا يخرجه عن ذلك الا ما غير طعمه او ريحه او لونه حجة الشافعي مفهوم قوله اذا بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثا الخامس
والخمسون يجوز الوضوء بفضل ماء الجنب كان واجدا واجد للماء وقال احمد واسحق لا يجوز الوضوء بفضل ماء المرأة اذا خلت به وهو قول الحسن وسعيد المسيب الثالث والخمسون
اساءة السباع طاهرة مطهرة وكذا سؤر الحمار لانه واجد للماء وقال ابو حنيفة نجسة السابع والخمسون قال الشافعي وابو حنيفة والاكثرون لا بد في التيمم من نية
لانه قال فتيمموا والتيمم عبادة عن القصد وهو النية وقال لا يجب الثامن والخمسون الشافعي لا يجوز التيمم لا بعد دخول الصلوة لانه طهارة فرض فلا تصح قبل
قبل الوقت ابو حنيفة يجوز قياسا على الوضوء والقيام هو قوله اذا قمتم الى الصلوة يكون بعد دخول وقتها التاسع والخمسون لا يجوز التيمم بالنجس لقوله تعالى
صعيدا طيبا السنون لا خلاف في جواز التيمم بدلا عن الوضوء اما التيمم بدل غسل الجنابة فعن علي وابن عباس جوازه وهو قول اكثر الفقهاء وعن عمر وابن مسعود
انه لا يجوز لنا قوله تعالى او لمستم اما تخصص بالجماع او يدخل الجماع فيه الحادي والسنون الشافعي لا يجوز ان يجمع بتيمم واحد بين صلوتي مريضين كان ظاهر قوله اذا قمتم
يقتضي اعادة الوضوء لكل الصلوة ترك العمل في الوضوء لفعل رسول الله ﷺ بقي في التيمم على ظاهره ابو حنيفة يجوز اداء الفرائض به كالوضوء احمد يجمع بين الفوائت
ولا يجمع بين صلوتي وقتين الثاني والسنون للشافعي اذا لم يجد الماء في وقت الوقت ونوقع في اخره طاب له التيمم كان قوله اذا قمتم يدل على ان عند قيام الوقت ان لم يجد
الماء جاز التيمم وقال ابو حنيفة يؤخر الصلوة الى آخر الثالث والسنون اذا وجد الماء بعد التيمم وقبل الشروع في الصلوة بطل تيممه لانه وجد الماء فلا يجوز
الشروع في الصلوة بالتيمم وخالف ابو مسلم موسى الاشعري واشهب الرابع والسنون لو شرع من الصلوة ثم وجد الماء لا يلزمه اعادة الصلوة لانه خرج
عن عهدة التكليف حسبما طاوس الخامس والسنون لو وجد الماء في اثناء الصلوة لا يلزمه الخروج منها وبه قال مالك واحمد لانه انعقد صلوته صحيحة
بحكم التيمم فلم يبطل صلوته لا بصيرورته قادرا على استعمال الماء ومالم يصر قادرا على استعمال الماء لم يبطل صلوته عندهم وقال ابو حنيفة والثوري والمزني
يلزمه الخروج لانه وجد الماء السادس والسنون لو نسي الماء في رحله وتيمم وصلى ثم علم وجود الماء في رحله لا يلزمه الاعادة على احد قولي الشافعي وهو قول احمد وابي
يوسف والثاني لا يلزمه وهو قول مالك وابي حنيفة ومحمد لان النسيان وحكمه كذا اذا ضل رحله في الرحال بالطريق الاولى كان معهم الوقت فقد ترك
صوى رحله ولو يقين الماء في رحله واستيقن في نفسه فلم يجده وتيمم وصلى ثم وجده فالاكثرون على انه يلزمه الاعادة لان العذر ضعيف قبل لا لان حكمه حكم
العاجز السابع والسنون لو صلى بالتيمم وبعده ماء في بئر بحيث يمكنه استعمال ذلك الماء فان كان قد علمه او كان ثم نسيه فهو كالوسي الماء في رحله وان لم يكن
علم ذلك وان كان عليها علامة ظاهرة فلا اعادة والا فلا لانه كالعاجز الثامن والسنون اذا لم يكن معه ماء ولا يمكنه ان يشتري الا بالغبن الفاحش جاز
التيمم لقوله ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج وهو هذا الماء لزمه القبول لان المنة فيه سهلة وهو هين شحيح لم يلزمه القبول للمنة ووجوب الحرج ومثل
هذا يجب ان يعلم ان هذه المسائل الفقهية المستنبطة من الآية شرعا مارة في سؤر السباع واعلم ان قوله سبحانه وتعالى ما يريد الله
ليجعل عليكم من حرج اصل معتبر في علم الفقه لانه يدل على ان الاصل في المضار الحرمة وفي المنافع الاباحة وقد يتمسك به في قضاة القياس قالوا ان كل
ما ثبت بحكم الضرورة كان مكروها في الكتاب والسنة فالربا ان كان من باب المضار فالاصل فيها الحرمة وان كان من باب المنافع فالاصل فيها الاباحة
والجواب المعارضة بالحديث الاصلين يكون قياسا معارضا في مقابلة النص فيكون مردودا اما قوله ولكن يريد ليطهركم فله تفسيران احدهما ان الله تعالى
سمى الوضوء والغسل تطهيرا والثاني ان المراد منه التطهير من الذنوب بالتوبة والاستغفار

انما الميت يكون نجسا لقوله ﷺ المؤمن لا ينجس حيا ولا ميتا وبانه لو كان ذو طبا فاصابه ثوب انسان وصلى له بغسله صلوته بالاتفاق وبان الحي لو كان يوجب نجاسة الاعضاء ثم كان تطهير الاعضاء الاربعة يوجب طهارة كل عضو لوجب ان لا يختلف ذلك باختلاف الشرائع وبان خروج النجاسة من موضع كيف يوجب تنجس موضع اخر وبان التيمم زيادة في التكليف يكيف يوجب التنظيف والتطهير وبان المسح على الخفين كيف يقوم مقام غسل الرجلين وبان الذكر اذا لمس لا ينتقض الوضوء والكان محسوسا ولا من الاعراض لكان انتقال الاعراض محالا للتفسير الثاني ان المراد طهارة القلب عن صفة التمرد عن طاعة الله تعالى لا طهارة المال والثواب الى هذه الاعضاء المخصوصة ليس بينه فائدة يعقلها المكلف فالانقياد لمثل هذا التكليف بعيد محض بخلاف ما اذا علم التمرد بوجوده الاجسام فان الموضأ اذا غسل وجهه خرجت خطاياه من وجهه وكذا القول في يديه ورأسه ورجليه ليتم نعمته علينا بإباحة الطيبات الدنيوية من المطاعم والمناكح بهذه النعمة الدنيوية وهي كيفية فرض الوضوء او ليتم برخصه كالتيمم ونحوه انعامه علينا بعزائمه ثم ذكرنا ما يوجب عليهم قبول تكاليفه ذلك من وجهين الاول ذكر نعمة يعني الشاملة لهذا النوع الذي لا يقدر عليه غيره لان هذا النوع وهو اعطاء نعم الحياة والعقل والهداية والصون عن الافات والايصال الى الخيرات في الدنيا والاخرة حيث انه يمتاز عن نعمة غيره وانه لا يقدر عليه غيره يجب تلقيه بالشكر وهو الاذعان لاوامره والانقياد لتواهيه قبل اذكر وامشعر بسبق النسيان وكيف يعقل نسيانها مع توازرها وتوالبها في كل لحظة ولحظة فالجواب بالمنع كالامر للعناد فضلا عن غاية الظهور كالامر المشهود والمراد التوبيخ على عدم القيام بمواجبها فكانها كالشيء الثاني ذكر الميثاق ومعنى نقضكم به عقدكم به عقدا وثيقا يعني ميثاق رسوله حين بايعهم تحت الشجرة وغيرها على السمع والطاعة في المنشط والمكره وعن ابن عباس هو الميثاق الذي اخذه على بني اسرائيل حين قالوا امنا بالتوراة وبما فيه من البيان بنبي اخر الزمان ومن غيرها وقال مجاهد الكتاب والقرآن وقيل انه اشارة الى قوله للذين آمنوا لستم بكم قالوا بلى وقال السدي هو ما ركز في العقول من حسن هذه الشريعة وهو احسنها اكثر المتكلمين واعلم ان التكاليف ان كثرت الا انها منحصرة في نوعين التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله وحث عليها بقوله شهداء بالقسط قال عطاء بقول لا اخاف في شهادتك واهلها وذلك وفرائضك ولا تمنع شهادتك اعدائك واصدقائك وقال الزجاج يبتغون دين الله لان الشاهد يبين فايشهد عليه ثم ان جميع الخلق بان لا يعاملوا احدا الا على سبيل العدل والانصاف يتركوا الظلم والاعتساف فقال ولا يجرمنكم اي لا يحملنكم بغض قوم على ان لا تعدلوا اي بهم فحذف للعلم ثم استانف فقال لهم الامر بالعدل تاكيدا فقال اعدلوا ثم استانف فذكرهم وجه الامر بالعدل فقال هو اي العدل الذي دل عليه اعدلوا اقرب للتقوى اي الى الانقاء من عذاب الله ومن معاصيه وقيل المراد سلوك سبيل العدالة مع الكفار الذين صدوا المسلمين عن البيت بان لا يقتلوهم اذا اظهروا الاسلام او لا يرتكبوا ما لا يحل من قتل او قتال او اذاء او سبا او نقض عهد ونحو ذلك وفي هذا تنبيه على ان العدل مع اعداء الله اذا كان لهذه المكانة فكيف يكون مع اوليائه واحبائه ثم ختم الكلام بوعد المؤمنين ووعيد الكافرين وقوله لهم مغفرة بيان للوعد قدم لهم وعدا ثم كانه قيل اي شيء لنا ان فعلنا فقيل لهم مغفرة او يكون على ارادة القول اي وعدهم وقال لهم مغفرة او يكون وعدهم مضمنا معنى قال او يجعل وعدا واقعا على هذا القول اذا وعدهم هذا القول من هو قادر على كل المقدورات عالم بجميع المعلومات غني عن كل الحاجات فقد امتنع الخلف في وعده لان سبب الخلف اما جهل او عجز او بخل او حاجة وهو منزه عن كل هذه الوجوه بصل البه قبل الموت فيفيده السرور عند سكرات الموت فيسهل عليه الشدائد في ظلمة القبر فيفيده نورا وفي عرصة القيامة جنة والجحيم اسم من اسماء النار وهي كل نار عظيمة في مهواة كقوله قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم ملأوا قعرها بسطا اليه لسنا فاشتقوا البئر مذهبا الى المبطوش به عن جابر ان النبي ﷺ نزل مرة ونفر منا في العضاه يستظلون تحتها فعلق النبي ﷺ سلاحه على شجرة فجاء اعرابي الى سيف رسول الله ﷺ فسله ثم اقبل عليه فقال من يمنعك مني قال الله فاهوت يد النبي ﷺ بالسيف فدعا اصحابه فاخبرهم خبر الاعرابي وهو جالس الى جنبه ثم يعاقبه وقال مجاهد الكلبي وعكرمة نزل في رجل من اصحاب النبي ﷺ رجلين من بني سليم وبين النبي ﷺ وبين قومهما موادعة فجاء قومهما يطلبون الدية فاتى النبي ﷺ ومعه ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وغيرهم فجلس على كعب الاشرف وبني النضير يستقرضهم في فعلهما فقالوا نعم يا ابا القاسم فدان لذلك فانا نعينا ونسلفك حاجتك اجلس حتى نطعمك ونعطيك الذي تسألنا فجلس هو واصحابه فخلا بعضهم ببعض فقالوا انكم لن تجدوا محمدا اقرب منه الان فمن يظهر على هذا البيت فيطرح عليه صخرة فنستريح منه فانتدب عمرو بن جحاش كعب ان فجاء الى رحى عظيمة ليطرحها عليه فامسك الله يديه فجاء جبريل فاخبره بذلك فخرج النبي ﷺ وانزل الله هذه الاية وقيل نزلت في قصة عشقا حين هموا الاعداء ان يوقعوهم فنزلت صلوة الخوف وقيل انها لم تنزل في واقعة خاصة ولكن لما اراد الكفار ابدا كما تواتر بدءا وتواترا ابقاء البلاد والنهب والقتل بالمسلمين فاغاث الله المسلمين قل شوكة الكفار وقوى دين الاسلام واظهره على الاديان

الاعداء الخبثة واذا حللتم احتمتم منا سك الوصول فاصطادوا ارنباب نطلب بشبكة الدعوة الى الله ولا يحملنكم حسد الحشا الذين يريدون ان يصدوكم
عن الحق على ان تعتدوا على الطالبين فتكونوا انطباع الظهرة عليهم فى طلب الحق حرمت عليكم يا اهل الحق الميتة وهى الدنيا باسرها والدم ولحم الخنزير اى حبها
حرامها قليلها وكثيرها لان من الدم ما هو حلال والخنزير كله حرام والدم بالنسبة الى اللحم قليل وما اهل به لغير الله والمنخنقة والموقوذة يعنى
الذين يخنقون انفسهم بالجاه هلات وبقد ونها بالرياضات دناءة وسمعة للمرة بعد المرة والمتردية الذين يردون انفسهم الى اسفل سافلين الطبيعة بالسباع
مع الاقران والتفاخر بالعلم والزهد بين الاخوان وما اكل السبع الظلمة المتهارشون فى جيفة الدنيا تهارش الكلاب الا ما ذكيتم بالكسب الحلال وصياح
بلسان رضوذه الحال وما ذبح على النصب ما يذبح عليه النفوس من المطالب الفانية وان تستقسموا بالازلام اى ان تكونوا متحيرين فى طلب المرام فاذا
انتهيتم عن هذه المناكر وتخلصتم عن هذه الدواهى فقد غاد لبكم نهارا وظلمتكم انوارا اليوم يئس الذين كفروا من نفس صفاتها والدنيا وشهواتها
من دينكم فلا تخشوهم واخشون فان كيدهى متين اليوم اى فى الازل اكملت لكم دينكم ولكن ظهر الامر فى حجة الوداع يوم عرفة واتممت عليكم نعمتى وهى حياة
مخصوصة بالكمال بعثة النبى ﷺ من اضطر من ابتلى بالنفاق شيئا من الدنيا والاخرة غير مائل اليه للاعراض عن الحق ولكن من فارق للطالبين او وقف للسالكين يستأنس
فاذا اخلت الارض بالسلوك الى الدنيا حرام على اهل الاخرة والاخرة حرام على اهل الله الطيبات كل ما كول ومشروب ملبوس يكون سببا للقيام بالواجبات
فكلوا مما امسكن عليكم شاهدوا لوامع اصطادت النفوس المطمئنة المعلمة بعلوم التربية المؤدبة بآداب الطريقة المفوزة بانوار الحقيقة واذكروا اسم الله عليها
كلها وركز عليكم من الامور الدنيوية والاخروية اسم الله اى لا تنصرفوا فيها لا لله بالله فى الله اليوم يعنى الان فى هذا الزمان ظهر كاملة لهذا الدين الاذلة وهو يوم عرفة
وهذه فائدة التكرار احل لكم الطيبات التى يتعلق بها سعادة الدارين بل احل لكم التخلق بالاخلاق الطيبات وهى اخلاق الله المنزهة عن
الكيفيات والكميات وطعام الذين اوتوا الكتاب وهم الانبياء حل لكم اى عندهم بلباس الولاية كما عندنا بلباس النبوة وطعامكم حل لهم اى متبع لباس النبوة
والولاية واحد وان كان اللباس متباينين فذ علم كل اناس مشربهم وملبسهم وذا وذاك كل مشربا بيت عند ربى يطعمنى ويسقينى والمحصنات من المؤمنات
وهى ابكار حفاظ القرآن والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب ابكار حفاظ الكتب المنزلة على الامم السالفة اى التى درجت فى القرآن فلا تعلم نفس ما
اخفى لهم من قرة اعين اذا اتيتموهن اجورهن وهو بذل الوجود محصنين فى هذا البذل ليكون على وجه الحق غير سائحين على وجه الطبع ولا متخذى اخدان
غير ملتفتين الى شئ من الاكوان ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله الذى عمل من دون المكاشفات يا ايها الذين امنوا اتيانا حقيقيا عند خطاب
هذا المقامات
السير اذا قمتم من نوم الغفلة الى الصلوة وهى معراجكم للرجوع الى مكانكم من ربكم فاغسلوا وجوهكم التى توجهتم بها الى الدنيا والطمتموها بالنظر الى
الاغيار بماء التوبة والاستغفار وايديكم الى المرافق اى اغسلوا ايديكم عما تمسك بالدارين حتى الصديق المواظب والوصول المداوم وامسحوا برؤسكم
ببذل نفوسكم وارجلكم الى الكعبين من طهن طينتكم والقيام بانانيتكم ولا يحملنكم حسد الحشا وعداوة الانذال على ان لا تعدلوا مع انفسكم
اذ هم قوم من الشيطان والنفس والهوى ان يبسطوا اليكم ولقد اخذ الله ميثاق بنى اسرائيل وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا ع
ايديهم فكفها عنهم والله خير موفق ومعين وبدرستى كه گرفت خدا پيمان بنى اسرائيل را وبرانگيختيم ازانها دوازده نقيب را
وقال الله انى معكم لئن اقمتم الصلوة واتيتم الزكوة وآمنتم برسلى وعزرتموهم واقرضتم الله قرضا
وگفت خدا كه بدرستى كه من با شما يم هرگاه كه برپا داريد نماز را وبدهيد زكوة را وبگرويد بپيغمبران من وتيكو داريد انها را وقرض دهيد خدا را واى
حسنا لاكفرن عنكم سيئاتكم ولادخلنكم جنات تجرى من تحتها الانهار فمن كفر بعد ذلك
خوب هرآينه بپوشانم از شما گناهان شما را وهرآينه درآورم شما را در بوستانها كه روانست از زير انها جوها پس هر كه كافر شود پس از اين
منكم فقد ضل سواء السبيل فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون
از شما پس بدرستى كه گمراه شده از راه راست پس بسبب شكستن انها پيمان انها را لعنت كرديم انها را وگردانيديم دلهاى انها را سخت كه تغيير دهند
الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم الا قليلا منهم
كلمات را از جايگاه خود وفراموش كردند بهره از انچه را كه يادآورده شدند وهميشه خبر دار شوى بر خيانتى از انها مگر كمى از ايشان
فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم فنسوا حظا
پس درگذر از انها وببخش بدرستيكه خدا دوست ميدارد نيكوكاران را واز انكه گفتند كه بدرستى كه ما ترسايانيم گرفتيم پيمان انها را پس فراموش كردند بهره
مما ذكروا به فاغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون
از انچه پند داده شدند انها را پس انداختيم درميان ايشان دشمنى و عداوت را تا روز قيامت وزود باشد كه خبر دهد ايشان را خدا بانچه كه بودند كه ميكردند
يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا
اى صاحبان كتاب بدرستى كه آمد شما را پيغمبر ما كه هويدا كند از براى شما بسيارى از انچه را كه بوديد كه پنهان ميداشتيد از كتاب و درگذرد خدا
عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام
از بسيارى بدرستى كه آمد شما را از جانب خدا روشنى وكتابى هويدا كننده راه نمايد بان خدا انرا كه پيروى كند خوشنودى او را براه سلامت

المائدة ٥

وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ

وبیرون آورد ایشان را از تاریکیها بسوی روشنی بفرمان او وراه نماید ایشان را بسوی راه راست بدرستی که کافر شدند آنانکه گفتند بدرستی که خدا او

الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا

مسیح پسر مریم است بگو کیست که نگاهدارد از خدا چیزی را اگر بخواهد که نابود کرداند مسیح پسر مریم را ومادر او را وهر که در زمین است همه

وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَقَالَتِ

ومر خدایرا است پادشاهی آسمانها وزمین وآنچه درمیان انهاست بیافریند آنچه خواهد وخدا بر هر چیزی توانا است وگفت

الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ

یهود وترسایان که ما فرزندان خدا ودوستان اویم بگو پس چرا عذاب کند شما را بگناهان شما بلکه شما بنداد میان از انها که آفرید

يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ

میامرزد مرازا که خواهد وعذاب کند ازا که خواهد ومر خدایرا است پادشاهی آسمانها وزمین وهرچه درمیان انهاست وبسوی او است بازگشت

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا

ای اهل کتاب بدرستی که آمد شما را فرستاده ما که ظاهر میکند مر شما را از برای شما احکام را در وقت سستی فرستادن پیغمبران که مگوئید فردا که نیامد ما را

ع ٨ مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ القراءة فتنة

مژده دهنده وترساننده پس تحقیقکه آمد شما را مژده دهنده وترساننده وخدا بر هر چیز توانا است حمزة وعلی

والمفضل البافون فاستئناف الوقوف فيها سبيل للعدول عن الاخبار الى الحكاية مع اتحاد القصة فيقبح للعدول عن الحكاية الى الاخبار معكلان

ما بعده ابتداء فتم محذوف جوابه لا كفرن لانهما القسم فاستئناف لاحتمال الاستيناف والحالية اى لعنا هم محرفين موانعين لان ما تلوه حال

اى وقد نسوا ذكرا نبه للعدول عن الماضي الى المستقبل مع الواو واضيف الحسنين كوابر لعطف المنقطعين يوم الفتح يضعون عن كثير

لان قوله بعد وصف للكتاب الى اخر الاية مستقيم المسيح مريم الاولى جميعا وما بينهما ما يشاء قديرا وحبروته بذنوبكم لنا هي الاستفهام الى الاخبار

من خلق من يشاء وما بينهما للفصل بين ذكر الحال والمال المقدر لا تذرن للعطف مع وقوع العارض وبذر قديرا للتفسيرية سبحانه لما خاطب المؤمنين

بذكر نعمته وبينها فيما ورد ذكره منها في بني اسرائيل ونقضهم اياه ثم لعنهم بسبب ذلك نخبرهم الهذيل الاشعر من مثل ما فعلوا وفعل بهم وبوجه خوفا ذكر

عذر اليهود وانهم اذا ابقاع الشر بالنبي لولا دفع الله تعالى اردف نبذكر مساهر فضائحهم ليعلم ان ذلك لم يزل اخبارهم والنقيب للتعريف يفعل بخفف

فاعلا لا تنقب عن احوال القوم فتكون شاهدهم وضبنهم وقال ابو مسلم بمعنى مفعول يعني اخبارهم على علم بهم واصل النقب الطريق في الجبل

ونقيب لبيطار سمي الدابة لخروج منها ماء اصفر والمناقب لفضائل لانها لا تظهر الا بالتنقيب عنها ويقال كلب منقب هو ان ينقب جحر نه لئلا يرفع

صوت نباحه وانما يفعل ذلك البخلاء من العرب لئلا يطرقهم ضيف قال مجاهد الكلبي والسدي ان الله تعالى اختار من كل سبط من اسباط بني اسرائيل

رجلا ليكون نقيبا لهم وحاكما فيهم ثم انهم بعثوا المدينة الجبارين لينقبوا عن احوالهم فرأوا اجراما عظيمة فنهاهم وا ورجعوا وحذروا قومهم وثبطوهم

موسى ان يجدوهم فنكثوا الميثاق الا رجلين منهم ومعنى اني معكم اني ناصركم ومعينكم والتقدير قال الله لهم فحذف لزايط للعلم به والخطاب للنقباء

او لكل يناسب الحاصل اني معكم بالعلم والقدرة فاسمع كلامكم واري افعالكم واعلم ضمائركم واقدر على ايصال الجزاء اليكم لئن اقمتم معترضة

جملة في الترغيب والترهيب ثم ذكر بعدها جملة شرطية مركبة من خمسة امور والجزاء هو قوله لاكفرن وهو اشارة الى ازالة العقاب في قوله ولادخلنكم

وهو اشارة الى ايصال الثواب في اللام في لئن اقمتم موطئة للقسم وفي لاكفرن جواب له ولكنه سد مسد جواب الشرط بالفاء والعزر في اللغة الرد ومنه التعزير

الذي يكف مرتكبه عن القبيح ولهذا قال الاكثرون معنى عزرتموهم نصرتموهم لان نصرة الانسان رد اعداءه عنه ولو كان التعزير هو التوقير لكان قوله و

تعزروه وتوقروه تكرارا وهيهنا اسئلة لم اخر الايمان بالرسل عن اقام الصلوة وايتاء الزكوة مع ان الايمان مقدم على الاعمال واجيب بعد

تسليم ان الواو للترتيب بان اليهود كانوا معترفين بان النجاة مربوطة باقامة الصلوة وايتاء الزكوة الا انهم كانوا مصرين على تكذيب بعض الرسل

فذكر انه لا بد بعد الصلوة والزكوة من الايمان بجميع الرسل والا لم يكن تلك الاعمال زاكية فلعل يحتمل ان يكون التقدير قد ختم واخر الايمان

عن العمل بنهما على ان الايمان انما ينفع معتدا به اذا اقترن به العمل كقوله وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى او هو من القلب الذي

يشجع عليه من الالباس او لعل اليهود كانوا مقصرين في الصلوة والزكوة فكان ذكرهما هم سؤال اخر ما الفائدة في قوله وآمنتم بعد قوله وايتم الزكوة

واجيب بان الاقراض يذير الصدقات المندوبة قال الفراء ولو قال واقرضتم الله قرضا حسنا لكان صوابا ايضا الا انه ايتم الاسم مقام المصدر

مثل وانبتها نباتا حسنا اخر قال فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل فان من كفر بذلك بعضه فقد اخطأ الطريق المستقيم لان الله تعالى امر

لهم والجواب جاز ولكن الضلال بعد الشرط المؤكد المعلق به اوعد العظيم اشنع فلما اخص بالذكر تنبيها تفضيحهم مبينا قبائح نكثهم لئن لم تسلموا فلنلعنكم

صفة محذوف او باخلالكم الجملة الشرط المذكورة لعناهم قال عطاء اخرجناهم من رحمتنا وقال الحسن مسخناهم حتى صاروا قردة وخنازير قال ابن

عباس ضربنا الجزاء عليهم وجعلنا قلوبهم قاسية من قرأ قسية بغير الف فالياء ابلغ كعلم وعالم ومنه قولهم درهم قسي اي ردي مغشوش لما فيه من الدنس والصلابة بخلاف الدرهم الخالص فان فيه لينا وانقيادا قال ثعلب لم اعرف لهذا معنى يجعل همهنا انه اخبر عنها بانها صادت فاسية كما يقال جعلت فلانا فاسقا او عدلا يحرفون الكلم بيانا لفسوقهم لانه لا فسق اشد من الافتراء على الله وتغيير كلامه ونسوا حظا ذكروا نصيبا وافرا وسطا وابهما ذكر وابه من التوبيخ بما ان تركهم التوبة وارعواءهم عن العمل بها اغفال حظ عظيم او تسدت نياتهم فحرفوا التوراة بتلك علوم منها عن حفظهم كما روي عن ابن مسعود قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وقال ابن عباس تركوا نصيبا مما امروا به بكتابهم وهو الايمان بمحمد ثم بين ان تلك العهود والعلم لم تزل عادة لهم خلفا عن سلف بقال ولا تزال على تطلع خائنة اي فعلة خائنة كالعافية والحادثة اريد صفة لمحذوف هو مؤنث اي على فعلة ذات خيانة او على نفس او فرقة خائنة او الناء للمبالغة مثل رجل راوية للشعر الا قليلا منهم وهم الذين امنوا منهم كعبد الله بن سلام واضرابه او هم الذين يقوا على الكفر من غير غدر ونقض لعهود هم فاعف عنهم واصفح بعث على حسن العشرة معهم فقيل منسوخ بآية القتال وانها التي جاهد النبي بها الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وقيل المراد اعف عن مؤمنيهم ولا تؤاخذهم بما سلف منهم وقيل بل هو على العموم ان لم يؤمنوا على العهد منهم ان لم يؤاخذهم بالصغار فما دونه وان لم يؤمنوا بان على العهد فانت مؤد ما لي بسلم ان الله يحب المحسنين قال ابن عباس ومعناه اذا عفوت فانت محسن واذا كنت محسنا فقد احبك الله وعلى قول ابي مسلم ان المراد بهؤلاء المحسنين هم الطيبون الذين لا نقض منهم عهدا الله وفي هذا التغيير بعد والله اعلم ثم ان الذين قالوا انا نصارى لم يقل ومن النصارى لانهم اعادوا الضمير بهذا الاسم ادعاء لنصرة الله وهم الذين قالوا لعيسى نحن انصار الله وكانوا بالحقيقة انصارا للشيطان حيث اطاعوه واطاعوا خطواته واخذنا ميثاقهم ان كان الضمير عائدا الى الذين قالوا فالمعنى ظاهر وان عاد الى اليهود فالمعنى اخذنا منهم مثل ميثاق اليهود في افعال الخير والايمان بالرسل فاغرينا الصفتين اي الصقنا وسمنا اغراء اللازم بالصق به وغرى بالمد لغة والصقنا بينهم بين فرق النصارى او بينهم وبين اليهود ثم دعا اليهود والنصارى الى الايمان بمحمد فقال لهم قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب كصفة رسول الله وكنعت الرجم وهذا معجز لانه لم يقرأ كتابا وقد اخبرهم بما في كتابهم وعفوا عن كثير مما تخفونه فلا يبينه مما لا يمس الحاجة في هذا الدين وعن الحسن وعفوا عن كثير منكم لا يؤاخذه بجريمة قد تاب منها او لا يكاد يبين هو القرآن لانه ما كان خافيا على الناس من الحق او لانه ظاهر الاعجاز ويحتمل ان يكون النور والكتاب هو القرآن والمغايرة اللفظية كالتي بين المعطوفين ولا شك ان القرآن نور معنوي يهتدي به البصيرة على ادراك الحقائق والمعقولات يهدي به الله اي بالكتاب من اتبع رضوانه من كان مطلوبه اتباع الدين الذي يرتضيه الله لا الذوق الغير بحسب هواه سبل السلام طرق السلامة او طرق دار السلام او سبيل من الله ان الله هو المسيح بن مريم بناء على ما جرى الحلول من تحلل من الشيء شيئا من الله يفيد على رفع شيء من افعال الله ومنع شيء من مراده وقوله ان اراد شرطا جوابه اخر محذوف يدل عليه فمن يقدر له والمعنى ان اراد ان يهلك المسيح المذكور وامه وغيره ممن في الارض على وجه لا يدفع عن مراده ومقدور والمراد بعطف من في الارض على المسيح وامه انهما من جنسهم وشكلهم في الصورة والخلقة والجسمية والتركيب سائر الاعراض فلما سلم كونه ثم خالفا لغيرهما وجب ان يكون خالقا لهما ومتصرفا فيهما دائما قال وما بينهما بعد كرر السموات والارض ولم يقل بينهن لانه اراد الصنفين او النوعين وفي قوله يخلق ما يشاء وجهان احدهما يخلق ما يشاء من ذكر وانثى فلا يقدر احد على منعه من ذلك فكما لي في حق عيسى وناقة من غير ذكر وانثى كادم عم وثانيهما ان عيسى اذا قدر صوت الطير من الطين فان الله تعالى يخلق فيها الحياة والحيوة معجزة لعيسى وكذا احيا الموتى بإذن الله والابرص من احياء الله واحياؤه قيل عليه ان اليهود لا يقولون ذلك فكيف يجوز نقل ذلك عنهم واما النصارى فلا يقولون ذلك في حق انفسهم واجيب بان المضاف محذوف اي شبه ابناء الله واحباؤه او يدان عنايته تعالى بهم كعناية الاب بالابن او اليهود يقولون عزير ابن الله والنصارى ان المسيح ابن الله وقد يقول الاقارب لملوكهم نحن الملوك وعنوا بهم كونهم مختصين بذلك الشخص لله هو الملك عن ابن عباس ان نصارى نجران ويهود المدينة لما سمعوا ما خوفهم به من العقاب قالوا كيف يخوفنا بعقاب الله ونحن ابناء الله واحباؤه وما يقول النصارى فلا يبعد ان يقولوا ذلك لانهم كانوا يقولون ان المسيح قال لهم اني ذاهب الى ابي وابيكم ثم انه سبحانه ابطل عليهم دعواهم بقوله قل فلم يعذبكم بذنوبكم فدل ان موضع الالزام هو عذاب الدنيا وحينئذ يمكن المعارضة بوقعة احد وبقتل اصحاب الاخدود الحسين او الحسين او عذاب الاخرة والقوم ينكرون ذلك ولو كان مجرد احبار بانهم كذبوا في دعاويهم لاحباء الله كافيا وبصيرا لاستدلال ايضا بعاد اجيب بان محل الالزام عذاب عاجل والمعارضة بيوم احد ساقطة لانهم وان ادعوا انهم لاحباء لكنهم لم يدعوا انهم لا ينالهم عذاب او عذاب عاجل واليهود والنصارى يعترفون بذلك وانهم يمسهم النار اياما معدودة ويمكن ان يقال المراد مسهم فردة وخنازير بل هذا الجواب ولي لئلا يكون لاحتجاج عليهم بشيء قد دخل في الوجود فلا يمكنهم الانكار بل انتم بشر من جملة من خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ليس لاحد عليه حق واجب بغفر له ولا قدر يمنعه من ان يعذبه وقرأ الاعمش يغفر لمن يشاء بالياء ويعذب من يشاء بالياء لكل واحد منهما والمعنى بين لكم في محل النصب على الحال وفيه وجهان ان يقدر المبين وهو الدين والشرائع وحسن حذفه لان كل احد يعلم ان الرسول انما ارسل لتبيين الشرائع او هو ما كنتم تخفون وحسن حذفه لتقدم ذكره وان لا يقدر المبين والمعنى يبين لكم البيان وحذف المفعول لتم فائدته وقوله على فترة متعلق بجاءكم او بحال اخر فان ابن عباس اي على حين فتور من ارسال الرسل وفي فاصل انقطاع الوحي وسميت المدة بين الرسولين من رسل الله فترة لفتور الداعي فيها بذلك الشرائع كان بين عيسى ومحمد خمسمائة وستون او ستمائة وعن الكلبي كان بين موسى وعيسى الف وسبعمائة سنة والفترة بين عيسى ومحمد اربعة ابيات ثلثة من بني اسرائيل وواحد من العرب خالد بن سنان العبسي اما العيسى بالنون فهو المنتفي الكائن المفقود ان الرسول بعثا اليهم حين انطمست آثار الوحي وتطرق التحريف والتغيير الى الشرائع المتقدمة وكان ذلك عذرا ظاهرا في اغراض الخلق عن العباد ان لهم ان يقولوا الهنا ما عرفنا انك لا بد من بعث رسل ولكنا ما عرفنا كيف

المائدة ۵

بعبدك من الله نعم علينا بإذاحه هذه العلة وذلك قولهم ان يقولوا اي كراهة ان يقولوا اما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم اي لا تعتذروا فقد جاءكم وجاء
ان الفترة يوجب الحاجة الى بعثة الرسل والله قادر على ذلك لانه قادر على كل شيء فكان يجب بحكمته ورحمته ارسال الرسل في الفترات الزاما للحجة وقطعا لمعاذيرهم
انثا وبل جعل في امة موسى اثنا عشر نقيبا وجعل في هذه الامة من النجباء البدلاء اربعين رجلا كما قال ليكون في هذه الامة اربعون على خلق ابراهيم وسبعة على
خلق موسى وثلثة على خلق عيسى وواحد على خلق محمد صلعم وقال ابو عثمان المغربي البدلاء اربعون والاوتاد سبعة والخلفاء ثلثة والواحد هو القطب القطب
عارف بهم جميعا ويشرف عليهم ولا يعرفه احد ولا يشرف عليه هو امام الابدال وهكذا حال الثلثة مع السبعة والسبعة مع الاربعين فاذا نقص من الاربعين
واحد بدل بكانه واحد من غيرهم واذا نقص من السبعة واحد جعل مكانه واحد من الاربعين واذا نقص من الثلثة واحد جعل مكانه واحد من السبعة واذا مضى
القطب الذي يقوم اعداء الخالق جعل بدله واحد من الثلثة هكذا الى ان يأذن الله تعالى في قيام الساعة ثم ان امتنا الصلوة بان يجعلها معراجا لنا الى الحق ورزقنا
القيام والركوع والسجود والتشهد فالقيام يتخلص عن عجب وسنان الانسانية واعظمها الكبر وهو من خاصية النار والركوع يتخلص عن عجب صفات الحيوانية
واعظمها الشهوة وهو من خاصية الهواء والسجود يتخلص عن عجب طبيعة البنان واعظمها الحرية على الجذب للنشو والنما وهو من خاصية الماء والتشهد يتخلص
عن عجب طبع الجماد واعظمها الجمود وهو من خاصية التراب فاذا تخلصت من هذه العجب فقد تمت الصلوة مناجاة لك مشاهدا لك كما قال اعبد الله كانك تراه
واتينا الزكوة بان نصرف ما رزقنا من روحانيتك بتعلق الغالب في سبيل الله اذا منتم برسالي استسلمتم بالكلية لنصرفات النبوة والرسالة ورزقنا الله بالوجود
لله ورزقنا حسنا وهو ان ياخذ منكم وجودا مجازيا فانيا ويعطيكم وجودا حقيقيا باقيا كما يقول الاكفرن لاسترن بالوجود الحقيقي عنكم سيئاتكم الوجود
المجازي ولادخلنكم جنات الوصلة تجري من تحتها انهار العناية ولا تزال تطلع على ثمانية منهم لان المعصية توجب الا العصيانا فاغرينا بينهم العداوة حتى
لم نواخذ المبطلين وابطلوا الاستعداد الفطري وكالسباع يتهارشون ويتجاذبون بغير امر يشاء ويعذب من يشاء بجعل انواعا مطلقة بشخصه
وفصله واخرين مظهر قهره وَاِذْ قَالَ مُوسٰى لِقَوْمِهٖ يٰقَوْمِ اذْكُرُوْا نِعْمَةَ اللّٰهِ عَلَيْكُمْ اِذْ جَعَلَ فِيْكُمْ اَنْۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُمْ
وعدله وهو اعلم بعباده وچون گفت موسی مر قوم خود را گفت ای قوم یاد آورید نعمت خدای را بر شما چون قرار داد در شما پیغمبران وگردانید شما
مُّلُوْكًا وَّاٰتٰىكُمْ مَّا لَمْ يُؤْتِ اَحَدًا مِّنَ الْعٰلَمِيْنَ يٰقَوْمِ ادْخُلُوا الْاَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِيْ كَتَبَ اللّٰهُ لَكُمْ
پادشاهان و داد شما آنچه ندادهیچ یک از عالمیان را ای قوم درآیید در زمین پاکیزه که نوشت خدای از برای شما
وَلَا تَرْتَدُّوْا عَلٰٓى اَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوْا خٰسِرِيْنَ قَالُوْا يٰمُوْسٰٓى اِنَّ فِيْهَا قَوْمًا جَبَّارِيْنَ وَاِنَّا لَنْ نَّدْخُلَهَا
و بازگردید بر پشت خود پس بازگردید زیان کاران گفتند ای موسی بدرستی در آن گروهی اند ستمکاران و بدرستی ما داخل نشویم هرگز
حَتّٰى يَخْرُجُوْا مِنْهَا فَاِنْ يَّخْرُجُوْا مِنْهَا فَاِنَّا دٰخِلُوْنَ قَالَ رَجُلٰنِ مِنَ الَّذِيْنَ يَخَافُوْنَ اَنْعَمَ اللّٰهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوْا
تا بیرون روند از آن پس اگر بیرون روند از آن پس ما داخل شوندگان گفتند دو مرد از آنهائی که میترسیدند و انعام خدا بر ایشان کرده بود
عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَاِذَا دَخَلْتُمُوْهُ فَاِنَّكُمْ غٰلِبُوْنَ وَعَلَى اللّٰهِ فَتَوَكَّلُوْٓا اِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِيْنَ قَالُوْا يٰمُوْسٰٓى
بر ایشان از در پس چون درشوید بدرستی که شما غالبانید و بر خدای پس توکل کنید اگر هستید گروندگان گفتند ای موسی
اِنَّا لَنْ نَّدْخُلَهَآ اَبَدًا مَّا دَامُوْا فِيْهَا فَاذْهَبْ اَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَآ اِنَّا هٰهُنَا قٰعِدُوْنَ قَالَ رَبِّ اِنِّيْ
ما هرگز داخل نشویم ازا درهنگامی که ایشان در آنند پس برو تو و پروردگارت پس قتال کنید که ما در اینجا نشستگانیم گفت پروردگارا من
لَآ اَمْلِكُ اِلَّا نَفْسِيْ وَاَخِيْ فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفٰسِقِيْنَ قَالَ فَاِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ اَرْبَعِيْنَ
مالک نیستم مگر نفس و برادر مرا پس جدا کن میان ما و میان گروه فاسقان گفت که پس آن حرام است بر ایشان در حیل
سَنَةً يَتِيْهُوْنَ فِي الْاَرْضِ فَلَا تَاْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفٰسِقِيْنَ القراءة بالامالة قليلة نصير وابو عمر حيث
سال که سرگردان مانند در زمین پس تاسف مخور بر گروه فاسقان کان فلا تاس بغير همزة حيث فعنا بو عمر ودوري
والاعشى ودرش وحمزة في الوقف لونوف ملوكا جبارين قد قبل لشبهة الابتداء بان ولكن كسر الفان بحيثه بعد القول معطوفا على الاول حتى يخرجوا منها
لابتداء الشرط مع فاء التعقيب فاخلوا لبان لذلك غالبون مؤمنين واعدن الفاسقين سنة لانها تضيق ظرفا لتيههم بعدها وللخبر قبل الفاسقين للتقرير
وجه النظم انه سبحانه كانه قال احذا الله نبيا وبنى اسرائيل وذكرهم موسى بنعم الله وامرهم بمجاربة الجبارين فحالفوا في الكل من الله عليهم بامور ثلثة
اولها قوله اذ جعل فيكم انبياء وذلك انه لم يبعث في امة ما بعث في بني اسرائيل من الانبياء وثانيها قوله وجعلكم ملوكا قال السدي جعلكم احرارا تملكون
انفسكم بعدما استعبدكم القبط وقال الضحاك كانت منازلهم واسعة وفيها مياه جارية وكان لهم اموال كثيرة وخدم يعني بهم وبين كان كذلك
كان ملكا وقال الزجاج الملك من لا يحتاج عليه احد الا باذنه وقيل الملك هو الصحة والاسلام والامن والفراغ وقيل من كان مستغلا بامر
نفسه ومعيشته ولم يكن محتاجا في قضاء الحاجة الى احد فهو ملك وقيل كان في اسلافهم ملوك وعظماء وقد يقال لمن حصل بينهم مملوك
مجازا وقيل كل نبي ملك لانه يملك امر امته بتفقيههم حكمة وثالثها وآتيكم ما لم يؤت احدا من العالمين من فلق البحر واغراق العدو وتظليل الغمام وانزال
المن والسلوى وغير ذلك من الخوارق والعظائم وقيل اراد عالمي زمانهم روي ان ابرهيم لما سعى جبل لبنان قال الله تعالى له انظر فما ادرك بصرك فهو لك

وضربت لذلك وقيل لما خرج قوم موسى من مصر بعدهم الله اسكنا ارض الشام فكان بنو اسرائيل يسمون ارض الشام ارض المواعيد ثم بعث موسى من اثنى عشر نقيبا من الاسباط ليتجسسوا لهم من احوال تلك الارادة فلما دخلوا تلك البلاد رأوا اجساما عظيمة فهالتهم قال المفسرون لما بعث موسى النقباء لاجل التجسس اتاهم واحد من اولئك الجبارين فاخذهم وجعلهم في كمه مع فاكهة كان قد حملها من بستانه واتى بهم الملك فنثرهم بين يديه وقال منجيا الملك هؤلاء يريدون قتالنا فقال الملك ارجعوا الى صاحبكم واخبروه بما شاهدتم فانصرف النقباء الى موسى واخبروه بالواقعة فلما رأوهم ان يكتموا امانة ولم يقبلوا قوله الا رجلان هما كالب يوفنا من سبط يهوذا ويوشع بن نون من سبط افراهيم بن يوسف فانهما قالا هي بلاد طيبة كثيرة النعم واجسامهم عظيمة الا ان قلوبهم ضعيفة واما العشرة الباقية فانهم اوقعوا الجبن في قلوب الناس حتى ظهر بالامتناع عن عدوهم والارض المقدسة هي المطهرة من الاقذار وقيل من الشرك وقيل بانها لم يكن وطئ الجبارين كذلك واجيب بانها كانت كذلك فيما قبل لانها كانت مسكن الانبياء ثم انها فاهي عن عكرمة والسدي وابن زيد هي اريحا وقال الكلبي دمشق وفلسطين وبعض الاردن وقيل الطور وما حوله وقيل بيت المقدس وقيل الشام ومعنى كتب الله لكم وهبها لكم او خط في اللوح المحفوظ انها لكم او امركم بدخولها قال ابن عباس كانت هبة ثم حرمها عليهم بشؤم تمردهم وعصيانهم وقيل المراد خاص اي مكتوب لبعضهم وحرام على بعضهم وقيل ان الوعد كان مشروطا بالطاعة فلما لم يوجد الشرط لم يوجد المشروط وقيل حرم عليهم اربعين سنة فلما مضى الاربعون حصل ما كتب في قوله كتب الله لكم يقوي القلوب وان الله سينصرهم مع ضعفهم على الجبارين مع قوتهم ولا ترتدوا على ادباركم لا ترجعوا عن الدين الصحيح الى الشك في نبوة موسى واخباره هذه النصرة او لا ترجعوا عن الارض التي امرتم بدخولها الى التي خرجتم عنها فقد روي ان القوم كانوا قد عزموا على الرجوع الى مصر فتنقلبوا خاسرين في الاخرة بفوات الثواب وحلول العقاب او ترجعوا الى الذل وعوتبوا في التبعير واصلين الى شيء مع مطالبة الدنيا ومنافع الاخرة والجبار فعال من جبره على الامر يجبره عليه وهو العاتي الذي لا يجد الناس على هامة يده وهو اخبثهما الفراء والزجاج قال الفراء لم اسمع فعالا من افعل الا في حرفين جبار من اجبره وذراع من اذرع ونقيا لخلة جبار وه اذا كانت طويلة مرتفعة لا نقسل الا بدي اليها والقوم كانوا في غاية القوة وفي غاية العظم فخيل موسى عنهم حتى قالوا على سبيل المبالغة في الاستبعاد انا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون كما قولهم ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط قال رجلان هما يوشع وكالب من الذين يخافون الله ومحل انعم الله عليهما اي بالهداية والتقوية بقوله والاعتماد على نصره مرفوع صفة لرجلان ويحتمل ان يكون جملة معترضة قال القفال يجوز ان يكون الفقير في يخافون لبني اسرائيل والعائد الى الموصول محذوف وقيل هو من الذين يخافهم بنو اسرائيل وهم الجبارون فعلى هذا الرجلان من الجبارين ادخلوا عليهم الباب مبالغة في الوعد بالنصر والظفر كانه قال متى دخلتم باب بلدهم لم يبق منهم نافخ نار ولا ساكن دار فاذا دخلتموه فانكم غالبون عليه ظفرا او بقينا من عادته الله بنصره رسله غالبة ومن صنعه لموسى في قهر اعدائه خاصة وعلى الله فتوكلوا الفاء للدلالة على ان تلك الثقة بالله تستلزم التوكل عليه والتفويض اليه وقيل لما وعدكم الله النصر فلا ينبغي ان تبصروا احدا يقين من عظم اجسامهم بل توكلوا على الله ان كنتم مؤمنين مقرين بوجود الاله القدير هو قولهم بعجزه بقوة موسى لما ان دخلنا لن ندخلها ابدا ما داموا فيها فاذهب انت وربك فقاتلا انت وربك قال العلماء لعلهم كانوا مجسمة يجوز في الذهاب المجيء على الله تعالى او انهم لم يقصدوا حقيقة الذهاب كقولك كلمته فذهب يجيبني يريد القصد والارادة وقيل المراد بالرب اخوه هرون وسموه ربا لانه اكبر منه وقيل التقدير اذهب ربك معين لك فعل ولكن لا يجوز ان يقال هذا ولا يتبع لقوله انت فائدة واضحة ولا يخفى ان هذا القول منهم كفر او شك فيما قال موسى على سبيل الشكوى والبث الى الله تعالى لا املك الا نفسي واخي قال الزجاج في اعرابه وجهان الرفع على موضع اني لان المعنى انا لا املك الا نفسي واخي وكذلك ونصبا على الضمير في املك اي لا املك انا واخي الا انفسنا او على نفسي اي لا املك الا نفسي ولا املك الا اخي لان اخاه اذا كان مطيعا له فهو مالك طاعته وكانه لم يثق بالرجلين كل الوثوق فلهذا لم يذكرهما او لعله قال ذلك تقليلا لمن ينوافقه اراد من يوثق بحاله في الدين فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين فاعدل بيننا وبينهم وخلصنا من صحبتهم كقوله ويجنى من القوم الظالمين اي المراد فافصل بيننا وبينهم بان تحكم لكل منا بما نستحق وهو دفع الدعاء عليهم بدليل قوله فانها اي ارض المقدسة محرمة عليهم اربعين سنة يحرمها الله عليهم عن عبر مخاطبة والمراد انهم يتيهون اربعين سنة ومعنى يتيهون يسيرون متحيرين عن نفاذ ان موسى لما دعا عليهم فاجابه الله بانهم يتيهون قالوا لما دعوت علينا وندم على ما عمل فاوحى الله اليه فلا تاس اي لا تحزن ولا تندم على القوم الفاسقين فانهم استحقوا بالعذاب لفسقهم وجوز بعضهم ان يكون ذلك خطابا بالمحمدية اي لا تحزن على قومك لمخالفة الرسل فجرائهم واعلم ان المفسرين اختلفوا في ان موسى وهرون هل بقيا في التيه ام لا فقال قوم انهما شاكا في التيه لانه دعا ان يفرق بينه وبينهم كما نبي مجابة لان التيه عذاب الانبياء لا يعذبون ولان سبب ذلك العذاب لم يوجد منهما فلم يلحقهما وقال آخرون انهما كانا مع القوم الا ان الله سهل عليهما ذلك العذاب كما ان النار كانت على ابراهيم بردا وسلاما ثم من قال ان هرون مات في التيه وفات موسى بعده فيه بسنة وقيل بسنتين وقيل بثلثة اشهر وكان ابن اخت موسى وصهره بعد موته وفات النقباء في التيه بعثة بعقوبات غليظة الا كالب يوشع وقيل من قال بل بقي موسى بعد ذلك وخرج من التيه وحارب الجبارين فهم واخذ الارض المقدسة والله تعالى اعلم واختلفوا انهم في التيه هل افتتنوا فقال ابن عباس لم يبق منهم في التيه احد الا مات فرسخا وقيل تسعة فراسخ وقيل تسعة فراسخ في ثلثين فرسخا وقيل تسعة اثنى عشر فرسخا وكانوا ستمائة الف فارس ثم الاكثرون على ان قوله فانها محرمة عليهم منع كانوا يسيرون كل يوم على الاستدارة جادين حتى اذا امسوا اذا هم حيث ارتحلوا عنه وكان مع ذلك انعم الله عليهم من تظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغير ذلك منافعهم كالوالد الشفيق يهيئ لولده ويؤدبه لينشأ ويتشفق لكن لا يقطع عنه معروفه

المائدة ٥

واحسانه ويشكل هذا القول بانه كيف يعقل بقاء هذا الجمع العظيم في ذلك القفر الصغير من الماء شهرين متطاولة بحيث لا يفقد احدهم ان يقال ان الله تعالى طهر بقاعا للتيه ولو بامارات حتى كانت النجوم والجواب ان هذا من الخوارق التي يجب التصديق بها كسائر المعجزات التي يتسبعد وقوعها وقال البعضهم ان هذا التيه بعيد وانه تعالى امرهم بالمكث في ذلك المفاوز اربعين سنة عقابا لهم على سوء صنيعهم وعلى هذا فلا اشكال وقيل اشار موسى عليه السلام الى القوى البدنية ادخلوا ارض القلب المقدسة التي كتبها الله لكم بالاخلاق المستقيمة في الفطرة فهابوا لتحمل اعباء المجاهدات ولزوم المخالفات والرياضات فقالوا لنفوسهم اللوامة والمطمئنة انكم غالبون اذا دخلتم باب الجد والطلب بسبب الرياضة بالتعب فلم يعتدوا بقولهما فحرمهم الله تعالى ذلك عليهم اربعين سنة هي تيه اسيفها محطوط النفس الامارة وانكسار سورتها في الاغلب كقوله حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة وقيل الاربعون سنة هي التي تتم فيها قوة الانسان وكماله وقيل انما حرمت عليهم لانهم لما ظنوا انه يحل نفسه ونفس اهله بتلاه الله في الحال الدعاء على امته لان المرء انما يملك نفسه اذا ملكها عند الغضب فشتان بينه وبين من قال حين شج رأسه وكسرت رباعيته اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون اللهم صل عليه وعلى جميع الانبياء والمرسلين وآل كل بفضلك وتعطف يا ارحم الراحمين قوله عز وجل

ع

واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق اذ قربا قربانا فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الآخر قال لاقتلنك قال انما

وبخوان بر ايشان حكايت دو پسر آدم را بدرستي چون بگزيدند قربانيها را پس قبول شد قربانى يكى از ديگرى گفت كه هر آينه ميكشم من تو را گفت كه

يتقبل الله من المتقين لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك اني اخاف الله

قبول ميكند خدا از پرهيزكاران اگر بگشائى بسوى من دست خود را كه بكشى مرا نميكنم من دست خود را بسوى تو كه بكشم تو را بدرستى كه من ميترسم خدا را

رب العالمين اني اريد ان تبوء باثمي واثمك فتكون من اصحاب النار وذلك جزاء الظالمين فطوعت

كه پرورد كار جهانيانست من ميخواهم كه باز گردى بگناه من و گناه خودت پس بوده باشى از ياران آتش و اين است پاداش ستمكاران پس قبول كرد

له نفسه قتل اخيه فقتله فاصبح من الخاسرين فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يواري

مر او را نفس كشتن برادرش پس بكشت او را پس صبح كرد از زيان كاران پس فرستاد خدا غرابى را كه بكند كودكى زمين را تا بنمايد باو كه چگونه بپنهان كند

سوأة اخيه قال يا ويلتى اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب فاواري سوأة اخي فاصبح من النادمين

نفس برادر خويش گفت كه اى واى بر من كه نتوانستم كه بوده باشم مانند اين غراب پس بپنهان كنم نفس برادرم را پس صبح كرد از پشيمانان

من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس او فساد في الارض فكانما قتل

از اينجهت نوشتيم بر گروه بنى اسرائيل كه بدرستى كه هر كه بكشت نفسى را بدون نفسى يا فسادى در زمين پس چنان است كه بكشته

الناس جميعا ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات

مردمان را همه و هر كه زنده كرداند او را چنانست كه زنده كرده باشد مردمان را همه و بدرستى كه آمد ايشان را پيغمبران ما بگواهان

ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك في الارض لمسرفون انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون

پس بدرستى كه بسيارى از ايشان پس ازاين در زمين هر آينه زيادت رانند جزاين نيست كه پاداش اينها كه جنگ كنند با خدا و رسول او و بشتابند

في الارض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الارض

در زمين بجهة فساد كه كشته شوند يا بدار كشيده شوند يا بريده شود دستهاى ايشان و پاهاى ايشان از يك طرف يا رانده شوند از زمين

ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم

اين از براى ايشان زبانى است در دنيا و مر ايشانرا در آخرت عذابى بزرگ مگر آنهائى كه باز گشتند پيش از آنكه دست يابيد بر ايشان

فاعلموا ان الله غفور رحيم يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة وجاهدوا

پس بدانيد كه خدا آمرزنده مهربانست اى زمره آنهائى كه گرويده ايد بپرهيزيد خدا را و بجوئيد بسوى او وسيلت را و كوشش كنيد

ع

في سبيله لعلكم تفلحون ان الذين كفروا لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا

در راه او شايد شما رستگار شويد بدرستى كه كافر شدند اگر كه بخشد مر ايشانرا آنچه در زمين است همه و مانند او با آن كه فديه دهند

به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب اليم يريدون ان يخرجوا من النار وما هم

بآن از عذاب روز قيامت پذيرفته نشود از ايشان و مر ايشانرا عذابى دردناك ميخواهند كه بيرون آيند از آتش و نيستند ايشان

بخارجين منها ولهم عذاب مقيم والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا نكالا

بيرون آيندگان از آتش و مر ايشانرا عذابى پاينده و مرد دزد و زن دزد پس ببريد دستهاى ايشان را پاداش آنچه كسب كردند از گناه و عقوبت

من الله والله عزيز حكيم فمن تاب من بعد ظلمه واصلح فان الله يتوب عليه ان الله غفور رحيم الم

از خدا و خدا غالب دانست پس هر كه توبه كرد پس از ظلم كردن خويش و بكار كرد پس بدرستى كه خدا ميپذيرد توبه او را بدرستى كه خدا آمرزنده مهربانست آيا

تعلم ان الله له ملك السموات والارض يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شيء قدير

ندانى كه خدا مر او راست پادشاهى آسمانها و زمين ميعذابد هر كه خواهد و بيامرزد هر كه خواهد و خدا بر هر

القراءة لاقتلنك بالنون الخفيفة روى المعدل عن ابن كثير بفتح ياء المتكلم ابو جعفر ونافع من اجل بكسر النون ابن كثير وحفص وابو عمرو بخلف عن رويس بفتح النون هو صولة دسلنا بسكون السين حيث كان ابو عمرو الوقوف بالحق على ان مفعوله اذكر محذوفا ولو وصلا وهم انه مفعول اتل هو محال من الآخر لاقتلنك المتقين لاقتلك لاحتمال اضمار اللام او الفاء العالمين لنا لاختلاف الجملتين الظالمين لاجل الفاء الخاسرين سواء اخبط اخي اطول ما اعرس من المعطوف والمعطوف عليه الناديين من اجل ذلك كذلك لان قوله من اجل يصلح ان يتعلق بأصبح وبكتبنا جميعا على الموضعين بالبينات لان تهب الاخبث المشركون من الارض عظيم عليهم لنا هي الا استثناء مع الجواب اي لا تعذبنا ويبطل ان الله غفور رحيم تفلحون سهام لنا هي الشرط مع اتخاذ المغضوب من الكلام اليم لان المغضوب مع اختلاف المحللين منهم من الله حكيم يوب عليكم رحيم لمن يشاء قدير التفسير في النظم ووجوه منها انه راجع الى قوله اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم وكانه تعالى ذكره لاجل تشليته نبيه ﷺ قصة كبيرة قصة ابني آدم وما انجر اليه الكلام من امر اهل الكتاب وتعنتهم بعد ظهور الدلايل القاطعة ثم ختمها بقصة ابني آدم وان احدهما قاتل الآخر حسدا وبغيا لبعلم ان الفضل كان محسودا بكل وان وفيها انه عائد الى قوله يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب فان هذه القصة وكيفية ايجاب القصاص تبيينها كانت من اسرار التوراة ومنها انه من تمام قوله نحن ابناء الله واحباؤه اي لا يفعلهم كونهم من اولاد ابنياء مع تقربهم كما لا ينفع قابيل والمراد بالتلاوة على اهل الكتاب خبر ابني آدم من صلبه هابيل قابيل تلاوة متلبسة بالحق الصدق من عند الله ﷻ او متلبسة بالصدق واقفا لما في التوراة لا تخيل او بالغرض الصحيح وهو توبيخ الحسد الحاجز من سوء عاقبة الحاسد واثل عليهم وانت تخفي اصاف لا تبطل هابيل ذل كالا فاصبر الى الاغنا فيها اذ قربا كان في الكتاب نصب بالنبأ اي قصتهم في ذلك الوقت وبدل من النبأ اي بناء ذلك الوقت على حذف المضاف للعلم او اذ قرب كل واحد منهما قربانا الا ان جمعها في الفعل تكالا على فهم هذه الحكاية او كان القربان في الاصل مصدرا سمي به ما يتقرب به الى الله تعالى من نعجة او صدقة ثم روي ان آدم ﷺ كان يولد له كل سنة بطن غلام وجارية فكان يزوج اليد من بطن الغلام من بطن اخر فولد قابيل توأمة اقليما وبعدهما هابيل توأمة البوزا وكانت توأمة قابيل احسن واجمل فاراد آدم ان يزوجها من هابيل فابى قابيل وقال انا احق بها وليس هذا امر الله وانما هو رأيك فقال آدم لهما قربا قربانا فمن يكا قبل قربانه زوجها منه فتقبل الله قربان هابيل بان نزلت نار فاكلته فازداد قابيل سخطا وقتل اخاه حسدا هذا ما عليه اكثر المفسرين واصحاب الاخبار وقال الحسن الصحاك انهما كانا ابني آدم لصلبه وانما كانا رجلين من بني اسرائيل لقوله عز من قائل من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل ومن البين ان صدور الذنب عن احد ابني آدم لا يصلح ان يكون سببا لايجاب القصاص على بني اسرائيل وتعقب بان الآية تدل على ان القاتل جعل ما يصنع بالمقتول حتى يعلم ذلك من عمل الغراب ولو كان من بني اسرائيل لم يخف عليه ذلك واجيب بمنع دلالة الآية على ذلك علاوة الرد وجمهور المفسرين على ان ذلك علامة لقبول ما كان في ذلك الوقت فجعل يدفع اليه ما يتقرب به الى الله فكانت النار تنزل من السماء فتاكله وانما صاحد القربانين مقبولا والآخر مردودا لان حصول التقوى شرط في قبول الاعمال ولهذا قال تعالى حكاية عن الخضر في جواب المبطل انما يتقبل الله من المتقين وذلك لانه لما كان الحسد هو الذي حمله على قوله بالقتل فكانه قال له انك لا تعاقب نفسك لاجتهادك على طاعة الله تعالى التي سببها القبول فجعل هذه القصة اي احد هما جعل قربانه احسن فاكله ناره او غنمه كان صاحب غنم والاخر حقلا او زرعا كان صاحب زرع وقيل انه اضمر في قربانه لانه لا يزوج اخته من هابيل سواء قبل او لم يقبل وقيل لم يكن قابيل من اهل النبوة في الكلام حذف فكان هابيل قال في جواب المتوعد لم تقتلني فقال لان قربانك مردود فقال هابيل ما ذنبي انما يتقبل الله من المتقين ثم حكى الله سبحانه على المظلوم انه قال لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك تذكر الشرط بلفظ الفعل والجزاء بلفظ اسم الفاعل مقرونا بالباء المزيدة لتاكيد النفي دلالة على انه لا يفعل ولا يكتسب به هذا الوصف الشنيع البتة في الجملة وقد كان اقوى من القاتل وابطش منه لكنه خرج عن قتل اخيه استسلاما لله خوفا من الله لان الدفع لم يكن مباحا في ذلك الوقت هذا وجه وقوله اني اخاف الله رب العالمين وقيل المعنى لا ابسط يدي اليك لاجل ان اقتلك وانما ابسط لغرض الدفع قال اهل العلم العالم العابد عن نفسه رجي عليه ان يدفع بالاسر لا بالقتل ليس له ان يقصد الدفع ثم ان لم يندفع الا بالقتل جاز له ذلك ثم قال اني اريد ان تبوء باثمي واثمك فمسئل انه كيف يعقل ان يريد رجوع اثم المقتول مع اثم القاتل وقد اجيب عنه بوجوه احدها ان معناه ان عصاني وقتلني وان سعوه والحسن وقتادة اي تحمل اثم قتلي واثمك الذي كان منك قبل قتلي وقال الزجاج ترجع الى الله باثم قتلي واثمك الذي من اجله لم يتقبل قربانك وقال في الكشاف انه تمثيل مثل لاتم المقاد كانه قال اني اريد ان تبوء بمثل اثمي لو بسطت اليك يدي سؤال اخر كيف جاز ان يريد معصية اخيه كونه من اهل النار والجواب ان هذا الكلام انما ذكر بينهما عند ما غلب على ظن المقتول انه يريد قتله وكان ذلك قبل اقدام القاتل على فعل القتل فكانه لما وعظه وضمه قال له ان كنت لا تتورع عن هذه الكبيرة بسبب هذه الشبهة فلا بد ان تعد لقتلي وقت غفلة وهي لا يمكنني ان ادفعك عن قتلي الا اذا قتلتك ابتداء فيجر ذلك الى الحساب وهذا مني كبيرة ومعصية واذا دار الامر بين ان اكون فاعل هذه المعصية انا وبين ان تكون انت فانا احب تحمل هذه الكبيرة لك لاني من البين ان ارادة صدور الذنب عن الغير في هذه الحالة لا يكون حراما بل هو عن الطاعات والمراد اريد ان تبوء بعقوبة قتلي ولا شك انه يجوز للمظلوم ان يريد ان الله تعالى عفا بالظالم وورد ان الظالم اذا لم يجد يوم القيامة ما يرضي خصمه خذ من سيئات المظلوم وحمل على الظالم فعلى هذا يجوز ان يقال اني اريد ان تبوء باثمي الذي تحمل عليك يوم القيامة اذا لم تجد ما ترضيني به فتحمل باثمك قتلك اياي هذا يصلح جوابا عن السؤال الاول وقولوا عنكم نفسه قتل اخيه وسعته وخصمه وسهلت من طاعة ربه المرتع واطاع اذا اسمع وله لاجل زاده الرتبط اصول الفاضل لوجد ما له ومنهم من قال شجعته فقتله والتحقيق ان الانسان يعلم ان القتل العمد العدوان من اعظم الذنوب فهذا لا يعتقد ويكون مصرا على فعله فلا يطاوع النفس الامارة حتى اذا كثرت وساوسها انقادلها وخضع وانانه

التطوع والتمرين الى النفس لا بنائي كون الكل مضافا الى قضاء الله فتبسم يحكى ان قابيل لما بدى بدفن نفس هابيل فظهر له ابليس اخذ طيرا وضرب رأسه بحجر فعلم قابيل ذلك منه ثم انه وجد هابيل يوما نائما فضرب رأسه بحجر فقتله فعن النبي صلعم انه قال لا تقتل نفسا ظلما الا كان على ابن آدم الاول كفل من دمها وذلك انه اول من سن القتل فاصبح من الخاسرين ثم دفن اخاه وبقي مغموما الى يوم القيمة ثم بلغني في الناريخ القديم لما قتل اخاه هرب من ارض اليمن الى عدن فاتاه ابليس فقال انما اكلت النار قربان هابيل لانه كان يخدم النار ويعبدها فبنى بيت النار وروى اول من عبد النار وروى ان هابيل قتل وهو ابن عشرين سنة وكان قتله عند عقبة حراء وقيل البتراء في موضع المسجد الاعظم وروى انه لما قتله استوحش وكان ابيض فسئل آدم عن اخيه فقال اكنت عليه كفيلا فقال بل قتلته ولذلك اسود حسدا له ومكث آدم بعده مائة سنة لم يضحك وانزل الله شعرا هو هذا تغيرت البلاد ومن عليها ووجه الارض مغبر قبيح تغير كل ذي لون وطعم وقل بشاشة الوجه المليح قال في الكشاف انكر كذب بحت وقد صح ان الانبياء معصومون عن الشعر وصدقه في التشبيب الكبير قال ذلك عن غاية الوكاكة بحيث لا يليق بالاحاد نضلا عن الافراد وخصوصا من علم حجة على الملائكة واقول اما ان جميع الانبياء معصومون عن الشعر فلعل نحو العموم لا يمكن فيه وكانه نص خصاص بنبينا محمد وهذا انما علمناه الشعر وما ينبغي له واما انه من ان كاكة الجملة المذكورة فمكابرة مع ان مقام البث والشكوى لا يحتمل الشعر لمصنوع والله اعلم بحقيقة الحال قال المفسرون انه لما قتله تركه لا يدري ما يصنع به ثم خاف عليه السباع فحمله في جراب على ظهره سنة حتى تغير فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل احدهما الاخر فحفر له بمنقاره ورجليه ثم القاه في الحفرة فتعلم من الغراب فقال لامه لما قتله ويلتى اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب فاواري سوأة اخي فلما رأى القاتل ان الله تعالى كيف يكرم بعده ندم وقال ابو مسلم غادة الغراب فن لا شيء فجاء غراب فلعن به شيئا فعلم ذلك منه ليريه اي الله الغراب اي ليعلمه وذلك انه كان سبب يغلبه كيف يواري محله نصب على الحال من ضمير يريه اي والجملة في موضع المفعول الثاني لكيريه اي كيفية مواراة سوأة اخيه اي عورته وما لا يجوز ان ينكشف من جسده وقيل اي يحفر اخيه والسوأة الحالة القبيحة يا ويلتى كلمة عذاب يقال لكل من وقع في هلاك ويقال لمن يدعو عليه بالهلاك وقد يقال في معرض الترحم وانما طلب القاتل الويل ههنا على سبيل التعجب والتندم الحضر حتى يحضر صنك ومن فظاعتك واحضر فهذا اوان حضورك والا لغيبة من شانه المتكلم اعجزت استفهام بطريق الانكار اي ان اكون مثل هذا الغراب في الفعلة المذكورة ولهذا قال فاواري بالنصب على جواب الاستفهام من التواري بمعنى الستر وضع للزوم ومنه النديم لملازمته المجلس وانما لم يكن ندمه توبة لانه لم يعلم الندم من الغراب فصار من الغراب بمن على ان حمله على ظهره سنة واندم على قتل اخيه كانه لم ينتفع بقتله بل سخط ابواه واخوته واندم لانه تركه بالعراء استخفافا وتهاونا وكان دين الغراب في الشفقة على مقتوله خيرا من دين الغراب لبلا وقد قيل اذا كان الغراب ليلة يوم من اجل ذلك القتل فقيل هو من اجل شرا باجله اجلا ازاحه كتبنا على بني اسرائيل ان كان القاتل والمقتول من بني اسرائيل فالمناسبة بين الواقعة وبين وجوب القصاص عليهم ظاهرة وان كانا بني آدم من صلبه فالوجه ان يكون ذلك اشارة الى ما في القصة من انواع المفاسد كخسران الدارين وكالتقدم على الامور المذكورة اي من اجل ما ذكرنا في اثناء القصة من المفاسد الناشئة من القتل العمد اي ان شرعنا القصاص في حق القاتل ثم وجوب القصاص ان كان عاما في جميع الاديان والملل لا ان التشديد المذكور في الآية وهو ان قتل النفس الواحدة جار مجرى قتل جميع الناس غير ثابت لا على بني اسرائيل والغرض بيان فساده فلو بهم فانهم مع علمهم بهذا الحكم اقدموا على قتل الانبياء والرسل ويكون فيه تسلية لرسول الله صلعم في الواقعة التي وقعوا فيها على قتله ثم القاتلون بالقياس استدلوا بالآية على ان احكام الله تعالى قد يكون معللة بالعلل لانه صرح بان الكتبة معللة بتلك العلة المشار اليها بقوله من اجل ذلك والمعتزلة ايضا قالوا انها دلت على ان الاحكام معللة بمصالح العباد ويعلم منه امتناع كونه تعالى خالقا للكفر والقبائح لان ذلك ليس بمصلحة للعبد والاشاعرة منعوا عليهم بلزوم الالجاء والتحقيق ان استيناع الفعل الغاية التحتية لا ينافي الكمال الذاتي وقد سبق مرارا ان بغير فرق هو ان بفعل لا على وجه الاقتضاء وقيل ان الخراج انه معطوف على نفس يعني او بغير فساد في الارض كالكفر بعد الايمان وقطع الطريق وغير من المفاسد التي وقعت منهم فكانما قتل الناس جميعا وفيه ان التشبيه يستدعي التشويه بين المشبه والمشبه به من كل الوجوه فلا يكون قتل النفس الواحدة قتل جميع الناس فان الجزء لا يعقل انه مساو للكل والغرض استعظام امر القتل العمد لعلل واشتراك القتلين في استحقاق الاثم كما قال مجاهد قاتل النفس جزاؤه جهنم وغضب الله والعذاب العظيم ولو قتل الناس جميعا لم يزد على ذلك والتحقيق فيه انه اذا اقدم على القتل العمد العدوان فقد رجح داعية الشهوة او الغضب على داعية الطاعة واذا ثبت ان الترجيح بالنسبة الى واحد ثبت بالنسبة الى الكل اذ لا قائل بالفصل الى الكل ان كل انسان يدلي من الكرامة والحرمة بما يدلي به الآخر فلو قتل جملة الناس واجتهادهم في دفعه قاتل شخص واحد يجب ان يكون مثل جملهم في دفعه لو علموا انه يقصد قتلهم باسرهم ومن احياها استنقذها من مهلكة كحريق او غرق او جوع مفرط ونحو ذلك والكلام في تشبيه احياء البعض باحياء الكل كالكلام في القتل ثم ان كثيرا منهم اي من بني اسرائيل بعد ذلك اي بعد مجيء الرسل المبينات لمسرفون في القتل لا يبالون بهتك حرمته ومنعه ثم ان الجزاء الذي رتبه ثم ان تجاربين ان الفساد في الارض الموجب للقتل ما هو فقال انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله استدل بالآية من جوز ازادة الحقيقة والمجاز معا من لفظ واحد لان محاربة الله عبارة عن المخالفة فقط ولا يمكن حمله على حقيقة المحاربة ويحتمل ان يقال انا نحمل هذه المحاربة على مخالفة الامر والتكليف والتقدير انما جزاء الذين يخالفون احكام الله واحكام رسوله او المراد انما جزاء الذين يحاربون اولياء الله واولياء رسوله كما جاء في الخبر من اهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة ويسعون في الارض فسادا نصب على الحال اي مفسدين وعلى العلة اي للفساد او على المصدر الخاص محذوف جمع المفرق كان الفساد نوع من السعي عن قتادة عن انس ان الآية نزلت في العرنيين الذين قتلوا راعي رسول الله صلعم واستاقوا الذود وبعث رسول الله صلعم في آثارهم وامر فقطع ايديهم وارجلهم ثم سمل اعينهم

وذكرهم حتى ماتوا فكانت الآية ناسخة لتلك السنة وعند الشافعي لما لم يجز نسخ السنة بالقرآن كان الناسخ لتلك السنة سنة أخرى ونزل هذا القرآن مطابقا للسنة الناسخة وقيل نزلت في قوم أبي بردة عامر الأسلمي وكان بينه وبين رسول الله عهد فمر بهم قوم من كنانة يريدون الإسلام وأبو بردة غائب فقتلوهم وأخذوا أموالهم وقيل أهانا في بني إسرائيل الذين حكى الله عنهم أنهم مسرفون في القتل وقيل في قطاع الطريق من المسلمين وهذا قول أكثر الفقهاء فلو أولاه يجوز حمل الآية على المرتدين لأن قتل المرتد لا يتوقف على الحرابة وإظهار الفساد في الأرض لأنه لا يجوز الاقتصار في المرتد على قطع اليد والرجل وكان حده بسقط بالتوبة قبل القدرة عليه بعدها وكان الصلب غير مشروع في حقه وكان اللفظ عاما وشرطوا في هذا المحارب بعد كونه مسلما مكلفا أن يكون متعمدا للقوة في المحاربة مع البعد عن الغوث فخرج الكفار والمراهقون والمعتمد على الهرب كذا المتعرض للقافلة على الاستغاثة لمن يغيثه واتفقوا على أن هذه الحالة إذا حصلت في الصحراء كان قاطع الطريق قاتما في نفس البلد وكان عند الشافعي لعموم النص وخالف أبو حنيفة ومحمد لأنه يلحقه الغوث في الغالب فحكمه حكم السارق والمعتبر في الحرابة أخذ المال أو القتل أو الإرعاب (صلب وإنشاء) وفي الآية خلاف وعن ابن عباس رضي الله عنهما وابنه علي بن أبي طلحة وقتادة والحسن وسعيد بن المسيب ومجاهد أنها للتخيير إن شاء الإمام قتل وإن شاء قطع الأيدي والأرجل وإن شاء نفى وبعضه في رواية عطاء أن الأحكام مختلفة بحسب اختلاف الجنايات بأن من اقتصر على القتل قتل ومن قتل وأخذ المال قتل وصلب ومن اقتصر على أخذ المال قطع يده ورجله من خلاف ومن أخاف السبيل ولم يأخذ المال نفي من الأرض وإليه ذهب الشافعي والأكثرون والذي يدل على ضعف القول الأول أنه ليس للإمام الاقتصار على النفي بالاجماع وكان هذا المحارب إذا لم يقتل ولم يأخذ المال وقد هم بالمعصية ولم يفعل وهذا لا يوجب القتل كالعزم على سائر المعاصي فتعين الآية أن يقتلوا أن قتلوا أو يصلبوا أن جمعوا بين القتل والأخذ أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف إن اقتصروا على الأخذ والتشديد في هذه الأفعال للتكثير أو ينفوا من الأرض إن أخافوا السبيل والقياس الجلي يقتضي هذا التفسير لأن القتل العمد العدوان يوجب القتل فغلظ ذلك في قاطع الطريق بالحتم وعدم جواز العفو وأخذ المال يتعلق به قطع اليد فغلظ في حقه بقطع الطرفين من خلاف أي يد اليمنى ورجله اليسرى فإن عاد قاتلا قتل وإن قطع هكذا لئلا يفوت جلب المنفعة قلت هذا إنما هو من باب التغليظ لأن اليد اليمنى أعون في العمل والرجل اليسرى أعون في الركوب فإن جمعوا بين القتل والأخذ جمع بين القتل والصلب إن شاء مصلوبا في ممر الطريق أشهر وإن شاء قتل أولا ثم صلب ليرتدع الناس بمشاهدته وإن اقتصروا على مجرد الإخافة اقتصر الشرع على عقوبة خفيفة هي النفي قال أبو حنيفة إذا قتل وأخذ المال قالا الإمام مخير بين أن يقتل فقط أو يقطع ثم يقتل أو يصلب عند الشافعي لا بد من الصلب لأجل النص وكيفية الصلب أن يقتل ويصلب عليه ثم يصلب مكفنا ثلاثة أيام وقيل يترك حتى يتهرى وبسبيل يصلب أي سبيل هو الورك وعند أبي حنيفة يصلب حيا ثم يطعن بطعنة برمح حتى يموت ويترك بلا طعام وشراب حتى يموت جوعا ثم إن نزل غسل وكفن وصلي عليه ودفن وإن ترك حتى يتهرى فلا غسل ولا صلاة أما النفي فإن الشافعي حمله على بعيد بين أحدهما أنهم إذا قتلوا وأخذوا المال فللإمام أن ظفر بهم قبل الحد أن لم يظفر بهم طلبهم أبدا لأنكوهم خائفين من الإمام هاربين من بلد إلى بلد هو المراد من النفي والثاني الذين يحترفون الوافدة ويعينونهم بتكثير السواد وإخافة المسلمين ولكنهم ما قتلوا ولا أخذوا المال فالإمام يأخذهم ويعزرهم ويحبسهم فيكون المراد بنفيهم هو هذا الحبس قال أبو حنيفة وأحمد استحق النفي هو الحبس لأن الطريق في بيع الأرض عنه يمكنهم الذهاب إلى بلد آخر والكفر يغرس للمسلم بالولاية فلم يبق الا أن يكون المراد الحبس لأن المحبوس لا ينتفع بشيء من طيبات الدنيا فكأنه خارج منها وهذا قال الصالح بن عبد القدوس حين حبسوه على الزندقة وطال الحبس فقال لسجانه مللنا الدنيا ومللتنا فمتى تستريح منا فقال السجان ما يوما لحاجة عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا ذليلا كلهم حريص ذليل مفتضح في الدنيا وهم في الآخرة عذاب عظيم استدل المعتزلة بها على القطع بوعيد الفساق وعلى الإحباط وقالت الأشاعرة بل بشرط عدم العفو إلا الذين تابوا قال الشافعي إن تابوا بعد القدرة عليه لم يسقط عنهم بمجرد ذلك قطع الطريق ومن القتل والنهب وفي سائر الحدود بعد القدرة عليه

انه تعالى امر بابتغاء الوسيلة اليه فلا بد من معلم يتعلم منه معرفته وتجب بالامر بالابتغاء مؤخرا عن الايمان لقوله يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة ثم ان الزنا وشرب الخمر هما العبادات والطاعات ثم ان ترك ما لا ينبغي وفعل ما ينبغي لما كان شاقا على النفس ثقيلا على الطبع لان العقل يدعوا الى خلقه الله والنفس تدعوا الى اللذات الحسية والجمع بينهما كالجمع بين الضدين اعد الى التكليف المذكور بقوله وجاهدوا في سبيل الله والمراد بهذا القول ان يكون العبادة لاجله لا لغرض سواه وهذه مرتبة الشاذين ثم قال لعلكم تفلحون والفلاح اسم جامع للخلاص من المكروه والفوز بالمحبوب فهذه دون الاولى لان غرضه الوحيد في الجنة او الهرب من النار وكلتا المرتبتين مرتبة ثم اشار الى مرتبة المنافقين بقوله ان الذين كفروا وخبر ان مجموع الجملة الشرطية وهي قوله لو أن لهم ما في الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به اي بالمذكور والواو بمعنى مع والعامل في المفعول معه هو المذكور في ان من معنى الفعل اي لو ثبت ان لهم ذلك مع الفدية لافتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم والغرض التمثيل بان العذاب لازم لهم وقد مر مثله في سورة آل عمران وعن الحسن يقال للكافر يوم القيامة ارايت لو كان لك ملء الارض ذهبا أكنت تفتدي به فيقول نعم فيقال له فقد سئلت ايسر من ذلك بمراحل أن تجيروا اي يتمنون الخروج من النار وبفصل من ذلك يقال اذا فهم هيب النار الى فوق فهناك يتمنون الخروج ويقال للكافرون يخرجون منها فوقها ورفيعها انما هم عمم المغفرة هذا الوعيد في الكفار وفي الفساق وخصصه الاشاعرة بالكفار لدلالة الآية المتقدمة ثم انه تعالى عاد الى تهديد حكم اخذ المال من غير استحقاق وهو المأخوذ على سبيل الخفية الا المحاربة فقال والسارق والسارقة وهما مرفوعان على الابتداء والخبر محذوف عند سيبويه والاخفش والتقدير فيما فرض وفيما يتلى عليكم السارق والسارقة اي حكمهما او عند الفراء وهو اختيار الزجاج ان الالف واللام فيهما بمعنى الذي وخبرهما فاقطعوا ودخول الفاء لتضمنهما معنى الشرط كانه قيل الذي سرق والتي سرقت فاقطعوا ايديهما وقراءة عيسى بن عمر بالنصب فضلها سيبويه على القراءة المشهورة لان الاشتغال ارجح من ابتداء خبر الابتداء بل اما اذا نصبت فانه يكون من باب الاضمار على شريطة التفسير الفاء يكون معوضا بما قبلها وما بعدها عما شاء ربك فكبر وضعف قول سيبويه بانه طعن في قراءة واطب عليها رسول الله ومرجح للقراءة الشاذة وفيه ما فيه على ان الاضمار الذي ذهب اليه هو خلاف الاصل والذي مال اليه الفراء ادل على العموم واوفق لقوله سبحانه جزاء بما كسبا فانه يضعف بان المراد من الكلام الاول هو الشرط والجزاء اما البحث المعنوي في الآية فان كثيرا من الاصوليين زعموا انها مجملة لانه لم تبين نصاب السرقة وذكر الايدي بالاجماع لا يجب قطع اليدين وكان لقائل ان يقطع على الاصابع بدليل انه من حلف لا يلمس فلانا يبدأ فلمسه بأصابعه فانه يحنث ويقع على الاصابع من الكف وعلى الاصابع والانملة الساعد بن الى المرفقين وعلى كل ذلك قال المكيون وايضا الخطاب في فاقطعوا اما للامام او للامة كما هو مذهب الاكثرين او لمجموع الامة او لطائفة منهم وتثبت بهذه الوجوه ان الآية مجملة وقال المحققون مقتضى الآية ولا سيما في تعليق القراءة عموم القطع بعموم السرقة الا ان السنة خصصته بالنصاب وبقدر ما هو لانها لا يقولون ان اخذ حبة تراب سارق والمراد بالآية البدان مثل فقد ضعف قولهم كما انعقد الاجماع على انه لا يجب قطعهما معا ولا الايدي بالبدي والبداسم موضوع لهذا العضو الى المنكب لهذا قيد في قوله وايديكم الى المرافق وقد ذهب الخوارج الى وجوب قطع اليدين الى المنكبين الظاهر الآية الا ان السنة خصصته بالكوع والحاصل ان الآية عامة لكنها خصصت بالادلة منفصلة فينبغي تحديد البداية وهذا اولى من جعلها مجملة غير مقيدة اصلا ثم ان جمهور الصحابة والفقهاء ذهبوا الى القطع لا يجب الا عند شروط كالنصاب الحرز وخالف ابن عباس وابن الزبير والحسن وداود الاصفهاني والخوارج كما بعموم الآية ولان مقادير القلة والكثرة غير مضبوطة فالقبض يستقل الملك يستكثره العقير وقد قال الشافعي لو قال لفلان علي مال عظيم ثم فسره بالحبة يقبل لاحتمال ان يريد انه عظيم في الحال او عظيم عند الله فقره ولما طعنت الملحدة في الشريعة بان اليد كيف يبقى ان يقطع في قليل مع ان فيهما خمسمائة دينار من الذهب جيب عنه بان ذلك معفو بتمرس الشارع له على ذلك لو كان هذا الجواب مقبولا من الكل فليكن مقبولا منا في ايجاب القطع على القليل والكثير وايضا اختلاف المجتهدين في قدر النصاب كما يجيء يدل على ان الايدي المخصصة عندهم متعاضة فوجب الرجوع الى ظاهر القرآن ودعوى الاجماع على ان القطع مخصوص بمقدار معين غير مسموعة لخلاف بعض الصحابة والتابعين كما قلنا واعلم ان الكلام في السرقة يتعلق باطراف المسروق ونفس السرقة والسارق اما المسروق فمن شروطه عند الاكثرين ان يكون نصابا ثم قال الشافعي انه ربع دينار من الذهب الخالص ما سواه يقوم به وهو مذهب الامامية لما روي انه قال لا قطع الا في ربع دينار وقال ابو حنيفة النصاب عشرة دراهم لما روي مرفوعا قال لا قطع الا في ثمن المجن ولا ثمن المجن لا يكون اقل من عشرة دراهم وقال مالك ربع دينار او ثلثة دراهم وعلى احد روايتين كالشافعي وكمالك وقال ابن ابي ليلى خمسة دراهم وعن الحسن درهم وقوا على اخذ ما قيمته ربع دينار من الذهب او ثلثة دراهم او عشرة دراهم او ما يساوي احدها من غير الذهب وفيها ان يكون المسروق في ملك غير السارق فلا يقطع الاخراج من الحرز فلو سرق مال نفسه من يد غريم كبير المرتهن والمشاجر او ظرا ملكه في المسرق قبل اخراجه من الحرز بان وثبه السارق والهبة هو فيه سقط القطع ومنها ان يكون محترما لا كخمر وخنزير ومنها ان يكون المال تاما فلو ثبت في المال الذي سرقه السارق شركة او حق كمال بيت المال والغنيمة ان لا يكون ضعيفا كالمستولد والموقوف ومنها كون المال خارجا عن شبهة استحقاق السارق فلو سرق دينا للدين من مال المديون فانه لا يقطع فقد استيفاء الحق او على قصده والمديون غير جاحد والا ما قطع وان اخذه لا على قصد استيفاء الحق وهو جاحد او مماطل فلا يقطع سواء اخذ من جنس حقه او لا من جنسه اذا سرق احد الزوجين من مال الآخر وكان المال في حرز عنه فعندنا في حنيفة لا يجب القطع وعند الشافعي ومالك واحمد يجب ومنها كون المال محرزا لقوله لا قطع في ثمر معلق ولا في حريسة جبل فاذا واه المراح او الجرين فالقطع فيما يبلغ ثمن المجن وحرز كل شيء على حسب حاله فالاصطبل حرز للدواب ان كانت نفيسة وليس حرزا للثياب والنقود والصفة في الدار وعرسها حرز ان للاولى وثياب البذلة دون الحلي والنقود فان العادة فيها الاحراز في الصناديق والخازن وعن ابي حنيفة ان ما هو حرز للمال فهو حرز لكل مال واما السرقة فهي

اخراج المال عن ان يكون محرزا ولا بد من شرط الحفظ فلا قطع على المختلس والمنتهب المعتمد على القوة ولا على المودع اذا جحد خلافا لاحمد واما السارق فيشترط فيه التكليف والتزام الاحكام لان الحربي يقطع الذمي المعاهد ولا يقطع المكره وانما ثبت السرقة بشهادة رجلين او رجل وامرأتين او بالاقرار مرتين او بشهادة رجل ويمين ويتعلق بها حكمان الضمان والقطع قال ابو حنيفة القطع والغرم لا يجتمعان حجة الشافعي قوله ﷺ على اليد ما اخذت حتى تؤدي وجب الضمان فلا يجتمع معه السرقة امران وجب لله لا يجتمعان حق العباد ولهذا يجتمع الجزاء والقيمة في الصيد المملوك ولو كان المسروق بانيا وجب تركه بالاتفاق حجة ابي حنيفة قوله تعالى جزاء بما كسبا والجزاء هو الكامل في هذا القطع كامل في جنايات السرقة ورد المسروق عند كونه قائما فاما كيفية القطع فقد روى ابن شهاب ان بسارا قطعت يمينه قال الشافعي فان سرق ثانيا قطعت رجله اليسرى فان سرق ثالثا فيده اليسرى فان سرق رابعا فرجله اليمنى وبه قال مالك وروي ذلك عن ابي بكر رضي الله عنه وعند ابي حنيفة واحمد لا يقطع في الثانية وما بعدها لما روي عن ابن مسعود انه قرأ فاقطعوا ايمانهما وضعف الشافعي بان القراءة الشاذة لا تعارض ظاهر القرآن المقتضي لتكرار القطع بتكرار السرقة واتفقوا على انه يقطع اليد من الكوع والرجل من المفصل بين الساق والقدم والسبيل في ذلك ما فعله علي رضي الله عنه بحضور الصحابة فلم ينكروه فكان اجماعا وانما قطعت اليمين لقوله تعالى فاقطعوا ايمانهما ولانه لم يقطع اليمين لم يتهيأ له الاكل الا بالرجل اليسرى وفيه ضرر عظيم والضرر منفي بقوله ﷺ لا ضرر ولا ضرار في الاسلام ولان هذا التكليف لا يتم الا به وما لا يتم الواجب الا به وكان مقدورا للمكلف فهو واجب ونصبا جزاء ونكالا على انه مفعول لهما والعامل اقطعوا وان شئت فعلى المصدر من الفعل الذي دل عليه فاقطعوا اي جزوهم ونكلوا بهم جزاء بما كسبا نكالا من الله ﴿فمن تاب من السراق من بعد ظلمه﴾ اي سرقته واصلح اي بتوبة صالحة وغيرها صحيحا ناشئا عن الاغراض الفاسدة ﴿فان الله يتوب عليه﴾ وعند بعض الائمة يسقط العقوبة ايضا وعند الجمهور لا يسقط وباقي الآيات ظاهر بتفسيره وانما قدم التعذيب على المغفرة طبقا لقدم السرقة على التوبة الثانية وان ادم الروح بازدواجه مع حواء القالب لدفع بيل النفس بوامتثال قابيلها الهوى ثم هابيل القلب بوامتثال البوذا العقل فكان الهوى في غاية الحسن في نظر النفس فبه تميل الى الدنيا ولذاتها وكان في نظر العقل بيضا في غاية الحسن فبه يميل الى طلب المولى وكان العقل في نظر النفس في غاية القبح لانها به تخرج عن طلب الدنيا وكذا في نظر القلب لانه به يمنع عن طلب الحق والفناء في الله ولهذا قيل العقل عقيلة الرجال ثم الله تعالى لازدواج بين النواسين كان الهوى اذا كان قرين النفس انزلها اسفل سافلين الطبيعة واذا كان قرين القلب كان عشقا فيوصله الى اعلى فراديس القرب واذا كان العقل قرين القلب صار عقلا لاله واذا كان قرين النفس حرضها على العبودية فرضيها هابيل القلب وسخط قابيل النفس وكان صاحب ربع اي معتبر النفس الناطقة وهي القوة النباتية تغذيه طعاما من رعاء مزرعة القوة الطبيعية وكان هابيل القلب يعبر الى المواشي الاخلاق الانسانية والصفات الحيوانية تغذيه نصف البهيمة وهي احب الصفات اليه لانها جالبة لها الضروري التعدد والبقاء ولسلامتها بالنسبة الى الصفات السبعية والشيطانية فوقعا قربانا على جبل البشرية ثم مضى ادم الروح فزلت نار المحبة من سماء الجبروت فحلت الصفة البهيمية لانها حطب هذه النار ولم تأكل من قربان قابيل النفس شيئا لانها لبست من بدنها بل هي حطب نار الحيوانية ﴿فبؤ﴾ باثمي اي اثم وجودي واثم ﴿وجودك﴾ فاثم الوجود حجاب بيني وبين محبوبي فقتلها بيل النفس هابيل القلب النفس عند عدة القلب فصح من الخاسرين اما في الدنيا فبالحرمان عن الواردات والكشوف واما في الاخرة فبالبعد عن جنات الوصول فبعثنا الله غرابا هو الحرص في الدنيا ليشتغل بدفن عن بغلتها وفي تعليم الغراب اشارة الى انه تعالى قادر على تعليم العباد باي طريق شاء فيزول تعجب الملائكة والرسل باختصاصهم بتعليم الخالق في الارض ليسيروا ﴿في﴾ ارض البشرية ﴿ايما﴾ جزاء ﴿الذين يحاربون﴾ اولياء الله ان يقتلوا لسكين الخلاف او يصلبوا بحبل الهجران على جذوع الحرمان او تقطع ايديهم عن اذيال الوصال وارجلهم من خلاف عن الاخلاق او ينفوا من ارض القربة والابتلاف يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة فبعث الله بعد الفلاح الحقيقي في اربعة اشياء في الايمان وهو صابئة رشاش النور وبذر الخلقة وبه يخلص العبد من ظلمة الكفر وفي التقوى وهو نشأ الاخلاق المرضية وضبع الاعمال الشريفة وبه الخلاص من ظلمة المعاصي وفي ابتغاء الوسيلة وهو افناء الناسوتية في بقاء اللاهوتية وبه يخلص من ظلمة اوصاف الوجود وفي الجهاد في سبيله وهو محو الانانية في اثبات الهوية وبه يخلص من ظلمة اوصاف الوجود ونظر بنور الشهود وما هم بخارجين منها لانهم خلقوا مظاهر الغير اكثار وفي النار فقط كانا مفطورين على الابد عن قبول نشأة النور فكان نطاقا بابيهما اليوم الى ابد الآباد ومن نشأ في شعاع بدنهما من قبول تلك السعادة جزاء بما كسبا الان في عالم الصور نكالا من الله نقدين منه في الازل

يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا امنا بافواههم ولم تؤمن

اي پيغمبر اندوهناك كرداند تورا انهائي كه مي شتابند در كفر از انهائي كه گفتند بزبانهاي خود ايمان آورديم بدهان خود

قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه

دلهاشان واز گروهي كه يهود شدند شنوده اند مر دروغ را شنوندگانند مر گروهي ديگر را نيامده تورا تغيير ميدهند كلمها را از پس مواضع ان

يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه وان لم تؤتوه فاحذروا ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا

ميگويند اگر داده شديد اين را پس بگيريد اورا واگر داده نشديد پس خذر كنيد و هر كه بخواهد خدا فتنه او را پس مالك نشوي از براي او از خدا چيزي

اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم

اينگروه انانند كه نخواسته است خدا كه پاك گرداند دلهاشان را مر انهارا در دنيا زيان ومر انهارا در آخرت عذاب بزرگ

سماعون للكذب اكالون للسحت فان جاؤك فاحكم بينهم او اعرض عنهم فلن يضروك شيئا

شنوندگانند مر دروغ را خورندگانند مر حرام را پس اگر آيند تورا پس حكم كن ميان ايشان يا روگردان از ايشان پس هرگز زيان نرسانند تورا چيزي

وان حكمت

المائدة ٥

وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا
واگر حکم کردی پس حکم کن درمیان ایشان بعدالت بدرستی که خدا دوست دارد عادلان را وچگونه داور نمایند تورا وحال آنکه نزد ایشان است توریة که در وی است

حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ۝ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى ع ١١
حکم خدا پس روگردانند از پس این ومیستند ایشان گروندگان بدرستیکه ما فرستادیم توریة را که در وی راستی

وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا
وروشنی که حکم کنند بآن پیغمبران آنان که گرویدند مر آنرا که بیهود شدند وخداشناسان وراستگویان آنچه باز خواسته شدند

مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا
از کتاب خدا وبودند برآن گواهان پس مترسید مردمرا وبترسید مرا ومخرید بآیات من بهای کم

وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ۝ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ الْعَيْنَ
وهرکه حکم نکند بآنچه فرستاد خدا پس آنگروه ایشانند کافران ونوشتیم برایشان دران که نفس بنفس وچشم

بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ
بچشم وبینی ببینی وگوش بگوش ودندان بدندان وزخمها را قصاص است پس هرکه صدقه دهد ازآن پس آن کفارتست

وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ۝ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا
مرازا وهرکه حکم نکند بآنچه فرستاد خدا پس آنگروه ایشانند ظالمان واز عقب ایشان آوردیم ایشان را بعیسی پسر مریم تصدیق کننده

لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى
مرازا که درپیش او بود از توریة وداوردیم اورا انجیل راست که در وی راستی وروشنی وتصدیق کننده مرازا که درپیش او بود از توریة ودرستی

وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ ۝ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ
وپندی ازبرای پرهیزکاران وباید که حکم کنند اهل انجیل بآنچه فرستاد خدا دران وهرکه حکم نکند بآنچه فرستاد

اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ۝ القراءة السبعة بضم الياء ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب ونوبلى على البناء للفاعل بسكون العين
خدا پس آنگروه ایشانند فاسقان واحتشون بالیاء فی الحالین سهل ویعقوب ابن شنبوذ عن قنبل وافق ابو عمرو ویزید واسمعیل فی

الوصل والعين وما بعده بالرفع على وافق ابو عمرو وابن كثير وابن عامر ويزيد في الجروح بالرفع والاذن وبابه بسكون العين نافع ولنحكم بالنصب حمزة
الباقون بالجزم ونوبلى فلولهم اى ومن الذين هادوا هؤلاء سماعون وان سئت عطفت على الذين هادوا على من الذين قالوا امنا ووقف على هادوا
واستانفت بقوله سماعون لك جعلت الفئتين والاول اجود لان التحريف محكى عنهم وهو متصل بابائهم الاخرين كان ما بعده صفة لهم لما تقول امرت
لاحتمال ما بعده الحال والاستيناف فاحذروا شيئا فلو يأتيكم يحكمون لكم لتسخنوا لاداء المشروط غير محضور عما يليه اعرض بنهيهم شيئا بالفساد المستقبل من ذلك
لشاهي الاستفهام بالمؤمنين ونوبلى لاحتمال ما بعده الحال والاستيناف شهداء لاختلاف النظم صعفاء التعقيب قليلا الكافرون بالنفس من قرأ
والعين وما بعده بالرفع بالسن من قرأ والجروح بالرفع قصاص كالابتداء الشرط كفان له الظالمون من التوراة الاولى لطول الكلام ونورا ان الحال معطوف
معطوف على محل الجملة قبل الواقعة حالا للمنقفين من قرأ وليحكم بالنصب الفاسقون للتغيير خاطب محمدا ﷺ بقوله النبي ﷺ في مواضع ولم يخاطبه بقوله يا ايها
الرسول لانهم سألوه في قوله يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك ولا سألوه ان يخاطبه بشريف وتعظيم شرف به هذه السورة الى قوله فاولئك هم الكافرون فلما
حيث تخففت سألوه في الواقع فاوجب النظم فهو انزجاجا انزل اليك من بعض التكاليف والشرايع وكان قد علم مساءة بعض الناس الى الكفر فلا يجوم صبر
رسول الله على تحمل ذلك ووعده ان يعصمه عليهم ويكفيه شرهم والمراد بمساءتهم انكفرهم فيه وعنوهم عليه حتى اذا وجدوا فرصة لم يخطوها
امنا بافواههم من غير قلوبهم واخبارهم فالوا بافواههم امنا سماعون للكذب بلوون لما يفتعلونه لاجلهم من الكذب على الله وتحريف كتابه والطعن
في نبوة محمد ﷺ من قولك الملك يسمع كلام فلان اى يقبله سماعون لقوم اخرين لم ياتوك اى هم بلوون من الاحبار والذين لم يصلوا الى مجلسك من شدة
البغضاء وافراط العناد ويجعل ان يراد نفس الاستماع واللام في الكذب كالام في السماعون اى يسمعون كلامك لكي يكذبوا عليك يحرفون الكلم مبتدا وخبر من بعد
لاجل قوم اخرين وجهتهم عيونا وجواسيس من بعده حوا غيره اى لغيرك او صفة اخرين اى لم يحضروا مجلسك ولم يقربوك او من بعد ما سمعوه منك
الزيوف التغلم بتحملوها بغير مواضع بعد ان كانت مواضع ان اوتيتم هذا المحرف المزال عن موضعه فخذوه واعلموا انه الحق واعملوا به وان لم تؤتوه
وانتم محمد ﷺ بحذافيره فاحذروا وهو الباطل عن البراء بن عازب قال مر على النبي ﷺ يهودي محمما مجلودا فقال هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم قالوا نعم
بعلمائهم فقال لهم انشدك بالله الذي انزل التوراة على موسى هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم قالا لا ولولا انك نشدتني لم اخبرك نجد حد الزاني
في كتابنا الرجم ولكنه كثر في اشرافنا فكنا اذا اخذنا الشريف تركناه واذا اخذنا الوضيع اقمنا عليه الحد فقلنا تعالوا نجتمع على شيء نقيمه على الشريف والوضيع
فاجتمعنا على التحميم والجلد مكان الرجم فقال رسول الله ﷺ اللهم اني اول من احيى امرك اذ اماتوه فامر به فرجم فانزل الله الا تر الى قوله ان اوتيتم هذا فخذوه

ايتوا محمدا فان افتاكم بالتحميم والجلد فخذوا به وان افتاكم بالرجم فاحذروا وفي روايته اخرى ان سرقا من خيبر فذكر بعضه وهما محصنان وحدهما التحميم وكيفيته ذكروا رجمها الشرقي فعدوا مطامنهم الى بني قريظة ليسألوا رسول الله ﷺ عن ذلك فقالوا ان امركم محمد ﷺ بالجلد والتحميم فاقبلوا وان امركم بالرجم فلا تقبلوا وارسلوا الزانيين معهم فامرهم بالرجم فقالوا جاروا ان يأخذ به فقال لهم جبريل عليه السلام اجعل بينك وبينهم ابن صوريا فقال هل تعرفون شابا امرد ابيض اعور يسكن فدكا فقال لهم ابن صوريا فقالوا نعم وهو اعلم يهودي على وجه الارض وهو احكم فقال لهم رسول الله ﷺ انشدكم الله الا الذي لا اله الا هو الله فلما وجدوا نعته فيكم انطردوا بالحاكم واعرفوا ان فرعون والله انزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه هل تجدون فيه الرجم على من احصن قال نعم فوثب عليه سفلة اليهود فقال خفت ان كذبته ان ينزل علينا العذاب ثم سئل رسول الله ﷺ عن اشياء كان يعرفها من اعلامه فقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد انك رسول الله النبي الامي الذي تجده المرسلون وامر رسول الله ﷺ بالزانيين فرجما عند باب مسجده قال العلماء الفاتلون برجم المحصن الكتاب وفهم السنة فيعم ان كان الامر برجم التيب الذمي من بني اسرائيل ذمي من بني اسرائيل فهو المقصود وان كان مما ثبت في شريعته موسى عليه السلام فالاصل بقاؤه الى ان يظهر ناسخ ولم يوجد في شرعنا ما يدل على نسخه وهذا الطريق اجمع لعلمائنا على ان نقول انهم وكلنا عليهم فيما اتوا النفس بالنفس حكم في شرعنا ومن يرد الله فتنته ظاهر الآية ان المراد بالفتنة انواع الكفر التي حكاها من اليهود وغيرهم والمعنى ومن يرد الله كفره وضلاله لم تملك احدا على رفع ذلك ثم اكد هذا بقوله اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم وفيه دليل على انه تعالى لا يريد باسلام الكافر وانه لم يطهر قلبه من الشك والشرك ولو فعل لامن والمعتزلة فسروا الفتنة بالعذاب كقوله يوم هم على النار يفتنون او بالفضيحة او بالاضلال اي تسميته ضالا او المراد ومن يرد الله اختياره فيما يتبلبه من التكاليف ثم انه تعالى بين كيفا ولا يقوم باذاتهما فلن تملك له من الله شيئا ولا نفعا ثم قالوا اولئك الذين لم يرد الله ان يمدد قلوبهم بالالطاف ولا نزيح علم انه لا فائدة في تلك الالطاف كما لا تنفع في قلوبهم او يطهر قلوبهم من الحرج الغم والوحشة الا الذلة على الكفر او هو استعارة عن سقوط وضع عند الله ثم وانزعه ملتفت اليه بسبب فجع افعاله وسوء اعمالهم ثم وصف اليهود بقوله سماعون للكذب اكالون للسحت وهو الحرام وكل ما لا يحل كسبه سحت اي استاصله لانه مستحق البركة ومال مسحوت اي مذهب فالاكل سحت حرام يحصل منه العقاب وذلك انه يسحت فضيلة الانسان ويستاصلها ورجل مسحوت المعدة اذا كان اكولا لا يلقى الا حائما ابدا كانه يستاصل كل ما يصل اليه من الطعام والسحت الرشوة في الحكم ومهر البغي وعسب الفحل وكسب الحجام وثمن الكلب وثمن الخمر وثمن الميتة وحلوان الكاهن والاستكساب بالمعصية روى ذلك عن علي وعمر وعثمان وابن عباس وابي هريرة ومجاهد وزاد بعضهم ونقص بعضهم وكل ذلك يرجع الى الحرام الخسيس الذي لا يكون فيه بركة ويكون فيه عار يلحق بفاعله صاحبه لا محالة قال الحسن كان الحاكم في بني اسرائيل اذا اتاه من كان مبطلا في دعواه برشوة سمع كلامه ولا يلتفت الى خصمه وكان يسمع الكذب ويأكل السحت فمثل كان نفرا وهم باخذون من اغنيائهم مالا ليقيموا على ما هم عليه من اليهودية فكانوا يسمعون اكاذيب الاغنياء ويأكلون السحت ومثل سماعون للاكاذيب التي كانوا ينسبونها الى التوراة اكالون للربوا قوله تعالى فان جاؤك فاحكم بينهم او اعرض عنهم خير الله نبيه بين الحكم والاعراض فقيل ان هذا الخبر مختص بالمعاهدين الذين لا ذمة لهم وقيل انه في امثالهم من هو رجم المحصن قاله ابن عباس والحسن ومجاهد والنخعي وقيل في قبيل من اليهود في بني قريظة والنضير وكان في بني النضير شرف في كانت دياتهم كاملة وفي قريظة نصف دية فتحاكموا الى النبي ﷺ فجعل الدية سواء وعن النخعي والشعبي وقتادة وعطاء وابي بكر الاصم وابي مسلم ان الآية غاية في كل من جاء من الكفار وان الحكم ثابت في سائر الاحكام غير منسوخ وعن ابن عباس والحسن ومجاهد كذلك وهو مذهب الشافعي ان هذا الخبر منسوخ في حق غير المعاهد بقوله تعالى وان احكم بينهم بما انزل الله يجب على حكام المسلمين ان يحكموا بين اهل الذمة اذا تحاكموا اليه لان في امتناع حكام الاسلام عليهم صغارا لهم واهل الحجاز بعضهم لا يرون اقامة الحد وعلى هم يذهبون الى انهم فلصوا على شرهم وهو اعظم من الحد ويقولون ان النبي ﷺ رجم اليهوديين قبل نزول الجزية عنهم كانوا لا يتحاكمون اليه الا لطلب السهل والاخف كالجلد مكان الرجم فاذا اعرض عنهم وابى الحكومة بينهم شق عليهم ورادوه فاذا لله بقوله وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط بالعدل والاحتياط كما حكمت في الرجم وكيف يحكمونك يعجب رسول الله ﷺ من تحكيمهم لوجوه منها علمهم عن حكم كتابهم ومنها علمهم ان حكمه من كتابهم فيتعقد نسخه مبطلا ومنها اعراضهم عن حكمه بعد ان حكموه وهذه غاية الجهالة الذي لها غاية العناد والاو في قوله وعندهم للحال اي الحكم والحكم فاما في الاستفهام من التعجيب ظاهر قوله فيها حكم الله فاما ان ينتصب حالا من التوراة على ضعف وهي مبتدأ خبره عندهم واما ان يرتفع خبرا عنها والتقدير وعندهم التوراة ناطقة بحكم الله فيكون عندهم متعلق الخبر اما ان لا يكون له محل ويكون جملة مبتدئة لان عندهم منا بعنهم عن التحكيم كقولك عندك زيد يضحك ويشير عليك بالصواب فما تصنع بعيره وانت للتوراة لما فيها من وجوب اتباعه ثم يتولون عطف على يحكمونك وثم لتراخي الرتبة اي ثم تعرضون من بعد تحكيمك عن حكمك الموافق لما في كتابهم وما اولئك بالمؤمنين اخبارا نهم لا يؤمنون ابدا او المراد انهم غير مؤمنين بكتابهم كما يدعون او المراد انهم غير كاملين في الايمان على سبيل التهكم بهم ثم رغبهم في ان يكونوا كملة فقال انهم من ابنائهم ومسلمي احبارهم فقال انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور العطف يقتضي التغاير فقيل الهدى بيان الاحكام والشرائع والنور بيان التوحيد والنبوة والمعاد وقيل الزجاج الهدى بيان الحكم الذي استفتوا فيه والنور بيان ان امر النبي ﷺ حق وقيل فيها هدى للحق والعدل ونور بين فيها ما التبس من الاحكام فيها عباد ان عن معبر واحد وقد يستدل بالآية على ان شرع من قبلنا ليس منا لان الهدى والنور لا بد ان يكون احدهما يتعلق بالفروع والآخر بالاصول

والاكان

والا كان تكرارا وايضا اهانزلنا في الرجم وموردالاية لابد ان يكون ذا خلافيها سواء قلنا ان غيره داخل او خارج ويمكن ان يجاب بان التكرار يعتبر بين غير محذورا وبان في الكلام تقديما وتاخيرا والمراد فيها هدى ونور للذين هادوا والحكم بها النبيون اما قوله للذين اسلموا فاورد عليه ان كل نبي مسلم فما الفائدة في هذا الوصف واجيب بانها صفة جاءت على سبيل المدح والتوضيح والكشف وفيه نظر بل يمكن ان يقال انهم بعداء عن ملة الاسلام التي هي دين الانبياء قديما وحديثا كان غرض الانبياء الانقياد لتكاليف الله وغرضهم من ادعاء الحكم بالتوراة اخذ الرشى من العوام فالفريقان متباينان ولهذا اردف بقوله للذين هادوا اي يحكمون لاجلهم قال في الكشاف قوله ثم الذين اسلموا للذين هادوا مناد على ان اليهود بمعزل عن الاسلام فلذا بناء على ان صفة الحاكمين يلزم ان يكون مغايرة لصفة المحكومين ولقائل ان يقول بعد تسليم ذلك انه لم لا يكفي مغايرة العام للخاص قال الحسن والزهري وعكرمة وقتادة والسدي المراد بالنبيين هو محمد كقوله ان ابرهيم كان امة لانه اجتمع فيه من الخصال ما كانت مفرقة في الانبياء وقيل اسلموا اي انقادوا والحكم التوراة من الانبياء من لم يكن شرعهم شرعه وهي وان كانت مشتملة على الاحبار عن عباس هم الفقهاء الواحد حبر بالفتح من قولهم فلان حسن الحبر والسبر اذا كان جميلا حسن الهيئة او حبر بالكسر من ذلك انهم لقولهم حسن الحبر بالكسر ايضا وفي الحديث يخرج رجل من النار قد ذهب حبره وسبره اي جماله وبهاؤه ويجيء الخط والشعر تحسينا وفي هذا الحبر لك يكتبه يكون العالم صاحب كتب قاله الفراء والكسائي وابو عبيدة ثم ان ذكر الربانيين بعد النبيين يدل على انهم اعلى حالا من الاحبار فيشبه ان يكون الربانيون كالمجتهدين والاحبار كاحاد العلماء وقوله بما استحفظوا اما ان يكون من صلة يحكم بها اي يحكم بها الربانيون والاحبار بسبب ما استحفظوا او يكون من صلة الاحبار اي العلماء بما استحفظوا ايها سلمهم انبياء وهم حفظه ومن ثم قال بالله للنبيين وقد اخذ الله ثم على العلماء ان يحفظوا كتابه من وجهين احدهما ان يحفظوه في صدورهم ويدرسوه بالسنتهم والثاني ان لا يضيعوا احكامه لانهم لما شرعوا كانوا اي هؤلاء النبيون والربانيون والاحبار عليه على ان كل ما جاء في التوراة حق من عند الله شهداء رقباء لئلا يبدل احد منهم ان يعوضهم استحفظوا النبيين وغيرهم جميعا والاستحفاظ من الله اي كلفهم الله حفظه وان يكونوا عليه شهداء ثم نهى اليهود المعاصرين عن التحريف لرهبة نفاذ ولا تخشوا الناس واخشون وعن التغيير لرغبة نفاذ ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا وهو الرشوة وابتغاء الجاه ثم عمم الحكم فقال ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون احتجت الخوارج بالاية على ان كل من عصى الله فهو كافر للمفسرين في جوابهم وجوه الاول انها مختصة باليهود وردبان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ولا ريب ان لفظ من في معرض الشرط للعموم فلا وجه لتقييده ومن لم يحكم من هؤلاء المذكورين الذين هم اليهود لانه زيادة في النص وقال عطاء هو كفر دون كفر قال طاوس ليس بكفر الملة ولا كمن يكفر بالله واليوم الاخر فلعلهما ارادا كفران النعمة وضعف بان الكافر اذا اطلق او ذكر في الدين قال ابن الانباري المراد انه يضاهي الكافر لانه يفعل فعلا مثل فعل الكافر ونحو ذلك ما يعد ويعد عن القوم وقال عبد العزيز بن يحيى الكناني معناه من اتى ضد حكم الله ثم في كل ما انزل يخرج الفاسق لانه في الاعتقاد والاقرار موافق وان كان في العمل مخالفا واعترض بان سبب النزول يخرج حكم الآية عن ان يكون مخالفا لليهود في الرجم فقط ويمكن ان يقال الحكم داخل في الكلام فلا يكون ما ينزل الله من انكر بقلبه وجحد بلسانه واما العارف المقر فانما اخل بالعمل فهو حاكم بما انزل الله ثم ولكنه تارك فلا يلزمنا قوله الآية ثم انه سبحانه لما بين ان حكم الزاني المحصن في التوراة هو الرجم واليهود عدوه اراد ان يبين ان التوراة هو قتل النفس بالنفس وانهم بدلوه حيث فضلوا بني النضير على بني قريظة فقال وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس والعين بالعين من قرأ المعطوفات كلها بالنصب فظاهر ومن قرأ ما سوى الاول بالرفع فللعطف على محل النصب لان النفس بالنفس في التوراة النفس بالنفس اما الاجواء كتبنا مجرى قلنا واما بطريق الحكاية كقولك كتبت الحمد لله وقرأت سورة انزلناه واما على سبيل الاستيناف فالمعنى على جميع التقادير فرضنا عليهم فيها ان النفس مقتولة اذا قتلتها بغير حق والعين مفقوءة بالعين والانف مجدوع بالانف والاذن مصلومة بالاذن والسن مقلوعة بالسن والجروح ذات قصاص اي مقاصة وهذا انهم للحكم بعد ذكر بعض التفاصيل والمراد منه كل ما يمكن المساواة فيه من الاطراف كالذكر والانثيين والقدمين من الجراحات المضبوطة كالموضحة مثلا ومن الى موضحة العظم وبدئ ومخ وهو الصوت والبياض وكذا منافع الاعضاء والاطراف كالسمع والبصر والبطش فاما التي لا يمكن القصاص فيه كرض في لحم او كسر في عظم وغدة وارش وحكومة وتفاصيلها في كتب الفقه ومن تصدق به فهو كفارة له الضمير في به يعود الى القصاص في هو الى التصدق الدال عليه الفعل وفي له وجهان احدهما انه يعود الى العافي المتصدق لما روي عباد بن الصامت ان رسول الله ﷺ قال من تصدق من جسده بشيء كفر الله عنه بقدره من ذنوبه وعن عبد الله بن عمرو يهدم عنه ذنوبه بقدر ما تصدق به والثاني انه يعود الى المجاني المعفو عنه اي كفارة الله تعالى ذلك العفو واما العافي فاجره على الله ثم وقفينا على آثارهم اي على آثار النبيين بعيسى مريم اي عقبنا بهم بعد النبيين المذكورين بابناء وقوله على آثارهم يسد مسد الاول لانه اذا قفى على اثره فقد قفى به اياه مصدقا لما بين يديه اي مقررا بان التوراة كتاب من الله ثم وانه كان حقا واجب العمل به بل دورنا سخه وهو الانجيل المصدق لها ثم لكونه مبشرا بمجيء محمد كالتوراة اما النور فبيان الاحكام الشرعية وتفاصيل التكاليف وهدى لاولي الالباب كالتوحيد والنبوات والمعاد وهدى الثاني اشمل لان الشأن بمجيء محمد لان ذلك سبب هداية الناس الى بعثته واشمل الانجيل على المواعظ والنصائح والزواجر ظاهر خص الجميع بالمتقين لانهم هم المنتفعون بذلك من قرأ وليحكم بالجزم واما الخبر عما بدل لهم في ذلك الوقت من الحكم بما نضمنه الانجيل اي فلنا لهم ليحكموا بما فيه واما امر مستانف للنصارى بالحكم بما في كتابهم من الدلائل الدالة على نبوة محمد او تمام يصير منسوخا بالقرآن ومن قرأ بالنصب فلانه علة فعل محذوف بدل عليه ما تقدم اي لاجل حكمهم بما فيه انبأناهم كذا بهم وعلى هذا يجوز ان يكون هدى وموعظة اي وهدى وموعظة معطوفين على الحكم والله اعلم اما قوله الكافرون الظالمون الفاسقون فالمفسرون فيه خلاف قال

الفضل هو كقولك من اطاع الله فهو المؤمن فمن اطاع الله فهو المتقي لان كل واحد من اوصاف مختلفة حاصلة للموصوف واحد فهذه كلها نازلة في الكفار وقال الحوفي الاول في الجاحد والثاني والثالث في المقر التارك وقال الاصم الاول في اليهود والثاني في النصارى والثالث في المنافقين وقيل هما عامان لكل باغ الشيطان وفي سماعون وجهان احدهما سماعون ليقوم آخرين لم يحضروا يسمعون السنة السئية لغيرهم يحرفون يغيرون فوائد الشريعة بطبعهم وهذا حال اهل الكتاب والاهواء على وفق اهوائهم سماعون يكذبك كالقوت للسحت لان الاخلاق اقوات النفوس كالاغذية للابدان فالاخلاق الرديئة كالاغذية الرديئة والاعمال الدنيئة كالاخلاق الدنيئة نتائج الاخلاق الاستعداد الفطري

الاخلاق وكلها من علي

فان جاؤك فاحكم بينهم مذاوبا لذا تهم ان رابك التداوي سببا لشفائهم وعسى ان ينفتنوا عوا الشفاء لشفائهم فان حكمت فاحكم بينهم بالقسط فاوهم على ما يستحقون من ذلهم بما استحفظوا من كتاب الله الغربي بين بني اسرائيل وبين هذه الامة الا صرانهم استحفظوا التوراة فضيعوها وحرفوها وبالغ في حفظنا انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وكتبنا عليهم كما ان في اهلاك النفس اهلاك النفس المهلك ففي احيا نفس الطالب يحيوة الدين حيوة نفس محيها وفي قطع عين قلبه انف قلبه اذن قلبه من قلبه معالجة هذه الاعضاء بمزيد الادراك من تفقد في مبدا الاحياء فهو كفان لم ينهها فرط من احيا نفسه معالجة قلبه طرفه عين قلبه من لم يحكم على نفسه بما انزل الله في تركيبها ومحلها فاولئك

وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب الذين ظلموا انفسهم بوضع الحظوظ مقام الحقوق والله اعلم

وفرستاديم بسوى تو كتاب را براستى تصديق كننده مر انرا كه پيش از او بود از كتاب

ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا

وگواهي رست بران پس حكم كن درميان ايشان بانچه فرستاد خدا و پيروي مكن هواهاي ايشانرا از انچه آمد ترا از حق ازبراي هريك قرار داديم

منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة ولكن ليبلوكم فيما اتيكم فاستبقوا

از شما طريقه و راهي واگر خواهد خدا هرآينه بگرداندشما را گروهي يگانه ولكن تا بيازمايد شما را در انچه داد شما پس پيشي كنيد

الخيرات الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون وان احكم بينهم بما انزل الله

خوبيرا بسوى خداست بازگشت شما همه پس خبر دهد شما را بانچه كه بوديد در ان اختلاف ميكنيد وانكه داوري كن درميان ايشان بانچه فرستاد خدا

ولا تتبع اهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك فان تولوا فاعلم انما يريد الله

وپيروي مكن هواهاي ايشانرا وبترس ازايشان كه مفتون كنند ترا از بعض انچه فرستاد خدا بسوى تو پس اگر روگردانند پس بدان كه ميخواهد خدا

ان يصيبهم ببعض ذنوبهم وان كثيرا من الناس لفاسقون افحكم الجاهلية يبغون ومن

كه مصيبت كند ايشانرا ببعض گناهان ايشان و بدرستيكه بسياري از مردمان هرآينه فاسقانند پس حكم زمان جاهليت را خواهش دارند وكيست

احسن من الله حكما لقوم يوقنون يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم

خوبتر از خدا داوري مر گروهيرا كه يقين دارند اي گروه انهائي كه گرويده ايد مگيريد يهود و نصاري را دوستان برخي ازايشان

اولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم ان الله لا يهدي القوم الظالمين فترى الذين في قلوبهم

دوستان بعضي اند وهر كه دوستگيرد ايشانرا ازشما پس بدرستي كه او ازايشانست بدرستي كه خدا راه ننمايد گروه ستمكارانرا پس مي بيني انهائرا كه در دلهاشان

مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة فعسى الله ان يأتي بالفتح او امر من عنده فيصبحوا

بيماريست شتابند در ايشان ميگويند كه مي ترسيم كه فرود گيرد ما را گردش روزگار پس اميدست كه خدا بيارد گشايشي

على ما اسروا في انفسهم نادمين ويقول الذين امنوا اهؤلاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم

برانچه پنهان داشتند در نفسهاي خود پشيمانان ومي گويند انان كه گرويدند ايا اينانند انانكه سوگند ياد كردند بخدا از جهد سوگندهاشان

انهم لمعكم حبطت اعمالهم فاصبحوا خاسرين يا ايها الذين امنوا من يرتد منكم عن دينه

بدرستي كه ايشان هرآينه باشمايند باطل شد كردارهاشان پس صبح كنندزيانكاران اي گروه انهائي كه گرويده ايد هر كه برگشت ازشما از دين خود

فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين يجاهدون

پس زود باشد كه بيارد خدا گروهي را كه دوستدارد ايشان و دوستدارندش فروتنان بر مومنان وبا هيبتان بر كافران كوشش كنند

في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع

در راه خدا وترسند از ملامت ملامت كنان اين بهره خداست كه ميدهد بانرا كه ميخواهد وخدا محيط

عليم انما وليكم الله ورسوله والذين امنوا الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة

دانست جز اين نيست كه دوستدار شما خداست و پيغمبرش وانانكه گرويدند انها كه برپاي دارند نمازرا ومي دهند زكوة را الذين

وهم راكعون ومن يتول الله ورسوله والذين امنوا فان حزب الله هم الغالبون يا ايها

وميشان ركوع كنندگانند وهر كه دوستي كند خدا و رسول او وانهائرا كه گرويدند پس بدرستي كه لشكر خداي انهايند غالبان اي گروه

امنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم

مرضان مگيريد انهارا كه فرا گرفتند دين شمارا ريشخند و بازيچه از انها كه داده شده اند كتاب را از پيش شما

والكفار

المائدة ٥

وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا

وکافرانرا دوستان وپیرنپذیرید خدارا اگر میستائی گرونده کان ودین صلاة رادیدید مسوی نماز فراگرفتند ازا

هُزُوًا وَلَعِبًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾ القراءة تتخذون بناء الخطاب ابن عامر والكسائي وعن هبيرة الباقون بالياء

ریشخند وبازیچه این بجهت آنست که انکار وهند کرا دراک نکنند ویقول بالواو وبالرفع عاصم وحمزة وعلي وخلف وقرا ابو عمرو وسهل

ويعقوب بالنصب عباس مخبرا الباقون يقول بدون واو العطف من يرتد بالاظهار ابو جعفر ونافع وابن عامر الباقون بالادغام والكفار بالجر ابو عمرو

وسهل ويعقوب وعلى الباقون بالنصب عطفا على محل الذين اتخذوا وقرا ابو عمرو وعلي عن ابي بكر وابي حماد ون وحماد به وابن رستم الطبري عن بصري طرطوسي بهمزتين بالاماله الوقوف بالحق وسفاها جاء الخبر يختلفون لعطف ان حكم على ما قبله ومن وقف فلانه راس اية انزل الله اليكم وبهم لفاسقون بتعويض

اولياء البلزم النهي عن الخان الاولياء معا اوليا بعض منهم لظالمين زادوه لتمام المعول نادى من قرا ويقول بالنصب عطفا على ان بناني جميعا انهم

لان قوله انهم جواب لقسم لعكم خاسرين يجبونه لان ما بعده صفة قوم الكافرين لشبه لانه لانهم من بناء علم لا كون الغالبون اولياء للعطف

ولطول الكلام مؤمنين لعبا لا يعقلون التفسير من الله تم على بنيتام ما نزال القران اليه مصدقا لما بين يديه من الكتاب اي جنسه هو كل كتاب سوى

القران نازل من السماء وفي المهيمن قولان قال الخليل وابو عبيدة هو من على النبي عليهم اذا كان رقيبا على الشيء وشاهدا ومصدقا وقال الجوهري

اصله امن بهمزتين قلبت الثانية ناء لكراهة اجتماع الهمزتين ثم الاولى هاء كما قالوا هرقت دهياك والمعنى انه امين على الكتب التي قبله لانه لا يبقى البشر ولا يحرف

لقوله وانا له لحافظون ومن هنا قرئ ومهيمنا عليه بفتح الميم اي هو مؤتمن عليه بان حفظ من التغيير والتبديل والله عز وجل كما قلنا او الحفاظ

في كل بلد والقراء المشهور لهم بالاجادة فاحكم بينهم بين اليهود بالقران ولا تتبع اهواءهم منحرفا عما جاءك من الحق او فقن لا تتبع معنى لا تحرف قيل لولا

جواز المعصية على الانبياء لم يجز هذا النهي والجواب ان ذلك مقدور لهم ولكن لا يفعله لمكان النهي او الخطاب له والمراد غيره لكل جعلنا منكم ايها الناس

او الامم امة موسى وامة عيسى وامة محمد لتقدم ذكر الثلاثة شرعة ومنهاجا قال ابن السكيت الشرع مصدر شرعت الاهاب اذا شققته وصلحته ومثل الشرع

الشروع في الشيء الدخول فيه والشرعة للهيئة بمعنى الشريعة فعلة بمعنى مفعولة وهي الامور التي اوجبها الله تعالى على المكلفين ان يشرعوا فيها والمنهاج الطريق

الواضح وهما عبارتان عن معبر واحد هو الدين والتكرير للتاكيد يحتمل ان يقال الشريعة عامة والمنهاج مكارم الشريعة فالاولى اقدم وهذه مثلوها في

الطريقة وقال ابن عباس بدا الطريق والطريقة المنهاج المستمر ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة جماعة متفقة على شريعة واحدة او دين امة واحدة اي يسوقكم

الى الجنة واحدا خلاف فيه وفيه دليل على ان الكل بمشيئة الله تعالى والمعتزلة حملوه على مشيئة الالجاء ولكن ليبلوكم اي جعلكم مختلفين منحالفين ليبلوكم معاملكم معاملة

المختبر هل تعملون بالتوامتيسل الالهية وتذعنون للعقل بالحفاظ تقصرون في العمل وتتبعون السنة لذلك قال فاستبقوا الخيرات سارعوا اليها او

تسابقوا نحوها وهذا يعني بالخيرات ههنا ما هو الحق من الاعتقادات والحق من التكاليف ثم علل الاستباق بقوله الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم

فيجزيكم بها الا تشكون معه من الجزاء الفاصل بين المحق والمبطل والعامل المقصر والمراد ان الامر صيرورتي الى ما يحصل معه اليقين من مجازاة المحسن باحسانه

والمسيء باساءته وان احكم فيما قبل معطوف على الكتاب انزلنا اليك ان احكم على ان المصدرية وصلتها الامر به فعل كسابرا الافعال وعلى قوله بالحق

اي انزلناه بالحق وبان احكم وقول يحتمل ان يكون مفسرة وفعل الامر محذوف اي امرناك ان احكم وتكرار الامر بالحكم اما للتاكيد اما لانهما حكمان

لانهم احكموا البتة زنا المحصنين ثم احتكموا في مثل كان بينهم ورجم بعض الامرين هذه الاية ناسخة للتخيير في قوله فاحكم بينهم او اعرض وعن ابن عباس

ان جماعة من اليهود منهم كعب واسيد عبد الله بن صوريا وشاس بن قيس من احبارهم قالوا اذهبوا بنا الى محمد لعلنا نفتنه عن دينه فاتوه فقال

يا محمد قد عرفت انا احبار اليهود واشرافهم وانا ان اتبعناك اتبعنا اليهود ولم يخالفونا وان بيننا وبين قومنا خصومة ونحاكمهم اليك فتقضي لنا عليهم

ونحن نؤمن بك وتصدقك فابى ذلك رسول الله وانزل الله فيهم واحذرهم ان يفتنوك محله نصب على انه مفعول له اي مخافة ان يفتنوك او على انه بدل

اشتمال من مفعول احذروا والمراد بالفتنة ردته الى اهوائهم فتكون صرفا عن الحق الى الباطل فان قيل بعض اهل العلم في الاية دليل على ان الخطاء

والنسيان جائزان على النبي لان التعمد في مثل هذا غير جائز فلم يبق الا الخطاء والنسيان فلو لم يكونا جائزين لما لم يكن للحذر فائدة فان تولوا عن حكم

المنزل اي فان لم يقبلوا حكمك فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم انما تولوا عن الاصابة فالمراد بها قتلهم واجلاؤهم واخذ بعض الذنوب فلان

مجازاتهم ببعض الذنوب كائنة في اهلاكهم وقد صرحوا ان المراد ببعض ذنوبهم توليهم عن حكم الله وفيه ان لهم ذنوبا اخر ان هذا الذنب عظيم جدا كقول ليس

نزال امكنة لم ارضها او لم يرتبط بعض النفوس حمامها المراد نفسه انما قصد تعظيم شانها بهذا الابهام فكانه قال نفسا كبيرة لان التنكير في بعضه

ايقاع لفاسقون للمتمردون في الكفر وفيه ان التولي عن حكم الله تمرد هو وكذا تم استفهم منكر الزاما بهم فقال افحكم الجاهلية يبغون وفيه تعجيب لليهود

بانهم اهل كتاب وعلم ومع ذلك يطلبون حكم الملة الجاهلية التي هي محض الجهل وصريح الهوى وقال مقاتل ان قريظة والنضير طلبوا اليهود ان يحكم بما كان

يحكم به اهل الجاهلية من التفاضل بين القتلى فقال رسول الله القتلى سواء فقال بنو النضير نحن لا نرضى بذلك فنزل ومن احسن حكما

في كل من يبتغي غير حكم الله وسئل طاوس عن الرجل يقضي بعض القضاء فيجور فقال هذه الاية والام في قوله لقوم يوقنون للبيان كاللام في هيت لك

بالاجازة ٤ د

اى هذا الخطاب هذا الاستفهام لهم لانهم الذين يعترفون انه لا احد اعدل من الله حكما ولا احسن منه بيانا فان عطية العوفى جاء عبادة بن الصامت فقال يا رسول الله ان لى موالى من اليهود كثيرا عددهم حاضر نصرهم واتى ابرأ الى الله والى رسوله من موالاة اليهود والى الله ورسوله فقال عبد الله بن ابى انى رجل اخاف الدوائر لا ابرأ من موالاة اليهود فقال رسول الله ﷺ يا ابا الحباب ما نجلبه من موالاة يهود على عبادة بن الصامت فهو لك دونه فقال اذن قبلت فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء يا معاشر المؤمنين ثم علل النهى بقوله بعضهم اولياء بعض لان الجنسية علة الضم ثم اكد ذلك بقوله ومن يتولهم منكم فانه منهم من جملتهم وحكمهم وحكمهم ولذلك قال ابن عباس رضى الله عنهما انه كافر مثلهم وفيه من التغليظ والتشديد ما بينه ان الله لا يهدى القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم بموالاة الكفرة فوضعوا الولاء فى غير موضعه عن ابى موسى الاشعرى قال قلت لعمر بن الخطاب ان لى كاتبا نصرانيا فقال مالك قاتلك الله الا اتخذت حنيفا اما سمعت هذه الآية قلت له دينه ولى كتابته فقال لا اكرمهم اذ اهانهم الله ولا اعزهم اذ ذلهم الله ولا ادنيهم اذ بعدهم الله قلت لا يقوم بالبصرة الا هو قال مات النصرانى والسلام يعنى هب انه قد مات فما كنت تكون صانعا فاصنعه الان فبرئ الدين فى قلوبهم من بعض امثال عبد الله بن ابى يتألفون بهم فى موالاة اليهود والنصارى هو بينهم فينقاع وبنو قينقاع حلفاء عبادة بن الصامت كانوا اهل ثروة وكانوا يعينونهم على ما هم فيه و يقرضونهم يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة قال الواحدى الدولة والدائرة واحد هى الدولة وقيل الدولة فى المال والدائرة فى الحرب وقيل الدولة ان تدول لنا على عدونا والدائرة ان تدول عليه فقال الله تعالى فعسى الله ان يأتى بالفتح اى بالنصر من عنده يعنى من الله لكم ايها المؤمنين اطماع واجب وقوعه فتح مكة او مطلق دولة الاسلام وغلبته وقهره وقوله او امر من عنده المراد به فعل لا يكون للناس فيه مدخل البتة كقذف الرعب فى قلوب بنى النضير عنهم من الكف وقيل هو ان يؤيد النبى ﷺ باظهار اسرار المنافقين وقبائحهم فينصبح اعلى ما اسروا فى انفسهم من النفاق والشك فان امر الله تعالى نبيه ﷺ ان يقول الذين امنوا قال نواحد الواو وهمنا كاتبا فالهذا جاء فى مصاحف اهل الحجاز والشام بغير واو وفى مصاحف اهل العراق بالواو وذلك ان فى الجملة المعطوفة ذكرا من المعطوف عليها فان قوله هؤلاء اشارة الى الذين يسارعون فلما حصل فى كل من الجملتين ذكر من الاخرى حسن الوجهان وجه العطف مع التباين ظاهر ووجه ذلك مع الوضع على انه كلام مبتدا اى يقول الذين امنوا فى ذلك الوقت ووجه الفصل هو ان يكون جوابا لسؤال فما ذا يقول المؤمنون حينئذ فاتى بقولهم هذا القول فيما بينهم تعجبا من حالهم وفرحا من الله عليهم من التوفيق فى الاخلاص او يقولونه للهود الذين كانوا يجالسونهم ويوادونهم لما بينهم من المصاهرة والنضرة كما حكى الله عنهم وان قوتلتم لننصرنكم وقوله جهد ايمانهم اى باغلاظ الايمان نصب على الحال يجهدون جهد ايمانهم او على المصدر من غير لفظه حبطت اعمالهم من قول الله تعالى او من جملة قول المؤمنين اى بطلت اعمالهم التى كانوا يتكلفونها رياء ونفعا للناس فاصبحوا لا يرجون لها ثوابا فانا احبطنا اعمالهم فنحن احرص حيث بقى عليهم التعب فى الدنيا والعذاب فى العقبى من يرتد منكم عن دينه اى من يتول الكفار منكم فيرتد فليعلم ان الله تعالى يأتى بقوم آخرين يضعون هذا الدين على ابلغ الوجوه وقال الحسن علم الله تعالى ان من امامه رجعوا الى الاسلام بعد موت نبيهم فاخبرهم انه سبحانه سيأتى بقوم يحبهم ويحبونه فيكون الاخبار عن الغيب فيه دليل معجز ذكر فى الكشاف انهم اهل الردة كانوا احد عشر فريقا ثلث فى عهد رسول الله ﷺ بنو مدلج وذو الخمار الاسود العنسى كان كاهنا تنبأ باليمن واستولى على بلاده واخرج عمال رسول الله ﷺ فكتب رسول الله ﷺ الى معاذ بن جبل والى من اذان اليمن فاهلكه الله على يد فيروز الديلمى بيته فقتله واخبر رسول الله ﷺ بقتله ليلة قتل فسر المسلمون وفرض رسول الله ﷺ من الغد والى حضرموت بعمل مسيلمة لتتبار كتبا الى رسول الله ﷺ من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله ﷺ اما بعد فان الارض نصفها لى ونصفها لك فاجابه من محمد رسول الله ﷺ الى مسيلمة الكذاب اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين فجاءه بعد ما قرأ كتابه فقتله الله على يد وحشى قاتل حمزة كان يقول قتلت خير الناس فى الجاهلية وشر الناس فى الاسلام ارجو ان يجعل الله قتلى اياه كفارة لقتلى حمزة واسلم قيس بن عبد يغوث بن مرة واسد قوم طليحة بن خويلد بتنبأ فبعث اليه رسول الله ﷺ خالد بن الوليد فانهزم بعد القتال الى الشام ثم اسلم وحسن اسلامه وسمع فى عهد ابى بكر فزارة قوم عيينة بن حصين وغطفان قوم قرة بن سلمة القشيرى وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل بن عبد ودا بنواحى بزاخة وبطاح قوم مالك بن نويرة وبعض بنى تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة التى تزوج بها مسيلمة الكذاب بعد موته قوم الاشعث بن قيس بنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم بن زيد وحارثة ابو بكر وكفى الله امرهم على يد بكر وفرقهم واحدة فى عهد عمر غسان قوم جبلة بن الايهم كان بطوس فى ايبت يوم ثم بعد ان كان اسلم على يد عمر فرأى جلاجارا فلطمها فتظلم الرجل الى عمر فقضى عليه فقال انا اشتريها بالف فابى الرجل فلم يزل يزيده فى الفداء الى ان بلغ عشرة آلاف فابى الرجل الا القصاص فاستنظره فانظر عمر فهرب الى الروم ولحق وتنصر وتفسير المحبة وارادتها فى قوله يحبونهم كحب الله وانما قدم محبته على محبتهم لان محبتهم اياه بتحبيبه الايزلية انما هى فعل من افعاله فرع والراجع من الجزاء الى الاسم المتضمن للشرط محذوف ومعناه فسوف يأتى الله بقوم مكانهم او بقوم غيرهم ازلة جمع ذليل كان ذلولا من الذل بفتح الصعوبة لا يجمع على افعلة وانما يجمع على ذلل يصف المرباة منهم مهانون عندنا المؤمنين بل المراد المبالغة فى وصفهم بالرفق ولين الجانب فان من كان ذليلا عند انسان فانه لا يظهر الكبر لارتفع البتة ولتضمين الذل معنى الحنو والعطف عدى بعلى دون اللام كانه قيل عاطفين عليهم او المراد انهم مع شرفهم واستعلاء حالهم على المؤمنين خافضون لهم اجنحتهم ليضعوا الى منصبهم فضيلة التواضع اعزة على الكافرين يظهرون لهم الغلظة والترفع عليهم من غزه اذا غلبه ومنه قوله الآية قوله اشداء على الكفار رحماء بينهم اما الواو فى قوله ولا يخافون فاما ان يكون للحال اى يجاهدون وحالهم فى الجهاد هذه او حال المنافقين حيث يخافون لومة اوليائهم اليهود واما ان يكون للعطف كقوله الى الملك القرم وابن الهمام اى هم الجامعون بين المجاهدة لله وبين الصلابة فى الدين اذا شرعوا فى امر من امور الدين لا يزعهم اعتراض معترض فى وجده اللوم وتنكير اللائم مبالغ

كانه بخل لا يخالفون شيئا فظ من لوم احد من اللوام ذلك الذي ذكر من بعون الكمال من المحبة والذلة وغيرها فضل الله يحسانه ونونيقه فالذا الاشارة من
في ان الاعمال مخلوقة لله تعم والمعتزلة حملوه على فعل الانطاف وضعف بان اللطف عام في حق الكل فلا يليق للتخصيص من فائدة والله واسع عليم تام القدرة كامل
العلم يعلم اهل الفضل واعلم ان للمفسرين خلافا في ان الصوم المذكورين في الاية من هم قال الحسن فيادة والضحاك وابن جريج هم ابو بكر واصحابه لانهم الذين
قاتلوا اهل الردة وقال السدي نزلت في الانصار وقال مجاهد هم اهل اليمن لانها لما نزلت اشار النبي صلعم الى ابي موسى الاشعري وقال هم قومك وقوم من هذا وقال
احزون هم الفرس لما روي انه صلعم سئل عن هذه الاية فضرب يده على عاتق سلمان وقال هذا وذووه ثم قال لو كان الدين معلقا بالثريا لنالها رجال من ابناء
فارس وقالت الشيعة نزلت في علي كرم الله وجهه لما روي انه صلعم دفع الراية الى علي يوم خيبر وكان قد قال لادفعن الراية الى رجل يحب الله ورسوله ويحبه رسوله
ولان ما بعد هذه الاية نازل فيه بالاتفاق واكثر المفسرين قالوا الامام فخر الدين الرازي هذه الاية من ادل الدلائل على فساد مذهب الامامية لان الذين انفقوا
على امامة ابي بكر لو كانوا انكروا وانصاجلبا على انه على كان كلهم مرتدين ثم جاء الله بقوم يحبهم ويحبونه الى الحق ولما لم يكن الامر كذلك بل الامر بالضد فان
فرقة الشيعة مهجورون ابدا حاصل الجزم بعدم النص ولما صرح مذهب الشيعة ان يقول قائل انه نعم لا يجيء بقوم يحبهم ويحبونه ولعل المراد بخروج المهدي
هو ذلك فان محاربته من وان بدا الاوائل وهي محاربة الا وائل وهذا انما ذكره بطريق المنع لا لاجل العصبية والميل فان اعتقادنا ان الصحابة الكرام
اعز واطيع والله اعلم ثم انه سبحانه لما نهى في الاية المتقدمة عن موالاة الكفار امر بعده ذلك بموالاة من هو موالاته فقال انما وليكم ولم يقل اولياؤكم ليعلم
ان ولاية الله اصلية والباقي تبع الله ورسوله الذين امنوا وبينه قولان الاول ان المراد عامة المؤمنين لان الاية نزلت على وفق ما مر من قصة عبادة بن
الصامت وكراهتهم ان عبد الله بن سلام قال يا رسول الله ان قومنا قد هجروا وانا لا نستطيع مجالستهم لبعد المنازل فنزلت
هذه الاية فقالوا رضينا بالله ثم برسوله وبالمؤمنين اولياء ثم قال الذين يقيمون الصلوة ومحله رفع على البدل او على هم الذين يقيمون او نصب بمعنى اخص او اعني
وفي الكلام مدح والعرف بان المؤمن المخلص عمن يدعي الايمان نفاقا ومعنى وهم راكعون قال ابو مسلم اي متذللون خاضعون لا وامر الله تعم ونواهيه قبل المراد
ومن شانهم انهم اقاموا الصلوة وخصوا الركوع بالذكر لشرفه وقيل ان الصحابة كانوا عند نزول الاية مختلفين في هذه الصفات منهم من كان يقيم الصلوة
ومنهم من يؤتي المال الى الفقير ومنهم من كان بعد في الصلوة راكعا فنزلت الاية على وفق احوالهم القول الثاني ان المراد شخص معين وحي بر على لفظ
الجمع ليرغب الناس في مثل فعله ثم ان ذلك الشخص من هو روي عكرمة انه ابو بكر وروي عطا عن ابن عباس انه علي رضي وروي ان عبد الله بن سلام قال لما
نزلت هذه الاية يوما صلوة الظهر فسئل السائل في المسجد فلم يعطه احد فرفع السائل يده الى السماء وقال اللهم اشهد اني سئلت في مسجد رسولك فما اعطاني
احد شيئا وعلي كان راكعا فاومى اليه بخنصره اليمنى وكان فيها خاتم فاقبل السائل حتى اخذ الخاتم فراه النبي صلعم فقال اللهم ان اخي موسى سئلك
فقال رب اشرح لي صدري الى قوله واشركه في امري فانزلت قرانا ناطقا سنشد عضدك باخيك ونجعل لكما سلطانا اللهم وانا محمد نبيك وصفيك
فاشرح لي صدري ويسر لي امري واجعل لي وزيرا من اهلي عليا اشدد به ازري قال ابو ذر فوالله ما اتم رسول الله صلعم هذه الكلمة حتى نزل جبريل فقال يا محمد
اقرا انما وليكم الله الاية فاستدلت الشيعة بها على ان الامام بعد رسول الله صلعم هو علي بن ابي طالب لان الولي هو الوالي المتصرف في امور الامة وانه
علي عموم ابن ابي زرعة واجيب بالمنع من ان الولي ههنا هو المتصرف بل المراد به الناصر والمحب لان الولاية المنهي عنها فيما قبل هذه الاية وفيما بعدها هو
بهذا المعنى فكذا الولاية المامور بها وايضا ان عليا لم يكن قائما بالتصرف حال نزول الاية والهاء تقتضي ظاهرا ان يكون الولاية حاصلة في الحال وايضا لفظ
لفظ الجمع على الواحد لاجل التعظيم مجاز والاصل في الاطلاق الحقيقة فالمراد بالذين امنوا عامة المؤمنين وان بعضهم يجب ان يكون ناصرا لبعض
كقوله والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض وايضا الاية المتقدمة نزلت في ابي بكر كما مر انه هو الذي حارب المرتدين فالمناسب ان يكون
هذه ايضا فيه ثم ان علي بن ابي طالب كان عرفي يفسير القرآن من هو لا لانا نقول لو كانت هذه الاية دالة على امامة علي لاحتج بها كما احتج بما يتلون عنه انه
يمشي يوم الشورى بخبر الغدير وخبر المباهلة وجميع مناقبه وفضائله وهب هذا دال على امامته لكنه ما كان نافذ التصرف في جنوده رسول الله فلم
يبق الا انه سيصير اماما ونحن نقول بموجبه لكن بعد الشيوخ الثلثة ومن ابن لكم انها تدل على امامته بعد رسول الله من غير فصل وايضا انهم كانوا
قاطعين بان المتصرف فيهم هو الله ورسوله فلا حاجة بهم الى ذكر ذلك فالمراد بقوله انما وليكم الله ورسوله ان من كان الله ورسوله ناصرين له في حاجة
بر الى طلب النصرة والمحبة عن غيره واذا كان الولي مستعملا بمعنى النصرة مرة امتنع ان يراد به معنى التصرف كانه لا يجوز استعمال اللفظ المشترك في كلا مفهومية
معا فكانه تعم فهم المؤمنين فيهم وجعل احدهما انصارا للاخر وايضا انه كوذا سلم فالواجب الحمل على المشترك ان عليا كان يجب عليه الزكوة ولو سلم
فالاولى بحاله ان يكون في الصلوة مستغرق القلب بالله فلا يفرغ لاستماع كلام السائل ولا لدفع الخاتم اليه كانه على كثيرة اللهم الا ان يكون الخاتم سهل
المأخذ وكان قد اومى الى السائل ان خذ السائل والحق انه ان صحت الرواية فلا يبقى دلالته على عظم شان علي والمناقشة في امثال ذلك طويل
بلا طائل الا ان اصحابنا المذاهب لما تكلموا فيها رأونا حاصل كلامهم على سبيل الاختصار ومن يتول الله ورسوله والذين امنوا فان حزب الله هم
المفلحون فقام المضمر مقام المضمر تشريفا والمراد فانهم هم الغالبون وحزب الرجل اصحابه المجتمعون لامر حزبهم وقال الحسن حزب الله ابو بكر وذووه وليها الله ابو العالية
شيعة الله وقيل انصار الله الاخلص هم الذين يدينون بدينه ويطيعونه فنصرهم صاحب الكشاف بحمل ان يريد بحزب الله الرسول والمؤمنين اي ومن يتولهم
فقد تولى حزب الله واعتصد بمن لا يغالب ثم عم النهي عن موالاة جميع الكفار فقال يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اعن ابن عباس كان رفاعة بن زيد سويد

فلما رأيتم أن الله ورسوله والذين آمنوا هم الغالبون فقوموا إلى الصلاة وهم راكعون

الجامع

وسويد بن الحرث قد اظهر الاسلام ثم نافقا فكان رجال من المسلمين يوادونهما فنزلت لا تتخذوهم دينكم هزوا ولعبا بناء على اتخاذكم اياهم اولياء بل يجب نفيهم
ذلك بالشتم والبغض وانما عطف الكفار على اهل الكتاب مع ان اهل الكتاب ليسوا كفارا بالعطف بتنزيل المغايرة لانهم ارادوا بالكفار المشركين
الوثنيين خاصة لما ان كفرهم اغلظ فكانوا احق باسم الكفر ومعنى تلاعبهم بالدين واستهزائهم به اظهارهم ذلك باللسان ومواطاة الجنان واتقوا الله في مواالاة
الكفار ان كنتم مؤمنين حقا لان الايمان الحقيقي يابى مواالاة اعداء الدين قال الكلبي كان منادي رسول الله اذا نادى الى الصلوة قام المسلمون اليها
قالت اليهود قد قاموا لا قاموا صلوا لا صلوا ركعوا لا ركعوا على طريق الاستهزاء والفعل فنزل واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها هزوا والمناداة
وهذا بعض ما اتخذوه من هذا الدين هزوا ولعبا فلهذا اردفه الاية المتقدمة الكلية وقال السدي نزلت في رجل من النصارى بالمدينة كان اذا سمع المؤذن
يقول اشهد ان محمدا رسول الله قال حرق الكاذب فدخل خادمة بنار ذات ليلة وهو نائم واهله نيام فطارت منها شرارة في البيت فاحرق البيت
واحترق هو واهله وقال الحربي ان الكفار لما سمعوا الاذان حسدوا رسول الله والمسلمين على ذلك وقالوا على رسول الله صلعم قولا بما لم يقله احد قبله
شيئا لم نسمع به فيما مضى من الامم الخالية فان كنت تدعي النبوة فقد خالفت فيما احدثت من هذا الاذان الانبياء قبلك ولو كان في هذا الامر خير كان الناس
به الانبياء والرسل قبلك من ابن لك يا محمد ما لم يكن عندهم فانزل الله تعالى هذه الاية وانزل ومن احسن قولا ممن دعا الى الله
قال بعض العلماء فيه دليل على ثبوت الاذان بنص الكتاب لا بالمنام وحده واقول لو قيل ان اصل الاذان بالمنام والتعزير بنص الكتاب كان اصوب ذلك
لان اتخاذ بانهم قوم لا يعقلون فان الصلوة من المنافع لانها التوجه الى الخالق والاشتغال بخدمة المعبود والا يفهمون ما في اللعب الخالي من السفه والجهل
بعض الحكماء اشرف الحركات الصلوة وانفع السكنات الصيام الم اقول وانزلنا اليك الكتاب بالحق اي بالحقيقة لانه انزل على قلبه وانزل سائر
الكتب في الالواح والصحف فهذا كان خلقه القرآن وكان يهيمن على جميع الكتب يصدقها غيبا ابيانا يجب بتصديقها قبل النزول عليه منوه حقيقي
الكتب واسرارها بخلاف ما انزل في الالواح فان الالواح لا تشهد ولا تشاهد حفظا في الكتب ومعانيها لكل جعلنا منكم معاشر الانبياء شرعة اي شرع فيها
بالبيان وفيها جاء بسلك فيه بالعيان ولكن ليبلوكم اي ليمتحنكم انبأكم من البيان والتبيان والحجج والبرهان والعز والسلطان فاقبلوا كم بزينة الدنيا
واتباع الهوى وقبول المنى والوقوف بين الورى والتجافي عن العقبى ليهديها الناسون بالبيان وبعبد الغافلون بالبرهان ويحكم الغافرون بالسلطان
بل يقصد الزاهدون بزخرف الدنيا ويقدم الغابدون بنعيم الهوى ويسلك المشتاقون بنعيم المنى ويجذب الغافرون بزبرج الورى ويسلب الواصلون
بالسلو عن الدنيا والعقبى فاستبقوا الخيرات من هذه المقامات الى الله مرجعكم جميعا اخبارا بقدم الصدق واضطرار الحلول الاجل
فان تولوا عن قبول الحق فاعلم فاعلم بطلان القضاء انما يريد الله في حكم القدر ان يصيبهم مصيبة الاعراض ببعض ذنوبهم وهو الاعذار بين
فان الحق سبحانه يلزم بشرط التكليف ويقدمهم ويؤخرهم بعين التصريف فالتكليف فيما اوجب التصريف فيما اوجد والعزم بالايجاد
لا بالايجاب فاستبقوا الخارجون عن حد بيان العناية الحكم الجاهلية يبغون ابطلوا من منك ان يحيد عن المحجة المثلى بعد ما لمعت شموس
الدنيا وسطعت براهين اليقين وافضل استباق الرتب واستباق القلب بانوار الغيب بادروا ان شبيه الشيء منجذب اليه ان باني الفتح
فتح عيون القلوب او امر من عنده وهو الجذبة الى نوازع عمل التقلين وقبول الذين امنوا بانوار الغيوب في استباق القلوب فاستبقوا الخيرات
ما بالها لا استعدا الفطرة بقوم يحبهم ويحبونه اذلة باب التسلوك انامهم عنهم ليسطوا ان يحبهم ثم ابقاهم به عند هبوبهم نفحات يحبونه قال محبة الله
للعبد فناء الناسوتية في بقاء اللاهوتية ومحبة العبد لله بقاء اللاهوتية في فناء الناسوتية والشيخ نجم الدين الرازي المعروف بدايه رضي الله
عنه قد عكس القضية فلعله فهم عنها فهما تم قال الله تعالى يحب العبد بصفة ذاته فلا وهي الارادة القديمة المخصوصة بالغاية والعبد يحب الله
بذات تلك الصفة ابدا ازلية على المؤمنين لان ارتفاع الانانية اعز على الكافر من بقاء اللاهوتية واثبات الوحدانية جاهد في سبيل
طلب الحق في البداية بذل الوجود ولا يخافون لومة لائم عند غلبات الوجد في الوسط الدوام الشهود ذلك بعني صدق الطلب في البداية وغلبة
الوجد في الوسط والاختصاص بالمحبة في النهاية والله واسع كريم فاذا على ان يتفضل كل احد لكنه علم بحال كل احد فلا يتفضل الا على من
يليق اهل بقية والصلوة بدونهما مراءين حفظها في الباطن بمراعاة السر هؤلاء الزكوة من وجودهم وهو الفناء فالله هم الذين راجوا الله بالكون راجوا الله با
انقطاع قيام البشرية الامام الفيوضة هم الغالبون على اهوائهم وانفسهم والدنيا والشيطان الذين اتخذوا دينكم بعني اهل الغفلة والسلو المستهزئين بالمحبة
والقرب من الذين اوتوا الكتاب اي العلوم الظاهرة والحكمة بعني الفلاسفة ومقلديهم لاقتصارهم عن العلوم اللدنية والكشفية واذا ناديتم الى الصلوة دعوهم
الى محل القرب والتجلي لا يعقلون بلوهم والحنا لذاذة شهود ذلك الجمال قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا الا ان امنا بالله

بگو كه اى اهل كتاب اياز شت نمى ميداريد از ما مگر اين كه گرويديم بخدا

وما انزل الينا وما انزل من قبل وان اكثركم فاسقون قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه

نه بجز فرو آمد سوى ما و نه فرستاده شد از پيش و بدرستى كه بيشتر از شما فاسقانيد بگو كه اى خبر دهم شما را بدتر از اين پاداشى در نزد خداى هر كرا لعنت كرد او را

الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت اولئك شر مكانا واضل عن سواء السبيل

خدا و خشم كرد بر او و كرد از انها را ميمون و خوكان و پرستندگان شيطان ايشانند بدتر جايگاه و دورتر از راه راست

المائدة

وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ ۝ وَتَرَىٰ

وچون آیند بسوی شما گویند ما گرویدیم و بحقیقت در رسند بکفر و ایشان تحقیق بیرون آمدند و خدا داناتر است بآنچه که میپوشیدند در سینهای خود و می بینی

كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ لَوْلَا

بسیاری از ایشان را که پیشی گیرند بگناه و در گناه و دشمنی و خوردن ایشان حرام را هر آینه بدست آنچه را که بودند که میکردند اگر نه که

يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ

باز داشتندشان خدای پرستان و دانشمندان از گفتارشان گناه را و خوردنشان حرام را هر آینه بود بآنچه که میکردند

وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ

و گفتند یهودان که دست خدا بسته است کردن بسته خود و بسته شدند بگفتارشان و لعنت کرده شدند بگفتارشان که دست خدا بسته است بخشش هر نوع که

يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ

میخواهد و هر آینه بیفزاید بسیاری از ایشان را آنچه فرو آمد بسوی تو از پروردگارت سرکشی و کفر و افکندیم در میان ایشان دشمنی

وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ

و کینه را تا روز قیامت هر قدر که افروختند آتشی را از برای جنگ خاموش کرد آنرا خدا و میکوشند در زمین در فساد و خدا

لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ۝ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ

دوست ندارد مفسدان را و اگر که اهل کتاب گرویدندی و پرهیز کردندی هر آینه میپوشیدیم از ایشان گناهانشان را و هر آینه داخل کردیمشان

جَنَّاتِ النَّعِيمِ ۝ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ

در بهشت نعیم و اگر حقا که ایشان برپای داشتندی توریت را و انجیل را و آنچه فرو آمد بسوی ایشان از پروردگارشان هر آینه خوردندی از بالای

وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ۝ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ع ۱۰

و از زیر پاهاشان بعضی از ایشان گروهیند میانه روان و بسیاری از ایشان بدست آنچه میکنند ای پیغمبر

مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ

آنچه فرو آمد بتو از جانب پروردگارت اگر نکردی پس نرسانده رسالت و پیام او را و خدا نگاهدارد تو را از شر مردم هر آینه خدا

لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ۝ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ

راه نمیکند گروه کافران را بگو ای اهل کتاب نیستید بر چیزی تا بر پا دارید توریت

وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ

و انجیل را و آنچه فرو آمد بسوی شما از پروردگارتان و هر آینه بیفزاید بسیاری از ایشان را آنچه فرو آمد بسوی تو از پروردگارت

طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ

سرکشی و کفر پس تاسف مخور بر گروه کافران هر آینه آنانکه گرویدند و آنانکه جهودشدند و ترسایان و

وَالنَّصَارَىٰ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ

آنانکه گرویدند بخدا و روز واپسین و کردند کار شایسته پس نیست ترس بر ایشان و نباشند اندوهناکان

القراءة هل يثوبكم وبابه مدغما خمزة وعلي وهشام وعبد الطاغوت بضم الباء ونصب الذال وجر الطاغوت خمزة الباقون بنصب الطاغوت

على ان عبد بمعنا ان عطفا على صلة من كانه قيل ومن عبد الطاغوت مسبوطتان مثل مبسوطتان وقد مر في البقرة ورسالته ابو عمر

وابن كثير وخمزة وعلي وخلف وعاصم غير ابي بكر وحماد الباقون رسالاته الوقف من قبل العطف وان اكثركم على ان امنا فاسقون عند الله

لبناء الاستفهام والتقدير هو من لعنه الله ومن جعل مجرورا على البدل من شر اعتبر بقبح الطاغوت السبيل حر جوابه يكتمون السحت يعملون

السحت مصنوعون مفعولة وبمثلا وقف لبعضهم لتمثل قوله غلت وهو جزاء قولهم يد الله مغلولة غلا قالوا لما سمعوا ان قوله بل يداه مبسوطتان منعوه

قالوا فالواجب مبسوطتان لان قوله ينفق من مقتضى الكلام فلا يستانف كيف يشاء وكفرا يوم القيمة اطفاها الله قال السجاوندي لا يلزم

للحال اي هم يسعون وفيه نظر بساط المفسدة النعيم وجلالهم مفسدة يعملون من ربك رسالته من الناس الكافرين من ربكم وكفرا لاختلاف نظم

سبع قاء التعقيب لكاثرين يحزنون التفسير لما حكى عنهم انهم اتخذوا دين الاسلام هزوا ولعبا قال لهم ما الذي تنقمون من اهل هذا الدين

تنقمت على الرجل انعم بالكسر اذا عبت عليه وتنقمت بالكسر لغة ونقمت الامر بضم اذا كرهته وانكرته وتسمى العقاب نقمة لانه يجب على ما ينكر من الفعل

والمعنى هل تعيبون منا وتنكرون الا الايمان بالكتب المنزلة كلها وليس هذا مما يوجب عيبا وعيبا لان الايمان بالله وبجميع الطاغوت

واما الايمان بمحمد وبجميع الانبياء فهو الحق الذي لا محيد عنه لان الطريق الى تصديق الانبياء هو المعجز وانه حاصل في الكل فلا وجه للايمان

والكفر بعض ثم عطف عليه قوله أيا كثركم فاسقون والمراد تنقمون منا الا الجمع بين ايماننا وتمردكم كائنا قبل هذا تنكرون منا الا ايماننا لفسقكم فاضا وما فسقنا مثلكم وفيه من حسن الازدواج والطباق ما فيه كقولك لقائل هل تنقم منى الا اني عفيف وانك فاجر ويجوز ان يعطف على المجرور اى ما تنقمون منا الا الايمان بالله وبما انزل الينا وبان اكثركم خارجون من الدين ويجوز ان يكون الواو بمعنى مع اى ما تنكرون منا الا الايمان مع فسقكم لان احد الخصمين اذا كان مكتسبا للصفات الحميدة مع اتصاف الاخر بالصفات الذميمة كان ذلك اشد تاثيرا في وقوع البغض والحسد قلب الخصم ويحتمل ان يكون تعليلا معطوفا على تعليل محذوف اى ما تنقمون منا الا الايمان لفضلنا وفسقكم ولاجل فسقكم ومن هنا قال الحسن في تفسيره بفسقكم تقتلون ذلك علينا ويجوز ان ينتصب بفعل محذوف يدل عليه ما قبله اى ولانكم تفسقون ان اكثركم فاسقون او يرتفع بالابتداء والخبر محذوف اى وفسقكم ثابت تحقق عندكم على ان حب الجاه والمال يدعوكم الى عدم الانصاف انما خص الاكثر بالفسق مع ان الكل كذلك لان كلهم فساق معرضا باجبارهم ورؤسائهم الطالبين للرياسة والمال المتغربين بالملوك والمراد ان اكثرهم في ذواتهم فساق لا عدول فان الكافر والمبتدع قد يكون عدلا في نفسه او ذكر اكثرهم لئلا يظن ان من اسر منهم داخل في ذلك قال ابن عباس لما نفى عن اليهود الى سول الله صلى الله عليه وسلم فساله وفد منهم عن من يؤمن به من الرسل فقال اومن بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسمعيل الى قوله ونحن له مسلمون فلما ذكر عيسى جحدوا نبوته فقالوا والله ما نعلم اهل دين اقل حظا في الدنيا والاخرة منكم ولا دينا شرا من دينكم فانزل الله تعالى قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة اى جزاء وهو الايمان ولا بد من حذف مضاف اما قبل من تقديره بشر من اهل ذلك او دين من لعنه الله وغضب عليه الخ شر وهي المضاد الى جاء على مفعول كالميسور والمحلود ومثلنا المستور وفر مثوبة كما يقال مشؤوم والمثوبة ضد العقوبة واستعمال احد الضدين مكان الاخر مجاز رخصه ازدراء انهم مثل فيشرهم بعذاب اليم وقد اخرج الكلام ههنا على حسب قولهم واعتقادهم والا فلا شركة بين المسلمين وبين اليهود في اصل العقوبة حتى يقال ان عقوبة احد الفريقين شر لكنهم حكموا بان دينهم شر فجعل لهم هذا ان الامر كذلك ولكن لعن الله وغضبه ومسخ الصورة من ذلك قال المفسرون عنى بالقردة اصحاب السبت بالخنازير كفار مائدة عيسى ويروى ان كلا المسخين كان في اصحاب السبت لان شبانهم مسخوا قردة وشباتهم مسخوا خنازير لهذا كان المسلمون يعيرون اليهود بعبدة القرد والخنازير فيسكتون ورؤسهم انا نقوله وعبدة الطاغوت نقل ذكر في كفاية فيه انواعا من القراءة لا يزيد فائدة في تعدادها الا قراءة حمزة والوجه فيه ان العبد بمعنى العبد الا انه بناء سبا لغة كقولهم رجل حذر وفطن للبليغ في الحذر والفطنة قال الشاعر ابنى لبيني ان امكم امة وان اباكم عبد لبئس لكم عبدا ابنى لبينى لستم بيد الا بنا لئيم لها عمته وقيل هما لغتان مثل سبع وسبع وقيل ان العبد جمع عبا والعبا جمع عبد كثمار وثمر الا انهم استثقلوا الضمتين فابدلتا الاولى فتحة وقيل اراد واعبد الشاعون مثل نلس افلس الا انه حذف الالف وضم الباء لئلا يشبه الفعل والطاغوت ههنا مثل هو العجل وقيل هو الاحبار والظاهر انه كل ما عبد من دون الله وكل من اطاع احدا في معصيته فقد عبده احتج الاشاعرة بالاية على ان الكفر بجعل الله تعالى وقالت المعتزلة معنى هذا الجعل انه حكم عليهم بذلك ووصفهم به كقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا او انه خذلهم حتى عبدوها او لئلا المعجزون المسوخون شرمكانا اما من المؤمنين فالامر بين ان مكانهم سوء ولا مكان شر منه وقال علماء البيان هو من باب الكناية لانه ذكر المكان واراد به الله هو ملزوم المكان وافضل ممن سواء السبيل وسطه وكان ناس من اليهود يدخلون على رسول الله صلى الله عليه وسلم يظهرون له الايمان نفاقا فاخبره الله بسبب انهم يخرجون من مجلسه كما دخلوا لم يؤثر فيهم شيئا من النصيحة والموعظة فقوله وقد دخلوا بالكفر به حالان اى ملتبسين بالكفر كذلك قوله وقد دخلوا وهم قد خرجوا ولذلك دخلت قد بعد ما لتقارب الحالين وتبعيد التوقع اياهم وذلك ان ما ازداد الكفار كانت لا يخفى على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيوعا لاظهارهم الله اسرارهم والعامل في هذه الحال الاولى دخلوا وخرجوا اى دخلوا امنا وخالهم انهم دخلوا كافرين وخرجوا كافرين وانما ذكر عند الخروج كلمة هم تاكيدا لمقارنة الكفر اياهم وفي ان يكون من الشرط في ذلك فعلا اى لم يسمعوا منك يا محمد عند جلوسهم ما يوجب كفرا فتكون اشارة الى الفئتين الكفر بالله الذين خرجوا به كفرا خبيثا اقتضاهم وههنا استدل المعتزلي على صحة مذهبه ان الكفر من العبد لا من الله ولكنه معارض بالعلم والداعي والله اعلم بما كانوا يكتمون هذان حسابهم وجنايتهم يحاسبهم برا الا الله منا لعظم ذلك وابلغ الاثم الكذب كقوله بعد عن قولهم الاثم والعدوان الظلم وقيل الاثم ما يختص بهم والعدوان ما يتعداهم الى غيرهم وقيل الاثم كلمة الشرك قولهم عزير ابن الله وفي الاية فوائد منها ذكر كثير لان كلهم كان لا يفعل ذلك اذ بعضهم يستحي فيترك ومنها ان المساعدة انما تلحق بالجهار وانهم كانوا يستعملون ههنا في المنكرات ومنها ان الاثم بنا وجميع المحارم فلذكر بعد العدوان واكل السحت ليدل على هذا اعظم انواع الاثم والكلام في فعل التحذير وفي نصب الربانيين والاحبار فقد مر في البقرة عن قريب قال الحسن لولا ينهون علماء الا يجهلوا والاحبار علماء اليهود وانما قال ههنا لبئس فان لام لتصنعون وفي الاول يعملون لان الصنع ابلغ من العمل فلا يستعمل العامل صانعا الا اذا كان فيه ولد في يتعاطاه وكان قبل العمل انما ذكر النهي عن المنكر اشد واعظم والبث راسخ ويحتمل ان المعصية مرض القلب وعلاجه العلم بالله وصفاته واحكامه فاذا حصل هذا العلم لم تزل المعصية دل على ان مرض القلب في غاية الفوة والشدة كالمرض الذي يشرب صاحبه الدواء فانا نزل عن ابن عباس هي اشد اية في القرآن وعن الضحاك ما في القرآن اية اخوف عندي منها وقالت اليهود يد الله مغلولة قبل هذه الاية اشكال لان اليهود مطبقون على انا لا نقول ذلك كيف يجوز بطلانه معلوم بالضرورة لان الله اسم لموجود قديم قادر على خلق العالم وايجاده وتكوينه وهذا الموجود يمتنع ان يكون يده مغلولة وقد تقدم جوابه والجواب ان الله تعالى صان كلامه عنه فلا بد من تصحيح هذا النقل عنهم فلعل القوم قالوا هذا على سبيل الالزام فانهم لما سمعوا قوله من ذا الذي يقرض الله

مرضا حسنا

قرضا حسنا فالوا من احتاج الى القرض كان فقيرا عاجزا مغلولا لليدين ولعلهم لما رأوا اصحابه في غاية الفقر والضعف قالوا ان الله بخيل كما يقال كف
ازاد وانه لا يمسهم النار الا اياما معدودة الا انهم غيروا عن كونهم عذبوا بهم الا هذا القدر الزمان بهذه العبادة الفاسدة فاستوجبوا اللعن
لفسق العيان وسوء الادب قيل لعلهم كانوا على هذه بعض الفلاسفة انهم موجب لذاته وان حدوث العوالم عنه لا يمكن الا على نسق واحد غير متغير
اقتداره على غيره لذا لم يتسق بعد اليهود وقال المفسرون كان الناس ما لا وثروة فلما بعث الله محمدا وكذبوه ضيق الله عليهم المعيشة وعند
قالوا يد الله مغلولة اي مقبوضة عن العطاء على جهة النعت بالبخل لما هل اذا وقع في البلاء والشدة قالوا هذا يقولون مثل هذه الالفاظ وعلى ليست
بسطها مجاز مستفيض عن البخل والجود ومنه قوله ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وذلك ان اليد الة الاكثر الاعمال
لاخذ المال واعطائه فاطلقوا اسم السبب على المسبب فقيل للجواد فياض الكف مبسوط اليد بسط البنان ورطب الانامل ولا يجعل ابدا الا صابع مقبوضة
الكف لجعلا الانامل لا فرق عندهم بين هذا الكلام وبين ما وقع مجازا عنه تعالى انه يستعمل في ملك لا يعطي ولا يمنع الا بالاشارة بل يقال للملك مطلقا
يده بالتوقيع فيستعمل حيث لا يصح اليد كقول لبيد فدا صحت بها الشمال رماها فجاز اراهم الله نعم بقوله غلت ايديهم وهو الدعاء عليهم بالبخل الملك
ومن ثم كانوا البخل خلق الله وانكرهم دعا به عليهم بغلها لعباده كما علمهم الاستثناء في قوله لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله امنين وكما علمهم
الدعاء على المنافقين في قوله قاتلهم الله مرضا وحتى لا يجب في قوله تبت يدا ابي لهب يجوز ان يكون دعاء عليهم بغل الايدي حقيقة او اخبارا قال
الحسن يغلون في الدنيا اسارى وفي الاخرة معذبين باغلال جهنم فيكون الطباق من حيث اللفظ وملاحظة اصل المجاز وانما لم يقل غلت
ايديهم مع ان الجزاء بنا سب الفعل لتكون قوله غلت ايديهم كالكلام المبتدأ به فيزيده قوة ورشاقة لان الابتداء بالشيء يدل على شدة الاهتمام
به وقوة الاعتناء بشهره ولعنوا بما قالوا قال الحسن عذبوا في الدنيا بالجزية وفي الاخرة بالنار وما وقع في عصرنا من اعجاز القرآن ما حكى ان ضعفة
من اليهود متمسكا لبعد الدولة وهو من اشقى الناس كان قد سمع هذه الاية فانقلب وصل الى بغداد فنزل بالمدرسة المستنصرية ودعا بدواة
مكتوبا باحسن خط واشهره من خطوط الكتاب الماضين وكان يعلم ان اهل هذه العصرة يقلدون على كتابة شيء ثم قال ان قدرة الاية يعني قوله غلت
ايديهم ولعنوا بما قالوا فاروا فيها فلم يمض اسبوع الا وقد بخط السلطان عليه فاجتث ظالما ثم بعث بدواته مغلوة وحملوه اليه فامر بقتله ثم انه رد
على اليهود بقوله بل يداه مبسوطتان واليد في اللغة تطلق على الجارحة المخصوصة وهو كم وعلى النعمة لفلان عندي يد اشكرها له وعلى القوة
او لي الايدي والايد ايضا قسر بدي القوي والعقول منه لا يدين له بيدا والمعنى سلك الكمال القدرة وعلى الملك هذا بيد فلان اي ملكه قال ثم بعد عقد
النكاح وقدر ايسر شدة العنانة قال لما خلقت بيدي ويقال يدك ويدك وهن بالوفاء اذا اضفته لم تشبعا ولا تشك انا ليد يعني الجارحة في حقه ثم حمل الكلام
الذال على انه ليس بجسم لان ذي اجزاء خلافا للمجسمة واما سائر المعاني فلا قابل بها وكان طريقة السلف الايمان بها وانها من عند الله ثم فوض بعضها
الى الله وقد جاء في بعض اقوال ابي الحسن الاشعري ان اليد صفة سوى القدرة من شانها التكوين على سبيل الاصطفاء لقوله لما خلقت بيدي و
المراد تخصيص ادم بهذا التشريف نص القرآن ناطق باثبات اليد ثابت بالله تعالى فوق ايديهم وباثبات اليدين اخرى كما في الاية وباثبات الايدي اخرى
مما عملت ايدينا انعاما وجه التوحيد والجمع ظاهر واما وجه التثنية فذلك ان من اعطى بيديه فقد اعطى على اكمل الوجوه فكان ابلغ في رد كلام من
جحد انعام الله او لم ير نعمة الدين ونعمة الدنيا او نعمة الظاهر ونعمة الباطن او نعمة الدفع ونعمة النفع او نعمة على اهل اليمن ونعمة على اهل الشمال بل الفضاء
في نحن وانت وفي شان هؤلاء او المراد المبالغة في وصف النعمة نحو لبيك وسعديك ومعناه اقامة على طاعتك بعد اقامة واسعادا بعد اسعاد
ثم اكد الوصف بالقدرة والسخاء فقال ينفق كيف يشاء وفيه انه لا ينفق الا على مقتضى الحكمة ودفع توهم العجز على حسب المشيئة والارادة لا مانع له ولا مكره فهو
اوجب عليه شيئا او اعترض على فعله من اخلاله نقد فاز عبد ملكه وجحر تصرفه وقيد وغل ونسبه الى ما لا يليق به ولهذا بدأ جواب قسم محذوف كثيرا منهم بعضا ما
اليهود ما انزل اليك ربك من القرآن والحجج طغيانا وكفرا مجاوزة في الحد وغلوا في الانكار لان البدن غير النفي كل غلو تزيد نارا ألقى بينهم
بين اليهود والنصارى كما هو الحسن وفيما بين اليهود العداوة والبغضاء لا يتالف كلمتهم لا تتساعد افئدتهم من اليهود جبرية وقدرية وموحدة و
مشبهة ومن النصارى ملكانية ونسطورية ويعقوبية وكل ذلك لاختلافهم يوجب التحزب واللعن بخلاف هذه الامة فان اختلافهم رحمة ولهذا قيل
وتشعب ذا نهم كلما اوقدوا نارا للحرب اطفأ الله فلا يهتمون بامر من الامور الا وقد جمعوا بحتى حتين وقل كلما حاربوا رسول الله غلبوا وهن
قتاده لا تلقى اليهود ببلدة الا وجدتهم ازل الناس يتبعون في الارض فسادا يستحقون بدلا للاسلام وزوره والله لا يحب المفسدين ولا يجمع لهم سعي
قبل ما لفوا حكم التوراة فبعث الله عليهم بختنصر فاسروا واسلط عليهم فطرس الرومي ثم افسدوا فسلط عليهم المجوس ثم افسدوا فسلط عليهم المسلمين الى
يوم القيمة ثم لما بالغ في تبكيتهم بسرهم ذكرانهم مع قاعدة من يسالهم لو امنوا بمحمد وما جاء به واتقوا المنكرات التي كانوا يتوهمنها المكروهات بتوهم
لكفرنا عنهم تلك السيئات سترناها عليهم ولادخلناهم مع المسلمين جنات النعيم من النعم خلاف البؤس اي نعيم ما جهنا ما اوسع حلم الله تعالى وما اعظم عفوه
وغفرانه ولكنهم كما مؤا التوراة ولا يجتهدون علوا بما فيها من الوفاء بعهود الله تعالى ومن الاقرار بنبوة نبي اخر الزمان محمد وما حافظوا على احكامها
وحدودها واذا موها فنصب عينهم لئلا ينسوا ما فيها من النكاية فما انزل اليهم من ربهم يعني القرآن وسائر الكتب لا لهية كصحف ابراهيم وزبور
داود وكتاب شعيا وحبقوق ودانيال فان كلها مشحونة من البشائر بمبعث محمد وانهم مكلفون بالايمان بجميعها لانكفروا من بعضها ومن تحتهم اي

ينزل عليهم بركات السماء وبركات الارض ويكثرلهم الاشجار المثمرة والزروع المغلة اويرزقهم الجنات اليانعة الثمار بحيث وما هذا منها من رؤس الشجر وبلغطوف
فانها تراعلى وجه الارض ويحتمل ان يراد بها المبالغة في شرح السعة والخصب كان هناك فوقا اوتحتا اى لاكلوا اكلا كثيرا متصلا ويشبه ان يكون هذا اشارة
الى ما جرى على بني قريظة بعد التنفير من قطع نخيلهم وافسادهم وعمهم واجلائهم عن اوطانهم والحاصل انه سبحانه وعدهم سعادة الدارين بشرط الايمان
مما جاء به محمد وندم السعادة الاخروية بعضها وهما دفع العذاب وايضا الثواب الشريف فيها ثم فصل حالهم فقال منهم اى من اهل الكتاب امة مقتصدة طائفة متوسطة في الغلو
والتقصير وذلك ان من عرف محمدا وصفته فانه يكون قاصدا له على الطريق المستقيم من غير انحراف لا اضطراب بخلاف من لا مقصد له فانه يذهب يمينا وشمالا فجعل
الاقتصاد عبارة عن العمل الموزون بالغرض ومن هم فيه قولان احدهما الكفار من اهل الكتاب الذين يكونون عددا وفي بنهم ولا يوجد بينهم عناد شديد ولا غلظة
كاملة والثاني هم المؤمنون منهم كعبد الله بن سلام واصحابه وبضعا وثلاثين من النصارى وكثير منهم ساء ما يعملون فيه مبالغة التعجب كانه قيل ما اسوء عملهم لكونهم
اجلافا متعصبين لا يجمع فيهم الدليل قيل لم يكعب الاسترفي اصحابه والروم ثم امر رسوله بان لا ينظر الى قلة المقتصدين وكثرة المعاندة
ولا يغتر بمكرهم فقال يا ايها الرسول بلغ عن ابي سعيد الخدري ان هذه الاية نزلت في فضل علي بن ابي طالب كرم الله وجهه يوم غدير خم فاخذ رسول الله صلعم بيد
وقال من كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم والي من والاه وعاد من عاداه فلقيه عمر وقال هنيئا لك يا ابن ابي طالب اصبحت مولاي ومولا كل مؤمن ومؤمنة وهو
قول ابن عباس والبراء بن عازب ومحمد بن علي وروى انه صلعم نام في بعض اسفاره تحت شجرة وعلق سيفه عليها فاتاه اعرابي وهو نائم فاخذ سيفه واخترطه وقال ايها محمد من
يمنعك مني فقال الله فرعدت يد الاعرابي وسقط السيف من يده وضرب براسه الشجرة حتى انتثر دماغه ونزل والله يعصمك مني قال لما نزلت هذه الاية
يا ايها الذين قل لا ازواجك فلم يعرضها عليهن خوفا من اختيارهن الدنيا نزلت يا ايها الرسول تلغ وقيل نزلت في امر زيد وزينب بنت جحش وقيل لما نزلت ولا
تشبعوا الذين يدعون من دون الله سكت رسول الله عن عيب الهتهم فنزلت اى بلغ ما يجب ابلاغه ولا تخف احدا وقيل انزلت بين الثلاثين والمناسك فجعلوا يقولون
قال هل بلغت فقالوا نعم فقال اللهم اشهد فنزلت وقيل نزلت في فضة الرجم والقصاص المذكورين في قال الحسن قيل لرسول الله ما بعثك الله برسالة ضقت بها
ذرعا وعرفت ان من الناس من يكذبني واليهود والنصارى يخوفونني فنزلت الاية فزال الخوف فقالت عائشة سهر رسول الله ذات ليلة فقلت يا رسول الله
ما شانك قال الا اجعل صالح يحرسني الليلة قال فبينما نحن كذلك سمعنا صوت السلاح فقال من هذا قال سعيد وحذيفة جئنا نحرسك فنام رسول الله
حتى سمعت غطيطه فنزلت هذه الاية فاخرج رسول الله راسه من قبة ادم فقال انصرفوا ايها الناس فقد عصمني الله وعن ابن عباس كان رسول الله يحرس
وكان يرسل معه بوطالب كل يوم رجالا من بني هاشم يحرسونه حتى نزلت هذه الاية فاذا دعمران يرسل معه من يحرسونه فقال يا عماه ان الله قد عصمني
من الجن والانس ومعنى قوله ما انزل اليك اى شيء انزل اليك فان لم تفعل ما امرتك به كما امرتك به تما بلغت رسالته من قرأ على الوصف فلان القرآن كلام الله
واحد اوكان لرسالة اسم المصدر فيقع على الواحد وعلى الجمع ومن جمع فلان كلا به امحكم رسالة فان قيل معنى قوله وان لم تفعل فما بلغت رسالته ان
لم تبلغ رسالته فما بلغت رسالته فما وجه صحته فالجواب ان هذا جار على طريق التهديد والمراد انك لم تبلغ منها الا في شيء فما انت كمن لم يبلغ شيئا الا ان اداء
بعضها اليس اداء البعض الاخر كما ان من لم يؤمن ببعضها كان كمن لم يؤمن بكلها او المراد ان لم تفعل ذلك فما هو جبه كتمان الوحي كله فوضع السبب
موضع المسبب وبعضهم فسر ما ذكرنا انه قال يعني الله برسالاته ودعا فوحي الله الي ان لم تبلغ رسالاتي عذبتك وضمن له العصمة فقوله
فان قيل ان ضمان العصمة وقد جرى عليه يوم احد فما جرى فالجواب ان الاية نزلت بعد يوم احد والمراد انه يعصمه من القتل وعليه ان يحتمل كل ما ناله من نفس
والناس الكفار لقوله ان الله لا يهدي القوم الكافرين اى لا يمكنهم مما يريدون ثم لما امره بتبليغ اى شيء كان ظاهر السامع او تقول عليه امره ان يقول
لاهل الكتاب لستم على شيء اى على دين يعتد به كما يقول هذا ليس بشيء يريد تحقيره شانه وبانى الاية مكررة للتاكيد بمعنى فلا تاسف ولا تحزن عليهم بسبب
زيادة طغيانهم فان وبال ذلك عائد عليهم اولا تاسف بسبب نزول اللعن والعذاب عليهم فانهم من الكافرين المستحقين لذلك يقال اسى على مصيبته تاسى اسى
اى حزن ثم لما بين ان اهل الكتاب ليسوا على شيء ما لم يؤمنوا بين ان هذا الحكم عام في كل دان لا يحصل لاحد منقذة ولا سعادة الا اذا امن وعمل صالحا وذلك
ان كمال القوة النظرية لا يحصل الا بمعرفة المبدا والمعاد عن الايمان بالله واليوم الاخر وكمال القوة العلمية انما يحصل بتعظيم المعبود والشفقة على
المخلوق اعني العمل الصالح وغاية هذا الكمال الخلاص من الخوف عما يستقبل ومن الحزن على ما مضى من طيبات الدنيا لانهم وجدوا امورا اعظم واشرف
وقد تقدم تفسير مثل هذه الاية سوى البقرة الا انه بقي ههنا بحث لفظي وهو ان قوله والصابئون عطف على ما اذا فقال الكوفيون انه معطوف على
محل الذين لان اسم ان اذا كان مبنيا جاز العطف على محله وان كان قبل ذكر الخبر فيجوز انك زيد ذاهب وان لم يجز ان زيدا وعمرو قائمان وذهب البصريون الى ان
جواز ذلك مطلقا لانه يؤدي الى اعمال ان وهو معنى الابتداء معا في ثلاثة معان يجتمع على المرفوع الواحد ذا فعان مختلفان وانه محال فاذن الصابئون مرفوع
بالابتداء على نية التاخير كانه قيل ان الذين امنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا والصابئون كذلك فيكون هذه جملة معطوفة على جملة
معطوفة على جملة قوله ان الذين امنوا الى اخره ولا محل لها كما لا محل للتي عطفت عليها وفائدة هذا التقديم التنبيه على ان التوبة مقبولة البتة وذلك
ان الصابئين هؤلاء المعدودين ضلالا لانهم صباوا عن الاديان كلها اى خرجوا منها كما قال جل وعلا فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم والعمل صالح قبل
توبتهم حتى الصابئون ولو قبل الصابئين لم يكن من التقديم في شيء لانه ثابت في ضمنه الاصلي وانما يطلب فائدة التقديم للمذكور في موضعه والراجع الى
اسم ان محذوف التقدير من امن منهم كما في البقرة والله اعلم التاويل الفريقين من جعله الله مستعدا لقبول فيض الفهر من اللعن والغضب وجعل صفة

الفرديه والخنزيريه اعني الحيلة والحرص والشهوة من بعض خصائصهم او كانت شرهكا من القرده والخنازير لاستعدادهم وهؤلاء فاطلوا استعدادهم
الفطري ومثل اولئك كالانعام بل هم اضل ولهذا دخلوا بالكفر وهم فلحوا بوابه الرتابيون مشايخ الطريقة والاحبار على الشريعة غلت ايديهم من صلة
الخير مغلولة ومشاهم عن نسيم رياح القصد في تركوه فلهذا قالوا يد الله مغلولة وكل اناء بترشح بما فيه لكن الله ادركه العناية الازلية وسلب عنه صفات
الظلومية والجهولية قال ايهما الله ملاي لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار ينفق كيف يشاء بيده اللطف والقهر على المؤمنين من الهداية والاحسان وعلى
الكافرين من الغواية والخذلان والعينا بينهم العداوة فلا يوجد الا وبينه وبين صاحبه بغض الى ان يتوارثوا تواطبنا بعد بطن ولو ان اهل العلوم الظاهرة
امنوا بالعلوم الباطنة واتقوا الانكار والاعراض ولو انهم عملوا بمقتضيات الكتب المنزلة ومستحسناتها الاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم الى اعلى مقاماتهم من العلماء الظاهرين انه لم تكن سابقا بالخيرات والمقتصد هو العالم المتقي والمريد الصافي وما يستوي
الواصل الكامل العالم الرباني بباقي ما انزل اليك بندرج تحته الوحي والالهامات والمنامات والوقايع والواردات والمشاهدات والكشوف والانوار والاسرار
والاخلاق والمواهب لحفاظ نور معنى النبوة والرسالة فالرسول ان لم يتبلغ بعض هذه الحقايق الى العالم بكلهم الوصول الى الله فلا يحصل مقصود ما ارسل
به فلم يبلغ رسالة الا ان التبليغ مراتب كما انزل اليهم فتبليغ بالعبارة وتبليغ بالاشارة وتبليغ بالتاديب وتبليغ بالتعليم وتبليغ بالتزكية وتبليغ بالتخلية
وتبليغ بالحكمة وتبليغ بجذبات الولاية وتبليغ بقوة النبوة والرسالة وتبليغ بالاستغاثة وللخلق بهم مراتب بحسب قبول الدعوة بحسب استعداد ان الخلقة
انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها والله يعصمك بالوصاف لا هوتية عن اوصافنا سوء تلبث لتتصرف في الخلق بقوة الا هوتية فتوصلهم الى الله
ولا يتصرفون فيك فيقطعوك عن الله بالارباب العلوم الظاهرة لتسلم على شيء من حقيقة الدين حتى تريهم ظاهرك وباطنك بالاعمال والاحوال الواردة في كتب
الالهية وذلك بمقدمتين واربع نتايج فالمقدمتان الجذبة الالهية وبلقيها الاعراض عن الدنيا والتوجه الى المولى ثم تزكية النفس عن
الاخلاق الذميمة وتحلية القلب بالاخلاق الحميدة والنتايج الاربع

لقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل وارسلنا اليهم رسلا كلما جاءهم رسول

الفاصلة والله حسبي ونعم الوكيل بدرستي كه فرا گرفتيم پيمان بني اسرائيل را وفرستاديم بسوي ايشان پيغمبران هر چند كه آوردند ايشان پيغمبر

بما لا تهوى انفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون وحسبوا الا تكون فتنة فعموا وصموا ثم تاب الله عليهم
بآنچه نخواسته انها بود گروهيرا تكذيب كردند وگروهيرا ميكشتند وپنداشتند كه نباشد شكنجه وكفر پس كور و كر شدند پس پذيرفت خدا از ايشان

ثم عموا وصموا كثير منهم والله بصير بما يعملون لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم وقال المسيح
پس كور و كر شدند بسيار از ايشان وخدا بيناست بآنچه ميكنند بدرستي كه كافر شدند آنان كه گفتند كه خدا آن مسيح پسر مريم است وگفت مسيح

يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة وماويه النار
اي بني اسرائيل بپرستيد خداي را پروردگار من وشما بدرستي كه هر كه شرك آورد بخدا پس حرام كرد خدا بر او بهشت را ومنزلش آتش است

وما للظالمين من انصار لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلثة وما من اله الا اله واحد وان لم
ومست از براي ظالمان از ياوري بدرستي كه كافر شدند آنانكه گفتند كه بدرستي كه خدا سيمي از سه است ومست خداي بجز خداي يگانه واگر

ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور
وانمانند از آنچه ميگويند هر آينه درسد آنانرا كه كافر شدند از ايشان عذابي دردناك ايا پس باز نگردند بسوي خدا وطلب آمرزش نكنند او را وخدا آمرزنده

رحيم ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة كانا ياكلان الطعام انظر كيف
مهربانست نيست مسيح پسر مريم مگر پيغمبري كه پيش از ان پيغمبران بوده اند ومادرش راستگو بود كه ميخوردند طعام را نگر كه چگونه

نبين لهم الايات ثم انظر انى يؤفكون قل اتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا
ظاهر ميكردانيم از براي آنها آيات را پس نگر كه چگونه برگردانيده ميشوند بگو كه ايا ميپرستيد از غير خدا آنچه را كه دارا نيست از براي شما ضرري ونه نفعي را

والله هو السميع العليم قل يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا
وخدا اوست شنونده داناه بگو كه اي اهل كتاب درمشويد در دين خود ناحق ويپيروي نكنيد خواهشهاي گروهيرا كه گمراه شدند

من قبل واضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود ع
از پيش وگمراه كردند بسياريرا و باز گرديدند از راه راست لعنت كرده شدند آنانكه كافر شدند از بني اسرائيل بر زبان داود ونيز

وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا
وعيسي پسر مريم اين بجهة نافرماني آنهاست وبودنشان در گذشتگان از حد بودند كه نهي كردندي از ناشايسته كه كردندي آنرا هر آينه بدست آنچه

يفعلون ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم انفسهم ان سخط الله عليهم وفي
ميكنند ميبيني بسياري از آنهارا كه دوستي ميكنند آنانرا كه كافر شدند هر آينه بدست آنچه پيش فرستاده براي نفسهاشان كه خشم كرد خدا بر ايشان ودر

العذاب هم خالدون ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما انزل اليه ما اتخذوهم اولياء ولكن كثيرا
عذاب ايشان جاويدانند واگر بودندي كه گرويدندي بخدا وپيغمبر واآنچه فرود آمد بدو او گرفتندي اشانرا دوستان ولكن بسياري

الماءدة ٥

لان القوة والخنازير

مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ۝ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ
فاسقان هستند هر آینه میابی بسخت ترین مردمان در دشمنی بمرده مؤمنان یهود و زمرهٔ مشرکان و هر آینه میابی نزدیکترین مردمان در دوستی بمرده
آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۝ وَإِذَا سَمِعُوا
ایمان کسانی که گفتند ما ترسایانیم این بجهت است که برخی از ایشان دانشمندانند و زاهدان و بجهت این که ایشان بر تری نمی جویند ۝ و چون بشنوند
ع مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ
آنچه فرو آمدی بسوی پیغمبر دیدی چشمهای ایشان را که میریخت از گریه از آنچه شناختند از حق میگویند که پروردگارا گرویدیم پس بنویس ما را
الشَّاهِدِينَ ۝ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ
با گواهان ۝ و چرا نگرویم بخدا و بآنچه آمد ما را از حق و امید داریم که در آرد ما را پروردگار ما با گروه نیکوکاران
فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ۝ وَالَّذِينَ
پس عوض داد ایشان را خدا بآنچه گفتند بهشتها که روانست از زیر آن جویها جاویدانند دران و هست پاداش نیکوکاران ۝ و آنانکه
كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ۝ القراءة ان لا تكون بالرفع ابو عمرو وسهل ويعقوب وعاصم وحمزة وعلي وخلف غير
كافر شدند و تکذیب کردند آیات ما را آنگروه یاران دوزخند ۝ سهل و حفص و ابی بکر و حماد بالنون بالنصب الوقوف سلام انفسهم لان عامل

كلما قوله كذبوا بقتلون كثيرا منهم بما يعملون ابن مريم ورسلكم النار من نصارى ثلثة لثلاثة هم ان بعده من قول الكفار واحدا لهم ويستغفرونه اتوصل بهم
حسن بناء على ان الواو للحال اى وهلا يستغفرون وهو غفور رحيم مرسول لاحتمال ما بعده الصفة والاستيناف الرسل ذا لواو للاستيناف لا للعطف
صفة لان ما بعده لا يصلح للصفة لان الضمير كانا قيم مشى الطعام يفوكون ولا نفعا واو وصل يحسن على ان الواو للحال اى يعبدون ما لا ينفع
ولا يضر في الحال ان الله لسميع دعاء المضطر وبعلم رجا المعرى العليم السبيل ابن مريم يعتدون فعلوه يفعلون كفروا خالدون فاسقون اشركوا الطور كلا
الفصل بين الوصفين منصارى نصارى لا يستكبرون من الحق لاحتمال فاتلوه الحال الاستيناف الشاهدين من الحق لان الواو بعده للحال الصابر
خالدين فيها المحسنين الجحيم التفسير اصلح الله عز بقوله اوتوا بالعفو واجز الكلام الى ما ابتدا به والمعنى يا بنى اسرائيل اذكروا
نعمتى اى اخذنا ميثاقهم بخلق الدلائل وخلق العقل الهادى الى كيفية الاستدلال وارسلنا اليهم رسلا لتعريفهم الشرايع والاحكام فى الكشاف
كلما جاءهم رسول الخ جملة شرطية وقعت صفة لرسلا والراجع الى الموصوف محذوف اى رسول منهم واقول الاصوب جعلها جملة مستانفة جوابا لسائل
يسئل كيف فعلوا برسلهم ولهذا كان الوقف على رسلا مطلقا اما جواب الشرط فانه محذوف كما اختاره فى الكشاف لانه لا يكون الرسول الواحد لا يكون فريقا ثم لا يجوز
ان يقال ان اكو مناخ احالك اكومت فالتقدير كلما جاءهم رسولهم ناصبوه او عاندوه وقوله فريقا كذبوا جواب قائل كيف فعلوا واقول اما ان لتركيب
المذكور غير مستحسن بغير النزاع واما ان الرسول الواحد لا يكون فريقين فمغلوط لان قوله كلما يدل على كثرة مجئ الرسل فلما صح جعلهم فريقين ومعنى ما
لا تهوى انفسهم بما يضاد شهواتهم لو غيرهم عن التكاليف فانه تقديم المفعول واريد يقتلون مضارعا دكرناها فى سورة البقرة وذكر فى التفسير
الكبير انه ذكر التكذيب بلفظ الماضى لانه استانف الى معاملتهم مع موسى فى التيه ومنعهم عن قبول قوله وقد انقضى من ذلك الزمان ازمان كثيرة وذكر القتل
بلفظ المستقبل لانه ورد الى ما فعلوا بزكريا ويحيى وعيسى على عزمهم وان ذلك الزمان قريب فكان كالحاضر وحسبوا ان لا تكون فتنة قال علماء الادب الافعال
على ثلثة اضرب فعل يدل على ثبات الشئ كالعلم والتيقن فيقع بعده ان المشددة الدالة على ثبات الشئ ايضا لتاكيد مضمونه كقوله ويعلمون ان الله هو الحق المبين
فان خففت ودخل على الفعل لم يجز الا ان يكون مع فعل نحو سوف والسين او حرف نفى ليكون كالعوض من احد النونين ومثل من حذف ضمير الشان مثل علم
ان سيكون وفعل يدل على خلاف الثبات كالاستفزاز لخواطع احتمال ارجوانا يجرى مجرى العلم كقوله والذى اطمع ان يغفر لى
وفعل يحتمل المعنيين يجوز فيه كلا الوجهين كقوله وحسبوا ان لا يكون قرئ بالنصب على ان المصدرية يكون الحسبان بمعنى الظن وبالرفع على ان المخففة او
اى انه لا يكون فتنة فحذفت ان وحذف ضمير الشان وترك حسبانهم لقوة ترجحه صدورهم منزلة العلم وما يشمل عليه صلة ان من المسند والمسند اليه سد
المفعولين وكان تامة والمعنى وحسبوا استقر انه لا يقع فتنة وهى محصورة فى عذاب الدنيا وعذاب الاخرة وعذاب الدنيا اقسام منها القحط ومنها
الوبا ومنها القتل ومنها العذاب والبغضاء فيما بينهم ومنها الادبار والمحوشر وكل ذلك قد وقع بهم وقد فسرنا الفتنة بكل ذلك حسبانهم ان لا يقع
فتنة يحتمل المعنيين الاولين انهم كانوا يعتقدون ان لا نبى لبشر بعد موسى وان كل رسول جا بعده يجب تكذيبه الثانى انهم عظموا كونهم مخطئين فى التكذيب
والقتل لانهم كانوا يقولون نحن ابناء الله واحباؤه وان نبوة اسلافهم تدفع العقاب عنهم ثم ان الآية تدل على ان عماهم الذين صمتهم عن الحق حصل
مرتين فقال بعض المفسرين انهم عموا وصموا فى زمان زكريا ويحيى وعيسى ثم تاب الله على بعضهم حيث فهم للايمان بمن عموا وصموا كثير منهم فى زمان محمد
فانكروا نبوته الا بعضهم كعبد بن سلام واصحابه وقوله كثير منهم بدل عن الضمير كقولك ذا بنا القوم اكثرهم وقيل انه على لغة من يقول اكلونى البراغيث
وقيل خبر مبتدا محذوف اى اولئك كثير منهم وقال بعضهم عموا وصموا حين عبدوا العجل ثم تابوا منه فتاب الله عليهم ثم عموا وصموا كثير منهم بالتعنت وهو

المائدة ١٧

المعنى ثم بين الله جهلهم وقال الفعال انه يجوز ان يكون اشارة الى ما فى سورة بنى اسرائيل فاذا جاء وعد اولاهما وعد الآخرة وفرئ فعثوا وصمّوا بالضم اى رماهم الله وصرّهم بالعمى والصمم كما يقال كبّه اذا صرعه بالركبة ثم انه سبحانه لما استفصح الكلام مع اليهود شرع فى حكاية كلام النصارى فحكى عن فريق منهم انهم قالوا ان الله هو المسيح بن مريم وهذا قول اليعقوبية الغالبين ان مريم ولدت الها ولعل مرادهم انه تعالى حل فى ذات عيسى او اتحد به ثم حكى عن المسيح انه حكى لهم عجز قاطعة على فساد ما اعتقدوه وانه ذلك انه لم يقر بذلك بنفسه وبيّن فى المرتبة الثانية وفى ظهور دلائل الحدوث عليه ثم اكد ذلك المعنى بقوله انه من يشرك بالله اى فى العبادة او فى يجوز الحلول او الاتحاد وفى اجزاء وصفه فى الهاوين او بالعكس فقد حرم الله عليه الجنة التى هى دار الموحدين اى منعه منها وما للظالمين من انصار من كلام الله تعالى او من حكاية قول عيسى لهم وقد نبه بقوله فى آخر سورة آل عمران وبئس القرار على انهم كانوا يعتقدون ان لهم انصارا كثيرا فيما يقولون ويعتقدون فنفى الله تعالى او عيسى ذلك وان كانوا يريدون بذلك تعظيمه قال المفسرون قالت الملكية الثالثة لله ثالث ثلثة معناه ثالث الهة ثلثة ليلزم الكفر والافتراء من شيئين الاول انه تعالى انما يحكى ان النصارى يقولون ان الاب والابن وروح القدس الثلثة اله واحد كما ان الشمس تتناول القرص والشعاع والحرارة وعنوا بالاب الذات وبالابن اله واحد وبالروح الحيوة فالوا ان الكلمة التى هى كلام الله حلت بعيسى على اختلاط الماء بالخمر وزعموا ان الاب اله واحد والابن اله واحد والروح اله واحد والكل اله واحد واعلم ان هذا معلوم البطلان بالبديهة لان الثلثة لا يكون واحدا والواحد لا يكون ثلثة فلا جرم رد الله عليهم بقوله وما من اله الا اله واحد فراد من الاستغراق والمعنى ما اله فطلق الوجود الا اله موصوف بالوحدانية لا اثانى له ولا شريك ثم زجرهم بقوله وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا قال الزجاج يعنى الذين قالوا هذا القول الا ان كثيرا منهم ثابوا الى التوبة من قولهم فمن فى قوله منهم للتبعيض ويجوز ان يكون للبيان والمراد ليمسنهم ولكن ايثر الظاهر مقام المضمر تكثيرا لاشتهاده عليهم بالكفر ودلالة على انهم من الكفر بمكان حتى لو فسر الكفار المعذبون عموما بذلك لخاصته ومعنى عذابهم انه نوع شديد من الالم من العذاب فلا يتوبون قال القراء انما امر بلفظ الاستفهام وهو يحب اصرارهم على الكفر بعد الوعيد الشديد لهم حتى على ابطال معتقدهم بقوله ما المسيح بن مريم الا رسول وهذا ترتيب فى غاية الحسن لانه منعهم من الكفر اولا ثم حثهم على الاسلام ثانيا ثم شرع فى حل شبههم ثالثا ومن ههنا قيل ان المراد باستئناف الامر والمناظرة ان عنت له شبهة بل يسلم اولا ثم يحل شبهته ثانيا والمعنى ما هو الا رسول من جنس الرسل الماضين لا يخطئ الرسالة الالهية كما لم يخطئوا فان خلق من غير ذكر فقد خلق آدم من غير ذكر ولا انثى وان بز الاكمه والابرص احيى الموتى فقد جعل موسى العصا حية تسعى الى غير ذلك من آياته الكبرى وامه صديقة كبعض النساء المؤمنات بالانبياء الصالحات فى اقوالهن وافعالهن واحوالهن قال الزجاج فى وصفها وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين اى من الذين صدقوا انما هو الله وعلى عبوديته هم المجتهدون فى اقامة مراسمها العبودية فيه تكذيب لليهود للنصارى المفرطين فيها او خلوها الها وفيه تكذيب لليهود المفرطين فى شانها حيث نسبوها الى الزنا والى الكذب فى ان عيسى خلق من غير اب وفيه ان من كان لام فقط حدث بعد ان لم يكن فكان مخلوقا لا الها ثم اكد ذلك وبين عجزها بقوله كانا ياكلان الطعام فان المحتاج الى الاغذية يحتاج الى ما ينبعث منه الهضم والنفض وكل هذه الافتقارات دليل ظاهر وبرهان باهر على حدوثهما وافولهما فى حيز الامكان ثم عجب من عجز عن ادراك غاية غوايتهم فقال انظر ايها العبد كيف نبين لهم الآيات الادلة الظاهرة على بطلان قولهم والتعامل وكيف قوله نبين ومفعول انظر محذوف عن غاية غوايتهم فقال انظر انى يصرفون هذه الحالة وتفكر فيها وتمثلها ثم انظر انى يؤفكون كيف يصرفون عن الحق افكه بالفتح يافكه بالكسر افكا بالفتح والسكون صرفه عن الشئ ومنه الافك بالكسر للكذب لانه مصروف عن الحق وارضاه فوكده صرف عنها المطر ومعنى ثم التراخى والبون بين العجبين اى بين لهم الايات بيانا عجيبا ولكن اعراضهم عنها اعجب فحثه الفطن على تامل الحق هو الله او العبد فيه خلاف مشهور بين الاشاعرة والمعتزلة وانت قد عرفت التحقيق فيهما مرارا ثم اقام حجة اخرى على فساد قول النصارى فقال قل اتعبدون من دون الله ما لا يملك اى شيئا لا يستطيع والنفع لا يقدر على مثل ما يضركم به الله من البلايا والمصائب ينفعكم به من صحة والخصب بواسطة او بغير واسطة بل لم يملك شيئا من ذلك لنفسه فان لهم وكانوا يقصدونه بالسجود لم يقدر على نفعهم ومن مذهب النصارى ان اليهود صلبوه وقتلوه ضلالا عنه ولما عطش وطلب الماء صبوا الخل فى منخريه وكان عن معروف الهمة الى عباده الله ولو كان الها كان معبودا فقط لا غالبا والله هو السميع لاقوالهم العليم باطنها وظاهرها ليجازيهم عليه ثم عاد الى مخاطبة الفريقين فقال يا اهل الكتاب لا تغلوا الغلو مجاوزة الحد وكل شئ جاوز حده شاسبه ضده فكيف يتصور غلو حق والله در القائل كل طرفى قصد الامور ذميم لا صوبان يقال انتصب غير الحق على انه صفة ثانية مقام المصدر اى لا تغلوا غلوا كقوله ولا تعثوا فى الارض مفسدين اى افسادا او كقولهم تعلما ايها وتمرنا ما واو سلم ان المصدر هاهنا قد كان غير الحق صفة مؤكدة مثل نفخة واحدة وامس الدابر لا صفة مميزة فافهم ولا تتبعوا اهواء قوم هم المذاهب التى تدعوا اليها الشهوة دون الحجة قال الشيخ فاذكر الله لفظ الهوى فى القرآن لا ذم ولا تتبع الهوى فيضلك وما ينطق عن الهوى فانه من الهوة هوى قال ابو عبيدة لم اجد الهوى موضع الا فى الشر الا بقال فلان يهوى الخير انما يقال لهذا الخير ويحبه قيل سمى هوى لانه يهوى بصاحبه الى الهاوية قال الله تعالى فامه هاوية وما ادراك ما هيه نار حامية قال ابن عباس كل هوى ضلالة فلا تتبعوا من قبل بعض النصرانية واليهودية من بعثة النبى واضلوا كثيرا ممن شايعهم على الكفر قبلهم وفى سنان مرهف وبينها وضلوا

وحدت بخطه

عن سواء السبيل عند مبعث النبي ﷺ فكذبوه والغرض بيان استمرارهم على الضلال قديما وحديثا وقيل الضلال الاول عن الدين والضلال الثاني عن الجنة وقيل الضلال الثاني عنادهم في ذلك الاضلال الامة ارشاد الى الحق لعنهم الله في الزبور وعلى لسان داود وفي الانجيل على لسان عيسى وبه يغيظهم حيث ادعوا انهم ابناء الانبياء وقد لعنوا على السنتهم وقال كثير من المفسرين ان اصحاب بلة كما سيجيء في الاعراف انما اعتدوا في السبت فاذا داود اللهم العنهم واجعلهم آية مستمرة ومدة وان اصحاب المائدة لما اكلوا منها ولم يؤمنوا قال عيسى اللهم العنهم كما لعنت اصحاب السبت فاصبحوا خاسئين قردة وكانوا خمسة آلاف رجل وامرأة ولا صبي وعن الاصم ان داود وعيسى بشرا بمجيء محمد ﷺ ولعنا من يكذبه ذلك اللعن بسبب عصيانهم واعتدائهم ثم فسر المعصية والاعتداء بقوله كانوا لا يتناهون الى آخره والتناهي مبني احدهما وعليه تجمعوا نافاعل من النهي اي كانوا لا ينهى بعضهم بعضا عن ابن مسعود ان بني اسرائيل لما وقع فيهم المعاصي نهاهم علماؤهم فلما لم ينتهوا جالسوهم وواكلوهم وشاربوهم فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون وقال ابن عباس كانوا لا يتناهون لا يتعاونون والمراد لا ينتهون والمراد لا ينتهون هو عن معاودة منكر فعلوه لان النهي عن الفعل لا يفيد والمراد لا ينتهون عن منكر اردوا فعله واحضروا الا ان لا ينتهون ولا يتناهون عن الاصرار على منكر فعلوه ثم عجب سوء فعلهم مؤكدا بالقسم المحذوف فقال لبئس ما كانوا يفعلون ثم لما وصف اسلافهم بما وصفت به من الجاهلية وانهم كثير منهم يتولون المشركين المراد كعب الاشرف واصحابه حين استجاشوا المشركين على رسول الله ﷺ وفارقوه يتولون المشركين اعني قوله هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا لبئس ما قدمت لهم انفسهم من العمل لمعادهم ومحل ان سخط الله عليهم الرفع على انه مخصوص بالذم اي بئس الزاد الآخرة سخط الله عليهم وسببه لو كانوا يؤمنون بالله والنبي وهو موسى وما انزل الله في التوراة كما يدعون ما اتخذوا المشركين اولياء لان بعض ذلك مناكد وشر بعض موسى ولكن كثيرا منهم فاسقون في دينهم لان مرادهم بتحصيل لو ناسبة والجاه باي طريق ندروا عليه بقرب دين وسعي بحصل ان يراد ولو كان هو الهوى المنافقون مؤمنين بالله وبمحمد والقرآن بما ناحالصا ما اتخذوا المشركين اولياء لكن كثيرا منهم فاسقون متمردون في كفرهم ونفاقهم فلهذا يتولون المشركين قال الفضيل لو ان هؤلاء المشركين يؤمنون بالله وبمحمد ما اتخذهم المؤمنون اولياء ثم وصف شدة شكيمة اليهود ولين عريكة النصارى فقال لتجدن يا محمد وكل من له اهلية الخطاب اشد الناس عداوة وقد تعلقت بها اللام في قوله للذين امنوا كما تعلقت بالمودة في بعد ظاهر لا يدل على ان اليهود في غاية العداوة للمسلمين كيف لا وقد تقدم عداوتهم في العداوة بتقديمهم على الذين اشركوا وعن النبي ﷺ ما خلق الله خلقا اشد عداوة لي من اليهود الا ما قل ذكره وروى عن ابن عباس وسعيد جبير وعطاء والسدي ان المراد بالذين قالوا انا نصارى النجاشي وقومه الذين قدموا من الحبشة على رسول الله ﷺ وامنوا به لما سمعوا القرآن من جعفر بن ابي طالب وقرأ عليهم ايضا السائل الشافي من نجا لفهم في الدين باي طريق كان بالفضل او بغصب المال او بوجوه المكاسب الحيل وليس النصارى مذهبهم ذلك بل الابناء في دينهم حرام وهذا هو وجه التفاوت بالعداوة والمودة وقد اكد ذلك بوصف العداوة والمودة بالاسمية والافرنجي في الابهام لفظ الذين ان الفرد والمعهد غاية لهم ففزع قلبك يا محمد لابناء عكرم ولا تحزن على كبدهم ثم ذكر سبب ذلك التفاوت فقال ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا القس والقسيس اسم لرئيس النصارى في العلم والدين وكانه من القس وهو تتبع الشيء وطلبه قال فطرب هو العالم بلغة الروم وهذا ما وقع بينه النوفا فيين اللغتين وقال عروة بن الزبير صحبت النصارى الا بحيل ادخلت فيها ليس منه وبقي واحد من علمائهم على الحق والذين يسمى ومنهم من كان على هديه ودينه وهو قسيس والرهبان جمع راهب كركبان وفرسان في راكب وفارس وقيل انه واحد جمعه رهابين كقربان وقرابين كقربين وصلبين ولكن التظم باباه واصله من الرهبة بمعنى الخوف من الله نعم وانما صارت الرهبانية ممدوحة في مقابلة قساوة اليهود وغلظتهم والا فهي مذمومة في نفسها لقوله تعم ورهبانية ابتدعوها ولقوله ﷺ لا رهبانية في الاسلام وههنا نكتة هي ان كفر النصارى حيث انهم ينازعون الالهية والبنوة جميعا اغلظ في الحقيقة من كفر اليهود لانهم لا ينازعون الا في البنوة لا يقضي بهم القائلين بان عزيرا ابن الله ثم ان النصارى لما لم يشتد حرصهم على طلب الدنيا وعلى الجهوة وافبلوا على العلم والعبادة من الكبر خصهم الله تعم بالمدح وذم اليهود حيث قال ولتجدنهم احرص الناس على حياة على الخوف

الله هم يطعمون في الثواب ان يكون عطفا على لا تؤمن اى ما لنا نجمع بين التثليث وبين الطمع او ما لنا لا نجمع بين الايمان وبين الطمع فانا بهم
بيانا او نظاهر به بدل على انهم انما استحقوا الثواب بمجرد الطمع لكن فيما سبق من وصفهم بمعرفة الحق ما يدل على خلوص عقيدتهم فلا جرم لما انضاف الى الطمع
كمال الايمان ويحتمل ان يكون ماخوذا من قولك هذا قول فلان اى اعتقاده ومذهبه روى عطاء عن ابن عباس ان المراد بما سئلوا من قولهم فاكتبنا مع الشاهدين
قال اهل السنة فيه دليل على ان المعرفة مع الاقرار يوجب حصول الثواب وحتى الكبيرة له للمعرفة والاقرار ولا يدان يؤول لما الى هذا الثواب والمعتزلة يسلمون ان
الاقرار مع المعرفة يوجب الثواب لكن بشرط عدم الاحباط النادر بل لقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل بالتبليغ مع ذرآت ذنوبهم عموما ورسلنا اليهم رسلا بالآيات
في عالم الشهادة ومن الواردات الروحانية في عالم الغيب قريبا كذبوا بعضا كالاهانة والواردات وقريبا يقتلون في عالم الحس لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث
اراد وا ان يسلكوا طريق الحق بقدم العقل فلما هوى في ورطة التيهان واتاه خذلانه سلكوا الطريق بالقدم حذو بان الالوهية على وفق المتابعة الحبيبية فاسقط عنهم
ثرا هين الوصال كلفة الاستدلال ولهذا كان التمثيل بغسل كبده بالماء وبقول نعم الدليل انت ولكن الاشتغال بالدليل بعد الوصول الى المدلول
يخفق لهم ان عيسى بعد التركيب والتحليه صار قابلا للفيض الالهي فكان يخلق ما يخلق ويفعل ما يفعل باذن الله كما ان المرايا المحرقة تحرق بما قبل من فيض
الشمس انه من يشرك بالله ظاهر فقد حرم الله عليه الجنة ومن يشرك به باطنا حرم عليه القربة على السداد وعلى هذا سر الخلافة فان الانسان الكامل
المستوفي للخلافة يقول بقول الحق ورده رد الحق لانه ما هو عن سنة سنى العصبا منكرا لانه يوجب النكرة كما سمى الظاهر معروفا لانها توجب المعرفة ذلك
بان فهم قسمان وهما ما يعرفان تعارف الارواح يوجب ايتلاف الاشباح فالنصارى بركة علمائهم وعبادهم وصفاء قلوبهم وخضوعهم ثبتهم الله كفاية
والموذة من اهل الايمان وعرفوا الحق لما سمعوه في الازل يوم الميثاق فاعترفوا وذلك جزاء المحسنين الذين يعبدون الله وبتأهلهم لتلك بلوا بالمعرفة وطلوع
المحبة فالاحسان ان

يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين ع

بعد الله كانك تراه اى زنهار انهائى كه حرام ساخته ايد حرام مسازيد پاكيزهاى آنچه را كه حلال كرد خدا از براى شما واز حد مگذريد بدرستى كه خدا دوست ندارد از حد گذرندگان

وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم

وبخوريد از آنچه روزى كرد شما را خدا حلال وپاكيزه وبپرهيزيد خدا را آنخداى را كه شما باو ايمان آورده ايد نميگيرد شما را خدا بيهوده در سخنهاى

ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان فكفارته اطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم او كسوتهم

ولكن ميگيرد شما را بآنچه بسته باشيد سوگندان پس كفاره طعام دادن ده نفر بينوايست از ميانه آنچه ميخوريد اهل خود را يا پوشش ايشان

او تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلثة ايام ذلك كفارة ايمانكم اذا حلفتم واحفظوا ايمانكم

يا آزاد كردن بنده پس هر كه نيافت پس روزه سه روز است اين است كفاره سوگندهاى شما چون سوگند ياد كرديد ونگاهداريد سوگندهاى خود را

كذلك يبين الله لكم اياته لعلكم تشكرون يا ايها الذين امنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام

اينچنين ظاهر گرداند خدا از براى شما آيات خود را شايد كه شما سپاس گزيد اى زمره آنهائى كه گرويده ايد جز اين نيست كه شراب وقمار وبتان وتيرهاى قمار

رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة

پليد است از كردهٔ شيطانند پس دور شويد از آن شايد كه رستگار شويد جز اين نيست كه ميخواهد شيطان كه بيندازد در ميان شما دشمنى را

والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة فهل انتم منتهون واطيعوا الله و

وكينه را در خمر وقمار وبازدارد شما را از ياد آورى خدا واز نماز پس آيا شما باز آيندهاشتغانيد وبپيروى كنيد خدا را و

اطيعوا الرسول واحذروا فان توليتم فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين ليس على الذين امنوا و

بپيروى كنيد پيغمبر را وبپرهيزيد پس اگر برگشتيد پس بدانيد كه جز اين نيست كه بر پيغمبر ما است رسانيدن ظاهر نيست بر انها كه گرويدند و

عملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وامنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وامنوا ثم اتقوا

كردند شايستها باكى در آنچه خوردند چون بپرهيزند وگرويدند وكردند شايستها پس پرهيزكردند وگرويدند پس پرهيزكردند

واحسنوا والله يحب المحسنين يا ايها الذين امنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله ايديكم ع

ونيكوكردند وخدا دوست دارد نيكوكاران را اى زمره آنهائى كه گرويده ايد هر آينه بيازمايد شما را خدا بچيزى از شكار كه گرفته بدست شما ورماحكم ليعلم الله من يخافه بالغيب فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب اليم يا ايها الذين امنوا

ونيزهاتان تا بداند خدا كه كيست كه ميترسد او را در نهان پس هر كه از حد گذشت پس از اين پس مر او راست عذاب دردناك اى زمره آنهائى كه گرويده ايد

لا تقتلوا الصيد وانتم حرم ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل

شكار را وشما احرام بسته ايد وهر كه كشت از شما از روى عمد پس پاداش او مانند آنست كه كشت از چهارپايان حكم كنند بآن دو صاحب عدل

منكم هديا بالغ الكعبة او كفارة طعام مساكين او عدل ذلك صياما ليذوق وبال امره عفى الله

از شما قربانى رسيده بكعبه يا كفاره كه طعام دادن چند فقيرست يا عدل آن روزه داشتن تا بچشد وبال امر خود را درگذرد خدا

عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم و

از آنچه گذشته و هر که باز گردد پس انتقام کند خدا از او و خدا غالب صاحب انتقام است حلال شد از برای شما شکار دریا و طعام آن بهره از برای شما و

للسيارة وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما واتقوا الله الذي إليه تحشرون جعل الله الكعبة

کاروانان و حرام کرده شد بر شما شکار دشت مادامیکه احرام بسته باشید و بپرهیزید خدای را که بسوی او گرد آورده شوید قرار داد خدا کعبه را

البيت الحرام قيما للناس والشهر الحرام والهدي والقلائد ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في السموات

که خانه احرام ایستادن مردمان را و ماه حرام را و قربانی و گردن بندان را اینها برای آنست که بدانید که خدا میداند آنچه را که در آسمانهاست

وما في الأرض وأن الله بكل شيء عليم اعلموا أن الله شديد العقاب وأن الله غفور رحيم

و آنچه در زمین است و آنکه خدا بهر چیزی داناست بدانید که خدا سخت عقوبت است و آنکه خدا آمرزنده مهربانست

ما على الرسول إلا البلاغ والله يعلم ما تبدون وما تكتمون قل لا يستوي الخبيث

نیست بر پیغمبر بجز رسانیدن و خدا میداند آنچه را که ظاهر میسازید و آنچه را که پنهان دارید بگو که یکسان نیست ناپاک

والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث فاتقوا الله يا أولي الألباب لعلكم تفلحون القراءة بما

و پاک و هرچند که شگفت آرد تو را بسیاری ناپاک پس بپرهیزید خدا را ای صاحبان خرد شاید که رستگار شوید عقلتم بالتخفيف

حمزة وعلي وخلف غاصم سوى حفص والمفضل وقرأ ابن ذكوان غاقتم بالالف لبناء ون عقدتم بالتشديد يمين وصط مثل ميصوطتان فجزاء بالتنوين

مثل بالرفع يعقوب وحمزة وعلي وخلف وعاصم عن المفضل كفارة طعام بالاضافة ابو جعفر ونافع وابن عامر البناء ون كفارة بالتنوين طعام بالرفع

فيما يغبر الف ابن عامر الوقوف ولا تعتدوا المعتدين طيبا لعطف المنفيين موقنون الايمان لاختلاف النظم مع اتحاد الكلام وفاء التعقيب صبر

ثلثة ايام خلفتم للاضطرار اي حلفتم وحنثتم ايمانكم تشكرون تفلحون وعن الصلوة لابتداء الاستفهام لاجل التخلية مع دخول الفاء به مشهودون احذوا واط

المبين واحسنوا المحسنين بالغيب لتم وانتم حرم وبال امره سلف منه انتقام وللسيارة لطول الكلام ومضار المعنيين وان تفقت الجملتان لفظا حرما

لاطلاقا لامر بالابتداء تحشرون والقلائد عليم رحيم البلاغ تكتمون كثرة الخبيث لاتفاق الجملتين مع وقوع العارض تفلحون التفسير انه سبحانه بعد

استفضا المناظرة مع اهل الكتابين عاد الى بيان الاحكام مبتدئا بحل المطاعم والمشارب واستثناء اللذات كلا نهوهم منوهم ان مدح الشيء

والرغبة فيه يوجب ارتكابهم في هذا الذين قال المفسرون جلس رسول الله يوما فذكر الناس ووصف القيمة وهول مطلعها فرق الناس

وبكوا فاجتمع عشرة من الصحابة في بيت عثمان بن مظعون منهم ابو بكر وعلي وابن مسعود وابو ذر الغفاري وسلمان الفارسي فاتفقوا على ان يصوموا

النهار ويقوموا الليل ولا ينا موا على الفرش ولا ياكلوا اللحم ولا الودك ولا يقربوا النساء والطيب ويلبسوا المسوح ويرفضوا الدنيا ويسيحوا في الارض

ويرهبوا ويجبوا المذاكير فبلغ ذلك رسول الله فقال لهم الم انبأ بكم انكم اتفقتم على كذا وكذا قالوا بلى يا رسول الله وما اردنا الا الخير فقال ان لم امر

بذلك ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فاني اقوم وانام واصوم وافطر واكل اللحم والدسم من رغب عن سنتي فليس مني

ثم جمع الناس وخطبهم فقال ما بال اقوام حرموا النساء والطعام والطيب والنوم وشهوات الدنيا اما اني لست امركم ان تكونوا قسيسين ورهبانا

فانه ليس في ديني ترك اللحم والنساء ولا اتخاذ الصوامع وان سياحة امتي الصوم ورهبانيتهم الجهاد فاعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وحجوا واعتمروا

واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة وصوموا رمضان فاستقاموا فانما هلك من قبلكم بالتشديد شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم فاولئك بقاياهم في الديارات

والصوامع فانزل الله هذه الآية فقالوا يا رسول الله كيف بمن يحلف منا يعني انا الذي حلفنا عليها وكانوا حلفوا على ما تعاقدوا عليه فنزلت لا يؤاخذكم

بالتغو في ايمانكم فهذا وجه نضال الآيات فان قيل ما الحكمة في قوله لا تحرموا ومن المعلوم ان توسع الانسان في اللذات والطيبات يمنعه عن الاشتغال

في تحصيل السعادات الباقيات وله فان الحكماء اذا شبعت الاجسام ضلت الادواح واذا جاعت الاجسام صفت الاجساد واذا ثبت هذا وجب

ان الرهبانية المفرطة مما توقع الآفة في الاعضاء التي بها تستكمل النفس الناطقة كالقلب والكبد والدماغ والانثيان فتختل القوى والعقل الناظر في الجواهر الروحانية

وصيانة على ان النفوس القوية لا يمنعها التقرب في الجسمانيات عن التامل في الروحانيات فالرهبانية دليل الضعف والقصور والكمال في الوفاء بالخير

وكيف لا والرهبانية توجب خراب الدنيا وانقطاع الحرث والنسل وترك الزهد مع رغبة وظائف الطاعة يفضي الى سعادة الدارين قال الفقال انه تعالى

قال في اول السورة اوفوا بالعقود وبين انه كما لا يجوز تحليل الحرام لا يجوز تحريم الحلال وذلك انهم كانوا يحللون الميتة والدم ويحرمون البحائر والسوائب

وبعض لا يحرمون الا بعض ما احل الله ولا يظهرون ما قلنا فحرموا ولا تعتدوا بتحريمها ابتداء او بتحريم كقوله يا ايها الذين لم تحرموا ما احل الله لكم ولا تخلطوا

والقول والعمل بحمل ان يراد لا تحرموا على غيركم بالفتوى ولا تلتزموا تحريمها بنذر او يمين كقوله يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك ولا تخلطوا

المملوك بالمغصوب والطاهر بالنجس خلطا لا يبقى التمييز فانه يحرم الكل والطيبات الملذات التي تشتهيها النفوس وتميل اليها القلوب ونهي عن الاعتداء

مطلقا ليدخل تحته النهي عن الاسراف كقوله كلوا واشربوا ولا تسرفوا وكلوا مما رزقكم الله في مقابل من التبعيض اشارة الى

الاقتصاد والاقتصاد في الاكل على البعض وصرف الباقي الى المحتاجين وبينه بقوله هو الذي يرزق عبيده وتكلفهم انما هو في التفصيل الكبير وقيل

المائدة

حلالا طيبا ان كان متعلقا بالاكل كان حجة للمعتزلة على ان الرزق لا يكون الا حلالا لانه يدل على الاذن في اكل كل ما رزق الله نعم واما ما اذن في اكل الحلال فيلزم ان يكون كل رزق حلالا وان كان متعلقا بالمأكول اى كلوا من الرزق الذي رزقكم الله يكون حلالا لكان حجة لاصحابنا الا ان التقييد بوزن بان الوزني قد لا يكون حلالا اقول هذا قرئ ضعيف في الكشاف حلالا لاجل ما رزقكم الله مع انه من المعتزلة ثم اكد التوصية بقوله واتقوا الله وزاد تاكيدا بقوله الذي انتم به مؤمنون لان الايمان به يوجب اتقاؤه في اوامره ونواهيه ثم قال لا يؤاخذكم وقد ذكرنا وجه النظم انفا وقد تقدم معنى بين اللغو في سورة البقرة اما قوله بما عقدتم الايمان من قرأ بالتخفيف فانه صالح للقليل والكثير فلا اشكال ومن قرأ بالتشديد فانا نعيد اعتراض عليه بان التشديد للتكثير هذه القراءة توجب سقوط الكفارة عن اليمين الواحدة واجاب الواحدي بان عقد بالتشديد واحد في المعنى ولو سلم فالتكثير يحصل بان يعقدها بقلبه لسانه اما لو عقد اليمين باحدهما دون الاخر فلا كفارة ومن قرأ بالالف قال القراءة المخففة كقوله غائبة اللص وعافاه الله والمعنى على القراءة الاولى لكن يؤاخذكم بعقدكم الايمان او بتعقيدها او معاقدتها اذا حنثتم فحذف الظرف للعلم والمراد بتكثير المعقود تكثير متعلقه بجعل المضاف نكرة اى لكن يؤاخذكم بعقد كثير من شأنها ان تكفر الخطيئة اى بشرها احد هذه الامور وبسببها الواجب المخير وحاصله انه لا يجب لايمان بكل واحد منها ولا يجوز الاخلال بجميعها ولكنه اذا اتى باى واحد شاء منها فانه يخرج عن عهدته ومن هنا قال اكثر الفقهاء الواجب واحد لا بعينه من الاطعام والكسوة وتحرير الرقبة فان عجز عنها جميعا فالواجب شيء اخر وهو الصوم اما مقدار الطعام فقد قال الشافعي يغلب كل مسكين مدا اى ثلثا من وهو قول ابن عباس وزيد بن ثابت وسعيد بن المسيب والحسن البصري لانه تعالى قال من اوسط ما تطعمون فان كان المراد ما كان متوسطا في العرف ثلثا من من الحنطة اذا جعل دقيقا وخبز فانه يصير رغيفا من المن وذلك كاف لواحد يوم واحد وان كان المراد ما كان متوسطا في الشرع فليس له في الشرع مقدار الا انا اخذنا في هذا الاعرابي المفطر ان ينجم امره باطعام ستين مسكينا من غير تقدير فقال الوجل اما احد فاني لبقر بها يعني حرتي عشرة اصاعا فقال النبي صلى الله عليه وسلم اطعم هذا ولا يدل على تقدير طعام المسكين بربع الصاع وهو مد ولا يلزم كفارة الحلق لانها شرعت بلفظ الصدقة مطلقة عن التقدير باطعام الا هنا وكان تكفيرها معتبرا بصدقة الفطرة وقد ثبت بالنص تقديرها بالصاع لا بالمد وقال ابو حنيفة الواجب نصف صاع من الحنطة او صاع من غيرها لان الاوسط هو الاعدل فاذكره الشافعي هو اولى فانا لا نعدل انه يكون بادام وهكذا روي عن ابن عباس مدا بادام والادام تبلغ قيمته بالاخرة يزيد في الاغلب اجاب الشافعي ان الادام غير واجب بالاجماع فلم يبق الا حمل اللفظ على الوسط في قدر الطعام ومقداره فاذكرنا وخلص الطعام المخرج جنس الفطرة ثم قال الشافعي الواجب تمليك الطعام فيما سوى الكسوة وقال ابو حنيفة اذا غدى وعشى عشرة مساكين جاز لان ذلك طعام وان الطعام الامر بكون بالتمكين لا بالتمليك وقد قال من اوسط ما تطعمون اهليكم ولقائل ان يقول كل طعام الاهل لتعيين مقدار المطعم لاجل كفية الاطعام وقال ابو حنيفة لو اطعم مسكينا واحدا عشرة ايام جاز وقال الشافعي لا يجزيه الا اطعام عشرة لان مدار الباب على التعدد لانه لا يعقل معناه يجب وقوفا على صورة النص قال في الكشاف وكسوتهم عطف على محل من اوسط وجوز ابن الانباري ان يكون هو المقصود فكانه قيل فكفارته من اوسط واقول الاظهر ان يكون من اوسط مفعولا اخر للاطعام سواء كان من للابتداء او للتبعيض ويكون كسوتهم معطوفا على الاطعام والكسوة معناها اللباس وهو كما يكفي يجزي قال الشافعي اقل ما يقع عليه اسم الكسوة وهو ثوب يغطي العورة ازارا او رداء او قميصا او سراويلا او عمامة او مقنعة لكل مسكين ثوب واحد لما روي عن ابن عباس كانت العباءة تجزي يومئذ وعن مجاهد ثوب جامع وقال الحسن ثوبان ابيضان والمراد بالرقبة الجملة كان لا سبيل في العرف يجمع بداءة الى رقبته فاذا اطلق حمل ذلك الحمل فسمي الاطلاق من الحمل ذلك رقبة ثم اجري ذلك على العتق هكذا قيل في اصل هذا المجاز وهذهب اهل الظاهر ان جميع الرقاب مجزئة وقال الشافعي لا يجزيه الا كل سليم من عيب يخل بالعمل صغيرة كانت او كبيرة ذكرا او انثى بعدان كانت مؤمنة فيما سوى كفارة القتل ولم يجوز اعتاق المكاتب ولا ام الغرث في تقديم الاطعام على العتق مع ان العتق افضل نبه على التخيير ان الامر مبني على التخفيف ويمكن ان يقال الاطعام افضل لان الحر الفقير فقد لا يجد الطعام او لا يكون هناك من يعطيه فيقع في الضرار العبد يجب على مولاه طعامه وكسوته فالعتق يحتمل التاخير والاطعام قد لا يحتمل ذلك فمن لم يجد احد الامور الثلثة فعليه صيام ثلثة ايام قال الشافعي اذا وجد دون نصف ثمن رقبة دون عيالا يومه وليلته ومن الفضل ما يطعم عشرة مساكين لزمه الكفارة بالاطعام واذا لم يكن عنده ذلك القدر جاز له الصيام وذلك انه علق جواز الصيام على عدم وجدان الخصال الثلث فعند وجدانها وجب ان لا يجوز الصوم تركنا العمل به عند وجدان دون نصف ثمن عيالا يومه وليلته لان ذلك ضرر وفي تقديم حق النفس على حق الغير واجب بسنة فيقيد الاية بمعلوم كما مر في غيره وعند ابي حنيفة يجوز الصيام اذا كان عنده من المال ما لا يجب فيه الزكوة ثم صيام الايام الثلثة مشروط عندنا بالتتابع حتى لو فرق لم يجزه بقراءة ابي وابن مسعود فصيام ثلثة ايام متتابعات فان قراءتهما لا تخالف قراءتنا وانما تخالف في صحة قوله ان القراءة جائزا بالقراءة الشاذة لا تفيدها لانها لو كانت صحيحة لنقلت نقلا متواترا وقد روي عن البتي ان رجلا قال لابن عباس اني قضيتها متفرقات فقال ارايت لو كان على ابيك دين فقضيت الدرهم فالدرهم اما كان يجزيك قال بلى فالله احق ان يعفو ويصفح واذا جاز هذا التفريق في صوم رمضان ففي غيره اولى وما يفيد العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب مسئلة من صام ستة ايام عن يمينين اجزاه ولا حاجة الى تعيين احد الثلثين لان الواجب عن كل واحد ثلثة ايام وقد اتى بها فخرج عن العهدة ذلك المذكور كفارة ايمانكم اذا حلفتم وحنثتم فحذف ذكر الحنث للعلم بان الكفارة لا تجب بمجرد الحلف للشبهة على ان الكفارة لا يجوز تقديمها على اليمين واما بعد اليمين وقبل الحنث فيجوز وبه قال مالك والشافعي واحمد واما قبل اليمين فلا قال الشافعي اذا حلف على يمين فرأى غيرها خيرا فكفر عن يمينه

احلف اليمينه

ثم اثبت بالذي هو خير لان الكفان حرفان في ما وبين مجاز بعمله بعد وجود احد السببين كتحمل الزكوة بعد وجود النصاب هذا اذا كان بكفر بغير
الصوم اما الصوم فلا يجوز تقديمه لان العبادات البدنية لا تتقدم على وقتها اذا لم تمس اليه حاجة كالصلوة وصوم رمضان ولان الصوم انما يجوز للتكفير
بر عند العجز عن جميع الخصال المالية وانما يتحقق العجز بعد الوجوب ان كان الحنث بار تكاب محظور كان حلف لا يشرب الخمر اجزاء التكفير قبل الشرب
ايضا لوجود السببين في التكفير لا يتعلق به استباحة ولا تحريم بل المحلوف عليه حرام قبل اليمين وبعدها وقبل التكفير وبعده لا اثر لهما فيه جميع ما
ذكرنا ظاهر هذا مذهب الشافعي واصحابه فلا يجوز التكفير قبل الحنث عندهم واحفظوا ايمانكم فلوها ولا تكثروا منها واحفظوها اذا حلفتم
عن الحنث وعلى هذا يكون الايمان محفوظة بالحنث فيها معصية كمن حلف لا يشرب الخمر بخلاف ما لو حلف ليشربن فانه لا يؤمر بالحفظ عن الحنث
وقيل احفظوها بان تكفروها او المراد لا تنسوها فتاثموا كذلك مثل ذلك ابيان الشافي يبين لكم اياته احكامه واعلام شريعته لعلكم تشكرون
نعمة البيان وتسهيل المخرج من الحرج ثم انه سبحانه استثنى من جملة الامور المستطابة الخمر والميسر فقدم مقدمتها وما يتعلق بهما في سورة البقرة وسلك
في تلك النجوى الانصاب والازلام وقد ذكرناها في اول هذه السورة واعلم انه كان تحدث قبل تحريم الخمر اشياء يكرهها رسول الله ﷺ منها فتنة على ابن عبد الله
كرم الله وجهه مع عمه حمزة على ما روي في الصحيحين انه قال كانت لي شارف من نصيبي من المغنم يوم بدر وكان رسول الله ﷺ اعطاني شارفا من الخمس فلما
اردت ان ابني بفاطمة بنت رسول الله ﷺ واعدت رجلا صواغا من بني قينقاع ان يرتحل معي فنبتغي ان نبيع من الصواغين ان يعينوا على وليمة
عرسي بنبا ان اجمع لشارفي متاعا من الاقتاب والغرائر والحبال وشارفاي مناختان الى جنب حجرة رجل من الانصار فلما ان اضفت ما جئت فاذا شارفي قد جب
اسنمتهما وبقرت خواصرهما واخذ من اكبادهما فلم املك عيني حين رايت ذلك المنظر منهما فقلت من فعل هذا فقالوا فعله حمزة بن عبد المطلب وهو في البيت في شرب
معه الانصار فانطلقت حتى جئت البيت الذي هو فيه فاستاذن عليه فاخبر انه قد ثمل فدخلت على اثره فعرف رسول الله ﷺ ما في وجهي فقال ما لك فقلت يا رسول الله ﷺ ما رايت
كاليوم عدا حمزة على ناقتي فاجب اسنمتهما وبقر خواصرهما وها هو ذا في بيت معه شرب فدعا رسول الله ﷺ برداءه ثم انطلق يمشي واتبعته
انا وزيد بن حارثة حتى جاء البيت الذي هو فيه فاستاذن فاذن لنا فاذا هم شرب فطفق رسول الله ﷺ يلوم حمزة بما فعل فاذا حمزة قد ثمل محمر عيناه فنظر حمزة الى رسول
الله ﷺ ثم صعد النظر فنظر الى وجهه ثم قال هل انتم الا عبيد لابي فعرف رسول الله ﷺ انه قد ثمل فنكص على عقبيه القهقرى فخرج وخرجنا فكانت هذه القصة من الاسباب
الموجبة لنزول تحريم الخمر فان قلت لعل هذا انما يحرم بها من وجوه منها تصدير الجملة بانما الدالة على الحصر بمعناه ليست الخمر الا الرجس من عمل الشيطان
ومنها انه قرنها بعبادة الاصنام ومنها قوله فاجتنبوه شارة بالخمر كعابد الوثن ومنها انه جعلها رجسا كما قال في موضع اخر فاجتنبوا الرجس من الاوثان واصل الرجس
العمل القبيح والقذر قال الفراء ويجعل الرجس على الذنب الايقاع ما على العقاب والغضب كانه اقال الرجز والرجس بالفتح الصوت الشديد من الرعد
من هدير البعير فلما سمي العمل القوي الذي جاء في البعير رجسا ومنها انه جعلها من عمل الشيطان ومن المعلوم انه لا يصدر منه الا الشر البحت ومنها انه
امر بالاجتناب في ظاهر الامر للوجوب ومنها انه جعل الاجتناب عنه عين الفلاح فيكون القرب منها خيبة والتصريح فاجتنبوه عائدا الى الرجس والعمل
او الى المضاف المحذوف اعني انما تعاطي الخمر ونحو ذلك ومنها شرح انواع المفاسد المنتجة منها من التعادي والتباغض والصد عن ذكر الله وعن الصلوة
خصوصا وفيه ان عرض الشر هين من الاجتماع تاكل الاقذر والمودة ثم انها تورث بغيض المفضول لان العقل انما زال استيلاء الشهوة والغضب وهو ذي شارع
والجاح وكذا القمار يفضي الى فناء المال الى ان ربما مر على الجبة اهله وولده وكل ذلك يورث لذة الغلبة الحالية وكلتاهما توجب الاشتغال عن الله
الحقيقية الحاصلة من الاستغراق في تاعة المعبود وانما ادرج ذكر الخمر والميسر انا بالان الخطاب مع المؤمنين فنظرهما او لا بدكر الانصاب والازلام بينهما
انهما جميعا من اعمال الجاهلية واعلم الشر ثم ادرجهما لان الكلام يسوق لتحريمهما على المخاطبين حيث انهم كانوا لا يتعاطون الا هذين ومنها سوق الكلام
بطريق الاستفهام في قوله فهل انتم منتهون كانه قيل قد تلي عليكم ما هو كالنهي بباب المنع مع فنون التصوير فهل انتم منتهون انام انتم على ما كنتم عليه كان لم تسمعوا
ولهذا قال الواقدي لما نزلت هذه الاية قال عمر انتهينا انتهينا ومنها انه قال بعد ذلك واطيعوا الله واطيعوا الرسول واحذروا والظاهر ان المراد الطاعة فيما
من الامر بالاجتناب الحذر عن المخالفة وذلك لان فيها مفاسد دنيوية بعضها مذهب بعض ما لف هذا التكليف بقوله فان توليتم الاية وانما عرضهم فاجمة قد قامت
عليكم والرسول فما خرج عن عهدة البلاغ وقد اخذ عن انذر وجواب الخالف الى الله تعالى ومنها قول ابن قمئة كنت ساقي القوم يوم حرمت في بيت ابي طلحة
وما شاربهم الا الفضيخ البسر والتمر فاما دنى بها دنى لان الخمر قد حرمت فان تجب في نسكها اذبحه فقال ابو طلحة اخرج فاروقها فقالوا فعلوا فلا
وفلان وهو في بطونهم فانزل الله تعالى ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الطعم خلافا لشريك الا غلبت قد يقع على المشروب كقوله
وصرام بطعمه فانه قد يجوز ان يكون المراد فيما شربوا من الخمر ويحتمل ان يكون معنى الطعم راجعا الى التلذذ بما يؤكل ويشرب جميعا فقد يقول العرب طعم
ذوقي ونظير هذه الاية قوله ليس على البقلة وما كان الله ليضيع ايمانكم والعامل في اذا ما انفوا معنى الكلام المتقدم اي لا يامنون في ذلك اذا ما اتقوا المحرمات
لانهم شربوا حين كانت محللة والمراد ان ذلك كان على هذه الصفة وعولنا عليهم وحملنا حوالهم في الايمان والتقوى والاحسان وزعم بعض
الجهلة ان هذا الحكم معلق بالمستقبل والا لم يكن اوساكان حتاج مثل وما كان الله ليضيع والمعنى لا جناح على من طعمها اذا لم يحصل معه العذاب

والبقية

والبغضاء وسائر المفاسد المذكورة بل حصل معها نوع المصالح من الطاعة والتقوى والاحسان الى الخلق والجواب ان صيغة طعموا وهي المضي تأباه دائما
ان سبب نزول الآية يكذبه رواية ابو بكر الاصم انه لما نزل تحريم الخمر قال ابو بكر يا رسول الله ﷺ كيف باخواننا الذين ماتوا وقد شربوا الخمر وأكلوا القمار
وكيف بالغائبين عنا في البلاد لا يشعرون بتحريم الخمر وهم يطعمونها فنزلت وعلى هذا فالحال قد تثبت فيما يستقبل لكن في حق الغائبين الذين لم يبلغهم هذا النهي
ثم انه سبحانه شرط في نفي الجناح حصول التقوى والايمان مرتين وفي الثالثة التقوى والاحسان فقال الاكثرون الاول فعل الانقاء والثاني والرابع
عليهم الثالث انقاء ظلم العباد مع الاحسان اليهم وقيل الاول انقاء جميع المحرمات قبل نزول الآية والثاني انقاء الخمر والميسر مما في هذه الآية والثالث انقاء
تحريمه بعد هذه الآية وهذا قول الاصم وقيل اتقوا الكفر ثم الكبائر ثم الصغائر وقال القفال الاول الانقاء من القدح في صحة النهي ليثبت تحريم الخمر بعد انكار
مباحه والثاني الايمان بالعمل المطابق للآية والثالث لما وضع التقوى مع الاحسان الى الخلق ثم أسبغها انه استثنى بعض القيود من المحللات فقال على سبيل
التوكيد القطعي ليبلونكم اي ليعاملنكم معاملة المختبر شيء التنوين للتحقير وبيانه ليس الغرض العظام التي تدخر عندها الانفس بل يبذل الارواح
والاموال فاخبر الله تعالى محمدا ﷺ بصيد البر كما امتحن اصحاب ايلة بصيد البحر قال مقاتل بن حيان ابتلاهم بالصيد محرمون عام الحديبية حتى ان الوحش
والطير يغشاهم في رحالهم فيقدرون على اخذها بالايدي وصيدها بالرماح وما دار حولهم فنهاهم الله عن ذلك فما تناهوا قال الواحدي الذي نبأ
ايلة من الصيد الفرح والبهق وضعف الوحش والذي تناله الرماح الكبار ومن في من الصيد للتبيين او للتبعيض وهو صيد البر وصيد الاهوام والمراد
بر العين لا الحدث بدليل عود الضمير في تناله اليه ليعلم الله ليظهر معلوما وهو حذف الخافض او ليعاملكم معاملة من يطلب ان يعلم او ليعلم اولياء الله
ومحل بالغيب النصب على الحال اي يخافه حال كونه غائبا عن رؤيته او عن خصوص الناس ممن يعتد خشيته فما بعد ذلك الا ابتلاء فله عذاب اليم في الاخرة وقيل
في الدنيا عن ابن عباس هو ان يضرب بطنه وظهره ضربا وجيعا ويتوعد بشيء بينه لا تقتلوا الصيد قال الشافعي انه البري المتوحش المأكول اللحم الاول فلقوله تعالى
بعد ذلك احل لكم صيد البحر واما المتوحش فيدخل فيه نحو الظبي وان ضاما مستأنسا ويخرج الانسي وان ضاما متوحشا ابقاء لحكم الاصل واما كونه مملوكا
فلقوله تعالى وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما فيعلم منه انه ما جعل اكله في غير الاحرام وقال ابو حنيفة المحرم اذا قتل سبعا عاديا واجنى لاحد حنيفة بقول علي رضي الله عنه صيد الحلال
اذا رابك فاقتله واذا ركبك فاضربه ولا بطال ذنب بان التعليل عنده ناحلال وانتم حرم اي محرمون بالحج والعمرة ايها على الاصح وقيل قد دخلتم الحرم وقيل
هما مرادان بالآية وهو قول الشافعي فقوله لا تقتلوا يفيد المنع ابتداء والمنع تسببا فليس لمن يتعرض للصيد ما دام محرما او في الحرم بالسلاح او بالكلاب
من الكلاب الطيور سواء كان الصيد صيد الحل او صيد الحرم ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من قرأ جزاء بالتنوين ومثل بالرفع فالمعنى فعليه
جزاء صفته كذا ومن قرأ بالاضافة فمن باب اضافة المصدر الى المفعول اي فعليه ان يجزي مثل ما قتل فان لا يعقل العلماء المثل فهم للتأكيد اذ الواجب عليه جزاء
المقتول لا جزاء مثله وهو كقولهم انا احب مثلك اي احبك وقيل الاضافة بمعنى من اي جزاء من مثل ما قتل قال سعيد بن جبير المحرم اذا قتل الصيد خطأ لا
يلزمه شيء وهو قول داود ودليلنا النهي الوارد عن التعمد وهو ان يقتله ذاكرا لاحرامه وعالما ان قاتله مما يحرم عليه قتله فان قتله وهو ناس لاحرامه او رماه
صيدا وهو يظن انه ليس بصيد او رمى غير صيد فقتل صيدا فهو مخطئ لا شيء عليه لفقدان العمد المذكور وبهذا تأكد هذا الراي بقوله
ليذوق وبال امره وبقوله ومن عاد اي الى ما تقدم ذكره وهو القتل العمد والانتقام انما يناسب العمد لا الخطأ وقال جمهور الفقهاء يلزمه الضمان سواء
قتل عمدا او خطأ بناسا على سائر محظورات الاحرام كحلق الرأس وغيره وكما في ضمان مال المسلم فانه لما ثبت احترامه تحقق المالك لم يختلف ذلك بكونه
عمدا او لا وانما ورد الآية بالتعمد لان العمد اصل والخطأ ملحق به للتغليظ ولما روي انه عن لهم في حمر الحديبية حمار وحش فحمل عليه ابو اليسر فطعنه
برمحه فقتله فقيل له انك قتلت الصيد وانت محرم فنزلت الآية على وفق القصة وعن الزهري نزل الكتاب بالعمد ووردت السنة بالخطأ قال في الضبع
كبش اذا قتله المحرم وقالت الصحابة في الظبي شاة اطلقوا الضمان من غير فرق بين العمد والخطأ ثم العلماء اختلفوا في المثل فقال الشافعي ومحمد المثل
الصيد صورة بان ضمنه ما له مثل منه ما لا مثل له فضمنه بالقيمة وقال ابو حنيفة وابو يوسف المثل الواجب هو القيمة قياسا على ما لا مثل له ترجح الشافعي
قوله تعالى من النعم فانه بيان للمثل وكذا قوله هديا بالغ الكعبة وعن ابن عباس انه حكم في الضبع بكبش وعن علي وعمر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وابن عباس وابن عمر انهم حكموا في امكنة مختلفة وازمنة متعددة في جزاء الصيد بالمثل من النعم فحكموا في النعامة ببدنة وفي حمار الوحش ببقرة وفي الظبي
بكبش وفي الغزال بعنز في الظبي بشاة وفي الارنب بعناق وفي اليربوع بجفرة وفي الضب بسخلة وفي الحمام بشاة ويعني به كل ما عب وهدر
كالقمري والدبسي والفاختة والعب شرب الماء مرة والهدير ترجيعه صوته وتغريده وفيه دليل على انهم نظروا الى اقرب الاشياء شبها بالصيد
من النعم ولو نظروا الى القيمة لاختلف باختلاف الاسعار والظبي الذكر من هذا الجنس والغزال الانثى والجفر من اولاد المعزى اذا فصلت عن امها والعنز
الانثى من اولاد المعز وفيه ان المضمون من الضمان جبر الهلاك فكلما كانت المماثلة اتم كان الجبر اكمل مسائل الاولى جماعة محرمون قتلوا صيدا فان لشافعي
واحمد واسحق لا يجب عليهم الا جزاء واحد لان مثل الواحد واحد ابو حنيفة ومالك والثوري على كل منهم جزاء واحد كما لو قتل جماعة واحدا فانه يقتص من جميعهم
وكذا لو حلف كل منهم ان لا يقتل صيدا فقتلوا صيدا واحدا لزم كلا منهم كفارة واجيب بان قتل الجماعة بالواحد تعدي وتعدد الكفارة لتعدد

الايمان الثانية الشافعي المحرم اذا دل غيره على صيد فقتله لم يضمن لانه لا يجب بالدلالة لان القتل فعل والدلالة ليست بقتل ولانه لا دلالة لابي حنيفة يضمن لما روى ان عمر وعبد الرحمن بن عوف وابن عباس اوجبوا الجزاء على الدال الثالثة الشافعي اذا جرح ظبيا فنقص من قيمته العشر وغليه عشر قيمة الشاة ارشادا الى ما هو الاسهل لانه قد لا يجد بشرا يكافئ ذبح شاة وبتعذر عليه اخراج بعض من الحيوان وقال المزني عليه عشر شاة وقال داود لا ضمان الا بالقتل لظاهر الآية حيث ربط الجزاء بالقتل فقط الرابعة اذا قتل المحرم صيدا وادى جزاءه ثم قتل صيدا اخر لزمه جزاء اخر خلافا لداود وروى مثله عن ابن عباس وشريح تمسكوا بان الحكم يتكرر بتكرر العلة بخلاف ما لو قال لنسائه من دخل منكن الدار فهي طالق فدخلت مرتين فانه لا يقع الا طلاق واحد لان تكرر الحكم يتكرر الشرط غير لازم تمسك داود بقوله تعالى ومن عاد فينتقم الله منه فانه جعل جزاء العائد الانتقام لا الكفارة الخامسة قال الشافعي اذا اصاب صيدا اعور او مكسور اليد او الرجل فداؤه بمثله والصحيح احب كذا الكبير الاجل الصغير والذكر بقيمة الذكر والانثى والانثى والله اعلم

لا يجزئ الخصي في المثلية فان الانثى افضل لانها تلد والذكر افضل من حيث ان لحمه اطيب وصوته احسن قوله سبحانه يحكم به ذوا عدل منكم قال ابن عباس اي حكمان صالحان فيقولان من اهل حكمكم ينظران الى اشبه الاشياء به من النعم فيحكمان به وبهذا الحق من نصر قول ابي حنيفة فقال التقويم هو المحتاج اليه النظر لا المماثلة واما الخلقة والصورة فمشاهدة لا يفتقر الى الاجتهاد وردت بان وجه المشابهة بين النعم والصيد ايقع بوقوف على الاجتهاد عن فضيلة بن جابر انه رمى ظبيا في الاحرام فمات فسئل عمر وكان الى جانبه عبد الرحمن بن عوف فقال له ما ترى فقال علية شاة قال فاني ارى ذلك فاذهب فاهد شاة قال فمضيت فرجعت الى صاحبي فقلت انا امير المؤمنين لم يرد ما يقول حتى سئل غيره قال فضربني بالدرة وقال اتفتي في الحرم وتسفه الحكم قال الله تعالى يحكم به ذوا عدل منكم قال انا عمر وهذا عبد الرحمن قال الشافعي ما ورد به نص فهو متبع كما ورد به نص في الضبع بكبش وكل ما حكم به عدلان من الصحابة اولا نابعين ومن اهل عصر اخر من النعم انه مثل الصيد المقتول يتبع حكمهم ولا حاجة الى تحكيم غيرهم لان بحكمهم اقوى ونظرهم اعلى وقال مالك يجب التحكيم فيما حكمت به الصحابة وفيما لم يحكم وهل يجوز ان يكون قاتل الصيد حكما ان كان القتل عمدا عادا قالا لا نه مورد الفسق والحكم موصوف بالعدالة وان كان خطأ او كان مضطرا اليه فكذلك عند مالك كما في تقويم المتلفات وجوزه الشافعي لما روى ان بعض الصحابة اوطأ فرسه ضبا فسئل عمر فقال احكم فيه فقال انت خير فهيم واعلم يا امير المؤمنين فقال انما امرناك ان تحكم فيه لم امرك ان تزكيني فقال الرجل اري فيه جديا فقال عمر ذلك فيه وايقم فانه حسن يجوز ان يكون من علية مبنيا فيه كما ان زنا المحصن في الزكوة ولو حكم عدلان بان له مثلا واخران بانه لا مثل له فالاخذ بقول الاولين ولو حكم عدلان بمثلين واخران بمثل احدهما فالوجه ان له ان يخير والاحرام باخذ بالاغلظ مثل في الابتداء لان العمل بالاجتهاد والقياس جائز واجيب بانه لا نزاع في القيم الجزئية كالاجتهاد في القبلة وكالعمل بشهادة الشاهدين وبتقويم المقومين في قيم المتلفات وارش الجنايات وكالعمل العامي بالفتوى وكالعمل بالظن في مصالح الدنيا انما النزاع في اثبات شرع عام في حق جميع المكلفين بان على وجه الدهر والا لم يفد ان يجوز الاجتهاد في القبلة وفي يعين مثل النعامة امر على انه يجب ان ينسب هديا على انه حال عن جزاء عند من وصفه بمثل لانه نوح فرب من المعرفة اريد بها عن تحمل مثل عند من اضاف او حال عن الضمير في به وهو صيد هذا بالغ الكعبة لان اضافته غير حقيقية تقديره بالغا الكعبة والعرب تسمي كل بيت مربع كعبة ولا سيما اذا كان مرتفعا ومعنى بلوغه الكعبة ان يذبح في الحرم لان الذبح والنحر لا يقعان في نفس الكعبة ولا في غالب القرى الثلاث ضحى منها فان دفع مثل الصيد المقتول الى الفقراء حتى لم يجز فالشافعي يجب عليه ان يضيف به في الحرم ايضا لان نفس الذبح لا يلزم ولا قربة فيه وانما القربة في التصدق على فقراء الحرم وقال ابو حنيفة له ان يتصدق به حيث شاء لانها لما وصلت الى الكعبة فقد خرج عن العهدة قوله او كفارة عطف على قوله فجزاء وطعام مساكين بيان له ومن اضاف فلبيانه ايضا اي كفارة من طعام مساكين مثل خاتم حديد او عدل ذلك الطعام صياما نصب على التمييز كقولك لي مثله رجلا او عدل الشيء ما عادله من غير جنسه العدل بالكسر المثل يقول عندي عدل غلامك اذا كان غلامك يعدل غلامك اذا اردت قيمته من غير جنسه فتحت العين ثم مذهب الشافعي انه يصوم لكل مد يوما ومذهب ابي حنيفة انه يصوم لكل نصف صاع يوما وذلك بحسب الاختلاف في طعام مسكين واحد كما مر في كفارة اليمين وبالجملة فحاصل مذهب ابي حنيفة انه يوجب قيمة الصيد بقوم حيث صيد فان بلغت قيمته ثمن هدي تخير بين ان يهدي من النعم ما قيمته قيمة الصيد وبين ان تشتري بقيمته طعاما فيعطي كل مسكين نصف صاع من بر او صاعا من غيره وان شاء صام عن طعام كل مسكين يوما وحاصل مذهب الشافعي ان الصيد ان شابه شيئا له مثل من النعم كالظبي والارنب جزاه على التخيير والتعديل فيتخير بين ان يذبح مثله فيتصدق به على مساكين الحرم اطابان يفرق اللحم ويملك جملته اياهم يذبحوها وبين ان يقوم المثل دراهم ثم لا يجوز ان يتصدق بالدراهم ولكن ان شاء اشترى بها طعاما ويتصدق به على مساكين الحرم وان شاء صام عن كل مد من الطعام يوما حيث كان والثاني وهو ما ليس بمثلي كالعصافير وغيرها فالجملة كل ما دون الحمام او فوقه بقيمته ولا يتصدق بها بل يجعلها طعاما ثم ان شاء تصدق بها وان شاء صام عن كل مد يوما فان تكسر بعد التقويم صام يوما او ان الصوم لا يتبعض فالجزاء في القسم الاول ثلثة اركان الحيوان او الطعام والصيام وفي القسم الثاني ركنان الطعام والصيام وهما دراهما على التخيير في ظاهر المذهب على الترتيب وافق مالك وابو حنيفة لان الواو للتخيير غالبا وخالف احمد وزفر فقالا الاية للترتيب لان الواجب هنا شرع على سبيل التغليظ بدليل قوله ليذوق وبال امره والتخيير ينافي التغليظ ثم القائلون بالتخيير اتفقوا على ان الخيار في تعيين هذه الثلثة الى قاتل الصيد كما هو ظاهر الاية الا ما نقل عن الحسن فانه قال الخيار الى الحكمين فيما حكما على تعيين المثل ثم ان لم يكن الصيد مثليا فالقيمة في القيمة مجمل الا ان فيها ساعلى كل صاع طعام فتقوم والمعتبر في الصرف الى الطعام سعر الطعام بمكة وان كان مثليا واراد تقويم مثله من النعم ليرجع الى الاطعام او الصيام فالقيمة في بلده بمكة بوسطا فيها

محل الذبح

محل الذبح لو كان بذبح ولا جزاء على المحرم بأكل الصيد سواء ذبحه بنفسه واصطيد له أو بدلالته لأنه لا متسبب بنيابة بعد الذبح ولا يؤول إلى الذبح فلا يلزمه الجزاء كما لو أتلف بعضه مذفوه هذا في الجديد من قولي الشافعي وفي قوله القديم وبه قال مالك وأحمد يلزمه القيمة بعد ما أكل وإذا ذبح المحرم صيدا لم تحل الأكل منه ولا لغيره في الجديد وبه قال مالك وأحمد وأبو حنيفة لأنه تكون ميتة كذبيحة المجوسي حتى لو كان مملوكا وجب جزاء القيمة لمالكه فهل تحل للحلال قولان الأظهر الوجهين لا وكذا الكلام في صيد الحرم إذا ذبح أما قوله تعمدا فخرج مخرج الغالب فالخطأ مثله وفي معناه النسيان والجهل بتحريم الصيد أو بكونه في الحرم أو بكونه محرما وقوله فعليه جزاء أي فعليه أن يجازى أو يكفر لقوله بعد وفي معناه قوله تعالى ليذوق وبال أمره ويحتمل أن يتعلق بمحذوف أي شرعنا ما شرعنا لنذوق سوء عاقبة فعله وهو هتك حرمة الحرم والإحرام والتركيب يدل على الثقل مرعى وبيل إذا كان مبيحا وخامة وبيلة وبيل تثقل على المعدة والأمور الثلاثة اثنان منها نقص في المال فيثقل على الطبع والثالث هو الصوم فثقيل على البدن أيضا وكل منها يوصف بكونه وبالا عفى الله عما سلف في الجاهلية كانوا يتعبدون بشرع من قبلهم أو عما سلف قبل التحريم في الإسلام وعلى مذهب داود عفى الله عما سلف قبل ورود الزواجر بسبب الجزاء ومن عاد فانتقام الله منه أعظم من أن يعفى بالجزاء ينتقم الله منه أي فهو ينتقم الله منه والألم يجتمع إلى ارتكاب المحظور بغير حق بكم صيد البحر أي مصيده وبعني بالبحر جميع هذه المياه والأنهار وحملوا ما يضاف منه ثلثة أجناس الحيتان وجميع أنواعها حلال والضفادع وجميع أنواعها حرام وفيما سواهذين خلاف فقال أبو حنيفة حرام وقال ابن أبي ليلى والأكثرون حلال لقوله وطعامه فالعطف يقتضي المغايرة وفيه وجوه يروى عن ابن بكير الصيد ما اصطيد والطعام ما حيا نه والطعام ما وجد فيه الفظ البحر أو نضب عنه الماء من غير معالجة في أخذه وقال جمع من العلماء الأصطياد قد يكون للأكل وقد يكون لغيره كالصطيا والصدف لأجل اللؤلؤ واصطياد بعض الحيوانات البحرية لأجل عظامها وأسنانها فالمعنى أحل لكم الانتفاع بجميع ما يصاد في البحر وأحل لكم أكل المأكول منه وعن سعيد بن جبير أن الصيد هو الطري والطعام هو القديم وفي الفرق ضعف قال الشافعي السمكة الطافية في البحر محللة لأنه طعام البحر وقد قال ثم أحل لكم صيد البحر وطعامه وقال البحر هو الطهور ماؤه الحل ميتته متاعا لكم في الحضر طريا وللسيارة في السفر قديدا وانتصب متاعا على أنه مفعول له ولكنه مختص بالطعام وقال الزجاج أنه مصدر مؤكد لأن قوله أحل لكم في معنى التمتيع وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما قال العلماء صيد البر هو الذي لا يعيش إلا في الماء أما الذي لا يعيش إلا في البر فالآدمي يمكنه أن يعيش في البر ماء وفي البحر أحيانا وذلك كله صيد البر فالسلحفاة والسرطان والضفدع وطير الماء كل ذلك من صيد البر يجب على قاتله الجزاء واتفق المسلمون على أن المحرم يحرم عليه الصيد إذا صاده أما إذا صاده الحلال فعن علي وابن عباس وابن عمر وسعيد بن جبير وطاوس والثوري وإسحاق أن الحكم كذلك لإطلاق الآية ولما روي عن علي أن النبي ﷺ أهدى له حمار وحش وهو محرم فأبى أن يأكله وقال مالك والشافعي وأحمد أن لحم الصيد مباح للمحرم بشرطين أن لا يصطاده المحرم ولا يصطاد له لما روى أبو داود والنسائي عن جابر أن رسول الله ﷺ قال صيد البر لكم حلال ما لم تصيدوا أو يصاد لكم وعن أبي قتادة ومجاهد أنهم أجازوا للمحرم ما صاده الحلال إن صاد لأجله إذا لم يدل ولم يشر وكذلك ما ذبحه أحرامه وهو مذهب أبي حنيفة وأصحابه لما روى عن أبي قتادة أنه اصطاد حمار وحش وهو حلال فقال لأصحابه محرمين لم فقال رسول الله ﷺ هل أشرتم هل أعنتم فقالوا لا ﷺ فقال هل بقي من لحمه شيء قالوا معنا رجله فأخذها النبي ﷺ فأكلها وهذان القولان مقرعان على تخصيص عموم القرآن بخبر الواحد وقال في الكشاف أحل لكم صيد البحر بالمفهوم فكأنه قيل وحرم عليكم أيها المحرمون ما صدتم في البر فخرج عنه مصيد غيرهم ورد عليه أن المفهوم ليس بحجة ثم حث على الطاعة والاجتناب عن المعاصي بقوله واتقوا الله الذي إليه تحشرون وهو كلام جامع للوعد والوعيد ثم ذكر سبب حرمة الصيد للمحرم وفي الإحرام فقال جعل الله أي حكم وبين بالخطاب والتعريف أو صير بخلق داعي التعظيم في القلوب فيما أمر الناس به وهم العرب وعد المجاز أن أهل بلده إذا قالوا للناس افعلوا كذا أرادوا أهل بلدهم فنطقوا على مجرى عادتهم وبيانا للقيام إن قوام المعيشة إما بكثرة المنافع وقد جعل بحيث يجبى إليه ثمرات كل شيء وإما بدفع المضار وقد صيره حرما آمنا وإما بحصول الجاه والرئاسة وتوفر الدواعي والرغبات وذلك بدعاء إبراهيم عليه السلام فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم ثم المنافع الدينية الحاصلة من مناسكهم ومعالمها أكثر من أن تخفى وأظهر من أن تنكر ونصب البيت الحرام على أنه عطف بيان على جهة المدح لا على جهة التوضيح لأن الكعبة أوضح من أن توضح ويحتمل أن يراد بالناس عامة الناس لما بهم لهم من أمر حجهم وعمرتهم وتجارتهم وأنواع منافعهم الدينية والدنيوية وعن عطاء أن أبا بكر باح لوفد هوازن بأموالهم ونسائهم وأولادهم لم يطرأ ولم يؤخذ وأن عمر رد عليهم الشهر الحرام والهدي والقلائد لتقدم ذكرها في أول السورة وإنما كان الشهر الحرام سببا لقيام الناس لأنه إذا دخل الشهر الحرام كان يأمن كل واحد فيه على نفسه وماله فيقدر على الاسفار وتحصيل الأقوات فلا يكاد يمضي طول السنة فلو حرم ذلك لهلكوا من الجوع ولما تم هو سبب لاكتساب الثواب من قبل مناسك الحج وأما منها وأما الهدي فإنه تسبب للمساكين وقوام المعاش بين الفقراء وكذا القلائد فكان من فعل الجاهلية أو فإنها تمنع من لحاء شجر الحرم لم يتعرض له أحد وكل ذلك لأن الله تعالى أودع في قلوبهم تعظيم الكعبة وما يتعلق بها ذلك الله ذكر من جعل الكعبة قياما للناس ومن حفظ حرمة الإحرام والحرم مشروع ليعلموا أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض وذلك أنه علم في الأزل أن مقتضى طباع العرب الحرص على الغلبة والغارة وكان ذلك مما يفضي إلى الفناء وانقطاع النسل فتدبر هذا التدبير المحكم ليفعل المتفكر كي يصير سببا للأمان في بعض الأمكنة وفي بعض الأزمان فليستقيم مصالح الإنسان ولا ريب أن مثل هذا التقدير والتدبير لا يصح إلا ممن يعلم الكائنات وأسبابها وغاياتها بل يعلم المعلومات بأسرها كلياتها وجزئياتها قديمها وحديثها علمها ومعلولها موجودها ومعدومها وذلك قوله وأن الله بكل شيء عليم فما أحسن هذا الترتيب خوفهم وطمعهم بقوله اعلموا أن الله شديد العقاب لمن انتهك محارمه وأن الله غفور رحيم لمن حافظ عليها وذكر الوصفين في خاتمة الوحي دليل على أن جانب الرحمة أغلب كما قال سبقت رحمتي غضبي ثم قرن الرسول بما كان مكلفا إلا بالتبليغ فإذا بلغ خرج من العهدة وفي الأمر من جانبكم وأنتم بعلم جهركم وسركم ونهي من الوعيد ما نهى عن جابر أن النبي ﷺ قال إن الله عز وجل حرم عليكم عباده الأوثان وشر بكم

والطعن في الانساب لا دان الخمر لعن شاربها وعاصرها وساقيها وبائعها وآكل ثمنها فقال اليه اعرابي فقال يا رسول الله ان كنت رجلا كانت فداء بحارتي واستفت من بيع الخمر لا هل ينفعني ذلك المال ان عملت به بطاعة الله فقال له النبي ان تفقته في حج او جها او صدقة خير لك عند الله جناح بعوضة ان الله لا يقبل الا الطيب وانزل الله عز وجل يصدق بها القول رسوله قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو اعجبك كثرة الخبيث وهو عام في حرام الاموال وحلالها وفاسدها على وصالحها وسقيم المذاهب وصحيحها وردي النفوس وجيدها واخبث الخبائث الرذائل المحمل والمعصية واطيب الطيبات الزوجات معرفة الله تعالى وطاعته والبون بين الصفتين في العالم الروحاني بعدهما بينهما في العالم الجسماني لان اثرهما في عالم الارواح ابقى ودوم واجل واعظم فلا تستبدل الخبيث يا انسان بالطيب ولو اعجبك كثرة الخبيث لان كثرته في الحقيقة قلة ولذته في الاخرة ذلة ونقده دين نسيئة من الهمم في طلبه خفيف لنا وبل لا خرين على انفسكم بالاستمتاع بالنفسانية طيبات ما احل الله لكم دون سائر المحلوفات من المواهب الربانية ولا تعتدوا ولا تجاوزوا حد العبودية وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا خصكم به من بحلي حماله وجعله حلالا لا طيبا بحل عليكم بريا من بهيمان النفائص باللعوفي ايمانكم ان تحلفوا بالائمة عن المبرم من ولاية الغفور وكلالة القوي استيلاء النفس وغلبة سلطان الهوى في اثناء المجاهدات واعواز المشاهدات ولكن يؤاخذكم اذا عزمتم على الهجران وتعريضهم للخلان فكفارة رخ الطعام عشرة مساكين الحواس الظاهرة الباطنة من اوسط ما تطعمون اهليكم وهم القلب والسر والروح والخفي طعامهم الشوق والمحبة والصدق والاخلاص والتفويض والتسليم والرضا والانس والهيبة والشوق والكشوف واوسط الذكر والتذكر والفكر والتفكر والشوق والتركل والتعبد للخوف والرجاء يشغل الحواس العشرة بمبادئ الامور او يكسوهم لباس التقوى او يحرر رقبة النفس من عبودية الحرص والهوى فمن لم يجد امساك اليوم الماضي عما عزم عليه في اليوم الحاضر عما لا يعنيه وفي اليوم المستقبل عن العوالبه فمن لغوا ليمين عند اباب البقين ان الطالب الصادق عند غلبات الشوق وجدان الذوق يغتم عليه بحاله وجلاله ان يرتد شيئا من اقباله ووصاله وذلك شهر بغير الرضى لغو وفي هذا التسليم سهو ولكن يرجى له عفو فلا يؤاخذ بمقالة العلم بضعف حاله والكمال في الثبات والاستقامة ارشد وصاله وبر يد يجري فانزلها ارشد لبابه ومن اللغو في اليمين عندهم ما يجري على لسانهم في غلبات الوجد من يجد بلا تعمد تاكيد العقد كقول بعضهم وعزتك ما نظرت الى سواك بعين مودة قط اذ الكل فان هذا ينافي التوحيد واين في الدار ديار كلا بل هو الله الواحد القهار وليس على الذين امنوا بالتغليب وعملوا الصالحات الاعمال البدنية الشرعية جناح فيما طعموا من المباحات اذا ما اتقوا الشبهة والاسراف واسنوا بالتحقيق بعد التقليد وعملوا الصالحات الاعمال القلبية الحقيقية من تخلية القلب عما سواه ومن تحليته بالاحوال المضادة لهواه كالصدق والاخلاص والتوكل والتسليم وما علاه ثم اتقوا شرك الانية وامنوا هو بية ثم اتقوا هذا الشرك وهو الفناء في الفناء واحسنوا وهو البقاء بربانيهم حعل الله البلاء لاهل الولاء كاللهب للذهب فقال يا ايها الذين امنوا اليمان المحسنين الذين بحرروا عن ملاذ الدنيا وشهواتها الحلال واحرموا بحج الوصول لعمرة الوصال ليبلونكم الله في اثناء السلوك بشيء من الصيد وهو المطالب النفسانية والمقاصد الدنيوية تناله ايديكم يعني اللذات البدنية ورماحكم يعني اللذات الخيالية فلم عذابا اليما والصيد لا تقتلوا الصيد وانتم حرم يعني من احرم لزيارة كعبة الوصال بعلية جسم الاطماع من الحرام والحلال متعمدا اي عالما بانها في الالتفات الى غيره من المضار ومثل ما قتل من النعم يجازى نفسه بريانية ومجاهدته بمثل المهانات اللذة فذاعلها القلب الروح بحكمان على مقدار الاسلام وعلى حسب قوة السالك بتقليل الطعام والشراب وبتبديل المكان او بترك الجاه او بالعزلة وضبط الحواس هديا بالغ الكعبة خالصا عن الخلق لاجل الحق طعام مساكين هم العقل والقلب والسر والروح والخفي كما تواجر وهم عن اعذبهم الروحانية فيطعمهم المعاملات الروحانية من صدق التوجه والصبر على المكاره والقطام عن الملوفات ومن الشكر والرضا وعدل ذلك صياما هو الامساك عن الاعتبار والركون الى الواحد القهار ليذوق النفس الامارة وبالامرة فان كل هذه الامور على خلاف طبعها ذوانقام ينتقم من اجنحاته بنقاب الدلال من اعدائه بحجاب الملام والملال احل لكم صيد البحر اي الغائص في بحر الشهود لتنفعون بالواردات وتطعمون منها السائرين الى الله من اهل الارادات صيدا لبرها اي ما يسخ للسائرين من مطالب الدنيا فاذا منتم حرما اي في حال الخلوة في الصحو جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للعوام والخواص يستحجون بها حاجاتهم الدنيوية والاخروية وكعبة القلب قواما للخواص ولخواص الخواص يطوفون بها بدوام الذكر ونفي الخواطر حتى تعلموا ان لا موجود الا هو ولا وجود الا له البيت الحرام حرام ان يسكن في كعبة القلب غيره والشهر الحرام هو انانية الطالب حرام على الطالب فيها لحظ الخلق وملاحظة ما سوى الحق والهدي هو النفس البهيمية تسوق الى كعبة القلب مع قلائد اركان الشريعة فمن يتعرض على عتبة القلب بسكين الادب بقطع عن شهواتها فاذا وصل العبد الى كعبة القلب شاهد بانوار ان لله ما في السموات وما في الارض يشتد بها العطش بسيد الحجاب يغبه الاحباب غفور رحيم للصادقين في الطلب يفتح الابواب الا البلاغ بالقال يبلوا عليهم اياته وبالحال يزكيهم ما تبدون بتغير الملك وما تكتمون من بقصد بن الخبائث الخبيث ما يشغلك عن الله والطيب ما يوصلك الى الله بل الطيب هو الله والخبيث ما سوى الله وفي ذلك كثرة والله اعلم قول الله عز وجل

ع يا ايها الذين امنوا لا تسئلوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم وان تسئلوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم عفا الله عنها والله غفور حليم قد سالها قوم من قبلكم ثم اصبحوا بها كافرين

ای زنهار اان کرده اید پرسید از چیزهائی که اگر ظاهر شوند برشما بد کنند شما را و پرسید ازان احکامی که فرو فرستند قرآن را اشکار کنند شما را درگذشت خدا ازان و خدا امرزنده بردبار است پرسیدند ازانرا گروهی پیش از شما پس صبح شدند بدان کافران

ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب

قرار نداده است خدا از بحیره و نه سائبه و نه وصیله و نه حامی ولیکن انانکه کافر شدند افترا میکنند بر خدا

واکثرهم

وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا

و بیشتر ایشان درک نکنند و چون گفته شد ایشانرا که روی آرید بسوی آنچه فرستاد خدا و بسوی پیغمبر گفتند که بس است ما را آنچه دریافتیم

عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۚ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ

بر او پدران خود را اگرچه پدران ایشان چیزی را و راه نیافتگان ای زمره آنان که گرویده اید نگاه دارید خودتان را

لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ۚ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

گمراه نمیرساند شما را اگر گمراه شد اگر شما در راه یابید بسوی خدای بازگشت شما همه پس خبر دهد شما را بآنچه بودید که میکردید ای زمره آنان که گرویدند

شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ

گواهی میان شما چون در رسد یکی از شما را مرگ در هنگام وصیت دو نفر از صاحبان عدل از شما یا دیگران از غیر شما اگر شما

ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ ۚ تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي

سیر کردید در زمین پس رسید شما را واقعه مرگ بازدارید آن دو را پس از نماز پس سوگند یاد کنند بخدا اگر شک کنید ما نمیگیریم

بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَمِنَ الْآثِمِينَ ۝ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا

بآن بهاء اگرچه باشد صاحب خویشی و پنهان نداریم گواهی خدا را بدرستی که ما آنگاه از گناه کاران ایم پس اگر دیده شود که اند سزاوار شدند

إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيَانِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا

گناهیرا پس دو نفر دیگر میایستند در مقام آنها از آنان که مستحق شدند بر ایشان دو تای اول پس سوگند خورند بخدا که هر آینه گواهی

أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا ۚ إِنَّا إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ۝ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا

راستتر است از گواهی ایشان و در نگذشته ایم اگر آنگاه ما هر آینه از ستمکاران بودیم این نزدیکتر است که بیاورند گواهی بر روی آن یا بترسند

أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ۝ يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ ع

که رد کنند سوگندها پس از سوگند ایشان و بپرهیزید خدا را و گوش دارید و خدا هدایت نکند گروه فاسقانرا در روزی که گرد آرد خدا

الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا ۖ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ۝ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ

پیغمبرانرا پس گوید چه جواب داده شدید گویند که دانشی نیست ما را بدرستی که تو دانای پنهانها چون گفت خدا ای عیسی پسر مریم یاد کن

نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ ۘ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ ۖ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ

نعمت مرا بر تو و بر مادرت چون قوت دادم ترا بروح القدس که گفتگو میکردی با مردم در گهواره و در موعا و چون آموختم ترا انجیل کتاب

وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ

و حکمت و توریة و انجیل را و چون میساختی از گل مانند ترکیب مرغی بفرمان من پس میدمیدی در آن پس میگردید مرغی بفرمان من و شفا

الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ

کور مادرزاد و صاحب برص بفرمان من و چون زنده میکردی مرده را بفرمان من و چون باز داشتم بنی اسرائیل را از تو چون آوردی آنها را گواهان پس گفتند

الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ۝ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي ۖ قَالُوا آمَنَّا

آنها که کافر شدند از آنها که نیست این مگر جادوئی آشکارا و چون رسانیدم بسوی حواریین که بگروید بمن و بفرستاده من گفتند گرویدیم

وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ۝ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ

و گواه باش ما بآنکه ما تسلیم کنندگانیم چون گفتند حواریون ای عیسی پسر مریم آیا میتواند پروردگار تو که فرو فرستد بر ما خوانی طعامی از آسمان

قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۝ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ

گفت که پرهیزید خدا را اگر هستید مومنان گفتند که میخواهیم که بخوریم از آن و محکم گردد دلهای ما و بدانیم که تو تصدیق کرده ای ما را و باشیم

عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ۝ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا

بر آن از گواهان گفت عیسی پسر مریم که خداوندا پروردگار ما فرو فرست بر ما خوانی از آسمان که باشد برای ما عیدی

لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ ۖ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ۝ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ

از برای اول ما و آخر ما و آیتی از تو و روزی کن ما را و تو بهترین روزی دهندگان گفت خدا که من میفرستم آنرا بر شما پس هر که کافر شود پس از آن از

مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ۝ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي ع

شما پس من عذاب کنم او را عذابی که عذاب نکرده ام بدان واحدی را از جهانیان و چون گفت خدا ای عیسی پسر مریم آیا تو گفتی مردم را که فرا گیرید مرا

الجزء السابع

وإلهي اثنين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم
وما مرا و وخدا از غير انخواي يگانه گفت منزهي تو ؛ چيشده بود مرا كه بگويم چيزرا كه نيست مرا سزاوار اگر من گفته ام اينرا پس بدرستي كه ميداني تو ترا ميدانا
ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا
اي آگاه در نفس من هست ونميدانم آنچه راكه در نفس تست بدرستي كه تو تو دانائي پنهانيها نگفتم من بانها بجز آنچه فرمودي مرا بان كه بپرستيد مرا
الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب
خداي كه پروردگار من وشماست وبودم برايشان گواه زمانكه من درميان ايشان بودم پس چون ميراندي مرا بودي تو خود مواظب
عليهم وأنت على كل شيء شهيد إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز
برايشان وتو بر هر چيزي گواهي اگر عذاب كني ايشانرا پس ايشان بندگان تواند واگر بيامرزي ايشانرا پس بدرستي كه تو تو خود غالب
الحكيم قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار
داور گفت خدا كه اين روزيست كه سود بخشد راستگويانرا راستي ايشان مرايشانراست بهشتها كه روانست از زيران جويها
خالدين فيها أبدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم لله ملك السموات والأرض
جاويدانند دران هميشه خوشنود شد خدا ازايشان ورضي شدند از خدا اينست بهرمندي بزرگ مر خداراست پادشاهي آسمانها وزمين
وما فيهن وهو على كل شيء قدير القراءة بالرفع لابن كثير وابن عامر وابو عمرو وابن كثير وسهل ويعقوب بشهادة بالتنوين لله بالمد وزيد قرئ
وآنچه درانهاست واوست بر هر چيزي توانا بالاضافة استحق على البناء للفاعل حفص والاعشى في اختياره الباقون على البناء للمفعول الأول
جمع الأزل بفتح الاخر سهل ويعقوب في حمزة وخلف وعاصم غير حفص والاعشى في اختيار الباقون الأولى لان شبه الاولى الأحق العنوي وبكر العين حيث
كان حمزة وحماد وابو بكر غير الشحي والبرجمي والخزاعي عن ابن فليح ساكن كل هود والصف حمزة وعلي وخلف الباقون سحر هل تستطيع بناء الخطاب
وتلك بالنسب على والاعشى في اختياره الباقون بالياء وبالرفع ان ينزل بالتخفيف الاولى لابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب الباقون بالتشديد فتحها
بالتشديد ابن عاصم وابو جعفر ونافع وابن عامر وابو عمرو وحفص الا ان بالتخفيف ابن كثير وابو جعفر ونافع وابو عمرو الباقون بالسكون يوم ينفع بفتح الميم نافع
الباقون بالرفع الوقف لكم لا لابتداء شرط اخر مع واو العطف بئسما بئسما أحلام كافرين ولا حائم للاستدراك الكذب لا يعقلون بالتاء والياء
أنفسكم لاحتمال الاستيناف والحال اي احفظوا انفسكم غير مضرورين اذا اهتديتم تعلمون مصيبة الموت قربي لان فوته ولا نكتم من جواب القسم شهادة
لمن قرأ الله بالمد الاثمين وما اعتدينا الظاهران والوصل اجود للتعلق انا بقوله وما اعتدينا الظالمين بما تم لابتداء الامر واسمعوا الفاسقين
أجيبت لنا الغيوب الوقف لئلا يوهم انه ظرف لاذكر بل عامله محذوف التقدير اذكر اذ يقول الله ويحتمل ان يكون ظرفا للاذكر والا يجعلها لا يرضى بالتي الموتى لان اذ يجوز تعلقه بما
بعد اذا الاول ويمكن تعلق كل واحد بمحذوف اخر لتفصيل النعم سحر مبين يدع الجزم رسول لاحتمال ان قالوا مستانف او عامل اذا وحيث مسلمون من السماء
الاولى مؤمنين الشاهدين اثبر منك لا نفاق الجملتين مع وقوع العارض لان نقين عليكم لابتداء الشرط مع فاء التعقيب العالمين عن دون الله فالبس
ندفنه هو تعنت لان المنكر لا يقسم بر والقسم لا يجاب بالشرط بل الوقف على بحق علمتنا الغيوب ربكم على ان الواو للاستيناف والحال اي وقد كنت
فيهم لان عامل اذا خر وفاء التعقيب خلفها عليهم لان الواو لا يحتمل الحال التعميم كل شيء شهيد عبادك لابتداء الشرط مع الواو والحكيم صدقهم لاختلاف
الجملتين بلا عطف ابدا عنه العظيم وما فيهن قدير التفسير عن انس انهم سئلوا رسول الله فاكثروا المسئلة فقام على المنبر فقال سلوني فوالله لا تسئلوني عن شيء
ما دمت في مقامي هذا الا حدثتكم به فقام عبد الله بن حذافة السهمي وكان يطعن في نسبه فقال يا نبي الله من ابي فقال ابوك حذافة بن غانم فقام عمر فقال رضينا
بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا فاعرض الله هذا الخبر في عائدا الى قوله ما على الرسول الا البلاغ كانه قال ما انبأكم الرسول فخذوه ولا تحوضوا
في تعنته الله يحبكم بما ابتغى عليكم وانبأنا كانا لمشركون بظاهره بعد ظهور المعجزات بمجرات اخر كسؤله حاكيا عنهم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض
ينبوعا الى تمام الاية وكان بعض المسلمين ايام مبدا الظهور فاضعوا ذلك لان طلب الزيادة بعد ثبوت الرسالة من باب التحكم ولعلها الوظيفة ثم انكرت
استبطاء العقاب العاجل ويحتمل ان يكون جملة تنظم قوله والله يعلم ما تبدون وما تكتمون فاذكروا الامور على ظواهرها ولا تسئلوا عن اشياء ان تبد
ان تسئلكم تسؤكم وللنحويين في منع صرف اشياء وجوه فقال الخليل هو سبويه اصلها شيئاء على وزن حمراء فوا سم جمع لشيء استثقلوا الهمزتين في اخره
فنقلوا الهمزة التي هي لام الفعل الى اول الكلمة فصار وزنه لفعاء وقال الفراء اصلها افعلاء بناء على ان شيئا مخفف ميت كما قيل في هين وذلك جمع فعل على
افعلاء كبيع وابناء لكنهم استثقلوا اجتماع الياء والهمزتين فخالفوا اللام فبنى شيئا على افعاء وقال الكسائي وزنها افعال وضع الفرع تشبيها له
بحمراء ولا يلزم منه منع صرف بناء واسماء لان ثابت على خلاف الدليل لا يلزم اطراده ولكنه يكون مقصورا على المسموع والحاصل ان السؤال عن الشيء

وبما ذكرنا تعالى ظهور احوال مكتوفة بكره ظهورها وقد تاريت عليها ان تكليف شافة صعبة فالبد سئل عن اشياء لم يأمرنا ان نبلغها بيانها وينفتح والسائل ان يحج كان ان يوجبه وقد قال ثم ان اعظم المسلمين جرما من سئل عن شئ لم يحرم فحرم من اجل مسئلته وكان عبيد بن عمير يقول ان الله حد حدودا فلا تعتدوها وحرم حرمات فلا تنتهكوها وترك اشياء من غير نسيان فلا تتكلفوها فتلوه وقال ابو ثعلبة ان الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها ونهى عن اشياء فلا تنتهكوها وحد حدودا فلا تعتدوها وعفى عن اشياء من غير نسيان فلا تبحثوا عنها ثم تلا ربك المساءة على السؤال وذكر ان الابداء سيكون لان الوحي غير منقطع فقال وان تسئلوا عنها حين ينزل القرآن اي في زمان الوحي كان الرسول بين اظهركم تبد لكم تلك الامور والتكاليف فالحاصل انهم ان سئلوا عنها تبد لهم وان تبد لهم سائهم فيلزم من المقدمتين انهم ان سئلوا عنها ساءتهم وقبل السؤال عن شئ لم يجر ذكره في الكتاب والسنة فمتى عنه يقوله لا تسئلوا والثاني السؤال عن شئ نزل به القرآن لكن السامع لم يفهمه كما ينبغي وهذا السؤال غير جائز اليوم فاشار الى هذا القسم بقوله وان تسئلوا وقت نزول القرآن وبين لهذا القسم من الاول وانما حسن عود الضمير في عنها الى الاشياء وان كانا في حقيقة نوعين مختلفين لان كلا منهما مسئول عنه في الجملة وقبل المعنى وان تسئلوا عن تلك المسؤلات هل هي جائزة ام لا تبد لكم ما لم ان يطلب الرخصة في السؤال والاثم يسئل عفى الله عنها اي عما سلف من مسئلتكم فاعضابكم للرسول فلا تعودوا اليها او المراد بالعفو انتقام ما اظهر عند تلك المسائل ما يشق عليهم من التكاليف وقيل ان الجملة صفة اخرى للاشياء كان الجملة الشرطية والمعطوف عليها صفة لها والمعنى لا تسئلوا عن اشياء امسك الله عنها وكف عن ذكرها كما جاء في الحديث عفوت عن صدقة الخيل والرقيق اي عفت عنكم باسقاطها فدسكتها يعني المسئلة التي دل عليها لا تسئلوا قوم من قبلكم سئل ثمانية قوم صالح فعقروها وسئل الثانية قوم موسى فصاروا بها عليهم وسئل الثالثة قوم عيسى عليه السلام فكفروا بها وبحتمل ان يعود الضمير في نسئلها الى الاشياء فكان ائمة محمد صلى الله عليه وسلم سئلوا عن احوال الاشياء والمنقول ان سئلوا عن الاشياء كالناقة والمائدة والرؤية فلما اختلف الاحوال اختلف العبارات الا ان كلا واحد من الصنفين يشتركان في وصفه بالخوض في الفضول والتعرض لما لا يعنيه فنوعه لذم عليها جميعا ولما صنعهم عن امور تكلفوا البحث عنها ذم سيرة قوم تكلفوا التزام امور لم يؤمروا بها ومعنى فاجعل ما حكم بذلك ولا شرع البحيرة بفعيلة من البحر الشق وبحرها قطعه اذا شق اذنها وهي بمعنى المفعول قال ابو عبيدة والرجاج كان اهل الجاهلية اذا نتجت الناقة خمسة ابطن وكان الخامس ذكرا شقوا اذن الناقة وسموا كوبها وسيبوها لا تحمل عليها ولا تطرد عن ماء ولا تزجر عن مرعى ولا ينتفع بها احد من الناس تعظيما لها بزعمهم فتخرج والبا السائبة فانها فاعلة من سابت اذا جرى على وجه الارض يقال ساب الماء وسابت الحية فالسائبة هي التي تترك حتى تسيب لاجل شئ نذر قال ابو عبيد كان الرجل اذا صح من سقم او قدم من سفر او نذر نذرا او شكر نعمة سيب بعيرا فكان بمنزلة البحيرة في احكامها وقيل هو ان البحيرة كانت الناقة اذا ولدت عشر بطون كلها اناث سيبت فلم تركب ولم يجز لبنها الا ولدها او الضيف حتى يموت فاذا ماتت اكلها الرجال والنساء جميعا وجرت اذن بنتها الاخيرة وكانت بمنزلة امها فانها سائبة وقال ابن عباس السائبة هي التي تسيب للاصنام اي تعتق لها وكان الرجل يسيب من ماله ما يشاء فيجيء به الى السدنة وهم خدم الهتهم فيطعمون من ابتاء السبيل وقيل هي العبد يعتق على ان لا يكون عليه ولاء ولا ميراث واما الوصيلة فاذا ولدت الشاة انثى فهي لهم وان ولدت ذكرا فهو لالهتهم فان وانه ذكرا ونثى قالوا وصلت اخاها فلم يذبحوا الذكر لالهتهم فالوصيلة بمعنى الموصولة كانها اوصلت غيرها او بمعنى الواصلة لانها وصلت اخاها واما الحامي فقيل حماه بحميه فاحفظه فان اسمه هو الفحل الذي يضرب الابل عشر سنين فيخلى وقيل ان الفحل اذا ركب الدد ولدا فقالوا قد حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى الى ان يموت فان قيل انما يجوز اضافة العبيد الاصنام فلم لا يجوز اضافتها اليهم من التدبير والاسلام فالجواب ان الاسلام خلق لعباده الله تعالى فاذا اوقع الزور عنه كان ذلك معينا له على ما خلق لاجله اما البحيرة من الحيوانات فانما خلقت لمنافع المكلفين فتركها يقتضي نفوذ كما لها عليها وانها لا تزال اذا اعتق ذلك لتحصيل المنافع ودفع المضار بخلاف بهائهم فانها خارجة عن حد ذلك لما يلزم ودفع المنافي في الاغلب فانها بقضي الى ضياعها فظهر الفرق ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب قال ابن عباس رضي الله عنهما يريد عمرو بن لحي واصحابه كان قد ملك مكة من جرهم الله وكان اول من غير دين اسمعيل فاتخذ الاصنام ونصب الاوثان وشرع البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطبه لقد رايته في النار يؤذي اهل النار ريح اهل النار وريح قصبه اكثر ما هنالك اذا ذاك وقت سائهم وا كثرهم لا يعقلون يعني العوام والاتباع ثم رد على اهل التقليد بقوله واذا قيل لهم الاية وقد مر تفسيره مثله في سورة البقرة ينفي العقل عنهم هنالك والعلم ههنا مع نفي الاهتداء في الموضعين دليل على ان الاقتداء لا يجوز الا بالعالم العالم المهتدي لان الشئ لا يدل على الحجة والدليل الا على المقلد والاضاليل قال اهل البرهان العلم البالغ درجة من العقل هذا بوصف الله تعالى بالعلم لا بوصف العقل وكان دعواهم ههنا البالغ لقولهم حسبنا ما وجدنا فناسب ان ينفي عنهم العلم الذي هو بالغ ثم ذكر ان هؤلاء الجهال مع ما انعدم من انواع المبالغة في الاعتذار والاعتذار والترغيب والترهيب ينتفعوا بشئ منه بل اصروا على جهالتهم وضلالتهم فلا تبالوا بهم ايها المؤمنون فان جهلهم لا يضركم اذا كنتم مهتدين لتكاليف الله مطيعين لاوامره ونواهيه يقول العرب عليك زيدا وعندك عمرا بعد ما يعدى الى المفعول كانه قيل خذ زيدا فقد علاك اي اشرف عليك وعندك عمرو فخذه وليس المراد وعليك انت حرف جر مع مجرورة متعلق بمحذوف وقيل الجار والمجرور معا متعلقان بفعل الاغلام وهذا اسم فعل ان قيل ظاهر الاية يوهم ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس بواجب فالجواب لعمري انه لا شك ان الاتيان بالمطيع لو به غير موجود بل انما هو واجب وهذا خطب ابو بكر فقال انكم تقرؤن هذه الاية وتضعونها في غير موضعها واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الناس اذا رأوا المنكر فلم ينكروه يوشك ان يعمهم الله بعقاب من عند الله بن المبارك ان هذه الاية في وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لان معنى عليكم انفسكم حفظوها والزموها ان بعظ بعضكم بعضا وهذه في الجزاء وينفر عن

الصنايع والتجارات لا يضركم ضلال من ضل اذا اهتديتم فامروا بالمعروف وانهوا عن المنكر فانكم حرجتم عن عمدته تكليفكم كما قال لرسول الله ﷺ فقاتل في سبيل الله لا تكلف الا نفسك وقيل ان الآية مخصوصة بما اذا خاف الانسان عند الامر بالمعروف والنهي عن المنكر على نفسه عرضة على ما قاله وكان ابن شهر يقول من قرأ لا يضركم بضم الضاد ومن ثلثة فلم يفرق قيل انما مخففة من الثقيلة والذين علم انه لا ينفعهم الوعظ هو كل من مات على كفره وسبب النزول عن ابن عباس ان رسول الله ﷺ لما افرج عن بني النضير ومن معه بالجزية قال منافقو العرب عجبا من محمد يزعم ان الله بعثه ليقاتل الناس حتى يسلموا ولا يقبل الجزية الا من اهل الكتاب فلا نراه الا قد قبل من مشركي اهل الحجر ما رد على مشركي العرب فانزل الله تعالى لا يضركم ملامة اللائمين اذا كنتم على الهدى والحق وقيل كان المؤمنون تذهب نفسهم حسرة على اهل العناد من الكفرة فنزلت تسلية لهم كما قال لنبيه ﷺ فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وعن ابن مسعود ان الآية قرأت عنده فقال ان هذا في اخر الزمان ومثله ما روي عن ابي ثعلبة الخشني انه سئل عن ذلك فقال للسائل اسألت عنها خبيرا اسألت رسول الله ﷺ عنها فقال ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى اذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك نفسك ودع امر العوام وان من ورائكم ايام الصبر فيهن كقبض على الجمر للعامل منهم مثل اجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله وقيل كان الرجل اذا اسلم قالوا لو اسلم فلان لاسلم ولاموه فنزلت ثم انه سبحانه لما امر بحفظ النفس في قوله عليكم انفسكم امر بحفظ المال عن ابن عباس ان تميما الداري واخاه عديا وكانا نصرانيين خرجا الى الشام ومعهما بديل مولى عمرو بن العاص وكان مسلما مهاجرا خرجوا للتجارة فلما قدموا الشام مرض بديل فكتب كتابا فيه تخمير جميع ما معه اخفاه بين الامتعة ولم يخبر صاحبيه بذلك ثم اوصى اليهما وامرهما ان يدفعا ماله الى اهله وماتا ففتشا متاعه فاخذا اناء من فضة مموه ثلثمائة مثقال منقوشا بالذهب دفعا باقي المتاع الى اهله فلما قدما فاصاب اهل بديل الصحيفة فطالبوهما بالاناء فجحدا فرفعوا الى النبي ﷺ فنزلت ومعنى شهادة بينكم شهادة ما بينكم اي من المتبايعين والمتشاجرين وانما اضيفت الشهادة الى المتبايعين لان التشاجر وانما يحتاج اليهم عند التبايع واذ ظرف للشهادة وحين الوصية بدل منه وفي هذا دليل ان الوصية مما لا يتبايع ان يتهاون بها المسلم عند ظهور امارات الموت ثم ان كان وقتهما واحدا وهما مسلمان وبه قال الشافعي واتفق اثنان على انه قام مقام الخبر بمعنى شهادة اثنين او على انه فاعل فعل محذوف والتقدير شهادة ما بينكم ان يشهد اثنان وفي قوله منكم ومن غيركم قولان عن الحسن والزهري وعليه جمهور الفقهاء ان منكم اي من اقاربكم ومن غيركم اي من الاجانب والمعنى ان وقع الموت في السفر ولم يكن معكم من اهل دينكم فاستشهدوا على الوصية اجنبيين وجعل الاقارب ولي لانهم اعلم بحال الميت واورد ابن عباس وابو موسى الاشعري وسعيد المسيب سعيد بن جبير وشريح ومجاهد وابن جريج وابن سيرين ان منكم اي من اهل ملتكم ومن غيركم اي من كافر كان يهوديا او نصرانيا او مجوسيا او عابد وثن قال الشافعي مرتين رجل من المسلمين في الغربة فلم يجد احدا من المسلمين يشهد على وصيته فاشهد رجلين من اهل الكتاب فقدما الكوفة واتيا ابا موسى الاشعري وكان واليها فاخبراه بالواقعة فقال ابو موسى هذا امر لم يقع بعد الذين حلفتهما ثم استحلف رسول الله ﷺ بعد العصر بالله العظيم انهما ما كذبا ولا بدلا ولا اخفيا شهادة ولا كتما ولا غيرا وانها لوصية الرجل وتركته فامضى شهادتهما والذاهبون الى هذا القول اجمعوا بان الخطاب في منكم لجميع المؤمنين فيلزم ان يكون غيرهم كافرين وبان هذين الشاهدين لو كانا مسلمين لم يكن لاستشهادهما مشروطا باستغراق الحوادث في الحضر بقاء بالاتفاق وبانه ﷺ اوجب تحليف عليهما والشاهد المسلم لا يجب تحليفه البتة وبان الشاهدين في سبب النزول كانا نصرانيين وبان ابا موسى قضى بذلك ولم ينكر عليه احد من الصحابة وبان الضرورات تبيح المحظورات كالميتة والافطار واكل الميتة والمسلم اذا قرب اجله ولم يجد مسلما ولا تقبل شهادة الكفار صناع اكثر منهما فقد يكون عليه كفار ويموتون وعليه ديون ولهذه الضرورة جوزنا شهادة المسلم بما يتعلق باحوال النساء كالحيض والحبل والولادة ولان لهن ان يجبنوا بان حذف المضاف غير عزيز وبان ذكر الحلف ليس لاجل اشتراط قبول الشهادة ولكن لاجل ان الغالب في السفر فقدان الاقارب وجواب الاجانب بان التحليف مشروط بالريبة وقد روي عن علي رضي الله عنه انه كان يحلف الشاهد الشاهد والوارث اذا اتهمهما وبان سبيل النزول لا يلزم ان ينطبق على الحكم حذو القذة بالقذة وبان قضية ابي موسى خبر الواحد وبان الضرورة كانت اول الاسلام لقلة المسلمين ثم لعلهم في السفر غالبا وما يصلح ان يكون موكدا لهذه الآية وان لم يجز ان يكون ناسخا لها عند من يرى ان المائدة من اواخر القرآن نزولا نعم واشهدوا اذا وقع بيع فيكم وليس المراد من العدالة الاحتراز عن الكذب في النطق فقط بل في الدين والاعتقاد لان الكذب اعظم من الغيبة على الله وعلى رسله وانما تقبل شهادة اهل البدع والاهواء من هذه الامة احتشاما لكلمة الاسلام وموقع يحتسونهما من اي ثوقفونهما ويضربونهما استيناف كانه قيل فكيف نعمل ان ارتبنا فقيل تحبسونهما من بعد الصلوة قال ابن عباس من بعد صلوة دينهما وقال عامة المفسرين من بعد صلوة العصر لان هذا الوقت كان معروفا عندهم بالتحليف بعده ولفعل رسول الله ﷺ حيث حلف تميما وصاحبه فاستحلفهما عند المنبر بعد صلوة العصر لان جميع اهل الاديان يعظمون هذا الوقت ويكذبون فيه تغليظا عليهم وقيل انما خص بعد العصر لانه وقت يجتمع فيه الحكام واهل الكتاب يصلون لطلوع الشمس وغروبها وقال الحسن المراد بعد الظهر بعد العصر لان اهل الحجاز كانوا يفعلون للحكومة بعد هما وقيل بعد اي صلوة كانت لان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر قال الشافعي الايمان تغلظ في الدماء والطلاق والعتاق والمال اذا بلغ مائتي درهم بالزمان والمكان فيحلف بعد العصر بمكة بين الركن والمقام وبالمدينة عند المنبر وفي بيت المقدس عند الصخرة وفي سائر البلدان في اشرف مساجدها وقد تغلظ بالتكرير والتعديل كما في اللعان او بزيادة الاسماء والصفات وقال ابو حنيفة يحلف غير المتغلظ بزمان ومكان ولا يخفى ان قول الشافعي اوفق للاية والمقسم عليه قوله لا نشتري به ثمنا ولو كان ذا قربى ولو كان من يقسم له منا اراد ان هذه عادتنا لم نحابه في شهادتنا ابدا كقوله شهداء لله ولو على انفسكم وخص ذا القربى بالذكر لان الميل اليهم اتم والمداهنة بينهم اكمل ولا نكتم شهادة الله

الى ان يحفظها ويعظمها واذا تمها (انا اذا لمن الآثمين) اى اذا كتمنا هذا كما من الآثمين ونقل عن الشعبى انه وقف على قوله الله عز وجل شهادة ثم ابتدا الله بالمد على حذف حرف القسم نحو يوضح حرف الاستفهام مضمر وروى عنه بغير مد على ما ذكره سيبويه ان منهم من يقول الله لقد كان كذا والمعنى بالله فان عز قال الليث عز الرجل يعز عزوا اذا هجم على امر لم يهجم عليه غيره وقرب منه لعنا لان العاثر انما يعثر بشئ كان لا يراه والمعنى فان حصل الاطلاع على انهما استحقا اثما وهو كناية عن الخيانة والخبر الحلف فاخران خبر مبتدا محذوف وفاعل يقوم محذوف وصفته مبتدا محذوف اى في الشهادتين او فليشهد اثنان فشاهدان اخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم فان الكشاف اى الاثم ومعناه من الذين جنى عليهم وهم اهل الميت وعشيرته وفي التفسير الكبير اى المال وانما وصفوا بالميت بذلك لانه اخذها لهم وكل من اخذ مالا عيره نقد غاصبا وان ذلك لغير ان يكون متعلقا بذلك المال استعليا على تعلوهما الكلمة بل وصف لهما بانه قد استحق عليهم ذلك المال او ينفع الاولين على انهما خبر مبتدا محذوف فكانه قيل ومن الاخران فقيل هما الاولين ويجوز ان يكون بدلا من الضمير في يقومان او من اخران ويجوز ان يرتفع باستحق اى من الذين استحق عليهم انتداب الاولين منهم للشهادة لاطلاعهم على حقيقة الحال قال في الكشاف والمعنى الاولين الاقربان الى الميت والاولى ان الاحقان بالشهادة لقرابتهما ومعرفتهما او الاحقان بالايمان اما على تقدير الرد وذلك عند الشافعي وكل من يرى اليمين على المدعى واما الانقلاب للقضية عندنا لا يرى ذلك كابي حنيفة واصحابه فان من قر لاخوين ثم ادعى انه قضاه حكم برد اليمين الى الميت ادعى الدين او لا لانه صار مدعيا على انه قد استوفاه وفي هذه القضية ادعى الوصيان ان الميت باع منهما الاناء والورثة انكروا فكان اليمين حقهما ومن قرأ الاولين على الجمع فعلى ان نعت الذين استحق عليهم او منصوب على المدح ومعنى الاولية التقدم على الاجانب في الشهادة او التقدم في الذكر في قوله يا ايها الذين امنوا وكذلك اثنان ذوا عدل منكم ذكر قبل قوله او اخران من غيركم ومن قرأ استحق على البناء للفاعل عليهم الاولين فقد قال في الكشاف معناه من الورثة الذين استحق عليهم الاولين من بينهم بالشهادة ان يحلفا ويستحقا للقيام بالشهادة ويظهر ابهما كذب الكاذبين وفي التفسير الكبير ان الوصيين اللذين ظهرت خيانتهما ههنا اولى من غيرهما لسبق الميت عينهما للوصية ولما خانا في مال الوصية صح ان يقال ان الورثة قد استحق عليهم الاوليان وروى انه لما نزل الاية الاولى قام رسول الله صلعم صلوة العصر ودعا بعدي وتميم فاستحلفهما عند المنبر بالله الذي لا اله الا هو انهما لم يوجد منا خيانة في هذا المال فحلفا برسول الله صلعم سبيلهما وكتما الاناء مدة ثم باعوه فوجد بمكة وقيل لما طالت المدة اظهروه فبلغ ذلك ورثته فطلبوه منهما فقالا كنا قد اشتريناه فقالوا الم نقل هل باع صاحبنا شيئا فقلتم لا فقالا لم يكن عندنا بينة فكرهنا ان نقر وكتمنا فرفعوا القصة الى رسول الله صلعم فانزل الله تعالى فان عثر الاية فقام عمرو بن العاص والمطلب وحلفا بالله بعد العصر لشهادتنا احق من شهادتهما وما اعتدينا في طلب هذا المال وفي نسبتهم الى الكذب والخيانة فدفع رسول الله صلعم الاناء اليهما والى اولياء الميت وكان تميم الداري يقول بعد اسلامه صدق الله وصدق رسوله انا اخذ الاناء فانا تائب الى الله تعالى وعن ابن عباس انه يقيت تلك الواقعة محفوظة الى ان اسلم تميم الداري فقال حلفت كاذبا وقد بعت الاناء واصبت بالف فسألني الثمن ثم دفع خمسمائة من نصيبه ونوع من نصيبه خمسمائة اخرى ودفع الاناء الى اولياء الميت فتلك الحكم الذي شرعناه والطريق الذي فهمناه اقرب الى ان يأتوا بالشهادة على وجهها اى كما هو في الواقع او يخافوا ان ترد ايمان على ورثة بعد ايمانهم وهذا تفسير من يرى اليمين واما من لا يرى ذلك فالمعنى عنده ان تكرر ايمان شهود اخرين لانقلاب المدعى عليه مدعيا وعلى التقديرين يظهر كذبهم والحاصل ان هذا الحكم بصير بنا عند للشهود على الوجه الذي يقع معه الشهادة للمدعي او الضارر ان يقع اليمين بعد اليمين فاتقوا الله في الايمان واسمعوا مواعظ سماع قبول والله لا يهدي القوم الفاسقين الخارجين عن منهاج شرايعه احكامه ونهيه من الوعيد بنا فيه قال المفسرون هذه الاية غاية الصعوبة اعرابا ونظما وحكما وروى الواحدي في البسيط عن عمر بن الخطاب ان هذه الاية اعضل ما في هذا السورة من الاحكام ولهذا ذهب اكثر الفقهاء الى ان حكم هذه الاية منسوخ ثم انه سبحانه ختم الاحكام بوصف احوال القيمة وذكر بعضها سيجيء هناك من الخطاب والعتاب جريا على عادته في هذا الكتاب من خلط الترغيب بالترهيب والبشارة والنذارة واحوال المعاد فقال يوم يجمع الله الرسل فقال الزجاج تقديره واتقوا الله يوم كذا لا على انه ظرف لانهم غير مأمورين بالتقوى في ذلك اليوم ولكن على ان يبدل لاشتمالهم من اسم الله ويجوز ان يكون ظرفا لقوله لا يهديهم اى لا يهديهم في الجنة يوم القيمة ومنصوبا باضمار اذكروا ظرفا لما يجيء بعده وهو قالوا او على هذين الوجهين تكون الاية منقطعة عما قبلها وما اذا منصوب باجبتم او بقالوا لا بمضمر على معنى اى اجابة اجبتم ولو اريد الجواب لقيل اجابا اذا اجبتم وان مدة السؤال توبيخ لقومهم كما كان سؤال الموؤدة توبيخا للوائد ثم ظاهر قوله لا علم لنا يدل على ان الانبيا لا يشهدون لامتهم فالجمع بين هذا وبين قوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد مشكل فقال جمع من المفسرين ان للقيمة زلازل هو الا بزيل العقول فالانبياء عندها ينسون اكثر الامور فهنالك يقولون لا علم لنا ثم اذا عادت اليهم عقولهم شهدوا للامم والامر عليه بدليل قوله لا يحزنهم الفزع الاكبر الا ان اولياء الله لا خوف عليهم لان مواقف القيمة مختلفة ولان عدم الخوف في العاقبة لا ينافي الحيرة والدهشة ولا وقال اخرون المراد من هذه المبالغة في توبيخ الكفرة فان ذلك هو المقصود من السؤال كما يقول الواحد للغير فما تقول في فلان فيقول انت اعلم به مني وانت لا تشك فلست لا تحتاج به الى الشهادة لظهوره وبه مع التوبيخ اظهار لشرف ذلك النبي ممن كذبوه وعادوه وقال ابن عباس نفوا العلم على نفسهم عند علام الغيوب ليعلم ان علمهم هناك كلا علم وقيل المراد نفي العلم بخاتمة احوالهم وما كان منهم بعد وفاتهم والامور بخواتيمها وقال في التفسير الكبير انه عرفوه منهم في الدنيا كان مبنيا على ظاهر احوالهم كما نحن نحكم بالظن وكان ظنا غالبا والاحكام

اى بخيانتهما

في الاخرة منبهة على حفائق الامور وبواطنها فلهذا نفوا العلم فان الظن لا عبرة به في الفهم مع ان التكوين والنقويض الامر الى الاعلم الاعدل اقرب الى الادب وقرئ علام الغيوب بالنصب على ان الكلام قد تم عند قوله انك انت الموصوف بالجلال والكبرياء ثم نصب علام الغيوب على الاختصاص او على النداء ثم عدد انواع نعمه عليه واحدة واحدة بينها على انه عبد ليس باله وبدأ بالنعمة دين من الامم وادناها بذلك النصارى المطاعين في ذات الله سبحانه باتخاذ الصاحبة والولد وموضع اذ قال رفع بالابتداء على معنى ذلك اذ قال الله او نصب باضمار اذكر او هو بدل من يوم يجمع وانما ذكر القول بلفظ الماضي دلالة على تحقق وقوعه لكونه آتيا لا محالة فان ما هو آت كائن لا محالة ونعمت كما يقال الجيش قد اقبل قد اتى اقربا نبائهم او ورد على الحكاية كقول الرجل لصاحبه كانك بنا وقد دخلنا بلادة كذا ونعمتي كذا ومحل يا عيسى مضموم على انه منادى مفرد معرفة او مفتوح لانه وصف ابن مضاف الى علم وهو المختار للتخفيف وكثرة الاستعمال والعني عليك ودالجمع وحدت لانه مضاف يصلح للجنس فيما قال وعلى والدتك لان النعمة على الوالدة نعمة على الوالد ولان مكارم الاخلاق دليل على الاعراق اذ ايدتك بدل من اذكر نعمتي او حال بمعنى مؤيدا بروح القدس اي بجبريل او القدس هو الله كانه اضافه الى نفسه تعظيما له او بالروح الطاهرة المقدسة وقد تقدم في البقرة تكلم الناس وكهلا حالان معطوفتان على حالك المقدرة في المهد وكهلا في هذا باب الحالتين من غير تفاوت واذ علمتك الكتاب الخط او جنس الكتب والحكمة النظرية والعملية والتوراة والانجيل بعض الاسرار الالهية بعد العلوم المتداولة فتنفخ فيها الضمير للكاف لا للهيئة المضاف اليها لانها ليست من خلقه ولا تنفخ في شيء والكاف الضمير في تكون والكاف مؤنث بحسب المعنى لان الهيئة التي هي كهيئة الطير مذكر في الظاهر فلهذا عاد الضمير اليه مذكرا نادرة كما في لعمران ومونثا اخرى كما في هذه السورة وكذلك بإذني اي يتسهيلي ليعلم ان الكل باذن الله تم برئ الاكمه والابرص بتكثير ظاهره الحواري على يديه والا فهو عبد كسائر عبيده واذ كففت برئ انه لما اظهر هذه المعجزات العجيبة قصد اليهود قتله فخلصه الله تم برفعه الى السماء ان هذا الا سحر مبين من قرا بغير الف اشار الى ما جاء به واذا انه ذو سحر فاطلق عليه لحذف مبالغة ومن قرا بالالف اشار الى الرجل والالف واللام في البينات يحتمل ان يكون للجنس بحيث ان يراد بها المعجزات المذكورة وذكر قول الكفار في حقه ان هذا الا سحر مبين يحتمل ان يكون من تمام القصة استطرادا ويكون ان اريد بذلك بعد اراءة النعم اياهم لان كل واحدة منها محسوسة قطعا فالكفار فيه بدل على علو شانه وسمو مكانه واذ اوحيت امرني بان افرض في السماء اذ اي كما اوحيت الى الحواريين بان آمنوا بي وبرسولي او الهمتهم هذه النعم الجسام والمن العظام كان يلبس الشعر ويأكل الشيح ولا يدخر شيئا لغد يقول مع كل يوم رزقه يكفي الا ولد فيموت ابدا امسى ثابت واذ اوحيت الى الحواريين انكانوا انبياء فظاهر والا فالوحي بمعنى الالهام كقوله واوحى ربك الى النحل وانا اوحينا الى ام موسى وهذا ايضا من جملة النعم لان كون الانسان مقبول القول عند الناس محبوبا في قلوبهم من اعظم نعم الله تم وقدم الايمان على الاسلام لعلمه انهم اسنوا بقلوبهم وانقادوا بظاهرهم هل يستطيع ربك من قرا بالتاء وبالنصب فظ والمراد هل يستطيع سؤال ربك اي هل يسئله ذلك من غير ان يصرفك عن سؤاله ومن قرا بالياء وبالرفع فمشكل لانه تم حكى عنهم انهم قالوا اما تكيف يتصور مع الايمان شك في اقتدار الله تم واجيب بوجوه منها ان حكاية الايمان عنهم لا يوجب كمالهم واخلاصهم في قول لهذا قال لهم عيسى اتقوا الله ان كنتم مؤمنين ومنها انهم طلبوا مزيد الايقان والطمانينة ولهذا قالوا لتطمئن قلوبنا ومنها اراد واهل هو جايز في الحكمة ام لا وهذا على اصول المعتزلة من وجوب رعاية الاصلح او اراد واهل يقضي بذلك وعلم وقوعه ام لا فان خلاف معلومه غير مقدور وهذا عند الاشاعرة ومنها قول السكان السبب زائدة وكذا الباء اي هل يطيع ربك ومنها نعل المراد بالزمن جبريل او نحوه كان بنبيه ومنها ان المراد بالاستفهام التقرير كمن ياخذ بيد ضعيف ويقول هل تقدر ان تمشي معي والشيطان على اشباع هذا يريد ان قلبه اسرع قبولا للعاقل من ان يسبق فيه قال الواحدي المائدة فاعلة من ماد يميد اذا تحرك وكانها تميد بما عليها وذلك انها لا تنفك عن طعام او ان كان عليها طعام فمنهى خوان وقال ابن الانباري هي من ماد اذا اعطاه كانها تعطي من تقدم اليه وقال ابو عبيدة هي بمعنى مفعولة مثل عيشة راضية اي مرضية كانت صاحبتها اعطاها الخالق وقال عيسى اتقوا الله في تعنيتهم المعجزة فانه كما لحكم وابهة اقترح معجزة بعد اظهاره معجزات كثيرة لعنت او امرهم بالتقوى لما سئلوا ما سئلوا ومنها ان المطلوب من تقواه ان يجعل له مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب فاجاب الحواريون بانا لا نطلب هذه المعجزة بل نحن نتقوك ونتوكل عليك لكنا نريد ان ناكل منها فان الجوع قد غلب علينا ولا بد لنا من طعام اخر فقدم ذكر ما يريدون سئلوها في مقابلة على غير ما وبسبب ما ونحن نريد بقينا وعرفانا وطمانينة فان التي شاهدناها من معجزاتك رضينا وهذه سماوية فيكون اعجب واغرب ان نعلم صدقك في دعوى النبوة او نكون من الشاهدين لك عند من لم يحضرها من بني اسرائيل او نكون من الشاهدين لله تم بالقول بذلك بالنبوة يكون لنا عيدا صفة للمائدة او استيناف وقرئ بالجزم جوابا للامر كان نزولها يوم الاحد فلذلك اتخذه النصارى عيدا والعيد ما يعود في الوقت معلوم ومنه العيد لانه يعود كل سنة وقرئ جدا بدل لاولنا واخرنا بدل من لنا بتكرير العامل اي لمن في زماننا من اهل ديننا ولمن ياتي بعدنا او كلنا منها اخر الناس كما ياكل اولهم او للقدماء من مشايخنا والاتباع وقرئ لاولنا واخرنا بمعنى الامة او الجماعة فقول عيسى ربنا ابتداء وبذكر الحق واثر عليه انفقا من الذات الى الصفات وقوله تكون لنا عيدا استئناف الى انتهاج الروح بالنعمة لا من حيث انها نعمة بل من حيث انها صادرة عن المنعم وقوله وآية منك استئناف الى كون المائدة دليلا لا سئلكها وقوله وارزقنا استئناف الى طلب حصة النفس فالحواريون قد مواغراض النفس واخروا الاغراض الدينية وان عيسى بدا بالاشرف حتى انتهى الى الاخس ثم قال انت خير الرازقين وهو عروج مرة اخرى من الخلق الى الخالق وعند هذا يظهر التفاوت بين النفوس الكاملة والناقصة والمشربة والمظلمة اللهم اجعلنا من اهل الكمال والاشراق بعميم فضلك وجسيم طولك منزلها بالتخفيف والتشديد يعني ويقال بالتشديد للتكثير بالتخفيف مرة واحدة عذابا لا اعذبه احدا قال ابن عباس يريد مسخهم خنازير مثل مرة وقيل خمسا من العذاب لا يكون موجبا الى الاخرة عذابا

فاذا لم يكن حلها للطعام

المائدة

ضب على المصدّاى بعد نباح والضبع تعوى لا اعذبه عذابا لا اعذب به احدا من العالمين غالى فى ذاتهم واختلفت ان عيسى ع سئل المائدة لنفسه وسئلها للقوم وان كانا اضافها الى نفسه فى الظاهر وكلاهما محتمل اما نزولها فهذا قال مجاهد والحسن ان المائدة ما نزلت بل القوم لما سمعوا العذاب استعفوا وقالوا لم نرد ها وكذا هذا القول بانه وصف المائدة بكونها عيدا لاولهم واخرهم فلو نزلت لبقى العيد الى يوم القيمة وقال جمهور المفسرين انها نزلت لانه سبحانه وعد انزالها بقوله انى منزلها عليكم ثم ان يوم نزولها كان عيدا لهم ولمن بعدهم ممن كان على شرعهم روى ان عيسى لما اراد الدعاء لبسوا الصوف ثم قال اللهم انزل علينا فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين غمامة فوقها واخرى تحتها وهم ينظرون اليها حتى سقطت بين ايديهم فبكى عيسى ع وقال اللهم اجعلنى من الشاكرين اللهم لا تجعلها فتنة ولا تجعلها مثلة وعقوبة ثم قال لهم ليقم احسنكم عملا فليكشف عنها ويذكر اسم الله عليها ويأكل منها فقال شمعون رأس الحواريين انت اولى بذلك فقام عيسى فتوضأ وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك يسيل سمنا وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من سائر البقول ما خلا الكراث واذا خمسة ارغفة على واحدها زيتون وعلى الثانى عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس جبن فقال شمعون يا روح الله امن طعام الدنيا ام من طعام الاخرة قال ليس منهما ولكنه شئ اخترعه الله بالقدرة العالية كلوا مما سألتم واشكروا يمدكم الله ويزدكم من فضله فقال الحواريون يا روح الله لو اريتنا من هذه الآية اخرى فقال يا سمكة احيى باذن الله فاضطربت ثم قال لها عودى كما كنت فعادت مشوية بإذن الله ثم عضوا المائدة ثم عضوا بعدها فمضوا وقتا وبينا ذهب ان عيسى كان شرط عليهم ان لا يسرفوا فى الاكل ولا يدخروا فعصوا فمسخوا واذا قال الله مسخ على اسلم والصحيح ان هذا القول انما يتم يوم القيمة عند ذلك هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم فنظر الى ان اذلال الله وقدرته يوجب ذلك اما انه قال ذلك استهزاء بهم او على سبيل الانكار والتعرض لصنيع التصارى قال بعض المتكلمين ان احدا من النصارى لم يذهب الى القول بالهية عيسى ع وانما مع القول بنفى الهيته الله تعالى وجب بان الاله هو الخالق وانهم يعتقدون ان خالق المعجزات والكرامات التى ظهرت على يد عيسى ومريم هو عيسى ومريم ليس لله تعالى فى ذلك صنع فهذا تاويل صحيح حكى عنهم واقول يشبه ان يكون المراد بقوله من دون الله اى بعد الله فيكون التوبيخ على التثليث والمراد انه لما دل البرهان على نفى الالهية عن كل من سوى الله تعالى فكل من قال بالهية عيسى او امه لزمه القول بنفى المعبود الحق عن ذلك فلهذا قال ايحسن بى انى اترهبنى بتركهما من ان يكون لك شريكا ثم لم يجب بانى قلت وما قلت كان ذلك يجرى مجرى الطهارة والتنزيه بل اجاب بقوله ما يكون لى ان اقول ما ليس لى بحق فاشار الى ان قوله اظهار الغاية الخضوع والاستكانة ثم فوض الامر الى علمه المحيط بالكل فقال ان كنت قلته فقد علمته ثم علل ذلك بقوله تعلم ما فى نفسى ولا اعلم ما فى نفسك اى تعلم معلومى ولا اعلم معلومك وذكر التفسير ثانيا لاجل المشاكلة وانه من فصيح الكلام او تعلم ما اخفى ولا اعلم ما اخفيت او تعلم ما عندك ولا اعلم ما عندك او تعلم ما اقول ولا افعل ولا اعلم ما تقول ولا تفعل عباد ان للمفسرين ثم اكدا ما ذكرنا بقوله انك انت علام الغيوب ان فى قوله ان اعبدوا الله ان جعلتها مفسرة فالمفسر اما فعل القول او فعل الامر ولا وجه لكليهما اما فعل القول فلانه حكى بعده الكلام بلا ان فيقال ما قلت لهم الا اعبدوا الله اللهم الا ان يقال ان المضاف محذوف والتقدير ما امرتنى بقولك ان اعبدوا الله فيكون كالفعل الماول بالقول فى عدم الظهور حتى يجوز توسيط ان واما فعل الامر فمسند الى ضمير الله فلو فسرته باعبدوا الله لم يستقم لان الله لا يقول اعبدوا الله ربى وربكم وان جعلتها مسندة عند من يجوز دخولها على الطلبية فان كان بد من انها امرتنى والمبدل فى حكم المحى كانها لم تغن فائدتها الاعبادته ولا يستقيم لان اعبادته لا يقال وان جعلته بدلا من الهاء فى به لم يصح ايضا لانه يؤل المعنى بعد طرح المبدل الى قولك الا امرتنى بان اعبد الله فيرجع الموصول بلا عائد فالوجه ان يحمل فعل القول على معناه فيكون اصل المعنى ما امرتهم الا بما امرتنى به حتى يستقيم تفسيره بان اعبدوا الله ربى وربكم الا انه وضع القول موضع الامر غاية للادب كما لا يجعل تفسير دليل امر دال على الاصل بذكر ان المفسرة قال فى الكشاف يجوز ان يكون ان المصدرية محذوفة والتقدير ما امرتنى الا بقولك اعبدوا الله ربى وربكم وكنت عليهم شهيدا كالشاهد على المشهود عليه منعهم من الذين بما يوجب التكفير ما دمت فيهم فلما توفيتنى بالرفع الى السماء كنت انت الحافظ عليهم المراقب لاحوالهم وانت فضل وانت على كل شئ شهيد من الشهادة او من الشهود والحضور وان تغفر لهم فيه سؤال هو انه كيف جاز ليسيء هذا القول والله تعالى لا يغفر الشرك والجواب ان قوله ليسيء انك قلت للناس يدل على ان قوما من النصارى حكوا عنه هذا الكلام والحاكى لهذا الكفر عنه لا يكون كافرا بل يكون مقلدا فقط ولو سلم انه شرك فغفران الشرك جائز عندنا بعقلنا وعند جمهور البصريين من المعتزلة لان العقاب حق الله على المذنب فله ان يسقط عن نفسه استحقاقه بالكلية كما ان الجرم اعظم كان العفو احسن لان الدليل السمعى فى شرعنا دل على انه لا يكون فلعل هذا الدليل السمعى لم يكن موجودا فى شرع عيسى ع ولعل عيسى ع جوز ان يكون بعضهم قد تاب عنه اما من زعم ان هذه المناظرة والمحاورة انما كانت عند رفعه الى السماء فلا اشكال اصلا لان المراد ان توفيتهم على هذا الكفر وعذبتهم فانهم عبادك فلك ذلك وان اخرجتهم بتوبة تلك من ظلمة الكفر الى نور الايمان وغفرت لهم ما سلف منهم فانك انت العزيز القادر على ما تريد الحكيم فى كل ما تفعل الا غرض لاحد عليك وفى مصحف عبد الله فانك انت الغفور الرحيم وضعف العلماء هذا لان ذلك يشعر بكونه شفيعا لهم لا على تفويض الامر بالكلية الى حكمه تم والمقام مقام هذا لا ذاك وعن بعضهم ان ذكر الغفور الرحيم يشبه الحالة الموجبة للمغفرة والرحمة اما العزة والحكمة فلا يوجبان الا الامتناع عن جميع جهات الاستحسان فحصول المغفرة بعد ثبوت هذا الاستغناء والعزة يكون ادل على كمال العفو والرحمة فان العفو عند المقدرة هو الاصل العلى واما الاتيان بنوع شفاعة من عيسى ع لقومه فلان يثبت ذلك من مجامع الفصاحة اولى هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم قرأ بالرفع نافع وابن عامر على تقدير الاضافة اى هذا يوم صدق الصادقين وهو نظير قوله تعالى ان هذا اخى له تسع وتسعون نعجة وقرأ الباقون بالنصب فاما على انه ظرف واما على ان هذا مبتدأ والظرف خبره اى هذا الذى ذكرنا من كلام عيسى واقع فى هذا اليوم كقولك القتال يوم السبت قال الفراء يوم اضيف الى ما ليس

وضع القول الفا ع

بنى على الفتح كما في يومئذ وخطاه البصريون وقالوا انما يبنى الظرف اذا اضيف الى مبنى كما مضى في قول النابغة سقط النصيف ولم ترد اسقاطها وسئل الاخفش عن قوله تعالى هذا يوم لا ينطقون واجيبوا على ان هذا اليوم يوم القيمة والمراد ان صدقهم في الدنيا ينفعهم في القيمة كما قال قتادة متكلمان تكلما يوم القيمة اما ابليس فقال ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم وكان قبل ذلك كاذبا لم ينفعه واما عيسى فكان صادقا في الدنيا وفي الاخرة فنفعه صدقه وفي هذا الكلام تعريض بمن اتخذ عيسى في قوله ما قلت لهم الا ما امرتني به ان اعبدوا الله ربي وربكم ورضوا عنه هما مثلا وفقا لان رضي الله عن العبد غاية وظائف العبودية وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون واذا صح الانسان بنسبة العبودية علم ان العبد لا يكون له ارادة واختيار بل يكون ارادته مغمورة في ارادة ربه ذلك الفوز العظيم اشارة الى جميع المذكورات او الى الجزاء الاخروي وهو الرضوان وما فهم من لم يحمل على العموم وينبه على ان عقول ذوي العقول وعلوم ارباب العلوم بالنسبة الى علمه كلا علم وانما هم وغيرهم تحت قهره وتسخيره سواء واعلم انه سبحانه افتتح السورة بقوله آزفة الآزفة وهو الشريعة والبداية وختم السورة بهذه الآية الدالة على فناء الكل في جنب جلاله وكبريائه وهو الحقيقة والنهاية فما احسن هذا النسق وابدع في السورة بين الشرايع والاحكام الكثيرة والمناظرة مع اليهود والنصارى فهذا الاختتام ذكر فيه انه سبحانه مالك الجميع لممكنات الكائنات موجد الجميع الارواح والاجساد بعض التكليف على اي وجه اراد وليكون ردا على اليهود بحكم المالكية في نسخ شريعة موسى ووضع شريعة محمد وليكون ردا على النصارى في ان عيسى وامه داخلان في المخلوقين موجودان بايجاد الله ولا معنى للعبودية الا هذا وايضا لما اخبر عن فناء وجوههم المجازي لم ينف هناك مجيب بنفسه لله الملك اليوم لله الواحد القهار ولعل في هذه الخاتمة من الاسرار ما ضاعف اغتباطنا عند تلاوتها على الكتاب الناطق اخبر عن كثرة السؤال انهما نزلت لملاقاة ذلك البيان علوم القال عبر عن علوم الحال واصفة الاول بحمد فيه السؤال الثاني يلزم منه ذلك اذ يحصل بالتبعية الابلغ برهان كما كان حال الانبياء مع الله وكل ذلك اتى بها ابراهيم لقد اتانا بنبأ ربه الكبرى وقال ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى فقال الخضر لموسى فان اتبعتني فلا تسئلني عن شيء وقال موسى في الثالثة ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني فان فعل العلم الذي به يباهي في الصحبة والمتابعة والتسليم في السؤال لا ينقطع عن الصحبة وان تسئلوا عنها حين ينزل القرآن اي ان كان لا بد لكم من السؤال عن خطابي فاسئلوا عنها بعد نزول القرآن عن القرآن ليجزكم عن حفظ بقائنا على قدر عقولكم والله غفور لمن ناداني من طلب علوم الحقايق بالقال عليه من طلب بالحال يصدق عنه في اثناء الطلب سؤال قد سئلها قوم من قبلكم كقوم عيسى اصبحوا بها كافرين وانبلوا على حجر البخل والقال وقوم اقاموا بها النهار والضلال ما جعل الله من بحيرة قال الشيخ المحقق محيي الدين المعروف بذاتهم الجاهلية وانا الفاسقية يتقولون انا نحن وذكرهم ويجعلون فيها حلق الحديد ويحلقون لحيتهم ولا سائبة هم الذين يضربون في الارض خلع العذار بلا لجام الشريعة وقيد الطريقة ويدعون انهم اهل الحقيقة ولا وصيلة هم اهل الاباحة الذين يتصلون بالاجانب بطريق المواخاة والاتحاد ويرضون صحبة الاشرار لاجل العصبية والعناد ولا حام وهو المغرور بالله بظن انه بلغ مقام الحقيقة فلا بأس له بمخالفات الشريعة واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله من الاحكام والى الرسول لمتابعته قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا اي مشايخنا واهل صحبتنا اولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا من الشريعة والطريقة ولا يهتدون الى الحقيقة عليكم انفسكم اي اشتغلوا ولا تزكية نفوسكم ثم بارشاد الغير فان الغير في الكتم بتعلم السنة اذا اشتبه عليه امر لا يضركم من ضل اذا اهتديتم مثله هلكا معا الى الله مرجعكم جميعا فللطائفين بحدثان العناية وللمضلين بسلاسل القهر والنكاية اذا حضر احدكم الموت اي النفس توفت عن صفاتها الدنية بالرياضة والمجاهدة فتوصي بصفاتها الوارثة وهم القلب وصفاته والوصيان اثنان ذوا عدل منكم هما العقل والسر من الروحانيات واخران من غير الروحانيات هما الوهم والخيال من النفسانيات فالعقل والسر شهيدان الحق وان كان على ذي قرابة من الروحانيات والوهم والخيال شهادتهما الصدق والكذب انتم ضربتم في الارض اي سافرتم في السفليات فاصابتكم مصيبة الموت اي فتصيبك لنفس جذبة الحق فتموت تحبسونهما ان كنتم في بعد من الروحانيات من بعد الصلوة من بعد حضورهما مع الله وتوجههم الى الحق ومراقبته فيقسمان على الشاهدين بالقسم والتحويف بالله ان ارتبتم بايمانهما ذوا الحق وبعد نعم ان زكية النفس وهي صفاتها الوارثة وهم القلب صفاتها ولا يضر هما في شيء من السفليات فان كل خلق اذا استعملته النفس في طلب الدنيا ولذاتها كان وصفا مذموما واذا استعمله القلب في طلب العلوم والكمالات سمي حمدا فان عثر على انهما استحقا اثما بان مالا الى حظ من حظوظ السفلية فاخران من صفاتها القلبية هما التذكر والفكر الصائبة بنظران في عواقب الامور ويشهدان على ان الاخرة خير من الدنيا والباقي خير من الفاني فشهادتنا احق من شهادتهما لان الوهم والخيال مالا الى الحظوظ كلها الحقوق والتذكر والفكر مالا الى حفظ الحقوق بتركها فان ارتابوا بالشهادة على وجهها اي العقل والسر بانهما في بدو الامر باشتغالهما بصفات النفس السفلية الاخروية او بخلل فان عوارض الامور بان يشتد وا على انفسهم بالاستهلاك وتضييع اوقاتها الاستعداد ثم بالتفكر والتذكر يرد الامر الى وجوب غاية الحقوق فيهما جبانا الى كثرة الرياضة ما اجبتم قالوا وهم مستغرقون في بحر الشهود لا علم لنا اي بتواطن الامور حقايقها واذا وجب الحلف بالحق اريد به في عالم الارواح يوم الميثاق قالوا بلى شهدنا ان لا تقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين او تقولوا انما اشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم افتهلكنا بما فعل المبطلون فالوا بلى شهدنا لئلا تقولوا في عالم الاشباح انا كنا عن بعض الحوايين في الاعيان غافلين او تقولوا انما عيسى بن مريم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء ان كنتم مؤمنين قالوا نريد ان ناكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم ان قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين فاستجاب لهم ربهم وانزل عليهم مائدة من السماء تكون لنا عيدا لاولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وانت خير الرازقين لان الله يرزق من يشاء بغير حساب ويرزق من عباده من يشاء بحساب ويرزق من بكفر بعد منكم بان لا يقوم بحقها ويجعلها سبكة بضبطا دينها الدنيا فاني اريده من المراتب الروحانية الى المهالك الجسمانية وهو مسخ الخنفسي وبوم العنزة بكم بحيث على صفاتهم التي كانوا عليها كما قال يهود الناس على ما عنى منهم ويحشر على ما مات

علیه انت قلت للناس الخطاب مع الامة الامن سنته سبحانه ان لا یکلم الکفار فکلم عیسی بلا صمم او المراد بالقول امر لتکون فالمعنی انت خلقت
فیهم ایجادك وامثالهم امرنا خلقت لك فیهم خلقا لا نالهم انك انت علام الغیوب الغیب ما غاب عن الخلق ویحتمل ان یعلم الخلق وغیب
الغیب ما غاب عنهم ولا یمکنهم ان یعلموه والله حسبی ونعم الوکیل نعم المولی ونعم النصیر سورة الانعام مکیة وهی مائة وخمس آیاتها وعشرون رکوعاتها

بسم الله الرحمن الرحیم

بنام خدای بخشاینده مهربان

ع ۱ الحمد لله الذی خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذین کفروا بربهم یعدلون

سپاس مر خدای را سزاست آنکه آفرید آسمانها وزمین را وآفرید تاریکیها ودروشنی پس آنگاه که کافرشدند بپروردگارشان همتا برابری میکنند

هو الذی خلقکم من طین ثم قضی اجلا واجل مسمی عنده ثم انتم تمترون وهو الله فی السموات وفی الارض یعلم سرکم وجهرکم ویعلم ما تکسبون

اوست آنکه آفرید شمارا از گل پس حکم فرمود مدتی را ومدتی نامبرده در نزد اوست پس شما شک میکنید ومعبود اوست خدا در آسمانها

ودر زمین میداند پنهان شما وآشکار شما را ومیداند آنچه را که کرده اید ونمیاید بایشان از آیتی از آیات پروردگارشان

الا کانوا عنها معرضین فقد کذبوا بالحق لما جاءهم فسوف یاتیهم انباء ما کانوا به یستهزءون

مگر آنکه بودند از آن روگردانان پس بتحقیق که تکذیب کردند بحق چون آمد ایشانرا پس زود است که بیاید ایشانرا اخبارهای آنچه که بودند بآن مسخره میکردند

الم یروا کم اهلکنا من قبلهم من قرن مکناهم فی الارض ما لم نمکن لکم وارسلنا السماء علیهم
ایا ندیدند چه قدر هلاک کردیم از پیش ایشان از زمانها که جای دادیم ایشانرا در زمین آنچه جای ندادیم شمارا وفرو فرستادیم از آسمان بر ایشان
مدرارا وجعلنا الانهار تجری من تحتهم فاهلکناهم بذنوبهم وانشانا من بعدهم
بارانرا وقرار دادیم نهارا که روان بود از زیرشان پس نابود کردیم ایشانرا بگناهشان وایجاد کردیم از پس ایشان
قرنا اخرین ولو نزلنا علیک کتابا فی قرطاس فلمسوه بایدیهم لقال الذین کفروا ان هذا
قرنهای دیگررا واگر فرستادیم بر تو کتاب در کاغذی پس لمس میکردند آنرا بدستهای خود هرآینه گفتند آنان که کافر شدند نیست این
الا سحر مبین وقالوا لولا انزل علیه ملک ولو انزلنا ملکا لقضی الامر ثم لا ینظرون
مگر جادوئی هویدا وگفتند چرا فرود نیامد براو فرشته واگر بفرستادیم فرشته هرآینه حادث شده بود فرمان پس نمیماندند
ولو جعلناه ملکا لجعلناه رجلا وللبسنا علیهم ما یلبسون ولقد استهزئ برسل من قبلک
واگر آنرا میکردیم فرشته هرآینه میکردانیدیم اورا مردی وهرآینه میپوشانیدیم بر ایشان آنچه میپوشانند ومسخره کردند پیغمبرانرا از پیش تو
ع ۲ فحاق بالذین سخروا منهم ما کانوا به یستهزءون قل سیروا فی الارض ثم انظروا کیف کان عاقبة
پس احاطه کرد بآنهائی که مسخره کردند از ایشان آنچه که بودند که بآن استهزا میکردند بگو سیر کنید در زمین پس بنگرید چگونه بود عاقبت
المکذبین قل لمن ما فی السموات والارض قل لله کتب علی نفسه الرحمة لیجمعنکم الی یوم القیامة لا ریب فیه الذین خسروا انفسهم فهم لا یؤمنون

تکذیب کنندگان ابو عمرو وسهل ویعقوب وحمزه وعاصم وفراء بزیدون والسمنونی وحمزه فی الوقف بغیر همز البافون بغیر همز فحاق بالالف الخشن کاجزم
الوقف والنور لان ثم لغة فی لیجمعنکم الی یوم القیامة لا ریب فیه الذین خسروا انفسهم فهم لا یؤمنون

ودیگر بعد بدل لعنی وهو المستحق للعبودیة فی اهل السموات واهل الارض تکسبون معرضین لما جاءهم للابتداء بالتهدید یستهزءون لما اتاهم المستهزئون
اخرین سحر مبین علیه ملک لا ینظرون یلبسون یستهزءون المکذبین التفسیر عن ابن عباس ان رسول الله قال نزلت الانعام جملة واحدة ونزل معه من الملائکة
سبعون الف ملک فملا ما بین الاخشبین فدعا رسول الله الکتاب فکتبوها من لیلتهم سوی آیات معدودات عن انس ان رسول الله قال لقد بعث
بها الی جبرئیل مع خمسین الف ملک یحفها حتی اوردها فی صدک کما یقر الماء فی الحوض ولقد اعزنی الله ثم وایاکم بها غایة الایذان بعدها ابدا
فیها دحض حجج المشرکین وعلم الله لا یخلفه ولاشتمال هذه السورة علی دلائل التوحید والنبوة والمعاد وشرائعها جملة ذهب علماء والکرام الی ان هذه السورة
مع جلالة قدره یجب تعلمها علی الفور لاعلی التراخی بخلاف الاحکام فانها تنزل کفاء المصالح وبحسب الحوادث والنوازل واعلم ان قوله الحمد لله مذکور
فی اوایل سور خمس واختص کل منها بصفة لکن اعمها صلة فاتحة الکتاب الحمد لله رب العالمین فان العالم کل موجود سوی الله تعالی فکان سائر السور
تفاصیل لهذه الجملة انثنی الله سبحانه علی نفسه بقوله الحمد لله الذی خلق السموات والارض علی النفس فیه شهادة فیه دلیل علی انه لا یمکن قیام الشیء
الخلق فکما انه واحد فی ذاته فهو واحد فی صفاته وافعاله لا اعتراض لاحد علیه الحقیق بان یحمد فی کل ما فعل بحسب الفضیلة والکمال ولا یوجد للممکن صفة
کمال الا وهی مشوبة بالنقص والاختلال وذاته الا موزون فی افق الامکان بخلاف واجب الوجود فانه لا غایة لکماله ولا نهایة لعظمته وجلاله فلا یلیق ان یعبد

هو وكان يثنى الا عليه ولا ان يشكر ويحمد الا له ثم الاوصاف الجارية عليه سبحانه انما تذكر زيادة في المدح لا لاجل التوضيح والكشف
سماها تزيد معرفة وانما لذة ذكرناها وقد تقدم في الاسماء ان معنى الخلق راجع الى التقدير والتقدير عائد الى العلم فالمراد انه اوجد السموات والارض على
حسب علمه لا زلخال بعض العلماء السماء كالدائرة والارض كالمركز وحصول الدائرة يوجب تعين المركز ولا ينعكس لامكان ان يحيط بالمركز الواحد دوائر
لا نهاية لها فلهذا ذكر السماء قبل الارض مع ان ظاهر التنزيل يدل على ان خلق الارض مقدم على خلق السماء وجمع السموات حقيقة وكذا افراد
الارض وقد يجمع الارض باعتبار الطبقات وسوف يجئ تقرير ذلك في قوله ومن الارض مثلهن والمقصود من هذا الوصف لزوم المشركين وان تخصيص جرم
علمك بمقدار معين تخصيص كل من اجزائه بحيز معين وتخصيص الفلك بالحركة والارض بالسكون مع اشتراكهما في الطبيعة الجسمية وتخصيص كل حركة بحد
معين من السرعة والبطوء وجهة معينة دلائل ظاهرة على وجود فاعل مختار واحد ذاته وفي صفاته وفي افعاله وانه ان لم يحرك كل فلك والا لان حقيقة الحركة
انتقال من حالة الى حالة فيقتضي المسبوقية بالغير وعدم الاولوية بنفسه في المسبوق بالغير وعدم الاولوية بنفسه في المسبوق بالغير والجمع بينهما محال واذا ثبت ان لكل
حركة اول فاختصاص ابتداء حدوثه بوقت معين يدل على الفاعل المختار وكذا اختصاص بعض الاجسام بالفلكية وبعضها بالعنصرية مع تساوي الكل
في تمام الماهية وايضا ان خارج العالم الجسماني خلاء لا نهاية له كما ثبت في الكلام فخصوص هذا العالم في حيزه الذي حصل فيه دون سائر الاحياز امر ممكن يحتاج
الى مرجح قادر مختار حكيم يفعل ما يشاء كما يشاء هذا ان نظرنا في ذوات هذه الاجرام اما ان اعتبرنا منافعها وكيفية تاثيراتها وهي الاباء في
العنصريات وهي الامهات لتحصيل المواليد الثلثة المعادن والنباتات والحيوانات ارتقينا من ذلك ايضا الى وجود صانع قدير وحكيم خبير رتبها على
احسن وجه ممكن اما قوله وجعل الظلمات والنور فمعناه احدث وانشاء وهذا اقتصر على مفعول واحد ولو كان بمعنى صير اقتضى مفعولين وانما لم
يقل وخلق لانه از ال التوهم عن انشاء شئ من شئ كقوله وجعل منها زوجها فالنور والظلمة لما تعاقبا صار كان كل واحد منهما تولد من الاخر وقيل
لان الظلمات من الاجرام المتكاثفة والنور من النار وهذا جمع لظلمات اذ لكل جرم ظل والظل قد يحد النور لان النار واحة هو منها والظلمة والنور
ههنا هما الاولان المحسوسان بالبصر لان الاصل في الاطلاق الحقيقة والقرينة ذكر السموات والارض وعن ابن عباس ان الظلمة ظلمة الشرك والنفاق
والنور هو الاسلام واليقين على الاول فانما جمع لظلمات ووحد النور لان النور عبارة عن تلك الكيفية الكاملة القوية ثم انها بقبل التناقص
والزوال اسباب كثيرة اولانه قصد بالنور الجنس وعلى الثاني فذلك لان الحق واحد والباطل اكثر من ان يحصى وانما قدمت الظلمة على النور لان عدد
الجهلة اكثر ابو علي وجرها والظلمة عدمية عند من يجعلها عدما للنور او شبهها بالعدم عند من يجعلها هيئة مضادة للنور وقد ورد في الاثر
ان الله تعالى خلق الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره وقوله ثم الذين كفروا بربهم يعدلون معطوف على قوله الحمد لله والمعنى انه حقق بالحمد
على ما خلق ثم الذين كفروا يعدلون عن طريق الانصاف فيكفرون بربهم او على خلق السموات معناه خلقها خلقا لا يقدر عليه احد سواه ثم هم
بربهم يعدلون اي يسوون به ما لا يقدر على شئ من ذلك فعلى المعنى الاول يعدلون من العدل وعلى الثاني هو من العدل وعن ثم ههنا وفي قوله ثم انتم
تمترون الدلالة على ان المضمون بالجملتين احدهما اخر من الاخرى دليل اخر على اثبات الصانع وعلى صحة المعاد الجسماني فقال هو الذي خلقكم من طين اي
لانه مخلوق من الطين او خلقكم من النطفة المتولدة من الاغذية المنتهية الى العناصر وكلا الامرين خلق الاغذية المتنوعة من العناصر المتشابهة الاجزاء ثم تولد
النطفة المتشابهة الاجزاء من تلك الاغذية المختلفة ثم تعاقبوا الاعضاء المختلفة في الصفة والصورة واللون والشكل كالقلب والدماغ والكبد والعظام
والعضلات والرباطات والاوتار وغيرها من المادة المتشابهة لا يمكن الا بتقدير مقدر حكيم ومدبر رحيم ثم ان تلك القدرة والحكمة باقية بعد
المحلول فيكون قادرا على اعادتها واعادة الحيوة فيها وذلك يدل على صحة القول بالمعاد اما قوله ثم قضى اجلا فاعلم ان لفظ القضاء قد يجئ بمعنى
بمعنى الحكم والامر وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبمعنى الخبر والاعلام وقضينا الى بني اسرائيل وبمعنى صنع الفعل اذا تم فقضاهن سبع
سموات ومنه قولك قضى فلان حاجة فلان والاشبه ههنا هو الاول والاجل في اللغة بمعنى الوقت المضروب لانقضاء الامد واصله من التاخير ومنه الاجل
لتاخر الموت ثم صير الاجل يدل على حصول اجلين لكل انسان فقال ابو مسلم الاول اجال الماضين لانهم لما ماتوا صاروا اجالا معلومة والثاني
اجال الباقين لانها غير معلومة بعد انما هي مسماة عند الله تعالى وقيل الاول اجل الموت والثاني اجل القيامة لانه لا اخر له ولا يعلم احد كيفية
الحال في هذا الاجل الا الله تعالى وقيل الاول ما بين ان يخلق الى ان يموت والثاني ما بين الموت والبعث وهو البرزخ وقيل الاول النوم والثاني
ما بين الموت والبعث وهو البرزخ وقيل الاول النوم والثاني الموت وقيل الاول مقدار ما انقضى من عمر كل احد والثاني ما بقي
من عمره وقال الحكماء الاول الاجل الطبيعي الذي يمكن بالنسبة الى المزاج الاول لكل شخص لو بقي مصونا عن الافات الخارجية والثاني
الاجل الاختراعي الذي يحصل بسبب من الاسباب الخارجية كالغرق والحرق والقتل والدفع وغيرها من الامور المفصلة ومعنى مسمى اي مذكور
في اللوح المحفوظ او عندي تحكمه وعلمه كما يقول هذا المسئلة عندي كذا وعند ابي حنيفة كذا وارتفع اجل بالابتداء وجاز ذلك مع
تنكيره لمكان وصفه فقارب المعرفة وانما لم يقل وعند اجل مسمى تعظيما لشان هذا الاجل فكانه قيل واي اجل مسمى عنده والمرية والامتراء الشك ومعنى
بعد الامتراء عن مثل هذه الحجج الباهرة الموجبة للتيقن في امر المبدء والمعاد فرد انه سبحانه عالم بجميع المعلومات رد على من زعم انه غير عالم بالجزئيات فلا
يمكنه القطع من العاصي لامتناع اجراء بكر وزيد عن اجراء بكر وعمرو فقال وهو الله في السموات وفي الجهة هذا وقوله لما امتنع من حيث السماء انه سبحانه

مستقر في الشافا لو اريد تاكيد وقف بعض القراء على السموت والابتداء بقوله في الارض يعلم اي يعلم سركم الموجوة في الارض لو سلم ان لا وقف فالاجماع
حاصل على انه ليس موجودا في الارض ولا يلزم من ترك العمل باحد الظاهرين ترك العمل بالظاهر الاخر من غير دليل ونقول بانه تعالى لله ما في السموت فلو كان هو في
السماء لزم ان يكون مالكا لنفسه ولا يخفى ضعف هذا النقض لانه مخصوص بالقرينة كقوله ان الله على كل شئ قدير وبانه اما ان يراد كونه في سماء واحد هو الظاهر او
في جميع السموات وهو يقتضي كونه في اكثر من واحد في مكانين متكافئين وكلاهما محال والحق انه لا يلزم من استحالة المكان الا فقر الى التحيز والتحيز وهو فوق بهم من
ربانه لو كان موجودا في السموات لكان محدودا متناهيا فيكون قابلا للزيادة والنقصان فيكون مختصا بمقدار معين لمخصص فيكون محدثا وربه عليه انه لا يجوز
ان يكون في السموات وفوقها الى ما لا يتناهى لانه سمع عند من يقول ان وراء هذا العالم خلاء غير متناه وبانه لو كان في السموات فان لم يقدر على عالم اخر فوقها
لزم تعجيزه وان قدر فلو فعل لحصل تحت ذلك العالم او القوم ينكرون كونه تحت العالم والاعراض انه لا يلزم من القدرة الايجاد وقال الجبائي المراد وهو الله في
تدبير السموات والارض كما يقال فلان في امر كذا اي في تدبيره واصلاحه على هذا يكون في السموات اخبارا بعد خبر ويوقف على اسم الله ثم يبتدا بما بعده او هو الذي يقال له
الله بهما لاشتهاره لهذا الاسم والسر من صفا القلوب هو الذي او الصوت والجهر من اعمال الجوارح لان الاول متقدم على الثاني طبعا فلا جرم قدم عليه وضعا
اعني قوله يعلم سركم وجهركم مقدرة لما قبلها او خبر ثالث او كلام مبتدا ويعلم ما تكسبون الكسب الاعمال السيئة والجهرية لانه المفعل المقتضي الى اجتلاب نفع او
دفاع ضر ولهذا لا يوصف فعل الله تعالى بانه كسب وافراط الاخص بالذكر بعد الاعم للتقرير والتاكيد او يكونا هم حسنة يلزم منه عطف الشئ على نفسه والمراد به
عالم بما يستحقه الانسان على افعاله من ثواب وعقاب لما فرغ من دلائل التوحيد والمعاد شرع في النبوات فرتب احوال الكفار مع الانبياء في ثلثة مراتب الاولى
كونهم معرضين عن التامل في الدلائل وذلك قوله وما تاتيهم من اية من اياتهم من الاولى للاستغراق والثانية للتبعيض والمراد ما يظهر لهم دليل قطع
من الادلة التي يجب فيها النظر والاعتبار لا وهم على حالة الاعراض لقلة تدبرهم وفرط غفلتهم الثانية كونهم مكذبين وهذه شر مما قبلها لان الاعراض
قد يكون للغفلة لا للتكذيب اذا كذب فقد اعرض وزاد قال علماء المعاني ههنا حذف كانه قيل ان كانوا معرضين عن الايات فقد كذبوا بما
هو اعظم اياته وهو الحق لما جاءهم هو سحر فاقتر بمكة انفلق فلقتين فذهبت فلقة وبقيت فلقة وقيل هو القران الذي تحداهم به فعجزوا عنه وقيل هو محمد
وقيل شرعه وقيل وعده ووعيده وتبشيره وانذاره والاولى الحمل على الكل المرتبة الثالثة كونهم مستهزئين لان التكذيب اذا انضم معه الاستهزاء
كان غاية في القوة وذلك قوله فسوف ياتيهم انباء ما كانوا اي اخبار الشئ الذي كانوا به يستهزؤن وهو القران وغيره من المعجزات وليس
المراد نفس الانباء بل العذاب الذي ينشاء الله تعالى به كقوله ولتعلمن نبأه بعد حين واحكم اذا توعد فرعا قال المتعرفون بنا هذا اذا نزل بك عاجلا وذلك
ان الغرض من اخبر حصول العلم بالمخبر عنه وذلك انما يتحقق بعد المعاينة ومعنى الاية سيعلمون باي شئ استهزؤا وانه لم يكن موضع استهزاء وذلك عند
نزول العقاب بهم في الدنيا كيوم بدر وغيره او في الاخرة ثم لما زجرهم عن الاعراض والتكذيب والاستهزاء واوعدهم على ذلك عاد الى الموعظة
التي صدرت بتذكير احوال الامم الماضية والقرون الخالية والقرن القوم المقترنون في زمان من الدهر المفترقون بعد ذلك بالموت وذلك الزمان الا
ستون سنة وقيل سبعون وقيل ثمانون والاقرب انه غير مقدر بزمان لا يقع فيه زيادة ولا نقصان ولكنه اذا انقضى الاكثر من اهل كل عصر فقد انقضى
القرن وليس المراد ان يعتد الكفار محمدا في عداد الاخباء لانهم يصدقون التكذيب فسيكذبونه فيها ايضا وانما المراد ان ما يختص بالمقدمين منهم مشهور بين
الناس فيجدان بقاءهم ما سمعوا تلك الحكايات ومجرد سماعها يكفي في الاعتبار ثم وصف تلك القرون بثلثة اوصاف الاول تمكينهم في الارض يقال
لفلان في الارض اذا جعل له مكانا ومكنه فيها اثبته وهما متقاربان ولهذا جمع بينهما في الاية والمعنى لم نعط اهل مكة نحوما اتينا عادا وثمود وغيرهم من البسطة في
الجسم والسعة في الاموال واسباب الدنيا الثاني ارسال السماء عليهم يعني العيث والسحاب والخضراء لان المطر ينزل من ذلك الصوب والمدرار كثير الدور واللبن
اذا اقبل على الحالب منه شئ كثير ومدرار ابلغ لما طرويق ايضا سحاب مدرار اذا تتابع مطاره ومفعال من ابنية المبالغة يستوي فيه المذكر والمؤنث
الثالث وجعلنا الانهار تجري من تحتهم اي من تحت امكنتهم والمراد انهم اصحاب البساتين والقصور والمتنزهات فان قيل الهلاك عن مخالفة الرسل هل
يجري ذلك على الانبياء والمؤمنين ايضا قلنا الدفع هذا الاشكال كرة فقال فاهلكناهم بذنوبهم فان الاهلاك بسبب المعاصي والاثام لا يكون الا
بالعذاب الاليم ثم نبه بقوله وانشانا من بعدهم قرنا اخرين على كمال العزة واستغنائه وغاية قدرته واستعلائه كقوله ان يشا يذهبكم ويات بخلق
جديد فالبلاد بلادهم والعباد عباده التحويف بالتعذيب والتهديد بالاعدام والايجاد ثم ان الذين يتمردون عن قبول دعوة الانبياء طوائف متعددة منهم من
بالغ في حب الدنيا وطلب لذاتها وشهواتها على وفق هواه منهاكا على قانون الحرص والعدل ممتنعا لذلك عن التزام التكاليف وهو المذكور في الاية ومنهم
الذين لذاتهم ذاهبة وعذابهم الكفر باق ولكن العقل يحمل العقاب الدائم لاجل اللذات الفانية ومنهم من حمله العصبية والعناد على تكذيب معجزات الانبياء
وجعلها من قبيل السحر الذي لا اصل له وهم الذين عنوا بقوله ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس والمعنى انه لو نزل الكتاب جملة واحدة في صحيفة واحدة
فراوه ولمسوه وشاهدوه عيانا لطعنوا فيه وقالوا انه سحر وههنا سؤال وهو ان نزول الكتاب من السماء جملة ان لم يكن من باب المعجزات لم يكن انكاره
منكرا وان كان من قبيل الاعجاز فالملك يقدر على انزاله من السماء وقبل الايمان بصدق الرسل لم يكن عصمة الملائكة معلومة وحينئذ يجوز ان يكون
نزول ذلك من قبل بعض الجن والشياطين او من بعض الملائكة الذين لم تثبت عصمتهم فلا يكون دليلا على الصدق واجيب بان المقصود من الاية
ليس بيان الاعجاز ولكن المراد انهم اذا لمسوه بايديهم بقوى الادراك الحسي بالابصار اللمسية وبلغ الغاية في القوة والظهور ثم ان هؤلاء يقولون ان ذلك الذي

موجودا ام لا وذلك يدل على انهم بلغوا في الجهالة الى حد لا يستفسط قال القاضي لا بد دليل على وجوب اللطف لانه من انه تعالى لم ينزل هذا الكتاب من حيث انه لو انزله لقالوا هذا القول فيفهم منه انهم لو قبلوه وامنوا به لانزله لا محالة وتوبيخ بان المفهوم ليس بحجة ولو سلم فوقوع اللطف لا يدل على وجوبه ومن المكفرة من تمايل الى بواد الشبهات والافترضات قال الكلبي ان مشركي مكة قالوا يا محمد والله لن نؤمن لك حتى تاتينا بكتاب من عند الله ومعه اربعة من الملائكة يشهدون انه من عند الله وانك رسوله وذلك قوله قالوا لولا انزل عليه ملك فاجاب الله تعالى عن مقترحهم بقوله ولو انزلنا ملكا لقضي الامر ثم لا ينظرون ومعنى القضاء الاتمام والالزام كما مر وتقرير الجواب ان انزال الملك على البشر باهره ومتى تبانيا لم يؤمنوا فيجب اهلاكهم بعذاب الاستيصال او لعلهم اذا شاهدوا الملك هفت واحدهم الاترى ان رسول الله صلى الله عليه الما راى جبريل على صورته الاصلية غشي عليه وان جميع الرسل عاينوا الملائكة في صورة البشر كاضياف ابرهيم ولوط وكالذين تسوروا المحراب وان جبريل تمثل لمريم بشرا سويا وفائدة ثم ان عدم الانظار اشد من قضاء الامر لان مفاجات الشدة اقطع من نفس الشدة ثم انهم كانوا يطعنون في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من جهة اخرى وهي انه بشر مثلهم ويقولون لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا وتقرير الشبهة ان الرسل اذا كانوا من جنس الملائكة كانت علومهم اكثر وقدرتهم اشد ومهابتهم اعظم وامتيازهم عن الخلق اكمل والاشتباه في نبوتهم ورسالتهم اقل والحكيم اذا اراد تحصيل مهم اختار ما هو ارفع افضى الى المطلوب فاجاب الله تعالى عن شبهتهم بقوله ولو جعلناه اي الرسول ملكا لجعلناه رجلا لان انزال الملك اية ظاهرة جارية مجرى الالجاء وازالة الاختيار وذلك ينافي غرض التكليف لان الجنس الى الجنس اميل ولان البشر لا يطيقون رؤية الملك لان طاعات الملك كثيرة فيحتقرون طاعات البشر ويستعظمون اقدامهم على المعاصي فلا يصبرون معهم ولان انزال الملك يقوي الشبهة من وجه اخر وذلك ان اي معجزة ظهرت عليه قالوا هذا فعلك فعلته بالتخيل او بقدرتك ولو حصل لنا مثل ما حصل لك من القدرة والقوة لفعلنا مثل ما فعلت ثم قال وللبسنا عليهم ما يلبسون لبست الامر على القوم البسه لبسا اذا شبهته عليهم وجعلته مشكلا ومنه لبس الثوب لان تردد الستر المعنى اذا جعلنا الملك في صورة البشر كان فعلنا نظير الفعلهم في التلبيس وانما كان ذلك لبسا لان الناس يظنونه ملكا مع انه ليس بملك ويظنونه بشرا مع انه ليس ببشر وانما كان فعلهم لبسا لانهم يخلطون على انفسهم ويقولون ان البشر لا يصلح للرسالة فلا ينقطع السؤال بدا ويبقى الامر في حيز الاشتباه وعلى هذا التفسير يكون قوله ما يلبسون مفعولا مطلقا ويجوز ان يراد وللخلنا عليهم ما يخلطون على انفسهم فيكون مفعولا به يعني ان القوم اذا راوا الملك في صورة الانسان اشتبه الامر عليهم واذا كنا قد فعلنا ذلك كان اللبس منسوبا الينا ثم سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عما يلقى من قومه بقوله ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق الى نزل وقال الفراء عاد عليهم والتركيب يدور على الاحاطة ومنه الحوباء للنفس لاستدارة الكرة طاكانوا اي الشيء الذي كانوا به يستهزئون هو الحق الذي جاء به محمد صلى الله عليه والمراد اسند الحق اليه حيث اهلكوا لاجل الاستهزاء به ويحتمل ان يراد بلفظ ما العذاب الذي كان يخوفهم الرسول ويتهزأ له وهم يستهزئون بذلك ثم امر رسوله بان يقول لهم لا تغتروا بما وجدتم من زخارف الدنيا وسيروا في الارض لتشاهدوا اثار الامم السالفة الذين كذبوا رسلهم ونزل بهم ما نزل فان الاسفار تورث الاعتبار وتفيد الاستبصار واعلم ان سير سبحانه قال ههنا ثم انظروا وفي موضع اخر فانظروا فالفاء يجوز ان يكون اعتبارا لترتب النظر على السير ثم لتباعد ما بين المباح والواجب فان السير مباح والنظر واجب وايضا شتان ما بين السير الصوري بقدم الاشباح وبين السير المعنوي بقدم الارواح والله اعلم بالتاويل وبل حمد نفسه لقدمه الازلي على ان خلق سموات القلوب وارض النفوس وجعل الظلمات اي الصفات البهيمية والسبعية في النفوس النور في القلوب هو وصفاتها الملكية والروحانية فخص الجعل بالمعاني التي هي من عالم الامر الخالق بلا عيب لانها من عالم الصورة وبهذا الذي ذكرنا صح قال اني خالق بشرا من طين وحيث اراد معناه قال اني جاعل في الارض خليفة ثم بعد هذا الجعل والخلق مال نفوس الكفار بغلبات الظلمات الى طاعوت الهوى فجعلوه عديلا لربهم ثم قضى اجلا للروح المفارق عن حضرة الايام فراقه واجل مسمى عنده وهو اجل الوصال بعد الفراق بجذبة ارجعي الى ربك ثم انتم تمترون يا اهل الوصال كما يمترى اهل الفراق وهو الله في سموات القلوب وفي ارض النفوس يعلم سر الخلافة الذي اودع فيكم وجهركم الذي يظهر عنكم ويعلم ما تكسبون باستعمال الاستعداد والسر والجهر في الماموريات والمنهيات في الخير والشر من ايات ربهم في الافاق وفي انفسهم مكانهم في طلب الحق من قهر النفس واسباب الخيرات والطاعات وارسلنا مطر الواردات من سماء القلوب عليهم مدرارا متواليا وجعلنا انهارا لحكمة تجري من تحت نظرهم فاهلكناهم بذنوبهم ونوطالب لدنيا طاهرها وانشانا من بعدهم قرنا اخرين من لطائف الصفات التابعين المستفيضين فجعلناه رجلا ليفهم خطابه ويكون واقفا على الاحوال البشرية فيعلم بما يرى فيه صلاح حالهم كما قال وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم فلم يسيروا في ارض النفوس بقدم التقوى ويخافوا الموت الى ان يبلغوا سواحل بحار القلوب فتشاهدوا بانوار الله المودعة فيها عاقبة من هلك في بوادي القطيعة اذ سادوا بقدم الطبيعة

قل لمن ما في السموات والارض قل لله كتب على نفسه الرحمة ليجمعنكم الى يوم القيمة لا ريب فيه الذين خسروا انفسهم فهم لا يؤمنون وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم قل اغير الله اتخذ وليا فاطر السموات والارض وهو يطعم ولا يطعم قل اني امرت ان اكون اول من اسلم ولا تكونن من المشركين قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه وذلك الفوز المبين وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير قل اي شيء اكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم واوحي الي هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ ائنكم لتشهدون ان مع الله الهة اخرى قل لا

بداية الفناء الاولى

وهذا محال

اشهد

الانعام ٦

اشهد قل انما هو الله واحد وانني بريء مما تشركون الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم الذين خسروا انفسهم فهم لا يؤمنون
ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بآياته انه لا يفلح الظالمون ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين اشركوا اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون
ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين انظر كيف كذبوا على انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون ومنهم من يستمع اليك وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى اذا جاءوك يجادلونك يقول الذين كفروا ان هذا الا اساطير الاولين وهم ينهون عنه وينأون عنه وان يهلكون الا انفسهم وما يشعرون ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين ولو ترى اذ وقفوا على ربهم قال اليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله حتى اذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم الا ساء ما يزرون وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو وللدار الآخرة خير للذين يتقون افلا تعقلون قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى اتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبإ المرسلين وان كان كبر عليك اعراضهم فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض او سلما في السماء فتأتيهم بآية ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين انما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله ثم اليه يرجعون وقالوا لولا نزل عليه آية قل ان الله قادر على ان ينزل آية ولكن اكثرهم لا يعلمون وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم الى ربهم يحشرون والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم قل ارأيتكم ان اتاكم عذاب الله او اتتكم الساعة اغير الله تدعون ان كنتم صادقين بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وتنسون ما تشركون ولقد ارسلنا الى امم من قبلك فاخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين قل ارأيتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم وختم على قلوبكم من اله غير الله يأتيكم به انظر كيف نصرف الآيات ثم هم يصدفون قل ارأيتكم ان اتاكم عذاب الله بغتة او جهرة هل يهلك الا القوم الظالمون وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين فمن آمن واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون قل لا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول لكم اني ملك ان اتبع الا ما يوحى الي قل هل يستوي الاعمى والبصير افلا تتفكرون وانذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا اهؤلاء من الله عليهم من بيننا اليس الله بأعلم بالشاكرين واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة انه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده واصلح فانه غفور رحيم وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله قل لا اتبع اهواءكم قد ضللت اذا وما انا من المهتدين قل اني على بينة من ربي وكذبتم به ما عندي ما تستعجلون به ان الحكم الا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين قل لو ان عندي ما تستعجلون به لقضي الامر بيني وبينكم والله اعلم بالظالمين وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى اجل مسمى ثم اليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون ثم ردوا الى الله مولاهم الحق الا له الحكم وهو اسرع الحاسبين قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية لئن انجانا من هذه لنكونن من الشاكرين قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم انتم تشركون قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم او من تحت ارجلكم او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض انظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون وكذب به قومك وهو الحق قل لست عليكم بوكيل لكل نبإ مستقر وسوف تعلمون واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء ولكن ذكرى لعلهم يتقون وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم الحياة الدنيا وذكر به ان تبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع وان تعدل كل عدل لا يؤخذ منها اولئك الذين ابسلوا بما كسبوا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون قل ايدعو من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على اعقابنا بعد اذ هدانا الله كالذي استهوته الشياطين في الارض حيران له اصحاب يدعونه الى الهدى ائتنا قل ان هدى الله هو الهدى وامرنا لنسلم لرب العالمين وان اقيموا الصلاة واتقوه وهو الذي اليه تحشرون وهو الذي خلق السماوات والارض بالحق ويوم يقول كن فيكون قوله الحق وله الملك يوم ينفخ في الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير واذ قال ابراهيم لابيه آزر اتتخذ اصناما آلهة اني اراك وقومك في ضلال مبين وكذلك نري ابراهيم ملكوت السماوات والارض وليكون من الموقنين فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما افل قال لا احب الآفلين فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما افل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا اكبر فلما افلت قال يا قوم اني بريء مما تشركون اني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والارض حنيفا وما انا من المشركين وحاجه قومه قال اتحاجوني في الله وقد هدان ولا اخاف ما تشركون به الا ان يشاء ربي شيئا وسع ربي كل شيء علما افلا تتذكرون وكيف اخاف ما اشركتم ولا تخافون انكم اشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فأي الفريقين احق بالامن ان كنتم تعلمون الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم ووهبنا له اسحاق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وايوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين واسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم واجتبيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ولو اشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون اولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده قل لا اسألكم عليه اجرا ان هو الا ذكرى للعالمين وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا آباؤكم قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون وهذا كتاب انزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه ولتنذر ام القرى ومن حولها والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء ومن قال سأنزل مثل ما انزل الله ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون إن الله فالق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي ذلكم الله فأنى تؤفكون فالق الإصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون وهو الذي انشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون وهو الذي انزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من اعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا الى ثمره اذا اثمر وينعه ان في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون بديع السماوات والارض انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير قد جاءكم بصائر من ربكم فمن ابصر فلنفسه ومن عمي فعليها وما انا عليكم بحفيظ وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست ولنبينه لقوم يعلمون اتبع ما اوحي اليك من ربك لا اله الا هو واعرض عن المشركين ولو شاء الله ما اشركوا وما جعلناك عليهم حفيظا وما انت عليهم بوكيل ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم كذلك زينا لكل امة عملهم ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون وأقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون ونقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله ولكن اكثرهم يجهلون وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون ولتصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون أفغير الله ابتغي حكما وهو الذي انزل اليكم الكتاب مفصلا والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ان كنتم بآياته مؤمنين وما لكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم الا ما اضطررتم اليه وان كثيرا ليضلون بأهوائهم بغير علم ان ربك هو اعلم بالمعتدين وذروا ظاهر الاثم وباطنه ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم وان اطعتموهم انكم لمشركون أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها وما يمكرون الا بأنفسهم وما يشعرون واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله الله اعلم حيث يجعل رسالته سيصيب الذين اجرموا صغار عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون وهذا صراط ربك مستقيما قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون ويوم نحشرهم جميعا يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس وقال اوليآؤهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها الا ما شاء الله ان ربك حكيم عليم وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون يا معشر الجن والانس الم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على انفسنا وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم واهلها غافلون ولكل درجات مما عملوا وما ربك بغافل عما يعملون وربك الغني ذو الرحمة ان يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء كما انشأكم من ذرية قوم آخرين ان ما توعدون لآت وما انتم بمعجزين قل يا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ساء ما يحكمون وكذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون وقالوا هذه انعام وحرث حجر لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم وانعام حرمت ظهورها وانعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا وان يكن ميتة فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم انه حكيم عليم قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين وهو الذي انشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا اكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه كلوا من ثمره اذا اثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين ومن الانعام حمولة وفرشا كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين ثمانية ازواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين قل آلذكرين حرم ام الانثيين امن ما اشتملت عليه ارحام الانثيين نبئوني بعلم ان كنتم صادقين ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم ام الانثيين امن ما اشتملت عليه ارحام الانثيين أم كنتم شهداء اذ وصاكم الله بهذا فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدي القوم الظالمين قل لا اجد في ما اوحي الي محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة او دما مسفوحا او لحم خنزير فانه رجس او فسقا اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان ربك غفور رحيم وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الا ما حملت ظهورهما او الحوايا او ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان انتم الا تخرصون قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم اجمعين قل هلم شهداءكم الذين يشهدون ان الله حرم هذا فان شهدوا فلا تشهد معهم ولا تتبع اهواء الذين كذبوا بآياتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا ولا تقتلوا اولادكم من املاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن حتى يبلغ اشده واوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا الا وسعها واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله اوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذي احسن وتفصيلا لكل شيء وهدى ورحمة لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون وهذا كتاب انزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون أن تقولوا انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وان كنا عن دراستهم لغافلين أو تقولوا لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة فمن اظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون هل ينظرون الا ان تأتيهم الملائكة او يأتي ربك او يأتي بعض آيات ربك يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا قل انتظروا انا منتظرون ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء انما امرهم الى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون قل اني هداني ربي الى صراط مستقيم دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك امرت وانا اول المسلمين قل اغير الله ابغي ربا وهو رب كل شيء ولا تكسب كل نفس الا عليها ولا تزر وازرة وزر اخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون وهو الذي جعلكم خلائف الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم في ما آتاكم ان ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم

الص كتاب انزل اليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه اولياء قليلا ما تذكرون وكم من قرية اهلكناها فجاءها بأسنا بياتا او هم قائلون فما كان دعواهم اذ جاءهم بأسنا الا ان قالوا انا كنا ظالمين فلنسألن الذين ارسل اليهم ولنسألن المرسلين فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا انفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون ولقد مكناكم في الارض وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين قال ما منعك ألا تسجد اذ امرتك قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين قال فاهبط منها فما يكون لك ان تتكبر فيها فاخرج انك من الصاغرين قال انظرني الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين قال فبما اغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم ولا تجد اكثرهم شاكرين قال اخرج منها مذءوما مدحورا لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم اجمعين ويا آدم اسكن انت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما وري عنهما من سوآتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم انهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين قالا ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون يا بني آدم قد انزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون يا بني آدم لا يفتنكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها قل ان الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون قل امر ربي بالقسط واقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تعودون فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله ويحسبون انهم مهتدون يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وان تقولوا على الله ما لا تعلمون ولكل امة اجل فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون يا بني آدم اما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بآياته اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم قالوا اين ما كنتم تدعون من دون الله قالوا ضلوا عنا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين قال ادخلوا في امم قد خلت من قبلكم من الجن والانس في النار كلما دخلت امة لعنت اختها حتى اذا ادارأوا فيها جميعا قالت اخراهم لاولاهم ربنا هؤلاء اضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون وقالت اولاهم لاخراهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم ابواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وكذلك نجزي المجرمين لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزي الظالمين والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون ونزعنا ما في صدورهم من غل تجري من تحتهم الانهار وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم فأذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة كافرون وبينهما حجاب وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون وإذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين ونادى اصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما اغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون أهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله قالوا ان الله حرمهما على الكافرين الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحياة الدنيا فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنا يجحدون ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون هل ينظرون الا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا او نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل قد خسروا انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون ان ربكم الله الذي خلق السماوات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها وادعوه خوفا وطمعا ان رحمت الله قريب من المحسنين وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته حتى اذا اقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون لقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم قال الملأ من قومه انا لنراك في ضلال مبين قال يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين ابلغكم رسالات ربي وانصح لكم واعلم من الله ما لا تعلمون أوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون فكذبوه فأنجيناه والذين معه في الفلك وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا انهم كانوا قوما عمين وإلى عاد اخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره أفلا تتقون قال الملأ الذين كفروا من قومه انا لنراك في سفاهة وانا لنظنك من الكاذبين قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين ابلغكم رسالات ربي وانا لكم ناصح امين أوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بصطة فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب أتجادلونني في اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان فانتظروا اني معكم من المنتظرين فأنجيناه والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين وإلى ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في ارض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الارض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الارض مفسدين قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه قالوا انا بما ارسل به مؤمنون قال الذين استكبروا انا بالذي آمنتم به كافرون فعقروا الناقة وعتوا عن امر ربهم وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين ولوطا اذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد من العالمين انكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل انتم قوم مسرفون وما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم انهم اناس يتطهرون فأنجيناه واهله الا امرأته كانت من الغابرين وأمطرنا عليهم مطرا فانظر كيف كان عاقبة المجرمين وإلى مدين اخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها ذلكم خير لكم ان كنتم مؤمنين ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجا واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين وان كان طائفة منكم آمنوا بالذي ارسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا او لتعودن في ملتنا قال أولو كنا كارهين قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شيء علما على الله توكلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين الذين كذبوا شعيبا كأن لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين وما ارسلنا في قرية من نبي الا اخذنا اهلها بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون أفأمن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون أو أمن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون أولم يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون تلك القرى نقص عليك من انبائها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين وما وجدنا لأكثرهم من عهد وان وجدنا اكثرهم لفاسقين ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا الى فرعون وملئه فظلموا بها فانظر كيف كان عاقبة المفسدين وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق قد جئتكم ببينة من ربكم فأرسل معي بني اسرائيل قال ان كنت جئت بآية فأت بها ان كنت من الصادقين فألقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين قال الملأ من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم من ارضكم فماذا تأمرون قالوا ارجه وأخاه وابعث في المدائن حاشرين يأتوك بكل سحار عليم وجاء السحرة فرعون قالوا ان لنا لأجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم لمن المقربين قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين قال ألقوا فلما ألقوا سحروا اعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم وأوحينا الى موسى ان ألق عصاك فاذا هي تلقف ما يأفكون فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون فغلبوا هنالك وانقلبوا ص

قدره بصدد المؤاخذة على تقدير المخالفة فقال قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم ولا يلزم من هذا جواز المعصية عنه لان الفرض قد تعلق بالمحال كقولك ان كانت الخمسة زوجا فهي منقسمة بمتساويين من قرأ من يصرف مبنيا للفاعل فالضمير فيه عائد الى الله والمفعول وهو العذاب محذوف لكونه معلوما او مذكورا قبله قال في الكشاف ويجوز ان تنصب به مثله على ان مفعول به ليصرف الى من يصرف الله عنه ذلك اليوم اي هوله ومن قرأ على البناء للمفعول فهو مسند الى ضمير العذاب او لتمام الفاعل وهو الله تعالى العليم به فقد رحمه اي الله الرحمة العظمى كقولك ان الحمى زيدا من جوعه فقد احسنت اليه يعني كمال الاحسان والمراد فقد ادخله الجنة فان من لم يعذب لم يكن له بد من الثواب تفضلا او استيجابا قالت الاشاعرة في الآية دلالة على ان ايصال الثواب على الطاعة غير واجب وانما هو ابتداء فضل واحسان والا لم يجز ذكر الرحمة ههنا الا ترى ان الذي يفتح عينه ان يضرب زيدا فاذا لم يضربه لا يقال انه رحمه وذلك الى صرف العذاب ايضا الثواب على سبيل التفضل او الاستيجاب الفوز المبين لانه المطلب الاعلى والمقصد الاسنى لكل مكلف ثم اكد المعنى المذكور وهو انه لا يجوز للعاقل ان يرغب في اتخاذ ولي غير الله بقوله وان يمسسك الله بضر من مرض او فقر او غير ذلك من البليات فلا كاشف له الا هو وان يمسسك بخير من غنى او صحة فهو على كل شيء قدير عم الحكم ليندرج تحته كل خير والحاصل ان اندفاع جميع المضار بقدرته وكذا حصول جميع الخيرات لان كل ما عداه فانما هو تحت قهره وتسخيره وقد حصل بايجاده وتكوينه فان الممكن لذاته لا يوجد الا بايجاد الواجب لذاته وراس المضار هو الكفر وسنام الخيرات هو الايمان ولن يحصل نقمة الكفر وداعيته الا بتوفيقه تعالى وكل ما يتصور انه قد ينفع او يضر من الجمادات او الحيوانات فان ذلك ينتهي الى تخليق الله وجعله ذلك الشيء واسطة لذلك النفع او الضر فلا ضار ولا نافع بالحقيقة الا هو سبحانه ثم زاد هذا المعنى بيانا فقال وهو القاهر فوق عباده وهو اشارة الى كمال القدرة وهو الحكيم الخبير وانه اشارة الى كمال العلم فالحكمة اعم من العلم لانها عمل وعلم وكونه خبيرا خص من العلم لانه العلم بدواطن الامور وخباياها فاذا اجتمعت هذه المعاني حصل العلم بكماله وغايته وقد استدل بظاهر الآية من اثبت الفوقية لله تعالى وعورض بوجوه منها انه لو كان فوق العالم بان كان في الصغر بحيث لا يتميز منه جانب عن جانب كالجوهر الفرد مثلا فذلك لا يقتضي له عاقل وان كان ذاهبا في الاقطار كلها كان متحيزا والجواب انه لا يجوز ان يكون نورا قائما بذاته غير متناه لا متحيزا ولا منبعضا قاهرا لجميع الانوار بما علا جميع الاشياء لانها بوجوده ولانها بوجوده واما انه كيف يتصور نور بلا نهاية مع انه لا ينقسم ولا يتبعض فتجرد استبعادا فلا يصلح تجرد ادراك شيء من هذا النور محتجا الى نور ومن يجعل الله له نورا فما له من نور ومنها انه لو كان غير متناه من كل الجهات ازم اختلاف الضرورات والجواب ان هذا كلام تخييلي فلا يستعمل في البرهان ومنها انه لو لم يكن خارج العالم خلاء ولا ملاء لم يكن حصول ذات الله تعالى فيه وان كان خلاء فحصوله في جزء من اجزاء ذلك الخلاء دون شتى اجزائه محتاج الى مخصص فيكون الواجب مفتقرا فيكون محدثا هذا خلف الجواب انما ذكرنا ان نور الانوار لا يتناهى واما وراء ذلك فلا يتناهى بما لا يتناهى فيسقط هذا الاعتراض ومنها انه سبحانه موجود قبل الخلاء والحيز والجهة فلا يكون بعد حصول هذه الاشياء موجودا فيها والا لزم التغير في ذاته والجواب بالفرق بين المتبينة وبين الافتقار ومنها ان العالم كرة فاما ان يكون الله تعالى فوق اقوام بازائهم وحينئذ يلزم ان يكون تحت اقدام من بقي بلا مكان واما ان يكون فوق الكل فيكون فلكا محيطا بالاشياء كالافلاك وهذا لا يقوله مسلم والجواب لا نزاع بعد تسليم كون العالم كرة انا نختار القسم الاول ولا يلزم التحيز لان التحت من جميع الجوانب هو ما يلي المركز والفوق ما يلي السماء والقسم الثاني ولا يلزم من احاطته بجميع الاشياء كونه فلكا كسائر الافلاك واما التحقيق فقد مر ومنها ان لفظ الفوق في الآية منسوب بالقهر والقدرة والمكنة وملحوق بلفظ عباده وانتم شعرتم بالمكنة والقدرة فلم لا نسلم ان يراد بالفوق ايضا فوقية القدرة ولا يلزم التكرار لان المراد ان القهر والقدرة عام في حق الكل والجواب ان حمل الوسط على الطرفين اولى من العكس بل لا نزاع في مفهوم العباد وانما النزاع في مفهوم القاهرية والفوقية فحمل احدهما على الاخر اولى من غيره ومنها ان الآية سيقت رد اعلى من اتخذ غير الله وليا وهذا انما يحسن لو كان المراد بالفوقية القدرة لا الجهة والجواب ان الفوقية بالوجه الذي قررنا في جواب الاعتراض الاول يفيد الاستعلاء المطلق وذلك يوجب ان يكون الموصوف به كل الاشياء ولا وجود ولا ظهور لشيء من الاشياء الا بفيضه ونوره وقد يلوح للمتأمل في هذا الاجوبة بعد التنزيه عن التشبيه التجسيم الحلول والاتحاد اسرار غامضة شريفة ان كان اهلا لها وكل بمسلمها خلق له قال الكلبي ان زنباعا قال لليهود ما ترون احدا يبصد قلبي مما تقول من امر الرسالة ولقد سألنا عنك اليهود والنصارى فما علموا ان لبس لك عندهم ذكر ولا صفة فادنا من يشهد لك انك رسول كما تزعم فنزلت قل اي شيء اكبر شهادة الآية قال العلماء اتفقت كلمتنا على ان اكبر الشهادات واعظمها شهادة الله ثم بين ان شهادة الله حاصلة الا انها لم تدل على ان تلك الشهادة لاثبات اي المطالب فقيل انها لاثبات نبوة محمد لما ذكرنا من سبب النزول والمعنى قل يا محمد اي شيء اكبر شهادة حتى يعترفوا بان اكبر شهادة حتى يعترفوا بان اكبر الاشياء شهادة هو الله تعالى فاذا اعترفوا بذلك فقل ان الله شهد لي بالنبوة بان اظهر على وفق دعواي معجزا هو القرآن الذي تحدى به معاشر الفصحاء والبلغاء عن معارضته وقبل ان حصول هذه الشهادة لي وحدانية الله تعالى ذلك ان الوحدانية ليست مما يتوقف صحته على صحة السمع فلا يمتنع اثباتها بالسمع والمعنى قل الله شهيد بيني وبينكم في اثبات الوحدانية والبراءة عن الاضداد والانداد والامثال والاشباه او حي الي هذا القرآن لانذركم به وابلغكم ان الذين هم اقوى حجة والتقرير مر وقد استدل الجبائي بالآية على انه يصح الملاقاة الشيء على الله تعالى وعلى الفعل بقوله تعم ما تعلق به كل شيء اذ لا يمكن دعوى التخصيص فيه فان التخصيص انما يجوز في صورة شاذة لا يلتفت اليها فلم لا يجوز اعتبارها في لفظ الكل بناء على الاكثر ثبتنا بها على ان البقية جارية مجرى العدم فلو كان

الباري تعالى شيئا لكان اعظم الاشياء واشرفها فيكون اخراجه من هذا العموم محض الكذب وايضا اخبر بان الشيء يطلق على المعدوم لقوله تعالى لا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله والشيء الذي سيفعله غدا معدوم في الحال فالشيء لا يفيد صفة مدح فلا يطلق عليه والجواب عن الاول ان اخراج الاكثر من العموم جائز عندنا ولو سلم فانه تعالى واحد من الاشياء والمخرج بهذا الاعتبار اقل عددا من الباقي وعن الثاني ان لفظ الشيء اعم الالفاظ وقد صدق الخاص على الذات والحقيقة صدق العالم بالضرورة فاجهم قل الله شهيد جملة مستقلة بنفسها لا تعلق لها بما قبلها فلا يصح استدلالكم قلنا قل لي شيء سئوال ولا بد له من جواب هو اما مذكور اي قل الله اكبر الاشياء شهادة ثم ابتدئ فقيل شهيدي وهو شهيد بيني وبينكم او محذوف المعنى قل هو الله والله شهيد بيني وبينكم وحسن الحذف لانه اذا سئل عن اكبر الاشياء شهادة وذكر بعد ذلك ان الله شهيد علم ان اكبر الاشياء شهادة هو الله اما قوله ومن بلغ فمعطوف على ضمير المخاطبين العائد الى المحذوف اي لانذركم يا اهل مكة وانذر كل من بلغه القرآن من العرب والعجم وقيل من الثقلين وقيل من بلغ الحلم يوم القيمة وعن سعيد بن جبير من بلغه القرآن فكانما رأى محمدا صلى الله عليه وآله وقيل ومن بلغ اي من احتلم وبلغ اوان التكليف على هذا فلا حاجة الى اضمار العائد ثم استفهم مبكتا فقال انكم لتشهدون ان مع الله آلهة اخرى وصف تعالى نفسه بصفة الواحدة كما يقال الرجال فعلت ثم دل على ايجاب التوحيد بثلث جمل اولاها قوله لا اشهد اي بما تذكرون من اثبات الشركاء وثانيتها قل انما هو اله واحد وكلمة انما تفيد الحصر وثالثتها وانني بريء مما تشركون ومن هنا قالت العلماء المستحب لمن اسلم ابتداء ان يأتي بالشهادتين ويضم اليهما البراءة عن كل دين سوى دين الاسلام ولما زعم مشركو امكة انهم سئلوا اليهود والنصارى عن نعت محمد صلى الله عليه وآله فقالوا ليس عندنا ذكر كذبهم الله تعالى بقوله الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه اي يعرفون رسول الله بنعوته وحلاه الثابتة في الكتابين كما يعرفون ابناءهم بالنعوت والحلى لا يخفون عليهم ولا يشتبهون لغيرهم ابناءهم الذين خسروا انفسهم اما مبتدأ وخبره ما بعده من الذين الاولى ويكون المقصود عهد المعاندين منهم والجاحدين واما مبتدأ والكلام جملة مستأنفة شاملة بجميع الجاحدين من اهل الكتاب ومن المشركين والمراد بخسران النفس الهلاك الدائم الذي يحصل لهم بسبب الكفر وقيل ما من احد الا وله منزلة في الجنة الا ان من كفر كان منزلته الى من اسلم فيكون قد خسر نفسه واهله بان ورثه منزلة غيره ثم بين سبب خسرانهم مستفهما على سبيل الانكار فقال ومن اظلم وذلك لانهم جمعوا بين امرين متنافيين اثبات الباطل وهو الافتراء على الله وجحد الحق وهو التكذيب بآيات الله من الاول ان المشركين كانوا يقولون الملائكة بنات الله وهؤلاء شفعاؤنا عند الله واليهود والنصارى كانوا يقولون عزير ابن الله والمسيح ابن الله والله سبحانه وتعالى اكذبهم بذلك

عند انفسهم فيجب تاويل قوله ثم انظر كيف كذبوا على انفسهم بان المراد كذبهم في دار الدنيا كقولهم انهم على صواب وان ما هم عليه ليس بشرك وان الهتهم شفعاؤهم عند الله فلهذا قال وضل عنهم اى في الاخرة ما كانوا يفترون اى يفتعلون الهيته وشفاعته والحاصل ان الاية سيقت لبيان تضاد حاليهم في الدنيا وفي الاخرة بالكذب بالصدق في الاولى وبالصدق في الاخرة انما يعتبر اذا كان مقرونا بالصدق في الدنيا هذا اجمل كلام الفاضيين قال جمهور المفسرين ان قول القائل لمراد ما كنا مشركين انما هو على انفسهم في الدنيا بخلاف الظاهر ان الكفار قد يكذبون في الفهم لقوله ثم يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون الى قوله الا انهم هم الكاذبون ولو سلم انهم لا يكذبون تعالى الا ان المحق ينطق بما ينفعه وبما لا ينفعه حيث ورد هشا الانوام بقوله ان اخرجنا منها وقد يقنوا بالخلود وقالوا يا مالك ليقض علينا ربك وقد علموا انه لا يقضي عليهم اختلال عقولهم حال ما يتكلمون بهذا الكلام لا ينفي كمال عقلهم في شأن الاوقات ما في الكون سوى الله لا داع ولا مجيب فلهذا يسئل ويجيب قل لمن ما في السموات والارض قل لله وله ما سكن في ليل البشر يشير الى التمتعات الحيوانية وفي نهار الروحانية الى المواهب الربانية وهو السميع ان من سكن اليه العليم بحسن من اشتاق اليه فلا غير الله اتخذ البرية وليا وقل اتخذ الله في الازل حبيبا فاطر بموا القلوب على محبته وفاطر ارض النفوس على عبوديته وهو يطعم ارواح العارفين طعام المعارف بطعام المشاهدات وشفيقهم كؤوس المكاشفات ولا يطعم لانه لا يحتاج الى قبول الفيض من غيره فالانوار عنده كالذرات اول من اسلم لاني خاتمت من حبس الوجود بالكلية وحده ولهذا يقول الانبياء نفسي نفسي واقول امتي امتي ان عصيت فاني ارجو بانها الغير عذاب يوم عظيم هو وقت الاستزال عن مقام التوحيد بان يصرف عنه عذاب الشرك يوم قدر الشرك لاقوام والتوحيد لاقوام وان يمسسك الله بضر ان دائرة ازليته متصلة ابديته وكل نقطة من الدائرة تصلح للبداية والنهاية فكل ما صدر منه فان ينتهي الا به وهو القاهر فوق عباده ثم الكفار يموت القلوب فضلوا الظلمات الطبيعة وقهر نفوس المؤمنين بانوار الشريعة فخرجوا من ظلمات الطبيعة وقهر قلوب المحبين بلذعات الاشواق الى يوم التلاقي وقهر ارواح الصديقين بسطوات الجلال في اوقات الوصال وهو الحكيم فيما يقهر فلا يجاوز من حكمه الخبير لمن يستاهل كل صنف من قهره فنوره بر الله اكبر شهادة لا تنحط بحقها بوا الاشياء ولا يعجز عن شيء من الاشياء ومن بلغ القرآن ووقف على حقايقه ويقول بوحيانى للمشركين انكم لتشهدون ان مع الله الهة اخرى قل لا اشهد قل انما هو اله واحد وانني بريء مما تشركون الذين اتيناهم الكتاب يعني العلماء بالقرآن يعرفون الله او النبي وفيها شارة الى ان الاباء قد تحقق عندهم انهم مصارا بنا فكذلك اهل المعرفة قد تحقق عندهم ان الله مصدر جميع الاشياء الذين خسروا انفسهم بافناء الاستعداد الفطري وهو بحشرهم جميعا يعني اهل المعرفة والتذكرة ثم شركاؤكم من الهوى والدنيا كنتم تزعمون على انفسهم لانهم كذبوا في الدنيا ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى ومنهم من يستمع اليك وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا وان يروا كل اية لا يؤمنوا بها حتى اذا جاؤك يجادلونك يقول الذين كفروا ان هذا الا اساطير الاولين وهم ينهون عنه وينأون عنه وان يهلكون الا انفسهم وما يشعرون ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بايات ربنا ونكون من المؤمنين بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين ولو ترى اذ وقفوا على ربهم قال اليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله حتى اذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم الا ساء ما يزرون وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو وللدار الاخرة خير للذين يتقون افلا تعقلون قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بايات الله يجحدون ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا واوذوا حتى اتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبإ المرسلين وان كان كبر عليك اعراضهم فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض او سلما في السماء فتاتيهم بآية ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين انما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله ثم اليه يرجعون وقالوا لولا نزل عليه اية من ربه

قل ان الله قادر على ان ينزل اية ولكن اكثرهم لا يعلمون القراءة ولا تكذب وتكون بالنصب فيهما حمزة ويعقوب وافق ابن عامر وتكون الباقون بالرفع ولدار الاخرة بالاضافة ابن عامر تبا وبل لشاعة الاخرة الباقون بتنوين الدار ورفع الاخرة على الوصفية تعقلون بتاء الخطاب ابو جعفر ونافع وابن ذكوان وسهل ويعقوب وحفص وكذلك في الاعراب يكذبونك بالتخفيف من اكذبه اذا وجده كاذبا علي ونافع والاعشى في اختياره الباقون بالتشديد من كذبه اذا نسبه الى الكذب بان تنزل بالتخفيف ابن كثير الوقوف وقرأها الاولين ويناؤن عنه لا يشعرون النفي مع واو العطف وما يشعرون من المؤمنين من قبل لكاذبون ليعوثن يضف الجزم وربنا تكفرون بلقاء الله حتى للابتداء فيها لان الواو والحال على ظهورهم يزرون وطهوشهم يعقلون يجدون بصرفا لانقطاع النظم مع اتحاد المقصود لكلمات الله كذلك المرسلين بانبائهم الجاهلين يسمعون يرجعون من ربه لا يعلمون التفسير لما بين احوال الكفار في الاخرة اتبعه بعض اسباب ذلك فقال ومنهم من يستمع اليك قال ابن عباس حضر عند رسول الله صلى الله عليه وآله ابو سفيان وابو جهل ابن المغيرة والنضر بن الحرث وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وامية وابي ابنا خلف استمعوا الى حديث رسول الله ثم قالوا للنضر ما تقول في محمد فقال ما ادري ما يقول الا اني ارى تحرك شفتيه فيتكلم بشيء ما يقول الا اساطير الاولين مثل ما كنت احدثكم عن القرون الماضية وكان النضر كثير الحديث من الفرون الاولى وكان يحدث قريشا فيستملحون حديثه فنزلت الاية وهو كل ما روي شيئا واستره من الاعطية والغفل ومنه اكتب وان كنت وان يفقهوه مفعول لاجله اي كراهة ان يفقهوه والوقر لثقل في الاذان التركيب يدل على الثقل ومنه الوقر بالكسر الحمل والوقار الحلم في الاية دلالة على ان الله تعالى هو الذي يصرف عن الايمان ويحول بين المرء وبين قلبه قالت المعتزلة لا يمكن اجراؤها على ظاهرها والا كان فيها حجة للكفار ولانه يكون تكليفها للعاجز ولم يتوجه ذمهم في قولهم وقالوا قلوبنا غلف فلا بد من التأويل وذلك من الاوجه قال الجبائي ان القوم كانوا يسمعون قراءة الرسول ليتوسلوا بسماع قراءته الى مكايدته بالليل فيقصد وافشله وايذاءه فكان الله تعالى يلقي على قلوبهم النوم والغفلة وعلى اذانهم الثقل وزيف بان المراد لو كان ذلك لقيل ان يسمعوه بدل ان يفقهوه وبان قوله وان يروا كل اية اي كل دليل وحجة لا يؤمنوا بها الا يناسبه الثاني ان المكلف الذي علم الله تعالى انه لا يؤمن وانه يموت على الكفر هيهات قلبه بعلامة مخصوصة ليستدل الملائكة بها فلا يبعد تسمية تلك العلامة بالكتان مع انها في نفسها ليست بمانعة عن الايمان الثالث يقال انه جعل على كذا اذا كان مصرا عليه وذلك على جهة التمثيل الرابع لما منعهم الالطاف التي تصلح ان يفعل بالمهتدين فوض امورهم الى انفسهم لم يبعد ان يضيف ذلك الى نفسه الخامس ان هذا حكاية قولهم اذا تينا وقر من بيننا وبينك حجاب وعورضت هذه الادلة بالعلم والداعي وذلك ان الله تعالى علم من الكافر انه لا يؤمن وخلاف علمه محال وانه سبحانه هو الذي خلق فيهم داعية الكفر ومع وجود تلك الداعية يستحيل الايمان فهو الغى بالكتان وتحقيق المسئلة تقدم في اول سورة البقرة في قوله ختم الله على قلوبهم والاكنة يسمع والجمع في قلوبهم اعتبار للفظ من تارة ولمعناه اخرى حتى اذا جاؤك هي حتى المبتداة التي يقع بعدها الجمل كقوله حتى تأكل الجملة ههنا مجموع الشرط والجزاء اعني قوله اذا جاؤك يجادلونك في موضع الحال ويجوز ان يكون جارة حتى اي وقت مجيئهم يجادلونك حال بحاله وبقول تفسير له والمعنى انتهى بلغ تكذيبهم الايات الى حالة المجادلة ثم فسر الجدل بانهم يقولون ان هذا الا اساطير الاولين واصل السطر هو ان يجعل شيئا ممتدا مؤلفا في صف منه سطر الكتاب سطر من نخيل وجمعه اسطار وجمع الجمع اساطير وقال الزجاج واحد الاساطير اسطورة كاحاديث واحد وقيل ابو زيد لا واحد له كعباديد قال ابن عباس معنى احاديث الاولين التي كانوا يسطرونها اي يكتبونها ومن فسر الاساطير بالخرافات والترهات نظر الى ان الاغلب هو ان لا يكون لها فائدة معتبرة كحديث رستم وغيره فذلك معنى وليس بتفسير ثم ان غرض القوم من هذا القول هو القدح في كون القرآن معجزا كما ان الكتب المشتملة على الاخبار والقصص ليست بمعجزة والجواب ان هذا مقرون بالتحدي وقد عجزوا عن اخرهم دون تلك فظهر الفرق ثم اكد طعنهم في القرآن بقوله وهم ينهون عنه قال محمد بن الحنفية وابن عباس في رواية السدي والضحاك اي عن القرآن وتدبره والاستماع له وينأون عنه والنأي البعد فانه ونأيت عنه ونأى الرجل اذا بعد لغة في نأى وحملوه على القلب لان المصدر لم يجئ الا على النأي وقيل الضمير للرسول والمراد النهي عن اتباعه والتصديق بنبوته جمعوا قبيحين النأي والنهي فضلوا واضلوا وعن عطاء ومقاتل عن ابن عباس انها في ابي طالب كان ينهى المشركين ان يؤذوا رسول الله صلى الله عليه وآله وينأى عنه جاءه روساء قريش اجتمعوا الى ابي طالب ربيبك سوا بالنبي صلى الله عليه وآله فقال يا طالب الله لنن يهلوا اليك بجمعهم حتى اوسد بالتراب دفينا فاصدع بامرك ما عليك غضاضة وابشر وقر بذاك منك عيونا وعرضت دينا لا محالة انه من خير اديان البرية دينا ودعوتني وزعمت انك ناصحي ولقد صدقت وكنت ثم امينا ولقد علمت بان دين محمد من خير اديان البرية دينا لولا الملامة او حذار مسبة لوجدتني سمحا بذاك مبينا وضعف هذه الرواية بان قوله وهم ينهون عنه وينأون عنه الا انفسهم يعني بما تقدم ذكره ولكن النهي عن الاذية حسن لا يوجب الهلاك ويمكن ان يجاب بان الذم توجه على الطبيعة الاجتماعية الحاصلة من النهي عن الاذية كقوله أتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم ولو سلم فلم لا يجوز ان يرجع الذم الى القسم الاخير فقط ثم بين انه كيف يعود الضرر اليهم فقال ولو ترى اذ وقفوا على النار وجواب لو محذوف اي لرأيت امرا فظيعا ومنقلبهم ونحو ذلك وجاز حذفه للعلم به ولما في الحذف من تفخيم الشأن وهو ذهاب الوهم كل مذهب كما لو قلت لعاملك والله لئن قمت اليك وسكت عن الجواب ذهب فكره الى انواع المكاره من الضرب والقتل وغيرهما بخلاف ما لو قلت لاضربنك ولمثل هذا من ارادة المبالغة قال وقفوا بلفظ الماضي اذ الدال على المضي كان هذا الامر وقع وتحقق فكان من حقه ان يخبر عنه بلفظ الماضي وقفوا على ان يدخلوا النار وهم بعد بها ينوبها او وقفوا عليها وهي تحتهم او هو من قولهم وقفت على المسئلة اذا بينتها ووقوف اي عرفوا حقيقتها تعريفا الزاما لهم

الجزء الرابع

وجوز ذلك غاب بصير فيها فيكون على بعد في وجازلان النار دركات بعضها ذلك بخلاف من يعذب في حكم التمني اما قوله ولا نكذب ونكون فقرأ بالنصب منها فباضمار ان على جواب التمني والمعنى ان رددنا الى دار التكليف لم نكذب ونكن من المؤمنين ومن قرأ بالرفع فيهما فوجهان احدهما ان التمني تم عند قوله نرد ثم ابتدأ واولا نكذب ونكون اي نحن لا نكذب ونكون كانهم ضمنوا ان لا يكذبوا ويكونوا من المؤمنين سواء حصل اولم يحصل وشبهه ستبقوا بقولهم دعني ولا اعودوا انا لا اعود تركني اولم تتركني وثانيهما ان يكونا معطوفين على نرد او حالين على معنى يا ليتنا نرد غير مكذبين وكائنين من المؤمنين فيدخل المجموع تحت حكم التمني واورد على هذا الوجه ان التمني لا يكون كاذبا وقد قال تعالى وانهم لكاذبون واجيب بان هذا التمني قد تضمن معنى الوعد فجاز ان يتعلق به التكذيب كقول القائل ليت الله يرزقني مالا فاحسن اليك فهذا متمن في حكم الواعد فلو رزق مالا ولم يحسن الى صاحبه كان بالغا انه قال ان رزقني الله مالا احسنت اليك واما قراءة ابن عامر فعناه ان رددنا غير مكذبين نحن من المؤمنين ثم رد الله تعالى عليهم بانهم حاشوا العوالي الدنيا وترك التكذيب في تحصيل الايمان لاجل كونهم راغبين في الايمان بل لاجل خوفهم من العذاب الذي شاهدوه وعاينوه فقال بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل وما الذي كانوا يخفونه في الدنيا قال اكثر المفسرين ان المشركين في بعض مواقف القيمة يجحدون الشرك فيقولون والله ربنا ما كنا مشركين فينطق الله تعالى جوارحهم فتشهد عليهم بالكفر فذلك معنى بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل وقال المبرد بدا لهم وبال عقايدهم واعمالهم وسوء عاقبتها فذلك ان كفرهم ما كان ظاهرا لهم وانما ظهر لهم يوم القيمة قال الزجاج بدا للاتباع ما اخفاه الاوساء منهم من امر البعث والنشور بدليل قوله بعد ذلك وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين فهذا قول الحسن قبلا تهافي المنافقين كانوا يسرون الكفر فظهر نفاقهم على رؤس الاشهاد يوم القيمة وقيل هو في اهل الكتاب بظهر لهم ما كانوا يكتمونه من صحة نبوة محمد صلى الله عليه وآله والاول احمل لان الاية على الكل لانها تتلى السرائر فلا جرم تظهر الفضائح وتنكشف من الاسرار ونهتك الاستار اللهم كفرعنا سيئاتنا في ذلك اليوم ثم قال ولو ردوا الى ما نهوا عنه قبل كيف يتصور هذا وانهم تدعرفوا الله تعالى بالضرورة وشاهدوا الاحوال والاهوال واجاب القاضي بان المراد ولو ردوا الى حالة التكليف وعلى هذا التقدير لا يبقى للمعتزلة تعلق به فلا يمتنع صدور الكفر عنهم وضعف بان المفهوم من ايراد هذا الكلام المبالغة في عنادهم وتماديهم واصرارهم على الكفر واذا فرض عودهم الى حالة التكليف الى التجبر كما هو الان فاذن لا تحقق للعقد الآبان يقال المراد توكيد جريان القضاء السابق فيهم بحيث لو شاهدوا العذاب العقاب ثم سئلوا الرجعة فردوا الى الدنيا لعادوا الى الشرك ولم يجز ذلك فيهم وانهم لكاذبون فيما وعدوا به من ضمن التمني او في كل شيء ولهذا قالوا ان هي الا حياتنا الدنيا ان نافية والضمير عائد الى حقيقة الحيوة المعلومة في الاذهان لهذا اضيف الى ضمير المتكلم جمع الى هذا الحيوة الا هذه الحيوة التي هي اقرب اليه وما نحن بمبعوثين بعدها وقيل ان تقدير الاية ولو ردوا العاد والما نهوا عنه ولانكروا البعث وقالوا ان هي الا حيوتنا الدنيا ثم لما قرر انكارهم كشف عن حالهم يوم القيمة فقال ولو ترى اذ وقفوا على ربهم مسائل بعض المشبهة بهذا على انه تعالى يحضر ذاته ويجب الخوض ورد بان اسئلة الاشيء على ذات الله تعالى محال بالاتفاق فوجب تاويله بل الاية بانه مجاز عن الحبس للتوبيخ والسئوال كما يوقف العبد الجاني بين يدي مولاه للعتاب او المضاء محدود وفاي على جزاءهم او وعده اقراره بثواب المؤمنين وعقاب الكافرين او هو من قولك وقفته على كذا اي اطلعته عليه ثم كان لسائل ان يقول ما فائدة اطلاعهم ربهم اذا وقفوا عليه فاجيب قال اليس هذا الذي عاينتموه من حدث البعث الجزاء بالحق الذي حدثتموه قالوا بلى وربنا وفيه دليل على ان حالهم في الانكار سيزول الى الاقرار ثم كانه سئل هاذا فعل بعد الاقرار فاجيب قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون اي بسبب كفركم وذلك ليعلم ان الاقرار في غير دار التكليف لا ينفع وذلك ان جوهر النفس اللطيفة القدسية بحسب هذا العالم الجسماني الكثيف اعطى الانسان الجسم المخصوص المعارف اليقينية والاخلاق الفاضلة التي بعظم منافعها بعد الموت فاذا استعملها الانسان بناء على اعتقاد عدم المعاني في تحصيل اللذات الفانية والسعادات المنقطعة الى ان ينقضي اجله فقد ضاع راس المال ولا في ربح وذلك قوله قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله اي بما نوع الاخرة وثوابها وعقابها عبر عن ذلك بلقاء الله لانه لا حكم لاحد هناك الا الله تعالى الدنيا انه قد يظن ان للانسان نصرا واختيارا وملكا وحمل اللقاء على الرؤية ايضا غير بعيد عند اهل السنة وحتى غاية لكذبوا لا لخسران خسرانهم لا غاية له اي لم يزل بهم التكذيب الى تحسرهم وقت مجيء الساعة بل وقت موتهم فان امارات السعادة والشقاوة يلوح على صفحات احوال المكلف من وقت موته وهذا معنى قوله صلى الله عليه وآله من مات فقد قامت قيامته وسمي يوم القيمة الساعة لسرعة الحسابية وكانه قيل ما هو الاستعظام الحسابي او لانها تفجاء الناس في ساعة لا يعلمها الا الله تعالى ولهذا قال بغتة اي مجاءة وانتصابها على الحال اي باغتة من بغتة اذا فاجاه او على المصدر لعامل اي بغتهم الساعة بغتة او الخاص لان البعث نوع من المجيء فالواو عامل اذا لحسرتنا مثل يا ويلنا وقد مر في المائدة اي احضري فهذا وقت لي ما فرطنا اصله يدل على الترك والهمزة في الافراد الا لازالة ذلك وقولهم فرطت القوم اي سبقتهم الى الماء معناه تركتهم من ورائي حتى حصل لي التقدم اما القيمة فيها فقال ابن عباس اي في الدنيا وان لم يجر لها ذكر لانه لا بد لكل اية بدلالة العقل لان موضع التقصير هو الدنيا وقال الحسن في وقت الساعة على معنى قصرنا في شانها والايمان بها واعداد الزاد وتحصيل الاهبة لها وقال محمد بن جرير الطبري يعود الى الصفقة والمبايعة بدلالة ذكر الخسران قبل الحاق فرطنا اي بحسرتنا على الاعمال والطاعات التي تركناها وقصرنا فيها ثم بين تضاعف خسرانهم بانهم لم يحصلوا لانفسهم مواجب الثواب ولكن حصلوا مواجب العقاب فقال وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم هي الاثام والخطايا واصل الوزر الثقل ومنه الوزير لتحمل ثقل صاحبه والوزر الملجاء لانه يرفع عنه ما اضافه كانه حمله اما كيفية حملهم الاوزار فقال في الكشاف انه مجاز عن حصولها لهم كقوله فما كسبت ايديهم لانه اعتيد حمل

الاشتمال على الظهور كالف الكسب لا بدء والزجاج التفاتا بذكر في الحال والصفة تنقل عن خطاب فلان لكريمه والمعنى انهم يقاسون عذابا فوق ما يقاسيه غيرهم بقبيل ذلك علمهم وقبل هو كقولك ستحضك نصب على الذم وفاعل جمع من المفسرين اذا المؤمن اذا خرج من قبره استقبله شيء هو احسن الاشياء صورة واطيبها رائحة فقول انا عملك الصالح ظالما ركبني في الدنيا فاركبني اليوم فذلك قوله يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا قالوا ركبانا وان الكافر اذا خرج من قبره استقبله شيء هو اقبح الاشياء صورة واخبثها رائحة فقول انا عملك الفاسد طالما ركبتني في الدنيا فاركبك فالفاء والسين للاستئناف ما يردون بئس شيئا يردون ورودهم ثم رغب في الجنة وفي الجنوة الباقية وزهد في الجنوة العاجلة فقال وما الجنوة الدنيا الا لعب ولهو قال ابن عباس يريد جنوة اهل الشرك والنفاق لان الجنوة المؤمن يحصل فيها اعمالها فلا تكون لعبا ولهوا وقال اخرون هو عام في جنوة المؤمن والكافر فهذا للذين مدة اللهو واللعب وكل شيء الهاك فاشتغلك تما لا اصل له فليلة سريعة الانقضاء والزوال ومدة هذه الجنوة كذلك وايضا اللعب واللهو لا تكاد تنفك عنهما في الدنيا فما ركب في الدنيا من الكمال وان كان الدنيا كذلك ولهذا رفضها العلماء المحققون والحكماء المتألهون وقالوا الاخرة قال ابن عباس هي الجنة ولها خبر لان اي الكفر والمعاصي قال الاخفش التقدير انما الحياة الدنيا عمل الاخرة خبر قال الاخرون بعيم الاخرة خير من نعيم الدنيا من حيث انها دائمة باقية مصونة عن شوائب الافات والخاتمات منزهة عن نقص الانقضاء والانقراض للذين يتقون عذاب هذا الخبر انما يحصل ان نفع الكفر والمعاصي اما الكفر والفاسق فالدنيا بالنسبة اليها خير كما قال ايحسب المؤمن وجنة الكافر نارا فلا تعقلون قال الواحدي من قرأ بالتاء الخطاب فالمعنى قل لهم اذا لا تعقلون ايها الخاطبون ومن قرأ بالياء فمعناه افلا يعقل الذين يتقون ان الدار الاخرة خير من هذه الدار وقيل ان خيرات الدنيا ليست الا قضاء الشهوات التي يشارك فيها سائر الحيوانات بل ربما كانت مزالق الحيوانات بها اكمل فاكمل اكثرها بلاء والدنيا بالعكس اكثر وفاء فالدنيا خير من الاخرة والتمر والجوز اطيب طعما واكثر نفعا وكل من وقف عمره على هذه المطالب فهو عند العقلاء دنيء وعند الحكماء والعلماء قد ركل من صرف عمره في تحصيل الكمالات الدائمة الباقية كان له في العقبى مهانة وفي القلوب قبول وذلك رأس ما في الفطرة الاصلية بحسب اللذات الجسمانية وعلو مرتبة الكمالات الروحانية وهب ان التوغل في تلك الكمالات الفضل المنفعة البتة لمعلوم افضل من المظنون وان خير الجنوة فطعا والوصول الى خيرات الدنيا في الغالب غير معلوم ولا مظنون فكم من سلطان قاهر بكره وصاحب الزاب عشبه وكم من متمول غلب صاحبه الكبر ثم اسى فقيرا حقيرا وهاتيك وجد بعد هذا اليوم يوما اخر فلم يمكنه الانتفاع بكل ما جمع من الاسباب فلم ينتفع فقلما يخلص من شوائب الكاره والافات كما قال ومن ظن انه يخلص الى الغاية من غير تعب نفسه لم يوزن عقله وما هو يا رسول الله صلعم قال رد ربوم بنماه هب الدنيا مسلمة قدم البر مال كل من الى الى الانفراض وكفى بذلك نقصا وكدرا كما قال الغم عند كل سرور ينغص عند صاحبه انقضاء الايام صلى رسوله وقال قد العلم والمراد كثرة العلم والمبالغة كما مر في قوله فلم تغلب صهيل والمراد انه ضم الشان وكسر بعد العلم لكان لام الابتداء في ليحزنك وما قلك الحزن قال الحسن قولهم ساحر شاعر كاهن مجنون وقيل يقرنهما انهم لا يؤمنون به ولا يقبلون دينه وقيل ينسبانه اياه الى الكذب فانهم لا يكذبونك قال ابو علي ولغلب اكثر وكذبه بمعنى وقيل اكذبه الرجل اذا قلت له كذبت قال الكسائي اكذبه اذا اخبرت انه جاء بالكذب وواه وكذبه اذا اخبرت انه كاذب وقال الزجاج معنى اكذبه قلت له كذبت يعني اكذبت انك اتيت بما كذبت به من غير ادعاء ان ذلك الكذب وانى به على سبيل الافتعال والاختلاق من قرأ بالتخفيف نظر الى ان القوم كانوا يعتقدون ان محمدا ما ذكر ذلك على سبيل الافتعال والترويج بل لجهلهم كانوا يعتقدون ذلك وانه يتأتى الاتيان بمثله ثم ان ظاهر الاية يقتضي انهم لا يكذبون محمدا صلى الله عليه وآله ولكنهم يجحدون بآيات الله وفي الجمع بين الامرين وجوه اقواها ان القوم ما كانوا يكذبونه في السر ولكنهم كانوا يكذبونه في العلانية ويجحدون القرآن ونبوته ويؤكده رواية النسائي ان الاخنس بن شريق قال لابي جهل يا ابا الحكم اخبرني عن محمد اصادق هو ام كاذب فانه ليس ههنا احد يسمع كلامك غيري فقال ابو جهل والله ان محمدا لصادق وما كذب محمد قط ولكن اذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش فنزل وقال ابو جهل ان رسول الله مرة بابي جهل واصحابه فقالوا يا محمد انا والله ما نكذبك انك عندنا لصادق ولكن نكذب ما جئت به فنزلت فقال صلعم لم يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون فلو كان تكذيبهم في العلانية فلم خصهم بالذكر قال لانه من اهل الكتاب لا احسبه الا صادقا فاذن هذا لا يطابق قول من قال في قصة موسى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا فانظر الثاني في تاويل الاية انهم لا يقولون انك كذاب لانهم جربوك الطويل وما وجدوا منك كذبا وسموك الصادق الامين فلا يقولون بعد ذلك انك كاذب ولكن يجحدون صحة نبوتك ورسالتك اما لانهم اعتقدوا ان محمدا عرض نفسه على ربه فخسئ فلاجل ذلك تخيل انه رسول لا انه كذب في نفسه لعلمهم انه امين في كل الامور لانه في هذا الوجه الثالث انما كان المعجزات على يده ثم ان القوم اصروا على التكذيب فقال لهم ان القوم ما كذبوك وانما كذبوني ونحوه قول الشيخ لعلاء انا انما نعني الناس انهم لم يصدقوك وانما انا هو في وقيل قوله فانهم لا يكذبونك انما يجحدون آيات الله فكانه قيل لا عرض نفسك ولا تشغل عن ذلك فما هو انهم وهو استعظام لجحودهم آيات الله والاستهانة بكذابه الرابع قيل في التفسير الكبير لا يحزنونك بهذا التكذيب بل يكذبون دلالة المعجز على الصدق ويكذبون جميع الانبياء والرسل وقوله ولكن الظالمين من اقامة المظهر مقام المضمر ليجعل علما عليهم بالظلم في جحودهم لان وضع التكذيب مقام الصدق ظلم ثم صبر رسوله على اذية القوم فقال ولقد كذبت رسل من قبلك واي رسل من قبلك مصبرا على ما كذبوا واوذوا حتى اتاهم نصرنا فانت ولي بهذه السبيل لانك مبعوث الى كافة الخلايق فاصبر كما صبروا تظفر كما ظفروا ولا مبدل لكلمات الله اي لمواعيده في نحو قوله لاغلبن انا ورسلي

اي تركك

وقوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون والفتح آية من نباء المرسلين قال الاخفش من زائدة والاصح انها للتبعيض لقد يجئ زيادة من في الاثبات وان الواصل اليه بعض وفصل الانباء لقوله منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك فالتقدير ولقد جاء بعض انبائهم وكان يكبر على النبي ﷺ كفرهم واعراضهم عما جاء به فنزلت وان كان كبر يعني شق عليك اعراضهم عن الايمان وصحة القرآن فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض او سلما في السماء فتأتيهم بآية فافعل يعني انك لا تستطيع ذلك والجواب محذوف وحسن الحذف العلم به والنفق السرب في الارض لمخالص الى مكان ومنه اشتقاق المنافق والسلم واحد السلالم التي يرقى عليها واصله من السلامة كانه يسلمك الى مصعدة المراد بتاخر ذلك على اسلام قومه انه لو استطاع ان يأتي بآية من تحت الارض او من فوق السماء لاتى بها ولكل ما اقترحوه رجاء ايمانهم ويجوز ان يكون ابتغاء النفق والسلم هو الآية كانه قيل لو استطعت ذلك لفعلت لعلمك ذلك لكن لم يكن ذلك لانه يؤتون عند ما تم قال ولو شاء الله لجمعهم على الهدى قال اهل السنة فيه دليل على ان الله تعالى لا يريد الايمان من الكافر وقالت المعتزلة المراد مشيئة الالجاء المنافي للتكليف اذ الالجاء هو ان يعلمهم انهم لو حاولوا غير الايمان لمنعهم منه فيضطرون الى الايمان مثال الزجر يحصل تحت حضرة السلطان لفلان في المال فيصير هذا العلم بانفاله من الفضل وعروض العلم والداعي كما مر مرارا فلا تكونن من الجاهلين اي من الذين يرومون خلاف مأمور الله فان هذا النهي لا يقتضي ان اقدامه على مثل هذه الحالة ولكنه يهيج التغليظ ويؤكد الامتناع عن الجزع والاضراب الحزن والاسف على ايمانهم من لم يشأ الله ايمانه ثم بين السبب في كونهم بحيث لا يقبلون الايمان فقال انما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله مثل لقدرته على الجائهم الى الاستجابة والمراد انه تعالى هو الذي يقدر على احياء قلوب هؤلاء فلوب الكفار بحيث لا يؤمنون الا ان يشاء الله فلا قدرة على ذلك والمعنى ان هؤلاء الكفرة يبعثهم الله ثم اليه يرجعون فحينئذ يسمعون واما قبل ذلك فلا سبيل الى اسماعهم اما وجه تشبيه الكفرة بالموتى فلان جوهر الروح بالعلم ومعدن الصانع كما ان جوهر الجسد بالروح ثم ذكر شبهة اخرى للمطاعنين في نبوة محمد ﷺ وهو انه ما جاء بآية فاهرة ومعجزة باهرة فكانهم لعنوا في كون هذا القرآن معجزا على سبيل العناد وقالوا سائلا على سائر الكتب السماوية وطلبوا منه ان تقرب على حد الالجاء كشق الجبل وقلب البحر فان معجزات نبينا من تسبيح الحصا انشقاق القمر وغير ذلك ليست بافل منها او اخر جوا بعد الاباء بطريق التعنت واللجاج او المراد قولهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء فاجابهم الله تعالى بقوله قل ان الله قادر على ان ينزل آية ولكن اكثرهم لا يعلمون ان فاعلية الله ليست لاجل محض المشية عند اهل السنة او على وفق المصلحة عند المعتزلة لا على موجب اقتراح الناس مطالبهم اوائله ظهر ان المعجزة الدالة الكافية من القرآن وغيره لم يكن لهم عذر ولا علة فلو جاءتهم الى مقترحهم فلعلهم يقترحون اقتراحا ثالثا ورابعا وهلم جرا وذلك يفضي الى ان يستغرق الدليل مدة التكليف وهذا خلاف المقصود ولا يعلمون انه لو اعطاهم سؤلهم ثم لم يؤمنوا الاستوجبوا الاستيصال او لا يعلمون انهم انما طلبوا ذلك على سبيل العناد لا لاجل الفائدة وقد علم الله ذلك فلم يعطهم مطلوبهم ولو كان غرضهم طلب الحق وسبله لاعطى مطلوبهم على اكمل الوجوه التأويل ومنهم من يسمع البلاغ انكارا واستكبارا وجعلنا على قلوبهم من شوم انكارهم حجابا من عبء الانكار وقد اقر من قبل الاستعداد الفطري وان يروا كل آية بعين الظاهر لا يؤمنوا بها من عمى القلوب واعوان الايمان فيها وهم يمنعون الطلاب عن الحق وان يهلكون بمنعه الخلق عن الحق الا انفسهم لان التباعد عن اهل الحق هو البعد عن الحق وهذا هو الهلاك المخيف ولو نرى اذ وقفوا على النار فرأوا ما رأوا الاستيفاء بعد الخلاص عن حابس الطبيعة عرفوا ما عذاب الطبيعة فقالوا يا ليتنا نرد الى عالم القدرة والى الاستعداد الفطري بل بدا لهم ما كانوا يخفون اي بظهر عليهم انا نشهد عليهم اي كتبهم كانوا يكتمونه قبل هذا عالم القوى الغائبة والملائكة عنه من اتباع الهوى فيفسدون استعداد مرآة اخرى وانهم لكاذبون فيما يتمنون لانهم خلقوا لاجل التكذيب لا لاجل التصديق وهذا لسان حالهم اما شاهد يوم الميثاق من الالطاف والاعطاء وقولهم بلى في جواب خطاب الست بربكم اذ وقفوا على ربوبيته بتربيته عرفوا بربوبيته ولو عرفوها في الدنيا لما مالوا وتواعد البعد في العقبى حتى اذا جاءتهم الساعة بغتة هي الساعة التي يتجلى البعد فيها عن اوصاف البشرية بعد بانات المحبة فجأة وهي فجاءة اخرى لان فيها بلادا رض البشرية عن الارض واثره فلا تخلو نورية فيها فيطرح الجسم الصفاف بالنور الساطع الى الانام فلا عن عنه وطلب عن الحق فيها تقف عليها وبقولها الطارق احتضر عند الطبيب فانك لتراه يدور عن الجواب وهم يحملون ثقال البعد فاقا الزائدة على ظهور وجودهم فان الوجود على الشاكلة تقبل ما يعرض السلم فكيف فاز بدعليه الا العبء لهو كلب لعبنا ولهو فاسل العصبا ولذا ذا لا خرة هي الشعر البشرية الى الروحانيات والاقبال على الله الاعراض عما سواه ثم للذين يتقون عند الله فلا يعقلون ان الانسان خلق لهذا الشان لا لغيره بقوله واصطنعتك لنفسي فاعلم انه لحزنك صوغ نظام البشرية اثر في حبيب الله مقالة الجعلة ولا سبيل لكلمات الله لمقدار التي قدرها وقدرها من الازل الى الابد بكلمة كن ولو شاء الله لجمعهم على الهدى في عالم الارواح عند شاهد النور على الهدى فلا تكونن من الجاهلين الذين لا يعلمون الحكمة في جعل التعرض في مظاهر اللطف التعرض بظاهر القهر والمحي في حضرة صلى الله هو نهي الامتناع عن الكينونة لما حلفت في الازل ممتنعا عن الجعل بواسطة كلمة لا تكن كما انه خلق مستعدا للكمال بكلمة كن فان الله قادر على ان ينزل آية في كل لحظة ولحظة ولكن اكثرهم لا يعلمون دلالة الكائنات على المكون والممكنات على الواجب الموضوعات على الصانع وكان من آياته في السموات والارض ممرون عليها وهم عنها معرضون وفي كل شيء له دليل على انه واحد وما من آية في الارض الا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم الى ربهم يحشرون والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات

من يشاء الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم ۝ قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة
هركرا خواهد خدا ازراه بردش وهركرا بخواهد دراورد او در راه راست ۝ بگو كرا يافتيد اگر بيايد شما را عذاب خدا يا فرا گيرد شما را قيامت
أغير الله تدعون إن كنتم صادقين ۝ بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء وتنسون ما تشركون ۝ ولقد
ايا غير خدا را ميخوانيد اگر راست ميگوييد ۝ بلكه مر او را ميخوانيد پس بر طرف ميكند از آنكه شما ميخوانيد اگر خواهد و فراموش ميكنيد آنچه را شريك قرار داده ايد
أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون ۝ فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا
فرستاديم بسوى گروهها از پيش تو پس گرفتيم ايشانرا بفقر ۝ وناخوشى شايد كه ايشان در تضرع در آيند ۝ پس اگر وقتى كه آمد ايشان را بأس ما زارى كردندى
ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون ۝ فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا
ولكن سخت شد دلهاى ايشان وآراست ايشانرا شيطان آنچه را كه ميكردند ۝ پس چون فراموش كردند آنچه را كه پند داده شدند بدان گشاديم بر ايشان درهاى هر چيزى را تا آنكه چون شاد شدند
بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون ۝ فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ۝ قل أرأيتم
بآنچه داده شدند گرفتيم ايشانرا ناگهان پس ايشان ۝ نوميد شدند ۝ پس منقطع كرده شد بيخ گروهى كه ستم كردند و ستايش مر خداى راست پروردگار جهانيان ۝ بگو
إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من إله غير الله يأتيكم به انظر كيف نصرف الآيات ثم هم يصدفون
اگر فرا گرفت خدا شنيدن شما را و ديده شما و مهر نهاد بر دلهاى شما كيست الهى جز خدا كه بازدهد بشما آنرا نگر چگونه مكرر ميكنيم آيات را پس ايشان
قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله بغتة أو جهرة هل يهلك إلا القوم الظالمون ۝ وما نرسل المرسلين إلا مبشرين
بگو كه ايا آگر فرود آيد بر شما عذاب خدا ناگهان يا آشكارا ۝ هلاك شوند مگر ۝ گروه ستمكاران ۝ و نفرستيم پيغمبران را
ومنذرين فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ۝ والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب بما كانوا
وترساننده گان پس هر كه گرويد وبكار درآيد پس نيست ترسى بر ايشان و نه ايشان اندوه خورند ۝ و آنان كه تكذيب كردند بآيات ما ۝ عذاب بخورد ايشان
يفسقون ۝ قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك إن أتبع إلا ما يوحى إلي قل هل
بآنچه ۝ بگو نميگويم شما را كه نزد من است گنجهاى خدا ۝ و نه آنكه ميدانم غيب ۝ و نميگويم شما را كه من فرشته ام پيروى نميكنم مگر آنچه وحى ميشود بمن بگو آيا
يستوي الأعمى والبصير أفلا تتفكرون ۝ القراءة أرأيتكم وبابه بتليين الهمزة أبو جعفر ونافع وحمزة في الوقف أرايتكم وبابه
كور است ۝ وبينا ايا پس نه انديشه كنيد ۝ همينجا بعضهم على الباقون أرايتكم بالتحقيق فيحققا الشديد بزيد وابن عامر يبدل الهمزة الثانية ألفا

بضم الهاء وقرئ الاصفابي عن ورش الوقوا مثالكم تحزنون في الظلمات ضلالة لا بتداء شرط آخر مسبقهم ونعدون لان جواب ان ينظر محذوف
تقديره ان كنتم صادقين فاجبوا مع ايجاز الكلام صافين تشركون يتضرعون يعلمون كل في طبع طلموا العالمين بأنكم به يصدفون الظالمون وتشديد
تحزنون يفسقون الملك للابتداء ما يليه مع اتحاد الفاعل والقول الى يتفكرون التفسير لما بين ان نزول الشر المعجل لو كان ومصلحتهم لفعل
ذلك اكد بما يؤذن ان انزاله فضل واحسان ولطفه وامتنانه واصله الى جميع الحيوانات فلو كان منه مصلحة المكلفين في اظهار تلك المعجزات القاهرة
المحمولة على ايدي الرسل لفعل وفيها يضا مزيد تقرير لما مر لبعث وانه حاصل لجميع الحيوانات فضلا عن الانسان فان الحيوان اما ان يكون بحيث يدب
بقوائمها خاصة من الدواب اما في الارض بالذكر دون ما في السماء او في السماء والارض لان غالبها مصالح الادون فلو لم يبعث لفاتهم مصالح الاشرف
ويمكن ان يقال ان الماء ايضا من جملة الارض كما تقدم جميعا كلهم واحدة فاعلا لتعاطفها انما وصف الدابة بكونها في الارض والطائر بانه يطير بجناحيه
ليعلم انها بالفيان على عمومها اذ بسببهما يحوز الجنسان ولولا ذلك لاحتمل ان يقيد فيهما صفة توقع او تقيد فيخصصا اولا وهم ان المراد بهما
غير الجنس اتحاد فبين لقوله بعد الا امم امثالكم وقد يقول الرجل لعبده طرفي حاجتي والمراد الاشراع قال الخليل يقال طائر اليه فزال فوحد ثانيا وقد
قيل ذكر بطيره بجناحيه ليخرج عنه الملائكة ذوو الاجنحة فان المراد ذكر من هو دون حالا وقيل ان الوصف المناكبة كقولهم لبغداني وكما يقول
البر رجلي وانما جمع الامم مع انه افرد الدابة والطائر النكرة المستغرقة في معنى الجمع قال الفراء كل صنف من البهائم امة وفي الحديث لولا ان
الكلاب امة من الامم لامرت بقتلها وقال وجه المماثلة بين الفرق الدابة والطائر نقل الواحدي عن ابن عباس انه قال يعرفون بينه وبين خلقه وبه يتم
ويستحيون كقوله وان من شيء الا يسبح بحمده كل قد علم صلاته وتسبيحه وعن ابي الدرداء انهم يحشرون حتى الذباب ليقتص للجماء من القرناء
معرفة الذكر والانثى وهذا قول طائفة عظيمة من المفسرين وقيل وجه المماثلة جماعاة وكونها مخلوقة بحيث تشبه بعضها بعضا وبانس بعضها
ببعض وبتوالد بعضها من بعض وضعفا بان هذا امر معلوم مشاهد لا فائدة في الاخبار عنه وقيل هو انه دبرها وخلقها وكفل برزقها
واحصى احوالها وما يجري عليها من الموت والرزق والاجل والسعادة والشقاوة دليله قوله عقيبه ما فرطنا في الكتاب من شيء وقيل هو انها تحشر يوم
القيمة وهو صل اليها حقوقها وتدخل في الحديث ينتص للجماء من القرناء ولكن قوله بعد ذلك ثم الى ربهم يحشرون يصير الكلام وصفا بان عبثية ما في
الارض من دابة شبيه بعض البهائم من بعض اقوام امثالكم من بعدكم الذين ينبغي منهم ينبغي ان الكل منهم من يطوس كفعال الطائرين وضمنهم من
يشبه الجن ولولا في الطعا الطيبة كرر وازالة ما اقام وجمعه لعينه وكذلك يخبر الادميين مرتبين مرتبين حسن كلمة من الحكمة لا يحفظ احدة وان احفظ من

كونها

واحدة حفظه ولم يجلس مجلسا الا زاد فيه واعلم يا اخي انك تعاشر البهائم والسباع فيا ليتك تحذر وتاخذ وهل التناسخ الى ان لا البشرية ان كانت سعيدة مطيعة لله تعالى موصوفة بالمعارف الحقة موسومة بالاخلاق الفاضلة فانها بعد موتها تنتقل الى بدن الملوك ورئسا فانها تتصل الى اعلا طبقة عالم الملكية وان كانت شقية جاهلة فانها تنتقل الى ابدان الحيوانات وكلما كانت اكثر شقاء فانها تنتقل الى ابدان حيوانات اخس واكثر تعبا وعناء قالوا وذلك لان لفظ اللعائلة يقتضي حصول المساواة في جميع الصفات الذاتية ثم زعموا ان الله تعالى ارسل الى كل جنس منها رسولا من جنسها ليقوله وان من امة الا خلا فيها نذير واستشهد وا بقصة النمل وحشر الهدهد ومحو ذلك وفي نقل هذا هذيان التناسخ طول والله تعالى اعلم بحقيقة الحال فلنرجع الى الكتاب من غير ان نشتغل بالاستغراق فيما تركنا وما اغفلنا شيئا فاطوه وقبل المتبع فيما اهملنا فيه بعض شيء يحتاج المكلف الى معرفته والكتاب اللوح المحفوظ المشتمل على جميع الاحوال الماضية والمستقبلة قبل القرآن لانه هو الذي سبق به الاذهان فيما بين اهل الايمان واورد عليه انه ليس فيه فصل علم الطب الحيواني ولا تفاصيل كثير من العلوم ولا حاصل مذاهب الناس ولا ملهم في علم الاصول والفروع واجيب بان لفظ التفريط لا يستعمل الا اذا امكن ان يفعل والمذاهب البشرية ما هو الاصول القوانين لا الفروع التي لا تنضبط ولا بنهاية وعلم الاوائل والقرآن اصله شريف وفضله كامل ولا شروا انه لا يجب المبين للطب مع قوله وهو اوسع الكاسبين للخلق وكقوله خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين لا اخلا وا ما تفاصيل علم الفروع فذكر العلما ان السنة والاجماع والقياس كلها مستندة الى الكتاب كقوله ما اتاكم الرسول فخذوه وما نهيكم عنه فانتهوا وكقوله ويتبع غير سبيل المؤمنين وكقوله تبيانا وقيل ان القرآن وافٍ ببيان جميع الاحكام لان الاصل براءة الذمة عن التكاليف كلها وشغل الذمة لا بد فيه من دليل مفصل كل حكم لم يكن مذكورا في القرآن بالمطابقة او التضمن او الالتزام لم يكن ذلك تكليفا او يكون بناء على اصل الاباحة والله تعالى اعلم اما قوله ثم الى ربهم يحشرون فالمعقل ان فيه قولان الاول الاشاعرة انه تعالى يحشر الدواب لا لان ايصال العوض اليهن واجب بل مجرد الارادة والمشية ومقتضى الاطهية الثاني قول المعتزلة لن يحشر الا ليصل اليها بما لا بد منه الا ايصال الاعواض اليها لان ايصال الاعواض اليها من عمر ما سبق جنايته لا من الا للعوض وفرع القاضي على ذلك فقال كل حيوان استحق العوض على الله تعالى بما الحقه من الالام وكان ذلك العوض لم يصل اليه في الدنيا فانه يجب على الله تعالى حشره في الاخرة ليوفر عليه ذلك العوض والذبح لا يكون كذلك فانه لا يجب حشره عقلا الا ان السمع ورد بحشر الكل فيقطع بذلك فرع آخر كل حيوان ان الله تعالى ذبحه فالعوض له على الله تعالى وكذا الذبح اذا كان ذبحه مؤديا او الم المرض وسخره للانسان يحمل الاثقال واما اذا ظلم ظلمها الناس فالعوض على الظالم وكذا اذا ظلم بعضها بعضا والموجب المأكول لغيره اكله فالعوض على الذابح ولهذا ورد النهي عن ذبح الحيوان لغير اكله والمراد من العوض منافع عظيمة بلغت في الجلالة الى حيث لو كانت هذه البهيمة عاقلة وعلمت انه لا سبيل الى تحصيل تلك المنافع الا بواسطة تحمل ذلك الذبح لرضيت به اخر مذهب القاضي واكثر المعتزلة ان العوض منقطع وبعد ذلك يصيرها باوحى بقول الكافر يا ليتني كنت ترابا وقال ابو القاسم البلخي يجب دوام العوض لانه لا يمكن قطع ذلك العوض الا بامانة تلك البهيمة واما منها فوجب الا لم ذلك لانه يوجب عوضا اخر وهلم جرا الى ما لا نهاية له واجيب بالمنع من ان الامانة لا يمكن تحصيلها الا بالايلام اخر البهيمة اذا استحق عوضها على بهيمة اخرى فان كانت البهيمة الظالمة فلم استحق عوضا على الله تعالى فانما يوصل ذلك العوض الى المظلوم والا فانه تعالى يتكفل بذلك العوض من هذا القدر يكفي في احكام الاعواض بحسب المقام سبحانه اعلم ولنا ذكر من خلابعه ونطهر فؤادنا وقدرته ما يثبتنا على عظيمه ويسهل ورود بيناته وبينه على رحمته الكاملة وعنايته الشاملة قال والذين كذبوا بايانا صم وبكم لا يسمعون كلام المنيب وبكم خابطون في الظلمات الظلمة الكفر وظلمة الشكوك وظلمة الجهل والضلالة ثم بين ان الكفر والايمان والطاعة والعصيان كلها بمشيته وارادته وتسخيره وتدبيره فقال من يشاء الله يضلله ومن يشاء يجعله على صراط مستقيم والجار اول الاية بان المراد انهم كذلك في الدنيا كقوله ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم عميا وبكما وصما او انهم شبهوا بمن حاله كذا وهو محمول على الشتم والاهانة واما قوله من يشاء الله يضلله اي عن طريق الجنة ولا يشاء الا ضلال الا من يستحق عقوبته كما انه لا يشاء الهدى الا للمؤمنين او المراد بالاضلال منع الالطاف لانهم للسوا من اهلها وبالهداية منحها لانهم من اهلها ثم بين غاية جهالة الكفار وانهم مع مجوزهم بفرعون الى الله في البلبان فقال قل ارأيتكم هو منقول من رابت بمعنى اخبرت او عرفت كانه قيل اخبروني عن شأنكم هذه الحالة العجيبة او اعرفوها اخبروني عنها فلا يستعمل الا في الاستخبار عن حالة عجيبة شبيهة فهذا بين بانا اتباع السبيل الاخبا انما يكون بعد المشاهدة او العرفان ما اعرابه فالتاء ضمير الفاعل والكاف للخطاب فالتاء يكون بلفظ واحد في التثنية والجمع والتانيث بخلاف هذه الكاف فانها لا تكون الا كاف الخطاب ارأيتكم ارأيتكن وارأيتكما وارأيتكم وارأيتكن وجميع ذلك مفتوحة والكاف حرف الخطاب لبس اسما والا لكانت اما مجرورة ولا جار واما مرفوعة غير واسم الكاف من ضمائر المرفوع ولا رافع ايضا لان التاء فاعل ولا يكون الفعل فاعلا واما منصوبة وهو باطل من وجوه احدها ان هذا الفعل قد سبق الى مفعولين نحو ارأيتك زيدا ما شانه فلو جعلت الكاف مفعولا لكان ثالثا وثانيها لو كان

مفعولا لكان هو الثاني في المعنى وليس المعنى على ذلك اذ ليس الغرض اراءة نفسك بل اراءة غيرك ولذلك قلت ارأيتك زيدا وزيد وغير المخاطب لا هو بدل منه وثالثها لو كان منصوبا على انه مفعول اظهرت علامة التثنية والجمع والتأنيث في الفعل نحو ارأيتاكما وارأيتموكن وقد ذهب الفراء الى ان اسم مضم منصوب في معنى المرفوع ويجوز تعريف الثاني فاذا مفعولا ارأيت في الآية فقبلهما محذوف فان تقدير ارأيتكم عبادتكم الاصنام هل ينفعكم عند مجيء الساعة ودل عليه قوله اغير الله تدعون فقبل لا يحتاج ههنا الى المفعول لان الشرط وجوابه قد حصل معنى المفعول واما جواب الشرط فمادل عليه الاستفهام في قوله اغير الله تفقدون ارأيتكم الساعة دعوتم الله وحاصل الآية قل يا محمد لهؤلاء الكفار ارأيتكم ان اتيتكم العذاب في الدنيا او عند قيام الساعة اتخصون الهتكم بالدعوة ام تدعون الله دونها بل اياه تدعون بل تخصونه بالدعاء دون الالهة فيكشف ما تدعونه الى كشفه ان شاء لان قوارع الساعة لا يكشف عن المشركين وعلى هذا يكون قوله ادعوني استجب لكم باقيا على اطلاقه لكن في الدنيا ولو علق المشيئة بكشف العذاب في الدنيا كان قوله ادعوني استجب لهم مقيدا بالمشيئة ولنعم ما قال ابن عباس تتركون الاصنام ولا تدعونها لعلكم انها لا تضر ولا تنفع ويجوز ان يراد لا تذكرون الاصنام في ذلك الوقت لان اذهانكم مقهورة بذكر الله وحده والمقصود من الآية تبكيت الكفار كانه قيل اذا كنتم ترجعون عند نزول الشدائد الى الله تعالى لا الى الاصنام فلم تعبدون عباداتها وفيه ان مبنى الدين على الجزم والدليل على محض التقليد ثم سلى النبي صلى الله عليه وآله بان اعلمه انه قد ارسل قبله الى اقوام بلغوا في القسوة الى ان اخذوا بالشدة في انفسهم واموالهم فلم يخضعوا واصروا على كفرهم خلاف الاقوام المذكورين الذين يفزعون الى الله في اشد الشدائد ويحتمل ان يكون حكم الطائفتين واحدا لان التضرع والالجاء الى الله لطلب ازالة البلية لا على سبيل الاخلاص غير معتبر في الآية بمحذوف تقديره ولقد ارسلنا الى امم من قبلك رسلا فخالفوهم فاخذناهم بالبأساء والضراء وحسن الحذف لكونه مفهوما والبأساء البؤس والضر والبأس الفقر والجوع والضراء الامراض والاوجاع والزمانة لعلهم يتضرعون يتذللون ويتخشعون واصله الانقياد وترك التمرد ضرع الرجل صار اغر ضرعه وضارع اذا ذل ضعيف حتى الجأ بالياء على انه تعالى انما ارسل الى هذه البأساء والضراء علما منه ان ارادة ان يتضرعوا ويؤمنوا فهو يريد الايمان والطاعة من الكل ويجيب الترجي في حقه تعالى محال فاهتم بما هو مؤثر على الارادة ويحتمل على انه تعالى يعاملهم معاملة المترجي فانا الترجي على ان الفسوق ترين الشيطان وكل ما يفوضونه لا بد ان ينتهي الى خلق الله وتكوينه اما قوله فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا فمعناه نفي التضرع كانه قيل فلم يتضرعوا اذ جاءهم بأسنا ولكن قاسية بلولا لما التحضيضية ليفيد انه لم يكن لهم عذر في ترك التضرع الا العناد والقسوة والاعجاب ثم بين انه لما لم ينجع فيهم المواعظ والزواجر نقلهم من لباسا والضراء الى الرخاء وفتح ابواب الخيرات عليهم وسهل موجبات المسرات لديهم كما يفعله الاب المشفق لولده بخاشنه تارة وبلاينه اخرى ومعنى كل شيء لكل شيء كان مغلقا عنهم من الخير حتى اذا فرحوا بما اوتوا الى ظنوا ان ذلك باستحقاقهم ولم يزيدوا الا بطرا وترفا اخذناهم بغتة قال الصم هكبا القوم وربت الكبيبة وقال اذا اراد الله تعالى بعطف العاصي فان ذلك استدراج من الله تعالى قال العلماء وانما اخذوا في حال الرخاء ليكون اشد لتحسرهم على ما فاتهم من السلامة والعطاء فاذا هم مبلسون آيسون من كل خير وقال الفراء المبلس الذي انقطع رجاؤه وبقي الذي سكت عند انقطاع حجته قد ابلس وقال الزجاج المبلس الشديد الحسرة الحزين واذا ههنا للمفاجاة وهي ظرف مكان وهم مبتدأ ومبلسون خبره وهو العامل في اذا انقطع دابر القوم الذابر للشيء من خلفه كالولد للوالد يقال ان القوم يدبرهم دبورا ودبرا اذا كان اخرهم ويجيء دابر القوم اخرهم الذي يدبرهم الاصمع الذابر الاصل قطع الله دابره اي اصله والحمد لله رب العالمين نفسه على ان لم يترك منهم احدا واستأصلهم لان ذلك جار مجرى النعمة على اولئك الرسل وعلى اولئك الطائعين كيلا يزيد والكفر اعتادا فيزدادوا عذابا وعقابا واحمد على ما انعم عليهم قبل ذلك وهو ان كلفهم وازال عنهم الاعذار والعلل وبعث الانبياء والرسل واخذهم بالبأساء والضراء ثم تفضل الى الآباء والنعماء الا انهم لم يزيدوا الا انهماكا في الغي والضلال فطهر وجه الارض من شركهم وفيه ايذان بوجوب الحمد لله عند هلاك كل ظالم فان ذلك من جملة الآلاء والنعماء ثم عاد الى الدلالة على وجود الصانع الحكيم المختار بيان واحد نبه جل جلاله فقال قل ارأيتم ان اخذ الله وتقرير ذلك ان اشرف اعضاء الانسان هو السمع والبصر والقلب كما عددنا منافعها في اوائل الكتاب لا ريب ان الفاقد على تحصيل قواها ايسر صرفها عن الآفات والمخافات ليس الا الله وحده ومعنى اخذ السمع البصر تعطيل منافعهما ومعنى الختم على القلب ازالة العقل كالمجانين قال ابن عباس ازالة الطبع او الامانة حتى لا يعقل الهدى والصلاح يا بتيكم بمرادي بذلك الذي اخذ من السمع والبصر والقلب فوضع الضمير موضع اسم الاشارة بناء على ان الضمير المذكور بحكم الاستعمال يلزم ان يكون لذي عقل ولو فرضنا والاحسن ان يقال اذكر اشيا متعددة فوجب ان يعود الضمير الى جميعها مؤنثا اذ لا ترجيح وحينئذ لم يكن الضمير مؤنثا علم ان المراد المذكور مع ان يشار اليه بذلك ثم انه اقام الضمير المذكور مقاما او يعود الى ما اخذ وختم عليه وضع من غير التكلف المذكور بحكم التغليب انظر يا محمد او كل من له اهلية النظر كيف نصرف الآيات نوردها على الوجوه المختلفة المتكاثرة بحيث يكون كل واحد منها يقود ما قبله الا بصالك المطلوب ومعنى ثم التفاوت بين الحالين ويصدفون اي يعرضون ويتكبرون امارة صدوف التي تعرض وجهها عليك ثم نصد اي تعرض وتصد مبالغة في الخافر الى الشق الوحشي صدف الدرة غشاؤها المبهل فيه قال الكعبي لو خلق الله فيهم الاعراض والصد لم ينكر ذلك عليهم وقالت الاشاعرة لو لا منع الله تعالى لنجع فيهم الدلائل القاطعة لاعدادهم ثم عمم الدليل بقوله قل ارأيتكم ان اتيتكم والمعنى انه لا دافع لنوع من انواع العذاب الا الله سبحانه وجب

الانعام
وارأيتموكم

ان لا يكون معبودا لاهو تم العذاب المفرض اما ان يجئ من غير سبق امارة تدل على ذلك بالليل او مع سبق امارة وهو الجمهور واكثره بالنهار ولهذا قال الحسن معناه ليلا او نهارا واما قوله هل يهلك الا القوم الظالمون اى لا يهلك مع قوله واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة فمعناه ان الهلاك بالحقيقة وهو هلاك التعذيب والستخط مختص بالظالمين الاشرار كان الاخيار وان عمهم العذاب لان امرهم يستقبلون بذلك ثوابا جزيلا فهو لهم بلاء في الظاهر الا بالحقيقة خلاف الظلمة فانهم يخسرون الدنيا والاخرة ومثله قوله صلى الله عليه وآله ان امر المومن خير كله ان اصابته ضراء صبر كان خيرا له وان اصابته سراء فشكر كان خيرا له واعلم انه ذكر ههنا ارتكم مرتين فرادخطابا واحدا لان عذاب الاستيصال ما عليه من مزيد فتاسب زيادة الخطاب لاجل التاكيد وبينهما قال رايتم حيث لم يكن كذلك في يونس ثم ذكر ان الانبياء والرسل بعثوا للتبشير والانذار فقط ولا قدرة لهم على اظهار الايات وانزال المعجزات التي اقترحوها في قوله وقالوا لولا انزل عليه اية من ربه وان ذلك مفوض الى مشية الله وحكمته فقال وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين بالثواب على الطاعات ومنذرين بالعقاب على المعاصي من قبل قولهم والحث بالايمان الذي هو من افعال القلب العمل الصالح الذي هو من افعال البدن فلا خوف عليهم والذين كذبوا بايانا يمسهم العذاب ومعنى المس التقاء الشيئين من غير فصل قال في الكشاف جعل العذاب ماسا كانه حي يفعل بهم ما يريد لم يكن بعيدا قال القاضي انه على عذاب الكافرين بكونهم فاسقين فيكون كل فاسق كافرا واقول هذا من باب بهلم العسكر فان كل كافر فاسق ولا يلزم العكس فان كل كافر فاسق ولا يلزم العكس ثم امر نبيه ان ينفي من نفسه امورا ثلثة فقال قل لا اقول لكم عندي خزائن الله وهو جمع خزانة للمكان الذي يخزن فيه الشيء اجوزه بحيث لا يناله الايدي ولا اعلم الغيب قال في الكشاف محله النصب عطفا على محل قوله عندي خزائن الله لانه من جملة المقول اى لا اقول لكم ذلك ولا هذا قلت ويحتمل ان يكون عطفا على لا اقول اى قل لا اعلم الغيب فيكون فيه دلالة على ان الغيب لا يستقل لا يعلمه الا الله بخلاف كون خزائن الله عنده وكونه ملكا فان التي يحتمل ان يكون له هذه المقامات ولكن لا يظهرها واختلف المفسرون في فائدة نفي هذه الامور قبل المراد اظهار التواضع والخضوع لله تعالى والاعراف بعبوديته حتى لا يعتقد فيه مثل اعتقاد اليهود والنصارى في المسيح وقيل المقصود ابداء العجز والضعف انه لا يستقل باتيان المعجزات التي كانوا يقترحونها كقولهم لن نومن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الى قوله هل كنت الا بشرا رسولا وقيل لم ادع سوى النبوة والرسالة ولا ادعي الالهية ولا الملكية وانما زيد ههنا لكم بخلاف صورة هود حيث قال ولا اقول اني ملك لانه تقدم ذكر لكم في قوله اني لكم نذير فاكتفى بذلك قال الجبائي في الاية دلالة على ان الملك افضل اذ المراد لا ادعي فوق منزلتي قال القاضي ان كان الغرض التواضع فالامر فيه ان ذلك يدل على ان الملك افضل وان كان المراد نفي قدرته عن افعال لا يقوى عليها الا الملائكة لم يدل على افضليته الملائكة ان اتبع الا ما يوحى الي قبل هذا التصريح يدل على انه تعالى لم يحكم من تلقاء نفسه وبالاجتهاد في شيء من الاحكام ولا يجوز لاحد من امته ان يعمل الا بالوحي النازل عليه لقوله تعالى فاتبعوه فلا يجوز العمل بالقياس واكد هذا الحكم بقوله هل يستوي الاعمى والبصير وذلك ان العمل بغير الوحي يجري مجرى عمل الاعمى والعمل بمقتضى الوحي مقام عمل البصير ثم قال افلا تتفكرون تنبيها على انه يجب على العاقل ان يعرف الفرق بين هذين واجيب بان اصل الاجتهاد والقياس اذا كان بالوحي لم يلزم الضلالة والاباحة مثل للضال والمهتدي او لمن ادعى المستحيل وهو النبوة والمحال وهو الالهية والملكية افلا تتفكرون فلا تكونوا ضالين كالعميان او تعلموا ان ما ادعيت سوى ما يليق بالبشر والله تعالى اعلم واحكم التاويل ودابة من دب يدب في ارض البشر يتحرك من الحواس والجوارح والنفس صفاتها الا امم امثالكم في السؤال عن اقوالهم واحوالهم كقوله ان السمع والبصر والفؤاد اولئك كان عنه مسئولا ما فرطنا ما تركنا في القرآن من شيء يحتاج اليه الانسان ظاهرا وباطنا من صفاته وصفاته في السير الى الله من الاوامر والنواهي والتاديب الاداب ثم الى ربهم يحشرون ههنا بالنشر وجد باب العناية وهناك بالسلاسل والاغلال يسحبون في النار على الفطرة على وجوههم كان من شانهم التكذيب كما قال والذين كذبوا بايانا الموصلة اليهم اذان قلوبهم عن استماع الحق بكم السنة احوالهم عن اجابة دعوته في ظلمات صفات البشرية والاخلاق الذميمة بل اياه تدعون لان وجوههم الى ربه مركوزة في روحانيته ولقد ارسلنا الى امم اى ارسلنا اليهم نعم الصحة والكفاف الامن فشغلوا بها لهتا فارسلنا اليهم بالبراهين القاطعة والحجج الساطعة فدعوهم بها الينا فلم يهتدوا فاخذناهم بالبأساء والضراء التي هي موجبة للالجاء فلولا اذ جاءهم باسنا تضرعوا وعلموا ان الحق ما ذكرناه في سوابق صور تهرنا وتحققوا ان درر محبتنا مستودعة في اصداف شدايد باسنا فاستقبلوها بصدق والالتجاء وحسن التضرع في الدعاء فلما نسوا بسبب القساوة ما ذكروا به من معارضة الباساء والضراء فانها تذكر ايام الرخاء وتعرف قدر الصحة والنعماء وبوقوفها على ذريعة المنعم فتحنا عليهم ابواب كل شيء من البلاء في صور النعماء لارباب الظاهر من النعم الظاهرة من المال والجاه والقبول وامثالها ولارباب الباطن بالنعم الباطنة من فتوحات الغيب اشباهها حتى اذا فرحوا بما اوتوا وظنوا انهم قد استغنوا عن صحبة الشيخ وتعليم تصرفاته فشرعوا في الطلب على فتوحاتهم اخذناهم بغتة بفقد الاحوال بالفقر فاذا هم مبلسون متحيرون في بيداء الغرور والحمد لله على اظهار اللطف لارباب القهر لاصحابه ليعلم ان الكل بقدرته كما قال قل ارايتم ان اتاكم عذاب الله او اتتكم الساعة اغير الله تدعون ان كنتم صادقين بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وتنسون ما تشركون من الاصنام والاسباب والاغيار ولقد ارسلنا الى امم من قبلك فاخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون فلولا اذ جاءهم باسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا انفسهم بصرف استعداد عبوديته المولى في عبادة الطاغوت فاما من ابتلي بعذاب الله من الافات والمخافات والامراض ونحوها ابتلاء فتاب ورجع فهو غير هالك على الحقيقة قل ارايتكم ان اتاكم عذابه بقتل لبس عندي خزائن الله ليعلم ان خزائن الله وهي العلم بحقايق الاشياء وما هيتها عنده لا يراه غيره ايانا نسوقهم الى الافاق وفي انفسهم وباستجابة دعائه في قوله الا اياه تدعون كما هو ولكنه يتكلم الناس على قدر عقولهم ولا اعلم الغيب اى لا اقول

لکم هذا مع انه کان یخبرهم عما مضی وعما سیکون بما علام الحق وقد قال صلی الله علیه وآله فی قصة لیلة المعراج قطرت فی حلقة قطرة علمت ما کان وما سیکون ولا اقول لکم انی ملک وان کنت قد عبرت عن مقام الملک حین قال لجبرئیل تقدم فقال لو دنوت انملة لاحترقت ان اتبع الا ما یوحی الی ان اخبرهم وقال معهم قل هل یستوی الاعمی والبصیر فکیف اخبرکم عما اعمی الله بصائرکم عنه وانا به بصیر قوله تعالی

والبصیر فلا یستوی مع الاعمی ع

وانذر به الذین یخافون ان یحشروا الی ربهم لیس لهم من دونه ولی ولا شفیع لعلهم یتقون ولا تطرد الذین

وبترسان بان انها را که میترسند که جمع آیند بسوی پروردگارشان حالت که نیست مر ایشانرا از غیر او دوستی ونه وسیله شاید که ایشان پرهیزند ومران نمانرا که

یدعون ربهم بالغداة والعشی یریدون وجهه ما علیک من حسابهم من شیء وما من حسابک علیهم من

میخوانند پروردگارشان را در بامداد ان وشام میخواهند دیدار او را نباشد بر تو از حساب ایشان از چیزی ونیست از حساب تو بر ایشان از

شیء فتطردهم فتکون من الظالمین وکذلک فتنا بعضهم ببعض لیقولوا اهؤلاء من الله علیهم من بیننا

چیزی پس برانی ایشانرا پس باشی از ستمکاران وهمچنین آزمودیم برخی ازیشانرا بعضی تا بگویند که آیا اینان کسانند که منت نهاد خدا بر ایشان از میان ما

الیس الله باعلم بالشاکرین واذا جاءک الذین یؤمنون بآیاتنا فقل سلام علیکم کتب ربکم علی نفسه

آیا نیست خدا داناتر بسپاسگزاران وچون آیند نزد تو آنان که ایمان آورده اند بآیات ما پس بگو درود بر شما نوشت پروردگار شما بر خویش

الرحمة انه من عمل منکم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده واصلح فانه غفور رحیم وکذلک نفصل الآیات

رحمت را که هر که بکند از شما بدی را بنادانی پس توبه کرد از پس آن وشایسته کند پس او آمرزنده مهربان است وهمچنین بیان میکنیم آیتها را

ولتستبین سبیل المجرمین قل انی نهیت ان اعبد الذین تدعون من دون الله قل لا اتبع اهواءکم

وتا ظاهر شود راه گناهکاران بگو که من نهی کرده شدم که بپرستم آنانرا که میخوانید از غیر خدا بگو که پیروی نمیکنم خواهشهای شما را

قد ضللت اذا وما انا من المهتدین قل انی علی بینة من ربی وکذبتم به ما عندی ما تستعجلون به ان

هر آینه گمراه شدم از وقت وبباشم من از راه یافتگان بگو که من بر گواهیم از پروردگارم وتکذیب کردید بان نیست نزد من آنچه شتاب خواهید نیست

الحکم الا لله یقص الحق وهو خیر الفاصلین قل لو ان عندی ما تستعجلون به لقضی الامر بینی وبینکم

فرمان مگر از برای خدا حکایت حق را واوست بهترین جدا کنندگان بگو که اگر بودی در نزد من آنچه شتاب خواهید هر آینه گسسته بود فرمان در میان من ومیان شما

والله اعلم بالظالمین وعنده مفاتح الغیب لا یعلمها الا هو ویعلم ما فی البر والبحر وما تسقط من ورقة

وخدای داناتر است بستمکاران ودر نزد اوست کلیدهای پنهانها که دانای نیست آنرا بجز او ومیداند آنچه را که در بیابان ودریاست وفتد هیچ برگ

الا یعلمها ولا حبة فی ظلمات الارض ولا رطب ولا یابس الا فی کتاب مبین وهو الذی یتوفیکم باللیل

مگر میداند آنرا ونه دانه در تاریکیهای زمین ونه تری ونه خشکی مگر آنکه در کتاب هویدا است واوست آنکه در وقت خواب کند شما را

ویعلم ما جرحتم بالنهار ثم یبعثکم فیه لیقضی اجل مسمی ثم الیه مرجعکم ثم ینبئکم بما کنتم تعملون القراءة

ومیداند آنچه را کسب کرده اید در روز پس برانگیزاند شما را در روز تا تمام شود وعده نامزد شده پس بسوی اوست بازگشت شما پس خبر دهد شما را بآنچه بودید که میکردید

القراءة بالغدوة مضمومة الغین ساکن الدال مفتوح الواو وکذا فی الکهف ابن عامر الباقون بفتح الغین والدال وبالالف ربا بالفتح وانه بالکسر

ابو جعفر ونافع وقرا ابن عامر وعاصم وسهل ویعقوب جمیعا بالفتح الباقون بالکسر فیهما ولیستبین بناء الغیبة ویدخل حمزة وعلی وخلف وعاصم

غیر حفص والمفضل الباقون بالتاء الوفاة نسبل بالنصب ابو جعفر ونافع ویدل الباقون بالرفع یقص ابن کثیر وابو جعفر ونافع وعاصم الباقون

یقضی الحق الوقوف یتفون وجهه الظالمین من بیننا الشاکرین ادغم ن من قرا انه یکسر الالف وجهه المجرمین من دون الله اهواءکم للتعیین اذا

بما قبله ای قد ضللت اذا ابتعت المهتدین وکذبتم به الفاصلین وبینکم بالظالمین الا هو والبحر مبین مسمی لان ثم لتبتلی الاخبار

مع اتحاد المقصود تعلمون التفسیر لما وصف الرسل بکونهم مبشرین ومنذرین امر الرسول صلعم بالانذار وهو الاعلام بموضع المخافة فقال

له وانذر به قال ابن عباس والزجاج ای بالقرآن وهو المذکور هنا فی قوله ان اتبع الا ما یوحی الی وقال الفتح ای بالله قبل والاول اولی لان

الانذار التخویف انما یقع بالقول وفیه نظر لان الانذار لا نزاع فیه انه قول ولکن المنذر به قلما یکون قولا نقوله وانذرهم یوم الازفة فانذرکم

نارا تلظی ولو زعم ان المراد وانذرهم النار والعذاب بواسطة القرآن قلنا فقد مثلنا هیهنا والمعنی انذرهم العذاب یقول بالنبی ع

شدة سخط الله وعقوبته اما الذین یخافون ان یحشروا فهم انهم الکافرون الذین سبق ذکرهم فلعلنا من المشرکین من حالهم انهم

یخافون اذا سمعوا بحدیث البعث ان یکون حقا فیهلکوا انهم ممن یرجی ان ینجع فیهم الانذار فامر ان ینذر هؤلاء دون المتمردین منهم ثم

قال هذا القائل ولا یجوز حمله علی المؤمنین لانهم یعلمون انهم یحشرون والعلم خلاف الخوف والظن وضعف بان الخوف شامل للناس

کافة لعدم الجزم بالثواب قبول الطاعة وان کانوا مقرین بحشر والنشر فالظاهر ان الضمیر یتناول الکل لان العاقل لا بد ان یخاف

الحشر سواء کان جازما بامره او شاکا فیه وایضا انه مامور بتبلیغ الکل فلا وجه للتخصیص وقیل انهم قوم مسلمون مفرطون فی العمل فینذرهم بما اوحی الیه لعلهم

يدخلون في زمرة اهل التقوى من المسلمين وقبلهم اهل الكتاب لانهم مقرون بالبعث ومعنى الى ربهم الى حكمه وقضائه قال ابن عباس ومن معه مكان ولا جمعة اما قوله ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع فقال الزجاج ان الجملة في موضع الحال من ضمير يحشروا اي يخافون ان يحشروا غير منصورين ولا مشفوعا لهم فان كان الضمير للكفار فظاهر وان كان للمؤمنين فشفاعة الملائكة والرسل اذا كانت باذن الله تعالى فانها يكون بالحقيقة من الله تعالى فصح انه ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع ولا بد من هذا الحال لان الحشر مع ليس مخوفا وانما المخوف هو الحشر على هذه الحالة لانهم اعتقدوا ان لا ناصر ولا شفيع الا الله واذا لم يكن الله ناصرا وشفيعا لزم ان لا يكون ناصر اصلا للعالم يتقون قال ابن عباس لكي يخافوا في الدنيا وينتهوا عن الكفر والمعاصي قالت المعتزلة فيه دلالة على انه اراد من الكفار التقوى والطاعة واجيب بان الترجي راجع الى العباد ولما امر بانذار عموم المكلفين ليتقوا اردفهم بذكر التنفير وامر تنفير بهم واكرامهم روى عن ابن مسعود ان الملأ من قريش مروا على رسول الله وعنده صهيب وبلال وخباب وعمار وغيرهم من ضعفاء المسلمين فقالوا يا محمد ارضيت بهؤلاء اترى ان تكون تبعا لهؤلاء اطردهم عنك فلعلك ان طردتهم اتبعناك فقال صلى الله عليه وآله ما انا بطارد المؤمنين فقالوا فاقمهم عنا اذا جئناك فاذا قمنا فاقعدهم معك ان شئت فقال نعم طمعا في ايمانهم وروى ان عمر قال له لو فعلت حتى ننظر الى ماذا يصيرون ثم الحق او قالوا للرسول صلى الله عليه وآله اكتب لنا كتابا واقدعا بالصحيفة وبعلي ليكتب فنزلت ولا تطرد الآية فرمى بالصحيفة واعتذر عمر عن مقالته قال سلمان وخباب فينا نزلت فكان رسول الله يقعد معنا ويدنو منه حتى ربما ركبته ركبته وكان يقوم عنا اذا اراد القيام فنزلت واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم فترك القيام عنا الى ان نقوم عنه وقال الحمد لله الذي لم يمتني حتى امرني ان اصبر نفسي مع قوم من امتي معكم المحيا ومعكم الممات اثنى الله عليهم بانهم يدعون ربهم بالغداة والعشي قال ابن عباس والحسن ومجاهد يصلون صلوة الصبح والعصر قيل يذكرون ربهم طرفي النهار والمراد بالغداة والعشي الدوام والغداة لغة ما بين صلوة الغداة وطلوع الشمس والعشي ما بين الزوال الى الغروب قال الجوهري غداة بالتنوين نكرة ويدخلها معرفة غير مصروفة كسحر لمحل بريدون وجهه نصب على الحال او على الاستيناف كانه قيل ما اراد فقيل بالمواظبة على الدعاء فاجيب بقوله يريدون وجهه ولا يثبت بمرة تعم عطوفا كان عمت المجنة ولكن المراد به التعظيم فقد يعبر به عن ذات الشيء الحقيقة كما يقولون هذا وجه الرأي وذاك وجه الدليل وايضا المحبة يستلزم طلب قربه الوجه كناية عن المحبة وطلب لقائه ثم علل النهي بقوله ما عليك من حسابهم من شيء قيل الضمير عائد الى المشركين اي لا يؤاخذون بحسابك ولا انت بحسابهم حتى يهمك ايمانهم ويدعوك ذلك الى ان تطرد المؤمنين والاول ان يعود الى الفقراء لما سبق له فنطردهم كما في قصة نوح ان حسابهم الا على ربي وذلك انهم طعنوا في دينهم واخلاصهم وقالوا يا محمد انهم قبلوا دينك ولازموك لاجل المأكول والملبوس فقال الله تعالى ان كان الامر على ما زعموا فما يلزمك الا اعتبار الظاهر ان كان لهم باطن غير مرضي فحسابهم لا يتعداني اليك كما ان حسابك لا يتعدى اليهم فالجملتان لهما مؤدى واحد وهو المفهوم من قوله ولا تزر وازرة وزر اخرى كانه قيل لا تؤاخذ انت لاجلهم بجناية صاحبه قبلك عليك من حساب قبل عليهم من شيء وانما الوزر الذي لك لهم هو انك سبب افادة علم يكونوا عندك اما قوله فتطردهم فهو جواب النفي فيما عليك في انتصاب فيكون وجهان احدهما انه جواب النهي والثاني انه عطف على فتطردهم على وجه الشبه لان كونه ظالما معلوم من طردهم ومسبب عنه فان طردهم يستوجب التقريب والترجيب وضع للشيء في غير موضعه ومن هنا طعن بعض الناس في عصمة النبي صلى الله عليه وآله قالوا لو كان يقول كلما دخل او لئك الفقراء عليه بعد هذه الواقعة مرحبا بمن عاتبني ربي فيهم او لفظ هذا معناه والجواب انه ما طردهم لاجل الاستخفاف بهم والاستنكاف من فقرهم وانما ازدهم مجلسا الفا لقلوب المشركين وتكثير السواد والاسلام مع علمه بانه لا يفوت لفقراء هذه المصالحة امرهم في الدنيا ولا في الدين فغايته ذلك ان يكون من باب ترك الاولى والافضل وكذلك في مثل ذلك المقام العظيم فتنا بعضنا ببعض ليقول الناس بعض فلما لفريقين هم الكفار يريد الاخير مقدما عليه في المناصب الدنيئة فيقول اهؤلاء المستذلون من الله عليهم من بيننا كقوله الفي الذكر عليه من بيننا والفريق الاخير يريد الاول مقدما عليه في الخيرات العاجلة والخصب المتعة والراحة لذعة فيقول اهذا هو الذي فضله الله علينا واما المحققون فهم الذين يعلمون ان كل ما فعله الله فهو فضل ولا اعتراض لبشر بحكم المالكية ويجب عليه الاصلاح بالجملة فصفات الكمال غير محصورة ولا يجتمع في انسان واحد المتنزل هو موتزعة على الخلائق وكلها محبوبة لذاتها فكل انسان يحمد حسنا على ما اتاه الله تعالى من صفة الكمال فمن عرف سر القدر رضي بنصيبه نفسه وسكن عن التعرض لغيره وعاش عيشا طيبا في الدنيا والاخرة قال هشام بن الحكم الافتتان الاختبار والامتحان وفيه دليل على انه تعالى لا يعلم الاشياء الا عند وجودها والجواب انه يعامل المكلف معاملة المخبر وقد مر ارا وقالت الاشاعرة الآية دلالة على مسئلة خلق الاعمال لان تلك الفتنة التي القاها الله تعالى ليست لاعتراضهم على الله ولا اعتراض على فعله كفر فهو تعالى خالق للكفر وايضا منه الله عليهم ليست الا بالايمان وما بعثم الرسول فلو كان المرجح للايمان هو العبد لكان هو المان على نفسه اجاب المعتزلة بان معنى فتناهم ليقولوا هذا لما هم حتى ان امرهم الا ان قالوا فلكون اللام لام العاقبة ونحن بانه عدول من الظاهر مع انا نقول الكلام الى الخذلان فلا بد من الانتهاء اليه تعالى ليس الله باعلم بالشاكرين من يصرف كل ما انعم عليه فيما اعطاه لاجله فيظهر اثره على حسب معلوم الله تعالى وقال الكشاف اي الله اعلم بمن يقع منه الايمان والشكر فيوفقه للايمان ولمن يصمم على كفره فيخذله وبهذا التوفيق وارد اجابة لذين يؤمنون بآياتنا قال عكرمة نزلت في الذين نهى الله نبيه عن طردهم

وكان اذا راهم بدأهم بالسلام وقال الحمد لله الذي جعل في امتي من امرني ان ابدأهم بالسلام وقال ما هان الخفض الى قوم الا بتر صلى الله عليه وآله
فقالوا انا اصبنا ذنوبا عظاما واظهروا الندامة والاسف فما احاله رضي الله عنهم بشيء فلما ذهبوا تلوا نزلت الآية قال في التفسير الكبير الاقرب ان نحمل الآية
على عمومها فكل من امن بآيات الله تعالى يدخل تحت هذا التشريف الاكرام ثم ان اشكالا ورد وان المفسرين اتفقوا على ان هذه السورة نزلت دفعة
واحدة واذا كان الامر كذلك فكيف يمكن ان يقول في كل واحدة من جميع آي هذه السورة انها نزلت بسبب الامر الفلاني قلت لا استبعاد في ان تنزل السورة
دفعة وينزل الصحابة كل آية منها على واقعة تناسبها كيف وهم اعرف بحقايق التنزيل واعلم بدقايق التأويل لانهم اهل مشاهدة الوحي وارباب مزيد
الامر والنهي واعلم ان ما سوى الله تعالى فهو آيات وجود الله وانها لا تكاد تنحصر فيجب على المكلف ان يكون مدة حيوته كالسابح في تلك القفار ليكون دائما
مترقبا في معارجها متقنا ان يمضي عليه لا نوار من مدارجها فيستعد لبشارة سلام عليكم وبشاهل الكرامة كتب ربكم على نفسه الرحمة فقل سلام
عليكم امنا ان يكون امرا بتبليغ سلام الله اياهم وامنا ان يكون امر بان يبدأهم بالسلام اكراما لهم قال الزجاج سلام اما مصدر سلمت سلاما وسلما
مثل كلمت كلاما وكلما ومعناه الدعاء بان يسلم من الآفات في نفسه ودينه واما ان يكون جمع سلامة وقيل السلام هو الله اي الله عليكم امين على حفظكم
ولعل هذا الوجه اتم مباينة في المعرف كالمنكر كتب ربكم من جملة المقول لهم تبشيرا لسعة رحمة الله وقبوله التوبة ومعنا كتب على نفسه وجب على
نفسه اوجب على ذاته ايجاب اكرام لا ايجاب استحقاق تركه الذم وقالت المعتزلة كونه عالما يقبح القبايح وباستغنائه عنها يمنعه عن الاقدام عليها ولو فعل
كان ظلما وايجاب الرحمة بناء في القول بانه منع الكافر من الايمان ثم امره حال ذلك المنع بالايمان ثم يعذبه على تركه ذلك الايمان واجيب بانه فاعل
لما يشاء ولا اعتراض عليه انه من عمل منكم قرأ بالفتح فعلى الابدال من الرحمة ومن قرأ بالكسر فعلى الاستيناف كان الرحمة استفسرت فقيل انه من عمل
منكم سوءا جهالة وهو في موضع الحال اي عمله وهو جاهل والمراد انه فاعل فعل الجهال لكان من عمل ما يضره العاقبة وهو عالم بذلك او ظان
فهو من اهل السفه لا من اهل الحكمة والتدبير وانه جاهل بعاقبته ومن حق الحكيم ان لا يقدم على ما لا يعرف مآله ثم تاب من بعد ذلك بان ندم
على ما فعله واصلح العمل في المستقبل فانه غفور رحيم يوصل الثواب اليه من قرأ بالكسر فعلى ان الجملة جزاء للشرط ومن قرأ بالفتح
فعلى ان الخبر اما محذوف اي فغفرانه كائن او فامره انه غفور وقيل ان الآية نزلت في عمر حين اشار باجابة الكفرة الى ما طلبوا ولم يعلم انها مفسدة
وكذلك اي كما فصلنا في هذه السورة دلائلنا على التوحيد والنبوة والقضاء والقدر نفصل الآيات ونميزها لك في نظيرها حق يتكرر كل حق بنكر اهل
الباطل ولتستبين مرفوع على محذوف كانه قيل ليظهر الحق ولتستبين او معطوف على محذوف اي ولتستبين سبيل المجرمين فصلنا ذلك التفصيل
البين من رفع السبيل قرأ بالتستبين بالتاء لان السبيل يذكر ويؤنث ومن نصب السبيل قرأ لتستبين بناء الخطاب مع الرسول يقال استبان
الامر وتبين واستبنته واستبنت سبيل المجرمين يستلزم استبانة طريق المحقين فلذلك اقتصر على احدهما كقوله سرابيل تقيكم الحر ولم يذكر
البرد وانما ذكر المجرمين دون المحقين لان طريق الحق واحد والمجرمون اصناف يشتبه امرهم فمنهم من هو مطبوع على قلبه ومنهم من يرجى فيهم قبول
الاسلام ومنهم من دخل في الاسلام الا انه لا يحفظ حدوده فينبغي ان يتوضح سبيلهم ليعامل كلا منهم بما يجب ومن جملة ذلك انه نهى عن عبادة معبوديهم
وذلك قوله قل اني نهيت اي صرفت بالدلائل العقلية والسمعية ان اعبد الذين تدعون من دون الله قل لا اتبع اهواءكم لان
عبادة المصنوع والمخلوق محض التقليد وحيز الحق قد ضللت اذا وما انا من المهتدين اثبت الضلال اذ ذاك ونفى الاهتداء تنبيها على ان
المقرر والتأكيد وفيه تعريض بهم انهم كلما نبهوا على ما يجب ايثاره بقوله قل اني على بينة من ربي على حجة واضحة من معرفة ربي وانه لا معبود سواه
وكذبتم انتم به حيث اشركتم به غيره بقي ان على بينة من هذا الامر وعلى يقين منه اذا كان ثابتا عنده بدليل وقيل على حجة من جهة ربي
وهي القرآن وكذبتم به اي بالبينة وذكر الضمير على تأويل ما تستعجلون به بمعنى العذاب الذي استعجلوه في قولهم ان
كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء قال الكلبي نزلت في النضر بن الحرث وزمعة قريش كانوا يقولون يا محمد ائتنا بالعذاب
الذي تعدنا به استهزاء منهم ان الحكم الا لله مطلق يتناول الكل فقال الاشاعرة لا يقدر العبد على امر من الامور الا اذا قضى الله تعالى فيمتنع
منه فعل الكفر الا باراده الله واحتجت المعتزلة بقوله يقضي بالحق اي كل ما قضى به فهو الحق وهذا يقتضي ان لا يريد الكفر من الكافر ولا المعصية
من العاصي لان ذلك ليس بحق ويمكن ان يكون جميع احكامه حقا صدرت ولا اعتراض لاحد عليه بحكم الملكية وانتصاب الحق على انه صفة مصدر اي يقضي
القضاء الحق او مفعول به من قولهم قضى الدرع اذا صنعها اي يصنع الحق ويدبره ومثله من قرأ يقص الحق كقوله تعالى نحن نقص عليك احسن القصص اي
نقول الحق او يتبعه من قصر اثره وهو خير الفاصلين لانه لا يقضي الا بالحق وانما كتب يقضي بغير ياء لانها سقطت في اللفظ لالتقاء الساكنين
وابو عمرو قراءة بقص قل لو ان عندي ان في قدرتي وامكاني ما تستعجلون به من العذاب لقضي الامر لاهلاكي بعيني وبينكم عاجلا غضبا لربي والله
اعلم بالظالمين بوفور عقابهم الى وقته وانا لا اعلم ما يجب في الحكمة من وقت عقابهم ومقداره وان قلت ما معنى قوله فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك
على اثارهم ان لم يؤمنوا فان استعجال المهلات بنا في الحرص على الايمان لان من حرص على ايمان احد حرص على طوايحياته طمعا في ايمانه قلت بل
يؤكده لاشتراك كل من الحكيم في الاستعجال اللازم للبشر في قوله وكان الانسان عجولا ثم بين سبحانه علمه بقوله على سبيل الاستعارة وعنده
مفاتح الغيب اراد انه التوصل الى المغيبات وحده كمن عنده مفاتح اقفال المخازن ويعلم فتحها ولم يمنعه من ذلك مانع والمفاتح جمع مفتح وهو المفتاح

الجزء الرابع

اوجمع مفتح بضم الميم وهو المخزن قال الحكيم في بيانه ان العلم بالعلة التامة يوجب العلم بالمعلول وكل ما سوى الواجب فانه موجود بايجاده وتكوينه بواسطة او بوسائط فعلم بذاته يوجب العلم بجميع اثاره على ترتيبها المعتبر كليات كانت او جزئيات وعلم بذاته لم يحصل الا الذات فتح ان يقال وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو وفيه انه لا ضد له ولا ند اذ لو كان في الوجود واجب اخر لكانت مفاتح الغيب حاصلة ايضا عنده فيبطل هذا الحصر لا يمكن ان يكون هذه المفاتح عند شئ من الممكنات لان المحاط لا يحيط بالمحيط فلا يحيط ما دون الواجب بما لواجب فلا يكون المفتاح الاول للعلم بجميع المعلومات الا عنده ثم ان قوله وعنده مفاتح الغيب قضية معقولة مجردة والانسان الذي يقوى على الاحاطة بمعنى هذه القضية نادر جدا والقرآن انما نزل لينتفع به جميع الناس فذكر من الامور المحسوسة الداخلة تحت تلك القضية الكلية امثالا لها ليعين الحس العقل فقال ويعلم ما في البر والبحر لان ذكر هذا المحسوس يكشف عن حقيقة عظيمة لذلك المعقول وقدم ذكر البر لان الانسان قد شاهد احوال البر وكثرة ما فيه من المدن والقرى والجبال والتلال والمعادن والنبات والحيوان واما البحر فاحاطة الحس باحواله اقل مع كثرة ما فيها من العجائب والغرائب ايضا ثم افرد من هذه المحسوسات قسما فقال وما تسقط من ورقة الا يعلمها اي لا يغير حال ورقة الا والحق يعلمها ثم عدل عن التعجيب من كثرة المدرك الى التعجيب من صغر المدرك وخفائه فقال ولا حبة في ظلمات الارض وفي تخصيص الحبة والورقة تنبيه للمكلفين على امر الحساب لانه اذا كان بحيث لا يهمل امر الاشياء التي ليس لها ثواب ولا عقاب فلان لا يهمل امر المكلفين اولى ثم عاد الى ذكر القضية الكلية المجردة بعبارة اخرى فقال ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين قال في الكشاف ولا حبة ولا رطب ولا يابس عطف على ورقة وداخل في حكمها كانه قيل وما يسقط شئ من هذه الاشياء الا وهو يعلمه وقوله الا في كتاب مبين كالتكرير لقوله الا يعلمها الا ان معنى الا يعلمها الا في كتاب مبين احد الكتاب المبين علم الله او اللوح قال علماء التفسير يجوز ان يكون الله جل شانه اثبت كيفية المعلومات في كتاب من قبل ان يخلق الملائكة ليقف الملائكة على نفاذ علمه في المعلومات وانه لا يغيب عنه شئ فيكون في ذلك عبرة كاملة للملائكة الموكلين باللوح المحفوظ لانهم يقابلون به ما يحدث في العالم فيجده ونه موافقا ولانه اذا كتب احوال جميع الموجودات في ذلك الكتاب على التفصيل التام امتنع تغيرها والا لزم الكذب او الجهل فيصير كتبة جملة الاحوال في ذلك الكتاب سببا تاما في ان يمتنع تقدم ما تاخر وتاخر ما تقدم ثم لما بين كمال علمه اردفه ببيان كمال قدرته بقوله وهو الذي يتوفيكم اي يتوفى انفسكم التي بها تقدرون على الادراك والتمييز وذلك ان الارواح الجسمانية تعتور حالة النوم من الظاهر الى الباطن فيتعطل الحواس عن بعض الاعمال واما عند الموت فتغير جملة البدن معطلة عن كل الاعمال فلهذا كان النوم اخا الموت فصح لفظ الوفاة على النوم من هذا الوجه ويعلم ما جرحتم اي ما كسبتم من العمل بالنهار ومنه الجوارح للاعضاء وللسباع ثم يبعثكم فيه اي يرد اليكم ارواحكم بالنهار ليقضي اجل مسمى اي اعماركم المكتوبة وقضاء الاجل فصل مدة العمر من غيرها ثم لما ذكر انه يميتهم اولا ثم يوقظهم ثانيا كان ذلك جاريا مجرى الاحياء بعد الاماتة فلا جرم استدل بذلك على صحة البعث في القيمة فقال ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون في ليلكم ونهاركم وجميع احوالكم واوقاتكم واعلم ان في الآية اشكالا لان قوله ويعلم ما جرحتم بالنهار كان ينبغي ان يكون بعد قوله ثم يبعثكم فيه فان البعث في النهار مقدم على الكسب فيه بل على تعلق العلم بالكسب ويمكن ان يجاب بان المراد ويعلم ما جرحتم في النهار الماضي بدليل قوله جرحتم دون تجرحون ثم يبعثكم في النهار الاتي والغرض بيان احاطة علمه وقدرته بالزمانين المحيطين بالليل ولعل صاحب الكشاف عدل عن التفسير الى ان قال هو الذي يتوفيكم بالليل والخطاب للكفرة اي انتم مشبهون الليل كالجيف في الاستراح الاطراح او الاستلقاء ويعلم ما جرحتم بالنهار ما كسبتم من الاثام فيه ثم يبعثكم من القبور فيه اي وشان ذلك الذي قطعتم به اعماركم من النوم بالليل وكسب الاثام في النهار ومن اجله كقولك فيم دعوتني فتقول في امر كذا ليقضى اجل مسمى وهو الاجل الذي سماه وضربه لبعث الموتى وجزاهم على اعمالهم ثم اليه مرجعكم وهو المرجع الى موقف الحساب والاصوب عندي ان بقي الخطاب عام وكذا الكسب في النهار لينبغي ان لا يقيد بالاثام اما الضمير في فيه فيكون جاريا مجرى اسم الاشارة الى الكسب البعث هو البعث من القبور الى اخرها قال والله اعلم التاويل وانذر بهذا عمهد الحفاظ والمعاني الذين يخافون اي يرجون ان يحشروا الى ربهم بجدبات العناية وتحقق لهم ان ليس لهم في الوصول الى الله من دونه ولي من الاولياء ولا شفيع يعني من الانبياء لان الوصول لا يمكن الا بجذبات الحق ولا تطرد الذين يدعون اخبر عن الفقراء انهم جلساؤه بالغدوة والعشي كما قال انا جليس من ذكرني فلا تطردهم عن مجالس الذكر فانهم يطلبون في متابعتك لا يريدون الدنيا ولا الاخرة ولكن يريدون وجهه كل له سؤل ومن دونه ومن هب وضلكم رسولي ودعوتي ربي رضا قال المحققون الارادة اهتياج يحصل في القلب لجلب المراد من اعتقاد جازم بحصول المراد لله فصاحب الارادة لا يهدا ليلا ولا نهارا ولا يجد من دون الوصول الى الله سبحانه سكونا ولا قرارا ما عليك من حسابهم من شئ يعني الذي لنا معك في الحساب من المواصلة والتوحيد في الخلوة فانهم ليسوا في شئ من ذلك ليكون عليك ثقلا وما من حسابك عليهم من شئ الحاصل الذي لنا معهم في الحساب من التفرد للوصول والوصال ليس لك الى ذلك حاجة لتثقل عليهم فتطردهم فتكونوا من الظالمين بوضع الكرم مقام الجفا فان بعثت لجبر قلوبهم كقوله واخفض جناحك للمؤمنين وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليشكر الفاضل ويصبر المفضول فيستويان في الفضل فلهذا قبل لسليمان ولا يوهب لكل هم انعم العبد مع قدرة سليمان على اسباب الطاعة وعجز ايوب عنه ومن فتنة الفاضل بالمفضول رؤيته فضله على المفضول وتحقيره ومنع حقه عنه لفضله ومن فتنة المفضول في الفاضل حسده على

مختصر

فضله وسخطه عليه ومنع حقه من فضله عنه فان المعطي والمانع هو الله ومنها ان الابرار الفاضل مستحق للفضل فقولوا اهؤلاء من الله
عليهم من بيننا فضل سلام عليكم انه سبحانه من كمال فضله على الفقراء حرمهم محل الاكابر والمواني الذين بنا فقال لنبيه صلى الله عليه وآله كما يبتدئ
بالسلام في الاخرة فاطم الملائكة ان يسلموا عليهم في الجنة سلام عليكم طبتم بل سلم بدأ الله عليهم سلاما قولا من رب رحيم وكل ذلك تفضل امنهم من ظلمة
الخلقية باصابة رشاش النور الازل فلهذا قال كتب ربكم على نفسه الرحمة اي الرحمة الخاصة كما خص الخضر في قوله وآتيناه رحمة من عندنا والرحمة
العامة كما في الحديث الرباني الجنة انما انت رحمتي ارحم بك من اشاء من عبادي من عبادكم ومن المؤمنين سوء بجهالة اي بجهالته التي جبل الانسان عليها
لانه بجهالته الضلالة التي هي بقصر اخطأ التوفيق فان هذا لا ينطبق ثم تاب من بعده اي رجع الله بقدم التيسير من بعد فساد الاستعداد الفطري وكذا
الاستعداد بالاعمال الصالحة لقبول الفيض قال اني لغفور في الازل باصابة النور المرشش عليه فاستجابوا به من عباد الطوق لقضي الامر بمعنى
الفناء والخصوص والاستر حتى من اذنبتكم لان الشيء انما ينفعل عن ضده لا شبهه وعنده مفاتح الغيب بمعنى العلوم العقلية التي سبب فتح باب صور عالم
الشهادة كالنقاش ينشئ الصورة في ذهنه ثم يصورها في الخارج وانما وحد الغيب جمع المفاتح لان عالم الغيب عالم التكوين وهو واحد في جميع
الاشياء وفي الملكوت كثرة ويعلم ما في البر وهو عالم الشهادة وفي البحر وهو عالم الغيب وبهذا العلم ما تسقط من ورقة عن شجرة الوجود الا يعلمها لانه مكونها
ومسقطها والحبة هي جنة الروح في ظلمات صفات ارض النفس او حبة المحبة في ظلمات ارض القلب ولا رطب ولا يابس الرطب المؤمن واليابس ما يصير
موجودا وما فقد صار او الرطب الروحانيات واليابس الجمادات او الرطب المؤمن واليابس الكافر او الرطب العالم واليابس الجاهل او الرطب العارف واليابس
الزاهد او الرطب اهل المحبة واليابس اهل السلوة او الرطب صاحب الشهود واليابس صاحب الوجود او الرطب الباقي بالله واليابس الباقي بنصيبه
وهو الذي يتوفاكم بالليل ليل القضاء ويعلم ما جرحتم بالنهار نهار القدر او الليل ليل صفات البشرية والنهار نهار الشهود في عالم الوحدة
وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون ثم ردوا ع ١٩٤
واوست قهر كننده در بالاى بندگان خود ويفرستد بر شما نگهبانان تا چون كه آمد يكى از شما را مرگ جان بستاند او را فرشتگان ما وايشان تقصير نكنند پس باز كردند
الى الله مولاهم الحق الا له الحكم وهو اسرع الحاسبين قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا
بسوى خدا كه مولاى ايشان است بحق الكه اوست حكم كه هم اوست زود حساب كننده بگو كيست كه برهاند شما را از تاريكيهاى بيابان ودريا مى خوانيد او را بزارى
وخفية لئن انجينا من هذه لنكونن من الشاكرين قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم انتم تشركون قل
ونهانا هر آينه اگر رهاند ما را ازين هر اينه بباشيم از سپاس كنندگان بگو كه خدا برهاند شما را ازان واز هر اندوهى پس شما شريك مى آوريد بگو
هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم او من تحت ارجلكم او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم باس
اوست توانا بر اينكه فرو آرد برشما عذابى از بالاى سرشما يا از زير پاى شما يا بر آميزد شما را گروهان ويچشاند بعضى شما را زور
بعض انظر كيف نصرف الايات لعلهم يفقهون وكذب به قومك وهو الحق قل لست عليكم بوكيل لكل
بعض نگر كه چگونه مكرر كرديم ايات را شايد كه ايشان فهم كنند وتكذيب كردند ازاقوم تو واوست حق بگو نيستم من برشما وكيل هر
نبإ مستقر وسوف تعلمون واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا
خبرى را جايگاهى هست وزود است كه بدانيد وچون ديدى انهارا كه فرو روند در ايات ما پس روى كن از انها تا فرو روند
في حديث غيره واما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين وما على الذين
در حديثى غير ازان واگر ازخواطر برد ترا شيطان پس منشين وقعود پس از ياد آورد بكرده ستمكاران ونيست بر انها كه
يتقون من حسابهم من شيء ولكن ذكرى لعلهم يتقون الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم الحيوة
بپرهيزند از محاسبت ايشان از چيزى وليكن پندست شايد كه ايشان پرهيزند وواگذار انهارا كه فرا گرفتند دين خود را بازيچه ولهو وفريب داد ايشان را زندگى
الدنيا وذكر به ان تبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع وان تعدل كل عدل
دنيا وپند ده بدين قرآن كه دريرگرو كرده شود نفسى بما كه كسب كرده ليست مر او را از غير خدا دوست ونه شفاعت كننده واگر فدا كند هر فدا كردنى
لا يؤخذ منها اولئك الذين ابسلوا بما كسبوا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون قل ع ١٩٥
پذيرفته نشود از ايشان انكروده اند كه در گرو شدند مر انها راست شربتى از آب گرم وعذابى دردناك بما كه بودند كافران بگو
اندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على اعقابنا بعد اذ هدانا الله كالذي استهوته الشياطين
آيا بخوانيم از غير خدا آنرا كه سود نتواند بما وضرر نكند ما را وبگرديم بر پاشنهاى خود پس از انكه راه نمود ما را خدا چون كسى كه بسرگشته كرده او را ديوان
في الارض حيران له اصحاب يدعونه الى الهدى ائتنا قل ان هدى الله هو الهدى وامرنا لنسلم لرب العالمين
در زمين حيران او را يارانى است كه بخوانند او را بسوى راستى بيا بما بگو كه بدرستى كه راه خدا ان راهست وما مورشده ايم كه منقاد شويم پروردگار جهانيان را
واقيموا الصلوة واتقوه وهو الذي اليه تحشرون وهو الذي خلق السموات والارض بالحق ويوم
واكنيد بر پاى داريد نماز را وبپرهيزيد از او واوست انكه بسوى او گرد آيند واوست انكه آفريد آسمانها وزمين را بحق وروزى

محفوظ

الجزء الثامن

بقول كن فيكون قوله الحق وله الملك يوم ينفخ في الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم

میگوید کرباش پس میشود گفتار او حق است و مر اوراست پادشاهی در روزی که دمیده شود در صور دانای نهان و آشکار او او است دانا

القراءة توفته واستهوته تمالة حمزة الباقون بتاء التأنيث قل من يحفظكم من الآفات سهل ويعقوب وعباس الباقون بالتشديد وخفف بالكسر حيث كان ابو بكر وحما الباقون بالضم بحانا تمالة حمزة وعلي وخلف بحانا بدون الالف عاصم الباقون انجيتنا قل الله ينجيكم بالتشديد يزيد حمزة وخلف وعاصم هشام الباقون بالتخفيف بعض انظروا شباه ذلك بكسر الشين ابو عمرو وسهل ويعقوب وحمزة وعاصم وابن شنبوذ عن اهل مكة وابن ذكوان بهسنيك بالتشديد ابن عامر الوقوف حفظه لا يفرطون الحق الحاسبين وخفية لاحتمال الاضمار اي يقولون لئن انجيتنا وتعلق لئن بمعنى القول في تدعونه اصح الشاكرين لتشركون باس بعض يفقهون وهو الحق بوكل مستقر للابتداء بوف على التهديد مع شدة اتصال المعنى يعلمون عبرة الطالبين يتقون ولا شفيع للشرط مع العطف منها اكسبوا للانقطاع لتظم مع اتصال المعنى لاحتمال ان يكون الدين خفية او بذلك وقولهم شراب حميم لهذا انشأ المهد العالمين لان التقدير وامرنا بان اسلموا واتقوه لتحشرون بالحق فيكون في الصور والشهادة الجبل لقهره من الدلائل على كمال قدرته وحكمته قوله وهو القاهر فوق عباده والمراد منه الفوقية بالقدرة والتسخير كما يقال امر فلان اي نفذ على ما نفذ منه ولا ريب ان المكان باسرها تحت تصرف الواجب بنقلها من حين العدم الى حالة الوجود وبالعكس وتصرفها كيف شاء علويا كان او سفليات ذوات او صفاتا نفوسا او ابدانا احلاطا او اركانا ومن جملة تهمة ارسال الحفظة وهي جمع حافظ على عبيد بضبط اعمالهم من الطاعات والمعاصي والمباحات لانهم مطلعون على اقوال بني آدم لقوله ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وعلى افعالهم يعلمون ما تفعلون واما صفاء القلوب كالجهل والعلم فليس في الآيات ما يدل على اطلاعهم عليها وعن ابن عباس ان مع كل انسان ملكين احدهما عن يمينه والآخر عن شماله فاذا تكلم الانسان بحسنة كتبها من على اليمين واذا تكلم بسيئة قال من على اليمين لمن على اليسار انظر لعله ان يتوب عنها فان لم يتب اكتب عليه قالت العلماء من فوائد هذه الكتبة ان المكلف اذا علم ان الملائكة الموكلين عليه يكتبون اعماله في صحائف يعرض على رؤس الاشهاد في موقف القيمة كان ذلك ابلغ في الزجر عن القبائح ومنها ان يؤذن تلك الصحائف يوم القيمة فان وزن الاعمال عبرة عظمى ومنها التعبد فعلى المكلف ان يوقن بكل ما ورد به الشرع وان لم يعرف وجه الحكم في بعض ذلك وقال بعض الحكماء الحفظة النفوس الفلكية والكتبة النفوس الجسمانية التي يحفظ الاركان مع طبايعها المتضادة على اعتراضها قال بعض العلماء منهم النفوس البشرية والارواح السفلية مختلفة بجواهرها متباينة بماهياتها فبعضها خيرة وبعضها شريرة وكذا القول في الذكاء والبلادة والحرية والنذالة والشرف والخساسة ولكل طائفة من هذه الارواح السفلية روح سماوي هو لها كالاب المشفق والسيد الرحيم تعينها على مهماتها في يقظتها ومنامها على سبيل الروياء تارة وعلى سبيل الالهام تارات اخر فالارواح الخيرة لها اسباب دنيوية من علم الافلاك وكذا الارواح الشريرة وتلك المبادي في مصطلحهم يسمى بالطباع التام لان تلك الارواح في تلك الطبايع والاخلاق تامة كاملة وهذه الارواح السفلية المتولدة منها اضعف منها لان المعلول في كل باب اضعف من علته ولاصحاب الطلسمات والعزائم في هذا الباب كلام كثير وقيل ان النفوس المفارقة تميل الى ما يناسبها وينبغي لها في الطبيعة والماهية من النفوس المتعلقة بالابدان فيحفظها ويعينها حتى اذا جاء احدهما الموت اي وقته او اماتته توفته رسلنا اي ملائكتنا وتقويضنا فالمتوفي في الحقيقة هو الله تعالى كما قال الله يتوفى الانفس حين موتها وهو لاء الرسل اتباع ملك الموت في قوله يتوفاكم ملك الموت وهم الحفظة باعيانهم لهم غير هم غير قولان اشهرهما الثاني ليكون ملائكة الروح والريحان هم الذين ينزعون ملائكة الكرب الاخران وهم الكرام الكاتبون وعن مجاهد جعلت الارض مثل الطست لملك الموت يتناول من بيتنا وله ومنا من اهل بيت لا وبطوف عليهم في كل يوم مرتين وهم لا يفرطون لا يقصرون فيما امرهم الله تعالى وفيه مدح لهم بالعصمة ثم ردوا الى الله اي الى حكمه وجزائه مولاهم الحق صفتان والتغيير في ردوا اما للملائكة بمعنى كما يموت بنو ادم يموتون او لتلك الملائكة او الى البشر اي انهم بعد موتهم يردون الى الله تعالى فيجازيهم كانوا في الدنيا تحت تصرفات المولى الباطلة وهي النفس والشهوة والغضب فلما ماتوا تخلفوا الى تصرف المولى الحق وقيل معناه بان لا انسان شيئا آخر وراء هذا الهيكل المحسوس فان هذا الهيكل يبقى بيتا والانسان مردود اليه تعالى وفي لفظ الرد اشارة الى ان الروح كان موجودا قبل البدن وقد تعلق به فانا نرد الى موضعه الاصلي وهو عالم الارواح بعثة ارجعي الى ربك الآلة الحكم كقوله ان الحكم وهو اسرع الحاسبين حسابا قيل انه تعالى يحاسب الخلق بنفسه فرضا واحدا فلا يشغله كلام عن كلام وقيل يحاسب كل انسان واحد الملك باذن الله تعالى لانه لو حاسب الكفار بذاته لتكلم معهم وهو محال لقوله ولا يكلمهم الله وقال الحكيم معنى سرعة الحاسبة ظهور الملكات في النفس ان قطع التعلق قليلة كان او كثيرة حسنها وقبيحها وبعد تعارض البعض بالبعض يبقى ما هو غالب بحسب ذلك يكون الثواب وضده وذلك انه لا يحصل للانسان لحظة ولا لحظة حركة ولا سكون الا ويظهر منها في جوهر نفسه اثر من آثار السعادة او ضدها قل او كثر وهو المراد بكتبة الاعمال قال الجبائي ههنا لو كان كلاما حقيقيا لوجب ان يكون متكلما بالمحاسبة الان وقبل خلقه وذلك محال لان المحاسبة بمقتضى حكايته عمل يتقدم وعورض بالعلم فانه كان قبل العالم عالما بانه سيوجد ويعيد ثم يحاسب وعالما بانه وحده لا يلزم منه تغير الا للعلم ثم عد لطفه واحسانه بقوله قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر

الأنعام ٦

مجازا عن مخاوفها واهوالها بقال لليوم الكريه يوم مظلم وذو كواكب كانه ظلم عليه وجه الخلاص ويحتمل ان يكون الظلمات بالحقيقة
وظلمات البر ظلمة الليل وظلمة السحاب وظلمات البحر هما مع ظلمة الماء تدعونه في موضع الحال تضرعا وخفية مفعول لاحدهما او تمييز
او مصدر خاص والمراد ان الانسان عند حصول هذه الشدايد يأتي باحد امور احدها الدعاء الثاني التضرع والثالث الاخلاص
بالقلب وهو المعنى بقوله وخفية ورابعها التزام الشكر وهو قوله لان انجيتنا من هذه الظلم والشدة لنكونن من الشاكرين فبين
الله سبحانه انه اذا شهدت الفطرة السليمة في هذه الحالة بانه لا ملجا الا الى الله ولا معول الا عليه وجب ان يبقى هذا الاخلاص
عند كل الاحوال والاوقات ثم بين انه يخلصهم من تلك المخاوف ومن سائر موجبات الحزن والكرب ثم ان ذلك الانسان يقدم على
الترك الجلي وهو عبادة الاوثان او الخفي وهو اتباع الهوى وبالجملة فعادة اكثر الخلق ذلك اذا شاهدوا الخوف خالصا واذا انقلبوا
الى الامن والفراغ اشركوا ثم ذكر نوعا اخر من دلائل التوحيد مقرونا بنوع من التخويف فقال قل هو القادر واللام للعهد
او للجنس ويفيد انه من الذي عرفتموه قادر وهو الكامل القدرة على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم كالمطر او الحجارة
مثل ما امطر على قوم لوط وعلى اصحاب الفيل او من تحت ارجلكم كما اغرق فرعون وخسف بقارون وقبل من قبل كما ركبكم
وسلاطينكم او من جهة سفلتكم وعبيدكم وقيل هو حبس المطر والنبات او يلبسكم شيعا هي جمع شيعة اي يجعلكم فرقا
مختلفين على اهواء شتى كل فرقة منكم مشايعة لامام ومعنى خلطهم ان يوقع القتال بينهم فيختلطوا او يشتبكوا في
ملاحم القتال يحكى عن رسول الله ﷺ سالت الله ثلاثا لا يبعث على امتي عذابا من فوقهم او من تحت ارجلهم فاعطاني ذلك وسالته
ان لا يجعل باسهم بينهم فمنعني واخبرني جبرئيل ان فناء امتي بالسيف قالت الاشاعرة في قوله او يلبسكم شيعا دلالة على ان
الاهواء المختلفة والاراء الفاسدة والبدع كلها من الله تعالى وفي قوله ويذيق بعضكم باس بعض اشارة الى ان المعاصي
وانواع الظلم مستندة الى الله تعالى وقالت المعتزلة الاية لا تدل الا على انه تعالى قادر على الفتح والنزاع في انه هل يفعل
ذلك ام لا واجيب بان الاية تدل على ان القدرة على هذه الامور يختص بها وهذه الامور واقعة فتكون هو فاعلها بالضرورة انظر كيف نصرف
الايات تقرير للدلائل الواضحات وقد قال مثل ذلك فيما قبل فالتقدير انظر كيف نصرف
الايات ثم هم يصدفون فلا اعراض عنهم بل انكارها لعدم يفقهون وكذب به اي بالعذاب المذكور في الاية السابقة
قومك يعني قريشا ومن دان بدينهم وهو الحق اي لا بد ان ينزل بهم وقيل اي بالقران وهو الحق لانه كتاب منزل من عند
الله وقيل اي بتصريف الايات لانهم كذبوا كون هذه الاشياء دلالات قل لست عليكم بوكيل اي بحافظ حتى اجازيكم
على تكذيبكم واعراضكم عن قبول الدلائل انما انا منذر لكل نبأ لكل خبر يخبره الله تعالى مستقرا استقرار وموضع استقرار
والمراد بالنبأ المنبا به لان النبأ قد حصل والمقصود ان العذاب اذا وقع استولى المسلمين على الكفار بالقتل والاسر والقهر وقتا
ومكانا يحصل فيه من غير خلف ولا تاخير وسوف تعلمون فيه من التهديد ما فيه ثم بين ان اولئك المكذبين ان ضموا الى
كفرهم وتكذيبهم الاستهزاء بالدين والطعن في الله ورسوله فانه يجب الاحتراز عن مجالستهم فقال واذا رايت الذين
يخوضون في اياتنا والخوض في اللغة عبارة عن المفاوضة على وجه اللعب واللغو والعبث وقرب منه قول المفسرين
انه في الاية الشروع في اياتنا الله على سبيل الطعن والاستهزاء وكان قريش في اندية يفعلون ذلك فاعرض عنهم
بالقيام عنهم لقوله بعد ذلك فلا تقعد وقيل المطلوب اظهار الانكار وكل طريق افاد هذا الغرض وان كان
غير القيام عن مجلسهم فانه يجوز المصير اليه هذا عند عدم الخوف اما مع الخوف فهذا الغرض ساقط والتقية واجبة
نعم كل ما وجب على الرسول لم يفعله وجب عليه سواء ظهر اثر الخوف او لم يظهر ولم يعد الا لم يبق الاعتماد على التكاليف
التي يبلغها واما ينسينك الشيطان ان يشغلك بوسوسته حتى تنسى النهي عن مجالستهم فلا تقعد
بعد الذكرى بعد ان تذكر النهي مع القوم الظالمين اي معهم فوضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا عليهم
بالظلم قال الليث الذكرى اسم للتذكرة وقال الفراء هي الذكر قال في الكشاف بناء على مذهبه يجوز ان يراد
وان كان الشيطان ينسينك قبل النهي فتح مجالسة المستهزئين لانها مما ينكره العقول فلا تقعد بعد
الذكرى بعد ان ذكرناك قبحها ونهيناك عليه معهم قال الجبائي اذا كان عدم العلم بالشيء يوجب سقوط
التكليف فعدم القدرة على الشيء اولى بان يوجب سقوط التكليف وهذا يدل على ان تكليف ما لا يطاق
لا يقع ولا يدل على ان الاستطاعة حاصلة قبل الفعل لانها لو لم تحصل الا مع الفعل لم يكن الكافر

قادرا

قادرا على الايمان فوجب ان لا يتوجه عليه الامر بالايمان قال ابن عباس قال المسلمون لئن كنا كلما استهزاء المشركون بالقرآن وخاصوا فيه قمنا عنهم لم نستطع ان نجلس في المسجد الحرام وان نطوف بالبيت فنزلت الرخصة ان يقعدوا معهم ويذكروهم ويفهموهم بقوله وما على الذين يتقون اى الشرك والكبائر والفواحش من حسابهم من شيء من نفوسهم التي يحاسبون عليها من شيء ولكن ذكرى اى ولكن يذكرونهم تذكيرا اولكن عليهم ان تذكرهم او ولكن الذي تامرونهم به ذكرى ولا يجوز ان يكون عطفا على محل من شيء كقول القائل ما في الدار من احد ولكن زيد لان قوله من حسابهم يابى ذلك فان الذكرى ليس من حساب المشركين ثم اكد الاعراض عنهم بقوله وذر الذين والمراد ترك معاشرتهم وملاطفتهم والميلاء بهم لا ترك انذارهم وتخويفهم كقوله فاعرض عنهم وعظهم وصفهم بوصفين الاول انهم اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وفيه وجوه اتخذوا الذي كلفوه ودعوا اليه وهو دين الاسلام لعبا ولهوا حيث سخروا به واستهزاء واتخذوا ما هو لعب ولهو يعني عبادة الاوثان وعزها دينا لهم او المراد ما كانوا يمكون به بمجرد التقليد والهوى كفرهم الطاهر والسوابق والمراد ان المشركين واهل الكتاب اتخذوا اعيادهم لعبا ولهوا كالمسلمين حيث اتخذوا عيدهم كما شرعه الله تعالى قال ابن عباس او هو اشارة الى من جعل دينا الاسلام وسيلة الى المناصب والرياسات والغلبة والجدال لا لانه حق وصدق في نفسه ويؤكد هذا الوجه الوصف الثاني وهو قوله وغرتهم الحيوة الدنيا كانهم اعرضوا عن حقيقة الدين واقتصروا على تزيين الظواهر ليتوسلوا بها الى حطام الدنيا وذكر به اى بالقرآن او بالدين القويم مخافة ان تبسل نفس قال الحسن وجاهد ان تسلم الى الهلاك والعذاب وترهن بسوء فعلها واصله المنع فالمسلم اليه وهو العذاب يمنع المسلم ومنه الباسل الشجاع لامتناعه من قرنه وقال قتادة يحبس في جهنم وعن ابن عباس تفضح ليس لها اى للنفس من دون الله ولي ولا شفيع وان تعدل كل عدل ان تفد كل فداء لان الفادي يعد المفتدي بمثله لا يؤخذ منها قال في الكشاف فاعل يؤخذ قوله منها لاضمير العدل لان لعدل ههنا مصدر فلا يسند اليه الاخذ واما في قوله ولا يؤخذ منها عدل فبمعنى المفدى به فصح اسناده قلت ان مقر الاخذ بالقبول كما في قوله واخذنا لصديقات ارتفع الفرقان لنا المتخذون هم الذين ابسلوا بما كسبوا تم بين ما بهم صاروا مرتهنين وعليه محبوسين بقوله لهم شراب من حميم ثم رد على عبدة الاصنام بقوله قل اندعوا من دون الله الى قوله الضار ما لا ينفعنا ولا يضرنا اى لا يقدر على النفع والضر ونرد داخل في الاستفهام اى نرجع الى الشرك بعد اذ انقذنا الله تعالى منه وهدانا للاسلام فان الردة عود الى الحالة الاولى التي كان الانسان عليها من الجهل كقوله والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا كالذي استهوته محله النصب على الحال من الضمير في نرد اى ننكص على العقبين مشبهين من استهوته وهو استفعال من هوى في الارض اذا ذهب فيها كان معناه طلبت هويا اى سقوطا من الموضع العالي الى الوهدة العميقة كقوله ومن يشرك بالله فكانما خر من السماء وقيل استفاقة من اتباع الهوى وحيران حال اخرى لكن من الضمير في استهوته وكذا الجملة بعده ومعنى الحيرة التردد في الامر بحيث لا يهتدي الى مخرجه منه ومنه تحيرت الروضة بالماء اذا امتلأت فتردد فيها الماء اى لهذا المستهوى اصحاب رفقة يدعونه الى الهدى اى الى ان يهدوه الطريق المستوى فيكون مصدرا او سمى الطريق المستقيم بالهدى يقولون ائتنا والدعاء في معنى القول وهذا بناء على ما زعمه العرب معتقدة من ان الجن والغيلان تستهوي الانسان وتستولي عليه فتشبه بها الضال عن طريق الاسلام التابع لخطوات الشيطان والمسلمون يدعونه الى الحق وقد اعتسف المهمه تابعا للجن غير ملتفت اليهم وقيل ان ذلك الكافر اضحابا يدعونه اى الى الضلال ويسمونه باسمه هو الهدى وروى ان الاية نزلت في عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق فانه كان يدعوا باه الى عبادة الاوثان قل ان هدى الله وهو الاسلام هو الذي يحق ان يسمى هدى وما دراه عن ضلال وامرنا لنسلم لرب العالمين وان اقيموا قال الزجاج لا بد من تاويل ليستقيم العطف فالتقدير وامرنا لنسلم ولان اقيم او امرنا ان اسلموا وان اقيموا قيل والتخلي العدل عن الظاهر ان المكلف كالغائب ما لم يسلم فاذا اسلم صار كالحاضر وتقرير الاية ان تعلق الامر اما ان يكون من باب الافعال او من باب التروك والاول اما ان يكون من افعال القلوب او من افعال الجوارح وبيان افعال القلوب الايمان بالله والاسلام وهو قوله لنسلم وبيان اعمال الجوارح الصلوة وهو قوله وان اقيموا ثم اشار الى جوامع التروك بقوله واتقوه ثم قال وهو الذي اليه تحشرون ليعلم ان منافع هذه الاعمال انما تظاهر في يوم الحشر ثم دلى على وجود الحاشر

الحاشر بقوله وهو الذي خلق السموات والارض قائما وملتبسا بالحق بالحكم اللطيفة والغايات الصحيحة والاغراض المطابقة وذلك انه اودع في هذه
الاجرام قوى وخواص واثارا بتضمن مصالح الابدان ومنافع نوع الانسان وهكذا خلق يوم يقول كن فيكون قوله الحق فقوله فاعل يكون ويوم مفعول
خلق المعنى انه تمم خلق العالم من الافلاك والطبايع والعناصر والموالد وخلق يوم القيمة لرد الارواح الى الاجساد بطريق كن فيكون وعلى هذا يجوز
ان يكون قوله الحق مبتدا، وخبرا مستانفا وقوله الحق مبتدا، ويوم يقول ظرف، دال على الخبر مثل يوم الجمعة القتال اى القتال واقع يوم الجمعة والمراد
ان قضاءه في ذلك اليوم حق وصدق وخال عن الجور والعبث ويوم ينفخ ظرف لقوله وله الملك كقوله لمن الملك اليوم والمعنى انه لا ملك في
ذلك اليوم الا له من غير دافع ولا منازع والصور باتفاق اكثر اهل الاسلام قرن ينفخ فيه ملك من الملائكة كما جاء في مواضع من القرآن وينفخ
في الصور فصعق فزع فاذا نفخ في الناقور وقال ابو عبيدة الصور جمع صورة مثل صوف صوفة وخطا ه الائمة فقالوا كل جمع على لفظ الواحد
فواحده بزيادة هاء فيه كالصوف اما اذا استبقوا لواحد الجمع فليس كذلك كغرفة وغرف وطلحة وطلح فجمع صورة الانسان على صور بالفتح كقوله فاحسن
صوركم ومن اسكن فقد اخطاء ومما يدل على ان الصور هو القرن لا جمع صورة الانسان انه تعم لم يضف النفخ الى نفسه كما قال ونفخت فيه من
روحي فنفخنا فيها من روحنا ثم انشاناه خلقا اخر ثم للمبالغة من كمال قدرته بقوله وله الملك كرر كمال علمه بقوله عالم الغيب والشهادة اى هو العالم
بكل المعلومات القادر على كل المقدورات وهو الحكيم الصيب في اقواله وافعاله الخبير الناقد علمه في بواطن الحقايق من غير اشتباه والتباس
فان امر البعث لا يتم الا بقدرة كاملة وعلم تام بكل لا يشتبه المطيع والعاصي والصديق والزنديق الثاني بدل وهو الظاهر بوصف الجلال للاولى بما
تنهار بوصف الجبروت للاعداء ويرسل عليكم حفظة من صفات قهره حتى لو اراد نفسك الخروج عن قيد مجاهدتها قهرتها سطوات العتاب وردتها
الى بذل الجهد ان اراد قلبه فرجته عن مطالبات العزة قهرته صدمات الهيبة فردته الى توديع البهجة ولو اراد روحه استراحا من الخرق قهرته
بوادة التجلي فردته الى بذل المهجة حتى اذا جاء احدكم الموت يعني الفناء عن اوصاف الوجود توفته رسل صفات قهره وهم لا يقصرون في افنا
الاوصاف ثم ردوا الى البقاء بالله قل الله ينجيكم من ظلمات بر الاجسام وبحر الارواح فان عالم الارواح بالنسبة الى عالم الاجسام هيئة ظلمانية تدعوا
تضرعا بالجسم وخفية بالروح ومن كل كرب افرد ونفسه ثم انتم تشركون حين يتجلى لكم نور من انوار صفاته بعضكم يقول انا الحق وبعضكم يقول سبحاني
ما اعظم شاني عندا من فوقكم بسدل حجاب العزة والكبرياء عليهم او تشاركم ارجلكم جهارا من ارضها بشرتكم باستيلاء الهوى عليكم او يلبسكم شيعا
يجعل الخلق فيكم فرقا فمن قائل هم من قادهم الى النار ويذيق بعضكم بأس بعض بالقتال والصلب والقطع الاطراف انظر كيف نصرف الايات لعلهم
يفقهون قل يا ايها السائرون الى الله لعلهم يفقهون لشرائط السير كيف تسيرون في مقام دون الفناء عن كل الوجود بالبقاء بشهود المعبود ان رب هذا المقام قوي المتكون
وهو الحق قل لست عليكم بوكيل لاسلك طريق هذا المقام بوكالتكم لانه لا يصير الا بانانية الا ما شئ كما قال لكل نبأ مستقر اى لكل سابر وواصف
مستقر من درجات القرب او دركات البعد واذا رأيت الذين يخوضون في احوال الرجال ولاحظ لهم منها فاعرض عنهم ولا تجالسهم حتى يخوضوا
في حديث غير تلك الظلمات التي هم فيها وذروا الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا الآن هم مهملون لعب الحرفة ولهو التزين يزين للطالبين انما هو الدنيا
وقبول الحوان تبسل نفس اى كراهة ان يسلط استبدادها بالكلية بما كانوا يكفرون بمقامات الرجال من الوصول والوصال قل انذعو من دون
الله انطلب غير الله الذي هو النافع الضار والنفع الحقيقي هو الفوز بالوصول اليه والضر الحقيقي هو الانقطاع عنه وندعو على اعقابنا الى مقام
الاثنينية التي كنا فيها بعد ان هدينا الله الى الوحدة كالذي اضاء له شياطين الجن والانس في ارض البشرية باتباع الهوى حيران من اعوانهم وامر ان نسلم
بترك الوجود كالكرة في ميدان القدرة مستسلما لصولجان القضاء وان اقيموا الصلوة بحافظة الاسرار عن الاغيار والالتفات بوجه عن غيره للتوجه
اليه لا الى الجنة او النار كما قال الا من طهر وجده وهو الذي خلق السموات والارض بالحق اى لاظهار صفاته فجعل المخلوقات مرآة لجماله وجلاله وارادان
يرى عبده من عباده تلك الصفات يقول له كن فيكون وان يصيرها شيئا بحر سعيد لان قوله في حق الانسان كن رائيا هو الحق وله
ملك الارادة وملك التوجيه نفخ الارادة في صور القلب هو الحكم منها اختص الانسان بارادة الايمان الخير من بخته من بين الناس بالارادة

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ وَكَذَٰلِكَ نُرِي

وچون گفت ابراهيم مر پدر خود آزر را كه ايا گرفته بتها را خدايان مر ستي كه من ميبينم ترا وقوم تو را در گمراهي هويدا ويقين والوهيت

إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ

ابراهيم را پادشاهي آسمانها وزمين وتا بعد از يقين دارندگان پس چون در آمد بر او شب ديد ستاره را گفت كه اين پروردگار من است پس چون فرو رفت گفت

الْآفِلِينَ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ فَلَمَّا رَأَى

فرو روندگان را پس چون ديد ماه را تابان گفت كه اين پروردگار من است پس چون فرو رفت گفت اگر راه ننمايد مرا پروردگار من هر آينه باشم از گروه گمراهان پس چون ديد

الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ

آفتاب را تابان گفت كه اين پروردگار من است اين بزرگتر است پس چون فرو رفت گفت اى قوم من بيزارم از آنچه شريك مي آوريد با خدا من روي دل

لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ

مر آنرا كه فريد آسمانها وزمين را مايل از باطل وبيستم من از مشركان وحجت كردند او را قوم او گفت كه آيا حجت ميكنيد با من در حق

هَذَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ وَكَيْفَ

وہایت کردم او را ومیگردانم کسے را کہ اقرار دادہ اید مرتبہ خواہد پروردگار من ہر چیزے را فراگرفتہ پروردگار من ہر چیزے را بدانش ایا پند نمیگیرید چگونہ

أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ

میترسم آنچہ را کہ شریک او کردہ اید ونمیترسید کہ شما شرک آوردید بخدا آنچہ را کہ فرو نیاورده بر شما بران حجتے پس کدام از این دو طائفہ سزاوار ترند باینکہ ایمن باشند اگر

كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا

بدانید کسانی اند کہ گرویدند ونیالودند ایمان خود را بستم ایشان راست ایمنی وایشان اند راہ یافتگان واین دلیل

ع آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ القراءة انی اریک

کہ آوردیم ابراہیم را بر قومش بالا میبریم پیمایی ہر کرا خواہیم بدرستی کہ پروردگار تو دانا ودانست

بفتحها ابو عمرو وابن کثیر وابو جعفر ونافع لانهم ازر بالضم علی النداء یعقوب رای کوکبا بامالة الطاء حمزة ابو عمرو وعن عباس والنجاری عن ورش وکذلک راه ورآه وقرء حمزة وعلی وخلف وبحیی وعباس هبیرة من طریق الخزاز بکسر الواو والهاء وافق ابن ذکوان فی رای ضط وخالفهم فیما اتصلت بالکاف والیاء فی سورة النجم وافق ابن مجاهد والنقاش بالامالة وکسر الراء فی سورة اقرا باسم رای القمر ورای الشمس ونحوهما بکسر الراء وفتح الهاء حمزة وخلف ونصر عن عباس ویحیی الخزاز وورد وخلف عن یحیی بکسر الراء والهاء الحاجون بتخفیف النون ابو جعفر ونافع وابن ذکوان الباقون بادغام نون الا فی نون الوقایة وقد هدان بالامالة علی قراءة سهل ویعقوب ابن شنبوذ عن قنبل بالیاء فی الحالین وافق ابو عمرو ابن بداسمعیل فی الوصل درجات من التنوین عاصم وحمزة وعلی وخلف ویعقوب الوقوف الهاء للابتداء بان مع اتحادهما بین الموقفین رای کوکبا لان جواب لما قوله رای مع اتحاد الکلام بلا عطف بفی لان جواب لما سطر مع فاء التعقیب فیها الا فلین هذا ربی لذلک لئن لم یهدنی ربی لاکونن من هذا اکبر لذلک یشرکون المشرکین لاحتمال الواو الحال ای قد حاجه قومه هذا لانتهاء الاستفهام شما علما آیتذکرون سلطانا لاستفهما بالامن لان جواب ان منظر محذوف التقدیر ان کنتم تعلمون فاحبوا مع اتحاد الکلام تعلمون لشاهد الاستفهام وابتداء اخبارا ولو وصل لتصل بما قبله یهتدون علی قومه من نشاء علیم التفسیر آتینا سبحانه کثیرا ما یحتج علی مشرکی العرب باحوال ابراهیم صلوات الله علیه لانهم یعترفون بالفضل والتقدم عند جمیع الطوائف وذلک والملک ارسل قبله للامن ولسانه للبرهان وبدئ بالبنین وولده للقربان وماله للمصیفان ثم ان ظاهر الایة تدل علی ان اسم والد ابراهیم هو آزر ومنهم من قال اسمه تارخ قال الزجاج لا خلاف بین النسابین ان اسم تارخ فمن الملحدة من طعن فی هذا النسب لهذا السبب والجواب ان اجماع النسابة لا عبرة به لان ذلک یفضی الی الواحد والاثنین مثل وهب وکعب وغیرهما سلمنا ان اسمه کان تارخ لکنه من المحتمل ان یکون احدهما لقبا والاخر اسما اصلیا او یکون آزر صفة مخصوصة فی لغتهم کالمخطی والمخذول قیل ان آزر هو الشیخ الهرم بالخوارزمیة وهذا عند من یجوز اشتمال القرآن علی الفاظ قلیلة من غیر لغة العرب وقیل ان آزر اسم صنم یجوز ان یسمی به للزوم عبادة فان من یلتزم عبادة واحد فقد یجعل اسم المعبود اسما للعابد کما قال تعالی یوم ندعو کل اناس بامامهم وقال الشاعر اذا جاء آزر جودها نبرانها کان اسمها یحیی یعفر شمالا او ان ابا عبادة محذوف المضاف الیه مقامه وقیل ان والد ابراهیم کان تارخ وکان آزر عماله والعم قد یطلق علیه اسم الاب بدلیل قوله نعبد الهک واله ابائک ابراهیم واسمعیل واسحق ومعلوم ان اسمعیل کان عما لیعقوب ویدل علی صحة ظاهر الایة ان الیهود والنصاری والمشرکین کانوا معترفین بان ابراهیم کان ابا لهم لکن علی تکذیب الرسول صلی الله علیه وآله فلو کان النسب کذبا لامتنع فی العادة سکوتهم عن تکذیبه وحیث لم یکذبوه علمنا ان النسب صحیح قالت المعتزلة لو کان من تجری مجراهم ان احدا من اباء الرسول صلی الله علیه وآله ما کان کافرا فنقول وتقلبک فی الساجدین یدل علی ان جمیع اسلافه من ساجد الی ساجد اذ الکفر وبما روی انه صلی الله علیه وآله قال لم ازل انقل من اصلاب الطاهرین الی ارحام الطاهرات وان ازکی عم ابراهیم وما کان والد الا ان ابراهیم شافههم بالغلظة والجفاء فی قوله انی اراک وقومک فی ضلال مبین وقال تعالی ولا تقل لهما اف ولا تنهرهما ولانه نادا ه بالاسم فی قراءة من قرأ آزر بالضم والنداء بالاسم دلیل الاستخفاف وهذا لم یقرأ بالضم فی قوله وقال موسی لاخیه هرون اخلفنی واجیب بان قوله وتقلبک فی الساجدین یحتمل وجوها اخر سوی ما ذکرتموها وبان قوله لم ازل انقل محمول علی ما لم یقع فی نسبه ما کان سفاحا والتغلیظ من ابراهیم انما کان لاجل اصراره علی الکفر کما قال فلما تبین له انه عدو لله تبرء منه لاجل الشفقة والجفاء لقوله ان ابراهیم لحلیم اواه منیب ثم ان ابراهیم احتج علی فساد اعتقاد عبدة الاصنام بقوله منکرا علی ازرهم اتتخذ اصناما آلهة انی اراک وقومک معبودین من دون الله لان الاصنام لو کان لها قدرة علی الخیر والشر کان الصنم الواحد کافیا فلما لم یکن الواحد کافیا دل ذلک علی عجزها وان کثرت احتج بعضهم بالایة علی وجوب معرفة الله تعالی وعلی ان وجوب الاشتغال بشکر معلوم بالعقل لا بالسمع لان ابراهیم حکم علیهم بالضلال من حیث النظر والاستدلال واجیب بانه لعله عرف صلاحهم بحکم شرع الانبیاء المتقدمین علیه وکذا ما ارباه من قبح عبادة الاصنام والاشتغال بغیر الله مرئی بل یکون التمرات والاوفق والنکتة فیه ان النهی عن غیر الله یجب مع الحجاب بقدر ذلک یکون حصول التجلی والتحلی بالله وانما لم یقل اریاه بلفظ الماضی لانه اراد الحکایة کانه قیل کیف بلغ ابراهیم هذا المبلغ فی قوة الدین والذب عنه فاجیبنا کذا نریه الملکوت وقت طفولیته لاجل ان یعتبر من الموقنین زمان بلوغه والمقصود بیان ارتقاء

في معارج الكمال وازديادهِ في ذلك على سبيل الدوام والاستمرار فان مخلوقاته تعالى وان كانت متناهية في الذات وفي الصفات الا ان جهات دلالاتها على ذاته وصفاته سبحانهُ غير متناهية كما قال امام الحرمين معلومات الله غير متناهية ومعلوماته في تلك المعلومات ايضا غير متناهية فان الجوهر الفرد يمكن وقوعهُ في احياز لا نهاية لها على البدل ويمكن اتصافهُ بصفات لا نهاية لها على البدل فكل تلك الاحوال التقديرية معلومة الله تعالى وكل تلك الاحوال دالة على حكمة الله تعالى وعظمتهِ قدرتهِ واذا كان الجوهر الفرد كذلك فكيف كل الملكوت ولهذا قال المستفر لي الله تعالى له تعالى انهُ فاما المستفر في الله سبحانهُ فانهُ يدلهُ انهايةٌ والملكوت هو الملك مع التاء المبالغة كالرغبوت والرهبوت من الرغبة والرهبة قال بعضهم انهُ سبحانهُ اراه الملكوت بالعين قالوا شقَّ لهُ السموات حتى رأى العرش والكرسي الى منتهى الاجرام العلوية وشقَّ لهُ الارض الى تخوم الثرى فرأى ما فيها من البدائع والغرائب عن ابن عباس انهُ لما اسرى بابرهيم الى السماء رأى ما فيها وما في الارض من العجائب رأى عبدًا على فاحشة فدعا عليهِ وعلى اخر بالهلاك فقال الله تعالى لهُ كف عن عبادي فانهم بين خلال ثلث اما ان اجعل منهم ذرية تعبدني او تتوب او تغفر لهم او النار من ورائهم وقال الاكثرون ان هذه الاراءة كانت بعين البصيرة لان ملك السموات والارض لا يرى وانما يعرف بالعقل ولو اريد نفس السموات والارض صار لفظ الملكوت ضائعا وايضا قولهُ فلما جن عليهِ الليل جار مجرى الشرح والتفسير لتلك الاراءة فثبت انها استدلال بتغير الاجرام وامكانها وحدوثها على وجود الاله الواجب الحكيم ثم قال بالاخرة وتلك حجتنا والرؤية بالعين لا يصير حجة على قومهِ وايضا الاراءة بالعين يفيد العلم الضروري بالاله القادر ومثل هذه المعرفة لا يوجب المدح والثواب كما للكفار في الاخرة وايضا ليقين عبارة عن تحصيل علم بالتأمل اذا كان مسبوقا بالشك فالمراد من رؤية ابرهيم يستدل بها وليكون من المؤمنين وليكون من الموقنين رؤيتها وفعلنا ذلك في ذلك ان الاراءة قد تصير سببا للحجة لا لايقان كما في حق فرعون ولقد اريناهُ اياتنا كلها فكذب وابى وايضا الانسان لا يمكنهُ ان يرى بالعين اشياء كثيرة دفعة واحدة على سبيل الكمال ويتقدر بالامكان لا يكون لها دوام وبقاء ويتقدر بالبقاء يكون شاغلة للرائي عن الله اما اذا انظر بعين البصيرة في المخلوقات وعرف حدوثها وامكانها وعرف ان كل ممكن يحتاج الى الصانع الحق الواجب فكأنهُ بها انهن المقدسين قد طالع صفحة الملكوت بعين عقلهِ وسمع باذن قلبهِ شهادتها بالاحتياج والانقياد لله وهذه الرؤية باقية غير زائلة ولا شاغلة عن الله بل هي شاغلة للقلب الروح بالله وهذه الرؤية وان كانت حاصلة لجميع الموحدين لقولهِ سنريهم اياتنا في الآفاق وفي انفسهم الا ان الاطلاع على تفاصيل اثار حكمة الله تعالى في كل واحد من مخلوقات هذا العالم بجماداتها ونباتها واصنافها واشخاصها وعوارضها ولواحقها كما هي لا تحصل الا لاكابر الانبياء ولهذا قال في دعائهِ اللهم ارنا الاشياء كما هي ثم ان الانسان في اول استدلالهِ ينقلب قلبهُ عن اخلاج شبهة فيه فاذا كثرت الدلائل وتوافقت وتطابقت كان لكل واحد منها نوع تاثير وقوة ويكون جاريا مجرى تكرار الدرس لواحد ويزداد النفس بكل منها نورية واشراقا وانبساطا الى ان يحصل الجزم ويكمل الايقان ويطلع شمس العلم والعرفان الى حيث اتى لها من الارتقاء والتعالي وذلك قولهُ فلما جن عليهِ الليل قال في الكشاف انهُ معطوف على قولهِ واذ قال ابرهيم وقولهُ واذ قال ابرهيم وقولهُ وكذلك نري جملة وقعت اعتراضا بين المعطوف والمعطوف عليهِ يعني جن عليهِ الليل واجنهُ الليل والتركيب يدور على الستر منهُ الجنة والجن والمجنون والجنين وقيل جن عليهِ الليل اي اظلم عليهِ ولاجل هذا التضمين عدي بعلى واما اجنهُ فمعناهُ ستره من غير تضمين معنى اظلم واعلم ان كثيرا من المفسرين ذكروا ان ملك ذلك الزمان راى رؤيا وعبرها المعبرون بانهُ يولد غلام يناز عرفي ملكهِ فامر بذبح كل غلام يولد فخملت ام ابرهيم عم وما اظهرت حملها للناس فلما جاءها الطلق ذهبت الى كهف في جبل ووضعت ابرهيم وسدت الباب بحجر فجاء جبرئيل عم فوضع اصبعهُ في فيهِ فخرج منهُ رزق وكان يتعهدهُ جبرئيل عم وكانت الام تاتيهِ احيانا وتوضعهُ وبقي في الغار حتى كبر وعرف ان لهُ ربا فسأل الام فقال لهُ امرني ربي فقالت من ربك فقالت ابوك فقال لا بل من ربك فقال ملك البلد فعرف ابرهيم حملها وابوتها فنظر من باب الغار فرأى ما يستدل بهِ على وجود الرب على سبيل الافول فرأى النجم الذي كان اصغر النجوم في السماء فقال هذا ربي الى اخر القصة ثم منهم من قال كان هذا بعد البلوغ واوان التكليف ومنهم من قال كان هذا قبل البلوغ واكثر المحققين على فساد هذا القول لوجوه منها ان القول بنبوة النجم كفر بالاجماع والكفر لا يجوز على الانبياء بالاتفاق ومنها ان ابرهيم كان قد عرف ربهُ قبل هذه الواقعة لان الله تعالى اخبر عنهُ انهُ دعا اباه الى التوحيد بالرفق مرارا بقولهِ يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر الايات وفي هذا الموضع دعاه الى التوحيد بالكلام الخشن والدعوة بالرفق مقدمة على الدعوة بالخشونة والغلظة ومنها ان هذه الواقعة كانت بعد ان اراه ملكوت السموات والارض بدليل فاء التعقيب في قولهِ فلما جن ومنها انهُ تعالى وصفهُ بقولهِ اذ جاء ربهُ بقلب سليم ومدحهُ بقولهِ ولقد اتينا ابرهيم رشدهُ من قبل اي من اول زمان الفطرة ومنها قولهُ عقيب هذه القصة وتلك حجتنا اتيناها ابرهيم على قومهِ ولم يقل على نفسهِ ومنها انهُ قال بعد القصة يا قوم اني بريء مما تشركون مع انهُ ما كان في الغار لا قوم ولا صنم ومنها قولهُ وحاجهُ قومهُ وفيهِ دليل على انهُ انما اشتغل بالنظر في الكواكب بعد ان خالط قومهُ وراهم يعبدون الاصنام ودعوه الى عبادتها فقال لا احب الآفلين ردا عليهم وتنبيها على فساد قولهم وتؤكدهُ قولهُ وكيف اخاف ما اشركتم لا تريدون على انهم كانوا قد خوفوهُ بالاصنام كما في قصة هود ان نقول الا اعتراك بعض الهتنا بسوء ومنها ان تلك الليلة كانت مسبوقة بالنهار وكان ينبغي ان يستدل او لا بغروب الشمس على عدم الهيتها ثم بهبوط الطبيعة القمر وسائر الكواكب بالطريق الاولى ولما لم يكن كذلك علمنا ان المقصود الزام القوم وافحامهم والابتداء بافول الكوكب لانهُ اتفق مكالمتهُ مع القوم حال طلوع ذلك النجم ثم امتدت

المناظرة الى ان طلعت الشمس ثم فيهنا احتمالان الاول ان يقال ان هذا كلام ابرهيم بعد البلوغ ولكنه ذكره بلفظهم حتى يرجع اليه فيبطله مثاله ان يقول المناظر من يزعم قدم الجسم الجسم القديم فان كان كذلك فلم نشاهده ونراه متحركا مستغيرا فقوله الجسم قديم اعادة لكلام الخصم لالزام الحجة عليه او المراد هذا ربي على زعمكم واعتقادكم كقول الموحد للمجسم الاله جسم محدود اي على زعمه واعتقاده فان نعم ويوم بناء دينهم فيقول اين شركائي وقال ذق انك انت العزيز الكريم اي عند نفسك وكان ثم يقول بالله الا لطمتني على زعمك او المراد منه الاستفهام على سبيل الانكار الا ترى سقوط الاستفهام لدلالة الكلام او ضمير القول اي يقولون هذا ربي واضمار القول كثير واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت واسمعيل ربنا اي يقولان ربنا والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم اي يقولون ما نعبدهم الا ليقربونا او ذكر هذا الكلام على سبيل الاستهزاء او انه قد عرف من تقليدهم لاسلافهم وبعد طباعهم عن قبول الدلائل انه لو صرح بالدعوة لم يقبلوا فقوله قال لئن لم يهدني ربي الاستدراج وذكر كلاما يوهم كونه مساعدا لهم مع ان ابرهيم كان مطمئنا بالايمان فكان بمنزلة المكره على كلمة الكفر حيث لم يجد الى الدعوة الحاضرة بها طريقا سوى ذلك واذا جاز ذكر كلمة الكفر لمصلحة تعود الى شخص واحد كقوله تعالى الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان فلا يجوز ذكرها لتخليص جم غفير من الكفر والعقاب الابد كان اولى قالت العلماء ان المكره على ترك الصلوة لو صلى حتى قتل استحق الاجر وان اذا جاء وقت القتال مع الكفار وعلموا ان اشتغل بالصلوة انهزم عسكر الاسلام فهنا يجب عليه ترك الصلوة والاشتغال بالقتال حتى لو صلى وترك القتال اثم وان من كان في الصلوة فرأى طفلا او اعمى اشرف على غرق او حرق وجب عليه قطع الصلوة لانقاذهما ومثل هذه الواقعة قوله فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم وذلك انهم كانوا يستدلون بعلم النجوم على الحوادث المستقبلة فوافقهم ابرهيم على هذا الظن في الظاهر مع انه كان بريئا عنه في الباطن ليتوصل بذلك الى كسر الاصنام قال المتكلمون انه يجب ان يعلم الله تعالى اظهار خوارق العادات على من يدعي الالهية لان صورة هذا المدعي وشكله يدل على كذبه فلا بد وان يجوز الله تعالى اظهار خارق على يده حتى لا يبقى التلبيس ولكنه لا يجوز اظهار خارق على يد من يدعي النبوة كاذبا لان التلبيس يروج حينئذ فكذا ههنا قوله هذا ربي لا يوجب الضلال لان دلائل بطلانه جلية وفي ذلك استدراج لهم لقبول الدليل فكان جائزا الاحتمال الثاني انه ذكر ذلك قبل البلوغ فلعله خطر بباله لشدة ذكائه قبل بلوغه اثبات الصانع سبحانه فتفكر فرأى النجم فقال هذا ربي فلما افل قال لا احب الآفلين ثم انه تعالى اكمل بلوغه في اثناء هذا الفكر ففال عند افول الشمس اني بريء مما تشركون واعلم ان القصة التي ذكرناها من ان ابرهيم عليه السلام ولد في الغار وتركته امه وكان جبرئيل يربيه محتملة في الجملة لان الاخبار فيها وان هو تقديم المعجز على وقت الدعوى جائز عندنا ولم يجوزه القاضي الا اذا حضر ذلك الزمان رسول من الله تعالى فيكون تلك الخوارق معجزة لذلك الرسول قال الكشاف فان قلت احتج عليهم بالافول دون البزوغ وكلاهما انتقال من حال الى حال قلت الاحتجاج بالافول اظهر لانه انتقال مع خفاء واحتجاب وانا اقول الاحتجاج بالبزوغ في الاية لا يصح لانه تعالى بين انه نظر الى الكوكب وقت كونه طالعا لا حين بزوغه لان مشاهدة التغير في الانتقال وكذا الى القمر والى الشمس دليل انه لم يقل رأى القمر بازغا بل بازغا ولو سلم فان احسن الكلام ما يحصل فيه حصة الخواص والاوساط والعوام فالخواص يفهمون من الافول الاحتجاب فكل ممكن محتاج والمحتاج لا يجوز ان يكون منقطع الحاجات فلا بد من الانتهاء الى الواجب بالذات واما الاوساط فانهم يفهمون من الافول مطلق الحركة فكل متحرك محدث وكل محدث فهو محتاج الى القديم واما العوام فانهم يفهمون من الافول الغروب فكل كوكب يغرب فانه يزول نوره ويذهب سلطانه ويصير كالمعزول ومن كان كذلك فانه لا يصلح للالهية اقصى ما في الباب ان يقال ان لها تاثيرات في احوال العالم السفلي ولكن تلك التاثيرات لما لم يكن طالبا لذاتها لم تصلح لاسناد الكل اليها فالواجب سبحانه وهو الاله الاعظم القادر على خلق السموات والنجوم التي من شانها ان يكون قادرا على خلق البشر وعلى تدبير السفليات بالطريق الاولى فلا يلزم من وضع الواسطة رفع المبدإ بحال ويعلم من قوله لا احب الآفلين انه تعالى ليس بجسم والا كان غائبا عنا فكان افلا وانه لا يصح عليه المجيء والذهاب والنزول والصعود ولا الصفات المحدثة فيه ان معارف الانبياء استدلالية لانه لا ضرورة انه لا سبيل الى معرفته تعالى الا النظر والاستدلال ثم قال فلما رأى القمر بازغا يقال بزغ القمر والشمس اذا ابتدأ بالطلوع واصل البزغ الشق كانه يبزغ بضوئه ظلمة الليل شقا قال الازهري وفي قوله ان لم يهدني ربي اشارة الى ان الهداية ليست الا من الله تعالى والمعتزلة يحملونها على التمكين واذا حملت الاعذار ونصب الدلائل ويزيف بان كل ذلك كان حاصلا فالهداية التي كان يطلبها بعد ذلك لا بد ان يكون زايدا عليها فلما رأى القمر بازغة قال هذا ربي اراد هذا الطالع او هذا المرئي او ذكر بناء على ظهور الضياء او النور باعتبار الخبر وهو رب مع رعاياه الا ترى هو ترك الثاني عند اللفظ الدال على الربوبية كما لم يقولوا في صفة الله علامة وان كانت بناء مبالغة هذا اكبر اي اكبر الكواكب جرما او نورا وقد برهن في الهيئة على انها ما ئة وستة وستون مثلا لكرة الارض كلها وانما لم يقتصر على ذكر الشمس او لعلم انه يلزم منه عدم ربوبية ما دونها من القمر والكواكب لانه اراد الاخذ من الادون الى الاعلى ليزيد التقرير والتصوير باقوم اني بريء مما تشركون قبل لا يلزم من نفي ربوبية النجوم نفي الشريك مطلقا والجواب ان القوم لم يدعوا الا الامور المذكورة فلما اثبتها لم يبق ادعاء بها ثابت بالاتفاق نفي الشركاء على الاطلاق ومعنى وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا اي مائلا عن الباطل الى الحق فان من كان مطبوعا لغيره منقادا لامره فانه يوجه وجهه اليه فجعل توجيه الوجه اليه كناية عن الطاعة واصل الفطر الشق يقال تفطر الشجر بالورق والورد اذا اظهرهما والحنيف المائل عن كل معبود سوى الله تعالى قال ابو العالية الذي يستقبل البيت في صلوته ثم ان قومه حاجوه فتكلم بالتقليد تارة كقولهم انا وجدنا اباءنا على امة وكقولهم للرسول اجعل الالهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب ومخوفين اياهم بالاصنام

اخرى فاجابهم بقوله أتحاجونى فى الله وقد هدان اى لما ثبت بالدليل الموجب للهداية صحة قوله فكيف التفت الى حجتكم الواهية ولا اخاف ما تشركون به لان الخوف انما يحصل ممن يقدر على النفع والضر الا ان يشاء الا وقت مشيته ربى شيئا يخاف فحذف المضاف اى الا ان اذنبت فيشاء انزال العقوبة بى والا ان يريد ابتلائى بمحنة والا ان يكن بعض تلك الاصنام من ضرى مثل ان يوحى بكوكب وكان قد اودع فيها طلسم فيصيبنى مكروه من جهته باذن الله تعالى وفائدة الاستثناء انه لو حدث به شئ من المكاره الايام المستقبلة لم يحمله الحمقى والجهلة على قدرة الاصنام وسع ربى كل شئ علما فلا يفعل الا الخير والصلاح افلا تتذكرون ان نفى الانداد عن رب الارباب لا يوجب حلول العقاب ونزول العذاب وان التصحيح لا يساوى الفاسد العاجز لا يساوى القادر ثم اكد ذلك بقوله وكيف اخاف ما اشركتم ولا تخافون انكم اشركتم بالله ما لم ينزل به سلطانا اذ لا سلطان فينزل وقبل انه لا يمتنع عقلا ان يؤمن باتخاذ تلك التماثيل والصور قبلة للصلوة والدعاء ولكنه لم يؤمر به والمعنى انكم تنكرون على الامن فى موضع الامن ولا تنكرون على انفسكم الامن فى موضع الخوف ثم قال فاى الفريقين يعنى فريق المشركين والموحدين ولم يقل فانا احق بالامن انا ام انتم اجتنابا عن تزكية نفسه والغرض انى احق بالامن ان كنتم تعلمون ثم استانف الجواب عن السؤال بقوله الذين آمنوا الآية والمعنى ان الذين حصل لهم الامن المطلق هم المستجمعون لكمال القوة النظرية وسمات الايمان ولكمال القوة العملية وهو وضع الاشياء فى مواضعها والية الاشارة بقوله ولم يلبسوا اى لم يخلطوا ايمانهم بظلم قالت الاشاعرة شرط فى الايمان الموجب للامن عدم الظلم ولو كان ترك الظلم داخلا فى الايمان لم تكن لهذا التقييد فائدة فثبت ان الفاسق مؤمن وقالت المعتزلة شرط فى حصول الامن حصول الامرين الايمان وعدم الظلم فوجب ان لا يحصل الامن للفاسق وذلك يوجب حصول الوعيد له ابدا واجيب بان الظلم ههنا الشرك لقوله ان الشرك لظلم عظيم واجتماع عدم الاقرار بالصانع ممكن وح يصح اطلاق اللبس بمعنى الخلط ويكون المراد الذين امنوا بالله ولم يثبتوا له شريكا فى المعبودية وبوبوه ان القضية وردت فى نفى الاضداد والانداد وانهم لا يلزم من عدم الامن المطلق حصول القطع بالعذاب الابدى واعلم ان المحاجة فى الله تارة يكون موجبة للذم والانكار كمحاجة قوم ابرهيم وتارة يكون موجبة للمدح وذلك اذا كان الغرض تقرير الدين الحق والمذهب الصدق كمحاجة ابرهيم من قوله فلما جن عليه الليل الى ههنا والية الاشارة بقوله وتلك حجتنا اتيناها ابرهيم نرفع درجات من نشاء الينا ها وفقناه لها ونرفع درجات من نشاء من قرأ بالاضافة فظاهر لان رفع بعضهم فوق بعض بالدرجات ومن قرأ بالتنوين فيكون كقوله ورفع بعضهم درجات وقد تقدم فى البقرة واختلف فى تلك الدرجات فقيل اعمال الدنيا والاخرة وقيل تلك الدرجات درجات رفعة لانها سبب ارتفاع الروح من حضيض العالم السفلى الى اعلى العالم الروحانى وقيل نرفع من نشاء فى الدنيا بالنبوة والحكمة وفى الاخرة بالجنة والثواب او نرفع درجات من نشاء بالحكمة والعلم ان ربك حكيم عليم فيرفع الدرجات بمقتضى الحكمة والعلم لا لموجب التشهى والجزاف التاويل رأى ابرهيم ملكوت الاشياء اى بواطنها ليكون من الموقنين عند كشفها كما كان موقنا عند كشف ضلال المودع فى الزروع فلما جن عليه ظلمة الليل البشرية ما طر سحاب الغفلة عنه بغيث الهداية على ارض قلبه فانبت بذر الخلة المودعة فى ملكوت قلبه فرأى نور الرشد فى صورة الكوكب طالعا من افق سماء روحانيته فقال هذا ربى اراد به سره المكوكب لا الكوكب ان لم يشعر به نفسه كما قيل هوى نواه ولم يعلم بربه فالجسم فى غربة والروح فى وطن فان كذبت النفس فيما قالت للكوكب هذا ربى ما كذبت الفؤاد فيما رأى من الكوكب فقال هذا ربى فلما احتجب كوكب نور الرشد بغلبات صفات الخليقة عند رجوعه الى وصفه وافقه كوكب السماء بالغروب قال سره لا احب الآفلين فلما اشرع انفتاح روزنة القلب الى الملكوت بقدر الفرجة له نور الربوبية فى مرآة القلب قال هذا ربى فلما افل عند رجوعه الى وصفه فزاد الشوق قال ان لم يهدنى ربى برفع حجب الاوصاف ويبقينى على وجود الخليفة لاكونن من القوم الضالين عن الحق كازروقومه فلما اشرف عجب الاوصاف وخرج شمس الهداية من غيم البشرية واشرقت ارض القلب بنور ربها قال هذا ربى فلما افلت شمس الهداية تعزز واتعظم ليغرب ابرهيم عليه عن شرك الانانية ان شمس النهار تغرب بالليل وشمس القلوب ليست تغيب تبرأ عن الاضداد والانداد ونزعنه الخلة عن الجهات وخلصه تجلى صفة الجمال عن شبكة الوهم والخيال فقال يا قوم انى برئ مما تشركون وقد يدور فى الخلد ان ابرهيم صلوات الله الرحمن عليه جن عليه ظلمة الشبهة فنظر ولا فى عالم الاجسام فرجرها افلة فى افق التغير فلم يرها تصلح للالهية فارتقى منها الى عالم النفوس المدبرة للاجسام فرآها افلة فى افق الاستكمال فكان حكمها حكم مادونها فصعد منها الى عالم العقول المجردة فصادفها افلة فى افق الامكان فلم يبق الا الواجب الحق ومن الناس من حمل الكوكب على الحس والقمر على الخيال والشمس على الوهم والعقل واراد ان هذه القوى المدركة الثلثة قاصرة متناهية القوة ومدبر العالم قاهر لها مستول عليها وحاجة قومه ليسلموا ستور شبههم على شموس عرفانه وقد هدانا اليه بالعيان بعد توالى البرهان الا ان يشاء ربى شيئا من الخذلان وهذا محال لانه وسع ربى كل شئ علما فواعلم يا اهل العرفان ويا اصحاب الخذلان ولا يلبسوا ايمانهم بظلم بشرك الالتفات الى غيره من الاكوان حتى قال لجبرئيل اما اليك فلا وتلك يعنى اراءة الملكوت وشواهد الربوبية فى مرآة الكواكب وصدق التوجه الى الحق والتبرى عما سواه والخلاص عن شرك الانانية والايمان الحقيقى بالعيان حتى ارتقى من الافعال الى الصفات ثم الى الذات تيناها ابرهيم بدأنا من غير واسطة حتى جعلها حجة على قومه نرفع درجات من نشاء بجذبات الالوهية عن حضيض الانانية الله حسبى ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمن وايوب ويوسف وموسى

وهرون وكذلك نجزي المحسنين وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين واسمعيل واليسع ويونس و
وهرون وهمچنین پاداش میدهیم نیکوکاران را وزکریا ویحیی وعیسی والیاس وهریک از نیکوکارانند واسمعیل والیسع ویونس و
لوطا وكلا فضلنا على العالمين ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم
ولوط را وهریک را بزمانه دادیم بر جهانیان واز پدران ایشان وفرزندان ایشان وبرادران ایشان وبرگزیدیم ایشانرا وهدایت کردیم ایشانرا براه راست
ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون أولئك الذين آتيناهم
این است راه خدا که هدایت کند بآن هرکرا خواهد از بندگانش واگر شرک آورند هرآینه باطل گردد از ایشان آنچه کرده بودند که میکردند آنگروه آنانند که دادیم ایشانرا
الكتاب والحكم والنبوة فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين أولئك
کتاب وداوری وپیغمبری پس اگر کافر شوند بآن اینگروه پس هرآینه بر کاریم بآن گروهیرا که نیستند بآن کافران آنگروه
الذين هدى الله فبهداهم اقتده قل لا أسئلكم عليه أجرا إن هو إلا ذكرى للعالمين القراءة
آنانند که هدایت کرد خدا ایشان را پس بهدایه ایشان اقتدا کن بگو نمیخواهم از شما بآن مزدی را نیست آن مگر آگاهی برای جهانیان

والیسع بتشدید اللام حمزة وعلی وخلف الباقون بالتخفیف اشدة باشباع الهاء ابن عامر الحلوانی عن الهشام مختلسة وبجذف الهاء فی الوصل سهل یعقوب وحمزة وعلی وخلف الباقون بسکون ها السکت علی الاصل الوقوف ویعقوب کلا هدینا نوحا مفعول ما بعده ولو وصل التبس بانه مفعول ما قبله مع اتفاق الجملتین وهرون ویونس للعطف والیاس من الصالحین للعطف ولوطا العالمین للعطف واخوانهم لبیان ان قوله واجتبیناهم یعقوب الی قوله کلا هدینا کقوله ومن هدینا واجتبینا ولاحتمال الواو الحال ای وقد اجتبیناهم وذکر هدینا هم بعده مستقیم من عباده یعملون والنبوة بکافرین افتده اجر للعالمین التفسیر لما ذکر حجج ابرهیم صلوات الرحمن علیه فی التوحید والدلائل عن الذین الحنیفی عدد وجوه نعمه واحسانه علیه بعد نعمة ابناء الجد ورفع الدرجة فقال ووهبنا بالفظ الدال علی العظمة کما یقوله عظماء الملوک لیدل بذلک علی عظم العطیة وذلک انه جعل اشرف الناس وهم الانبیاء والرسل من نسله وعقبه قبل واتما لا یبعد ان کان هو ایضا اصلیا لان المقصود بالذکر ههنا انبیاء بنی اسرائیل وهم باسرهم اولاد اسحق ویعقوب اما اسمعیل فانه ما خرج من صلبه احد من الانبیاء الا محمد صلی الله علیه واله ولا یجوز ذکر محمد صلی الله علیه واله فی هذا المقام لانه امر محمد ان یحتج علی العرب بان ابرهیم لما نال الشرف والحض علی التوحید شرفه الله بالنعم الجسام فی الدین والدنیا ومن جملة ذلک ان اناه اولادا کانوا ملوکا وانبیاء فاذا کان المحتج بهذه الحجة هو محمد امتنع ان یذکر نفسه فی هذا المعرض فلهذا السبب لم یذکر اسمعیل مع اسحق اما قوله ونوحا هدینا من قبل فالمقصود منه بیان کرامة ابرهیم بحسب الاباء ایضا مثل نوح وادریس وشیث واما الضمیر فی قوله ومن ذریته فقد قیل انه یعود الی نوح لانه اقرب ولانه تعالی ذکر فی جملتهم لوطا وهو کان ابن اخی ابرهیم وما کان من ذریته بل کان من ذریة نوح ولان ولد الانسان لا یقال انه ذریته فعلی هذا اسمعیل ما کان من ذریة ابرهیم وکان من ذریة نوح ولان یونس ما کان من ذریة ابرهیم علی قول بعضهم وقیل الضمیر عائد الی ابرهیم لانه المقصود بالذکر فی هذا المقام والعلم عند الله تعالی

ذکر اربعة من الانبیاء وهم نوح وابرهیم واسحق ویعقوب ثم ذکر من ذریتهم اربعة عشر نبیا داود وسلیمان وایوب ویوسف وموسی وهرون وزکریا ویحیی وعیسی والیاس واسمعیل والیسع ویونس ولوطا فالمجموع ثمانیة عشر وانما لم یراع الترتیب بینهم فی الاتیان بحسب الفضل والشرف ولا بحسب الزمان والمدة فاستدل العلماء بذلک علی ان الواو لا تفید الترتیب قال فی التفسیر الکبیر اذا وجد الترتیب تارة لا یخص کلا من طوائف الانبیاء بنوع من الکرامة فمن المراتب المعتبرة عند الجمهور الملک والسلطنة وقد اعطی داود وسلیمان من ذلک نصیبا عظیما والنوع الثانی البلاء والمحنة وقد حصل ایوب بذلک والثالث استجماع الحالتین وذلک لیوسف فانه ابتلی اولا ثم اوتی الملک ثانیا الرابعة قوة النجدة وکثرة البراهین والبیانات وذلک حال موسی وهرون الخامسة الزهد الکامل کما فی حق زکریا ویحیی وعیسی والیاس ولهذا وصفهم بانهم من الصالحین السادسة الانبیاء الذین لیس لهم فی الخلق اتباع ولا اشیاع وهم اسمعیل والیسع ویونس ولوط واما المراد بقوله کلا هدینا ونوحا هدینا فما المراد الهدایة الی الطریق الجنة بدلیل قوله وکذلک نجزی المحسنین فان جزاء المحسن علی احسانه لا یکون الا الثواب قبل لا یبعد ان یبقی المراد الهدایة الی الدین والمعرفة لانهم اجتهدوا فی طلب الحق فجازاهم الله بالوصال والوصول کما قال والذین جاهدوا فینا لنهدینهم سبلنا وقیل انها الارشاد الی النبوة والرسالة لان الهدایة المخصوصة بالانبیا لیست الا ذلک وهذا انما یصح عند من جوز ان یکون الوسائط لنحو اء علی عمل واستدل بعضهم بقوله وکلا فضلنا علی العالمین علی ان الانبیا افضل من الملائکة وذلک ان العالم اسم لکل موجود سوی الله تعالی فیدخل فیه الملائکة وکذا الاولیاء وقیل فضلناهم علی عالمی زمانهم فلا یتم الاستدلال قال القاضی ویمکن ان یبقی المراد وکل من الانبیا یفضلون علی کل من سواهم من العالمین ثم الکلام فی ان ای الانبیا افضل من بعض کلام اخر لا تعلق له بالاول ثم قال ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم وانه معطوف علی کلا ای فضلنا بعض آبائهم فالاباء هم الاصول والذریات هم الفروع والاخوان فروع الاصول وهذا دلیل علی انه تعالی خص کل من تعلق بهؤلاء بنوع من الشرف والکرامة ثم ان قلنا المراد من الهدایة الهدایة الی الثواب الجنة فقوله من آبائهم وکلمة من للتبعیض یدل علی انه قد کان فی اباء هؤلاء الانبیا

من كان غير مؤمن ولا واصل الى الجنة وان فسرنا الهداية بالنبوة يفيد ذلك الا انه يفيد ان لا يكون المراد رسولا ولا نبيا واجتبيناهم اى
اصطفيناهم من بين الناس في الخوض وجوه تاى جمعته ذلك هدى الله اشارة الى معرفة التوحيد والتنزيه بدليل قوله لو اشركوا لحبط وفيه
دليل على ان الهداية من الله تعالى للعبد فيها اختيار وفيه تهديد عظيم لقوله لئن اشركت ليحبطن عملك والغرض من ذلك زجر الامة اولئك
يعني الانبياء الثمانية عشر الذين اتيناهم الكتاب والحكم والنبوة لابد بحكم العطف من تغاير الامور الثلثة ووجه بان الحكم على الخلق ثلثة اقسام
الحكم على بواطن الناس وهم العلماء والحكام على ظواهر الخلق وهم السلاطين الجامعون بين الامرين وهم الانبياء فالامور الثلثة اشارة الى هذه الاصناف
الثلثة ومعنى اتينا الكتاب الفهم التام بمعانى هذا الجنس والعلم المحيط بحقائقه واسراره ولو قيل المراد بالايتاء الابتداء بالوحى والتنزيل كصحف ابراهيم
وتوراة موسى وانجيل عيسى ليشمل كل المذكور بن لانه تعالى ما انزل على كل واحد منهم كتابا على التعيين فان يكفر بها اى بالامور الثلثة او بالنبوة
هؤلاء يعنى اهل مكة فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين اى لينسوا كافرين بها اوس توكيلهم بها انهم وفقوا للايمان بها والقيام بحقوقها
كما يوكل الرجل بالشئ ليقوم به ويتعهده ويحافظ عليه ومن الله قبل كل مؤمن وقبل اهل المدينة وهم الانصار قبلهم والمهاجرون وقال الحسن هم
الانبياء الذين تقدم ذكرهم واختاره الزجاج ولقوله عقيب ذلك اولئك الذين هدى الله وقال ابو رجاء يعنى الملائكة وضعف بان اسم
القوم فلما يقع على غير بنى ادم وفيه لا يخفى دلالة على انه تعالى سينصر نبيه ويظاهر دين الاسلام على كل الاديان وقد وفى بما وعد وكان اخبارا بالغيب
فتضمن اعجاز القرآن وفيها استدلال للاشاعرة على انه تعالى خالق قوما للايمان ولو كان خالق الكل للايمان والايتاء والتمكين وفعله لطاف مشترك
بين الكل لم يتجه هذا التخصيص اجاب الكعبى بانه زاد المؤمنين من الالطاف ما لا يحصيه الا الله وبتقدير ان يستوى فانه لم ينتفع بها الكافر فرجح
الظاهر ان بقى انه لم يحصل له تلك الالطاف وردد بان الالطاف الداعية الى الايمان مشترك فيها بين الكافر والمؤمن وبان الوالد الماسوى
بين الولدين فى العطية ثم ان احدهما ضيع نصيبه فاى عاقل يجوز ان يقول احد ان الاب ما انعم عليه وما اعطاه شيئا فبهداهم اقتده من
حذف الهاء في الوصل فعلى الاصل ومن اثبتها في الوصل كما في الوقف اراد موافقة الخط فان الهاء ثابتة في الخط في احد القولين واما قراءة ابن
عامر فقال ابو بكر مجاهد انها غلط وقال ابو على الفارسى ليست بغلط ووجهها ان يجعل الهاء كناية عن المصدر الدال عليه الفعل والتقدير فبهداهم
اقتد الاقتداء وتقديم المفعول للاختصاص اى لا تقتد الا بهم ولا خلاف في ان المراد بالاقتداء بالانبياء المذكورين انما الكلام في تفسير الهدى
فمن الناس من قال الذى جمعوا عليه هو القول بالتوحيد والتنزيه عن كل ما لا يليق به من الذات والصفات والافعال وقال اخرون المراد
بالاقتداء بهم في شرايعهم الا ما خصه الدليل على هذا فيلزم شارع من قبلنا وقبل اللفظ مطلق فيحمل على الكل الا ما خصه الدليل المنفصل
وقال الفقهاء هذا بعيد لان شرايعهم مختلفة متناقضة ولا يمكن الاتيان بالامور المتناقضة معا ولان الهدى عبارة عن الدليل دون نفس
العمل ودليل ثبات شرعهم كان مخصوصا بذلك الوقت ولان منصبهم يلزم ان يكون اجل من منصبه انه باطل بالاجماع واجيب بانا لعام يجب تخصيصه
في الصورة المناقضة فيبقى فيما عداها حجة وبان المستدل بالدليل منصل في ذلك الحكم فلا يمكن الاقتداء بالدليل الا اذا كان فعل الاول سببا
لوجوب الفعل على الثانى وبانه يلزم ان يكون منصب كل من منصبه انه امر باستجماع خصال الكمال وصفات الشرف التى كانت متفرقة فيهم كالشكر في
داود وسليمان والصبر في ايوب والزهد في زكريا ويحيى وعيسى والصدق في اسمعيل التضرع في يونس والمعجزات الباهرة في موسى وهرون فلما
قال لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعى لما امر بالاقتداء بالانبياء وكان من جملة هداهم ان لا يطلبوا الاجر على المال وجعل ايصال الذين
ابلاغ الشريعة قيل له قل لا اسئلكم ايها الامة عليه على ابلاغ اجرا ان هو يعنى القرآن الا ذكرى للعالمين يريد كونه مشتملا على كل ما يحتاج اليه الناس
في المعاش والمعاد وفيه دليل على انه صلى الله عليه واله كان مبعوثا الى الناس كافة لا الى قوم دون قوم التاويل وما رفعنا به درجات ابرهيم اتانا
وهبنا له اسحق ويعقوب ولعله افرد ذكر اسمعيل لمكان محمد صلى الله عليه واله كيلا يقع ذكره بعد ذكرهما فيوهم انه ابرهيم فان الكائنات تبع لوجود محمد صلى الله
عليه واله واجتبيناهم في الازل لهذا الشان وهديناهم الى الابد لواشركوا بان لاحظوا غيرنا فاتبعوا شيئا من دوننا ونسبوا شيئا من الحوادث
الى غير قدرتنا ولم يسيروا الا الينا نتهم في هويتنا لحبط عنهم لتلاشى عرفانهم وتلاف ما سلف من احسانهم فبهداهم اقتده لانهم سلكوا حتى انتهت
مسير كل منهم الى ما قدر له ادم الى السما الدنيا ويحيى وعيسى في الثانية ويوسف في الثالثة وادريس في الرابعة وهرون في الخامسة وموسى في
السادسة وابرهيم في السابعة وجميع الملائكة المقربين الى سدرة المنتهى انت محمد الى مقام قاب قوسين او ادنى قل لا اسئلكم ايها الانبياء
على الاقتداء اجرا ان هو الا ذكرى للعالمين لعلهم ان الطريق الى الله لا يسلك الا بالاقتداء او لا اسئلكم ايها الامة على دعوتكم الى التوحيد اجرا ان هو الا ذكرى للعالمين من الله وبرد اليه
وهو المستعان وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شئ قل من انزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا ع ١٤

دانشمند خدا پرست سزاى دشمنش چون گفت كه نفرستاده ست خدا بر آدمى چيزى يا گفت كه فرو نفرستاده ست بر هيچ آدمى از موسى روشنى

وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم قل الله ثم ذرهم في خوضهم
درست از براى مردم كه قرار نداده ايد از اكاغذ اى نوشتها ديدنى پراكنده كه بنمائيد بسيارى را و مخفى ميكنيد بسيار و دانسته شد بشما چيزى كه نه شما دانستيد و نه پدران شما بگو كه خدا پس واگذار ايشان را در فرو رفتن
يلعبون وهذا كتاب انزلناه مبارك مصدق الذى بين يديه ولتنذر ام القرى ومن حولها والذين يؤمنون

بالآخرة يؤمنون به وهم على صلوتهم يحافظون ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او قال اوحي الي ولم يوح اليه
باخرت میگروند بان ونیشان بر نمازهای ایشان نگاه میدارند وکیست ستمکارتر از کسی که دروغ بخدا بندد وبگوید من وحی شده بمن شده باشد
شيء ومن قال سانزل مثل ما انزل الله ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا ايديهم اخرجوا
چیزی و هر که گوید زود باشد که فرو فرستم مانند انچه فرو فرستاد خدا و اگر ببینی وقتی که ستمکاران در شدایدند مرگ وفرشتگان پیش کشنده اند دستهای خود را بسوی
انفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن اياته تستكبرون ولقد
جان زن خود را امروز جزا داده شوید عذاب خواری را بسبب انکه میگفتید بر خدا باطل وبودید از ایات او گردن کشی میکردید وهر آینه
جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم
بیامدید ما را تنها چنانکه آفریدیم شما را اول مرتبه وواگذارید انچه روزی کردیم شما را پشت سر خود وبیرون نیاوردیم با شما
ع ١٦ الذين زعمتم انهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون ان الله فالق الحب والنوى
انانرا که گمان میکردید که ایشان در کار شما انبازند تحقیق جدا شد میان شما وگم شد از شما انچه گمان میکردید وبرستی که خدا شکافنده دانه وهسته خرما
يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي ذلكم الله فانى تؤفكون فالق الاصباح وجعل الليل سكنا
بیرون اورنده زنده را از مرده وبیرون اورنده مرده است از زنده اینست خدای شما پس کجا میگردانیده شوید شکافنده صبح
والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا
وگردانیده شب را ارامیدن وخورشید وماه را بحسابی اینست اندازه کردن خدای غالب دانا واوست انکه گردانید برای شما ستارها تا راه یابید بانها در تاریکیهای بیابان ودریا
الايات لقوم يعلمون وهو الذي انشاكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الايات لقوم
ایات را از برای گروهی که دانند واوست انکه آفرید شما را از شخص واحدی پس شما را مقامی ودیعت جائی هر آینه مفصل گردانیدیم ایات را از برای گروهی
يفقهون وهو الذي انزل من السماء ماء فاخرجنا به نبات كل شيء فاخرجنا منه خضرا
که فهم کنند واوست انکه فرو فرستاد از اسمان اب پس برآوردیم بان رستنی هر چیزی را پس برآوردیم از ان سبزه را
نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من اعناب والزيتون والرمان
برآوریم از ان دانهای بسیار بهم بر ورز وخرما از شکوفه ان خوشهای نزدیک بهم وبوستانهای انگور وزیتون ونار را
مشتبها وغير متشابه انظروا الى ثمره اذا اثمر وينعه ان في ذلكم لايات لقوم يؤمنون و
مانند یکدیگر ونه مانند بنگرید بسوی میوه ان چون بر میاید وقت رسیدن ان بدرستی که در این هر آینه نشانها است مر گروهی را که ایمان اورند
جعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون
قرار دادند از برای خدا انباز پریان را وافریده است انها را وبافتند بدروغ از برای او پسران ودختران بدون دانشی منزه است او وبرتر است از انچه وصف کنند
القراءة يجعلون بياء وتنها ويخفون بها ابن الفضل ابو عمرو وابن كثير الباقون على الخطاب وابن ذكوان بخلف عنه ربنا الغيبة ابو بكر وحماد الباقون بتاء الخطاب بفتح
النون ابو جعفر ونافع وعلي وحفص والمفضل الباقون بالرفع وجعل الليل على لفظ الماضي ونصب الليل عاصم وحمزة وعلي وخلف الباقون وجاعل الليل
على لفظ اسم الفاعل وبالاضافة وجنات بالرفع الاعشى والبرجمي الباقون بالنصب مستنفر بكسر الفاء ابو عمرو وابن كثير وسهل ويعقوب الباقون بالفتح
ثمره بضمتين حمزة وعلي وخلف كذلك في اخر السورة ويس الباقون بفتحتين وخرقوا بالتشديد ابو جعفر ونافع الباقون بالتخفيف الوقوف من شئ كثير الم تر
يجعلوا بياء الغيبة ومن قرأ بالتاء فوقفه جائز لانتهاء الاستفهام مع انقطاع الخطاب على تقديره وقد علمتم انا كذلك قال الله لا ان قوله ثم ذرهم معطوف على
قل بالعطف ومن حملها محافظون انزل الله اليهم لاتساق الكلام معنى مع تقدير حذف اى يقولون اخرجوا انفسكم لان المراد من البهوت الفهم تستكبرون
ظهورهم لاختلاف القول والوقف وقع لابتداء النفي وانقطاع النظم شركاء تزعمون والنوى من الحي تؤفكون فالق الاصباح لمن قرأ وجعل لانقطاع
النظم واتصال المعنى على تقديره فالق وجعل اى وقد جعل وعامل الحال معنى الفعل فالوجه انا العليم والخبر يعلمون ويستودع يفقهون ثم اللغات
مع اتحاد المقصود شركاء لمن قرأ وجنات بالرفع فللعطف على قنوان لفظا فيلزمه وقفه على دانية والا فللعطف عليهم ان جنات من جملة النخل ومن
خفض فوقفه على متراكبا جائز للعطف على قوله خضرا مع وقوع العارض وغير متشابه وينعه يؤمنون بغير علم يصفون التفسير اعلم ان مدار القرآن
على اثبات التوحيد والنبوة والمعاد بعد ذكر دليل التوحيد وابطال الشرك شرع في تقرير امر النبوة فقال وما قدروا الله حق قدره قال ابن
عباس اى ما عظموا الله حق تعظيمه حيث انكروا النبوة والرسالة وقال ايضا في رواية ما امنوا بان الله على كل شئ قدير وقال ابو العالية ما وصفوه
حق صفته قتادة والاخفش ما عرفوه حق معرفته اى في اللطف بأوليائه واعدائه والقهر لاعدائه وقال الجوهري قدر الشئ مبلغه وقدر الشئ
اقداره ومنه قدر الدواء وقدر النفقة وقدر الحزن وعرف مقداره ثم بين وجه عرفانه بقوله اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شئ وانما كان منكر البعث و
الرسالة غير عارف بالله تعالى لانه اما ان يدعي انه تعالى يكلف احدا من الخلائق تكليفا اصلا وهو باطل لانه فتح باب الكفران والقبائح بأسرها واما ان

بسم الله تعالى كلف الخلق بالاوامر والنواهي ولكن لا على السنة الرسل وهذا ايضا جهل فان قيل لا يجوز ان يكون العقل كافيا لايجاب الواجبات وحظر المنكرات فالجواب ان الامر كذلك الا انه لا يمنع تاكيد التصريف العقلي بل يجب تفصيل ذلك المجمل بالتعريفات المشروحة على السنة الرسل لان اكثر العقول قاصرة عن ادراك مدارك الاحكام الشرعية كما ان نور البصر قاصر عن ادراك المبصرات الا اذا عضهن بنور من خارج كنور الشمس او السراج وايضا تفويض مقتضى العبث الى مقتضى عقولهم يرد الى المتنازع والمتشاجر لتصادم الاهواء وتناقض الاراء فلا بد من ان يتفقوا على واحد يصدرون عن رايه وتعيين ذلك الواحد من الخلق ترجيح بلا مرجح واشراف على الضلال لاحتمال الخطاء في اجتهادهم فلعل الخير في نظرهم يكون شرا في نفس الامر فلزم ان يكون التعيين من الله سبحانه بكونه اعرف بالبواطن كقوله الله اعلم حيث يجعل رسالاته اما تعريف ذلك المعين بظهور المعجزة على وفق دعواه تصديقا له ومن انكر ذلك ولم يجوز خرق العادة فقد سد على الله تعالى باب المعجزة ونفى امكان القدرة وقد طعن بعض الملحدة في الآية بان هؤلاء القائلين ان كانوا كفار قريش والبراهمة فهم ينكرون رسالة كل الانبياء كما ينكرون رسالة محمد صلى الله عليه وآله فكيف يحسن خطابهم بقوله قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى على ان قوله تجعلونه قراطيس بناء الخطاب انما يليق باليهود ان كانوا اهل الكتاب فهم لا يعترفون ما انزل الله على بشر من شيء بل يقرون بنزول التوراة على موسى والانجيل على عيسى ايضا الاكثرون اتفقوا على ان التوراة مكية وانها نزلت دفعة واحدة ومناظرات اليهود مع رسول الله صلى الله عليه وآله كانت مدنية فكيف يمكن حمل الآية على تلك المناظرة والجواب انهم ان كانوا كفار قريش فانهم كانوا يخالطون باليهود والنصارى وكانوا قد سمعوا من الفريقين على سبيل التواتر ظهور المعجزات على موسى كالعصا وفلق البحر وانطلال الجبل وغيرها وكان جاريا مجرى ما يوجب عليهم الاعتراف بنبوة موسى وعلى هذا يبعد ايراد نبوة موسى الزاما لهم في قولهم ما انزل الله على بشر من شيء ولما كان كفار قريش مع اليهود والنصارى متشاركين في انكار نبوة محمد صلى الله عليه وآله لم يبعد ان يكون الكلام الواحد خطابا لكفار قريش ولاهل الكتاب اولا واما ان كانوا اهل الكتاب وهو المشهور عند الجمهور فلما روي عن ابن عباس ان مالك بن الصيف من احبار اليهود ورؤسائهم وكان رجلا سمينا دخل على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله انشدك بالذي انزل التوراة على موسى هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين فانت الحبر السمين قد سمنت من مالك الذي يطعمك اليهود فضحك القوم فغضب ثم التفت الى عمر فقال ما انزل الله على بشر من شيء فقال له قومه ما هذا الذي بلغنا عنك فقال انه اغضبني ثم ان اليهود لاجل هذا الكلام عزلوه وجعلوا مكانه كعب الاشرف فلعل مالك بن الصيف لما اتاه من الكلام المذكور طعن في نبوة الرسول صلى الله عليه وآله وانه ما انزل عليه من شيء البتة فامر بان يقول في جوابه من انزل الكتاب الذي جاء به موسى الى آخره سلمنا ان الله تعالى انزل الوحي والتنزيل على بشر وهو موسى فكيف يمكنك ان تقطع بانه ما انزل على شيء غايره في الباب ان تطالبني بالمعجز والحاصل انهم قالوا ذلك مبالغة في انكار انزال القرآن على رسول الله صلى الله عليه وآله فالزموا ما لا بد لهم من الاقرار به من انزال التوراة على موسى وادرج تحت الالزام توبيخهم بالتحريف وابداء بعض واخفاء بعض وقيل اللفظ وان كان مطلقا فالمقصد به الخصم بحسب العرف بذلك الواقعة فكانه قال ما انزل الله على بشر من شيء انه يبغض الحبر السمين وهذا كما اذا اراد الرجل ان تخرج من الدار فغضب الزوج وقال ان خرجت من الدار فانت طالق فان كثيرا من الفقهاء قالوا التعليق مقيد بتلك المرة حتى لو خرجت مرة اخرى لم تطلق ويرد على هذا التوجيه ان قوله من انزل الكتاب الذي جاء به موسى لا يكون مبطلا لكلام الخصم اما قوله ان السورة مكية والمناظرات مدنية فاجيب عنه بان السورة مكية الا هذه الآية فانها نزلت بالمدينة في هذه الواقعة والله اعلم ومن الاحكام المستنبطة من الآية ان قوله ما قدروا الله حق قدره يقبل ان تعود الخلق فاصرة عن كنه معرفة الله تعالى وان كانوا مقرين بالنبوة والرسالة لا طلاق قوله في موضع اخر ما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته ومنها ان النكرة في سياق النفي تعم والا لم تكن قوله من انزل مبطلا لقوله ما انزل الله على بشر من شيء ومنها ان التفضي يقدح في صحة الكلام والا لم يكن في قوله من انزل معجز ويعلم منه ان قول من يقول ابداء الفارق بين الصورتين يمنع من كون التفضي مبطلا ضعيف والا بطلت حجة الله تعالى في هذه الآية فان لليهود ان يقولوا معجزات موسى كانت اظهر وابهر من معجزاتك فلا يلزم بنوتك ومنها ان الغزالي رحمه الله تكلف في تحصيل الآية ورجع الى ان موسى انزل الله عليه شيئا واحدا من البشر ما انزل الله عليه شيئا فينتج من الشكل الثاني ان موسى ما كان من البشر وهذا خلف محال وليس هذا الاستحالة بحسب شكل القياس لا بحسب صحة المقدمة الاولى فلم يبق الا انه لزم من فرض صحة المقدمة الثانية وهي قولهم ما انزل الله على بشر من شيء فوجب القول بكونها كاذبة فثبت ان دلالة هذه الآية على المطلوب انما تصح عند الاعتراف بصحة شكل الثاني وعند الاعتراف بصحة قياس الخلف ثم انه سبحانه وصف كتاب موسى بكونه نورا وهدى للناس والعطف يقتضي المغايرة فالمراد بالنور ظهوره في نفسه وبالهدى كونه سببا للظهور غيره كقوله في وصف القرآن ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا قال ابو علي الفارسي تجعلونه قراطيس اي تديرونه اياها فان قبل اذا كان جميع الكتب كذلك فلم ذكر في معرض الذم قلنا لانهم جعلوه قراطيس معرفة مبعضة ليتوسلوا بذلك الى ابداء بعض واخفاء بعض نافيه نعت محمد صلى الله عليه وآله وما وشي من الاحكام الى الاتوافق هواهم كالرجم وغيره وعلم ايتها اليهود على لسان محمد صلى الله عليه وآله ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم الا تدرسون الذين كانوا اعلم منكم ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون وقيل كانوا يقرؤن الآيات المشتملة على نعت محمد صلى الله عليه وآله كما كانوا يفقهون معانيها الى ان بعث الله محمدا فظهر ان المراد منها هو البشارة بمقدمه وقيل الخطاب لمن امن من قريش كقوله لتنذر قوما ما انذر اباؤهم قل الله اي انزله فانهم لا يقدرون على ان ينكروا ذلك فان العقل

التسليم والطبع المستقيم يشهد بان الكتاب الموصوف لهذا قول صاحبه بالمعجزات الباهرة لا يكون الا من الله سبحانه ونظيره قال الله شئ اكبر شهادة قال الله والمقصود انه بلغت هذه الدلالة الى حيث يجب على كل عاقل ان يعترف بها فسواء اقر الخصم بها او لم يقر فالغرض حاصل ثم ذرهم في خوضهم يلعبون يقال لمن كان في عمل لا يجدي عليه انما انت لاعب يلعبون حال من ذرهم او من خوضهم ويحتمل ان يكون في خوضهم حالا من يلعبون وان يكون صلة له او لذرهم والمعنى انك اذا قمت الحجة عليهم وبلغت في الاعذار والانذار هذا المبلغ العظيم فقد قضيت ما عليك كقوله ان عليك الا البلاغ فقيل انها منسوخة بآية السيف فيه نظر لانه مذكور لاجل التهديد فلم يكن نزول آية القتال رافعا لشئ من هذا لان هذا انما ذكر حال التوبيخ اعقب بذكر القرآن فقال وهذا كتاب انزلناه وفائدة هذا الوصف انه كان من الممكن ان يظن ان محمدا مخصوص من الله بعلوم كثيرة يتمكن بسببها من تركيب القرآن على هذا النسق من الفصاحة فنفى ذلك الوهم وبين ان الله هو الذي تولى انزاله بالوحي على لسان جبريل ثم مبارك كثير خيره دائم نفعه باعث على الخيرات زاجر عن المكروهات لما فيه من اصول العلوم النظرية والعملية وقد جرت سنة الله تعالى بان الباحث عنه والمتمسك به يفوز بخيري الدنيا وسعادة في الاخرة وقد جرب فوجد كذلك مصدق الذي بين يديه اي موافق لما قبله من الكتب الالهية اما في الاصول فلانه يمتنع وقوع التفاوت فيه بحسب الاين منه واما في الفروع فلانها مشتملة على التبشير بمقدم محمد صلى الله عليه وآله وبحصل منه ان التكاليف الموجودة فيها انما تبقى الى وقت ظهوره ثم يصير منسوخة ولتنذر معطوف على محذوف من قرائن الخطاب فظاهر ومن قرأ على الغيبة فلانه اسند الانذار الى الكتاب مجازا لانه سبب الانذار انما انذر به الوحي وهو معطوف على ما دل عليه سابق الاية كانه قيل انزلناه للبركة وتصديق ما تقدمه من الكتب وللانذار قال ابن عباس سميت مكة ام القرى لان الارض دحيت من تحتها وقال ابو بكر الاصم لانها قبلة اهل الدنيا فصارت هي كالاصل وسائر البلاد تبعا وايضا الناس مجتمعون اليها للحج والتجارة كما يجتمع الاولاد الى الام وقيل لان الكعبة اول بيت وضع للناس وقيل ان مكة اول بلدة في الارض ولا بد من تقدير مضاف محذوف اي اهل ام القرى ومن حولها قيل المراد اهل جزيرة العرب فاستدل به من ذهب بذلك على انه مبعوث الى العرب فقط واجيب بان تخصيص هذه المواضع بالذكر لا يدل على نفي ما عداها لا سيما وقد ثبت بالتواتر انه كان يدعو الى انه رسول الى العالمين ويحتمل ان يقال ما حولها مكة بتناول جميع البلاد قلت ويؤيده قوله يؤمنون بالاخرة يؤمنون اي بهذا الكتاب لان اصل الدين خوف العاقبة فمن خافها لم يزل به الخوف حتى يؤمن وليس لاحد من الانبياء مبالغة في تقرير قاعدة البعث والقيامة مثل محمد صلى الله عليه وآله وفيه ان كفار مكة بعد منهم قبول هذا الدين لانهم كانوا لا يعتقدون البعث والحشر وهم على صلواتهم يحافظون يعني ان الايمان بالاخرة كما انه يحمل المكلف على الايمان بالنبي والكتاب كذلك يحمله على محافظة الصلوات وخص الصلوة بالذكر لانها عماد الدين وسنام الطاعات كما ان المحافظة عليها ان يأتي باخواتها كلها ويجتنب المنكرات باسرها ثم ذكر ما يدل على وعيد من ادعى النبوة وانزل الكتاب عليه فريتهم افتراءهم فقال ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا قال المفسرون نزلت في الكذابين مسيلمة الحنفي والاسود العنسي عن النبي ﷺ رايت فيما يرى النائم كان في يدي سوارين من ذهب كبرا علي واهماني فاوحى الله الي ان انفخهما فنفختهما فطارا عني فاولتهما الكذابين اللذين انا بينهما كذاب اليمامة مسيلمة وكذاب صنعاء الاسود العنسي او قال اوحي الي وقيل يوحى اليه شئ كان مسيلمة يقول محمد صلى الله عليه وآله رسول الله في بني قريش وانا رسول الله في بني حنيفة واعلم ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فكل من تسبب الى الله تعالى ما هو بريء منه اما في الذات واما في الصفات واما في الافعال كان داخلا تحت هذا الوعيد ومن قال سانزل مثل ما انزل الله قال المفسرون هو النضر بن الحرث كان يدعي معارضة القرآن وهو قوله لو نشاء لقلنا مثل هذا وروي ايضا ان عبد الله بن سعد بن ابي سرح القرشي كان يكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وآله وكان اذا املى عليه سميعا عليما كتب هو عليما حكيما واذا قال عليما حكيما كتب غفورا رحيما فلما نزل ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين املاه الرسول صلى الله عليه وآله فلما وصل الى قوله انشاناه خلقا اخر عجب عبد الله من تفصيل خلق الانسان فقال تبارك الله احسن الخالقين فقال النبي ﷺ اكتبها فكذلك نزلت فشك عبد الله وقال ولئن كان محمد صادقا لقد اوحي اليه كما اوحي اليه وان كان كاذبا لقد قلت كما قال فارتد عن الاسلام ولحق بمكة فلما دخل رسول الله ﷺ مكة فر الى عثمان وكان اخاه من الرضاعة فغيبه عنده حتى اطمان اهل مكة ثم اتى به رسول الله ﷺ فاستامنه له ثم فصل ما اجمل من الوعيد فقال ولو ترى الاية وجواب لو محذوف اي لرايت امرا عظيما اذ الظالمون يعني الذين ذكرهم من اليهود والمشتركة فاللام للعهد ويحتمل ان يكون للجنس فيندرج هؤلاء فيهم وغمرات الموت شدائده وسكراته واصل الغمرة ما يغمر من الماء فاستعيرت للشدة الغالبة والملائكة باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم قيل انه لا قدرة لهم على اخراج ارواحهم من اجسامهم فما الفائدة في هذا الخطاب واجيب بوجوه منها ان المراد ولو ترى الظالمين اذا صاروا الى غمرات الموت في الاخرة اذ دخلوا جهنم وغمرات الموت عبارة عما يصيبهم هناك من انواع العقاب والتعذيب بانات والملائكة باسطوا ايديهم بالعذاب تكلموا بما يقولون لهم اخرجوا انفسكم من هذا العذاب الشديد ان قدرتم ومنها ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت عند نزول الموت بهم في الدنيا والملائكة باسطوا ايديهم لقبض ارواحهم يقولون لهم اخرجوا انفسكم من هذه الشدائد وخلصوها من هذه الافات والالام ومنها هاتوا ارواحكم اخرجوها الينا من اجسادكم وهذه عبارة عن العنف والتشديد في ازهاق الروح من غير تنفيس وامهال وانهم يفعلون بهم فعل الغريم الملازم الملح يبسط يده الى من عليه الحق ويقول اخرج الي مالي عليك ولا ارحمك حتى انزعه من احداقك ومنها انه ليس بامر وانما هو وعيد وتقريع كقول القائل امض الان فترى ما يحل بك والتحقيق ان نفس الموت من حال النزع يبسط في الخروج الى الفاء مرتبة ونفس الكافر يكره ذلك ويشق عليها الخروج وقطع التعلق لانها

تشير الى العذاب والى الاشارة فى الحديث من احب لقاء الله لقاءه الله ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه فهؤلاء الكفار بكرههم الملائكة على نزع الروح وعلى
فراق المالوف فى الابتداء دلالة على ان النفس الانسانية شيء غير هذا الهيكل المحسوس لان المخرج يجب ان يكون مغايرا للمخرج منه اليوم يريد به زمان وقت الاماتة
او الوقت الممتد الذى يلحقهم فيه العذاب بعد النزع والقيامة تجزون عذاب الهون كقولك رجل سوء بالاضافة لان العقاب شرطه ان يكون مقرونا بالاهانة كما ان الثواب شرطه ان يكون منفعة مقرونة بالتعظيم والتركيب يدور على قلة المبالاة بالشيء ومنه الهون بالفتح السكينة والوقار وهان
عليه الشيء اذا استخف به والاسم الهون بالضم والهوان والهانة والحاصل انه جمع لهم بين الامرين الايلام والاهانة بما كنتم تقولون على الله
غير الحق وعن اياته تستكبرون بعني ان هذا العذاب الشديد انما حصل لمجموع الامرين الافتراء على الله والتكبر على اتباع الله وهو عدم الايمان
فما قال الواحدي وكنتم عن اياته تستكبرون اى لا تصلون له لقوله ممن يسجد لله بعده واحدة بينه صادقة فقد برئ من الكبر ولقد جئتمونا يحتمل ان
يكون معطوفا على قول الملائكة اخرجوا انفسكم اليوم تجزون ثم الملائكة اما الملائكة الموكلون بقبض ارواحهم واما الملائكة الموكلون بعذابهم
ويحتمل ان يكون القائل هو الله تعالى ان جوزنا انه تكلم مع الكفار فرادى جمع بنون ولا بنون واحده قبل فرد على غير قياس وقيل فردان كسكارى وسكرى
قاله ابو قتيبة وقيل فرد كرديف وردافى وهم الحداة والاعوان لانه اذا اتى احدهم خلفه الاخر كما خلفنا كم اى على الهيئة التى ولدتم عليها فى الانفراد
او مجيئا مثل خلقنا كم اول مرة والمراد التوبيخ والتقريع لانهم بذلوا جهدهم وصرفوا كدهم فى الدنيا الى تحصيل امرين احدهما المال والجاه والثانى
انهم عبدوا الاصنام وجعلوها شركاء لله فيهم فغلبوا الفضة وتركوا الحقيقة وذلك ان النفس الانسانية انما تتعلق بالجسد ليكون البدن آلة
لها فى اكتساب المعارف الحقة والاخلاق الفاضلة فاذا فارقت البدن ولم يحصل له هذان المطلبان عظم خسرانها وطال حرمانها فاستحق التوبيخ
بقوله ولقد جئتمونا فرادى اى منفردين عما يجب الاعمال والعقايد ثم انها مع ذلك لكسبت شيأ قد تعلق الرجاء بها لانها فنى العمر فى تحصيلها
وانها ليست مما يبقى معها فالاجرم استحق التقريع لقوله وتركتم ما خولناكم اى اعطيناكم وتفضلنا به عليكم وراء ظهوركم يعنى انها كالشيء الذى
يبقى وراء ظهر الانسان فلن يمكنه الانتفاع به وربما بقى معوجا على الارض بسبب لنفاسته اليها وما نرى معكم شفعاءكم اى ليشفعوا معكم حتى تنالوا وليس معكم
بالشفاعة والنصرة كما زعمتم بدليل قوله لقد تقطع بينكم الا من قرأ بالنصب على الظرف فمعناه وقع التقطع بينكم كقوله وتقطعت بهم الاسباب
بقى جمع بين الشيئين اى وقع الجمع بينهما على اسناد الفعل الى مصدره وقيل المراد لقد تقطع وصلكم بينكم كقولهم اذا كان ضد فانتفى اى اذا
كان الرجاء والبلاء غدا فانتفى فاضمر له لدلالة الحال ومن قرأ بالرفع فلانه اسند الفعل الى الظرف اتساعا كما يقول قتل خلفكم واما مكم او ان
المراد بالبين الوصل وانما حسن استعماله فى معنى الوصلة مع ان اصله الافتراق والتباين لانه يستعمل فى الشيئين اللذين بينهما مشاركة مواصلة من بعض
الوجوه كقولهم بينى وبينه مشاركة وبينى وبينه رحم والمعنى لقد تقطع وصلكم قلت ويحتمل ان يكون البين بمعنى الافتراق ويفيد المبالغة كقولهم جد
جده فاذن العائل من يكسب الى اليوم المعاد حتى لا يوبخ بقوله ولقد جئتمونا فرادى ويصرف المال فى وجوه التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله
حتى لا يخاطب بقوله وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم بل يكون من زمرة وما تنفقوا لانفسكم من خير تجدوه عند الله كيلا يطول حسرتهم يوم يقطع
بين النفس والجسد وصله ثم انه سبحانه لما فرغ من تقرير التوحيد والنبوة والمعاد عاد الى ذكر الدلائل الدالة على وجود الصانع وكمال قدرته لتعلم
ان حاصل المباحث العقلية والنقلية انما هو معرفة ذات الله وصفاته وافعاله فقال ان الله فالق الحب والنوى اى بالنبات والشجر وعن مجاهد اراد الشق
اللذين فى الحنطة والنواة والفلق هو الشق وعن ابن عباس والضحاك الفلق هو الخلق ووجهه ان العقل يتصور من العدم ظلمة متصلة لا انفراج فيها
ولا انشقاق فاخراج الشيء من العدم الى الوجود شق لذلك العدم فلق بحسب التخيل والتعقل واعلم انا اذا وضعنا الحبة والنواة فى الارض الرطبة ثم
مر بها قدر من المدة اظهر الله فى اعلاها شقا وفى اسفلها شقا اما العالى فيخرج منه الشجرة الصاعدة الى الهواء واما السافل فانه يخرج منها الشجرة الهابطة
فى الارض وهى المسماة بعرق الشجرة وههنا عجائب منها ان طبيعة الشجرة ان كانت تقتضى الهبوط فى الارض فكيف تولدت منها الشجرة الصاعدة الى الهواء
وبالعكس فانصال الشجرتين على التبادل ليس بمقتضى الطبع والخاصية بل بمقتضى ارادة الموجد المختار ومنها ان باطن الارض جسم صلب كثيف لا ينفذ فيه
المسلة ولا السكين ثم انا نشاهد اطراف تلك العروق مع غاية نعومتها تقوى على النفوذ والغوص فى جرم الارض فحصول هذه القوة الشديدة للجرم
الضعيف ليس الا بتقدير العزيز العليم ومنها انه يتولد من النواة شجرة ويحصل من الشجرة اغصان واوراق وازهار وثمار وللثمر قشر اعلى وقشر اسفل
وفيه اللب فى اللب الدهن الذى هو المقصود الاصلى فتولد هذه الاجرام المختلفة الطبايع هذه الصفات والالوان هذه الطعوم هذه الاشكال مع ان فاعل
تاثيرات النجوم والطبايع فى المادة الواحدة يدل على وجود الفاعل المختار ومنها ان نجد الطبايع الاربع حاصلة فى الفاكهة الواحدة فالاترج قشره
حار يابس ولحمه بارد رطب وحماضه بارد يابس وبزره حار يابس وكذلك العنب قشره ولحمه بارد يابس وماؤه ولحمه حار رطب ومنها انك تجد احوال الفواكه
مختلفة فبعضها يكون لبه فى الداخل وقشره فى الخارج كالجوز واللوز وبعضها يكون فاكهته المطلوبة فى الخارج والخشبة فى الداخل كالخوخ والمشمش
وبعضها يكون نواها جبا كالخوخ وقد لا يكون كالتمر وبعض الفواكه يتكون مطلوبا كاللبن فهذه الاحوال المختلفة والاشكال المتخالفة تتضمن حكما
وفوايد لا يعلمها الا الله ومنها انك اذا اخذت وردة واحدة من اوراق الشجرة وجدت فى وسطها خطا واحدا مستقيما يشبه الخياع فى بدن الانسان
ولا يزال يشتد حتى يخرج عن ادراك الحس ثم ينفصل عن ذلك الخط خطوط دقاق اصغر من الاول فكانه سبحانه اوجد ذلك الخط ليقوم به الجاذبة المذكورة فى

جرم تلك النور قد على جانب الارض اللطيفة الارضية تلك الجداول الضيقة فاذا وقفت على عناية الخالق بايجاد تلك النور قد الواحد علمت ان عنايته
في ايجاد جملة تلك الشجرة اكثر وعلمت عنايته بتخليق الحيوان الذي خلق النبات لاجله يكون اكمل وكذا عنايته بحال الانسان الذي خلق لاجله النبات و
الحيوان ويصير ذلك مرقاة لك الى وجود الصانع الحكيم القدير ثم بين كونه فالق الحب والنوى بقوله يخرج الحي من الميت لان فالق الحب والنوى بالنبات
والشجر الناميين من جنس اخراج الحي من الميت لان النامي في حكم الحيوان ولهذا قال يحيي الارض بعد موتها ثم عطف على قوله فالق الحب قوله ومخرج
الميت من الحي قال ابن عباس رضي الله عنهما من النطفة تخرج من البشر الحي ونطفة البشر تخرج من البهيمة وجاجة ومن الدجاجة بيضا ويخرج المؤمن من الكافر
كما في حق ابويهم والكافر من المؤمن كنوح وابنه او المطيع من العاصي والعاصي من المطيع او العالم من الجاهل والجاهل من العالم بل الكامل من الناقص
والناقص من الكامل وقد يجعل الصالح طالحا والعكس يحكى ان انسانا سقى الاتون في الشراب ليموت فلما شاهد ظن القوم انهم سيموتون فرفعوه و
جعلوه وبين مظلم فلذ عنه جنه وصاح تلك اللذعة لقوة حرارة سم الحية سببا لدفع ضرر برد الاتون ونقل عن عبد القاهر الجرجاني رحمه الله ان قوله
ومخرج الميت معطوف على قوله يخرج وانما حسن عطف الاسم على الفعل ههنا لان لفظ الفعل يدل على اعتناء الفاعل بذكر الفعل في كل وقت
بخلاف لفظ الاسم ولهذا قال هل من خالق غير الله يرزقكم ليفيد انه يرزقهم حالا فحالا وساعة فساعة اذا ثبت هذا فنقول الحي اشرف من
الميت فاذكره بلفظ الفعل فيدل على ان الاعتناء باخراج الحي من الميت اكثر من العكس ولكم الله المدبر الخالق النافع القنا الحي الميت فالق لو تكون
فكيف تصرفون عن عبادته الى عبادة غيره ام كيف تبعدون البعث والنشور لان الاعادة اهون من الابداء ثم عدل عن الاحوال الارضية الى الاستدلال
بما فوقها وهي الاحوال الفلكية فقال فالق الاصباح وهو مصدر سمي به الصبح والمراد فالق ظلمة الاصباح وهو الغبش في اخر الليل وكان الافق كان بحرا
مملوا من الظلمة ثم انه سبحانه شق ذلك البحر المظلم بان اجرى فيه جدولا من النور فالق الحب فالق ظلمة الاصباح عن بياض الاصباح وحسن الحذف للعلم به والمراد
فالق الاصباح عن اباضاح النهار واصفاره ومنه قولهم انشق عمود الفجر وانصدع الفجر والمراد مظهر الاصباح بواسطة فالق الظلمة فذكر السبب واراد المسبب
او الفالق بمعنى الخالق كما مر وقد سلف لنا نقل عن الصحاح في البقرة في تفسير قوله عز من قائل ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار ثم
ان كون الصبح بسبب وقوع ضوء الشمس على ضلع مخروط ظل الارض بحسب ابتداء الشروق لا ينافي كون الله سبحانه فالق الاصباح بالحقيقة كما ان وجود
النهار بسبب طلوع جرم الشمس عن الافق لا ينافي ذلك والامام فخر الدين الرازي اراد ان يبين ان ذلك بقدرة الفاعل المختار فنفى كونه
بسبب ضوء الشمس بحجج اخترعها من عنده وكلها خلاف المعقول والمنقول من علم الرياضة فلذلك اسقطناها عن درجة الاعتبار والنوع الثاني
من الدلائل الفلكية الدالة على التوحيد قوله وجاعل الليل سكنا احد من قرأ باسم فاعل ان المعطوف عليه اسم فاعل ومن قرأ بصيغة الفعل
ان قوله بعد ذلك والشمس والقمر منصوبا ولا بد من عامل وما ذلك الا ان يقدر جاعل بمعنى جعل والسكن ما يسكن اليه الرجل ويطمئن اليه من
زوج او جليس منه قيل للنار سكن كما سموها المونسة لانها تؤنس بها والليل يطمئن اليه التعب بالنهار كالاستراحة فيه وجمامه ويحتمل ان يراد وجعل
الليل مسكونا فيه فالليل والنهار من خواص مصالح هذا العالم فهما نعمتان من الله نعم وبهان على احد فذكر قدرته النوع الثالث قوله والشمس
والقمر حسبانا اي سببي حساب لان حساب الاوقات يعلم بسيرهما ودورهما والحسبان بالضم مصدر حسب بالفتح كالان الحسبان بالكسر مصدر حسب بالكسر
وقيل تقديرا جمع حسبانة مثل شهاب وشهبان فان في الكتاب الشمس والقمر قرئا بالحركات الثلاث فالنصب على اضمار تولى عليه جاعل الليل او بعطفان على محل
الليل لان اسم الفاعل اريد ههنا الاستمرار كما تقول الله عالم قادر فلا ينفصل زمانا دون زمان فتكون الاضافة غير حقيقية ويكون لليل محل
قلت هذا مناقض لما ذكره في مالك يوم الدين من ان يجوز ان يراد به زمان مستمر حتى يكون الاضافة حقيقية ويصح وقوعه صفة للمعرفة واما وجه الجر
فظاهر ووجه الرفع كونهما مبتدأين محذوف الخبر اي والشمس والقمر محسوبان حسبانا وذلك تقدير العزيز الذي قهرهما العليم
الذي دبرهما وذلك ان تقدير اجرام الافلاك بصفاتها المخصوصة وهيئاتها المحدودة واوضاعها المعينة لا يتم الا بتقدير وشامل لجميع الممكنات وعلم
نافذ في الكليات والجزئيات النوع الرابع قوله وهو الذي جعل لكم النجوم عد ههنا من منافع النجوم كونها سببا للاهتداء الى الطرق والمسالك
في ظلمات البر والبحر حيث لا يرون شمسا ولا قمرا والتقدير في ظلمات الليل بالبر والبحر فاضافها اليهما لملابستها لهما وقيل المراد ظلمات الغيطل وبحر
التشبيه فان اختصاص كل من هذه الكواكب بحال وصفة اخرى مع تشاركها في الجنسية دليل ظاهر على مختار قادر وايضا اتصافها بالاعضاء و
الابعاض المحدودة الاحياز مع انها لا تصلح للالهية بالاتفاق دليل على تنزيه الله سبحانه من هذه السمات ولهذا قال قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون
فيستدلون بالمحسوس على المعقول وينتقلون من الشاهد الغائب ثم عدل عن الايات الافاقية الى ايات الانفس فقال وهو الذي انشأكم اي
خلقكم بطريق النشوء والنماء من نفس واحدة هي ادم وحواء المخلوقة من ضلع من اضلاعه وكذا عيسى لانه من مريم وان كان بتوسط كلمة كن او بالنفخ و
هي من ام فمستقر من قرأ بكسر القاف فالتقدير ومنكم مستقر ومنكم مستودع والاول اسم فاعل والثاني اسم مفعول ومن قرأ بفتح القاف فالتقدير
فلكم مستقر ولكم مستودع فيكون كلاهما اسم مكان او مصدرا وذلك ان استقرار ما لا يجيء منه المفعول به بلا واسطة فينبغي تفسير مستودع انهم بما
يشاكله استحسانا عن ابن عباس ان المستودع الصلب والمستقر الرحم لقوله ونقر في الارحام ما نشاء ولان اللفظ الرحم اكثر فيكون لفظ القرار بذلك
اليق بخلاف المستودع فانه في معرض الاستيداع ساعة فساعة وهذا شان المرئي في الاصلاب فانه يصدر الاراقة في كل حين وادا ان نقبل المستقر على

الانعام

الاب المستودع الرحم لان النطفة قد حصلت في صلب الاب اولا واستقر هناك ثم حصلت في الرحم على سبيل الوديعة وكان هذا الترتيب ثابتا فيما بينهم المستقر على المستودع وعن الحسن المستقر حالة بعد الموت لان سعادته وشقاوته تبقى وتستقر على حاله واحدة والمستودع حالة قبل الموت لان الكافر قد ينقلب مؤمنا والفاسق صالحا او الوديعة على شرف الزوال والذهاب وقال الاصم المستقر الذي خلق من النفس الاولى وصل الى الوجود والمستودع الذي يخلق بعد وسيخلق وعنه ايضا المستقر من في قرار الدنيا والمستودع من في ظهر الدنيا والمستودع من في القبور الى يوم البعث وعن قتادة بالعكس وابو مسلم الاصفهاني المستقر الذكور لان النطفة انما تستقر في صلب المستودع الانثى لانها تستودع النطفة وحاصل الكلام ان الانسان خلق من نفس واحدة ثم انه يتقلب في الاطوار ويتردد في الاحوال وليس هذا بمقتضى الطبع والخاصية والانسان في الكل الى الاخلاق والامر جنبه فلذلك اذن بتدبير فاعل قدير مختار وخبير وبهذا قال قد فصلنا الآيات ميزنا بعضها عن بعض لقوم يفقهون لان الفائدة تعود اليهم وكان لا شاعاما ولان الآيات الانفس اقرب الى الاعتبار واهون لدى الاستبصار ختم الآية بالعلم وخصص خاتم الآية الاولى بالعلم لعلم ان الغافل عن هذه لا فطنة له ولا ذكاء اصلا فضلا عن العلم ثم عدد ما كونه نعمة ايجاد فيه من كونه انبات فقال وهو الذي انزل من السماء ماء قبل انه من جانب السماء وقيل من السحاب لان العرب تسمي كل ما فوقك سماء كسماء البيت وقال اكثر اهل الظاهر اراد من السماء نفسها لانه تعالى فاعل مختار قادر على خلق الاجسام كيف شاء واراد ونحن قد حكينا في اول سورة البقرة مذهب الحكماء في هذا الباب والله تعالى اعلم قال ابن عباس يريد بالماء ههنا المطر لانه لا تنزل قطرة من السماء الا ومعها ملك والفلاسفة يحملون ذلك على الطبيعة الحالة فيها الموجبة للنزول الى مركزها فاخرجنا به اي بواسطة ذلك الماء وذلك بوجب الطبع والمتكلمون ينكرون هذه البيانات كل شيء قال الفراء اي بنبات كل شيء له بيان فيختص بكل صنف من اصناف النامي ويخرج ما عداذلك وفي الآية قولان الاول من الحكاية الى الغيبة ثم يقول نحن الذي انزلنا والثاني من الغيبة الى الحكاية وان شئت قلت ان نقل الكلام من اسلوب الى اسلوب باب من ابواب البلاغة وصيغة الجمع لاجل التعظيم كما هو دأب الملوك ثم لما بين ان السبب هو الماء الواحد والمسبب اصناف كثيرة فصل ذلك بعض التفصيل حسبما ذكرنا في قوله ان الله فالق الحب والنوى فقال فاخرجنا منه اي من النبات خضرا هو الطري وهو ما اشعب اصل النبات الخارج من الحبة تخرج منه اي من ذلك الخضر حبا متراكبا بعضه على بعض قال ابن عباس يريد الفرع الشعير والسلت والذرة فصار ذلك هو الغوالاخضر يكون السنبلة داكبة عليه من فوقه والحبات متراكبة وفوق السنبلة اجسام دقيقة حادة كالابر والمقصود من تخليقها ان تمنع الطيور من التقاط تلك الحبات المتراكبة ولما ذكر ما نبت من الحب بعد ذكر ما نبت من النوى فقال من النخل وهو خبر مقدم قوله من طلعها بدل منه كانه قيل ومن حاصلة من طلع النخل قنوان او الخبر محذوف لدلالة اخرجنا عليه والتقدير ومخرج من طلع النخل قنوان وهو جمع قنو كصنو وصنوان والقنو العذق وهو من التمر بمنزلة العنقود من العنب الطلع اول ما يبدو من غدق النخلة قال ابن عباس يريد العراجين التي قد تدلت من الطلع دانية من تحتها وعنه ايضا انه اراد غدوق النخلة اللاصقة بالارض قال الزجاج ولم يقل منها قنوان بعيدة لان احد القسمين يغني عن الاخر كما قال سرابيل تقيكم الحر ويحتمل ان يقال ان البعيدة لان التعذق في القريبة اكمل واتم وقيل اراد بكونها دانية انها سهلة المجتنى معرضة للقاطف كالشيء الذي من القريب المتناول وان النخلة وان كانت صغيرة يتناولها القاعد فانها تالى بالنمرة تنتظر الطول وجنات من اعناب بالنصب عطفا على خضرا اي واخرجنا به جنات من اعناب من قرأ بالرفع فعلى انها مبتدأ محذوف الخبر اي وثم جنات من اعناب او وجنات من اعناب مخرجة ولا يجوز ان يكون عطفا على قنوان وان جوز في الكشاف اذ يصير المعنى حاصلا او مخرجا من النخلة من طلعها جنات حصلت من اعنابا فاقوله والزيتون والرمان بالنصب فللعطف على منصوبات قبلها او للاختصاص لفضل هذين الصنفين قال الفراء اراد شجر الزيتون وشجر الرمان فحذف المضاف واعلم انه سبحانه انما قدم الزرع على الاشجار فواكه والغذاء مقدم على الفواكه ثم قدم النخل على سائر الفواكه لان النمر يقوم مقام الغذاء ولاسيما للعرب ومن فضائلها ان الحكماء يقولون ان بينه وبين الحيوان مشابهات كثيرة ولهذا قال صلى الله عليه وآله اكرموا عمتكم النخلة فانها خلقت من بقية طينة آدم ثم ذكر العنب عقيب النخل لانه اشرف انواع الفواكه وانه ينتفع به من اول ظهوره الى اخر حاله فاوله خيوط دقيقة حامضة الطعم لذيذة وقد يكون اتخاذ الطبائخ منه ثم يظهر الحصرم وهو طعام شريف للاصحاء وللمرضى من اصحاب الصفراء ثم يتم العنب فيؤكل كما هو ويدخر ويتخذ منه الزبيب للادوية والخمر والخل ومنافع كثيرة لا تخفى الا ان الخمر حرمها الشرع لاسكارها واخص ما في العنب عجمه والاطباء يتخذون منه جوارشنات نافعة للمعدة الضعيفة الرطبة ويتلو العنب في المنفعة الزيتون لانه يكون تناوله كما هو ويفصل منه الزيت الذي يعظم غناؤه واما الرمان فحالة عجيبة جدا لانه فشر وفجم وحامض والثالثة الاول بارد يابسة ارضية كيفية قابضة واما ماء الرمان فبالضد من هذه الصفات وانه الذ الاشربة والطفها واقربها الى الاعتدال واشدها مناسبة للطباع المعتدلة وفيه تقوية للمزاج الضعيف وهو غذاء من وجه ودواء من وجه وكانه سبحانه جمع فيه بين المتضادين فيكون دلالة القدرة والحكمة فيه اكمل وانواع البنات اكثر من ان يحيط بها المجادلات فاكتفى بذكر هذه الانواع الخمسة تنبيها على البواقي واما قوله مشتبها وغير متشابه ففي تفسيره وجوه الاول ان هذه الفواكه يكون متشابها في اللون والشكل مع انها يكون مختلفة في الطعم واللذة فان الاعناب والرمان قد يكون متشابها في الصورة واللون والشكل ثم انها يكون مختلفة في الحلاوة والحموضة وبالعكس الثاني ان اكثر الفواكه يكون ما فيها من القشر والعجم متشابها في الطعم والخاصية واما ما فيها من اللحم الرطوبة فانها تكون مختلفة ومنهم من يقول الاشجار متشابهة والثمار مختلفة ومنهم من قال بعض حبات العنقود متشابهة وذلك انك قد تاخذ العنقود من العنب فترى جميع حباته مدركة نضيجة حلوة طيبة الاحبات محصوصة فانها يتبين على اول حالها من الحضرة والحموضة

لانه جاء ونبات الارض ولانه جاء ومن اعناب

وتسميها غير متشابهة

والعضوصة ومعنى اشتبه وتشابه واحد بقي اشتبه الشبتان وتشابها كقولك استوبا وتشابا وانما قال متشبها ولم يقل مشتبهين اما اكتفاء بوصف احدهما او على تقدير والزيتون متشبها وغير متشابه والرمان ايضا كذلك كقوله رطبا بأمر كنت منه قريبا ومن اجل الطوى رماني المقدر انظروا الى ثمره من قرأ بضمتين فلانه جمع ثمرة مثل بقر وبقرة وشجر وشجرة ومن قرأ بضمتين فعلى انه جمع ثمرة ايضا مثل خشبة وخشب قال تعالى كانهم خشب مسندة او على ان ثمرة جمعت على ثمار ثم جمع ثمار على ثمر اذا اخرج ثمره وينعه بقي ينعت الثمرة ينعا وينعا بالضم والضم اذا ادرك ونضج امر بالنظر في حال ثمر كل شجر اول احد وتهاونه اخرجا لها فانها قد تكون موصوفة بالخضرة والحموضة ثم تتغير الى السواد والحلاوة وربما كانت اولا لامرة باردة بحسب الطبيعة ثم يصير حامضة الطعم وقد يخرج ضئيلا لضعيف الابكار بنفع بر ثم يؤول الى كمال اللذة والمنفعة فحصول هذه الانتقالات والتغيرات لابد له من سبب مستقل في التأثير سوى الطبائع والفصول والافلاك والنجوم وماذاك الا السبب الاول ومبدع الكل ولهذا ختم الآية بقوله ان في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون قال القاضي المراد لمن يطلب الايمان بالله لانه لا يؤمن الا من آمن ولن لم يؤمن ويحتمل ان يؤتخص المؤمنين لانهم المنتفعون بذلك دون غيرهم او المراد ان هذه الدلالة على قوتها وظهورها انما تكون دلالة لمن سبق قضاء الله تعالى في حقه بالايمان والا فلا ينتفع به البتة ويكون من زمرة من قال في حقهم وجعلوا لله شركاء الجن قال الكلبي عن ابن عباس نزلت في الزنادقة قالوا ان الله تعالى وابليس اخوان فالله خالق الناس والدواب والانعام وابليس خالق الحيات والسباع والعقارب قال في التفسير الكبير هذا مذهب المجوس فانما قال ابن عباس هذا قول الزنادقة لان المجوس يقولون بالزنادقة لان الكتاب الذي في عهد زرادشت انزل عليه من عند الله يسمى بالزند والمنسوب اليه زندي ثم عرب فقيل زنديق ثم جمع فقيل زنادقة ثم انهم قالوا كل ما في هذا العالم من الخير فهو من يزدان وجميع ما فيه من الشر وغيره فهو من اهرمن وهو المسمى بابليس في شرعنا ثم اختلفوا فالاكثرون منهم على ان اهرمن محدث ثم اختلفوا في كيفية حدوثه اقوال عجيبة كقولهم انه تعالى فكر فيه ملكه نفسه استعظمها ففعل نوعا من العجب فولد الشيطان من ذلك العجب كقولهم شك في قدرة نفسه فتولد من شكه الشيطان والاقلون منهم قالوا انه قديم ازلي والحاصل انهم يقولون عسكر الله تعالى هم الملائكة وعسكر ابليس هم الشياطين والملائكة فيهم كثرة عظيمة وهم ارواح طاهرة مقدسة ثم ان الارواح البشرية الطاعات والشياطين فيهم ايضا كثرة عظيمة يلقون الوساوس الى الارواح البشرية والله تعالى مع عسكره يحاربون ابليس مع عسكره فلهذا السبب حكى الله تعالى عنهم انهم اتخذوا لله شركاء من الجن بلفظ الجمع ان كان شريكه عندهم بالحقيقة واحدا وهو اهرمن وانتصاب الجن على انه بدل او بيان للشركاء او على انه مفعول اول وشركاء ثانيه ويكون لله ظرفا لغوا وفائدة تقديم المفعول الثاني على هذا القول استعظام ان يتخذ لله شريك كائنا من كان ملكا او جنيا او انسيا ولذلك قدم اسم الله على الشركاء وقرئ الجن بالرفع كانه قيل من هم فقيل الجن وبالجر على الاضافة الى المتبين وقيل ان الاية نزلت في الكفار الذين جعلوا الملائكة بنات الله وحسن اطلاق الجن على الملائكة لاستتارهم عن العيون ومعنى كونها شركاء انها مدبرة لاحوال هذا العالم ومعنى لله اعانة الولد للوالد ونحن الحسن طائفة من المفسرين ان المراد ان الجن دعوا الكفار الى عبادة الاصنام والى القول بالشركة فاطاعوهم كما يطاع الله اما قوله وخلقهم فاشارة الى الدليل القاطع على ابطال الشرك والضمير فيه اما ان يعود الى الجن او الى الجاعلين فان عاد الى الجن فان قلنا ان الاية نزلت في المجوس فنقول ان الاكثرين منهم معترفون بان ابليس محدث ولو لم يعترفوا بذلك فالبرهان العقلي قائم على ان ما سوى الحق الواحد ممكن لذاته وكل ممكن لذاته فهو محدث فنقول ج كل محدث مخلوق ولله خالق وعاد الكلام الا الله سبحانه وح يلزمهم نقض قولهم لانه تثبت ان الله اخبر قد فعل اعظم الشرور وهو خلق ابليس الذي هو مادة كل شر وان قلنا انها في كفار العرب القائلين الملائكة بنات الله فظاهر لانهم يسلمون ان الملائكة مخلوقون وانهم قولهم ان الولد من الوالد وان عاد الضمير الى الجاعلين فالمعنى وعلموا ان الله خالقهم دون الجن كقوله ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله ويحتمل ان يكون من خرق الثوب اذا شقه اي شقوا له بنين وبنات اما قوله بغير علم فكالتنبيه على بطلان قولهم فان من عرف الاله حق معرفته استحال ان يثبت له ولدا لان ذلك الولد ان كان واجب الوجود لذاته كان مستقلا بنفسه فيما بذاته لا تعالى له في وجوده بالاخر تعالى الله عن ذلك وان كان ممكن الوجود لذاته كان موجودا بايجاد الواجب كان عبدا له لا ولدا وايضا الولد انما يحتاج اليه ليقوم مقام الوالد بعد فنائه ومن تقدس عن الفناء لم يحتج الى الولد وايضا الولد جزء من اجزاء الوالد فمن لم يكن مركبا استحال ان ينفصل منه جزء تولد منه الولد ثم نزه نفسه عما لا يليق به فقال سبحانه وهذا على لسان المسبحين وتعالى عما يصفون وهذا له في نفسه سواء سبح مسبحا ام لا والمراد بالتعالي العلو بالشرف والرفعة بدليل قوله عما يصفون الناطق وما قدروا الله حق قدره حين انكروا انزال الكتب والبعثة على انهم لو اعترفوا بذلك ايضا لم يعرفوه حق معرفته لان الخاطر لا يحيط بالمحيط نعم يزداد معرفته او صافه يجعلونه قرين ابليس اي في القرابة ابليس وما يجعلونه في قلوبكم بالخلق والخلائق وعلمتم بتعليم محمد صلى الله عليه وآله ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم كقوله وعلمكم الكتاب والحكمة وعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ومن الحكمة ما هو سر الذي

الانعام

يكون تعليمه بسر المتابعة سرا بسرّ وباخبار والذى علم النبى هو الله فى خلق باسوى الله وهذا قال قل الله مبارك على العوام بان يهديهم الى ربهم وعلى الخواص بان يهديهم الى ربهم وعلى خواص الخواص بان يوصلهم الى ربهم ويخلقهم باخلاقه وفى كتاب المحبوب شفا لما فى القلوب صدق الذى بين يديه لانه يصدق ويحقق جميع ما فى الكتب لتشذر ام القرى وهى الذرة المودعة فى القلب التى هى المخاطبة فى الميثاق وقد دحيت جميع ارض القلب تحتها ومن حولها عن الجوارح والاعضاء والسمع والبصر الفواد والصفات والاخلاق بان تنوروا بانواره وينتفعوا باسراره ويتخلقوا والذين يؤمنون بالاخرة فيستعملون الادوات والآلات فى امور الدنيا والاخرة لانى الدنيا الفانية وشهوات النفس وهواها يؤمنون بالقرآن وهم على صلوتهم بالتوفى من صفاتهم الى التخلق باخلاق القرآن بداومون ان الصلوة معراج المؤمن ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا باظهار المواجد والحالات ريا وسمعة من غير ان يكون له منها نصيب او قال اوحى الى الاشارات ولم يلهم نفسه شيئا منها ومن قال سنشدقا صنفهم فقا سانكلم بمثل كلام الله من الحقايق والاسرار فيظهر مضرة ظلمه وافترائه عند سكرات الموت وانقطاع تعلق الروح عن البدن واخراج النفس عن الغالب كره الذى تعلقها بالشهوات واللذات وطلب الرياسات ويكون شدة النزع والهوان بحسب التعلقات ولقد جئتمونا فرادى عن الدنيا وما يتعلق بها او فرادى عن تعلقات الكونين كما خلقناكم اول مرة فى اول خلقة الروح قبل تعلقه بالقالب تركتم بالتجريد عن الدنيا والاخرة فاخولنا كذا من تعلق الكونين وراء ظهوركم وفارقتم معكم الاعمال والاحوال التى ظننتم انها بوصلكم الى الله لقد تقطع بينكم وبينها عند انتهاء سيركم كما انتهى سير جبريل عند سدرة المنتهى وحرم لابصل الى الوحدة الا بجذبة من جذبات ربك ولو لم يدركه الجذبة المسندة الى العناية لانقطع عن السير فى الله بالله وفى الله وهو يقول وما منا الا له مقام معلوم ان الله فالق حبة القدرة التى اخذ منها الميثاق المودعة فى حبة القلب عن نبات المحبة وفالق النوى ذكر لا اله الا الله فى ارض القلب عن شجرة الايمان كلمة طيبة كشجرة طيبة تخرج بنبات المحبة التى هى من صفا الحى القيوم من القدرة والمشية الانسانية وتخرج الافعال الطيبة التى هى من صفات الكفار الموتى من المؤمن الحق فى الدارين وايضا يخرج نخل الايمان الحق من نوى الحروف المشتبهة كلمة لا اله الا الله ويخرج بستان التفاق من الكلمة المحمدية وهو لا اله الا الله فالق الاصباح فالق ظلمة الجاهلية بصباح العقل والخيوط والرشاد وفالق ظلمة الجهالة بصباح الفهم والادراك وفالق ظلمات العالم الحسى بتخليص النفس القدسية الى صحبة عالم الافلاك وفالق ظلمات الاشتغال بعالم المكان بصباح نور الاستغراق فى معرفة مدبر الحدثان والمبدعات وبالجملة فالق انوار الروح عن ظلمة ليل البشرية وجاعل ليل البشرية سترا عن ضياء شمس الروح ليسكن فيه النفس الحيوانية والاوصاف البشرية والشمس القمر حسبانا يعنى تجلى شمس الروحانية وطلوع قمر القلب بالحسبان لئلا يفسد امر القالب الغالب ايضا شمس الروحية وطلوع قمر الروحانية لليل البشرية بالحسبان لئلا يفسد امر الدين والدنيا على العبد بالتفريط والافراط فان افراط طلوع شمس المعارف والشهود انانا الحق وسبحانى وتفريطه انانا ربكم الاعلى وعبادة الهوى ذلك تقدير العزيز الذى لا يعتدى اليه الا به العليم بمن يستحق الاهتداء اليه وهو الذى جعل لكم نجوم انوار الغيوب فى سموات القلوب لتهتدوا بها فى ظلمات بر البشرية وبحر الروحانية الى عالم الربوبية وهو الذى انشاكم واحكم من روح واحد هو روح محمد صلى الله عليه اله اول ما خلق الله روحكم احشاكم من جسد آدم ابى البشر من الارواح ما تعلق بالاجساد واستقر وما هو بعد مستودع فى عالم الارواح وايضا من الارواح ما هو مستقر منه نور صفة الايمان وهو مستودع فيه جذبات الحق وهما ما هو مستقر فى انانيته مع علو رتبته بالبقاء وما هو مستودع فى بقاء البقاء عن الفناء قد فصلنا دلائل الوصول لقوم يفقهون اشارات القلوب وهو الذى انزل من سماء العناية ماء الهداية فاخرجنا به نبات كل شئ من انواع المعارف فاخرجنا منه خضرا نوترا من المعانى والاسرار يخرج به من الحقايق متراكبا بعضها بعضا فنرتب على بعض ومن النخل يعنى اصحاب الولايات من طلعها من ثمرات ولايتهم ما هو متدان للطالبين منهم من يكون مرتبها فينتفع بثمرات ولايته ومنهم من يختار العزلة والانقطاع عن المريدين وجنات من اعناب الزهد والتقوى والتقوى الذين لم يبلغوا رتبة الولاية من اعناب الاجتهاد وزيتون الاصول ورمان الفروع مشتبها اى يتفقا فى الاصول والفروع وغير متشابه اى مختلفا فانظروا الى ثمر الولايات كيف ينتفع به الخواص والعوام وبعبرة الكامل منها ان فى ذلكم لايات لقوم يؤمنون باحوالهم وينتفعون باقوالهم واحوالهم وجعلوا لله شركاء الجن اشارة الى انه كما يخرج بماء اللطف من ارض القلوب لارباب انواع الكمالات كذلك يخرج بماء القهر من ارض النفوس لاصحابها انواع الضلالات بديع السموات والارض انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شئ عليم ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شئ فاعبدوه وهو على كل شئ وكيل لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير قد جاءكم بصائر من ربكم فمن ابصر فلنفسه ومن عمى فعليها وما انا عليكم بحفيظ وكذلك نصرف الايات وليقولوا درست ولنبينه لقوم يعلمون اتبع ما اوحى اليك من ربك لا اله الا هو واعرض عن المشركين ولو شاء الله ما اشركوا وما جعلناك

الجزء السابع

عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ

برانها نگاهبان ومیستی تو برایشان کارگذار ودشنام مدهید انهارا که میخوانند از غیر خدارا پس دشنام دهند خدارا از روی دشمنی وبی دانشی همچنین

زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ

آراستیم ازبرای هر طائفه کردار ایشانرا پس بسوی پروردگار بازگشت انهاست پس خبر دهد انهارا بکردهاشان وسوگند یاد کردند بخدا غایت سوگندی که اگر بیاید بایشان

آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ

نشانی هر آینه بگروند بان بگو جز این نیست که نشانها نزد خداست وچه آگاه کرد شمارا که آن نشانها چون در رسد نگروند پس بگردانیم دلهای ایشان را وچشمهای ایشان را چنانچه نگرویدند بان بار اول بار دیگر وانگذاریم انهارا در زیادتی

القراءة ولم يكن بناء الغيبة فيه درست بناء التأنيث ابن عامر وسهل ويعقوب درست بناء الخطاب من المدارسة ابن كثير وابو عمرو والباقون بتاء الخطاب درست من الدرس عدوا على فعول بالضم يعقوب الباقون عدوا على فعل انها اذا جاءت بالكسر ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب وخلف وقتيبة بضم الباء وابو بكر وحماد الباقون بالفتح لا تؤمنون بناء الخطاب ابن عامر وحمزة الباقون على الغيبة الوقوف والابتداء صالحة كل شيء لاحتمال الواو والحال والاستيناف عليهم ربكم لاحتمال الجملة الاستيناف والحال والعامل معنى الاشارة الا هو لان قوله خالق بدل الضمير المستتر او بخبر مضمر محذوف فاعبدوه لاحتمال الواو والحال والاستيناف وكيل لا تدركه الابصار لاختلاف الجملتين مع ان الثانية من تمام المقصود بدرك الابصار لطيفا خبيرا الخبير من ربكم لابتداء الشرط مع فاء التعقيب فلنفسه لذلك مع الواو فعليها يحفظ يعلمون من ربك لاحتمال الجملة الحال والاستيناف على انها جملة معترضة الا هو للعطف مع العارض المشركين ما اشركوا حفيظا للابتداء بالنفي مع اتحاد المعنى بوكيل بغير علم يعلمون لا يؤمنون بها وما يشعركم لمن قرأ انها بالكسر الا فعلا لا يؤمنون يعمهون التفسير لما نبه اجمالا بقوله بغير علم على الدليل الدال على بطلان من عزق له بنين وبنات فصل ذلك بقوله بديع السموات والارض الآية والمراد هو بديع السموات ويجوز ان يكون بديع مبتدأ والجملة بعده خبره وتقرير الدليل انكم اذا ان تريد وابكون عيسى ولدا له انه احدثه على سبيل الابداع من غير تقديم مظفة ولا اب وح يلزمكم القول بانه والد السموات والارض بكونه مبدعا لهما هذا باطل بالاتفاق واما ان تريد وا بالولادة كما هو المألوف في الحيوانات وهذا ايضا محال لان تلك الولادة لا تصح الا ممن كانت له صاحبة من جنسه وينفصل منه جزء يجانسه في رحمها وهذه الاحوال انما يثبت في حق الجسم الذي يصح عليه الاجتماع والافتراق والحركة والسكون والحدة النهاية والشهوة والولادة وكل ذلك على الله محال واشار الى هذا بقوله انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وايضا الولد بهذا الطريق انما تصور في حق من لا يقدر على خلق الاشياء دفعة واحدة اما الذي اذا اراد شيئا فانما يقول له كن فيكون فذلك في حقه مستحيل والى هذا اشار بقوله خالق كل شيء وايضا هذا الولد لا يكون الا وليا والاكان واجبا لذاته غنيا عن غيره فبقي ان يكون حادثا فيقول انه تعالى عالم بكل المعلومات ازلا وابدا كما قال وهو بكل شيء عليم فان كان قد علم ان له في تحصيل ذلك الولد كمالا او نفعا او لذة تعلقت ارادته بايجاده في الازل دفعا لذلك الاحتياج والانتفاض فيكون الولد ان لما على تقدير كونه حادثا هذا خلف فثبت ان اله العالم فرد واحد صمد منزه عن الشريك والنظير والاضداد والاولاد فلهذا صرح بالنتيجة فقال ذلكم الله فاسم الاشارة مبتدأ وما بعده اخبار او اوصاف او بدل او عطف بيان والموصوف الجامع لتلك الصفات المقدسة هو الله الى آخره وانما قال ههنا لا اله الا هو خالق كل شيء وفي المؤمن بالعكس لانه وقع ههنا ذكر بعد الشركاء والبنين والبنات فكان رفع الشرك هاهم هنالك ورفع بعد ذكر خلق السموات والارض فكان تقديم الخالقية اهم ثم قال فاعبدوه وهو سبب عن مضمون الجملة المتقدمة يعني ان من استجمعت له هذه الكمالات كان حقيقا بالعبادة وهو مع تلك الصفات على كل شيء وكيل يحفظ ويرقب وبراقبه قال في التفسير الكبير انه سبحانه اقام الدليل على وجود الخالق ثم تنبه طريق من اثبت له شريكا وهذا القدر لا يوجب التوحيد لكن للعلماء في اثبات التوحيد طرق منها ان الدليل قد دل على وجود صانع والزايد على الواحد لم يدل دليل على ثبوته فليس عدد اولى من عدد آخر فيلزم الطرد لا محالة اما ان يقال بوجود الكل او بعدم الكل او بوجود البعض دون البعض والاولان محالان فلم يبق الا الاكتفاء بواحد وهو المطلوب ومنها انا لو قدرنا الهين قادرين على كل المقدورات عالمين بكل المعلومات فكل فعل يفعله احدهما صح ان يكونه فاعلا لذلك الفعل مانعا للاخر من تحصيل مقدوره وذلك يوجب ان يكون كل واحد منهما عاجزا عن الاخر وهو محال وان كان في احدهما عجز ونقص لم يصلح للالهية ومنها انا لو فرضنا الهين اثنين لكان اما ان يكون الثاني مشاركا للاول في جميع صفات الكمال او على الاول لابد ان يحصل الامتياز بامر والا لم يحصل التعدد فذلك الامر ان كان من صفات الكمال كان مشتركا بينهما وان كان من صفات النقص فالموصوف به لا يصلح للالهية وكذا ان لم يكن الثاني مشاركا للاول في جميع صفات الكمال فثبت التوحيد بهذه الدلائل مع ان الدليل النقلي في التوحيد كاف والله اعلم قالت الاشاعرة عموم قوله خالق كل شيء يدل على انه خالق لافعال العباد وقالت المعتزلة انما ذكر هذا الكلام في معرض المدح ولكنه لا يتم ح بخلق الزنى والكفر واللواط وعورض بالعلم والداعي كما مر مرارا وايضا احتج كثير من المعتزلة به على نفي الصفات وعلى ان القرآن مخلوق اما الثاني فلان القرآن شيء فيدخل تحت العموم واما الاول فلان الصفات لو كانت موجودة له تعالى لزم ان يكون مخلوقة له واجيب بانكم تخصصون هذا العام بحسب ما تقتضيه الضرورة ويمتنع ان يكون خالقا لنفسه بحسب افعال العباد فنحن ايضا نخصصه بحسب الصفات وبحسب القرآن واما الفرق بين قوله وخلق كل شيء وقوله خالق كل شيء فذلك لان الاول يتعلق بالزمان الماضي والثاني بالزمان الماضي والحال والاوقات كلها على سبيل الاستمرار ثم بين ان شيئا

لاحتمال الواو والاستيناف والحال ابصار لطيفا

ذكر جميع صفات الكمال

من النوى لا تدركه لا يحيط بحقيقته وان عقلا من العقول لا يقف على كنه صمديته فقال لا تدركه الابصار وهي مشهورات استدلا لان
المعتزلة على نفي رؤيته تعالى قالوا الادراك بالبصر عبارة عن الرؤية بدليل ان قول القائل ادركته بصري وما رايته بمعنى فاقضان ثم ان قوله لا تدركه
الابصار يقتضي انه لا يراه شيء من الابصار في شيء من الاحوال بدليل صحة الاستثناء وايضا انه تعالى ذكر الآية معرض المدح والثناء وكل ما كان عدمه مدحا وكماله
يكن ذلك من باب الفعل كان ثبوته نقصا كقوله لا تاخذه سنة ولا نوم لم يلد ولم يولد فوجب كون الرؤية نقصا في حقه تعم وانما قيدنا بما
لا يكون من باب الفعل لانه تعالى مدح بنفي الظلم عن نفسه في قوله وما ربك بظلام للعبيد مع انه تعالى قادر على الظلم عندهم واجيب بالمنع من ان ادراك
البصر عبارة عن الرؤية لانه في اصل اللغة موضوع للوصول والتحقق ومنه قال اصحاب موسى انا لمدركون اي المحقون وقوله تعالى حتى اذا ادركه الغرق
اي لحقه وادرك الغلام اي بلغ وادركت الثمرة اذا نضجت واذا قد ثبت ذلك فنقول الرؤية جنس والادراك اي ادراك البصر رؤية مع الاحاطة ولا
يلزم من نفي الخاص نفي العام فلا يلزم من نفي ادراك البصر نفي الرؤية سلمنا ان ادراك البصر عبارة عن الرؤية لكن قوله لا تدركه الابصار لا يفيد
الا نفي العموم وانتم تدعون عموم النفي فاين ذلك من هذا وانما قلنا انه لا يفيد الا نفي العموم لان صيغة الجمع كما تحمل على الاستغراق فقد تحمل على المعهود
السابق ايضا فقوله لا تدركه الابصار يفيد انها لا تدركه اذا تبدلت صفاتها وتغيرت احوالها في الاخرة او نقول قول القائل لا يدرك جميع الابصار يفيد
سلب العموم ولا يفيد عموم السلب فلم لا يجوز ان يفيد انه يدركه بعض الابصار سلمنا ان محمدا ما امن بر كل الناس فانه يفيد انه امن بر بعض الناس
سلمنا ان الابصار لا تدركه البتة فلم لا يجوز حصول ادراك الله تعالى بحاسة سادسة يخلقها الله تعالى يوم القيمة كما هو مذهب ضرار بن عمرو
الكوفي او نقول سلمنا ان الابصار لا تدركه فلم قلتم ان المبصرين لا يدركونه اما قولهم ان الآية مذكورة في معرض المدح فنقول لو لم يكن الله تعالى
جاعل الرؤية لما حصل المدح بقوله لا تدركه الابصار انما يحصل المدح لو كان يجب بحق رؤيته ثم انه تعالى يجب الابصار عن رؤيته لغاية جلاله
وبهائه جماله والتحقيق فيه ان النفي المحض لعدم الصرف لا يكون موجبا للمدح والعلم بعدم ضرر وربما دل اذا كان النفي دليلا على حصول صفة ثابتة
من صفات المدح قبل ان ذلك النفي يوجب المدح كقوله لا تاخذه سنة ولا نوم فانه لا يفيد المدح نظرا الى هذا النفي فان الجماد ايضا لا
تاخذه سنة ولا نوم لاهذا النفي حق الباري تعالى يدل على كونه عالما بجميع المعلومات من غير تبدل ولا زوال فقوله لا تدركه الابصار يمتنع ان
يفيد المدح الا اذا دل على معنى موجود وذلك فاقلناه من كونه قادرا على حجب الابصار ومنعها عن الاحاطة به فثبت بما ذكرنا ان هذه الآية
عليكم لا لكم لانها افادت انه تعالى جاعل الرؤية بحسب انه تعم نقول اذا ثبت ذلك يجب القطع بان المؤمنين يرونه يوم القيمة لان القائل فاما
قائل بجواز الرؤية مع ان المؤمنين يرونه وقائل لا يرونه ولا يجوز رؤيته واذا بطل هذا القول بقي الاول حقا لان القول بجواز رؤيته مع
انه لا يراه احد قول لم يقل به احد وهذا استدلال لطيف ثم ان الفاضل استدل ههنا على نفي الرؤية بوجوه اخر ذكرها في التفسير الكبير
بالاصول فاولها ان الحاسة اذا كانت سليمة وكان المرئي حاضرا وكانت الشرائط المعتبرة حاصلة وهو ان لا يحصل القرب المفرط والبعد
والارتفاع الحجاب وكان المرئي مقابلا او في حكم المقابل فانه يجب حصول الرؤية ولا بد ان يكون بعض هذه الامور مفقودا ونحن لا نسلمها ولا
نراها وهذا يوجب السفسطة اذا ثبت هذا فنقول القرب المفرط والبعد المفرط والحجاب والمقابلة في حقه تعالى ممتنع فلو صح رؤيته كان المقتضي
لحصول تلك الرؤية سليمة الحاسة وكون المرئي بحيث يصح رؤيته وهذان المعنيان حاصلان في هذا الوقت فوجب ان يحصل رؤيته حينئذ
لم يحصل علمنا ان رؤيته ممتنعة في نفسها واجيب بان ذاته تعم مخالفة لسائر الذوات ولا يلزم من ثبوت حكم لشيء ثبوت مثله فيما يخالفه
وثانيها لو صحت رؤيته لاهل الجنة لراه اهل النار ايضا لان القرب والبعد والحجاب ممتنع في حقه تعالى واجيب بانه لا يجوز ان يخلق الله تعالى الرؤية
في عيون اهل الجنة ولا يخلقها في عيون اهل النار وثالثها ان كل ما كان مرئيا كان مقابلا او في حكم المقابل والله تعالى منزه عن ذلك واجيب
بمنع الكلية وبانه اعادة لعين الدعوى لان النزاع واقع في ان الموجود الذي لا يكون مختصا بمكان وجهة هل يجوز رؤيته ام لا ورابعها ان اهل الجنة
يلزمهم ان يرونه في كل حال حتى عند الجماع لان القرب والبعد عليه تعالى محال ولان رؤيته اعظم اللذات وفوات ذلك يوجب الغم والحزن وذلك
لا يليق بحال اهل الجنة واجيب بانهم لعلمهم بانتهاء الرؤية في حال دون حال كسائر الملاذ والمنافع في تعديد الدلالة على جواز الرؤية منها
هذه الآية كما بيناه ومنها هذه الآية كما بيناه ومنها ان موسى عليه السلام طلب الرؤية فدل على ذلك على جوازها ومنها انه تعالى علق الرؤية على استقرار
الجبل والمعلق على الجائز جائز ومنها قوله للذين احسنوا الحسنى وزيادة قد اتفق الجمهور على ان النبي صلى الله عليه وآله فسر الحسنى بالجنة والزيادة بالرؤية
ومنها قوله فمن كان يرجو لقاء ربه وبحمل ذلك من الآيات الدالة على اللقاء ومنها قوله كانت لهم جنات الفردوس نزلا والانتصار على النزل لا
يجوز فالزائد على جنات الفردوس لا يكون الا اللقاء ومنها قوله ولقد راه نزلة اخرى وسوف يأتي في سورة النجم انشاء الله تعالى ومنها قوله وجوه يومئذ
ناضرة الى ربها ناظرة ومنها قوله كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فيكون المؤمنون غير محجوبين ومنها قوله فيما تشتهيه الانفس ولا
شك ان القلوب الصافية مجبولة على حب معرفة الله على اكمل الوجوه واكمل طرق المعرفة هو العيان ومنها قوله واذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا فهي
قراءة بفتح الميم وكسر الكاف واما الاخبار فكثيرة منها الحديث المشهور سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته والمراد تشبيه الرؤية
بالرؤية في الجلاء والوضوح لا تشبيه المرئي بالمرئي ومنها ان الصحابة اختلفوا في ان النبي صلى الله عليه وآله هل رأى الله تعالى ليلة المعراج ولم يكفر بعضهم بعضا هذا

السبب فدل ذلك على انهم كانوا يجوزون على الكتاب الثبوت بها كما قوله تعالى وهو يدرك الابصار فيه دليل على انه سبحانه مبصر للمبصرات وراء المرئيات مطلع
ما هي عليه بعوارضها وذاتياتها ثم قال وهو اللطيف الخبير وليس المراد باللطافة ضد الكثافة وهو رقة القوام فان من ذلك من صفات الاجسام
بل المراد لطف صنعه في تركيب بدن الحيوانات من الاجزاء الدقيقة والاغشية الرقيقة والمنافذ الضيقة التي لا يعلمها الا من ابدعها او المراد انه لطيف
الانعام والرحمة لاياديهم فوق طاقتهم وينعم عليهم فوق استحقاقهم او الغرض انه يثني عليهم بالطاعة مواداً حساعهم بالمعصية او المراد انه يلطف عن ان يدركه الا
الخبير بكل لطيف لا يلطف شيء عن ادراكه ثم عاد الى تقرير امر الدعوة والرسالة فقال قد جاءكم بصائر من ربكم موجبا نهاو البصيرة للقلب بمنزلة البصر للعين
فمن ابصر الحق وآمن فلنفسه ابصر واياها نفع ومن عمي عنه فعلى نفسه عمي واياها ضر قالت المعتزلة فيه تصريح بان العبد يتمكن من الامرين الفعل والترك
ويعورض بالعلم والداعي وما انا عليكم بحفيظ احفظ اعمالكم واجازيكم عليها انما انا منذر والله هو الحفيظ عليكم ثم حكى شبه المنكرين بقوله وكذلك
اي مثل ذلك التفنن البليغ نصرف الآيات نأتي بها متواترة حالا بعد حال وليقولوا عطف على محذوف اي لئلا يتم الحجة وليقولوا درست تصرفها
ومعنى درست قرأت وتعلمت من الدرس ومن قرأ دارست اي قرأت على اليهود وقرأوا عليك وجرت بينك وبينهم مدارسة وهذا كونه واما قراءته
ابن عامر درست فهي من الدروس بمعنى ان هذه الآيات قدمت وعفت ولنبينه اما الثاني فلا اشكال فيه لانه بين ان الحكمة في هذا التصريف ان
يظهر منه البيان والعلم والضمير في لنبينه الآيات لانها في معنى القرآن او يعود الى القرآن وان لم يجر له ذكر للعلم به او الى التبيين الذي هو مصدر الفعل
نحو ضربته الضرب بل واما الاول فقد اورد عليه ان قولهم للرسول دارست كفر منهم بالقرآن والرسول وعلى هذا فيعود مسئلة الجبر والقدر واما الآخر
فاجروا الكلام على ظاهره وقالوا لو معناه اذا ذكرنا هذه الدلائل حال بعد حال يقول بعضهم دارست فيزدادوا كفرا على كفرهم وتبيينه لبعض فيزدادوا
ايمانا على ايمانهم كقوله يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا واما المعتزلة فقال الجبائي منهم والقاضي ان هذا الاثبات محمول على النفي والتقدير وكذلك نصرف
الآيات لئلا يقولوا كقوله يبين الله لكم ان تضلوا اي لئلا تضلوا والمراد لام العاقبة وزيف بان حمل الاثبات على النفي تحريف لكلام الله وفتح هذا الباب
خرج الكتاب عن ان يكون حجة وايضا انه مناف للمقصود لان انزال الآيات بخلافها هو الذي اوقع الشبهة للقوم في ان محمدا انما اتى بالقرآن على
سبيل المدارسة والمذاكرة مع اقوام اخرين ولهذا كانوا يقولون لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة فالجواب الذي ذكرناه انما يصح لو كان التصريف
علة لان يمتنعوا من هذا القول لكنه موجب فسقط كلامهم وايضا حمل اللام على لام العاقبة مجاز وحمل الكلام على الحقيقة اولى ثم لما حكى عن الكفار
انهم نسبوه في شان القرآن الى الافتراء والى انه تدارس قوما واستفاد هذه العلوم منهم ثم نظمها قرآنا وادعى انه نزل عليه من الله اتبع قوله
اتبع ما اوحي اليك من ربك لئلا يصير ذلك القول سببا لفتوره في تبليغ الدعوة والرسالة والمقصود تقوية قلبه وازالة الحزن الذي يعتريه
بسماع تلك الشبهة وتبدأ بالجملة المعترضة او الحال المؤكدة وهي قوله لا اله الا هو على انه سبحانه لما كان واحدا في الالهية فانه يجب طاعته ولا
يجوز الاعراض عن تكاليفه بسبب جهل الجاهلين وزيغ الزائغين ثم ختم الآية بقوله واعرض عن المشركين وحمل بعضهم على انها منسوخة بآية القتال
وضعف بان المراد وترك مقابلتهم فيما يتأذى من سفههم وان يعدل صلوات الله عليه الى الطريق الذي يكون اقرب الى القبول وابعد عن
التنفير والتغليظ ولو شاء الله ما اشركوا من هب الاشاعرة فيه ظاهر وحمله المعتزلة على مشيئة الالجاء والقسر اجيب بعد المعارضة بالعلم و
الداعي بان الايمان الاختياري هو النافع وافضل من الايمان القهري الا انه تعالى لما علم ان ذلك لا يقع ولا يحصل فقد كان يجب في حكمته ان
يخلق الله فيه الايمان القهري كي يخلص من العقاب وان لم يجب له الثواب كما ان الاب الشفيق اذا علم ان ابنه لا يحسن الغوص يقول له اترك الغوص في
البحر ولا تطلب اللآلئ فانك لا تجدها واكتف بالرزق القليل مع السلامة فاما ان يأمره بالغوص في البحر مع اليقين التام بانه لا يستفيد منه الا الهلاك
فان ذلك من الرحمة والشفقة بمعزل ثم ختم الكلام بما يكمل به بصيرة الرسول صلى الله عليه وآله وذلك انه تعالى قد رما جعل اليه فذكر انه ما جعله
اليه فذكر انه ما جعله حفيظا ولا وكيلا عليهم وانما فوض اليه الابلاغ والانذار ثم انهم لما نسبوا الرسول الى ان جمع القرآن بطريق المدارسة وكان
وكان لا يبعد ان يغضب له المسلمون لسبب ذلك فيسبوا الهتهم نهى الله تعالى عن ذلك فقال ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله وذلك
ان المسلمين اذا شتموا الهتهم فربما غضبوا وذكروا الله بما لا ينبغي من القول وفيه تنبيه على ان خصمك اذا شافهك بجهل وسفاهة لم يجز لك
ان تقدم على مشافهته بما يجري مجرى كلامه فان ذلك يوجب فتح باب المشاتمة والمسافهة وانه لا يليق بالعقلاء قال ابن عباس لما نزل انكم وما تعبدون
من دون الله حصب جهنم قال المشركون لئن لم تنته عن سب الهتنا وعيبها لنحثون الهك فنزلت وقال السدي لما حضر ابا طالب الوفاة قالت
قريش انظلموا فلندخل على هذا الرجل فلنأمرنه ان ينهى عنا ابن اخيه فانا نستحي ان نقتله بعد موته فيقول العرب كان يمنعه فلما مات قالوه
فانطلق ابو سفيان وابو جهل والنضر بن الحارث وامية وطعيمة ابنا خلف وعقبة بن ابي معيط وعمرو بن العاص والاسود بن المطلب الى ابي طالب
فقالوا انت كبيرنا وسيدنا وان محمدا قد اذانا واذى الهتنا فنحب ان تدعه فانتهاه عن ذكر الهتنا ولندعه والهه فدعاه فجاء النبي صلى الله عليه وآله
فقال له ابو طالب هؤلاء قومك وبنو عمك فقال رسول الله ما تريدون قالوا نريد ان تدعنا والهتنا وندعك والهك فقال ابو طالب

قد اضطر



الهنا او لنشتمنك

قال نصفك قومك وبنو عمك فقال رسول الله ص ارايتم ان اعطيتكم هذا هل انتم معطي كلمة ان تكلتم بها ملكتم بها العرب ودانت لكم بها العجم قال ابو جهل نعم وابيك لنعطينكها وعشرا مثلها فما هي قال قولوا لا اله الا الله فابوا واشمازوا فقال ابو طالب قل غيرها يا ابن اخي فان قومك قد فزعوا منها فقال يا عم ما انا بالذي اقول غيرها ولو اتوني بالشمس فوضعوها في يدي ما قلت غيرها فقالوا لتكفن عن شتمك ولتشتمن من يأمرك فانزل الله تعالى هذه الآية قال العلماء ان القوم كانوا مقرين بوجود الاله تعالى فكيف يتصور اقدامهم على شتم الله واجيب بانه ربما كان بعضهم قائلا بالدهر ونفي الصانع فاكان يبالي هذا النوع من السفاهة او لعل مرادهم شتم الرسول صلى الله عليه واله فاوجب الله تعالى شتمه مجرى شتم الله كما في قوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله او لعلهم من جهالتهم اعتقدوا ان الشيطان يحمله على ادعاء الرسالة فيسمعون ذلك الشيطان بانه الله محمد صلى الله عليه واله وههنا سؤال وهو ان شتم الاصنام من اصول الطاعات فكيف يحسن من الله تعالى ان ينهى عنه والجواب ان هذا الشتم وان كان طاعة الا انه اذا وقع على وجه يستلزم منكرا اوجب الاحتراز عنه كما ان هذا الشتم كان يستلزم اقدامهم على شتم الله سبحانه وشتم رسوله وفتح باب السفاهة وبقضي تنفيرهم عن قبول الدين وادخال الغيظ والغضب في قلوبهم وفيه ان الامر بالمعروف قد يقبح اذا ادى الى ارتكاب منكر والنهي عن المنكر يقبح اذا ادى الى زيادة منكر وغلبة الظن قائمة مقام اليقين في هذا الباب فيه تاديب لمن يدعو الى الدين كيلا يتساهل بما لا يفيد في المطلوب فان وصف الاوثان بانها جمادات لا ينفع ولا يضر يكفي في القدح في الهتهم فلا حاجة مع ذلك الى شتمها يقال عدا فلان على كذا عدوا وعداء وعداء اذا ظلم فيه وتجاوز القدر قال الزجاج عدوا منصوب على المصدر لان المعنى فيعدون اعداء او قرئ عدوا بفتح العين والتشديد اي في حال كونهم اعداء ومعنى بغير علم على جهالة بالله وبما يجب ان يذكر به كذلك اي مثل ذلك التزيين زينا لكل امة عملهم قال الاشاعرة فيه دلالة على ان الله تعالى هو الذي زين للكافر الكفر وللعاصي المعصية وزينه الكعبي بقوله تعالى وزين لهم الشيطان اعمالهم وبقوله والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت فان المراد انه تعالى زين لهم ما ينبغي لهم ان يعملوا وهم لا يفقهون او المراد زينا لكل امة من امم الكفار عملهم اي خليناهم وشانهم وامهلنا حتى حسن عندهم سوء عملهم وامهلنا الشيطان حتى زين لهم او زينا في زعمهم وقولهم ان الله امرنا بها او زينه لنا فضعف بعد المعارضة بالعلم وضعف ان اراد به بان قوله نعم كذلك زينا بعادتنا فيسبوا الله شعرا بان اقدامهم على ذلك لمنكر انما كان بتزيين الله تعالى وايضا الانسان لا يختار الكفر والجهل ابتداء مع العلم بكونه كفرا وجهلا والعلم بذلك ضروري بل انما يختاره لانه اعتقد كونه ايمانا وعلما وحقا وصدقا ولو سلم سابقة الجهل الاول فلا نسلم اختيار الجهل الثاني ولا يذهب الجهل الاول الى غير النهاية فلابد ان ينتهي الى جهل لا يخلقه الله تعالى فيه وهو بسبب ذلك الجهل الحق الكفر بالله وايمانا والجهل علما قال واقسموا بالله جهد ايمانهم والغرض حكاية شبهة اخرى لهم وهي ان هذا القرآن كيف كان امرا ملبسا من جنس المعجزات البتة ولو انك باحد جئتنا بمعجزة باهرة وبينة قاهرة لامنا بك واكدوا هذا المعنى بالايمان والاقسام قال الواحدي انما سمي اليمين بالقسم لان اليمين موضوعة لتوكيد الخبر وكانت الحاجة الى ذكر الحلف عند انشاء الناس وقت سماع الخبر لا مصدقا ومكذبا بمعنى الاقسام ازالة القسم وجعل الناس كلهم مصدقين بواسطة الحلف باليمين عجل ابن كعب قال كلمت رسول الله صلى الله عليه واله قريش فقالوا يا محمد تخبرنا ان موسى كان معه عصا فضرب بها الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا وان عيسى كان يحيي الموتى وان ثمود كانت له ناقة فاتنا بشيء من تلك الآيات حتى نصدقك فقال رسول الله ص اي شيء تحبون ان ايتكم به قالوا يجعل لنا الصفا ذهبا قال فان فعلت تصدقونني قالوا نعم والله لئن فعلت لنتبعنك اجمعون فقام رسول الله ص يدعو فجاء جبرئيل ع فقال ان شئت اصبح الصفا ذهبا ولكن ان لم يؤمنوا فلم يصدقوا بها أنزلت العذاب وان شئت تركتهم حتى يتوب تائبهم فقال رسول الله ص اتركهم حتى يتوب تائبهم فانزل الله الآيات الى قوله ولكن اكثرهم يجهلون قال الكلبي ومقاتل اذا حلف الرجل بالله فهو جهد يمينه وقال الزجاج معنى بالغوا في الايمان والمراد بقوله ان جاءتهم اية ما ذكرنا من جعل الصفا ذهبا وقيل هي الاشياء المذكورة في قوله وقالوا لن نؤمن حتى تفجر لنا الآيات وقيل كان النبي صلى الله عليه واله يخبرهم بان عذاب الاستيصال كان ينزل بالامم المتقدمين المكذبين فالمشركون طلبوا مثلها قل انما الآيات عند الله اي هو مختص بالقدرة على امثال هذه الآيات لان المعجزات لا يحصل الا بتخليق الله تعالى او المراد بالعند به هو العلم بان احداث هذه المعجزات هل يقتضي ايمانهم ام لا كقوله وعنده مفاتح الغيب والمراد انها وان كانت معدودة في الحال الا انه تعالى متى شاء احدثها وليس لكم ان تحكموا في طلبها كقوله وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم والجملة خبرية ثم من قرأ انها بكسر الهمزة على الابتداء وهي القراءة الجيدة فالظاهر وما يشعركم ما يكون منهم ثم ابتداء فقال انها اذا جاءت لا يؤمنون واما قراءة الفتح فقال سيبويه سئل الخليل عن ذلك فقال لا يحسن لانها تصير عذرا للكفار لان معنى قول القائل ما يدريك انه لا يفعل هو انه يفعل فمعنى الآية انها اذا جاءت امنوا وذلك يوجب مجيء هذه الآيات ويصير هذا الكلام عذرا لهم في طلبها لكن القراءة لما كانت متواترة فالوجه ذكر العلماء فيه وجوها قال الخليل ان بمعنى لعل تقول للرجل ايت السوق انك تشتري لنا شيئا اي لعلك وتقوي هذا الوجه قراءة ابي لعلها اذا جاءت لا يؤمنون وثانيها ان يجعل لا صلة كما في قوله ما منعك ان لا تسجد وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون وثالثها ان المؤمنين كانوا يطمعون في ايمانهم اذا جاءت تلك الآيات فقال وما يدريكم ايها المؤمنون انهم لا يؤمنون على معنى انكم لا تدرون ما سبق به من علمي من انهم لا يؤمنون واما من قرأ لا يؤمنون بناء الخطاب فالمراد وما يشعركم ايها الكفار ان الله تعالى اذا علم منهم ان يفعل كل ما مقدوره من الالطاف او كان في المعلوم لطف يؤمنون عنده ثم انه لا يفعل ذلك لم يكن لتعليل توك الاجابة بانهم لا يؤمنون وجه وايضا لو كان الايمان

فاوائث الطف

يخلق الله تعالى ولكن لفعل الالطاف ثم حمل المكلف على الطاعات لم يكن لاظهار تلك المعجزات اثر واجيب بان تاثير المعجزات عندهم مبني على وجوب اللطف
بنوع الدور وباقي الآية التي بعد هذا وهو قوله ونقلب افئدتهم وابصارهم تدل على ان الكفر والايمان بقضاء الله وقدره ومعنى تقليب الافئدة
والابصار هو اتيانهم اذا جاءتهم الآيات لفاهرة التي اقترحوها وعرفوا كيفيتها دلالتها على صدق الرسول الا انهم اذا قلب قلوبهم وابصارهم عن ذلك الوجه
الصحيح بقوا على الكفر ولم ينتفعوا بتلك الآيات والتقليب تحريك الشيء عن وجهه وكان صلى الله عليه وآله يقول يا مقلب القلوب والابصار ثبت قلبي
على دينك والمراد انه تعالى يقلب القلوب تارة من داعي الخير الى داعي الشر وبالعكس انما قدم ذكر تقليب الافئدة على تقليب الابصار لان موضع الدواعي
والصوارف هو القلب فاذا حصلت الداعية في القلب نصرف البصر عنه والحاصل ان السمع والبصر اثنان للقلب فلهذا السبب وقع الابتداء بتقليب
القلب قال الجبائي المراد ونقلب افئدتهم وابصارهم في جهنم على طريق التأبيد كما نعذبهم ونذرهم فيها يحصل الدنيا وهذا
يستلزم سوء النظم وقال الكعبي المراد ونقلب افئدتهم وابصارهم بانا لا نفعل لهم ما نفعل بالمؤمنين من الفوائد والالطاف حيث اخرجوا انفسهم عن
هذا الحد بسبب كفرهم وضعف بانه انما استحق الحرمان من تلك الالطاف والفوائد بسبب اقدامه على الكفر وهو الذي اوقع نفسه في ذلك الحرمان فكيف
يحسن اضافته الى الله تعالى في قوله ونقلب وقال القاضي القلب يطلق على حالة واحدة الا انه تعالى ادخل التقليب لتبدل الدلائل واعترض بان
تقلب القلب نقله من صفة الى صفة ومن حالة الى حالة اما قوله كما لم يؤمنوا به اول مرة فقال الواحدي فيه حذف والتقدير ولا يؤمنون بهذا الا
كما لم يؤمنوا بظهور الآيات اول مرة يعني اول مرة اتتهم الآيات مثل اشقاق القمر وغيره والكتابة في براءاعانة الى القرآن او الى محمد صلى الله عليه وآله
او الى ما طلبوا من الآيات وقيل الكافر للجزاء كما لم يؤمنوا اول مرة فكذلك نقلب افئدتهم وابصارهم عقوبة لهم قال الجبائي ونذرهم اي لا نحول بينهم
وبين اختيارهم ولا نمنعهم بعاجلة الهلاك وغيره لكنا نمهلهم فان اقاموا على طغيانهم فذلك من قبلهم وانما يوجب تاكيد الحجة عليهم وقالت الاشاعرة
انا نقلب افئدتهم من الحق الى الباطل ونتركهم في ذلك الطغيان والضلال والعمه التأويل قد جاءكم بصائر قد جاءكم البراهين الباهرة فمن ابصرها
بنظر البصيرة فاشتغل بتحصيلها واقبل على الله تعالى وسلوك سبلها فذلك تحصيل لنفسه فان الله غني عن العالمين ومن عمي فانما العكس ولا تسبوا الذين يدعون
لا يخاطبوهم الا هل الضلال على مواجب طوائع النفس الطبيعية فيحملهم ذلك على ترك الاجلال واظهار الضلال بل خاطبوهم بلسان الحجة والزام
الحجة ونفي الشبهة واقسموا بالله حسبوا ان البرهان يوجب الايمان ولم يعلموا انهم مقهورون تحت حكم السلطان وما يغني وضوح الادلة لمن لا يدركه
سوابق الرحمة ونقلب افئدتهم عن الاخرة الى الدنيا وابصارهم عن شواهد المولى الى مشاهدة النفس الهوى كانهم لم يؤمنوا يوم الميثاق اذ قلت الست بربكم قالوا
بلى ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء

والو جهاكه ما فرستاديم بسوى ايشان فرشتكانرا وسخن كردند باايشان مردكان وكرد اورديم برايشان هر چيزي سلابا روي بنود ند كه بروند

الله ولكن اكثرهم يجهلون وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول

خدا ولكن بيشتر ايشان نادانند وهمچنين كرديم از براي هر پيغمبري دشمني را ديوان انس و پري كه وسوسه كنند بعضي از ايشان بسوي بعضي بسوي كفتار را

غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون ولتصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالاخرة وليرضوه و

از جهة فريب اكر خواستي پروردكار تو نكردند اين را پس واكذار ايشان را وآنچه دروغ كويند وتا ميل كنند بان دلهاي ايشان كه نكروند

يقترفوا ما هم مقترفون افغير الله ابتغي حكما وهو الذي انزل اليكم الكتاب مفصلا والذين اتيناهم

برورند وبدست آرند كناهان را آيا غير خدا را بجويم داورى واو بسوى شما فرو فرستاد بسوى شما كتاب

الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا

ميدانند كه او فرو آمده است از پروردكار تو بدرستى پس مباش تو از شكنندكان وتمام شد سخن پروردكار تو از روى راستى وعدالت نيست

مبدل لكلماته وهو السميع العليم وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله ان

تغيير دهنده مر كلمات او را واوست شنونده دانا واكر پيروى كنى بيشتر آنهارا كه در زمينند ببيرون برند ترا از راه خدا

يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم

مى بروند مكر كمان را ونيستند ايشان مكر دروغ ميكويند بدرستى كه پروردكار تو اوست داناتر بكسى كه كمراه ميكردد از راه او

بالمهتدين فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ان كنتم بآياته مؤمنين وما لكم الا تاكلوا مما ذكر اسم الله

براه يافتكان پس بخوريد از آنچه ذكر شد نام خدا بر او اكر بكرويد بآيات او وچيست شما را كه نخوريد از آنچه ذكر شد نام خدا

عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم الا ما اضطررتم اليه وان كثيرا ليضلون باهوائهم بغير علم ان ربك

بر او وحال آنكه بتحقيق شرح داد براى شما آنچه حرام كرد بر شما مكر آنچه ناچار شويد بسوى آن ودر بسيارى از مردم هر آينه كمراه ميكردانند بهواهاى خود بى

هو اعلم بالمعتدين وذروا ظاهر الاثم وباطنه ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون ولا تاكلوا مما

داناتر است بتجاوز كنندكان ودكذاريد كناه آشكارا وپنهان آنرا بدرستى آنانكه بدست آرند كناه را زود باشد كه جزا داده شوند بآنچه بودند دروغ ميكفتند ومخوريد از آنچه

لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم وان اطعتموهم انكم لمشركون

يادكرده نشده است نام خداى او عليه وبدرستى كه ايشان هر آينه وحى ميكنند بسوى دوستان خود تا مخصوص كنند شما را واگر بريشان هر آينه شما مشركان ايد

القراءة قبلا بكسر القاف وفتح الباء ابو جعفر ونافع وابن عامر الباقون بضمتين وبالهمز هشام بخلف عنه وابن عامر وحفص والمفصل كلمة ربك عاصم وحمزة وعلى وخلف وهشام وسهل ويعقوب الباقون كلمات من بضل بين الاضلال الاصبغ عن نصير وصل على البناء للفاعل وجزم على البناء للمفعول حمزة وخلف وعاصم غير حفص المفصل وقرأ ابو جعفر ونافع وسهل ويعقوب حفص جميعا بالفتح الباقون على البناء للمفعول فيهما ليضلون بفتح الياء عاصم وحمزة وعلى وخلف الباقون بالضم الوقوف الجزء الثامن يجعلون غرفا مفردون مفصلا المرسلين وعدلا لكلماته لابتداء الضمير المنفصل مع احتمال الواو الحال اى لا مبدل لكلماته وهو لبيع ويعلم العليم عن سبيل الله يخرصون عن سبيله بالمهتدين مؤمنين به بغير علم بالمعتدين وبالحمة يقترفون لفسق ليجادلوكم المشركون

التفسير هذا شرح ما اجمله قوله انها اذا جاءت لا يؤمنون وكان المستهزؤن بالقرآن خمسة الوليد المغيرة المخزومى والعاص بن وائل السهمى والاسود بن عبد يغوث الزهرى والاسود بن المطلب الحارث بن حنظلة اتوا الرسول صلى الله عليه وآله فى هط من اهل مكة فقالوا ارنا الملائكة تشهد ون بانك رسول الله ام ابعث لنا بعض موتانا حتى نسلم احق هو ام باطل او ائتنا بالله والملائكة قبيلا اى كفيلا على ما تدعيه فنفى الله تعالى عنهم الايمان وان اوتوا هذه المقترحات قال ابو زيد بتى الشيء بقى قبلا ودبرا ناقبلا ومقابلة كلها بمعنى واحد وهو الوجه رواه الواحدى وقال ابو عبيدة والفراء والزجاج قبلا بكسر القاف معناه معاينة روى عن ابى ذر قال قلت للنبى صلى الله عليه وآله اكان ادم نبيا قال نعم كان نبيا كلمه الله تعالى قبلا واما قبلا بضمتين فقيل اتى جميع قبيل ومعناه الجماعة يكون من الثلثة فصاعدا من قوم شتى مثل الروم والزنج والعرب ولهذا قال الاخفش فى تفسير قبلا ان معناه الكفيل والعريف من قبل به يقبل ويقبل قبالة والمعنى لو حشرنا عليهم كل شئ كفلوا بصحة ما يقول ما امنوا وموضع الايمان منهم ان الاشياء المحشورة منها ما يعقل ومنها ما لا ينطق ومنها حى ومنها ميت فاذا حشرها الله تعالى على اختلاف طبايعها مجتمعة فى موقف واحد ثم انطقها واحتج عليهم بقبول هذه الكفار كان ذلك من اعظم المعجزات اما قوله تعالى ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله ايمانهم فقد قالت الاشاعرة هذا يدل على ان الله تعالى شاء ايمانهم وقالت المعتزلة لو لم يرد منهم الايمان لما وهب عليهم الايمان كما لو لم يأمرهم به لم يجب ولو اراد الكفر من الكافر لكان الكافر فى كفره مطيعا لله تعالى لا بمعنى للطاعة الا فعل المراد ولو جاز من الله تعالى ان يريد الكفر لجاز ان يأمر به وقد بان بطلان ذلك فالمراد من الاية انه ما شاء من الكل الايمان القهرى والمعنى ما كانوا ليؤمنوا ايمانا اختياريا الا ان يشاء الله مشيئة اكراه واضطرار يؤمنون وزيف بان الاختيار لا بد معه من حصول داعية يترجح بها احد طرفى الممكن ولا يحصل تلك الداعية الا بخلق الله تعالى فكانه لا اختيار قال الجبائى قوله الا ان يشاء الله يدل على حدوث المشيئة اذ لو كانت قديمة وهى الشرط لزم من حصولها حصول المشروط واجيب بانها قديمة الا ان تعلقها باحداث المحدث فى الحال اضافة حادثة ثم ختم الاية بقوله ولكن اكثرهم يجهلون قالت الاشاعرة اى لا يعلمون ان الكل بقضاء الله وبقدره وقالت المعتزلة انهم لا يدرون انهم يبقون كفارا عند ظهور الايات التى طلبوها والمعجزات التى اقترحوها فيقسمون بالله جهد ايمانهم من حال قلوبهم او ولكن اكثر المسلمين يجهلون ان هؤلاء لا يؤمنون الا ان يضطرهم فيطبعون فى ايمانهم لاختيار يجئ الايات المقترحات ثم قال قبل انه معطوف على قوله وكذلك زينا لكل امة عملهم وجعلنا قبل ان المشار اليه محذوف اى كما خلينا بينك وبين اعدائك كذلك فعلنا بمن قبلك من الانبياء واعدائهم لم تمنعهم من العداوة لما فيه من الامتحان الذى هو سبب ظهور اثبات والصبر وكثرة الثواب الاجر قالت الاشاعرة لا شك ان تلك العداوة معصية وكفر وان جعلها شرفا لانه يدل على ان خالق الخير والشر والطاعة والمعصية الايمان والكفر هو الله قال الجبائى المراد بهذا الجعل انه حكم وبين فان الرجل اذا حكم بكفر انسان قيل انه كفره واذا اخبر عن عدالته قيل عدله وقال بلخى المراد انه امرهم بعداوتهم واعلمهم بكونهم اعداء لهم فاقتضى ذلك انهم صاروا اعداء للانبياء لان العداوة يكون من الجانبين اجاب ابو بكر الاصم بانه ارسل محمدا الى العالمين وخصه بتلك المعجزات صار ذلك التخصيص سببا للحسد والعداوة او للبغضاء فهذا هو المراد بجعلهم اعداء له وزيف بان افعال مستندة الى الدواعى وهى من الله تعالى وبان العداوة والمحبة متعلق بالطبع لا بالارادة والتكليف فلا يقدر عليها الا الله تعالى واحتج اصحابنا بهذه الاية على ان الشياطين كلهم من الجن حيث قال وجعلوا لله شركاء الجن قال الزجاج وابن الانبارى على واو فى معنى الجمع والقائل ان يقول لا حاجة الى هذا التكلف لصحة قولنا كل جعلنا لكل واحد من الانبياء اعداء اكثر من عدو واحد عن ابن عباس كل عات متمرد من الجن والانس فهو شيطان وقال مجاهد وقتادة والحسن شياطين الجن والانس شياطين من الانس اذا اغووا المؤمن ذهب الى متمرد من الانس وهو شيطان الانس فاعوذ بالمؤمن يعينه عليه روى عن النبى صلى الله عليه وآله انه قال لابى ذر هل تعوذت بالله من شر شياطين الانس والجن قال قلت يا رسول الله هل للانس من شياطين قال نعم هم شر من شياطين الجن وقيل ان الجمع من ولد ابليس لان الذى يوسوس للانس يسمى شيطان الانس والذى يوسوس للجن يسمى شيطان الجن وزيف بان المفهوم من الاية الشكاية من سفاهة الكفار بين هم الاصنام وهم الشياطين وعن مالك بن دينار ان شيطان الانس اشد على من شيطان الجن لانى اذا تعوذت بالله ذهب شيطان الجن عنى شيطان الانس يجيئنى فيحتاج الى المعالجة عيانا ومعنى الايحاء اما القول السريع اى يوسوس شياطين الجن الى شياطين الانس وكل بعض الجن الى بعض الانس الى بعض وكانه لا يتصور وسوسة الانس الى الجن الا على سبيل التقول بالتسخير وزخرف القول ما حسن من القول والوسوسة والاغراء المعاصى والتحقيق فيه ان الانسان عالم بعقد امر من الامور وخبرتها وبفعل امر عجيب فيه ثم ان كان هذا الاعتقاد مطابقا للواقع فهو الحق والصدق

الايمان الاختيارى وما شاء الايمان

اى وكذا زينا لهم

واحد اذ ليس يجب ان يحصل لكل واحد من الانبياء

والاتمام وكان صادرا من الملك والا كان منزخرفا اى يكون بالضم فاسدا وظاهره منزينا قال الواحدى غرورا نصب على المصدر لان ايحاء الزخرف من القول في معنى الغرور ولو شاء ربك ما فعلوه استدلال الاشاعرة بهذا الظاهر المعتزلة يحملونه على مشيئة الالجاء فذرهم وما يفترون منصوب على انه مفعول به اى وافترائهم وما يفترونه قال ابن عباس يريد ما زينوا لهم ابليس وغرهم به ونهى محمد من الكفر وترغيب في الايمان وتسلية له ولرسول الله صلى الله عليه واله وتنبيه له على ما اعد للكفرة من العقاب وله من الثواب بسبب صبره على سفاهتهم وتلطفه بهم الصغو في اللغة الميل يقال في المنع انه مصغ اذا مال بحاسة الى ناحية الصوت واصغى الاناء اذا اماله حتى انصب بعضه في البعض ويقال للفراء مال الى الغروب صغى واصغى قال الجوهري صغا يصغو ويصغى صغوا اى مال وكذلك صغى بالكسر يصغى بالفتح صغى وصغيا والام في لتصغى لابد له من متعلق فقال الاشاعرة التقدير واتما جعلنا ذلك التخصص عدوا للنبي لتميل اليه اولا قوله المزخرف افتدة الكفار فيبعد وابد لك التسبب عن قبول دعوة النبي ولرضوه ولختاروه على انفسهم ولقترفوا وليكتسبوا من الاثام ما هم مقترفون وقال الجبائي ان هذا الكلام خرج مخرج الامر ومعناه الزخرف كقوله واستفزز من استطعت منهم بصوتك وذيف بان حمل لام كي على لام الامر تحريف وقال الكعبي هي لام العاقبة تفيد به وتميل الى ما ذكر من علاوة الانبياء ووسوسة الشياطين ان فتنة الكفار جعلنا لكل نبي عدوا ومن اجاب مسلم انها معطوفة على موضع غرورا والتقدير يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول الغرور بذلك ولتميل قلوب الكفار الى المذاهب الباطلة واورد عليه ان ميل القلوب الى الاراء الفاسدة هو عين الاغترار فيلزم عطف الشيء على نفسه وههنا بحث وهو ان الاشاعرة قالوا البنية ليست شرطا للحياة فالحي هو الجزء الذي قامت الحياة به والعالم هو الجزء الذي قام العلم به وقالوا المغتر الحي والعالم هو الجملة لان ذلك الجزء عندهم الاشاعرة انه جعل الموصوف بالميل والرغبة في الاثم هو القلب لا الجملة الحي وبمثله استدل من جعل المتعلق الاول للتفسير هو القلب لا مجموع البدن ثم انه سبحانه لما ذكر انه لا فائدة لهم في اظهار الايات التي اقترحوها بين بقوله افغير الله ابتغي حكما الاية ان الدليل الدال على نبوته قد حصل وكمل والزايد على ذلك لا يجب الالتفات اليه وانما قلنا ان الدليل على نبوته قد حصل لوجهين الاول ان الله تعالى قد حكم بنبوته من حيث انه انزل عليه الكتاب المبين المشتمل على العلوم الكثيرة والفصاحة الكاملة وقد عجز الخلق عن معارضته واشار الى هذا الوجه بقوله افغير الله ابتغي حكما يعني قل يا محمد انكم تحكمون في طلب سائر المعجزات فهل يجوز في العقل ان يطلب غير الله حكما فان كل احد يعلم ان ذلك غير جايز الوجه الثاني اشتمال التوراة والانجيل على ان محمدا رسول الله صلى الله عليه واله حقا وعلى ان القرآن كتاب حق من عند الله واشار اليه بقوله والذين اتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق ثم قال فلا تكونن من الممترين والخطاب لكل احد اى اذا ظهرت الدلايل فلا ينبغي ان يمترى فيه احد وقيل الخطاب للرسول والمراد به الامة وقيل الخطاب للرسول في الحقيقة والمراد التهييج والالهاب كقوله ولا تكونن من المشركين والمراد فلا تكونن من الممترين فان اهل الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق ولا يرتاب بحقيته الا الجاحد المكابر قال الواحدي الحكم والحاكم واحد عند اهل اللغة وقال بعض اهل التاويل الحكم اكمل من الحاكم كالعدل من العادل والحكم هو الذي لا يحكم الا بالحق ثم لما بين ان القرآن معجز قال وتمت كلمة ربك اى القرآن وقوله صدقا وعدلا مصدران ينتصبان على الحال من الكلمة اى تمت حالة كونها صادقة في كونها معجزة دالة على صدق محمد وكافية في بابها مما يحتاج المكلفون اليه الى القيام علما وعملا والمراد بالتمام انها لا يلحقها بعد ذلك شيء واعلم ان كل ما حصل في القرآن لو عمان الخبر والتكليف فالخبر كل ما اخبر الله تعالى عن وجوده او عن عدمه كالخبر عن وجوده ذاته وخصوصا ذاته اعني كونه تعالى قادرا سميعا بصيرا يدخل فيه الخبر عن صفات التقديس والتنزيه كقوله تعالى لم يلد ولم يولد ولم يتخذ ولدا ولا تاخذه سنة ولا نوم ويدخل فيه الخبر عن اقسام افعال الله تعالى وكيفية تدبيره لملكوت السموات والارض وفي عالم الارواح والاجساد ويدخل فيه الخبر عن احكام الله تعالى في الوعد والوعيد والثواب والعقاب ويدخل فيه الخبر عن اقسام اسماء الله تعالى والخبر عن النبوات واقسام المعجزات والخبر عن احوال النشر والقيامة وصفات اهل الجنة والنار والخبر عن احوال المتقدمين والخبر عن المغيبات واما التكليف فيدخل فيه كل امر ونهي توجه سبحانه على عبيده سواء كان ملكا او بشرا او شيطانا وسواء كان ذلك في شرعنا او في شرايع الانبياء المتقدمين او في مراسم الملايكة المقربين الذين هم سكان السموات والجنة والنار والعرش وما وراءه مما لا يعلم احوالهم الا الله تعالى فاذن المراد وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا ان كان من باب الخبر وعدلا ان كان من باب التكاليف وهذا اضبط حسن وقيل ان كل ما اخبر الله تعالى عنه من وعد ووعيد وثواب وعقاب فهو صدق لانه لا بد ان يكون واقعا وهو بعد وقوعه عدل لانه تعالى منزه عن ان يكون بصفة الظلم ثم قال لا مبدل لكلماته والمعنى ان هؤلاء الكفار يقولون الشبهة في كون القرآن حقا لعل ان تلك الشبهات لاثر لها في هذه الدلالة البتة لجواز ان يكون الله تعالى قد خلق في كلماته نقيضها او ضدها او المراد ان كلماته تبقى موصوفة بصفتها مصونة عن التحريف والتغيير كما قال انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون او الغرض انها بأسرها عن التناقض كما قال ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا او المعنى ان احكام الله تعالى لا تتغير ولا تتبدل لانها ان تبدلت اما ان تبدل الى الاباطل وهذا الوجه احد الاصول القوية في اثبات الخبر ان يلزم منه الاخبار بقلب الشيء وبالضد ثم لما اجاب عن شبه الكفار بين ان عند ظهور الحجة وتبين المحجة لا ينبغي للعاقل ان يلتفت الى كلمات الجهال فقال وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله والمضل لا بد ان يكون ضالا وبعضهم الذين يزعمون النبي في الدين غير قادح فهم بمعجزة مذاهبهم كالزنادقة وعبدة الكواكب والاصنام وكالذين يحرمون البحائر والسوائب والوصائل ويحللون الميتة فيحكمون على الحق بانه باطل وعلى الباطل بانه حق فلا يتبعون الا الظن

وان هم الا يخرصون يقدرون انهم على شئ او يكذبون في ان الله احل كذا وحرم كذا واصل الخرص حرز ما على النخل من الرطب تمرا وليس لنفاة القياس تمسك بالآية من قبل توجه الذم على متبع الظن لان المذموم من اتباع الظن هو الذي لا يستند الى امارة كظن الكفار المستند الى تقليد اسلافهم فقط اما اذا كان الاعتقاد الراجح مستندا الى امارة فلم قلتم انه كذلك ثم قال ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين والمراد انك بعد ما عرفت ان الحق ما هو والباطل ما هو فلا تكن في قيد هم بل فوض امرهم الى خالقهم لان الله تعالى عالم بان المتمسك من هو والضال من هو فيجازي كل احد بما يليق بحاله والمراد ان هؤلاء الكفار وان اظهروا من انفسهم ادعاء الجزم واليقين فهم كاذبون والله تعالى عالم باحوال قلوبهم وبواطنهم ومطلع على تحيرهم في اودية الجهالة وتيه الضلال قال النحويون ان افعل التفضيل لا يعمل فمظهر في الكلام محذوف اي يعلم من يضل عن سبيله فان لم يقدر محذوف قوي بالباء كما في القلم ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين وهذا هو الاصل وانما خص هذه السورة بالحذف موافقة لقوله الله اعلم حيث يجعل رسالته وعدل الى لفظ المستقبل تنبيها على قطع الاذهان الى ان الكثرة باستعمال افعل من يستعمل في الماضي نحو اعلم من ذب ودرج واحسن من قام وقعد وافضل من حج واعتمر فلو لم يعدل الى لفظ المستقبل لتمسك بالاضافة تعالى الله عن ذلك وجوز بعضهم ان يكون من للاستفهام كقوله لنعلم اي الحزبين احصى ثم قال فكلوا والفاء مسببة عن تكاذب اتباع المضلين الذين يحلون الحرام ويحرمون الحلال وذلك انهم كانوا يقولون للمسلمين انكم تزعمون انكم تعبدون الله احقا ان تاكلوا مما قتلتم انتم فقال الله سبحانه للمسلمين ان كنتم محققين بالايمان فكلوا مما ذكر اسم الله عليه وهو المذكى بسم الله فان قيل ان القوم كانوا يذبحون ما ذبح على اسم الله نعم ولا يبارعون فيه وانما النزاع في اكل الميتة فانهم كانوا يبيحونها والمسلمون يحرمونها فما الحكمة في اثبات الحكم في المتفق عليه وترك الحكم في المختلف فيه فالجواب لعل القوم كانوا يحرمون اكل المذكاة ويبيحون اكل الميتة وزد الله تعالى عليهم في الامرين بقوله فكلوا مما ذكر اسم الله عليه او نقول اراد اجعلوا اكلكم مقصورا على ما ذكر اسم الله عليه وعلى هذا فيكون المراد تحريم الميتة فقط والله اعلم اما قوله وقد فصل لكم فاكثر المفسرين قالوا المراد به ما فصل في اول المائدة من قوله حرمت عليكم الميتة الى آخر الآية واعترض عليه بان سورة الانعام مكية والمائدة من آخر ما نزل بالمدينة والآية تقتضي ان يكون المفصل مقدما على هذا المجمل بل الاولى ان يقال المراد بقوله تعالى بعد هذه الآية قل لا اجد فيما اوحي الي محرما الى آخرها فان هذا القدر من المتاخر غير متاخر وقوله الا ما اضطررتم اي دعتكم الضرورة الى اكله بسبب المجاعة وان كثيرا ليضلون المبالغة في قراءة ضم الياء اكثر لان كل مضل فانه يكون ضالا وقد يكون الضال غير مضل قيل انه عمرو بن لحي فمن دونه من المشركين لانه اول من غير دين اسمعيل واتخذ البحائر والسوائب واكل الميتة وقوله باهوائهم يعني بغير علم بل بان عمرو بن لحي اقدم على هذه المذاهب من الجهالة الصرفة وقال الزجاج المراد منه الذين يحللون الميتة ويناظرون في احلالها او يحتجون عليها بقولهم اذا ماتت بحوننا نحن فلان يحل ما يذبحه الله تعالى اولى وكل كل ما يفعلون فيه من عبادة الاوثان والطعن في نبوة محمد صلى الله عليه وآله وفي الآية دلالة على ان النزاع في الذين يجرد التقليد حرام ان ربك هو اعلم بالمعتدين فيجازيهم عليها وفيه من التهديد ما فيه ثم ذكر انواعا فقال وذروا ظاهر الاثم وباطنه فعلى ظاهره الزنى في الحوانيت وباطنه اتخاذ الخدن في السر قال الضحاك كان اهل الجاهلية يرون الزنى حلالا ما كان سرا والاصح ان النهي عام اذ الدليل على تخصيصه ثم قيل المراد ما اعلنتم وما اسررتم وقيل ما عملتم وما نويتم وقال ابن الانباري يريد وذروا الاثم من جميع جهاته كما تقول ما اخذت من هذا المال قليلا ولا كثيرا اي ما اخذته بوجه من الوجوه وقريب منه قول من قال المراد النهي عن الاثم مع بيان انه لا يخرج عن كونه اثما بسبب خفائه وكتمانه وقيل المراد النهي عن الاقدام على الاثم ثم قال وباطنه لظهر بذل اللسان الداعي له الى ترك ذلك الاثم خوف الله لا خوف الناس وقيل ظاهر الاثم افعال الجوارح وباطنه افعال القلوب من الكبر والحسد والعجب وارادة الشر للمسلمين ويدخل فيه الاعتقاد والعزم والنظر والظن والتمني والندم على افعال الجوارح ومنه يعلم ان ما يوجد في القلب قد يؤاخذ به وان لم يقترن به عمل ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون اي يكتسبون من الاثام الاعتراف بمحو الاقتراف وكاتبوا التوبة بمحو الحوبة وظاهر النص يدل على ان تارك العقاب المذنب الا ان المسلمين اجمعوا على انه اذا اثاب لم يعاقب واهل السنة على انه اذا لم يثب احتمل العفو ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه نقل عن عطاء انه قال كل ما لم يذكر اسم الله تعالى عليه من طعام او شراب فهو حرام تمسكا بعموم الآية واجمع سائر الفقهاء على تخصيص هذا العموم بالذبح ثم اختلفوا فما لك كل ذبح لم يذكر اسم الله تعالى عليه من طعام او شراب فهو حرام ترك الذكر عمدا او نسيانا وهو قول ابن سيرين وطائفة من المتكلمين ابو حنيفة ان ترك عمدا حرم وان ترك نسيانا حل الشافعي متروك التسمية عمدا وسهوا حلال اذا كان الذابح مسلما لقوله تعالى وانه لفسق والضمير عائد الى الاكل المدلول عليه بالفعل او الى الموصول على انه في نفسه فسق مثل رجل عدل او على تقدير حذف المضاف اي ان اكله لفسق وقد اجمع المسلمون على انه لا يفسق باكل ذبيحة المسلم الذي ترك التسمية ولقوله نعم وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم وهذه المناظرة كانت في مسئلة الميتة وذلك ان المشركين قالوا يا محمد اخبرنا عن الشاة من قتلها اذا ماتت حتف انفها فقالوا فتزعم ان ما قتلت انت واصحابك حلال افتقل الكلب المصرح حلال وما قتله الله حرام فانزل الله الآية فالمراد من الشياطين ههنا ابليس وجنوده وسوسوا الى اوليائهم من المشركين ليخاصموا المسلمين واصحابه في اكل الميتة وقال عكرمة وان الشياطين يعني مردة المجوس ليوحون الى اوليائهم من مشركي قريش وذلك انه لما نزل تحريم الميتة سمعه المجوس من اهل فارس فكتبوا الى قريش وكانت بينهم مكاتبة ان محمدا واصحابه يزعمون ان ما يذبحونه حلال وان ما يذبحه الله حرام فوقع في انفس ناس من المشركين

الجزء السابع

شئ فزلت الآية ثم قال وان اطعتموهم يعني في استحلال الميتة انكم لمشركون قال الزجاج وفيه دليل على ان كل من احل شيئا مما حرم الله تعالى او حرم شيئا مما احل الله فهو مشرك لانه اثبت حاكما سوى الله تعالى ثم قال الشافعي في الفسق الذي هو اخوه وهو قوله قل لا اجد فيما اوحي الي محرما الى قوله او فسقا اهل لغير الله به مفسرا بما اهل به لغير الله فعلمنا ان الفسق في هذه الاية ايضا مفسر لنا عن هذا المقام وهو التمسك بالمخصصات فلم قلتم انه لا يوجد ذكر الله ههنا لما روى انه صلى الله عليه وآله قال ذكر الله مع المسلم سواء قال او لم يقل فحمل هذا الذكر على ذكر القلب وقول هب ان هذا الدليل يوجب الحرمة الا ان معنا ما يدل على الحل واذا تعارض الحل والحرمة فالحل راجح لان الاصل في الاشياء الاباحة وللعمومات الدالة على الحل كقوله خلق لكم ما في الارض جميعا كلوا واشربوا ولا تسرفوا وقد قال احل لكم الطيبات ولان الطبع يميل اليه وقد نهي عن اضاعة المال هذا تقرير مذهب الشافعي ومع ذلك فالاولى للمسلم ان يحترز عنه لقوة ظاهر النص قال الكعبي في الآية دلالة على ان الايمان اسم لجميع الطاعات لانه تعالى سماهم مخالفته شركا واجيب بانه لا يجوز ان يراد بالشرك ههنا اعتقاد ان لله شريكا في الحكم الناطق بل وكلهم الموفق اي فاويهم الميتة وحشرنا اي ربناهم جميع الايات المودعة في المكونات الا ان يشاء الله فان المشيئة تغير السجية والعنا الازلية كفاية الابدية ولكن اكثرهم يجهلون ان الحمد لله بما منه وانه يمشيه الموفق ثم اخبر ان البلاء للسائرين الى الله هي المطايا فقال وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس هي النفس الامارة التي هي اعدى الاعداء والذين اتيناهم الكتاب هديناهم بنور الكتاب لحضرة الجلال فلا تكونن نهي للمكونين الان وتمت كلمة ربك كلامه وقضاؤه في الازل صدقا وفيما حكم به من الوجود والعدم والسعادة والشقاوة والرد والقبول والخير والشر وعدلا فيما عدل فيه من المحن والمنح والايمان والكفر واحسن شئ خلقه هو الانسان لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم وكان شر شئ هو الانسان عند فنائه استعداده ثم رددناه اسفل سافلين ولاهل الكمال ترقي في كمال الحسن الى الابد ولاهل النقصان تنقل في القبح الى الابد ايضا اظهارا للقدرة الكاملة غير المتناهية وهو النبيع لحاجة كل ذي حاجة العالم بما يستاهله كل موجود وان تطع اكثر من في الارض وهم اهل الاهواء واقلهم اهل الحق وان هم الا يخرصون في دعوى طلب الحق فان سبيل الحق لا تسلك بالهوى انما يسلك بالصدق والهدى فكلوا مما ذكر اسم الله عليه من امارات الايمان ان يأكلوا الطعام بحكم الشرع لا على وفق الطبع وبدء بذكر الله كما قال صلى الله عليه وآله اذبحوا باسم الله وكلوا باسم الله فلا اكل على الغفلة والنسيان والاستعانة به على العصيان يورث الجنان والحرمان عن الجنان وقد فصل لكم ما اهل الله حرم عليكم وهو الدنيا وما فيها والاخرة وفيهما الا ما اضطررتم اليه من ضرورات البشرية الدارين بامر المولى لا بالطبع والهوى ان ربك هو اعلم بالمعتدين الذين جاوزوا المولى وركنوا الى الدنيا والعقبى وذروا ظاهر الاثم يعني الاعمال الطبيعة وباطنه يعني الاخلاق الذميمة الوزر سيجزون بما كانوا يقترفون لان الاخلاق الظلمانية توجب صداء مرات القلب بزيدها ارينا الى ان يصير حجابا بين العبد وبين الله تعالى ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وذكر الله وطلب الله يدفع بنور الذكر ظلمة الطعام وشهوته واثمه يعني ظلام الطعام يؤدي الى الفسق الذي هو الخروج من النور الروحاني الى الكلمة النفسانية وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم شياطين الانس والجن المجادلة مع القلوب ليدعوها الى متابعة الهوى ليحتجوا عند الله حجة او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها وما يمكرون الا بانفسهم وما يشعرون واذا جاءتهم اية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله الله اعلم حيث يجعل رسالته سيصيب الذين اجرموا صغار عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون وهذا صراط ربك مستقيما قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون ويوم نحشرهم جميعا يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس وقال اولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا قال النار مثويكم خالدين فيها الا ما شاء الله ان ربك

لو خوف فان للشيطان ع ع

حكيم

حَكِيمٌ عَلِيمٌ وَكَذٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظّٰلِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ يٰمَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ

دانا و بیست دانا و بچنین بکاریم بعضی از ستمکاران را بر بعض بآنچه بودند کسب میکردند ای طائفه پری و آدمی آیا نیامدند شما را پیغمبران از جنس شما که حکایت کردند

عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هٰذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ

بر شما آیات من و بترسانند شما را از دیدن این چنین روزی گفتند گواهی میدهیم بر نفسهای خود و فریب داد ایشان را دنیا و گواهی دادند بر نفسهای خود که ایشان بودند کافران

القراءة بيتا بالتشديد ابو جعفر ونافع وسهل ويعقوب سألته بالنصب التوجيه ابن كثير وحفص والمفضل الباقون رسالة على الجمع وبالكسر في موضع النصب فيهما وبابه بالتخفيف ابن كثير جابكسر الواو ابو جعفر ونافع وسهل وابو بكر وحماد الباقون بالفتح يصعد من الصعود ابن كثير يصاعد من التصعد على ادغام التاء في الصاد ابو بكر وحماد الباقون يصعد بالادغام من التصعد يحشرهم بياء الغيبة حفص الاخوين بالنون الوقوف بخارج منها يعلمون فيها وما يشعرون رسل الله رسالاتي مكررون للاستلاف لابتداء شرط اخرج مع العطف في التمام لا يؤمنون مستفيما تذكرون يعلمون جميعا للحذف اي بحشرهم ويقول لهم مع اتحاد المقصود من الاول لاول لتبدل القائل مع اتفاق الجملتين اجلت لتنافي النار بغلظ الصوت على النار اشارة الى ان النار مبتداء بعد القول وليست فاعلة هيئة الله عليم يكسبون يوم هذا كافرين التفسير انه سبحانه بعد ان ذكر ان المشركين يجادلون المؤمنين ضرب مثلا للفريقين فبين ان المؤمن المهتدي بمنزلة من كان ميتا فجعله الله حيا واعطاه نورا يهتدي به في مصالحه وان الكافر بمنزلة من هو في الظلمات منغمس فيها لا خلاص له منها فيكون تحيرا على الدوام وهل هما خاصان او عامان فيه قولان الاول قال ابن عباس يريد حمزة بن عبد المطلب ابا جهل وذلك ان ابا جهل مر برسول الله صلى الله عليه وآله بفرث ودم فسبه وآذاه فاخبر حمزة بما فعل ابو جهل وهو راجع من قنصه بيده قوس فاقبل غضبانا حتى علا ابا جهل بالقوس وهو يتضرع اليه ويقول يا ابا يعلى اما ترى ما جاء به سفيه عقولنا وسب آلهتنا وخالف ابائنا فقال حمزة ومن اسفه منكم تعبدون الحجارة من دون الله اشهد ان لا اله الا الله لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله فانزل الله هذه الآية وعن مقاتل نزلت في النبي صلى الله عليه وآله وابي جهل وذلك انه قال زاحمنا بنو عبد مناف في الشرف حتى اذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نؤمن به الا ان يأتينا وحي كما يأتيه فنزلت وعن عكرمة انها نزلت في عمار بن ياسر وابي جهل وعن الضحاك هي في عمر بن الخطاب وابي جهل والقول الثاني انها عامة في كل مؤمن وكافر لحصول المعنى في الكل واتما حمل الكفر موتا لانه جهل والجهل يوجب الحيرة والوقفة فهو كالموت الذي يوجب السكون وايضا الميت لا يهتدي الى شيء وكذلك الجاهل والهدى علم وبصيرة وهما يوجبان الفوز بالمطالب كالحياة والنور قال بعض العلماء قوله او من كان ميتا اشارة الى اول مراتب النفس الانسانية وهي الاستعداد المحض المسماة بالعقل الهيولاني عند الحكيم وقوله فاحييناه اشارة الى ثانية مراتبها المسماة بالعقل بالملكة وهي ان يحصل لها العلوم الكلية الاولية وقوله وجعلنا له نورا اشارة الى ثالثة المراتب وهي التي قد حصلت لها المعقولات المكتسبة ولكنها لا تكون حاضرة بالفعل بل يكون بحيث متى شاء صاحبها استرجاعها واستحضارها قادر عليه ولهذا يسمى عقلا بالفعل اي الفعل القريب وقوله يمشي به في الناس اشارة الى الرابعة المراتب وهي النهاية المسماة بالعقل المستفاد وقد حصلت لها المعارف القدسية والجلايا الروحانية للنفس حاضرة بالفعل وصار جوهر الروح مشرقا بتلك المعارف مستغنيا بها ويمكن ان يقال الحيوة عبارة عن الاستعداد القائم بجوهر الروح والنور عبارة عن اتصال نور الوحي والتنزيل فانه لا بد في الابصار من امرين سلامة الحاسة والنور الخارجي من الشمس والسراج فكذلك البصيرة لا بد لها في الادراك من سلامة حاسة العقل ومن طلوع نور الوحي فلهذا قال جمع من المفسرين المراد بهذا النور القرآن ومنهم من قال نور الدين او نور الحكمة والاقوال متقاربة واما مثل الكافر فهو كمن في الظلمات ليس بخارج منها وبيان ظلمات الجهل والاخلاق الذميمة صارت كالصفة اللازمة له لا يكاد يزول عنه فيبقى متحيرا خائفا فزعا نعوذ بالله من هذه الحالة وهذا معنى المثل ههنا الصفة الغريبة اي كمن صفته هذه والمراد كمن هو في الظلمات ثم قال كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون والمزين هو الله بالتحقيق عند الاشاعرة والشيطان بالحقيقة او الله مجازا عند المعتزلة والاضافة الى الله بالحقيقة او المجاز اولى بدليل قوله وكذلك جعلنا اي كما جعلنا في مكة صناديدها يمكرون فيها كذلك جعلنا او وكما زينا للكافرين اعمالهم كذلك جعلنا في كل قرية اكابر وهي جمع الاكبر ومجرميها مضاف اليه والظرف مفعول ثان قدم ليعود الضمير الى القرية وقيل لتقدير جعلنا مجرميها اكابر قال الزجاج انما جعل المجرمين اكابر لاجل رياستهم اقدر على المكر والتزوير لانهم من غيرهم ولان كثرة المال وقوة الجاه يحمل الناس على المبالغة في حفظها وذلك لا يتم الا باستعمال بعض الاخلاق الذميمة من المكر والغدر والكذب والغيبة والنميمة والتجبر والايمان الكاذبة وكفى بهذه الامور دليلا على خساسة المال والجاه واللام في ليمكروا على اصله عند الاشاعرة واستدلوا به على ان الشر بارادة الله تعالى وحمله المعتزلة على لام العاقبة مجازا كما حملوا الجعل في قوله وكذلك جعلنا على التخلية والخذلان ثم قال ومعرض لتهديدهم وما يمكرون الا بانفسهم لان وبال ذلك يعود عليهم وما يشعرون وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وآله وتقديم موعود بالنصرة ثم انه سبحانه حكى قول ابي جهل واضرابه من بني عبد مناف في الشرف الى آخره وقول الوليد بن المغيرة لو كانت النبوة حقا لكنت اولى بها منك سنا واكثر منك مالا فقال واذا جاءتهم اية اي معجزة قاهرة او حجة قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله قال الضحاك اراد كل واحد منهم ذلك كما في الاية الاخرى بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة ويشبه ان يكون هذا الكلام الخبيث هو المراد بالمكر المذكور في الاية المتقدمة والمفسرون في مقرهم قولان احدهما وهو الاشهر انهم ارادوا ان يحصل لهم النبوة والرسالة كما حصلت للنبي صلى الله عليه وآله وان يكونوا المبعوثين لا تابعين

ومحمد وعن الاخوين وثابتهما عن ابن عباس والحسن ان المعنى واذا جاءتهم اية من القرآن يأمرهم باتباع محمد صلى الله عليه وآله قالوا لن نؤمن حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الى قوله حتى تنزل علينا كتابا نقرأه من الله تعالى الجاحد وفلان وفلان فالقوم ما طلبوا النبوة وانما طلبوا ايات قاهرة ومعجزات ظاهرة مثل معجزات الانبياء المتقدمين يدل على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وآله فقوله سبحانه في جوابهم على سبيل الاستيناف الله اعلم حيث يرسالته على القول الاول ظاهر واما على القول الثاني فوجهان الاول ان القوم اذا اقترحوا تلك الايات فلو اظهر الله تعالى تلك المعجزات على وفق اقتراحهم لكانوا قد قربوا من منصب الرسالة قال بعض العقلاء الارواح متساوية في تمام الماهية فحصول النبوة والرسالة لبعضها دون بعض تشريف من الله تعالى واحسان وتفضل وقال اخرون بل النفوس مختلفة الجواهر والماهيات فبعضها خيرة طاهرة عن علائق الجسمانيات مشرقة بالانوار الالهية مستعلية مؤثرة وبعضها جبانة شكدة محبة للجسمانيات فالنفس ما لم تكن من القسم الاول لم تصلح لقبول الوحي والرسالة ومراتب الرسل مختلفة فمنهم ذو معجزة واحدة وذو معجزتين واكثر ومنهم من له تبع قليل ومنهم من امن به جم غفير ومنهم من كان الرفق غالبا عليه ومنهم من كان مدار امره على التغليظ والتشديد وفي الاية تعريض بان حصول النبوة والرسالة لا بد فيه من قلب سليم والمقترحون فيهم من المكر والخبث فيهم ما فيهم فكيف يعقل حصول الرسالة لهم وانما يحصل لهم فايناس اخلافهم واحوالهم وهذا قال تعالى سيصيب الذين اجرموا صغار عند الله اي في الاخرة او في الدنيا بحكم الله وايجابه من الاسر والقتل والمراد من عند الله مختار في قوله عند الله مستانف اي بعد لهم ذلك واعلم ان كمال العقاب لا بد فيه من امرين الضرر والاهانة ثم ان القوم لما تمردوا عن طاعة محمد صلى الله عليه وآله طلبا للعز والكرامة فالله تعالى بين انه يقابلهم بضد مقصودهم فاول ما يوصل اليهم الذل والهوان وبعده عذاب شديد بسبب جميع ذلك بسبب مكرهم ونكرهم فمن يرد الله ان يهد به يشرح صدره للاسلام يقال شرح فلان امره اذا اظهره واوضحه ومنه شرح المسئلة اذا بينها وقال الليث شرح الله صدره فانشرح اي وسعه لقبول ذلك الاثر ولا شك ان توسيع الصدر غير ممكن على سبيل الحقيقة ولكن لهيهنا معنا وهو انه اذا اعتقد الانسان في عمل من الاعمال ان نفعه زايد وخيره راجح مال الطبع اليه وقوي طلبه ورغبته في حصوله وظهر في القلب استعداد شديد لتحصيله فسميت هذه الحالة بسعة الصدر وان حصل في القلب علم او اعتقاد او ظن يكون ذلك العلم مشتملا على ضرر زايد ومفسدة راجحة دعاه ذلك الى ترك ما حصل فيه النفرة عن قبوله فبقي بسبب هذه الحالة ضيق الصدر فكان المكان اذا كان ضيقا لم يمكن الداخل من الدخول فيه واذا كان واسعا قدر على الدخول فيه واكثر استعمال شرح الصدر في جانب الحق والاسلام وقد ورد في الكفر ايضا قال تعالى ولكن من شرح بالكفر صدرا قال المفسرون لما نزلت هذه الاية سئل رسول الله صلى الله عليه وآله فقيل كيف يشرح الله صدره فقال صلى الله عليه وآله يقذف الله تعالى فيه نورا حتى ينفسح وينشرح فقيل له وهل لذلك من امارة يعرف بها فقال صلى الله عليه وآله الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله وهذا البيان مناسب لما ذكرنا فان الانابة الى دار الخلود لا بد ان يترتب على اعتقاد ان عمل الاخرة واجب ايثر النفع والتجافي عن دار الغرور انما ينبعث عن اعتقاد كون عمل الدنيا زايد الضرر والشر والاستعداد للموت قبل نزوله ينتج مجموع الامرين الزهد في الدنيا والرغبة في الاخرة اما قوله حرجا فمن قرأ بكسر الراء فعلى النعت ومن قرأ بالفتح فعلى الوصف بالمصدر للمبالغة قال الزجاج الحرج في اللغة اضيق الضيق وقيل الحرج بالفتح جمع حرجة وهو الموضع الكثير الاشجار الذي لا يناله الراعية حكى الواحدي باسناده عن ابن عباس انه قرأ هذه الاية وقال هل ههنا احد من بني بكر قال رجل نعم قال ما الحرجة فيكم قال الوادي الكثير الاشجار الممتسك الذي لا طريق فيه فقال كذلك قلب الكافر ومعنى يصعد في السماء كانما يزاول امرا غير ممكن لان صعود السماء مثل فيما يمتنع ويبعد عن الاستطاعة فكان الكافر في نفوره من الاسلام وثقله عليه بمنزلة من يتكلف الى الصعود الى السماء وقيل المراد ان قلبه يتباعد عن الاسلام وقبوله تباعد ما بين الارض والسماء كذلك يجعل اي كما جعل ضيقا لصدره في قلوبهم كذلك يجعل الرجس عليهم وقال الزجاج اي مثل ما قصصنا عليك يجعل الله الرجس عن ابن عباس هو الشيطان سلطه الله عليهم وقال مجاهد الرجس الاخير فيه وعن عطاء الرجس هو العذاب قال الزجاج هو اللعنة في الدنيا والعذاب في الاخرة قال الاشاعرة في الاية دلالة على ان الهداية والضلال من الله تعالى بينا ان العبد قادر على الايمان وعلى الكفر وقدرته بالنسبة الى الامرين سواء ولا يترجح الا الداعية ولا معنى للداعية الا العلم او الاعتقاد او ظن يكون ذلك الفعل مشتملا على مصلحة زايدة ومجموع القدرة مع الداعي يوجب الفعل ولا بد ان ينتهي تلك الداعية الى تخليق الله وتكوينه دفعا للتسلسل فاذا خلق الله تعالى في قلبه اعتقاد ان الايمان راجح المنفعة وهو المراد بشرح الصدر زال القلب ليه واذا خلق في قلبه اعتقاد ان الايمان مجمد سبب للمفسدة الدينية والدنيوية طبعه عنه وبقي على الكفر فحاصل الاية ان من اراد الله منه الايمان قوى داعيته اليه ومن اراد منه الكفر قوى صوارفه عن الايمان وقالت المعتزلة الاية لا دلالة فيها على قولكم لانه ليس فيها اكثر من انه اذا اراد ان يهدي انسانا او يضله فعل به كيت وكيت وليس فيها انه اراد ذلك او لم يرد نظيره قوله تعالى وان اردنا ان نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا فبين انه كيف يفعل اللهو اذا اراده ثم انه لم يرد ذلك بالاتفاق وايضا لو قلتم انه اراد ومن يرد ان يضله على الايمان بل المراد من يرد الله ان يهديه يوم القيمة الى طريق الجنة يشرح صدره للاسلام حتى يثبت عليه وتفسير الشرح هو ان يفعل به الطاف يدعوه الى البقاء على الايمان والثبات عليه ومن يرد ان يضله عن طريق الجنة فعند ذلك يلحق صدره الضيق والحرج لانه في كل اوقات بلى بعضها كيلا يمكن دفعه وخصوصا عند ظهور قوة المؤمنين وبدو الذل والصغار في الكافرين وايضا لا يجوز ان يقال المعنى فمن يرد الله ان يهديه الى الجنة يشرح صدره للاسلام

في ذلك الوقت الذي يهدي فيه الى الجنة لما رأى من فوائد الايمان ونتائجه من الدرجات العالية والمراتب الشريفة فيزداد رغبته فيه ومن يرد ان يضله
يوم القيمة عن طريق الجنة ففي ذلك الوقت يضيق صدره للحرمان الشديد الذي نالهُ عند الحرمان من الجنة والدخول في النار وقال في الكشاف من
يرد الله ان يهديه ان يلطف به ولا يريد ان يلطف الا بمن له لطف يشرح صدره للاسلام ويمكن اليه نفسه يجب الدخول فيه ومن يرد ان يضله اي
يخذله ويخليه وشانه وهو الذي لا لطف له يجعل صدره ضيقا حرجا يمنعه الطافه حتى يقسو قلبه ينبو عن قبول الحق ويفسد فلا يدخله الايمان
واجيب عن قولهم ليس في الآية انه اراد ذلك ولم يرد بان قوله اخوالآية كذلك يجعل الله الرجس تفسير بانه فعل بهم ذلك لاضلالهم الكاف للتشبيه
والتقدير كما جعلنا ذلك الضيق والحرج في صدره كذلك يجعل فيه ايضا لانه عائد الى الماء من قوله ومن يرد ان يضله عن الدين وتفسير الضيق والحرج
باستيلاء الغم والحزن على قلب الكافر يعيد لان اكثر من يعتريه الحزن في الدنيا هو المؤمن ولهذا قال صلى الله عليه وآله خص البلاء بالانبياء ثم الاولياء
ثم الامثل فالامثل ولو خص ذلك بالآخرة كان من ايضاح الواضحات فمن المعلوم لكل احد ان من يضله الله عن طريق الجنة فانه يضيق قلبه في ذلك الوقت
والجواب على قول صاحب الكشاف مما مر من ان فعل الايمان يتوقف على ان تحصل في القلب داعية جازمة الى الايمان وفاعل تلك الداعية هو الله تعالى
وكذا القول في جانب الكفر فان سبق الداعية بين احد بالطف والخذلان فلا مضايقة في الاسناد قال القاضي في تفسيره روي عن محمد بن كعب القرظي انه
قال تذاكرنا امر القدر عند ابن عمر فقال لعنت لقدر بتة على لسان سبعين نبيا فاذا كان يوم القيمة نادى مناد وقام جميع الناس يخبث يسمع الكل ابن
خصمان الله فيقوم القدرية قال ولا يخفى انهم الذين ينسبون افعال القبيح الى الله قضاء قدرا وخلقا لانهم يقولون الذنب لله فاي ذنب لنا حتى تعاقبنا
انت الذي خلقته فينا واردته منا وقضيته علينا ولم تخلقنا الا له ولا يسرف لنا غيره فهو لاء لابد ان يكونوا خصما الله اما الذين قالوا ان الله تعالى
مكن واراح العلة وانما الى العبد من قبل نفسه فكلامه موافق لما يعامل به من ازال العقوبة فهو لاء منقادون لله تعالى لا خصما له هذا كلام القاضي
تعجب منه الاشاعرة فقالوا كيف يكون خصم الله من يقول ليس للعبد على الله حجة ولا استحقاق بوجه من الوجوه وان كل ما يفعله الرب في العبد فهو
حكمة وصواب وليس للعبد على ربه اعتراض ولا مناظرة وكل ما يصل منه الى عباده حتى الملائكة والانبياء فهو تفضل منه واحسان لكن الخصم من يدعي
عليه وجوب الثواب والعوض فيقول لولم تعطني ذلك لخرجت عن الالهية وصرت معزولا عن الربوبية وكنت من السفهاء وان من واظب على الكفر
سبعين سنة ثم انه في آخر موته يقول لا اله الا الله محمد رسول الله عند الموت فان رب العالمين اعطاه النعم الفائقة سنين غير محصورة
ثم انه لو ترك تلك لحظة واحدة قال العبد له انا معزول عن الالهية حكي ان الشيخ ابا الحسن الاشعري لما فارق مجلس استاذه ابي علي الجبائي وترك
مذهب المعتزلة اعترضه عن افاويله عظماء لوحشة بينهما فاتفق ان اباعلي عقد مجلس المذكرة وحضر عنده جمع غفير فلما ذهب الشيخ ابو الحسن الى ذلك المجلس
مختفيا عن الجبائي وقال لبعض من حضر هناك من البغداديين اني اعلم مسئلة فاذكر بها هذا الشيخ قولا له كان لي ثلاثة من البنين واحد في غاية
الزهد واخر في غاية الفسق والثالث كان صبيا لم يبلغ فماتوا على هذه الصفات فاخبرني ايتها الشيخ عن احوالهم فقال الجبائي اما الزاهد ففي درجات
الجنة واما الكافر ففي دركات النار واما الصبي من اهل السلامة فقال قول له ان الصبي لو اراد ان يذهب الى تلك الدرجات العالية التي حصل
فيها اخوه الزاهد فهل يكون منه قال الجبائي لا لان الله تعالى يقول انا الخول فصل الى تلك الدرجات لانه اتعب نفسه في العلم والعمل وانت فليس
معك ذلك فقال ابو الحسن قوله لو ان الصبي يقول يا رب العالمين ليس الذنب لي لانك امتني قبل بلوغي ولو ابلغتني فربما ازدت على اخي الزاهد في
الزهد فقال الجبائي يقول الله تعالى له علمت انك لو عشت لطغيت وكفرت وكنت تستوجب النار فراعيت مصلحتك فقال له ابو الحسن قوله له لو ان
الاخ الكافر لما سقط رفع راسه من الدرك الاسفل من النار وقال يا رب العالمين ويا احكم الحاكمين ويا ارحم الراحمين لم راعيت حال الاخ الصغير
ولم راعيت حالي ومصلحتي قال الراوي فانقطع الجبائي فنظر فراى ابا الحسن فعلم ان المسئلة منه لا من العجوز ثم ان ابا الحسن البصري جاء بعد ايراد واكثر مجيبا
عن الجبائي قائلا لا نرضى بهذا الجواب انما نقول الجواب مبني على مسئلة اختلف شيوخنا فيها وهي انه هل يجب على الله تعالى ان يكلف العبد ام لا
فقال البصريون انه غير واجب لكنه تفضل واحسان وقال البغداديون انه واجب على الاول لله تعالى ان يقول لذلك الصبي انا طولت عمر اخي الزاهد
وكلفته على سبيل التفضل ولا يلزم من كوني متفضلا على احد بشيء ان اتفضل على غيره بمثله وعلى قول البغداديين فلله ان يقول ان اطلت عمر
اخيك وتوجه التكليف في حقه لم يستلزم مفسدة الغير فلا جرم فعلته اما اذا طال عمرك وتوجه التكليف عليك فكان يلزم منه عود مفسدة الى غيرك
فلهذا ما فعلته وظهر الفرق وارد على القسم الاول انه تعالى لما اوصل التفضل الى احدهما فالامتناع من ايصاله الى الثاني قبيح منه عقلا لانه
ليس فعلا شاقا عليه ولا ينقص من ملكه والصبي محتاج الى الاحسان اليه ومثل هذا الامتناع قبيح في الشاهد كمن منع غيره من النظر
في مرآته المنصوبة على الجوار لعامة الناس فان حكم العقل في التحسين والتقبيح مقبولا فليكن ههنا ايضا مقبولا والا فلا يقبل في شيء من الصور و
يبطل كلية مذهبكم وارد على الشق الثاني ان قولنا تكليفه يتضمن المفسدة والا لم ينفك تكليف عن المفسدة وانه باطل بالاتفاق فمعناه ان
انما نعلم اذا كلف هذا الشخص فان انا اخر يختار من قبل نفسه فعلا قبيحا فان اقتضى هذا القدر ان يترك الله تعالى تكليفه وجب ان يقبح تكليف
كل من علم الله من حاله انه يكفر والا لزم محض التحكم هذا تمام مناظرة الفريقين ولعلك قد عرفت التحقيق ههنا فيما سلف فتذكر ثم قال وهذا نص
ريب في المراد اليه وجوه منها ان المذكور انما ابتدأ المنقدم اما على مذهب الاشاعرة وهو ان الفعل يتوقف على الداعي وحصول تلك الداعية

يلطف بعض في الاسلام

معانه بعبده

مسئلة الجمع ان ذات التكليف يتضمن

من الله تعالى فيكون الفعل من الله ويلزم استناد الكل الى قضائه وقدره واما على مذهب المعتزلة والمراد هذا الذي قررناه طريقة التي اقتضتها الحكمة وعادة الجار بتلف عباده من التوفيق والخذلان ومعنى مستفيما عاد لامطرا وانتصابه على الحال المؤكدة والعامل ما في اسم الاشارة من معنى الفعل او هو محذوف اى احقه وعن ابن عباس يريد هذا الذي انت عليه يا محمد وعن ابن دينار قال ابن مسعود يعني القرآن قد فصلنا الآيات ذكرناها فصلا فصلا بحيث لا يختلط واحد منها بالاخر قال في التفسير الكبير قد بين الله تعالى صحة القول بالقضاء والقدر في آيات من هذه السورة متوالية متعاقبة بطرق كثيرة ووجوه مختلفة وختم الآية بقوله لقوم يذكرون لانه تقرر في عقل كل واحد بطريق الممكن لا يترجح عن الاخر الا لمرجح فكانه يقول للمعتبر تذكر وتفكر في عقلك ان الممكن لا يترجح احد طرفيه الا لمرجح حتى تزول الشبهة عن قلبك فان حصول الفعل عن القادر لولم يتوقف على الداعي مع بقاء القادر والداعي على حالهما وجب ان يحصل هذا الاستغناء في كل الممكنات والمحدثات وحينئذ يلزم نفي الصانع وابطال القول بالفعل والفاعل والتاثير والمؤثر ثم لما بين عظمته بقوله الصراط المستقيم بين ما اعد وهيئ للمتذكرين فقال لهم دار السلام اى دار الله يعني الجنة والاضافة للتشريف والتعظيم كما قيل الكعبة بيت الله او دار السلامة من كل آفة وكرب والسلام والسلامة مثل الضلال والضلالة والرضاع والرضاعة كلاهما مصدر وقيل السلام جمع السلامة لان انواع السلامة حاصلة في الجنة ومعنى عند ربهم انها معدة عنده في ضمانه كما يقال لفلان عندك حق لا ينسى وذلك نهاية في بيان وصولهم اليها وكونهم على اعلى حظوظها وهو وليهم اى قريب منهم بالرحمة والرضوان او موالهم ومحبهم او ناصرهم على اعدائهم وذلك ان القوم قد عرفوا ان المدبر والمقدر ليس الا هو جل جلاله وان النافع والضار ليس الا هو سبحانه فانقطعوا عن كل ما سواه فما كان رجوعهم الا اليه وما كان توكلهم الا عليه ولم يكن انسهم الا به فلما صاروا بالكلية له لا جرم قال سبحانه وهو وليهم على انه متكفل لجميع مصالحهم دينا ودنيا ثم قال بما كانوا يعملون اى بسبب اعمالهم او متولهم بجزاء ما كانوا يعملون لئلا يقطع العمل ولا يتكاسلوا وذلك ان بين النفس والبدن تعلقا شديدا وكما ان الهيئات النفسانية قد تؤثر في البدن كحمرة الخجل وصفرة الوجل فالهيئات البدنية قد تصعد من البدن الى النفس فاذا واظب الانسان على اعمال الخير ظهرت الآثار المناسبة لها في جوهر النفس فلا بد للسالك من العمل بعد كمال العلم والمعرفة ثم لما بين حال من تمسك بالصراط المستقيم اردفها بذكر من تعلق بضده فقال ويوم نحشرهم والمراد واذكر يوم كذا او يوم نحشرهم قلنا او متعلقه محذوف والتقدير ويوم نحشرهم وقلنا يا معشر الجن كان ما لا يوصف لفظاعته والضمير اما ان يعود الى الشياطين الذين تقدم ذكرهم في قوله شياطين الانس والجن او يعود الى جميع المكلفين الذين علموا ان الله تعالى يبعثهم من الثقلين وغيرهم ويكون القائل على تقدير حذف القول هو الله تعالى كما انه الحاشر لجميعهم وهذا القول منه تعالى بعد الحشر لا يكون الا للتبكيت وانهم وان تمردوا في الدنيا انتهى حالهم في الاخرة الى الاستسلام والانقياد والاعتراف وقال الزجاج التقدير فيقال لهم يا معشر الجن لانه يبعد ان يتكلم الله تعالى بنفسه مع الكفار لقوله ولا يكلمهم الله قد استكثرتم من الانس لا بد فيه من اضمار لان الجن اى الشياطين لا يقدرون على الاستكثار من نفس الانس فالمراد قد استكثرتم من اضلال الانس واستتباعهم فحشر معكم منهم الجم الغفير كما بقي استكثر الامير من الجنود واما قوله وقال اولياؤهم من الانس فالاقرب عند بعضهم ان فيه حذفا فكما قال للجن تبكيتا ناسب ان يقول للانس ثم مثل ذلك توبيخا لانه حصل من الجن الدعاء ومن الانس القبول لما بكت الله كلا الفريقين حكى جواب الانس وهو قوله ربنا استمتع بعضنا ببعض وفيه قولان الاول ان المراد استمتاع الجن بالانس والانس بالجن وعلى هذا فهي الاستمتاع وجهان احدهما ان الرجل كان اذا سافر فامسى بارض مقفرة وخاف على نفسه قال اعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه فيبيت مناه في نفسه فهذا استمتاع الانس بالجن واما استمتاع الجن بالانس فهو ان الانس اذا عاذ بالجن كان ذلك تعظيما منهم للجن وذلك الجن يقول قد سدت الجن والانس كلهم الانسي قد اعترف له بانه يقدر ان يدفع عنه وهذا قول الحسن وعكرمة والكلبي وابن جريج وبعضهم قوله سبحانه وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن وثانيها ان الجن لما رأوهم انهم لا ينفكون عن حكمهم فصار الجن كالرؤساء والانس كالاتباع فانتفعوا بالانس انتفاع المخدوم بالخادم واما انتفاع الجن بهم فهو ان دلوهم على الشهوات واللذات الى ان بلغوا هذا المبلغ الذي افضى بهم الى ان بيعوا انفسهم وهذا اختيار عامة المحققين والوجه الثاني ان البعضين كليهما من الانس لان استمتاع الجن بالانس وبالعكس امر قليل نادر وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا اى وذلك الاستمتاع كان حاصلا الى وقت محدود ثم جاءت الحسرة والندامة من حيث لا ينفع وانما ذلك لاجل قبح هو وقت الموت وعلى هذا فكل من مات من مقتول وغيره فانه يموت باجله لانهم اقروا بانهم بلغوا اجلهم وفيهم المقتول وغير المقتول وقبل هو وقت التخلية والتمكين وقبل وقت المحاسبة في القيمة فان الله تعالى في جوابهم النار مثويكم مقامكم ومقركم من ثوى بالمكان يثوي ثويا اذا اقام به قال ابو علي الفارسي المثوى اسم للمصدر دون المكان لان قوله تعالى خالدين فيها حال واسم الموضع لا يعمل عمل الفعل فالمعنى النار اهل ان يقيموا فيها خالدين الا ما شاء الله قيل المراد منه اوقات المحاسبة ووقت كونهم في المحشر كانه قيل خالدين فيها مدة بقاء السموات والارض الا ما شاء الله من مقدار حشرهم من قبورهم ومقدار مدة تهم في محاسبتهم وقال ابن عباس استثنى الله قوما سبق في علمه انهم يسلمون ويصدقون النبي صلى الله عليه وآله وعلى هذا يلزم ان يكون ما بمعنى من قبيل خلقا آخر وهو ان الاستثناء انما هو من يوم القيمة الذين يحشرون فيه وقيل المراد الاوقات التي ينقلون فيها من عذاب النار الى عذاب الزمهرير وذلك انهم يدخلون وادي فيه برد شديد فهم يطلبون الرد من ذلك البرد الشديد الى حر الجحيم وقال في الكشاف ويكون هذا من قول الموتور الذي ظفر بوانره ولم يزل يحز عليه انيابه وقد طلب اليه ان ينفس عن خناق اهلكه الله ان نفسك عنا الا اذا شئت فيكون قوله الا اذا شئت فيكون قوله الا اذا شئت من اشد الوعيد مع

الانعام

بتولى بعضهم

على المطلوب

لهم لا تراطباع محض ويأس كلى وقال ابو مسلم هذا الاستثناء غير راجع الى الخلود وانما هو راجع الى الاجل الموجل لهم كانهم قالوا وبلغنا اجلنا الذى بينته لنا الآن من اهلكته قبل الاجل المسمى يعنى الاجال الاخر امنا ان ربك حكيم فيما يفعله من ثواب وعقاب سائر وجوه الجزاء عليم بما يستاهله كل طائفة فكانه تعالى قال حكمت لهؤلاء بالعذاب الابد لعلمى انهم يستحقون ذلك ثم لما حكى عن الجن ان بعضهم يتبرأ من ذلك مما حصل يتقدير ه وقضائه فقال وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا وذلك ان القدرة صالحة للعدالة والقبيحة فترجيح احد الجانبين لا يكون الا بداعية خلقها الله قطعا للتسلسل وايضا لما بين انه سبحانه وتعالى اهلك بقوله وكم اهلكنا من قرن اولئك اهل النار من بينهم فى الظلم والخزى والنكال واشار اليه بقوله بما كانوا يكسبون اى بسبب كون ذلك البعض مكتسبا للظلم وهذا مناسبة فى غاية اللطف لان الخسيسة علة للخسيس فالطيبات للطيبين والخبيثات للخبيثين وفى الآية دلالة على ان الرعية متى كانوا ظلمة فان الله تعالى يسلط عليهم ظالما مثلهم فان اراد الخلاص منه فليتركوا الظلم وعن مالك بن دينار قال جاء فى بعض الكتب السماوية انا الله مالك الملوك قلوب الملوك بيدى فمن اطاعنى جعلتهم عليهم رحمة ومن عصانى جعلتهم عليهم نقمة لا تشغلوا انفسكم بسب الملوك لكن توبوا الى اعطفهم عليكم ثم بين ان كفار الثقلين لا يكون لهم الى الخلاص يوم القيمة سبيل وانهم لا بد معذبون الا بالحجة فقال يا معشر الجن والانس قال اهل اللغة المعشر كل جماعة مختلطين يجمعهم امر واحد ألم يأتكم رسل منكم استفهام على سبيل التقرير فالمراد استدلال الضحاك بالآية بقوله وان من امة الا خلا فيها نذير على ان من الجن رسلا كالانس ولان استيناس الجنس بالجنس اكمل وبهذا قال سبحانه ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا والاكثرون على انه ما كان من الجن رسول البتة انما كانت الرسل من بنى ادم ودعوا ان ذلك مجمع عليه وردبانه كيف ينعقد الاجماع مع حصول الاختلاف واستدل بعضهم بقوله تعالى ان الله اصطفى ادم ونوحا وآل ابرهيم وآل عمران على العالمين والمراد بالاصطفاء ههنا النبوة بالاجماع واجيب عن قول الضحاك بان الآية تقتضى ان رسل الجن والانس بعضا يكونون من بعض هذا المجموع فكان هذا القدر كافيا فى حمل اللفظ على الظاهر فلا يلزم اثبات رسول من الجن وايضا لا يبعد ان يقال ان الرسل كانوا من الانس ثم كان من الجن نفر يسيرون معوثون من رسول الانس وينذرون قومهم بذلك قال الله تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن الآية وقد يسمى رسول الرسول رسولا كما انه تعالى سمى رسل عيسى رسل نفسه فقال اذ ارسلنا اليهم اثنين ثم انه سبحانه يكون قد بكت كفار الثقلين بهذه الآية لانه ازال العذر وازاح العلة بسبب ارسال الرسل ورسل الرسل اليهم فاذا وصلت البشارة والنذارة الى الكل بهذا الطريق فقد حصل المقصود قال العلماء اذا ارسل من احدكم وهو الانس كقوله يخرج منهما اللؤلؤ اى احدهما وهو الملح الذى ليس بعذب وعن الكلبى كانت الرسل قبل ان يبعث محمد يبعثون الى الانس ورسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الى الجن والانس اما قوله يقصون عليكم آياتى فالمراد منه التنبيه على الادلة بالتأويل وبالتلاوة وينذرونكم لقاء يومكم هذا نحو قولهم هذا الذى كنتم به تستعجلون عذاب الله بعثا

الجزء السابع

الغني ذو الرحمة ان يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء كما انشأكم من ذرية قوم اخرين إن ما توعدون لآت
الدار صاحب مهربانی ست اگر بخواهد ببرد شما را و جانشین سازد پس از شما آنچه را که خواهد چنانچه آفرید شما را از فرزندان گروهی دیگران جز این مینت که آنچه وعده کرده شما را میدهد
وما انتم بمعجزين قل يا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار انه
بنیستید شما عاجز کنندگان بگو ای قوم من کار کنید بر خوی خویش بدرستی که من کارکنم پس زود باشد که بدانید کیست که مر اورست عاقبت سرای بدرستی که
لا يفلح الظالمون وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان
رستگار نشوند ستمکاران و قرار دادند برای خدا از آنچه پیدا آورد از کشت وحیوانات بهره پس گفتند که این مر خدایرست بگمانهای و این مر انبازان خدای ماست پس آنچه
لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ساء ما يحكمون وكذلك زين لكثير من
مر شرکاء ایشان را پس نمیرسد بسوی خدا و آنچه مر خدا را پس او میرسد بشرکاء ایشان بد است آنچه حکم میکنند و همچنین جلوه داد برای بسیاری از
المشركين قتل اولادهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون
مشرکان کشتن فرزندان ایشان را انبازان ایشان تا که بیفگنند ایشان را و تا بپوشانند بر ایشان دین ایشان را و اگر میخواست خدا نمیکردند ایشان این را پس واگذار ایشان را و آنچه دروغ
وقالوا هذه انعام وحرث حجر لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم وانعام حرمت ظهورها وانعام لا يذكرون
و گفتند که این حیوانات و کشت ممنوعند که نخورد آنها را مگر آنکس که میخواهیم ما بگمان ایشان و حیواناتی اند که حرام است پشتهای ایشان و حیواناتی که یاد نکنند
اسم الله عليها افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة
نام خدا را بران از روی دروغ بر او زود است که باداش دهد ایشان را بآنچه بودند که دروغ گفتند و گفتند که آنچه در شکمهای این حیوانات است مخصوص است
لذكورنا ومحرم على ازواجنا وان يكن ميتة فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم انه حكيم عليم قد خسر
مر نرهای ما و حرام است بر زنهای ما و اگر بچه باشد مرده پس ایشان در آن انبازاند زود باشد که باداش دهد ایشان را صفت ایشان بدرستی که او درست کار است دانا است زیان کرد
الذين قتلوا اولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين
آنان که کشتند فرزندان خود را از بیخبری بی بهره دانش و حرام کردند آنچه را که روزی کرد ایشان را خدا از روی دروغ بر خدا آنگروه گمراه شدند و نباشند راه یافتگان

تعلمون بناء الخطاب ابن عامر مكاناتكم بالجمع كان ابو بكر وحماد الباقون مكانتكم على التوحيد من يكون بالياء الخمسة حمزة وعلي وخلف الباقون بناء التانيث
بزنهم بضم الزاء على وكذلك ما بعده الباقون بالفتح زين على البناء للمفعول قتل بالرفع اولادهم بالجر ابن عامر الاخوين زين على البناء للفاعل
قتل بالنصب اولادهم بالجر شركائهم بالرفع وان تكن بناء التانيث ابن عامر بن يزيد وابو بكر وحماد ميتة بالرفع ابن كثير وابن عامر وبن يزيد وقنبل بن يزيد
ميتة بالتشديد ابن كثير وابن عامر الباقون بالتخفيف ليوفون غافلون مما عملوا يعملون ذوا الحمر اخوين لان الواو بعد الحال يجزيهم عامل
لابتداء النقد بمعنى فاء التعقيب يعلمون لان ما بعده مفعول سواء كان من استفهامية او موصولة عافية الدار الظالمون لشركائنا للشرط مع الفاء الى
الله للفصل بين المتضادين بمعنى مع الانفاق ظلما شركائهم يحكمون دينهم يفترون افتراء عليه يفترون ازواجنا للشرط مع العطف شركاء وصفهم عليم على
الله محمد بن التفسير لك اشارة الى ما تقدم من بعثة الرسل اليهم وانذارهم سوء العاقبة وهو خبر مبتدا محذوف اى الامر لك يحتمل ان يكون
مبتداء خبره ان لم يكن وهو للتعليل والمعنى الامر ما قصصنا عليك ولذلك الذي ذكر كان شفاء كون ربك مهلك القرى وان هي الناصبة للافعال
او مخففة من الثقيلة وعلى هذا يكون ضمير الشان والحديث كذا ويجوز ان يكون ان لم يكن بدلا من ذلك كقوله وقضينا اليه ذلك ان دابر هؤلاء
مقطوع ومعنى قوله بظلم اى بسبب ظلم اقدموا عليه وهذا اليق باصول الاشاعرة والمراد ظلمائهم فيكون من فعل الله وهذا اليق باصول المعتزلة
ومعناه انه تعالى اهلكهم قبل بعثة الرسل لم يبتهم برسول ولا كتاب كان ظالما وعلى هذا التفسير يمكن للاشاعرة ان يقولوا انه لو فعل ذلك لم يكن
سوء الظلم فاطلق الظلم على نفسه مجازا والا فهو تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ولا اعتراض عليه لاحد في شيء من افعاله واما قوله واهلها غافلون
فليس المراد ان هذه الغفلة ان يتغافل المرء عما يوعظ ولما معناه انه لا يبين لهم كيفية الحال وان لا يزيل عذرهم وعللهم قالت الاشاعرة في الآية دلالة
على انه لا يحصل الوجوب قبل الشرع وان الفعل المحض لا يدل على الوجوب البتة لانها تدل على انه تعالى ما يعذب احدا على امر من الامور قبل بعثة
الرسل لكن بعدها فالمعتزلة قالوا انها تدل من وجه اخر على تقرير الوجوب قبل الشرع لا قوله بظلم ان كان عائدا الى العبد دل على انه يمكن ان يصدر
منه الظلم والقبيح قبل البعثة وان كان عائدا الى الله تعالى فقد تم الاعتراف بتحسين العقل وتقبيحه ثم لما شرح احوال اهل الثواب والعقاب ذكر
كلا ما كليا فقال ولكل درجات اى لكل عامل من عمله درجات وعلى حسب تلك الدرجات يكون الجزاء ان خيرا فخير وان شرا فشر ومعنى مما عملوا اى من
جزاء اعمالهم وقيل ان اول الآية مختصة باهل الطاعات لان لفظ الدرجة يليق بهم ولاهل المعصية يكون الدركات والبه الاشارة بقوله
وما ربك بغافل عما يعملون قالت الاشاعرة في الآية دليل على مسئلة الجبر القدر فانه تعالى حكم لكل واحد بدرجة معينة في وقت معين وبسبب
فعل معين واثبت تلك الدرجة في اللوح المحفوظ واشهد عليها الملئكة وخلائق علما واثباتا واشهاده محال ثم بين انه ليس يحتاج طاعة المطيعين
ولا يدخل عليه نقص بمعصية العاصين فقال وربك الغني ذو الرحمة اما انه غني في ذاته وصفاته وفي افعاله وفي احكامه عن كل ما سواه ممكن لذاته

مفتقرة في الوجود والامور التابعة للوجود اليه فلا غنى الا هو واما الرحمة فلان كل ما دخل في الوجود من الخيرات والراحات والكرامات
والسعادات من الروحانيات ومن الجسمانيات فهو من الحق وبايجاده وتخليقه والاستقراء دل على ان الخير غالب كالصحة والشبع والسمع والبصر وباذلك
الامور الكاملة والرافقة الشاملة والذي ينصور من رحمة الوالدين وغيرهما فانما ذلك بايجاده داعية ذلك فيهم ومع ذلك فيمكن التخلص من الانتفاع بها
الامنه فقال ومن هذا شأنه تعالى عن الظلم والسفه والكذب والعبث ومن رحمته تكليف المكلفين لبعرضهم للمنافع الباقيات الدائمات ثم لما وصف
نفسه بانه ذو الرحمة كاد الظان ان يظن ان للرحمة معدنا مخصوصا وموضعا معينا فبين تعالى بقوله تعالى ان يشأ يذهبكم ايها الناس ان قادر على وضع الرحمة في هذا
الخلق قادر على ان يخلق قوما اخرين يدخل رحمته فيهم وعلى هذا الوجه يكون الاستغناء عن العالمين اكمل واتم ومعنى الاذهاب الاهلاك وان لا يبلغهم
مبلغ التكليف يستخلف من بعدكم اي من بعد اذهابكم لان الاستخلاف لا يكون الا على طريق البدل من فائت وقوله ما يشاء اي خلقا ثالثا ورابعا ثم اختلفوا فقال بعضهم خلقا اخرين من امثال الجن والانس لكن الطوع وقال ابو مسلم يعني خلقا ثالثا مخالفا للثقلين ليكون اقوى في دلالة
القدرة ثم بين سبيل ذلك فقال كما انشأكم من ذرية قوم اخرين لان من قدر تصوير الظفر المتشابهة الاجزاء بهذه الصورة الخصوصية
قدر على تصويرها بصور اخرى مخالفة لها وقال في الكشاف المعنى كما انشأكم من اولاد قوم اخرين لم يكونوا على مثال صفتكم وهم اهل سفينة نوح
ثم ذكر حال المعاد فقال انما توعدون لآت قال الحسن اي من مجيء الساعة لانهم كانوا ينكرون القيمة ويحتمل ان يقال انما توعدون لآت اشارة الى الطفيف
اي ما يتعلق بالوعد والثواب فهو آت لا محالة وقوله وما انتم بمعجزين اي خارجين عن قدرتنا وحكمنا اشارة الى قهره يقال اعجزه الشيء فاته فاخرج
في جانب الوعد والنعيم في جانب الوعيد دليل على ان جانب الرحمة والاحسان اغلب ثم امر نبيه صلى الله عليه وآله تهديد منكري البعث فقال قل يا
قوم اعملوا على مكانتكم قال الواحدي قراءة الافراد اوجه لان المصدر لا يجمع في اغلب الاحوال وقال في الكشاف المكانة تكون مصدرا يقال مكن مكانة
اذا تمكن ابلغ التمكن وبمعنى المكان يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة فمعنى الآية اعملوا على غاية تمكنكم من امركم وانتهى استطاعتكم وامكانكم اعملوا على
جهتكم وحالكم التي انتم عليها وبقي للرجل على مكانته بادلان اي اثبت على ما انت عليه لا تحرف عنه اني عامل على مكاني التي انا عليها والمعنى اثبتوا على
كفركم وعداوتكم لي فاني ثابت على الاسلام وعلى مصابرتكم والغرض تفويض الامر اليه على سبيل التهديد كقوله اعملوا ما شئتم فسوف تعلمون اينا
تكون له عاقبة المحمودة والفاء لتعقيب الجزاء الايعاد اي قل اعملوا فستجزون وهكذا في صورة الزمخشري سورة هود حيث لم يقل هناك قل وصار
استينافا ومحل من يكون ان كان بمعنى الذي او رفع والجملة مفعول تعلمون ان كان لمعنى اي عاقبة الدار الحسنى التي خلق الله هذا العالم لاجلها
وهي جنته كالعاقبة هنا طريق من الانذار والتخويف المسلك فيه انصاف وادب ورفق بان المنذر محق ولهذا قيل له فان الكافر تكون العاقبة
عليه لا له ثم حكى انواعا من جهالاتهم وركاكة اقوالهم تنبيها على ضعف عقولهم وقلة محصولهم وتنفيرا للعقلاء عن الالتفات الى اقوالهم
فقال وجعلوا لله قال الزجاج وجعلوا لله نصيبا ولشركائهم نصيبا دليل قوله فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا وجعل الاوثان شركاء لانهم
جعلوا لها نصيبا من اموالهم ينفقونها عليها ثم قال فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم وفيه تفسيره وجوه قال
ابن عباس كان المشركون يجعلون لله تعالى من حروثهم وانعامهم نصيبا وللاوثان نصيبا فما كان للصنم انفقوه عليه وما كان لله اطعموا الضيفان والمساكين
ولا يأكلون منه البتة ثم ان سقط شيء مما جعلوه لله في نصيب الاوثان تركوه وقالوا ان الله غني عن هذا وان سقط مما جعلوا للاوثان في نصيب الله
تعالى اخذوه وادوه الى نصيب الصنم وقالوا انه فقير فما ذلك حبهم اطعامهم وايثارهم طعامهم وعن الحسن والسدي كان اذا هلك لاوثانهم شيء اخذوا
بدله مما لله ولا يفعلون مثل ذلك فيما لله تعالى وقال مجاهد انه اذا انفجر من سقي ما جعلوه للشيطان في نصيب الله عز وجل سدوه وان كان على ضد
ذلك تركوه قال قتادة اذا اصابهم شدة استعانوا بالله واذا اصابتهم حسنة نسبوها الى شركائهم قال مقاتل ان زكا وما نصيب الاوثان لم يزكوا نصيب
الله وان زكا نصيب الله طهروا وقالوا لو شاء ربي نصيب نفسه اما ان كان نصيب الله ولم يزك نصيب الاوثان فانهم قالوا لا بد لالهتنا من نفقة واخذوا نصيب
الله تعالى فاعطوه السدنة ليعني فلا يصل الى الله اثر لا يصل الى الوجوه التي كانوا يصرفونه اليها من قرى الضيفان والتصدق الى المساكين ومعنى
الوصول الى شركائهم انهم ينفقونه عليها بذبح نسائك عندها والاجراء على سدنتها ونحو ذلك وقوله ما ذرأ فيه ان الله تعالى كان اولى بان يجعل
له الزكى لانه هو الذي ذرأه اي خلقه ثم انه سبحانه ذم فعلهم فقال ساء ما يحكمون وذكر العلماء فيه وجوها الاول انهم رجحوا جانب الاصنام
في الرعاية والحفظ على جانبه وهو سفه الثاني جعلوا بعض الحرث لله وبعضه لغيره مع ان تعالى هو الخالق للجميع الثالث ان ذلك حكم احدثوه من
قبل انفسهم ولم يشهد بصحته عقل ولا شرع واليه بقوله اشار بزعمهم الرابع لو حسن افراز نصيب الاصنام لحسن افراز نصيب لكل حجر الخامس لا
تاثير للاصنام في حصول الحرث والانعام ولا قدرة لها على الانتفاع بذلك النصيب فافراز النصيب لها عبث النوع الثاني من احكامهم
الفاسدة قوله وكذلك زين كان اهل الجاهلية يدفنون بناتهم احياء خوفا من الفقر ومن التزويج وكان الرجل يحلف بالله ان ولد له
كذا غلاما ليذبحن احدهم كما فعل عبد المطلب على ابنه عبد الله والشركاء على الوجه الاول الشياطين الذين اطاعوهم في معصية الله تعالى
وعلى الثاني هم السدنة والخدام والاول قول مجاهد والثاني الكلبي تقديره الكلام ومثل ذلك التزيين وهو تزيين الشرك في قسمة القربان
بين الله والاصنام ومثل ذلك التزيين البليغ الذي علم من الشياطين زينهم شركاؤهم من الشياطين او من سدنة الاصنام قتل اولادهم بالوأد

او بالنصب ان وجه القراءة الكسر ظاهر وليس فيها الا تفكيك المضاف المفصول بشبه الاضافة وقراءة ابن عامر فخطاها الزمخشري من حيث الفصل بين المضاف والمضاف اليه بغير الظرف فان ذلك قد جوز بالظرف كقوله يا لله وللمسلمين يا لانها وضعف بغير الظرف كقوله وجمعها المرجز بين الفلوص في مزاده وحملوه على ضرورة الشعر مع الاستكراه والحق عند المحققين ان القرآن حجة على غيره وليس غيره حجة عليه والقراءات السبع كلها متواترة فكيف يمكن تخطئة بعضها فاذا ورد في القرآن المجز مثل هذا التركيب لزم القول بحسنه وفصاحته وان لا يلتفت الى انكر هل ورد له نظير في اشعار العرب وتراكيبهم ام لا وان ورد فكثيرا ام لا ومع ذلك فقد وجد بعض الفضلاء بابا ان المضاف اليه من الاول محذوف على نحو قوله بين ذراعي وجبهة الاسد والمضاف مضمر مع الثاني كقراءة من قرأ والله يريد الاخرة بالجر على تقدير ثواب الاخرة فتقدير الآية فقد زين لاكثر شركائهم اولادهم قتل اولادهم ومعنى تزيينهم لهم اغواؤهم قال ابن عباس لبسوا دينهم في النار واللام محمول على العاقبة ان كان التزيين من الشياطين او على حقيقة التعليل ان كان من الشيطان وليلبسوا عليهم دينهم ليخلطوه عليهم وينهم ليشبهوه ودينهم ما كانوا عليه من دين اسمعيل فهذا الذي اناهم بعد الايضاح الفاسدة اراد ان يلبس عليهم ذلك الدين الحق وقبل دينهم الذي وجب ان يكونوا عليه وقبل ليوقعوهم في دين ملتبس ولو شاء الله ما فعلوه كما فعل المشركون ما زينوا لهم او ما فعل الشياطين السدنة والمزينون او الاولاد او اللبس وجميع ما ذكروا ان جعل الضمير جاريا مجرى اسم الاشارة والمعنى لهذا حملوا هذه الشبهة على شبه الالجاء والقسر فقال فذرهم وما يفترون على قانون قوله واتلوا ما تشتم وفيه مع التهديد التسجيل على المأمور بانه لا بأس منه الا الشر والشرك قبل تمام قال في هذه الآية ولو شاء الله ما فعلوه ليكون مناسبا لقوله وجعلوا لله وقال فيما قبل ولو شاء ربك ما فعلوه لانه وقع عقيب آيات بينات ذكر الرب كقوله قد جاءتكم بصائر من ربكم الآيات النوع الثالث من احكامهم الباطلة انهم قسموا انعامهم قسما فاوردها ان قالوا هذه انعام وحرث حجر وحجر فعل بمعنى مفعول كالذبح والطحن ويستوي في الوصف بالمذكر والمؤنث والواحد والجمع لان حكمه حكم الاسماء غير الصفات وأصل الحجر المنع ومنه سمي الحجر لمنعه من القبائح وفلان في حجر القاضي اي في منعه كانوا اذا اعتموا شيئا من حرثهم وانعامهم لاصنامهم قالوا لا يطعمها الا من نشاء يعنون خدم الاوثان والرجال دون النساء وثانيها ان قالوا هذه انعام حرمت ظهورها وهي الحوامي وقد سبق في المائدة وثالثها انعام لا يذكرون اسم الله عليها في الذبح وانما يذكرون عليها اسماء الاصنام وقيل انعام لا يحجون عليها ولا يلبون على ظهورها وانما فعلوا ذلك كله من عند انفسهم من غير امر من الله ولا شرع منه بل افتراء عليه وانتصابه على انه مفعوله اوحالا او مصدرا لانه قولهم ذلك في معنى افتراء ثم قال سيجزيهم بما كانوا يفترون والمقصود منه الوعيد والنوع الرابع من قضاياهم الفاسدة ان قالوا ما في بطون هذه الانعام يعنون اجنة البحائر والسوائب خالصة لذكورنا محرم على ازواجنا ان ولد حيا فان يكن ميتة فهم فيه شركاء طرح الشرك فيه الذكور والاناث من قراءة بنصب ميتة فظاهره وان لم يكن ما في بطونها ميتة ومن قرأ بالرفع فعلى ان كان تامة اي ان تقدير وان لم يكن ثم او هنالك ميتة وانما جاز تذكير الفعل وتانيثه لان تانيث الميتة غير حقيقي ولان الميتة لكل ميت ذكر او انثى فكانه قيل ميت وهذا جاز عود الضمير اليه مذكرا في قوله فهم فيه شركاء وتذكير الضمير في قوله فهم للتغليب سيجزيهم وصفهم اي على الله الكذب في التحليل والتحريم انه حكيم عليم ليكون الجزاء واقعا على حد الحكمة وبحسب الاستحقاق فان قيل كيف انث خالصة وذكر محرما قلنا الاول حملا على المعنى لان ما في بطون الانعام في معنى الاجنة والثاني حمل على اللفظ وحسنه هنا الاول وجمعا واخوان ان يكون التاء للمبالغة مثل راوية الشعر او ان يكون مصدرا كالعاقبة والعافية اي ذو خالصة ثم انه سبحانه رجع قبائح احكامهم وافعالهم وحكم عليهم بالخسران والسفاهة وعدم العلم وبالضلال وعدم الاهتداء فقال قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها بغير الا يذوق ذلك ان الولد نعمة عظيمة من الله يستوجب الشكر وشكرها فالسعي في ابطال مثل هذه النعمة لضرر مظنون هو الفقر ونحوه او لفائدة موهومة هي القربى الى الاصنام دليل خفة العقل وعدم العلم وانه موجب لخسران الدارين وكذا تحريم ما احل الله من الطيبات بالظنون الفاسدة والتقليد بل لمحض الافتراء على الله وان ذلك من اعظم الذنوب اكبارا لكبائر وهذا سجل عليهم انهم ابطال ثم بعدم الاهتداء لتحصيل كلا الامرين لهم بالمطابقة كما حصل بالتضمن والله اعلم الثاني وبل مهملات الفرق اي قرع اشباحهم الانسان بظلم وهو صرف الاستعداد الفطري في استيفاء اللذات الفانية وأهلها غافلون لم يبلغوا مبلغ التكليف بعد وترتب العقاب على كل مخلوق عاقل وعن الانسان خاصة وان رحمة خلقهم ليرجوا عليه لا ليرجوا عليه اعملوا على مكانتكم اي على ما جبلتم عليه انى عامل على ما جبلت عليه قتل اولادهم شركاؤهم من الشياطين والنفس والهوى الذين سيجزيهم بما كانوا يفترون ذهبوا مذهب الطبع لا مذهب الشرع والعمل بالطبع وان كان ضربا من مجاهدة النفس لان يكون له نورانيا ليكون لامتثال الشرع قد خسر الذين قتلوا اولادهم لانهم بذلك منعوا انفسهم عن تحصيل ما رزقهم الله صورة وهو ظاهر ومعنى وهو استعداد حصول مراتب اهل القرب وما كانوا مهتدين لان خشية الفقر حملتهم على قتل الاولاد وقال اهل التحقيق من امارات ان يعتبر مستقبلا شعر كثيرا العيال على بساط التوكل

وهو الذي انشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا اكله والزيتون والرمان متشابها

وغير متشابه كلوا من ثمره اذا اثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين ومن الانعام حمولة

وفرشا كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين ثمانية ازواج من الضان اثنين

وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ
واز بز دو بگو کدام یکی حرام کرده اند یا دو ماده نیه یا آنچه جمع آمد براو رحمهای هر ماده نیه خبر دهید مرا اگر هستید راستگویان
وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ
واز شتر دو واز گاو دو بگو کدام یکی حرام کرده اند یا دو ماده نیه یا آنچه فرا گرفته براو رحمهای دو ماده نیه یا بودید
شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ
گواهان چون فرمود شما را خدا باین پس کیست ستمکارتر از آنکه افترا بست بر خدا در دروغ تا گمراه کند مردمرا بدون دانشی بدرستی که خدا هدایت نکند گروه ستمکاران را
قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ ع ۵
بگو نمییابم در آنچه وحی کرده شده بمن حرام بر خورنده که میخورد آنرا مگر آنکه بعد شبه مرده یا خون ریخته یا گوشت خوک پس بدرستی که آن پلید است یا نافرمانی که آواز برده شده
لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا
بنام خدا پس هر که لاچار شود نه جوینده نه از حد گذرنده بدرستی که پروردگار تو آمرزنده مهربان است و بر آنها که یهود شدند حرام کردیم هر صاحب چنگی یا واز گاو و گوسفند حرام کردیم
عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ
بر ایشان پیهاشان را مگر آنچه بر پشتهاشان یا بر چربرودها یا آنچه ممزوج شده است باستخوان اینرا بایشان
هُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ سَيَقُولُ
ایشانرا بجهت ستمهاشان و بدرستی که ما راستگویانیم پس اگر تکذیب کردند تو را پس بگو که پروردگار شما صاحب رحمت فراخ است و برگردد عذابش از گروه گناهکاران زود است که بگویند
الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا
آنانکه شرک آوردند اگر خواست خدا شرک نیاوردیم ما و نه پدران ما و حرام نکردیم از چیزی همچنین تکذیب کردند آنانکه از پیش ایشان بودند تا چشیدند
بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ
عذاب ما بگو که آیا در نزد شماست دانشی پس بیرون آرید برای ما از برای ما پیروی نمیکنید مگر گمان را و نیستید شما مگر دروغ میگویید بگو که پس مر خدایرا حجت رسا پس اگر
اللَّهُ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ
خدا هر آینه راه مینمود شما را همه بگو که بیارید گواهان خود را آنانکه گواهی دهند بدرستی که خدا حرام کرد اینرا پس اگر گواهی دادند پس گواهی مده با ایشان
وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ الفراء
و پیروی مکن خواهشهای آنرا که تکذیب کردند بآیات ما و آنان که نمیگروند بروز واپسین و ایشان بپروردگارشان برابر میکنند
حفصا بفتح الخاء ابو عمرو وعاصم وابن عامر وسهل ويعقوب لباقون بالكسر وكلاهما مصدر من الضأن بفتح الهمزة ابو عمرو وغير شجاع وافقه والاعشى الا
عن وورش وبزيد وحمزة في الوقف ومن المعز بسكون العين عاصم وحمزة وعلي وخلف نافع وابو جعفر وابن فليح وابن مقسم والخزاعي عن ابن زيد والقواس عن
ابن مجاهد وابي عون عن قنبل عنه الباقون بفتحها الا ان تكون بتاء التانيث ابن كثير وابن عامر وبزيد وحمزة وعباس من طريق ابن رومي عنه
بالتخفيف الزعفراني ابن عامر وزاد بزيد التشديد لباقون بالياء وبالنصب لحوايا لمالزعلي وحمزة وخلف فقل ربكم وبابه مظهر الحلواني عن قالون
والبرجمي الوقوف متشابه ولا تسرفوا المسرفين لان قوله حمولة منصوبا نشا وفرشا الشيطان مبين لان ثمانية منصوبا نشا حينا ازواج لانقطاع النظم
مع اتحاد المعنى المعز اثنين ارحام الانثيين لانتهاء الاستفهام صادقين لان اثنين منصوبا نشا ايضا ومن البقر اثنين ارحام الانثيين لان ام في قوله
ام كنتم بمعنى الف استفهام توبيخ بهذا للاستفهام مع الفاء ولانقطاع النظم مع اتحاد المعنى علم الظالمين لغير الله رجيم ظفر لانقطاع النظم مع اتحاد المعنى
بعظم بغيهم للابتداء بان واثبات وصف لصدق مظم والموصل وجه لان المعنى وانا لصادقون فما اخبرنا عن التحريم ببغيهم واسعة لاختلاف الجملتين المجزئتين
من شيء باسنا لنا تخرصون البالغة للشرط مع الفاء اجمعين حرم هذا لذلك معهم لشاهي جزاء الشرط مع العطف بعد لون التفسير انه سبحانه جعل هذا
هذا الكتاب الكريم على تقرير التوحيد والنبوة والمعاد واثبات القضاء والقدر وانه بالغ في تقرير هذه الاصول وانتهى الكلام الى شرح احوال السعداء و
الاشقياء ثم انتقل منه الى تقرير طريقة منكري البعث الفيامة ثم اتبعه حكاية اقوالهم الركيكة تنبيها على ضعف عقولهم فلما تمم هذه المقاصد عاد الى ما هو المقصود
الاصلي وهو اقامة الدلائل على اثبات ذاته ووجوب توحيده فقال وهو الذي انشا الانشاء انشا الشيء ينشأ انشا اظهره وارتفع وانشاه الله ينشئه انشا
اظهره ودفعه جناة معروشات وغير معروشات يقال عرش الكرم اذا جعلت له دعائم وسمكا يعطف عليه القضبان وقيل كلاهما الكرم فان بعضها لا
تعرش وبعضها يبقى على وجه الارض منبسطا كالقرع والبطيخ قيل لمعروشات ما يحتاج الى ان يتخذ له عرش يحمل عليها فتمسكه وهو الكرم وما يجري مجراه وغير
معروشات هو القائم من الشجر المستغني باستوائه وقوة ساقه عن التعريش وقيل لمعروشات ما في البساتين والعمارات مما غرسه الناس واهتموا به فعرشوه
وغير معروشات ما انبته الله وحشيا في البراري والجبال ينتفع غير معروش والنخل والزرع فرادى عباس الزرع بجميع الحبوب التي يقتات مختلفا اكله والاكل
كل ما يؤكل والمراد ههنا ثمر النخل والزرع فاكتفى باعادة الذكر على احدهما كقوله واذا رأوا تجارة او لهوا انفضوا اليها اي الى احدهما والمراد ان لكل شيء منهما

طعما غير طعم الآخر ومختلفا احمال مقدرا ای اشتاء مقدرا اختلاف اكله لانه لم يكن وقت الانشاء كذلك متشابها وغير متشابه في القدر واللون والطعم ثم قال كلوا من ثمره وقد قال في الاية المتقدمة راعى نظير هذه الاية وذلك قوله وهو الذي انزل من السماء ماء فاخرجنا به نبات كل شيء انظروا الى ثمره نبه بها على ان الامر بالاستدلال بها على الصانع الحكيم متقدم على الاذن في الانتفاع بها لان الحاصل من الاول سعادة روحانية ابدية والحاصل من الانتفاع سعادة جسمانية زائلة وفائدة هذا الامر الاباحة الاكل على اخراج الحق كما لا يظن انه يحرم على المالك تناوله لكان شركة المشاركين فيه وفيه اشارة الى ان خلق هذه النعم انما للاكل انما للمتصدق والاول لكونه حق النفس مقدم على الثاني لانه حق الغير وفيه ان الاصل في المنافع الاباحة والاطلاق لان قوله كلوا خطاب عام يتناول الكل ويمكن ان يستدل به على ان الاصل عدم وجوب الصوم وان من ادعى ايجابه فهو المحتاج الى الدليل وان المجنون اذا افاق في اثناء النهار لا يلزمه قضاء ما مضى وان الشارع في صوم النفل لا يجب عليه الاتمام قال علماء الاصول من المعلوم من لغة العرب ان صيغة الامر تفيد ترجيح جانب الفعل فحملها على الاباحة اولى لان الوجوب لا يصار اليه الا بدليل منفصل وفائدة قوله اذا اثمر وقد علم انه اذا لم يثمر لم يتوجه الامر بالاكل منه هي ان يعلم ان اول وقت الاباحة وقت طلوع الثمر ولا يتوهم انه لا يباح الا اذا ادرك وانضج اما قوله وآتوا حقه يوم حصاده فعن ابن عباس في رواية عطاء وهو قول سعيد بن المسيب والحسن وطاوس والضحاك ان الاية مدنية والحق هو الزكوة المفروضة وعلى هذا فكيف يؤدى الزكوة يوم الحصاد والحب في السنبل والجواب ان المراد فاعزموا على ايتاء الحق يوم الحصاد واهتموا به حتى لا تؤخروه عن اول وقت يمكن فيه الايتاء وقال مجاهد الاية مكية وان هذا حق في المال سوى الزكوة وكان يقول اذا حصد شخص المساكين فاطرح لهم منه واذا اذريت واذا عرفت كيله فاعزل زكوته وذف بقوله صلى الله عليه وآله ليس في المال حق سوى الزكوة وبان قوله وآتوا حقه انما يحسن ذكره لو كان ذلك الحق معلوما قبل ورود هذه الاية والا لزم الاجمال وعن سعيد بن جبير ان هذا كان قبل وجوب الزكوة فلما فرض العشر ونصف العشر فيما سقي بالسواني نسخ والقول الاول اصح ثم ان ابا حنيفة احتج بالاية على وجوب الزكوة في الثمار لانه قال وآتوا حقه بعد ذكر الانواع الخمسة وهو العنب والنخل والزرع والزيتون والرمان واعترض عليه بان لفظ الحصاد مخصوص بالزرع واجيب بان الحصاد اللغة عبارة عن القطع وذلك يتناول الكل واحتج هو ايضا بها على ان القليل والكثير للاطلاق والجواب ان بيانه في الحديث ليس فيما دون خمسة اوسق صدقة ثم قال تعالى ولا تسرفوا ولاهل اللغة فيه تفسيران فعن ابن الاعرابي السرف بجاوز ما احد لك فعله هذا اذا اعطى الكل ولم يوصل الى عياله شيئا فقد اسرف كما جاء في الخبر ابدأ بنفسك ثم بمن تعول وروى ان ثابت بن قيس بن شماس عمد الى جملة نخلة فاخذ ها فقسمها في يوم واحد الى من يدخل ولم يدخل له شيئا فنزلت لا يحب المسرفين وقيل السرف ان لا ينفق شيئا في حق واذا منع الصدقة فقد اسرف وبه فسر الاية سعيد بن المسيب فان مجاوزة الحد يكون الى طرف الافراط والى طرف التفريط وقال عمر سرف المال ما ذهب منه في غير منفعة وعلى هذا فقد قال مقاتل معناه لا تشركوا الاصنام في الانعام والحرث وقال ابو مسلم ولا تسفكوا في معصية الله تعالى وعن مجاهد لو كان ابو قبيس ذهبا فانفقه رجل في طاعة الله تعالى لم يكن مسرفا ولو انفق درهما في معصية الله كان مسرفا وهذا المعنى اراد حاتم الطائي حين قيل له لا تحبن السرف فقال لا سرف في الخير ثم ختم الاية بقوله انه لا يحب المسرفين لان المقصود منه الزجر فان كل مكلف لا يحبه الله فانه من اهل النار لان محبة الله تعالى عبارة عن ارادة ايصال الثواب اليه قوله حمولة وفرشا معطوف على جنات اى انشاء من الانعام هذين الجنسين فالحمولة ما يحمل الاثقال فعولة بمعنى فاعلة والفرش ما يفرش للذبح او ينسج من وبر وصوفه وشعره الفرش مصدر بمعنى مفعول وقيل الحمولة الكبار التي لا تصلح للحمل والفرش الصغار كالفصلان والعجاجيل والغنم لانها دانية من الارض للطافة اجرامها مثل الفرش المفروش عليها كلوا مما رزقكم الله فانث المعزلة اى مما احلها لكم ولا تتبعوا خطوات الشيطان لا تسلكوا طريقه الذي يدعوكم اليه في التحليل والتحريم من عند انفسكم كما فعل اهل الجاهلية انه لكم عدو مبين بين العداوة وفي انتصاب ثمانية ازواج وجهان قال الفراء هو بدل من قوله حمولة وفرشا ويجوز غيره ان يكون مفعول كلوا والعرب تسمي الواحد فردا اذا كان وحده فاذا كان معه غيره من جنسه سمي كل واحد منهما زوجا وهما زوجان قال عز من قائل خلق الزوجين الذكر والانثى وقال ثمانية ازواج ثم فسرها بقوله من الضان اثنين الى زوجين اثنين ومن المعز اثنين وهذا الاية الثانية ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قال الجوهري الضان خلاف الماعز خلاف المعز والجمع يعني اسم الجمع الضان والمعز مثل راكب وركب وسافر وسفر وضأن ايضا مثل حارس وحرس وقال في الكشاف انه قرئ بفتح العين والضان ذوات الصوف من الغنم والمعز ذوات الشعر منها قل الذكرين حرم ام الانثيين نصب بقوله حرم والاستفهام يعمل فيه ما بعده ولا يعمل فيه ما قبله ويريد بالذكرين الذكر من الضان وهو الكبش والذكر من المعز وهو التيس والانثيين الانثى من الضان وهي النعجة والانثى من المعز وهي العنز وذلك على طريق الجنسية والمشاكلة ومعنى الاستفهام انكار ان يحرم الله من جنسي الغنم ضانها ومعزها شيئا من نوعي ذكورها واناثها ولا مما يشتمل عليه ارحام الانثيين اى مما يحمل اناث الجنسين وكذلك الذكر من جنسي الابل والبقر يعني الجمل والثور والانثيان منها الناقة والبقرة وما يحمل اناثها وذلك انهم كانوا يحرمون ذكورة الانعام تارة واناثها اخرى واولادها كيف ما كانت ذكورا او اناثا او من خلط تارة وكانوا يقولون قد حرمها الله فقبل لهم انكم لا تفرقون بتبوة بني ولا شريعة شارع فكيف تحكمون بان هذا يحل وهذا يحرم واكد ذلك بقوله نبئوني بعلم اخبروني بامر معلوم من جهة الله يدل على تحريم ما حرمتم ان كنتم صادقين في ان الله حرمه واعلم انه سبحانه من على عباده بانشاء الازواج الثمانية من الانعام لمنافعهم واباحتها لهم الا انه فصل بين بعض العدد وبعضه بالاحتجاج على من حرمها وليس ذلك باجنبي وانما هي جملة معترضة جيء

بها تاكيدا وتشديدا للتحليل فالاعتراضات فى الكلام لاتساقه الا للتوكيد اما قوله ام كنتم شهداء فام منقطعة اى بل اكنتم شهداء ومعناه الانكار ومغزاه اعرفتم التوصية به مشاهدين لانكم لاتؤمنون بالرسل وتقولون ان الله حرم هذا فلم يبق الا المشاهدة فمنكم بهم بذلك وسجل عليه وعلى امثالهم بالظلم بقوله فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا فنسب اليه تحريم ما لم يحرم قال المفسرون بوبد عمرو بن لحى بن قمعة الذى غير شرع ابنا سمعيل ع وبحر البحائر وسيب السوائب والاقرب ان اللفظ عام فيتناول كل مفتر واذا استحق هذا الوعيد على افتراء الكذب فى تحريم مباح فكيف اذا كذب على الله تعالى فى مسائل التوحيد ومعرفة الذات والصفات والملائكة والنبوات والمعاد قال القاضى فى الآية دلالة على ان الاضلال عن الدين مذموم فلا يجوز ان يضاف الى الله تعالى واجيب بانه ليس كل ما كان مذموما من الله تعالى فان تمكين العبد من اسباب الفجور وتسليط الشهوة عليهم مذموم منا دونه ان الله لا يهدى القوم الظالمين قال القاضى لا يهديهم الى ثواب والى زيادات الهدى التى يختص المهتدى بها وقال ابن الاشاعرة معناه انه لا يفعل المشركين من ظلمات الكفر الى نور الايمان ثم لما بين فساد طريقة الجاهلية فيما يحل ويحرم من المطاعم اتبعه ببيان الاصح فى الباب فقال قل لا اجد فيما اوحى الى محرما اى طعاما محرما على طاعم يطعمه على اكل ما اكله الا ان يكون ذلك المأكول او الموجود او الطعام ميتة او دما مسفوحا او لحم خنزير وما يحاط سائلا قال ابن عباس يريد ما خرج من الانعام وهى احيا وما خرج من الاوداج عند الذبح فلا يدخل فيه الكبد والطحال الجامدان وما لا يلم من الدم فانه غير سائل وسئل ابو مجاز عما يتلطخ باللحم من الدم وعن القدر التى تربى فيها حمرة الدم فقال لا باس به انما النهى عن الدم المسفوح وبقى الآية ظاهر مما سلف فى اشالها وانتصاب غسقا على انه معطوف على المنصوب قبله واهل صفته له منصوب المحل سمى ما اهل به لغير الله فسقا لتوغله فى باب الفسق كما بقى فلان كرم وجود وجوز ان يكون فسقا مفعولا له من اهل وعلى هذا فقد عطف اهل على يكون والضمير فى به يعود الى ما يرجع اليه المستكن فى يكون قالت العلماء ان هذه السورة مكية وقد بين فى الآية انه لم يجد فيما اوحى اليه قرانا او غيره محرما سوى هذه الاربعة وقد اكد هذا بما فى النحل وفى البقرة مصدرة بكلمة انما الدالة على الحصر فصارت المدينة مطابقة للمكية والذى جاء فى المائدة حرمت عليكم الميتة والدم الى قوله وما اكل السبع الا ما ذكيتم من اقسام الميتة ولكنه خص بالذكر لانهم كانوا يحكمون على تلك الاشياء بالتحليل فثبت ان الشريعة من اولها الى آخرها كانت مستقرة على هذا الحكم وعلى هذا الحصر بقى الكلام فى المحرم فى سائر النجاسات والمستقذرات فنقول انه سبحانه قد وصف الخمر بانه رجس وههنا علل تحريم لحم الخنزير بكونه رجسا فعلمنا ان النجاسة علة لتحريم الاكل وكل نجس فانه يحرم اكله بعد اجماع الامة على تحريم الخبائث والنجاسات وان جوز فالتخصيص عموم القرآن بخبر الواحد كما روى انه صلى الله عليه وآله نهى عن كل ذى ناب من السباع وذى مخلب من الطير فلا اشكال وقيل المراد ان وقت نزول هذه الآية لم يكن محرم غير هذه الاربعة وزيف بان تحريم شئ خامس نسخ والاصل عدمه ثم بين سبحانه انه حرم على اليهود اشياء اخر سوى هذه الاربعة فقال وعلى الذين هادوا حرمنا وذلك ان الاول انه حرم عليهم كل ذى ظفر وفيه لغات ضم الفاء والغين وهى الفصحى وكسرهما وهى قراءة ابن السماك والضم مع السكون والكسر مع السكون وهى قراءة الحسن واختلف فى الظفر فعن ابن عباس فى رواية عطاء انه الابل فقط وعنه فى رواية اخرى وهو قول مجاهد انه الابل والنعام وقيل كل ذى مخلب من الطير وكل ذى حافر من الدواب وسمى الحافر ظفرا على الاستعارة ودليف بان الحافر لا يكاد يسمى ظفرا وبان البقر والغنم مباحان لهم كما يجئ مع ان لهما حافرا فاذن يجب حمل الظفر على المخلب والبراثن من الجوارح والسباع بل على كل ما له اصبع من دابة وطائر وكان بعض ذوات الظفر حلالا لانهم فلما ظلموا عم التحريم بعموم التحريم خاص بهم وبهذا اندفع الجار فى قوله وعلى الذين هادوا حرمنا فيستدل بذلك على حل بعض هذه الحيوانات على المسلمين وهو ما سوى ذات المخلب والناب فيكون الخبر مبينا للابهام مخالفا كما ظن صاحب التفسير الكبير النوع الثانى قوله ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما قال فى الكشاف هو كقولك من زيد اخذت ماله تريد بالاضافة يعنى اضافة الاخذ الى زيد بواسطة من زيادة الربط والمعنى انا حرمنا عليهم من كل ذى ظفر كله ومن البقر والغنم بعضهما ذلك شحومهما فقط وهذا ايضا لبس على الاطلاق لقوله الا ما حملت ظهورهما قال ابن عباس الا ما علق من الشحم فانى لم احرمه وقال قتادة الا ما علق بالظهر والجنب داخل بطونها وقبل الا ما اشتمل على الظهور والجنوب من الشحم وهى الشحمة التى على الظهر الملتزقة بالجلد فيما بين الكليتين الى الورکين وهى بالحقيقة لحم سمين لا تحرم عند الطرفين وهذا لو حلف لا ياكل الشحم فاكل من ذلك اللحم السمين لم يحنث على الاصح والاستثناء الثالث قوله او الحوايا قال الجوهرى الحوايا الامعاء احدها حاوية وفى معناها حاوياء البطن وحاويا البطن قال الواحدى هى المباعر والمضارين والفحوى او ما اشتمل على الامعاء يعنى ان الشحوم المنصفة بالمباعر والمضارين غير محرمة والاستثناء الثالث وما اختلط بعظم قال جمهور المفسرين يعنى شحم الالية وقال ابن جريج كل شحم فى القوائم والجنب والرأس وفى العينين والاذنين فانه مخلوط بعظم فهو حلال لهم والحاصل ان الشحم الذى حرمه الله عليهم هو الثرب وشحم الكلية وقيل ان الحوايا غير معطوف على المستثنى وانما هو معطوف على المستثنى منه والتقدير حرمنا عليهم شحومهما او الحوايا او ما اختلط بعظم الا ما حملت الظهور فانه غير محرم ودخول كلمة او كدخولها فى قوله تعالى ولا تطع منهم اثما او كفورا والمعنى كل هؤلاء اهل ان يعصوا واعصر هذا فكذا ههنا المعنى حرمنا عليهم هذا وهذا ذلك الجزاء وهو تحريم الطيبات جزيناهم ببغيهم بسبب قتلهم الانبياء واخذهم الربوا واستحلالهم اموال الناس بالباطل وغير ذلك من قبايح افعالهم وانا لصادقون فى هذه الاخبار وفيها رد على عبد العصا قال القاضى نفس التحريم لا يجوز ان يكون عقوبة على جرم صدر عنهم لان التكليف تعريض للثواب والتعريض للثواب احسان واجيب بان المنع

من الانتفاع يمكن ان يكون لمزيد الثواب يمكن ان يكون بشوم الجرم المتقدم فان كذبوك في ادعاء النبوة والرسالة او في تبليغ الاحكام وعلى المعتزلة فان كذبوك في ابعاد العصاة وزعموا ان الله واسع الرحمة وانه يخلف الوعيد جوادا وكما تفعل ربكم ذو رحمة واسعة فلذلك لا يعجل بالعقوبة ولا يبوء باسه اذا جاء وقت عذابه عن القوم المجرمين يعني لم كذبوا بهن يعني على اصولهم رحمته واسعة لاهل طاعته ولا يبوء باسه مع ذلك عن الذين ان تكبوا الكبائر فاتوا قبل التوبة ثم حكى اعذار الكفار الواهية فقال سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا وانما جاز العطف على الضمير المرفوع المتصل من غير ان اكد بالمنفصل لكان الفصل بعد حرف العطف بملء الزائدة لتاكيد النفي اخبر الله تعالى باسوء يقولونه ولما قالوه قال في سورة النحل وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء وانما قال في سورة النحل بن بادة عن ومن دونه مرتين لان الاشراك مستنكر ومطلقا فلفظ الاشراك يدل على اثبات شريك لا يجوز اثباته وعلى تحليل اشياء وتحريم اشياء من دون الله فلم يحتج الى لفظ من دونه واما العبادة فانها غير مستنكرة على الاطلاق وانما المستنكر عبادة شيء مع الله سبحانه ولا يدل على تحريم شيء فلم يكن بد من تقييده بقوله من دونه لما حذف من الاية لفظة من دونه مرتين حذف فيه عن نحن نطرد الاية في حكم التخفيف انما تفسير الاية فرعم لعنزلة انها يدل على قولهم في مسئلة ارادة الكائنات من سبعة اوجه الاول ان الذي حكى عن الكفار في معرض الذم والتقبيح وذلك قولهم لو شاء الله منا ان لا نشرك هو صريح تحول المجبرة فيكون هذا المذهب مذموما الثاني قوله كذلك كذب الذين من قبلهم فلم يذكروا للتكذيب به تنبيها على انهم جاؤا بالتكذيب المطلق لان الله عز وعلا ركب في العقول وانزل في الكتب ما دل على غناه وبراءته من مشيئة القبائح وارادتها والرسل اخبروا بذلك فمن علق وجود القبائح من الكفر والمعاصي بمشيئة الله وارادته فقد كذب كلهم وهو تكذيب لله ورسله وكتبه وبنبذ دلالة السمع والعقل وراء ظهره والحاصل ان هذا طريق متعين لكل الكفار المتقدمين منهم والمتاخرين في تكذيب الانبياء في دفع دعوتهم عن انفسهم لانهم يقولون الكل بمشيئة الله تعالى القائل قوله حتى ذاقوا باسنا وذلك يدل على انهم استوجبوا الوعيد من الله تعالى في هذا المذهب الرابع قوله قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا وانما استفهام على سبيل الانكار اي لا علم لهم ولا قائلين ولا حجة الخامس ان يتبعون الا الظن السادس وان انتم الا تخرصون السابع قل فلله الحجة البالغة لانه ازال الاعذار بالتمكين والاقدار فلم يبق لكم على الله حجة وانما الحجة البالغة له عليكم وذلك انكم تقولون لو انينا بعمل على خلاف مشيئة الله لزم ان يكون الاله عاجزا مغلوبا وهذا الكلام غير لازم لان الله قادر على ان يحملكم على الايمان والطاعة على سبيل القهر والالجاء الا ان ذلك يبطل الحكمة المطلوبة من التكليف هذا هو المراد من قوله فلو شاء لهداكم اجمعين وبوجه اخر ان كان الامر كما زعمتم ان ما انتم عليه بمشيئة الله فلله الحجة الكاملة عليكم فان تعليقكم دينكم بمشيئة الله يقتضي ان تطلقوا دين من يخالفكم ايضا بمشيئته فتوالوا جميع اهل الاديان ولا تعادوهم اجاب الاشاعرة بانا قد بينا بالدلائل القاطعة من اول القرآن الى ههنا صحة مذهبنا فوجب تاويل هذه الاية دفعا للتناقض فنقول ان القوم كانوا يتمسكون بمشيئة الله تعالى في بطلان دعوة الانبياء وفي ان التكليف عبث فبين الله تعالى ان ذلك من تكاذيبهم واكاذيبهم وان التشبث بهذا العذر لا يفيدهم لانه اله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا اعتراض لاحد عليه شاء الكفر من الكافر ومع ذلك بعث الانبياء وامر بالايمان وورود الامر على خلاف الارادة غير ممتنع ويؤيد ذلك ما روي عن ابن عباس ان اول ما خلق الله القلم فقال اكتب لقد جرى بما يكون الى قيام الساعة وقال رسول الله صلى الله عليه وآله المكذبون بالقدر مجوس هذه الامة فان ظاهر الاية معناه وهو قوله فلو شاء لهداكم اجمعين وحمل المشيئة على مشيئة الالجاء والقسر بعيد والله اعلم ثم لما ابطل جميع حجج الكفار بين انه ليس لهم على قولهم شهود فقال قل هلم شهداءكم اذا كان لا بد لما اقبل واذا كان متعديا احضر قال الخليل اصله هالم ثم حذفت الف الكثرة الاستعمال وجعلا اسما واحدا يستوي فيه الواحد والجمع والتانيث في لغة اهل الحجاز واهل نجد يصرفونها هلما هلموا هلمي والاول افصح وقد يوصل بالى كقوله تعالى والقائلين لاخوانهم هلم الينا وقال الفراء اصلها هل ام اردوا بهل حروف الاستفهام ومعناه ام اقصدوا وقيل ان اصل استعماله ان قالوا هل لك في الطعام اي قصد ثم شاع في الكل امر الله تعالى نبيه باستدعاء اقامة الشهداء من الكافرين ليظهر ان لا شاهد لهم على تحريم ما حرموه وانما ينقل شهداء يشهدون لا تنزيل لغرض احضار اناس يشهدون بالتحريم وانما المراد احضار شهدائهم الموسومين بالشهادة لهم المعروفين بنصرة مذاهبهم وهذا قال فان شهدوا اي فان وقعت شهادتهم فلا تشهد معهم اي لا تسلم لهم ما شهدوا به ولا تصدقهم لان شهادتهم محض الهوى والتعصب لاجل ذلك قال ايضا ولا تتبع اهواء الذين كذبوا بايانا نوضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا عليهم بالتكذيب ليترتب عليه باقي الاية فعلم ان المتصف بهذه الصفات لا يكون شهادتهم عند العقلاء مقبولة التاويل وهو الذي انشا حتا ثم في القلوب معرفة شاهد من شجرة الاسلام والايمان والاحسان وغير معروشات هي الصفات الروحانية التي جبلت القلوب عليها كالسخاء والحياء والوفاء والمروءة والفتوة والشفقة والعفة والعلم والحلم والعقل والشجاعة والقناعة وتحلي الايمان وزرع الاعمال الصالحة وتثبيت الاخلاق الحميدة وسقيها بالاخلاص وتشابها باعمالها وغير متشابه احوالها كلوا من ثمره اذا اثمر انفعوا من ثماره الايمان والاعمال والاخلاص بالشواهد والاحوال لا بالدعاوى والقيل والقال واتوا حقه وحقه دعوة الخلق وتربيتهم بالحكمة والموعظة الحسنة يوم حصاده وان بلوغ السالك مبلغ الرجال البالغين عند ادراك ثمرة الكمال للواصلين دون السالك الذي يتردد بين المنازل والمراحل ولا شروعوا بالشروع في الكلام في عزيمته والحرص على الدعوة قبل اوانها ومن الانعام اي من الصفات الحيوانية التي هي مركوزة في الانسان فما هو مستعد لحمل الامانة وتكاليف الشرع ومنها ما هو مستعد

بالشواهد والاحوال

للاكل والشرب لصلاح القالب قيام البشرية كلوا مما رزقكم الله فرزق القلب هو التحقيق من حيث البرهان ورزق الروح هو المجنبة بصدق التحرز
عن الاكوان ورزق السر هو شهود العرفان بلحظ العيان فانتفعوا من هذه الارزاق بقدر ما ينبغي انه لكم عدو مبين يخرجكم بالتفريط والافراط
الى ضد المقصود ثم ان الصفات الحيوانية ثمان بعضها ذكور وبعضها اناث يتولد منها صفات اخر كلها محمودة اذا استعملت في محالها وبمقدار
ما ينبغي من الضأن اثنين ومن المعز اثنين والضأن والمعز جنس لفرشيته كما ان الابل والبقر من جنس الحمولية والذكور من الضأن والمعز هما
شهوة البطن والفرج والانثى منهما صفة حسن الخلق عند الاستمتاع بها وصفة التسليم عند تحمل الاذى والذكور من الابل والبقر صفتا الظلومية
والجهولية وانثاها الحمولية ولا استسلام للاستمتاع بهذه الصفات الثمانية صار الانسان حامل اعباء الامانة التي ابت المكونات عن حملها
وبين ايضا حملة عرش القلب فهم وقد احل الله تعالى استعمالها باستعمال المتولد منها على قانون الشريعة والطريقة ومن زعم انه يجب تركها وفصلها بالكلية فقد افترى لو شاء الله اشركنا الكلام في نفسه حقوق صدق الا انهم لما ذكروه في معرض الانزاع فعالا ذنبه والا لام كذبوا فيما قالوا والله سبحانه اعلم بالصواب

ع قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا ولا تقتلوا اولادكم من املاق نحن نرزقكم

بگو بيائيد تا بخوانم بچه را كه حرام كرد بر شما پروردگار شما كه شريك قرار ندهيد چيزي را و بپدر و مادر خوبي و نكنيد فرزندان خود را از بيچيزي ما روزي ميدهيم شما را

وايتاهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ذلكم وصيكم به لعلكم تعقلون

و ايشان را و نزديك نشويد زنا ها را هر چه پيدا است ازان و هر چه پنهان است و نكشيد نفس كسي را كه حرام كرده خدا مگر بر راستي اين است كه فرمود شما را بان شايد كه شما درگ كنيد

ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن حتى يبلغ اشده واوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا الا وسعها واذا

و نزديك مكنيد مال يتيم را مگر بانطور كه آن بهتر است تا برسد بقوت و تمام و بدهيد پيمانه را و ترازو را براستي تكليف نميكنيم نفسي را مگر بقدر اندازه و چون

قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله اوفوا ذلكم وصيكم به لعلكم تذكرون وان هذا صراطي مستقيما

گفتيد پس بكنيد عدل را و هر چند بصاحب شما خويشي و پيمان خدا وفا كنيد اين است كه فرمود شما را بان شايد كه پند گيريد و آنكه اين راه من است كه راست است

فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصيكم به لعلكم تتقون ثم اتينا موسى الكتاب تماما

پس متابعت كنيد او را و متابعت نكنيد راهها را پس پراكنده سازد شما را از راه او اين است كه فرمود شما را بان شايد كه شما پرهيزيد پس داديم موسى را كتاب را

على الذي احسن وتفصيلا لكل شيء وهدى ورحمة لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون وهذا كتاب انزلناه مبارك

بر طريق كه آن بهتر است و بيان از براي هر چيزي و راستي و رحمتي شايد كه ايشان بديدار پروردگارشان گروند و اين كتابي است كه فرو فرستاديم او را بابرکت

ع فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون ان تقولوا انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وان كنا عن دراستهم لغافلين

پس متابعت كنيد او را و پرهيزيد شايد كه رحمت كرده شويد تا مگوئيد بدرستي كه فرو فرستاده شد كتاب بسوي دو طائفه از پيش و اگر چه بوديم از خواندن ايشان بيخبران

او تقولوا لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة فمن اظلم ممن كذب

يا بگوئيد كه اگر ما فرود آمده بود بر ما كتاب هر آينه بوديم بابنده تر از ايشان پس بتحقيق كه آمد شما را حجتي روشن از پروردگارتان و راستي و رحمت پس كيست ستمكار تر از آنكه دروغ گرفت

بايات الله وصدف عنها سنجزي الذين يصدفون عن اياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون هل ينظرون

بايات خدا و برگشت ازان زود است كه پاداش دهيم آنان را كه برگردند از ايات ما بتر عذابي بآنچه بودند كه برگردانيدند

الا ان تاتيهم الملائكة او ياتي ربك او ياتي بعض ايات ربك يوم ياتي بعض ايات ربك لا ينفع نفسا ايمانها

مگر كه آيد بايشان فرشتگان يا بيايد فرمان پروردگار تو يا بيايد پاره از ايات پروردگار تو روزيكه بيايد بعضي از ايات پروردگار تو سود نبخشد نفسي را ايمانش

لم تكن امنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا قل انتظروا انا منتظرون ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا

كه نبود گرويده پيش از و در ايمانش خيري بگو منتظر باشيد شما هم ما منتظريم بدرستي كه آنان كه پراكنده كردند دين خود را و شدند طائفه

لست منهم في شيء انما امرهم الى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ومن جاء بالسيئة

نيستي تو از ايشان در چيزي جز اين نيست كه كار ايشان بسوي خدا پس خبر دهد ايشان را بآنچه بودند كه ميكردند هر كه آورد نيكي پس مر او راست ده مانند آن و هر كه آورد بدي

فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون قل اننى هداني ربي الى صراط مستقيم دينا قيما ملة ابرهيم حنيفا وما كان من المشركين

پس مزد داده نشود مگر مانند آن و ايشان ستم كرده نشوند بگو كه من راه نمود مرا پروردگار من بسوي راه راست دين راست ملت ابراهيم گرايندهٔ از باطل و نبود است از شركان

قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك امرت وانا اول المسلمين قل

بگو بدرستي كه نماز من و اعمال من و زندگاني من و مردن من خداي راست كه پروردگار عالميان است شريك نيست مر او را و باين فرمانداده شدم و من نخست تسليم كنندگانم بگو

اغير الله ابغي ربا وهو رب كل شيء ولا تكسب كل نفس الا عليها ولا تزر وازرة وزر اخرى

آيا جز خدا بجويم پروردگاري را و او پروردگار هر چيز است و نيندوزد هيچ تني بجز آنچه را كه بر او راست و برندارد برداشته باز ديگري را

ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون وهو الذي جعلكم خلائف الارض ورفع

پس بسوي پروردگار شماست بازگشتن شما پس خبر دهد شما را بآنچه بوديد در آن اختلاف ميكرديد و اوست آنكه گردانيد شما را جانشينان در زمين و بالا برد

بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما اتيكم ان ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم القراءة

بعضی را بالای بعضی در مرتبه تا آنکه بیازماید شما را در آنچه داد شما را بدرستیکه پروردگار تو زود عقوبت است و هر آینه او آمرزنده مهربان است

تذكرون بتخفيف الذال حيث كان حمزة وعلي وخلف وعاصم غير ابي بكر وحماد فحذفوا احدى التاءين الباقون بالتشديد لاجل ادغام تاء التفعل في الذال وان هذا بسكون النون ابن عامر ويعقوب وان هذا بكسر الهمزة وتشديد النون حمزة وعلي وخلف الباقون وان بالفتح والتشديد بصراط بفتح الياء ابن عامر والاعشى والبرجمي فتفرق بتشديد التاء البزي وابن فليح ان بايتهم بالياء الخنا ينه وكذلك في النحل علي وحمزة وخلف الباقون بالتاء الفوقانية فارقوا وكذلك في الروم حمزة وعلي الباقون فرقوا بالتشديد عشر بالتنوين اشتالها بالرفع يعقوب الباقون بالاضافة ربي الى بفتح الياء المتكلم ابو عمرو ابو جعفر نافع قيما بكسر القاف وفتح الياء ابن عامر حمزة وعلي وخلف وعاصم غير المفضل الباقون بالعكس مع تشديد الياء محياي بالسكون مماتي بالفتح ابو جعفر نافع الباقون بالعكس واذا اول بالمد نافع وابو جعفر الوقوف شبا للحذف اذى احسنوا بالوالدين احسانا الابتداء النهي مع احتمال العطف اي ان لا تصلوا من املاق واياهم للعطف مع العارض ما بطن للمفصل بين الحكمين المعظمين مع اتفاق الجملتين بالحق لانها بيان الاحكام التي توكيد ايضا للاحكام تعقلون اشد للفصل بين الحكمين بالقسط لاحتمال ما بعده الحال او الاستيناف ذاكرون لشابهي جواب اذا وتقدم مفعول او فواتح كرون لمن قرأ وان هذا بالكسر فاتبعوه للفصل بين النقيضين معنى مع الاتفاق نظما عن سبيله تتقون يومنون نرحمون لان التخذ بن فاتبعوه لئلا يقولوا من قبلنا الغافلين للعطف هذا منهم للفاء مع ان قد لتوكيد الابتداء ورحمة للاستفهام مع الفاء وصد في عنها يصدفون بعض بان ربك خبر انتظرون في شيء يفعلون امثالها لابتداء شرط اخر مع العطف لا يظلمون مستقيما لاحتمال ان دينا نصب على البدل من محل الى صراط او على الاعراء اي الزموا حنيفا لابتداء النفي مع اتحاد المعنى المشركين العالمين لا شريك له المسلمين كل شيء لانتهاء الاستفهام الى الا احدا الا جملتها للتفصيل الامر بن على التهويل مع اتفاق الجملتين اخرى لان ثم لترتيب الاخبار مع اتحاد المقصود تتقون اتيكم العقاب للتفصيل بين تحذيرهم وتبشيرهم الوصل للعطف وضع رحيم التفسير لما بين فساد ما يقوله الكفار في باب التحليل والتحريم اتبعوا البيان الثاني في الباب فقال قل تعالوا وهو الخاص الذي صاعدا ما لان اصله ان يقوله من كان في مكان عال طن هو اسفل منه وفي قوله ما حرم اما منصوب بفعل التلاوة اي اتل الذي حرمه ربكم فالعايد محذوف وقوله عليكم يكون متعلقا بانل وبحرم واما منصوب بحرم على ان ما استفهامية فلا راجع والمعنى اتل اي شيء حرم لان التلاوة نوع من القول وتقديم المفعول للتخصيص فان قيل قوله ان لا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا كالتفصيل لما اجمله في قوله ما حرم فلزم ان يكون ترك الشرك والاحسان الى الوالدين محرما فالجواب ان المراد من التحريم البيان المضبوط والكلام تم عند قوله ما حرم ربكم ثم ابتداء فقال عليكم ان لا تشركوا او مفسر اي ذلك التحريم هو قوله لا تشركوا وهذا في النواهي واضح واما الاوامر فيعلم بالقرينة ان التحريم راجع الى اضدادها وهي الاساءة الى الوالدين وبخس الكيل والميزان وترك العدل في القول ونكث عهد الله ولا يجوز ان يجعل ان ناصبة والا لزم عطف الطلب على الخبر واعلم انه سبحانه بين فرق المشركين في هذه السورة احسن بيان وذلك ان منهم من يجعل الاصنام شركاء لله تعالى فاشار اليهم بقوله واذا قال ابو هيم لابيه ازر اتتخذ اصناما الهة وضم عبدة الكواكب الذين ابطل قولهم بقوله لا احب الافلين ومنهم القائلون ببزدان واهرمن وضم الذين يقولون الملائكة بنات الله والمسيح ابن الله وزيف معتقدهم بقوله وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم ثم عمم النهي بقوله لا تشركوا به شيئا ثم حث على احسان الوالدين وكفى بهما خصلة شريفة ان جعلا تاليا للتوحيد ثم اوجب رعاية حقوق الاولاد بعد رعاية حقوق الوالدين ومعنى من املاق اي من خوف الفقر كما صرح به بذلك في الابتداء لا خوفه ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق كانوا يدفنون البنات احيانا بعضهم للغيرة وبعضهم لخوف الاملاق وهو السبب الغالب فلذلك ان بل ذلك لو هم بقوله نحن نرزقكم واياهم فكما يجب على الوالد الاتكال في رزق نفسه على الله فكذا القول في حال الولد قال ثم املاق الرجل اذا افتقر املق الدهر ما عنده اذا افسده وانما قال ههنا نحن نرزقكم واياهم وقال في سبحان بالعكس لان التقديم في الاية من املاق بكم نحن نرزقكم واياهم وهناك ان يدنث الخشية التي تتعلق بالمستقبل فالتقدير خشية املاق يقع بهم نحن نرزقهم واياكم ثم نهى عن قربان الفواحش كلها ومعنى ما ظهر منها وما بطن كما مر في قوله وذروا ظاهر الاثم وباطنه وفيه ان الانسان اذا احترز عن المعصية في الظاهر لم يحترز عنها في الباطن دل على ان احترازه عنها ليس لاجل عبودية الله تعالى وامتثال امره ولكن لاجل الخوف من مذمة الناس ثم احترز من جملة الفواحش قتل النفس المحرمة نبه بها على ما يلحق بها من الاستثناء وهو قوله الا بالحق وذلك ان قتل النفس المحرمة قد يكون حقا لحرم صدرها كما جاء في الحديث لا يحل دم امرء مسلم الا لاحدى ثلث كفر بعد ايمان وزنا بعد احصان وقتل نفس بغير حق ويخرط في سلكه جزاء قاطع الطريق والحاصل ان الاصل في قتل النفس هو الحرمة وحله لا يثبت الا لامر منفصل ثم لما بين النواهي الخمسة اتبعه الكلام الذي يقرب الى القلوب لقبول فقال ذلكم وصيكم لما في لفظ التوصية من الرفق والاستعطاف ومعنى لعلكم تعقلون لكي تعقلوا فوائد هذه التكاليف ومنافعها في الدين والدنيا ثم ذكر بعد انواع اخر من التكاليف وذلك قوله ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي بالخصلة او الطريقة التي هي احسن التي في تثميره وانمائه ورعايته وجوه الغبطة لاجله كما مر في اول سورة النساء حتى يبلغ اشده اي احفظوا ماله الى هذه الغاية اي اوان الاحتلام ولكن بشرط ان يؤنس منه الرشد قال الفراء واحد الاشد شدة كالفلس وشدد وابو الهيثم واحد شدة كنعم في نعمة والشدة القوة

املاق دم و سعد

ومنه قولهم بلغ الغلام شدته وقيل انه واحد جاء على بناء الجمع كانك لا نظيرا لهما واوفوا الكيل والميزان بالقسط بالعدل والتسوية ايفاء الكيل اتمامه خلاف البخس وقوله والميزان اى الوزن بالميزان فان قيل ايفاء الكيل والوزن هو عين القسط فما فائدة التكرار قلنا امر الله المعطى بابتناء ذى الحق حقه من غير نقصان وامر صاحب الحق باخذ حقه من غير طلب لزيادة ثم قال لا نكلف نفسا الا وسعها ليعلم ان الواجب هو القدر الممكن من العدالة والتسوية لا التحقيق المؤدى الى الحرج والعسر فزعمت المعتزلة بهذا ان هذا القدر من التضييق حيث لم يجوزه الله تعالى فكيف يكلف الكافر الايمان مع انه لا قدرة له عليه او بخالق القدرة الموجبة للكفر والداعية المقتضية له ثم بنهاه عنه وتعرض بالعلم والداعى كما تقدم مرارا واذا قلتم فاعدلوا فيها ولو كان المقول له او عليه ذا قربى حمله المفسرون على اداء الشهادة وعلى الامر والنهى والاولى ان يحمل على الاقوال كلها ويدخل فيه قول الرجل الى الدين وتفريره الدلائل عليه بان يذكر الدليل مخلصا عن الحشو ومبرءا عن النقص ومجردا عن العصبية والجدال على مقتضى الهوى والتشهى كذا الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وكذا المحاباة والوراثة والرشوة وحكم الحاكم بحيث يهوى فيه بين القريب البعيد ولا ينظر الا رضاء الله وختم الاوامر بقوله ويعهد الله اوفوا كما قال اوفوا بالعقود ويندرج فى هذه الخاتمة بالتحقيق جميع الانواع المذكورة وان هذا صراطى من قرأ بالفتح والتخفيف باعماله فى ضمير الشان والتقدير تعالوا اتل ما حرم وانزل انه هذا صراطى ومن قرأ بالتشديد ويدوبالفتح الا ان ضمير الشان لا يقدر وان شئت جعلتها خفضا متعلقا بما قبلها اى ذلكم وصيكم به وبان هذا صراطى وبما بعده والتقدير دلالة هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ومن كسر فلان التلاوة فى معنى القول وعلى الاستيناف والمعنى اتبعوا صراطى انه مستقيم ولا تتبعوا السبل المختلفة فى الدين من اليهودية والنصرانية والمجوسية وسائر البدع والضلالات فتفرق بكم الباء للتعدية اى فيفرقكم ذلك الاتباع عن سبيله المستقيم وهو دين الاسلام وعن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وآله انه خط خطا ثم قال هذا سبيل الرشد ثم خط عن يمينه وعن شماله خطوطا ثم قال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ثم تلا هذه الاية فهذه الاية بالحقيقة اجمال لما فى الايتين المتقدمتين وهذا اختمها بالتقوى التى هى ملاك العمل وخير الزاد وختم الاولى بقوله لعلكم تعقلون لانها امور ظاهرة جلية يكفى فى تعلقها ادنى مسكة وعقل وختم الثانية بقوله لعلكم تذكرون لان المذكورة فيها امور خفية يحتاج الى التدبر والتذكر حتى يقف فيها على موضع الاعتدال او نقول الامور الخمسة المذكورة فى الاية الاولى كلها عظام جسام وكانت الوصية بها من ابلغ الوصايا فختم الاية بها فى الانسان من اشرف السجايا وهو العقل الذى متازبه الانسان عن سائر الحيوان واما المذكورة فى الثانية فاشياء يقبح تعاطيها وارتكابها وكانت الوصية بها تجرى مجرى الزجر والوعظ فختمها بقوله تذكرون اى تتعظون بمواعظ الله تعالى قوله ثم آتينا موسى الكتاب معطوف على وصيكم فسئل كيف صح عطفه عليه ثم والاتيان قبل الوصية بدهر طويل واجيب بان التكاليف التسعة المذكورة تكاليف لا يختلف بحسب اختلاف الشرائع كما روى عن ابن عباس ان هذه الايات محكمات لم ينسخهن شئ من جميع الكتب وقيل انهن ام الكتاب من عمل بهن دخل الجنة ومن تركهن دخل النار وعن كعب الاحبار والذى نفس كعب بيده ان هذه الايات لاول شئ فى التوراة مخصصة بها فهى تماحدث بعد تلك التكاليف التسعة فكانه قيل لهم وصيكم به يا بنى آدم قديما وحديثا ثم اعظم من ذلك انا آتينا موسى الكتاب وانزلنا هذا الكتاب المبارك وقيل ان فى الاية حذفا تقديره ثم قل يا محمد صلى الله عليه وآله انا آتينا والمعنى انزلنا او اوحينا اليك ثم اتل عليهم خبر ما آتينا موسى وقيل هو معطوف على ما تقدم قبل شطر السورة من قوله ووهبنا له اسحق ويعقوب وقوله تماما على الذى احسن مفعول له اى لتتم نعمتنا على الذى احسن اى على من كان محسنا صالحا او لمراد تمامنا للنعمة والكرامة على العبد الذى احسن الطاعة فى التبليغ وكل ما امر به او تماما على الذى احسن موسى من العلم والشرائع من احسن الشئ اذا اجاد معرفته اى بزيادة على علمه وقرئ احسن بالرفع على الذى هو احسن دين وارضاه وتفصيلا لكل شئ يحتمل ذلك بيان نبوة رسولنا صلى الله عليه وآله وصحة دينه وشرعه وهدى ودلالة ورحمة لكى يؤمنوا بلقاء ما وعدهم ربهم به من ثواب وعقاب وهذا كتاب انزلناه لاشك انه القرآن مبارك كثير الخير والنفع او ثابت لا ينظر اليه النسخ كما فى الكتابين فاتبعوه واتقوا لكى ترحموا الان الغرض من التقوى رحمة الله تعالى او اتقوا الزموا واجتنبوا على التقوى او اتقوا مخافة ان تقولوا او كراهة ان تقولوا والخطاب لاهل مكة انما انزل الكتاب اى التوراة والانجيل على طائفتين من قبلنا اليهود والنصارى وان كنا هى المخففة من الثقيلة واللام فى لغافلين هى الفارقة بينها وبين النافية والاصل وانه كنا ومعنى الدراسة القراءة وانما قالوا لكنا اهدى منهم لحدة اذهانهم وكثرة حفظهم لايام العرب ووقايعها وخطبها واشعارها وامثالها مع كونهم اميين قطع الله عذرهم بانزال القرآن عليهم ثم قال فقد جاءكم اى ان صدقتم ان عدم انزال الكتاب يصلح للعذر وانه لو انزل عليكم الكتاب لكنتم اهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم فيما يعلم سمعا وهدى فيما يعلم سمعا وعقلا ورحمة من الله فى صلاح المعاش والمعاد فمن اظلم بعد هذه المجزات والبينات ممن كذب بايات الله وصد عنها اى صنع غيره منها لان الاول ضلال والثانى اضلال ثم ختم الاية باشد الوعيد وابلغ التهديد ثم ذكرانهم بعد نصب الادلة وازاحة العذر لا يؤمنون البتة وشرح احوالا يوجب المبادرة الى الايمان والتوبة فقال هل ينظرون اى ينتظرون ومعنى الاستفهام النفى وتقديره انهم لا يؤمنون بك لاعند مجئ احد هذه الامور مجئ الملائكة او مجئ ربك وبعض آياته كما سلف فى البقرة او مجئ

بحر عن الفاخرة قال في الكشاف الملائكة ملائكة الموت او ملائكة العذاب ومحى اوتب محى كل انية ثم يوم يأتي بعض ايات ربك واجمعوا على ان المراد بها طلوع الشمس علما فان الفهم عن ابن عازب قال كنا نتذاكر امر الساعة اذ اشرف النبي صلى الله عليه وآله فقال اتذاكرون الساعة انها لا تقوم حتى تروا قبلها عشر ايات الدخان ودابة الارض وخسفا بالمشرق وخسفا بالمغرب وخسفا بجزيرة العرب والدجال وطلوع الشمس من مغربها ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى ونار تخرج من عدن والمراد انها اذا بدئت اشراط الساعة ذهب اوان التكليف عندها فلم ينفع نفسا لم تكن آمنت من قبل ايمانها ولا نفسا ما كسبت في ايمانها خيرا ثم او عدهم بقوله قل انتظروا انا منتظرون ثم سلى رسول الله صلى الله عليه وآله بقوله ان الذين فارقوا دينهم الى قوله ومعنى الفرقتين في الحقيقة واحد لان الذي فرق دينه بعضا انما فرق بعض وكفر ببعض فقد فارق الكل قال ابن عباس هم يهود ان المشركين بعضهم بعبادة الملائكة ويقولون انهم بنات الله وبعضهم يعبدون الاصنام ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله فصاروا شيعا اي فرقا واخوانا في الضلالة والشيعة كل فرقة تشيع اماما لها وقال مجاهد ايضا انهم من هذه الامة وهم اهل البدع والشبهات وفي الحديث افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وهي الناجية وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وتفترق امتي على ثلث وسبعين كلها في الهاوية الا واحدة لست منهم في شئ اي انك بعيد من اقوالهم ومذاهبهم والعقاب اللازم على ذلك لا يليق بحالهم اليك وقال السدي معناه لم تؤمر بقتالهم فلما امرت بقتالهم نسخ ويحتمل ان يقال ان النهي عن القتال في وقت لا ينافي الامر في وقت اخر فلا نسخ انما امرهم الى الله بالاستيصال والاهلاك ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون وفيه من الوعيد ما فيه وفي الاية حث على ان كلمة المسلمين يجب ان يكون واحدة ليستأهلوا الثواب الجزيل كما قال من جاء بالحسنة فله الا الله والسيئة الشرك والاولى حملها على العموم فله عشر امثالها اقام صفة الجنس المبهم مقام الموصوف تقديره عشر حسنات امثالها بالرفع والتنوين قبل هذا اقل الموعود وقد وعد سبع مائة وبغير حساب قيل ليس المراد التحديد بل اراد الاضعاف مما كفول القائل لئن اسدت الي معروفا لاكافينك بعشرة امثاله وفي الوعيد لن كلمة واحدة لا كلمتك عشرا روى ابو ذر ان النبي صلى الله عليه وآله قال عز الله تعالى الحسنة عشر اوازيد والسيئة واحدة او اغفر فالدليل لمن غلب احاده اعشاره وقال صلى الله عليه وآله يقول الله تعالى اذا هم عبدي بحسنة فاكتبوها له حسنة وان هم بسيئة فلا تكتبوها فان عملها فسيئة وهم لا يظلمون اي لا ينقص من ثواب طاعاتهم ولا يزاد على عقاب سيئاتهم سئل انس ما الحكمة في الاضعاف جوابه كان للامم اعمار طويلة وطاعات كثيرة فوضع الله لهذه الامة ليلة القدر من الف شهر اضعاف الاعمال من جاء بالحسنة فله عشر امثالها كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة ايتاء للصابرين اجرهم بغير حساب ايضا لوان الخلق ما يتعلقون بهم يوم القيمة فيذهبون باعمالهم الى ان يبقى الاضعاف فيقول الله اضعافه لبس من فعلهم ومن رحمتي فلا اقبض منهم ابدا اخوف يوجب لكفر عقاب الابد جوابه ان الكافر كان على عزم الكفر لو عاش ابدا فاستحق العقاب الابد بناء على ذلك الاعتقاد بخلاف المسلم المذنب فانه يكون على عزم الايمان فلا جرم يكون عقوبته منقطعة وانهم الذي يجعله الكافر وهو ذات القديم سبحانه وصفاته شئ لا نهاية له فيكون جهله لا نهائيا فكذا عقابه اخواعتاق الرقبة الواحدة تارة جعل بدلا عن صيام ستين يوما وهو في كفارة الظهار وتارة بدلا عن صيام ايام قلائل اخر احدث في راس انسان موضحتين فوجب شاتان فان عاد ورفع الحاجز بينهما صارا لواجب ارش موضحة واحدة فيهما ازدادت الجناية وقيل العقاب انما قد يجتمع بسبب طرائف تبان ولطائف تزال ديات متعددة اذا حصل الاندمال وقد يتفي الى نيف وعشرين الاذنان او ابطال حسها العينان او البصر الاجفان المأقان الشفتان اللسان او النطق الاسنان اللحيان اليدان الذكر الانثيان او مجلتان الحلمتان والشفران والاليتان العقل السمع الشم الصوت الذوق الاصبع او الانملة او الاجنبال ابطال لمذة الجماع بطال لذة الطعام الانضاء البطش المشي وقد تضاف اليها موجبات الجوائف والمواضح وسائر الشجاج فان عاد الجاني قبل الاندمال وجز الرقبة او قدر نصفها لم يجب الا دية النفس وكل ذلك يدل على ان عادية المماثلة غير معتبرة في الشرع والجواب عن الاسولة الثلثة ان هذه الامور من تعبدات الشرع المطهر وتحكماته فلا سبيل بعقولنا اليها ويمكن ان يجاب عن الثالث بان بدل الاطراف لما لم يستقر بالاندمال دخل في دية النفس لعدم ضبط تلك الجراحات الحقيقي موكول الى يوم الجزاء والله اعلم قال اهل السنة كل الثواب تفضل من الله تعالى فلا اشكال وقالت المعتزلة ان بين الثواب والتفضل فرقا لان الثواب هو المنفعة المستحقة والتفضل هو المنفعة التي لا يكون مستحقة ثم اختلفوا فقال الجبائي العشرة تفضل والثواب غيرها اذ لو كان الواحد ثوابا والتسعة تفضلا لزم ان يكون الثواب دون التفضل فلا يكون للتكليف فائدة وقال اخرون لا يبعد ان يكون الواحد ثوابا والتسعة تفضلا لان من علم الله انه يكون على شاكلة من التسعة الباقية ثم لما علم رسول الله صلى الله عليه وآله انواع الدلائل والرد على اصناف المشركين وبالغ في تقرير اثبات القضاء والقدر رد على اهل الجاهلية ابا لجهلهم امره بان يقول انني هداني ربي ليعلم ان الهداية لا تحصل الا بالله عز وجل بما فعل من قام يقوم من ساد ومن قراءة بما فعلى انه مصدر بمعنى القيام كالصغر والكبر وصف به للمبالغة وملة ابراهيم عطف بيان وحنيفا من ابرهيم او من ملة والمعنى هداني وعرفني ملة ابرهيم كونه اوكونها موصوفا بالحنيفية ثم قال في صفة ابرهيم وما كان من المشركين رد على من زعم عليه شيأ من ذلك ثم امر الله تعالى نبيه ان يفرد الله تعالى بالقول والطريق المستقيم علم كيف يصنع به ويؤمر به فقال قل ان صلاتي ونسكي اي عبادتي وتقربي اليه كما روى ثعلب عن ابن الاعرابي انه قال النسك سبائك الفضة كل سبيكة منها نسيكة وقيل المتعبد ناسك لانه خلص نفسه من دنس الاثام وصفاها كالسبيكة المخلصة من الخبث وقيل المراد بالنسك هيهنا الذبائح جمع بين الصلوة والذبح كما في قوله فصل لربك وانحر وقيل صلاتي وحجي جاء من مناسك الحج ومحياي وحياتي اي حيوتي وموتي مصدر

الانعام

امر ثم لما امر بالتوحيد

ميتا وقال في الكشاف المراد وما اتاه حيوتي وما موت عليه من الايمان والعمل الصالح وفيه انه لا يكفي في العبادات ان يؤتى بها كيف كانت بل الابد ان يكون جميع حركات المرء وسكناته لله رب العالمين وبذلك من الاخلاص امرت وانا اول المسلمين لان اسلام كل نبي متقدم على اسلام امته وقال في التفسير الكبير انه تعالى امر رسوله ان يبين ان صلوته وسائر عباداته وحياته ومماته كلها واقعة بخلق الله تعالى وتقديره وقضائه وحكمه وذلك ان الحياة والممات بخلق الله فكذا الصلوة والنسك وبذلك من التوحيد المحض امر ان يذكر ما يجري مجرى الدليل عليه فقال قل غير الله ابغي ربا وتقرير ان طوائف المشركين من عبدة الاصنام والكواكب من اليهود والنصارى والثنوية كلهم معترفون بان الله تعالى خالق الكل فكانه سبحانه قال يا محمد منكرا غير الله اطلب بامع ان هؤلاء الذين اتخذ وامن دونه الهة مقرون بانه خالق تلك الاشياء ولا يدخل في العقل جعل المربوب والعبد شريكا للرب والمولى وبوجه اخر الموجود اما واجب لذاته او ممكن لذاته وقد ثبت ان الواجب لذاته واحد وما سواه ممكن لذاته والممكن لذاته لا يوجد الا بايجاد الواجب لذاته فهو اذن رب كل شئ وصريح العقل شاهد بان المربوب لا يكون شريكا للرب فلا يختص اذن بالوهيته غيره ثم لما بين الدليل القاطع على التوحيد ذكر انه لا يرجع اليه من كفرهم وشركهم ذم ولا عقاب فقال ولا تكسب كل نفس الا عليها ومعناه ان اثم الجاني عليه لا على غيره ولا تزر وازرة وزر اخرى اي لا تؤخذ نفس اثمة باثم نفس اخرى وهذا كالرد لقولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم ثم بين ان رجوع هؤلاء المشركين الى موضع لا حاكم هناك الى الله تعالى فقال ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون ثم ختم السورة ببيان حال المبدا والوسط والمعاد على سبيل الاجمال فقال وهو الذي جعلكم خلائف الارض قيل الخطاب لبني ادم لانه جعلهم بحيث يخلف بعضهم بعضا وقيل لانه جعل محمد صلى الله عليه وآله لانه خاتم النبيين يخلف من سبقه من سائر الامم وقيل لخواص الامة الذين هم خلفاء الله في ارضه يملكونها ويتصرفون فيها بالحق كقوله يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس ورفع بعضكم فوق بعض درجات في الشرف والعقل والجاه والمال والرزق لا للعجز والبخل ولكن لاجل شبه الابتلاء والامتحان والظهور الموفر من المفضر وتميز المطيع من العاصي حسب ما تقتضيه الحكمة والعدالة والتدبير والتقدير ثم وصف نفسه بالقدرة الكاملة على ايقاع العقاب وايفاء الثواب فقال ان ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم فادخل اللام في قرينة الترغيب واسقطها عن قرينة الترهيب ترجيحا لجانب الرحمة والغفران فان اللطف والرحمة تفيض عنه بالذات والقهر الغضب يصدر عنه بالعرض لان ذلك من ضرورات الملك وهذا من سبق رحمتي غضبي وانما وصف العقاب بالسرعة لان كل ما هو آت قريب وانما اسقط اللام عن قرينة العقاب في سورة الاعراف في قصة اصحاب السبت لان ذلك قد ورد عقيب كرامتهم فناسب التاكيد باللام وانما اخر قرينة الرحمة في الموضعين ليقع ختم الكلام على المغفرة والرحمة فيكون دليلا على كمال رافته وفوائد هذا التاويل من املاقي فيه ترك التوكل على الله وعدم التفويض بالله واوفوا الكيل اوفوا بكل ما امرتم به من توفية حقوق الربوبية واستوفوا بكل الاجتهاد وميزان الانصاف حظوظ العبودية من الالوهية وبعهد الله اوفوا بان لا تعبدوا ولا تحبوا ولا ترجوا الا اياه وان هذا صراطي مستقيما اشارة الى ان الصراط المستقيم الحقيقي الى الله تعالى هو صراط محمد صلى الله عليه وآله تماما على الذي احسن اي على من احسن من امتثل اوامره وفيه ان الكتب المنزلة كلها وشرايع الانبياء كانت تتمة للدين الحنيفي الذي هو الاسلام وهذا امر بان يقتدي بالانبياء ليجمع بين هداهم وهديهم ويحتمل ان يراد بالذي احسن النبي صلى الله عليه وآله والاحسان تعهد كتاب الله بالتلاوة والتدبر فيه وتفهم معانيه والعمل باحكامه وتفويض ما اشكل منها الى الله ورسوله وهذا كتاب انزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون انزل على قلبه فكان خلقه القران فقد جاءكم بينة من ربكم بينة ما بينت لكم طريق السير الى الله وهدى ما يهديكم الى الله تم واكمل مما جاء في الكتابين فلا ريب ولا مرية فيه هدى للمتقين ولا يابس الا في كتاب مبين هل ينظرون الا ان تاتيهم الملائكة عيانا وبسوقهم الى الله قهرا والجاء او ياتي ربك لذلك او ياتي بعض آيات ربك اليه في متابعتك قل انتظروا للمستعجلات انا منتظرون للبقاء في المعاد ان الذين فارقوا الدين الحقيقي الذي فيه كمالية الانسان وكانوا شيعا فرقا مختلفة من المتكلمة والزنادقة والمزينة دهاة وسمعة وعلماء السوء وملحدة المتفلسفة لست منهم في شئ لانك على الحق وهم على الباطل وبينهما تضاد امرهم الى الله في بدو الخلقة وقسم الاستعداد كما شاء ثم ينبئهم يوم الجزاء بما استحقه كل منهم من جاء بالحسنة فله عشر امثالها قيل ذلك حتى يقدر على الاتيان بتلك الحسنة وهي حسنة الايجاد من العدم وحسنة الاستعداد حيث خلقه في احسن تقويم وحسنة الرزق وحسنة بعثة الرسل وحسنة انزال الكتب وحسنة تبيين الحسنات من السيئات وحسنة التوفيق للحسنة وحسنة الاخلاص في الاحسان وحسنة قبول الحسنات ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها لان السيئة بذر يزرع في ارض النفس والنفس خبيثة لانها امارة بالسوء والحسنة بذر يزرع في ارض القلب القلب طيب والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا والتحقيق انه كما للاعداد ثلث مراتب الاحاد والعشرات والمئات وبعد ذلك يكون الالوف الى حيث لا يتناهى فكذلك للانسان اربع مراتب النفس القلب الروح والسر فالعمل الواحد في مرتبة النفس اي اذا صدر عنها يكون واحدا وفي مرتبة القلب يكون بعشرة امثالها وفي مرتبة الروح يكون بمائة وفي مرتبة السر يكون بالف الى اضعاف كثيرة بقدر صفاء السر وخلوص النية الا ما لا يتناهى وهذا سر ما جاء في القران والحديث من تفاوت جزاء الحسنات والله تعالى اعلم ورسوله قل انني هداني ربي من اسفل سافلين القالب بجذبة العناية الازلية وسلكني على سراط الصلوة معراج المؤمن ومحياي اي حيوتي قلبه وروحي ومماتي اي موتي نفسي لطالب العالمين والوصول اليه وانا اول المستسلمين عند الايجاد كما امرت كما قال ما خلق الله نورا قل اغير الله كيف اطلب غير الله وهو حبيبي المحب لا يطلب الا الحبيب واذا هو رب كل شئ يكون ماله لي وان طلبت غيره دونه يكون ذلك الغير على

ولی کما قال ولا تکسب کل نفس الا علیها لان النقص اقارة بالسوء والسوء علیها الا لها ولا تزر وازرة وزر اخری فان کان القلب سلیما من کدورات صفات النقص باقیا ما جبل علیه من حب الله تعالی وطلبه لا بوجه من بمعاملة النقص ولا ینالها بعذابها وانما یکون النقص فقط ما خوذة بوزرها معاقبة بما ولاهله وان کان القلب منقلب الحال واذا عد الله تعالی باصبع الفهر الی محاذات النقص فیصدأ مرآة القلب لصفات النقص واخلاقها فیتبع النفس وهواها فیترذل عنه الصفاء والطهارة والسلامة والذکر والفکر والتوحید والایمان والتوکل والصدق والاخلاص ودعایر وظایف العبودیة فیکون ماخوذا بوزره لا بوزر غیره وهو الذی جعل کل واحد من بنی آدم وقته وخلیفة ربته فی الارض وستر الخلافة ان صوره علی صفات النفس حیا قیوما سمیعا بصیرا عالما قدیرا مریدا متکلما ورفع بعضکم فوق بعض درجات فی استعداد الخلافة لیبلوکم لیظهر من المخالق باخلافه منکم القائم ببدو یا وامره فی العباد والبلاد من الذی رجع الفهقری الی صفات البهائم وابطل الاستعداد للخلافة بالختم والطبع والحبس فی سجین الطبیعة غفور رحیم لمن وتقبل منه ورضا ورفع درجاته الله حسبی

سورة الاعراف مکیة الا خمس ایات واسئلهم عن القریة الی قوله وقطعناهم وفیها ۱۴۳ کلمة ۳۳۲۵ ایاتها مائتان وست

بسم الله الرحمن الرحیم

المص کتاب انزل الیک فلا یکن فی صدرک حرج منه لتنذر به وذکری للمؤمنین اتبعوا ما انزل الیکم من ربکم ولا

کتابی است فرود آمده بسوی تو پس نباشد در سینه تو تنگی از آن تا بترسانی بآن و پندی است از برای مؤمنان پیروی کنید آنچه را فرستاده شده است بسوی شما از پروردگار شما

تتبعوا من دونه اولیاء قلیلا ما تذکرون وکم من قریة اهلکناها فجاءها باسنا بیاتا او هم قائلون فما کان دعوهم

و چه قدر از دیهها که هلاک کردیم ما را پس آمد او را عذاب ما در شب یا ایشان در خفته بودند پس بود سخن

اذ جاءهم باسنا الا ان قالوا انا کنا ظالمین فلنسئلن الذین ارسل الیهم ولنسئلن المرسلین فلنقصن علیهم

چون آمد ایشان را عذاب ما مگر که معترف شدند که بودیم ستمکاران پس هر آینه سؤال کنیم آنانرا که فرستاده شد بسوی ایشان و هر آینه سؤال کنیم پیغمبران را پس هر آینه حکایت کنیم بر ایشان

بعلم وما کنا غائبین والوزن یومئذ الحق فمن ثقلت موازینه فاولئک هم المفلحون ومن خفت موازینه فاولئک

بعلم خود و نبودیم ما غایبان و وزن کردن در آن روز حق است پس کسانیکه سنگین شد ترازوی پس ایشانند رستگاران و هر که سبک شد ترازوی پس ایشان

الذین خسروا انفسهم بما کانوا بایاتنا یظلمون ولقد مکناکم فی الارض وجعلنا لکم فیها معایش قلیلا ما تشکرون

زیان کردند کسانیکه تباه کردند نفسهای خود را بسبب آنکه بودند بآیات ما ستم میکردند و هر آینه جای دادیم شما را در زمین و قرار دادیم از برای شما در زمین کسب معاش اندک سپاس میدارید

القراء یذکرون بیاء الغیبة ثم التفعل ابن عامر والباقون کما مر فی اخر الانعام الوقوف لص کوفی للمؤمنین اولیاء تذکرون قائلون نصف لجزری والربع

الثانی من القرآن ط المبین لمرسلین للعطف غائبین الحق للابتداء الشرط مع فاء التعقیب لمفلحون یظلمون معایش تشکرون التفسیر قد تقدم

فی اول الکتاب باحث هذه المقطعة علی سبیل العموم وعن ابن عباس معنی المص انا الله اعلم وافضل وقال السدی معناه انا المصور وقیل معناه

الم اشرح لک صدرک بدلیل فلا یکن فی صدرک حرج منه کما زاد فی الرعد راء لقوله بعده رفع السموات ثم ان جعلنا هذه الحروف بدل جملة فلا

محل لها من الاعراب وان کانت اسما للسورة جاز ان یکون المص مبتداء وکتاب بمعنی السورة خبره والجملة بعده صفة له وجاز ان یکون المص خبر

مبتداء محذوف وکذا کتاب ای هذا المص هو کتاب انزل علیک والدلیل علی انه منزل من الله تعالی هو انه ما لمذ استاذا ولا تعلم من معلم ولا طالع

کتابا ولم یخالط اهل الاخبار والاشعار وقد مضی علی ذلک اربعون سنة ثم ظهر علیه هذا الکتاب اشتمل علی علوم الاولین والاخرین فلن یبقی

شبهة فی انه مستفاد بطریق الوحی لفا نالون بخلق القرآن زعموا ان الانزال یقتضی الانتقال من حال الی حال وهذا من سمات المحدثات واجیب

بان الموصوف بالانزال والتنزیل علی سبیل المجاز هو الحروف والالفاظ ولا نزاع فی کونها محدثة فان قیل الحروف اعراض غیر باقیة بدلیل انه

لا یمکن الاتیان بها الا علی سبیل التوالی وعدم الاستقرار فکیف یعقل وصفها بالنزول اجیب بانه تعالی احدث هذه الرقوم فی اللوح المحفوظ

ثم ان الملک طالع تلک النقوش وحفظها ونزل فعلمها محمدا صلی الله علیه وآله ثم قال فلا یکن فی صدرک حرج ای شک وسمی الشک حرجا لان

الشاک یضیق الصدر یعنی کما ان المنشرح منفسح الصدر فالشاک ضیق الصدر حرجه ومعنی ای من شان الکتاب ای لا شک فی انه منزل من عند الله او من تبلیغه ای لا یضیق

صدرک من الاداء وتوجه النهی الی الحرج کقولهم لا ارینک ههنا والمراد نهیه عن الکون بحضرته فان ذلک سبب ذینه ومثل قوله تعالی ولیجدوا

فیکم غلظة ظاهره امر للمشرکین وانه فی الحقیقة امر للمؤمنین بان یغلظوا علی المشرکین وفی متعلق قوله لتنذر اقوال قال الفراء انه متعلق

بانزل وفی الکلام تقدیم وتاخیر ای انزل الیک لتنذر به فلا یکن فی صدرک حرج وفائدة التقدیم والتاخیر ان الانذار علی الاندار و

التبلیغ لا یتم ولا یکمل الا عند زوال الحرج عن الصدر وقال ابن الانباری انه متعلق بالنهی اللام بمعنی کی والتقدیر فلا یکن فی صدرک شک

کی تقدر علی انذار غیرک لانک اذا ایقنت انهم اندروهم وکان ایقانک من عند الله شجعک الیقین علی الانذار لان صاحب الیقین جسور لوثوقه

علی ربه وثقته بعصمته وقال صاحب النظم اللام بمعنی ان کقوله یریدون ان یطفؤا وفی موضع اخر لیطفؤا والتقدیر لا یضیق صدرک

ولا تضعف عن ان تنذر به وقیل ان تقدیر الکلام هذا الکتاب انزل الله علیک واذا علمت انه تنزیل الله تعالی فاعلم ان عنایة الله معک

واذا علمت هذا فلا یکن فی صدرک حرج لان من کان الله له حافظا وناصرا لم یخف احدا واذا زال الخوف والضیق عن القلب تفرغ للابلاغ

طالانذار

والانذار اشتغال الرجال الابطال والابطال واحد من اهل الضلال والابطال ثم قال وذكرى للمؤمنين قال ابن عباس يريد مواعظ للمصدقين
وقال الزجاج هو اسم في موضع المصدر قال الليث الذكرى اسم للتذكر وقال صاحب الكشاف محل ذكرى يحتمل النصب باضمار فعلها كانه قيل للتذ
بره وقد ذكرتذكيرا والرفع عطفا على كتاب وبانه خبر مبتدا محذوف والجر للعطف على محل ان تنذر اى للانذار وللذكرى وانما نقلها على محل التذ
لان المفعول له يجب ان يكون فاعله وفاعل لفعل المعلل واحدا ولو حمل ذلك لكان محله النصب لا الجر وخص الذكرى بالمؤمنين كقوله هدى للمتقين
والتحقيق فيه ان النفوس البشرية منها بليدة بعيدة عن عالم الغيب عريقة في بحر الذات الجسمانية فتحتاج الى زاجر قوى ومنها مشرقة بالانوار
الالهية مستعدة للانجذاب الى عالم القدس الا انها غشيتها غواش من عالم الجسم فعرض لها نوع ذهول وغفلة فالصنف الاول يحتاج الى
انذار وتخويف واما الصنف الثاني فاذا سمعت دعوة الانبياء واتصل بها انوار ارواح رسل الله تعالى تذكروا معدنها وابصروا مركزها واشتاقوا
الى ما هنالك من الروح والراحة والريحان فلم يحتج الا الى تذكرة وتنبيه فثبت انه سبحانه انزل هذا الكتاب على رسوله ليكون انذارا في حق الصنف
وذكرى في شان طائفة ثم كما امر الرسول بالتبليغ والانذار مع قلب قوى وعزم صحيح امر المرسل اليهم وهم الامة بالمتابعة فقال اتبعوا ما انزل اليكم
من ربكم ومعنى كونه منزلا اليهم انهم مخاطبون بذلك مكلفون به والا فهو بالحقيقة منزل على الرسول قالت العلماء المنزل متناول للقران والسنة
جميعا عن الحسن يا بن آدم امرت باتباع كتاب الله وسنة رسوله وهذا يدل على ان تخصيص عموم القران بالقياس غير جائز لان متابعة المنزل
واجبة فلو عمل بالقياس لكونه مستفادا من القران وهو قوله فاعتبروا عمل بالقران ايضا فلنا بعد التسليم ان الترجيح معنا لان العمل بالمنزل ابتداء
ومن العمل بالمنزل بواسطة كل الامر المذكور بقوله ولا تتبعوا من دونه اى لا تتخذوا من دون الله اولياء من شياطين الجن والانس فيحملوكم
على عبادة الاوثان والاهواء والبدع ويجوز ان يكون الضمير في من دونه لما انزل اى لا تتبعوا من دون دين الله من اولياء احتج نفاة القياس
بان الاية دلت على انه لا يجوز متابعة غير ما انزل الله تعالى والعمل بالقياس متابعة غير ما انزل فلا يجوز لا يقال العمل بالقياس عمل بالمنزل لقوله
فاعتبروا لانا نقول لو كان الامر كذلك لكان تارك العمل بمقتضى القياس كافرا لقوله ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون وقد اجمعت
الامة على عدم تكفير اصحاب مثبتوا القياس حجة ثبت باجماع الصحابة والاجماع دليل قاطع وظاهر العموم ليس بمظنون فلا يعارض القاطع ويدل
بانكم ايضا تعتقدون ان الاجماع حجة بعموم قوله ويتبع غير سبيل المؤمنين تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وبعموم قوله صلى الله عليه وآله لا تجتمع امتي
على الضلالة والفرع لا يكون اقوى من الاصل اجاب المثبتون بان الايات والاحاديث والاجماع لما تعاضدت في اثبات القياس قوى النقل
وحصل الترجيح ومن انكر النظر البراهين العقلية تمسكا بالاية واجيب بان العلم بكون القران حجة موقوف على صحة التمسك بالدلائل
العقلية فكيف تنكر ثم ختم المخاطبة بنوع معاتبة فقال قليلا ما تذكرون اى تذكرون تذكرا قليلا وما مزيدة للتوكيد للقلة ثم ذكر ما تارة من
من الوعيد فقال وكم من قرية تفوضع كم رفع بالابتداء ومن مزيدة للتاكيد والبيان اى كثير من القرى اهلكناها مثل ما حل باهل مكة وتقدير
النصب باضمار عرفت جيدا في الاية حذف الاهلاك فقط فان القرية تهلك بالهدم والخسف كما يهلك اهلها ولكنه يقال التقدير
وكم من اهل قرية لقوله فجاءها باسنا والباس بالاهل انسب لقوله او هم قائلون ولان الزوال والتحول لا يقع للمكلفين الا بهلاكهم ولا
معنى لاتيان والقيلولة لانه يصح الا يفهم وانما قال فجاءها ذاهبا الكلام على اللفظ او كما يقال الرجال فعلت هذا سوال وهو انه قوله فجاءها باسنا
يقتضي ان يكون مقدما على مجيء الباس لكن الامر بالعكس والعلماء اجابوا بوجوه منها ان المراد حكمنا بهلاكها واردنا اهلاكها فجاءها كقوله اذا
قمتم الى الصلوة فاغسلوا ومنها ان معنى الاهلاك ومعنى مجيء الباس واحد فكانه قيل وكم من قرية اهلكناها فجاءهم اهلاكنا وهذا كلام صحيح
فان قيل كيف يصح والعطف يوجب المغايرة فالجواب ان الفاء قد يجيء للتفسير كقوله صلى الله عليه وآله لا يقبل الله صلوة احدكم حتى يضع الـ
الطهور مواضعه فيغسل وجهه ويديه فان غسل الوجه واليدين كالتفسير لوضع الطهور مواضعه فكذا ههنا مجيء الباس جار مجرى التفسير
للاهلاك لان الاهلاك قد يكون بالموت المعتاد وقد يكون بتسليط الباس والبلاء عليهم وقريب منه قول الفراء لا يبعد ان يبقى الباس
والاهلاك يقعا معا كما بقي اعطيتني فاحسنت ما كان الاحسان بعد الاعطاء ولا قبله وانما وقعا معا ومنها ان ذلك محمول على حذف المعطوف والتقدير
اهلكناهم فحكم مجيء الباس كان الاهلاك امارة للحكم بوصول مجيء الباس ومنها انه من باب القلب الذي شنع عليه من الالباس كقولهم عرضت الناقة
على الحوض وقوله بها ما قال الجوهري بيت العدد اى قطعهم ليلا والاسم البيات وفي الكشاف انه مصدر بات الرجل بيانا حسنا وعلى القولين
فانه وقع موقع الحال بمعنى بائتين او مبيتين ثم قال او هم قائلون والجملة حال معطوفة على بيانا كانه قيل فجاءها باسنا مبيتين او بائتين ولما حسن
ترك الواو وههنا من الجملة الاسمية الواقعة حالا الا لان واو الحال قريب من واو العطف لا سيما استعيرت منها للوصل فالجمع بين حرفي العطف وبينه
جمع بين المثلين مستثقل فقولك جاءني زيد راجلا او هو فارس كلام فصيح ولو قلت جاءني زيد هو فارس كان ضعيفا وقال بعض النحويين الواو
محذوفة مقدرة ورده الزجاج لما قلنا اما معنى القيلولة فالمشهور انها نوم الظهيرة وقال الازهري هي الاستراحة نصف النهار وان لم يكن نوم ولقوله
تعالى اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا والجنة لا نوم فيها وانما خص وقتا البيات والقيلولة لانهما وقتا الغفلة والدعة فيكون نزول
العذاب فيهما اشد وافظع وكانه قيل للكفار لا تغتروا بالفراغ والفراغ والامن والسكون فان عذاب الله انما يجيء دفعة من حيث لا يشعرون اما اذا قدر

لزم التناقض في العمل بالقياس ص

بان كون القياس ص

او فاتاهم بيانا ص

الليل مسرورا بما ولد ان الحوادث قد بطرقن اسحارا فقوم لوط هلكوا وقت السحر وقوم شعيب قتلت قبيلة ثم قبيلة حالهم عند مجئ الناس يقال فما كان دعويهم اى ما كانوا يدعونه من قبل دينهم ويتخلونه من مذهبهم الا اعترافهم ببطلانه ونشأوا والاقرار بالاساءة والظلم على انفسهم وقال ابن عباس فما كان تضرعهم واستغاثتهم الا قولهم هذا وذلك قرارهم على انفسهم بالشرك وقال اهل اللغة الدعوى اسم لقوم مقام الدعاء حكى سيبويه اللهم اشركنا فى صالح دعا المسلمين ودعوى المسلمين اى فما كان دعاؤهم ربهم الا عترافهم بعلمهم ان الدعاء لا ينفعهم فلا يزيدون على ذم انفسهم وتحسرهم على ما فرطوا منهم وفرطوا فيه ومحل دعويهم وعلى عكسه محل ان قالوا يجوز ان يكون نصبا او رفعا كما سبق فى اعراب قوله فلم تكن تنفعهم الا ان قالوا ثم ذكر على ترك القبول والمتابعة وعيد اجمالا فقال ولنسئلن الذين ارسل اليهم فنسأل المرسل اليهم عما اجابوا به رسلهم كقوله وهو ينادهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين ولنسئلن المرسلين عما اجيبوا به كما قال يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم ثم قال فلنقصن عليهم اى على الرسل والمرسل اليهم ما كان منهم بعلم عالمين باحوالهم الظاهرة والباطنة واقوالهم وافعالهم وما كنا غائبين عنهم وعما وجد منهم فان قيل ما الفائدة فى سؤال المرسل اليهم بعد ما اخبر عنهم انهم اعترفوا بذنوبهم فاجيبوا انهم لما اقروا بانهم كانوا ظالمين مقصرين سئلوا بعد ذلك عن سبب الظلم والتقصير تقريعا وتوبيخا فان قيل ما الفائدة فى سؤال الرسل مع العلم بانه لم يصدر عنهم تقصير البتة قلنا البحث عن كل التقصير بالامر فيقتضى عظم اكرام الله تعالى حق الرسل لظهور براءتهم عن جميع موجبات التقصير ويقتضى عظم اسباب الخزى والاهانة فى حق الكفار فان قلت كيف الجمع بين قوله فلنسئلن وبين قوله فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان فالجواب بعد تسليم اتحاد الزمان والمكان ان لعلهم لا يسئلون عن الاعمال لان الكتب مشتملة عليها ولكنهم يسئلون عن الدواعى التى دعتهم اليها وعن الصوارف التى صرفتهم عنها والمراد نفى سؤال الاستفادة والاسترشاد واثبات التوبيخ والاهانة فان قيل فما وجه الابتداء بابطال قول من زعم انه لا حساب على الانبياء ولا على الكفار وفيها انه سبحانه عالم بالكليات وبالجزئيات ولا يعزب عن علمه شئ فى الارض ولا فى السموات فالاطهبة لا تكمل الا بذلك وفيها انه غير مختص بشئ من الاحياز والجهات والاكان غائبا عن غيره ثم بين ان من جملة احوال يوم القيمة وزن الاعمال فقال والوزن هو مبتدأ خبره يومئذ وقوله الحق صفة المبتدأ اى لوزن العدل يوم يسئل الله الامم ورسلهم وقيل لا يجوز الاخبار عن شئ وقد بقيت منه بقية فيجب على هذا ان يكون الحق خبرا ويومئذ ظرفا للوزن ومعنى الحق انه كائن لا محالة وفى كيفية الميزان قولان الاول ما جاء فى الخبر انه تعالى ينصب ميزانا له لسان وكفتان يوم القيمة يوزن باعمال العباد خيرها وشرها وكيف يوزن فيه وجهان احدهما ان المؤمن يتصور اعماله بصور حسنة واعمال الكافر بصور قبيحة فتوزن تلك الصور وذكر ابن عباس وثانيهما ان الوزن يعود الى الصحف التى يكون فيها اعمال العباد روى ان رسول الله صلى الله عليه وآله سئل عما يوزن يوم القيمة فقال الصحف فعن عبد الله بن سلام ان ميزان رب العالمين ينصب بين الجن والانس يستقبل به العرش احد كفتى الميزان على الجنة والاخرى على جهنم ولو وضعت السموات والارض فى احداهما لوسعتهن وجبر ئيل اخذ بعموده ناظرا الى لسانه وعن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلعم يؤتى برجل يوم القيمة الى الميزان ويوكل به تسعة وتسعون سجلا مد البصر فيها خطاياه وذنوبه فيوضع فى كفة الميزان ثم يخرج له قرطاس كالانملة فيه شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا صلى الله عليه وآله عبده ورسوله فيوضع فى الاخرى فرجح قال القاضى يجب ان يحمل هذا على انه ربانى بالشهادتين بحقهما من العبادات والا كان اعزاء على المعصية وورد بانه خلاف الظاهر وبانه لا يبعد ان يكون ثواب كلمة الشهادة اوفى واوفر من سائر الاعمال لان معرفة الله تعالى اشرف العقايد والاعمال روى لواحد فى البسيط انه اذا خف حسنات المؤمن رجح رسول الله صلى الله عليه وآله من حجرته بطاقة كالانملة فيلقيها فى كفة الميزان اليمنى التى فيها حسناته فترجح الحسنات فيقول ذلك العبد المؤمن للنبى صلى الله عليه وآله بابى انت وامى ما احسن وجهك وخلقك فيقول انا نبيك وهذه صلواتك التى كنت تصلها على قد رأفتك احوج ما تكون اليها القول الثانى قول مجاهد والضحاك والاعمش وكثير من المتاخرين ان المراد من الميزان العدل لان العدل فى الاخذ والاعطاء لا يظهر الا بالوزن والكيل فلا يبعد جعل الوزن مجازا عن العدل ومما يؤكد ذلك ان اعمال العباد اعراض وانها فلا توزن وعدم وزن المعدوم محال وكذا الوقت بقاؤها واما قولهم الموزون مخالف الاعمال او صوره مخلوقة على حسب مقادير الاعمال فنقول التكليف يوم القيمة اما ان يكون مقررا بانه تعالى عادل حكيم وح يكفيه حكم الله تعالى بمقادير الثواب والعقاب فى علم بانه عدل وصواب او انا ان لا يكون مقررا فلا يعرف من رجحان الحسنات على السيئات وبالعكس حقيقة الرجحان اجاب الاولون بان جميع المكلفين يعترفون يوم القيمة انه تعالى منزه عن الظلم والجور لكن الفائدة فى وضع الميزان ظهور الرجحان لاهل الموقف وازدياد الفرح والسرور للمؤمن وبالعكس للكافر واختلف العلماء ايضا فى كيفية الرجحان فقال بعضهم يظهر هناك نور فى رجحان الحسنات وظلمة فى رجحان السيئات وقال اخرون بل يظهر الرجحان فى الكفة واختلف ايضا فى الموازين فقيل انها جمع موزون واريد الاعمال الموزونة والميزان المتعدد واحد ولئن سلم انها جمع الميزان فالعرب قد توقع لفظ الجمع على الواحد فتقول خرج فلان الى مكة على الافراس والبغال قاله الزجاج وقال الاكثرون كما لا يمتنع اثبات ميزان له لسان وكفتان فكذلك لا يمتنع اثبات موازين بهذه الصفة فالموجب لتاويل الظاهر والمصير الى التاويل قال عز من قائل ونضع الموازين القسط ليوم القيمة وايضا لا يبعد ان يكون لافعال القلوب ميزان ولافعال الجوارح ميزان ولما يتعلق بالقول ميزان اخر ثم لما حجة الذين يقولون المعصية لا تضر مع الايمان قالوا ان الله حصر اهل الموقف فى قسمين منهم من يدخل الجنة على سبيل التفضل ومنهم من على العكس ولا ريب ان هذا القسم هل الكفر لانه حكم عليهم بانهم الذين خسروا

الاعراف

انفسهم بسبب ظلم بایات الله ای لتکذیب بها وهذا لا یلیق الا بالکافر ولئن سلم ان العاصی معاقب لکنه یعاقب تاما ثم یعفی عنه ویتخلص
الی رحمة الله تعالی فهو بالحقیقة ما خسر نفسه بل فاز برحمة الله ابدا لابادا من غیر زوال ولا انقطاع قیل فی الابد ولا لذ علی الذی یکون حسانه
وبشاشه متعاد لتین متساویتین غیر موجود والله اعلم ثم لما فرغ من التخویف بالعذاب الاجل رغب الخلایق فی قبول دعوة الانبیاء بطریق
اخر وهو تذکر النعم فان ذلک یوجب الطاعة فقال ولقد مکناکم فی الارض اقدرناکم علی التصرف فیها وجعلنا لکم فیها معایش هی جمع معیشة
وهی ما یعاش به من المطاعم والمشارب وغیرها او ما یتوصل به الی ذلک وبالجملة وجوه المنافع التی تحصل بتخلیق الله تعالی ابتداء کالاثمار او بواسطة
کالاکتساب الوجه فی معایش تصریح الیاء لانها اصلیة لازیادة کصحایف بالظم فی صحیفة وعن ابن عامر وناقع فی بعض الروایات الطم تشبیها
بصحایف واستبعد النحویون البصریون ثم عاتب المکلفین بانهم لا یفهمون لشکرهم کما ینبغی فقال قلیلا ما تشکرون وفیه اشارة الی انهم قد
یشکرون وقلیل من عبادی الشکور والمتأول بل المعدوم والمراد من لطف افراد عباده للمعجزة وللمعرفة وانعم علیهم بالصدق والصبر لقبول کلیهما
المعرفة والمعجزة بواسطة کتاب انزل علی قلبک فانفتح له صدرک وانشرح فلم یبق فیه ضیق وحرج بخلاف ما انزل من الکتب فی الالواح والصحف فقد
عرض لبعضهم ضیق وعطن فالقی الالواح وکما شرف نبیه بالکتاب المنزل علی قلبه حتی صار خلقه القرآن اشرف امته بان امرهم باتباع ما انزل الیهم
لیتخلقوا باخلاق الله وکم من فرق بین قلب فسدنا استعدادها فجاءتهم باسنا ای اذا شعرت قلوبهم باصبع القهار بغتة واهلها نائمون علی فراش الحسبان
قائلون فی نهار الخذلان فما کان ادعاءهم الا ان قالوا انا کنا ظالمین فنسبوا التصرف الی انفسهم ولم یعلموا ان
الله نعم مقلب افئدتهم وابصارهم ولنسئلن الذین ارسل الیهم وهم عامة الخلایق هل قبلتم الدعوة وعلمتم بما امرتم لا یکون السؤال سؤال
تعنیف وتعذیب وهم الذین قبلوا الدعوة فیکون السؤال سؤال تشریف وتقریب ولنسألن المرسلین سؤال انعام والزام هل بلغتم وهل
وجدتم اممکم قابلة الدعوة فلنقصن علیهم بعلم فلنعلمن انا ارسلنا الرسل الیهم عبثا وانما ارسلناهم لامر عظیم وخطب جسیم وما کنا غائبین عن
الرسل بالنصرة والمعونة وعن المرسل الیهم بالتوفیق والعاینة ولو زن یومئذ لاهل الحق لا الباطل فلا یقیم لهم یوم القیمة وزنا روی انه یؤتی یوم
القیمة بالرجل العظیم الطویل الاکول الشروب فلا یزن جناح بعوضة فثقلت موازینه بالاعمال الصالحة والاخلاق الفاضلة والاحوال الکاملة
فاولئک هم المفلحون ومن سرانا بنیتهم وانما جمع الموازین لان لبدن کل مکلف میزانا یوزن باعماله ولنفسه میزانا یوزن بصفاتها ولقلبه
میزانا یوزن اوصافه وروحه میزانا یوزن به نعوته ولسره میزانا یوزن باحواله ولخفیه میزانا یوزن باخلاقه والخفی لطیفة روحانیة قابلة
لفیض الاخلاق الربانیة وبهذا قال صلی الله علیه وآله ما وضع فی المیزان شیء اثقل من حسن الخلق وذلک لان لیس من نعوت المخلوقین وانما هو
خلق رب العالمین والعباد مامورون بالتخلق باخلاقه فخسروا انفسهم افسدوا استعدادها ولقد مکناکم هیأنا لکم خلافة الارض دون غیرکم من
الحیوانات والملک وجعلنا لکم خاصة معایش لکل صنف من الملک والحیوانات معیشة واحدة وذلک لان الانسان مجموع من الملکیة والحیوانیة
والشیطانیة والانسانیة فمعیشة الملک هی معیشة روحه ومعیشة الحیوان هی معیشة بدنه ومعیشة الشیطان هی معیشة نفسه الامارة بالسوء وقد حصل للانسان
بهذا التراکیب بالانشاء وانما لیکن لکل واحد من الملک والحیوان والشیطان والغالب السر الخفی فمعیشة قلبه هی معیشة سره هی الکشوف ومعیشة خفیه هی الوصال والوصول

ع

ولقد خلقناکم ثم صورناکم ثم قلنا للملائکة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابلیس لم یکن من الساجدین قال ما منعک
در آینه اندیدیم شما را پس صورت بستیم شما را پس گفتیم مر فرشتگان را که سجده کنید مر آدم را پس سجده کردند مگر ابلیس که نبود از
سجده کنندگان گفت که چه داشت تو را
الا تسجد اذ امرتک قال انا خیر منه خلقتنی من نار وخلقته من طین قال فاهبط منها فما یکون لک ان تتکبر
که سجده نکردی چون بفرمودم ترا گفت که من بهترم از آن آفریدی مرا از آتش و آفریدی وی را از گل گفت که پس فرود شو از جنت پس نیست ترا که
فیها فاخرج انک من الصاغرین قال انظرنی الی یوم یبعثون قال انک من المنظرین قال فبما اغویتنی
در آن پس بیرون رو که تو از زیردستانی گفت که باز دار مرا تا روزی که مردگان زنده شوند گفت که تو از مهلت داده شدگانی گفت که پس بسبب آنکه راه کردانیدی مرا
لاقعدن لهم صراطک المستقیم ثم لآتینهم من بین ایدیهم ومن خلفهم وعن ایمانهم وعن شمائلهم ولا تجد
هر آینه بنشینم مر ایشان را براه راست تو که راست است پس هر آینه بیایم پیش ایشان را از پیش روی ایشان و از پشت ایشان و از طرف راست ایشان و از طرف چپ ایشان و نیابی
اکثرهم شاکرین قال اخرج منها مذءوما مدحورا لمن تبعک منهم لاملان جهنم منکم اجمعین ویا آدم
بیشتر ایشان را سپاسگزاران گفت که بیرون شو از آن نکوهیده و رانده هر آینه کسی که پیروی کند ترا از ایشان هر آینه پر کنم دوزخ را از تو و همه از
اسکن انت وزوجک الجنة فکلا من حیث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتکونا من الظالمین فوسوس
باد کن تو و زنت در بهشت پس بخورید از هر جا خواستید و نزدیک مشوید این درخت را پس بود که از ستمکاران پس وسوسه کرد
لهما الشیطان لیبدی لهما ما وری عنهما من سوءاتهما وقال ما نهیکما ربکما عن هذه الشجرة الا ان تکونا ملکین
مر ایشان را شیطان تا ظاهر کند مر ایشان را آنچه پنهان بود از ایشان از عورتشان و گفت که نهی نکرد شما را پروردگار شما از این درخت مگر بدان که
او تکونا من الخالدین وقاسمهما انی لکما لمن الناصحین فدلیهما بغرور فلما ذاقا الشجرة
باشید فرشته یا جاویدان و سوگند خورد با ایشان که من مر شما را هر آینه از پند دهندگانم پس فرو گرفت ایشان را بفریب پس چون چشیدند از درخت

بدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ونادىهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة
حاجتهاى ايشان و نزديك رفتند كه بپوشند سر حوديشان از برك درخت بهشت و ندا كرد ايشان را پروردگارشان كه آيا نهى نكردم شما را از اين درخت
وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من
وبگفتم شما را كه شيطان دشمن آشكار شماست گفتند كه پروردگارا ستم كرديم بر خويشتن و اگر نيامرزى ما را و رحم نكنى ما را هر آينه بيشتر
الخاسرين قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون
زيانكاران گفت فرود آييد بعضى شما مر بعضى را دشمن است و شما را در زمين قرارگاه و بهره تا هنگام مرگ گفت كه در زمين زنده خواهيد بود و در آن خواهيد مرد و از آن بيرون

القراءة لا ملان بتليين الهمزة الثانية حيث كان الاصبهانى عن ورش وحمزة فى الوقف فخرجون من الخروج حمزة وعلى وخلف وسهل ويعقوب وابن ذكوان
الباقون مبنيا للمفعول من الاخراج والله اعلم الوقوف الا ابليس لا نه معرفة فلا يصح الحمل صفته لما تقدم ط منه لانقطاع النظم مع اتحاد
المقول ط بن الصاغرين يبعثون المنظرين المستقيم ط للعطف شاكرين ط مدحورا لان ما بعده ابتداء قسم محمدوف ط اجمعين الظالمين الخالدين
الناصحين ط بغرور لان جواب لما منتظر مع الفاء وفى الجنة لان الواو للاستيناف مبين انفسنا للادب اعلاما بانقطاع الحجة قبل ابتداء الحاجة
الخاسرين عدو لعطف المختلفين الى تخرجون التفسير من جملة نعم الله تعالى علينا ان خلق ابانا ادم فجعله مسجودا للملائكة فالذى ذكر تلك القصة
عقيب تلك النعم ونظير هذه الايات ما سبق فى سورة البقرة كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم منع من المعصية بقوله كيف تكفرون ثم علل
ذلك المنع بكثرة نعم على المكلفين وهو انهم كانوا امواتا فاحياهم ثم خلق لهم ما فى الارض جميعا من المنافع ثم ختم ذلك بقصة جعل ادم خليفة فى الارض
مسجودا للملائكة والغرض من الكل ان التمرد والجحود لا يليق بازاء هذه النعم العظام وقصة ادم وما جرى له مع ابليس ذكرها الله فى سبعة مواضع فى
البقرة وههنا وفى الحجر وسبحان فى الكهف وطه وص وسنبين بعض حكمة اختلاف العبارات بقدر الفهم ان شاء الله تعالى وههنا سؤالان
وهو ان قوله ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا يقتضى ان امر الملائكة بالسجود لادم وقع بعد خلقنا وتصويرنا والامر فى الواقع بالعكس واجاب المفسرون
بوجوه منها ان المضاف محذوف اى خلقنا اباكم ادم طينا غير مصور ثم صورنا اباكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا واما حسن هذه الكناية لان ادم عليه السلام
اصل البشر نظيره قوله لبنى اسرائيل المعاصرين واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور اى ميثاق اسلافكم وقال ثم انتم يا خواعه قد قتلتم هذا القبيل
وانما قتل اسلافهم ومنها ان المراد خلقناكم من ادم ثم صورناكم اى صورنا ذريته ادم فى ظهره فى صورة الذر ثم قلنا للملائكة وهذا قول مجاهد ومنها
خلقناكم ثم صورناكم ثم تخبركم انا قلنا للملائكة ومنها ان الخلق فى اللغة التقدير والله تعالى عبارة عن علمه بالاشياء مشتهرة بتخصيص
كل شئ بمقداره المعين له فقوله خلقناكم اشارة الى حكم الله وتقديره لاحداث البشر فى هذا العالم وقوله صورناكم اشارة الى اثبات الله تعالى فى
اللوح المحفوظ صورهم كما انه اثبت صور كل كائن كما جاء فى الخبر اكتب ما هو كائن الى يوم القيمة ثم بعد هذين الامرين احدث الله تعالى ادم وامر الملائكة
بالسجود له قال الامام فخر الدين رح وهذا التاويل عندى اقرب الوجوه وتاويل هذه السجدة وان ابليس هل هو من الملائكة ام لا قد تقدم فى اوائل
سورة البقرة فلا وجه لاعادته اما قوله سبحانه ما منعك ألا تسجد فظاهره يقتضى انه تعالى طلب من ابليس ما منعه من ترك السجود وليس الامر كذلك
فان المقصود طلب ما منعه من السجود كما قال فى سورة ص ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدى فلهذا الاشكال حمل المفسرون رح اقوالا وهو الاشهر
ان لا صلة زائدة كما فى لا اقسم وكما فى قوله وليلا يعلم اهل الكتاب اى ليعلم وهذا قول الكسائى والفراء والزجاج والاكثرين قال فى الكشاف وفائدة
زيادته توكيد معنى الفعل الذى يدخل عليه وتحقيقه كانه قيل لئلا يعلم ليتحقق علم اهل الكتاب فيما منعك ان لا تسجد ما منعك ان تحقق السجود
وتلزمه نفسك تلك لعلة اراد ان زيادة لا اشارة الى نفى المذكور ليلزم ما تحقق المذكور وتابعهما ان اثبات الزيادة فى كلام الله تعالى خارج عن الادب
وان الاستفهام للانكار اى لم يمنعك من ترك السجود شئ كقول القائل لمن ضربه ظلما الذى صنعت بى من ضرك اديتك ام عقلك ام حياؤك والمعنى انه
لم يوجد احد هذه فامتنعت من ضربى فالتها قال الفاضل المحقق الله تعالى المنع وارد الداعى فكانه قال ما دعاك الى ان لا تسجد لان مخالفة امر الله تعالى
حالة يتعجب منها ويسئل عن الداعى اليها وقيل الممنوع من الشئ مضطر الى خلافه فامتنع منه وقيل معناه ما الذى جعلك ممتنعا من عبادتى وقيل معنا
من قال لك لا تسجد واقول يمكن ان لا يعلق قوله لان لا تسجد بقوله ما منعك وانما يكون متعلقه محذوفا والتقدير وما منعك من السجود ان لا تسجد اى لك
تسجد توجه عليك هذا السؤال والحاصل ان عدم سجودك ما سببه اذا مر تك امر ايجاب فائدة هذا السؤال من علام الغيوب توبيخه وافشاء معاندته
وجموده واستدل العلماء بالاية على ان مجرد الامر يقتضى الوجوب الا لو ترتب الذم عليه وان الامر يقتضى الفور والا لم يستوجب الذم بترك السجود فى
الحال ثم استانف لعين قصة اخرى فيها عن نفسه بالفضل على ادم زعما منه ان مثله مستبعد ان يؤمر بما امر به وتلك الحمية هى التى منعته عن السجود
فقال انا خير منه ثم بين هذه المقدمة بقوله خلقتنى من نار وخلقته من طين والنار افضل من الطين لان النار جوهر مشرق علوى لطيف خفيف
حار يابس محارب لجواهر السموات اصلا صعودها والطين مظلم سفلى كثيف ثقيل بارد يابس بعيد عن الاجرام اللطيفة كلها وايضا النار قوية التاثير والفعل
اشرف من الانفعال وايضا النار مناسبة للحرارة وهى مادة الحيوة والنضج واما الارضية فللبرد واليبس مناسب للموت والجمود اشرف من الموت و
ايضا سنى التمييز والشباب لما كان وقت كمال الحرارة كان افضل اوقات عمر الحيوان بخلافه وقت الشيخوخة لغلبة البرد واليبس المناسب للارضية و

هذا الجزء

والمخلوق من الافضل افضل لان شرف الاصل يوجب شرف الفرع واما ان الاشرف لا يجوز ان يؤمر بخدمة الادون فما قد تقرر في العقول لهذه شبهة ابليس المقدمات باسرها ممنوعة اما ان النار افضل من الارض فممنوع لان كل عنصر من العناصر الاربعة يختص بفوايد ليست لغيره وكل منها ضروري في الوجود وفي التركيب فلكل فضيلة في مقامه وحاله فمن رجح بعضها على البعض تطويل بلا طائل ومن تامل ما ذكرنا في تفسير قوله سبحانه الذي جعل لكم الارض فراشا وقف على بعض منافعها وعلم ان طعن اللعين مردود جدا ولو لم يكن في النار الا الخفة المقتضية للطيش والاستكبار والترفع وفي الارض الوزانة الموجبة للحلم والوقار والتواضع لكفى به رد الكلام واما ان المخلوق من الافضل افضل فهو محل البحث والنزاع لان الفضيلة عطية من الله تعالى ابتداء ولا يلزم من فضيلة المادة فضيلة الصورة فقد يخرج الكافر من المؤمن ويحصل الدخان والتكليف يتناول الحي بعد انتهائه الى حد كمال العقل فالاعتبار بما انتهى اليه لا بما خلق منه وقد قال ائتوني باعمالكم ولا تاتوني باانسابكم ان اكرمكم عند الله اتقيكم وفي كلام الحكماء العاقل من يفتخر بالهمم العالية لا بالرمم البالية فثبت ان دعوى اللعين في قوله انا خير منه باطلة ولو سلم فلا يجوز عند الفاضل المفضول تواضعا واسقاطا لحق النفس لم لا يجوز الامر بذلك لغرض الطاعة والامتثال وتشريف المفضول والرفع من مقداره قالت العلماء ههنا ان قوله تعالى للملائكة اسجدوا لادم خطاب عام يتناول جميع الملائكة ثم ابليس خرج نفسه من هذا العموم بالقياس فاستوجب الذم والتعنيف والدخول في جملة المتكبرين على الله فدل ذلك على انه لا يجوز تخصيص عموم النص بالقياس ويؤيد ذلك ما روي عن ابن عباس انه كان الطاعن بابليس اول من القياس فعصى وقياس اول من قاس ابليس فكفر بقياسه فمن قاس الدين شيء من رايه قرنها الله تعالى مع ابليس ويمكن ان يجاب بانه انما استحق الذم لان قياسه كان مبطلا للنص بالكلية لا مخصصا وتقريره انه لو قبح امر من كان مخلوقا من النار ممن كان مخلوقا من النور المحض فيجوز ان يكون مخلوق من هو مخلوق من الارض اولى ويحتمل ان يزيف هذا الجواب بان الشريف اذا رضي بتلك الخدمة فلا اعتراض عليه وح لا يقبح امره بذلك ثم ان الملائكة رضوا بذلك فلا باس واما ابليس فانه لم يرض باسقاط هذا الحق ففبح امره بالسجود فيه اسير يوجب تخصيص النص لا رفعه بالكلية فعلمنا ان استحقاق الذم انما كان لتخصيص النص بالقياس كما ادعينا قال اي الله تعالى كلام تعنيف وتعذيب لا اكرام وتشريف او قال على لسان بعض الملائكة فاهبط يعني اذ لم تمتثل امري فاهبط منها قال ابن عباس يريد من الجنة وكانوا في جنة عدن وفيها خلق آدم وقال بعض المعتزلة امر بالهبوط من السماء التي هي مكان المطيعين المتواضعين من الملائكة الى الارض التي هي مقر العاصين المتكبرين من الثقلين فما يصلك ان تتكبر فيها وتعصي فاخرج انك من الصاغرين من اهل الصغار والهوان يقال للرجل ثم صاغرا اذا اهين وفي صفة ثم راشد قال الزجاج ان ابليس طلب ان يتكبر فابتلاه الله بالذلة والصغار قال النبي صلى الله عليه وآله من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله قال انظرني الى يوم يبعثون طلب الانظار من الله تعالى الى وقت البعث هو وقت النفخة الثانية حين يقوم الناس لرب العالمين ومقصوده انه لا يذوق الموت فلم يعطه الله تعم ذلك بل قال فانك من المنظرين قيل ان هذا المطلق يقيد بقوله في موضع اخر الى يوم الوقت المعلوم اي ليوم الذي يموت الاحياء كلهم فيه وهو وقت النفخة الاولى وقال اخرون لم يوقت الله تعالى له اجلا والمراد الوقت المعلوم في علم الله تعالى والدليل على ذلك ان ابليس كان مكلفا والمكلف لا يجوز ان يعلم اجله لانه يقدم على المعصية بقلب فارغ حتى اذا قرب اجله تاب فيقبل توبته وهذا كالاغراء على المعاصي فيكون قبيحا اجاب الاولون بان من علم الله تعالى من حاله انه يموت على الطهارة والعصمة كالانبياء او على الكفر والمعاصي كابليس فان اعلامه بوقت اجله لا يكون اغراء على المعصية لانه لا ينفك حاله بسبب ذلك التعريف والاعلام قال فبما اغويتني الاغواء الارشاد واصل الغي الفساد ومنه غوى الفصيل اذا بشم واليشم فساد يعرض في جوفه من كثرة شرب اللبن ولا يمكن ان يتعلق الباء بقوله لاقعدن لان لام القسم تلزمك لا يتوسط والله بن بد لامرئ لان حكم القسم وما يتلوه حكم همزة الاستفهام وحرف النفي الذي هو ما وهي تعمل من حيث اللفظ فكانها عوامل ضعيفة فلم يتقدم عليها شيء من معمولاتها انما تتعلق بفعل القسم المحذوف وما مصدرية تقديره فبما اغويتني اي فبسبب اغوائك اياي اقسم ويجوز ان يكون الباء للقسم اي فاقسم باغوائك لاقعدن ومعنى القسم بالاغواء بالاغواء انه من جملة اثار القدرة اي بقدرتك على ونفاذ سلطانك لاقعدن وقال في الكشاف ان الامر بالسجود كان سببا لاغوائه وهو تكليف والتكليف من احسن افعال الله لكونه تعريضا لسعادة الابد فكان جديرا بان يقسم به وهذا ابنا سبب الاعتزال قال مشايخ العراق الحالف يحلف بصفات الذات كالقدرة والعظمة والجلال والعزة ويمين الحلف بصفات الفعل كالرحمة والغضب لا يكون يمينا ويعني بصفات الفعل ما يجوز ان يوصف بضده فيقال رحم فلانا ولم يرحم فلانا وغضب ولم يغضب قال بعضهم ما للاستفهام كانه قيل باي شيء اغويتني ثم ابتدا فقال لاقعدن ورد على هذا القول ان اثبات الالف اذا دخل حرف الجر على ما الاستفهامية قليل قيل ان ابليس اضاف الاغواء ههنا الى الله وفي قوله فبعزتك لاغوينهم اضاف الاغواء الى نفسه الاول يدل على الجبر والثاني على القدر وهذا دليل على انه كان متحيرا في هذه المسئلة اجابت المعتزلة عن قوله فبما اغويتني بان قول ابليس واعتقاده ليس بحجة او المراد انه تعالى لما امره بالسجود لادم فعند ذلك ظهر منه كفر فلهذا المعنى اضاف الغي الى الله وقد يقول الانسان لا تفعل ما افعله على ضد ما يريد منك عنده والمراد بالاغواء الاهلاك واللعن وقال الاشاعرة نحن لا ننازع في ان المراد بالاغواء ههنا هو الاضلال لكن حاصله كيف ما كان يرجع على حكايته قول ابليس وهو ليس بحجة الا اذا قطع بان الغاوي لا بد له من مغو وليس في ذلك نفسه ان العاقل لا يختار الغواية مع العلم بكونها غواية والدور والتسلسل محال فلا بد ان ينتهي الى خالق الكل وهو المقصود واما قوله لاقعدن لهم صراطك فانتصابه على الظرف كقوله لاقعدن

الارض لكان فيها من كان مخلوقا من ضح

المعنى لامن حيث

اي لا تفعل ما افعله ضح

لهز الكف يغسل منه به كما غسل الطريق الغلب قال الزجاج هو كقولهم ضرب زيد الظهر والبطن اى على الظهر والبطن والمراد لا عرض من لحم
لبني آدم المذكورين في قوله ولقد خلقناكم ثم صورناكم على طريق الاسلام كما يعرض لمعد على الطريق ليقطعه على المسابلة والحاصل انه يواظب
على الافشاء بالوسوسة مواظبة لا يفتر عنه ولهذا ذكر المعمول لان من اراد المبالغة في تكميل امر من الامور قعد حتى يتصور فارغ البال فيمكنه اتمام المقصود
واعلم ان العلماء اختلفوا في ان كفر ابليس كفر عناد او كفر جهل فمن قائل بالاول لقوله صراطك المستقيم وصراط الله المستقيم هو دينه الحق ومن
قائل الثاني لقوله فبما اغويتني فدل ذلك على انه اعتقد ان الذي هو عليه محض الغواية وانما وصف الصراط بالمستقيم بناء على زعم الخصم واعتقاده
ورد بانه متى علم ان مذهبه ضلال وغواية فقد علم ان ضده هو الحق فكان انكاره انكار اللسان لا القلب فهو المعنى بكفر العناد ويمكن ان يجاب
بانه اراد بالاغواء ايضا الاغواء بزعم الخصم قال الاشاعرة في الآية دلالة على انه لا يجب على الله رعاية مصالح العبد في دينه والا لم يهمل ابليس حتى
استهله مع علمه بالمفاسد والغوائل المترتبة على ذلك وتمامه يؤيد ذلك ترتب الانبياء دعاة الخلق الى الحق وعلم من حال ابليس انه لا يدعو الا الى
الكفر والضلال ثم انه اماتهم الانبياء وابقى ابليس ومن كان يريد مصالح العباد امتنع منه ان يفعل ذلك قال الجبائي في دفع هذا الاعتراض انه لا يخلف
الحال بسبب وجوده وعدمه ولا يضل بقوله احد بل انما يضل من لو فرضنا عدم ابليس لكان يضل ايضا بدليل قوله تعم ثم انكم وما تعبدون ما انتم
عليه بفاتنين الا من هو صال الجحيم ولانه لو ضل به احد لكان بقاؤه مفسدة وقال ابو هاشم يجوز ان يضل به قوم ويكون خلقه جاريا
مجرى زيادة الشهوة فان هذه الزيادة من المشقة يوجب الزيادة في الثواب ضعف قول الجبائي فانا نعلم بالضرورة ان الانسان اذا جلس عند
جليسا السوء وحسنوا في عينه امرا من الامور مرة بعد اخرى فانه لا يكون حاله في الاقدام على ذلك الفعل كحاله اذا لم يوجد هذا التحسين فكذا
الشيطان المزين للقبائح في قلوب الكفار والفساق وزيف قول ابي هاشم بان خلق الزيادة في الشهوة جهة اخرى لنا في انه تعالى لا يراعي
المصالح وتقرير الجهة ان خلق تلك الزيادة يوقع في الكفر وعقاب الابد ولو احترز عن تلك الشهوة فغايته ان يزاد ثواب حصول هذه الزيادة
شيء لا حاجة اليه والا لم يرفع العقاب لاجل تحصيل زيادة الثواب فلو كان اله العالم مراعيا لمصالح العباد لم يعمل الا هم لطلب الزيادة التي لا ضرورة
اليها اما ذكر الجهات الاربع ففيه وجوه احدها من بين ايديهم اى شككهم في صحة البعث والقيمة ومن خلفهم القى اليهم ان الدنيا فقط ليس ورائها
وثانيها من بين ايديهم انفرهم عن الجنة وسعادات الاخرة ومن خلفهم اقوى رغبتهم في لذات الدنيا وطيباتها فالاخرة بين ايديهم لانهم يردون
اليها ويصلون اليها والدنيا خلفهم لانهم يخلفونها وثالثها قول الحكم والسدي من بين ايديهم يعني الدنيا لانها بين يدي الانسان وانه يشاهدها
ومن خلفهم الاخرة لانها تاتي بعد ذلك واما قوله وعن ايمانهم وعن شمائلهم فقيل عن ايمانهم في الكفر والبدعة وعن شمائلهم في انواع
المعاصي وقيل عن ايمانهم في الصرف عن الحق وعن شمائلهم في الترغيب في الباطل وقيل عن ايمانهم فترهم عن الحسنات وعن شمائلهم اقوى دواعيهم
الى السيئات قال ابن الانباري وهذا قول حسن لان العرب تقول اجعلني في يمينك اى من المقدمين ولا تجعلني في شمالك اى من المؤخرين وعن
الاصمعي هو عندنا باليمين اى بمنزلة حسنة وبالشمال للعكس وقال حكماء الاسلام ان في البدن قوى اربعا هي الموجبة لفوات السعادات الروحانية
احدها القوة الخيالية التي يجتمع فيها مثل المحسوسات وموضعها البطن المقدم من الدماغ واليها الاشارة بقوله من بين ايديهم وثانيها القوة
الوهمية التي يحكم في غير المحسوس بالاحكام المناسبة للمحسوسات ومحلها البطن المؤخر من الدماغ وهو قوله ومن خلفهم وثالثها الشهوة ومحلها الكبد
التي عن يمين البدن ورابعها الغضب منشاؤه القلب الذي هو في الشق الايسر فالشياطين الخارجة مما لم تسعين بشيء من هذه القوى الاربع لم
يقدر على الفاء الوسوسة وقيل من بين ايديهم الشبهات المبنية على التشبيه اما في الذات او في الصفات كشبهة المجسمة واما في الافعال
كشبهة المعتزلة في التعديل والتجوير والتحسين والتقبيح لان الانسان يشاهد هذه الجسمانيات فمن بين يديه ومحضر فيعتقد ان الغائب مثل
الشاهد ومن خلفهم شبهات اهل التعطيل لان هذه باسرها الاولى وعن ايمانهم الترغيب في ترك المامورات وعن شمائلهم الترغيب في فعل المنهيات
وعن شقيقوه ما من صباح الا وهو يتيه الشيطان من الجهات الاربع اما من بين يديه فيقول لا تخف ان الله غفور رحيم فاقرا وان لغفار لمن تاب
وآمن وعمل صالحا واما من خلفي فيخوفه من وقوع اولاده في الفقر فاقرا وما من دابة في الارض الا على الله رزقها واما من يميني فياتيني من قبل الشهوات
فاقرا والعاقبة للمتقين واما من شمالي فياتيني من قبل فاقرا ويحال بينهم وبين ما يشتهون وعن رسول الله ص ان الشيطان قعد لابن ادم باطرقه
قعد له بطريق الاسلام فقال له تدع دين ابائك فعصاه فاسلم قعد له بطريق الهجرة فقال له تدع دارك وتغرب فعصاها فهاجر
فقعد له بطريق الجهاد فقال له تقاتل فتقتل فتقسم مالك وتنكح زوجتك فعصاه فقاتل وعلى هذا فالقعود في الطريق والترصد من الجهات مثل
لوسوسته اليهم وتسويله بكل ما يمكنه ويتيسر له كقوله واستفزز من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك ورجلك بقي ههنا بحث
وهو انه كيف قال من بين ايديهم ومن خلفهم بحرف الابتداء وعن ايمانهم وعن شمائلهم بحرف المجاوزة قال في الكشاف وقد يختلف حرفا الظرف
كما يختلف حروف التعدية على حسب السماع يقال جلس عن يمينه وعلى يمينه فمعنى على انه تمكن من جهة اليمين تمكن المستعلي من المستعلى عليه ومعنى عن
انه جلس متجانبا عن جانبي اليمين منحرفا عنه نحو قولك رميت عن القوس ثم كثر حتى استعمل في المجاوزة وغيره ونظيره في المفعول به رميت السهم عن القوس وعلى القوس
لان السهم يبعد عنها ويستعليها اذا وضع على كبدها للرمي ينبئك الرمي منها وكذلك قالوا جلس بين يديه وخلفه بمعنى فالا نهما ظرفان للفعل ومن

الاعراف

بين يديه ومن خلفه لان الفعل يقع في بعض الجهتين كما يقول جئتك من الليل يريد بعض الليل وقال بعض المفسرين خص ايمانهم والشمال بكلمة عن لانها تفيد البعد والمباينة على جهتي اليمين والشمال ملكان لقوله عن اليمين وعن الشمال قعيد والشيطان لابد ان يتباعد عن الملك ولا كذلك الاحوال القدام والخلف قالت الحكماء من بين ايديهم ومن خلفهم هما الوهم والخيال كما مر والناشئ منهما العقائد الباطلة والكفر عن ايمانهم ومن شمائلهم الشهوة والغضب الناشئ منهما الافعال الشهوية والغضبية وضرر الكفر لازم لان عقابه دائم وضرر المعاصي مفارق لان عذابها منقطع فلهذا السبب خص هذين القسمين بكلمة عن تنبيها على انهما في اللزوم والاتصال دون القسم الاول وانما اقتصر على الجهات الاربع ولم يذكر الفوق والتحت لان القوى التي منها تتولد ما يوجب تقوية الاستعدادات الروحانية هي هذه الموضوعة في الجوانب الاربعة من البدن واما في الظاهر فقد روي ان الشيطان لما قال هذا الكلام رقت قلوب الملئكة على البشر فقالوا يا الهنا كيف يتخلص الانسان من الشيطان مع استيلائه عليهم من الجهات فاوحى الله تعالى اليهم انه قد بقي للانسان جهة الفوق والتحت فاذا رفع يديه الى فوق بالدعاء على سبيل الخضوع او وضع جبهته على الارض بطريق الخشوع غفرت له سبعين سنة قال القاضي هذا القول من ابليس كالدلالة على انه لا يمكنه ان يدخل في بدن ابن ادم ويخالطه انى لو امكنه ذلك لكان بان يدخل في باب الغيبة احق فلذلك هذا مناف لما في الحديث ان الشيطان يجري من ادم مجرى الدم اما قوله ولا تجد اكثرهم شاكرين فسئل انه من باب الغيب فكيف عرف واجاب بعضهم بانه كان قد راه في اللوح المحفوظ فقال على القطع واليقين وقال اخرون انه قال على سبيل الظن لانه كان عازما على المبالغة في تزيين الشهوات وتحسين الطيبات فغلب على ظنه انهم يقبلون قوله ولقد صدق الله تعالى في ذلك الظن حيث قال ولقد صدق عليهم ابليس ظنه وقليل من عبادي الشكور وقيل ان للنفس تسع عشرة قوة الحواس الظاهرة والباطنة والشهوة والغضب القوى التسع البنائية الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة والغاذية والنامية والمولدة وهي باسرها تدعو النفس الى عالم الجسم واما التي تدعوها الى عالم الارواح فقوة واحدة وهي العقل ولا شك ان استيلاء تسع عشرة قوة اكثر من استيلاء واحدة لا سيما وهي في اول الخلقة تكون قوية والعقل يكون ضعيفا وهو بعد قوتها يسير جعلها ضعيفة مرجوحة فلذلك قطع بقوله ولا تجد اكثرهم شاكرين قال الله تعالى في جواب اذا كان هذا عزمك فاخرج منها مذءوما مدحورا الذام العيب والذام يعم والاجم والذحر الطرد والابعاد وفي المثل لا تعدم الحسناء ذاما والسلام في لمن تبعك موطئة للقسم ولاملان جوابه وهو ساد مسد جواب الشرط وعن عاصم لمن تبعك بكسر اللام بمعنى لمن تبعك منهم هذا الوعيد وهو قوله لاملان جهنم فغلب ضمير المخاطب كما في قوله انكم قوم تجهلون اي انكم واياهم على هذا فقوله لاملان في محل الابتداء ولمن تبعك خبره قال القاضي كان الكافر يتبعه وكذلك الفاسق يتبعه فكذلك يجب القطع بدخول الفاسق النار واجيب بشرط عدم العفو قوله ويا ادم اسكن انت وزوجك الجنة لا بد فيها من المسائل ان يقول اسكن امر تعبد او امر اباحة من حيث انه لا مشقة فيه فلا يتعلق به التكليف فان زوج ادم وهي حواء وان تلك الجنة كانت جنة الخلد او جنة من جنان السماء او جنة من جنان الارض وان قوله وكلا امر اباحة لا امر تكليف وان قوله لا تقربا نهي تحريم وان الشجرة المشار اليها شجرة واحدة بالشخص او بالنوع وانها اي شجرة كانت وان ذلك الذنب كان صغيرا او كبيرا وان الظلم في قوله فتكونا من الظالمين باي معنى هو وان هذه الواقعة وقعت قبل نبوة ادم او بعدها ونحن قد قضينا الوطر عن جميعها في سورة البقرة فلا حاجة الى الاعادة فوسوس لهما الشيطان الوسوسة حديث النفس هو فعل غير متعد كولولت المرأة ووعوع الذئب والمصدر الوسواس ايضا بكسر الواو والوسواس بالفتح الاسم كالزلزال ويوصل الى المفعول باللام وبالى فيقال وسوس له فعل الوسوسة لاجله ووسوس اليه القها اليه اي تكلم معه كلاما خفيا يكرر ليثبتها وروي عنهما من سوآتهما قبل اللام لام العاقبة لان الشيطان لم يقصد بالوسوسة ظهور عورتهما وانما ال امرهما الى ذلك قبل لام العرض بدت والعورة كناية عن زوال الحرمة وسقوط الجاه الذي كان عرضا ولعله راى في اللوح المحفوظ او سمع من الملائكة انه اذا اكل الشجرة بدت عورته وذلك سقوط حشمته وقوله ووري اي ستر والسوءة فرج الرجل والمرأة بين وسوس ابليس بانه قال ما نهيكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين الى قوله اني لكما لمن الناصحين سئوال كيف يطمع ابليس ادم في ان يكون ملكا عند الاكل من الشجرة مع انه شاهد الملائكة ساجدين معترفين بفضله والجواب بعد تسليم ان هذه الواقعة كانت بعد النبوة لعله كان قبل سجود الملائكة له ان هذا احد ما يدل على ان الملائكة الذين سجدوا لادم هم ملائكة الارض اما ملائكة السموات او ملائكة العرش والكرسي والملئكة المقربون فما سجدوا البتة لادم والا كان هذا التلبيس فاسدا وتمام تحقيقه ان ابليس انما اراد انه يصير مثل الملك في البقاء والدوام وتنبيه يلزم التكرار من قوله او تكونا من الخالدين قال الواحدي كان ابن عباس يقرأ ملكين بكسر اللام كان المعنون انا هما من جملة الملك كقوله هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى واعترض بانه لا نزاع في هذه القراءة الشاذة وانما النزاع في القراءة المشهورة ويمكن ان يجاب بان ادم لعله رغب ان يصير من الملائكة في القدرة والقوة والبطش والخلقة بان يخرج جوهره ايضا مقره العرش الكرسي نقل ان عمرو بن عبيد قال للحسن ان آدم وحوا هل صدقاه في قوله فقال الحسن معاذ الله لو صدقاه لكانا من الكافرين اراد الحسن ان تصديقهما يوجب انكار البعث والقيمة وانه كفر ويمكن ان يقال اراد بالخلود طول المكث لم يلزم التكفير ولو سلم ان الخلود مفسر بالدوام فلا نسلم ان اعتقاد الدوام من آدم يوجب الكفر لان العلم بالموت ثم البعث يتوقف على السمع ولعل ذلك الدليل السمعي لم يصل الى آدم وقد تقدم ان المحققين اتفقوا على ان التصديق لم يوجد من آدم

لا قطعا ولا ظنا وانما اقدما على الاكل لغلبة الشهوة كما نجد من انفسنا عند الشهوة ان نقدم على الفعل اذا ذكر لنا الغير ما لشهيه وان لم نعتقد
ان الامر كما قال ثم ان بعضهم زعم ان الترغيب كان في مجموع الامرين كونها ملكين وكونها خالدين والظاهر انه على طريقة التخيير بسؤال المفاسة من الجانبين
فكيف تصور التقاسم بين ادم وابليس والجواب كانه قال لهما اقسم بالله اني لكما ناصح وقالا له نقسم بالله انك ناصح واقسم لهما بالتضجع واقسما له بقبولها
او اوجز قسم ابليس على دأبه المفاعلة لانه اجتهد فيها اجتهاد المقاسم فدلاهما بغرور اي اوقعهما بالاغترار من تغرير واصله ان الرجل العطشان يدلي
رجليه في البئر ليأخذ الماء فلا يجد فيها ماء فوضع الدلو فيها موضع الطمع فيما لا فائدة فيه قيل اي جرأهما على اكل الشجرة من قولهم فلان يدلي
على اقرانه في الحرب كالطامع يدل على صيده قال ابن عباس رضي الله عنهما بالبين وكان ادم يظن ان لا يحلف احد بالله كاذبا وعن ابي عمران كان اذا رأى
من بعض عبيده طاعة وحسن صلوة اعتقه فكان عبيده يفعلون ذلك طلبا للعتق فقيل انهم يخدعونك فقال من خدعنا بالله انخدعنا
له فلما ذاقا الشجرة فيه دلالة على انهما قصدا الى معرفة طعمه ولولا انه ذكر في اية اخرى فاكلا منها لدل على الاكل لان الذوق قد يكون من
غير اكل بدت لهما سوآتهما ظهرت عوراتهما اي عوراتهما مثل صغت قلوبكما كان قلبا وطفقا يخصفان اخذا في الفعل وهو الخصف
ويستعمل طفق بمعنى كاد قال الزجاج اي يجعلان ورقة على ورقة ليستر بهما كما يخصف النعل طرقة على طرقة وتوثق بالسيور والورق ورق
التين وفيه دليل ان كشف العورة قبيح من لدن ادم الا ترى انهما كيف بادرا الى الستر لما تقرر في عقلهما من قبح كشف العورة الا ترى كيف
عتاب من الله وتوبيخ وباقي الايات مفسرة في سورة البقرة عن ثابت البناني لما اهبط ادم وحضرته الوفاة احالت به الملئكة فجعلت حواء
تدور حولهم فقال لها خلي ملئكة ربي فانما اصابني الذي اصابني فلما توفي غسلته الملئكة بماء وسدر وتولوا حنطته وكفنته وحفروا له لحدا
من الثياب وحفروا له لحدا ودفنوه بسرنديب بارض الهند وقالوا لبنيه هذه سنتكم بعده وقد بقي علينا من التفسير اسرار المتشابهات
الواقعة في هذه القصة فلنفرغ لنا قوله ما منعك وفي ص يا ابليس ما منعك في الحجر ابليس مالك حذف في المنادى في هذه السورة لان مضى
ذكره هنا اقرب فلم يحتج الى اعادة اسم اللعين بالنداء قوله ما منعك ان لا تسجد وفي ص ما منعك ان تسجد جمع بين لفظ المنع ولفظ لا في السورة
لانه لما حذف النداء زاد لفظة لا زيادة في النفي واعلما بان المخاطب ابليس وان شئت قلت جمع في السورة بين ما في ص وما في الحجر فقال ما
منعك ان تسجد ومالك ان لا تسجد وحذف ان تسجد وحذف مالك لدلالة الحال ودلالة السورتين عليه فبقي ما منعك ان لا تسجد قوله
انا خير منه الا ترى في ص مثله كلاهما في جواب ما منعك ظاهرا الا انه زاد في الحجر لفظ ان يكون فقال لم اكن لاسجد ليكون مطابقا للسؤال حيث
قيل مالك لا تكون مع الساجدين قوله انظرني الى يوم يبعثون وفي ص وفي الحجر انظرني فانظرني لانه لما اقتصر في السؤال على الخطاب دون صريح
الاسم اقتصر ههنا ايضا على الخطاب دون المنادى بخلاف السورتين واما زيادة الفاء في السورتين دون هذه السورة فلان داعية
الفاء ما تضمنه النداء من ادعوا وانادي نحو قوله ربنا فاغفر لنا فاغفر لما دعوك فاعرض فلما حذف النداء في هذه السورة تركت الفاء وكذلك قوله
من المنظرين لمطابق الجواب للسؤال قوله فبما اغويتني وفي الحجر رب بما اغويتني بزيادة النداء ليوافق ما قبله وزاد في هذه الفاء وكذا في ص
فبعزتك لاغوينهم لزيادة الربط ولم يمكن دخول الفاء في رب لامتناع النداء منه لان ذلك يقع مع السؤال والطلب قال اخرج منها مذءوما مدحورا وما لابس في
القرآن غيره وانما اختص الموضع بذلك لان اللعين بالغ في العزم على الاغواء فقال لاقعدن لهم الى اخره فبالغ الله جل وعلى في ذمه اذ الذام
اشد الذم قوله فكلا بالفاء وفي البقرة وكلا لان اسكن ههنا من السكنى التي معناها اتخاذ الموضع مسكنا وهذا لا يستدعي ما تمتل
ولكن الجمع بين الاتخاذ والاكل فيه بل يقع الاكل عقيبه في البقرة من السكون الذي يراد به الاقامة فلم يصلح الا بالواو وفان المعنى جمعا بين الاقامة فيها
والاكل من ثمارها ولو كان بالفاء لوجب تاخير الاكل الى الفراق من الاقامة وانما زاد في البقرة رغدا لما زاد في الخبر تعظيما بقوله وقلنا قال بعض
الافاضل في الجواب غيره وهذه المسائل ان اقتضاها ما مضى اذا لم يقصد بها داء الالفاء باعينها كان اختلافها واتفاقها سواء اذا ادى المعنى
المقصود وهذا جواب حسن رصين بركيك فتونة السحر والله اعلم التاويل ولقد خلقنا اراد احكم ثم صورناكم اي خلقنا الارواح
اجسادكما جاء في الحديث ان الله خلق الارواح قبل الاجساد بالفي عام والتصوير الاجساد بدليله وهي قوله واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم
ذريتهم فان لفظ الذرية يقع على المصورين ووسط يصوركم في الارحام كيف يشاء ونهايته هي حالة الكهولة في الاغلب ثم قلنا للملئكة اسجدوا
لادم وانما في سلبه وهذا من التمكين ايضا فسجدوا لاستعدادهم الفطري للسجود ولا يتمارهم لامر الله الا ابليس لم يكن من المستعدين للسجود
لما فيه من الاستكبار والتباري قال ما منعك خطاب الامتحان لجرم ابليس ليظهر به استحقاقه اللعن فانه لو كان ذا بصيرة لقال في الجواب منعني تفاوتي
فضائل ولكنه كان اعور عين البصيرة بالعين التي يرى بها الاشياء فقال انا خير منه فرأى منعني خيريته منه ان اسجد لمن هو دوني واستدل على
خيريته بانه خلق من نار وهي علوية نورانية لطيفة وادم خلق من طين سفلي ظلماني كثيف وهذا القياس معارض بان التراب من خاصيتها الاوراق
والغناء والطين من خواصه النشوء والنماء والاستمساك الذي يقوم به الانسان مستمسكا للفيض الالهي ونفخ فيه الروح ورضي بالفناء واطمأن
بالخضوع فقال انظرني فاجيب لما سئل ليكون وبالا عليه ودين يدين في شقوته ولكن لم يجبه بان لا يميته بقاء الموت لقوله في موضع اخر الى يوم الوقت المعلوم قال فبما اغويتني لم يكن جوابا لانه لا غواء الى الله منه من نظر التوحيد وانما كان للمعارضة والمعاندة لقوله لاغوينهم

لاقعدن ثم لاتينهم من الجهات التي فيها حظوظ النفس من بين ايديهم من قبل الحسد على الاكابر من المشايخ والعلماء المعاصرين ومن خلفهم من قبل سوء الظن في الاكابر الاقدمين والسلف الصالحين وعن ايمانهم من قبل انشاذات البين والقاء العداوة والبغضاء بين الاخوان وعن شمائلهم من جهة ترك النصيحة مع اهاليهم واقاربهم وترك الامر بالمعروف مع عامة المسلمين او المراد من بين ايديهم من قبل الرياء والعجب ومن خلفهم من قبل التصلف والفخر وعن ايمانهم من قبل الادعاء واظهار المواعيد والمواجيد وعن شمائلهم من قبل الافتراء على انفسهم مالبس فيها من الكشوف والاحوال او من بين ايديهم من قبل الاعتراض على الشيخ ومن خلفهم من قبل التفريق والاخراج عن صحبة الشيخ وعن ايمانهم من قبل ترك حشمة المشايخ وعن شمائلهم من قبل مخالفة الشيخ والرد بعد القبول او من بين ايديهم اثور عليهم اهاليهم واولادهم ليمنعوهم عن طلب الحق ومن خلفهم اثور عليهم ابائهم وامهاتهم عن ايمانهم اثور عليهم احبائهم وعن شمائلهم اثور عليهم اعدائهم وحسادهم ولانفر بها هذه الشجرة يعني شجرة المحبة فان المحبة مطية المحنة فتكونا من الطالبين على انفسكما ان المحبة نار او نور فان من يرد نارها يجد نورها ومن يرد نارها احترق انا بنته فيتبلا هو بنور به فيها نجد نور المحبة ويتنور به كقوله بحبهم ويحبونه فشجرة المحبة شجرة غرسها الرحمن بيده لاجل آدم كما خمر طينة آدم بيده لاجل هذه الشجرة وان منعه منها كان تحريمها له على نار ولهما فان الانسان حريص على ما منع ولم تكن الشجرة طعمة لغير آدم واولاده الا ان تكونا ملكين اي من اهل الستر وكلكين في ذوابا الجنة او تكونا من الخالدين في الجنة كالحور والولدان فسقاهما ابليس في كاس القسم شربت كؤس الحبيب فاسمها فلما غرقا في لجة المحنة بدت لهما سوداء نار المحبة قبل نورها وهي نار فرقة الاحبة وفي البداية وطفقا لاشتغال نار المحبة بجعلان كل نعيم الجنة على نار يهما فلما التهبت احترقت بلظاها اراحة الواصلة ونعيم عذاب البين بالفرقة فبينا نحن في الطور في طرب بدا سحاب فراق صوبه هطل وان كنت مشغوفا بطلعته مضى وافقر منه الرسم والطلل فالصبر مرتحل والوجد متصل والوقع متهلل والقلب مشتغل وناديهما منادي العزة والكبرياء الما انهكما عن تلكما الشجرة فانها تذل العزيز وتزيل النعيم وتذهب الطرب وتورث النصب النصب ان الشيطان لكما عدو مبين ولكن في عداوته صداقة تخفيه تظهر ولو بعد حين وانجلى امن وتوفي باب دارهم لواحا قيل مغضبا من انت يا رجل فانغسل بماء الجهل منها رعونات البشرية ولوث العجب لانانية فرجعا طاعنين وقوفا لويدوعلما ان لا بقاء ولا ملجا منه الا اليه وقفا الاربنا ظلمنا انفسنا بان اوقعنا هافي شبكة المحبة تغيبنا ولا المحنة تغيبنا بالزوال وان لم تغفر لنا بنوال الوصال وترحمنا على الجمال لنكونن من الخاسرين الذين خسروا الدنيا والعقبى ولم يظفروا بالمولى فامرا بالصبر على الهجر وقيل اهبطوا بعضكم لبعض عدو والنفس عدو القلب والروح والقلب عدو لما سوى الله ولكم النفس والقلب والروح في ارض البدن مقام وتمتع في الشريعة باستعمال الطريقة للوصول الى الحقيقة الى حين قصير النفس مطمئنة مشتاقة لما ذا يرجى من الهبوط وارتجى بعد السقوط ان الامور اذا انسدت مسالكها فالصبر يفتح منها كل ما ارتتاجا لا تيأس وان طالت مطالبة اذا استعنت بصبر ان ترى فرجا اخلق بذي الصبر ان يحظى بحاجته وتدمن القرع للابواب ان نيلا فيها ذي المحنة تحبو بصدق لطلبها وقرع باب العزيمة وفيها تعوقون بطلب الحق على جادة الشريعة بانقدام الطريقة ومنها تخرجون الى العالم الحقيقة

يا بني آدم قد انزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم

ای فرزندان آدم بحقیقه فرستادیم بر شما پوشیدنی را که پنهان کند عورت شما را و جامه نیکو و لباس پرهیزکاری این بهتر است این از آیات خدا شاید که ایشان

يذكرون يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما

پند گیرند ای فرزندان آدم فریب ندهد شما را شیطان چنانچه بیرون کرد پدر و مادر شما را از بهشت میکند از ایشان لباس ایشان را تا بنماید

سوآتهما انه يريكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون

عورت ایشان را همانا می بیند شما را او و لشکر او از جایگاهی که نمی بینید ایشان را ما گردانیدیم دیوان را صاحب اختیاران برای آنانکه نمی گروند

واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها قل ان الله لا يامر بالفحشاء اتقولون على الله ما

و چون کردند نامشایسته را گفتند یافتیم بران فاحشه پدران خود را و خدا فرمود ما را بان گفتم خدا فرماید بناشایسته ایا میگویید بر خدا آنچه را

لا تعلمون قل امر ربي بالقسط واقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تعودون

نمیدانید بگو که فرمان داد پروردگار من براستی و راست دارید روی خود را نزد هر مسجدی و بخوانید او را خالص کنندگان از برای او دین را چنانچه بخت آفریدشما را

فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله ويحسبون

گروهی را راه نمود و گروهی را ثابت گردید بر ایشان گمراهی بدرستی ایشان فرا گرفتند دیوان را دوستان از غیر خدا و میپندارند

انهم مهتدون يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين

که ایشان راه یافتگانند ای بنی آدم فرا گیرید زینت خود را نزد هر مسجدی و بخورید و بیاشامید و اسراف نکنید بدرستیکه او دوست ندارد

قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا

بگو کیست حرام کرده زینت خدا را که بیرون آورد برای بندگان او پاکیزه ها از روزی بگو که آن از برای آنان که گرویدند در زندگانی دنیا

خالصة يوم القيمة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر

خالص روز قیامت همچنین بشکافیم آیات را از برای گروهی که میدانند بگو جز این نیست که حرام کرد پروردگار من زشتیها را آنچه ظاهر

الجزء السابع

مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا

ازانرا و آنچه پنهانست و گناه و از حد گذشتن را بدون حق و آنکه شریک آورید بخدا آنچه نرسیده است بان حجتی و آنکه بگوئید

عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ

برخدای آنچه را که نمیدانید و هر گروهرا مدتیست پس چون آمد مرگشان پس نمیمانند ساعتی و پیش نمیافتند

القراء ودثشا ابو زيد عن المفضل الباقون ريشا ولباس بالنصب ابو جعفر ونافع وابن عامر وعلى الباقون بالرفع خالصة بالرفع نافع الاخرون بالنصب
ريش الفواحش مرسلة الباء حمزة الوقوف وريشا طلحة قرا ولباس مرفوعا ومن قرا بالنصب وقف على التقوى خبرا ندكرون سوآتهما لا يؤمنون
امرنا بها بالفحشاء ما لا يعلمون الذين تعودون على جواز الوصل لو التهاية الى البداية الضلالة مهتدون ولا تسرفوا لاحتمال الفاء بها ولا
يستقدمون التفسير لما ذكر ان الارض مستقر لبني آدم ذكر انا انزل كل ما يحتاجون اليه في الدين والدنيا فقال يا بني آدم قد انزلنا وايضا لما ذكر
آدم في انكشاف العورة انه كان يخصف عليها اتبعه ذكر اللباس لستر العورة اظهارا للمنة واشعارا بان التشريف من ابواب التقوى ومعنى انزال
اللباس انه قضى ثم كتب وانه حاصل بالمطر المنزل من السماء ومثله وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج وانزلنا الحديد والريش لباس الزينة
استعير من ريش الطير لانه لباسه وزينته اى انزلنا عليكم لباسين لباسا يواري سوآتكم ولباسا لزينتكم لان الزينة غرض صحيح كما قال لتركبوها
وزينة ولكم فيها جمال ومن قرا رياشا فقد قيل انه جمع ريش كشعب وشعاب وقال الجوهري الريش والرياش بمعنى كاللبس واللباس وهو لباس الفاخر
ويقال الريش والرياش المال والخصب والمعاش وبالجملة كل شئ يعيش به الانسان ومنه قولهم ريش فلانا اصلح حاله وقال ابن السكيت الرياش مختص
بالثياب والاثاث والريش قد يطلق على سائر الاموال اما قوله ولباس التقوى من قرا بالنصب فعلى المنصوب قبله عطف ومن رفع فعلى الابتداء
وخبره اما الجملة التي هي اليك خير كانه قيل ولباس التقوى هو خير لان اسنا الاشارة كالضمائر في صلوح العود بسببها واما المفرد خير وذلك بدل
او عطف بيان او صفة بتاويل ولباس التقوى المشار اليه خير والعدول الى الاشارة اما لتعظيم لباس التقوى واما ان يكون المراد بلباس
التقوى تفضيلا له على لباس الزينة ثم من المشتركين من حمل لباس التقوى على نفس اللبوس الذي انزله الله تعالى ليواري به السوآة هو لباس
التقوى لان قوما من اهل الجاهلية كانوا يتعبدون بالتعري وخلع الثياب ويطوفون بالبيت عراة فيكون كقول القائل قد عرفتك الصدق
في ابواب البر والصدق خير لك من غيره فتعبد بها والمراد به ما لبس من الدروع والجواشن والمغافر وغيرها في الحروب او يراد اللبوس
المعدة لاجل اقامة الصلوة ومنهم من حمله على لباس التقوى مجازا فقال قتادة والسدي وابن جريج انه الايمان وقال ابن عباس هو العمل الصالح
وقيل هو السمت الحسن وقيل هو العفاف والتوحيد لان المؤمن لا تبدو عورته وان كان عاريا عن الثياب والفاجر لا تزال مكشوفة
وان كان كاسيا وقال معبد هو الحياء وقيل هو ما اظهر على الانسان من السكينة والاخبات والاعمال الصالحات وعلى هذا فمعنى الاية
ان لباس التقوى خير لصاحبه اذا اخذ به وقربه الى الله تعم مما خلق من اللباس والرياش الذي يتجمل به فاضافة اللباس الى التقوى كاضافة
الى الجوع والخوف في قوله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف ذلك من آيات الله الدالة على فضله ورحمته على عباده لعلهم يتذكرون فيعرفون
عظيم النعمة فيه ثم حذرهم من قبول وسوسة الشيطان لان المقصود من قصص الانبياء عليهم السلام ان يكون عبرة لمن يسمعها فقال يا بني
آدم لا يفتننكم الشيطان الفتنة الامتحان تقول فتنت الذهب اذا ادخلته النار لتنظر ما جودته وقال الخليل الفتن الاحراق ورجل مفتون
اى فضة محرقة قال الله تعالى يوم هم على النار يفتنون من قدر على اخراج الاب من الجنة مع كمال قوته وقرب عهده من فيضان ربه فهو على اولاده
على ان لا يدخل الجنة اقدر ومحل كما اخرج نصب على المصدر اى فتنة مثل اخرج ابويكم لان هذا اخراج نوع من الفتنة في اولاده ومحل ينزع
عنهما لباسهما حال اى اخرجهما نازعا لباسهما بان كان سببا في ان نزع عنهما واللام ليريهما مثلها في سوآتهما لام العاقبة او لام الغرض كما تقدم في قوله
ليبدي لهما قال ابن عباس ان آدم سوآة حواء وبدي حواء سوآة آدم وكانا لا يريانها من انفسهما ولا احدهما من الاخر وعن ما يشق وضعها ما رايت منه
ولا ارى بني وحمله العلماء على الكراهة لاعلى التحريم واختلفوا في لباس نزع عنهما فقيل الثوب الحائل بينهما وبين النظر وعن سعيد جبير كان لباسا
من جنس الاظفار وقيل اللباس الذي هو ثياب الجنة قال الكعبي في الاية دلالة على ان المعاصي والفتن كلها منسوبة الى الشيطان واجيب
بانه لابد من الانتهاء الى خالق الكل وموجد القدر والدواعي ثم علل النهي واكد التحذير بقوله انه يريكم هو وقبيله اى جماعة الثلثة
فصاعدا والقبيل بنواب واحد وقال ابن قتيبة اى اصحابه وجنده وقال الليث هو وقبيله وجماعة من حيث لا ترونهم اى يكيدون
ويغتالون من حيث لا تشعرون قال بعض المتكلمين ومنهم المعتزلة الوجه في ان الانس لا يرون الجن رقة اجسام الجن ولطافتها والوجه في ان
الجن لا ترى كثافة اجسام الانس والوجه في رؤية الجن بعضهم بعضا ان الله تعالى يقوي ابصار الجن ويزيد فيه ولو زاد الله في قوة ابصارنا لرايناهم كما
يرى بعضنا بعضا ولو انه تعالى كشف اجسامهم ويقبت ابصارنا على هذه الحالة لرايناهم وقال اهل السنة انهم يرون الانسان لانه تعالى خلق في
عيونهم ادراكا والانس لا يرونهم لانه تعالى لم يخلق هذا الادراك في عيون الانس قال بعض العلماء من حيث لا ترونهم بتنا وا وقات الاستقبال
من غير تخصيص فيه ليدل على ان الجن لا يرون ولا يظهرون للانس وان اظهارهم انفسهم ليس في استطاعتهم وان زعم بعضهم رؤيتهم زور

ومخرقة ولو قدر الجن على تغيير صورا نفسهم بأى صورة شاؤا لارتفع الوثوق عن الناس حتى الزوجة والوالد ولو كانوا قادرين على تخبيط
الناس وازالة العقل عنهم لكان اولى الناس بذلك العلماء والمشايخ لان العداوة بينهم وبين حواص الانس اشد وعن مجاهد قال
ابليس اعطينا اربع خصال نرى ولا نرى ونخرج من تحت الثرى ونعود شيخا فانيا والضمير في انه للشان وهو تأكيد لتصح العطف على المرفوع المتصل
ثم قال انا جعلنا الشياطين الآية واحتج اهل السنة على انه تعالى هو الذى سلط الشيطان عليهم حتى اضلهم واغواهم وتاكد هذا النص بقوله
انا ارسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم ازا ومن الفاضي بان المراد من الجعل الحكم بان الشيطان ولى لمن لا يؤمن والمراد التخلية بينهم
وبين من يربط الكلب في داره ولا يمنعه من الوثوب على الداخل واجيب بان حمل الجعل على الحكم خلاف الظاهر وهب انه حكم ذلك لم يكن مخالفة
حكم الله وبيان الارسال انما يصدق على التسليط لا على التخلية المجردة قوله واذا فعلوا فاحشة قال بعضهم نزلت في اتخاذهم البحائر والسوائب
وقيل في الطواف بالبيت عراة والاولى التعميم والفحشاء الحالة المتزايدة في القبح اعني الكبيرة والمراد انهم كانوا يفعلون اشياء هي في انفسها
فواحش ويعتقدون انها طاعات فوبخوا على ذلك اينهوا ثم انه حكى عنهم حجتين الاولى التقليد ولم يذكر جوابها لظهور بطلانها عند
كل عاقل والثانية ان الله امرهم بذلك فاجاب عنها بقوله قل ان الله لا يامر بالفحشاء فللمعتزلة ان يحتجوا به على ان الشيء انما يتعلق به
لوجه عائد اليه وان كونه في نفسه من الفحشاء مغاير لتعلق الامر والنهي ولهذا المعنى بقوله اتقولون على الله ما لا تعلمون والجواب
ان عدم الامر بالفحشاء لا ينافي ارادة الفحشاء منه شيئا ونحن نقول انه تعالى مريد لجميع الكائنات وان شيئا منها لا يخرج عن حكمه وارادته
وتقديره مع انه لا يامر الا بالعدل والصواب كما قال قل امر ربي بالقسط قال عطاء والسدى اى بالعدل وبما ظهر في العقول كونه حسنا
وعن ابن عباس هو قول لا اله الا الله وبه يدين فيه معناه امر ربي بتوحيده وبما شرع من افعال واحكام اما قوله واقيموا فليس من باب عطف الطلب
على الخبر وانما التقدير وقل اقيموا وجوهكم اى استقبلوا واخلصوا عند كل سجود في كل وقت سجود كان المعنى وجهوا وجوهكم حيثما
كنتم في الصلوة الى الكعبة وقال ابن عباس المراد اذا حضر الصلوة وانتم عند مسجد فصلوا فيه ولا يقولن احدكم لا اصلي الا في مسجد
قومي ثم لما امر بالتوجه الى القبلة امر بعده بالدعاء والاظهر ان المراد باعمال الصلوة سميت دعاء لان اشرف اجزاء الصلوة هو الدعاء
الذكر ويمكن ان يبقى الدعا بمعنى العبادة فيكون كقوله وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ثم برهن على المعاد ليتحقق الجزاء
فقال كما بدأكم تعودون قال الحسن ومجاهد كما بدأ خلقكم في الدنيا ولم تكونوا شيئا كذلك تعودون احياء وعن ابن عباس المراد كما بدأ خلقكم
مؤمنا وكافرا تعودون يبعث المؤمن مؤمنا والكافر كافرا فان من خلقه الله تعالى في اول الامر للشقاوة يجعل بعمل اهل الشقاوة وكانت عاقبته
ذلك ومن خلقه للسعادة فانه يعمل اعمال السعادة وكانت عاقبته السعادة ويؤيد هذا التفسير قوله عقيب ذلك فريقا هدى وفريقا
حق عليهم الضلالة واتخذوا الشياطين فريقا الثاني بفعل مضمر يفسره ما بعده اى وخذل او اضل فريقا حق عليهم الضلالة كقولك زيدا مررت
به قال القاضي المعنى فريقا مضى في الجنة والثواب وفريقا حق عليهم الضلال اى العذاب والصرف عن طرق الثواب لان هذا هو الذى
يحق عليهم دون غيره اذ العبد لا يستحق ان يضل عن الدين اذ لو استحق ذلك لجاز ان يامر انبياءه باضلالهم عن الدين كما امرهم باقامة الحدود
المستحقة واجيب بان قوله هدى وحق عاض وحمله على المستقبل خلاف الظاهر وبان الهدى الى الجنة والضلال عنها لا بد ان يكون محكوما في الازل وغلا
حكم محال ثم بين ما لاجله حقق عليهم هذه الفرقة الضلالة اعني السبب القريب والا فانتهاء الكل الى مسبب الاسباب فقال انهم اتخذوا الشياطين
اولياء من دون الله فقبلوا دعوتهم دون دعوته ولما بالغ في التمييز بين الحق والباطل ثم عين ان جعلهم مركب لا بسيط فقال ويحسبون انهم
مهتدون وفيه ان مجرد الظن والحسبان لا يكفي في اصول الدين لا بد فيه من العلم واليقين ثم لما امر بالقسط وكان من جملة امر الناس الماكول
والمشروب وايضا امر بالقسط في الصلوة وكان ستر العورة شرطا لصحتها فلا جرم قال يا بني آدم خذوا زينتكم عن ابن عباس قال كان اناس من الاعراب
يطوفون بالبيت عراة حتى كانت المرأة تطوف بالبيت وهي عريانة فتجعل على سفلها سيورا مثل هذه السيور التي تكون على وجه الحمر من الذبا
وهي تقول اليوم يبدو بعضه او كله وما بدا منه فلا احله وعن طاوس لما امرهم بالحرير والديباج وانما كان احدهم يطوف عريانا ويدع ثيابه
وراء المسجد ان طاف وهي عليهم وضرب انزعت ضنه لا نطوف فيها وقد عصينا فيها وقيل كانوا يفعلون ذلك تفاؤلا ليعروا
من الذنوب كما يعروا من الثياب وقال الكلبي كان اهل الجاهلية لا ياكلون من الطعام الا قوتا ولا ياكلون دسما في ايام حجهم فقال المسلمون يا رسول
الله نحن احق بذلك فانزل الله الآية قال اكثر المفسرين المراد من الزينة لبس الثياب لقوله تعالى يا بني آدم قد انزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا
ولباس التقوى ذلك خير وايضا الزينة لا تحصل الا باستتار تام للعورة فلا جرم حملت الآية عليه وهاهنا سؤالان تقدم ذكر الجواب عنهما الاول ان ظاهر الامر للوجوب وكل ما سوى الستر غير واجب فوجب
حمل الزينة على الستر عملا بالقدر المقدور والامكان والثاني ان اخذ الزينة حصل عند الصلوة وقبل الطهر ثم ان العبرة بعموم اللفظ
لا بخصوص السبب فلا يقتضي وجوب لبس الثياب عند كل صلوة نوافل العمل بالقدر الذى لا يجب ستره من الاعضاء اجماعا بقي انها في اصل الوضع
اللفظ فاذن ستر العورة واجب للصلوة والا فسدت صلوته قال اصحابنا لبس الثوب النجس او المغصوب او الوارد على اتصف وجوه النجاسة اخذ الزينة
في صحة الصلوة واجيب بان اللام في قوله واقيموا الصلوة ينصرف الى المعهود السابق وهو صلوة رسول الله ولم يكن في شرعه في الثوب المغصوب او النجس

وقف
منهم
القبلة والمسجد
يعظمون بذلك
حجهم

الجزء السابع

الورد اما قوله وكلوا اى الحم والدسم واشربوا فقد قيل انهما امرا باحة بالاتفاق فوجب ان يكون اخذ الزينة ايضا على الاباحة واجيب بانه لا يلزم من ترك الظاهر في المعطوف تركه في المعطوف عليه مع ان الاكل والشرب قد يكونان واجبين انهم في الجملة وهما يشملان جميع المطعومات والمشروبات وبتنا كان الاحوال والاوقات الا ما خصه الدليل المنفصل والعقل انهم مؤكد لهذا المعنى لان الاصل في المنافع الحل والاباحة وفي قوله ولا تسرفوا وجهان الاول انه يأكل ويشرب بحيث لا يتعدى الى الحرام ولا يكثر الانفاق المستقبح ولا يتناول مقدارا كثيرا يضره ولا يحتاج اليه الثاني وهو قول ابي بكر الاصم ان المراد من الاسراف قولهم بتحريم البحيرة والسائبة فانهم اخرجوها عن ملكهم وتركوا الانتفاع بها وايضا انهم حرموا على انفسهم في وقت الحج ما احلها الله لهم تعالى قال بعض العلماء ان حمل الاسراف على الاستكثار مما لا ينبغي اولى من حمله على المنع مما يجوز وينبغي عن ابن عباس كل ما شئت والبس ما شئت ما اخطاءتك خصلتان سرف ومخيلة ويحكى ان الرشيد كان له طبيب نصراني حاذق فقال لعلي بن الحسين بن واقد صاحب المغازي ليس في كتابكم من علم الطب شيء والعلم علمان علم ابدان وعلم اديان فقال له قد جمع الله الطب كله في نصف آية من كتابه قال وما هي قال قوله وكلوا واشربوا ولا تسرفوا فقال النصراني ولا بعشر من رسولكم شيء في الطب فقال قد جمع رسولنا صلعم الطب في الفاظ يسيرة قال وما هي قال قوله المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء واعط كل بدن ما عودته فقال النصراني ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طبا قيل كانوا اذا حموا حموا الشاة وما يخرج منها من لحمها وشحمها ولبنها فانكر ذلك عليهم بقوله قل من حرم زينة الله قال ابن عباس واكثر المفسرين هي اللباس الساتر للعورة وقال اخرون انها يتناول جميع انواع الزينة من الملابس والمراكب والحلي وكذا كل ما يستطاب ويستلذ من المآكل والمشارب والنساء والطيب عن عثمان بن مظعون انه اتى رسول الله صلعم وقال غلبني حديث النفس عزمت على ان اختصي فقال مهلا يا عثمان فان خصاء امتي الصيام قال فان نفسي تحدثني بالترهب فقال ان ترهب امتي المعود في المساجد لانتظار الصلوات فقال يحدثني نفسي بالسياحة امتي الغزو والحج والعمرة فقال ان نفسي تحدثني ان اخرج مما املك فقال الا ولا ان تكفي نفسك وعيالك وان ترحم المسكين واليتيم وتقطيعا فضل من ذلك فقال نفسي تحدثني ان اطلق حولة فقال ان الحجة في امتي حجة فاحرم الله تعالى قال فان نفسي تحدثني ان لا اغشاها فقال ان المسلم اذا غشي اهله وما ملكت يمينه فان لم يصب وقعته تلك ولدا كان له وصيفا في الجنة وان كان له ولد مات قبله وبعد كان له قرطان من نور وفوج يوم القيمة وان مات قبل ان يبلغ الحنث كان له شفيعا ورحمة يوم القيمة قال فان نفسي تحدثني ان لا آكل اللحم قال مهلا فان جبريل يأتي بالطيب وقال لا تتركه يوم الجمعة ثم قال يا عثمان لا ترغب عن سنتي فانه من رغب عن سنتي مات ولو مات قبل ان تثوب ضوب الملائكة وجهه عن حوضي واعلم ان كل واقعة تقع اما ان لا يكون فيها نفع ولا ضرر او يتساوى ضررها ونفعها فوجب الحكم في القسمين ببقاء ما كان على ما كان وان كان النفع خالصا او كان تركه خالصا للنفع فيلتحق بالقسم المتقدم وان كان النفع راجحا والضرر مرجوحا قابل المثل بالمثل وبقي القدر الزايد نفعا خالصا وان كان الضرر راجحا بقي القدر الزايد ضررا خالصا وكان تركه نفعا خالصا فبهذا النظر تصادرت هذه الآية الدالة على الاحكام التي لا نهاية لها في الحلال والحرمة الا ان تجد نصا خاصا في الواقعة فتقضي به تقديما للخاص على العام قال نفاة القياس لو تعبدنا الله تعالى بالقياس لكان حكم ذلك القياس اما ان يكون موافقا لحكم هذا النص العام وحينئذ يكون ضايعا لان النص مستقل بره وان كان مخالفا كان ذلك القياس تخصيصا لعموم هذا النص فيكون مردودا لان العمل بالنص اولى من العمل بالقياس فاذن القرآن واف بجميع الاحكام الشرعية والله تعالى اعلم ثم بين ان الزينة والطيبات خلقت في الحياة الدنيا لاجل المؤمنين بالاصالة والكفرة بالتبعية كقوله ومن كفر فأمتعه قليلا واما في الآخرة فانها خالصة لهم فقال قل هي للذين امنوا في الحياة الدنيا خالصة من قرأ بالرفع فلانه خبر بعد قال ابو علي وعلى الجر للذين امنوا متعلق بمحذوف والتقدير هي خالصة الذين امنوا في الحياة يوم القيمة وعلى هذا يكون في الحياة الدنيا ظرفا للخالصة فيفهم من ذلك انها في غير يوم القيمة غير خالصة لهم بل يكون مشوبة بزمرة الكفار وعلى الاول يكون في الحياة ظرفا للمحذوف اي هي الذين امنوا غير خالصة في الحياة الدنيا وهي لهم خالصة يوم القيمة ومن قرأ بالنصب فعلى الحال وباقي القيود بينا كما ذكرنا تفصيل الآيات لقوم يعلمون اي لقوم يمكنهم النظر والاستدلال حتى يتوصلوا بها الى تحصيل العلوم النظرية ثم بين اصول الافعال المحرمة وحصرها في ستة انواع لان الحيوان اما على الفروج واشار اليها بقوله قل انما حرم ربي الفواحش ظاهرها وما بطن واما ان يكون على العقول وهي الخمر واليها الاشارة بقوله والاثم وقيل الفواحش الكبائر والاثم الصغائر وقيل الفواحش كل ما تزايد قبحه وتبالغ والاثم عام لكل ذنب كانه خصص ولا ثم عمم واما ان يكون الجناية على النفوس والاموال والاعراض واليها الاشارة بقوله والبغي بغير الحق ومعنى بغير الحق ان لا يقصدوا على ايذاء الناس بالفضل والقهر الا ان يكون لهم فيه حق فخرج عن ان يكون بغيا واما ان يكون الجناية على الاديان اما بالطعن في التوحيد واليه اشار بقوله وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا اي لا سلطانا حتى ينزل واما بالافتراء على الله وذلك قوله ان تقولوا على الله ما لا تعلمون فان قيل الفاحشة وغيرها هي التي نهى الله تعالى عنها فيصير تقدير الآية انما حرم ربي المحرمات وهذا كلام خال عن الفائدة فالجواب ان كون الفعل فاحشة عبارة عن اشتماله في ذاته على امور باعتبارها يجب النهي عنه فيزول الاشكال ثم سد باب التكاليف بالآجال المحدودة والانفاس المعدودة فقال لكل امة اجل عن ابن عباس والحسن مقاتل معناه انه تعالى اعلم كل امة ان كل من يتوسلها الى وقت معين لا يعدل بهم

قال ابن عباس

وجب هنا ان الفقر خالصا

الدنيا

قبل ذلك ولا يتوخر عنها والمقصود عند اهل مكة وقيل معناه ان اجل العمر لا يتقدم ولا يتاخر سواء الهالك والمقتول وقيل معناه ان اجل الامة لا يتقدم
ولا يتاخر وارد على القول الاول انه ليس لكل امة من الامم وقت معين لا يعدونه هم في نزول عذاب الاستيصال وعلى الثاني انه كان ينبغي ان يقال
ولكل انسان او احد اجل ويمكن ان يقال الامة هي الجماعة في كل زمان والمعلوم من حالها التفاوت في الاجال فزاد السؤال وليس المراد انه تعالى
لا يقدر على تبقيته ازيد من ذلك ولا انقص ولا يقدر على ان يميته الا في ذلك الوقت لان هذا يقتضي خروجه سبحانه وتعالى عن كونه
قادرا مختارا او صيرورته كالموجب لذاته على المراد انه تعالى اختار ان الامر يقع على هذا الوجه وانما ذكر الساعة لان هذا الجزء من الزمان اقل ما
يستعمل في تقليل الاوقات عرفا والساعة في اصطلاح اهل التنجيم جزء من اربعة وعشرين جزءا من يوم وليلته قيل ان عند حضور الاجل يمنع عقلا
وقوع ذلك الاجل في وقت المتقدم فما معنى قوله ولا يستقدمون واجيب بان معنى الاجل محمول على قرب حضور الاجل لقول العرب جاء الشتاء اذا قارب وقته
ومع مقاربة الاجل يصح التقدم على ذلك الوقت قارة والتاخر عنه اخرى لنا وبل قد انزلنا عليكم لباسا هو لباس الشريعة يواري سوآت الافعال القبيحة
في الظاهر وسوآت الصفات الذميمة والنقائص والحيوانية باداب الطريقة في الباطن وريشا زينة وجمالا في الظاهر ولباس التقوى وهو
هو لباس القلب والروح والسر والخفي فلباس القلب من التقوى هو الصدق في طلب المولى يتواري به سوآت الطمع في الدنيا وما فيها ولباس الروح من
التقوى هو محبة المولى فيتواري به سوآت التعلق بغير المولى ولباس السر من التقوى هو رؤية المولى يتواري بها رؤية غير المولى ولباس الخفي من
التقي بقاؤه بهو يته المولى فيواري بها هو يته غير المولى ذلك خير كان لباس البدن بالتقوى وهو الشريعة ولباس القلب بالتقوى هو الحقيقة ذلك
من ايات الله اي انزال الشريعة والحقيقة مما يدل على المولى لا يفتننكم الشيطان بالدنيا وما فيها ولما بعثه الهوى فيخرجكم عن جنة القرب في طلب
الحق كما اخرج ابويكم من الجنة وجواد الحق ينزع عنهما لباسهما من الشرع وذلك لنظرهما عن شجرة المحبة اليهما سوآتهما من مخالفة الخفي وما علما ان في
هذه الصفة ومن جملة سوآتهما كل كمال ونقصان كان مستورا فيهما فاراهما بعد تناول الشجرة انيريكم هو وقبيله يعني من الروحانيين الذين لا
صورة لهم في الظاهر فانهم يرون بنظر الملكوت الروحاني من الانسان بعض الافعال التي تتولد عن الاوصاف البشرية كما راى ابليس آدم وقالوا اتجعل
فيها من يفسد فيها من حيث لا ترونهم اي تما يرونكم من حيث البشرية التي منشاها الصفات الحيوانية فانكم محجوبون بهذه الصفات عن رؤيتهم
لا من حيث الروحانية التي هي منشا علوم الاسماء والمعرفة فانهم لا يرونكم في هذا المقام وانتم ترونهم بانظار الروحانية بل بالنور الذي جعلنا الشياطين اولياء
خلقنا مستعدين لنوليه امور اهل الغفلة والطبيعة واذا فعلوا فاحشة هي طلب الدنيا وجدنا ابائنا على محبة الدنيا وشهواتها
والله امرنا بطلب الكسب الحلال قل ان الله لا يامر بالفحشاء تما يامر بالكسب الحلال بقدر الحاجة الضرورية لقوام الفالب بالقوت واللباس ليقوم باداء حق
العبودية وذلك قوله قل امر ربي بالقسط كما بدأكم لطفا وتصيرا تعودون اليه فاهل اللطف يعودون اليه بالاخلاص والطاعة واهل القهر الذين
حقت عليهم الضلالة يعودون اليه جبرا واضطرارا فيجرون في النار على وجوههم خذوا زينتكم فزينة الظاهر التواضع والخضوع وزينة الباطن
الانكسار والخشوع وزينة نفوس العابدين اثار التجلي وزينة قلوب العارفين انوار الوجود فالعابد على الباب ببعث العبودية والعارف على
البساط لحكم الحرية وكلوا واشربوا في مقام العبد بكما قال ابيت عند ربي ويطعمني ويسقين ولا تسرفوا بالافراط فوق الحاجة الضرورية والتفريط في حفظ
القوة بحيث يضيع حقوق العبودية زينة الله فمن زين الابدان بالشرايع واثارها ومن النفوس بالاداب فلدنها ومن القلوب بالشواهد وانوارها
ومن الارواح بالمعارف واسرارها ومن الاسرار بالطوالع واثارها فمن تصدى لطلب هذه المقامات وهي مباحة له من غير تاخير وتقصير
وخطر ومنع والطيبات من الرزق طالما يكن مشوبا بالحظوظ النفسية فهذه الكرامات والمقامات لصفوة السادة في الدنيا مشوبة بشوائب الافات
النفسانية وكدورات الصفات الحيوانية خالصة يوم القيمة من هذه الافات والكدورات كما قال الذين امنوا ما في صدورهم من غل الفواحش ما يقطع
على العبد طريق الوصول الى الرب ففاحشة العوام ما ظهر منها ارتكاب المناهي وما بطن حظوظها بالبال وفاحشة الخواص ما ظهر منها تتبع الاهواء وما بطن
نصيب نفوسهم ولو ندرة وما بطن الصبر على المحبوب لو بلحظة وفاحشة الاخص ما ظهر منها ترك ادب من الاداب او التعلق بسبب من الاسباب وما بطن الركون
الى شيء من الدارين والالتفات الى غير الله من العالمين والاعراض عن الله ولو طرفة عين والبغي وهو جحد غير الله فانه وضع في غير موضعه وان يستغيثوا
بغير الله عالما بان فيه رخصة وحجة من الشريعة وان يقولوا بقضية النفس وهواها او بنظر العقل على الله ما لا يعلمون حقيقتها او تقولوا في معرفة الله وصفاته ما لا
السابقين بالسلم بعد قوله ولكل امة من السابقين الى الله واولي الجنة مضروبة في الازل وفيه وعد للاولياء واستمالة لقلوبهم ووعيد للاعداء وسياسة لنفوسهم
يا بني آدم اما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين
اي فرزندان آدم اگر آيند شما را رسولان از شما كه بيان كنند بر شما آيات مرا پس هر كه بپرهيزد و بسازد پس نيست ترسي بر ايشان و نه ايشان اندوهگين شوند و آنانكه
كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او
تكذيب كردند آيات ما را و سر كشي كردند ازان آنكسانند ياران آتش ايشان دران جاويدان پس كيست ستمكارتر از آنكه دروغ گفت بر خدا دروغي
كذب بآياته اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم قالوا اين ما كنتم تدعون
بتكذيب كردند آيات او را آنكسانند بهره ايشان از كتاب تا چون آيند ايشان فرستادگان ما كه ببميرانند ايشانرا گويند كجايند آنكه ميخوانديد

مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ
الجن والانس في النار كلما دخلت امة لعنت اختها حتى اذا ادارکوا فيها جميعا قالت اخريهم لاولیهم ربنا هؤلاء
اضلونا فاتهم عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون وقالت اولیهم لاخريهم فما كان لكم علينا
من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم ابواب ع
السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وكذلك نجزي المجرمين لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم
غواش وكذلك نجزي الظالمين والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها اولئك
اصحاب الجنة هم فيها خالدون ونزعنا ما في صدورهم من غل تجري من تحتهم الانهار وقالوا الحمد لله
الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها
بما كنتم تعملون القراءة حتى اذا ادارکوا كان يعقوب اذا وقف على اذا يبتدئ تدارکوا بالتاء سهل مجزة وكذلك تعالوا اذا قلتم وقالوا الخبر تا واقفا لكسائي
بخبر يدرکون في ثاقلتم اخريهم بالامالة الشديدة ابو بكر وحمزة وعلي وخلف وقراء ابو عمرو ابرهيم بن حماد اوليهم لا مالة اللطيفة اخريهم
بالامالة الشديدة وافق ورش من طريق البغدادي هبيرة بين الخاءين اخريهم بالامالة الشديدة فاتهم بفتح الهاء ورش بلين وكل كلما سقطت الياء لعلة
الاقول ومن يعلم لا يعلمون بتا الغيبة ابو بكر وحماد لا تفتح لهم بتاء التانيث التخفيف ابو عمرو قراء وحمزة وعلي وخلف بفتح التاء والتخفيف الباقون
بتاء التانيث والتشديد غواشي بالياء في الوقف يعقوب وكل كلما سقطت الياء لاجل التنوين او لاجتماع الساكنين وهو من هب سهل
من طريق ابن دريد ما كنا بغيرا والعطف ابن عامر الاخرون بالواو اورثتموها وبابه بادغام الثاني في التاء ابو عمرو حمزة وعلي وهشام الوقف
ايانی لان الفاء بعده لجواب الشرط كلام يحزنون النار خالدون بايانا تكذبون الكتب يتوفونهم لان ما بعده جواب اذا من دون الله كانوا فرنا
في النار اختها جميعا لما فلنا ان النار لا يعلمون يكسبون الخياط المجرمين غواش الظالمين ومهاد وجعل اولئك خبر الموصول واجرينا على
ان قوله لا نكلف نفسا الا وسعها معترضة اجنة خالدون الابتداء للعطف مع العارض هدانا الله لانقطاع النظم مع اتفاق المعنى بالحق لا
البداء بانها جرت بعد انتهاء الحمد والثناء على انها عطاء تعلمون التفسير لما بين احوال التكليف وان لكل احد اجلا معينا لا يتقدم ولا يتاخر
بين انهم بعد الموت ان كانوا قد قبلوا الشرائع الحقة فلا خوف عليهم ولا حزن وان كانوا تمردين وقعوا في اشد العذاب فقال يا بني آدم اما
يا تينكم واعرابه مثل ما مر في صورة البقرة فاما يا تينكم مني هدى والاصل محذوف اي من اتقى واصلح منكم وانما قال رسل منكم لان ذلك يكون
اقطع لعذرهم واقرب الى الفهم والانس ومعنى ايات احكامي وشرائعي الدالة على صحة المعاد ثم قطع شان الجاحدين بقوله فمن اظلم ممن افترى
على الله كذبا او كذب بآياته والاول لحكم بوجود لم يجد كاقوال اصناف المشركين وطوايف المبتدعة والثاني انكار حكم وجد من نبي او كتاب
ثم عن غائب امرهم فقال اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب قيل اي العذاب المعين من سواد الوجه وزرقة العين وقال الزجاج اي انواع البلايا
المعدة لكل صنف منهم من السلاسل والاغلال وغيرها على مقادير ذنوبهم وقيل هم اليهود والنصارى يجب علينا اذا كانوا في ذمتنا ان نتصفهم ولا
نتعدى عليهم وان نذب عنهم فذلك معنى النصيب وعن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير ان النصيب هو ما سبق لهم في حكم الله تعالى ومشيته
من الشقاوة والسعادة والختم على الكفر والشرك او على الايمان والتوحيد وقال الربيع وابن زيد يعني ما كتب لهم من الارزاق والاعمال والاعمار كائنة
سبحانه بين انهم وان بلغوا في الكفر ذلك المبلغ العظيم الا ان ذلك ليس بمانع من ان ينالهم ما قدر لهم من رزق وعمر تفضلا من الله تعالى لكي يصلحوا او يتوبوا
ويؤكد هذا التفسير قوله عقيب ذلك حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم وذلك ان حتى هي التي يبتدا بعدها الكلام وانما هنا جملة شرطية فدل
على ان مجيء الرسل المتوفين كالغاية لحصول ذلك النصيب يكون مقدما على حصول الوفاة وليس ذلك الا عمر او رزق ومحل يتوفونهم نصب على
الحال من الرسل قال ابن عباس هم ملك الموت واعوانه ياتهم يطالبون الكفار بهذه الاشياء عند الموت على سبيل الزجر والتوبيخ وقال الحسن و
الزجاج ان هذا يكون في الاخرة والرسل ملائكة العذاب يتوفون عدتهم عند حشرهم الى النار اي يستكملون عدتهم حتى لا يتخلف منهم احد في

الكشاف

الكتاب او وقف موصولة باين تخطئ المصحف قلت وانى راب النقل على العكس كما ذكرته فى المقدمة السابقة من مقدمات الكتاب معدا الايتين
الاخيرتين تهزوك تعبدونهم وتدعونهم فى الشدائد قالوا على سبيل الاعتراف والعود الى الاصنام اعتذارا اى غابوا وذهبوا ولم ينفعوهم وشهدوا
على انفسهم بالاعتراف او بشهادة الجوارح عند معاينة الموت انهم كانوا كافرين ثم شرح بقية احوال الكفار وذلك قوله قال اى الله وعز وقال
هو من كلام خازن النار وهذا مبنى على انه سبحانه لا يجوز ان يكلم الكفار وان كان كلام سخط ادخلوا فى امم قبل اى ادخلوا فى النار مع امم والا وان لا يلزم
الاقتران والمعية ادخلوا كائنين فى جملة امم تقدم زمانهم زمانكم فى النار وفيه دليل على ان اصحاب النار لا يدخلون النار دفعة واحدة ولكن
فيهم سابق ومسبوق كلما دخلت امة لعنت اختها فى الدين والعقيدة فالمشرك يلعن المشرك اليهودى اليهودى والنصرانى النصرانى وكذا المجوسى وسائر
اديان الضلالة تنزيها فلان بلعن غيرها او الى حتى اذا ادارکوا بمعنى تداعوا واجتمعوا فى النار وادرك بعضهم بعضا واستقر بعد قالت اخراهم دخولا فى
النار لاولاهم دخولا ابناءهم وسفلتهم لرؤسائهم وقادتهم والمعنيان متلازمان عندى لان المضل لا بد ان يكون مقلدا لمن قبله فى الضلال والمقلد
التابع والمتبوع فى ذلك متفقون وما فوقه مشكوك قال الله واخر ان النار لكل من القادة والاتباع ضعفا اى للقادة فيما قلدناهم واما الاتباع فلانهم عظموهم وقلدوهم
وجعلوا امرهم سهلا فهنا ان تضعيف العذاب الذى يختص الشخص بالم واجيب فى التفسير الكبير بان عذاب الكفار مؤبد فكل ما يحصل فانه يعتبر حصوله
الاخرى غير انهاية لها فهذا لا يختص بصنف من الكفار دون صنف ولا بشخص دون شخص فلا يبقى الا الكمى والصواب ان يقال معنى تضعيف عذاب
التابع والمتبوع ان ذلك العذاب زائد على مقدار ما يستحقه تلك العقوبة لو حصلت لا من حيث انه لا الاسم الظاهر يعود الضمير اليه على الغيبة ومن
قرأ على الخطاب فالمعنى لا تعلمون ايها الخاطبون ما لكل منكم من العذاب او لا تعلمون يا اهل الدنيا ما مقدار ذلك وقال اولاهم لاخراهم اذا قد
حكم الله بان لكل منا ضعفا فما كان اى فما ثبت لكم علينا من فضل لانكم مواخذون بالاتباع كما نحن مواخذون بالاستتباع فذوقوا العذاب
بما كنتم تكسبون يحتمل ان يكون من قول القادة وان يكون من قول الله تعالى فيهم قال فى التفسير الكبير قول القادة ليس لكم علينا فضل كذب لان
الرؤساء لهم عذاب الضلال وعذاب الاضلال والاتباع لهم عذاب الضلال والاتباع لهم عذاب الضلال فقط لكنه حكاية قول الكفار
يوم القيمة والكذب عليهم جائز عندنا كما قولهم والله ربنا ما كنا مشركين قلت ان سلمنا ان الكذب يجوز ان يصدر عنهم يوم القيمة الا ان هذا
الكلام لا يجوز ان يكون كاذبا لانهم بنوا كلامهم على حكم الله سبحانه بان لكل ضعفا ثم ذكر ما يدل على خلودهم فى النار فقال ان الذين كذبوا
بآياتنا وهى الدلائل الدالة على الذات والصفات والنبوات والمعاد واستكبروا عنها اى دفعوا عن قبولها لا تفتح لهم ابواب السماء قال ابن
عباس لا تفتح لاعمالهم ولا لدعائهم ولا لشئ مما يريدون به طاعة الله تعالى من قوله اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ومن
قوله ان كتاب الابرار لفى عليين وقال السدى وغيره لا تفتح لارواحهم ابواب السماء التى هى موضع بهجة الارواح واما كون سعادتها كما جاء
فى الحديث ان روح المؤمن يعرج بها الى السماء فيستفتح لها فيقال مرحبا بالنفس الطيبة التى كانت فى الجسد الطيب يقال لها ذلك حتى ينتهى
الى السماء السابعة ويستفتح لروح الكافر فيقال لها ارجعى مذمومة فانه لا تفتح لك ابواب السماء وقيل بناء على ان الجنة فى السماء معناه ولا يؤذن
لهم فى الصعود الى السماء ولا يطرق لهم اليها حتى يدخلوا الجنة وقيل اى لا ينزل عليهم البركة والخير من قوله تعالى ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر
ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط الولوج الدخول وسئل ابن مسعود عن الجمل فقال ذوج الناقة استيحاشا للسائل واشارة
الى ان طلب معنى اخر تكلف والسم بالحركات الثلثة وقد قرئ بها ثقب الابرة وكل ثقب فى البدن لطيف ومنه اسم الفائل لنفوذه بلطفه
فى مسام البدن حتى يصل الى القلب والخياط ما يخاط به قال الفراء خياط ومخيط كاز ور ومزر ولحاف وملحف وقناع ومقنع ولما كان جسم الجمل
اعظم الاجسام المشهودة عند العرب كما قال لا عيب بالقوم من طول ومن عظم جسم الجمال واحلام العصافير وكان سم الابرة مثلا فى ضيق
المسلك حتى قيل اضيق من خرت الابرة قالوا للدليل الماهر خربت لا هذا ثم فى المضايق المشبهة باخرات الابر وقف الله تعالى دخولهم الجنة
على حصول هذا الشرط المحال ليلزم باسهم من دخول الجنة قطعا فان الموقوف على المحال محال ومثله قول العرب لا افعل كذا حتى يشيب
الغراب ويبيض القار فرقها الجمل ودن القلل وكذا الجمل بودن الجمل وبمعناه لا تنة الفلس وانة الجمل مناسب للخيط الذى يسلك فى سم الابرة
والبعير لا يناسبه واهل التناسخ اولوا الايتين بان الارواح كانت فى الابدان البشرية لما عصت واذنبت فانها بعد موت الابدان ترد
من بدن الى بدن ولا تزال يبقى فى التعذيب حتى ينتقل من بدن الجمل الى بدن الذرة فينفذ فى سم الخياط وحينئذ يصير مطهرة من تلك
الذنوب فتدخل الجنة وتصل الى السعادة وكذلك ومثل ذلك الجزاء القطيع نجزى المجرمين قبلهم الكافرون المكذبون المستكبرون
المانعون كرهم وقبلهم يدخل فيه الفساق بشرط عدم التوبة عند المعتزلة وبشرط عدم العفو عند الاشاعرة ثم لما بين انهم لا يدخلون الجنة ذكر انهم

يدخلون النار فقال لهم من جهنم مهادا اى فراش ومن فوقهم غواش هى جمع غاشية وهى كل ما يغشاك اى يجللك والمراد الاخبار عن احاطة النار بهم من كل جانب فلهم منها غطاء ووطاء وفراش ولحاف والتنوين فى غواش مثلها فى جواريا عنى انها للتمكن عند بعض لا تر بعد حذف بانه لم يبق على دنة مساجد والعوض عند بعض اقاعن الياء اوعن اسكان الياء وكذلك نجزى الظالمين هم المشركون او الفسقة الذين ظلموا انفسهم ثم عقب الوعيد بالوعد فقال والذين امنوا وعملوا الصالحات الاية وقوله لا نكلف نفسا الا وسعها وقد مر تفسيره فى اخر سورة البقرة اعتراض بين المبتدا وخبره وليس باجنبى والا لم يحسن وفيه تنبيه المقصرين على ان الجنة مع عظم قدرها يحصل بالعمل السهل من غير مشقة وصعوبة فبعد لمن فاتته وسحقا ومن جعله خبرا فالعائد محذوف اى لا يكلف نفسا منهم ثم وصف اخلاق اهل الجنة فقال ونزعنا ما فى صدورهم من غل نزع الشئ قلعه من مكانه والغل الحقد والتركيب يدور على الاخفاء ومنه الغلول كما مر فى تفسير قوله وما كان لنبى ان يغل وللاية تفسيران الاول ازلنا الاحقاد التى كانت لبعضهم على بعض فى دار الدنيا بتصفية الطباع واسقاط الوسواس ومنعه من ان يرد على القلوب فان الشيطان مشغول بالعذاب فلا يتفرغ لالقاء الوسواس فلم يكن بينهم الا التواد والتعاطف عن على كرم الله وجهه انى لارجو ان اكون انا وعثمان والزبير منهم الثانى ان درجات اهل الجنة متفاوتة وتتفاوت بحسب الكمال والنقص فالله تعالى ازال الحسد عن قلوبهم حتى ان صاحب الدرجة الناقصة لا يحسد صاحب الدرجة الكاملة فيكون هذا فى مقابلة ما ذكره الله تعالى من تبرى بعض اهل النار من بعض ولعن بعضهم بعضا وليس هذا ببدع فمن حال اهل الجنة فان اولياء الله تعالى فى دار الدنيا ايضا بهذه المثابة بحسن توفيق الله تعالى ونور عنايته وهذا شئ كل منكم قادر فيه بما حصل له من نعيم الدنيا وطيباتها لا يميل طبعه الى زوجه وكل هذا ينبغى ملكة الرضا بالقضاء والتسليم لامر رب الارض والسماء فيهونون كذلك ويجزون على ذلك وفقنا الله لنيل هذا المقام بمنه وكرمه اولئك الكرام تجرى من تحتهم الانهار وهذه من جملة اسباب التنزه والتزين اجرى على ظاهره ومن جملة السعادات التى وقعنا ان اريد بها انواع المكاشفات واصناف التجليات وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا النعيم والفوز العظيم المفهم والفوز العظيم بان يسر الاسباب وخلق الدواعى ومنع الصوارف او بان اعطى العقل ونصب الادلة وازاح العلة فما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله من قرا بواو العطف فظاهر ومن حذف الواو فلانها جملة بقرب معناها من معنى الاولى وكانها بفسرها فلا حاجة الى العطف المؤذن بالتغاير ثم حكى عنهم سبب الاهتداء وذلك قوله لقد جاءت رسل ربنا بالحق فجعله واسطة هداينا ولطفا وتنبيها يقولون ذلك فيما بينهم سرورا واغتباطا بما نالوا وتلذذا بالتكلم به لا تفكرا وتعبدا فان الجنة ليست دار التكليف ونودوا ان تلكم الجنة والضمير للشان والحديث ويجوز ان يكون التقييد للتعظيم ومعنى اورثتموها صارت اليكم ميراثا كما يصير الميراث الى اهله قد يستعمل الارث والاباء دون زوال الملك عن الميت الى الحى كما بقى هذا الفعل بورثك الشرف والعار وقيل اعطوا تلك المنازل من غير تعب فى الحال فضاهى بها الميراث وقيل ان اهل الجنة يرثون منازل اهل النار لما روى ان رسول الله صلى الله عليه واله قال ليس من مومن ولا كافر الا له فى الجنة والنار منزل فاذا دخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار نعت الجنة لاهل النار فنظروا الى منازلهم فيها فقيل لهم هذه منازلكم لو عملتم بطاعة الله تعالى بقيت لكم واهل الجنة ورثوهم بما كنتم تعملون فيقسم بين اهل الجنة منازلهم قالت المعتزلة قوله بما كنتم تعملون يدل على ان الموجب للجزاء هو العمل لا التفضل وقال غيرهم لما كان الموفق للعمل الصالح هو الله تعالى كان دخول الجنة بفضله وجعل العمل امارة على ذلك والمنادى هو الله جل وعلا او الملك الموكل بذلك والله تعالى اعلم التاويل يا بنى ادم اما ياتينكم رسل منكم الطامات من انفسكم من طريق قلوبكم واسراركم وفيه ان بنى ادم كلهم مستعدون لاشارات الحق والطامات افترى على الله كذبا بان يقول اكرمتك بالكرامات والمقامات اوكذب بمقامات اعطاها بعض اوليائه اولئك ينالهم نصيبهم من الشقاء الذى كتب لهم حتى اذا جاءتهم رسل الطامات الاطيفة والواردات الربانية بعد ان كان هائما فى تيه البشرية يتوفونهم بجذبات الالطاف الالطية عن الاوصاف البشرية قالوا اينما كنتم تدعون من دون الله من الدنيا وشهواتها وشهدوا انها وشهدوا هو لاء المجربون المحرومون انهم كانوا سائرين الحق بالباطل فهذا هم الله تعالى قال لاهل الحذلان ادخلوا فى امم قد خلت من قبلكم من الجن والانس وقدم الجن لان الله تعالى خلق اولا بنى الجان منهم مومن ومنهم كافر فلما استولى اهل الكفر منهم بعث اليهم جندا من الملائكة وقبيل ربنسهم ابليس فاستاصلوهم ثم خلق ادم وذريته منهم مومن ومنهم كافر كلما دخلت امة فى اعمال اهل النار لعنت اختها المتقدمة فى تلك الاعمال لانهم سبقوها حتى اذا تدارك الكل فى الاعمال الموجبة النار عذابا ضعفا لان من سن سنة فلذريها ووزر من عمل بها الكل ضعف لان المتاخر ايضا متقدم الذى يتلوه وبسنن بسنته ولكن لا يعلمون انكم متقدمون لمتاخريكم فما كان لكم علينا من فضله لانكم سننتم لمتاخريكم كما سننا لكم لا تفتح لهم ابواب سماء القلوب بل الحضرة ولا يدخلون جنة القربة والوصلة حتى يدخل جمل النفس المتكبرة فى سم خياط احكام الشريعة واداب الطريقة وحتى تصير بالتربية فى ازالة الصفات الذميمة وقطع تعلقات ما سوى الله تعالى قدر الف قرية فى سم خياط الفناء فيدخل جنة البقاء وكذلك نجزى المجرمين الذين صانت انفسهم فى جملة الاولى كما جعل لهم من جهنم المجاهدة والرياضة فراش ومن فوقهم من مخالفات النفس وقمع الهوى لحاف فمذهبهم وتحرى انانيتهم لا نكلف نفسا الا وسعها فرع عن ظاهرهم وباطنهم كلفة الايمان والعمل حتى تيسر عليهم العبودية بحسن التوفيق ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم

فَاَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ اَنْ لَعْنَةُ اللّٰهِ عَلَى الظّٰلِمِيْنَ الَّذِيْنَ يَصُدُّوْنَ عَنْ سَبِيْلِ اللّٰهِ وَيَبْغُوْنَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْاٰخِرَةِ كٰفِرُوْنَ
پس صدا در دهد گوینده در میان ایشان که لعنت خدا بر ستمکاران آنان که باز دارند از راه خدا و بجویند راه را کج و ایشان به آن کافرانند

وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْاَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُوْنَ كُلًّا بِسِيْمٰهُمْ وَنَادَوْا اَصْحٰبَ الْجَنَّةِ اَنْ سَلٰمٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوْهَا
و در میان ایشان پرده بهشت و بر اعراف مردانی که میشناسند هر گروه را بر نشان و آواز دهند یاران بهشت را که درود بادبر شما نرفته باشند بآنجا

وَهُمْ يَطْمَعُوْنَ وَاِذَا صُرِفَتْ اَبْصَارُهُمْ تِلْقَآءَ اَصْحٰبِ النَّارِ قَالُوْا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظّٰلِمِيْنَ وَ
و ایشان طمع دارند و چون برگردد دیده ایشان بجانب یاران آتش گویند که پروردگارا مگردان ما را با گروه ستمکاران

نَادٰٓى اَصْحٰبُ الْاَعْرَافِ رِجَالًا يَّعْرِفُوْنَهُمْ بِسِيْمٰهُمْ قَالُوْا مَآ اَغْنٰى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُوْنَ اَهٰٓؤُلَآءِ الَّذِيْنَ
صدا زنند یاران اعراف مردانی را که میشناسند بنشان ایشان گویند که نبینیم از شما جمعیت شما و نچه بودید بدان گردنکشی میکردید آیا اینانند آنان

اَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللّٰهُ بِرَحْمَةٍ اُدْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ اَنْتُمْ تَحْزَنُوْنَ وَنَادٰٓى اَصْحٰبُ النَّارِ اَصْحٰبَ
که سوگند یاد کردید که نرسد بایشان رحمت خدا در آیید در بهشت ترسی نیست بر شما و نه شما اندوهناک شوید و گویند یاران آتش

الْجَنَّةِ اَنْ اَفِيْضُوْا عَلَيْنَا مِنَ الْمَآءِ اَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّٰهُ قَالُوْٓا اِنَّ اللّٰهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكٰفِرِيْنَ الَّذِيْنَ اتَّخَذُوْا دِيْنَهُمْ
بهشتیان که بریزید بر ما از آب یا از آنچه روزی کرد شما را خدا گویند که بدرستی که خدا حرام کرد اینها را بر کافران آنان که فرا گرفتند دین خود را

لَهْوًا وَّلَعِبًا وَّغَرَّتْهُمُ الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنْسٰىهُمْ كَمَا نَسُوْا لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هٰذَا وَمَا كَانُوْا بِاٰيٰتِنَا يَجْحَدُوْنَ
لغو و بازیچه و فریبنده ایشان را زندگانی دنیا پس امروز فراموش کنیم ایشان را چنانکه فراموش کردند دیدار چنین روز را و بآنچه که بودند که بآیات ما انکار میکردند

وَلَقَدْ جِئْنٰهُمْ بِكِتٰبٍ فَصَّلْنٰهُ عَلٰى عِلْمٍ هُدًى وَّرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُّؤْمِنُوْنَ هَلْ يَنْظُرُوْنَ اِلَّا تَاْوِيْلَهٗ
و هر آینه آوردیم ایشان را کتابی که ظاهر کردیم آنرا بر دانش خود در حالتی که هدایت و رحمت است برای گروهیکه گروند نیست چشم ندارند مگر تأویل آنرا

يَوْمَ يَاْتِيْ تَاْوِيْلُهٗ يَقُوْلُ الَّذِيْنَ نَسُوْهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَّنَا مِنْ شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوْا
روزیکه بیاید تأویل او گویند آنها که فراموش کردند آنرا از پیش بتحقیق آوردند پیغمبران پروردگار ما براستی پس آیا برای ما هست از دستگیران پس شفاعت کنند

لَنَآ اَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِيْ كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوْٓا اَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَّا كَانُوْا يَفْتَرُوْنَ اِنَّ رَبَّكُمُ
از برای ما یا برگردیم پس بجای ایم غیر آنچه را که بودیم میکردیم هر آینه زیان کردند نفسهای خود را و رفت از ایشان آنچه بودند که افترا میکردند

قراءة نعم للقسم

بكسر العين بيت كان على الباقون بالفتح موذن بغير الف الجارى عن ورش بن يد والشموني وحمزة في الوقف ان مخففة لعنة الله بالرفع عاصم وابو عمرو وابو جعفر ونافع وسهل ويعقوب وابن مجاهد وابو عون عن قنبل الباقون مشددة وبالنصب لوقوف حفص لانتهاء الاستفهام نعم للقسم مع الابتداء بالنافين على التعظيم الظالمين لان الذين صفتهم عوجا لاحتمال الواو الاستيناف والحال كافرون لان ما بعده لم يدخل في التأذين ولم يجز ان يكون حالا لانتهاء حال القسمين وانفاق الجملتين بسيماهم يطمعون اصحاب النار لان بعده جواب فالظالمين يستكبرون برحمة لانتهاء الاستفهام والاقسام يحزنون رزقكم الله الكافرين الحيوة الدنيا للابتداء مع فاء التعقيب هذا وما مصدرية كافي كما نسوا والتقدير بتنساهم نسيانهم وجحودهم يجحدون يؤمنون الا تاويله بالحق لابتداء الاستفهام مع الفاء للتعقيب كما تعمل يفترون التفسير لما شرح وعيد الكفار وثواب الابرار اتبع المناظرات الى التدوير بين الفريقين حقال ونادى وانما ذكره بلفظ الماضي لان المستقبل الذي يجزم الله تعم عنه موجب لتحقق وقوعه كالماضي والظاهر ان هذا النداء انما يكون بعد الاستقرار في الجنة لانه ورد بعد قوله ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها قبل الجنة في اعلى السموات والنار في اسفل الارض ومع هذا البعد الشديد كيف يصح هذا النداء واجيب بان البعد الشديد والقرب القريب عندنا ليس من موانع الادراك ولو سلم المنع في الشاهد فلم نسلم في الغائب وهذا النداء يقع من كل اهل الجنة لكل اهل النار لان اصحاب الجنة واصحاب النار يفيد العموم لكن الجمع اذا قرن بالجمع يوزع الفرد على الفرد فكل فريق من اهل الجنة ينادي من كان بعرفه من الكفار وان في ان وجدنا مخففة من الثقيلة كما مر في قوله ان تلكم الجنة وكذا قوله ان لعنة الله لان النداء والتاذين في معنى القول قال ابن عباس وجدنا ما وعدنا ربنا من الثواب حقا صحيحا مطابقا للواقع فهل وجدتم ما وعد ربكم من العقاب حقا والغرض من هذا الاستفهام اظهار البشاشة والانبساط وايقاع الحزن في قلب العدو وفي هذه الحكاية لطف للمؤمنين وترغيب كما في سائر الاخبار وانما حذف المفعول في وعد ربكم لدلالة المفعول في وعدنا عليه ولان كونهم مخبرين من قبل الله تعم بهذا الوعد يوجب مزيد التشريف وانه لا يليق الا بحال المؤمنين ويحتمل ان يكون الاطلاق ليتناول كل ما وعد الله من البعث والحساب والثواب والعقاب سائر احوال القيمة قالوا نعم قال مبتوعم عدة وتصديق اى يستعمل نارة تصديقا فاذا قال قد كان كذا وكذا فقلت نعم فقد صدقت والحاصل ان نعم للتصديق في الخبر والتحقيق في الاستفهام مثبتين كانا او منفيين ولو قيل قام زيد او ما قام زيد فيقول نعم كان معناه نعم قام زيد او لم يقم زيد فقلت نعم كان المعنى ما قام زيد مصدقا او محققا ومن ثم قال ابن العباس لو قالوا في جواب الست بربكم نعم لكان كفرا هذا من حيث اللغة وقد يكون العرف على خلاف ذلك كقول الفقهاء لو قيل ليس لي عليك دين فقلت نعم لزمتك لان دين بناء على العرف الطارئ

بعد الوضع وكانه بكسر العين من نعم وروى عن عمر انه سئل قوما عن شئ فقالوا نعم فقال عمر اها النعم فالابل قولوا نعم وانكر هذه اللغة وانما ابو عبيدة قال
مؤذن قال ابن عباس هو الملك صاحب صور بامر الله ينادي فلا يسمع اهل الجنة واهل النار ومعنى الناذين بالنداء والتصويب للاعلام بالمتلوة
وبوقتها والظالمون الا بنفسهم بالكافر والفاسق والظاهر انهم الكفار لان الصد عن سبيل الله اى عن قبول الدين الحق بالقهر وبالجملة
الفاظ الشكوك والشبهات في الدلائل وهو المراد بقوله ويبغونها عوجا وقد مر في ال عمران والكفر بالاخرة كلها من اوصاف الكفر وانما قدم
بالاخرة تقبيحا لفواصل الاى ولمزيد لفظهم هنا على القياس وفي سورة هود فلما تقدم هؤلاء الذين كذبوا على ربهم قال الا لعنة الله
على الظالمين ولم يقل عليهم والقياس ذلك لتجسيم انهم هم اما غيرهم فكرر ليعلم انهم هم المذكورون لا غيرهم ثم وصف اهل الجنة والنار فقال
وبينهما يعني بين الجنة والنار او بين الفريقين حجاب هو السور المذكور في قوله سبحانه فضرب بينهم بسور له باب قيل اى حاجز الى ضرب هذا السور
والجنة فوق السموات والجحيم في اسفل سافلين واجيب بان احدهما عن الاخر لا يمنع ان يكون بينهما سور وحجاب والاعراف لغة جمع عرف بالضم وهو
الرمل المرتفع ومنه عرف الفرس وعرف الديك وكل مرتفع من الارض عرف لانه يسهل ارتقاءه بصعوبة عرف مما انخفض منه والاعراف في الاية بقرينة المكان
قارة وبغيرها اخرى اما الذين فسروه بالمكان وهم الاكثرون فقالوا ان الاعراف اعلى حالي السور المضروب بين الجنة والنار وروى عن ابن عباس
وعنه ايضا ان الاعراف شرف الصراط وعلى هذا التفسير قالوا ان الذين هم على الاعراف من هم فيه قولان احدهما انهم اقوام يكونون في الدرجة العليا
من الثواب ثانيهما انهم في الدرجة الثانية وعلى الاول فيه وجوه وقال ابو مجلد هم ملئكة يعرفون اهل الجنة واهل النار فقيل له بقول الله تعالى
وعلى الاعراف رجال وانت تقول انهم ملئكة فقال الملئكة ذكور لا اناث ويرد عليه ان الرجل انما يطلق على من يصلح ان يكون من نوعه انثى بل
يطلق على الذكر من بني ادم وقيل انهم الانبياء عليهم السلام اجلسهم الله تعالى على ذلك المكان العالي اظهارا لشرفهم وليكونوا مشرفين على الفريقين
مطلعين على احوالهم ومقادير ثوابهم وعقابهم وقيل انهم الشهداء وعلى القول الثاني وقيل انهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم وقفهم الله على
هذه الاعراف لانها درجة متوسطة بين الجنة والنار ثم يقول عاقبة امرهم الى الجنة برحمة من الله وفضل قال احمد بن حنبل وابن مسعود واختاره الفراء
وخصه بعضهم فقال هم قوم خرجوا الى الغزو بغير اذن امامهم فاستشهدوا فاستاوت معصيتهم طاعتهم وهذا التخصيص ضعيف وقال عبد الله بن
الحرث انهم مساكين اهل الجنة وقال قوم هم الفساق من اهل الصلوة يعفو الله عنهم ويسكنهم الاعراف واما الذين فسروه بغير المكان وهو قول
الحسن والزجاج فقد قالوا ان المعنى وعلى معرفة اهل الجنة واهل النار رجال يميزون البعض من البعض اما بالاعلام او بتعريف الملائكة قال الحسن والله لا
ادري اول بعضهم الامعناه وعلى جميع التقاسير فهم يعرفون اهل الجنة واهل النار قال قوم يعرفون اهل الجنة بكون وجوههم ضاحكة
مستبشرة وبصفة واهل النار بسواد وجوههم وزرقة عيونهم وزيف بان هذا النوع من المعرفة عام لاهل المحشر فلا وجه لتخصيص اصحاب الاعراف
بذلك ويمكن ان يقال ان معرفتهم لكونهم على اعلى كثير لم ترتفع امنين وقال المحققون انهم كانوا يعرفون اهل الجنة بالايمان والصلوة واهل النار بالكفر
والافساد وهم كانوا في الدنيا شهداء الله على اهل الايمان والطاعة وعلى اهل الكفر والمعصية فهو تعالى يجليهم على الاعراف ليكونوا مطلعين على الكل
يشهدون على كل احد بما يليق به ثم قال ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم اى انهم اذا نظروا الى الجنة سلموا على اهلها ثم اخبر عن سبيل الاستيناف
ان اهل الاعراف لم يدخلوا الجنة وهم يطمعون كان سائل سئل عن حالهم او على نصف اخر لرجال فان قلنا ان اصحاب الاعراف هم الاشراف فيكون الله تعالى
اخر دخالهم الجنة ليطلعوا على احوال الجنة والنار ثم انه تعالى ينقلهم الى الدرجات العلى في الجنة كما روى عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال ان اهل
الدرجات العلى يراهم من تحتهم كما ترون الكوكب الدري في وسط السماء وان ابا بكر وعمر منهم ومعنى يطمعون على هذا يتفضلون كقول ابرهيم والذي
اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين ولا يخفى ما في هذا الكلام من حسن الادب فان قلنا اصحاب الاعراف هم الاوساط فلا اشكال لانهم يطمعون من فضل
الله واحسانه ان ينقلهم من ذلك الموضع الى الجنة واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار قال الواحدي التلقاء جهة اللقاء وهي جهة المقابلة
وهو في الاصل مصدر استعمل ظرفا وله باب من المصادر على تفعال بالكسر الا حرفان تبيان وتلقاء وانث في الاسم كثير كتمثال وتفصال والمعنى انه كلما
وقعت ابصار اصحاب الاعراف على اهل النار تضرعوا الى الله تعالى انه لا يجعلهم من زمرتهم وبناء الفعل للمفعول وان لم يقل واذا ابصروا فائدته هي
ان صان ابصارهم لنظرها فيستعيذ واو يتجوا ثم بين ان اصحاب الاعراف يادون رجالا من اكابر اهل النار واستغنى عن التصريح بهم بوصفهم
بما لا يليق الا بهم فقال ونادى اصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما اغنى عنكم جمعكم المال او كثرتكم واجتماعكم وما كنتم تستكبرون
عن الحق وعلى الناس وفيه تبكيت للمخاطبين وشماتة بهم ثم زادوا في التبكيت مشيرين الى فريق من اهل الجنة كانوا يستضعفونهم ويستقلون احوالهم
وربما استهزءوا بهم وانفوا من مشاركتهم في دينهم لفقر حظوظهم من الدنيا فقالوا اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة اتا قوله ادخلوا
الجنة الى اخره لا يخلو اما ان يكون من قول الله تعالى لاصحاب الاعراف او من قول الملئكة لهم بامره او من قول بعضهم لبعض وذلك بعد ان يجلسوا ويجسوا
يقولوا قال المفسرون الرجال هنا الوليد بن المغيرة وابو جهل بن هشام والعاص بن وائل السهمي ونظراؤهم وكانوا يقولون ان بلالا وسلمان
وعمارا وصهيبا لم يدخلهم الله الجنة ويدخلنا النار كلا والله ان الله لا يفضل علينا احدا منا ودعانا اقسموا ان لا يجتهم بفضل دونهم فنادا هم
اصحاب الاعراف ثم خص المناظرين بقوله ونادى اصحاب النار فقال ابن عباس لما صار اصحاب الاعراف الى الجنة طمع اهل النار ان يفرج بعد اليأس

ففالوا ربنا ان لنا قرابات من اهل الجنة فاذن لنا حتى نزورهم ونكلمهم فامر الله بالجنة فزخرفت ثم نظر اهل جهنم الى قراباتهم في الجنة وما هم فيه من النعيم فعرفوهم فنظر اهل الجنة الى قرابتهم من اهل جهنم فلم يعرفوهم قد اسودت وجوههم وصاروا حلفا فنودي اصحاب النار اصحاب الجنة باسمائهم وقالوا ان افيضوا علينا من الماء طلبوا الماء او لا لما في بواطنهم من الاحتراق الشديد وان الافاضة نوع دلالة على ان اهل الجنة اعلى مكانا من اهل النار قال بعض العلماء انهم سئلوا ذلك مع جوان الحصول وقال اخرون بل مع اليأس لانهم عرفوا دوام عقابهم ولكن الابس من الشيء قد يطلبه كما يقال في المثل الغريق يتعلق بالزبد وان علم انه لا يغنيه قوله او مما رزقكم الله قيل اي سائر الاشربة لدخوله في حكم الافاضة وقيل اي من الثمار او الطعام والمراد والقوا علينا من الطعام والفاكهة كقوله علفتها تبنا وماء باردا فيكون في الابرد دليل على نهاية عطشهم وشدة حرهم ثم كان لسائل ان يسئل فيما اجابهم اهل الجنة فقيل قالوا ان الله حرمها على الكافرين اي منعهم شراب الجنة وطعامها كما تمنع المكلف ما حرم عليه وهذه نهاية الحسرة والخيبة اعاذنا الله منها ثم وصف هؤلاء الكافرين بانهم الذين اتخذوا دينهم لعبا وغرتهم الحيوة وقد مر تفسيرها وصفتها في اوسط سورة الانعام وقال ابن عباس يريد المستهزئين من المقتسمين وجملة الامر ان الانسان يطمع في طول العمر وحسن العيش وكثرة المال وقوة الجاه فلشدة رغبته في هذه الاشياء يصير محجوبا عن طلب الدين عريقا في حب الدنيا ومشتهياتها ثم ذكر جزاءهم يوم القيمة على سبيل الحكاية فقال فاليوم ننساهم اي نتركهم في عذابهم كما تركوا العمل للقاء يومهم هذا قال الحسن مجاهد والسدي والاكثرون قبل اي نعاملهم معاملة من ينسى يتركهم في النار كما فعلوهم في الاعراض عن ايماننا فسمي جزاء النسيان نسيانا كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها والحاصل انه لا يجيب دعائهم ولا يرحم ضعفهم وذلهم عن ابي الدرداء ان الله تعالى يرسل على اهل النار الجوع حتى يعدل عذابهم فيستغيثون فيغاثون بالضريع الذي لا يسمن ولا يغني من جوع ثم يستغيثون فيغاثون بطعام ذي غصة ثم يذكرون الشراب فيستغيثون الى اهل الجنة كما في هذه الاية فيقول اهل الجنة ان الله حرمهما على الكافرين ويقولون لمالك ليقض علينا ربك فيجيبهم على ما قيل بعد الف عام انكم ماكثون ويقولون ربنا اخرجنا منها فيجيبهم اخسؤا فيها ولا تكلمون فعند ذلك يئسون من كل خير ويأخذون في زفير وشهيق وعن ابن عباس في صفة اهل الجنة انهم يرون الله عز وجل في كل جمعة ويمنح كل واحد منهم الف باب فلا يرد الله تعالى يدخل من كل باب ملك معهم الهدايا الشريفة وقال ان نخل الجنة خشبها الزمرد وقوائمها الذهب الاحمر وسعفها حلل وكسوة لاهل الجنة وثمرتها امثال القلال اشد بياضا من الفضة والين من الزبد واحلى من العسل لا عجم فيها فهذه صفة الفريقين من القرآن والحديث فنا هب لا يتمالك شئ والله الموفق ولما شرح الله تعالى احوال الطائفتين والمناظرات الجارية بينهم لتكون حاملا للمكلف على الحذر من مواجب النار وعلى الرغبة في مستتبعات الجنة بين شرف هذا الكتاب الكريم وغاية منافعه الجليلة فقال جئناهم بكتاب فصلناه ميزنا بعضه عن بعض تمييز اهدى الى الرشاد ونوع من الغلط والفساد وانما فعلنا ذلك لا كيف تفق بل على علم منا في كل فصل من تلك الفصول من الفوائد الكثيرة والمنافع العزيزة حتى جاء بريا من كل خلل وقدح ومعجزا باقيا على وجه الدهر وقوله هدى ورحمة حالان من منصوب فصلناه كما ان على علم حال مرفوعه ويحتمل ان يكونا مفعولا لهما لقوم يؤمنون لان فائدته ترتبوا اليهم ثم لما بين ان اخذ العلم بسبب انزال هذا الكتاب المفصل الموجب للهداية والرحمة بين بعده حال من كذب فقال هل ينظرون الا تأويله والنظر ههنا بمعنى الانتظار والتوقع وكيف ينتظرون مع جحدهم وانكارهم الجواب لعل بعضهم افواما اشكلوا وتوقفوا لهذا السبب انتظروه وايضا انهم كانوا جاحدين الا انهم بمنزلة المنتظرين من حيث ان تلك الاحوال تأتيهم لا محالة قال الفراء الضمير في تأويله للكتاب اي لا عاقبة امره وما يؤول اليه من بيان صدقه وظهور صحة ما نطق به من الوعد والوعيد او ما قد وعد وابد على السنة الرسل من الثواب والعقاب التأويل مرجع الشيء ومصيره من قولهم ال الشيء يؤول هو ما في يريد يوم القيمة وانتصابه على الظرف بقول ومعنى نسوه تركوا العمل به والايمان او انهم صاروا في الاعراض عنه بمنزلة من نسيه قد جاءت رسل ربنا بالحق اي ملتبسين بما هو الحق والباء للتعدية والمراد اعترافهم بثبوت الحشر واحوال القيمة وهو الحق اذا عاينوها هل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا منصوب باضمار ان بعد الفاء والتقدير هل يثبت لنا شفيع فيشفع او هل نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل فوحد الله تعالى وتبرأ عن الشرك وقطع بدلا عن المعصية وفيه دليل على ان اهل الاخرة لا تكليف لهم خلافا للنجار ومن يتبعه والا لما سئلوا الرد الى دار التكليف ولم يقنطوا بل كانوا يتوبون في الحال ثم يحكم بان ذلك لم يفدهم شيئا وان مطلوبهم لا يكون البتة قال قد خسروا انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون اي لا ينتفعون بالاصنام التي عبدوها في الدنيا وليس تفيدهم نصرة الاوثان وان بالغوا في نصرها التأويل نادى اهل الجنة اهل القطيعة ان قد وجدنا ربنا حقا يعني قوله الا من طلبني وجدني فهل وجدتم ما وعده ربكم حقا وهو قوله ومن طلب غير ربكم لم يجده فاذن مؤذن العزة والعظمة على الظالمين الذين منعوا استعداد الطالبين غير موضع مطلوبه الذين يصدون القلب والروح عن سبيل الله وطلبه ويطلبون صرف وجوههم الى الدنيا وما فيها وما بينهما حجاب من الاوصاف البشرية والاخلاق الذميمة النفسانية فلا يرى اهل النار اهل الجنة وبين اهل الله وهم اصحاب الاعراف حجاب من الاوصاف الخاصية والاخلاق الحميدة الروحانية وسميت اعرافا لانها موطن اهل المعرفة وسموا رجالا لانهم بالربوبية يتصرفون فيما سوى الله تصرف الرجال في النساء ولا يتصرف فيهم شيء منه فالاعراف مرتبة فوق الجنان في خطائر القدس عند الرحمن يعرفون كلا من اهل الجنة واهل النار بسيماهم من انار نور القلب في ظلمة ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم يعني هنيئا لكم ما انتم فيه من

الجنة واهلها

النعيم والحور والقصور ثم اخبر عنهم اهل الاعراف فقال لم يدخلوها اى الجنة ونعيمها ولم يلتفتوا الى غيرها وهم يطمعون فى الوصول الى الحق
سبحانه وتعالى ثم عرف ابصارهم بقاء اصحاب النار ابتداء ليعرفوا انه تعالى من يدرك خلصهم وباقى كوانه خصصهم ومن هذا القبيل يكون ما ينسخ لان ربنا
الكلام من الخواطر النفسانية يعرفونهم بسماهم يعنى اهل الجنة واهل النار نادى اغنى عنكم جمعكم يا اهل الجنة واهل الله من الطاعات وباهل
النار من الدنيا والشهوات وما كنتم تستكبرون عن السعى فى تحقيق لا اله الا الله انهؤلاء الذين اقسمتم يعنى ان من المؤمنين والعلماء بعلم الظاهر
فى بعض الاوقات من يقول الدنيا جنة لاهل الجنة والمعرفة لا يناله الا برحمة الله برحمة الوصول ادخلوا الجنة يعنى الجنة المضافة اليه فى قوله ادخلى جنتى
فى خطاب القدس وعالم الجبروت لا خوف عليكم من الخروج ولا انتم تحزنون على ما فاتكم من نعيم الجنة اذ فزتم بشهود جمالنا واعلم ان الله
خاطر القدس وسرادق العزة انقطع عنهم نظرهم ونظر الملائكة المقربين فافهم يحكى عن بابا جعفر الابهرى انه دخل على بابا طاهر الهمدانى فقال ايش
كنت فانى حضرت البارحة مع الحواص على باب الله فما رأيتك ثم فقال يا باطاهر صدقت كنت على الباب مع الحواص وكنت داخلا مع الاخص فما رأيتنى
افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله قالوا ان الله حرمهما على الكافرين وفى الحقيقة انما حرمها عليهم فى الازل فلم يوفقوا لمعاملة
لولية الفردوس كان اشتغالهم فى الجنة بشهوات النفس والمضايقة فقالوا ان الله حرمهما على الكافرين وفى الحقيقة انما حرمها عليهم فى الازل فلم يوفقوا لمعاملة
توريث الجنة هل ينظرون الا تاويله يوم يأتى تاويله عاقبته فى شانهم فللمؤمنين كشف لحظوا واهل الجحود القهر والاقصاء وعذاب النار واعاذنا الله تعالى منه

إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوٰى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ يَطْلُبُهُ
حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا
وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ
مِنَ الْمُحْسِنِينَ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ
لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ
وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ

القراءة بشرا بالتشديد حيث كان حمزة وعلى وخلف وسهل ويعقوب غير روح والشمس والقمر والنجوم مسخرات كلها بالرفع ابن عامر الاخرون بالنصب
الرفع على التوحيد ابن كثير وحمزة وعلى وخلف نشرا بالنون وسكون الشين حمزة وعلى وخلف ابون بدل عن المفصل وبضم الباء الموحدة والشين الساكنة
عاصم غير الجعفى وابن بدل الباقون بفتح النون والشين ميتا بالتشديد ابو جعفر ونافع وحمزة وعلى وخلف وحفص والمفصل نكدا بفتح الكاف بن بدل الاخرون
بكسرها الوقوف حثيثا ثم قرا والشمس وما بعده مرفوعات بامره والامر العالمين وخفية العتدين للعطف مع الابتداء وطمعا المحسنين وحمة الثمرات تذكرون
باذن ربه للابتداء مع العطف نكدا يشكرون التفسير لما بالغ سبحانه فى تقرير امر المعاد عاد على عادته الى بيان المبدا وهو كالدلائل الدالة على
التوحيد وكمال القدرة والعلم تاكيد للمعاد والمعنى ان الذى ربيكم ويصلح شانكم ويوصل اليكم الخير ان ويرفع عنكم المكاره هو الذى بلغ كمال القدرة
وعلم وحكمة ورحمة الى حيث خلق هذه الاجسام الجماد واودع فيها انواع المنافع واصناف الفوايد وكيف يليق ان يرجع الى غيره فى طلب الخير ان و
يعول على غيره فى تحصيل السعادات قال علماء الادب اصل ستة سدس بدليل سداسى واسدس ثم ان العرب كانوا يخاطبون البهوفى الظاهر انهم
سمعوا بعض اوصاف الخالق منهم فكانه سبحانه يقول لا تشتغلوا بعبادة الاوثان والاصنام فان ربكم هو الذى اسمعكم من عقلاء الناس انه بالغ
هو الذى خلق السموات والارض على غاية عظمتها وبهاية جلالتها فى ستة ايام قبل انه تعالى كان قادرا على ايجادها دفعة واحدة فما الفائدة فى ذكر
انه خلقها فى ستة ايام فى اثناء ذكر ما يدل على وجود الصانع واجب بانه اراد ان يعلم عباده التوقى والتانى فى الامور والصبر فيها كيلا يعجل المكلف تاخير
الثواب والعقاب على التطويل من العلماء من قال ان الشئ اذا احدث دفعة واحدة ثم انقطع الاحداث فلعله يخطر ببال بعضهم ان ذلك انما وقع على
سبيل الاتفاق اما اذا احدث الاشياء على التعاقب والتواصل مع كونها مطابقة للحكمة والمصلحة كان ذلك اقوى فى الدلالة على كونها واقعة باحداث
محدث حكيم عليم قادر رحيم وايضا ثبت بالدليل انه تعالى يخالف العالم ولا شئ يخالق السموات والارض بعده لان خالق الا ينتفع فى الحال يجر الى العبث
ثم ان ذلك العالم لما كان وجيبا اذا شاهدنا فى كل ساعة وحين حدوث شئ اخر على سبيل التعاقب والتوالى كان ذلك اقوى فى افادة اليقين
لانه يتكرر على عقلك ظهور هذه الدلائل لحظة فلحظة وما انقطع بل المدة بستة ايام فلا يرد عليه اشكال لان السئوال يعود على مقدار فرض وقبل

ان لعدد السبعة شرفا عظيما ولهذا اختتت ليلة القدر بالسابع والعشرين فالايام الستة لتخليق العالم والسابع لتحصيل كمال الملك والمملوك فان قيل كيف يعقل حصول الايام قبل الشمس التي هبط تقديرها ان المراد خلق السموات والارض ومقدار ستة ايام كقوله وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام قوله سواء للسائلين فيها بكرة وعشيا والمراد مقدار البكرة والعشي في الدنيا لانه لا صباح عند الله ولا مساء عن ابن عباس ان هذه الايام ايام الاخرة كل يوم الف سنة مما تعدون والاكثرون على انها ايام الدنيا لان التعريف بها نافع والظاهر انها الايام بلياليها لا النهار وبقول يمكن ان تحمل الايام الستة على الاطوار الستة على الاطوار الستة التي للاجسام الجمادي والصورة والجسم البسيط ثم المركب المعدني والنباتي والحيواني والله تعالى اعلم بمراده اما قوله سبحانه ثم استوى على العرش فحمل بعضهم الاستواء على الاستقرار وزيف بوجوه عقلية ونقلية منها ان استقراره على العرش يستلزم تناهيه من الجانب الذي يلي العرش وكل ما هو متناه فاختصاصه بذلك الحد المعين يستند لا محالة الى محدث مخصص فلا يكون واجبا ولقائل ان يقول لم لا يجوز ان يكون الاله تعالى نورا غير متناه ويراد استقراره على العرش بلا تناهيه احاطته به من الجوانب ونفوذه في الكل لا كاحاطة الفلك الحاوي بالمحوي ولا كنفوذ النور المحسوس في الشرف بل على نحو اخر تعود العبارة عنه ومنها انه تعالى لو كان في مكان وجهة لكان اما ان يكون غير متناه من كل الجهات او متناهيا من بعضها دون بعض وعلى الاول يلزم اختلاط جميع الاجسام حتى للفاذورات ومع ذلك فالشيء الذي محل للسموات اما ان يكون عين الشيء الذي هو محل الارض او غيره وعلى الاول يلزم ان يكون السماء والارض حالين في محل واحد فهما شيء واحد لا شيئان وعلى الثاني يلزم التركيب والتحيز في ذاته تعالى واما ما كان متناهيا من الجهات فلو حصل في جميع الاحياز فهو محال بالبديهة وان حصل في حيز واحد فلو كان جوهرا فردا لزم ان يكون واجب الوجود احقر الاشياء والا لزم التبعض لان جهة الفوق عند يكون مغايرة لمقابلها وكذا الكلام فيه ان كان متناهيا من بعض الجهات ولو جاز ان يكون الشيء المحدود من جانب وجوانب قديما ازليا فاعلا للعالم فلم لا يجوز ان يقال فاعل العالم هو الشمس او القمر او كوكب اخر وايضا يصح على الشيء المتناهي ان يكون غير متناه وعلى غير المتناهي ان يكون متناهيا لان الاشياء المتساوية في تمام الماهية كل ما يصح على واحد منها يصح على الباقي فيصح النمو والذبول والزيادة والنقصان والتفرق والتمزق على ذاته تعالى فيكون ممكنا محدثا لا واجبا قديما ولقائل ان يقول انه غير متناه ولا يلزم من ذلك ان يكون محلا للعالم ولا حالا فيه واستحالة الشيء للمحل غير كونه نفس المحل او مفتقرا الى المحل وحدوث احتياط الفاذورات بالتجبل لا اصل له عند ارباب البراهين ومنها انه لو كان الباري تعالى ازليا ومحال ان يكون ما سوى الواجب ازليا وان لم يكن موجودا لزم كون العدم المحض ظرفا لغيره ومشارا اليه بالحس وذلك باطل واعترض بان ذلك ايضا وارد عليكم في قولكم الجسم حاصل في الحيز والجهة واجيب بان مكان الجسم عندنا عبارة عن السطح الظاهر من الجسم الحاوي وهذا المعنى بالاتفاق في حق الله محال فسقط الاعتراض ولقائل ان يقول الجهة مقطع الاشارة الحسية وهذا في حقه محال لعدم تناهيه له لا يجوز ان يكون المكان خلاء فلا يلزم تداخل البعدين ولو لزم هناك لزم في الاجسام ايضا بل لا بعد هناك ولا امتداد ولو فرض فلن يلزم منه الانقسام في الخارج ومنها انه لو امتنع وجود الباري تعالى بحيث لا يكون مختصا بالحيز والجهة لكانت ذاته مفتقرة في تحققها ووجودها الى غيره فيكون ممكنا والجواب ما مر من ان استحقاق المكان لا يوجب الافتقار اليه ومنها ان الحيز والجهة لا معنى له الا الفراغ المحض وكان هذا المفهوم واحد فالاختصاص باسرها متساوية في تمام الماهية فلو اختص ذاته تعالى بحيز معين لكان اختصاصه به لمخصص مختار وكل ما كان فعل الفاعل المختار فهو محدث وكل ما لا يخلو عن الحوادث فهو اولى بالحدوث فالواجب محدث هذا خلف ولقائل ان يقول ما الذي يمنع ان يقال انه تعالى لا يعقل له حيز معين ولو فرض لا تناهي الاحياز ايضا فافتقاره اليها ممنوع وكيف يفتقر الشيء الى ما تاخر وجوده عن وجود ذلك الشيء والمعية بعد ذلك لا تتصور ومنها لو كان في الحيز والجهة لكان مشارا اليه بالحس ثم ان كان قابلا للقسمة لزم التركيب والا لكان نقطة او جوهرا فردا فلا يبعد ان يقال ان اله العالم جزء من الف جزء من راس ابرة ملتصقة بدنب قملة او نملة ولقائل ان يقول لا نسلم ان كونه مع الحيز من جميع الجهات المفروضة يستلزم كونه مشارا اليه حسا فان العقل يحجز عن ادراكه فضلا عن الحس وباقي الكلام لا يستحق الجواب ومنها كل ذات قائمة بالنفس مشار اليها بالحس فلا بد ان يكون جانب يمينه مغايرا لجانب شماله فيكون منقسما وكل منقسم مفتقر ممكن قالوا هذا الدليل مبني على نفي الجوهر الفرد ومنها لو كان في حيز لكان اما اعظم من العرش او مساويا او اصغر منه والثالث باطل بالاجماع والاولان يستلزمان ان لا نفساء لان المساوي للمنقسم منقسم وكذا الزائد عليه لان الفذ الذي فضل عليه مغاير لما سواه ولقائل ان يقول لا نسبة بين الجسم وبين نور الانوار ويستحيل هذه التفاوت ومنها انه لو فرض كونه تعالى غير متناه من جميع الجهات كما يزعم الخصم لزم لا تناهي الابعاد وانه محال لبرهان تناهي الابعاد ولقائل ان يقول ان برهان تناهي الابعاد لا نسلم ولو سلم فلا بعد فيما وراء العالم الجسماني ولا امتداد ومنها انه سبحانه لو كان حاصلا في الحيز وكونه هناك اما ان يمنع من حصول جسم اخر فيه او لم يمنع وعلى الاول كان تعالى مساويا لجميع الاجسام في هذا المعنى ثم انه ان لم يحصل بينه وبينها مخالفة بوجه اخر صح عليه التغاير وانه محال وان حصل بينه وبينها مخالفة عرى سائر الوجوه كان مابه المشاركة مغايرا لما به المخالفة فيكون الواجب مركبا بل ممكنا وايضا ان مابه المشاركة وهو طبيعة البعد والامتداد اما ان يكون محل المابه المخالفة او حالا فيه او لا هذا ولا ذاك فان كان محلا له كان البعد جوهرا قائما بنفسه وهو الامور التي بها حصلت المخالفة اعراضا وصفات واذا كانت الذوات متساوية في تمام الماهية وكل ما يصح على البواقي وكل ما يصح على بعض الاجسام من التفرق والتمزق والنمو والذبول والعفونة والفساد يصح عليه تعالى وان كان مابه المخالفة محلا او ذوات ومابه المشاركة حالا او صفة فذلك المحل ان كان

بعضها يصح على

والقمر والنجوم وامر بالنظر في ملكوت السماء والغبراء بالتفكر فيها فانا اذا لم ينظر الى ملكوت السموات والارض او ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها
وزيناها او لم يتفكروا في انفسهم ما خلق الله السموات وما بينهما الا بالحق وان من صنف كتابا شريفا مشتملا على دقايق العلوم العقلية والنقلية فانه
لا يعتقد ان في شرفه وفضيلته فريقان منهم من اعتقد كونه كذلك على الاجمال ومنهم من وقف على دقايقها على سبيل التفصيل والكمال ولا شك
ان اعتقاد الفريق الثاني يكون اكمل واقوى اذا ثبت هذا فنقول من اعتقد ان جملة هذا العالم محدث وكل محدث فله محدث حصل له بهذا الطريق
اثبات الصانع اما الذي ضم الى هذه المعرفة البحث عن احوال العالم العلوي والعالم السفلي على التفصيل الممكن لا يزال ينتقل من برهان الى برهان
ومن دليل الى دليل فان يفنه بتمامه ابد وبصيرته تتكامل الى ان تصير عالما معقولا مضاهيا للعالم الموجود ولمثل هذه الفوايد والاغراض والغايات
انزل هذا الكتاب لكن هم لا لتكثير وجوه الاعراب والاستفاقات الموجبة الى الاطناب والاسهاب واما قوله عز من قائل لا اله الخالق فالخلق عبارة
عن التقدير والخلق يختص بكل ما هو جسم حيث لا تخلو عن مقدار معين فكل ما كان بريا عن الحجم والمقدار فهو من عالم الارواح وعالم الامر لانه اوجد بما
كون من غير سبق مادة وعدة فعالم الخلق في تدبيره وعالم الامر في تدبيره واستيلاء الروحانيات على الجسمانيات بتقديره وههنا مسائل ذكرها العلما
الاولى انه تعالى متكلم امرا مخبر مستخبر لان قوله لا اله الخالق والامر دل على ان له الامر فوجب ان يكون له النهي وسايرانواع الكلام ضرورة انه لا قايل
بالفرق الثانية لا خالق الا هو لان قوله لا اله الخالق بتقديم الخبر يفيد الحصر لو سلم انه لا يفيده فلا اقل من افادة انه خالق بعض الاشياء وح
يثبت المطلوب لان انتفاء المخلوق الى الخالق لامكانه والامكان مفهوم واحد في الممكنات وانتهاء الحاجة الى موجود معين يجمع الممكنات محتاجة
الى ذلك المعين فالذي يكون مؤثرا في جميع الممكنات يحتاج اليه ذلك المعين فالذي يكون مؤثرا في جميع الممكنات الثالثة قالت الاشاعرة كل شيء
يصدر عن فلك وملك وجني او انسي فخالق ذلك الاثر في الحقيقة هو الله تعالى لقوله لا اله الخالق والامر يتفرع على هذا انه لا اله الا الله والا
كان الثاني مدبرا وخالقا وانه لا تاثير للكواكب في احوال هذا العالم وان القول بالطبايع والعقول والنفوس على ما زعم الفلاسفة وعلى ما زعم
الفلاسفة واصحاب الطلسمات باطل وان خالق اعمال العباد هو الله تعالى بان العلم يوجب العالمية والقدرة يوجب القادرية بنى كل باطل ذلك
لانا بينا ان خالق ومؤثر غير الله تعالى قديم لانه تعالى قديم لا تاثير بين الخالق وبين الامر ولو كان كلام الله مخلوقا لما صح هذا التمييز اجاب
الجبائي بانه لا يلزم من افراد الامر بالذكر عقيب الخالق ان لا يكون الامر داخلا في الخالق كقوله وملايكته ورسله وجبريل وميكال وعارض الكعبي بقوله
بقوله فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يومن بالله وكلماته فانه لو وجب مغايرة المعطوف للمعطوف عليه لزم ان يكون الكلمات غير الله تعالى
وكل ما كان غير الله تعالى فانه محدث ومخلوق وكلمات الله مخلوقة وقال القاضي اتفق المفسرون على انه ليس المراد بهذا الامر كلام الله
تعالى بل المراد ايجاد ما اراده واظهار قدرته وقال قوم لا يبعد ان يقال الامر داخل في الخالق ولكنه من حيث كونه امرا يدل على نوع اخر من الكمال والجلال
والمعنى له الخلق والايجاد في المرتبة الاولى ثم بعد الايجاد والتكوين له الامر والتكليف في المرتبة الثانية وقال اخرون معنى قوله الا له الخالق انه ان
شاء خلق وان شاء لم يخلق فقوله والامر يجب ان يكون معناه ان شاء امر وان شاء لم يامر فلا يلزم منه ان يكون الامر محدثا مخلوقا الا ترى لو كان قديما لم يكن
ذلك الامر مجبا مشيئا بل كان من لوازم ذاته فلا يصدق انه ان شاء امر وان شاء لم يامر فهذا خلف اجيب بانه لو كان الامر داخلا تحت الخالق لزم
التكرار والاصل عدمه فلا يصار اليه الا للضرورة ولا ضرورة ههنا الخامسة الابد دلالة على انه ليس لاحد ان يلزم غيره شيئا الا الله ففعل
الطاعة لا يوجب الثواب فعل المعصية لا يوجب العقاب وابطال الامر لا يوجب العوض لتساوي تلك الابدية على ان القبيح لا يجوز ان يقع لوجه
عايد اليه والا لزم الامر بما حصل فيه وجه القبح فلا يكون متمكنا من الامر النهي كيف شاء واراد هذا خلق لتاسعة اطلق الخالق والامر
فيعلم انه لو اراد خلق الف عالم ما فيه من العرش والكرسي والكواكب اقل من لحظة لقدر عليه لان هذه الماهيات ممكنة والحق قادر على كل
الممكنات الثامنة قال قوم الخالق صفة من صفات الله تعالى وهو غير المخلوق لان اهل السنة يقولون معنى قوله الامر صفته له فكذا الخالق صفة قايمة
بذاته فلا يكون مخلوقا واجيب بان الخالق لو كان غير المخلوق فاما ان يكون قديما ويلزم من قدمه قدم المخلوق واما ان يكون حادثا فيفتقر الى
خالق اخر وهو تسلسل ويمكن ان تبقى الصفة قديمة والتعلق حادث التاسعة لو لا الامر يقتضي ان لا امر الا الله وقول النبي صلى الله عليه وآله اذا امرتكم
بشيء فاتوا منه ما استطعتم لا ينافي ذلك لان الموجب لا يكون الا في الحقيقة هو امر الله تعالى العاشرة الابدية دلالة على ان لله تعالى امرا ونهيا على
عباده والخلاف مع نفاة التكليف قالوا ان كان التكليف معلوم الوقوع لكان واجب الوقوع ولا فلا فايدة في الامر به وانهم الكافر والفاسق لا
يستفيد بالتكليف الا الضرر المحض لانه تعالى يعلم انه لا يومن ولا يطيع وخلاف علم الله محال فلا يحصل من الامر الا مجرد استحقاق العذاب وهذا
لا يليق بالرحيم الحليم وايضا التكليف ان لم يكن لفائدة في الامر فهو عبث وان كان لفائدة ولا يعود الى المكلف لانه سبحانه غني تجمع الفوايد
منحصرة في تحصيل نفع او دفع ضر والله تعالى قادر على تحصيلها للمكلف من غير واسطة التكليف فكان توسيطه التكليف ضارا محضا والجواب ان
اول الابدية دل على انه تعالى هو الخالق لكل العبيد واذا كانا خالقا للكل كان مالكا للكل ومتصرفا في ملك نفسه كيف شاء مستحسن بحسن منه
منه تعالى ان يامر عباده بما شاء بمجرد كونه خالقا لا لما يقوله المعتزلة من كون ذلك الفعل صلاحا او من كونه موجبا عوضا وثوابا ولما بين
انه الامر والنهي الحكم والتكليف كمل انه يستحق الثناء والتقديس فقال تبارك الله رب العالمين والبركة تفسيران احدهما الثبات والدوام

ولا ريب انه الواجب لذاته القايم بذاته الغني بذاته وصفاته وافعاله واحكامه عن كل ما سواه وثابتها كثرة الاثار الفاضلة ولا شك
ان كل الخيرات والكمالات فائضة من وجوده واحسانه بل جميع الممكنات وشخص من بحار فضله وامتنانه ثم لما بين كمال قدرته وحكمته وارشد
الى التكليف لموصل الى سعادة الدارين ابتعد ذكر ما يستعان به على تحصيل المطالب المواهب الدينية فقال ادعوا ربكم تضرعا
وخفية قال في الكشاف نصب على اي ذوي تضرع وخفية وكذلك خوفا وطمعا قلت ويحتمل الانتصاب على المصدر مثل يجيء التهدد والتضرع
التذلل وهو اظهار ذل النفس والخفية بالضم والكسر ضد العلانية قال بعض العلماء الدعاء ههنا بمعنى العبادة لئلا يلزم التكرار وعطف
الشيء على نفسه قوله وادعوه خوفا وطمعا والاظهر انه على الاصل ومن انكر الدعاء لان المطلوب بالدعاء ان كان معلوما لوقوع او كان مرادا
في الازل او كان على وفق الحكمة والمصلحة وقع لا محالة والا فلا فائدة فيه وايضا انه نوع من سوء الادب وعدم الرضا وقد يطلب ما ليس بنافع او فيه
من الاشتغال بغير الله وعدم التوكل عليه ما لا يخفى والحق ان الدعاء نوع من انواع العبادة ورفضه يستدعي رفض كثير من الوسايط والروابط
ولو لم يكن فيه الا معرفة ذلة العبودية وعزة الربوبية لكفى بذلك فائدة ولهذا روي عنه صلى الله عليه وآله ما من شيء اكرم على الله سبحانه من الدعاء
الا انه لا بد من الاخلاص والصون عن الرياء والبها الثناء بقوله تضرعا وخفية ومن ثم اطنبنا في تحقيق الدعاء وشرايطه في سورة البقرة في تفسير
قوله واذا سئلك عبادي عني ثم ختم الاية بقوله انه لا يحب المعتدين اتفاق على انه ليس المحبة عند الحلاقها على الله شهوة النفس وميل الطبع و
لكنها عبارة عن ايصال الثواب وارادة الايصال لكنا لا نعرف تلك المحبة ما هي وكيف هي الا ان عدم العلم بالشيء لا يوجب العلم بعدم ذلك الشيء
نظيره ذلك ان اهل السنة يثبتون كونه مريدا ثم يقولون ان تلك الارادة ليست كارادة الاجسام والالوان ويعني المعتدين المجاوزين ما امر وا به
فيشمل كل من خالف امر الله ونهيه وقال الكلبي وابن جريج من الاعتداء رفع الصوت في الدعاء وفي هذا دلالة انه امر بالدعاء مقرونا بالاخفاء وظاهر
الوجوب اذا قد ثنى على ذكريا فقال اذ نادى ربه نداء خفيا وعن النبي ص دعوة في السر تعدل سبعين دعوة في العلانية وعنه ص خير الذكر الخفي
وخير الرزق ما يكفي وعنه صلى الله عليه وآله سيكون قوم يعتدون في الدعاء وحسبك من ان يقول اللهم اني اسئلك الجنة وما قرب اليها من
قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل ثم قرأ قوله انه لا يحب المعتدين ومن هنا اختلف ارباب الطريقة ان الاولى في
العبادات الاخفاء ام الاظهار فقيل الاولى الاخفاء صونا لها عن الرياء وقيل الاولى الاظهار ليرغب غيره في الاقتداء توسط الشيخ محمد بن علي
الحكيم الترمذي فقال ان كان خائفا على نفسه من الرياء فالاولى في حقه الاخفاء وان بلغ في الصفا وقوة اليقين الى حيث ضمانا من شائبة
الرياء فالاولى في حقه الاظهار ليحصل فائدة الاقتداء قال الشافعي اظهار التامين افضل وقال ابو حنيفة الاخفاء افضل لانه ان كان دعاء وجب
اخفاءه لقوله ادعوا ربكم تضرعا وخفية وان كان اسما من اسماء الله تعالى فاقبل فكذلك لقوله تعالى واذكر ربك في نفسك تضرعا وخفية
فان لم يثبت الوجوب فلا اقل من الندب ثم نهى عن مجامع المفاسد والمضار بقوله ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها فدخل فيه جملة اشياء المنع
من افساد النفوس بالقتل ومن افساد الاموال بقطع الطريق والسرقة وافساد الانساب بالزنا واللواط والقذف وافساد العقول بشرب المسكرات
وافساد الاديان بالكفر والبدعة وذلك لان قوله لا تفسدوا نهى عن ادخال ماهية الفساد في الوجود والمنع عن الماهية يقتضي المنع من جميع انواعها
ومعنى بعد اصلاحها بعد ان اصلح خلق الارض على الوجه المطابق لمنافع الخلق الموافق لمصالح المكلفين والمراد اصلاح الارض بسبب ارسال
الانبياء وانزال الكتب وتفصيل الشرايع فان الاقدام على تكذيب الرسل وانكار الكتب والزجر عن قبول الشرايع يقتضي وقوع الهرج والمرج وحدوث
الفتن في الارض وفي الاية دلالة على ان الاصل في المضار الحرمة فان وجدنا نصا خاصا على جواز الاقدام على بعض المضار قضينا به تقديما للخاص
على العام وفيها ايضا دلالة على ان كل عقد وقع التراضي به بين الخصمين فانه منعقد صحيح لان دفعه بعد ثبوته يكون افسادا بعد الاصلاح فاوجدنا
نصا يدل على عدم صحة بعض تلك العقود قضينا به بالبطلان عملا بالاخص في جميع احكام الله تعالى داخلة تحت عموم هذه الاية الدالة على ان الاصل
في المضار الالام الحرمة كما كانت داخلة تحت عموم قوله قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق بانها كانت تدل على ان الاصل
في المنافع واللذات الاباحة والحل فكل واحدة من الايتين مطابقة ومؤكدة للاخرى ثم لما ان الدعاء لا بد ان يكون مقرونا بالتضرع والاخفاء
وبعدم المنافي وهو الافساد بالوجوه المذكورة كان فائدة الدعاء والباعث عليه احد الامرين الخوف من العقاب والطمع في الثواب واعترض
عليه بان اهل السنة يقولون التكليف انما ورد بمقتضى الالطاف والعبودية اي كونه الها لنا وكوننا عبيدا له اقتضى ان يحسن منه ان يامر عبيده
بما شاء كيف شاء ولا يعتبر فيه كونه في نفسه صلاحا وحسنا والمعتزلة يقولون انها ورد لانها في نفسها مصالح فعلى القولين من اتى بها للخوف
من العقاب والطمع في الثواب لم يات بها لوجه وجوبها فوجب ان لا يصح واجيب بان المراد من الاية ادعوه مع الخوف من وقوع التقصير في بعض
الشرايط المعتبرة في قبول ذلك الدعاء ومع الطمع في حصول تلك الشرايط باسرها اي كونوا جامعين في نفوسكم بين الخوف والرجاء في جميع
اعمالكم ولا تقطعوا اعمالكم وان اجتهدتم انكم ادتيتم حق ربكم كقوله والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة والجواب الصحيح عندي ان غاية
التكليف من الامر غير غايته من المامور به فان الغاية الاولى هي المصلحة الالهية والعبودية فلم لا يجوز ان يكون الغاية الثانية الخلاص من
العذاب الوصول الى الثواب ثم ختم الاية بقوله ان رحمة الله قريب من المحسنين ظاهره ان بقي قرينة وذكروا في حذف علامة التانيث

الحمد لله رب العالمين

والقمر والنجوم وامر بالنظر في ملكوت السماء والغبراء بالتفكر فيها فانا اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض او ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها
وزينا ها او لم يتفكروا في انفسهم ما خلق الله السموات وما بينهما الا بالحق وان من صنف كتابا شريفا مشتملا على دقايق العلوم العقلية والنقلية فا
لمعتقدون في شرفه وفضيلته فريقان منهم من اعتقد كونه كذلك على الاجمال ومنهم من وقف على دقايقها على سبيل التفصيل والكمال ولا ريب
ان اعتقاد الفريق الثاني يكون اكمل واقوى اذا ثبت هذا فنقول من اعتقد ان جملة هذا العالم محدث وكل محدث فله محدث فلا محالة يحصل له بهذا الطريق
اثبات الصانع اما الذي ضم الى هذه المعرفة البحث عن احوال العالم العلوي والعالم السفلي على التفصيل الممكن لا يزال ينتقل من برهان الى برهان
ومن دليل الى دليل فان يفنه بتمامه ابد وبصيرته تتكامل الى ان تصير عالما معقولا مضاهيا لما عليه الموجود ولمثل هذه الفوايد والاغراض والغايات
انزل هذا الكتاب لكونه لا لتكثير وجوه الاعراب والاستفاقات الموجبة الى الاطناب والاسهاب واما قوله عز من قائل لا اله الخالق فالخلق عبارة
عن التقدير ويختص بكل ما هو جسم حيث لا تخلص بمقدار معين فكل ما كان بريا عن الحجم والمقدار فهو من عالم الارواح وعالم الامر لانه اوجد بما
كن من غير سبق مادة وعدة فعالم الخلق في تخيره وعالم الامر في تدبيره واستيلاء الروحانيات على الجسمانيات بتقديره وههنا مسائل ذكرها العلما
الاولى انه تعالى متكلم امرا مخبر مستخبر لان قوله لا اله الخالق والامر دل على ان له الامر فوجب ان يكون له النهي وسايرانواع الكلام ضرورة انه لا قابل
بالفرق الثانية لا خالق الا هو لان قوله لا اله الخالق بتقديم الخبر يفيد الحصر لو سلم انه لا يفيده فلا اقل من افادة انه خالق بعض الاشياء وح
يثبت المطلوب لان انتفاء المخلوق الى الخالق لامكانه والامكان مفهوم واحد في الممكنات وانه علة للحاجة الى موجود معين فجميع الممكنات محتاجة
الى ذلك المعين فالذي يكون مؤثرا في جميع الممكنات يحتاج الى ذلك المعين فالذي يكون مؤثرا في جميع الممكنات الثالثة قالت الاشاعرة كل ما
يصدر عن فلك وملك وجني او انسي فخالق فوجب ذلك الاثر الحقيقة هو الله تعالى لقوله لا اله الخالق والامر يتفرع على هذا انه لا اله الا الله والا
كان الثاني مدبرا وخالقا وانه لا تاثير للكواكب في احوال هذا العالم وان القول بالطبايع والعقول والنفوس على ما بزعم الفلاسفة وعلى ما بزعم
الفلاسفة واصحاب الطلسمات باطل وان خالق اعمال العباد هو الله تعالى بان العلم بوجب العالمية والقدرة بوجب القادرية بنزكل باطل ذلك
لئلا يلزم خالق ومؤثر غير الله تعالى الرابعة كلام الله تعالى قديم لانه مغاير بين الخلق وبين الامر ولو كان كلام الله مخلوقا لما صح هذا التمييز اجاب
الحبائي بانه لا يلزم من افراد الامر بالذكر عقيب الخلق ان لا يكون الامر داخلا في الخلق كقوله وملئكته ورسله وجبريل وميكال وعارض الكعبي بقوله
بقوله فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته فانه لو وجب مغايرة المعطوف للمعطوف عليه لزم ان يكون الكلمات غير الله تعالى
وكل ما كان غير الله تعالى فانه محدث ومخلوق وكلمات الله مخلوقة وقال القاضي اتفق المفسرون على انه ليس المراد بهذا الامر كلام الله
تعالى بل المراد نفاذ ارادته واظهار قدرته وقال قوم لا يبعد ان يقال الامر داخل في الخلق ولكنه من حيث كونه امرا يدل على نوع اخر من الكمال والجلال
والمعنى له الخلق والايجاد في المرتبة الاولى ثم بعد الايجاد والتكوين له الامر والتكليف في المرتبة الثانية وقال اخرون معنى قوله الا له الخلق انه ان
شاء خلق وان شاء لم يخلق فقوله والامر يجب ان يكون معناه ان شاء امر وان شاء لم يامر ولا يلزم من ان يكون الامر محدثا مخلوقا لانه لو كان قديما لكان
ذلك الامر يجب ان يتعلق بكل المامورات بل كان من لوازم ذاته فلا يصدق انه ان شاء امر وان شاء لم يامر هذا خلف واجيب بانه لو كان الامر داخلا تحت الخلق لزم
التكرار والاصل عدمه فلا يصار اليه الا للضرورة ولا ضرورة ههنا الخامسة الابد دلالة على انه ليس لاحد ان يلزم غيره شيئا الا الله ففعل
الطاعة لا يوجب الثواب فعل المعصية لا يوجب العقاب وابطال الاول لا يوجب ابطال الثاني على ان القبيح لا يجوز ان يقع لوجه
عايد اليه والا لزم الامر بما حصل فيه وجه القبح فلا يكون متمكنا من الامر والنهي كيف شاء واراد هذا خلف السابعة اطلق الخلق والامر
فيعلم انه لو اراد خلق الف عالم بما فيه من العرش والكرسي والكواكب اقل من لحظة لقدر عليه لان هذه الماهيات ممكنة والحق قادر على كل
الممكنات الثامنة قال قوم الخلق صفة من صفات الله تعالى وهو غير المخلوق لان اهل السنة يقولون معنى قوله الامر صفة له فكذا الخلق صفة قايمة
بذات الله فلا يكون مخلوقا واجيب بان الخالق لو كان غير المخلوق فاما ان يكون قديما ويلزم من قدمه قدم المخلوق واما ان يكون حادثا فيفتقر الى
خالق اخر وهلم جرا فيتسلسل ويمكن ان يقال الصفة قديمة والمتعلق حادث التاسعة لما الامر يقتضي ان لا امر الا الله وقول النبي صلى الله عليه وآله امرت ان اقاتل
الناس حتى يقولوا لا اله الا الله ينافي ذلك لان المؤمن لا يكون مامورا في الحقيقة هو امر الله تعالى العاشرة الابد دلالة على ان لله تعالى امرا ونهيا على
عباده والخلاف مع نفاة التكليف قالوا ان كان التكليف معلوم الوقوع لكان واجب الوقوع والا فلا فائدة في الامر به وايضا الكافر والفاسق لا
يستفيد بالتكليف الا الضرر المحض لانه تعالى يعلم انه لا يؤمن ولا يطيع وخلاف علم الله محال فلا يحصل من الامر الا مجرد استحقاق العذاب وهذا
لا يليق بالرحيم الحليم وايضا التكليف ان لم يكن لفائدة في الامر فهو عبث وان كان لفائدة ولا بد ان يعود الى المكلف لانه سبحانه غني عن جميع الفوايد
منحصرة في تحصيل نفع او دفع ضر والله تعالى قادر على تحصيلها للمكلف من غير واسطة التكليف فكان توسيطه التكليف ضررا محضا والجواب ان
اول الابد دل على انه تعالى هو الخالق لكل العبيد واذا كانا خالقا للكل كان مالكا للكل ومتصرفا في الملك في ملك نفسه كيف شاء مستحسن بحسن منه
منه تعالى ان يامر عباده بما شاء بمجرد كونه خالقا لا لما يقوله المعتزلة من كون ذلك الفعل صلاحا او من كونه موجبا عوضا وثوابا والدليل
انه الامر والنهي الحكمة والتكليف لكل ما يستحق الثناء والتقديس فقال تبارك الله رب العالمين والبركة تفسيران احدهما الثبات والدوام

ولا ريب انه الواجب لذاته الدائم القائم بذاته الغني بذاته وصفاته وافعاله واحكامه عن كل ما سواه وتنابهما كثرة الآثار الفاضلة ولا شك
ان كل الخيرات والكمالات فائضة من وجوده واحسانه بل جميع الممكنات دشخة من بحار فضله وامتنانه ثم لما بين كمال قدرته وحكمته وارشد
الى التكليف لموصل الى سعادة الدارين ابتعه ذكر ما يستعان به على تحصيل المطالب المارب الدنيوية فقال ادعوا ربكم تضرعا
وخفية قال في الكشاف نصب على الحال اى ذوى تضرع وخفية وكذلك خوفا وطمعا قلت ويحتمل الانتصاب على المصدر مثل رجع التهقهرى والتضرع
التذلل وهو اظهار ذل النفس الخفية بالضم والكسر ضد العلانية قال بعض العلماء الدعاء ههنا بمعنى العبادة لئلا يلزم التكرار وعطف
الشئ على نفسه قوله وادعوه خوفا وطمعا والاظهر انه على الاصل ومن انكر الدعاء لان المطلوب بالدعاء ان كان معلوم الوقوع او كان مرادا
في الازل او كان على وفق الحكمة والمصلحة وقع لا محالة والا فلا فائدة فيه وايضا انه نوع من سوء الادب وعدم الرضا وقد يطلب ما ليس بنافع او فيه
من الاشتغال بغير الله وعدم التوكل عليه ما لا يخفى والحق ان الدعاء نوع من انواع العبادة ورفضه يستدعى رفض كثير من الوسايط والروابط
ولو لم يكن فيه الا معرفة ذلة العبودية وعزة الربوبية لكفى بذلك فائدة ولهذا روى عنه صلى الله عليه وآله ما من شئ اكرم على الله سبحانه من الدعاء
الا انه لا بد من الاخلاص والصون عن الرياء والبها انار بقوله تضرعا وخفية ونحن الآن نبنا في تحقيق الدعاء وشرايطه في سورة البقرة في تفسير
قوله واذا سئلك عبادى عنى ثم ختم الآية بقوله انه لا يحب المعتدين اتفاق على ان ليس المحبة عند الحلاقها على الله شهوة النفس وميل الطبع و
لكنها عبارة عن ايصال الثواب وارادة الايصال لكنا لا نعرف تلك المحبة ما هي وكيف هي الا ان عدم العلم بالشئ لا يوجب العلم بعدم ذلك الشئ
نظير ذلك ان اهل السنة يثبتون كونه مريدا ثم يقولون ان تلك الارادة ليست كارادة الاجسام والالوان ويعني المعتدين المجاوزين ما امر وا به
فيشمل كل من خالف امر الله ونهيه وقال الكلبي وابن جريج من الاعتداء رفع الصوت في الدعاء وفي هذا دلالة انه امر بالدعاء مقرونا بالاخفاء وظاهر
الوجوب اذا قد ثنى على ذكريا فقال اذ نادى ربه نداء خفيا وعن النبي ص دعوة في السر تعدل سبعين دعوة في العلانية وعنه ص خير الذكر الخفي
وخير الرزق ما يكفي وعنه صلى الله عليه وآله سيكون قوم يعتدون في الدعاء وحسبك المرء ان يقول اللهم اني اسئلك الجنة وما قرب اليها من
قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل ثم قرأ قوله انه لا يحب المعتدين ومن هنا اختلف ارباب الطريقة ان الاولى في
العبادات الاخفاء ام الاظهار فقيل الاولى الاخفاء صونا لها عن الرياء وقيل الاولى الاظهار ليرغب غيره في الاقتداء توسط الشيخ محمد بن علي
الحكيم الترمذي فقال ان كان خائفا على نفسه من الرياء فالاولى الاخفاء وان بلغ في الصفا وقوة اليقين الى حيث ضمن شبابه
الرياء فالاولى في حقه الاظهار ليحصل فائدة الاقتداء قال الشافعي اظهار التامين افضل وقال ابو حنيفة الاخفاء افضل لانه ان كان دعاء وجب
اخفاءه لقوله ادعوا ربكم تضرعا وخفية وان كان اسما من اسماء الله تعالى فاقبل فكذلك لقوله تعالى واذكر ربك في نفسك تضرعا وخفية
فان لم يثبت الوجوب فلا اقل من الندب ثم نهى عن مجامع المفاسد والمضار بقوله ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها فيدخل فيه جميع انواع المنع
من افساد النفوس بالقتل ومن افساد الاموال بقطع الطريق والسرقة وافساد الانساب بالزنا واللواط والقذف وافساد العقول بشرب المسكرات
وافساد الاديان بالفكر والبدع وذلك لان قوله لا تفسدوا نهى عن ادخال ماهية الفساد في الوجود والمنع عن الماهية يقتضي المنع من جميع انواعها
ومعنى بعد اصلاحها بعد ان اصلح خلق الارض على الوجه المطابق لمنافع الخلق الموافق لمصالح المكلفين او المراد اصلاح الارض بسبب ارسال
الانبياء وانزال الكتب وتفصيل الشرايع فان الاقدام على تكذيب الرسل وانكار الكتب والزجر عن قبول الشرايع يقتضي وقوع الهرج والمرج وحدوث
الفتن في الارض وفي الآية دلالة على ان الاصل في المضار الحرمة فان وجدنا نصا خاصا على جواز الاقدام على بعض المضار قضينا به تقديما للخاص
على العام وفيها ايضا دلالة على ان كل عقد وقع التراضي به بين الخصمين فانه منعقد صحيح لان دفعه بعد ثبوته يكون افسادا بعد الاصلاح فاوجدنا
نصا يدل على عدم صحة بعض تلك العقود قضينا به بالبطلان عملا بالاخص في جميع احكام الله تعالى داخلة تحت عموم هذه الآية الدالة على ان الاصل
في المضار الحرمة كما كانت داخلة تحت عموم قوله قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق بانها كانت تدل على ان الاصل
في المنافع والملذات الاباحة والحل فكل واحدة من الآيتين مطابقة ومؤكدة للاخرى ثم لما ان الدعاء لا بد ان يكون مقرونا بالتضرع والاخفاء
وبعدم المنافي وهو الافساد بالوجوه المذكورة كان فائدة الدعاء والباعث عليه احد الامرين الخوف من العقاب والطمع في الثواب واعترض
عليه بان اهل السنة يقولون التكليف انما ورد بمقتضى الامتثال والعبودية اى كونوا عبيدا لنا وكونوا عبيدا لنا اقتضى ان يحسن منا ان نامر عبيدنا
بما شئنا كيف شئنا ولا يجب فيه كونه في نفسه صلاحا وحسنا والمعتزلة يقولون انها وردت لانها في نفسها مصالح ففعل القولين من اتى بها للخوف
من العقاب والطمع في الثواب لم يات بها لوجه وجوبها فوجب ان لا يصح واجيب بان المراد من الآية ادعوه مع الخوف من وقوع التقصير في بعض
الشرايط المعتبرة في قبول ذلك الدعاء ومع الطمع في حصول تلك الشرايط باسرها اى كونوا جامعين في نفوسكم بين الخوف والرجاء في جميع
اعمالكم ولا تقطعوا اعمالكم وان اجتهدتم انكم ادتيم حق ربكم كقوله والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة والجواب الصحيح عندي ان غاية
التكليف من الامر غير غايته من المامور به فان الغاية الاولى هي المصلحة الاصلية والعبودية فلم لا يجوز ان يكون الغاية الثانية الخلاص من
العذاب الوصول الى الثواب ثم ختم الآية بقوله ان رحمة الله قريب من المحسنين ظاهره ان بقي قريبة وذكروا في حذف علامة التانيث

بالنفاق

والمسلمين

وجوها فقيل لان تانيث الرحمة غير حقيقي وقال الزجاج لان الرحمة والغفران والعفو والانعام بمعنى واحد ولان المراد بالرحمة الترحم والرحم وقيل انه صفة موصوف محذوف اى شئ قريب وشبه بفعيل الذى بمعنى مفعول كما شبه ذلك به فقيل قتلاء واسرى وقيل لانه ترجم به المصدر كالنقيض صوت العقيان او الزجاجة والضعيف صوت الاوتار وقيل المراد ان مكان قريب كلابن وتامر وروى الواحدى باسناده عن ابن السكيت يقول العرب هو قريب منى وهما قريب منى وهى قريبة منى فى تاويل هو فى مكان قريب منى قال بعض المفسرين معنى هذا القرب ان الانسان يزداد بعدا عن الخير وقربا من المستقبل الى الاخرة التى هى مقام رحمة الله ويمكن ان يقال المراد به قرب الحصول سواء كان فى الدنيا او الاخرة كقولهم الا ان نصر الله قريب قال المعتزلة ان ماهية الرحمة لما كانت حسنة للمحسنين وجب ان لا يحصل للكافر والفاسق منها شئ والغرض ان صاحب الكبيرة لا يكون له نصيب من العفو واجيب بان المحسن من صدر عنه الاحسان ولو من بعض الوجوه فكل من امن بالله تعالى واقر بالتوحيد والنبوة فقد احسن والدليل عليه الاجماع على ان الصبى اذا بلغ وقت الضحوة وامن بالله ورسوله واليوم الاخر ومات قبل الوصول الى الظهر فانه يسمى مومنا محسنا على ان قوله ماهية تمنع نصيب المحسنين ممنوع لان الكافر ايضا فى رحمة الله ونعمته فى الدنيا بدليل قوله ومن كفر فامتعه ثم انه سبحانه لما ذكر دلائل الالهية وكمال العلم والقدرة من العالم العلوى اتبعه ذكر الدلائل من احوال هذا العالم وهى الاثار العلوية المعادن والنبات والحيوان ومن جملتها احوال الرياح والسحاب والامطار لما ان قيام الدلائل فى الابد الاول على وجود الاله القادر العليم الحكيم الرحيم اقام الدلالة فى هذه الابنية على صحة القول بالحشر والنشر بالاينبغى تقديمه لمبدء والمعاد فقال وهو الذى يرسل الرياح الريح هواء يتحرك وتحركه ليس لذاته ولا للوازم فانه لا دام بدوام الذات فهو يحتاج الى فاعل المختار قالت الحكماء من اسباب الريح تبخر من الارض اجزاء ارضية تشتخن فتسخن شديدا فبسبب تلك السخونة يرتفع ويتصاعد فاذا وصلت الى قريب من الفلك فان الهواء الذى يقرب الفلك تمنع هذه الابخرة من الصعود بل يردها عن سمت حركتها لتحرك تلك الطبقة على الاستدارة تشبيها للفلك ثم يرجع الابخرة ويتفرق فى الجوانب فبسبب تفرقها تحصل الرياح وكلما كانت تلك الابخرة اكثر وكان صعودها اقوى كان رجوعها ايضا اشد فكانت الرياح وذهب بان صعود تلك الاجزاء الارضية انما يكون لاجل شدة تسخينها بالعرض فاذا تصاعدت ووصلت الى الطبقة الباردة بردت فامتنع صعودها الى الطبقة العليا المتحركة بحركة الفلك سلمنا انها تصعد الى الطبقة المتحركة بالاستدارة لكن رجوعها يجب ان يكون على الاستقامة كما هو مقتضى طبيعة الارض لكنها يتحرك يمنة ويسرة وايضا ان حركة تلك الاجزاء لا يكون قاهرة فان الرياح اذا اصعدت الغبار الكثير ثم عاد ذلك الغبار ونزل على السطوح لم يحس احد بنزولها ونحن نرى هذه الرياح تقلع الاشجار وتهدم الجبال وتموج البحار وايضا لو كان الامر على ما قالوا لكانت الرياح كلما كانت اشد وجب ان يكون حصول اجزاء الغبار بتلك الارضية اكثر وليس كذلك لانه قد توجد الرياح العاصفة فى وجه البحر وليس بينها شئ من الغبار ويمكن ان يجاب بان الحكم بامتناع الصعود استصحاب محض وحديث الرجوع على الاستقامة مبنى على الريح هى تلك الاجزاء الرابعة فقط وليس كذلك فان الواجب اذا خرق الهواء تحرك واضطرب وتموج شبيه بما يحدث فى الماء اذا القى فيه حجر وكذا الكلام فى الوجهين الباقيين وقال المنجمون قد يحدث بسبب صعود كوكب معين الى موضع معين من البروج ريح عاصفة وذهب بانه لو كان كذلك لزم تحرك كل الهواء والجواب ان وصول الكوكب الى الموضع الفلانى انما يوجب تحرك الهواء بتسخين او تلطيف او تكثيف يحدث فى بعض المواد المستعدة لذلك فيطلب ذلك الفاعل مكانا اكثر او افل مما كان عليه فيلزم من ذلك تحرك المجاور له لاستحالة التداخل والخلاء بل يندفع الى ان يتحرك جميع كرة الهواء بل يموج بعض اجزاء الهواء ثم يستقر كل فى موضعه ويختلف مقدار ذلك بحسب المؤثر والمتاثر والكل يسند الى تدبير الله سبحانه وتقديره واتما فرق فى هذه السورة بين ارسل الرياح بلفظ المستقبل وكذا فى الروم لان ما قبله ههنا ذكر الخوف والطمع وانهما يناسبان المستقبل واما فى الروم فلما سبق ما قبله ومعنى يرسل ان ارسل دوال فى الفرقان ارسل الرياح بلفظ الماضى لما سبق قبله كيف مد الظل وما قبله وهو الذى جعل وكذا فى فاطر مبنى على اول السورة فاطر السموات والارض جاعل الملئكة وهما بمعنى الماضى والله تعالى اعلم اما قوله نشرا بنون مفتوحة وشين ساكنة فانه مصدر نشر واشتقاقه اما على الحال بمعنى متنشرات واما لان ارسل ونشر متقاربان بان كانه قيل لنشرها نشرا من قرا نشرا بضمتين فانه جمع نشور كرسول ورسل وقد تخفف كرسل من قرا بشرا بضم الباء الواحدة وسكون الشين فانه مخفف بشر جمع بشير بمعنى بين يدى رحمته اى امام نعمته وهى الغيث الذى هو من اجل النعم واحسنها وهذا بحسب الاغلب فان المطر قد لا يتقدمه رياح يسلطها الله تعالى على السحاب والعرب يستعمل اليد بين بدل قدام واما مجازا لان اليد بين من الحيوان متقدمة وان على الرجلين حتى اذا اقلت حملت ورفعت واشتقاقه من الثقل لان الرافع الذى يقدر على حمل الثقيل يزعم ان ما بين رفعه قليل سحابا جمع سحابة وهذا قول ثعلب الاعلى الجمع جمع ثقيلة والضمير فى سقناه يعود الى السحاب على لفظه وضمير المتكلم فى سقناه على صلته اما الذى فى قوله وهو الذى فعلى طريقة الالتفات والا فالظاهر ان يقول نحن ارسلنا واعلم ان السحاب المستمطر للماء العظيم انما يبقى معلقا فى الهواء لانه تعالى قد يحكم ان يحرك الرياح تحريكا شديدا ولذلك الحركات فوائد منها ان اجزاء السحاب ينضم بعضها الى بعض ويتراكم وينعقد السحاب الكثيف لما طرنا ثم يصير متفرقا ومنها ان تحرك الرياح يمنة ويسرة فيمنع الاجزاء المائية الرشحية عن النزول فيبقى معلقا فى الهواء ومنها ان يلتمس السحاب الى موضع علم الله احتياجهم الى نزول الامطار ومن الرياح مقوية للزروع والاشجار ومكملة لما فيها

من النشو والنماء وهي اللواقح ومنها مبطئة طاكما في الخريف منها طيبة لذيذة موافقة للابدان ومنها مهلكة للحر الشديد كالسموم او البرد الشديد مشرقية ومغربية وشمالية وجنوبية وبالجملة فهبوب الرياح من كل جانب ولكنها ضبطت كذلك وقد يصعد الريح من قعر الارض فقد شاهد غليان شديد في البحر بسبب تولد الرياح في قعره ثم لا يزال يتزايد ذلك الغليان الى ان ينفصل الريح الى ما فوق البحر وعن علي عمر الرياح ثمان اربع منها عذاب وهو العاصف والقاصف والصرصر والعقيم واربع منها رحمة الناشرات والمبشرات والمرسلات والذاريات وعن النبي صلى الله عليه انه نعت بالصبا والدبور فهلك عاد بالدبور والجنوب وعن كعب لو حبس الله الريح عن عباده ثلثة ايام لانتن اكثر الارض وعن السدي انه تعالى يرسل الرياح فتاتي بالسحاب ثم انه تعالى يبسطه في السماء فيزل الماء على السحاب ثم يمطر السحاب بعد ذلك بوحشة وهي المطر ومعنى لبلد ميت اي لاجل بلد ميت ليس فيه نبات ولا زرع والبلد كل موضع من الارض عامرا وغير عامر خال او مسكون فانزلنا به الماء قال الزجاج وابن الانباري اي بالبلد وجاز ان يراد بالسحاب وبالسوق فالباء السببية فاخرجنا به قال الزجاج اي بالبلد من كل الثمرات وجود ان يراد بالماء قال اجمع الحكماء انه تعم ابداع في الماء قوة وطبيعة يوجب حدوث الاحوال المخصوصة عند امتزاج الماء بالتراب وقال اكثر المتكلمين ان الثمار ليست متولدة من الماء وانما اجرى الله تعم عادته لخلق الثمار ابتداء عقيب اختلاط الماء والتراب كذلك مثل ذلك الاخراج وهو اخراج الثمرات يخرج الموتى فالتشبيه انما وقع في اصل الاحياء اي كما احيا هذا البلد انبت فيه الشجر وجعل فيه الثمر كذلك يحيي الموتى بعد ان كانوا ترابا لان من يقدر على احداث الجسم وخلق الرطوبة والطعم فيه كان قادرا على احداث الحيوة في بدن الميت قال كثير من المفسرين المراد انه تعالى كما يخلق النبات بواسطة انزال المطر على الاحياء الرميم يروى انه يمطر على احياء الموتى فيما بين النفختين مطرا كمني الرجال اربعين يوما فينبتون عند ذلك احياء وعن مجاهد يمطر السماء عليهم حتى ينشق عنهم الارض كما ينشق الشجر عن النور والثمر عن سل الارواح فيعود كل روح الى جسده قال العلماء ان هولاء المفسرين ذهبوا الى هذا بناء على النقل وعلى اجراء العادة والا فانه تعالى قادر على خلق الحيوة في الجسم ابتداء من غير واسطة المطر كما انه يجمع بقدرته الاجزاء المتفرقة والمتمزقة غابر التفرق والتمزق وهذا ختم الاية بقوله لعلكم تذكرون والمعنى انكم لما شاهدتم ان الارض كانت مزينة وقت الربيع والصيف والخريف بالانهار والثمار والاشجار ثم صارت وقت الشتاء ميتة عارية عن تلك الزينة ثم احياها مرة اخرى فالقادر على احيائها قادر على احياء الاجساد بعد موتها ثم ضرب الله سبحانه مثلا للمؤمن والكافر شبه القران بالمطر وذلك ان الارض الحرة اذا انزل بها المطر حصل فيها انواع الانهار والثمار والارض السبخة بعد نزول المطر لا يخرج منها الا النزر القليل من النبات فكذلك النفس الطاهرة النقية من الاخلاق الذميمة اذا اتصل بها انوار القران ظهرت عليها انواع المعارف والاخلاق الفاضلة والنفس الخبيثة لا ترجع من ذلك الا بخفي حنين وقيل ليس المراد من الاية تمثيل المؤمن والكافر وانما المراد ان الارض السبخة يقل نفعها وثمرتها ومع ذلك فان صاحبها لا يهمل امرها بل يرغب نفسه في اصلاحها طمعا منه في تحصيل ما يليق بها من المنفعة فمن يطلب هذا النفع اليسير فلان يطلب النفع العظيم الموعود به في الدار الاخرة بالمشقة التي لا بد منها ومن تحملها اداء للطاعة كان اولى وحري الاية دالة على ان السعيد لا ينقلب شقيا وبالعكس لانها دلت على ان الارواح قسمان منها ما يكون في اصل جوهرها طاهرة نقية مستعدة لان يعرف الحق بذاته والخير لاجل العمل به ومنها ما يكون بالضد لا يقبل المعارف الحقيقية والاخلاق الفاضلة كالارض السبخة التي لا تنبت فيها الاشجار والانهار والثمار وتمام القول في هذا الكلام ان النفوس زاها مختلفة في سبل الله منها قاسية قلوبهم كالحجارة او اشد قوة ومنها ما تلذ ان الشهوة دون الغضب منها على العكس ومنها راغبة في المال دون الجاه ومنها بالخلاف ومن الراغبين في المال من يرغب في العقار دون الاثمان والنقود ومنهم من هو بالعكس وتمام القول في تاكيد هذه المعاني قوله سبحانه باذن ربه اي بتيسيره وهو في موضع الحال كانه قيل يخرج بناته حسنا كاملا الوتوعر في طباق نكدا والنكد الذي لا خير فيه وتقدير الاية وبنات البلد الخبيث لا يخرج بناته الا نكدا فحذف المضاف الذي هو البنات واقيم المضاف اليه وهو الضمير الراجع الى البلد مقامه فانقلب مرفوعا مستكنا بعد ان كان مجرورا بارزا من قرا نكدا افتح الكاف فعلى المصدر اي ذا نكد كذلك مثل ذلك التصريف نردد الايات ونكررها لقوم يشكرون نعمة الله لان فائدة التصريف تعود عليهم وانما ختم الاية باعث على الشكر لان الذي سبق ذكره هو ان الله تعالى يرسل الرياح النافعة فيجعلها سببا للمطر الذي هو سبب الملاذ والطيبات فهذا يدل من احد الوجهين على وجود الصانع وقدرته وحكمته ومن الوجه الثاني على عظيم نعمه وقدرته فوجب من هذا الوجه مقابلتها بالشكر والله اعلم التاويل عرف ذاته الخلق بصفات الهوية والالوهية والقادرية والخالقية والمدبرية والحكيمية والاستوائية فقال ان ربكم الله الاية وانما خص ستة ايام لان انواع المخلوقات الارواح الانسانية والمكونات منها الملائكة والجن والشياطين والملكوت والسموات والارض ومنها العقول المفردة والمركبة ومنها النفوس السماوية والارضية والاجرام البسيطة العلوية كالعرش والكرسي والسموات والجنة والنار والاجسام البسيطة السفلية وهي العناصر والاجسام الكثيفة المركبة من العناصر فلما خلق الانواع الستة استوى على العرش بعد الفراغ من خلقها استواء التصرف في العالم وما فيه وخص العرش بالاستواء لانه مبدا الاجسام اللطيفة قابلة للفيض الالهي والاستواء لا يشبه استواء المخلوقين كما ان علمه لا يشبه علم المخلوقين ومن اسرار الخلافة الروح تتصرف في النطفة ايام الحمل فتجعلها عالما صغيرا فبدنه كالارض ورأسه كالسماء والقلب كالعرش والسر كالكرسي والقلب بقسم فيض الروح الى القالب كما ان العرش يقسم فيض الاله الى سائر المخلوقات

الجزء الثامن

يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين ادعوا ربكم تضرعا وخفية بالجوارح وخفية بالقلوب او تضرعا بادائه وخفية بطالب حق الربوبية انه لا يحب المعتدين الذين يطلبون شهودا ولا تفسدوا في الارض الفاوب بعد ان اصلحها الله برفع الوسايط وادعوه خوفا من الانقطاع وطمعا في الاصطناع او خوفا من الاستبعاد وطمعا في الوصلة او خوفا من الانفصال وطمعا في الوصال من المحسنين الذين لا يرون سواه في كل نفس وهو الذي يرسل رياح العناية فتنشر سحابا ثقالا بامطار المحبة سقناه لكل قلب ميت فانزلنا به ماء المحبة فاخرجنا ثمرات المكاشفات والمشاهدات كذلك نخرج موتى القلوب من قبور الصدور لعلكم تذكرون ايام حبوتكم في عالم الارواح اذ كنتم في رياض القدس وحياض الانس والبلد الطيب القلب الحي تخلق بالخلاق الحميدة كذلك نفرق الآيات الى النفوس وصفاتها الى اوصاف القلب باخلاقه

ع ۵ لقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم

تحقيقا فرستاديم نوح را بسوى قومش پس گفت كراى قوم پرستيد خداى يكتا را نيست شما را خداى بجز او بدرستى كه من ميترسم بر شما عذاب روز گران

قال الملا من قومه انا لنريك في ضلال مبين قال يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين ابلغكم

گفتند بزرگان از قوم او كه ما هر آينه ميبينيم تو را در گمراهى هويدا گفت اى قوم نيست در من گمراهى ولكن من پيغمبرى از پروردگار جهانيانم

رسالات ربي وانصح لكم واعلم من الله ما لا تعلمون او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم

پيغامهاى پروردگارم را ميرسانم بشما و ميدانم از خدا آنچه را كه نميدانيد ايا تعجب ميكنيد از آمدن يادى از پروردگارتان بر

لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون فكذبوه فانجيناه والذين معه في الفلك واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا انهم كانوا

مردى از شما تا بيم كند شما را و تا پرهيزيد و شايد كه رحم كرده شويد پس تكذيب كردند او را پس نجات داديم او را و آنانرا كه با او بودند در كشتى و غرق نموديم آنانرا كه تكذيب كردند آيات ما را بدرستى كه

قوما عمين واخا هم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون قال الملا الذين كفروا من

گروهى كور دلان و بسوى عاد برادرشان هود را گفت كراى قوم پرستيد خداى را نيست شما را خداى جز او پس نميپرهيزيد گفتند بزرگان آنانكه كافر شدند از

قومه انا لنريك في سفاهة وانا لنظنك من الكاذبين قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب

قوم او كه ما هر آينه ميبينيم تو را در بيخردى و بدرستى كه گمان ميكنيم تو را از دروغگويان گفت اى قوم نيست من بيخردى وليكن من پيغمبرم از پروردگار

العالمين ابلغكم رسالات ربي وانا لكم ناصح امين او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم

جهانيان كه ميرسانم بشما پيغامهاى پروردگارم را و من شما را پند دهنده امينم آيا تعجب ميكنيد از آمدن يادى از پروردگارتان بر مردى از شما تا بيم رساند شما را

واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون قالوا

و ياد آريد وقتى را كه گردانيد شما را جانشينان از بعد قوم نوح و افزونى داد شما را در آفرينش درازى و نيرومندى جثه پس ياد آوريد نعمتهاى خداى را شايد كه رستگار شويد گفتند

اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين قال قد وقع عليكم

آمدى ما را تا بپرستيم خداى را تنها و واگذاريم آنچه را ميپرستيدند پدران ما پس بيار بر ما آنچه را وعده ميكردى ما را اگر هستى از راستگويان گفت كه افتيد بر شما

من ربكم رجس وغضب اتجادلونني في اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان فانتظروا اني معكم

از پروردگارتان پليدى و خشم آيا خصومت ميكنيد مرا در نامهائى كه خود نهاده ايد آنها را شما و پدران شما فرو نفرستاده است خدايتعالى بر آن هيچ حجتى پس منتظر باشيد كه منتظرانم

من المنتظرين فانجيناه والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين

پس نجات داديم او را و آنانرا كه با او بودند بمهربانى خود و بريديم و صل آنانرا كه تكذيب كردند آيات ما را و نبودند مؤمنان

القراءة الا غيره بالجر على الوصف حيث كان بن يديه وعلى الباقون بالرفع حملا على محل من اله الى اخاف بفتح الياء ابو عمرو وابو جعفر ونافع وابن كثير الباقون بالكسر بالتخفيف حيث كان ابو عمرو والباقون بالتشديد عباس بالاختلاس بسطة بالصاد ابو جعفر ونافع وابن كثير غير ابن مجاهد والجعفي عن قتيبة وعاصم وعلي وسهل وشجاع وابن الاخرم عن ابن ذكوان لتحولان عن قالون مخبرا الوقوف غيره عظيم مبين العلمين لا يعلمون ترحمون بآياتنا عمين هودا غيره تتقون الكاذبين امين لينذركم لنا هي الاستفهام بسطة تبينها على الانعام العام بعد ذكر انعام خاص مع اتفاق الجملتين تفلحون آباؤنا التعديل مع فاء التعقيب الصادقين وغضب سلطان لانها الاستفهام الى امر التهديد المنتظرين مؤمنين التفسير لما ذكر تقدير المبدأ والمعاد دلائل قاهرة وبينات باهرة شرع في قصص الانبياء وفي ذلك فوائد منها التنبيه على ان اعراض الناس عن قبول الحق لا لعلة عادة معتادة فيكون فيه تسلية لرسول الله ص ومنها بيان سوء عاقبة المستكبرين وحسن عقبى المطيعين وفي ذلك تقوية قلوب المحقين وكسر قلوب المبطلين ومنها التنبيه على ان الله سبحانه لا يهمل المبطلين وان كان يمهلهم ومنها العظة والاعتبار لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب ومنها الدلالة على نبوة محمد ص من حيث انه اخبار بالغيب لانه لم يقرأ الكتب فيكون قد عرف ذلك بالوحي لا محالة فمن القصص اولا ما قصه الله تعالى في اول السورة الثانية قصة نوح وهو نوح بن لمك هو شلخ بن اخنوخ واخنوخ اسمه ادريس قيل كان اسمه بشكر سمي نوحا لكثرة ما ناح على نفسه حين دعا على قومه فاهلكوا فاسم ادريس راجع ربه في شان ابنه ادريس مر بكلب مجذوم فقال له اخسأ

يا تبيح فعوتب على ذلك قال الله اعتبني اذ خلفته ام عتب لكلب هذه الوجوه متكلفة فان الاعلام لا تفيد صفة في المسمى والصحيح انه اسم اعجمي
قال ابن عباس معنى ارسلنا بعثنا وقال اخرون معناه انه تعالى حمله رسالة نبوة بها فالرسالة على هذا التفسير يكون متضمنة للبعث فيكون البعث كالتابع
لانه اصل معاني التفسير الكبير وهذا البحث مبني على مسئلة اصولية وهي ان الرسول ارسل الى قوم ليعرفهم احكاما لا سبيل لهم الى معرفتها بعقولهم او الغرض
من بعثه مجرد تاكيد ما في العقول وهذا الاختلاف يتفاريع المعتزلة التي منها ان امر نوح بعبادة الله ثم حكم بانه لا اله الا الله ثم حذرهم عذاب يوم عظيم
هو القيامة او الطوفان ولم يذكر دليلا على هذه الدعاوي الثلث لان قوله بعد ظهور المعجزة جئتكم او لعله قد ذكر الخ وما حكاها الله تعالى انه قد علم
من القرآن ذم التقليد في مواضع كثيرة فيعلم ان نبي الله لا يامر قومه بالتقليد المحض وايضا قدم دلائل التوحيد والنبوة وفتح القرآن من اول سورة
البقرة الى ههنا غير مرة توقع التعويل على ذلك هذا مع ان الحكم الثاني كالعلة للاول لانه اذا لم يكن لهم اله غيره كان كل ما حصل عندهم من وجوه النفع
والاحسان والقرب واللطف حاصلا منه ونهايته الانعام بوجب غاية التعظيم ومن هنا قال بعض العلماء لا يحسن منا عبادة الله تعالى قبل العلم بانه واحد
لانا اذا جوزنا النعمة لمستحق المنعم فيقع العبادة ضائعة والا فمعناه استحقاق العبادة والالوهية لان غير معبود ومعنى الخوف في الاية قال بعضهم
الجزم واليقين لانه كان جازما بنزول العذاب بهم عاجلا وقال اخرون الشك لانه كان يجوز ايمانهم ومع هذا التجويز كيف يجزم بالعذاب او لعل
السمع لم يرد بعد فلهذا كان متوقفا او لعله وصف العذاب على جواز ثم انه تردد في وصف العذاب لانه في نفس العذاب وقيل المراد من الخوف
التحذير وجملة قوله اني اخاف بيان للدعاء ان عبادته لانه هو المحق وعقابه دون الاصنام فقال الملا من قومه اي الاشراف وصدور المجالس
الذين هم بعض قومه في جواب نوح انا لنريك في ضلال في ذهاب عن طريق الحق والصواب مبين بين والرؤية رؤية القلب بمعنى الاعتقاد
والظن دون المشاهدة والبديهة نسبوه الى الضلال فيما ادعاه من التكليف بالتوحيد والنبوة والمعاد قال يا قوم ليس بي ضلالة لم يقل ضلال
ليكون ابلغ لعموم السلب كانه قال ليس بي نوع من انواع الضلال ثم لما نفى عن نفسه العيب الذي نسبوا اليه وصف نفسه باشرف الصفات واجلها
فاستدرك قائلا ولكني رسول من رب العالمين وهذا الاستدراك يسمى في علم البيان تاكيد المدح بما يشبه الذم وفي ذلك بيان فرط جهالتهم
وعنوهم حيث صفوا من هو بهذه المنزلة من الهدى بالضلال التام الذي لا ضلال بعده وبيان مدح الانسان نفسه اذا كان في موضع
جائز ثم ذكر ما هو المقصود من البعثة وهو امران الاول تبليغ الرسالة والثاني نقريرها بالنصيحة فقال ابلغكم الا بتجملة الاستيناف بيانا لكونه
رسولا من رب العالمين او صفة لرسول وانما جاز ان يكون صفة ولفظ الرسول غائب نظرا الى المعنى كقوله انا الذي سمتني امي حيدره وانا
ربي ما اوحى الي في الاوقات المتطاولة او ما اوحى الي في المعاني المختلفة من الاوامر النواهي وشرح مقاديره وان كان جاهلا ولكن بقول ناصح
لك قال في الكشاف وزيادة اللام مبالغة ودلالة على تحاض النصيحة وحقيقة النصح الارشاد الى المصلحة مع خلوص النية من شوائب المكروه ومعنى
الاية وابلغكم تكاليف الله ثم ارشدكم الى الاصلح الاصوب ادعوكم الى ما دعاني الله نعم واحب لكم ما احب لنفسي واعلم من الله ما لا تعلمون اي اعلم انكم
ان عصيتموني امر عاقبتكم بالطوفان وذلك انهم لم يسمعوا بقوم حل بهم العذاب قبلهم او اعلم ان الله يعاقبكم في الاخرة عقابا او اعلم من توحيد الله من
صفاته ما لا تعلمون يكون المقصود حمل القوم على ان يرجعوا اليه في طلب تلك العلوم او عجبهم الهمزة للانكار والمعطوف محذوف والتقدير اكذبتم
وعجبتم من ان جاءكم ذكر من ربكم قال الحسن يعني الوحي الذي جاءهم به وقال اخرون الذكر المعجز كالعا او غيره كتاب قبل هو الموعظة على رجل اي على لسانه
قاله ابن قتيبة نظيره انشانا وعدنا على رسلك وقال الفراء على بمعنى مع تقول جاءنا الخير على وجهك كلاهما جائز وقيل الهمزة على رجل ومعنى
منكم من بني نوعكم كانهم استبعدوا ان يكون لله رسول الى خلقه لاعتقادهم ان المقصود من الارسال التكليف وان التكليف لا منفعة للمكلف ولا للعباد لتضرره في المحال واما في المال فالله تعالى قادر على تحصيله بدون واسطة التكليف وايضا ان العقل كاف في معرفة الحسن القبيح والعالم حسنه ولا قبحه فان كان المكلف مضطرا اليه ترك حذرا عن الخطر وتبقد بانه لا بد من الرسول فان ارسال الملائكة اولى لشدة بطشهم وقوة
عضلهم وطهارتهم واستغنائهم عن الاكل والشرب والنكاح وتبقد بجواز كون النبي من البشر فلعلهم اعتقدوا ان من كان نفره اخاهم لا يصلح
للنبوة فانكر نوح عليهم كل هذه الاشياء لانه تعالى خالق الخلق فله بحكم الالهية ان يامر عباده ببعض الاشياء وينهاهم عن بعضها ولا يجوز ان يخالفهم
بتلك التكاليف من غير واسطة لان ذلك يفضي الى حد الالجاء المنافي للتكليف ولا يجوز ان يكون ذلك الرسول ملكا لان الجنس الى الجنس
اسكن وقدم في اول الاعراف ثم بين ما لاجله بعث الرسول فقال لينذركم لاية وانتم ترتيب انيق لان المقصود من البعثة الانذار والتقوى و
من التقوى الفوز برحمة الله قال الجبائي والكعبي في الاية دلالة على انه تعالى لم يرد من المبعوث اليهم الا التقوى ومن التقوى الجنة دون الكفر والعذاب
وعورض بالعلم والداعي كما مر مرارا لكذبوه في ادعاء النبوة وتبليغ التكاليف واصروا قال بعض العلماء ما في حق العقلاء من التكذيب بغير
الباء نحو كذبوا رسلي وكذبوه وما في حق غيرهم غالبا نحو كذبوا بايانا والتحقيق ان المراد كذبوا رسلنا برد ايانا فانجيناه والذين استقروا
معه في الفلك انجيناهم في السفينة من الطوفان قيل كانوا اربعين رجلا وامراة وقيل كانوا ثمانية بنو سام وحام ويافث وستة ممن امن وانما
قال في سورة يونس فنجيناه ومن معه في الفلك لان التشديد للتكثير ولفظة من ادل على العموم ولفظ معه يقع على الواحد والتثنية والجمع والمذكر
والمؤنث بخلاف الذين انهم كانوا قوما عمين قال ابن عباس عميت قلوبهم عن معرفة التوحيد والنبوة والمعاد وقال اهل اللغة يقال للرجل عمي

الاعراف

بالعظم

الضرورة

ذكر

ومع وجملتهم

فعلى تقدير ان الكاف

مضطر اليه

ومن الانذار

الجزء الثامن

البصيرة واعمى البصر العجيب يدل على عمى ثابت على عمى حادث القصة الثالثة قصة هود وذلك قوله سبحانه وتعالى عاد اخاهم هودا والتقدير لقد ارسلنا نوحا الى قومه وارسلنا الى عاد اخاهم هودا ما كان اخاهم في الدين ثم قال الزجاج معناه انه كان من ادم ومن جنسهم لا من جنس الملئكة والجن وقيل اراد واحدا منهم قاله الكلبي وهو من قولك يا اخا العرب لواحد منهم وخص واحدا منهم بالارسال اليهم ليكونوا اعرف بحاله في صدقه وامانته وقيل معناه صالحهم ونسبه هود بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح وهودا عطف بيان لاخاهم واما عاد فهم كانوا باليمن بالاحقاف قال ابن اسحق والاحقاف الرمل الذي بين عمان الى حضرموت واعلم الفاظ هذه القصة بعضها يوافق الالفاظ المذكورة في قصة نوح وبعضها يخالفها فلنبين اسرارها الجواب عن شبهاتهم لحظة واحدة واما هود فما كان حظه الى هذا الحد فلا جرم جاء بالتعقيب في قصة نوح دون قصة هود ووافعة هود كانت مسبوقة بواقعة نوح فوقع الاقتصار على ذلك اي لعلكم تحذرون مثل ذلك العذاب العظيم الذي اشتهر خبره في الدنيا ومنها قال الملا من قومه ويمكن ان يقال لما اضمر ارسلنا اضمر الفاء لان الذي يجيء بالالفاظ لفظا ارسلنا وفي الكشاف ان هذا وارد على سبيل استيناف قصة هود قال الملا الذين كفروا من قومه انما ان هذا وصف دال على الذم لا على غيره واما انه لم تكن في اشراف قوم نوح من يؤمن وكان في اشراف قوم هود من امن به منهم مرثد بن سعد الذي كان يكتم اسلامه فاريد بالتفرقة بالوصف ومنها ان قوم نوح قالوا انا لنريك في ضلال مبين وقوم هود قالوا انا لنريك في سفاهة اي يمكننا منها ممكن المظروف من ظرفه ومن ذلك ان نوحا كان يخوفهم بالطوفان العام وكان يشتغل باعداد السفينة مدة طويلة فوصفوه بضعف العقل اي البعد عن السداد واما هود فما ذكر شيئا الا ان معتقدهم في عبادة الاصنام وطعن فيها فقابلوا بمثله ونسبوه الى السفاهة وخفة العقل حيث فارق دين قومه ثم قالوا وانا لنظنك من الكاذبين في ادعاء الرسالة قيل الظن بمعنى الجزم واليقين كقوله الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم قال الحسن والزجاج كانوا شاكين فيعلم منه ان الشك والتجويز في اصول الدين يوجب الكفر ومنها قول نوح وانصح لكم وذلك لانه كان من عادة نوح عليه السلام العود الى تجديد تلك الدعوة في كل يوم ساعة وصيغة الفعل دلت على التجدد والاستمرار لهذا قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا الى اخر الايات واما هود فكان ابتداء على النصح غير مجددا اياه لحظة فلحظة كما كان يفعل نوح ثم ان نوحا عرف ان اعلم من الله ما لا تعلمون لانه كان يعلم من اسرار الله تعالى ما لا يصل اليه هود فلا جرم امسك هود لسانه واقتصر على وصف نفسه بكونه امينا فقط اي عرفت فيما بينكم بالنصح والامانة فلبس من حقي ان اتي بالكذب والغش والمراد نفي ما يوجب الرسالة فانها تنافي ذلك على الامانة اي انا كم ناصح فيما ادعوكم اليه امين على ما اقول لكم لا اكذب فيه وفي هذين الجوابين عن مثل ذينك التخصيصين مع جلالة الشخصين دليل على ان الحكيم يجيب لا يقابل السفيه بالكلام المبني على الحلم والاغضاء ومنها ان هودا اقتصر على قوله لبيان ذكر لما مر في قصة نوح ان فائدة الانذار هي حصول التقوى لوجوب الرحمة فلم يكن حاجة الى الاعادة ولكنه ختم الى ذلك الغرض بهم فقال واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح اي خلفتموهم في الارض وجعلكم ملوكا فاستخلفكم فيها بعد هلاك امثالكم ودياركم وقراهم واموالهم واملاكهم وما يتصل بها من المنافع واذ مفعول به لا ظرف اي اذكروا وقت جعلكم وقدركم في الخلق بسطة فاخلق للتقدير قلما يتطرق الاعلى الشيء الذي له مقدار وجهة والمراد حصول الزيادة في اجسامهم زيادة خارقة للعادة والا لم تكن معرض الامتنان قال الكلبي كان اطولهم مائة ذراع واقصرهم ستون ذراعا وقال الاخرون تلك الزيادة هو مقدار ما يبلغه بد الانسان اذا رفعها كانوا يفضلون على اهل زمانهم بهذا القدر ومنهم من حمل اللفظ على الزيادة في القوة ومنهم من حمل اللفظ على الزيادة في القوة ومنهم من قال الخلق الخليقة وبسطتهم فيهم كونهم من قبيلة واحدة متشاركين في القوة والشدة والجلادة متناصرين متعاونين فاذكروا الاء الله في استخلاصكم وتبوئكم اجراكم وفيما سواها من عطاياه والاء الله نعمه واحدها الى وقيل الى واناء كمعى واعناء قال ابن الجوهري واحدها الى بالفتح وقد يكسر ويكتب ايضا استدل الطاعنون في وجوب الاعمال الظاهرة بالامر فقالوا انه تعالى رتب حصول الفلاح على مجرد التذكر فوجب ان لا يجب الا ذلك على وجوب العمل مخصصة او مقيدة والتقدير فاذكروا الاء الله واعملوا عملا يليق بذلك الانعام لعلكم تفلحون ذكرهم بنعم الله عليهم ليرجعوا الى عقولهم فيعلموا ان العبادة نهاية التعظيم ولا يليق الا بمن صدر عنه نهاية الانعام وليس للاصنام على الخلق شيء من النعم لانها جماد لا قدرة له اصلا فلم يكن للقوم جواب عن هذه الحجة الا التمسك بطريقة التقليد وذلك قولهم اجئتنا لنعبد الله وحده الهمزة لانكار اختصاص الله وحده بالعبادة وذر الجي وعبد منها ان يكون لهود معتزل يختص فيه اي يتفصد كما كان يفعل رسول الله صلعم بحرا قبل المبعث فلما اوحي اليه جاء قومه يدعوهم ومنها الاستفهام اعتقادا منهم ان الله لا يرسل الا ملكا فكانهم قالوا اجئتنا من السماء كما يجيء الملك ومنها ان مراد القصد كما بقي دهرهم يشتمنى ولا مراد حقيقة الذهاب ثم قالوا لتعرضنا لنا بتكليفنا عبادة الله وحده اي منفردا عن الاصنام وهو من المعارف التي وقعنا عليها بابائنا ولا يمكن ان يكون وحده ههنا اعتراضا لا يقبل الموحد لا اله الا الله وقال الله وحده لان الفرض انهم مشركون ثم ان قول هود بما قبل فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين كان مشعرا بالتهديد والوعيد فلهذا استعجل العذاب زعما منهم انه كاذب وذلك قولهم فاتنا بما تعدنا فاجابهم هود بقوله قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب ولا بد ان يحمل على معنيين متغايرين لكان العطف اما العضب في حقه تعالى فارادة ايقاع السوء كما سبق مرارا واما الرجس ضد الطهر كما قال سبحانه في صفة اهل البيت انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا وقال الفقال الرجس هو الاوزار في الكفر بالوهين على القلوب كما قال فزادتهم رجسا الى رجسهم وهذا التفسير اخص اما قوله قد

وانصفوا على ان هودا

وقال هود انا لكم

وقال

وقع ولا يقع العذاب بعد فيه وجوه قال بعض من يقول بان ارادة الله تعالى حادثة معناه انه تعالى احدث ارادة فى ذلك الوقت وقبل اراد هو انه اخبر بنزول العذاب قبل جعل الموقع الذى لا شك فيه بمنزلة الواقع كقول الرجل من طلب منك حاجة قد كان ذلك تريد انها ستكون البتة وعن حسان ان ابنا عبد الرحمن لسعر بن بنوء وهو طفل فجاء اباه يبكى فقال له يا بنى مالك فقال لسعر ظهر كانه ملتف فى بردى حبرة فضحك صدره وقال يا بنى قد قلت لشعر ثم انكر عليهم قبيح فعالهم فقال اتجادلونى فى اسماء تسميتموها انتم واباؤكم ما نزل الله بها من سلطان اى لا حجة على حقيقتها فنزل والحاصل انها اسماء بلا مسميات لانكم تسمونها الهة ومعنى الالهية فيها معدوم محال سموا واحدا بالغرى مشتقا من العز وما اعطاه الله تعالى عزا اصلا وسموا اخر منها باللات من الالهة اثر وقال انما فى هذه السورة وفى غيرها ما سيجئ انزل لان نزل للتكثير فيكون للمبالغة ويجرى ما بعده مجرى التفصيل للجملة والله اعلم ثم انه ذكرهم وعبد الجد دا فقال فانجيناه والذين امنوا معه برحمة منا بسبب رحمته اياهم كما قال وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وفائدة نفى الايمان عنهم فى قوله وما كانوا مؤمنين مع اثبات التكذيب بايات ربهم ان يكون تعريضا بمن امن منهم كمرثد بن سعد وغيره ولقد قطعنا دابر الذين كذبوا ولم يكونوا مثل من امن منهم ومعنى وما كانوا مؤمنين فى علم الله تعالى اى لم يكونوا بحيث من الممكن ان يكونوا اولو بقوا الامنوا قال فى الكشاف وان عادا قد تبسطوا فى البلاد ما بين عمان وحضرموت وكانت لهم اصنام يعبدونها صدا وصمودا والطبا فبعث الله هودا نبيا وكان من اوسطهم واشرفهم وافضلهم حسبا فكذبوه وازدادوا عتوا وتجبرا فامسك الله عنهم القطر ثلث سنين حتى جهدوا وان الناس كانوا اذا نزل بهم بلاء طلبوا الى الله الفرج من ذلك عند بيته الحرام فمشلهم ومشركهم واهل مكة اذ ذاك العمالقة اولاد عملیق او دعد بن عاد بن نوح وسيدهم معوية بن بكر فجهزت عاد الى مكة من اماثلهم سبعين رجلا منهم قيل بن عنز بن وعد بن سعد الذى كان يكتم اسلامه فلما نزلوا على معوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجا من الحرم انزلهم واكرمهم كانوا اخواله واصهاره فاقاموا عنده شهرا يشربون الخمر وبغنيهم الجرادتان فهنان كانتا لمعوية احداهما ودده والاخرى جوادة ولما رأى طول مقامهم وذهولهم باللهو عما قدموا لاجله اهم ذلك وقال قد هلك اخوالى واصهارى هؤلاء على ما هم عليه وكان يستحيى ان يكلمهم خفة ان يظنوا بر ثقل مقامهم عليه فذكر ذلك للفهنين فقالا قل قولا تعينهم به لا يدرون من قاله فقال معوية الا يا قيل ويحك قم فههم لعل الله يسقينا غماما وبسقى ارض عاد ان عادا قد امسوا ما يبينون الكلام من الصهباء اخفاء الكلام فى الدعاء وغيره ومعنى يسقينا يجعلنا سقاتيا لنا وقوله ما يبينون الكلام اى لا يكادون يفقهون قولا من ضعفهم وسوء حالهم فلما غشيانا قالوا ان قومكم ينغوثون من البلاء الذى نزل بهم وقد ابطأ عليهم فادخلوا الحرم واستسقوا لقومكم فقال لهم مرثد بن سعد والله لا يسقون بدعائكم ولكن ان اطعتم نبيكم وتبتم الى ربكم سقيتم واظهر اسلامه فقالوا لمعوية احبس عنا مرثدا لا يقدم علينا مكة فانه قد اتبع دين هود ثم ناداه مناد من السما يا قيل اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت السوافانها اكثرهن ماء فخرجت على عاد من وادٍ لهم يقال له المغيث فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فاهلكتهم وبخا هود والمؤمنون معه فاتوا مكة فعبدوا الله فيها حتى ماتوا فالنادبل لقد ارسلنا نوحا الروح الى قومه ببلاد الفوالب وهم القلب صفاته والنفس وصفاتها ومن صفة الروح العبودية والطاعة دعوة القلب النفس صفاتها الى الله وعبوديته ومن صفات النفس تكذيب الروح ومخالفته والاباء عن نصحه والتعجب فكذبوا يعنى النفس صفاتها نوح الروح فانجيناه والذين معه فى الفلك الشريعة واغرقنا النفس وصفاتها فى بحر الدنيا وشهواتها انهم كانوا قوما عمين عن رؤية الله والوصول اليه وزادكم فى الخلق بسطة كما اوقع التفاوت بين الشخص والشخص فيما يعود الى المبانى اوقع التباين بين قوم وقوم فيما يرجع الى المعانى قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب اى مقالتكم ندل على حالتكم اذ اصابكم سطوات العذاب فمن امارات الاعراض دالة على العمى الى شهود الاغيار وتفريغ اياه فى بحار الظنون والاوهام والجدال

وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً ۖ

وفرستادیم سوی ثمود یکی از برادران ایشان صالح را گفت ای قوم من پرستید خدای را نیست شما را خدائی جز او هر آینه آمد شما را حجتی روشن از پروردگار شما این شتر ماده از برای شما نشانی است

فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ ۚ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۚ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ عَادٍ وَ

پس واگذارید او را تا بخورد در زمین خدا و ملاقات مکنید او را بدی پس فرا گیرد شما را عذاب دردناک و یاد آورید وقتی را که گردانید شما را جانشینان از بعد قوم عاد و

بَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ

منزل داد شما را در زمین که فرا میگیرید از دشتهای او قصرها و میتراشید کوهها را از جهة خانه پس یاد کنید نعمتهای خدا را و حرکت نکنید در زمین

مُفْسِدِينَ ۝ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا

فساد کنندگان گفتند بزرگان آنان که سرکشی کردند از قوم او مر آنهائی را که ناتوان بودند مر آنهائی را که ایمان آورده بودند از ایشان آیا دانید که صالح

مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ ۚ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ۝ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنتُم بِهِ كَافِرُونَ ۝

فرستاده است از پروردگار او گفتند ما بآنچه فرستاده شده بآن گروندگانیم گفتند آنان که سرکشی کردند ما بدرستیکه ما بآنچه گرویده اید بآن کافرانیم

فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝

پس پی کردند شتر را و در گذشتند از فرمان پروردگار ایشان و گفتند ای صالح بیاور بر ما آنچه وعده میدهی ما را اگر هستی از پیغمبران

نزل او انواع للجنس ع

كانه قيل ع

فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ

پس فرا گرفت ایشانرا عذاب پس صبح کردند در خانها و منزلهای خود زانو زده پس روی گردانید از ایشان و گفت ای قوم من آینه رسانیدم شما را پیغام

رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ

پروردگار من و پند دادم شما را ولیکن دوست ندارید پند دهندگان را و لوط را چون گفت مر قوم خود را آیا میآیید بفعل زشت که پیش نگرفته شما را بآن هیچ کس از عالمیان

إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا أَخْرِجُوهُم مِّن

میکنید با مردان از علیه شهوت از غیر زنان بلکه شما گروهی زیاده روایید و نبود جواب قوم او بجز آنکه گفتند بیرون کنید

قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ

از دیه خود که ایشان مردمانیند که میجویند پس ما رهانیدیم او را و اهل او را بجز زنش که بود از باز ماندگان و بارانیدیم بر ایشان باران پس بنگر که چگونه بود عاقبت گناهکاران

الفضل ابو وقال الملك بالواو ابن عامر انكم بحذف همزة الاستفهام ابو جعفر ونافع وحفص سهل أئنكم همزة بهمزتين ابن عامر وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير حفص

هشام يدخل بينهما مدة أئنكم بالمد وبالياء ابو عمرو وبدلها بالهمزة والياء ابن كثير ويعقوب غير زيد الوقوف صالحا لئلا يظن ان صالحا صفة

لاعلم فالجملة بعده نعت له وهذا بخلاف اسم شعيب غير من الاعلام العربية غير طا من ربكم آية هو ناقة الله في قصة هود بن بسطة مفسر من ربكم

مؤمنون كافرون المرسلين جاثمين ناصحين من العالمين من دون النساء لمكان الاضراب مسرفون من قريتكم لاحتمال التقليل استهزاء

لامر انه لاحتمال الاستئناف والاشبه انها حال المرأة من الغابرين من مطر الحجر بن التفسير القصة الرابعة قصة صالح مع قومه ثمود قال ابو عمرو بن

العلاء سميت ثمود لقلة مائها من الثمد هو الماء القليل وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام الى وادي القرى وانه لا ينصرف نادة بتأويل القبيلة

وينصرف لنوء بتأويل الحي وباعتبار الاصل لانه اسم ابيهم الاكبر وهو ثمود بن عامر بن ارم بن سام بن نوح وقيل ان ثمود اخ جديس وطسم وقد ورد

القرآن بالصرف ومنعه جميعا قال تعالى ألا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ ألا بُعْدًا لِثَمُودَ قد جاءتكم بَيِّنَةٌ آية ظاهرة دالة على صدق وكانه قيل ما تلك

البينة فقال هذه ناقة الله لكم آية وانتصابها على الحال والعامل فيها ما في اسم الاشارة او حرف التنبيه من معنى الفعل اي اشير اليها او انبه

عليها آية ولكم بيان لمن هي له آية موجبة للايمان وهم ثمود وسبب تخصيص اولئك الاقوام بها مع انها آية لكل احد انهم عاينوها وغيرهم اخبروا

بها وليس الخبر كالمعاينة او لعله سبق سائر المعجزات الا ان القوم التمسوا هذه المعجزة بعينها على سبيل الاقتراح فاظهرها الله تعالى لهم فلهذا

حسن التخصيص وانما اضيفت الى اسم الله تعظيما لها وتفخيما لشانها حيث جاءت مكونة من عند من غير فحل وطرقة آية من آياته كما يقول آية

الله وبيت الله وبالحقيقة هي آية تشتمل على آيات فخروجها من الجبل آية وكونها الا من ذكورا وانثى آية وكمال خلقها من غير تدريج ومهل آية

ان لها شرب يوم ولجميع ثمود شرب يوم آية وكذا الكلام في قوتها الماسة للماء وفي غزارة لبنها وانكر الحسن فقال انها لم تغلب قط قليل

وروي ان جميع الحيوانات كانت تمتنع عن الورود في يوم شربها وقيل سميت ناقة الله لانه لا مالك لها سوى الله تعالى وقيل لانها جعلت الله

على القوم فذروها تاكل في ارض الله اي التي لا تضار ناقة الله والارض ارض الله فدعوها تاكل في ارضها وما انبت منها ولا تمسوها بسوء من العقر

والطرد وسائر انواع الاذى اكرما لاضافتها الى الله فيأخذكم عذاب اليم يعني اخذ الاستئصال والاستيصال وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ عَادٍ

تفسير كما في قصة هود وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ انزلكم فيها والمباءة المنزل والارض ارض الحجر تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا اي تبنون من سهولها الارض

تنحتون بما تعملون من الاراضي السهلة لبنا واجاردهصا وانتصاب بيوتا على الحال المقدرة كما تقول خط هذا الثوب قميصا في حال الخياطة

ويجوز ان يكون من مقدرة اكتفاء بقوله من سهولها كما كانت في موضع اخر تَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ فيكون منصوبا على انه

مفعول به وقيل لم يرد انهم كانوا يسكنون السهول في الشتاء فاذكروا آلاء الله يعني الى قد ذكرت لكم بعض نعم ربكم فاذكروا

انتم تمامها وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ قبل نهي من حفر الناقة ولا واحمله على العموم اعرابه قد مر في اوائل سورة البقرة قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا

مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ

لشدة الاتصال والضمير في منهم اما ان يرجع الى الذين استضعفوا فيكون البدل بدل البعض ودل على ان المستضعفين فريقان مؤمنون

وكافرون واما ان يرجع الى قومه فيكون البدل بدل الكل ودل على ان الاستضعاف من شان اهل الايمان ليستهزئهم المستكبرون ولا يكون

صفة لدم في حقهم وانما الذم يعود الى المستهزئين وفي الآية دلالة على ان الفقر خير من الغنى لان الاستكبار يتولد من كثرة المال والجاه والتعيز

والانفياد يشأ من قلتها أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ على سبيل التحكم والتسخر به لا للاستعلام والاسترشاد قالوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ

جعلوا ارساله امرا بينا مكشوفا مسلما لا يدخله ريب انما الكلام في وجوب الايمان فنحن كما انا به مؤمنون ولذلك قال الذين استكبروا

في جوابهم إِنَّا بِالَّذِي آمَنتُمْ بِهِ كَافِرُونَ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ قال الازهري العقر عند العرب كشف عن قوائم البعير ثم اطلق على النحر اطلاقا لاسم

السبب على المسبب واسند العقر الى جميعهم لانه كان برضاهم مع امر عاشرة الاربعة منهم وقد بقي للقبيلة العظيمة انهم ضلم كذا ولعله لم يفعله الا

واحد منهم كقوله واذا قتلتم وعتوا عن امر ربهم استكبروا عن امتثاله قال مجاهد العتو الغلو في الباطل وامر ربهم شانه وفي هذه المرة امر بحكما

من قوله فذروها ولا تمسوها والمعنى امرتهم بتركها كان هو السبب في عقرهم فان الانسان حريص على منع وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين اطلقوا الوعد واراد واما وعدهم من العذاب الاليم واستعجالهم العذاب انما كان لاجل تكذيبهم لكل ما اخبر عنه من الوعد والوعيد ولذلك علقوه بما كانوا ينكرونه وهو كونه من المرسلين فاخذتهم الرجفة قال الفراء والزجاج هي الزلزلة الشديدة قال تعالى يوم ترجف الارض والجبال قال الليث هي كرجفان البعير تحت الرجل وكما ترجف الشجرة اذا رجفتها الريح وهذا لا ينافض ما ورد في موضع اخر انهم اهلكوا بالطاغية وفي اخر انهم اهلكوا بالصيحة لان الطغيان مجاوزة الحد قال تعالى انا لما طغى الماء حملناكم فالزلزلة هي الحركة الخارجة عن العادة المعتادة والعادات الزلازل لا تنفك عن الصيحة الهائلة واصبحوا في دارهم اي في بلدهم كقولك دار الحرب ودار الاسلام وقد جمع في اية اخرى فقالوا في ديارهم لانه اراد بالدار الكل واحد من نزلة الخاص الا انه حيث ذكر الرجفة وحد وحيث ذكر الصيحة جمع لان الصيحة كانها من النساء فبلوغها اكثر وابلغ من الزلزلة ومعنى جاثمين موتى لا حراك بهم قال ابو عبيد الجثوم للناس والطير بمنزلة البروك للابل يجثوم الطير هو وقوعه لاطيا بالارض في حال سكونه بالليل ومنه الجثمة التي جاء النهي عنها وهي البهيمة تربط وتجمع قوائمها لترمى فتولى عنهم الفاء للتعقيب في الظاهر انه ادبر عنهم بعد ما ابصرهم جاثمين قول متحسر على ما فاته من ايمانهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي وحد الرسالة لتخالف عامة ما في قصتي نوح وهود لان المراد هناك اشياء كانا يامران بها قومهما بعد الايمان بالله وههنا وقع في اخر القصة فاراد بها مجموع ما ادى من الرسالة او اراد بذلك اداء حديث الناقة فقط ونصحت لكم لم اجد في النصيحة ولكن لا تحبون الناصحين حكاية الحال ماضية واعترض على هذا التفسير بانه كيف يصح خطاب الموتى واجيب بانه قد يقول الرجل لصاحبه هو ميت وكان قد نصحه فلم يصغ اليه يا اخي كم نصحتك وكم قلت فلم تقبل مني فالقيت بنفسك الى التهلكة والقاء النفس في مثل هذا الكلام ان تسمعه بعض الاحيان فيعتبر به ولعل القائل انما يتسلى بذلك وتزول بعض الغصة عن قلبه وتخف عليه ما نزل به وان رسول الله صلى الله عليه واله وقف على قليب قتلى بدر وقال يا فلان ويا فلان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا فقيل له كيف تكلم هؤلاء الجيف فقال ما انتم باسمع منهم ولكنهم لا يقدرون على الجواب تفسير اخر وهو ان يكون توفي عنهم توفي ذاهب عنهم منكر الاصرار هم حين راى العلامات قبل نزول العذاب وجملة قصتهم ما روى ان عاد لما اهلكت عمرت ثمود بلادها وخلفوهم في الارض فكثروا وعمروا اعمارا طوالا حتى ان الرجل كان يبني المسكن المحكم فينهدم في حياته فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا في سعة ورخاء من العيش فعتوا عن امر الله وافسدوا في الارض وعبدوا الاوثان فبعث الله اليهم صالحا وكانوا قوما عربا وصالح من اوسطهم نسبا فدعاهم الى الله فلم يتبعه الا قليل منهم مستضعفون فخذرهم واندرهم فسالوا اية فقال اية ترتضونها قالوا تخرج معنا الى عيدنا في يوم معلوم لنا من السنة فتدعوا الهتنا فان استجيب لنا اتبعناك فقال صالح نعم فخرج معهم ودعوا اوثانهم وسالوها الاستجابة فلم يجبهم ثم قال سيدهم جندع بن عمرو واشار الى صخرة منفردة في ناحية الجبل بقي لها الكاثبة اخرج لنا من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء والمخترجة التي تشاكل النتج فان فعلت صدقناك واجبناك فاخذ صالح عليهم المواثيق لئن فعلت ذلك لتؤمنن ولتصدقن قالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء كما وصفوا وكانت في غاية العظم حتى قال ابو موسى الاشعري اتيت ارض ثمود فذرعت مصدر الناقة يعني موضع بروكها فوجدته ستين ذراعا ثم نتجت فلدا مثلها في العظم فامن به جندع ورهط من قومه ومنع بقاياهم ناس من رؤسهم ان يؤمنوا فكنت الناقة ولدها ترعى الشجر وتشرب الماء وكانت ترد غبا كما قال عز من قائل لها شرب ولكم شرب يوم معلوم وذلك ان الماء كان عندهم قليلا فجعلوا ذلك الماء بالكلية شربا لها يوما وشربا للقوم يوما يا تاني قال السدي وكان الناقة في اليوم الذي تشرب فيه الماء تحلب فيكفي لكل فكانها كانت تصب اللبن صبا وفي اليوم الذي يشربون الماء لا تاتيهم وكانت اذا وقع الحر تصيف بظهر الوادي فتهرب منها انعامهم فتهبط الى بطن الوادي واذا وقع البرد كان الامر بالعكس فشق ذلك عليهم وقال لهم صالح ان لهذه الناقة شربا ولكم شرب يوم معلوم فلما طال عليهم ذلك عقروها فقال الغلام الذي اشعلها هل لكم في ان اعقرها فقالوا نعم فشد عليها فلما بصرت به شدت عليه فهرب منها الى جانب صخرة فردوها عليه فلما مرت بربتها وطفها فعقرها فسقطت فذلك قوله تعالى فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر واظهر راحتي كفرهم وقيل ذبحت لهم عقرها امراتان عنيزة ام غنم وصدقة بنت المختار لما افترت الناقة بواشيها وكانا كثيرا المواشي واقتسموا لحمها ولجموه فانطلق يستقيها حتى دخل جبلا اسمه قارة فرغا ثلثا وكان صالح قال لهم ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه وانفرت الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم صالح تصبحون غدا وجوهكم مصفرة وبعد غد وجوهكم محمرة واليوم الثالث وجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما راوا العلامات طلبوه ان يقتلوه فانجاه الله الى ارض فلسطين فلما كان اليوم الرابع وارتفع الضحى تحنطوا بالصبر تكفنوا بالانطاع فاتاهم صيحة من السماء فقطعت قلوبهم فهلكوا واستبعد بعضهم ان الغافل مع مشاهدة المعجزات والعلامات يبقى مصرا على كفره واجيب بانهم عند مشاهدة العلامات خرجوا عن حد التكليف ان يكون توبتهم مقبولة عن جابر ان رسول الله صلعم مر بالحجر قال لا تسالوا الايات فقد سالها قوم صالح فاخذتهم الصيحة فلم يبق منهم الا رجل واحد كان في الحرم قالوا من هو قال ذاك ابو رغال فلما خرج من الحرم اصابه ما اصاب قومه وروى ان ثقيفا لما قدموا على رسول الله صلعم مر بقبر ابي رغال فقال اتدرون من هذا قالوا الله ورسوله اعلم فذكر قصته ابي رغال وانه دفن معه غصن من ذهب فابتدروه وبحثوا عنه باسيافهم فاستخرجوا الغصن وروى ان عقرهم الناقة كان

يوم الاربعاء ونزل بهم العذاب يوم السبت وروى انه خرج فى مائة وعشرة من المسلمين وهو بكى فالتفت فراى الدخان ساطعا فعلم انهم قد هلكوا وكانوا الفا وخمسمائة دار وروى انه رجع بمن معه فسكنوا ديارهم وروى ان رسول الله صلعم حين مر بالحجر فى غزوة تبوك قال لاصحابه لا يدخلن احد منكم القرية ولا تشربوا من مائها ولا تدخلوا على هؤلاء المعذبين الا ان تكونوا باكين ان يصيبكم مثل الذى اصابهم وقال ص يا على اندرى من اشقى الاولين قال الله ورسوله اعلم قال اندرى من اشقى الاخرين قال الله ورسوله اعلم قال فانك القصة الخامسة قوله سبحانه ولوطا اذ قال لقومه نقدير ارسلنا لوطا وقت قال لقومه ويجوز ان يكون معناه واذكروا لوطا اذ قال على ان اذ بدل من المفعول به لا ظرف واتما صرف نوح ولوط مع ان فيه سببين العجمة والعلمية لان سكون وسطه قام احد السببين اما نون الفاحشة انفعلون الخصلة المتمادية فى القبح ماسبقكم بها فان فى الكشاف الباء للتعدية من قولك سبقته بالكرة اذا ضربتها قبله اى ما عملت قبلكم قلت ومن المحتمل ان يكون الباء فيه مثله فى قولك كتبت بالقلم قوله تنبت بالدهن اى ماسبقكم ملتبسا بها من احد من العالمين من الاولى زائدة لتاكيد النفى وافادة الاستغراق والثانية للتبعيض وموقع هذه الجملة استيناف لانه انكر عليهم اولا بقوله انا تون الفاحشة ثم وبخهم عليها فقال وانتم ارتكم من عملها وهو جواب سؤال مقدر كانه قيل لم لا نانيها فقال ما سبقكم بها من احد فلا تفعلوا اما لم تسبقوا به ويجوز ان يكون صفة الفاحشة كقوله ع ولقد امر على اللئيم يسبنى وفيها سؤال وهو انه كيف يجوز دعوى عدم السبق فى هذه الخصلة ولم تزل الشهوة داعية اليها والجواب لعل متقدميهم كانوا يستقذرونها وينفرون عنها طبعا كسائر الحيوانات والمراد ان الاقبال بالكلية على ذلك العمل لم يوجد فى الاعصار المتقدمة قال الحسن كانوا ينكحون الرجال فى ادبارهم وكانوا لا ينكحون الا الغرباء وقال عطاء عن ابن عباس استحكم ذلك فيهم حتى فعل بعضهم ببعض انتم قوم تجهلون بيان لما اجمله فى قوله انا تون الفاحشة وكلا الاستفهامين للانكار وفى الثانى اكثر ولهذا ورد فيه مثله فى النمل تاتون الفاحشة اتنكم لتاتون الرجال جمع بين ان وان لموافقة اخوات القصة انا منجوك واتا منزلون وانتصب شهوة على انها مفعول له اى لاجل اصل لكم على غير ما يصل اليه الرجال من دون النساء لا لمجرد الشهوة او مصدر وقع حالا بمعنى مشتهين شهوة بل انتم قوم مسرفون اضرب عن الانكار الى الاخبار عنهم بالحالة الموجبة لارتكاب القباح وهو انهم قوم عادتهم الاسراف وتجاوز الحدود فى كل شئ ومنتهى هذه الآية بلفظ الاسم موافقة لرؤس الآيات التى تقدمت وهى العالمين الناصحين جاءتهن المرسلين وفى النمل قال بل انتم قوم تجهلون اما العدول من الاسراف الى الجهل فلتغاير العبارة وكل اسراف جهل وكل جهل اسراف واما العدول من الاسم الى الفعل فلتوافق ما قبلها من الآيات وكلها افعال يتضررون تتفون يعلمون واعلم ان قبح هذا العمل كالامر المقرر فى الطباع ووجوه القبح فيه كثيرة منها ان اكثر الناس يحترزون فيه عن الولد لان الولد يحمل المرء على طلب المال وانتعاب النفس فى وجوه المكاسب فالله تعالى جعل الوقاع سببا لحصول اللذة العظيمة حتى ان الانسان يطلب تلك اللذة ويقدم على الوقاع وح يحصل الولد شاء ام ابى وبهذا الطريق يبقى النسل ولا ينقطع النوع فوضع اللذة فى الوقاع يشبه وضع الشئ الذى يشتهيه الحيوان فى السفى والغرض ابقاء النوع الانسانى الذى هو اشرف الانواع فكل لذة لا يؤدى الى هذا الغرض وجب الحكم بتحريمها لما فيه من ضياع البدن ولزوم خلاف الحكمة ومنها ان الذكورة مظنة الفعل والانوثة مظنة الانفعال فانعكاس القضية يكون خروجا عن مقتضى الطبيعة والحكمة ومنها ان الاشتغال بمحض الشهوة يشبه بالبهائم وخروج عن العزيزة الانسانية وهلاك الفاعل بلذلك العمل الا انه سعى فى الحاق العار العظيم بالمفعول الى حيث يقدم المفعول على قتل الفاعل او على الحاق الضرر به بكل طريق يقدر عليه وذلك لتنفر طبعه عن وجدانه واما حصول هذا العمل بين الرجل والمراة فانه يوجب زيادة الالفة والمحبة كما قال خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ومنها انه تعالى اودع فى الرحم قوة جاذبة للمنى بحيث لا يبقى شئ منه فى مجاريه واوعيته اما اذا واقع الذكر فانه يبقى شئ من اواخر المنى فى المجارى فيعفن ويفسد ويتولد منه العلل والاورام فى الاسافل كما يشهد به القوانين الطبية قال بعضهم والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم يقتضى حل وطى المملوك مطلقا كان او انثى ولا يمكن تخصيص هذا العموم بقوله انا تون الذكران من العالمين لان كلا من الابنين اعم من الاخرى من وجه لان المملوك قد يكون ذكرا وقد لا يكون والذكر قد يكون مملوكا وقد لا يكون فتخصيص احدهما بالاخرى ترجيح من غير مرجح بل الترجيح لجانب الحل لمقتضى الاصل ولان المالك مطلق التصرف ولان شرع محمد ص ناسخ لما من شرع لوط واجيب بان الاعتماد على المتواتر الظاهر من محمد ص ان هذا العمل حرام قال وما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم وفى النمل اخرجوا ال لوط فما كان وفى العنكبوت وتاتون فى ناديكم المنكر فما كان فصح تعقيب الفعل الفعل الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم وفى النمل اخرجوا ال لوط ليكون ملاقى التنزيل تفسيرا لهذه الكناية وقيل ان سورة النمل نزلت قبل الاعراف فيكون قد صرح فى الاولى وكنى فى الثانية سؤال فى الكشاف يجوز ان يكون جوابا عما كلمهم به لوط عم من انكار الفاحشة ووسمهم بسمة الاسراف الذى هو اصل الشر كله ولكنهم جاؤا بكلام اخر لا يتعلق بكلامه وفيه نظر من الامر باخراجه ومن معه من المؤمنين من قريتهم فجاهم بما يسمعونهم من وعظهم ونصحهم قولهم انهم اناس يتطهرون سخرية بهم وبتطهرهم من الفواحش وافتخارا بما كانوا فيه من القذارة كما يقول الشيطان من لفسقة لبعض الصلحاء اذا وعظهم ابعدوا عنا هذا المتقشف وارجعوا من هذا المتزهد وقيل المراد ان ذلك العمل فى موضع النجاسة فمن تركه فقد تطهر وقيل ان البعد عن الاثم يسمى

طهارة فالمراد انهم يتباعدون عن المعاصي والاثام فانجيناه واهله اي انصاره واتباعه والذين قبلوا دينه وعن ابن عباس اراد المتطهر
بمعنى التنسب بل لبل قوله الا امرأته بقال امرأة الرجل اي زوجته ولا يقال مرأة الرجل يعني زوجها لان المالكية حق الزوج كانت من الغابرين
وفي التنزيل قدرناها من الغابرين اي كانت في علم الله من الغابرين فقدرناها من الغابرين وان قلنا بتاخر زوال الاعراف فالمعنى قدرناها
من الغابرين فصارت من الغابرين والغبور المكث والبقاء اي من الذين بقوا من ديارهم وهلكوا او الذين كبر لتغليب الذكور وكانت كافرة
موالية لاهل سدوم روي انها التفتت فاصابها حجر فماتت ثم وصف لعذاب فقال امطرنا عليهم مطرا اي ارسلنا عليهم نوعا من المطر
عجيبا قيل كانت المؤتفكة خمس مدائن وقيل كانوا اربعة الاف بين الشام والمدينة فامطر الله عليهم الكبريت والنار وقيل خسف بالمقيمين
منهم وامطرت الحجارة على مسافريهم وشذاذهم قيل امطر عليهم ثم خسف بهم وروي ان تاجرا منهم كان في الحرم فوقف له الحجر اربعين يوما حتى
قضى تجارته وخرج من الحرم فوقع فانظر يا محمد صلى الله عليه وآله وكل من له اهلية الاعتبار كيف كان عاقبة المجرمين وهذه الامة وان امنت من
عذاب الاستيصال الا ان الخوف والاعتبار من شعار المؤمن لا ينبغي ان ينفك عنه على ان عذاب الاخرة اشد وابقى ولم يرد بوصفه بعد مسائل مذهب
الشافعي ان اللواط يوجب الحد لانه تثبت في شريعة لوط فالاصل بقاؤه الى ان طريان الناسخ ولم يظهر نسخ في شرعنا ولان ذكر الحكم عقيب الوصف
المناسب يدل على علية الوصف للحكم فالاية تدل على ان هذا الجرم المخصوص علة لحصول هذا الزاجر المخصوص قال ابو حنيفة ان الواجب فيه التعزير لانه
فوج لا يجب المهر بالايلاج فيه فلا يجب الحد كاتيان البهيمة وعلى الاول في عقوبة الفاعل قولان احدهما ان عقوبته القتل محصنا كان او لم يكن
لما روي انه صلى الله عليه وآله قال من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول واصحهما ان حده حد الزنى فيرجم ان كان محصنا ويجلد
ويغرب ان لم يكن محصنا لانه حد يجب بوطي يختلف فيه البكر والثيب كالاتيان في القبل وعلى قول القتل فيه وجوه احدها يقتل بالسيف
كالمرتد والثاني ويه قال مالك واحمد يرجم تغليظا وروي عن علي عليه السلام انهم والثالث يهدم عليه جدار او يرمى من شاهق ليموت احدا في حد
قوم لوط واما المفعول فان كان صغيرا او مجنونا او مكرها فلا حد عليه ولا مهر لان منفعة البضع لا تضمن الا بتفويت وان كان مكلفا طائعا فيقتل بما يقتل
به الفاعل ان قلنا ان الفاعل يقتل وان قلنا يحد حد الزنى فيجلد ويغرب محصنا كان او لم يكن وان اتى امرأة في دبرها او ملك او نكح فا
لاظهر انه لواط لانه اتيان في غير المأتي ويجيء في الفاعل والمفعول ما ذكرنا وقيل ان زنى لا وطي انثى فاشبه الوطي في القبل فعلى هذا حده حد
الزنى بلا خلاف فيه وترجم المرأة ان كانت محصنة واذا لاط بعبده فهو كالاجنبي على الاصح ولو اتى امرأته او جاريته في الدبر فالاصح القطع بمنع
الحل لانها محل استمتاع اصالة بالجملة الثاني وبه اجاب ناقة الله معجزة الخواص ان يخرج الهام من حجارة القليب ناقة السر عشراء بشعب السر وهو الخفي و
ناقة الله هي التي تحمل اثقاله معرفته ويعطي سائر بلد القالب من القوى والحواس لان الوارد انما لا طيبة فقد وهانوقع في رياض القدس وحياض الانس
ولا تمسوها بخالفات الشريعة ومعارضات الطريقة فيأخذكم عذاب اليم بالانقطاع عن الواصلات الحقيقية ان جعلكم خلفاء مستعدين
للخلافة وبواكم في ارض القلوب تتخذون من سهولها وهي المعاملات بالصدق والاخلاص قصورا وفي الجنان والجنان تنحتون من جبال اطوار القلب
بيوتا وهي مقامات السائرين الى الله فاذكروا الاء الله النعماء والاخلاص فالاول يتضمن توبيخ الظاهر والثاني يوجب ملوح السر فالتوبيخ بوجوه المبارد و
التلويح بشهب الاسرار ولا تعثوا في الارض القلب بالفساد الاستعداد الفطري الذين استكبروا عن الاوصاف البشرية والاخلاق الذميمة الذين استضعفوا
من اوصاف القلب الروح وتعلمون ان صالح الروح مرسل بنفخة الحق الى بلد القالب وساكنيه ليدعوهم من الاوصاف السفلية الظلمانية
الى الاخلاق العلوية النورانية فعقروا امر النفس ناقة سر القلب وسكان مخالفات الحق فاخذتهم رجفة الموت فاصبحوا في دارهم جاثمين والله اعلم

وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ
وفرستاديم بسوي مدين برادر ايشان شعيب را گفت اي قوم من پرستيد خدا را نيست شما را خداي بجز او هر آينه آمد شما را حجتي روشن از پروردگار شما پس تمام كنيد پيمانه
وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ
وترازو را و مكنيد مردم را چيزهاي ايشان را و فساد مكنيد در زمين پس از اصلاح آن اين بهتر است از براي شما اگر هستيد مومنان و منشينيد بهر
صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
راهي وعده ميدهيد مردمان را و باز ميداريد از راه خدا هر كه گرويد بخدا و مي جوييد از راه خدا كجي و باز ميداريد وقتي را كه بوديد كم پس بسيار كرد شما را و بنگريد چگونه بود عاقبت
الْمُفْسِدِينَ وَإِن كَانَ طَائِفَةٌ مِّنكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ قَالَ
مفسدان و اگر هست گروهي از شما كه گرويدند بآنچه فرستاده شدم بآن و گروهي نگرويدند پس تحمل كنيد تا داوري كند خدا ميان ما و او بهترين داوران گفت
الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ
مهتران آنان كه گردنكشي كردند از قوم او هر آينه بيرون كنيم تو را اي شعيب و آنها را كه گرويدند با تو از ده يا بگرديد در طريقه ما گفت آيا اگر چه ما كراهه داشته باشيم
قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ
بحقيقت بر بافته ايم بر خدا دروغ اگر برگرديم در طريقه شما بعد از انكه نجات داد خدا ما را از آن و نسزاوار نيست ما را كه برگرديم در آن مگر انكه بخواهد خدا

الجزء الثامن

ربنا وسع كل شيء علما على الله توكلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين وقال الملأ الذين كفروا
پروردگارا فراخ گردان هر چیز را دانش بر خدای توکل کردیم پروردگارا بگشای درمیان ما و میان قوم ما بحق و تو بهترین گشایندگانی وگفتند بزرگان آنان که کافر شدند
من قومه لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في ديارهم جاثمين الذين كذبوا شعيبا كان
ع ٢ از قوم او که اگر پیروی کردید شعیب را آنگاه هر آینه زیانکارانید پس فرا گرفت ایشان را هذاب پس صبح کردند در خانهای خود زانوزدگان آنان که تکذیب کردند شعیب را
لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فكيف اسى على قوم كافرين
گویا نرسیدند در وی آنان که تکذیب کردند شعیب را بودند آنان ایشان زیانکاران پس روگردانید از ایشان و گفت ای قوم تحقیق که رسانیدم شما را پیغامهای پروردگار خود را و پند دادم شما را پس چگونه اندوه خورم بر

القراءة كاملا الوقوف شعيبا غير ط لصلاحها مؤمنين ج لعطف المتفقين او وقوع العارض لدى الابتداء بحاجج لاتفاق الجملتين مع طول الكلام وكثرة المعطوف المتفقين بمثناة لاحتمال الواو الحال والاستيناف الحاكين الجزء التاسع ملتاط كارهين ج لاحتمال الحال والوقف لان الابتداء بقوله قد افترينا قبيح قلنا اذا كان محكيا عن شعيب كان اقبح ولكن الكلام معلق بشرط يعقبه فيها الله ربنا علما توكلنا للعدول الفاتحين خاسرون جاثمين ج ان يوصل ووقف على كان لم يغنوا حال لمعنى الفعل في الجاثمين وان جعل الذين مبتدأ خبره كان لم يغنوا وقف على جاثمين وعلى فيها ومن لم يقف عليها وجعل الذين بدلا عن الذين الاول وقف على شعيب يستانف بكانوا ولا يحسن من نعت الخاسرين ونصحت لكم لان كيف التعجب فيصلح للابتداء مع ان فيه فاء التعقيب كذا في والله اعلم التفسير القصة الثامنة قصة شعيب ومدين اسم البلد وقيل اسم القبيلة لانه شعيب بن ميكيل بن مدين بن ابراهيم خليل الرحمن وكان بقي له خطيب الانبياء لحسن مراجعة قومه وذلك انه امرهم باشياء الاول عبادة الله امرهم بها ونهاهم عن عبادة غير الله وهذا اصل معتبر في شرايع جميع الانبياء الثاني تصديقه وقد ادعاه من النبوة واشار اليه بقوله قد جاءتكم بينة اي معجزة دالة على نبوتي ففي الآية دلالة على ان لشعيب معجزة ظاهرة كما ينبغي لكل مدع نبوة والا كان متنبئا غير ان معجزته لم يذكر في القرآن كما لم يذكر اكثر معجزات نبينا صلى الله عليه اله فيه بحكمة ترد فع الى موسى عصاه وتلك العصا صارت ثعبانا وايضا قال لموسى ان هذه الامور علامات نبوة موسى وهي ارهاصا وقالت المعتزلة انها معجزات شعيب على ان الارهاص عندهم غير جائز الثالث قوله فاوفوا الكيل لا بد واعلم ان للانبياء ان يبدؤا في الموعظة بما يكون مقبلين عليه وكان قوم شعيب مشغوفين بالتطفيف فكان يقول التخسير عبارة عن الخيانة بالشيء القليل وهو امر مستقبح في العقول ومع ذلك فقد جاءت البينة والشريعة الموجبة لتحريمه فلم يبق لكم فيه عذر فاوفوا الكيل والميزان قال في الكشاف لم يقل المكيال والميزان كما في سورة هود لانه اراد بالكيل وهو المكيال او سمي بالكيال به بالكيل كما قيل العيش لما يعاش به اوابدل فاوفوا الكيل ووزن الميزان او الميزان مصدر كالميعاد والميلاد او زائد ولا تبخسوا الناس اشياءهم لا تنقصهم اياه ومنه قيل للمكس البخس في المثل تحسبها حمقاء وهي باخس قال تغلب ان شئت قلت باخسة وذلك يتناول الانسان والبهيمة يضرب لمن لا يعبأ به وفيه دعاء وحين فحش ولا ثم عمم ليشمل جميع انواع التصيم كالغصب والسرقة واخذ الرشوة وقطع الطريق وانتزاع بوجوه الاحتيال بزعمهم انهم كانوا مكاسين لا يدعون شيئا الا مكسوه وكانوا اذا دخل الغريب بلدهم اخذوا دراهم الجياد وقالوا هي زيوف فقطعوها قطاعا ثم اخذوها بنقصان ظاهر واعطوه بدلها زيوفا الخامس ولا تفسدوا في الارض وهذا اعم من البخس لشموله الاموال والاعراض والنفوس وكل ما يوجب مفسدة وبنوة والمعنى بعد صلاح اهلها على حذف المضاف او كقوله بل مكر الليل والنهار اذ تامرونني بعد الاصلاح فيها بعثة اصلاح الصالحين من الانبياء ومتابعيهم العالمين شرايعهم ذلكم الذي ذكرت من الامور الخمسة خير لكم في الانسانية وحسن الاحدوثة وزيادة البركة لرغبة الناس في متاجرتكم عند اشتهاركم بالامانة والديانة ولا يخفى ان حاصل هذه التكاليف الخمسة يرجع الى التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله ان كنتم مؤمنين مصدقين لي في قولي ثم فصل بعض ما اجمل فقال ولا تقعدوا بكل صراط حقيقة ذلك انهم كانوا يجلسون على الطرق والمراصد كما كانت تفعل قريش بمكة يخوفون من امن بشعيب يقولون انه كذاب لا يفتنكم عن دينكم او كانوا يقطعون الطرق او كانوا عشارين وقيل انه مجاز وهم الذين تعدوا على طريق الدين ومنهاج الحق لاجل ان يمنعوا الناس عن قبوله اقتداء بالشيطان حيث قال لاقعدن لهم صراطك المستقيم ودليل هذا المجاز قوله ويصدون عن سبيل الله بمن صد بمكان كذا اي لتصد به وعلى مكان كذا اي على ذلك المكان فيه اذا حمل الحرف الجر بعاقبته في مثل هذا الموضع لتقارب معانيها او محل توعدون وعطف عليه بصب على الحال نهاهم عن القعود على صراط الله حال الاشتغال باحد هذه الافعال وانما قال بكل صراط مع ان صراط الحق واحد لانه يشعب الى معالم وحدود واحكام كثيرة كل منها نفسه سبيل وكانوا اذا راوا احدا يشرع فيها اوعدوه وصدوه والضمير في به راجع الى كل صراط والتقدير توعدون ومن امن به وتصدون عنه فوضع الظاهر موضع الضمير زيادة في التقبيح والتفظيع ومعنى وتبغونها تطلبون لسبيل الله عوجا اي تصفونها للناس بانها معوجة وذلك بالقاء الشكوك والشبهات قال في الكشاف ويكون تهكما بهم يطلبون لها ما هو محال لان طريق الحق لا يعوج ثم ذكرهم نعم الله تعالى ذكرا للنعم مما حمل على الطاعة وبعد عن المعصية فقال واذكروا اذ كنتم اي في قلة فكثركم كما قال الزجاج يحتمل كثرة العدد بعد القلة وكثرة القدرة والشدة بعد الضعف والذلة قيل لما بعد بين ابراهيم وزوجه بنت لوط ولدت فولد الله في نسلها بالبركة والنماء وصاروا كثيرا في العدة والعدة والشدة ثم حذرهم سوء

علامة

عاقبة من افسد قبلهم من الامم وكانوا قريبي العهد بما اصاب المؤتفكة فقال وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين وعيدهم اولا بترهيبهم
ثانيا واكد الترهيب بقوله وان كان طائفة الخ وهذا وعيد الكافرين ووعد للمحقين المؤمنين وحث لهم على الصبر على ما يلحقهم من اذى المشركين
الى ان يحكم بمقتضى العدل والحكم هو الحاكمين ثم حكى جواب قوم المحجوبين المستكبرين وذلك قولهم لنخرجنك يا شعيب والذين امنوا معك من قريتنا
او لتعودن في ملتنا الى احد الامرين كان لا محالة اما اخراجهم واما عودهم الى الكفر وههنا سؤال وهو ان الكفر على الانبياء محال فكيف يتصور عوده
اليه وهب ان قولهم الكفار ليس بحجة اليس قول شعيب حجة حيث قال ان عدنا في ملتكم وواجيب بان الكلام بني على التغليب او ان شعيبا اراد عود قومه
الا انه نظم نفسه في جملتهم لما ذكرنا ولعل رؤساءهم قالوا ذلك تلبيسا على العوام وشعيب اجرى كلامه على وفق ذلك كما ان اباه في اول العمر يخفي مذهبه
فتوهموا انه على دينهم او اريد بالملة الشريعة التي صارت منسوخة بشرعه او بطلوق العود على الابتداء كقوله وان يكن الايام احسن مرة الى فقد
عادت لهن ذنوب قال شعيب في جوابهم أو لو كنا كارهين الهمزة للاستفهام والواو للحال والتقدير لا تعيدوننا في ملتكم وحال كراهتنا ثم صرح
بانه لا يفعل ذلك فقال قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها ان فعلنا ذلك وذلك ان اصل الباب في النبوة والرسالة صدق اللهجة والبراءة عن الكذب
العود في ملتكم بنا في ذلك ومعنى قوله بعد اذ نجانا الله منها بعد ان علمنا قبحها وفسادها ونصب الادلة على بطلانها اذا المراد بحي قومه فعلا
والمراد على حسب زعمكم ومعتقدكم كما مر قال في الكشاف وقوله قد افترينا اخبار مفيد بالشرط وغيره وجهان احدهما ان يكون كلاما مستانفا فما معنى التعجيب كانهم قالوا لما اكذبنا على الله ان عدنا في الكفر فما الثاني ان يكون متما على تقدير بحذف اللام معناه والله لقد افترينا على الله
كذبا وما ينبغي لنا اي ما يتصور ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا قال اهل السنة في الاية دلالة على ان المنجي من الكفر
هو الله تعالى وكذا العبد اليه قال لو احد ولم تزل الانبياء والاكابر يخافون العاقبة وانقلاب الامر الا ترى الى قول الخليل عليه السلام واجنبني
وبني ان نعبد الاصنام وكثيرا ما كان يقول يا نبينا يا مقلب القلوب والابصار ثبت قلوبنا على دينك وطاعتك وقال يوسف توفني
مسلما اجابت المعتزلة بوجوه الاول ان قوله الا ان يشاء قضيته شرطية اي من شاء بعد وليس فيه بيان انه شاء ام ابى الثاني ان هذا على طريق
التبعيد والاحالة كما يقال لا يفعل ذلك الا اذا ابيض القار وشاب الغراب الثالث لعل المراد ما لو كرهوا على العود فان اظهار الكفر عند
الاكراه جائز وان كان الصبر افضل وما كان جائزا صح ان يكون مرادا لله نعم كما ان المسح على الخفين مراد الله وان كان غسل الرجلين افضل
الرابع يحتمل ان يعود الضمير في فيها الى قرية كانه قال الا ان يحيق بنا من القرية حوج علينا العود فيها الا بان يشاء الله نعم الخامس المشيئة عند اهل السنة
لا توجب جواز الفعل فانه تعالى يريد الكفر من الكافر ولا يجوز فعله انما الذي يوجب الجواز هو الامر فيحتمل ان يراد بالمشيئة ههنا الامر فيكون التقدير
الا ان يامرنا الله ان نعود الى شريعتكم المنسوخ فان الشرع المنسوخ لا يعود ان يامر الله تعالى بالعمل بها مرة اخرى السادس قال الجبائي المراد من الملة الشريعة التي
لا يجوز اختلاف الانبياء فيها بالاعتقاد فيها بالاوقات كالصوم والصلوة فمن الجائز ان يكون بعض احكام الشريعة المنسوخة ثابتا فيها فيكون المعنى الا ان يشاء الله نقل
بعض تلك الملة الينا عليها ثم ان المعتزلة استدلوا بالاية على صحة قولهم من وجهين احدهما ان قوله وما يكون لنا معناه لو شاء الله عودنا اليها
لكان لنا ان نعود وذلك يقتضي ان كل ما شاء الله تعالى وقوعه كان فعله جائزا ما دون فيه وما كان حراما ممنوعا منه لم يكن مرادا لله تعالى وثانيهما ان قوله
لنخرجنك او لتعودن لا وجه للفصل بينهما فان كان العود بخلق الله كان الاخراج ايضا بخلقه تلك السنة ان يلتزم ذلك واما قوله وسع ربنا كل شيء
فوجه تعلقه بما تقدم على قول الجبائي هو ان التكليف بحسب المصالح فيكون معنى قول شعيب الا ان يشاء الله الا ان يختلف المصلحة في تلك
العبادات فحينئذ يكلفنا بها والعلم بالمصالح لا يكون الا بان وسع كل شيء علما وقالت الاشاعرة وجه التعلق هو ان العوام لما قالوا لنخرجنك او
لتعودن قال شعيب وسع ربنا كل شيء علما فربما كان في علم تعالى ثالث وهو ان يبقينا في القرية مؤمنين ويجعلهم معتوهين خاسرين وبهذا التقييد
قوله عقيب ذلك على الله توكلنا اي لا على غيره وانتصابا على التمييز في قوله وسع بلفظ الماضي دلالة على انه تعالى كان في الازل عالما بجميع المعلومات فلا يخرج شيء عن
مقتضى علمه وهو معنى جفت الاقلام وطويت الصحف لزوم الاحكام وشقاوة الشقي وسعادة السعيد وبهذا من عموم كل شيء انه علم الماضي والحال والمستقبل
وعلم المعدوم انه لو كان كيف يكون وهذه اقسام اربعة يقع كل منها على اربعة اوجه لانه علم الماضي كيف كان وعلم انه لو لم يكن ماضيا بل كان حالا او مستقبلا
او معدوما محضا فانه كيف يكون وكذا الكلام في الاقسام الاخر فيكون المجموع ستة عشر واذا اعتبر كل منها بحسب كل جنس ونوع او صنف وشخص من الجواهر
ومن الاعراض صار مبلغا يتحير فيه عقول العقلاء بل يقف دون اول خطوة من خطرات بحاره ثم ان شعيبا لما اعرض عن الاسباب والتفت بطريق التوكل
الى مسببها ختم كلامه بالدعاء فقال ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق قال ابن عباس والحسن وقتادة والسدي احكم افتح وعن ابن عباس ما ادري معناه
سمعت ابنة ذي يزن يقول لزوجها تعالى افاتحك اي احاكمك وجوز الزجاج ان يكون معنى الابتداء اظهر امرنا حتى يتضح فما بيننا وبين تكشف قومنا والمراد ان ينزل
عليهم عذابا يدل على كونهم مبطلين وعلى كون شعيب وقومه محقين ثم اثنى على الله بقوله وانت خير الفاتحين كما قال وهو خير الحاكمين قالت الاشاعرة الايات
باب الخيرات وهو اشرف صفات المحدثات فلو كان موجدا الايمان العبد كان خير الفاتحين هو العبد والمعتزلة ان يقولوا لولا الطاف الرب تعالى لما اهتدى العبد
لمن يدعوهم لتراجعتم شعيبا انكم لخاسرون اي في الدنيا وفي الدين بمتابعتكم من اردى الاموال بطريق التجر في التطفيف فاخذ الرجفة فاصبحوا في ديارهم الذين كذبوا

مغنيا كان لم يغنوا بها شيئا يقال غنى القوم في دارهم اذا طال مقامهم فيها والمغاني المنازل اذا كان بها اهلها وقال الزجاج اي كان لم يعيشوا فيها مستغنين من الغنى الذي هو ضد الفقر على التفسير شبه حال المكذبين بحال من لم يكن قط في تلك الديار كقولهم كان لم يكن بين الحجون الى الصفا انيس ولم يسمر بمكة سامر الى الكشاف الذين كذبوا مبتدأ خبره كان لم يغنوا وكذا الذين كانوا هم الخاسرين وفي هذا الابتداء معنى الاختصاص كانه قيل الذين كذبوا شعيبا هم المخصوصون بان اهلكوا واستوصلوا كان لم يقيموا في ديارهم لان الذين اتبعوا شعيبا قد انجاهم الله الذين كذبوا شعيبا هم المخصوصون بالخسران العظيم دون اتباعه فانهم الرابحون وفي هذا الاستيناف والابتداء والتكرير مبالغة في رد مقالة الملا لاشياعهم وتسفيه لرأيهم واستهزائهم بنصحهم لقومهم واستعظام لما جرى عليهم قلت العرب قد تكرر للتفخيم والتعظيم فتقول اخوك الذي ظلمنا اخوك الذي هنك اعراضنا وايضا ان القوم لما قالوا لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون بين تعالى ان الذين لم يتبعوه وخالفوه هم الخاسرون وفي الاية فوائد اخر منها ان ذلك العذاب ما حدث بتخابق فاصل مختار وليس ذلك ثوالكواكب الطبيعة والاحصل في اتباع شعيب كما حصل في حق الكفار ومنها ان ذلك الفاصل علم بالخبر بيان حتى يمكنه التمييز بين المطيع والعاصي ومنها يكون معجزة لشعيب حيث وقع ذلك العذاب على قوم دون قوم مع كونهم مجتمعين في بلد واحد فتولى عنهم قد تقدم ان هذا التولي جاز ان يكون بعد قال الكلبي خرج من بينهم ولما اشتد حزنه على قومه من جهة الوصلة والقرابة والمجاورة وطول الالفة ولانهم كانوا كثيرين وكان يتوقع منهم الاجابة للايمان عزى نفسه وقال فكيف اسى على قوم كافرين لانهم الذين اهلكوا انفسهم بسبب اصرارهم على الكفر والاسى شدة الحزن وقيل المراد لقد اعذرت اليكم ١٢ الابلاغ والنصح والتحذير مما حل بكم فلم تسمعوا قولي ولم تقبلوا نصيحتي فكيف اسى عليكم لانكم لستم مستحقين لذلك المنا وبل دلوا بتخشونه من الخساسة والدناءة والحرص والظلم من الصفات التي يجب تنزيه النفس عنها فان الله تعالى يحب معالي الامور ويبغض سفسافها ولا تفسدوا في الارض الطيبة التي جعل الانسان عليها ولا تقعدوا على كل صراط لا تقطعوا الطريق على الطالبين بانواع الحيل والمكايد اذ كنتم قليلا فكثركم بالتناصر والتعاون في الامور وبكثرة العدة نعمة فانه يجب ان تصرف في اعلاء كلمة الدين وان كان طائفة منكم اي الروح والقلب طائفة لم يؤمنوا وهم النفس وصفاتها وهو خير الحاكمين لا يجعل الروح والقلب المؤمنين تبعا للنفس الكافرة في العذاب وانما قدم المظهر ان او لتعودن في ملتنا اشارة الى ان كل جنس لا يميلون الا الى اشكالهم والاوحد بابه من ابن نفع اضرابه بعد اذ نجانا الله منها في القسمة الازلية افتح بيننا احكم بيننا وبينهم باظهار حقيقة ما فدر من خيانة الجزء واظهارها فاندرت من خيانة السوفاحة الوجفة بضاربت صوتهم شبعا لمعناهم فانهم كانوا حاكما الارواح في دنيا الاشباح كان لم يغنوا فيها لان الباطل ذاهق لا محالة وما ارسلنا في قرية من نبي الا اخذنا اهلها بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا وقالوا قد مس ابائنا الضراء والسراء فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ولكن كذبوا فاخذناهم بما كانوا يكسبون افامن اهل القرى ان ياتيهم باسنا بياتا وهم نائمون او امن اهل القرى ان ياتيهم باسنا ضحى وهم يلعبون افامنوا مكر الله فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون اولم يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون تلك القرى نقص عليك من انبائها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين وما وجدنا لاكثرهم من عهد وان وجدنا اكثرهم لفاسقين

ع

القراءة لفتحنا بالتشديد ابن عامر ويزيد او امن بسكون الواو ابو جعفر نافع غير ورش وابن عامر وقرأ ورش بنقل حركتها الى الساكن قبلها ولم يهمز بالتوقف حيث كان زيد عن يعقوب بالياء التحتانية رسلهم بسكون السين حيث كان ابو عمرو الوقوف يضرعون لا يشعرون يكسبون نائمون ظلمن قراءة او امن بفتح الواو وعلى ان الهمزة للاستفهام ومن سكن الواو فلا وقف لان او للعطف يلعبون مكر الله بفتح الفصل بين الاخبار والاستخبار مع ان الفاء للتعقيب الخاسرون بدل نطبع للفصل بين الماضي والمستقبل ونقدر ونحن نطبع مع اتحاد القصة لا يسمعوا من انبائها بياء لعطف المختلفين بالبينات بحذف ان ضمير فما كانوا ليؤمنوا الا هلكة وضمير جاءتهم للامم الماضية مع ان الفاء توجب الاتصال من قبل الكافرين من عهد لعطف المجملين لفاسقين التفسير لما عرفنا احوال هؤلاء الانبياء وما جرى على امهم ذكر ما يدل على ان هذا الجنس من الهلاك قد فعل بغيرهم

وليس مقصورا عليهم وبين العلة التي لاجلها فعل بهم ما فعل والفرية مجتمع القوم فتشمل المدينة ايضا وتقدير الكلام وما ارسلنا في قرية من نبي فكذبوه اهلها الا اخذنا اهلها بالبأساء والضراء قال الزجاج البأساء الشدة في الاموال والضراء الامراض في الابدان وقيل بالعكس لعلهم يضرعون اي يتضرعون فادغم التاء في الضاد والمعنى ليخضعوا اذ سنة الله في الانبياء ان يبتغوا بهم ثم بين ثم بدل بين في اهل القرى على نمط واحد فقال ثم بدلنا مكان السيئة وهي كل ما يسوء صاحبه الحسنة وهي ما يستحسنه الطبع العقل اي اعطيناهم بدل ما كانوا فيه من الفقر والضر السعة والصحة حتى عفوا كثروا ونموا في انفسهم واموالهم من قولهم عفى النبات والشعر ويرد منه قوله ﷺ واعفوا اللحى وقالوا قد مس ابائنا الضراء والسراء كما هو دأب الاشرين يقولون هذه عادة الدهر اهله يوم محنة ويوم منحة والمراد انهم لم ينتفعوا بتبدل الله تعالى اياهم من رخاء بعد شدة ومن بعد خوف وراحة بعد عناء فاخذناهم بغتة امرا ما كانوا عليه ليكون ذلك اعظم في الحسرة وهم لا يشعرون بنزول العذاب والحكمة في جميع هذه الحكايات اعتبار من يسمعها ودعاها وتعريف ان العصيان سبب الحرمان عن الخيرات وسد لجميع ابواب السعادات وهذا قال ولو ان القرى اي جنسها او القرى المذكورة في قوله وما ارسلنا في قرية امنوا بما يجب به الايمان في باب المبدأ والمعاد واتقوا كما نهى الله عنه لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض اي لايتناهم بالخير من كل وجه او اراد القطر والنبات والمراد بفتح البركات عليهم تيسر اسباب النجاح كقولهم فتحت على القاري اذا يسر القراءة عليه بالتلقين لكن كذبوا الرسل فاخذناهم بغتة والا بتة بينهما اعتراض والتقدير بعد ذلك من اهل القرى ان يأتيهم باسنا بيانا او امنوا ان يأتيهم باسنا ضحى فلهذا عطف الثانية بالواو واما قوله افامنوا مكر الله فتكرير لقوله افامن اهل القرى فلهذا رجع فعطف بالفاء قلت يجوز ان يقدر المعطوف عليه بعد الهمزة والمعنى افعلوا ما فعلوا فامن واما من قرأ اوسانكنه فمعناه اما احد الشيئين ويرجع المعنى الى قولنا فامنوا احد هذه العقوبات واما الاضراب كما تقول انا اخرج تقول او اقيم على ان المراد هو الاضراب عن الخروج واثبات القيام اي لابل انيم ومعنى بيانا قد تقدم في اول السورة ومحى نصب على الظرف قال الجوهري ضحوة النهار بعد طلوع الشمس ثم بعده الضحى وهو حين تشرق الشمس مقصورة وتذكر على انه المفرد كصرد لان ذلك كالعلم في انه يصرف ولا ينصرف ومكر الله تقدم في آل عمران بعد الاستدراج او سمي جزاء المكر مكرا عن الربيع بن خثيم ان يفتح لهم ابوابا من الخير ليزيدهم غرة ما لي اراك تنام قال يا بني اخاف ان اباك خاف بيات يعني المذكورة في الاية اللهم اجعلنا من الخائفين العاقلين لا من الامنين الغافلين ثم لما بين حال المهلكين مفصلا ومجملا ذكر ان الغرض من القصص حصول العبرة للبائنين فقال اولم يهد من قرأ بالياء فعلم ان لو شاء والمعنى اولم يهد الذين يخلفون اولئك المتقدمين بعد ان هلكوا ديارهم هذا الشان وهو انا لو نشاء اصبناهم بذنوبهم اي بعقابها كما اصبنا من قبلهم ومن قرأ بالنون فقوله ان فشاء منصوب بالهداية لمعنى التبيين على القراءتين على القراءة الاولى محذوف والتقدير اولم يكشف لهم الحال والشان المذكور وانا قوله ونطبع على قلوبهم فاما ان يكون منقطعا عما قبله يعني ونحن نطبع واما ان يكون متصلا بما قبله قال في الكشاف وذلك هو يرثون او ما دل عليه معنى اولم يهد كانه قيل يغفلون عن الهداية ونطبع قال لا يجوز ان يكون معطوفا على اصبناهم وطبعنا لان القوم كانوا مطبوعا على قلوبهم فجرى مجرى تحصيل الحاصل ولقائل ان يقول لا يلزم من المذكور وهو كونهم مذنبين ان يكونوا مطبوعين فافترقا لان الذنوب غير الطبع لانه قد يذنب انسان ولا يكفر ثم يستمر على ذلك فيصير مطبوعا على قلبه ايضا جاز ان يراد لو شئنا لزدنا في طبعهم او لا دمناه والله سبحانه واعلم بمراده ثم اخبر عن الاقوام المذكورين على سبيل التسلية لرسوله ﷺ فقال تلك القرى وهي مبتدأ وخبر وقوله نقص الحال والعامل معنى اسم الاشارة او خبر بعد خبر او القرى صفة لتلك ونقص خبر وفائدة الاخبار على هذا التقدير ظاهرة واما على الاولين فيرجع الفائدة الى الحال والخبر الثاني كما ترجع الى صفة في قولك هو الرجل الكريم والحاصل ان تلك القرى المذكورة نقص عليك بعض انبائها وطائفا انبائها غيرها لم نقصها عليك وايضا خصصنا تلك القرى بقصص بعض انبائها لانهم اغتروا بطول الامهال مع كثرة النعم وكانوا اقرب الامم الى العرب فذكرنا احوالهم تنبيها على الاعتراز عن مثل اعمالهم ثم عزى رسوله بقوله ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل اللام لتاكيد النفي وان الايمان كان منافيا لحالهم قال ابن عباس والسدي فما كان اولئك الكفار ليؤمنوا عند ارسال الرسل بسبب تكذيبهم يوم اخذ ميثاقهم حين اخرجهم من ظهر ادم اقرارا باللسان كرها واضمارا للتكذيب قال الزجاج ما كانوا ليؤمنوا بعد رؤية المعجزات وما كذبوا بها من قبل رؤية تلك المعجزات وعن مجاهد فما كانوا ليؤمنوا لو احييناهم بعد الاهلاك ورددناهم الى دار التكليف بما كذبوا من قبل كقوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وقيل فما كانوا ليؤمنوا عند مجيء الرسل لما ان جاءوا من قبل مجيئهم وقبل ما كانوا ليؤمنوا في الزمان المستقبل بما كذبوا به في الزمان الماضي اي استمروا على التكذيب من لدن مجيء الرسل الى ان ماتوا مصرين لم ينجع فيهم تكرير المواعظ وتتابع الايات كذلك اي مثل ذلك الطبع الشديد يطبع الله قلوب الكافرين الذين كتب ان لا يؤمنوا ابدا والطبع والختم والرين والكنان والغشاوة والصد والمنع واحد كما سلف وقال الجبائي هو ان يسم الكفار بسمات يعلم الملائكة بها ان صاحبها لا يؤمن وقال الكعبي انما اضاف الطبع الى نفسه لاجل ان القوم انما صاروا الى ذلك الكفر عند امره وامتحانه فهو كقوله تعالى فلم يزدهم دعائي الا فرارا ثم شرح حال المذنبين فقال وما وجدنا لاكثرهم من عهد والضمير للناس على الاطلاق قال ابن عباس يعني بالعهد قوله الست بربكم اقروا به ثم خالفوا وعن ابن مسعود هو الايمان كقوله الا من اتخذ عند الرحمن عهدا يعني من قال لا اله الا الله وقيل العهد عبارة عن الادلة الدالة على التوحيد والنبوة والمراد الوفاء بالعهد وان وجدنا هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة

عذاب

والتقدير والشان والحديث علما اكثرهم فاسقين خارجين من الطاعة والايذان اعتراض ويحتمل ان يعود الضمير الى الامم المذكورين كانوا اذا عاهدوا الله في ضر ومخالفة لكن انجيتنا لنؤمنن نكثوه بعد كشف الضر تاويل الا اخذنا اهلها بالباساء والضراء الولي يتضرع اليه عند البلاء وتوكل عليه والعدو يدهل عن الحق ولا يرجع اليه ولوان اهل القرى يعني صفات النفس امنوا بما يرد الى صفات القلب والروح من لطائف الحق واتقوا مشابهة النفس لفتحنا عليهم ابواب العواطف من سماء الروح وارض القلب فاخذناهم عاقبنا بعذاب البعد بما كسبوا من مخالفات الحق وعلى موافقات الطبع بها ناني صورة الفهر ضحى في صورة اللطف بسطوات الجد بات وهم يلعبون يشتغلون بالدنيا الا القوم الخاسرون من اهل القهر هم الذين خسروا سعادة الدارين ومن اهل اللطف هم الذين خسروا الاتباع والعفو ويجوا المولى اولئك لهم الامن وهم مهتدون

ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا الى فرعون وملائه فظلموا بها فانظر كيف كان عاقبة المفسدين

پس برانگيختيم از بعد ايشان موسى بآيات ما بسوى فرعون وبزرگان سپاه او پس ستم كردند بدين آيتها پس بنگر چگونه بود سرانجام تباه كاران

وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق قد جئتكم ببينة

وگفت موسى اى فرعون بدرستى كه من مفرستاده ام از پروردگار جهانيان سزاوار و درخورم كه نگويم بر خدا مگر حق را بتحقيقكه آورده ام شما را گواهى

من ربكم فارسل معي بني اسرائيل قال ان كنت جئت بآية فات بها ان كنت من الصادقين فالقى عصاه

از پروردگار شما پس بفرست با من بنى اسرائيل را گفت كه اگر مى آيى نشانى كه آورده معجزه پس بيار آن را اگر هستى از راستگويان پس افكند عصاى خويش

فاذا هي ثعبان مبين ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين قال الملا من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم ع

پس ناگاه آن اژدهائى بود هويدا ودر كشيد دست خود را پس ناگاه آن سفيدى بود مر نگرندگان را گفتند بزرگان از قوم فرعون كه اين هر آينه جادوئى است

يريد ان يخرجكم من ارضكم فماذا تامرون قالوا ارجه واخاه وارسل في المدائن حاشرين يأتوك

ميخواهد كه بيرون كند شما را از زمين شما پس چه مى فرمائيد گفتند كار او و برادر او باز دار و بفرست در شهرها جمع كنندگان

بكل سحار عليم وجاء السحرة فرعون قالوا ائن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم لمن المقربين

هر جادوى دانا را بيارند نزد تو جادوان فرعون را گفتند ايا مر ما را مزدى هست اگر ما غالبانيم گفت اى و شما پس مقربان

قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين قال القوا فلما القوا سحروا اعين الناس واسترهبوهم

گفتند اى موسى يا آنكه تو بيفكنى واما آنكه باشيم ما افكندگان گفت بيفكنيد پس چون افكندند جادوئى كردند چشمهاى مردمان و ترسانيدند ايشان را

وجاؤا بسحر عظيم واوحينا الى موسى ان الق عصاك فاذا هي تلقف ما يافكون فوقع الحق وبطل ما

و آوردند جادوئى بزرگ وحى فرستاديم بسوى موسى كه بيفكن عصاى خود را پس ناگاه آن بلعيد آنچه بافتند پس ثابت شد حق و باطل شد

كانوا يعملون فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين والقي السحرة ساجدين قالوا امنا برب العالمين رب موسى و

بودند كه مى كردند پس مغلوب شدند آنجا و بازگشتند ذليلان و افكنده شدند جادوان سجده كنان گفتند گرويديم بپروردگار عالميان پروردگار موسى و

هرون قال فرعون امنتم به قبل ان اذن لكم ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها اهلها فسوف

هرون گفت فرعون گرويديد بآن پيش از آنكه فرمان دهم شما را بدرستى كه اين مكرى است كه كرده ايد در شهر تا بيرون كنيد از آن شهر اهل آن را پس زود باشد

تعلمون لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ثم لاصلبنكم اجمعين قالوا انا الى ربنا منقلبون و

بدانيد هر آينه ببرم دستهاى شما و پاهاى شما از خلاف يكديگر پس بدار كشم شما را همه گفتند كه ما بسوى پروردگار خويش بازگرديم و

ما تنقم منا الا ان امنا بآيات ربنا لما جاءتنا ربنا افرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين القراءة حقيق

انتقام نمى كشى از ما مگر بجهة آنكه ايمان آورديم بآيات پروردگار خود چون در آمد بر ما پروردگار ما فرو ريز بر ما صبرى و باز بگير ما را تسليم كنندگان

على بالتشديد نافع الباقون بالتخفيف مع فتح الياء حيث كان حفص ارجه باسكان الهاء الضم حمزة وعاصم غير المفضل ارجه بكسر الجيم والهاء

من غير اشباع ابن بدو قالون وعلى وعباس وخلف المفضل ارجه بالهمزة ابو عمرو غير عباس وسهل ويعقوب وابن الاخرم عن ابن ذكوان

وهشام غير الحلواني ارجهوا بالاشباع ابن كثير والحلواني عن هشام ارجه بكسر الهاء ابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان سحار بالمد الغير

حمزة وعلى وخلف وكذلك في يونس وقرا قتيبة ونصير والدوري حمزة في رواية ابن سعدان وابي عمرو بالامالة الباقون ساحر ان لنا بحذف

همزة الاستفهام ابن كثير وابو جعفر ونافع وحفص ان لنا باثبات همزة الاستفهام عاصم غير حفص وحمزة وعلى وخلف ابن عامر هشام يدخل بينهما

مدة وقالون الهمزة باء ابو عمرو وزيد ابن يايا ولا مدة سهل ويعقوب غير زيد تلقف بالتخفيف حيث كان حفص والمفضل هي تلقف بالتشديد وافغم

التاء الاولى في الثانية البزي وابن فليح الباقون بتشديد القاف وحذف تاء التفعل امنتم بهمزة واحدة ممدودة حفص امنتم

بهمزة الاستفهام همزة واحدة ممدودة حفص امنتم بهمزة الاستفهام حمزة وعلى وخلف عاصم سوى حفص امنتم بالمد وتليين الهمزة ابو جعفر ونافع وابن عامر وابو عمرو وسهل ويعقوب وابن كثير

غير الطاشي وابن مجاهد وابي عون عن قنبل فرعون وامنتم بالواو والخالصة الطاشي عن قنبل وامنتم بالواو وتحقيق الهمزة الاولى ابن مجاهد وفرعون ابو

الاعراف

والهرندى عن قنبل الوقوف فظلموا بها للفصل بين الخبر والطلب مع العطف بالفاء المفسدين العالمين ج وقف على يا للتشديد ابى وطيب
على ومن قرأ بحقيق فجاز له الوصل على جعل حقيق وصفا لرسول وعلى بمعنى لبناء الا الحق ابى سراهل الصادقين مبينين ط للفصل بين الجملتين و
والوصل اجود للجمع بين المحتجين للمناظرين علمتم الان ما بعده وصف لساحر من ارضكم لاحتمال ان بعده من تمام قول الملأ لفرعون وحده
والجمع للتعظيم اوله ولعظماء حضرته وان يكون ابتداء جواب من فرعون اى فاذا تشيرون تامرون حاشرين لان ما بعده جواب لامر علمتم العالمين
المقربين الملقين القوى للعطف عظيم عصاك تحتى للحذف لان التقدير فالقاها فاذا هى ما يأفكون وكان يعلمون صاغرين لمكان
حروف لعطف ساجدين ط لاحتمال كون قالوا حالا باضمار قد العالمين لابدل وهرون لان لكم للابتداء مع اتحاد القائل اهلها لان
سوف للتهديد مع العطف تعلمون اجمعين منقلبون ط للابتداء مع القاء القول جاثناه للعدول عن المحاباة الى المناجاة المسلمين التفسير القصة الناقص
من قصص هذه السورة قصة موسى وقد ذكر فى هذه القصة من البسط والتفصيل ما لم يذكر فى غيرها لان جهل قوم اعظم وانحش من جهل سائر
الاقوام ولهذا كانت معجزات متعددة من الانبياء والضمير فى قوله ثم بعثنا من بعدهم يعود الى رسل الامم المذكورين وفى قوله بايانا دلالة
على كثرة معجزاته وان النبى لابد له من آية ومعجزة يمتاز عن المتنبى فظلموا بها اى بتلك الايات والمراد كفرهم بها لان وضع الانكار موضع
الاقرار واريد بالكفر بدل الايمان وضع الشئ فى غير موضعه او فظلموا الناس بسببها حبسا وعدوها وصدوهم عنها واذوا من امن بها
فانظر ايها المعتبر المستبصر بعين بصيرتك كيف كان عاقبة المفسدين كيف فعلنا بهم وهذا اجمالية ثم شرع فى تفصيلها وذلك قوله وقال موسى
يا فرعون انى رسول من رب العالمين اى اله قادر عالم حكيم وهو ان العالم موصوف بصفات لاجلها افتقر الخلق بين يديه حقيق على ان لا
اقول من قرأ بالتشديد فحقيق اما بمعنى فاعل اى واجب على ترك القول على الله الا الحق او بمعنى مفعول اى حق على ذلك تقول العرب انى
لمحقوق على ان افعل خيرا واما قراءة العامة حقيق على مرسلة الياء ففيه وجوه احدها ان يكون على بمعنى الباء كقولهم جئت على حال حسنة و
بحال حسنة قال الاخفش وهذا كما قال ولا تقعدن بكل صراط اى على كل صراط وتؤكد هذا الوجه قراءة ابى حقيق بان لا اقول اى انا خليق
بذلك وثانيها ان الحق هو الدائم الثابت والحقيق مبالغة فيه وكل ما لزمك فقد لزمته وكان المعنى انا ثابت مستمر على ان لا اقول الا بالحق
وثالثها ان يضمن حقيق معنى حريص ورابعها ان يكون من القلب لانه يشيع عليه امر الالباس فيقول المعنى الى قراءة نافع وخامسها ان يكون اعرابى
فى الوصف مبالغة بالصدق والمراد انا حقيق على قول الحق اى اجب عليه ان اكون انا قائله والقائم به وكاهر منى لا يمتلى ناطقا به وسادسها ان
يكون على هذه هى التى تقترن بالاوصاف اللازمة الاصلية كقولهم نعم فطرة الله فطر الناس عليها ويقال جاءنى فلان على هيئته وعلى عادته وعرفه وعلى
تحققه على كذا وكذا من الصفات فمعنى الآية انا احقق لا على قول الحق ولما كان ظهور المعجز على وفق الدعوى لا لذاته فادعى الخبراء وعلى تصديق
الرسول جميعا قال قد جئتكم ببينة من ربكم اى بمعجزة قاهرة باهرة منه ثم فرع طلب تبليغ الحكم وهو قوله فارسل معى بنى اسرائيل اى اطلقهم وخل سبيلهم
حتى يذهبوا معى راجعين الى الارض المقدسة التى هى وطنهم ومولد اباءهم وذلك انه توفى يوسف لما توفى وانقرضت الاسباط غلب فرعون نسلهم و
استعبدهم واستخدمهم فى الاعمال الشاقة قال ان كنت جئت بآية فأت بها ان كنت من الصادقين فيه سؤالان احدهما لفظى وهو ان ههنا شرطين
فاين جوابهما والجواب ان المؤخر فى اللفظ مقدم فى المعنى نظيره قول القائل ان دخلت الدار فانت طالق ان كلمت زيدا وثانيهما ان قوله ان كنت جئت
بآية وقوله فات بها كلاهما واحد فى المعنى فكيف يعقل تعلق احدهما بالاخر وجوابه المنع اذ المراد ان كنت جئت من عند من ارسلك بآية فاحضرها
لنتصح دعواك ثم ان فرعون لما طالب موسى بآية البينة الدالة على وجود الرب وعلى صحة نبوته قلب له عصاه ثعبانا واظهر اليد البيضاء وذلك
قوله سبحانه فألقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين ونزع يده فاذا هى بيضاء للناظرين ومعنى كون الثعبان مبينا ان امره ظاهر لا شك فيه انه ثعبانا
ليس مما جاءت به السحرة من التمويهات وانما هو من قبيل المعجزات او المراد انه بان بقول المدعى الكاذب والثعبان فى اللغة الحية الضخم الذكر وروى
انه كان اشقر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل على الارض ولحيه الاسفل على الارض ولحيه الاعلى على سور
القصر ثم توجه نحو فرعون ليأخذه فوثب فرعون من سريره وهرب واخذه البطن يومئذ اربعمائة مرة وكان لم ير منه الحدث قبل ذلك وذعر
الناس فانهزموا وماث منهم خمسة وعشرون الفا ودخل فرعون البيت وصاح يا موسى خذه وانا اؤمن بك وارسل معك بنى اسرائيل فاخذه
موسى فعاد عصا وانتزع فى اللغة القلع والاخراج اى اخرجها من جيبه او من حجاره بدليل قوله فى مواضع اخر وادخل يدك فى جيبك تخرج
روى انه رآى فرعون يده وقال ما هذه فقال يدك ثم ادخلها فى جيبه عليه مدرعة صوف ثم نزعها فاذا هى بيضاء نورانية تغلب شعاعها
الشمس وكان موسى ادم شديد الادمة وقوله للناظرين يتعلق ببيضاء فانها لا يكون بيضاء للنظارة الا اذا كان بياضها عجيبا خارجا من العادة
اجتمع الناس للنظر اليه كما يجتمعون للعجائب واعلم ان القول بجواز انقلاب الجمادات عن مجاريها مقام صعب مشكل ولهذا اضطرب اقوال العلماء فيه
فالاشاعرة جوزوا ذلك على الاطلاق بناء على ان القول بالفاعل المختار مجوز والى الانسان وسائر انواع الحيوان ان تولد دفعة واحدة من غير
سابقة مادة ومدة وجوز والى الجوهر الفرد ان يكون حيا عالما قادرا فاهرا من غير حصول بنية ولا مزاج وجوز والى الاعمى الذى لا بالاندلس ان
يبصر فى ظلمة الليل البقة التى تكون بأقصى المشرق وسليم البصر ان لا يرى الشمس فى كبد السماء من غير حائل والمعتزلة جوزوا خرق العادات فى بعض

معجزات اقوى من

قول موسى عن

وضاحوا وحمل على الناس

المصورون بعض من غير ضابط ولا قانون اللهم الا ان يحال على الشرع والطبيعيون المتفلسفون انكروا ذلك على الاطلاق وزعموا انه لا يجوز
حدوث الاشياء ودخولها في الوجود الا على هذا الوجه المخصوص والطريق المعين والا لزم فتح باب الجهالات فاقترحوا ان ينقلب لعصا
ثعبانا جاز ان الشخص الذي شاهدناه كموسى وعيسى ومحمد مثلا انه ليس هو الشخص الاول وهذا يوجب القدح في النبوة والرسالة فان زعم
زاعم ان هذه الامور يختص بزمان دعوة الانبياء قلنا المختص في ذلك الزمان لا يعرف الا بدليل عام فمن لا يقف على ذلك الدليل يقع
في شبه الاشكال والضلال مع ان زمان جواز الكرامات لا يفرض عندكم ابدا فلا ينفصل المخرجون من سر هذا وانما جمع بين العصا واليد مع ان
المعجز الواحد كاف لان كثرة الدلائل يوجب مزيد اليقين قال بعض المحققين هما شيء واحد والمراد ان معجزة موسى كانت قوية ظاهرة من حيث
ان الحجة ابطلت اقوال المختلفين كانت كالثعبان الذي يلقف ما يأفكون ومن حيث انها كانت باهرة ظاهرة بنفسها وصف باليد البيضاء كما يقال
فلان يد بيضاء في الامر الفلاني اي قوة كاملة ومرتبة ظاهرة والتحقيق ان انقلاب العصا غير ذلك امور ممكنة في ذواتها لان الاجسام متماثلة
في الجسمية فكل ما صح على شيء صح على مثله والله سبحانه قادر على كل الممكنات فكل ما ثبت وقوعه بالتواتر وجب قبوله من غير تأويل ودفعتم ان السحر كان
غالبا في ذلك الزمان وكانت السحرة متفاوتين في ذلك فزعم اتباع فرعون ان موسى لكونه رئيس السحرة انتهى من علم السحر الى بلوغ الصفة وانه كان يطلب
بذلك الملك والرياسة وذلك قوله سبحانه قال الملأ من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم من ارضكم ولا يناسب هذا ما حكى الله تعالى في
سورة الشعراء انه قال ذلك فرعون فانه يحتمل ضد ورهذا القول في تلك الحالة منه ومنهم او لعل فرعون قاله ابتداء فتلقفه الملأ منه فقالوه لغيرهم
او قالوا عنه لسائر على طريق التبليغ فان الملوك اذا رأوا رأيا ذكروه للخاصة وهم يذكرونه للعامة والاظهر ان قوله فماذا تأمرون من كلام فرعون
اما لان الامر لا يجوز ان يكون من الادنى للاعلى او لانه من قولهم امرته فامرني بكذا اذا اشاورته فاشار علي برأي وهذا فان الملأ قالوا
جوابا ارجه واخاه اي اخر امره وامر اجبه ولا تعجل بقضائي شأنهما تبصر عجلتك حجة عليك قال الجوهري ارجأت الامر اخرته بهمز ولا يهمز وعن الكلبي
وقتادة ان المعنى احبسه وقيل بأنه خلاف اللغة الا ان يؤخذ من النوع من التأخير امر وبأن فرعون ما كان يظن انه قادر على حبس موسى بعد
مشاهدة حال العصا وارسل في المدائن المدينة فعيلة من مدن بالمكان يمدن مدونا اذا اقام به وهذا الحق القراء على همز مدائن لانه كصحائف و
قيل انها مفعلة من دنت اي ملكت وكان هذا القائل لا يهمز مدائن وقال البرد اصلها مدينة من دانه اذا قهره وساسه فعل بها ما فعل بخاتم وبيع
في هبوع وليس المراد مدائن الارض كلها ولكن المقصود مدائن صعيد مصر وقال ابن عباس وكان رؤساء السحرة باقصى مدائن الصعيد احاشرين
جامعين يأتوك بكل سحار البارع في علمه وقيل كانوا سبعين ساحرا سوى رئيسهم وقيل بضعة وثلثين الفا وقيل سبعين الفا وقيل ثمانين
الفا وقيل كان بعلمهم محوسيا ان من اهل نينوى قريبة بقرب الموصل وضعف بان المجوس من اتباع زرادشت وهو انما جاء بعد موسى
وفي الآية دلالة على كثرة السحرة في ذلك الزمان ولهذا كانت معجزة موسى شبيهة بالسحر وان كان مخالفا له في الحقيقة كما ان الطب لما كان غالبا على
اهل زمن عيسى كان معجزته من جنس ذلك كابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى وكانت الفصاحة غالبة في عصر نبينا ﷺ فالقرآن العظيم
وهو القرآن من جنس الفصاحة وتحقيق السحر وسائر ما يتعلق به قد مر في سورة البقرة فليتذكر وجاء السحرة فرعون قالوا لم يقل فعالوا بناء الكلام
على سؤال مقدر كان سائلا سأل ما قالوا اذ اجازوه فاجيب قالوا ان لنا لأجرا اي جعلا على الغلبة والتنكير للتعظيم كقول العرب ان له لابلا وان له
لغنما يقصدون الكثرة قال نعم ان لكم لأجرا وانكم لمن المقربين ارادوا لا اقتصركم على الثواب بل لكم مع ذلك ما يقل معه الثواب وهو التقريب والتكريم
لان الثواب انما يهنأ اذا كان مقرونا بالتعظيم روي انه قال لهم تكونون اول من يدخل واخر من يخرج وروي انه رد عصا موسى السحرة فقال لهم صنعتم
قالوا قد علمنا سحرا لا يطيقه سحرة اهل الارض الا ان يكون امرا من السماء فانه لا طاقة لنا به وفي الآية اشارة الى ان اهل السحر ليسوا قادرين على قلب
الاعيان والا لقلبوا الحجر ذهبا بل قلبوا ملك فرعون الى انفسهم ولم يطلبوا منه الا جرا فعلم العاقل ان لا يغتر بما كاذبهم ومزخرفاتهم ثم ان السحرة راعوا
حسن الادب فخيروا موسى ولم يقدموه في الذكر ثانيا حيث قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين كما هو دأب المتناظرين والمتصارعين
مع ان في قولهم واما ان نكون نحن ما يدل على رغبتهم في ان يلقوا قبله من تأكيد ضميرهم المتصل بالمنفصل وتعريف الخبر وتوسيط الفصل قال الفراء قد جمع بين اما واو في هذه الآية بخلاف قوله اما يعذبهم واما يتوب عليهم لان الفعل ههنا في موضع اسم بالاختيار
اعني في موضع نصب كقول القائل اختر ذا او ذاك انهم قالوا اختر ان تلقي بخلاف تلك الآية فان الامر لا يصلح هناك قال موسى للسحرة القوا ما انتم
فيه اراد به بشارتهم وقلة مبالاته بهم وثقته بان الامر الالهي يغلب لن يغلب فان قيل ان القائهم الحبال والعصي معارضة للمعجز بالسحر وذلك كفر والاكفر
بالكفر كفر فالجواب من وجوه احدها انهم انما امرهم بشرط ان يعلموا كفرهم فعلمهم ان يكون حقا فاذا لم يكن كذلك فلا امر البتة كقول القائل اسقني الماء من
الجرة فهذا انما يكون امرا بشرط حصول الماء في الجرة والثاني ان موسى علم انهم جاؤا لذلك فلا بد ان يفعلوه ودفع النزاع في التقديم والتأخير الثالث
انه اذن لهم في الاتيان بذلك السحر ليتمكن من الاقدام على ابطاله لكن يريد سماع شبهته ليحث عنها ويكشف عن ضعفها يقول له هات وقل
ومراده ان يجيب عنها ويبين لكل احد ضعفها وسقوطها فلما القوا سحروا اعين الناس قال القاضي لو كان السحر حقا لكان فوائد سحرهم اقوى من قلوبهم لا اعينهم
فكيف تهم خيلوا اليها ما الحقيقة بخلافه وقال الواحدي بل المراد انهم غلبوا الاعين عن صحة ادراكها بسبب تلك التمويهات وروي انهم القوا الحبال

بالزيق وجعلوا الزيق دواخل العصى فلما القوا فتخيل التمس فيها تحرك والتوى بعضها على بعض فخيل الى الناس انها تسعى واسترهبوهم اى ارهبوهم والسين زائدة كانهم استدعوا رهبتهم وقال الزجاج اشتد رهبتهم الناس فبعثوا جاعة يرقون عند القاء ذلك اينها الناس احذروا فهذا هو الاسر هاب وجاؤا بسحر عظيم كما زعموا ان ذلك سحر لا يطيقه سحرة الارض عن ابن عباس انه خيل الى موسى ان حبالهم وعصيهم حيات مثل عصا موسى فاوحى الله عز وجل اليه ان القِ عصاك وفي رواية الواحدي عنه ان المراد بالوحي ههنا الاضمار والتقدير فالقاها فاذا هي تلقف قال الجوهري لقفت الشيء بالكسر لقفه وتلقفته ايضا تناولته بسرعة وما في يمينك ما نافية ويجوز ان تكون موصولة او مصدرية بمعنى ما فكونوا يقلبون عن الحق الى الباطل وعن وحدانية الله الى تسمية المألوف بالافك قال المفسرون لما القى موسى العصا صارت حية عظيمة حتى الافق ثم فتحت فاها ثمانين ذراعا وابتلعت ما القوا من حبالهم وعصيهم فلما اخذها موسى صارت عصا كما كانت من غير تفاوت في الحجم والمقدار اصلا فعلم الله سبحانه اعدم بقدرته تلك الاجرام العظيمة او فرقها اجزاء لطيفة ثم قال سبحانه وتعالى فوقع الحق قال مجاهد والحسن وقال الفاضي معناه قوة الظهور بحيث لا يصح في الواقع ان يصير لا واقعا ومع ثبوت هذا الحق ذلك الاعيان التي افكوها وهي تلك الحبال والعصي وذلك قوله وبطل ما كانوا يعملون اى الذي عملوه او علمهم فغلبوا هنالك اى بين المحدي وانقلبوا صاغرين لانه لا ذل ولا صغار اعظم في حق المبطل من دحوض حجته روي ان تلك الحبال والعصي كانت حمل ثلثمائة بعير فلما ابتلعها ثعبان موسى وصارت عصا كما كانت قال بعض السحرة لبعض هذا خارج عن حد السحر وانما هو امر الهي قال المحققون انما لاجل كمالهم في علم السحر ميزوا السحر عن غيره فاستدلوا بركة ذلك من الكفر الى الايمان فما ظنك بالانسان الكامل في علم التوحيد والشريعة والحكمة وقوله والقي السحرة ساجدين دليل على ان ملقيا القاهم وما ذاك الا الله سبحانه الموجد للدواعي والقدر وقال الاخفش من سرعة ما سجدوا صاروا كانه القاهم غيرهم لانهم لم يتمالكوا ان وقعوا ساجدين قال بعض العلماء الايمان مقدم على السجود فكيف نقل عنهم انهم سجدوا ثم قالوا امنا برب العالمين واجيب بانه لا يبعد انهم عند الذهاب الى السجود قالوا ذلك او انهم لما ظفروا بالمعرفة سجدوا لله في الحال شكرا على الفوز بذلك والاظهار للخشوع والتذلل واقرارا بالالسنة بعد التصديق بالجنان قال المفسرون لما قالوا امنا برب العالمين قال فرعون اياي يعنون فلما قالوا رب موسى قال اياي يعنون لاني انا الذي ربيته فلما زادوا وهرون زال الشبهة وعرف الكل انهم امنوا بالله السماء وكفروا بفرعون وقبل ان ذكر بالذكر من جملة العالمين ليعلم ان الداعي الى ايمانهم هو موسى وهرون وقيل خصا بالذكر تعظيما وتشريفا لان فرعون لما راى ان اعلم الناس بالسحر اقر بنبوة موسى بحضرة جمع عظيم خاف ان يصير ذلك حجة عليه عند قومه فالفى في الحال شبهة في البين بعد ما ذكر عليهم ايمانهم اما الانكار فذلك قوله امنتم له من لم ير دخول الاستفهام فعلى انه اخبار توبيخا اى فعلتم هذا الفعل الشنيع ومن قرا بحرف الاستفهام فمعناه الاستبعاد والانكار وقوله قبل ان اذن لكم دلالة على ما نقضه فرعون في دعائه الاطيب لانه لو كان الها لما جاز ان ياذن لهم في ان يؤمنوا بغيره وهذا من جملة الحدل لان الدحوض الذي يظهر على المبطلين واما الشبهة فقوله ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها اهلها اى هذه حيلة احتلتموها انتم وموسى تواطاتم عليها لغرض لكم وهو ان تخرجوا القبط وتسكنوا بني اسرائيل وروى محمد بن جرير عن السدي في حديث ابن عباس وابن مسعود وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم ان موسى امير السحرة التقيا فقال لموسى اراتك ان غلبتك اتومن بي وتشهد ان ما جئت به حق فقال الساحر لا نبين غلبة لا يغلبه سحر وان غلبتني لا ومتن بك فرعون ينظر اليهما ويسمع فلذلك زعم التواطؤ فسوف تعلمون وعيد اجمال وتفصيله لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف اى من كل شق طرفا ثم لاصلبنكم اجمعين واختلف المفسرون هل وقع ذلك منه ام لا فمن قائل لم يقع لانهم سلموا ربهم ان يتوفاهم من جهته لا بهذا القتل والقطع ومن قائل وقع هو الاظهر وعليه الاكثر وفهم ابن عباس لا تحكى عن الملا انهم قالوا لفرعون اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض ولو انه ترك ولتلك السحرة لذكروهم ايضا وحدوه اياهم ولانهم قالوا ربنا افرغ علينا صبرا والصبر لا يطلب الا عند نزول البلاء وقد يجاب عن الاول بانهم داخلون تحت قوله وقومه وعن الثاني بانهم طلبوا الصبر على الايمان والثبات عليه وعدم الالتفات الى وعيده وعن قتاده كانوا اول النهار كفارا سحرة وفي آخره شهداء برره ثم حكى عن القوم انهم قالوا عند الوعيد انا الى ربنا منقلبون اى نحن لا نبالي بالموت لانا ننقلب الى لقاء ربنا ونخلص منك وننقلب الى الله يوم الجزاء فيثيبنا على شدائد القطع والصلب انا جميعا يعنون انفسهم وفرعون نرجع الى الله فيحكم بيننا او انا لا محالة ممتون فما يقدران يفعل بنا الا ما لا بد لنا منه وما تنقم منا قال ابن عباس ما اتيتنا بذنب نعد بنا عليه وما تعيبنا الا ان امنا بآيات ربنا لما جاءتنا وهي المعجزات الظاهرة التي لا يقدر على مثلها الا الله تعالى وهذا من باب تاكيد المدح بما يشبه الذم كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب ثم لجاوا الى الدعاء كما هو دأب الصديقين حين نزول البلاء فقالوا ربنا افرغ علينا صبرا افض علينا سجال الثبات على متابعة الدين او على ما توعدنا به فرعون وتوفنا مسلمين ثابتين على الدين الذي جاء به موسى اخبر عن ايمانهم او لا وسلوا التوفي على الاسلام ثانيا فيمكن ان يستدل بذلك على ان الايمان والاسلام واحد واحتجت الاشاعرة بالاية على ان الايمان والاسلام بخلق الله تعالى لا يطلبوا ذلك منه والمعتزلة يحملون امثال ذلك على تنبيه الالطاف واعلم ان هذه القصة في هذه السورة على الاختصار وفي الشعراء على التطويل فلهذا قيل هناك يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره وانكم اذا لمن المقربين قالوا لا ضير انا الى ربنا منقلبون فسوف تعلمون وفي كل ذلك زيادة واما قوله ههنا وارسل في المدائن

الجزء الثامن

وهناك وابعث فلان الارسال يفيد معنى البعث مع العلو فخص هذه السورة بذلك ليعلم ان المخاطب فرعون دون غيره وانما قال فيها انتم بدون طه والشعراء انتم له بالام لان الضمير في هذه يعود الى رب العالمين وفي السورتين الى موسى وقبل انتم بمعنى واحد وقال فيها لاصلبنكم لانه لما افاد الترتيب كان العطف المطلق كافيا وكثير من متشابهات هذه السور الثلث يعود الى رعاية الفواصل فتنبه للتاويل فظلموا بها بان جعلوها سحرا فوضعوها في غير موضعها عاقبة المفسدين الذين افسدوا الاستعداد بالركون الى الدنيا والذاتها حقيق على ان لا اقول الا الحق قائم بحقائق الجمع فان الخلق واثار التفرقة فاذا هي ثعبان لانه اضاف العصا الى نفسه في قوله هي عصاي وبعلم منه ان كل شيء اضفته الى نفسك وجعلته حاجاتك فانه ثعبان يبتلعك ولهذا قيل القها يا موسى فاذا هي بيضاء من غير سوء كانت بيضاء نقية نورانية لو وحانية لو موسى كانت روحانية في جميع الاوقات ولكن ما كانت نورانيتها منظورة للناظرين الا باظهار الله تعالى في بعض الاوقات خرقا للعادات على يد الجسمانيين ويبعد ان يخرجكم لاشك ان موسى اراد ان يخرجهم من ارضهم ولكن من ارض بشريتهم الى النور الروحانية توهموا ان التاخير وحسن التدبير يغير شيئا من التقدير ولم يعلموا ان عند حلول الحكم لا سلطان للعلم والفهم انى لنا لاجرا لم يعلموا ان اجرهم في المغلوبية لا في الغالبية قال نعم وانكم لمن المقربين اجرى الله تعالى على هذا لسان فرعون حقا وصدقا فصار وا مقربين عند الله قالوا يا موسى اما ان تلقي اكرموا موسى بالتقديم والاستبدان فاكرمهم الله تعالى بالتجوز والايمان لسحر عظيم اي عظيم في الاثم كما قال سبحانك هذا بهتان عظيم في الاثم كما قال سبحانك هذا بهتان عظيم وعظم اثم السحر لمعارضة المعجزة فاذا هي تلقف ما يافكون فيه ان عصا الذي اذا القيها عند القاء سحرة صفات النفس بتبلع بفمها لا التفع جميع ما سحروا به اعين الناس فوقع الحق بالثبات الى الله وبطل ما كانوا يعملون من تزيين زخارف الدنيا في العيون فغلبوا اي سحرة صفات النفس بنور الذكر وانقلبوا صاغرين ذليلين تحت امر الشرع ونواهيه والقي السحرة ساجدين اي صفات النفس بعد التمرد منقادة للعبودية رب موسى الروح وهرون القلب اعلم ان صفات النفس اذا نور بنور الذكر يتبدل كفرها بالايمان ولكن النفس بذاتها لا تؤمن ولا تنقاد الا عند غرقها في الواردات والمواهب الربانية كحال فرعون وايمانه عند الغرق وفي القصة دلالة على انه تعالى قد يبرز العدو في صورة الولي مثل بلعام وبالعكس كالسحرة قبل ان اذن لكم هذا من جملة جعل فرعون ظن ان الايمان باذن الله لكم مكر تموه في مواعدة موسى الروح في هذا البدن الفاسد لتخرجوا منها اهلها وهو اللذات والشهوات البدنية لاقطعن لكن التسويل عن الاعمال الصالحة ثم لاصلبنكم في جذوع تعلقات الدنيا وزخارفها والله اعلم وقال الملا من قوم فرعون اتذر موسى وقومه ليفسدوا

ع في الارض ويذرك والهتك قال سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم وانا فوقهم قاهرون قال موسى لقومه استعينوا

بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين قالوا اوذينا من قبل ان تاتينا ومن بعد

ما جئتنا قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون ولقد اخذنا ال فرعون

ع بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا

بموسى ومن معه الا انما طائرهم عند الله ولكن اكثرهم لا يعلمون وقالوا مهما تاتنا به من اية لتسحرنا بها

فما نحن لك بمؤمنين فارسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم مفصلات فاستكبروا

وكانوا قوما مجرمين ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز

لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه اذا هم ينكثون فانتقمنا منهم

فاغرقناهم في اليم بانهم كذبوا بايتنا وكانوا عنها غافلين واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون

مشارق الارض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون

وَقَوْمُهٗ وَمَا كَانُوْا يَعْرِشُوْنَ ۝ وَجٰوَزْنَا بِبَنِيْٓ اِسْرَآءِيْلَ الْبَحْرَ فَاَتَوْا عَلٰى قَوْمٍ يَّعْكُفُوْنَ عَلٰٓى اَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُوْا يٰمُوْسَى

وقوم او و آنچه ایشان سقته بودند و گذرانیدیم بنی اسرائیل را از دریا پس آمدند بر گروهی که مقیم بودند بر بتهای خود گفتند ای موسی

اجْعَلْ لَّنَآ اِلٰهًا كَمَا لَهُمْ اٰلِهَةٌ قَالَ اِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُوْنَ ۝ اِنَّ هٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيْهِ وَبٰطِلٌ مَّا كَانُوْا يَعْمَلُوْنَ

قرار ده از برای ما خدائی چنانچه مر ایشان را خدایان گفت بدرستیکه شما گروهی بجهل دانید بدرستیکه ایشان هلاک خواهند شد آنچه ایشان در آنند باطل است آنچه بودند میکردند

قَالَ اَغَيْرَ اللّٰهِ اَبْغِيْكُمْ اِلٰهًا وَّهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعٰلَمِيْنَ ۝ وَاِذْ اَنْجَيْنٰكُمْ مِّنْ اٰلِ فِرْعَوْنَ يَسُوْمُوْنَكُمْ

گفت آیا غیر خدا را میجویم برای شما خداوندی و او زیادتی داد شما را بر عالمیان و چون رهانیدیم شما را از آل فرعون میرسانیدند شما را

سُوْٓءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُوْنَ اَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُوْنَ نِسَآءَكُمْ وَفِيْ ذٰلِكُمْ بَلَآءٌ مِّنْ رَّبِّكُمْ عَظِيْمٌ ۝ القراءة سنفتل

از بدی عذاب میکشتند فرزندان شما را و زنده گذاردند زنان شما را و در این بلائی بود از پروردگار شما بزرگ

بالتخفيف ابن كثير وابو جعفر وتابعهما بالتشديد الخزاز عن هبيرة كلمات ربك على الجمع بزيد وطاهر يعرشون بضم الراء حيث كان ابن عامر وابو بكر وحماد الباقون بالكسر يعكفون بكسر الكاف حمزة وخلف الباقون بالضم انجاكم ابن عامر الاخرون انجيناكم على الحكاية نقتلون بالتخفيف لوقوف الهنك استانهم للابتداء بان العطف اتحاد الفاعل فاهرون واصبروا لما قلنا هم من عباده للمتقين ما جئتمونا تعلمون يذكرون لنا هذه لبيان شين الاضافتين على التناقض ومن معه لا يعلمون بها مؤمنين مجرمين بما عهد عندك لان جواب لما منتظر مع اتحاد الفاعل بنو اسرائيل لان جواب لما منتظر مع دخول الفاء فيه ينكثون غافلين بارك بها للعدل عن الحكاية وكل بما صبروا هو لعكسه يعرشون يعكفون اصنام لهم لاتحاد الفاعل بلا عطف الهنا تجهلون يعلمون العالمين سوء العذاب لاحتمال كون ما بعده مستانفا او حالا انكر عظيم والله اعلم

التفسير لما فرعون بعد وقوع الواقعة بهم تعرض لموسى ولا اخذه وحبسه لا تركان كلما بوى موسى بجافداشد الخوف الا ان قوم لم يعرفوا ذلك فحملوه على اخذه وحبسه فقالوا اتذر موسى اتتركه وقومه ليفسدوا في الارض ليغيروا على الناس دينهم الذي كانوا عليه فقوسلوا بذلك الى اخذ الملك ويذرك عطف على ليفسدوا وقوله والهتك مفعول سعد والمراد اذا تركهم ولم يمنعهم كان ذلك موذنا بالترك معه الهة فقط ويحتمل ان يكون منصوبا على انه جواب الاستفهام والمعنى يكون منك ان تذر موسى ويكون من موسى ان يذرك والهتك قال كثير من المفسرين ان فرعون كان قد وضع لقومه اصناما صغارا وامرهم بعبادتها وسمى نفسه الرب الاعلى وقال الحسن كان فرعون يعبد الاصنام ويحتمل بانه لعله كان اتخذ اصناما على صور الكواكب مدبرات العالم السفلي واما مخدوم الخلق في هذا العالم والمرئي لهم فهو نفسه فقوله انا ربكم الاعلى اي انا مربيكم والمنعم عليكم والمطعم لكم وكل ذلك بناء على انه كان دهريا ينكر وجود الصانع ثم ان فرعون اوهم قومه انما يحبسه ولم يمنعه لعدم النفاذ اليه لا للخوف فقال سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم فكانه قال ان موسى انما يمكنه الافساد بواسطة الرهط والشيعة فنحن نسعى في تقليل رهطه وشيعته وانا فوقهم قاهرون اي سنعيد عليهم ما كنا عليه من الغلبة ولئلا يتوهم العامة ان المولود الموعود من قبل الكهنة ولكنه منتظر بعد قال موسى لما وصل اليه ما جرى بين فرعون وملائه اليهم لقومه استعينوا بالله واصبروا ولا ريب ان الصبر ينتج الاستعانة بالله فان من انه لا مدبر للعالم الا الله تعالى اشرق قلبه بنور المعرفة وعلم ان الكل بقضاء الله وقدره فيسهل عليه كل ما يصل اليه ثم لما امرهم بشيئين بشرهم بشيئين فقال ان الارض يعني ارض مصر جنس الارض فيتناول مصر بالتبعية لله يورثها من يشاء من عباده يعني بالنوبة جعل الشيء للخلف بعد السلف والعاقبة للمتقين والحامدة لمن هو بصدد التقوى منكم ومن الغلط وهذا من الكلام المنصف اذا علموا ان الغلط لا تقوى لهم او المراد ان كل من اتقى الله تعالى وخافه فالله الغني الكريم يعينه في الدنيا والاخرة ثم انهم خافوا فرعون من تهديد فرعون فشكوا الى موسى مستعجلين القصور قالوا اوذينا من قبل ان تاتينا ومن بعد ما جئتنا يعنون قتل ابنائهم قبل مولده الى حين نبوته ثم اعاوده ذلك عليهم في قوله سنقتل الى غير ذلك من انواع المحن والمهن فعند ذلك قال لهم موسى مصرحا بما رمز اليهم من البشارة قبل عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض ارض مصر ولا ريب ان في عسى طمعا واشفاقا ومثل هذا الكلام اذا صدر عن النبي المؤيد بالمعجزات الفاهرة الناظر بنور الحق افاد قوة اليقين وازال ما خامره من الضعف ثم قال فينظر كيف تعملون قال الزجاج اي يرى الكائن منكم من العمل حسنه وقبيحه شكره وكفره لوقوع ذلك منكم لان الله تعالى لا يجازيهم على ما يعلمه منهم قديما وانما يجازيهم على ما يقع حديثا فيتعلق الوعد الان لئن رحمه عن عمرو بن عبيد انه دخل على المنصور قبل الخلافة وعلى يانه ندعيفا وعيفا فطلب بادة لعمر فلم يكن فقراء عمر وهذه الاية ثم دخل عليه بعد استخلافه فذكر له ذلك وقال قد بتوفيق فينظر كيف تعملون وكيف نصيب يعلمون لا ينظر لان الاستفهام لا يعمل فيما يتقدمه ثم حكى سبحانه ما نزل بفرعون واله من المحن والبلايا يسومونكم التكذيب والتمرد يقال ولقد اخذنا ال فرعون بالسنين اي بسني القحط فالسنة من الاسماء الغالبة غلبت عليه الحرب كالدابة والنجم وقد يراد بها في غير هذا الموضع الحال والعام قال ابو زيد والفراء بعض العرب يقول هذه سنين وراينا سنينا يعرب ومنه قول الشاعر دعاني من نجد فان سنينه لعبن شيبا وشيبن مردا والسنون من الجموع المصححة الشاذة عن ابن عباس السنون لاهل البوادي واصحاب المواشي ينقص من الثمرات لاهل الامصار وفائدة توسيط من ان يعلم ان كل الثمرات لم ينقص وانما نقص بعضها العلهم يتذكرون فيتنبهوا ويرجعوا الى الايقياد والطاعة فان مس الضر ربما

هذا هم بنو من قتل الابناء ليعلموا انا على ما كنا

الجزء السابع

يلين الاعطاف ويرق القلوب فبقوا عاشوا فرعون اربعمائة سنة لم يرمكروها في تلك المدة وجاع اوجوع اوحمى الى ان توفي قال القاضي في الاية دلالة على انه تعالى اراد ان يتذكروا ولا يقيموا على ما هم عليه من الكفر واجابتهم يعاملهم معاملة المختبر ولا اختبار في الحقيقة ولا اختيار ولا يعوى عن الكفر والطغيان الا من شاء واراد ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور فلهذا حكى عن فرعون وقومه فاذا جاءتهم الحسنة قال ابن عباس اي الخصب في المواشي والثمار وسعة الرزق والعافية والسلامة قالوا لنا هذه اي نحن مخصوصون بذلك ولم نزل في الرفاهية والنعمة وهكذا عادة الزمان بيننا وليعلموا انها من الله فيشكروه عليه ويقوموا بحق نعمته وان تصبهم سيئة اضداد ما ذكرنا يطيروا يتشاءموا بموسى ومن معه واصله تطيروا فادغم التاء في الطاء لقرب مخرجها وانما عرفت الحسنة وخصت باذا ونكرت السيئة وقرنت بان لان جنس الحسنة وقوعه كالواجب لكثرته وشموله واما السيئة فوقوعها نادر مشكوك فيه ولهذا اقبل لقد عدت اياء البك فهل عدت ايام الزمان الا انما طائرهم عند الله قال الازهري يقال للشوم طائر وطيرة وعن ابن عباس طائرهم ما قضي عليهم وقدر لهم ومنه قول العرب طار له سهم كذا اي حصل ووقع ذلك في حظه وكان النبي ﷺ يتفأل ولا يتطير كان الفأل الكلمة الحسنة والتطير عيافة الطرق قال الامام فخر الدين الرازي وذلك لان الارواح الانسانية اقوى واصفى من الارواح البهيمية فيمكن الاستدلال بالاول على بعض الخفيات بخلاف الثاني ومعنى الاية ان كل ما يصيبهم من خير او شر فهو بقضاء الله وبقدره ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الكل من عند الله بمشيته وتقديره فيقولون هذا بيمن فلان او بشومه وقد تفاءلت اليهود بالنبي صلى الله عليه وآله المدينة فقالوا اغلث اسقانا وقلت مطارنا مذ اتانا قال في الكشاف ويجوز ان يكون معناه الا انما سبب شومهم عند الله وهو عملهم المكتوب عند الذي يجري عليهم ما يسوءهم لاجله ويعاقبون له بعد موتهم وكما حكى عنهم انهم لجهلهم اسندوا حوادث هذا العالم الى قضاء الله وقدره كذلك حكى عنهم انهم لجهلهم وسفههم يميزون بين المعجزة والسحر وقالوا لنبيهم مهما تاتنا به من اية لتسحرنا بها وبقولهم فما نحن لك بمؤمنين قال ابن عباس لما قالوا ما قالوا وكان موسى رجلا حديدا دعا عليهم فارسل الله عليهم الطوفان قيل هو الجدري وهو اول عذاب وقع فيهم فبقي في الارض وقيل هو الموتان وقيل الطاعون والاصح انه المطر واصله ما طاف وغلب من مطر او سيل ارسل الله عليهم من السماء حتى كادوا يهلكون وبيوت بني اسرائيل وبيوت القبط مشتبكة فامتلأت بيوت القبط ماء حتى قاموا في الماء الى تراقيهم فمنعهم من الحرث والبناء والتصرف فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعا فرفع عنهم فما امنوا فبقي لهم تلك السنة من الكلا والزرع ما لم يعهد بمثله وزعموا ان هذا الذي جزعوا منه هو خير لهم ولم يشعروا به فبعث الله عليهم الجراد فاكلت عامة زروعهم وثمارهم ثم اكلت كل شيء حتى الابواب والسقوف والثياب ولم يدخل بيوت بني اسرائيل منها شيء ففزعوا الى موسى وعدوه التوبة فارسل الله تعالى ريحا فاحتملت الجراد فالقته في البحر وقيل خرج موسى الى الفضاء فاشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجع الجراد الى النواحي التي جاء منها فقالوا لما نحن بتاركي ديننا فاقاموا شهرا فسلط الله عليهم القمل وهو الحمنان كبار القردان عن ابي عبيدة وقيل الدبا وهو اولاد الجراد قبل بنات اجنحتها وقيل البراغيث وقراءة الحسن القمل بفتح القاف وسكون الميم يريد القمل المعروف وعن سعيد بن جبير هو السوس فاكل ما ابقاه الجراد وكان يدخل بين ثوب احدهم وبين جلده فيمصه كان يأكل احدهم طعاما ممتلئا قملا وعن سعيد بن جبير كان الى جنبهم كثيب اعفر فضربه موسى بعصاه فصار قملا فاخذ في ابشارهم واشفار عيونهم وحواجبهم ولزم جلودهم كانه الجدري فصاحوا وصرخوا وفزعوا الى موسى فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا الان انك ساحر وعزة فرعون لا نصدقك ابدا فارسل عليهم الضفادع بعد شهر فدخلت بيوتهم وامتلأت منها اوانيهم واطعمتهم وكان احدهم اذا اراد ان يتكلم وثب الضفدع في فيه وكان يتلى منها مضاجعهم فلا يقدرون على الرقود وكانت تقذف بانفسها في القدور وهي تغلي فشكوا الى موسى واخذ عليهم العهود ودعا فكشف الله عنهم ثم نقضوا العهد فارسل الله عليهم الدم فصارت مياههم دما وكان يجتمع القبط والاسرائيلي على اناء واحد فيكون للقبطي ماء وعلى الاسرائيلي دما وعطش فرعون حتى اشتغل على الملا وكان يصلي الاشجار الرطبة فاذا مضغها صارت ماء فذهبها الطيب لحاها جادا وقيل الدم الرعاف سلطه الله عليهم وقوله اياة مفصلات نصب على الحال من المذكورات ومعناها ظاهر لا تشكل على عاقل انها معجزات ادخل بين بعض من ظن بمحمد فيه احوالهم وينظر ابو نواس بالعهد لهم ام ينكثون كما روي ان موسى مكث فيهم بعد ما غلب السحرة عشرين سنة ثم بعث اليهم هذه الايات ولا شك ان كل واحدة من هذه معجزة في نفسها واختصاصها بالقبط دون الاسرائيلي معجز اخر فاستكبروا عن العبادة والطاعة وكانوا قوما مجرمين مصرين على الذنب والجرم ثم لما فصل استكبارهم واجرامهم فقال ولما وقع عليهم الرجز اي الانواع الخمسة المذكورة من العذاب عن سعيد بن جبير انه الطاعون وهو العذاب الشديد الذي كان اصابهم فمات من القبط سبعون الف انسان في يوم واحد فزعوا عند ذلك قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك اي بعهده عندك وهو النبوة فما مصدرية والباء يتعلق بادع تعلق القسم بالكينونة في قولك كتبت بالقلم اي ادع لنا متوسلا اليه بعهده عندك او تعلق القسم به

بالفعل فيكون باء الاستعطاف اى سعفنا الى ما نطلب ليك من الدعاء لنا لحق ما سندك من عهد الله وكرامته بالنبوة ووجه اخر وهو ان يكون قسما مجابا بالنون من يكون متعلقا بالاقسام اى قسمنا بعهد الله وعندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل اى نخليهم وشانهم نذهب حيث شئت فلما كشفنا عنهم العذاب مطلقا او في جميع الوقايع بل الى اجل هم بالغوه لا محالة فاجئوا بنون ينكثون جواب لما اى كما كشف عنهم فاجاؤا النكث وبادروه فاغرقناهم اى سلبنا النعمة عنهم بالعذاب فاغرقناهم في اليم وهو البحر الذي لا يدرك قعره وقيل هو بحر فارس ومعظم ما يسمى باليم لان المنتقمين يبعثهم ربهم اى يقصدونهم بانهم كذبوا بايانا اى كان اغراقهم بسبب تكذيبهم اياها وكانوا عنها اى عن الايات وقيل عن التعذيب لا الاول اشقنا اى كانوا عن النقمة قبل حلولها غافلين اى معرضين غير متفكرين فان نفس العقلة ليست باختيار الانسان حتى يترتب الوعيد عليها ثم بين ما فعله بالمحقين بعد اهلاك المبطلين فقال واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون بقتل ابنائهم واستحياء نسائهم الاستخدام في الاعمال الشاقة مشارق الارض ومغاربها يعني ارض مصر والشام لانهما التي كانت تحت تصرف فرعون وبقوله التي باركنا اى بالخصب وسعة الارزاق ودلك لانه لا يليق الا بارض الشام وقيل المراد بجملة الارض لانه خرج من بني اسرائيل من ملك جملتها كداود وسليمان وتمت كلمة ربك الحسنى اى بنيل الاحسن صفة الكلمة قيل يريد بالكلمة قوله في سورة القصص ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمة الى تمام الايتين ومعنى تمت مضت واستمرت من قولك تم على الامر اذا مضى عليه وقيل معنى تمام الكلمة الحسنى انجاز الوعد الذي تقدم باهلاك عدوهم واستخلافهم في الارض لان الوعد بالشيء جعله كالمعلق فاذا حصل الموعود صار تاما كاملا بما صبروا اى بسبب صبرهم وفيه ان عنوان الظفر وضمهن بالنصر والفرج ودمرنا اى اهلكنا او الدمار الهلاك ما كان يصنع فرعون وقومه قال ابن عباس يريد المصانع وقال غيره يعني العمارات وبناء القصور ولعله على العموم فيتناول المعلن والاعيان وما كانوا يعرشون من الجنات كقوله وهو الذي انشأ جنات معروشات وقيل ما كانوا يرفعون من الابنية المشيدة في السماء كصرح هامان وغيره وههنا تمت قصة فرعون والقبط ثم ذكر ما جرى على بني اسرائيل بعد ذلك فقال وجاوزنا ببني اسرائيل البحر روي انه عبرهم موسى يوم عاشوراء بعد ما اهلك الله فرعون وقومه فصاموا شكرا لله فاتوا على قوم لهم قرا بقوم يعكفون يواظبون على عبادة اصنام لهم قال ابن جريج كانت تماثيل بقر وذلك اول شان العجل وقيل كانوا قوما من لخم نزلوا الرقة عن فراء وقيل كانوا من الكنعانيين الذين امر موسى بقتالهم قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة ما كافة للكاف عن العمل ولهذا دخلت على الجملة وكانهم طلبوا من موسى ان يعين لهم اصناما وتماثيل يتقربون بعبادتها الى الله تعالى كقول الكفرة ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فتوجه الذم عليهم لان العبادة نهاية التعظيم سواء اعتقد انه مقرب الى الله ونهاية التعظيم لا يليق الا بمن يصدر عنه نهاية الانعام وكان هذا القول لم يصدر من مشايخ اسرائيل وعظمائهم كالسبعين المختارين ولكنه صدر عن عوامهم وجهلتهم ولهذا قال لهم موسى انكم قوم تجهلون تعجب قومهم على اثرها واو من الايات العظام ووصفهم بالجهل المطلق المؤكد وعن علي رضي الله عنه ان يهوديا قال اختلفتم بعد نبيكم قبل ان نجف اثره فقال علي ما اختلفنا عن نبينا ثم قال قلتم اجعل لنا الها ولما نجف قدامكم ان هؤلاء عبدة ذلك التماثيل متبر اى مكسر مهلك ما هم فيه من قولهم انا متبر اذا كان فضاضا والتبار الهلاك وباطل ما كانوا يعملون اى يتبر الله اصنامهم وبهدم دينهم الذي هم عليه على يد فيصير الى الزوال والاضمحلال وفي ايقاع هؤلاء اسما لان وفي تقديم خبر المبتدا من الجملة الواقعة خبرا لان اشارة الى ان عبدة الاصنام ليسوا على شيء البتة وان مصيرهم الى النار لا محالة قال اغير الله ابغيكم الها انتصب غير على الحال المقدمة التي لو تاخرت كانت صفة كما تقول ابغيكم الها غير الله وانتصب الها على المفعول به قال الواحدي ويجوز ان يكون الها وابغيه له قال تعالى يبغونكم الفتنة والمعنى اغير المستحق للعبادة اطلب لكم معبودا وهو فضلكم على العالمين خصكم بالنعم الجسام دون ابناء زمانكم ومعنى الهمزة الانكار والتعجب مما افترحوه مع كونهم مغمورين في نعم الله فان الاله ليس شيء يطلب بعقل بل الاله هو الموجود بنفسه المفيد على الاطلاق للوجود والاعدام والاكوام والانعام والاثار الباقية وقد مر تفسيرها في البقرة والفائدة في اعادتها ههنا التعجب والتعجيب من اشتغل بعبادة غير هذا المنعم وانما قيل ههنا يقتلون دون يذبحون لينا سب قوله سنقتل ابناءهم والله اعلم بالتاويل وقال الملا من قوم فرعون من الهوى والغضب الكبر لفرعون النفس اذ هو سمي الروح وقومه من القلب والسر والعقل ليفسدوا في الارض البشرية ويدرك والهتك من الدنيا والشيطان والطبع قال فرعون النفس سنقتل ابناءهم يعني اعمالهم الصالحة بنطلها بالرياء والعجب ونستحيي نساءهم اى لفتاتها التي عنها تولد الاعمال واتا فوقهم قاهرون بالمكر والخديعة والحيلة قال موسى للروح لقومه لهم القلب العقل والسر استعينوا بالله واصبروا عنها جهاد النفس ومخالفتها ومتابعة الحق ان الارض لله ارض البشرية يورثها من يشاء من عباده يورث ارض بشرية السعداء الروح وصفاته فتتصف بصفاته ويورث ارض بشرية الاشقياء النفس وصفاتها فتتصف بصفاتها والعاقبة للمتقين يعني عاقبة الخير والسعادة للاتقياء السعداء يورثها يورث ارض بشرية السعداء الروح وصفاته فتتصف بصفاته ويورث ارض بشريتنا الاشقياء النفس وصفاتها فتتصف بصفاتها اوذينا من قبل ان تاتينا بالواردات الروحانية قبل البلوغ كنا نتاذى من اوصاف البشرية ومعاملاتها ومن بعد ما جئتنا بالواردات والالهامات الروحانية بعد البلوغ نتاذى من دواعي البشرية عسى ربكم ان يهلك عدوكم النفس وصفاتها وفيه اشارة الى ان الواردات الروحانية لا يكفي لافناء النفس وصفاتها ولا بد في ذلك من

الله او اعتقد انه

بخلي صفات الوتوبته فاد اجاءتهم الحسنة للكفر ولا بد فضل المنعم وكذا السلوك اذا اراد قطع منزل الوصال وقال كان وكانا ولكن اكثرهم
لا يعلمون لان بعضهم مسدودة عقولهم عن شهود الحق مصدودة فارسلنا عليهم الطوفان العلم الكثير والجراد الوارد والقمل
والضفادع الخواطر والدم اصناف المجاهدات والرياضات مفصلات وقتا بعد وقت وحينا بعد حين فاستكبروا عن
قبولها وكانوا قوما مجرمين في الازل فلهذا لم يهتدوا الوسايط والاسباب لما وقع عليهم الرجز وهو عذاب الطبيعة فاغرقناهم في يم الدنيا
وشهواتها وما كانوا يعرشون اي يرفعون بالتجبر والتكبر انفسهم بقي عرش الطاء اذا ارتفع بجناحيه على من تحته وجاوزنا بصفات القلب
من بحر الدنيا وخلصناهم من فرعون النفس فوصلوا الى صفات الروح يعكفون على اصنام لهم من المعاني المعقولة والمعارف الروحانية
فاستحسنوها واردوا العكوف على عتبة عالم الارواح قال لهم موسى الوارد الرباني عند ركونهم الى الروحانيات انكم قوم تجهلون قد الله
وعنايته فعلم ان هؤلاء بعض صفات الروح متبرتها هم فيه من الكون والعكوف على استحلاء المعاني المعقولة وباطلا كانوا يعملون وغير طلب الحق و
الوصول الى المعارف الربانية وهو فضلكم على العالمين من الجن والملك بفضيلة العبور من الجسمانيات والروحانيات والوصول الى المعارف والحقايق الالهية
ع وواعدنا موسى ثلثين ليلة واتممناها بعشر فتم ميقات ربه اربعين ليلة وقال موسى لاخيه هرون اخلفني في

ووعده كردیم موسی را سی شب و افزودیم بران ده شب پس تمام شد وعده پروردگار وی در چهل شب وگفت موسی مر برادر خود را ای هرون جانشین باش مرا
قومي واصلح ولا تتبع سبيل المفسدين ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب ارني انظر اليك قال

قوم من و اصلاح کن و پیروی مکن راه تباه کاران را و چون آمد موسی مر وعده گاه ما را و گفتگو کرد او را پروردگار وی گفت پروردگارا بنمای خود را تا بنگرم تو را
لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا
هرگز مرا و لکن بنگر بسوی کوه پس اگر قرار گرفت در جای خود پس بزودی مرا خواهی دید پس چون تابید نور پروردگار وی کوه را گردانید او را پاره پاره و افتاد موسی بیهوش
فلما افاق قال سبحانك تبت اليك وانا اول المؤمنين قال يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالتي

پس چون بهوش آمد گفت منزهی تو باز گردیدم بسوی تو و منم نخست گروندگان گفت ای موسی من برگزیدم تو را بر مردم بپیغامهای خود
وبكلامي فخذ ما اتيتك وكن من الشاكرين وكتبنا له في الالواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل

و بسخن گفتن من پس بگیر آنچه دادم ترا و باش از سپاسگزاران و نبشتیم برای او در لوحها از هر چیزی پندی و بیانی از برای هر
شيء فخذها بقوة وامر قومك ياخذوا باحسنها ساريكم دار الفاسقين سأصرف عن اياتي الذين

چیزی پس بگیر آنرا بتوانائی و فرمای قوم خود را بگیرند بهتر آنرا زود است که بنمایم شما را جایگاه فاسقان را زود است که برگردانم از آیات خود آنهارا که
يتكبرون في الارض بغير الحق وان يروا كل اية لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وان يروا

متکبری میکنند در زمین بدون حق و اگر ببینند هر نشانی را نگروند بآن و اگر ببینند راه
سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك بانهم كذبوا بايتنا وكانوا عنها غافلين والذين كذبوا بايتنا ولقاء الاخرة حبطت اعمالهم هل

راه گمراهی گیرند او را ذلک بدین است که ایشان دروغ زن دانستند آیات ما را و بودند از آن بیخبران و آنان که دروغ زن دانستند آیات ما را و دیدار آخرت باطل شد کردار ایشان
يجزون الا ما كانوا يعملون واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار الم يروا انه لا يكلمهم

پاداده نمیشوند مگر آنچه بودند که میکردند و فراگرفتند قوم موسی پس از او از زیورهای خود گوساله را که از برای او صدائی بود ندیدند که او گفتگو میکرد با ایشان
ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين ولما سقط في ايديهم ورأوا انهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا

و نمینمود بایشان راهی را که فراگرفتند او را و بودند ستمکاران و چون پشیمان شدند و دیدند که ایشان گمراه شدند گفتند اگر نه رحم کند ما را
ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفا قال بئسما خلفتموني

پروردگار ما و بیامرزد ما را البته باشیم از زیانکاران و چون برگشت موسی بسوی قوم خود خشمناک و غمناک گفت بد جانشینی کردید مرا
من بعدي اعجلتم امر ربكم والقى الالواح واخذ برأس اخيه يجره اليه قال ابن ام ان القوم استضعفوني

پس از من آیا شتاب کردید در فرمان پروردگار خود و افکند لوحها را و گرفت سر برادر خود را میکشید او را بسوی خود گفت ای مادر مرا قوم مرا
وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الاعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين قال رب اغفر لي ولاخي وادخلنا في رحمتك

نزدیک بود که بکشند مرا پس شاد مکن بر من دشمنان را و مگردان مرا با گروه ستمکاران گفت پروردگارا بیامرز مرا و برادر مرا و داخل کن ما را در رحمت خود
وانت ارحم الراحمين ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحيوة الدنيا وكذلك

و تو مهربانترین مهربانان بدرستی کسانی که فراگرفتند گوساله را زود باشد که برسد ایشان را خشم از پروردگار ایشان و خواری در زندگانی دنیا و همچنین
نجزي المفترين والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وامنوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم

مزد دهیم بر بهتان بندگان را و آنان که کردند بدیها پس توبه کردند پس از آن و گرویدند بدرستی پروردگار تو پس از آن هر آینه آمرزنده مهربان است

الاعراف

وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ القراءة ادنى نظر

وچون فرونشست از موسى خشم فراگرفت لوحها و در نوشتهاى ايشان راستى بود و رحمت ترسايانى كه ايشان مر پروردگار را خوف دارند بسكون الراء وفتح الياء ابن الفليح وزمعة والخزاعى عن ابن ذكوان الباقون بكسر الراء وسكون الياء دكا بالمد حمزة وعلى وخلف اى اصطفينك بفتح الياء المتكلم ابن كثير وابو عمرو برسالتى على التوحيد ابو جعفر ونافع وابن كثير الآخرون برسالاتى ايا الذين مرسلة الياء ابن عامر وحمزة الرشد بفتحتين حمزة وعلى وخلف الباقون بضم الراء وسكون اللام يعقوب جعلتهم بالكسر وتشديد الياء حمزة وعلى الباقون مثله ولكن بضم الحاء تحمنا ربنا ولغفر لنا الخطاب و التاء حمزة وعلى وخلف المفضل الباقون على الغيبة ورفع ربنا على الفاعلية بعد اعجلتم بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو وقال ابن ام مكتوم الميم ابن عامر وحمزة وعلى وخلف وعاصم غير حفص والمفضل الباقون بفتحها ومثله يا ابن ام فى طه الوقوف اربعين ليلة ط للعطف مع اختلاف القائل المفسدين ج رتبة الآن ما بعده جواب لما اليك ط سوف تراني ج صعقا ج المؤمنين الشاكرين ج لكل شئ ج للعدول مع فاء التعقيب باحيائها الفاسقين ه بغير الحق ط بها ج لابتداء شرط اخر ولبيان تعارض الاحوال مع العطف سبيلا غافلين ج اعمالهم ط يعملون خوارٌ بسكون الخاء لئلا يصير الجملة صفة السبيل فان الهاء ضمير العجل ظالمين ضلوا الآن بعد جواب الخاسرين ج اسفا لما مر بعدى ج للابتداء بالاستفهام مع اتحاد القائل امر ربكم لأن قوله والقى معطوف على قوله قال بئسما وقد اعترض بينهما استفهام اليط يقتلونني ط صلوا والوصل اولى لأن الفاء للجواب اى ان هم استضعفوا فلا تشمت بضربي اياهم القوم الظالمين ج رحمتك رحمتك زعم الاولى ان يوصلا لأن الواو للحال تحسينا للدعاء بالثناء الراحمين ج الدنيا ط المغفرين ج وامنوا الظاهر ان الوجه الوصل لأن بعده خبر والعائد محذوف والتقدير ان ربك من بعد توبتهم لغفور لهم رحيم الالواح ج لاحتمال ما بعده الحال يرهبون ج التفسير لما اهلك الله سبحانه اعداء بنى اسرائيل سئل موسى ربه ان يؤتيه الكتاب الذى وعده فامره بصوم ثلثين وهو شهر ذى القعدة فلما اتم الثلثين انكر من نفسه خلوف الفم فتسوك فقالت الملائكة كنا نشم من فيك رائحة المسك فافسدتها بالسواك فاوحى الله تعالى اليه اما علمت ان خلوف فم الصائم اطيب عندى من ريح المسك فامره ان يزيد عليها عشرة ايام من ذى الحجة فهذا السبب وقيل فائدة التفصيل انه تعالى امره بصوم ثلثين ان يعمل فيها ما يقربه من الله ثم انزلت عليه التوراة فى العشرة وكلم فيها وقال ابو مسلم الاصفهانى من الجائز ان يكون موسى عند تمام الثلثين بادر الى ميقات ربه قبل قومه بدليل قوله فى طه وما اعجلك عن قومك يا موسى فلما اعلمه الله تعالى خبر قومه مع السامرى رجع الى قومه ثم الى الميقات فى عشر اخر فتم اربعون ليلة وقبل لا يمتنع ان يكون الوعد الاول لحضور المختارين معه ليسمعوا الكلام ومن فوائد الفذلكة فى قوله تم ميقات ربه اربعين ليلة ازالة ما وهم من توهم ان الميقات كان عشرين ثم امه بعشر وقيل ثالثين الفرق بين الميقات والوقت ان الميقات ما قدر فيه عمل من الاعمال والوقت وقت الشئ قدره مقدار ما لا وانتصب اربعين على الحال اى تم بالغا هذا العدد وهرون عطف بيان لاخيه قرئ بالضم على النداء اخلفنى فى قومى خليفة فيهم واصلح كن مصلحا او واصلح ما يجب ان يصلح من امور بنى اسرائيل ومن دعائك الى الاشياء فلا تتبعه واتما جعل خليفة مع انه شريكه فى النبوة بدليل واشركه فى امرى والشريك اعلى حالا من الخليفة لان نبوة موسى كانت بالاصالة ونبوة هرون بتبعيته فكانه خليفته ووزيره واتما وصاه بالاصلاح تاكيدا واطمينانا والا فالنبى لا يفعل الا الاصلاح ولما جاء موسى لميقاتنا اللام بمعنى الاختصاص كانه قبل اختص مجيئه بوقتنا الذى حددناه كما يقال اتيته لعشر خلون من شهر كذا او كلمه تنبيه للناس على كلام الله هذا هو الصحيح فقيل عبارة عن هذه الحروف المؤلفة المنظمة وقيل صفة حقيقية مخالفة للحروف والاصوات وعلى الاول فمحل تلك الحروف والاصوات هو ذات الله تعالى وهو قول الكرامية او جسم مغاير كالشجرة ونحوها وهو قول المعتزلة وعلى الثانى فالاشعرية قالوا ان موسى عليه السلام سمع تلك الصفة الازلية لا نركما لا يبعد رؤيته عندنا مع انه ليس بجسم ولا عرض فكذا لا يمتنع سماعه كلاما مع انه ليس بحرف ولا صوت وقال ابو منصور لما تريد الذى سمعه موسى عليه السلام اصوات مقطعة وحروف مؤلفة قائمة بالشجرة واختلف العلماء ايضا فى ان الله تعالى كلم موسى وحده ظاهر الآية ان مع السبعين المختارين وهو قول القاضى لان تكليم الله موسى معجزة قد تقدمت نبوة موسى فلا بد من ظهوره هذا المعنى لغيره قال رب ارنى انظر اليك اى ارنى نفسك اجعلنى متمكنا من رؤيتك فانظر اليك ادراك عن ابن عباس ان موسى عليه السلام جاء ومعه السبعون وصعد الجبل وبقى السبعون فى اسفل الجبل وكلم الله موسى وكتب له فى الالواح كتابا وقربه نجيا فلما سمع صرير القلم عظم شوقه فقال رب انظر اليك قال الاشاعرة ان موسى سئل الرؤية وانه عارف بما يجب ويجوز ويمتنع على الله تعالى فلو كانت الرؤية ممتنعة لما سألها قال القاضى المحصلون من العلماء فى هذا المقام اقوال احدها قول الحسن وغيره ان موسى ما عرف ان الرؤية غير جائزة على الله تعالى وهذا لا يقدح فى معرفته لان العلم بامتناع الرؤية وجوازها لا يبعد ان يكون موقوفا على التمعن وترتيب يلزم ان يكون موسى دون حالا من علماء المعتزلة العالمين بامتناع الرؤية على الله تعالى وبانهم يدعون العلم الضرورى بان كل ما كان مرئيا فانه يجب ان يكون مقابلا او فى حكم المقابل فلو لم يكن هذا العلم حاصلا لموسى كان ناقص العقل وهو محال فان كان حاصلا وجوز موسى عليه المقابلة كان كفرا وهو ايضا محال وثانيها طريقة ابى على وابى هاشم ان موسى عليه السلام سئل الرؤية عن لسان قومه فقد كانوا يكررون المسئلة عليه بقولهم لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ونحو ذلك لو كان كذلك

الشين من جلهم بفتح الجاء وكون اللام

موسى وحمل والوعد الثانى عشرة ثم

فلما افاق قال سبحانك تبت اليك

الجزء الثاني

لقول موسى لهم ينظروا اليك ولقال الله لن يرون وبانه لو كان محالا لامنعهم كما منعهم لما قالوا اجعل لنا الها وباتذكر الدليل القاطع في هذا المقام فرض مضيق فلم يمكن تاخيره مع انهم لو كانوا مقربين بنبوة موسى كفاهم في الامتناع عن السؤال قول موسى والا فلا انتفاع لهم بهذا الجواب فان لهم ان يقولوا لا نسلم ان هذا المنع من الله بل هذا مما افتريته على الله وتالثها وهو اختيار ابي القاسم الكعبي ان موسى سئل ربه المعرفة الضرورية بحيث يزول عندها التجويز والوساوس كما في معرفة اهل الاخرة وردبانه تعالى اراه من الايات كالعصا واليد وغيرها ما لا غاية بعدها يليق بان يقول الظهر لي انه تدل على انك موجود ولو فرض انه لا يؤتى بمجال موسى فلم منعه الله تعالى عن ذلك ولقائل ان يقول منعه الله الحكمة عرفها الله تعالى ولا يلزم منه المنع في الاخرة ورابعها وهو قول ابي بكر الاصم ان موسى اراد تاكد الدليل العقلي بالدليل السمعي وتعاضد الدلائل امر مطلوب للعقلاء وضعف بانه كان الواجب عليه حينئذ ان يقول اريد بها الطف ان يقوى امتناع رؤيتك بوجوه زائدة على ما ظهر في عقلي ولقائل ان يقول هذا تعيين الطريق وفي الآية سؤال وهو انه تعالى لما قال لن تراني دون لن تنظر الي فما سبب قوله انظر اليك والجواب لان موسى لما طلب النظر المطلق وانما طلب النظر الذي هو مع الادراك بدليل الرفق ومن حق الاشاعرة انه تعالى علق رؤيته على امر جائز وهو استقرار الجبل والمعلق على الجائز جائز وردبانه علق حصول الرؤية على استقرار الجبل حال حركته بدليل قوله ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه اي في وقت النظر وعقيبه واستقرار الجبل حال حركته محال ومنها قوله فلما تجلى ربه اي ظهر وبان ومنه جلوت العروس اذا ابرزتها او ظهر الجبل اقتداره وتصدقه لامره وارادته جعله دكا اي مدكوكا مصدر بمعنى مفعول والدك والدق اخوان ومن قرا بالمد اراد ارضا دكاء مستوية ومنه ناقة دكاء متواضعة السنام والدكا ايضا اسم للرابية الناشزة من الارض كالدكدك والغرض من الجميع تعظيم شان الرؤية وان احدا لا يقوى على ذلك الا بقوة الله وتاييده وقالت المعتزلة الرؤية امر محال لقوله لن تراني وكلمة لن ان لم تفد التابيد فلا اقل من التاكيد ايضا الا ستدراك في قوله ولكن انظر معناه ان النظر اليّ محال فلا تطلبه لكن عليك بنظر اخر الى الجبل لتشاهد تدكدكه اجزائه وتفرق اعضائه من عظمتي التي هي اوهن من ان يطيق الجمادوذلك فكيف الانسان فالت الاشاعرة ههنا لم يبعد ان يخلق الله تعالى في الجبل حياة وعقلا وفهما ورؤية وانتم قوله وخر موسى صعقا اي مغشيا عليه غشية كالموت دليل استحالة الرؤية على الانبياء فضلا عن غيرهم روى ان الملائكة مرت عليه وهو مغشي عليه فجعلوا يلكزونه بارجلهم يقولون يا ابن النساء الحيض اطمعت في رؤية رب العزة وايضا قوله بعد الافاقة من الصعقة سبحانك تبت اليك من طلب الرؤية عليك اني تبت اليك من طلب الرؤية بغير اذنك وان كان لغرض صحيح هو تنبيه لقومك على استحالة ذلك بنص من عندك وانا اول المؤمنين بانك لست بمرئي ولا مدرك بشيء من الحواس وقالت الاشاعرة وانا اول المؤمنين بانك لا ترى في الدنيا او بانه لا يجوز السؤال منك لا باذنك ثم لما سال الرؤية ومنعه الله اياها اخذ في تعداد وسائل نعمه عليه وامره ان يشتغل بشكرها فقال يا موسى اني اصطفيتك الآية والمقصود تسلية موسى عن منع الرؤية قيل وفي هذا دليل على جواز الرؤية في نفسها والا لم يكن الى هذا العدول حاجة وانما قال اصطفيتك على الناس ولم يقل على الخلق لان الملائكة قد تسمع كلام الله تعالى من غير واسطة كما سمعه موسى والغرض انه تعالى خصه من دون الناس لمجموع امرين الرسالة والكلام ورسائل الرسل لم الرسالة فقط وانما كان الكلام بالا وسط سببا للشرف بناء على العرف الظاهر وقد جاء في المثل لنا شتان بين من اتخذ الملك لنفسه حبيبا وقريبا اليه بلطفه تقريبا وبين من ضرب له الحجاب وحال بينه وبين المقصود بواب وتوابه والمراد بالرسالات هينا اسفار التوراة فخذ ما اتيتك من شرف الرسالة والكلام وكن من الشاكرين لله على ذلك بان تشتغل بلوازمها علما وعملا ثم فصل تلك الرسالة فقال وكتبنا له في الالواح قيل خر موسى صعقا يوم عرفة واعطاه الله التوراة يوم النحر وذكر وافي عدد الالواح وفي جوهرها وطولها انها كانت عشر الواح وقيل سبعة وقيل لوحين وانها كانت من برد جاءها جبريل وقيل من زبرجدة خضراء وياقوتة حمراء وقيل كانت من خشب نزلت من السماء وعرفوها لانها كانت من صخرة صماء لينها الله تعالى لموسى قطعها بيده وشققها باصابعه وقيل طولها كان عشرة اذرع والتحقيق ان امثال هذه يحتاج الى النقل الصحيح والاوجب السكوت عنه اذ ليس في الآية ما يدل على ذلك اما كيفية تلك الكتابة فقال ابن جريج كتبها جبريل بالقلم الذي كتب به الذكر واستمد من نهر النور وحكم هذا النقل ايضا كما تلونا من كل شيء مفعول كتبنا ومن للتبعيض بخواخذت من الذرهم وموعظة وتفصيلا بدل منه فدخل في الموعظة كل ما يوجب الرغبة في الطاعة والنفرة عن المعصية وذلك بذكر الوعد والوعيد واراد بالتفصيل تبيين كل ما يحتاج اليه بنو اسرائيل من اقسام الاحكام ويجوز ان يكون موعظة وتفصيلا مفعولين لكتبنا والتقدير وكتبنا في الالواح موعظة من كل شيء وتفصيلا لكل شيء قيل ان التوراة وهي سبعون وقر بعير يقرا الجزء منها في سنة لم يقرأها الا اربعة نفر موسى ويوشع وعزير وعيسى وعن مقاتل كتب في الالواح اني انا الله الرحمن الرحيم لا تشركوا بي شيئا ولا تقطعوا السبيل ولا تحلفوا كاذبا فان من حلف باسمي كاذبا فلا ازكيه ولا تزنوا ولا تعقوا الوالدين فخذها على ارادة القول اي وكتبنا فقلنا لهخذها وبدل من قوله فخذ ما اتيتك والضمير للالواح او لكل شيء لانه في معنى الاشياء او للرسالات او للتوراة بقوة مجد وعز بفعل اولي العزم من الرسل وامر قومك ياخذوا باحسنها سئل ههنا انما تعبد بكل ما في التوراة وجب كون الكل مامورا به فظاهر قوله ياخذوا باحسنها يقتضي ان فيه ما ليس باحسن ولا يجوز لهم الاخذ به واجاب العلماء بوجوه منها ان تلك التكاليف منها

سأتوكم بها

ولا تقتلوا

ما هو وهنها ما هو احسن كالاقتصاص والعفو والانتصار والصبر فهم ان يأخذوا بما هو ادخل في الحسن واكثر للثواب فيكون كقوله واتبعوا احسن
ما انزل اليكم من ربكم وكقوله الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه وقال قطرب الاحسن بمعنى الحسن وقيل الحسن يشمل الواجب
والمندوب والمباح والاحسن الواجب المندوب وقال في الكشاف يجوز ان يراد باخذوا بامر وابه دون ما نهوا عنه كقولهم الصيف احر من
الشتاء ثم تختم الاية بما للوعيد والتهديد فقال سأريكم دار الفاسقين قال ابن عباس والحسن ومجاهد يعني جهنم اي ليكن ذكر جهنم حاضرا في اذهانكم
لتحذروا ان تكونوا منهم وعن قتادة يريد مواطن الجبابرة والفراعنة الخاوية بالشام ومصر لتعتبروا بذلك فلا يفسقوا مثل فسقهم فيصيبهم مثل ما
اصابهم وقال الكلبي هي منازل عاد وثمود واقرانهم يمرون عليها في اسفارهم وقيل المراد الوعد بالبشارة بان الله تعالى سيريهم ارض اعدائهم
يؤيده ما قرئ سأورثكم وقوله واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون ثم ذكر ما به يعامل الفاسقين المتكبرين فقال سأصرف عن اياتي
الاية فاحتج الاشاعرة بها على انه تعالى قد يمنع عن الايمان ويصرف عنه وقال الجبائي قوله سأصرف للاستقبال والمصروفون موصوفون
بالكبر والاعراض عن الطريق المستقيم في الزمان الماضي فعلم ان المراد من هذا الصرف ليس هو الكفر وايضا الصرف مذكور على وجه العقوبة
على التكبر والاعتساف ولا يكون العقوبة عين المعاقب عليه فوجب تاويل الاية فقال الكعبي وابو مسلم الاصفهاني ان هذا الكلام تام عند قوله
بغير الحق والمعنى اصرفهم عن اياتي فلا يقدرون على ان تبلغها كما قال في حق نبينا صلعم بلغ ما انزل اليك
الى قوله والله يعصمك من الناس وقيل سأصرف هؤلاء المتكبرين عن نيل ما في اياتي من العز والكرامة للانبياء والمؤمنين فيكون ذلك
الصرف مستلزما للاذلال والاهانة جزاء بما جرى العقوبة على كفرهم وتكبرهم على الله تعالى وقبل ان من الايات ايات لا يمكن الانتفاع بها الا بعد سبق
الايمان فاذا كفروا فقد صيروا انفسهم بحيث لا يمكنهم الانتفاع بما بعد ذلك فحينئذ يصرفهم الله تعالى عنها وبوجه اخر ان الله تعالى اذا علم من حال بعضهم
انه اذا شاهد تلك الايات فانه لا يستدل بها ولا يقوم بحقها فاذا علم الله تعالى ذلك صح ان يصرفهم عنها وعن الحسن ان من الكفار من بالغ
في كفره وانتهى الى الحد الذي اذا وصل اليه طبع الله على قلبه وهي بالطبع والخذلان فالمراد بالصرف بين هؤلاء عن رسول الله صلعم اذا عظمت امة الدين ونزع
عنها هيبة الاسلام واذا تركوا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر حرمت بركة الوحي قوله بغير الحق اما ان يكون حالا بمعنى يتكبرون غير محقين لان الكبر
بالحق لله وحده اذ الكمال فوق كل فاضل اظهار العظمة والكبرياء على كل من سواه واما ان يكون صلة للفعل اي يتكبرون بما ليس بحق وهو دينهم الذي
لا اصل له ومنه يعلم ان للمحق ان يتكبر على المبطل كما قيل التكبر على المتكبر صدقة والرشد طريق الهدى والحق والصواب كلها واحد قاله الكسائي وفرق
ابو عمرو فقال الرشد بضم الراء الصلاح لقوله فان انستم منهم رشدا وسبيل الغي ضد ما ذكرنا ثم بين ان ذلك الصرف وتعكيس القضية
انما كان لامرين كونهم مكذبين بايات الله وكونهم غافلين عنها ومحل ذلك الرفع على الابتداء او النصب على معنى صرفهم الله ذلك الصرف بسبب
انهم كذا وكذا ثم بين ان اولئك المتكبرين مجزيون شر الجزاء وان صدر عنهم صورة الاحسان والخير فقال والذين كذبوا بايتنا ولقاء الاخرة
اي جحدوا المعاد حبطت اعمالهم ثم قال هل يجزون الا ما كانوا يعملون احتجت الاشاعرة على ما قول ابي هاشم ان تارك الواجب لا يستحق العقاب بمجرد
ترك الواجب ان ليصدر عنه فعل ضد ذلك قالوا لانها دلت على انه لا جزاء الا على عمل وترك الواجب ليس بعمل اجاب ابو هاشم بانا لا نسمي ذلك
العقاب جزاء ورد بان الجزاء ما يجزئ اي يكفي في المنع عن الذنب والحث على المامور به لكن العقاب على ترك الواجب كاف في الزجر عن ذلك الترك
فكان جزاء قيل ان بني اسرائيل كان لهم عيد يتزينون فيه يستعيرون من القبط الحلي فاستعاروا هامة فاغرقه الله القبط فبقيت تلك الحلي في ايدي
بني اسرائيل فلهذا اضيفت اليهم على ان مجرد لابسه الاستعارة ايضا يصح الاضافة والحلي جمع حلي كثدي وثدي ومن كسر الحاء فللاتباع فجمع السامري
تلك الحلي وكان رجلا مطاعا فيهم فاخذوا وكانوا قد سئلوا موسى ان يجعل لهم الها بعد ونر فصاغ السامري عجلا واختلف المفسرون بعد ذلك
فقال قوم كان قد اخذ تراب حافر فرس جبرئيل فالقاه في جوف ذلك العجل فانقلب لحما ودما وظهر منه الخوار مرة واحدة فقال السامري هذا الهكم
واله موسى وقال اكثر المفسرين من المعتزلة انه كان قد جعل ذلك العجل مجوفا ووضع في جوفه انابيب على وجه مخصوص ثم وضع التمثال على مهب
الرياح فظهر منه صوت يشبه خوار العجل وقال اخرون انه صير ذلك التمثال اجوف وخبأ تحته من ينفخ فيه من حيث لا يشعر به الناس وانما قال
سبحانه واتخذ قوم موسى مع ان المتخذ هو السامري وحده لان القوم رضوا بذلك واجتمعوا عليه فكانهم شاركوه وكان المراد باتخاذ العجل
هو عبادته كقوله ثم اتخذتم العجل من بعده اي من بعد ذهابي الى الطور قال الحسن كلهم عبدوا العجل غير هرون لعموم الاية لقول موسى في الدعاء اغفر
لي ولاخي ولو كان غيرهما اهلا للدعاء لاشركهما في ذلك وقال اخرون بل كان قد بقي في بني اسرائيل من ثبت على ايمانه لقوله سبحانه ومن قوم موسى
امة يهدون بالحق وبه يعدلون وهل انقلب ذلك التمثال لحما ودما او بقي ذهبا كما كان قال بعضهم الى الاول لانه تعالى قال عجلا جسدا له خوار
والجسد اسم للجسم ذي اللحم والدم والخوار انما يكون للبقر لا للصورة واستبعد بعضهم ونافش في ان الجسد مختص بذي الروح ثم قال ان ذلك الصوت
لما اشبه الخوار لم يبعد اطلاق لفظ الخوار عليه وقرأ علي كرم الله وجهه جؤار بالجيم والهمزة من جار اذا صاح وجسدا بدل من عجلا ثم انه سبحانه
فسر كون ذلك العجل لهما بقوله الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا ومن حق الاله ان يكون متكلما هاديا الى سبيل الحق ومنا فيهم بما ذكرنا في
العقول من الادلة وبما انزل من الكتب قالت المعتزلة ههنا سؤال قوي وهو ان من كان مضلا عن الدين لا يصلح ان يكون الها فالاشاعرة لو صحوا ان الاله

ويفتحتين الاستقامة في الدين تقول ما علمت رشدا ؛

ليستحق

يلزم ان يكون هاديا ولزم ان يكون كل متكلم هاديا والحق ان الملازمة ممنوعة فان الدعوى ليست الا ان كل اله وانه يجب ان يكون متكلما هاديا او الموجبة الكلية لا بعكس كنفسها على انه يمكن ان يقال لا متكلم ولا هادي في الحقيقة الا الله تعالى ختم الآية بقوله اتخذوه وكانوا ظالمين وهذا كما قال في البقرة ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون ثم اخبر عن عقبى حالهم بقوله ولما سقط في ايديهم معناه ولما اشتد ندمهم وحسرتهم على عبادة العجل اختلفوا في وجه هذه الاستعارة فقال الزجاج اريد بالايدي القلوب والانفس كما يقال حصل في يده مكروه وان كان من الحال حصول المكروه في القلب تشبيها لما يحصل في القلب بما يحصل في اليد ويؤيد بالعين قال الكسائي ان من شان من ندم ان يعض يده فصار يده مسقوطا فيها لان فاه وقع فيها فاصل الكلام سقط فاه في يده فحذف الفاعل وبني الفعل للمفعول به في قولهم مر بزيد وهذا من باب الكناية لان عض اليد من لوازم الحسرة والندم وقيل كل عمل يقدم المرء عليه فان ذلك العمل خبر اليه وصواب اتى بوزنه ومعناه فاذا بان ان ذلك العمل فكأنما نظر وسقط من علو الى سفل ومنه قولهم للرجل اذا اخطأ ذلك منه سقط ثم ان اليد آلة البطش والاخذ والنادم كأنه تدارك الحالة الاولى فكأنه حصل الندم وكأنه قد سقط في يد نفسه من حيث انه بعد حصول ذلك الندم يشتغل بالتدارك والتلافي وحكى الواحدي انه من السقيط وهو ما يسقط على الارض بالغداة وانه شبه الندم في وقوع السقيط لم يحصل منه على شيء قط لانه رب وب بارض حرارة فهذا مثل من خسر في عاقبته ولم يحصل على طائل من سعيه وقال بعضهم الآلة الاصلية في اكثر الاعمال اليد والعاجز في حكم الساقط فسقوط اليد هو العجز التام كما يقال في العرف حل يده ورجله لمن لا يهتدي الى صلاحه وقيل ان في الكلام على اي سقط على ايديهم فان من عادة النادم ان يطأطأ راسه ويضعه على يده تحت ذقنه ثم قال تعالى ورأوا انهم قد ضلوا اي تبينوا ضلالهم كأنهم ابصروه بعقولهم قال القاضي الكلام على التقديم والتاخير لان الندم والتحسر بعد تعرف الحال وتبين الخطاء والترتيب لاصلي ولما رأوا انهم قد ضلوا وسقط في ايديهم وبكمان بقي لوازم لا يفيد الترتيب اي بقي الاقدام على ما يعلم كونه صوابا او خطأ فاسد موجب للندم وقد تكامل العلم فظهر انه خطأ جازما انهم اعترفوا بذنوبهم وانقطعوا الى ربهم وذكروا مثل ما ذكر ابونا آدم وحواء ان لم يرحمنا ربنا لا نكونن لما رجع موسى الى قومه قال بعضهم ان موسى قد عرف خبر القوم بعد رجوعه اليهم وقال الاكثرون وهو قول مسلم انه كان عارفا بذلك قبل رجوعه بدليل قوله غضبان اسفا فانه يدل على ان هاتين الحالتين حاصلتان له عند رجوعه اليهم ولما جاء في سورة طه قد فتنا قومك من بعدك وفيه دليل ظاهر على انه تعالى اخبره بوقوع الواقعة في الحال والاسف الشديد وهو قول ابي الدرداء وعطاء والزجاج وعن ابن عباس والحسن انه الحزين وقال الواحدي هما متقاربان فاذا جاءك ما تكسر من هو دونك غضبت واذا جاءك ما تكسر من هو فوقك حزنت فكان موسى غضبانا على قومه اسفا من فتنة ربه بئسما خلفتموني خاطب عبدة العجل او وجوه القوم هارون والمؤمنين حيث لم يكفوا العبدة وفاعل بئس مضمر يفسره ما خلفتموني والمخصوص محذوف لتقدير بئس خلافة خلفتموها من بعدي خلافتكم ومعنى من بعدي مع قوله خلفتموني من بعد اذ انتم مني من توحيد الله ونفي الانداد ومن بعد ما كنت احمل القوم عليه من التوحيد والكف عن اتخاذ اله غير الله حيث قالوا اجعل لنا الها ومن حق الخلفاء ان يسيروا بسيرة مستخلفيهم من بعدهم ولا يخالفوهم ونظير الآية قوله تخلف من بعدهم خلف اي من بعدهم وذلك الموصوفون بالصفات الحميدة اعجلتم امر ربكم قال الواحدي العجلة التقدم بالشيء قبل وقته ولذلك صار ترك من هو دونك في الاغلب بخلاف السرعة فانها عمل الشيء اول وقته قال ابن عباس يعني اعجلتم ميعاد ربكم فلم تصبروا له وقال الحسن اعجلتم وعد ربكم الذي وعدكم من الاربعين وذلك انهم قدروا انه لما ابطأ على راس الثلاثين ليلة فقد مات وروي ان السامري قال ان موسى لن يرجع وانه قد مات وروي انهم عدوا عشرين يوما بلياليها فجعلوها اربعين ثم احدثوا ما احدثوا وقال الكلبي اعجلتم عبادة العجل قبل ان ياتيكم امر ربكم وقال عطاء اعجلتم سخط ربكم وقال الكسائي عجل عن الامر اذا تركه غير تام ونقيضه تم عليه واعجله غيره وبضم معنى سبق فيعدى بنفسه فبقي عجلت الامر والمعنى اعجلتم عن امر ربكم وهو انتظار موسى حافظين بعهده وما وصيكم به وتنفي الالواح التي فيها النور بما لحقه من الدهش والضجر غضبا لله عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال يرحم الله اخي موسى ما اخبر كما لعاينه لقد اخبر الله تعالى بقومه فعرف ان ما اخبر الله تعالى به حق وانه مع ذلك تمسك بما في يده وروي ان الآية كانت سبعة اسباع فلما القى الالواح تكسر فرفع منها اسباعها وبقي سبع واحد وكان فيما رفع تفصيل كل شيء وفيما بقي الهدى والرحمة قال في التفسير الكبير القاء الالواح ثابت بالقرآن فالقاؤها بحث تكسر فلا وانجراء عظيمة ومثله لا يليق بالانبياء اقول الجراءة تحصل بنفس القاء لا بالتكسر الذي لا يتعلق باختياره فكل ما يجعل عذرا عن نفس القاء يصح ان يجعل عذرا عن التكسر فاخذ برأس اخيه اي بشعر راسه تجره اليه يدل عليه قوله ابن ام ان موسى كان في نفسه حديدا شديد الغضب وكان هارون ابين منه جانبا ولذلك كان احب الى بني اسرائيل من موسى وقد استتبع غضبه امرين احدهما القاء الالواح والاخر اخذ راس اخيه جارا اليه فزعم مشبوها عصمة الانبياء انه جر براس اخيه الى نفسه ليساره ويستكشف منه كيفية الواقعة لا لاجل الاهانة ولا استخفاف ثم ان هارون خاف ان يتوهم جهال بني اسرائيل ان موسى فعل بما فعل بها اهانة فقال يا ابن ام من كسرها فعلى طرح ياء المتكلم ومن فتحها فتشبيها بخمسة عشر لكثرة الاستعمال او على حذف الالف المبدلة من ياء الاضافة وانما اضاف الى الام اشارة الى انها واحدة على ما روي انه كان اخاه لابيه وامه ليكون ادعى الى العطف والرقة ولانها كانت مؤمنة فافخر بنسبها ولانها هي التي تحملت فيه الشدائد فذكره حتى انها ان القوم استضعفوني واستذلوني وكادوا يقتلونني حين منعتهم عبادة العجل ونهيتهم عنها فلا تشمت بي الاعداء العابدة للعجل فانهم يحملون هذا الذي تفعل بي على الاهانة لا على الاكرام ولا تجعلني مع القوم الظالمين في اشتراك العقوبة والاذلال ولا تغفل

كما حذف الفعل وبني الفعل للمفعول

الى واحد منهم ولا مانع في بعض هذا التفسير من التعسف والتكلف والحق ان هذا القدر من الحادثة الثانية من عصيانهم الذي لا يقدح في العصمة وغايته ان يكون من قبيل ترك الاولى فلذلك قال موسى رب اغفر لي ولما اقدمت عليه من الحادثة قبل جلية الحال ولا يخفى ان عسا فرطي في شان الخلافة ثم اخبر عن مجازاة القوم فقال ان الذين اتخذوا العجل الها سينالهم غضب من ربهم وذلة كلاهما في الحيوة الدنيا فالغضب الامر بالقتل انفسهم والذلة خروجهم من ديارهم وذل الغربة لا يخفى واعترض بان قوله سينالهم الاستقبالي وقت نزول الاية كان القتل واقعا واجيب بان هذا الكلام حكاية عما اخبر الله تعالى موسى به في الميقات من افتتان قومه وكان سابقا على وقوعهم في الغضب والذلة قلت ويجوز ان يكون الاتيان من تتمة قول موسى الا ان قوله وكذلك نجزي المفترين ينبو عن ذلك الا ان يحمل على الاعتراض ولما في هذا التفسير من التكلف ذهب بعض المفسرين الى ان المضاف في الاية محذوف والتقدير ان الذين اتخذوا باؤهم العجل بعني الذين كانوا في زمن النبي ﷺ سينالهم غضب من ربهم في الاخرة وذلة في الحيوة الدنيا بضرب الجزية وغضب وذلة كلاهما في الدنيا بالقتل والجلاء كما نال بني قريظة والنضير والتقدير ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وكذلك نجزي المفترين اي كل مفتر في دين الله نجزاؤه الغضب والذلة قال مالك بن انس ما من مبتدع الا ويجد في قوله ذلة ثم قرأ هذه الاية والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وامنوا ظاهر الاية يدل على ان التوبة شرط العفو وانه لا بد مع التوبة من تجديد الايمان هنا اصعب شان المذنبين لكن عموم لفظ السيات يدل على ان من اتى بجميع المعاصي ثم تاب فان الله يغفرها فما احسن حال التائبين لغفور ستور عليهم محاء لما صدر عنهم رحيم منعم عليهم بالجنة وفيه ان التوبة وان جلت وعظمت الا ان عفوه وكرمه اعظم واجل ولما بين ما كان منه بعد الغضب فقال ولما سكت عن موسى الغضب قال علماء البيان انه خرج على قانون الاستعارة فكان الغضب كان يغريه على ما فعل ويقول الق الالواح وغير ذلك فترك التلفظ وقطع الاغراء وعبر عن كونه ان الغضب سكت عن الغضب فقلت كما يقال ادخلت الخف في رجلي وانما ادخل الرجل في الخف وقيل السكوت بمعنى السكون وقد قرئ بهذا اخذا الالواح الذي الفاها منبها على زوال الغضب لانه اوكد مما تقدم من امارات الغضب وفي نسخها فعلة بمعنى مفعول كالخطبة من النسخ الكتبي وفي مكتوبها من اللوح المحفوظ سواء قلنا ان الالواح لم تكسر واخذها موسى باعيانها بعد ما القاها او قلنا انها تكسرت واخذ ما بقي منها وقيل النسخ بمعنى الازالة لما روي عن ابن عباس انه لما القى الالواح تكسر فضاع اربعون يوما ناعادا الله تعالى الالواح وفيها غير ما في الاولى هدى من الضلال ورحمة من العذاب للذين هم لربهم يرهبون ادخل اللام في المفعول لتقدمه فان تاخير الفعل يكسبه ضعفا ونظيره للرؤيا تعبرون وقولك لزيد ضربت وجوز ان يكون المراد للذين هم لاجل ربهم يرهبون لا رياء وسمعة وجوز بعضهم ان يكون اللام صلة نحو ردف لكم التاويل ثلثين ليلة تمام اربعين استكمل النفس الاربعين من ضعف البشرية وانما خصها بعشر لخصوصية الاربعين في ظهور ينابيع الحكمة من القلب على اللسان وقال موسى لاخيه هرون القلب عند توجهه لمقام المكالمة والتجلي كن خليفتي في قومي من الاوصاف البشرية واصلح ذات بينهم على وفق الشريعة وقانون الطريقة ولا تتبع سبيل المفسدين من الهوى والطبيعة وهذه الخلافة هي السر الاعظم في بعثة الروح من بروزه عالم الارواح الى حضيض عالم الاشباح ولما جاء موسى ولما حصل الروح على بساط القرب وتتابع عليه كاسات الشرب اثر نبه سماع الكلام قال لسنا انبساطه عند التمكن على بساطه فقال رب ارني انظر فقيل بهيهات انت بعد بعد الانانية وحجاب جبل الانانية فلن تراني بصر انانيتك وحجر موسى صعقا بالانانية فكان ما كان بعد ان بان ما بان فاشرقت الارض بنور ربها فاذ كان ما كان سرا لا يوح به قط خبرا ولا تسئل عن الخبر فلو لم يكن جبل انانية النفس بين موسى الروح وتجلي الرب لطاش في الحال وما عاش ولو لان القلب خليفة عند الفناء بالتجلي لما امكنه الافاقة والروح الى الوجود ولو لم يكن بقاء الروح بالجسد لما استعد بالتجلي فافهم فلما افاق من غشية الانانية بسطوة تجلي الربوبية قال موسى بلا هوية سبحانك تبت اليك من خلتك وانا اول المؤمنين بانك لا ترى بالانانية وانما ترى ببصر انانيتك ربكلامي دون رؤيتي فكن من الشاكرين فان الشكر يبلغك الى ما سئلت من الرؤية لان الشكر يورث الزيادة هي والرؤية للذين احسنوا الحسنى وزيادة فخذها بقوة اي بقوة الصدق والاخلاص وبقوة واعانة منا سأريكم دار الفاسقين الخارجين عن طاعة الله الى طلب الاخرة او الدنيا ساصرفهم عن اياتي فيحجاب التكبر عن رؤية الايات واتخذ قوم موسى ان سامري الهوى من بعد توجه موسى الروح مكالمة الحق اتخذ من حلي زينة الدنيا ورعونات البشرية التي استعارها بنو اسرائيل صفات القلب من قبط صفات النفس عجلا هو الدنيا له خوار يدعو الخلق بما له نفسه فلما سقط في ايديهم عند رجوع موسى الروح الى قومه وهم الاوصاف الانسانية ندموا من فعلها وعادوا الى ما كانت فيه من عقوبة الحق والاخلاص له قالوا ان لم يرحمنا بجذبات العناية ربنا الانية غضبان مما عبدت صفات القلب عجل الدنيا اسفا على ما فات لها من عبودية الحق عجلنا مرتكم بالرجوع الى الدنيا وزينتها والتعلق بها قبل وانه من غير ان يامركم به ربكم وفيه اشارة الى ان اصحاب السلوك لا ينبغي ان يلتفتوا الى شيء من الدنيا في اثناء الطلب الا اذا قطعوا مفاوز النفس والهوى ووصلوا الى الكعبة وصال المولى فيامرهم المولى ان يرجعوا الى الدنيا لدعوة الخلق والقى الالواح يعني ما لاح للروح من اللوائح الربانية عند استيلاء الغضب لطبعي واخذ برأس اخيه القلب فانه لما راى الروح بحره البحر قسر عند استيلاء طبيعة الروحانية قال ابن امها من اب وام واحد ابوهما الامر وامهما الخلق وانما نسبه الى الخلق لان في عالم الخلق تواضعا وتذللا بالنسبة الى عالم الامر اي القوم استضعفوني يعني ان اوصاف البشرية استذلوني

من موسى مع الغضب بين ما كان

بالغلبات عند غيبتك وكادوا يفتنونني فلا تشمت بي الاعداء وهم الشيطان والنفس والهوى ولا تجعلني مع القوم الظالمين فبدأت صفات القلب تتغير وتتلون بلون صفات النفس ورعونتها ولكن القلب من حيث هو هو لا يتغير عما جبل عليه من محبة الله وطلبه وانما يعرض بتغير صفاته كما ان النفس لا تتغير من حيث هو عما جبلت عليه من حب الدنيا وطلبها وانما تتغير صفاتها من الامارية الى اللوامية والى الملهمة والمطمئنة والرجوع الى الحق ولو وكلت الى نفسها طرفة عين لعادت الى طبعها ربّ اغفر لي ولاخي اشارة الى ان للروح والقلب استعدادا وقبولا لجذبة الالطاف الالهية بدخولهما بالسير في عالم الصفات وكذلك نجزي المفترين الذين يدعون ان الله اعطاهم قوة لا بضرهم عما اطووا عليه من حب الدنيا وشهواتها واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا فلما اخذتهم الرجفة قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل

وبگزيد موسى از قوم خويش هفتاد مرد را از براى وعده جاى ما پس چون فرو گرفت ايشان را بعذاب گفت اى پروردگار اگر خواستى هلاك كردى پيش ازاين

وايّاي اتهلكنا بما فعل السفهاء منا ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء انت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وانت

وما را ميرايا هلاك كردانى ما را بچه كردند بيخردان از ما ميتان كمراه كردن تو كمراه كنى بان ازا كه خواهى و هدايت كنى ازا كه خواهى تو ما را كارگذار ما پس بخش ما را و رحم كن ما را و تولى

خير الغافرين واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الاخرة انا هدنا اليك قال عذابي اصيب به من اشاء ورحمتي

بهترين آمرزندگان و بنويس از براى ما در اين دنيا نيكوئى و در آخرت ميكرديم بسوى تو گفت عذاب من ميرسانم بانكه خواهم و

وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكوة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون

رحمت من فروگرفت هر چيزى را پس خواهم آنرا نبشتن ازا براى آنان كه ميپرهيزند و ميدهند زكوة را و آنانكه بآيات ما ميگروند آنان كه پيروى ميكنند

الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التورية والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل

رسول را پيغمبر امى را ازا كه مييابند او را نوشته و ورزشان در تورية و انجيل بفرمايد ايشان را بمعروف و بازدارد ايشان را از منكر و حلال گرداند

لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم فالذين امنوا به وعزروه و

از براى ايشان پاكيزها را و حرام گرداند بر ايشان ناپاكها را و بنهد از ايشان بارهاى گران و زنجيرها كه بودند بر ايشان پس آنان كه گرويدند بدان و عزيز داشتند او را

نصروه واتبعوا النور الذي انزل معه اولئك هم المفلحون قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا

يارى كردند او را و پيروى كردند روشنى را كه فرستاده شد با او آنگروهند ايشانند رستگاران بگو اى مردمان بدرستى كه من پيغمبر خداايم بسوى همه شما

الذي له ملك السموات والارض لا اله الا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن

آنكه مر اوراست پادشاهى آسمانها و زمين نيست خداى بجز او زنده كند و ميراند پس بگرويد بخدا و رسول او بپيغمبر امى آنكه ايمان آورد

بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون القراءة

بخدا و كلمات او و پيروى كنيد او را تا شايد كه راه يابيد و از قوم موسى گروهيند كه راه مينمايند بحق و بدان برابر ميكنند

اصيب بفتح الياء ابو جعفر ونافع اصارهم على الجمع ابو جعفر ونافع وابن عامر وسهل ويعقوب المفضل الباقون على التوحيد الوقوف لميقاتنا لا للابتدا بكلما للجزاء مع فاء التعقيب آياتي منا لتعدد ان الثاني مع اتحاد القائل فتنتك لان ما بعده مستأنف وتهدي من تشاء ط الغافرين لك من اشاء ط للفصل بين الجملتين تعظيما لشانهما مع الاتفاق في اللفظ كل شيء للستر واختلاف الجملتين والفاء لاستيناف وعد على الخصوص يؤمنون لاحتمال ما بعده النصب والرفع على المدح والجر على البدل والانجيل لان يأمرهم يحتمل ان يكون مبتدأ محذوف اى هو يأمرهم وان يكون بدلا اى مكتوبا امرا او بدلا عن مكتوبا او مفعولا بعده مفعول اى يجدونه امرا او يكون التقدير بالاحرى الذي يأمرهم فيكون كالبدل عن الصلة اى كانت عليهم انزل معه لان ما بعده خبر الذين المفلحون والارض لاحتمال ما بعده الابتداء والحال اى استحق ملك السموات غير شارك له يحيي ويميت لطول الكلام والافالفاء للجزاء اى اذا كنت رسولا فامنوا اجابة يهتدون يعدلون التفسير لاختيار افتعال من لفظ الخير يقال اختار الشيء اذا اخذ خيره وخياره ومن هنا سمي به فعل الحيوان افعالا اختيارا وذلك ان صدور الفعل عن الحيوان موقوف على حكم يكون ذلك الفعل خيرا له من تركه قال النحويون اصله واختار موسى من قومه فحذف الجار اوصل الفعل فان من الافعال ما يتعدى الى المفعول الثاني بحرف واحد ثم يتسع فيحذف الحرف من ذلك قولهم اخترت من الرجال زيدا ثم يتسع فيقال اخترت الرجال زيدا وكذا استغفرت الله من ذنبي واستغفرته ذنبي وجوز بعضهم في الآية ان يراد بالقوم المعتبرون منهم اطلاقا لاسم الجنس على ما هو المقصود منهم فيكون مفعولا اول من غير واسطة ويكون سبعين بدلا او بيانا قيل من اثني عشر سبطا من كل سبط ستة فصاروا اثنين وسبعين فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاحوا فقال ان لمن قعد منكم مثل اجر من خرج فقعد كالب ويوشع ورد عليهما لجزالا ستين شيخا فادعى الله ايهما ان يختار من الشبان عشرة فاختارهم فاصبحوا شيوخا وقيل كانوا ابناء ما بعد العشرين ولم يجاوزوا الاربعين قد ذهب عنهم الجهل والصبى فامرهم موسى ان يتطهروا ويطهروا ثيابهم ثم خرج بهم الى طور سيناء بميقات ربه والمفسرون خلاف في ان هذا الميقات عين ميقات الكلام والرؤية بل امر غيرهما لذاهبون الى الاول قالوا ان موسى كان امر دبران يأتيه في سبعين من بني اسرائيل فلما سمعوا الكلام طلبوا الرؤية وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الصاعقة وهي المرادة من الرجفة في هذه الآية وانما ذهبوا الى الثاني حملوا الفصة على ما مر في البقرة في تفسير قوله واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك وقد ذكرنا هناك ان منهم من قال

هذه الواقعة كانت قبل قتل الانفس توبة من عبادة العجل ومنهم من قال انها كانت بعد القتل واحتج اصحاب هذا المذهب على المغايرة بانه
تعالى ذكر قصة ميقات الكلام وطلب الرؤية ثم ابتدأ ذكر قصة العجل ثم ختم الكلام بهذه القصة فظاهر الحال يقتضي ان يكون هذه القصة مغايرة
لتلك القصة والا لخرم التناسب على ان موسى وهرون انطلقا الى سفح جبل فنام هرون فتوفاه الله تعالى فلما رجع موسى الى قومه قالوا انه قتل
هرون واختار من قومه سبعين فذهبوا الى هرون فاحياه الله تعالى بدعائه فقال ما قتلني احد فاخذتهم الرجفة هنالك قبل كانت موتا وقيل اخذتهم الرعدة
حتى كادت تبين مفاصلهم وتنفض ظهورهم فخاف موسى عليهم الموت فدعا الله تعالى وقال رب لو اهلكتهم قبل هذا اهلكتنا جميعا بما فعل
السفهاء منا قال اهل العلم لا يجوز ان يظن موسى ان الله تعالى اهلك قوما بذنوب غيرهم فهذا الاستفهام بمعنى الجحد اي انك لا تفعل ذلك كما تقول
اتهين من يخدمك توبة انك لا تفعل ذلك قال المبرد انما استفهم استعطافا اي لا تهلكنا قيل لو كان استفهامهم لقولهم ان تؤمن لك حتى نرى الله جهرة
ناسب ان يقال اتهلكنا بما فعل السفهاء فاذن التسفيه لفعل صدر عنهم كعبادة العجل او غيرها ومنه يعلم ان هذا الميقات طلب الرؤية ان هي الا فتنتك
الضمير تعود الى الفتنة كما تقول ان هو الا زيد وان هي الا هند والواحد ولعله يعود الى مقدر دهني والمعنى ان الفتنة التي توهم السفهاء لكن الا
فتنتك ابتلاؤك ومحنتك حين كلمتني وسمعوا كلامك وحين اسمعتهم صوت العجل تضل بها اي بالفتنة من تشاء فيفتتن وتهدي بها من تشاء فيثبت
على الحق قالت الاشاعرة الاية لا تدل على ان هذا ظاهر على مذهبنا ان الاضلال والهداية من الله تعالى وقالت المعتزلة ان هذه لما كانت سببا لان ضلوا و
اهتدوا وانكانا ضلالهم بها وهداهم على الاشاعرة في الكلام اي والضمير يعود الى الرجفة اي تضل عن الحق بسببها هلاك الرجفة او لعل الاية
باتيانهم عند ذلك من تشاء وتهدي الى الجنة بها لاخلاصها قائلة من تشاء اي المراد بالاضلال الاهلاك اي تهلك من تشاء بالرجفة وتصرفها
عمن تشاء انت ولينا يفيد الحصر الاولى لنا ولا ناصر الا انت فاغفر لنا وارحمنا قيل تذكر ان قوله ان هي الا فتنتك جملة عظيمة فاشرك نفسه مع
قومه في طلب المغفرة والرحمة وانت خير الغافرين لان غفرانك غير متوقف على جلب نفع او دفع ضر بل لمحض الفضل والكرم واكتب لنا في هذه
الدنيا حسنة وفي الاخرة نظيره سؤال المؤمنين من هذه الامة ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقد فسرناها في سورة البقرة واعلم
ان كونه تعالى وليا للعبد يناسب ان يطلب العبد منه دفع المضار وتحصيل المنافع ليظهر اثار كرمه والهيته وايضا اشتغال العبد بالتوبة والخضوع
يناسب طلب هذه الاشياء فذكر السبب الاول ثم رتب عليه الدعاء وختمه بالسبب الثاني وهو قوله انا هدنا اليك العقوبة فلا يبعد وقوع الاجابة
ولان دفع الضرر مقدم على تحصيل النفع قدم المغفرة والرحمة على طلب اكتساب الحسنة في الدارين قال الله تعالى في جواب موسى عن اتى من حاله او
صفته اصيب به من اشاء اذ ليس لاحد على عز اجبار ملكي وقالت المعتزلة اي من وجب في الحكمة تعذيبه وله يكن في العفو عنه مساغ لكونه
مفسدة وقوله احسن من اساء من الاساءة ورحمتي من شانها انها وسعت كل شيء قالت الاشاعرة هذا من العام الذي اريد به الخاص وقال اكثر
المحققين ان رحمته في الدنيا تعم الكل اما من مسلم ولا كافر ولا مطيع ولا عاص الا وهو متقلب في نعمته واما في الاخرة فهي مختصة بالمؤمنين وذلك قوله
فساكتبها للذين يتقون وقيل الوجود خير من العدم فالموجود الا وهو مشمول بنعمته وقيل الخير مطلوب بالذات والشر مطلوب بالعرض وعلم الله تعالى
راجح غالب قالت المعتزلة الرحمة عبارة عن ارادة الخير والاحسان الا وقد خلقه الله تعالى للرحمة والخير اللذة وان حصل هناك الم فلما عوض كثيرة
واعلم ان تكاليف الله تعالى كثيرة ولكنها محصورة في نوعين الترك والافعال فقوله فساكتبها للذين يتقون اشارة الى الترك والتكليف
الفعلي اما مالي وهو قوله ويؤتون الزكوة واما غيره وذلك قوله والذين هم بايتنا يؤمنون فانه يشمل كل ما يجب على الانسان علما وعملا ثم ضم الى ذلك
اتباع النبي الامي الى اخره وصف محمدا صلى الله عليه وسلم في هذه الاية بصفات تسع الاولى الرسالة الثانية النبوة فان قيل النبوة مندرجة تحت الرسالة فلم افردها بالذكر
قلت لا بل بينهما عموم وخصوص من وجه فقد يكون رسولا ولا يكون نبيا كقوله جاعل الملئكة رسلا وقد يكون نبيا لا رسولا كثير من الانبياء فلا يكون
احدهما لوصفين على الاطلاق مغنيا عن الاخر ولو سلم فذكر الاخر تتميم وتصريح لما علم ضمنا الثالثة كونه اميا قال الزجاج معناه انه على صفة امة العرب قال
صلى الله عليه وآله انا امة امية لا نكتب ولا نحسب وقيل انه منسوب الى الام اي انه على هيئة يوم ولدته امه لم يكتسب خطا ولا دراسة وكان هذا من جملة معجزاته نبيا
صريحا عن وجوه الاول انه كان يقرأ عليهم كتاب الله منظوما مرة بعد اخرى من غير تبديل والخطيب العرب اذا ارتجل خطبة ثم اعادها فانه لا بد وان يقع
فيها تفاوت فهذا المعنى من مدد سماوي كقوله سنقرئك فلا تنسى الثاني لو كان يحسن الخط والقراءة لصار منهما بالمكتوب الاولين وعلى انه لا يحسن هذا
القرآن العظيم المشتمل على جمل اصول العلوم من غير تعلم ومطالعة دراسة من السماء واليه الاشارة بقوله وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك
اذا لارتاب المبطلون الثالث ان تعلم الخط لا يفيد الا قطعة قليلة ومع ذلك كان الخط مشكلا عليه ثم ان الله تعالى اتاه علوم الاولين والاخرين
وما وصل اليه احد من العالمين فالجمع بينهما بين الخالقين من الامور الخارقة للعادة كالجمع بين الضدين الصفة الرابعة التي يجدونه مكتوبا عندهم
في التوراة والانجيل الضمير في يجدون للذين يتبعون من بني اسرائيل ثم ان كان المراد اسلافهم فالوجه ان يراد بالاتباع اعتقاد نبوته من حيث وجدوا
نعته في التوراة اذ لا يمكن ان يتبعوه في شرايعه قبل بعثه الى الخلق ويكون المراد من قوله والانجيل انهم يجدونه مكتوبا عندهم ان نعته في الانجيل
فمن المحال ان يجدونه في الانجيل قبل ان نزل الانجيل وان كان المراد المعاصرين فالمعنى ان هذه الرحمة لا يفوز بها من بني اسرائيل الا من اتقى واتى
الزكوة وامن بالله الا ترى ان في زمن موسى واتباعه في شرايعه في هذا دليل على ان نعته وصفته بنوته مكتوب في التوراة والانجيل والا كان ذكر هذا

الكلام من اعظم الفوادح والمنفرات لاهل الكتابين عن قبول قوله لان الاصرار على الزور والبهتان يوجب نقصان حال المدعي فلا يرتكبه عاقل فلما اقر على ذلك دل على ان في نفسه كلاما خامسة والسادسة يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر وقد ذكرنا تفصيل الامر بالمعروف والنهي عن المنكر في آل عمران وجامع ذلك محصورة في قوله ملاك الدين تعظيم امر الله والشفقة على خلق الله فان كل ذرة من ذرات المخلوقات لما كانت دليلا قاهرا ودرهانا باهرا على توحيد الله وتنزيهه فانه يجب النظر اليها بعين الاحترام والاشفاق كما يليق بها السابعة ويحل لهم الطيبات قيل اي يستطاب طبعا الان تناول ذلك يفيد لذة وقيل يعني الاشياء الطيبة كالشحوم وغيرها الثامنة الذي حكم الله تعالى بحلها وزيف بانه يجري مجرى قول القائل ويحل لهم الحلالات وهو تكرار ويمكن ان يجاب بان المراد وبين لهم المحلل فائدة العدول ان يعلم ان كل حلال استطاب طبعا وان الاصل في كل ما يستطيبه النفس ويستلذه الطبع الاباحة لا محالة منفصل وقيل معنى ما حرم عليهم من الاشياء الطيبة كالشحوم وغيرها التاسعة ويحرم عليهم الخبائث قال عطاء عن ابن عباس المنتنة والدم ونحوهما من المحرمات وقيل كل ما استخبثته الطبع فالاصل فيه الحرمة الابدليل منفصل التاسعة ويضع عنهم اصرهم الاصر الثقل الذي يحبس صاحبه اي يحبسه من الحراك لثقله وهو مثل لصعوبة تكاليفهم كاشتراط قتل النفس في صحة التوبة وكذا الاغلال التي كانت عليهم مثل الحكم بتعين احد شقي الخطإ عليهم من الامور الشاقة كالقصاص بلا دية من غير شرع الدية وقطع الاعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة من الجلد والثوب واحراق الغنائم وتحريم العروق في اللحم جعلها الله تعالى اغلالا لان التحريم يمنع من الفعل كما ان الغل يمنع من الفعل عن عطاء كانت بنو اسرائيل اذا قامت تصلي بسوا المسوح وغلوا ايديهم الى اعناقهم وربما ثقب الرجل ترقوته وجعل فيها طرف السلسلة واوثقها على الساعد يحبس نفسه على العبادة فالاغلال على هذا القول غير مستعارة في الايدي دلالة على ان الاصل في المضار والمشاق الحرمة كما ان الاصل في المنافع الاباحة بعثت بالحنيفية السهلة السمحة وهذا اصل عظيم في هذه الشريعة ثم لما وصفه بالصفات الاربع اكد الايمان به بقوله والذين آمنوا به قال ابن عباس يعني من اليهود والاولى حمله على العموم وعزروه وقرءوه وعظموه قال في الكشاف واصل العزر المنع ومنه التعزير للضرب دون الحد لانه منع من معاودة القبيح فالمراد ومنعوه حتى لا يقوى عدوه وعلى هذا لم يفرق بينه وبين قوله ونصروه وفرق كثير واتبعوا النور الذي أنزل معه وهو القرآن اي انزل مع نبوته لان نبوته ظهرت مع ظهور القرآن او يتعلق بما بعده اتبعوا القرآن المنزل مع اتباع النبي والعمل بسنته واتبعوا القرآن كما اتبعه النبي مصاحبين له في اتباعه اولئك هم المفلحون الفائزون بالمطلوب في الدارين اعلم انه سبحانه لما قال فسأكتبها للذين يتقون بين ان من شرط نزول الرحمة لاولئك المتقين كونهم متبعين لرسول اخر الزمان ثم اراد ان يحقق عموم رسالته الى المكلفين فقال قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا وانتصابه على الحال من اليكم وفيه دليل على ان محمدا صلى الله عليه واله مبعوث الى الخلق كافة خلافا لطائفة من اليهود تبقى لهم العبودية باتباع عيسى الا صفهانية اذ زعموا ان محمدا رسول صادق لكنه مبعوث الى العرب خاصة وفساده ظاهر لانه من المعلوم بالتواتر من دينه انه كان يدعي عموم الرسالة فان كان رسولا حقا امتنع الكذب عليه ان لم يكن رسولا حقا فحينئذ يقتضي القدح في كونه رسولا الى العرب والى غيرهم وزعم بعض العلماء ان عام دخله التخصيص لانه غير مبعوث الى غير المكلفين بقوله رفع القلم عن ثلث عن الصبي حتى يبلغ وعن النائم حتى يستيقظ وعن المجنون حتى يفيق وايضا يمكن وجود قوم في طرف من اطراف العمارة لم يصل اليهم خبر وجوده فهم لا يكونون مكلفين بالاقرار بنبوته والجواب ان رفع القلم عن الاصناف الثلثة انما حكم عليهم بهذا الاعتبار بدخلون تحت الخطاب وان وجود قوم كما زعمتم من المستبعدات فلا يستحق الالتفات اليه قال بعض الاكابر ان الايمان دلت على انه مبعوث الى كل الخلق فليس فيها دلالة على ان غيره من الانبياء ما كان مبعوثا الى كلهم وقد تمسك جمع من العلماء بالحديث المشهور اعطيت خمسا لم يعطهن احد قبلي ارسلت الى الاحمر والاسود وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا ونصرت بالرعب مسيرة شهر واحلت لي الغنائم وختم بي النبيون وردبان محو هذه الامور من خواصه لكل واحد واحد وبان ادم بعث الى كل اولاده في ذلك الزمان مكلفون مبعوثا الى كل الناس قطعا ولا يخفى ضعف هذا الوجه لانا نعلم من دين محمد انه خاتم النبيين وحده ونوح وابراهيم واحلت لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي واذا كان بعض هذه الامور من خواصه لزم ان يكون كل واحد منها كذلك وايضا ان ادم لم يكن مبعوثا الى حواء لانه عرفت التكليف لا يوجد الا بعد البلوغ ولا نفر باتم لما امر رسول الله بان يقول للناس انا رسول الله اليكم ابعد ذكر ما يدل على صحة هذه الدعوى وانها لا يتم الا بتقرير اصول اربعة اولها اثبات ان للعالم الها حيا عالما قادرا واشار اليه بقوله الذي له ملك السموات والارض اذ لو لم يكن للعالم مؤثر او كان له مؤثر موجب بالذات لا فاعل بالاختيار لم يمكن القول ببعثة الرسول ومحل الذي نصب او رفع على المدح او جر بدلا او وصفا لله وثانيها ان اله العالم واحد ذلك قوله لا اله الا هو اذ لو فرض الهان لم يكن عبادة احدهما اولى من عبادة الاخر وثالثها انه تعم قادر على الخير والشر والبعث والحشر كما قال يحيي ويميت واتما ليوسط العاطف بين هذه الجمل لان كلا منها مبينة لما قبلها واذا ثبت هذه الاصول الثلثة ثبت اصل رابع وهو ان رسول الله تعالى ارسال الرسل ومطالبة الخلق بالتكاليف اما بالاصل الاول والثاني فلانه يحسن من المولى مطالبة عبده بطاعته وخدمته ولا سيما اذا كان فراغها عن الشرائط النظر مستقلا بالامر الثالث واما بالاصل الثالث فلانه يحسن من القادر تكليف المكلف بنوع من طاعته ايصالا الى الجزاء والى لذة الجزاء فان تحصيل لذة الاجر بدون كونه اجرا ممتنع واشار الى هذا الاصل الرابع بقوله فامنوا بالله ورسوله النبي الامي فحصر من الصفات المذكورة ههنا على الامية لانها اجل الاوصاف واطلعها على حقيقته وذلك انه لم يتفق له مطالعة كتاب ولا مصاحبة معلم لانه ما كانت مكة بلدة العلماء وما غاب عنها رسول الله مدة طويلة يمكن التعلم منها ومع ذلك فتح الله عليه ابواب العلم والتحقيق واظهر عليه هذا القرآن الذي اشتمل على علوم الاولين والاخرين فليس

ذلك الابتأييد سماوى فيض الهى ثم وصفه بقوله الذى يؤمن بالله وكلماته لان النبى صلى الله عليه وآله يجب ان يكون من امن بالله وبكتبه وانما يقبل
فامنوا بالله وجب بعد قوله الى رسول الله بل عدل الى المظهر ليمكن ان يجرى عليه الصفات المذكورة ولما فى طريقة الالتفات من البلاغة ولتعلم ان
الذى وجب الايمان به واتباعه هو هذا الشخص المستقل بانه النبى الامى الذى يؤمن بالله وكلماته كائنا من كان انا او غيرى اظهار للنصفة واحترازا
عن التعصبية واعلم ان الكلام اما نظرية واشار اليها بقوله فامنوا واما عملية واليها الاشارة بقوله واتبعوه والاولى اشارة الى التكاليف المستفادة
من افعاله فان كل فعل يصدر عنه وقد واظب عليه فلابد ان يكون جانب فعله راجحا على تركه ثم ان ظاهر الامر للوجوب فيجب علينا اتباعه وان كان
ذلك مندوبا له الا ان يدل دليل منفصل على ان ذلك الفعل من خصائصه ومعنى الترجى لعلكم تهتدون قد مر فى نظائره لاسيما فى اوائل البقرة
فى قوله لعلكم تتقون ثم لما ذكر الرسول وانه يجب على الخلق متابعته كون فى قوم موسى من اتبع الحق وهدى اليه فقال ومن قوم موسى امة يهدون بالحق
اى يهدون الناس بكلمة الحق وبه يعدلون بينهم فى الحكم لا يجورون وهذه الامة بقيت حصلت فى اى زمان كانت اختلف المفسرون فى ذلك فقيل
هم اليهود الذين كانوا فى عهد رسول الله صلى الله عليه وآله كعبد الله بن سلام وابن صوريا وغيرهما ولفظ الامة قد يطلق على القليل اذا كان لهم شأن
كما اطلق على الواحد فى قوله ان ابراهيم كان امة وقيل انهم قوم تنبوا على الدين الحق الذى جاء به موسى ودعوا الناس اليه وصانوه عن التحريف والتبديل
فى زمن تفرق بنى اسرائيل واحدا بعد واحد لانهم البدع ويجوز ان يكونوا اقوا موا على ذلك الى ان جاء المسيح فدخلوا فى دينه ويجوز ان يكونوا هلكوا قبل ذلك
وقال السدى وجماعة من المفسرين انه لما قتل اسرائيل ابناءهم وكفروا وكانوا اثنى عشر سبطا تبرأ سبط منهم مما صنعوا واعتزلوا اليه وسئلوا
الله ان يفرق بينهم وبين اخوانهم ففتح الله لهم نفقا فى الارض فساروا فيه سنة ونصفا حتى خرجوا من وراء الصين ثم من المفسرين من قال انهم
بقوا ممتنعين بدين اليهودية الى الآن بناء على ان خبر بنبتنا لم يصل اليهم فهم مهتدون ومنهم من استبعد عدم وصول الخبر اليهم مع ان
خبر هذه الشريعة طار فى كل افق وتغلغل فى كل نفق فقال انهم هنالك حفاة مسلوبون يستقبلون قبلتنا وروى عن النبى صلى الله عليه وآله ان جبرئيل ذهب به ليلة
الاسراء بهم فكلمهم فقال لهم جبرئيل اهل تعرفون من تكلمون قالوا لا قال هذا محمد النبى الامى فامنوا به وقالوا يا رسول الله ان موسى اوصانا
من ادرك منكم احمد فليقرأ عليه منى السلام ثم اقراءهم عشر سور من القرآن نزلت بمكة ولم يكن نزل فريضة غير الصلوة والزكوة وامرهم ان يقيموا
مكانهم وكانوا يسبتون فامرهم ان يجمعوا ويتركوا السبت والله اعلم بالتأويل واختار موسى قومه المختار من الخلق من اختاره الله تعالى وربك
يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة فالذى اختاره الله كان مثل موسى وانا اخترناك والذين اختارهم موسى كانوا مستحقين لسوء الادب
للرجفة والصعقة وههنا نكتة وهى ان قلب موسى لما كان مخصوصا بالاصطفاء للرسالة والكلام دون القوم كان سؤاله للرؤية شعلة نار المحبة مقرونا
بحفظ الادب على بساط القرب بقوله رب ارنى انظر اليك قدم عزة الربوبية واظهر له العبودية وكان سؤال القوم من القلوب الساهية
اللاهية فتصاعد دخان الشوق بسوء الادب فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة قدموا الجحود والانكار وطلبوا الرؤية جهارا فاخذتهم الصاعقة
فصعقة موسى كانت صعقة اللطف مع تجلى صفة الربوبية وان صعقتهم كانت صعقة القهر عند اظهار صفة العزة والعظمة ولما كان موسى
ثابتا فى مقام التوحيد كان ينظر بنور الوحدة فيرى الاشياء كلها من عند الله فرأى سفاهة القوم من آثار صفات قهره فنسبه واختبارا لهم فقال ان
هى الا فتنتك تزيغ بها قلب من تشاء باصبع صفة القهر وتقيم قلب من تشاء باصبع صفة اللطف انت لنا فى هذه الدنيا حسنة الربوبية كما
كتبت لمحمد نسأكها يعنى حسنة الربوبية والرحمة للذين يتقون بالله عن غيره ويقفون عن نصاب هذا المقام الزكوة الى الطالبة والذين هم بآياتنا يؤمنون
لتحقيق الآبا التقليد يؤمنون وفى قوله الذين يتبعون الرسول النبى الامى اشارة الى ان فى امته من يكون مستعدا لاتباعه فى هذه المقامات الثلثة
ومعنى الامى انه ام الموجودات واصل المكونات كما قال اول ما خلق الله روحى وقال حكاية عن الله لولاك لما خلقت الاكوان واما اتباعه فى مقام الرسالة
فبان تأخذ منه ما اتاك وتنتهى عما نهاك كما انا كم الرسول فخذوه وما نهيكم عنه فانتهوا فالرسالة تتعلق بالظاهر والنبوة بالباطن فللعوام شركة مع الخواص
فى الانتفاع من الرسالة وللخواص اختصاص بالانتفاع من النبوة فمن ادى حقوق احكام الرسالة فى الظاهر يفتح له بسببه ذلك احوال النبوة فى الباطن فيصير
حينئذ الاشارة والالهامات الصادقة والرؤيا الصالحة والهواتف الملكية وبما يؤل حاله الى ان يكون صاحب الكاملة والمشاهدة والمكاشفة ولعله
يصير مأمورا بدعوة الخلق الى الحق بالمتابعة لا بالاستقلال كما قال صلى الله عليه وآله علماء امتى كانبياء بنى اسرائيل واما اتباعه فى مقام امته فذلك لاخص
الخواص وذلك انه صلى الله عليه وآله يرجع بالسير من مقام بشريته الى مقام روحانيته الاولى ثم يجد بان الوحى انزل فى مقام التوحيد وهو قاب قوسين
ثم اختطف بانوار الهوية عن انانيته الى ادنى وهو مقام الوحدة كما قال قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد فمن رجع بالسير منها بعثه
من مقام البشرية الى ان بلغ مقام روحانيته ثم يجد بان النبوة انزل فى مقام التوحيد ثم اختطف بانوار المتابعة عن انانيته الى مقام الوحدة فقد
خطى من مقام امته مكتوبا عندهم بالحقيقة هو مكتوب عنده فى معجد صدق يأمرهم بالمعروف وهو طلب الحق وينهاهم عن المنكر وطلب ما سواه
ويحل لهم الطيبات كل ما يقربهم الى الله فان الله هو الطيب ويحرم عليهم الخبائث الدنيا وما فيها ويضع عنهم اصرهم الى العهد الذى بين الله وبين
حبيبه ان لا يوصل احدا الى مقام امته الا من واهل شفاعته كقوله الناس يحتاجون الى شفاعتى حتى ابرهيم فكان من هذا العهد عليهم شدة واغلال
يمنعهم من الوصول الى هذا المقام فقد وضع النبى صلى الله عليه وآله عنهم هذا الاصر والاغلال بالدعوة الى متابعته واشار الى هذا المعانى بقوله فالذين امنوا

فرد محمد على موسى السلام

به وعزروه وقووه باعتقاد اختصاص هذا المقام به دون سائر الانبیاء والرسل ونصروه بالمتابعة واتبعوا نور الوحدة الذی انزل معه له ملک السموات
القلوب وارض النفوس لامدبر فیهما غیره یحیی قلب من یشاء من عباده بنور الوحدة ویمیت نفسه عن صفات البشریة وکلما تذهب ما اوحی الیه لیلة المعراج
بالواسطة وبین قوم موسی امة یهدون بالحق یعنی خواصهم الذین یرشدون الخلق بالکتاب المنزل بالحق علی موسی وبه یعدلون فی الحکم بین العوام
فستان بین امة غایتهم الفصوص هی هذه الحیاة الدنیا وکان بینهم محجوبا بالحجاب الامانیة عند سؤال التربیة فاجیب بلن ترانی وبین امة امیة بلغوا اعلی درجات
انوار المتابعة الی مقام الوحدة حتی سموا امة امیین فی الحقیقة کنت له سمعا وبصرا والسنا فیه یسمع به ویبصر به وینطق فلهذا دعا موسی علیه السلام اجعلنا من امة محمد صلی الله علیه وسلم وشوقنا الی لقائه فاتمم علیه

وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَیْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَیْنَا إِلَی مُوسَی إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاکَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا
وپراکنده کردیم ایشان را دوازده فرقه گروهان ودو می نویسیم سوی موسی چون طلب آب کردند او را قوم او که بزن بعصای خود سنگ را پس روان شدند از آن دوازده
عَشْرَةَ عَیْنًا قَدْ عَلِمَ کُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَیْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَیْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَی کُلُوا مِنْ طَیِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاکُمْ وَمَا
چشمه دانسته هر آدمی آب خورد خود را وسایبان کردیم بر ایشان ابر را وفرو فرستادیم بر ایشان من وسلوی را که بخورید از پاکیزه های آنچه روزی کردیم شما را
ظَلَمُونَا وَلَکِنْ کَانُوا أَنْفُسَهُمْ یَظْلِمُونَ وَإِذْ قِیلَ لَهُمُ اسْکُنُوا هَذِهِ الْقَرْیَةَ وَکُلُوا مِنْهَا حَیْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ
وستم نکردند ما را ولکن بودند که خود را ستم میکردند وچون گفته شد مر ایشان را که منزل گزینید در این ده وبخورید از آن هر جا که خواهید وبگویید حطه ودر روید در
سُجَّدًا نَغْفِرْ لَکُمْ خَطِیئَاتِکُمْ سَنَزِیدُ الْمُحْسِنِینَ فَبَدَّلَ الَّذِینَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَیْرَ الَّذِی قِیلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَیْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ
سجده کنان که بیامرزیم گناهان شما را وزود باشد که بیفزاییم نیکوکاران را پس تغییر دادند آنها که ستم کردند گفتاری بغیر آن که گفته شده مر ایشان را پس فرستادیم بر ایشان عذابی از آسمان
بِمَا کَانُوا یَظْلِمُونَ وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْیَةِ الَّتِی کَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ یَعْدُونَ فِی السَّبْتِ إِذْ تَأْتِیهِمْ حِیتَانُهُمْ یَوْمَ سَبْتِهِمْ ع ۱۱
بجهة ظلم ایشان وسؤال کن ایشان را از اندیکه بود در نزدیک دریا چون از حد در گذشتند در ماهی گرفتن در شنبه چون نگه داشتی ماهیان اندر روز شنبه ایشان
شُرَّعًا وَیَوْمَ لَا یَسْبِتُونَ لَا تَأْتِیهِمْ کَذَلِکَ نَبْلُوهُمْ بِمَا کَانُوا یَفْسُقُونَ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ
گمراه آیند مگر روزی که شنبه نگه نگرفتند نیامدند ایشان را اینچنین میآزمودیم ایشان را بآنچه بودند تباه کاران وچون گفتند گروهی از ایشان که چرا پند دهید گروهی را که خدا
مُهْلِکُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِیدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَی رَبِّکُمْ وَلَعَلَّهُمْ یَتَّقُونَ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُکِّرُوا بِهِ أَنْجَیْنَا الَّذِینَ
هلاک کننده ایشانست یا عذاب کننده ایشانست بعذابی سخت گفتند عذر بر عذر بر گفتن بسوی پروردگار شما ونیز که ایشان پرهیزند پس چون فراموش کردند آنچه پند داده شدند بدان
یَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِینَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِیسٍ بِمَا کَانُوا یَفْسُقُونَ فَلَمَّا عَتَوْا عَمَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ کُونُوا
من گردند از بدی وفرستادیم ایشان را که بسیار شکار کنند بعذابی بد بجهة بیرون شدن ایشان از آنچه نهی کرده شدند از آن پس چون سرکشیدند از آنچه نهی کرده شدند از آن گفتیم
قِرَدَةً خَاسِئِینَ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّکَ لَیَبْعَثَنَّ عَلَیْهِمْ إِلَی یَوْمِ الْقِیَامَةِ مَنْ یَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّکَ لَسَرِیعُ الْعِقَابِ
دور از رحمت خدا وچون اعلام کرد پروردگار تو که مسلط کند بر ایشان تا روز قیامت آنرا که بچشاند ایشان را عذابی بد از پرستش که پروردگار تو زود عقوبت است
وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِیمٌ وَقَطَّعْنَاهُمْ فِی الْأَرْضِ أُمَمًا مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِکَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّیِّئَاتِ
ومر بسیار کرد امرزنده مهربانست ومتفرق کردیم ایشان را در زمین طائفها بعضی از ایشان نیکوکار شدند وبعضی از ایشان غیر این بودند ما ایشان را بخوبیها وبدیها
لَعَلَّهُمْ یَرْجِعُونَ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْکِتَابَ یَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَی وَیَقُولُونَ سَیُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ
شاید که ایشان باز گردند پس بجای ایشان جانشینی که بمیراث بردند کتاب را فرا گیرند متاع این نزدیک را وگویند که زود آمرزیده شویم ما را واگر
یَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ یَأْخُذُوهُ أَلَمْ یُؤْخَذْ عَلَیْهِمْ مِیثَاقُ الْکِتَابِ أَنْ لَا یَقُولُوا عَلَی اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِیهِ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ
بیاید ایشان را عرضی مثل آن گرفته شد از ایشان پیمان کتاب که نگویند بر خدای بجز حق ودرس کردند آنچه در آنست وخانه آخرت
خَیْرٌ لِلَّذِینَ یَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ وَالَّذِینَ یُمَسِّکُونَ بِالْکِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِیعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِینَ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ
بهتر است مر آنانرا که پرهیزند ایا پس درنمیابید وآنان که دست آویزند بکتاب ونگاه دارند نماز را بدرستی که ما ضایع نکنیم مزد اصلاح کنندگان را وچون برافراشتیم کوه را
کَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَیْنَاکُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْکُرُوا مَا فِیهِ لَعَلَّکُمْ تَتَّقُونَ القراءة تنفض
گویا آن سایبانست وگمان کردند که او فرود آید بایشان بگیرید آنچه دادیم شما را بتوانائی ویاد کنید آنچه در آنست شاید که پرهیزید بالتاء الفوقانیة
مضمونی ونفخ الفاء ابو جعفر ونافع وابن عامر وسهل یعقوب المفصل الباقون بالنون وکسر الفاء خطایاکم مجموعا جمع التکسیر ابو عمرو خطیئتکم بالتوحید
الوحدة ابن عامر خطایاکم بالتاء مجموعا جمع السلامة ابو جعفر ونافع وسهل یعقوب المفصل الباقون مثله ولکن بالنصب الذی یلیق بجمع سلامة المؤنث
یستون من لاستا ابو زید عن المفضل معذرة بالنصب حفص المفضل الباقون بالرفع بئس مثل بیس ابو جعفر ونافع بیئس علی فیعل بفتح العین الاعشی
والباقون بئس علی فعل تأذن بالتاء بین الاصفهانی عن ورش والتنوین وحمزة فی الوقف تعقلون بتاء الخطاب ابو جعفر ونافع وابن ذکوان
وسهل ویعقوب حفص المفصل الباقون بیاء الغیبة یمسکون من الامساک ابو بکر وحماد والاخوان بالتشدید الوقوف اثما وان تفتح الجملتان لان
اذ هنا عامل اذ استسقیه دون قطعنا فان تفرقا لاستبداد کل زمان الاستسقاء بالحذف مع اتحاد الکلام ای فضرب فانبجست عیناً والسلوی

مارزقناكم والحذف جملة اى قلنا لهم كلوا واذكروا فاذكروا فانقطع عنهم وما ظلمونا يظلمون وخطيئاتكم المحسنين يظلمون فضلا حيناء نفس الطالب بحيث
الذين جنوه نفس محيها او في معالجة عين تليه وانف قلبه وسن تليه معالجة هذه الاعضاء بمزيد الادراك فمن بعد الاحياء فهو كفارة له فيما فرط
من احيانا نفسه معالجة قلبه لمعرفة عين لم يحكم على نفسه بما انزل الله في تزكيتها وتخليتها فاولئك الذين ظلموا انفسهم بوضع الحظوظ مقام الحقوق في
البحر كيلا يصيرا بعده ظرفا لقوله واسئلهم فانه محال لانا نهم لاحتمال تعلق كف براى يوم لا يسبتون لانا نهم ايانا كانا نهم يوم السبت والاصح ان
كف صفة مصدر محذوف اى بلوهم بلاء كف فالوقف على كف جائز ايضا يفسقون قوما لا لان الجملة بعده صفة شديد بل يفسقون يفسقون خاسئين
العذاب رحيم نصف الجزء اما لاحتمال كون ما بعده صفة او مستانفا دون ذلك للعطف على قطعنا فان لم تجعل الجار صفة للام كان عطفا
مع عارض يرجعون سيغفر لنا باخذوه طائفة يتفقون تعقلون الصلوة على تقدير يخذ فلا نضيع اجورهم انا لا نضيع اذ هم المصلحون ولا
نضيع اجر المصلحين والوصل وجه على تقدير وضع الظاهر موضع الضمير اى انا لا نضيع اجر المصلحين السبع الثالث واقع بهم حق المحذوف يتقون
التفسير انه سبحانه ختم قصة بني اسرائيل بتعداد جمل من احوالهم تبصرة للمكلفين بعدهم ومعنى قطعناهم صيرناهم قطعا اى فرقا وميزنا بعضهم من
بعض كما يميز الحاسد والباغي فيقع بينهم الفتن والهرج والاسباط اولاد الاولاد جمع سبط واصله من السبط بمعنى نبت بعضه اثر بعض فكان الاب كالشجرة والاولاد كالاغصان والاسباط في بني اسرائيل كالقبائل من العرب وههنا سؤال وهو ان مميز واحد العشرة الى التسعة وتسعين مفرد فهلا قيل
اثنتي عشرة سبطا واجيب بان كل قبيلة اسباط لا سبط فوضع اسباطا موضع قبيلة كقوله بين دماج وعالة وتهشل ولهذا انث اثنتي عشرة وقال الزجاج
الزجاج المميز محذوف واسباطا نعت لذلك المحذوف والتقدير اثنتي عشرة فرقة اسباطا وقال الفارسي الجوهري اسباطا بدل من اثنتي عشرة
المميز كما قال الزجاج وقوله امما بدل من اثنتي عشرة لان كل اسباط كانت جماعة كثيفة العدد تؤم خلاف ما كانت تؤمه الاخرى وباقي الآية الى قوله
بما كانوا يظلمون قد مر تفسيره في البقرة وكذا بيان المشابهات فيذكر النوع الاخر من احوالهم قوله سبحانك واسئلهم عن القرية اى عن
اهلها وليس المقصود تعرف هذه القصة من قبل اليهود لانها معلوم للرسول ﷺ من قبل الله تعالى ولكن المراد تقريرهما كانوا قد اقدموا عليه
عليه من الاعتداء والفسق ليعلم ان لهم سابقة في ذلك ليس كفرهم بمحمد ﷺ اول مناكيرهم وقد يقول الانسان لغيره هل كان هذا الامر كذا
وكذا ليعرف ذلك لغيره انه محيط بتلك القصة وفيه انه اذا اعلمه به من لم يقرأ كتابا ولم يتعلم علما كان ذلك مستفادا من الوحي فيكون معجزا او
الاكثرون على ان تلك القرية ايلة وقيل مدين وقيل طبرية والعرب تسمي المدينة قرية ومعنى حاضرة البحر قريبة من البحر وعلى شاطئه اذ يعدون
في السبت يتجاوزون حد الله فيه وهو اصطيادهم في يوم السبت ومحل اذ يعدون مجرور بدلا عن القرية بدل الاشتمال اى واسئلهم عن وقت
عدوانهم قال في الكشاف ويجوز ان يكون منصوبا بحاضرة او بكانت بناء على ان الناقصة تعمل في غير الاسم والخبر فيه نظر اذ لا معنى لكون القرية
حاضرة البحر في وقت العدوان لانها حاضرة في جميع الاحيان وقوله اذ تأتيهم منصوب بيعدون او مجرور بدلا بعد بدل والحيتان جمع الحوت وهو
السمكة شرعا ظاهرة على وجه الماء جمع شارع وكل شيء دان عن شيء فهو شارع وشارعة ادانت من الطريق ونحوه شوارع اى دنت من الجنب
فالحيتان كانت تدنو من القرية يوم يحرم صيدها عن الحسن تشرع على ابوابهم كانها الكباش النطح وقال ابن عباس ومجاهد اليهود امروا باليوم
الذي امر تم به وهو يوم الجمعة فتركوه واختاروا السبت فابتلاهم الله تعالى به وحرم عليهم العيد فيه وباقي القصة مذكورة في البقرة وفيها دلالة على
ان من اطاع الله تعالى خفف الله عليه احواله الدنيا والاخرة ومن عصاه ابتلاه بانواع البلاء والمحن قالت الاشاعرة لو وجب على الله تعالى شيء
لوجب ان لا يكثر الحيتان في ذلك اليوم صونا لهم عن الكفر والمعصية وهذا الاعتراض وارد على خالق ابليس وسائر ابواب الشر والنوع الثالث
قوله واذ قالت وهو معطوف على اذ يعدون وحكمه في الاعراب انه منهم جماعة من صلحاء اهل القرية الذين بالغوا في موعظتهم حتى ايسوا
الاخرين كانوا لا يتركون وعظهم لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا لعلمهم بان عاقبة المعصية شوم والمنهمك في الفساد لا
يفلح فالوا معذرة من رفع فبتقدير هذه او موعظتنا او قولنا ابداء عذر الى الله والمعذرة مصدر كالمغفرة ومن نصب فعلا اى اعذرنا عذرة
او عظناهم معذرة الى ربكم اى اذا طولبنا بالقيام بالنهي عن المنكر قلنا قد فعلنا فنكون بذلك معذورين ولعلهم يتقون ولانا نرجو ان يتقوا
بعض الاتقاء بترك الصيد في السبت فلما نسوا يعني اهل القرية تركوا اذكرهم به الصالحون انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا
بعذاب بئيس ومعناه على اختلاف القراءات شديد من بؤس بؤسا اذا اشتد والظاهر ان هذا العذاب غير المتأخر لقوله فلما عتوا
تكبروا وتمردوا وابوا عن ترك ما نهوا عنه بحذف المضاف لان الاباء عن النهي عنه يكون طاعة فلنا لهم كونوا قردة خاسئين والله اعلم بالمكون
والايجاد لان هناك قولا وقبل فلما عتوا تكرير لقوله فلما نسوا والعذاب البئيس هو المسخ عن الحسن كلوا والله او خم اكلها اهلها اكلا وبيلا
في الدنيا والطوها عذابا في الاخرة هاء والله ما حوت اخذ قوم فاكلوه اعظم عند الله من قتل رجل مسلم ولكن الله جعل موعدا والساعة
ادهى وامر وقد ذكرنا هذه القصة مع تحقيق المسخ في سورة البقرة الا انه بقي ههنا بحث وهو ان اهل القرية كم فرقة كانوا فقيل فرقتان المذنبة
والواعظة واما الامة القائلة لم تعظون فهم المدينة بعينها فالوا للفرقة الواعظة لم تعظون قوما الله مهلكهم بزعمكم ولا اعتراض على هذا القول
انه لو صح ذلك لكان اللائق ان يقال في الجواب معذرة الى ربكم ولعلكم تتقون لان الجميع خطاب من الفرقة الناهية للفرقة العاصية والصحيح

الجزء السابع

انهم ثلث فرق فرقة عدت في السبت وفرقة واعظة وفرقة قالوا للواعظين لم تعظون اما الاولى فقد هلكوا بالاصطياد واما الواعظة فقد بقي الكلام في القائلة فعن ابن عباس انه توقف فيهم وكان يقول فيهم لست اعرف ما فعل هؤلاء وعنه ايضا انهم هلكوا وكان اذا قرئ عليه هذه الاية يبكي وقال ابن هؤلاء والله سكتوا عن النهي عن المنكر هلكوا ونحن نرى اشياء تنكر هائم تسكت ولا تقول شيئا وعن الحسن انهم نجوا لانهم كانوا ينكرون عليهم ويقولون بان الله مهلكهم او معذبهم وانما تركوا الوعظ لانهم لم يروا فيه غرضا صحيحا لعلمهم بحال القوم واذا علم الناهي بحال المنهي وان النهي لا ينجع فيه سقط عنه النهي ولعل الواعظين لم يستحكم يأسهم بعد كما استحكم يأس هؤلاء ولعلهم كانوا احرص الطائفتين ولعل الامة سئلوا عن علة الوعظ سؤال المنكرين والله تعالى اعلم بالسرائر النوع الرابع واذ تأذن ربك هو تفعل من الايذان الاعلام والمعنى عزم ربك لان العازم على الامر محدث به نفسه فكانه يؤذن النفس بانه يفعله واجرى مجرى فعل القسم في الجزم بالجزاء نحو علم الله وشهد الله فاجيب بجواب القسم اي حتم ربك وكتب على نفسه ليبعثن ومعناه التسليط كقوله بعثنا عليكم عبادا لنا اولي بأس شديد واختلف في العائد في عليهم فقيل يرجع الى الممسوخين بناء على ان لهم نسلا وقيل الى اصحاب تلك القرية فكانه مسخ المتعدين والحق الذل بالبقية وقال الاكثرون هم اليهود الذين ادركهم رسول الله ﷺ ودعاهم الى شريعته فتمنوا على الكفر واستمروا على اليهودية اما العذاب فقيل هو اخذ الجزية كانوا يؤدونها الى المجوس الى ان بعث الله محمدا ﷺ فضرب عليهم الذل والصغار وقيل القتل والفناء كما وقع في زمن بختنصر وغيره وقيل الاخراج عن الاوطان كما في هؤلاء خيبر في قريظة والنظير واذ قد اخبر الله تعالى بلزوم الذل والصغار اياهم ونحن نشاهد ان الامر كذلك فهو اذن اخبار عن الغيب فيكون معجزا قيل والخبر المروي في ان اتباع الرجال هم ان صح فمعناه انهم كانوا اتباعا خوفا لهم ثم داروا باطنة فذكروا بالاسم الاول وانما تكلف ذلك لانهم يكونون في وقت اتباع الرجال قاهرين غالبين النوع الخامس وقطعناهم في الارض امما فرقناهم فيها تفريقا شديدا فلا يكاد يوجد بلد الا وفيه منهم طائفة منهم الصالحون الذين كانوا في زمن موسى يهدون بالحق وبه كانوا يعدلون وذلك قيل الفتن والقتال

وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ مِنَ الْاَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي اَوْ مِنَ التَّعْرِيضِ لِلثَّوَابِ وَالْعِقَابِ وَاذْكُرُوا مَا اٰتَيْنَاكُمْ مِنَ الْاٰيَاتِ الْعَظِيمَةِ بِقُوَّةٍ اَنْ كُنْتُمْ تُطِيقُونَهُ كَقَوْلِهِ اِنِ اسْتَطَعْتُمْ اَنْ تَنْفُذُوا مِنْ اَقْطَارِ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ فَانْفُذُوا وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ مِنَ الدَّلَالَةِ عَلَى الْقُدْرَةِ الْبَاهِرَةِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ مَا اَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْاٰبَاءِ وَالتَّاوِيلِ الْفَرِيبِ اِلَى اَنْ كَانَ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ هِيَ قَرْيَةُ الْجَسَدِ الْحَيَوَانِيِّ عَلَى شَاطِئِ بَحْرِ الْبَشَرِيَّةِ وَاَهْلُ قَرْيَةِ الْجَسَدِ لِلصِّفَاتِ الْاِنْسَانِيَّةِ صِنْفٌ وَهِيَ كَصِفَاتِ الرُّوحِ الرُّوحِ وَصِنْفٌ تَلِيهِ كَصِفَاتِ النَّفْسِ الْاَمَّارَةِ بِالسُّوْءِ وَكَانُوا نَهَوْا عَنْ صَيْدِ حِيتَانِ الدَّوَاعِي الْبَشَرِيَّةِ فِي سَبْتِ مَحَارِمِ اللّٰهِ فَلَمْ يَنْهَهُمْ فَسَلَّطَ الْحَرَّ اَلَا الصِّفَاتِ الْاِنْسَانِيَّةِ اِذْ فِيهِمْ حَيَاتُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا لِاَنَّ الْاِنْسَانَ حُرِّضَ عَلَى مَا مُنِعَ فَتَهِيجُ الدَّوَاعِي فِي الْحَرَكَاتِ دُونَ الْحَلَالَاتِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ اَيْ بِمَا كَانَ مِنْ طَبِيعَةِ النَّفْسِ وَصِفَاتِهَا مِنَ الْخُرُوجِ عَنْ اَمْرِ اللّٰهِ لِاَنَّهَا اَمَّارَةٌ بِالسُّوْءِ وَاِذْ قَالَتْ اُمَّةٌ مِنْهُمْ صِفَاتُ الْقَلْبِ اَوِ الصِّفَاتُ الرُّوحِ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللّٰهُ مُهْلِكُهُمْ بِالْمُخَالَفَاتِ عِنْدَ اسْتِيفَاءِ اللَّذَّاتِ الشَّهَوَاتِ اَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا وَهُوَ الْمَسْخُ بِتَبْدِيلِ الصِّفَاتِ الْاِنْسَانِيَّةِ اِلَى الصِّفَاتِ الْحَيَوَانِيَّةِ قَالُوا مَعْذِرَةً اِلٰى رَبِّكُمْ لِاَنَّا خُلِقْنَا هٰكَذَا اُمِرْنَا بِالْمَعْرُوفِ نَاهِينَ عَنِ الْمُنْكَرِ فَنَقْضِ مَا عَلَيْنَا لِيَعْلَمَ اَنَّا مَا تَغَيَّرْنَا مِنْ اَوْصَافِنَا الرُّوحَانِيَّةِ الْمَلَكِيَّةِ وَلَعَلَّ النَّفْسَ وَصِفَاتِهَا يَنْقُونَ فَتَتَّصِفُ بِالْمَأْمُورِيَّةِ وَالْاِطْمِئْنَانِ فَاِنَّهَا قَابِلَةٌ لِذٰلِكَ بَعْدَ الْعَذَابِ بِالْيَأْسِ وَهُوَ اِبْطَالُ اسْتِعْدَادِ قَبُولِ الْفَيْضِ الْاِلٰهِيِّ لِيَبْعَثَ عَلَيْهِمْ عَلَى الْاَرْوَاحِ وَالْقُلُوبِ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ النَّفْسَ وَصِفَاتِهَا مِنْ يَسُومُهُمْ وَهُوَ الشَّيْطَانُ الْمُنْظَرُ اِلٰى يَوْمِ الْفَهْمِ سُوْءَ الْعَذَابِ عَذَابَ الْبُعْدِ عَنِ اللّٰهِ وَعَذَابَ لَذَّةِ الْخِدْمَةِ لِلنَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ وَقَطَّعْنَاهُمْ فَرَّقْنَا الْاَرْوَاحَ وَالْقُلُوبَ فِي اَرْضِ الْاَجْسَادِ مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ قَابِلُونَ لِفَيْضِ نُورِ اللّٰهِ وَمِنْهُمْ دُونَ ذٰلِكَ فِي الْقَبُولِ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ وَهِيَ الْمَعَاصِي لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ اِلَى الْحَقِّ وَذٰلِكَ اَنَّ السَّيْرَ اِلَى اللّٰهِ تَمَّ بِتَقَدُّمِ الطَّاعَةِ وَبِتَقَدُّمِ تَرْكِ الْمَعْصِيَةِ وَمِنْ هُنَا قِيلَ خَطَوَاتٌ وَقَدْ وَصَلَ اَوْ بَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ لِيَرْجِعُوا اِلَيْنَا بِتَقَدُّمِ الشُّكْرِ وَالسَّيِّئَاتِ لِيَرْجِعُوا بِتَقَدُّمِ الصَّبْرِ اَوْ بَلَوْنَاهُمْ بِكَثْرَةِ الطَّاعَاتِ وَالتَّعَجُّبِ بِهَا كَمَا كَانَ حَالُ اِبْلِيسَ بِكَثْرَةِ الْمَعَاصِي وَالنَّدَامَةِ عَلَيْهَا كَمَا كَانَ حَالُ اٰدَمَ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِ الْاَرْوَاحِ وَالْقُلُوبِ لَمَّا سَلَكُوا طَرِيقَ الْحَقِّ وَصَلُوا اِلٰى مَقْعَدِ صِدْقٍ خَلْفٌ فَهُمُ النُّفُوسُ الْاَمَّارَةُ بِالسُّوْءِ وَرِثُوا الْكِتَابَ وَهُوَ اِلْهَامُ اللّٰهِ تَعَالٰى الْاَرْوَاحَ وَالْقُلُوبَ مِنَ الْمَوَاعِظِ وَالْحِكَمِ وَالْمَعَانِي وَالْاَسْرَارِ وَوَرِثَتِ النُّفُوسُ وَجَعَلُوهَا ذَرِيعَةً لِلْعَرَضِ الْاَدْنٰى وَتَحْصِيلِ الْمَالِ وَالْجَاهِ وَاسْتِيفَاءِ اللَّذَّاتِ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا مِثْلُ هٰذِهِ الزَّلَّاتِ لِاَنَّا وَاصِلُونَ كَامِلُونَ كَمَا هُوَ مَذْهَبُ اَهْلِ الْاِبَاحَةِ وَسَيُغْفَرُ لَنَا اِذَا اسْتَغْفَرْنَا وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ بِاللِّسَانِ لَا بِالْقَلْبِ اِذِ انْشَغَلَ الْجَبَلُ فِيهِ اِنَّ الْاِنْسَانَ لَوْ كُلَّ الْجَبَلِ وَنَفْسُهُ لَا يَقْبَلُ شَيْئًا مِنَ الْاُمُورِ الدِّينِيَّةِ وَاِنَّمَا يَعَانُ عَلَى الْقَبُولِ بِاَمْرٍ ظَاهِرٍ اَوْ بَاطِنٍ فَهُمَا نَوْعَانِ عَلَى دَرْسِ اَهْلِ الطَّلَبِ جَبَلُ اَمْرِ الْحَقِّ وَهُوَ اَمْرُ التَّحْوِيلِ فَيَحُولُهُمْ بِالْقُدْرَةِ اِلَى اَنْ يَأْخُذَ وَاِمَّا اَيَّدَهُمُ اللّٰهُ تَعَالٰى بِقُوَّةٍ مِنْهُ لَا بِقُوَّتِهِمْ وَاِرَادَتِهِمْ وَاِذْ اَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي اٰدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَاَشْهَدَهُمْ عَلٰى اَنْفُسِهِمْ اَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلٰى شَهِدْنَا اَنْ تَقُولُوا يَوْمَ ع ۱۲

وچون فرا کرفت پروردکار تو از فرزندان دم از پشت ایشان فرزندان ایشانرا و کواه کرفت ایشانرا بر نفسهای ایشان ایا نیستم من پروردکار شما کفتند ایری کواهی دادیم تا مکر کویند در روز

الْقِيٰمَةِ اِنَّا كُنَّا عَنْ هٰذَا غٰفِلِينَ اَوْ تَقُولُوا اِنَّمَا اَشْرَكَ اٰبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ اَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ

قیامت کو نابودیم ازاین بیخبران بودیم یا بکویند کو جز این نیست کو شرک آوردند پدران ما از پیش و بودیم فرزندان از بعد ایشان ایا پس هلاک کردانی ما را بکردار کردند مبطلان

وَكَذٰلِكَ نُفَصِّلُ الْاٰيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَاَ الَّذِي اٰتَيْنٰهُ اٰيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاَتْبَعَهُ الشَّيْطٰنُ

وهمچنین بیان میسازیم ایات را و شاید کو ایشان باز کردند و بخوان بر ایشان خبر آنکسرا کو دادیم باو نشانهای خود را پس بیرون رفت از او شیطان

فَكَانَ مِنَ الْغٰوِينَ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنٰهُ بِهَا وَلٰكِنَّهُ اَخْلَدَ اِلَى الْاَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوٰىهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ اِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ

پس کردید از جمله کمراهان و اکر میخواستیم هر آینه بالا بردیم او را بایان و لیکن او جاوید شد در زمین و پیروی هوای خود را پس مانند او چون مانند سکست اکر حمله بری بر او

يَلْهَثْ اَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذّٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِاٰيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ

زبان بیرون آرد یا کذاری او را زبان بیرون آرد این است مثل او کروهیکه تکذیب کردند بایات ما پس بیان کن حکایتها را شاید ایشان کو اندیشه کنند بدست مانند ایشان کو

كَذَّبُوا بِاٰيَاتِنَا وَاَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ مَنْ يَهْدِ اللّٰهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضْلِلْ فَاُولٰئِكَ هُمُ الْخٰسِرُونَ وَلَقَدْ

تکذیب کردند بایات ما و نفسهای خود را بودند کو ستم کردند هر کرا کو هدایت کند خدا پس اوست راه یافته و هر کرا کو کمراه کند پس اکنون او نیست مستقیمان راه و هر آینه تحقیق

ذَرَاْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْاِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ اَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ اٰذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا

آفریدیم از برای جهنم بسیاری از پریان و آدمیان کو ایشانرا دلهائی است کو نمیفهمند بان و ایشانرا چشمهائی است کو نمی بینند بان و ایشانرا کوشهائی است کو نمی شنوند بان

اُولٰئِكَ كَالْاَنْعَامِ بَلْ هُمْ اَضَلُّ اُولٰئِكَ هُمُ الْغٰفِلُونَ وَلِلّٰهِ الْاَسْمَاءُ الْحُسْنٰى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي اَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ

ایشان چون چهارپایانند بلکه ایشان کمراه ترند ایشان اند کو ایشان غافلان و مر خدایرا است نامهای نیکو پس بخوانید او را بان و واکذارید ایشانرا کو میکشند در نامهای او ایشان

ع ۱۳ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا اُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِاٰيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ وَاُمْلِي لَهُمْ اِنَّ كَيْدِي

بکه بودند کو میکردند و از آنکه آفریدیم کروهی را کو راه یافته اند بحق و باو برابر میکنند و آنان کو تکذیب کردند بایات ما زود بکیریم ایشانرا از جائی کو ندانند و طول دهم عمر ایشانرا بدرستی کو

مَتِينٌ قُرِئَ بِالْيَاءِ عَلَى التَّوْحِيدِ حَمْزَةُ وَخَلَفٌ وَابْنُ كَثِيرٍ وَحَفْصٌ وَسَتُكْتَبُ وَالْمُضَارِعُ الْبَاقُونَ عَلَى الْجَمْعِ يَقُولُوا بِالْيَاءِ الْعَيْنَةُ الْحَرْفَيْنِ اَبُو عَمْرٍو وَيَاءَتْ

ذٰلِكَ بِالْاِظْهَارِ حَفْصٌ وَالْاِصْفَهَانِيُّ عَنْ وَرْشٍ وَالْحُلْوَانِيُّ عَنْ قَالُونَ وَالنَّقَّاشُ عَنِ الْاَزْرَقِ بِخِلَافِهِ عَنْ قَبْلُ بِالْحَذْفِ وَبِفَتْحِ الْيَاءِ وَالْبَاقُونَ بِضَمِّ الْيَاءِ وَالْحَاءِ حَمْزَةُ الْبَاقُونَ

بِضَمِّ الْيَاءِ وَكَسْرِ الْحَاءِ مِنَ الْاِلْحَادِ وَلَقَدْ ذَرَاْنَا مُظْهِرًا اَبُو جَعْفَرٍ نَافِعٌ وَابْنُ كَثِيرٍ وَوَرْشٌ وَعَاصِمٌ غَيْرُ الْاَعْشٰى ذَرَاْنَا بِغَيْرِ هَمْزٍ اَبُو عَمْرٍو وَبِهِ

الاعشى اذ رأنا بغير هم ابو عمرو ويزيد والاعشى والاصمعي عن ورش وحمزة في الوقف الباقون بالهمز الوقوف انفسهم لان القدير والست بربكم مع اعتبار الكلام بربكم فصلا بين السؤال والجواب بلى لان شهدنا يصلح ان يكون من قولهم فهو وقف على شهدنا ويصلح ان يعود الى فقلنا ذلك لئلا يقولوا او يصلح ان يكون شهدنا من قول الملائكة اى قبل الملائكة اشهدوا فقالوا اشهدنا فيكون منفصلا من جملة ومتصلا بان يقولوا غافلين للعطف من بعدهم لابتداء الاستئناف وانما القائل المبطلون يرجعون العاوين هو تبع لان قوله فمثله مبتدأ والذي جاءه خبره كمثل الكلب لابتداء الشرط مع ان الجملة تفسير للمثل وتتركه يلهث بانا لما يتفكرون هو ظلموا هو المنتج للعطف لان التفصيل من المجملات ابلغ في التنبيه للخاسرون هو والا نفس والوصل اولى لان الجملة بعده صفة لكثير لا يفقهون بها لان العطف صحيح ولكن الوقف لامهال فرصة الاعتبار وكذا الثانية ولهذا كرر لفظهم في اول كل جملة لا يسمعون بها اصل الغافلون هو فادعوه بها اصل لعطف المتفقين في اسمائه الحسنى يعدلون لا يعلمون هو وعطف اما على يستدرجهم احسن من جعله مستانفا فتوقف على املى لهم متين هو التفسير لما شرح قصته موسى على اقصى الوجوه ذكر ما يجري مجرى تقرير الحجة على جميع المكلفين وفي الاية للمفسرين قولان احدهما ما روى مسلم بن يسار الجهني ان عمر بن الخطاب قال سئل عنها رسول الله ﷺ فقال ﷺ ان الله تبارك وخلق ادم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية قال خلقت هؤلاء للجنة وبعمل اهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للنار وبعمل اهل النار يعملون قال رجل يا رسول الله ففيم العمل فقال رسول الله ﷺ ان الله اذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل اهل الجنة حتى يموت على عمل من اعمال اهل الجنة فيدخله بها الجنة واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل اهل النار حتى يموت على عمل من اعمال اهل النار فيدخله بها النار وهذا القول ذهب اليه كثير من قدماء المفسرين كسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير والضحاك وعكرمة والكلبي وابن عباس

اما المعتزلة واصحاب النظر والمعقولات فانهم فسروا الاية بانه تعالى اخرج الذرية وهم الاولاد من اصلاب ابائهم وذلك الاخراج لهم كانوا يطفة فاخرجها الله تعالى الى ارحام الامهات وجعلها علقة ثم مضغة ثم جعل لهم اسماعا وابصارا وعقولا وخلقا كاملا ثم اشهدهم على انفسهم بما ركب في عقولهم من الدلائل وهذا بيان عجائب خلقته وغرائب صنعته وكانه قررهم وقال الست بربكم وكانهم قالوا بلى انت ربنا شهدنا على انفسنا واقررنا بوحدانيتك وباب التمثيل باب واسع في كلام الله ورسوله وفي كلام العرب نظيره قال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين وقال الشاعر امتلأ الحوض وقال قطني وهذا القول الثاني غير مناف للقول الاول ولا هو مطعون في نفسه انما الكلام في صحة القول الاول والمنكرون طعنوا فيه بوجوه منها ان قوله من ظهورهم بدل من بني ادم بدل البعض من الكل فالمعنى واذ اخذ ربك من ظهور بني ادم وعلى هذا فلم يذكر الله تعالى انه اخذ من ظهر ادم شيئا وبمكن ان يجاب بانه تعالى انما لم يخص فلانا في بتولد من ادم ومن فلان فلان اخر فعلى الترتيب الذي علم دخولهم في الوجود خرجهم وميز بعضهم من بعض فثبت اخراج الذرية من ظهور بني ادم بالقرآن وثبت اخراج الذرية من ظهر ادم بالخبر فوجب المصير اليهما معا صونا للاية والخبر عن الطعن ومنها ان اولئك الذرات لو كانوا عقلاء لم يمكن اخذ الميثاق منهم وان كانوا عقلاء وجب ان يتذكروا تلك الحالة في هذا الوقت وبهذا الدليل بعينه يبطل التناسخ ويحتمل ان يجاب بالفرق وذلك انا اذا كنا في ابدان اخرى وبقينا فيها وهو الاستبعاد في مجرى العادة فيما لها واما اخذ هذا الميثاق فانما حصل في اسرع زمان فلم يبعد حصول النسيان فيه ومنها ان جميع الخلق من اولاد ادم جمع عظيم وجم غفير وصلبه على صغره لن يتسع لذلك المجموع على ان البنية شرط لحصول الحبوة والعقل والفهم فكل واحد من اولئك الذرات لها بنية وان كانت صغيرة والمجموع يبلغ مبلغا عظيما في الجثة والمقدار واجيب بان البنية عندنا ليست شرطا في الحبوة والعقل فجاز ان يكون كل من تلك الذرات جوهرا فردا ومنها ان فائدة اخذ الميثاق ان يكون حجة عليهم في ذلك الوقت وفي الدنيا والاتباع ممنعة على انهم بسبب ذلك لا يصيرون مستحقين للثواب والعقاب على انهم ادون حالا من الاطفال ولا يتوجه التكليف على الاطفال فكيف يتوجه على الذر واجيب بانه لا يسئل عما يفعل وان المعتزلة اذا اردوا ان يصححوا القول بوجوب الاعمال وانطاق الجوارح قالوا لا يبعد ان يكون لبعض الاناسي في بعض الاحوال اسنعداد لان يخلق الله فيه الحياة والعقل والفهم ثم يكلفه ويأمره وينهاه ويثيبه ويعاقبه فاذا جاز ذلك في بعض الاحوال فلم لا يجوز في جميع الاحوال واجيب بان هذا حكاية قول الكفرة ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين لا لهم قالوا ذلك بناء على حسب ظنهم اما قولهم ان تقولوا فالتقدير واشهدهم على انفسهم بذلك لئلا يقولوا او كراهة ان يقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا المشهود له غافلين من قرأ بياء الغيبة فلان الكلام على الغيبة وهو قوله بني ادم من ظهورهم واشهدهم على انفسهم لئلا يقولوا ومن قرأ على الخطاب فلانه قد جرى في الكلام خطاب هو قوله الست بربكم وكلا الوجهين حسن لان الغائبين هم المخاطبون في المعنى ويقولوا بمعنى الكفار انما اشرك الاباء من قبل ونحن ذرية من بعدهم افتهلكنا بما فعل المبطلون والحاصل ان الله تعالى لما اخذ عليهم الميثاق امتنع منهم التمسك بهذا العذر وعند المعتزلة معناه اشهدنا عليهم كراهة ان يقولوا انما اشركنا على سبيل التقليد لاسلافنا لان نصب الادلة على التوحيد قائم فلا عذر معهم في الاعراض عنه

والاقبال على التقليد والاقتداء بالاباء وقال في الكشاف المراد ببني آدم اسلاف اليهود الذين اشركوا بالله حيث قالوا عزير ابن الله وبدل بأنهم الذين كانوا في عهد رسول الله من اخلافهم المقتدين بآبائهم لان الايات السابقة نعت اسلاف اليهود وكذلك قوله وانل عليهم اي على اليهود نبأ الذي اتيناه اياتنا اما قوله وكذلك الى ومثل ذلك التفصيل البليغ نفصل الآيات لهم ولعلهم يرجعون وارادة ان يرجعوا الى الحق ويعرضوا عن الباطل بفصلها او يرجعوا الى ما اخذ الله عليهم من الميثاق في التوحيد ولبعض العلماء في الاية قول ثالث وهو ان الارواح البشرية موجودة قبل الابدان والاقرار بوجود الاله من لوازم ذواتها وحقائقها وهذا العلم ليس مما يحتاج في تحصيله الى كسب وطلب وهو المراد باخذ الميثاق عليهم لكنها بعد التعلق بالابدان يشغلها التعلق عن معلوماتها فربما بتذكر واتل عليهم اي على بني آدم او اليهود خاصة قال ابن عباس وابن مسعود ومجاهد نزلت في بلعم بن باعور وذلك ان موسى عليه السلام قصد بلدة الذي هو فيه وغزا اهله وكانوا كفارا فطلبوا منه ان يدعو على موسى وقومه وكان مجاب الدعوة وعنده اسم الاعظم فامتنع منه فما زالوا يطلبونه منه حتى دعا عليهم فاستجيب له ووقع موسى وبنو اسرائيل بدعائه في التيه فقال موسى يا رب بأي ذنب وقعنا في التيه فقال بدعاء بلعم فقال كما سمعت دعائي عليه ثم دعا موسى ان ينزع عنه الاسم الاعظم وهو الايمان فسلخه الله تعالى مما كان عليه ونزع عنه المعرفة فخرجت من صدره كحمامة بيضاء فصفر وبقي ايئس انه كان نبيا من انبياء الله تعالى فلما دعا عليه موسى ان ينزع الله تعالى منه الايمان فكان كافرا وهذا بعيد لانه سبحانه وتعالى قال الله اعلم حيث يجعل رسالاته وفيه انه تعالى لا يشرف عبدا من عبيده بالرسالة الا اذا علم انه يموت على

الجزء السابع

واعلم ان التمثيل

يلهث في جميع احواله لا لحاجة وضرورة بل لطبيعة الخبيثة فمعنى الاية ان هذا الكلب ان شد عليه وهيج لهث وان ترك لهث ايضا لاجل ان ذلك الفعل القبيح لصيقة اصلية له عن ابن عباس الكلب مقطع الفؤاد يلهث ان حمل عليه او لم يحمل عليه قيل لما دعا بلعم على موسى خرج لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كما يلهث الكلب فيكون هذا وجه التمثيل ما وقع بجميع الكلاب وانما وقع بالكلب اللاهث واخس الحيوانات هو الكلب واخس الكلاب هو اللاهث وان الرجل العالم اذا توسل بعلمه الى طلب الدنيا فذلك انما تكون لاجل انه يورد عليهم انواع علومه ويظهر عندهم فضائل نفسه وفضائله ولا شك انه عند ذكر تلك الكلمات يدلع لسانه ويخرجه لاجل ما تمكن من قلبه من حرارة الحرص وشدة العطش الى الفوز بالدنيا فكانت حاله شبيهة بحال ذلك الكلب الذي لسع ايدا من غير حاجة ولا ضرورة بل لمجرد الطبيعة الخبيثة وايضا هذا الحريص القائل ان وعظته فهو ضال وان لم تعظه فهو ضال لاجل ان ذلك الضلال والخسار عادة اصلية وطبيعة ذاتية له كما ان ذلك الكلب ان شد عليه لهث وان ترك لهث ثم عم بالتمثيل جميع المكذبين بالضالين فقال ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا وقال ابن عباس بريد اهل مكة كانوا يتمنون هادیا يهديهم وداعيا يدعوهم الى طاعة الله ثم لما جاءهم من لا يشكون في صدقه وديانته كذبوه وقيل هم اليهود قرأوا نعت رسول الله ص في التوراة وذكروا القرآن المعجز وما فيه وبشروا الناس باقتراب مبعثه وكانوا يستفتحون به فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فاقصص القصص يريد قصص المكذبين او قصص بلعم الذي هو منهم قصص المكذبين لعلهم يتفكرون فيتعظون فيجتنبون مثل ما اتيته اذ سار واخوسبرته ثم ذكر تأكيدا اخر في باب التحذير فقال ساء مثلا ولا بد من تقدير مضاف لينتسب الذم المخصوص بالذم فيصير التقدير بئس مثلا مثل القوم او بئس اصحاب مثل القوم وفي ساء ضمير مبهم يفسره المنصوب بعده وظاهر الاية يقتضي كون المثل مذموما فهل كيف يتصور ذلك مع ان الله تعالى ذكره والجواب ان الذم يتوجه الى ما افاده المثل من تكذيبهم بايات الله واعراضهم عنها حتى صار واقعا في ذلك بمنزلة الكلب اللاهث ما قوله وانفسهم كانوا يظلمون فاما ان يكون معطوفا على كذبوا فيدخل في حيز الصلة بمعنى الذين جمعوا بين التكذيب بايات الله وظلم انفسهم واما ان يكون كلاما منقطعا بمعنى وما ظلمونا الا انفسهم بالتكذيب وتقديم المفعول للاختصاص كانه قيل وحصوا انفسهم بالظلم لم يتعد الى غيرهم ثم بين ان الهداية والضلال بتقديره فقال من يهد الله فهو المهتد وهو محمول على اللفظ من حيث ان من مفرد اللفظ ومن حيث ان اهتدى مطاوع هدى ومن يضلل فاولئك هم الخاسرون وانه محمول على المعنى لان من معناه ههنا الجمع ولان الخسائس مطاوع الاضلال بل الضلال مطاوع له والخسار لازم اللازم ولا يخفى ان ظاهر الاية موافق لمعتقد الاشاعرة ان الهداية والضلال بالجملة جميع الاعمال بخلق الله تعالى والمعتزلة اولوها بان المراد من يهد الله الى الجنة والثواب فهو المهتدي في الدنيا ومن يضلله عن طريق الجنة وقال بعضهم التقدير من يهده الله فضل هداه فهو المهتدي ومن يضلل بان لم يتفضل فهو الخاسر وقيل من يهده الله بالالطاف ومزيد الهدى فهو المهتدي ومن يضلله عن ذلك بما تقدم منه نبذ اختياره فاخرج لهذا السبب تلك الالطاف من ان يوثر فيه فهو الخاسرون تف بالعلم والداعي وبان الافعال عدم الاضمار وبان كل ما في مقدور الله تعالى من الالطاف فقد فعله عند المعتزلة في حق جميع الكفار وبالاية بعدها وهي قوله ولقد ذرأنا الى اخره وذلك انه بين انه خلق كثيرا من الجن والانس لجهنم وقد علم ذلك في الازل وخلاف مقدوره ومعلومه محال وايضا العاقل لا يريد الكفر والجهل الموجبين لدخول النار فحصول ذلك على خلاف قصده واجتهاده لا يكون الا من قبل غيره ولا يتسلسل بل ينتهي الى الاسباب لا محالة لا يبقى العبد الا ما يسعى في تحصيل ذلك الاعتقاد الباطل لانه اشبه الامر عليه وظنه اعتقادا صحيحا لا ناقوا على هذا التقدير انما وقع في هذا الجهل الاجاجيل متقدم ولا يتسلسل بل ينتهي الى جهل حصل ابتداء بتوجيه الالزام قالت المعتزلة الاية الدالة على انه سبحانه اراد من العبد الطاعة والعبادة والخير فقط كثيرة كقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وايضا انه قال في معرض الذم لهم قلوب لا يفقهون بها الى اخره ولو كانوا مخلوقين للنار وجبرا قادرين على الايمان لم يحسن ذمهم وايضا لو خلقهم للنار لما كان لهم نعمة على الكفار لان منافع الدنيا بأسرها لا اعتداد بها في جنب العذاب الدائم لكون القرآن مملوءا من انه تعالى منعم على جميع الخلائق وايضا مذهبكم يوجب ان لا يكون للمدح والذم والثواب والعقاب والترغيب والترهيب فائدة ولو خلقهم للنار لوجب ان يخلقهم في النار ابتداء لانه لا فائدة في ان يسترجعهم الى النار بخلق الكفر فيهم ايضا الاية متروكة الظاهر لان لام الاختصاص لا يفيد بنفسه الا اذا قدر انا لهم لكي يكفروا فيصيروا الى جهنم فيجب بنائها على قوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون لان ظاهر يصح من غير حذف وعلى هذا وجب تأويل الاية بان اللام فيها لام العاقبة كقوله فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا انه جعلهم لاعزازهم في الكفر وشدة شكيمتهم كانهم مخلوقون للنار كقولهم ما خلق فلان الا لكذا اذا كان عريقا في بعض الامور واجيب اجمالا بانه لا يسئل عما يفعل وتفصيلا بان النعمة وان قلت فهي في نفسها نعمة زيادة وبان الوسايط معتبرة وبان حمل اللام على العاقبة يجوز لا بصار البهيمة الا لضرورة في تخصيص العموم وههنا لا ضرورة فقد تعاضدت الدلائل العقلية كالعلم والداعي والنفلية كالايات كثيرة على ان الكل من الله فوجب المصير الى طرف الجبر لا سيما فان قائلا هذه الاية وهو قوله من يهد الله فهو المهتد وما بعدها وهو قوله والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم يدل على ما قلنا وايضا لا ريب ان اولئك الكفار كانت لهم قلوب يفهمون بها ما لكذا اعين مبصرة واذان سامعة فالمراد انهم ما كانوا يفقهون ويبصرون ويسمعون ما يرجع الى صالح الدين ثم انه تعالى كلفهم تحصيل الدين مع عدم القابلية كيف ان الكفار بلغوا في علاوة الرسول صلعم ما بلغوا فالقدرة من قبل الله مبلغا لا يكتنه كنهها والعلم الضروري حاصل بان حصول المحبوب والبغض في القلب ليس باختيار الانسان

بل هو حالة حاصلة فى القلب كما ان الانسان اذا اراد ذبح بهيمة تقول بالجزم وروى الشيخ احمد البيهقى فى كتاب مناقب الشافعى ان على بن ابى طالب عليه السلام خطب الناس فقال واعجبا لابن آدم قلبه فى صدره سوادى من الحكمة واضدادها فان سنح له الرجاء اذله الطمع وان هاج به الطمع اهلكه الحرص وان ملكه اليأس قتله الاسف وان عرض له الغضب اشتد به الغيظ وان اسعده الرضى نسى التحفظ وان ناله الخوف شغله الحزن وان اصابته المصيبة قتله الجزع وان وجد مالا اطغاه الغنى وان عضته فاقة شغله البلاء وان اجهده الجوع قصد به الضعف فكل تقصيره به مضر وكل اقراره له مفسد وهذا الفصل كالمطلع على سر مسئلة ما القضا والقدر لان اعمال الجوارح مربوط باحوال القلوب وكل حالة من احوال القلب فانها مستندة الى حالة اخرى حصلت قبلها واذا وقف الانسان على هذه الحالة علم انه لا خلاص من الاعتراف بالجبر وذكر الامام الغزالى فى الاحياء فصلا ثم قال فان قلت انى اجد من نفسى انى ان شئت الفعل فعلت وان شئت الترك تركت فيكون فعلى حاصلا بى لا بغيرى اجبنا وقلنا هب انك وجدت من نفسك ذلك الا انا نقول وهل يجد من نفسه انك ان شئت ان تشاء شيأ شئت وان شئت ان لا تشاء لم تشأ اما اظنك تقول ذلك الا لذهابك مرة الى ما لا نهاية له فلا مشيئة بك ولا لاحصول فعلك بعد حصول مشيئتك بك وانما انت مضطر فى صورة مختار والله تعالى اعلم قال بعض العلماء انه تعالى نفى الفقه والفهم عن قلوبهم فى معرض الذم وهذا دليل على ان محل الفقه هو القلب واقول ليس المراد بالقلب ههنا اللحم المصنوبرى بل اللطيفة الربانية التى بها يكون الانسان انسانا وقد يعبر عنها بالنفس الناطقة وبالروح اما قوله اولئك كالانعام بل هم اضل فنقول ان الانسان يشارك سائر الحيوان فى القوى الطبيعية الغاذية والنامية والمولدة وفى منافع الحواس الخمس الظاهرة وفى احوال التخيل والتفكر وانما يحصل الامتياز بالقوة العقلية والفكرية التى تهدى بها الى معرفة الحق لذاته والخير لاجل العمل به فاذا لم تحصل هذه الغاية للانسان صار فى درجة الانعام بل اضل وادون لان الذى اعرض عن اكتساب الفضائل مع القدرة على تحصيلها من حيث النوع كان اخس حالا ممن لم يكسبها مع العجز عنها وقيل وجه الاضلية ان الانعام مطيعة لله والكافر غير مطيع فقال مقاتل الانعام تعرف ربها وتبصر منافعها ومضارها فتسعى فى تحصيلها ودفعها وهؤلاء الكفار اكثرهم معاندون مصرون وقيل انها تفر ابدا الى اربابها ومن يقوم بمصالحها والكافر يهرب عن ربه الى الاصنام وقيل انما لا تفعل اذا كان معها مرشد والكافر يقبل بعد ارسال الرسل وانزال الكتب ولذلك هم الغافلون اى الكاملون فى الغفلة وقال علماء اتيهم الغافلون عما اعد الله لاوليائه من الثواب ولاعدائه من العقاب ثم نبه بقوله ولله الاسماء الحسنى على ان الموجب لدخول جهنم هو الغفلة عن الله سبحانه والمخلص من عذاب جهنم هو ذكره وكل من اندرج وجد من نفسه ان الامر كذلك فان القلب اذا غفل عن الذكر واقبل على الدنيا وقع فى نار الحرص ونهر الحرمان ولا يزال ينتقل من رغبة الى رغبة ومن طلب الى طلب ومن ظلمة الى ظلمة فاذا اضاء على قلبه باب الذكر خلص من نيران الافات وخسران الحسرات الى معرفة رب الارض والسموات وهذا اللفظ مذكور فى ثلثة مواضع اخر فى بنى اسرائيل وفى طه وفى اخر الحشر ومعنى حسن الاسماء حسن معانيها ومفهوماتها لانها اسماء دالة على معانى الكمال ونعوت الجلال وهى مخصوصة فى نوعها بمعنى عدم افتقاره تعالى الى غيره وثبوت افتقار غيره اليه وقد عرفت فى تفسير البسملة ان اسماء الله تعالى لانكاد تنحصر بحسب السلوب والاضافات فكل من كان وقوفه على اسرار حكمه فى مخلوقاته اكثر كان علمه باسماء الله الحسنى اكثر والاولى ان نقول ان من تفحص اسماء الله سمعا يقوله المتكلمون من ان صفات الله انواع ما يجب عليه وما يجوز وما يستحيل وسمعا ان بقى ان اسماء الله اما ان يجوز اطلاقها على غيره كالرحيم والكريم وان كان معناها فى حق الله مغايرا لمعناها فى حق غيره واما ان لا يجوز نحو الله والرحمن وقد يقبل القسم الاول تقييد مخصوص فيصير من القسم الثانى مثل يا ارحم الراحمين ويا اكرم الاكرمين ويا خالق السموات والارضين ومنها ان بقى من الاسماء ما يمكن ذكره وحده كقولنا يا الله يا رحمن يا حى يا حكيم ومنها ما لا يكون كذلك كقولنا مميت وضار فانه لا يجوز افراده بالذكر بل يجب ان يقال يا محيى يا مميت يا ضار يا نافع ومنها ان بقى اول ما يعلم من صفات الله تعالى كونه محدثا للاشياء مرجحا لوجودها على عدمها وذلك انما يعلم بواسطة الاستدلال بوجود الممكنات عليه وذلك المرجح اما ان يرجح على الوجوب او على سبيل الوجوب او على سبيل الصحة والاول باطل والا لكان دوام العالم بدوامه والثانى هو المطلوب بكونه قادرا ثم اما بعد هذا نستدل بكونه افعاله محكمة متقنة على كونه عالما ثم نقول ان القادر العالم يمتنع ان لا يكون حيا فظهر ان العلم بصفة ما تعالى وباسمائه ليس واقعا فى درجة واحدة بل العلم بها علوم مترتبة يستفاد بعضها من بعض ومن البين ان الاسماء الحسنى لا يكون الا لله تعالى لان كل الشرف والجلال لا يستلزم وجوب الوجود وكل نقص وخساسة فانه يعقب الامكان وكل اسم لا يفيد فى المسمى صفة كمال وجلال فانه لا يجوز اطلاقه على الله تعالى ومن ههنا اختلف فى انه هل يطلق عليه اسم الشئ ام لا وقد مر تحقيق ذلك فى تفسير البسملة وفى الانعام فى قوله قل اى شئ اكبر شهادة قل الله اما قوله فادعوه بها ففيه دليل على ان الانسان لا يجوز ان يدعو ربه الا بتلك الاسماء الحسنى الا ان عرف معانيها ويكون مستحضرا لامرين عزة الربوبية وذلة العبودية كما ذكر فى قوله عند التحريم الله اكبر يشير الى انه لا نسبة لكبريائه وعظمته الى ما سواه من الروحانيات والجسمانيات والعلويات والسفليات وانما هو اكبر من هذه الاشياء وذروا الذين يلحدون فى اسمائه قال ابن السكيت الملحد العادل عن الحق والمدخل فيه ما ليس منه يقال قد الحد فى الدين والحد وقال غيره من اهل اللغة الالحاد العدول عن الاستقامة والانحراف عنها ومنه اللحد الذى يحفر فى جانب القبر قال الواحدى الاجود قراءة العامة ولا يكاد يسمع الا حد بمعنى ملحد والالحاد فى اسماء الله تعالى يقع على ثلثة اوجه الاول اطلاق اسمائه المقدسة على الاصنام كاشتقاقهم اللات من الله والعزى من العزيز ومناة من

واكبر من ان قوله اكبر فقد الاسماء

المنان وكان مسيلمة الكذاب يسمى نفسه بالرحمن والثاني ان يسموه بما لا يجوز عليه كما سمع عن المبتدعة قالوا بجهلهم يا ابا الكارم يا ابيض الوجه يا مجيبا على ان النحوة مدح الثالث ان يأتوا بتسمية بعض اسمائه الحسنى كالرحمن مثلا قال بعض العلماء ان ورود الاذن في بعض الاسماء لا يجوز اطلاقه في سائر الالفاظ المشتقة منه عليه فلا يجوز ان يقال يا معلم وان ورد وعلم الاسماء وكذا في خلق الانبيا لا يجوز ان يقال ان آدم عاص اوغاو وان ورد وعصى آدم ربه فغوى ثم اوعد الملحدين في اسمائه بقوله سيجزون ما كانوا يعملون ثم اخبر ان كثيرا من الثقلين مخلوقون للجنة فقال وممن خلقنا امة يهدون بالحق وقد ورد مثل هذه الآية في قصة موسى فعن قتادة وابن جريج وابن عباس ان المراد بالآية امة محمد صلى الله عليه آله وروى الربيع ان النبي ﷺ كان يقول اذا قرأها هذه لكم وقد اعطى القوم بين ايديكم مثلها وعن الربيع بن انس ان النبي ﷺ قرأ هذه الآية فقال ان من امتي قوما على الحق حتى ينزل عيسى وعن الكلبي هم الذين امنوا من هذا الكتاب وقال الجبائي هم العلماء والدعاة الى الدين في كل حين ثم عاد ذكر الكفار وما عليهم من الوعيد فقال والذين كذبوا بآياتنا قال ابن عباس يريد اهل مكة والظاهر انه عام والاستدراج استفعال من الدرجة ومنه درج الصبي اذا قارب بين خطاه ودرج الكتاب اذا طواه شيئا بعد شيء ومعنى الآية سنقربهم الى ما يهلكهم ويضاعف عقابهم من حيث لا يعلمون ما يراد بهم وذلك كلما افدوا على ذنب فتح الله عليهم بابا من ابواب الخير فيزدادون بطرا وانهماكا في الغي والفساد ثم يأخذهم اعفل ما يكونون وامليت لهم املي اطيل لهم مدة عمرهم ان كيدي متين عن ابن عباس يريد ان مكري شديد والمتين من كل شيء هو القوي وقيل متين متانة واحتج الاشاعرة بالفاظ الاستدراج والاملاء والكيد بمسئلة القضاء والقدر قال بعض المعتزلة سنستدرجهم الى الكفر مع انه فاسد لان جزاء الكفر لا يكون كفرا فحملها المعتزلة على ان المراد سنستدرجهم الى العقوبات اما في الدنيا او في الآخرة ويضعف بان هذا الاستدراج والامهال مما يزيد الكافر بها كفرا وعنوا واستحقاقا للعقاب فلو اراد بهما خيرا لامانه قبل ان يصير مستوجبا لتلك الزيادات من العقوبة بل كان يجب في حكمته ورعايته للاصلح ان لا يخالفه بل اراد ان يميته قبل التكليف فلما خالفه واقناه في ورطة التكليف وامهله ومكنه من المعاصي مع علمه بان كل ذلك لا يفيده الا مزيد استحقاق العقاب علمنا انه ما خلقه الا للنار قال ولقد ذرأنا لجهنم لانه التأويل واذا احتمل ربك له يقل ربكم لان في الآية غموضا لا يطلع عليه غيره وغيره من انعم به عليه من خواص مثابته وانه تعالى يكلم احدا وهو بعد في العدم الا بما دام كلامه وهم غير موجودين واجابوه وهم معدومون فجرى بالجهل الموجود مجرى الموجود بل انهم والملهذا ينفي فيما بينهم بان يكون الله تعالى اسمعهم ابصارهم والسنتهم انما اشهدناهم وانابانا رضوا بالاثنينية وبادروا الى الوحدة بالفناء في الله بما فعل المبطلون الذين ابطلوا استعداد الرجوع الى الوحدة لله ولعلهم يرجعون بهذا الدليل الى ان من ابد الآباد لا بد الى انتهاء ذو هو مقام الوحدة فاسلم منها اسلم وقع قرحة هذه العلة عن قلوب طلب الحق ومجته فادركته هزة الشيطان وجعلته من الهالكين ليعلم ان المعصوم من عصمه الله وان السالك بل الواصل يجب ان لا يأمن مكر الله فلا يفتح على نفسه ابواب النعم والتنعم ولا يميل الى حب المال والجاه ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا منهم مظاهر القهر فادعوه بها بان يتصفوا بصفاته بالتبرأ من الصالحات وبالاعمال التي اكيانات لم يتخلفوا بها بالاحوال بتصفية مرآة القلب ومرائيه عن التعلقات بما سوى الله تعالى والذين كذبوا بآياتنا بان لم يراقبوا اعمالهم فيما يقولون سنستدرجهم فيخطون عن مراتبهم بالتدريج والله اعلم

أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ

ایا اندیشه نکردند در رفیق ایشان از روی [illegible] ترسانندهٔ ظاهر ایا نمینگرند در حقیقت آسمانها وزمین وبچه آفریده

اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَ

خدا از چیزها واکه شاید بود همه که نزدیک رسیده باشد اجل ایشان پس بکدام حدیث بعد از ایمان آورند هر که گمراه کرد خدا پس نیست راه نمای مر او را و

يَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ

واگذارد ایشان را در گمراهی ایشان که میروند سؤال میکنند تو را از قیامت که کی باشد برپا شدن آن بگو که دانش و فرستادن آن پیش پروردگار من است معلوم میکند زمان آن مگر او

ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ

سنگین است در آسمانها وزمین فرو نمیآید شما را مگر ناگهان سؤال میکنند تو را گویا تو دانا هستی از آن بگو که دانش آن نزد خدا است ولیکن بیشتر مردم

لَا يَعْلَمُونَ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ

نمیدانند بگو که مالک نیستم از برای خود سود را و نه زیان را مگر آنچه خواهد خدا واگر بودمی من دانای غیب هر آینه بیاندوختم از خیر و نرسیدی

السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ع ۱۹

بمن هیچ بدی نیستم من مگر ترساننده و مژده دهنده مر گروهی را که ایمان آورند اوست آنکه آفرید شما را از یک تن و گردانید از آن تن جفت او را تا آرام گیرد بسوی او

فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ

پس چون بپوشید مرد زن را برداشت زن باری سبک پس بگذشت بآن و آمد چون سنگین شد خواندند خدا را پروردگار خود را که اگر دهی ما را فرزندی شایسته هر آینه باشیم از سپاسگزاران

فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ

پس چون داد ایشان را فرزند شایسته قرار دادند مر او را انبازان در آنچه داد ایشان را پس برتر است خدا از آنچه شریک قرار دهند ایا شریک قرار دهند آنچه را که نیافریند چیزی او ایشان

يخلقون

الاعراف ٧

يخلقون ولا يستطيعون لهم نصرا ولا انفسهم ينصرون ٠ وان تدعوهم الى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم
آفرينند وتوانا نيستند ايشان را براى ايشان يارى كنند واگر بخوانى ايشان را بسوى راستى متابعت نكنند شما را يكسانست بر شما چه بخوانيد ايشان را
صامتون ٠ ان الذين تدعون من دون الله عبادا امثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين ٠ الهم ارجل
خاموشان باشيد بدرستى كه آنهائى را كه ميخوانيد از غير خدا بندگانند مانند شما پس بخوانيد ايشان را پس مستجاب كنند شما را اگر هستيد راستگويان ٠ ايا مر ايشان را
يمشون بها ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم اذان يسمعون بها قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا
كه راه روند بپاها از براى الهيات وستهاى كه عطا كرده شده ايشان را بدانها يا مر ايشان را دستهاى كه بشوند بآن يا مر ايشان را چشمها كه بينند بآن يا مر ايشان را گوشها كه بشنوند بآن بگو بخوانيد شريكان خود را پس كيد سازيد بمن پس
تنظرون ٠ ان وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين ٠ والذين تدعون من دونه لا يستطيعون
زنهار مكنيد مرا ٠ بدرستى كه صاحب من آنخداى است كه فرو فرستاد كتاب را واو دوست ميدارد كارهاى نيكو كاران ٠ واما كه ميخوانيد از غير او
نصركم ولا انفسهم ينصرون ٠ وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون
يارى شما را ونه خودشان را يارى كنند ٠ واگر بخوانيد آنها را بسوى راستى نشنوند ومينگرند بسوى تو وايشان نميبينند

القراءة فبأى بتليين الهمزة حيث كان الأصفهانى عن ورش وحمزة فى الوقف وبدرهم بالياء مرفوعا ابو عمرو وسهل ويعقوب وعاصم غير عباد والمفضل وبدرهم بالياء مجرورا وعباس وحمزة وعلى وخلف بالنون مرفوعا ان انا الا بالمد ابو نشيط شركا بكسر الشين وسكون الراء ابو جعفر ونافع وابو بكر وحال الاخرون شركاء على الجمع يتبعوكم مخففا نافع بالنون بالتشديد يبطشون بضم الطاء يزيد قل ادعوا بكسر اللام للساكنين وكذا بابه حمزة وعاصم وسهل ويعقوب وعباس الاخرون بالضم للاتباع كيدون بالياء فى الحالين سهل ويعقوب وابن شبوة عن قبل ابو عمرو ويزيد واسمعيل الحلوانى عن هشام فى الوصل ينظرون بالياء فى الحالين يعقوب فى الوصل سهل وعباس فى الوصل ان ولى الله بياء واحدة مشددة ابو زيد عن المفضل وشجاع وعباس اذا قرأ بالادغام الكبير وليى بثلث ياءات الياء الرابعة التى للمتكلم ورش وابن كثير بياء مكسورة والثانية مفتوحة الوقف من غير شرط بين ٠ من شئ لان التقدير وفى ان عسى اجلهم لا يبدأ الا شفها مع الفاء يؤمنون هاء الوصل من قراءة وبدرهم بالرفع على الاستيناف ومن جزم فلا وقف لانه معطوف على موضع فلا هادى له يغمهون مرسيها عند ربى لا يختلف الجليه الا هو ثقلت فى الاعراف وخفيت هنا غيب عنها لا يعلمون ٠ ما شاء الله استثناء من الجزع لاحتمال ان يفسر السوء بالجوع فيكون معطوفا على جواب لو واحتمال ان يفسر بالجنون الذى نسبوا اليه فيكون ابتداء نفى يؤمنون ٠ الهياج لاجل الفاء فرق برج لذلك لشاكرين ٠ فيما اتيهما لا ينبئك النشر بتخفيف الوصل بحذف الهمزة يشركون وهم يخلقون ٠ والوصل اولى للعطف ينصرون ٠ لا يتبعوكم صامتون صادقين يمشون بها الاعراف فاطفه مع اتفاقهما فى معنى ابتداء الاستفهام للانكار والثانية والثالثة كذلك يسمعون بها ط ينظرون ٠ الكتاب والوصل اولى ليكون الواو عاطفة الصالحين ٠ ينصرون لا يسمعوا لا يبصرون ٠ التقسيم يتعالى لما بالغ فى تهديد الملحدين المعرضين عن ايات الغافلين عن التامل فى بينات غاير بينهما فى الجواب عن شبههم فقال اولم يتفكروا ازاء علم ان الرؤية بالبصر لها محصورة بالانكشاف والجلاء ولها مفقد هى تقليب الحدقة الى جهة المرئى كذلك البصيرة وهى استعمال العلم واليقين متعينة بالوضوح والانارة ولها مفقد هى تقليب حدقة القلب الى الجوانب طلبا لذلك وهذه الحالة تسمى نظر العقل وفكرته وفى اللفظ محذوف والتقدير اولم يتفكروا فيعلموا ما بصاحبهم من جنة وهى حالة من الجنون كالمجلسة كان جها اهل مكة ينسبونه الى الجنون لوجهين احدهما انه كان يغشاه حالة عجيبة عند الوحى شبيهة بالغشى يتربد وجهه وتتغير لونه والثانى ان عقله وهو لا عراضه عن الدنيا والاقبال على الاخرة والدعاء الى الله تعالى كان مخالفا لعقلهم عن الحسن وقتادة ان النبى ص قام ليلا على الصفا يدعو فخذا فخذا من قريش يا بنى فلان يا بنى فلان بخذرهم باس الله وعقابه فقال قائلهم ان صاحبكم هذا لمجنون واطبق على الصياح فامرهم الله تعالى بالتفكر والتدبر فى امره وذلك انه ص كان يدعوهم الى عبادة الله وحده ويقيم عليهم الدلائل القاطعة بالفاظ فصيحة عجز الاولون والاخرون عن معارضتها وكان حسن الاخلاق طيب العشرة مرضى السيرة مواظبا على اعمال حسنة صار بسببها قدوة العقلاء العالمين ومن المعلوم بالضرورة ان مثل هذا الانسان لا يمكن وصفه بالجنون وانما هو نذير مبين ارسله رب العالمين لترهيب الكافرين وترغيب المؤمنين ولما كان النظر فى امر النبوة مفرعا على دلائل التوحيد قال اولم ينظروا فى ملكوت السموات والارض اى فى مدلولاتها والملكوت الملك العظيم وفى عدم النظر دلالة على وجوب الاستدلال فيما للعقل اليه سبيل وقد تضمن هذا الكتاب كيفية دلالة السموات والارض على وجود الصانع ولا سيما فى سورة البقرة عند قوله ان فى خلق السموات والارض ثم قال وما خلق الله من شئ اى مما يقع عليه اسم الشئ من اجناس غير محصورة والغرض التنبيه على ان الدلالة على التوحيد ليست مقصورة على السموات والارض بل كل ذرة من ذرات هذا العالم فيها برهان باهر ودليل قاهر على الوحدانية لانها مختصة بحيز معين من الاحياز غير المتناهية وبقدر معين من المقادير بوضع معين من الاوضاع وكذا الكلام فى لونها وشكلها وطعمها وسائر صفاتها وكل واحد من هذه الاختصاصات لا بد له من مخصص ولا بد من الانتهاء الى واجب واحد فى ذاته وفى جميع اعتباراته وان عسى هى مخففة من الثقيلة والاصل وانه عسى على ان الضمير للشان وفى ان يكون ضمير الشان ابعد والمعنى ولم ينظروا فى ان الشان والحديث عسى ان يكون الشان قد اقترب اجلهم فيموتوا على الكفر فيهلكوا واذا كان احد هذين

الاحتمالين فيما وجب على العاقل المصاحة الى هذا الفكر والنظر سعيا في تخليص النفس من هذا الخوف الشديد والخطر العظيم اما قوله فمتى حدثت بعد ان يموتون فتعلق بقوله عسى ان يكون قريبا لعل اجلهم قد اقترب فما لهم لا يبادرون الايمان بالقرآن قبل الفوت وماذا ينتظرون بعد وضوح الحق وباي حد بشع منه يريدون ان يؤمنوا لا دلالة في الخلاف لفظ الحديث فما يراد في الكلام ولو سلم فانه محمول على الالفاظ والكلمات ولا نزاع في حدوثها قوله من يضلل الله قد سبق تفسيره مثله ثم لما تكلم في النبوة والتوحيد والقضاء والقدر اتبعه الكلام في المعاد فقال يسألونك عن الساعة وايضا لما ذكر اقتراب الاجل بين ان وقت الساعة مكتوم عن الافهام ليصير ذلك حاملا للمكلفين على المسارعة الى التوبة واداء الفرايض ومن السائل عن ابن عباس انهم اليهود قالوا يا محمد اخبرنا متى الساعة ان كنت نبيا فانا نعلم متى هي وعن قتادة انهم قريش قالوا يا محمد ان بيننا وبينك قرابة فاسر الينا متى الساعة قال في الكشاف الساعة من الاسماء الغالبة كالنجم للثريا سميت لوقوعها بغتة او لسرعة حسابها او على العكس لطولها كما بقي للحبتي ابو البيضا او لانها عند الله كساعة من الساعات عند الخلق وايان استفهام عن الزمان ويختص بالامور العظام نحو ايان مرساها وايان يوم الدين ولا يقع ايان بمعنى متى وكسرهمزته لغة سليم وعن ابن حيوة ان اشتقاقه من اى فعلان منه اى فعل من اويت ليه لان البعض يأوي الى الكل وانكر ان يكون اشتقاقه من ابن لانه للزمان وابن للمكان ولفلة فعال في الاسماء وكثرة فعلان فيها وقال الاندلسي اصله اي اوان حذفت الهمزة مع الياء الاخيرة فبقي اوان فادغم بعد القلب قيل اصلها ايمان بمعنى اي حين فخفف بحذف الهمزة فاتصلت الالف والنون بالياء وردت بانها لا يستعمل الا بلام التعريف والمرسى بمعنى الارساء والاثبات والرسو الثبات والاستقرار ولعله لا يطلق الا على ما فيه ثقل ومنه رسا الجبل وارست السفينة ولا اثقل من الساعة على الخلايق قل متى علمها اي علم وقت ارسائها واثباتها وافرارها عند ربي قد استأثر به لم يخبر احدا من ملك مقرب ولا نبي مرسل بل اخفيها من نفسه ليكون ادعى الى الطاعة وازجر عن المعصية كما اخفى وقت الموت لذلك لا يجليها لا يظهرها لوقتها الا هو للخبر عن وقتها قبل مجيئها احد الا هو والحاصل انه لا يقدر على اظهار وقتها المعين بالاخبار والاعلام الا هو ثقلت في السموات والارض قال الحسن اي ثقل مجيئها على اهل السموات لانشقاق السماء وتكوير الشمس وانتثار النجوم وعلى اهل الارض لان في ذلك اليوم فناؤهم وهلاكهم او ثقل هذا اليوم على الخلايق بما فيه من الشدايد والاهوال او ثقل تحصيل العلم بوقتها المعين عليهم اي شكل واستبهم حتى صار ثقيلا على الافهام لا تأتيكم الا بغتة الا فجاءة على حين غفلة منكم وهذه الجمل مؤكدات ومبينات لما افادها وهنا فقال العاطف عن النبي ان الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل يقوم سلعته في سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه وروى الحسن عن النبي انه قال والذي نفس محمد بيده ليقومن الساعة وان الرجل ليرفع اللقمة الى فيه حتى يجول الساعة بينه وبين ذلك ثم كرر يسألونك للتاكيد ولما بينه من زيادة قوله كأنك حفي عنها فكان السؤال الاول عن وقت قيام الساعة والسؤال الثاني عن كنه ثقلها وشدتها ومهابتها ولهذا اخر باسم الله في قوله قل انما علمها عند الله لان اعظم اسماء الله مهابة هو الله والرب يدل على التربية والرفق دون الطيبة والتروح والحفي وجوه فقيل انه البار اللطيف عن بعض الباء اي كأنك بار بهم لطيف العشرة بهم وهذا قول الحسن وقتادة والسدي والضمير عايد الى قريش الذين ادعوا القرابة وجعلوها وسيلة الى ان يخبرهم بالساعة والمعنى انك لا تكون حفيا بهم ما داموا على كفرهم ولو اخبرت بوقتها وامرت بالاخبار عنها لكنت مبالغا القريب البعيد من غير تخصيص كسائر ما اوحي اليك وعلى هذا القول جاز ان يكون عنها متعلقا بيسألونك اي يسألونك عنها كأنك حفي اي عالم بها فحذف قوله بها لطول الكلام او لانه معلوم وقيل عنها متعلق بمحذوف وحفي فعيل من حفي فلان بالمسألة اي استقصى والمعنى كأنك بليغ في السؤال عنها لان من اكثر السؤال عن شيء علم وهذا التركيب يفيد المبالغة ومنه احفاء الشارب واحفى في المسألة اذا الحف وقيل المراد كأنك حفي بالسؤال عنها تحبه وتؤثره يعني انك تكثر السؤال عنها لانه من علم الغيب الذي استأثر الله به ولكن اكثر الناس لا يعلمون انه مختص بذلك العلم او لا يعلمون ان الفهم حق وانما يقولون ان هي الا حيوتنا الدنيا او لا يعلمون السبب الذي لاجله خفيت معرفة وقتها المعين عن الخلق ثم امر نبيه باظهار ذلة العبودية حتى لا يتسبب لسوء ادب من قبل عدم العلم بالغيب فقال قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله وفيه ان قدرته قاصرة وعلمه قليل وكل من كان عبدا كان كذلك والقدرة الكاملة والعلم المحيط ليس الا لله تعالى واحتج الاشاعرة بالاية في مسئلة خلق الاعمال قالوا الايمان نفع والكفر ضر فوجب ان لا يحصلا الا بمشية الله تعالى واجاب المعتزلة بان المراد لا املك لنفسي من النفع والضر الا قدر ما شاء الله ان يقدرني عليه ويمكنني منه وظاهر الاية وان كان عاما الا انها مخصوصة بصورة النزول قال الكلبي ان اهل مكة قالوا يا محمد اخبرك ربك بالسعر الرخيص قبل ان يغلو فتشتري فتربح بالارض التي تريد ان تجدب فترتحل عنها الى ما قد اخصب فنزل الله هذه الاية فالمراد بالخير قوله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير هو جلب منافع الدنيا وخيراتها من الخصب والارباح والاقوات وقيل المراد ما يتعلق بامر الدين يعني لو كنت اعلم الغيب لكنت اعلم ان الدعوة الى الدين الحق تؤثر في هذا ولا تؤثر في ذلك لكنت اشتغل بالدعوة هذا دون ذاك وقال بعضهم لما رجع من غزوة بني المصطلق جاء الى الظريف وهو نفرت منها فاخبرهم بموت رفاعة وكان في خيمة المنافقين وقال انظروا اين ناقتي فقال عبد الله بن ابي لقوم الا يعجب من هذا الرجل يخبر عن موت رجل بالمدينة ولا

يعرف ابن ناقيه فقال صلى الله عليه وآله ان ناسا من المنافقين قالوا كيف ونا فيه في هذا الشعب قد تعلق بها ثمرة فوجدوها على ما قال فنزلت
اما قوله وما مسته السوء فعناه لكان حالي على خلاف ما هي عليه من الغلبة في بعض الحروب والخسران في بعض التجارات والاخطاء في بعض التدابير
ان انا الا عبد مرسل للنذارة والبشارة وما من شأن اعلم الغيب قوله لقوم يؤمنون اما ان يتعلق بالبشير وحده ويكون المتعلق بالنذير
وهو للكافرين محذوفا للعلم به كقوله سرابيل تقيكم الحر او يتعلق بالوصفين جميعا الا ان المؤمنين لما كانوا هم المنتفعين بهما خصوا بالذكر
كقوله هدى للمتقين واعلم ان اكثر ما جاء في القرآن من لفظ الضر والنفع معا جاء بتقديم لفظ الضر على النفع وهو الاصل لان العابد بعيد
معبوده خوفا من عقابه اولا ثم طمعا في ثوابه ثانيا يؤيده قوله يدعون ربهم خوفا وطمعا وحيث ما تقدم النفع على الضر فذلك لسابقة
لفظ تضمن معنى نفع كما في هذه السورة تقدم لفظ الهداية على الضلال في قوله من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل ويقدم الخير
على السوء في قوله لاستكثرت من الخير وما مسني السوء وفي الرعد تقدم ذكر الطوع في قوله طوعا وكرها والطوع نفع وفي الفرقان تقدم
قوله هذا عذب فرات وهو نفع وفي سبأ تقدم البسط في قوله الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وقس على هذا ثم رجع الى تقرير امر التوحيد
وابطال الشرك فقال هو الذي خلقكم من نفس واحدة المروي عن ابن عباس انها عن نفس ادم وقد تقدم مثل ذلك في اول سورة النساء
قال مجاهد كان لا يعيش لادم ولد فاتاه الشيطان اذا ولد لكما ولد فسمياه عبد الحرث وكان اسم ابليس في الملائكة الحرث وذلك
قوله فلما اتاهما صالحا ولدا سويا جعلا يعني ادم وحوا له شركاء والمراد تسميته بعبد الحرث هذا تمام القصة وقد ذهبت النقاد لوجوه منها انه تعالى
قال فتعالى الله عما يشركون بلفظ الجمع لا التثنية ومنها قوله أيشركون ما لا يخلق شيئا الى اخر الايات وفي ذلك تصريح بان المراد الاصنام
ولو كان المراد ابليس لكان ايشركون ما لا يخلق شيئا وهو يخلق ومنها ان ادم عليه السلام كان عالما بجميع الاسماء فكيف صاغت عليه الاسماء ام كيف لم
يعرف ان اسم ابليس كان حارثا ام كيف لم ينبه لعبد الحارث بعد ابليس بعد ان جرى عليه منه ما جرى ومنها انه اراد بذلك اسم علم او اسم صفة والاول لا يستقيم
محمد وذلان اسماء الاعلام لا يفيد في المسميات فائدة فلا يلزم الاشراك والثاني يوجب الكفر الصريح ولا قائل بامكان نسبته الى ادم فعند ذلك
ذكر العلماء في تاويله وجوها احدها ان هذا مثل فكانه تعالى يقول هو الذي خلقكم اي كل واحد منكم من نفس واحدة وجعل من جنسها زوجها
انسانا يسكن اليها وبنى الانسان يكون الى تلك النفس فلذكر بعد ما انث حملا على المعنى ولان الذكر هو الذي يسكن الى الانثى ويطمئن اليها فكان التذكير
احسن لجريانه على المعنى فلما تغشاها اي جامعها لانه اذا علاها صار كالغاشية لها حملت حملا خفيفا قالوا يريد النطفة والحمل بالفتح ما كان في البطن او
على راس الشجرة وبكسر الحاء ما حمل على الظهر وعلى الدابة قرت بداي استمرت وقضت على ذلك الحمل من غير اذى وقبل فقامت وقعدت بمن
غير ما ثقل وقيل المراد بالخفة انها لم تلق ما تلقاه بعض الحبالى من حملهن من الكرب الاذى فلما اثقلت كان وقت ثقل حملها ودنت ولادتها
دعوا الى الزوج والولد جنابه عز وجهه ربهما ومالك امرهما الذي هو الحقيق بان يدعى ويلتجأ اليه فقالا لئن اتيتنا صالحا ولدا قد صلح بدنه ولدا
ذكرا لان الذكورة من الصلاح والجودة لتكونن من الشاكرين لنعائك فلما اتاهما صالحا كما طلبا جعلا له شركاء ومن قرأ شركاء فعلى حذف
المضاف اي ذوي شرك وهم الشركاء ايضا او المراد احدثا لله شركا في ولده لانهم تارة ينسبون ذلك لولده الى الطبايع وتارة الى الكواكب وتارة
الى الاوثان والاصنام وثانيها ان يكون الخطاب لقريش الذين كانوا في عهد رسول الله وهم اولاد قصي والمعنى هو الذي خلقكم من نفس قصي
وجعل من جنسها زوجه عربية قرشية فلما اتاهما طلبا من اولاد الصالح السوي سمتا اولادهما الاربعة بعبد مناف وعبد قصي وعبد الدار
والتميم فيشركون لهما ولاعقابهما الذين افتدوا بهما في الشرك وثالثها سلمنا ان الاية وردت في قصة ادم الا انه لا يجوز ان يكون قوله
جعلا واردا بمعنى الاستفهام على سبيل الانكار والتبعيد ثم قال فتعالى الله عما يشركون اي تعالى الله عن شرك هؤلاء المشركين الذين يقولون
بالشرك وذلك انهم كانوا يقولون ان ادم عليه السلام كان يعبد الاصنام ويرجع في طلب الخير ودفع الشر اليها ونظيره ان ينعم رجل على رجل على وجوه
كثيرة من الانعام ثم يقول لذلك المنعم عليه بقصد ايذائه انك وايصال الشر اليك فيقول ذلك المنعم بئسما تقول لي حق فلان كذا او
احسنت اليه بكذا وكذا ثم انه يقابلني بالشر والاساءة اتبرئ شيء من ذلك فغرضه من قوله اتقابلني بالشر والاساءة اتبرئ من ذلك فغرضه
من قوله اتقابلني بالشر التقبيح والتبعيد او نقول لم لا يجوز ان يكون قوله جعلا له على حذف المضاف اي جعل اولادهما له شركاء كذا فيما
اتاهما اي الذكر والانثى عبر عنهم بلفظ التثنية مرة لكونهم صنفين او نوعين ذكرا وانثى وبلفظ الجمع اخرى وهو قوله فتعالى الله عما يشركون سلمنا
ان الضمير في جعلا وفي اتاهما لادم وحوا الا انهما كانا عزما ان يجعلاه وقفا على خدمة الله وطاعته ثم بدا لهما فكانا ينفعان به في مصالح
الدنيا فاريد بالشرك هذا فاتما قال تعالى عما يشركون لان حسنات الابرار سيئات المقربين او نقول انما سميا عبد الحرث اعتقادا منهما
انه انما سلم من الافات ببركة دعائه وقد يسمى المنعم ومنه قول بعض العلماء انا عبد من علمني حرفا فلما حصل الاشراك في لفظ العبد سما
معا بينهما بذلك والله تعالى اعلم ثم اقام الحجة على ان الاوثان لا تصلح للالهية فقال ايشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون اعتبر
اللفظ اولا فوحد والمعنى ثانيا فجمع وانما جمع بالواو والنون بناء على معتقدهم انهم عقلاء واجتث الاشارة بها في مسئلة خلق الاعمال
فانها تدل على ان غير الله لا يخلق ثم بين ان المعبود يجب ان يكون قادرا على ايصال النفع ودفع الضر وهذه الاصنام ليست كذلك فقال ولا يستطيعون

الغزي وعبادهم

القدر وعلى هذا

عليه عبادة المنعم

لهم نصرا وهو المعونة على العدو ولا انفسهم ينصرون ولا يدفعون عن انفسهم مكروها فان من اراد كسرهم لم يقدروا على دفعه والحاصل
ان الاصنام لا ينصر من اطاعها ولا يفتقر من عصاها بل عبدتهم الذين يدفعون عنهم ويحامون عليهم ثم ذكر انها كما لا ينفع ولا يضر فكذلك لا يعلم
لها شيء من الاشياء وانها لا يصح منها اذا دعيت الى الخير والصلاح الاتباع ولا يفصل حال من يخاطبها ممن يسكت عنهم فقال وان تدعوهم الى
الهدى لا يتبعوكم ويجوز ان يكون المراد وان يطلبوا منهم كما تطلبون من الله الخير لا يتبعوكم الى مرادكم وطلبتكم ولا يجيبكم كما يجيبكم الله بدليل
قوله بعد فادعوهم فليستجيبوا لكم ثم قوى هذا الكلام بقوله سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون واعرابه شبيه بما تقدم في اول
سورة البقرة في قوله سواء عليهم انذرتهم ام لم تنذرهم وانما عطف الاسمية على الفعلية لان هؤلاء المشركين اذا دعوا في مهم ومعضلة
تضرعوا الى تلك الاصنام واذا لم يحدث تلك الواقعة بقوا ساكتين صامتين فقيل لهم لا فرق بين احداثكم دعاءهم وبين ان تستمروا على صمتكم
ثم اكد بيان انها لا تصلح للالهية بقوله ان الذين تدعون من دون الله عبادٌ امثالكم فسل انى كيف يحسن وصف الجمادات بانها عباد
واجيب بعد تسليم اختصاص العباد بالعقلاء بان ذلك ورد على معتقدهم انها عقلاء ربما نوع من الاستهزاء اى قصارى امرهم ان
يكونوا احياء عقلاء فان ثبت لك فهم عبادا مثالكم ولا فضل لهم عليكم فلم قبلتموها الهة لكم وارباباً ثم بين عدم التفاضل بقوله
فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين في انها الهة ولام الامر للتعجيز فانه اذا ظهر لكل عاقل انها لا تفيد على الاجابة ظهر انها لا تصلح للعبودية
وانها والعبا سواء بل لهم اخس وادون بدليل قوله الهم ارجل يمشون بها الايزدد لك ان كل ما من شانه ان يكون لهذه الاعضاء و
الالات فاذا كان فيها قوى محركة ومدركة كان هو افضل ممن خلا اعضاؤه عن هذه القوى فكيف يليق بالافضل الاكرم الاشرف عبادة
المفضول الخسيس الدني وانما قلنا كل ما من شانه ان يكون له هذه الاعضاء لان من جل عن ثبوت هذه الاعضاء والجوارح له فعدمها
الاشياء بالنسبة اليه فضيلة وكمال فان الفادر القاهر من غير افتقار الى الة وعدة كان اشرف ممن يفتقر في افعاله الى الالات فضلا عمن لا
فعل له البتة فلا يرد اعتراض بعض اعمار المشبهة ان الله تعالى لو لم تكن له هذه الاعضاء لكان عدمها دليلا على عدم الهيته ثم انهم كانوا يخوفون
رسول الله صلعم بالهتهم كما قال قوم هود ان نقول الا اعتراك بعض الهتنا بسوء فقال عز من قائل لنبيه قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا
من الكيد المكر ولا تنظرون نهي من الانظار الامهال والخطاب لهم ولشركائهم جميعا وهذا قول واثق بعصمة الله ان لا يبالي بغير الله
كائنا من كان ثم لما امرهم بالتبري حثه على التولي فقال ان وليي اي ناصري عليكم الله الايزوفيه ان الواجب على كل عامل عبادة الذي يتولى
تحصيل منافع الدارين اما الدنيوية لاخروية فبسبب انزال الكتاب المشتمل على العلوم الخمسة واما الدنيوية فهو المراد بقوله وهو يتولى الصالحين
الصالحين اي من عباده فان ينصرهم فلا يضرهم عداوة من عاداهم وفي ذلك باس للمشركين ان يضروا كيدهم بحكم ان عمر بن العبد العزيز
كان لا يدخر لاولاده شيئا فقيل له في ذلك فقال اما ان يكون ولدي من الصالحين فتوليه الله ولا حاجة له الى مالي واما ان يكون من
المجرمين وقد قال تعالى فلن اكون ظهيرا للمجرمين ومن رده الله لم اشتغل باصلاح مهماته قول في التقريب بالاية الثانية نظرا لانها
حكاية كلام موسى الا انه لا ان بقي التقريب في التقرير ثم اعاد وصف الاصنام بمثل الصفات المذكورة فقال والذين تدعون من دونه
الاية قال الواحدي انما اعيد هذا المعنى لان الاول مذكور على جهة الفرق بين من يجوز له العبادة وبين من لا يجوز كانه قيل الاله المعبود
يجب ان يكون بحيث يتولى الصالحين وهذه الاصنام ليست كذلك فلا تكون صالحة للالهية وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا الاسماع سمع
ولا سماع اجابة وقبول تحسبهم ينظرون اليك اشبهوا الناظرين اليك لانهم صوروا اصنامهم بصورة من قلب حدقته الى الشيء ينظر
اليه وهم لا يبصرون لانه يكون المرئي وقيل الضمير في قوله وان تدعوهم الى اخر الاية يعود الى المشركين المذكورين في قوله قل ادعوا والمراد انهم
بلغوا في الجهل والحماقة الى تلك الدعوة واظهروا انواع الجحد والبهتان لو سمعوا بعقولهم لعلموا البتة وتراهم الى التاس اليك ينظرون ولكنهم لشدة
اعراضهم عن قبول الحق لم ينتفعوا بذلك النظر فكانهم عمي بصيرته قوله في موضع اخر فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور والتاويل
اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض لارباب العقول والاستدلال لتحصيل الايمان ولارباب القلوب لولوج والكشف لحصول الايقان والعيان
وما خلق الله من شيء يعني عالم الملك لخلوق من مادة بخلاف عالم الملكوت الذي ابدع من غير شيء وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم يعني اجل
فناءهم عما سوى الحق فان لم يؤمنوا بطريق النظر استدلالا لانباي حديث بعده اي بعد النظر يؤمنون يستأنف من الساعة التي يظهر الله تعالى
فيها اثار صفة القهارية لافناء عالم الصورة فلا يبقى منه داع ولا مجيب هو بنفسه لمن الملك اليوم لله الواحد القهار لاستكثرن من الخير من الجوة
الابدية ودفع الحاجات البشرية خلقكم من نفس واحدة هي الروح وخلق منها زوجها وهي القلب ليسكن اليها لان القلب يمين من اصبعين من اصابع
الرحمن فكان الروح بتمامه من القلب كتمام الطائف الذي حمل حملا خفيفا في البداية بظهور ادنى اثر من اثار الصفات البشرية في القلب الروح
فلما انتقلت كثرت اثار الصفات خاف الروح والقلب على انفسهما من تبدل الصفات الروحانية الاخروية النورانية بالصفات النفسانية
الدنيوية الظلمانية فدعوا الله ربهما لئن اتيتنا صالحا قابلا للعبودية لنكونن من الشاكرين فلما اتاهما صالحا جعلا له الروح
والقلب شركاء اي جعلا وجه النفس الى الدنيا ونعيمها فصار ت عبد البطن وعبد الخميصة وعبد الدرهم والدينار ولا يستطيع

لهم نصرا الی لا یستطیع الدنیا ومن فیها الروح والقلب والنفس تفویته وتربیته الا بالله ولا انفسهم ینصرون للبقاء والدوام
خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ
پیشه گیر درگذشتن را و بفرمای به نیکوئی و روگردان باش از نادانان واگر برسد ترا از دیو وسوسه پس پناه بر بخدای راست شنونده دانا
إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ
بدرستی آنانکه پرهیز کردند هرگاه برسد بایشان رانده وسوسه از شیطان یاد کردند خدای را پس ایشان بینا شدند و برادران ایشان میکشند ایشان را در گمراهی پس کوتاهی نمیکنند
وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِن رَّبِّي هَٰذَا بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ
وچون نیاوری ایشان را بآیتی گویند چرا فراهم نیاوردی آنرا از خود بگو من پیروی نمیکنم مگر آنرا که وحی شود بمن از پروردگارم این بینائیهاست از پروردگارتان و رهنمائی و رحمتی مر گروهی را
يُؤْمِنُونَ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً
که میگروند وچون خوانده شود قرآن پس گوش دهید او را و ساکت شوید شاید که شما رحم کرده شوید و یاد کن پروردگار خود را در نفس خود زاری و پنهانی
وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ
وجز از آواز میان گفتار در بامدادان و شبانگاهان و مباش از بیخبران بدرستی کسانی که در نزد پروردگار تو اند سرنمیپیچند از عبادت او تسبیح کنند او را و مر او را سجده کنند

القراء الخفیف بسکون الیاء ابن کثیر وابو عمرو وسهل ویعقوب علی الباقون طائف علی وزن فاعل یمدونهم من الامداد ابو جعفر ونافع الاخرون بفتح الیا وضم المیم من المد العفو وامر مدغما ابو عمرو وقرئ بغیر همز حیث کان بن بدد والثمونی وحمزة فی الوقف الوقوف الجاهلین ۵ بالله ۵ علیم ۵ مبصرون ۵ لان قوله واخوانهم مبتدأ الا ان المغیر یقتضی الوصل لبیان اختلاف حالی الفریقین لا یقصرون اجتبیتها ط من ربی لاختلاف الجملتین بالعطف مع اتحاد المقول یؤمنون ترحمون من الغافلین یسجدون سجدة النفس لما ذکر فساد طریقة عبدة الاصنام وبین النهج القویم والصراط المستقیم ارشد الی مکارم الاخلاق فی العفو الفضل وکل ما اتی من غیر کلفة واعلم ان الحقوق التی یستوفی من الناس اما ان یجوز ادخال المسامحة فیها او هو المراد بقوله خذ العفو وبدخلها مع الخلق مع ترک الغلظة والفظاظة ومن هذا الباب ان یدعو الخلق الی الدین الحق بالرفق واللطف کما قال فی حق نبینا ص فبما رحمة من الله لنت لهم واما ان لا یجوز دخول المسامحة فیها وذلک قوله وامر بالعرف وهو المعروف والعادة وانه کل امر عرف انه لا بد من الاتیان به ویکون وجوده خیرا من عدمه فلو اقتصر فی هذا القسم علی الاخذ ولم یبذل فی ذلک سعه کان راضیا بتغلب الباطل والحق ثم اذا امر بالمعروف ورغب فیه ونهی عن المنکر ونفر عنه فربما اقدم بعض الجاهلین علی السفاهة والایذاء فلهذا قال واعرض عن الجاهلین قال عکرمة لما نزلت هذه الایة قال رسول الله ص ما جبرئیل ما هذا فقال لا ادری حتی اسئل ثم رجع فقال یا محمد ان ربک امرک ان تصل من قطعک وتعطی من حرمک وتعفو عمن ظلمک قال اهل العلم تفسیر جبرئیل مطابق للفظ الایة فانک اذا وصلت من قطعک فقد عفوت عنه واذا اعطیت من حرمک فقد امرت بالمعروف واذا عفوت عمن ظلمک فقد اعرضت عن الجاهل وروی عن جعفر الصادق علیه السلام لیس فی القرآن آیة اجمع لمکارم الاخلاق من هذه الایة ولبعض المفسرین فی تفسیر الایة طریقة قالوا اخذ العفو ای التوبة وقبول ما سهل من اخلاق الناس ولا تستقص ما وراء ذلک فنسخت بایة الزکوة وامر بالمعروف ای باظهار الدین الحق وهذا غیر منسوخ واعرض عن الجاهلین ای المشرکین وهذه منسوخة بایة القتال والحق ان تخصیص اخذ العفو بالمال تقیید للمطلق من غیر دلیل ولو سلم فایجاب الزکوة بالمقادیر المخصوصة لا ینافی ذلک لان اخذ الزکوة مامور به ان لا یاخذ کرائم اموال الناس وان لا یشدد الامر علی المزکی وایضا لا یمتنع ان یؤمر النبی بان لا یقابل سفاهة المشرکین بمثلها ولکن بقابلهم واذا کان الجمع بین الامرین ممکنا فلا حاجة الی التزام النسخ قال ابو مسلم لما نزل قوله واعرض عن الجاهلین قال رسول الله ص کیف کیف یا رب والغضب فنزل وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ ای عزوب یخس النزغ النخس کما یقال جد فی زید نزغت ما بین القوم ای افسدت ما بینهم واصله الاتعاج بالحرکة الی الشر واکثر ما یکون ذلک عند الغضب نزغ الشیطان وسوسته فی القلب یقال للانسان مر المعاصی وعلاجه ودفعه انما یکون بالاستعاذة وهی الاستخلاص عن حول الشیطان وقوته الی حول الرحمن وقوته والاعراض عن مقتضی الطبع والاقبال علی اوامر الشرع عن معاذ بن جبل قال استشتب جلدان عند النبی ص حتی عرف الغضب فی وجه احدهما فقال النبی ص انی لاعلم کلمة لو قالها لذهب غضبه اعوذ بالله من الشیطان الرجیم قال بعض الطاعنین فی عصمة الانبیاء لو لم یجز علی النبی الاشتغال علی وسوسة الشیطان لم یؤمر بالاستعاذة والجواب ان کلمة ان لا یفید وقوع الشرط ولو سلم فمن این علم انه ص قبل تلک الوسوسة مند ولو سلم فمحمول علی ترک الاولی ثم ختم الایة بقوله انه سمیع علیم لیعرف ان القول اللسانی بدون المعارف الحقیقیة عدیم الفائدة وکانه تعالی قال ذکر لفظ الاستعاذة بلسانک فانی سمیع واحضر معنی الاستعاذة فی ضمیرک فانی علیم ثم بین ان حال المتقین قد تزید علی حال النبی ص فی باب وسوسة ابلیس فان النبی لا یکون له الا النزغ الذی هو کالبدء الوسوسة واما المتقون فقد یمسهم الشیطان وذلک قوله ان الذین اتقوا اذا مسهم طائف قال الفراء الطائف کالخاطر وجوز بعضهم ان یکون مصدرا کالعافیة ولکنه بلا بناء والاصح انه اسم فاعل من طاف یطوف ومن طاف بالخیال یطیف طیفا ومن قرأ طیفا فهو اما مصدر کما مر او اسم ومن الشیطان واما مخفف طیف فنعامن طاف یطیف کلبن او من طاف یطوف کمیت قال الکشاف

وهذا تاكيد وتقرير لما تقدم من وجوب الاستعاذة بالله عند نزغ الشيطان وان المتقين هذه عادتهم اذا اصابهم نزغ من الشيطان و
الامام بوسوسته ومفعول تذكروا محذوف اى تذكروا ما امر الله به ونهى عنه فابصروا السداد واعلم ان الغضب انما يهيج بالانسان اذا استفيض من
المغضوب عليه علما من الاعمال ثم اعتقد في نفسه كونه قادرا على المغضوب عليه كونه عاجزا عنه اذا كان واقفا على ظلمات الاحياء فيغتر بظواهر
الامور فاذا انكشف له نور من عالم العقل عرف ان المغضوب عليه انما اقدم على ذلك العمل لان الله تعالى خلق فيه داعية جازمة وقد علم منه
تلك الحالة في الازل وحتى كان ذلك فلا سبيل له الى تركها فيفتر غضبه كما قال ص من عرف سر الله في القدر هانت عليه المصائب وايضا اترك اسا
في العمل قد تجاوز الله عنه وان الله اقدر عليه منا فاذا امضى الغضب كان شريكا للسباع المؤذية واذا اظهر العفو كان مضاهيا للانبياء والاولياء
مستاهلا للثواب الجزيل وانما قلنا ان الضعيف قوبل بالجملة فالمراد من قوله تعالى اذا مسهم طائف من الشيطان ما ذكرنا من الاعتقادات والمراد
من قوله تذكروا الامور التي تفيد ضعف تلك الاعتقادات اما قوله واخوانهم فالضمير فيه يرجع الى الشيطان وجمع لان المراد به الجنس كقوله اولياؤهم
الطاغوت والضمير المرفوع في يمدونهم يرجع الى الاخوان لان شياطين الانس يعضدون شياطين الجن على الاغواء والاضلال او الى الشياطين
الذين لبسوا بمتقين فان الشياطين يمدونهم اى يكونون مددا لهم الى الغي ويجوز ان يراد بالاخوان الشياطين والضمير المجرور يعود الى الجاهلين
فيكون الخبر جاريا على ما هو له قال في الكشاف والاول اوجه لان اخوانهم في مقابلة الذين اتقوا فالواحد عامة ما جاء في التنزيل ثم يمدونهم
ويستجاب امدادهم على افعل كقوله انما نملي لهم ليزدادوا اثما نمدهم به من مال وامددناهم بفاكهة نمدهم ونزيدهم وما كان بخلا فانه يجيء على مددت قال ومنه هم في
طغيانهم يعمهون فالوجه ههنا قراءة العامة ووجه الغي الاستهزاء والتهكم نحو فبشرهم بعذاب اليم اما قوله ثم لا يقصرون فالاقصار الكف عن الشيء
قال ابن عباس اى لا يمسك الغاوي عنه الضلال والمغوي عن الاضلال ومعنى ثم تبعيد عدم الاقصار عن المدد فانه يجب على الغافل اذا اقبل
على الغي ان يمسك عنه سريعا الا ان تمادي فيه وتهمك وطال فيقل الرجوع الى الحق اذ من التمادي في الباطل ثم ذكر نوعا واحدا من اغوائهم فقال
واذا لم تاتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها اى هلا تقولت تلك الآيات من تلقاء نفسك كقولهم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض
ينبوعا ثم انهم ما كانوا يريدون بها فعند ذلك قالوا لولا اجتبيتها اى تقولتها من تلقاء نفسك يقال اجتبيته بمعنى اجتبيت لنفسك من جمع وجبى اليه فاجتباه اى اخذه والمعنى هلا
افتعلتها وجئت بها من عند نفسك لانهم كانوا يقولون ان هذا الا افك مفترى وكانوا ينسبون الى السحر والمراد هلا اخذتها وافتريتها على
الله تعالى ومعلوم ان كنت صادقا في ان الله يجيب دعاك ويسعف باقتراحك عند هذا امر رسوله ان يذكر في الجواب انما اتبع ما يوحى الي من ربي
وليست بمقترح الآيات اولست بمقترح طامتم بين ان عدم الاتيان بتلك المعجزات التي اقترحوها لا يقدح في الغرض لان ظهور القرآن على
وفق دعواه معجزة باهرة قاصرة كافية في تصحيح النبوة فكان الطلب لمزيد من التعنت فقال هذا يعني القرآن بصائر اطلاق لاسم المسبب وذلك
ان فيها حجا بينة تفيد للقلوب بصيرة وكشفا وهدى للمستدلين الواصلين بالنظر والاستدلال الى درجة العرفان فالبصائر لاصحاب
عين اليقين والهدى لارباب علم اليقين والرحمة بغيرهم من الصالحين المفلحين والجمع لقوم يؤمنون ولما عظم شان القرآن بتلك الاوصاف
علم المكلفين ادبا حسنا في بابه فقال واذا قرئ القرآن فاستمعوا وانصتوا والانصات السكوت للاستماع قال العلماء ظاهر الامر للوجوب فيقتضاه
ان يكون الاستماع والسكوت واجبا وقت قراءة القرآن في صلوة وغير صلوة وهو قول الحسن واهل الظاهر وعن ابي هريرة كانوا يتكلمون في
الصلوة فنزلت قال قتادة كان الرجل يأتي وهم في الصلوة فيسلم كما صلينا فيقول كم بقي فكانوا يتكلمون في الصلوة لحوائجهم فنزلت ثم صار سنة
في غير الصلوة ان ينصت القوم اذا كانوا في مجلس يقرأ فيها القرآن وقيل نزلت في ترك الجهر بالقراءة وراء الامام لما روي عن ابن عباس ان رسول
الله ص قرأ في الصلوة المكتوبة وقرأ اصحابه راءين اصواتهم فخلطوا عليه فنزلت وقال سعيد بن جبير ومجاهد وعطاء وعمرو بن دينار
وجماعة نزلت في الانصات عند الخطبة يوم الجمعة ودون ذلك بان اللفظ عام فكيف يجوز قصره على قراءة القرآن في الخطبة نفسها بناء على انها انما
قرنا الاشهاد عليه واجيب بان كلمة اذا لا يفيد العموم بدليل انه اذا قال لزوجته اذا دخلت الدار فانت طالق فانها لا تطلق مرة ثانية بدخول
الدار مرة اخرى وبدليل ان الشافعي اوجب على المأموم ان يقرأ الفاتحة وردبان المأموم اذا يقرأ الفاتحة في حال سكتة الامام كما قال
ابو سلمة للامام سكتتان فاغتنم القراءة في اثنائهما شئت يعني سكتة بين التكبير الى ان يقرأ واخرى بين القراءة الى ان يركع واعترض بان سكوت
الامام واجب ام لا والاول باطل بالاجماع وعلى الثاني يجوز ان لا يسكت وح يلزم ان يحصل قراءة المأموم مع قراءة الامام فيفضي الى ترك
الاستماع وايضا فهذا السكوت ليس له حد محدود والمأمومون مختلفون ببطء القراءة وسرعتها فربما لا يتمكن المأموم من اتمام قراءة الفاتحة في مقدار
سكوت الامام فيلزم المحذور المذكور وايضا الامام في هذا السكوت يصير كالمتابع للمأموم وذلك غير جائز قال الواحدي الانصات هو
ترك الجهر عند العرب وان كان يقرأ في نفسه اذ السمع احد واورد عليه ان غاية توجيهه هو ان الانصات مع قراءة الامام ممكن لكن امكان
حصول الاستماع عبارة عن كونه بحيث يحيط بذلك الكلام المسموع على الوجه الكامل والانصات ان الاستماع على تقدير الانصات انما المفسر
ممكن ان يحصل مع قراءة الامام هذا وقد سلم كثير من الفقهاء عموم اللفظ الا انهم جوزوا تخصيص عموم القرآن بخبر الواحد وذلك
ههنا قوله صلى الله عليه وآله لا صلوة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب ذهب الامام مالك في هو القول القديم للشافعي انه لا يجوز للمأموم قراءة الفاتحة

في الصلوة

في الصلوة الجهرية على مقتضى هذا النص ويجب عليه القراءة في الصلوات السرية لان الاية لا دلالة لها على هذه الحالة ونظير الاية في تفسير اخر وهو ان الخطاب في الاية مع الكفار وذلك ان كون القرآن بصائر وهدى ورحمة لا يظهر الا بشرط مخصوص وهو ان النبي اذا قرأ عليهم القرآن عند نزوله استمعوا له وانصتوا ليقفوا على مراتبه ومعانيه فيعترفوا باعجازه ويستغنوا بذلك عن طلب سائر المعجزات ومما يؤكد هذا التفسير قوله في اخر الاية لعلكم ترحمون وانما رجى لهم ذلك لما بين حال الكفار لاحال المؤمنين الذين حصل لهم الرحمة جزما في قوله ورحمة لقوم يؤمنون ويمكن ان يجاب بان الاطماع من الكريم واجب فلم يبق الفرق وقيل المراد باستماع القرآن العمل بما فيه ثم امر نبيه وامته بتبعيته بالذكر العام قرانا كان او غيره على سبيل الدوام وذلك ان استماع القرآن كان كالذكر الخفي فقال واذكر ربك في نفسك في الاية قهورا الاول تخصيص اسم الرب دون الاله وغيره تنبيها على ان سبب الذكر هو التربية والانعام وليدل على الطمع والرجاء والثاني ذكر الرب في النفس ليكون ادخل في الاخلاص بعد عن الرياء وقبل ذكره في النفس هو ان يكون عارفا بمعاني الاسماء التي يذكرها بلسانه قال بعض المتكلمين الذكر النفساني هو الكلام النفسي الذي تقدم بيانه الاشارة الثالث الرابع قوله تضرعا وخيفة اي متضرعا وخائفا فالتضرع لاظهار ذلة العبودية والخوف العقاب وهو مقام المذنبين واما خوف الجلال وهو مقام العارفين فاذا كوشفوا بالجمال عاشوا واذا كوشفوا بالجلال طاشوا واما خوف الخاتمة فهو خوف السابقة فانها علة الخاتمة الخامس قوله ودون الجهر من القول والمراد ان يقع ذلك الذكر متوسطا بين الجهر والاخفاء قال ابن عباس هو ان يذكر ربه على وجه يسمع نفسه انما اخر هذا عن الذكر القلبي لان الخيال يتاثر من الذكر اذا قلبي فوجب قوة في النفس ولا يزال يترايد في ذلك الى ان يجري الذكر على اللسان بل يسري في جميع اعضائه وجوارحه واركانه سريانا معتدلا خاليا عن التكلف بريئا من التعسف السادس قوله بالغدو والاصال والغدو مصدر غدا يغدو والمراد وقت الغدو كما يقال اتيتك صباح الى وقت وقبل ترجع غدوة واما الاصال فانها جمع الاصيل وهو الوقت بعد العصر الى المغرب وقد يقال اشتقاقه من الاصل والبكور بالبناء تابيد في الشرع من اول الليل فسمي اخر النهار اصيلا لكونه ملاصقا لما هو الاصل في اليوم الثاني وخص هذان الوقتان بالذكر لان الغدو عندهما ينقلب الحيوان من النوم الذي هو كالموت الى اليقظة التي هي كالحيوة والعالم يتحول من الظلمة التي هي طبيعة عدمية الى النور الذي هو طبيعة وجودية والاصال امر بالضد وهذان النوعان من التغير العجيب ليلا ان قاهرا باهرا على وجود صانع قدير وحكيم خبير فوجب ان يكون المكلف فيهما مشتغلا بالذكر والحضور ويمكن ان يكون المراد مداومة الذكر والمواظبة عليه بقدر الامكان السابع قوله ولا تكن من الغافلين وفيه اشارة الى ان الذكر العلمي يجب ان يدوم عليه ولا يزال الانسان يستحضر جلال الله وكبريائه بحسب الطاقة البشرية لتنور جوهر النفس ويستعد لقبول الاشراقات القدسية فيضاهي سكان خطائر الجبروت الذين مدحهم الله بقوله ان الذين عند ربك ومعنى دنو الشرف والقرب من عنايته والطافه لا استكبارهم عن عبادته فيغترون على ذلك ويشبهونه بربوبيته ويتنزهون عن كل سوء وهذا يرجع الى المعارف والعلوم وله يسجدون بحضرته بغاية الخضوع والاستكانة وهذا يعود الى اعمال الجوارح وفي هذا الترتيب دليل على ان الاصل في الطاعة والعبودية اعمال القلوب ويتفرع عليه اعمال الجوارح والمقصود من الاية ان الملائكة مع غاية طهارتهم ونهاية عصمتهم وبراءتهم عن بواعث الشهوة والغضب ودواعي الحقد والحسد يواظبون على العبودية والطاعة فالانسان مع كونه مبتلى بظلمات عالم الطبيعة وكدورات الزلات البشرية اولى بان يداوم على ذكر معبوده ويجتذب ما امكن الى العالم العقلي ومقر الاصلي ويصقع مرآة قلبه عن اصداء الهواجس ويتلفح بجلال القدسية والمعارف الحقيقية والله ولي التوفيق التاويل وامر بالعرف وهو طلب الحق لانه معروف العارفين واعرض عن الجاهلين الذين يطلبون غير الله من الشيطان نزغ في طلب غير الله فاستعذ بالله من طلب غير الله ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون اتقوا هم ارباب القلوب فان التقوى من شان القلب كما قال التقوى ههنا واشار الى صدره طائف من الشيطان نزغ من العمل الشيطاني براه القلب بنور التقوى وبعزم يذكره انه يفسد ويكدر صفاءه فيجتنبه واخوانهم يعني اخوان القلوب وهم النفوس الامارة واذا لم نزاحمهم اي لم تات القلوب بما ينفر من الله لنفر النفوس عن تكدرها فان لوائح النفوس للقلب لولا اختلفها من خاصية قلبتك لتزكية النفوس قال تما اتبع الهام الحق فلا قدرة على تزكية النفوس الا بقوة الالهام الرباني فاستمعوا باذانكم الظاهرة وانصتوا بالسنتكم الباطنة لعلكم ترحمون بالاسماع بالسمع الحقيقي وذلك قوله كنت له سمعا وبصرا فبي يسمع فمن سمع القرآن من باريه فقد سمع من قاريه وهذا سر الرحمن علم القرآن فهو المستعد لخطاب واذكر ربك في نفسك بان تبدل اخلاقها باخلاق الله تضرعا في البداية وهو من باب التكلف خيفة في الوسط ودون الجهر من القول في النهاية وهو مقام الفناء فاوحى اسر الربوبية كفر في غدو الازل واصال الابد فان الذاكر والذكر والمذكور هو الله ولهذا قال في الازل فاذكروني اذكركم ومن هنا قال يوسف الحسين الرازي ما قال احد الله الا الله الا لا تكونن من الغافلين الذين لا يعلمون ان الذاكر والذكر والمذكور هو الله ان الذين عند ربك وهم الذين بقوا ببقاء الله لا يستكبرون عن عبادته لانهم افنوا اخلاقهم في اخلاقه يسبحونه ينزهونه عن الحلول والاتصال والاتحاد وله يسجدون في الوجود والعدم من الازل الى الابد منه البداء واليه المنتهى الله حسبي

سورة الانفال مدنية الا واذ يمكر بك الى قوله ويمكرون وهي ثلاث وسبعون اية وفيها خمس ركوعات وكلمها ١٢٣١ اياتها خمس وسبعون

الجزء العاشر

بسم الله الرحمن الرحيم

نام خداوند بخشنده مهربان

يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ قُلِ الْأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم

سئوال كنند تورا از حال غنيتها بگو كه غنيتها از براى خدا و پيغمبر است پس بپرهيزيد خدارا و باصلاح آريد كار ميان خود را و پيروى كنيد خدا و رسول او را اگر باشيد

مُّؤْمِنِينَ ۝ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ

گروندگان جز اين نيست كه مؤمنان آنهايند كه چون ياد كرده شود خدا بترسد دلهاشان و چون خوانده شود بر ايشان آيات او بيفزايد ايشان را ايمان و بر پروردگار خويش توكل كنند

الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ

آنان كه برپا دارند نماز را و از آنچه روزى كرديم آنها را بدهند آنگروه ايشانند مؤمنان برستى مر ايشانرا پايه‌ها نزد پروردگارشان و آمرزش

وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ ۝ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ

و روزى فراوان چنانچه برون آورد تورا پروردگارت از خانه‌ات بحق و بدرستى كه طائفه از مؤمنان هرآينه ناخوش دارند خصومت كنند تورا در حق

بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ۝ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ

پس از آنكه ظاهر شد گويا ميرانند ايشانرا بسوى مرگ و ايشان مينگرند و چون وعده داد شما را خدا يكى از دو طائفه را كه از براى شماست و دوست ميداشتيد

أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ۝ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ

كه صاحب حشمت نباشد بوده باشد براى شما يعنى خواهد خدا كه ثابت كند حق را بسخنان خود و ببرد و نابود كند كافران را تا پايدار شود حق و برطرف شود

الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ۝ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝ وَمَا جَعَلَهُ

باطل و هرچند كوشش كنند گناهكاران چون ياد كرديد پروردگار خود را پس مستجاب كرد از براى شما كه من يارى كنم شما را بهزار از فرشتگان از پى هم آيندگان و كمك دادند او را

اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝ القراءة مردفين بفتح الدال ابو

مگر مژده و تا شما بآن دلهاى شما و نيست يارى مگر از نزد خدا بدرستى كه خداى غالب و داناست جعفر و سهل و يعقوب و مجاهد

وابو عون عن قنبل الباقون بالكسر الوقوف عن الانفال ط والرسول ج لعطف المختلفين مع الفاء ذات بينكم مؤمنين بتوكلون لاحتمال جعل الذين مبتدء والاصل واذا فيكون الوقف على يفعلون ويكون الثناء بخفيف الايمان منصرفا الى قوله هم المؤمنون حقا ط كريم لما يجئ في النفير بالحق لطول الكلام لكارهون لا ينظرون الكافرين ج لاحتمال كون ان متعلقا بمحذوف وقد هو اذكر بقوله وبحق مردفين قلوبكم لا يبتدأ الفعل مع احتمال الحال عند الله ط حاتم التفسير روى عكرمة عن ابن عباس لما كان يوم بدر قال رسول الله ص من فعل كذا فله كذا فذهب شبان الرجال وجلس الشيوخ تحت الرايات فلما كانت الغنيمة جاء الشبان يطلبون نفلهم وقالت الشيوخ لا تذهبوا بغنائمنا فانا كنا تحت الرايات ولو انهزمتم كنا لكم فانزل الله تعالى يسئلونك عن الانفال فقسمها بينهم بالسوية وعن عبادة بن الصامت قال لما هزم العدو يوم بدر واتبعتهم طائفة يقتلون احدقت طائفة برسول الله ص واستولت طائفة على العسكر والنهب فلما نفى الله العدو ورجع الذين طلبوهم قالوا لنا النفل نحن طلبنا العدو وبنا نفاهم الله وهزمهم وقال الذين احدقوا برسول الله ص والله لستما انتم باحق به منا احدقنا برسول الله لا ينال العدو منه عز وقال الذين استولوا على العسكر والنهب نحن احزنا واستولينا عليه فهو لنا فنزلت الآية فقسمها رسول الله ص بينهم بالسوية وعن سعد ابى وقاص لما كان يوم بدر قتل اخي عمير وقتلت سعيد بن العاص فاخذت سيفه فاعجبني فجئت به الى رسول الله ص فقلت ان الله قد شفى صدري من المشركين فهب لي هذا السيف فقال ليس هذا لي ولا لك اطرحه في القبض فطرحته وبي ما لا يعلمه الا الله من قتل اخي واخذ سلبي فما جاوزت الا قليلا حتى جاءني رسول الله ص وقد انزل الله سورة الانفال فقال يا سعد انك سألتني السيف وليس لي وانه الان قد صار لي فاذهب فخذه والنفل بالتحريك الغنيمة وجمع الانفال وهي الاموال المأخوذة من الكفار قهرا قال الازهري هو ما كان زيادة على الاصل فسميت الغنائم بذلك لان المسلمين فضلوا بها على سائر الامم الذين لم تحل الغنائم يصلون التطوع نافلة لانه زيادة على الفرض وقال تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة اي زيادة على ما سئل والضمير في يسئلونك عائد الى جمع معينين من الصحابة بدليل تعلق بالغنائم كما قررنا وحسن العود وان لم يجر لهم ذكر في اللفظ لدلالة الحال عليهم ولفظ السؤال وان كان مبهما الا ان تعيين الجواب يدل على ان ثم سائلا وانما سئلوا عن الانفال كيف مصرفها ومن المستحق لها فقال الزجاج انما سئلوا عنها لانها كانت حراما على من كان قبلهم وضعف بان الابتداء على انها مسوقة بالتنازع والتنافس فسئلوا عن كيفية قسمتها لا عن حلها وحرمتها وعن عكرمة ان المراد من هذا السؤال الاستعطاء اي يطلبون منك الغنائم وقال في الكشاف النفل ما ينفله الغازي اي يعطاه زائدا على سهمه من المغنم وهو ان يقول الامام نحو بضا على البلاد في الحرب من قتل قتيلا فله سلبه وقال لسرية ما غنمتم فلكم ربعه او فلكم نصفه او ربعه ولا يخمس النفل ويلزم الامام الوفاء بما وعد به وهذا التفسير مبني على خبر سعد بن ابي وقاص في اعطاء السيف اياه وعن ابن عباس في بعض الروايات ان المراد بالانفال ما شذ عن المشركين الى المسلمين من غير قتال من دابة او عبد او متاع فهو الى النبي ص يضعه حيث

الأنفال

يشاء وعن مجاهد ان الانفال الخمس التي جعله الله لاهل الخمس وعلى هذا فالقوم انما سئلوا عن الخمس فنزلت الاية ثم امر بالشروع في الجواب فقال قل الانفال لله والرسول اي حكمها مختص بالله ورسوله يامر الله بقسمتها على ما يقتضيه حكمته وتمثل الرسول امر الله فيها وليس الامر في قسمتها مفوضا الى رأي احد قال مجاهد وعكرمة والسدي انها منسوخة بقوله واعلموا انما غنمتم الاية وضعف بان جعل اربعة اخماسها ملكا للغانمين لا ينافي كون الحكم فيها لله والرسول ولو فسر الانفال بالخمس او بالاسلاب فلا اشكال ثم حثهم على ترك المنازعة وعلى المواخاة والمصافاة فقال فاتقوا الله اي عقابه ولا تقدموا على معصيته واتركوا المنازعة والمخاصمة بسبب هذه الاموال واصلحوا ذات بينكم اي الشيء الذي هي بينكم من الاحوال حتى يكون احوال الفئة موصوفة وموافقة لما كانت الاحوال واقعة في البين قبل لحاذات البين كما ان الاسرار لما كانت مضمرة في الصدر ثم خص الامر بقوله ان كنتم مؤمنين اي كاملي الايمان موقوف على التقوى واصلاح ذات البين وطاعة الله ورسوله ثم وصف المؤمنين الكاملين فقال انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم اي فزعت لذكره استعظاما لجلاله وحذرا من اليم عقابه وقد تطمئن القلب بعد ذلك اذا تذكر كمال رافته وجزيل ثوابه كقوله ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله وقيل هو الرجل يريد ان يظلم او يهم بمعصية فيقال له اتق الله فيقلع واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا قالت العلماء زيادة الايمان يكون على احد ثلثة انحاء الاول بقوة الدليل بكثرته فان كل دليل فهو مركب لا محالة من مقدمات ولا شك ان النفوس مختلفة في الاشراق والانارة والاذهان متفاوتة بالذكاء والغباوة فكل من كان جزمه بالمقدمات اكثر واقوى كان علمه بالنتيجة اكمل واتم وكذا من سبح له على المطلوب ليلان كان علمه اتم ممن لا يهتدي على المطلوب سوى دليل واحد ولذا يورد العلماء ادلة متعددة على مدلول واحد ولله در القائل وفي كل شيء له آية تدل على انه واحد الثاني بتعدد التصديق وتجدده فان المعلوم ان من صدق انسانا في شيئين كان تصديقه باحدهما غير تصديقه بالاخر وهذا ظاهر الثالث بتعدد متعلقه الاجمالي والتفصيلي فان من صدق بالله وبكل ما جاء به من عنده فقد صدق بامور كثيرة لا تحصى بخلاف من صدق بالله فقط وهذه الصفات مرتبة على احسن جهات الترتيب فالاول الفرع من عقاب الله والثاني الانقياد لتكاليفه والثالث الانقطاع بالكلية عما سواه ثم لما فرغ من اعمال القلوب وهي الخشية والتسليم والتوكل شرع في وصفهم باعمال الجوارح وذكر منها اسماها وسنامها وهو الصلوة والصدقة ثم عظمهم بقوله اولئك هم المؤمنون حقا وفي اولئك وفي توسيط الفصل وتعريف الخبر وايراد حقا من المبالغات ما لا يخفى وحقا صفة مصدر محذوف اي ايمانا حقا وهو مصدر مؤكد للجملة قبله وقال الفراء معناه اخبر كريد ذلك اخبارا حقا وقيل انه منوط بما بعده اي حقا لهم درجات واعلم ان الائمة اتفقوا على ان الرجل المؤمن يجوز له ان يقول انا مؤمن ثم اختلفوا في انه هل يجوز ان يقول انا مؤمن ان شاء الله والاقرار كلاهما محقق والثاني مذهب اصحاب الشافعي واجابوا عن الاية بانه لا نزاع في ان الموصوف بالصفات المذكورة مؤمن حقا انما النزاع في ان القائل هل هو موصوف بتلك الصفات جزما ام لا واما حديث الشك فمبني على ان الايمان عبارة عن الاركان الثلثة ولا ريب ان كون الانسان اتيا بالاعمال الصالحة امر مشكوك فيه والشك في احد اجزاء الماهية يوجب الشك في حصول تلك الماهية فاندفع النزاع لفظا على انا لا نسلم ان الاستثناء لاجل الشك وهو لزوال العجب لعدم القطع بحسن الخاتمة ولنوع من الادب ففيه تفويض الامر الى علم الله وحكمه كقوله لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله امنين وانه نعم منزه عن الشك والريب عن الحسن ان رجلا سئله امؤمن انت قال الايمان ايمان فان كنت تسئلني عن الايمان بالله وملئكته وكتبه ورسله واليوم الاخر والجنة والنار والبعث والحساب فانا مؤمن وان كنت تسئلني عن قوله انما المؤمنون فوالله لا ادري امنهم انا ام لا وعن الثوري من زعم انه مؤمن بالله حقا ثم لم يشهد انه من اهل الجنة حقا فاته بقطع بانه مؤمن حقا ويحكى عن ابي حنيفة انه قال لقتادة لم تستثني في ايمانك فقال اتباعا لابرهيم في قوله والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي فقال هلا اقتديت به في قوله اولم تؤمن قال بلى قبل وكان لقتادة ان يقول ولكن ليطمئن قلبي وفيه ما فيه ثم اخبر عن مآل حالهم فقال لهم درجات عند ربهم اي سعادات روحانية متفاوتة في التصور والارتفاع ولكن استغرق كل واحد في سعادته الخاصة به ومنعه عن النظر الى حال من فوقه كما قال سبحانه ونزعنا ما في صدورهم من غل ومغفرة وتجاوز عن سيئاتهم ورزق كريم هو نعم الجنة المقرون بالدوام والمعظم والكرم اسم جامع لكل ما يحمد ويستحسن في بابه نقله الواحدي عن اهل اللغة فالله سبحانه موصوف بانه كريم لانه محمود في كل ما يحتاج اليه والقرآن كريم لانه يوجد فيه بيان كل شيء وقال اني القي الي كتاب كريم وقال من كل زوج كريم وقلما قولا كريما قال بعض العارفين المغفرة ازالة الظلمات الحاصلة من الاشتغال بغير الله والرزق الكريم الانوار الحاصلة بسبب الاستغراق في معرفته ومحبته قوله عز من قائل كما اخرجك ربك الاخراج وذكروا فيه وجوها الاول ان الشبه بمحذوف تقديره هذا الحال كحال اخراجك والمعنى ان حالهم في كراهة ما صنعت من تنفيل الغزاة مثل حالهم في كراهة خروجك للحرب وذلك انه لما رأى كثرة المشركين يوم بدر وقلة المسلمين قال من قتل قتيلا فله كذا وكذا ومن اسر اسيرا فله كذا وكذا

ترغبا لهم فى القتال فلما انهزم المشركون قال سعد بن عبادة يا رسول الله لو اعطيت هؤلاء ما سيتنهبونه بقى خلق كثير بغير شئ فنزلت يسئلونك الانفال
لله والرسول يصنع فيها ما يشاء فامسك المسلمون عن الطلب وفى انفس بعضهم شئ من الكراهة الثانى ان ينتصب الكاف على انه صفة مصدر الفعل
المقدر فى قوله الانفال لله والرسول اى ثبت الحكم واستقر بان الانفال له وان كرهوا ثباتا اخراج مثل ربك اياك الى القتال وان كرهوا وتخصيص
هذا المشبه به بالذكر من بين سائر احكام الله ان القصة واحدة ووجه حال الاخراج مشبها به كونه اقوى فى وجه الشبه لان مدار القصة عليه وقيل
التقدير هو ان الحكم بكونهم مؤمنين حقا كان الله باخراجك من بيتك لاجل القتال حق الثالث تعلق الكاف متعلق بما بعده وهو
قوله يجادلونك والتقدير كما اخرجك ربك من بيتك على كره فريق من المؤمن كذلك هم يكرهون القتال ويجادلونك فيه والبيت بيته
صلى الله عليه وآله بالمدينة والمدينة نفسها لانها مهاجره ومسكنه فلها به اختصاص كاختصاص البيت بساكنه ومعنى بالحق اخراجا ملتبسا
بالحكمة والصواب وان فريقا من المؤمنين لكارهون فى موضع الحال اى اخرجك فى حال كراهة بعضهم ثم بين الكراهة بقوله يجادلونك ويجوز
ان يكون الجملة بدلا او خبرا بعد خبر روى ان قريشا لما اقبلت من الشام فيها تجارة عظيمة ومعهم اربعون راكبا منهم ابو سفيان وعمرو بن العاص
وعمرو بن هشام فاخبر جبرئيل رسول الله صلعم فاخبر المسلمين فاعجبهم تلقى العير لكثرة الخير وقلة القوم فلما خرجوا بلغ اهل مكة خبر خروجهم
فنادى ابو جهل فوق الكعبة يا اهل مكة النجاء على كل صعب ذلول عيركم اموالكم ان اصابها محمد صلى الله عليه وآله لم تفلحوا بعدها ابدا
وقد رأت اخت العباس بن عبد المطلب رؤيا ففالت لاخيها انى رأيت عجبا رأيت ملكا نزل من السماء فاخذ صخرة من الجبل فرمى بها فلم يبق بيتا
من بيوت مكة الا اصابه حجر من تلك الصخرة فحدث بها العباس فقال ابو جهل ما يرضى رجالهم حتى تتنبأ نساؤهم فخرج ابو جهل يجمع اهل مكة وهم
النفير على ما قيل فى المثل السائر للاعير والنفير لان النفير فقيل لما ان العير اخذت طريق الساحل ونجت فارجع بالناس الى مكة فقال لا والله
لا يكون ذلك ابدا حتى نخر الجزور ونشرب الخمور وتقيم القينات والمعازف ببدر فتسامع جميع العرب بخروجنا وان محمدا لم يصب العير
فمضى بهم الى بدر ونزل جبرئيل فقال يا محمد ان الله وعدكم احدى الطائفتين اما العير واما قريشا فاستشار النبى صلعم اصحابه وقال ما تقولون
ان القوم قد خرجوا من مكة على كل صعب وذلول فالعير احب اليكم ام النفير قالوا بل العير احب الينا من لقاء العدو فتغير وجه رسول الله صلعم ثم رد
عليهم فقال ان العير قد مضت على ساحل البحر وهذا ابو جهل قد اقبل فقالوا يا رسول الله صلعم عليك بالعير ودع العدو فقام عند غضب
النبى صلعم ابو بكر وعمر فاحسنا فى الكلام ثم قام سعد بن عباده فقال انظر امرك فامض فوالله لو سرت الى عدن ما تخلف عنك احد من الانصار
ثم قال المقداد بن عمرو يا رسول الله امض لما امرك الله فانا معك حيث ما احببت لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب
انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون ما دامت عين منا تطرف فتحمل رسول
الله صلعم ثم قال اشيروا على ايها الناس وهو يريد الانصار لانهم قالوا له حين بايعوه على العقبة انا برآء من ذمامك حتى تصل الى ديارنا فاذا
وصلت الينا فانت فى ذمامنا نمنعك مما نمنع منه ابناءنا ونساءنا فكان النبى صلعم يخاف ان يكون الانصار لا ترى عليهم نصرته الا على
عدو دهمهم بالمدينة فقام سعد بن معاذ فقال لكانك تريدنا يا رسول الله قال اجل قال قد امنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت
به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما اردت فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت
بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره ان تلقى بنا عدونا انا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل
الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله ففرح رسول الله صلعم وبسطه قول سعد ثم قال سيروا على بركة الله وابشروا فان الله
قد وعدنى احدى الطائفتين والله لكانى انظر الى مصارع القوم وارجع الى التفسير قوله فى الحق اى فى تلقى النفير بعد ما تبين اى بعد
اعلام النبى صلعم بانهم هم المنصورون وجدالهم قولهم ما كان خروجنا الا للعير وهلا قلت لنا لنستعد ونتاهب لذلك لكراهتهم القتال كما يساق
الى الموت المنظر الى شاهده اسبابه من قلة العدد والعدد والعير والنفير وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم اى تتمنون ان يكون لكم
العير لانها الطائفة التى لا حد لها ولا شدة والشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك ويريد الله ان يحق الحق يثبته ويعليه بكلماته بايانه المنزلة
فى محاربيذات الشوكة من انزال الملئكة واسر الكفرة وقتلهم وطرحهم فى قليب بدر ويقطع دابر الكافرين اى يستأصلهم والدابر الاخر يعنى
انكم تريدون العاجل وسفساف الامور والله يريد معاليها وما يرجع الى توفير الدين وشتان ما بين المرادين وقوله ليحق الحق متعلق
بمحذوف اى لاظهار الاسلام وابطال الكفر فعل ما فعل وانما قدر المحذوف متاخرا ليفيد معنى الاختصاص اى ما فعل ذلك الا لتحقق الحق
وابطال الباطل وقيل يتعلق بيقطع فان قيل الحق حق لذاته والباطل باطل لذاته وما ثبت للشئ لذاته فانه يمتنع تحصيل بجعل جاعل قلنا
المراد اظهار كون الحق حقا والباطل باطلا وذلك يكون تارة باظهار الدلائل وتارة بتقوية رؤساء الباطل فان قيل ليس فى الكلام تكرار قلنا لا
اذ المراد بالاول تثبيت وعده فى هذه الواقعة من الظفر بالاعداء والمراد بالثانى اعلاء الاسلام ومحق الكفر والحاصل ان الاول جوز ان
ان تريدون العير والله يريد اهلاك النفير والثانى كلى يشمل هذه القضية وغيرها من القضايا التى حصل فى ضمنها اعلاء كلمة الله
وقمع كلمة الكفر اخبر عن الاشاعرة بقوله كما اخرجك ربك وقوله ليحق الحق على ان الاعمال والعقائد كلها بخلق الله وتكوينه ولا يمكن ان يقال

المراد من اظهار الحق وضع الدلائل عليه لان هذا المعنى حاصل بالنسبة الى المسلم والكافر وقيل هذه الواقعة وبعدها فلا يبقى للتخصيص
فائدة والمعتزلة تمسكوا بالاية على ابطال قول من يقول انه لا باطل ولا كفر الا والله مريد له لان ذلك بنا فى ارادة تحقيق الحق وابطال الباطل
واجيب بان اللام فى الحق ينصرف الى المعهود السابق اى فى هذه القضية فلم قلتم انه كذلك فى جميع الصور ولو كره المجرمون اى الكافرون او
المشركون كقوله ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون وفى موضع اخر ولو كره المشركون وقوله اذ تستغيثون بدل من قوله اذ
يعدكم وقيل بتعلق بقوله ليحق الحق واستغاثتهم انما علموا انه لا بد من القتال فطفقوا يدعون الله يقولون يا غياث المستغيثين اغثنا وعن عمر ان
رسول الله ص نظر الى المشركين وهم الف والى اصحابه وهم ثلثمائة فاستقبل القبلة ومد يديه اللهم انجز لى ما وعدتنى اللهم ان تهلك هذه العصابة
لا تعبد فى الارض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فاخذه ابو بكر فالقاه على منكبه والتزمه من ورائه وقال يا نبى الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك وروى انه لما اصطف القوم قال ابو جهل اللهم اقطعنا للرحم واتانا بما لا نعرف فاحنه وروى ان رسول الله ص رفع يديه بالدعاء المذكور ومعنى
تستغيثون تطلبون الاغاثة بقولكم الواقع فى بليتة اغثنى اى فرج عنى فاستجاب لكم اى بانى ممدكم بالف من الملائكة مردفين بكسر الدال وفتحها
من ارداف بعضهم بعضا او ارداف الله اياهم او من اردفته اذا اتبعته ای جئت بعده متعديا الى مفعول واحد ومعنى الاول جاعلين
بعضهم او مجعولين بعضهم تابعا لبعض او انفسهم تابعين للمؤمنين يحرسونهم او للملائكة اخوى ومعنى الثانى تابعين بعضهم لبعض او للمؤمنين
يقدمونهم على سائقهم يحفظونهم او لغيرهم من الملائكة واختلف فى قتال الملائكة يوم بدر فقيل نزل جبرئيل فى خمسمائة ملك على الميمنة
وفيها ابو بكر وميكائيل فى خمسمائة على الميسرة وفيها على بن ابى طالب فى صور الرجال عليهم ثياب بيض وعمائم قد ارخوا اذنابها بين اكتافهم فقاتلت يوم بدر ولم تقاتل يوم احد ويوم حنين وعن ابى جهل انه قال لابن مسعود من ابن كان ذلك الصوت الذى كنا نسمع ولا نرى شخصا
قال من الملائكة فقال ابو جهل هم غلبونا لا انتم وروى ان رجلا من المسلمين بينا هو يشد اثر رجل من المشركين اذ سمع صوت ضربة بالسوط
فوقه فنظر الى المشرك قد خر مستلقيا وشق وجهه فحدث الانصارى رسول الله ص فقال صدقت ذلك من مدد السماء وعن ابى داود المازنى تبعت رجلا من المشركين لاضربه يوم بدر فوقع راسه بين يدى قبل ان يصل اليه سيفى وقتل لم يقاتلوا وانما كانوا يكثرون السواد و
يثبتون المؤمنين والا فالملك واحد كاف فى اهلاك اهل الدنيا وقد اجبنا عن هذه الشبهة فى تفسير سورة ال عمران وكذا تفسير قوله وما
جعله الا بشرى وقد مر هناك وقد بقى علينا ان المتشابه فنقول لحذف لكم ههنا لان المخاطبين معلومون فى قوله فاستجاب لكم وقدم تلوكم
واخره فى ال عمران ازدواجا بين الخطابين ثم ان قصته بدر على قصة احد فقيل فى الانفال ان الله عزيز حكيم ليستفر الخبر وجعله فى ال عمران
صفة لان الخبر قد سبق والله اعلم بالتاويل كثرة السؤال توجب الملال وانما سئلوا ليكون لهم الانفال فاجيبوا على خلاف ما تمنوا وقيل الانفال
لله والرسول قطعا لطريق الاعتراض والسؤال واصلحوا ذات بينكم من الاختلاف الواقع بينكم وبين الطائفة المحقة بينة واطيعوا الله ورسوله بالتسليم والايثار
ان كنتم مؤمنا بحسب مزايد الانوار كما اخرجك ربك بان اخرج المؤمن الحق عن اوصاف البشرية الى مقام العبدية بحذف باء العناية كما اخرجك
من وطن وجودك بالحق وهو تجلى صفات الجمال والجلال وان فريقا منهم القلب والروح لكارهون للفناء عند البقاء محبوب عند
كل ذى وجود يجادلونك اى الروح والقلب فى مجئ الحق بعد ما تبين مجيئه كانهم ينظرون الى الفناء لا يرون البقاء بعد الفناء كمن يساق الى
الموت وانذ يعدكم الله ايها السائرون احدى الطائفتين اما الظفر بالاعداء وهى النفوس واما غير الواردات الروحانية وغنائم الاسرار
الربانية وتودون ان غير ذات الشوكة اى اردتم ان لا تجاهدوا واعدوا النفس ذات المكر والحيلة والهوى واستحلبتم الواردات والشواهد
الغيبية وذلك ان السير قسمان سير السالكين على اقدام الطاعات وتبديل الصفات النفسانية الى صفات الروحانية وسير المجذوبين على
اجنحة عناية الجذبات الى دار قاب قوسين او ادنى فكان موسى من السالكين الى ميقات ربه ولم يجاوز طور النفس فكان مقامه مع الله المكالمة
وكان محمد من المجذوبين وكان سيره على جناح جبرئيل الى سدرة المنتهى ومنها على رفرف الجذبة الالهية الى قاب قوسين او ادنى فكان
مكانه المشاهدة ثم العناية ان لا يكل الله السالك الى ما يوافق طبعه وهواه كما قال وبين الله ان يحق الحق بكلماته اى بجذباته ويقطع دابر الكافرين النفوس
الامارة بالسوء تستغيثون ربكم يعنى استغاثة الروح والقلب من النفس عند استيلاء صفاتها بالف من الملائكة هم الصفات الملكية والروحانية الا بشرى لكم
بتبديل الاخلاق وما النصر بها هلاك النفس وصفاتها الا بتخلى صفة القهارية ان الله عزيز لا يوصل اليه بعد فناء الوجود حكيم كل ما يفعل بمن يفعل والله اعلم
اذ يغشيكم النعاس امنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم
چون فراگرفت شما را بيكى ايمنى از قبل او وميفرستد بر شما از آسمان آب تا پاك كند شما را بان ويبرد از شما پليدى شيطان را وتا بيندد بر دلهاى شما
ويثبت به الاقدام اذ يوحى ربك الى الملائكة انى معكم فثبتوا الذين امنوا سالقى فى قلوب الذين كفروا
و پايدار كند بان قدمهاى ما چون وحى ميفرستاد پروردگار تو بسوى فرشتگان كه من با شما ام پس ثابت بداريد آنانرا كه گرويده اند زود باشد كه بيفكنم در دلهاى آنان كه كافر شدند
الرعب فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله
ترس را پس بزنيد بالاى گردنها وبزنيد از ايشان هر دست وپائى را اين بجهت آنست كه ايشان خصومت كردند خداى را ورسول او را وهر كه نزاع كند خداى را ورسول او را

فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ
بدرستی خدا سخت عقوبت است این است پس بچشید ازا و بدرستی مر کافران است عذاب آتش ای زمره انحائی که گرویده اید چون دیدید انهارا گروه
كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ
کافر شدند باینده پس گز دانید بایشان پشتها را و هر که گرداند در آن روز پشت خود را مگر گزیده از برای کارزار یا جای گزیده بسوی طائفه پس بدرستی
بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ
باز گشته بخشم از خدا و منزلش دوزخ است و بد جایگاهیست پس کارزار نکردید ایشانرا ولکن کارزار کرد خدا و نیفکندی وقتی که افکندی
وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ إِنْ
ولکن خدا افکند و تا بیازماید مومنان را ازا و آزمایش نیکو بدرستی که خدا شنونده داناست این است و خدا ضعیف کننده کید کافران است اگر
تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ
طلب کشایش کنید پس بتحقیق آمد شما را کشایش و اگر باز ایستید خود را پس آن بهتر است شما را و اگر باز گردید باز گردیم و هرگز بی نیاز نکند شما را گروه شما هیچ چیز اگرچه زیاد باشد و بدرستیکه خدا با گروندگان
الْقُرَّاءُ يُغَشَّاكُمُ النُّعَاسَ ابن كثير وابو عمرو يغشيكم النعاس من باب الافعال ابو جعفر ونافع الباقون يغشيكم النعاس من التفعيل ويُنَزِّلُ من
الانزال ابن كثير وسهل ويعقوب وابو عمرو الاخرون بالتشديد بدرج الاما له حمزة وعلي وخلف ويحيى موهن من الافعال كيد بالنصب
عامر وحمزة وعلي وخلف عاصم غير حفص وسهل ورويس موهن من الافعال كيد بالجر للاضافة حفص الباقون موهن بالتشديد كيد بالنصب
وَأَنَّ اللَّهَ بالفتح ابن عامر وابو جعفر ونافع وحفص والمفضل الباقون بالكسر الوقوف الاقدام لتعلق ما بمحذوف هو اذكروا الذين امنوا كل بنات
وسوله الاول العقاب النار الادبار جهنم المصير فلهم عطف المتفقين بحيث لاحتمال ان يكون الواو ومقحمة واللام متعلقا بما قبله واحتمال
ان يكون عاطفة على ولكن الله رمى وعلى محذوف اى لتستبدوا وليبلي حسنا عليهم ط الكافرين الفتح ج للفصل بين الجملتين المتضادتين مع العطف خير
لكم ج لان الشرط يعد كثرت ط لمن قرأ وان بالكسر او منين النفس قال في الكشاف اذ يغشيكم بدل ثان من اذ يعدكم او منصوب بالنصر او بما في عند الله
من معنى الفعل او بما جعله الله او باضمار اذكروا منه مفعول لاجله ومنه صفة لها اى امنة حاصلة لكم من عند الله ولما كان غشيان النعاس و
كذا اغشاؤه وتغشيته متضمنا لمعنى تنعسون كان فاعل الفعل المعلل والعلة واحدا كما هو شرط بنا انتصاب المفعول له والمعنى اذ تنعسون لامنكم او
يغشيكم النعاس فتنعسون امنا وجوز على قراءة الاغشاء والتغشية ان يكون الامنة بمعنى الايمان اى يغسكم ايمانا منه وجوز ان ينتصب
الامنة على انها للنعاس الذي هو فاعل يغشاكم اى يغشاكم النعاس لامنة على ان اسناد الامن الى النعاس اسناد مجازي وهو لاصحاب النعاس على
الحقيقة او على ان المراد انه امكم في الوقت كان من حق النعاس في مثل ذلك الوقت مخوف ان لا يقدم على غشيانكم وانما غشيكم امنة حاصلة
له من الله لولاها لم يغشكم على طريقة التمثيل وقد والتخيل مر فوائد هذا النعاس في سورة ال عمران ومن نعم الله تعالى عليهم في تلك الواقعة انزال
المطر عليهم وكان فيه فوائد احدها تحصيل الطهارة والثانية اذهاب رجز الشيطان وقيل هو الجنابة التي اصابتهم لانها من تخييل الشيطان ولا
تكرار لان الاولى عام وهذه خاص وقيل المراد المني لانه شيء مستخبث مستقذر وعلى هذا يكون في الآية دلالة على نجاسة المني لقوله والرجز فاهجر وقيل
المراد وسوسة الشيطان اليهم وتخويفه اياهم من العطش وذلك انهم المشركين سبقوهم الى الماء ونزل المؤمنون في كثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام
على غير ماء فناموا فاحتلم اكثرهم فتمثل لهم ابليس في صورة انسان فقال لهم انكم يا اصحاب محمد تزعمون انكم على الحق وانكم تصلون على غير وضوء وعلى
الجنابة وقد عطشتم ولو كنتم على حق لما غلبكم هؤلاء على الماء وما ينتظرون بكم الا ان يجهدكم العطش فاذا قطع العطش اعناقكم مشوا اليكم فقتلوا
من احبوا وسنا توا بقيتكم الى مكة فخر نواجوا ناشد بدا واشفقوا فانزل الله المطر فطر وا ليلا حتى جرى الوادي واتخذوا حياض على عدوة
الوادي وسقوا الركاب واغتسلوا وتوضأوا وتلبد الرمل الذي كان بينهم وبين العدو حتى تثبت عليه الاقدام وكانت هذه ثالثة الفوائد
واشار اليها بقوله ويثبت به الاقدام بالماء الاقدام وقيل الضمير عائد الى الربط الذي يدل عليه قوله وليربط على قلوبكم والمراد من تثبيت الاقدام
الصبر في مواطن القتال وذلك ان من كان قلبه ضعيفا فر ولم يقدر على القتال ومن ربط الله على قلوبهم اى قواها تثبت اقدامهم ومعنى على ان القلوب امتلأت
من ذلك الربط حتى كانه علاها وارتفع فوقها وقال الواحدي يشبه ان يكون على صلة والمعنى وليربط قلوبكم بالتصبر وما وقع فيها من اليقين بوعد
ان المطر نزل على الكافرين ايضا ولكن الموضع الذي نزل الكفار فيه كان موضع التراب فعظم الوحل وصار مانعا لهم من المشي والاستقرار فقوله
وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ يدل مفهومه على ان حال الاعداء كان بخلاف ذلك ومن جملة النعم قوله إِذْ يُوحِي رَبُّكَ هو بدل ثالث من اذ يعدكم او
منصوب بيثبت او باذكروا فِي مَعَكُمْ الخطاب للملائكة والمراد اني معكم على التثبيت فثبتوهم وقيل الخطاب للمؤمنين لان المقصود من
هذا الكلام ازالة التخويف والملائكة ما كانوا يخافون الكفار وفيه نبوة لقوله فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا وفي هذا التثبيت وجوه احدها انه
مفسر لقوله سألقي فاضربوا والا معونة اعظم من القاء الرعب على قلوب الكفرة والتثبيت ابلغ من ضرب اعناقهم واجتماعهما غاية التقوي
وثانيها ان المراد بالتثبيت ان يخطر ببالهم ما يقوي عزائمهم وينبههم في القتال فالهام من الملائكة كالوسوسة من الشياطين و



وثالثها ان الملائكة كانوا يتشبهون بصور رجال عن معاقلهم وكانوا بعدونهم النصر والظفر ومعنى فوق الاعناق اعالى الاعناق التى هى المذابح لانها مفاصل فكان ايقاع الضرب فيها ان اللذ الرأس من الجسد وقيل اراد ضربا لهام لان الرؤس فوق الاعناق والبنان الاصابع سميت بذلك لان بها صلاح احوال الانسان التى يريد ان يقيمها من ابن بالمكان اى اقام به والمراد نفى الاطراف من اليدين والرجلين ثم اختلفوا فيهم من قال المراد ان يضربوهم كما شاؤا والان ما فوق العنق هو الراس وهو اشرف الاعضاء والبنان عبارة عن اضعف الاعضاء فذكر الاشرف والاخس تنبيها على كل الاعضاء وبوجه اخر الضرب اما واقع على مقتل فامرهم بان يجمعوا عليهم التوعين معا ومنهم من قال الاول اشارة الى القتل والقطع البنان عبارة عن افناء الات المدافعة والمحاربة ليعجزوا عن القتال وجوز في الكشاف ان يكون قوله سالقى الى قوله كل بنان تلقينا للملائكة ما يثبتونهم برأى قولوا لهم قول سالقى او يكون واردا على الاستيناف كانهم قالوا كيف نثبتهم فقيل قولوا لهم قول سالقى فاضاربون على هذا المؤمنون ذلك العقاب العاجل من الضرب والقتل وقع عليهم بانهم شاقوا بسبب مشاقتهم ومخالفتهم الله ورسوله ثم بين ان الذى نزل بهم فى ذلك اليوم شئ يسير وقدر زهيد فى جنب ما اعد الله لهم ولامثالهم فى الاجل فقال ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب اى له والكاف فى ذلك للرسول ولكل من له اهلية الخطاب وفى ذلكم للكفرة على طريقة الالتفات ومحل الرفع تقديره ذلكم العذاب المعجل من القتل والاسر العذاب ذلكم اى لزموه فذوقوه او هو كقولك زيدا فاضربه قال فى الكشاف وان للكافرين عطف على ذلكم فى وجهيه او نصب على ان الواو بمعنى مع والمعنى ذوقوا هذا العذاب العاجل مع الاجل الذى لكم فى الاخرة فوضع الظاهر موضع ضمير المخاطب قلت ويجوز ان يكون مبتدأ محذوف الخبر اى وان للكافرين عذاب النار حق او بالعكس اى والحكم والشان ان الكافرين وفى ذكر الذوق اشارة الى ان عذاب الدنيا شئ قليل بالنسبة الى عذاب الاخرة قوله سبحانه يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا قال الازهرى اصل الزحف هو ان يزحف الصبى على استه قبل ان يقوم شبه بزحف الصبى مشى الطائفتين يتقى كل فئة مشيا رويدا الى الفئة الاخرى يبتدئ للضراب فانتصابه على الحال من الفريقين اى اذا لقيتموهم متزاحفين هم وانتم ويجوز ان يكون حالا من الذين كفروا والزحف الجيش الذى يرى لكثرته كانه يزحف اى يدب دبيبا سمى بالمصدر والجمع زحوف والمعنى اذا لقيتموهم للقتال وهم كثير جم وانتم قليل فلا تفروا فضلا عن حالة المداناة والمساواة ويجوز ان يكون حالا من المخاطبين وهم المؤمنون اى اذا دهتهم اليهم القتال فلا تنهزموا ومعنى فلا تولوهم الادبار لا تجعلوا ظهوركم مما يليهم او هو تقدمة نهى عن الفرار يوم حنين حين تولوا مدبرين وهم زحف من الزحوف اثناء القاوفى قوله ومن يولهم يومئذ اماره عليه ثم بين ان الانهزام محرم الا فى حالتين فقال الا متحرفا لقتال هو الكر بعد الفر يخيل عدوه انه منهزم ثم يعطف عليه وهو نوع من خدع الحرب او متحيزا الى فئة اى منحازا الى فئة اخرى من المسلمين سوى الفئة التى هو فيها وعلى هذا انتصب متحرفا ومتحيزا على انه استثناء مفرغ من عام العموم ووجه صحته مع انه ليس فى الكلام نفى ظاهر هو انه فى معنى النهى كانه قيل ومن لا يقدم او لا يعطف عليهم فى حال من الاحوال الا فى حال التحرف او التحيز ويجوز ان يكون الاستثناء تاما على ان الموصوف محذوف والتقدير ومن يولهم الادبار رجلا فهم متحرفا او متحيزا ودون متحيز امتفعيل لانه من حاز يجوز فعل به ما فعل بايام ولو كان متفعلا لقيل متحوز عن ابن عمر خرجت سرية وانا فيهم ففروا فلما رجعوا الى المدينة استحيوا فدخلوا البيوت فقلت يا رسول الله نحن الفرارون فقال بل انتم العكارون وانا فئتكم والعكارة الكرة وعن ابن عباس ان الفرار من الزحف فى هذه الاية من اكبر الكبائر واجمع القاضى بالاية على القطع بوعيد الفساق من اهل الصلوة واجيب بانه مشروط بعدم العفو وعن ابى سعيد الخدرى والحسن وقتادة والضحاك ان هذا الحكم مختص بيوم بدر لان رسول الله ﷺ كان حاضرا بنفسه ولانهزامهم النصرة ولانه كان اول جهاده فناسب التشديد ولهذا منع من اخذ الفداء واكثر المفسرين على انه عام فى جميع الحروب لان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب قال اكثر المفسرين ان المؤمنين لما كسروا اهل مكة وقتلوا واسروا اقبلوا على التفاخر وكان القائل يقول قتلت واسرت فقيل لهم فلم تقتلوهم والفاء جواب شرط محذوف تقديره ان افتخرتم بسلبهم فانتم لم تقتلوهم ولكن الله قتلهم لانه هو الذى انزل الملائكة والقى الرعب فى قلوبهم وشاء النصر والظفر وقوى قلوبكم وربط عليها ولما طلع قريش قال رسول الله ﷺ هذه قريش قد جاءتكم بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك اللهم انى اسئلك ما وعدتنى فاتانى جبريل ع فقال خذ قبضة من تراب فارمهم بها فقال لما التقى الجمعان لعلى اعطنى قبضة من حصباء الوادى فرمى بها فى وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا شغل بعينه فانهزموا فانزل الله وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى اثبت الرمية للرسول ﷺ لان صورتها وجدت منه ونفاها عنه لان اثرها فوق حد تاثير القوى البشرية ومن ثم قال حكيم بن حزام لما كان يوم بدر سمعنا صوتا وقع من السماء الى الارض كانه صوت حصاة وقعت فى طست فرمى رسول الله ﷺ تلك الحصاة فانهزمنا وعن سعيد بن المسيب عن ابيه قال اقبل ابى بن خلف يوم احد الى النبى ﷺ بزيده فاعترض له رجال من المؤمنين فامرهم رسول الله ﷺ فخلوا سبيله فاستقبله مصعب بن عمير اخو بنى عبدالدار ورأى رسول الله ﷺ ترقوة ابى من فرجة بين سابغة البيضة والدرع فطعنه بحربته فسقط ابى عن فرسه ولم يخرج من طعنته دم وكسر ضلعا من اضلاعه فاتاه اصحابه وهو يخور خوار الثور فقالوا له ما اجزعك انما هو خدش فقال والذى نفسى بيده لو كان هذا الذى باهل ذى المجاز لماتوا اجمعين فمات ابى قبل ان يبلغ القصر فانزل الله فيه وما رميت اذ رميت ولكن

او غير مقتلهم
او النصب والظفر عليكم ذلكم
البشرية

الله رمى وقيل نزلت في خبر جبن دعا رسول الله ص بقوس فرمى منها سهما فاقبل السهم يهوي حتى قتل كنانة بن ابي الحقيق وهو على فراشه واصح الاقوال هو الاول كيلا يدخل في اثناء القصة كلام اجنبي نعم لا يبعد ان يدخل تحته سائر الوقايع لان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا وليعطيهم عطاء جميلا فعل ما فعل الا لذلك قال القاضي ولولا ان المفسرين اجمعوا على ان معنى البلاء ههنا النعمة والا لامكن ان يحمل المحنة اي لكن فعله تعم بوم بدر كان كالسبب لحصول تكليف شاق عليهم فيما بعد ذلك من الغزوات ان الله سميع لكلامكم عليم بضمائركم وهذا يجري مجرى التحذير والترهيب كيلا يغتر العبد بظواهر الامور ذلكم الغرض ولكم وان الله موهن كيد الكافرين اعرابه كما مر في قوله وان للكافرين عذاب النار قال ابن عباس لما التقى الجمعان قال ابو جهل اللهم انصر اعلى الجندين واهدى الفئتين واكرم الحزبين وافضل الدينين فانزل الله تعالى خطابا لهم على سبيل التهكم ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وقال عكرمة قال المشركون اللهم لا نعرف ما جاء به محمد فافتح بيننا وبينه بالحق فنزلت وروي ان ابا جهل قال يوم بدر اللهم ايانا كان اجهر واقطع للرحم فاحنه اليوم اي فاهلكه وقيل ثم خطاب للمؤمنين الذين استغاثوا الله وطلبوا النصر ثم خاطب الكفار بقوله وان تنتهوا اي عن عداوة رسول الله ص فهو خير لكم واسلم وان تعودوا لمحاربته نعد لنصره عليكم وجوز بعضهم ان يكون الخطاب في الجميع للمؤمنين اي ان تكفوا عن المنازعة وامر القتال وعن طلب الغنائم فهو خير لكم وان تعودوا الى المنازعات نعد الى ترك نصركم ثم ختم الآية بقوله وان الله مع المؤمنين وتقدير على قراءة الفتح ولان الله معين المؤمنين كان ذلك التأويل اذ يغشيكم النعاس امنة منه تعليل الحال الصادرة بامر التكوين كما قال للنار كوني بردا وسلاما على ابراهيم كذلك قال للخوف كن امنا على محمد واصحابه فكان ونزل عليكم من سماء الوحي ماء الالهام او الغيث لتطهركم به من دنس الصفات النفسانية والحيوانية ويذهب عنكم وساوس الشيطان وهواجسه وليربط على قلوبكم بالصدق والاخلاص والمحبة والتوكل واليقين ويثبت به الاقدام على طريق الطلب الى معاركم فتثبتوا فيه ان التثبيت من الله لا من غيره وكان القاء الرعب في قلوبهم وغير ذلك اذ القيتم الذين كفروا اذ القيتم كفار النفوس وصفاتها مجتمعين على قهر القلوب وصفاتها فلا تنهزموا فيقعوا عن صراط الطلب الا كفلبا يحرف لينتهبوا اسباب القتال مع النفس راجعا الى الاستمداد من الروح وصفاتها اولا والى الشيخ ثانيا والى حضرة الله تعالى مستمدا في قمع النفس وقهرها بطريق المجاهدة فانها بورث المشاهدة فلم تقتلوهم نفي القتل عن الصحابة بالكلية واحاله الى نفسه فقال ولكن لم يقتلوهم لان الذي امر به كان قد تجلى له بالقدرة وكان يده يد الله كما كان حال عيسى لما تجلى له بصفة الاحياء كان يحيي الموتى ويبلي المؤمنين منه فيجتهد وافي متابعته الى ان يبلغوا هذا المقام ان تستفتحوا اي تفتحوا ابواب قلوبكم بمفتاح الصدق والاخلاص وترك ما سوى الله في طلب التجلي فقد جاءكم الفتح فانه تعالى متجل في ذاته ازلا وابدا واتما التغير في احوال الخلق فهم عند انغلاق ابواب قلوبهم محرومون وعند انفتاح ابوابها محظوظون وان تنتهوا عن طلب غير الله فهو خير لكم وان تعودوا الى طلب الدنيا وزخارفها نعد الى خذلانكم ونكلكم الى انفسكم ودواعيها ولن تغني عنكم لا يقوم شيء من الدنيا والآخرة وما فيهما مقام شيء مما اعد لاهل الله وخاصته يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وانتم تسمعون

ای زمره کسانی که ایمان آورده اید اطاعت کنید خدا و رسول او را و بگردانید از او و شما میشنوید

ع ۱۲ ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ولو علم الله فيهم

و نباشید چون کسانی که گفتند شنیدیم و حال آن نشنیدند بدرستی که بدترین جنبندگان در نزد خدا کران و گنگانند آنانکه درک نمیکنند و اگر میدانست خدا در ایشان خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون يا ايها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم واعلموا

خوبی هرآینه میشنوانیدشان ایشان را هرآینه برگشتندی و روگردانیدند ای زمره انسانی که گرویده اید پاسخ دهید مر خدا و مر پیغمبر را وقتی که بخواند شما را بآنچه زنده کند شما را و بدانید

ان الله يحول بين المرء وقلبه وانه اليه تحشرون واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا ان الله

بدرستی که خدا حایل میشود میان مرد و دلش و اینکه بسوی او باز گردید و بپرهیزید از بلائی را که نمیرسد از شما آنانرا که ستمکردند از شما تنها و بدانید که خدا

شديد العقاب واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون في الارض تخافون ان يتخطفكم الناس فاواكم وايدكم بنصره

سخت عقوبت است و یاد کنید خدا را چون بودید شما کم توانان در زمین میترسیدید که در ربایند شما را مردمان پس جای داد شما را و قوت داد شما را بیاری

ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون يا ايها الذين امنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا اماناتكم وانتم تعلمون

و روزی کرد شما را از پاکیزها شاید که شما سپاس گذارید ای زمره انسان که گرویده اید خیانت نکنید خدا و رسول را و خیانت نکنید امانتهای خویش را و شما میدانید

ع ۱۳ واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة وان الله عنده اجر عظيم يا ايها الذين امنوا ان

و بدانید که جز این نیست که مالهای شما و فرزندان شما از مایه تست و مدرسه که خدا نزد او است مزدی بزرگ ای زمره انسان که گرویده اید اگر

تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم واذ يمكر بك

بپرهیزید خدا را بگرداند از برای شما جدا کردن حق را از باطل و دور کند از شما بدیهای شما را و بیامرزد شما را و خدا صاحب زیادتی بزرگ است و چون مکر میکند تو

الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين القراءة ولا تقولوا
ان کو کافر شدند تا ثابت کردانند ترا یا بکشند ترا یا بیرون کنند ترا و مکر میکنند ایشان و مکر میکند خدا و خدا بهترین مکر کنندگان بالادغام تسمعون
للابتداء وللعطف لا يسمعون لا يعقلون لا سمعهم معرضون لما يحييكم لعطف المنفقين مع اعتراض الظرف تحشرون خاصة لما قرأ العقاب تذكر وتعلمون
فتنة للعطف عظيم ويغفر لكم ما العظيم او يخرجوك ويمكر الله الماكرين التفسير لما سبحانه بعد ذكر نحو من قصة بدر والغنائم ادب المؤمنين احسن
تاديب فامرهم بطاعته وطاعة رسوله في قسمة الغنائم وغيرها ثم قال ولا تولوا عنه فوحد الضمير لان التولي انما يصح في حق الرسول بان يعرضوا عنه
عن قبول قوله وعن معونته في الجهاد او لان طاعة الرسول وطاعة الله شيء واحد فكان رجوع الضمير الى احدهما كرجوعه اليهما كقوله والله ورسوله
احق ان يرضوه وكقولك الاحسان والاجمال لا ينفع في فلان ويجوز ان يرجع الى الامر بالطاعة اي لا تولوا عن هذا الامر وامتثاله وانتم تسمعون
لم يبين انهم ماذا يسمعون لانه يعلم من مساق الكلام في السورة ان المراد وانتم تسمعون دعاءه الى الجهاد او المراد وانتم تسمعون الامر المذكور او
وانتم تصدقون بدليل قوله ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون لانهم ليسوا بمصدقين فلا يصح دعوى السماع منهم وتحقيق ذلك ان
الانسان لا يمكنه ان يقبل التكليف ما لم يسمع فجعل السماع كناية عن القبول ثم اكد التكاليف المذكورة بقوله ان شر الدواب اي
ان شر من يدب على الارض وان شر ابهائم والفرق بين التفسيرين ان الاول حقيقة لا انه ذكر في معرض الذم كقولك لمن لا يفهم الكلام هو
شيء وجماد والثاني مذكور في معرض التشبيه بالبهائم بل جعلهم شرها لجعلهم وعدولهم عن الانتفاع بالحواس كقوله بل هم اضل ومعنى عند الله
اي في حكمه وقضائه ثم قال ولو علم الله فيهم اي في هؤلاء الصم البكم خيرا لاسمعهم عن ابن جريج المنافقون وعن الحسن اهل الكتاب وقيل نزلت
الدارين قتل منهم الا رجلان مصعب بن عمير وسويد بن حرملة كانوا يقولون نحن بكم عمي عما جاء به محمد لا نسمعه ولا نجيبه فقتلوا جميعا
باحد وكانوا اصحاب اللواء وروي انهم سئلوا النبي ان يحيي لهم قصي بن كلاب وغيره من امواتهم ليخبروهم بصحة نبوته فبين تعالى انه لو علم فيهم خيرا
وهو انتفاعهم بقول هؤلاء الاموات لاحياهم حتى يسمعوا كلامهم ولكنه بقول تعالى علم منهم انهم لا يقولون هذا الكلام الا على سبيل العناد
واللغث وانهم لو اسمعهم الله كلامهم لتولوا عن قبول الحق ولاعرضوا عنه على عادتهم المستمرة واعلم ان معلومات الله تعالى اربعة اقسام جملة
الموجودات وجملة المعدومات وان كل واحد من الموجودات لو كان معدوما فكيف يكون حاله وان كل واحد من المعدومات لو كان موجودا
فكيف يكون حاله والاولان علم بالواقع والاخران الباقيان علم بالمقدور ومن هذا القبيل قوله تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم وتقدير
الكلام لو حصل فيهم خير لاسمعهم الله الخ والمواعظ فعبر عن عدمه في نفسه بعدم علم الله بوجوده واورد على الابتداء انها على صورة قياس شرطي
فاذا حذف الحد الاوسط بقي التنبيجة لو علم الله فيهم خيرا لتولوا ولكن كلمة لو وضعت للدلالة على انتفاء الشيء لانتفاء غيره فيكون التولي
منتفيا لاجل انتفاء علم الله الخير فيهم بل لاجل انتفاء الخير فيهم لكن انتفاء التولي خير من الخير فاول الكلام يقتضي نفي الخير عنهم واخره يقتضي حصول
الخير فيهم وهذا تناقض والجواب المنع من ان الحد الاوسط مكرر لان المراد بالاسماع الاول اسماع التفهم والزام القبول والمراد بالاسماع
الثاني صورة الاسماع فحسب وايضا كلمة لو في المقدمة الثانية هي التي تجيء للمبالغة بمعنى ان كفولهم نعم العبد صهيب لو لم يخف لم يعصه
فانه لا تعلق لاحدى الجملتين بالاخرى فلا قياس واستدلت الاشاعرة بالاية على ان صدور الايمان عن الكافر محال لان الصادق قد اخبر
انهم على تقدير الاسماع معرضون وخلاف علمه وخبره محال وقال في الكشاف لو علم الله فيهم خيرا اي انتفاعا باللطف لهم حتى يسمعوا
المصدقين ولو لطف بهم لما نفع فيهم اللطف فلذلك منعهم الطاف اولو لطف بهم فصدقوا لارتدوا بعد ذلك ولكذبوا ولم يستقيموا
وتزييف هذا التفسير سهل ثم علم المؤمنين ادبا اخر فقال يا ايها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم فوحد الضمير كما مر والمراد بالاستجابة الطاعة والا
الامتثال وبالدعوة البعث والتحريض عن ابي هريرة ان النبي مر على باب ابي بن كعب فناداه وهو في الصلوة فعجل في صلوته ثم جاء فقال ما منعك
عن اجابتي قال كنت اصلي قال الم تخبر فيما اوحى الي استجيبوا لله وللرسول قال لا جرم لا ادعوني الا اجبتك وقد يتمسك المعتزلة بهذا الخبر
على ان ظاهر الامر للوجوب والاقلم يتوجه اللوم ثم قيل ان هذا مما اختص به رسول الله وقيل ان دعاءه كان لامر لم يحتمل التاخير واذا وقع مثله
للمصلي فله ان يقطع صلوته ثم الاصح انه لا يمكن ان يحمل على نفس الحيوة لان احيانا الحي محال فذكروا فيه وجوها قال السدي هو الاسلام والايمان
لان الايمان حيوة القلب من الكفر وبه يدل قوله يخرج الحي من الميت اي المؤمن من الكافر وقال قتادة يعني القرآن لان فيه العلم الذي به
الحيوة الحقيقية والاكثرون على انه الجهاد لان به احد العدوين سبب حيوة الاخر ولان الجهاد سبب حصول الشهادة التي توجب الحيوة الدائمة لقوله
بل احياء عند ربهم وقيل انه عام في كل ما هو صواب فيدخل فيه القرآن والايمان والجهاد وكل اعمال البر والطاعة والمراد لما يحييكم الحيوة الطيبة
كما قال فلنحيينه حيوة طيبة واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه اختلف الناس فيه بحسب اختلافهم في مسئلة الخير والقدر فقال الواحدي عن
ابن عباس والضحاك يحول بين الكافر وطاعته ويحول بين المطيع ومعصيته فاسعد من اسعده الله واشقى من اضله الله والقلوب بيد الله
يقلبها كيف يشاء يخلق فيها القصود والدواعي والعقايد حسب ما يريد وتقرير ذلك من حيث العقل وجوبا نتهاء جميع الاسباب اليه ثم ختم الاية بقوله
وانه اليه تحشرون ليعلم انهم مع كونهم مجبورين خلقوا مثابين معاقبين اما الجنة واما النار لا بد ان يكونوا مهملين معطلين وقالت المعتزلة ان من حال الله

الزي وابن خلد
الوقوف
سماع ح

بلبه وبين الايمان فهو عاجز وامر العاجز ساقط ولا يكلف الله نفسا الا وسعها وانتم تعلمون امرا بالاستجابة لله وللرسول فلو لم يكن الاجابة ممكنة فكيف يأمر بها ولو كان الامر بغير المقدور جائزا لكان القرآن حجة الكفار على الرسول لانه عليهم فاذن لا يمكن حمل الآية على ما قاله اهل الجبر فتأولها ان الله يحول بين المرء وبين الانتفاع بقلبه بسبب الموت يدل عليه قوله وانه اليه تحشرون والمقصود الحث على الطاعة قبل نزول سلطان الموت او انتم تعلمون بين المرء وبين ما يتمناه بقلبه فتسمية الشيء باسم محله فكأنه قيل بادروا الى الاعمال الصالحة ولا تعتمدوا على طول البقاء فان الاجل يحول دون الامل اذا المراد سارعوا الى الطاعة ولا تمتنعوا عنها بسبب ما تجدون في قلوبكم من الضعف والجبن فان الله مقلب القلوب من حالة الجبن الى القوة والشجاعة وقد بدل بالامن خوفا وبالخوف امنا وبالذكر نسيانا وبالنسيان ذكرا وما اشبه ذلك مما هو جائز على الله تعالى فاما ما يتاب عليه العبد ويعاقب من افعال القلوب فلا وقال مجاهد المراد بالقلب العقل والمعنى بادروا الى الاعمال وانتم تعقلون ولا تأمنوا زوال العقول التي عندكم فتفوتوا بها بسبب التكليف فلا يقدر على الكفر والايمان وعن الحسن ان الغرض التنبيه على ان تعالى مطلع على بواطن العبد وضمائره وان قربه من عبده اشد من قرب قلبه منه كقوله ونحن اقرب اليه من حبل الوريد ثم حذرهم الفتن والاختلاف فقال واتقوا فتنة قيل هو العذاب وقيل افتراق الكلمة وقيل اقرار المنكرين اظهرهم وقوله لا تصيبن اما ان يكون جوابا للامر وجاز دخول النون المؤكدة فيه مع خلوه عن الطلب لان فيه معنى النهي كقولك انزل عن الدابة لا تطرحك وان شئت لا تطرحنك وعلى هذا من منكم للتبعيض وقيل الجواب محذوف والمعنى ان اصابتكم لا تصيب بعضكم وهم الظالمون حالكونهم خاصة ولكنها تعم الظالمين وغيرهم لانه يحسن من الله تعالى ذلك بحكم المالكية ولاشتمال ذلك على نوع من الصلاح واما ان يكون نهيا بعد امر ومن للبيان كانه قيل احذروا ذنبا او عقابا ثم قيل لا تصيبنكم تلك العقوبة خاصة على ظلمكم كان الفتنة هيئت عن ذلك لاختصاص على طريق الاستعفاء وهكذا ان جعلت الجملة الثانية صفة للفتنة على ارادة القول اي واتقوا فتنة مقولا فيها لا تصيبن كقوله جاءني رجل ايمان قط هل رأيت اكرم منه قط عن الحسن نزلت في علي وعمار وطلحة والزبير وهو يوم الجمل خاصة على ما قال الزبير نزلت فينا وقرأناها زمانا ما نرى اهلها فاذا نحن المعنيون بها وعن اسامة نزلت في اهل بدر فاقتتلوا يوم الجمل روي ان الزبير كان يساير النبي يوما اذا قبل علي وضحك اليه الزبير فقال رسول الله كيف حبك لعلي فقال يا رسول الله بالي انت وامي احبه كحبي لولدي او اشد حبا فقال فكيف انت اذا سرت اليه تقاتله ثم حتم الآية بقوله واعلموا ان الله شديد العقاب والمراد منه الحث على لزوم الاستقامة ثم ذكرهم نعمه عليهم فقال واذكروا اذ انتم وانتصابه على انه مفعول به اي وقت انتم قليل يستوي فيه الواحد والجمع مستضعفون في الارض ارض مكة قبل الهجرة تخافون ان يتخطفكم الناس يستلبونكم لكونهم اعداء لكم فاواكم الى المدينة وايدكم بنصره بمظاهرة الانصار وبامداد الملائكة يوم بدر ورزقكم من الطيبات من الغنائم لعلكم تشكرون اي يثبتكم على الشكر من الشاكلة الارتجاء ومن البلاء الى النعماء والآية حتى تشتغلوا بالشكر والطاعة فكيف يليق بكم ان تشتغلوا بالمناهي عند قلة الانفاق ثم منعهم من الخيانة فقال الآية روي ان رسول الله صلعم حاصر يهود بني قريظة احدى وعشرين ليلة فسألوا الصلح كما صالح اخوانهم بني النضير على ان يسيروا الى اذرعات وارضها من ارض الشام فابى رسول الله صلعم الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فابوا وقالوا ارسل الينا ابا لبابة بن مروان المنذر وكان مناصحا لهم لان عياله وماله في ايديهم فبعثه اليهم فقالوا له ما ترى هل ننزل على حكم سعد فاشار الى حلقه انه الذبح ان حكم سعد بن معاذ هو الذبح قال ابو لبابة فما زالت قدماي حتى علمت اني قد خنت الله ورسوله فنزل الآية فشد نفسه على سارية من سواري المسجد وقال والله لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله علي فمكث سبعة ايام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب عليك فحل نفسك فقال لا والله لا احلها حتى يكون رسول الله هو الذي يحلني فجاءه فحله بيده فقال ان من تمام توبتي ان اهجر دار قومي التي اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالي فقال صلعم يجزيك الثلث ان تتصدق به وقال السدي كانوا يتهمون النبي صلعم في شيء فيفشونه ويفشونه الى المشركين فنهاهم الله عن ذلك وقال ابن زيد نهاهم الله ان يخونوا كما صنع المنافقون يظهرون الايمان ويسرون الكفر وعن جابر بن عبد الله ان ابا سفيان خرج من مكة معلم النبي صلعم خروجه وعزم على الذهاب اليه فكتب اليه رجل من المنافقين ان محمدا يريد كذا فخذ حذرك فنزلت وقال الزهري والكلبي نزلت في حاطب بن ابي بلتعة حين كتب لاهل مكة خروج النبي صلعم اليهم حكاه الامام قال القاضي والاقرب انها في الغنائم فالخيانة فيها خيانة الله لانها عطية وخيانة لرسوله لانه القيم بقسمتها وخيانة للمؤمنين الغانمين فلكل منهم فيها حق قال ويحتمل ان يراد بالامانة كل ما تعبد به وكان معنى الآية ايجاب اداء التكاليف باسرها في الغنيمة وغيرها على سبيل التمام والكمال من غير نقص واخلال ومعنى الخون النقص كما ان معنى الوفاء التمام فاذا خنت الرجل في شيء فقد ادخلت عليه النقصان وقد استعير فقيل خان الدلو والكرب وخان الشنار والكرب حبل قصير يوصل بالرشاء ويكون على العراقي سمي كربا لانه يكرب من الدلو اي يقرب منه واشتار العسل اذا اجتناه وجمعه ونحوه ويحتمل ان يكون جزما داخلا في حكم النهي وان يكون نصبا باضمار ان كقوله وتكتموا الحق ومعنى الآية على الوجه العام لا تخونوا الله بان تعطلوا فرائضه ورسوله بان لا تستنوا بسنته وامانكم فيما بينكم بان لا تحفظوها وانتم تعلمون بتعمد ذلك وبالله او تعلمون انكم تخونون بعد ان الخيانة توجد منكم عمدا لا سهوا وقيل وانتم علماء تعلمون قبح القبيح وحسن الحسن ثم لما كان الداعي الى الخيانة

الاموال والاولاد ولعل بافراط من ابى لبابة كان بسبب ذلك نبه الله سبحانه على ان يجب على العاقل ان يحترز عن المضار المتولدة من ذلك الحب
فقال انما اموالكم واولادكم فتنة اى انها سبب لوقوع فى الفتنة وهى الاثم والعذاب او هى محنة من الله ليبلوكم كيف تحافظون على حدوده
فى ذلك الباب وان الله عنده اجر عظيم فعليكم ان تزهدوا فى الدنيا وما يتعلق بها وتتوطوا انفسكم بما يفضى الى السعادات الروحانية
الباقية ويمكن ان يتمسك بالاية فى بيان ان الاشتغال بالنوافل لكونه مفضيا الى الاجر العظيم عند الله وهو افضل من الاشتغال بالنكاح
لاداء الى الفتنة ثم رغب فى التقوى التى توجب الاعراض عن محنة الاموال والاولاد عن النهاية فى شانهم فقال يا ايها الذين امنوا ان تتقوا الله
فى ارتكاب الكبائر والاصرار على الصغاير يجعل لكم فرقانا فارقا بينكم وبين الكفار فى الاحوال الباطنة بالاختصاص بالمعرفة والهداية وانشراح
الصدر وازالة الغل والحسد والمكر وسائر الاخلاق الذميمة والاوصاف السبعية والبهيمية وفى الاحوال الظاهرة باعلاء الكلمة والاظهار
على اهل الاديان كلهم وفى احوال الاخرة بالثواب الجزيل والمنافع الدائمة والتعظيم من الله والملائكة ويكفر عنكم سيئاتكم ويستر عليكم فى الدنيا
صغاير كم ان فرطت منكم ويغفر لكم فى دار الجزاء والله ذو الفضل العظيم فاذا وعد اثنى وفى بما احسن الايفاء ومن عظيم فضله انه يتفضل ابتداء
من غير واسطة وبدون التماس عوض وكل متفضل سواه فانه لا يتفضل الا بعد ان يحاول الله فيه داعية التفضل وبعد ان يمكن المتفضل عليه
من الانتفاع بذلك وبعد ان يكون قد تصور فيه ثوابا او ثناء او حمدا على ذلك رتبة طبع او عصبية او لا فلا فضل فى الحقيقة الا لله سبحانه
ثم لما وعظه بالعظم ثم لما ذكر المؤمنين نعمه عليهم بقوله واذكروا اذ انتم قليل ذكر رسوله نعمته عليه وذلك دفع كيد المشركين عنه حين كان
بمكة ليشكر نعمة الله فى نجاته من مكرهم وفيما اتاح له من حسن العاقبة والمعنى واذكروا وقت مكرهم فان ابن عباس ومجاهدا وقتادة وغيرهم من المفسرين
ان قريشا اجتمعوا فى دار الندوة متشاورين فى امر رسول الله ﷺ فدخل عليهم ابليس فى صورة شيخ وقال انا شيخ من نجد ما انا من تهامة دخلت
مكة فسمعت باجتماعكم فاردت ان احضركم ولن تعدموا منى رايا او مضحكا فقالوا هذا من نجد لا باس عليكم به فقال ابو البختر من بنى عبد الدار
رايى ان تحبسوه فى بيت وتشدوا وثاقه وتسدوا بابه غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها وتتربصوا به ريب المنون فقال ابليس بئس
الراى يابتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من ايديكم فقال هشام بن عمرو رايى ان تحملوه على جمل وتخرجوه من بين اظهركم فلا يضركم ما صنع
واسترحتم فقال بئس الراى يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل انا ارى ان ناخذ من كل بطن غلاما ونعطوه سيفا صارما فيضربوه
ضربة رجل واحد فيتفرق دمه فى القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلها فاذا طلبوا العقل عقلناه واسترحنا فقال الشيخ صدق
هذا الفتى هو اجودكم راى فتفرقوا على راى ابى جهل مجمعين على قتله فاخبر جبريل رسول الله وامره ان لا يبيت فى مضجعه واذن له فى الهجرة فامر
عليا ان ينام فى مضجعه وقال له اتشح ببردى فانه لن يخلص اليك امر تكرهه وباتوا مترصدين فلما اصبحوا ثاروا الى مضجعه فابصروا عليا
فبهتوا وخيب الله سعيهم واقتفوا اثره فابطل مكرهم ومعنى يثبتوك قال ابن عباس ليوثقوك ويسجنوك لانه لا يقدر على الحركة
وهو اشارة الى راى البختر وقوله او يقتلوك اشارة الى راى ابى جهل وقوله او يخرجوك اى من مكة اشارة الى راى هشام وانكر القاضى حدوث
ابليس فى القصة وتصويره نفسه بصورة الانسان قال لان ذلك التغيير ان كان من فعل ابليس فذلك لا يليق بحكمة الله تعالى لانه اقدار ابليس
على تغيير صورة نفسه اغراء له على الاغواء والتلبيس هذا حكى عن القاضى ورد عليه ان هذا الاعتراض وارد على خالق ابليس نفسه و
على خالق سائر اسباب الشرور والاثام وقد اجبنا عن امثال ذلك مرارا فقد عرفت تفسير المكر فى سورة ال عمران والحاصل انهم احتالوا فى ابطال امر
محمد والله نصره وقواه فضاع فعلهم وظهر صنع الله فيهم لان مكرهم فكيف قال والله خير الماكرين واجيب بان المراد انه اقوى الماكرين او المراد انه اقدر
فى مكرهم خير لكان الخير فى مكره اكثر والمراد انه فى نفسه خير لانا نقول ان شر من دب فى الوجود هم الصم عن استماع كلام الحق بسمع القلب والقبول بكم
عن كلام الحق والكلام مع الحق والاصم لابد ان يكون ابكم فلذلك خصها بالذكر الذين لا يعقلون انهم لما اخلفوا فلا جرم ثوى لهم من ان
يكونوا خير البرية الى ان يكونوا شر الدواب استجيبوا لله انه تعالى يطلب المجد من العبد الاجابة كما يطلب العبد الحاجة منه الاجابة فالاستجابة لله
اجابة الارواح للشهود واجابة القلوب للشواهد واجابة الاسرار للمشاهد واجابة الخفى للفناء فى الله والاستجابة للرسول بالمتابعة لما يحييكم
بالفناء عنكم والبقاء به واتقوا ايها الواصلون فتنة ابتلاء النفوس بحظوظها الدنيوية والاخروية لا تصيبن النفوس الظلمة فقط بل تصيبن ظلمتها
الارواح النورانية والقلوب الربانية فتجتمع بها من خطائر القدس وروائح الانس ما لا حد لها واعلموا ان الله شديد العقاب
يعاقب الواصلين بالانقطاع والاستدراج عنه الا لتفاتهم الى ما سواه واذكروا اذ انتم ايها الارواح والقلوب قليل لم تنشأ بعد لكم الصفات
والاخلاق الروحانية مستضعفون من غلبات صفات النفس لاعواز التربية بالبيان اداب الطريقة ولانعدام جريان احكام الشريعة
عليهم الى اوان البلوغ تخافون ان تخطفكم النفوس وصفاتها والشيطان واعوانه فاواكم الى حظائر القدس وايدكم بالوان
الربانية ورزقكم من المواهب الظاهرة من لوث الحدوث يا ايها الذين امنوا يعنى الارواح والقلوب المتوجة بنور الايمان المستعدة
بسعادات العرفان لا تخونوا الله فيما اتيكم من المواهب فتجعلوها شبكة لاصطياد الدنيا ولا تخونوا الى الرسول بترك السنة والقيام
بالبدعة وتخونوا امانتكم التى هى محبة الله وحيائها بتبديلها بمحبة المخلوقات وانتم تعلمون انكم تبيعون الدين بالدنيا والمولى

ذكر هام

يفعل الله فى اعداء الكفار ما كان هم

بالاولى فلنخبركم الله بما للتمييز الموافق والصديق من الزنديق يا أيها الذين آمنوا بهذه المقامات والكرامات ان تتقوا الله من غير الله
يجعل لكم فرقانا يفيض عليكم من سجال جماله وجلاله الفضل العظيم وهو البقاء بالله بعد الفناء فيه ليتبوك أيها الروح في أسفل سافلين
الطبيعة او بعد موك بانعدام آثارك او بخروجك من عالم الارواح والله خير الماكرين يصلح حال الصلاح البتة

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ
وچون خوانده شدى برايشان آيات ما كه بشنديم اگر بخواهيم هر آينه بگوئيم ما اند اين مگر افسانهاى پيشينيان وچون گفتند خداوندا
إِنْ كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ
اگر بعضى اين ان حق از نزد تو پس ببارانى بر ما سنگ از آسمان يا بياور ما عذابى دردناك ونباشد خداوند كه عذاب كند ايشان را
اللَّهُ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
وحال آنكه تو در ميان ايشانى ونباشد خداوند عذاب كننده ايشان را وايشان استغفار كنند وچه را باشد كه عذاب كنند خداوند ايشان را وايشان باز ميدارند از مسجد الحرام
وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً
ونباشند دوستان او نيست دوستان او مگر پرهيزكاران ولكن بيشتر ايشان ندانند ونباشد نماز ايشان نزد خانه مگر شكوه زدن و دست بر هم زدن
فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا
پس بچشيد عذاب را بسبب آنكه بوديد كه كافر شديد بدستيكه ايشان كه كافر شدند مى دهند مالهاى خود را تا باز دارند از راه خدا پس خرج خواهند كرد آنرا
ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَ
پس باشد بر ايشان پشيمانى پس مغلوب شوند وايشان كه كافر شدند بسوى جهنم گرد آيند تا جدا كند خدا پليد را از پاك و
يَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ع ١٩
قرار دهد پليد را بر بعض پس بر روى هم اندازد او را پس بگيرد او را در جهنم آنگروه ايشان زيانكاران بگو مر ايشان را كه كافر شدند
إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ
اگر دست كشند بخشيده شود پيش ازين واگر باز گردند پس بتحقيق گذشت طريقه پيشينيان وكارزار كنيد ايشان را تا نباشد
فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ
فتنه و باشد دين همه از براى خدا پس اگر باز ايستند پس بدرستى كه خدا بآنچه ميكنيد بيناست واگر برگردند پس بدانيد كه خدا كارساز شما خوب كارسازى و
النَّصِيرُ القراءة بما تعملون بصير بتاء الخطاب يعقوب لوقوف مثل هذا الا ان الابتداء بان هذا اساطير الاولين قبيح الا ترى انك لو وقفت
بدرستى كه خدا بآنچه ميكنيد بيناست فيهم ط يستغفرون وما كانوا اولياءه ط الا يعلمون وتصديه تكفرون عن سبيل الله ط يغلبون ط لان ما بعده مبتدا تحشرون لا لتعلق
اللام في جهنم ط الخاسرون سلف لابتداء الشرط مع العطف الاولين كله لله بصير مولاكم ط النصير الجر والعاشر التفسير لما حكى مكرهم في ذات
محمد صلى الله عليه وآله حكى مكرهم في دينه وروى ان النضر بن الحرث خرج الى الحيرة تاجرا واشترى احاديث كليلة ودمنة وقصة رستم و
اسفنديار وكان يقعد مع المستهزئين والمقتسمين فيقرأ عليهم ويقول هذا مثل ما يدين كوه محمد من قصص الاولين ولو شئت لقلت مثل
قوله وهذا منه ومن امثاله حلف تحت الواعدة لانهم لم يتوانوا في مشيتهم لو ساعدتهم الاستطاعة وروى النضل وعن ابي جعل على
ما في التجمعين اتاهما قال ما معناه اللهم ان كان هذا هو الحق الاية وهذا اسلوب من العناد بليغ لان قوله هو الحق وبالفصل
وتعريف الخبر تهكم لمن يقول على سبيل التخصيص والتعيين هذا هو الحق ومعنى حجارة من السماء الجارة المسومة للعذاب اى ان كان القرآن
هو المخصوص بالحقية فعاقبنا على انكاره بالتعجيل كما فعلت باصحاب الفيل او بنوع اخر من جنس العذاب الاليم ومراده نفى كونه حقا فلذلك
علق بحقية العذاب كما لو علق بامر محال فهو كقول القائل ان كان الباطل حقا فامطر علينا حجارة وعن معوية انه قال لو جل من سبا ما اجهل
قومك حين ملكوا عليهم امرأة قال اجهل من قومي قومك قالوا لرسول الله ص حين دعاهم الى الحق ان كان هذا هو الحق فامطر علينا حجارة و
لم يقولوا ان كان هذا هو الحق فاهدنا له ثم شرع في الجواب عن شبههم فقال وما كان الله ليعذبهم اللام لتاكيد النفي دلالة على ان تعذيبهم
بعذاب الاستيصال والنبي بين اظهرهم غير مستقيم عادة تعظيما لشان النبي وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون قال قتادة والسدي المراد نفي
الاستغفار منهم اى لو كانوا ممن يؤمن ويستغفر من الكفر لما عذبهم وقيل اللفظ عام الآن المراد بعضهم وهم الذين تخلصوا عن رسول الله ص
من المستضعفين المؤمنين فهو كقولك لست اقتل اهل فلان وانما اقتل واحدهم او اثنين وقيل وصفوا بصفة اولادهم والمعنى وما كان الله معذب
هؤلاء الكفار وفي علم الله انه تكون لهم اولاد يؤمنون بالله ويستغفرونه وفي علم الله ان فيهم من يؤل امره الى الايمان كالحكيم بن حزام والحرث بن
هشام وعدد كثير ممن اسلم يوم الفتح وقبله وبعده وفي الاية دلالة على ان الاستغفار امان وسلامة من العذاب قال ابن عباس كان فيهم امانان نبي الله

الانفال ٨

والاستغفار اما التي فقد مضى واما الاستغفار فهو باق الى يوم القيمة ثم بين انه بعد بهم اذا خرج الرسول من بينهم فقال لهم الا يعذبهم الله وله شيء لهم في انتفاء العذاب عنهم بعينه الاخطارهم في ذلك وهم معذبون لا محالة قبل لحقهم هذا العذاب الموعد به يوم بدر وقبل يوم فتح مكة بدليل قوله وهم يصدون اي كيف يعذبون وحالهم انهم يصدون عن المسجد الحرام كما صدوا رسول الله عام الحديبية والاولون قالوا ان اخراجهم رسول الله هم والمؤمنين من الصد وعن ابن عباس هذا العذاب عذاب الاخرة والذي نفاه عنهم هو عذاب الدنيا وكانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم فصدنا من نشاء وندخل من نشاء فنفى الله استحقاقهم الولاية بقوله وما كانوا اولياءه ان اولياؤه الا المتقون من المسلمين ليس كل مسلم يصلح لذلك فضلا عن مشرك ولكن اكثرهم لا يعلمون كان فيهم من كان يعلم وهو يعاند ويطلب لرياسة واد بالاكثر الجمع كما يراد بالقلة العدم ثم ذكر بعض اسباب سلبهم الولاية عنهم فقال وكان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية المكاء فعال كالثغاء والرغاء من مكا يمكو اذا صفر والتصدية التصفيق تفعلة من الصدى وهو الصوت الذي يرجع من الجبل فيكون في الاصل معتل اللام او من صد يصد مضاعفا اي صاح فقلبت الدال الاخيرة ياء كالتقضي في التقضض وانكر هذا الاشتقاق بعضهم وصوبه الازهري وابو عبيدة قال جعفر بن ربيعة سئلت ابا سلمة بن عبد الرحمن عن المكاء والتصدية فجمع كفيه ثم نفخ فيهما صفيرا وقيل هو ان يجعل بعض اصابع اليمنى بعض اصابع الشمال في الفم ثم يصفر به وقيل تسويت تشبه صوت المكاء بالتشديد وهو طائر معروف عن ابن عمر كانوا يطوفون بالبيت عراة فهم مشبكون بين اصابعهم فيها يصفرون ويصفقون فالمكاء والتصدية على هذا نوع عبادة لهم فلهذا وضعا موضع الصلوة بناء على معتقدهم وفيه ان من كان المكاء والتصدية صلوته فلا صلوة له كقول العرب ما لفلان عيب الا السخاء اي من كان السخاء عيبه فلا عيب له وقال مجاهد ومقاتل كانوا يعارضون النبي ﷺ في الطواف والصلوة عند المسجد الحرام يستهزئون به ويخلطون عليه فجعل المكاء والتصدية صلوتهم كقولك زرتك اليوم فجعل جفائي صلتك اي قام الجفاء مقام الصلة ثم خاطبهم على سبيل المجازاة بقوله فذوقوا العذاب عذاب القتل والاسر يوم بدر او عذاب الاخرة بما كنتم تكفرون بسبب كفركم وافعالكم التي لا يقدم عليها الا الكفرة ولما شرح احوال هؤلاء الكفار في الطاعات البدنية اتبعها شرح احوالهم في الطاعات المالية فقال ان الذين كفروا ينفقون اموالهم الاية قال مقاتل والكلبي نزلت في المطعمين يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلا ابو جهل بن هشام وعتبة وشيبة ابنا ربيعة ونبيه ومنبه ابنا حجاج وابو البختري بن هشام والنضر بن الحرث وحكيم بن حزام وابي بن خلف وزمعة بن اسود والحرث بن عامر بن نوفل والعباس بن عبد المطلب كلهم من قريش وكان يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزر وقال سعيد بن جبير وابن اسحق نزلت في ابي سفيان بن حرب استاجر يوم احد الفين من الاحابيش والاحوش جماعة من الناس ليسوا من قبيلة واحدة واتفق عليهم اربعين اوقية اثنان واربعون مثقالا فانفقها في الكفاف وقال محمد بن اسحق عن رجاله لما اصيبت قريش يوم بدر ورجع كلام الى مكة ورجع ابو سفيان بعيره مشى عبد الله بن ابي ربيعة وعكرمة بن ابي جهل وصفوان بن امية في رجال من قريش اصيب من اباءهم وابنائهم واخوانهم ببدر فكلموا ابا سفيان بن امية في رجال من قريش اصيب اباءهم وابناءهم واخوانهم ببدر فكلموا ابا سفيان بن حرب ومن كان له في تلك العير تجارة فقالوا يا معشر قريش ان محمدا قد وتركم وقتل خياركم فاعينونا بهذا المال الذي افلت على حربه لعلنا ان ندرك منه ثارا لمن اصيب منا فانزل الله تعالى الاية ومعنى ليصدوا عن سبيل الله ان غرضهم في الانفاق كان هو الصد عن اتباع محمد وهو سبيل الله وان لم يكن عندهم كذلك ثم اخبر عن الغيب على وجه الاعجاز فقال فسينفقونها اي سيقع منهم هذا الانفاق ثم تكون عاقبة انفاقهم حسرة فكان ذلك تصديقا لما وقع في الغيب حسرة ثم يغلبون اخوا الامر وان كانت الحرب بينهم وبين المؤمنين سجالا لا فوله كتب الله لاغلبن انا ورسلي ومعنى ثم في الجملتين اما التراخي في الزمان لما بين الانفاق المذكور وبين ظهور دولة الاسلام من الامتداد واما التراخي في الرتبة لما بين بذل المال وعدم حصول المقصود من المبالغة ثم قال والذين كفروا اي الكافرون منهم ولم يقل ثم يغلبون والى جهنم يحشرون لان منهم من اسلم وحسن اسلامه فذكر ان الذين بقوا على الكفر لا يكون حشرهم الا الى جهنم دون من اسلم منهم ثم بين الغاية والغرض فيما يفعل بهم من الغلبة ثم الحشر الى جهنم فقال ليميز الله الخبيث اي الفريق الخبيث من الكفار من الفريق الطيب هم المؤمنون ويجعل الفريق الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا عبارة عن الجمع والضم وفرط الازدحام يقال ركم الشيء وركمه اذا جمعه والقى بعضه على بعض اولئك الفريق الخبيث هم الخاسرون وقيل الخبيث والطيب صفة المال اي ليميز المال الخبيث الذي ينفقه المشركون في عداوة رسول الله ﷺ والمؤمنين من المال الطيب الذي انفقه المهاجرون والانصار في نصرته فيضم تلك الاموال الخبيثة بعضها الى بعض فيلقيه في جهنم ويعذبهم بها كقوله فتكوى بها جباههم وجنوبهم على هذا فاللام في قوله ليميز الله يتعلق بقوله ثم يكون عليهم حسرة قاله في الكشاف ولا يبعد عندي ان يتعلق بيحشرون واولئك اشارة الى الذين كفروا والمعنى ان ضلالهم في عباداتهم البدنية والمالية وارشادهم الى الطريق المستقيم وما يتبعه من الصلاح فقال قل للذين كفروا اي قل لاجلهم هذا القول وهو ان ينتهوا عما هم عليه من عداوة الرسول وقتاله بالدخول في السلم والاسلام يغفر لهم ما قد سلف من الكفر والمعاصي ولو كان المراد خطابهم بهذا القول لقيل ان تنتهوا يغفر لكم وقد قرأ بذلك ابن مسعود وان تعودوا الفنا فقد مضت سنة من الاولين الذين حاق بهم مكروهم يوم بدر او سنة الذين تحزبوا

الجزء الثامن

على ابنائهم من الامم فاهلكوا او غلبوا كقوله كتب الله لاغلبن انا ورسلي واستدل كثير من العلماء منهم اصحاب ابي حنيفة بالاية على ان الكفار ليسوا مخاطبين بفروع الاسلام لان الخطاب مع الكفار باطل بالاجماع وبعد زواله لا يؤمر بقضاء العبادات الفائتة بل ذهب ابو حنيفة الى ان المرتد اذا اسلم لا يلزمه قضاء العبادات المتروكة في حال الردة وقبلها وقرأ ان يعودوا بالعود الى الردة واختلفوا في ان الزنديق تقبل توبته ام لا والصحيح انها مقبولة لشمول الاية جميع الكفار لقوله صلعم نحن نحكم بالظاهر ولا نكلف بالرجوع ولا طريق له الا التوبة فلو لم تقبل لزم تكليف ما لا يطاق ثم امر بقتالهم ان اصروا على الكفر فقال وقاتلوهم الاية وقد مر تفسيره في سورة البقرة الا انزاد ههنا لفظة كله في قوله ويكون الدين كله لله لان القتال ههنا مع جميع الكفار ههنا مع جميع الكفار وهناك كان مع اهل مكة فحسب فان انتهوا عن الكفر واسلموا فان الله بما يعملون بصير يثيبهم على توبتهم واسلامهم ومن قرأ بناء الخطاب اراد فان الله بما تعملون من الجهاد في سبيله والدعوة اليه بصير يجازيكم احسن الجزاء وان تولوا ولم ينتهوا فاعلموا ان الله مولاكم ناصركم ومتولي امركم يحفظكم ويدفع شر الكفار عنكم فانه نعم المولى ونعم النصير فثقوا به لا بغيره وبنصرته لا بنصرة غيره قالوا قد سمعنا ما سمعوا في الحقيقة والا لما قبلوا لو شاء لقلنا فان كلام المخلوق لن يكون مثل كلام الله ثم انظر كيف استخرج الله منهم عقيب دعوتهم لقلنا مثل قولهم اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا ان من هذا حاله كيف يكون مثل القرآن مقالة ولو كان لهم عقل لقالوا ان كان هذا حقا فاهدنا له ومتعنا بمرواده واسراره وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم لانه رحمة للعالمين والرحمة تنافي العذاب ان اولياؤه الا المتقون ولكن اكثرهم يعني اكثر المتقين لا يعلمون انهم اولياؤه لان الولي قد لا يعرف انه ولي ان الذين كفروا ينفقون كذلك اي كفار النفوس ينفقون اموال الاستعداد الفطري في غير طلب الله وانما تصرفها في استيفاء اللذات والشهوات فستندم حين لا ينفع الندم ثم يغلبون لا يظفرون بمشتهيات النفس كلها ولاجلها والذين كفروا من الارواح والقلوب التابعة للنفوس الى جهنم البعد والقطيعة يحشرون ليميز الله الارواح والقلوب الخبيثة من الطيبة التي لا تركن الى الدنيا ولا يخدع بلمع خداع النفوس فذكرهم جميعا فيجعل الارواح الخبيثة فوق النفوس الخبيثة فتلقى الجميع في جهنم القطيعة قل للذين كفروا من الارواح والقلوب اي استتروا النور الروحاني بظلمات صفات النفس ان ينتهوا عن اتباع الهوى يغفر لهم ما قد سلف من ظلمات بنود الفرقان والوشاد وقالوا كفارا النفوس حتى لا يكون انفكاكها عن الوصول ويكون الدين كله لله بدل الوجود وفقد الموجود لنيل الوجود وكرامة الشهود والله تعالى اعلم

ع ١ واعلموا ان ما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ان

وبدانيد كه بدرستي كه بكيريد غنيمت كرفتيد از چيزي پس بدرستيكه مر خداراست پنج يك آن واز براي پيغمبر واز براي صاحبان خويشي وطن وجمعيت ويتيمان وفقيران

كنتم آمنتم بالله وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير اذ انتم بالعدوة الدنيا

اكر هستيد كرويده ايد بخدا واكنچه فرستاديم بر بنده خود در روز جدائي روزيكه بهم رسيدند دو طائفه وخدا بر هر چيزي تواناست وقتيكه شما بكناره نزديكتر

وهم بالعدوة القصوى والركب اسفل منكم ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد ولكن ليقضي الله امرا كان مفعولا

وايشان بكناره دورتر بودند وكاروان زيرتر از شما واكر وعده كرديد هر آينه اختلاف كرديد در وعده ولكن تا بكزارد خدا فرمانيرا كه شده بود

ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وان الله لسميع عليم اذ يريكهم الله في منامك قليلا

تا كمراه شود آنكه كمراه شود از روي حجت وزنده ماند آنكه زنده شود از روي حجت ومدرستيكه خدا هر آينه شنونده داناست چون مينمود ايشان را خدا بتو در خواب تو كمتر

ولو اراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم في الامر ولكن الله سلم انه عليم بذات الصدور واذ يريكموهم

واكر مينمود ايشان را بتو بسيار هر آينه هراسيده شديد وخلاف كرديد در كار ولكن خدا سلامت داد بدرستيكه او داناست بآنچه در سينهاست وچون مينمود ايشان را

ع ٢ اذ التقيتم في اعينكم قليلا ويقللكم في اعينهم ليقضي الله امرا كان مفعولا والى الله ترجع الامور يا ايها الذين

هنكاميكه بكديكر رسيديد در نظر شما كم وكم مينمود شما را در نظرهاي ايشان تا بكذارند خدا كاريرا بوده كرده شده وبسوي خدا بركردانيده ميشود كارها اي زمره انهائي كه

امنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا

كرويده ايد چون رويد بكروهي پس ثابت شويد ويادكنيد خدا را بسيار شايد كه رستكار شويد وفرمان بريد خدا وپيغمبر او را ومخالفت مكنيد

وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء

پس سست شويد وبرود صولت شما وصبر كنيد بدرستيكه خدا با صبر كنندكانست ومباشيد چون كسانيكه بيرون رفتند از منزلهاي خود بخوت وطمطراق

الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط واذ زين لهم الشيطان اعمالهم وقال لا غالب

مردم وباز دارند از راه خدا وخدا بآنچه ميكنند احاطه كرده وچون بياراست از براي ايشان شيطان كردارهاي زشت را وكفت كه غالب نيست

لكم اليوم من الناس وانى جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال انى بريء منكم انى ارى ما

شما را امروز از مردمان ومن بادريم از براي شما پس چون برابر شدند دو كروه بركشت بر پاشنه خود وكفت من بيزارم از شما كه من ميبينم آنچه

ع ٣ لا ترون انى اخاف الله والله شديد العقاب اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم ومن

نمي بينيد بدرستيكه من ميترسم خدا را وخدا سخت عقوبتست چون كفتند منافقان وآنان كه در دلهاشان مرضيست فريب داد اينانرا دينشان

الانفال

يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم القراء بالعدوة بالكسر في الحرفين ابن كثير وابو عمرو ويعقوب ليناتون بالتاء من حي بيانين ابو جعفر
متوكل كردن خدا پس بدرستكه خدا غالب داناست نافع وخلف وسهل ويعقوب والبزي ونصير وابو بكر وحماد الباقون بالادغام ولا تنازعوا بالادغام
البزي وابن فليح وتذهب بالجزم للجزاء عن هبيرة واذرين وبابه مدغما ابو عمرو وعلي وحمزة وفي رواية خلاد وابن سعدان وابي عمر وهشام انى ارى
انى اخاف بفتح الياء فيهما ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو وترات الفشل بالامالة نصير الوتوف وابن السبيل للتعاقب وفي الشرط يحذوف يدل
عليه ما قبلها تقديره واعلموا واعتقدوا واعلم ان الاقسام ان كنتم الجمعان فاعلموا ان لله خمسه منكم طي الميعاد للعطف لكن مفعولا للتعلق اللام من حي عن
بينة ما علمهم للتعلق اذ قليلا منكم حال الصدور مفعولا اشورتفلحوا للابتداء للعطف واصبروا الصابرين محمد ذكر عن سبيل الله محيطا جاء
لكم حاخاف الله العقاب دينهم لحكيم التفسير لما امر سبحانه بالقتال في قوله وقاتلوهم والمقاتلة مظنة حصول الغنيمة اعاد حكم الغنيمة ببيان
اوفى واشفى فقال واعلموا انما غنمتم الذي غنمتم به من اموال الكفرة فهما وقوله من شيء بيان ما اي من كل ما يقع عليه اسم الشيء حتى الخيط و
الخياط وقوله فان لله بالفتح مبتدا محذوف الخبر وروى المجعفي عن ابي عمرو فان لله بالكسر قال في الكشاف والمشهور اكد واثبت للايجاب كانه
قيل فلا بد من ثبات الخمس منه ولا سبيل الى الاخلال به لانه اذا حذف الخبر احتمل عبارة احد من المقدرات كقولك ثابت واجب حق لازم كان
اقوى لايجابه من النص على واحد عن الكلبي انه نزل ببدر وقال الواقدي كان الخمس في غزوة بني قينقاع بعد بدر بشهر وثلثة ايام لله
للنصف من شوال على عشرين شهرا من الهجرة واعلم ان الاية تقتضي اخذ الخمس من الغنائم واختلفوا في كيفية قسمة تلك الخمس على اقوال اشهرها
ان ذلك الخمس يخمس حتى يكون مجموع الغنيمة مقسوما بخمسة وعشرين قسما عشرون للغانمين بالانفاق لانهم كسبوها كالاحتطاب والاصطياد
واما الخمسة الباقية فواحد منها كان لرسول الله يصرف الان الى ما كان يصرف اليه من مصالح المسلمين كسد الثغور وعمارة الحصون والقناطر
والمساجد وارزاق القضاة والائمة الاهم فالاهم وواحد للذوي القربى يعني اقارب رسول الله من اولاد هاشم والمطلب من عبد مناف
دون عبد شمس ونوفل وهما ابنا عبد مناف ايضا لما روي عن عثمان بن عفان وجبير بن مطعم وكان عثمان من بني عبد شمس وجبير من بني
نوفل انهما قالا لرسول الله هؤلاء اخواننا بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله منهم ارايت اخواننا بني المطلب اعطيتهم
وحرمتنا وانما نحن وهم بمنزلة واحدة فقال انهم لم يفارقونا في جاهلية ولا اسلام انما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد وشبك بين
اصابعه يستوي في هذا السهم غنيهم وفقيرهم لان الذكر مثل حظ الانثيين وثلثة اخماس الخمس الباقيات لليتامى والمساكين وابن السبيل
هذا عند الامامين ابي حنيفة والشافعي لان ابا حنيفة قال ان سهم رسول الله ساقط بموته وكذلك سهم ذوي القربى وانما يعطى
لفقرهم فهم اسوة سائر الفقراء فعلى مذهب الامامين معنى قوله سبحانه فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ فان لرسول الله خمسه كقوله والله
ورسوله احق ان يرضوه وعن ابي العالية ايجاب سهم الله وانه يقسم الخمس على ستة اسهم الذاهبون الى هذا القول اختلفوا فقيل
ان ذلك السهم لبيت المال وقيل يصرف الى مصالح الكعبة لما روي انه كان يأخذ الخمس فيصرف بعضه فيأخذ منه قبضة فيجعلها
للكعبة فهو سهم الله وعن ابن عباس انه كان يقسم على ستة لله وللرسول سهمان وسهم للاقارب حتى قبض فاجرى ابو بكر الخمس على ثلثة وهم
اليتامى والمساكين وابن السبيل وكذلك روي عن عمر ومن بعده من الخلفاء وروي ان ابا بكر منع اباها شم الخمس وقال انما لكم ان يعطى
فقيركم ويزوج ايمكم ويخدم من لا خادم له منكم فاما الغني منكم فهو بمنزلة ابن سبيل غني لا يعطى هو ولا يتيم موسر من الصدقة شيئا وروي
عن زيد بن علي انه قال ليس لنا ان نبني منه قصورا ولا ان نزكب منه البراذين وقيل الخمس كله للفقراء لما روي عن علي عم انه قيل له ان الله
تعالى قال واليتامى والمساكين فقال ايتامنا ومساكيننا وعن الحسن في سهم رسول الله انه لولي الامر من بعده وعند مالك ابن امر الامر
مفوض الى اجتهاد الامام ان راى قسمه بين الاصناف الخمسة عند الشافعي وان راى اعطى بعضهم دون بعض وان راى غيرهم اولى واهم
فذلك نعلم هذا يكون معنى قوله فان لله خمسه ان من حق الخمس ان يكون متقربا به الى الله لا غير ثم خص من وجوه القرب هذه الخمسة
تفضيلا لها على غيرها كقوله وَمَلَٰئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ وحاصل الاية ان كنتم امنتم بالله وبالمنزل على عبدنا فاعلموا
علما يتضمن العمل والطاعة ان الخمس من الغنيمة يجب ان تقربوا به فقطعوا عنه اطماعكم وانفعوا بالاخماس الاربعة وبوم الفرقان يوم بدر لانه
فرق فيه بين اهل الحق واهل الباطل والجمعان فريقاها والذي انزل علينا يوم مثل الايات والملائكة والنصر والتائيد والله على كل
شيء قدير وبذلك نصر القليل على الكثير اذ انتم بدل من يوم الفرقان والعدوة بالكسر والضم شط الوادي اي جانبه وحافته وقال ابو
عمرو هي المكان المرتفع والدنيا تانيث الادنى يعني الجانب الذي يلي المدينة وقلب لواوا فيه على القياس لان فعلا من بنات الواو
يقلب ياء كالعليا واما القصوى تانيث الاقصى فانه كالقود في جمعه على الاصل وقد جاء القصيا ايضا قليلا والعدوة القصوى مما يلي مكة والركب
يعني الاربعين الذين كانوا يقودون العير اسفل منكم بالساحل وهو نصب على الظرف مرفوع المحل خبر للمبتدا اي مكانا اسفل من مكانكم
والفائدة في ذكر مراكز الفرق الثلث تصوير وقعة بدر وما دبر الله سبحانه فيها من عجيب صنعه وكمال رافته ونصره حتى كان ما كان وذلك ان
العدوة القصوى التي ناخ بها المشركون كان ماؤها غير الماء وكانت ارضا لا باس بها واما العدوة الدنيا فهي خبار ورخوة تسوخ بها الاقدام

و لاما بها وكانت العير وراء ظهورهم والعدو مع كثرة عدده وهم فكانت الحمائد ونها تضاعف جمتهم ومجدتهم ولهذا كانت العرب تخرج الى الحروب بعيالهم وانقالهم ليبعثهم الذب عن الحرم على بذل مجهودهم حيث لم يتركوا وراءهم ما يحدثون انفسهم بالانحياز اليه ولو توا عدتم انتم واهل مكة على موضع تتلاقون فيه لاختلفتم في الميعاد ضبطكم فلنكم وكثرتكم عن الوفاء بالموعد وشبطهم ما في قلوبهم من هيبة الرسول والمسلمين فلم يتفق لكم من التلاقي ما تستريبون فيه ولكن ليقضي الله اي ليظهر امرا كان مفعولا مقدرا وهو نصر اوليائه وقهر اعدائه وبرد ذلك وقوله ليهلك بدل ليقضي بدل الخاص من العام واستعير الهلاك والحيوة للكفر والاسلام وذلك ان وقعة بدر كان فيها من الايات والمعجزات ما الكافر بعدها كالمكابر لنفسه فكفره صادر عن وضوح بينة اي لاشك في كفره وعناده كما لا يبقى شك للمسلمين في حقية دين الاسلام وفي قوله ليقضي ليهلك دلالة على ان افعاله تعالى مستتبعة للحكم والمقاصد والغايات خلاف ما عليه ظاهرية المذهب

اذ يريكم الاشارة وان الله لسميع الدعائكم عليم بنياتكم اذ يريكهم منصوب باذكروا وبدل اخر من يوم الفرقان او متعلق بعليم اي يعلم نداءكم في منامك اي في رؤياك قليلا اراهم اياه في رؤياه قليلا فاخبر بذلك اصحابه وكان تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم وقيل في منامك اي في عينك في اليقظة لان العين موضع النوم وفيه تكلف فلو اراكهم كثيرا على ما هم عليه لفشلتم والفشل الجبن والخور ولتنازعتم في الامر امر الحرب والاقدام ولكن الله سلم عصم من الفشل والتنازع انه عليم بذات الصدور بعلم ما سيحدث فيها من مواجب الاقدام والاحجام واذ يريكموهم بصركم اياهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا نصب على الحال لان الرؤية وقعت والعين لا القلب وقد استوفت الاراءة مفعوليه فلن يتعدى الى ثالث ويقللكم في اعينهم الحكمة في تقليل الكفار في اعين المؤمنين ظاهرة مع ان في ذلك تصديقا لرؤيا النبي واما في تقليل المؤمنين في اعينهم فالحكمة في ذلك ان يجرىء الكفار عليهم قلة مبالاتهم وان لا يستعدوا لهم كما ينبغي ليقضي الله امرا كان مفعولا فعل ما فعل من التقليل والى الله ترجع الامور فيه ان احوال الدنيا غير مقصودة لذواتها وانما المراد منها ما يصلح ان يكون زادا للمعاد ثم علم المؤمنين اداب اللقاء في الحروب فقال اذا لقيتم فئة فاثبتوا لقتالهم ولا تفروا والفئة اسم قد غلب في القتال فلهذا ترك وصف الفئة بالمحاربين ويحوز ذلك والامر بالثبات في القتال لا ينافي الرخصة في التحرف والتحيز لعل الثبات في الحرب لا يحصل الا بهما واذكروا الله كثيرا في مواطن الحرب لعلكم تفلحون تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه اشعار بان العبد لا يجوز ان يفتر عن ذكر ربه في اي شغل وعمل كان ولو ان رجلا اقبل من المغرب الى المشرق منفقا اموال الله والاخر من المشرق الى المغرب ضاربا بسيفه في سبيل الله كان الذاكر لله اعظم اجرا وقيل المراد من هذا الذكر ان يدعو على العدو واللهم اخذ لهم اللهم دابرهم ويحوذلك والاظهر حمله على العموم واطيعوا الله ورسوله في سائر الطاعات ولا تنازعوا فتفشلوا منصوب باضمار ان او مجزوم لدخوله في حكم النهي وبظهر لتقدير ان في قوله وتذهب ريحكم على قراءتين والريح الدولة شبهت في نفوذ امرها وتمشيه على وفق المشيئة بالريح وهبوبها هبت رياح فلان اذا دالت له الدولة ونفذ امره وقيل الريح حقيقة وله يكن نصر قط الا بريح يبعثها الله وفيه الحديث نصرت بالصبا احذرهم التنازع واختلاف الراي نحو ما وقع لهم باحد بخالفهم رسول الله اجتمع نفاة القياس بالاثر لان القول بموجب العلة يفضي غالبا الى النزاع المنهي عنه وكذا القائلون بان النص لا يجوز تخصيصه بالقياس قال اهل السير ان اهل مكة حين نفروا لحماية العير اتاهم رسول ابي سفيان وهم بالجحفة ان ارجعوا فقد سلمت عيركم فابى ابو جهل وقال حتى نقدم بدرا ننحر بها الجزور ونشرب بها الخمور تعزف علينا القيان وتطعم بها من حضرنا من العرب فوافوها فسقوا كؤوس المنايا مكان الخمر وناحت عليهم النوائح مكان القيان فنهى المؤمنين ان يكونوا امثالهم بطرين لحوين مرائين باعمالهم كاطعام الطعام ونحوه فقال ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم الاية ووصفهم باوصاف ثلثة اولها البطر وهو الطغيان في نعمة ويقال ايضا شدة المرح والتحقيق ان النعم اذا كثرت من الله على العبد فان صرفها الى مرضاته وعرف حق الله فيها فذاك هو الشكر وان توسل بها الى المفاخرة على الاقران والمكاثرة على ابناء الزمان فذاك هو البطر وثانيها رئاء الناس وهو القصد الى اظهار الجميل مع قبح النية فساد الطوية او هو اظهار الجميل مع قبح النية وفساد الطوية او هو اظهار الطاعة مع ابطان المعصية كما ان النفاق اظهار الايمان مع ابطان الكفر وثالثها قوله ويصدون عن سبيل الله اي يمنعون عن قبول دين محمد قال الواحدي معناه وصدا عن سبيل الله ليكون عطفا للاسم على الاسم او يكون الكل احوالا على تاويل مرائين صادين او يطرون ويصدون واعترض عليه في التفسير الكبير بانه تارة يقيم الاسم مقام الفعل والاخرى بالعكس ليخرج الكلام معطوفا على جنسها وكان من الواجب عليه ان يذكر السبب الذي لاجله عبر عن الاولين بالمصدر وعن الثالث بالفعل ثم ذكر السبب فقال ان اباجهل ورهطه كانوا مجبولين على البطر والرئاء فذكرهم بلفظ الاسم تنبيها على اصالتهم فيها واما الصد فانما حصل في زمان ادعاء محمد النبوة فذكر بلفظ الفعل الدال على التجدد قلت لو جعلنا قوله ويصدون عطفا على صلة الذين لم يحتج الى هذه التكلفات التي اخترعها الامامان والله بما تعملون محيط فيجزيهم على التصنع والافتخار ويعلم منهم ان المعصية مع الانكسار اقرب الى الخلاص من الطاعة مع الاستكبار واذ زين او هو معطوف على ما قبله من النعم واقربها قوله واذ يريكموهم وفي هذا التزيين وجهان احدهما ان الشيطان تدرب بوسوسته من غير ان يتمثل بصورة انسان وهو قول الحسن والاصم وفي الكشاف زين لهم الشيطان اعمالهم التي عملوها في معاداة رسول

معنى اذ زين

الله ووسوس اليهم انهم لا يغلبون ولا يطاقون وارهبهم ان اتباع خطوات الشيطان وطاعته مما يجترهم فلما تراءت الفريقان نكص الشيطان
وتبرأ منهم اى بطل كيده حين نزلت جنود الله وثابتها انه ظهر في صورة انسان وذلك ان المشركين حين اراد والمسير الى بدر ذكروا الذي بينهم
وبين بني كنانة من الحرب فلم يامنوا ان ياتوهم من ورائهم فتمثل لهم ابليس في صورة سراقة بن مالك بن جعشم الشاعر الكناني وكان من اشرافهم
في جند من الشيطان معه رايته وقال لا غالب لكم اليوم من الناس اى لا غالب كائن لكم ولو كان لكم مفعولا بمعنى لا غالب لا ياكم لا شعب
كما بقا للاضمار بلد وانى جار لكم اى مجيركم من بني كنانة ومن كل عدو يفرض من البشر ومعنى الجوار ههنا الدافع عن صاحبه انواع الضرر كما
يدفع الجار عن الجار فلما تراءت الفئتان اى لما تقابلتا بحيث ان كل واحدة الاخرى نكص على عقبيه راجعا والنكوص الاحجام عما الشيء اى
رجع وقال اني بريء منكم قبل كانت يده في يد الحرث بن هشام فلما نكص قال له الحرث الى اين اتخذ لنا في هذه الحالة فقال اني ارى ما لا
ترون الملائكة ورفع في صدر الحرث وانطلق وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغ ذلك سراقة فقال والله ما شعرت بمسيركم
حتى بلغني هزيمتكم فلما اسلموا علموا انه الشيطان وفي الحديث ما رأى ابليس يوما هو فيه اصغر ولا ادحر ولا اغيظ من يوم عرفة لما يرى من نزول الرحمة
الا ما رأى يوم بدر اما قوله اني اخاف الله فقد قيل انه لما رأى جبريل خافه وقيل لما رأى الملائكة ينزلون من السماء خاف ان لا تنظر ان الوعد
التي انظر اليه قد حضر قال قتادة صدق في قوله اني ارى ما لا ترون وكذب لله بني في قوله اني اخاف الله وقوله والله شديد العقاب
يجوز ان يكون من بقية حكاية كلام ابليس ويجوز ان يكون اعتراضا وظرفا اذ يقول او لا ظرف له واذ يقول بنصب اذكر على انه كلام مبتدا
منقطع عما قبله وهذا فقد العاطف والمنافقون قوم من الاوس والخزرج بالمدينة والذين في قلوبهم مرض يجوز ان يكون من صفة المنافقين
وان يراد قوم من قريش اسلموا وما قوى الاسلام في قلوبهم ولم يهاجروا ثم ان قريشا لما خرجوا الى رسول الله ص قال اولئك تخرج مع قوم ما لا
كان محمد في كثرة خرجنا اليه وان كان في قلة اقمنا في قومنا قال محمد بن اسحق ثم تثاقلوا جميعا مع المشركين ببدر يوم عرفوا هؤلاء دينهم قال ابن
عباس معناه انه خرج ثلثمائة وثلثة عشر الى انها الف وما ذلك الا لانهم اعتمدوا على دينهم وقيل المراد ان هؤلاء يسعون في قتل انفسهم رجاء
ان يجعلوا احياء بعد الموت ثم قال جوابا لهم ومن يتوكل على الله بكل امره اليه ويثق بفضله فان الله عزيز غالب يسلط الضعيف على القوي
الكثير حكيم وصل العذاب الى اعدائه والرحمة الى اوليائه التاويل واعلموا يا اهل الجهل الاكبر ان ما غنمتم عند رفع الحجب من انوار المشاهدة
واسرار المكاشفات فلكم اربعة اخماسه تعيشون بها مع الله وتكفونها عن الاغيار وتنفقونها خمسها في الله مخلصا وللرسول متابعا وللذي
القربى يعني الاخوان في الله مواصلا واليتامى يعني اهل الطلب من الذين غاب عنهم مشايخهم قبل بلوغهم الى حد الكمال والمساكين الذين
تمسكوا بايدي الارادة بان يال ارشادكم وابن السبيل يعني الصادر والوارد من الصدق والارادة مراعيا جانب كل طائفة على حسب صدقهم
وارادتهم واستعدادهم ان كنتم وصلتم في متابعة الرسول الى الايمان بالله عيانا وبما انزلنا على عبدنا في سفر فاوحى الى عبدنا ما اوحى
يوم الفرقان الذي فيه الرحمن علم القرآن يوم التقى الجمعان جامع الصفات الاثنينية وجمع الاخلاق الربانية فصار لمحمد مع الله خلوة لا
يسعه فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل والله على كل شيء قدير فيقدر على ان يوصلكم في متابعة رسوله الى هذا المقام وهو الفناء عن الوجود
والبقاء بالمعبود اذ انتم ايها الصادقون في الطلب بالعدوة الدنيا اذ انتم بالعدوة القصوى اى الارواح باقصى عالم الملكوت بارزة
والركب اسفل منكم يعني الهياكل والقوالب في اسفل سافلين الطبيعة ولو تواعدتم ايها الارواح والنفوس والاجساد لاختلفتم في الميعاد
لما بينكم من التباين والتضاد ولكن جمعكم الله بالقدرة والحكمة ليقضي امرا كان مفعولا وهو ايصال كل شخص الى ربتنه التي استعد لها
فيهلك من هلك عن بينة عن حجة ثابتة عليه ويحيى من حي عن بينة له فالاشقياء يبقون في سجين الطبيعة ونار القطيعة واما السعداء
فاراحهم في مقعد صدق عند مليك مقتدر كما قال ارجعي الى ربك ونفوسهم مع الملئكة المقربين كما قال فادخلي في عبادي
وابدانهم في جنات النعيم كما قال وادخلي جنتي وان الله لسميع لمن دعاه للوصول والوصال بالعدو والاصال عليم بمن يستحق الاذلال
او بيتاهل الاجلال اذ يريكهم في منامك قليلا مع كثرتهم في الصورة يدل على قلتهم في المعنى لفشلتم على عادة الطبع الانساني ولكن الله
سلم عن الخوف البشري وقلل كم في اعينهم لانهم نظروا اليكم بالابصار الظاهرة فلم يدركوا كثرة معناكم ومددكم بالملئكة اذا لقيتم فئة
هي النفس وهواها والشيطان واعوانه والدنيا ودنيها فاثبتوا على ما انتم عليه من اليقين والصدق والاخلاص والطلب ولا تكونوا
كالذين خرجوا من ديارهم وتركوا الدنيا ودارا لبلا وزادوا العباد لبتباهوا بذلك على الاخوان والاقران واذ زين لهم الشيطان
اعمالهم فظنوا انهم بلغوا مبلغ الرجال وانه لا يضرهم التصرف في الدنيا وارتكاب بعض المنهيات بل ينفعهم في نفي الرياء والعجب اذ هو
طريق اهل الله فلما تراءت الفئتان فئة الارواح والقلوب بالاوصاف الملكية والوارادات الربانية حتى نفارت النفوس لها نكص على
عقبيه وهو راجعه [illegible] كما قال اني بريء منكم اني ارى ما لا ترون لانه يرى بنظر الروحانية تجلي الانوار الربانية من
القلوب لو توجه [illegible] اني اخاف الله ونبا شارة الى انه غير منقطع الرجاء من رحمة الله انه ارحم الراحمين
ولو ترى اذ يتوفى [illegible] يضربون وجوههم وادبارهم وذوقوا عذاب الحريق ذلك

اى من نزول الرحمة

وفئة النفوس وصفاتها واما الله ص فئة الارواح والقلوب

الجزء الثامن

بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كفروا بآيات الله فأخذهم
بجهت آنکه پیش فرستاده دستهای ایشان و آنکه خدای نیست ستمکننده نیست مر بندگان را چون طریقه آل فرعون و آنهائی که از پیش ایشان بودند کافر شدند بآیات پس گرفت
الله بذنوبهم إن الله قوي شديد العقاب ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا
ایشانرا خدا بگناهان ایشان بدرستی که خدا توانای سخت عقوبت است این باینجهت است که خدا نبوده است تغییر دهنده نعمتی که عطا کرده بر گروهی تا تغییر دهند
ما بأنفسهم وأن الله سميع عليم كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فأهلكناهم
آنچه در دلهای خود است و آنکه خدا شنوندهٔ داناست چون خوی آل فرعون و آنان که پیش از ایشان بودند گذبکردند بآیات پروردگار ایشان پس هلاک کردیم ایشانرا
بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون
بگناهان ایشان و غرق کردیم آل فرعون را و هر یک بودند ستمکاران بدرستی که بدترین جنبندگان در نزد خدا آنانند که کافر شدند پس ایشان نگروند
الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون فإما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم
آنان که پیمان گرفتید از ایشان پس میشکنند پیمان خودرا در هر مرتبه و ایشان پرهیز نمیکنند پس اگر یابی ایشانرا در کارزار پس پراگنده کن بایشان ازانکه در عقب ایشان
لعلهم يذكرون وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين ولا يحسبن الذين ع
شاید که پند گیرند و اگر بترسی از گروهی خیانت را پس بیفکن بسوی ایشان بر سبکی شاید بدرستی که خدا دوست ندارد خیانتکارانرا و نپندارند آنانکه
كفروا سبقوا إنهم لا يعجزون وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم
کافر شدند پیشی کردند بدرستی که ایشان نمیتوانند عاجز کنند و مهیا کنید مر ایشانرا هر قدر که توانید از توانائی و از اسبهای بسیار تا بترسانید بدان دشمن خدا را و دشمن خودرا
وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون وإن جنحوا
و دیگران از جز ایشان نمیدانید ایشانرا خدا میداند ایشانرا و هر چه خرج کنید از چیزی در راه خدا تمام باز دهند بسوی شما و شما ستمکاره نشوید و اگر میل کنند
للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله هو الذي
بصلح پس میل کن بدان و توکل کن بر خدا بدرستی که اوست شنوندهٔ داننا و اگر بخواهند که فریب دهند ترا پس بدرستی که کفایت تو میکند ترا خدا آنکه
أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله
قوت داد ترا بیاری خود و بمؤمنان و دوستی انداخت در دلهای ایشان اگر خرج میکردی آنچه را که در زمین است همه را دوستی نمیتوانستی انداخت در دلهای ایشان ولیکن خدا
ألف بينهم إنه عزيز حكيم يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين يا أيها النبي حرض المؤمنين ع
دوستی انداخت در میان ایشان بدرستی که او غالب است بر چیزی استوار کننده یا ای رسول بسنده است ترا خدا و هر که پیروی کرد ترا از مؤمنان ای پیغمبر راغب گردان مؤمنانرا
على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين
بر کارزار اگر باشد از شما بیست نفر صبر کنندگان غالب آیند بر دویست تن و اگر باشد از شما صد تن غالب آیند بر هزار تن از انها که
كفروا بأنهم قوم لا يفقهون الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فإن يكن منكم مائة صابرة
کافر شدند بآنکه ایشان گروهی اند بی فهم در اینوقت سبک کرد خدا از شما و دانست که در شما ناتوانی است پس اگر باشد از شما صد تن صبر کننده
يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين القراءة تنوّج
غالب آیند بر دویست تن و اگر باشد از شما هزار تن غالب آیند بر دو هزار تن بفرمان خدا و خدا با صبر کنندگان
بناء الثانية
شامی الباقون بالتذكير ولا يحسبن بنا الغيبة ابن عامر وزيد وحمزة وحفص والمفضل الآخرون بالخطاب انتم بالفتح ابن عامر السلم بكسر
السين ابو بكر وحماد ترهبون بالتشديد وصلا الباقون بالتخفيف من الارهاب وان يكن منكم بالياء التحتانية ابو عمرو وسهل ويعقوب
وعاصم وحمزة وعلي وخلف الباقون بالتاء الفوقانية وعلم مبنيا للمفعول حيلة ضعفا بالمد جعفر بن يزيد وقراء حمزة وعاصم غير المفضل
وخلف لنفسه ضعفا بفتح الضاد الآخرون بالضم فان يكن منكم مائة بالتحتانية عاصم وحمزة وعلي وخلف لوقوف كفروا الآن فاعل يتوفى
الملائكة وما قيل ان المتوفى هنا الله غير صحيح لاختلال النظم وفساد المعنى لان الكفار لا يستحقون ان يتوفيهم الله بلا واسطة وادبارهم
لحق الاضمار اى يتولون ذوقوا الحريق للعهد لشباق الكاف فرعون لا للعطف من قبلهم بذنوبهم العقاب بانفسهم لا للعطف ان على
ان عليم للكاف من قبلهم بآيات ربهم لاختلاف الجملتين من انفاء آل فرعون لان الواو يصلح للاستيناف والحال ظالمين لا يؤمنون لاحتمال
لاحتمال الوصف واحتمال النصب والرفع على الضم لا يتقون تذكرون على سواء الخائنين لا سبقوا لمن قرأ انهم بالكسر لا يعجزون من دونهم
لاحتمال الجملة بعده الوصف والاستيناف لا تعلمونهم لذلك يعلمهم لا تظلمون على الله العليم حسبك الله بين قلوبهم الاول بينهم
حكيم من المؤمنين على القتال ما ائتين لا بناء الشرط مع العطف لا يفقهون ضعفا مائتين باذن الله الصابرين النفس لما شرح
احوال هؤلاء الكفار وحيوتهم شرح احوالهم حين وفاتهم وجواب لو محذوف وترى في معنى الماضي لخاصية لو وكذا يتوفى في الخاصية اذ

الانفال

واذ نصب على الظرف قدر في الكشاف ويمكن ان يكون مفعولا به والمعنى لو رايت او عاينت اوشاهدت وقت قبض الملئكة ارواح الكفار لرايت امرا فضيعا يضربون وجوههم وادبارهم قال مجاهد يريد بالادبار الاستاه ولكن الله كريم يكني وفي تخصيص العضوين بالضرب نوع من الخزي والنكال وعن ابن عباس المراد ما اقبل منهم وما ادبر وذلك ان المشركين كانوا اذا اقبلوا بوجوههم الى المسلمين ضربوا وجوههم بالسيف واذا ولوا ضربوا ادبارهم فالاجرام قابلهم الله بمثله في وقت خروج ومعنى عذاب الحريق مقدرا عذاب النار نفسها في الاخرة تبشر الهم بذلك عن ابن عباس ان معهم دقامع من حديد كلما ضربوا بها التهبت النار قوله ذلك بما قدمت ايديكم الاية قد مر تفسيرها في اول العمران ويحتمل ان يكون هذا حكاية كلام الملئكة ولما بين سبحانه ما ان لابد ما عمل بدر من الكفار عاجلا واجلا ذكر ان هذه سنته في فرق الكفرة كلهم فقال كدأب ال فرعون يريد ان عادتهم وعملهم الذي داوموا عليه كعادة ال فرعون فجوزي هؤلاء بالقتل السبي كما جوزي اولئك بالاهلاك والاغراق ثم ذكر ما يجري مجرى العلة في العقاب الذي انزله بهم فقال ذلك بان الله لم يك حذف النون لكثرة الاستعمال ومعنى الاية ان ذلك العذاب والانتقام بسبب ان الله لم يستقم في حكمته وتدبيره ان يغير نعمة على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم من الاحوال والاخلاق والغرض ان ال فرعون ومشركي مكة قد فتح عليهم ابواب الخيرات وازال الموانع وسهل السبل ومن عليهم بانواع الكتب وارسال الرسل ثم انهم قابلوا هذه النعم بالكفر والفسوق والعصيان فالاجرام استحقوا بدل النعم بالنقم والمنح بالمحن وان الله سميع للاقوال عليم بالاحوال يجزي كل فريق بما يستاهله ثم ذكر مرة اخرى قوله كدأب ال فرعون وفي التكرير بعد التاكيد فوائد استنبطها العلماء منها ان الثاني كالتفصيل للاول لان الاغراق كالبيان للاخذ بالذنوب ومنها ان الاول لعلة في حال الموت والثاني لما بعد الموت قلت ويشبه ان يكون بالعكس لان الاهلاك والاغراق بحال الموت اذ في منها ان الاول اخبار عن عذاب لم يكن الله احدا من فعله وهو ضرب الملئكة وجوههم وادبارهم عند نزع ارواحهم والثاني اخبار عن عذاب مكن الناس من فعل مثله وهو الاهلاك والاغراق ومنها ان المراد في الاول كدأب ال فرعون فيما فعلوا وفي الثاني كدأب ال فرعون فيما فعلهم فهم فاعلون في الاول ومفعولون في الثاني ومنها ان المراد بالاول كفرهم بالله وبالثاني تكذيبهم الانبيا لان التقدير كذبوا الرسل بدلايات ربهم ومنها ان يجعل الضمير في كفروا وكذبوا لكفار قريش اي كفروا بايات الله كدأب ال فرعون وكذبوا بايات ربهم كدأب ال فرعون ومنها ان الاول اشارة الى انهم انكروا دلائل الاهلية فكان لازمه الاخذ والثاني اشارة الى انهم انكروا دلائل التربية والاحسان فكان لازمه الاهلاك والاغراق ثم ختم الاية بقوله وكل كانوا ظالمين اي كل واحد من غير السبط وقتلى قريش ومن قبلهم من الكفرة كانوا ظالمين انفسهم بالكفر والمعاصي وظالمي غيرهم بالايذاء والاجتياح فالاجرام سرهم الله بسبب ظلمهم ثم خص من الظلمة شرهم فقال ان شر الدواب الاية جعلهم شر الدواب لان شر الناس الكفار وشر الكفار المصرون منهم واشار الى هذا بقوله فهم لا يؤمنون وشر المصرين الناكثون للعهود واشار اليهم بقوله الذين عاهدت منهم ومن للتبعيض ومفعول عاهدت محذوف اي الذين عاهدتهم وهم بعض اولئك الكفرة يعني الاشراف الذين معهم يليق المعاهدة ثم ينقضون عطف مستقبل على الماضي لفائدة الاستمرار وان من شانهم نقض العهد في كل مرة من مرات المعاهدة ومعنى ثم بعيد لتقضي عن المعاهدة قال ابن عباس هم بنو قريظة نقضوا عهد رسول الله صلعم واعانوا عليه المشركين بالسلاح يوم بدر وقالوا قد نسينا وانخطانا ثم عاهدهم فنكثوا واعانوا عليه يوم الخندق وهم لا يتقون عاقبة الغدر وما فيه من العار والنار ثم امر رسوله بالمحاشنة معهم والغلظة عليهم جزاء على قبح فعلهم وسوء عقيدتهم فقال فاما تثقفنهم تصادفنهم وتظفرن بهم في الحرب فشردبهم في الحرب شتتهم من خلفهم والتشريد النفريق مع الاضطراب اي ففرق عن محاربتك من ورائهم وقال عطاء معناه اكثر بهم القتل حتى يخاف غيرهم والضمير في لعلهم يذكرون احد من خلفهم لانه اذا نكل بالناكثين وقتلهم شر قتلة لن يجسر عليه احد بعدهم اتعاظا بحالهم وامانخافن من قوم معاهدين خيانة ونكثا بامارات تلوح لك فانبذ اليهم فالوح اليهم العهد على سواء على طريق مستو قصدا اي اخبرهم اخبارا مكشوفا بينا انك قطعت ما بينك وبينهم ولا تناجزهم الحرب هم على توهم بقاء العهد فيكون ذلك خيانة منك وقيل على استواء في العلم بنقض العهد وقيل على استواء في العداوة قال في الكشاف الجار والمجرور موضع الحال كانه قيل فانبذ اليهم ثابتا على طريق قصد سويا وحاصلين على استواء في العلم والعداوة على انها حال من النابذ والمنبوذ اليهم معا فلك ويحتمل ان يكون حالا من المنبوذ اي حال كون المنبوذ وهو العهد واقعا على طريق واضح فيكون كناية عن تحقيق شان العهد اذ ذاك او عن انكشاف حاله في النبذ قال اهل العلم ان اثار نقض العهد اذا ظهرت فاما ان يظهر ظهورا محتملا او ظهورا مقطوعا به وعلى الاول وجب الاعلام بما هو مذكور في الاية وذلك ان قريظة عاهدوا النبي صلعم ثم اجابوا ابا سفيان ومن معه من المشركين الى تظاهرهم على رسول الله فحصل لرسول الله صلعم واله خوف الغدر منهم بروباصحابه فههنا يجب على الامام ان ينبذ اليهم على سواء وينونهم بالحرب اما اذا ظهر نقض العهد ظهورا قطعيا فلا حاجة الى نبذ العهد اليهم كما فعل رسول الله صلعم باهل مكة لما نقضوا العهد ثم بين حال من فاته في يوم بدر ولم يتمكن من التشفي والانتقام كيلا يبقى حسرة فقد كان فيهم من بلغ في ذهنه مبلغا عظيما فقال لا تحسبن من قراءة الخطاب مفعولا اول الذين كفروا وثانيه سبقوا اي فاتوا واقلتوا من ان يظفر بهم انهم لا يعجزون كل من المكسورة والمفتوحة بتعليل له لان المكسورة على طريقة الاستيناف

او هذا البيان

الجزء الثامن

كان سائلا لسئل عالم لا يحسبوا سابقين فاجيب بما اجيب به المفتوحة تعليل صريح والجار محذوف اى لانهم لا يعجزون الله من الانتقام منهم ولا يجدون طالبهم عاجزا عن ادراكهم اعجزت فلانا وعجزته جعلته او وجدته عاجزا والمراد لا يحسبنهم انهم لما تخلصوا من الاسر والقتل يوم بدر فقد تخلصوا من العقاب عاجلا واجلا ومن قرا بالياء التحتانية فذكر فيه وجوها منها ان فاعله الذين كفروا والمفعول الاول محذوف اى سبقوا ان الاصل ان سبقوا فحذف ان كقوله ومن ايانه يريكم البرق وتوجيه قراءة ابن مسعود انهم سبقوا ومنها ان الفعل وقع على انهم لا يعجزون على ان الاصلة وسبقوا في موضع الحال ومنها ان المفعول الاول محذوف للعلم به والتقدير ولا تحسبنهم او لا تحسبن انفسهم الذين كفروا سبقوا ومنها ان فاعله محذوف اى لا يحسبن قبيل المؤمنين الذين كفروا سبقوا ثم انه لما اتفق لاصحاب النبي ﷺ في قصة بدر ان قصدوا الكفار بالة وعدة امرهم الله ان لا يعودوا لمثله وتهيأ هبوا القتال الاعداء فقال واعدوا لهم ما استطعتم من قوة عن عكرمة هي الحصون وعن عقبة بن عامر ان رسول الله ﷺ قرا هذه الاية على المنبر ثم قال الا ان القوة الرمي قالها ثلاث مرات عقبة عن سبعين توسا في سبيل الله والاصح انها عامة في كل ما يتقوى به في الحرب من آلة وعدة وقوله ﷺ القوة الرمي كقوله الحج عرفة وفيه تنبيه على ان المذكور وجه شريف من وجوه المقصود ومن رباط الخيل هو اسم للخيل التي ترتبط في سبيل الله كالخمر فانوقتها ويجوز ان يكون جمع ربيط كفصال وفصيل والفائدة بعد المرابط ويجوز ان يكون قوله ومن رباط الخيل تخصيصا للخيل من بين ما يتقوى به كقوله وجبريل وميكائيل فلا ريب ان ربط الخيل من اقوى الاشياء في الجهاد روى عن سبيع ابن سمي انه سئل عن اوصى بثلث ماله في الحصون فقال يشترى به الخيل فيربط في سبيل الله ويغزى عليها فقيل له انما اوصى في الحصون فقال لو سمع قول الشاعر ولقد علمت على تونى الرزى ان الحصون الخيل لا مدرا لقرى وعن عكرمة ان الخيل ههنا الاناث لانها اولى بالربط للفحيل للنسل وقيل هي الفحول لانها اقوى على الكر والفر والظاهر العموم ثم ذكر لاجله امر باعداد هذه الاشياء فقال ترهبون بما استطعتم اعدادكم لان الكفار اذا علموا انكم اهبتم للقتال لم يجسروا عليكم وخافوكم ويؤيد عموم ذلك الانقياد والطاعة وآخرين من دونهم يريد بالاولين اهل مكة وبالآخرين اليهود على قول ولكنه لا يتجاوبه قوله لا تعلمونهم الله يعلمهم والمنافقون على قول واعترض عليه بانهم لا يرهبون لاختراطهم في سلك المسلمين ظاهرا واجيب بان الخائن خائف فكلما اشتدت شوكة المسلمين ازداد المنافقون في انفسهم خوفا وعجزا ويؤيد عموم ذلك الى الاخلاص وعن السدي هم اهل فارس وروى ابن جريج عن ابن موسى انهم كفرة الجن وجاء في الحديث ان الشيطان لا يقرب صاحب فرس عتيق وروى ان صهيل الخيل يرهب الجن وقيل المراد بالآخرين اعداء المؤمن من دينه فان المسلم قد يعاديه مسلم آخر لتعصبهم في الاتفاق في باب الجهاد فقال وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم اى ثوابه وانتم لا تظلمون لا تنقصون من ثواب اعمالكم شيئا وخص في المصالح الخزان مال الاعداء اليها فقال وان جنحوا للسلم لا بد حنح له واليه جنوحا اذا مال وانما قيل تاجنح لها لان السلم يؤنث تانيث نقيضها وهي الحرب ويتاول الخصلة او الفعلة عن ابن عباس ومجاهد ان الاية منسوخة بقوله فاقتلوا الذين لا يؤمنون بالله او بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم والاول ان بقي انها ثابتة فليس يحتم ان بقي المشركون ابدا اذ يجابوا الى الهدنة ابدا وانما الامر موقوف على ما يرى فيه الامام صلاح الاسلام ودونه فاذا رأى الصلاح في الصلح فذاك والمصلحة قد يظهر عند ضعف المسلمين اما لقلة العدد او لقلة المال وبعد المدد وقد يكون مع القوة الطمع في اسلامهم او قبولهم الجزية اذا خالطوا المسلمين او بان يعينوه على قتال غيرهم واما مدة الهدنة فاذا لم يكن بالمسلمين ضعف ورأى الامام الصلاح في الهدنة فقد قال الشافعي هادن اربعة اشهر فما دونها لقوله فسيحوا في الارض اربعة اشهر وذلك كان في قوي ما كان رسول الله ﷺ ضعفهم من تبوك وان كان بالمسلمين ضعف جازت الزيادة بحسب الحاجة الى عشر سنين اقتداء برسول الله ﷺ حين صالح اهل مكة بالحديبية على وضع القتال عشر سنين لانهم نقضوا العهد قبل كمال المدة وان انقضت لمدة والحاجة باقية استانف العقد ثم قال وتوكل على الله اى فوض الامر فيما عقدت معهم الى الله ليكون عونا لك على السلم وينصرك عليهم اذا نقضوا العهد وعدلوا عن الوفاء كما كان من شانه قريظة والنضير وعن مجاهد نزلت فيهم انه هو السميع للاقوال العليم بالاحوال وفيه زجر عن نقض الصلح ما امكن ثم ذكر حكما من احكام المهادنة فقال وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك كافيك الله والمعنى انهم ان صالحوا على سبيل المخادعة وجب قبول ذلك الصلح لان الحكم فيه مبني على الظاهر كما ان اصل الايمان مبني على الظاهر ولا تنافي بين هذه الاية وبين ما تقدم من قوله واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم لان هذه المخادعة محمولة على امور خفية تدل على الغل والنفاق وذلك الخوف محمول على امارة قوية تدل على كونهم قاصدين للشر واثارة الفتنة ثم اكد كون الله تعالى كافيا له بقوله هو الذي ايدك بنصره اى من غير واسطة اسباب معتادة وبالمؤمنين اى بوساطة الانصار ثم بين انه كيف ايده بالمؤمنين فقال والف بين قلوبهم قال جمع من المفسرين هم الاوس والخزرج كان بينهم من الحروب والوقايع ما اهلك اشرافهم ودق جماجمهم فرفع الله تعالى ذلك بالطف صنعه والاولى حمله على العموم والتاليف بين قلوب من بعث اليهم رسول الله ﷺ من الاياب الباهرة لان العرب لما فيها من الحمية والعصبية والانطواء على الضغائن في الامور المستحقرة لم تكد يا تلف هوائهم ويلتئم شملهم ثم ايتلف قلوبهم على اتباع رسول الله حتى بذلوا دونه المهج والارواح والاموال فليس ذلك الا من مقلب القلوب والاحوال

والتحقيق

والتحقيق في الباب ان المحبة لا تحصل الا عند تصور حصول خير من المحبوب ثم ان كان سبب انعقاد المحبة امرا سريع التغير كالمال او الجاه او اللذة الجسمانية كانت تلك المحبة بصدد الزوال والاضمحلال فالمعشوق بزعم العاشق اله والعاشق يحب المعشوق لاستيفاء لذة بهيمية فهما حصل مرادهما كانا متحابين وربما لم يحصل عاد امتباغضين وان كان سبب انعقاد المودة كمالا حقيقيا او وهميا دائما لم يتصورها تغير وزوال ثم ان العرب كانوا قبل مقدم النبي ص مقبلين على المفاخرة والمنافسة في المال والجاه والتعصب للتفرق والجمع كانوا متحابين تارة ومتباغضين اخرى فلما جاءهم النبي ص ودعاهم الى عبادة الله تعالى والاعراض عن الدنيا والاقبال على تحصيل السعادة الابدية الروحانية توحدت مطالبهم ومقاصدهم وصاروا اخوانا متراحمين متحابين في الله ولله انه عز بحكيم اي قادر قاهر على تقليب القلوب والدواعي فاعل لكل ما يفعل على وجه الاحكام والاتقان او على حسب المصالح على اختلاف القولين في مسئلة الجبر والقدر قال القاضي لولا الطاف الله تعالى لما حصلت هذه الاحوال ونظر الى انه يضاف علم الولد والدة الى ابيه لاجل انه لما حصل ذلك الا بمعونة الاب وتربيته واجب بانه عد ذلك من الظاهر والا بد ان يصير بحيث ان العقايد والارادات والكراهات كلها بخلق الله تعالى وايجاده اللهم يا مصرف القلوب ومقلبها ثبت قلبي على دينك وهذا لما بعد بذلك انك قادر على ما تشاء ولا يكون الا ما تشاء ثم انه سبحانه لما وعد نبيه النصر والكفاية عند محاذعة الاعداء وعد النصر والكفاية على الاطلاق فقال يا ايها النبي حسبك الله ومحل من اتبعك منصوب لانه معطوف على الكاف في بدلا في قولك حسبك زيدا درهم قال الفراء وليس بكثير كلام العرب ان يقولوا حسبك وحسب اخيك بل المستعمل ان يقولوا حسبك وحسب اخيك باعادة الجار فلو كان قوله ومن اتبعك مجرورا لقيل حسبك من اتباعك ويمكن الانتصار لكفاك وكفى اتباعك من المؤمنين الله ناصرا ويجوز ان يكون في محل الرفع اي كفاك الله وكفاك المؤمنون فيكون كقوله هو الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين ويؤكده ما روي عن سعيد جبير عن ابن عباس انه اسلم مع النبي ص ثلثة وثلثون رجلا واستة نسوة ثم اسلم عمر فصاروا اربعين فانزل الله تعالى الاية ثم بين سبحانه ان كفايته مشروطة بالجد والاجتهاد في الجهاد فقال يا ايها النبي حرض المؤمنين على القتال والتحريض في اللغة كالتحضيض وهو الحث على الشيء وذكروا في اشتقاقه انه من الحرض وهو الاشراف على الهلاك من شدة الضنى كانه يشبه الى الهلاك لو تخلف عن المامور او كانه يامره ان يبالغ فيه ودخل في تحصيله حتى يدنو من التلف في قوله ان يكن منكم عشرون صابرون عدة من الله وبشارة بان الجماعة من المؤمنين ان صبروا غلبوا عشرة امثالهم بعون الله وتاييده واعترض عليه بانه يلزم منه ان لا يغلب قط مائتان من الكفار وعشرون من المؤمنين ويمكن ان يجاب بعد تسليم وقوع مثل ذلك انه لعله يكون من فقدان الشرط وهو الصبر قال بعض العلماء هذا خبر في معنى الامر كقوله والوالدات يرضعن والمطلوب يتربصن بدليل قوله الان خفف الله عنكم والنسخ بالامر انما يتوجه بالخبر بدليل قوله والله مع الصابرين وفيه ترغيب في الثبات على الجهاد نفعنا الله بذلك ان يكن منكم عشرون فليصبروا وليجتهدوا في القتال حتى يغلبوا مائتين ثم الصبر لا يحصل الا بكونه شديد الاعضاء قويا جلدا شجاعا غير جبان ولا صحر القتال او متحيزا الى فئة وعند حصول هذه الامور كان يجب للواحد ان يثبت للعشرة لما سبق من وعد النصر في قوله حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين وانما كرر التسلية مرتين لان السراء التي كانت بسببها رسول الله ص كان لا ينفصر عددها على العشرين وما كانت بين يديه على المائة فورد على وفق الواقعة واما في الكرة الثانية فانما كررت التسلية للطباق وليكون فيه بشارة واشارة الى عدد عسكر الاسلام سهول من العشرات والمئات الى الالوف والله اعلم بمراده ثم بين السبب في الغلبة فقال بانهم قوم لا يفقهون اي بسبب ان الكفار قوم جهلة لا يعرفون معادا وقد انحصرت السعادة والنهنة عندهم في هذه المنهوة العاجلة وايضا انهم يعولون على قوتهم وشوكتهم والمسلمون يتوكلون على ربهم ويستعينونه ويتوقعون منه انجاز ما وعد من النصر والتاييد وهذا هو الذي ابن جريج كان عليهم ان لا يفروا من واحد للعشرة وكان رسول الله ص بعث حمزة وثلثين راكبا فلقي ابا جهل في ثلثمائة راكب فلقي ابا جهل في ثلثمائة راكب فاراد قتالهم فمنعهم مجدي رضي الله عنه وبعث رسول الله ص مع عبد الله بن انيس الى خالد بن سفيان جماعة فاشتد عبد الله فقال يا رسول الله ص صفه لي فقال انك اذا رايته ترعد فرايصه ويوجد ذلك في قشعريرة وبلغني انه جمع لي فاخرج اليه واقتله فلما خرج نحوه فلما دنوت منه وجدت القشعريرة فقال له رجل قلت له من العرب سمعت بك فجمعت لك فشيت معه حتى اذا تمكنت منه قتلته بالسيف اسرعت الى رسول الله ص وذكرت اني قتلته فاعطاني عصا وقال امسكها فانها ايه بيني وبينك يوم القيمة وقال عكرمة انما امر الرجل ان يصبر لعشرة والعشرة لمائة حال ما كان المسلمون قليلين فلما كثروا خفف الله عنهم وهذا قال ابن عباس ثم اجل فرض ثلثة فلم يفروا فان فروا من اثنين فقد فروا والحاصل ان الجمهور ادعوا ان قوله الان خفف الله عنكم ناسخ لحكم الاية المتقدمة وانكر ذلك ابو مسلم الاصفهاني قال لان لفظ الاية ورد على الخبر سلمنا انه بمعنى الامر لكن لم قلتم ان التقدير ليكن العشرون صابرين في مقابلة المائتين ولم لا يجوز ان يكون المراد ان حصل عشرون صابرون في مقابلة المائتين فليشتغلوا بها واذا كان الشرط غير حاصل في حق هؤلاء لقوله وعلم ان فيكم ضعفا فالجزم لم يثبت ذلك الحكم فلا يتصور النسخ ولفظ التخفيف لا يقتضي ورود التثقيل قبله

لان مثل هذا الكلام قد يقوله العرب ابتداء ومما يدل على عدم النسخ تقارن الامرين والناسخ يجب ان يكون بعد المنسوخ بزمان هذا حاصل
قول ابي مسلم وهو انما استحق الجواب لو لم يحصل قبله ما يدل على حصول هذا النسخ والله تعالى اعلم ومعنى قوله وعلم ان فيكم ضعفا ظهر معلومه
فلا يبقى للحشام حجة في مذهبه انتهى قال الامام الجرجاني اعلم ان الضعف قبل الضعف في البدن وقبل في البصيرة والاستقامة
في الدين وكانوا متفاوتين في ذلك والظاهر ان المراد الضعف الانساني المذكور في قوله وخلق الانسان ضعيفا التأويل يغيرون
في وجوههم وادبارهم لان الكافر اذا هب عن الدنيا مع تعلقه بها فيحصل له الم من جهة الخلف وبقبل على الاخرة ولا نور له يبصر به ما امامه
فيحصل له تالم من قدام لم يكن يغير اليه لاحسن تقديم واستعداد اعطاهم بضده حتى يغيروا بالكفر والتكذيب ما بانفسهم من نعم الاستعداد
الفطري الذين عاهدت منهم بارواح الازل لان نورك وصفاتك غلب على ظلمة النفس وصفاتها فنزه بارواح بهم من خلفهم اي بالغ في
تبديل صفات النفس وتزكيتها بحيث يؤثر نورك تبديل الصفات الدنية وانها فابدلهم على آثارهم اظهر عداوتك معهم وجاهدهم
انهم لا يعجزون اي النفوس الكافرة تحت تصرفك فلا تقنطوا من رحمتي في صلاح حالهم من قوة الروح وغلبات صفاتها واعداده بمداومة
الذكر وقطع التعلق ومن رباط الخيل ومن ربط القلب بطريق المراقبة لئلا يلتفت الى الدنيا وزينتها ترهبون بالذكر والمراقبة عدو الشيطان
وعدوكم النفس والهوى واخرين من دونهم من نفوس شياطين الانس لا يعلمونهم انهم عدوكم من الاخيار والاصدقاء والاقرباء الله يعلم
انهم عدو لكم كقوله ان من ازواجكم واولادكم عدو لكم وما تنفقوا من شيء من شهوات النفس ولذاتها ودنياها بطريق الذكر والمراقبة
يوف اليكم فوائد من تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا والف بين قلوبهم بين الروح والقلب والسر وبين النفس وصفاتها لو انفقت
ما في ارض وجودك من الحب والجد والاجتهاد كما بين الروح النوراني والنفس الظلماني من التضاد ولكن الله الف بين الروح
وبين القلب الغالب ليكون الشخص الانساني طلسما على كنز وجوده لم يكسر الطلسم للوصول الى الكنز والله اعلم ما كان لنبي ان يكون
له اسرى حتى يثخن في الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الاخرة والله عزيز حكيم لولا كتاب من الله
مراد اسيران كه بسيار كند در زمين ميخواهيد شما خواستن دنيا را وخدا ميخواهد اخرت را وخدا غالب داناست اگر نبودي كتابي از خدا
سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله ان الله غفور رحيم يا ايها النبي
گذشته تا هر اينه رسيدي شما را در آنچه گرفتيد عذابي بزرگ پس بخوريد از آنچه غنيمت برديد حلال وپاك وبپرهيزيد خدا را بدرستيكه خدا آمرزنده مهربانست اي پيغمبر
قل لمن في ايديكم من الاسرى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما اخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم
ع بگو مر كسرا كه اندر دستهاي شماست از اسيران اگر بداند خدا در دلهاي شما خوبي بدهد شما را بهتر از آنچه گرفت از شما ويامرزد شما را وخدا آمرزنده مهربانست
وان يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فامكن منهم والله عليم حكيم ان الذين امنوا وهاجروا
واگر بخواهند خيانت كردن تو را پس بدرستي كه خيانت كردند خدا را پيش ازين پس بدست شما داد ازيشان وخدا داناي بسيار حكمت پرستيكه آنان كه ايمان آوردند وهجرت كردند
وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله والذين اووا ونصروا اولئك بعضهم اولياء بعض والذين
وكوشش كردند بمالهاي خود وتنهاي خود در راه خدا وآنان كه جاي دادند ويار شدند اينها دوستان بعضي اند وآنان
امنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر الا على
كه ايمان آوردند وهجرت نكردند نيست شما را از ولايت ايشان از چيزي تا هجرت كنند واگر طلب ياري كنند شما را در دين پس بر شماست يار شدن
قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير والذين كفروا بعضهم اولياء بعض الا تفعلوه تكن
گروهيكه ميان شما وميان ايشان پيمانست وخدا بآنچه ميكنيد بيناست وآنان كه كافر شدند بعضي ايشان دوستان بعضي اند اگر نكنيد اين را ميشود
فتنة في الارض وفساد كبير والذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين اووا
ع فتنه در زمين وتباهي بزرگ وآنان كه ايمان آوردند وهجرت كردند وكوشش كردند در راه خدا وآنان كه جاي دادند
ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم والذين امنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك
ويار شدند آنانند مؤمنان بدرستي مر ايشانراست آمرزش وروزي بزرگ وآنان كه گرويدند از بعد وهجرت كردند وكوشش كردند با شما پس آنانند
منكم واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله ان الله بكل شيء عليم
از شمايند وصاحبان قرابت بعضي ايشان سزاوارتر اند ببعض در كتاب خدا بدرستي كه خدا بهر چيزي داناست
القراءة ان تكون بالتاء الفوقانية
ابو عمرو وسهل ويعقوب يريد اساري بن يد والمفضل الاخرون اسرى من الاساري بن يد وابو عمرو المفضل الباقون من الاسرى
من ولا يتهم بكسر الواو وحمزة الباقون بفتحها الوقوف في الارض لقدر الاستفهام اي تريدون الاخرة ط حكيم عظيم واتقوا الله رحيم و
يغفر لكم ط رحيم منهم ط حكيم اولياء بعض ط حتى يهاجروا ميثاق ط بصيرا ولياء بعض ط كبير منكم ط في كتاب الله عليم التفسير هذا احكام
من احكام الجهاد ومعنى ما كان ما صح وما استقام والاثخان كثرة القتل واشتاعته من الثخانة التي هي الغلظ والكثافة والمعنى فيه تذلل الكفر

واضعافه واعزاز الاسلام واظهاره باشاعة القتل في الكفرة روي ان رسول الله ﷺ اتى بسبعين اسيرا فيهم العباس عمه وعقيل بن ابي طالب
فاستشار ابا بكر فيهم فقال قومك واهلك فاستبقهم لعل الله ان يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوي بها اصحابك وقال عمر كذبوك واخرجوك فقدمهم
واضرب اعناقهم فان هؤلاء ائمة الكفر وان الله اغناك عن الفداء ومكن عليا من عقيل وحمزة من العباس ومكني فلان من نسيب فلنضرب اعناقهم
فقال النبي ﷺ ان الله ليلين قلوب رجال حتى يكون الين من اللبن وان الله ليشدد قلوب رجال حتى يكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا
بكر مثل ابرهيم قال من تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال رب لا تذر على الارض من الكافرين دياراً
ثم قال لاصحابه انتم اليوم عالة فلا يفلتن احد منهم الا بفداء او ضرب عنق وروي انه قال لهم ان شئتم قتلتموهم وان شئتم فاديتموهم واستشهد
واستشهد منكم بعدتهم فقالوا بل ناخذ الفداء فاستشهد واحد وكان فداء الاربعة عشرين اوقية وفداء العباس اربعين اوقية وعن
محمد بن سيرين كان فداء كل واحد منهم مائتا اوقية والاوقية اربعون درهما وروي انهم لما اخذوا الفداء نزلت الآية فدخل عمر على رسول الله ﷺ فاذا
هو وابو بكر يبكيان فقال يا رسول الله اخبرني فان وجدت بكاء بكيت وان لم اجد بكاء تباكيت فقال ابكي على اصحابك في اخذ الفداء
عرض علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه وروي قال لو نزل عذاب من السماء لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ لقوله
كان الاثخان في القتل احب الي واعلم ان الطاعنين في عصمة الانبياء تمسكوا في هذا المقام بوجوه الاول ما كان لنبي تصريح في النهي وقد حصل
الاسر بدليل قل لمن في ايديكم من الاسرى الثاني انهم امروا بالقتل يوم بدر بقوله فاضربوا فوق الاعناق فكان الاسر معصية واجيب بان
قوله حتى يثخن يدل على ان الاسر كان مشروعا لكن بشرط سبق الاثخان ولا شك ان الصحابة قتلوا يوم بدر خلقا عظيما فلعل العتاب انما
توجه لان الاثخان امر غير مضبوط فظنوا ان ذلك القدر من القتل بلغ حد الاثخان فاخطأوا في الاجتهاد وكان قوله فاضربوا فوق الاعناق
تكليفا مختصا بحالة الحرب فلم يتناول الاسر بعد انهزام الكفار الثالث قالوا الحكم بالفداء معصية والا يتوجه الذم في قوله
تريدون عرض الدنيا اي حطامها سمي بذلك لانه سريع الزوال كالعرض قيم الجوهر والله يريد الاخرة اي ثوابها او ما هو سبب الجنة
وهو اعزاز الاسلام باشاعة القتل في اعدائه وقد اخبر الاخرة على الفداء فما معنى عتاب الاولياء على الاعداء والجواب ان ذلك محمول على الاولى
الى القتل والفداء بعد الاسر لكنه حكيم لا يخص في احد الفداء الا بعد اثخان القتل في الاعداء والجواب ان كل ذلك محمول على الاولى
وكان الكلام في قوله لولا كتاب من الله سبق اي لولا حكم من الله سبق انه في اللوح وهو انه لا يعاقب احدا يخطأ في الاجتهاد لانهم نظروا
في انه استبقاؤهم لما كان سببا في اسلامهم وتوبتهم وحسن اولادهم مسلمين وان فداءهم يتقوى به على الجهاد في سبيل الله وخفي عليهم ان قتلهم
اعز للاسلام واهيب لمن وراءهم قال ابن عباس هذا الحكم انما كان يوم بدر كان المسلمون قليلين فلما كثروا وقوي اسلامهم انزل الله بعد
ذلك في الاسارى حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء قال بعض العلماء هذا الكلام يوهم ان مقتضى الآيتين مختلف
وليس كذلك فان كلتيهما تدل على انه لا بد من تقديم الاثخان على الفداء وعن سعيد جبير لولا كتاب من الله سبق بانه سيحل لكم الغنائم
وكان قد وقع من الخلل ما يوجب تخفيف العقاب وقال محمد بن اسحق لولا كتاب من الله سبق انه لا يعذب احدا الا بعد تاكيد الحجة
والتقدم انتهى وحاصل هذا القول يرجع الى ترك الاولى وذلك انا لا نزاع في ان ترك الاولى يشترك في كونهما مباحين انما يعاتب على ترك
الاولى ومعلوم ان ذلك يشترك في كونهما مباحين وانما يعاتب على ترك الاولى لا على سبيل العقوبة بل على سبيل الحث على فعل الاولى وعن
بعضهم المراد حكم الله بانه لا يعذب من شهد بدرا واعترض بانه يلزم ان يكونوا مكلفين والجواب ان عدم العقاب على الذنب لا يوجب
عدم التكليف فلعل التكليف لاجل زيادة الثواب وقيل لولا كتاب سبق بالعفو عن هذا الواقعة لكان استحقاقي من العذاب حاصلا
وروي انهم امسكوا عن الغنائم وعن اخذ الفداء لانه من جملة الغنائم فنزلت فكلوا والفاء للتسبب ومعنى الآية قد اتجر لكم الغنائم فكلوا
وحلالا انتصب على انه من المفعول او صفة للمصدر اي اكلا حلالا واتقوا الله فيما استقبل فلا تقدموا على شيء لم تؤمروا به ان الله غفور لما فرط
منكم من ترك الاولى رحيم بعد ذلك رخص لكم فيما رخص من اخذ الفداء ثم قال لاسارى قلوب الاسارى يا ايها النبي قل لمن في ايديكم
من الاسارى ان يعلم الله ان يظهر معاوما ان في قلوبكم خيرا وهو الايمان والعزم على طاعة الله وطاعة رسوله في جميع التكاليف والتوبة
عن الكفر وعن جميع المعاصي يدخل فيه العزم على نصرة الرسول والتوبة عن محاربته يؤتكم في الدنيا خيرا مما اخذ منكم من المنافع العاجلة
ويغفر لكم في الاخرة او المراد بالخير ايضا الثواب بالمغفرة ازالة العقاب ثم انه تعالى علم ان كل من خلص من الاسر اما من فداء او من غيره
لدلالة الآية على ذلك اجمالا وذلك الخير ان كان دينيا فلا شك ان كلامه قد وجد وان كان دنيويا فلا شك ان قليل الدنيا مع الايمان اعظم من كثير الدنيا
مع الكفر وان كان دنيويا فتفصيل ذلك غير معلوم الا ما روي عن بعضهم كالعباس روي ان رسول الله ﷺ قدم عليه مال البحرين ثمانون الفا
فتوضا للصلوة الظهر وما صلى حتى فرقه وامر العباس ان ياخذ منه فاخذ ما قدر على حمله وكان يقول هذا خير مما اخذ مني واناا ارجو المغفرة
وقال ابن عباس نزلت الآية في العباس وعقيل بن ابي طالب ونوفل بن الحرث وكان العباس اسر يوم بدر ومعه عشرون اوقية من
الذهب اخرجها ليطعم الناس وكان احد العشرة الذين ضمنوا الطعام لاهل بدر فلم يبلغ الا تسعة عشر فقال العباس كنت مسلما

اي ما ذكر من

الا انهم استكرهوني فقال ان يكن ما تذكر حقا فالله يجزيك فاما ظاهر امرك فقد كان علينا قال العباس وكلمت رسول الله صلى الله عليه وآله ان يترك ذلك لك فذهب على فقال اما شيء خرجت به فنفين به علينا فلا قال وكلفي الرسول فداء ابن اخي عقيل بن ابي طالب عشرين اوقية وفداء نوفل بن الحرث فقال العباس تركتني يا محمد اتكفف قريشا فقال رسول الله صلعم فاين الذهب الذي دفنته انت وام الفضل وقلت لها ان خرجت من سفرك هذا لا ادري ما يصيبني في وجهي فان حدث في حدث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل فقال العباس وما يدريك قال اخبرني به ربي قال العباس فانا اشهد انك صادق وان لا اله الا الله وانك عبده ورسوله والله لم يطلع عليه احد الا الله ولقد دفعته انا وهي في سواد الليل ولقد كنت مرتابا في امرك فاما اذ اخبرتني بذلك فالرأي قال العباس فابدلني الله خيرا من ذلك الان عشرون عبدا ان ادناهم ليضرب في عشرين الفا واعطاني زمزم ما احب ان لي بها جميع اموال اهل مكة وانا انتظر المغفرة من ربي ثم قال وان يزيدوا خيانتك اي نكثك بايعوك عليه انتم لما اطلعهم من الاسرار عهد معهم ان لا يعودوا الى محاربته والى معاضدة المشركين كما هو العادة فيمن يطلق من الحبس والاسر وقيل المراد من الخيانة منع ما خمنوا من الفداء فقد خانوا الله من قبل في كفرهم به ونقض ما اخذ عليهم من الميثاق فامكن اي المؤمنين منهم يوم بدر قتلا واسرا فقتلوا وباؤا بآثامهم فيمكن المؤمنين منهم مرة اخرى ان اعادوا الخيانة والله عليم باحوالهم حكيم فيجازيهم على حسب اعمالهم واعلم ان رسول الله صلعم انما ظهرت بنوته بمكة ودعا الناس هناك الى الدين ثم انتقل منها الى المدينة فمن المؤمنين من وافقه في الهجرة وهم المهاجرون الاولون ومنهم من لم يوافقه في ذلك ومنهم من هاجر بعد هجرته فذكر في خاتمة هذه السورة احكام هذه الاصناف واحوالهم مع ذكر انصاره بالمدينة ومع ذكر الكفار ابتدا فقال ان الذين آمنوا ويدخل فيه الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والانقياد لجميع التكاليف وهاجروا فارقوا الاوطان وتركوا الاقارب والجيران في طلب مرضاة الله وجاهدوا باموالهم واموالهم وانفسهم في سبيل الله اما المجاهدة بالاموال فلانهم اذا فارقوا الديار ضاعت مساكنهم ومزارعهم وضياعهم وبقيت في ايدي الاعداء واحتاجوا الى الانفاق في تلك الغزية والسفرة وفي الغزوات والمحاربات واما المجاهدة بالانفس فيكفي في وصف ذلك انهم اقدموا على قتال اهل بدر من غير الة ولا عدة والاعداء في غاية الكثرة ونهاية الشدة وذلك يدل على انهم اذا لوا الطماعهم عن الهجوة وبذلوا ارواحهم في سبيل الله وكانوا اول اقدامهم على هذه الافعال والتزاما لهذه الخصال ولهذه السابقة اعظم في تقوية الدين لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وذلك ان غيرهم يقتدي بهم ويتقوى بهم واعلم انهم يمايزون منهم والمحن تحف على القلوب بالمشاركة ولان المهاجرين لهم سابقة قدم في الاسلام ذكر الله تعالى الانصار بعدهم فقال والذين آووا ونصروا اي الذين انزلوا المهاجرين بهم وجعلوا لهم ماوى ونصروهم على اعدائهم اولئك بعضهم اولياء بعض الحق جم غفير من المفسرين كابن عباس وغيره على ان المراد بهذه الولاية الارث كان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون القرابة حتى نسخ ذلك بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض واستبعد الامام فخر الدين الرازي ذلك هذا التفسير لانه يستلزم النسخ واستلزام النسخ محذور ما امكن ولان لفظ الولاية يشعر بالقرب حيث دون يطلق الارث كقولهم السلطان ولي من لا ولي له وقال سبحانه الا ان اولياء الله لا خوف عليهم فان المراد ان المهاجرين والانصار بعظم بعضهم بعضا وبينهم معاونة وتناصروا بهم واحدة على الاعداء وان حب كل واحد لغيره جار مجرى حبه لنفسه ما قوله والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء فوجهت قراءة حمزة بان تولي بعضهم بعضا شبه بالعمل والصناعة كالتجارة والفصارة كانه يتولاه صاحبه من اول امره وتباشر عملا قال المفسرون لا يجوز ان يكون المراد بهذه الولاية النصرة والمعونة والا لم يصح عطف ان استنصروكم عليه لان الشيء لا يعطف على مثله فالمراد بها الارث كما مر واجيب بان لو حملناها على التعظيم زال الاشكال وحصل التغاير لان اهل الايمان قد ينصر بعض الذمة في بعض الاحوال مع انهم لا يوالونهم بمعنى الاجلال والتعظيم كذا قد ينصر المرء عبده ولا تعظيم جعل الله تعالى حكم هؤلاء المؤمنين متوسطا بين الاولين وبين الكفرة من حيث انه نفى عنهم الولاية قبل ان يهاجروا واثبت لهم النصرة عند الاستنصار الا على الكفار المعاهدين لانهم لا يبدؤن بالقتال ثم قال والذين كفروا بعضهم اولياء بعض ظاهره اثبات الموالاة بينهم والغرض نهي المسلمين عن موالاتهم وان كانوا اقارب وان يتركوا بتوارث بعضهم بعضا وفيه المشركين واليهود والنصارى لما اشتركوا في عداوة محمد صلعم صاروا من هذه الجهة موجبة لاحتمال بعضهم الى بعض وقرب بعضهم من بعض وان كان واحد منهم في نهاية الانكار لصاحبه وذلك من ادل الدلائل ان تلك العداوة ليست لاجل الدين ولكنها محض الحسد والعناد ومن جعل الولاية في هذه الاية بمعنى الارث استدل بذلك على ان الكفار في التوارث على اختلاف مللهم كاهل ملة واحدة فالمجوسي يرث الوثني والنصراني يرث المجوسي واليهودي يرث النصراني وبالعكس ثم قال الا تفعلوه اي ما امركم به من موالاة المسلمين المهاجرين ومن عدم موالاة غير المهاجرين الا في حاله الاستنصار ومن عدم موالاة الكفرة اصلا تكن فتنة اي تحصل مفاسد عظيمة في الارض من تفرق الكلمة واختلاط المؤمن بالكافر وتوقع الهرج والمرج ثم كرر تعظيما لشان المؤمنين واثناء عليهم قوله والذين آمنوا وهاجروا الآية فوصفهم بانهم هم المؤمنون حقا ولهم مغفرة ورزق كريم وقد تقدم تفسير مثله في اول السورة والحاصل ان هذه السعادات العالية انما حصلت لهم لانهم اعرضوا عن اللذات الحسية

الايقان

فتركوا الاهل والوطن وبذلوا النفس والمال وفيه تنبيه على انه لا طريق الى تحصيل السعادات الا بالاعراض عن هذه الجسمانيات ثم وصف
السابقين بالهجرة بعد السابقين اليها فقال والذين امنوا من بعد نقل الواحدي عن ابن عباس ان المراد بعد الحديبية وهي الهجرة الثانية
وقيل بعد نزول الاية وقيل بعد يوم بدر والاصح ان المراد والذين هاجروا بعد الهجرة الاولى فاولئك منكم الحقهم بالاولين تشريفا
للاولين وتعظيما لشانهم ولولا كون القسم الاول اشرف لما صح هذا الالحاق ثم ختم الكلام بقوله واولوا الارحام اى ذوو القرابات بعضهم اولى
ببعض اى احق بهم واجدر به في كتاب الله اى في حكمه وقسمته او في اللوح او القرآن وهو اية المواريث وهذه الاية ناسخة للتوارث بالهجرة
والنصرة اما الذين قرروا تلك الولاية بالنصرة والمحبة والتعظيم فانهم قالوا لما كانت تلك الولاية مخالفة للولاية بسبب الميراث بين الله تعالى
في هذه الاية ان ولاية الارث انما تحصل بسبب القرابة فيكون المقصود من هذا الكلام ازالة ذلك الوهم اعني ازالة وهم من يجعل الولاية هناك
بمعنى الارث وقد تمسك اصحابنا بابي حنيفة بهذه الاية في توريث ذوي الارحام وهم ذوو قرابة ليست بفرض ولا عصوبة او كل قريب ليس
من اصحاب الفرض والعصبات وانهم عشرة اصناف الجد ابو الام وكل جد وجدة ساقطين وبنات الاخوة واولاد البنات والاخوات وبنو الاخوة للام
وبنات الاعمام والعمات والاخوال والخالات وكل من ادلى بواحد وفرض او عصبة فلو ورث ذوو الارحام او وضع المال في بيت
المال فقد منعهم ابو حنيفة على بيت المال للاية وعكس الشافعي قال ان الاية مجملة في الشيء الذي حصلت فيه هذه الاولوية فلما قال في كتاب الله
كان معناه في الحكم الذي بينه الله في كتابه فصارت هذه الاولوية مقيدة باحكام ابنية الميراث فلا يبقى مجملة في توريث ذوي الارحام و
اعلم انه سبحانه وتعالى في اول الايات وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله وفي اثناء تقديم في سبيل الله لان هذه السورة تقدم
ذكر المال والفداء والغنيمة في قوله تريدون عرض الدنيا وفي قوله لمسكم فيما اخذتم اى من الفداء وفي قوله فكلوا مما غنمتم وفي براءة
تقدم ذكر الجهاد في سبيل الله وهو قوله ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم وفي قوله لمن امن بالله واليوم الاخر وجاهد في سبيل
ثم الحلف من الاية الثانية باموالهم وانفسهم اكتفاء بما في الاية بين قبلها والله اعلم ثم ختم السورة بقوله ان الله بكل شيء عليم والمراد
ان هذه الاحكام التي ذكرتها وفصلتها كلها محكمة وصواب وصلاح وليس فيها عيب وعبث لان العالم بجميع المعلومات لا يحكم الا بالصواب
نظيره ان الملائكة لما قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها قال مجيبا لهم اني اعلم ما لا تعلمون الثامن ما كان لنبي اذا اوحي ان يكون له نفس
سورة وتوبة موجهة الى تدبير امور المعاش والدعوة الى الله وان كان تصرفا بالحق حتى يشيع في ارض البشرية قتل القوي والنفوس المطبعة
لشيطان الرياضة والمجاهدة ولهذا كان رسول الله صلعم قبل الوحي يتحنث في غار حراء ويتردد في عرض الدنيا فيه اشارة الى ان الانسان اذا وكل
الى نفسه طبعه يكون ميالا الى الدنيا راغبا فيها والله يريد الاخرة منكم اى ليس الانسان من سجيته وطبعه ان يميل الى الاخرة انما هو بتوفيق
الله وعنايته الا ترى انه لولا كتاب من الله سبق بان الانسان لا يكون مخلدا بخوعالم الارواح بالكلية وانما يكون متوسطا بين العالمين
سراعيا للطرفين لمسكم فيما اخذتم من وراء النفس الما سورة وهو التفاتها الى تدبير البدن عذاب عظيم هو عذاب القطيعة والبعد عن
عالم النور فكلوا مما غنمتم من له فان الجهاد الاكبر من الانوار والاسرار عند رفع الاستار حلالا طيبا نفوسكم عن لوث محبتها فكل ما يشغل
المرء من الالتفات الى الله فهو شرك وصنم واتقوا الله حتما سواه ان الله غفور يستر بانوار وجوده ظلمات وجوده رحيم بكم حيث يعينكم عنكم
ويبقيكم يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من التفوس الما سورة الذي اسرت في الجهاد الاكبر عند استيلاء سلطان الدل عليها ان يعلم في قلوبكم خيرا
من الاطمينان الى ذكر الله والانقياد لاحكامه يؤتكم خيرا مما اخذ منكم من اللذات الفانية واسبابها وذلك هو البقاء الحقيقي واللذة السرمدي
وان يريدوا خيانتك اى بعد ما جبلت النفوس عليه من طموح الى الزخارف الدنيوية فقد خانوا الله من قبل التجاوز عن حدود الشريعة ورسوم الطريقة فامكن منهم عند استيلاء الذكر عليها وقتلها بسيف الرياضة والله عليم باحوالها حكيم فيما دبر من امر جهادها وتركها والذين
اوذوا في الله ومحبته في القلوب ونصرة المحبة بالذكر الدائم والطلب القائم اولئك بعضهم اولياء بعض في المراقبة والموافقة في الطلب والسير الى
الله والذين امنوا بان الطلب حق ولم يهاجروا عن اوصافهم وافعالهم ووجودهم المجازي وان استنصروكم ليتمسكوا باذيال ارادته الواصلين منكم
فعليكم النصر بان تدلوهم على طريق الحق بمعاملتكم وسيركم ليقتدوا بكم ويداووا حوالكم الاعلى قوي اى الاعلى بعض احوالكم مما اصلحهم عليه نفوسكم
بعد ما جاهدتموها واسرتموها وامنتم شرها فلا تدلوا الطلاب على هذه الاحوال لئلا يميلوا الى الصلح في اوان الجهاد قاولئك منكم بشير الى ان
المتاخرين اذا دخلوا في زمرة المتقدمين الواصلين فهم منهم وانتم ذووا رحم الوصول اثره ليس عند الله صباح ولا مساء ولهذا قال امتي كالمطر لا يدري
اوله خير سورة التوبة مدنية وهي مائة وثلاثون وثمانية وستون اية وثلاثة الاف وسبعمائة وتسع وايانها عشرون واسمها
براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا في الارض اربعة اشهر واعلموا انكم غير
معجزي الله وان الله مخزي الكافرين واذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر ان الله بريء من المشركين و

ع ٧

الجزء العاشر

رسوله فان تبتم فهو خير لكم وان توليتم فاعلموا انكم غير معجزي الله وبشر الذين كفروا بعذاب اليم الا
وپیغمبرش پس اگر توبه کنید پس آن بهتر شما را واگر برگشتید پس بدانید که شما عاجز کننده نیستید خدا را ومژده ده آنها را که کافر شدند بعذاب دردناک مگر آنان
الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم احدا فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ان
آنان که عهد بستید شما از مشرکان پس نشکستند شما را چیزی وهم پشتی نکردند بر شما احدی را پس تمام کنید بسوی ایشان عهد ایشان را تا مدت ایشان بدرستی که
الله يحب المتقين فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد
خدا دوست دارد پرهیزگاران را پس چون تمام درآید ماههای حرام پس بکشید مشرکان را هر جا که بیابید ایشان را ومحاصره کنید ایشان را وبنشینید مر ایشان را در هر
فان تابوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم وان احد من المشركين استجارك
پس اگر توبه کردند وبرپای داشتند نماز را وبدادند زکوة پس رها کنید راه ایشان را بدرستیکه خدا آمرزنده مهربان است واگر یکی از مشرکان پناه آرد تو را
فاجره حتى يسمع كلام الله ثم ابلغه مامنه ذلك بانهم قوم لا يعلمون كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند ع
پس جای ده او را تا بشنود کلام خدا را پس برسان او را بجای خود این بآنست که ایشان گروهیند که نمیدانند چگونه باشد از برای مشرکان عهدی نزد خدا ونزد
رسوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ان الله يحب المتقين كيف
پیغمبرش مگر آنانکه عهد نمودید ونزد مسجد الحرام پس هرچه استقامت نمایند از برای شما پس بایستید از برای ایشان بدرستیکه خدا دوست دارد پرهیزگاران را چگونه
وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة يرضونكم بافواههم وتابى قلوبهم واكثرهم فاسقون اشتروا
واگر غالب آیند بر شما نگیرند در شما خویشی ونه زنهاری خوشنود کنند شما را بزبان خود وقبول نکند دلهاشان وبیشتر ایشان تباه کارانند
بايات الله ثمنا قليلا فصدوا عن سبيله انهم ساء ما كانوا يعملون لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة واولئك
بآیات خدا بهای کمیرا پس بازداشتند از راه خدا بدرستی که ایشان بد چیزی بود آنچه بودند میکردند که نگاه ندارند در حق مومنی خویشی ونه زنهاری وآنگروه
هم المعتدون فان تابوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فاخوانكم في الدين ونفصل الايات لقوم
ایشانند از حد گذشتگان پس اگر توبه کردند وبرپای داشتند نماز را وبدادند زکوة پس برادران شمایند در دین وواضح گردانیم آیات را از برای گروهی
يعلمون وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا ائمة الكفر انهم لا ايمان لهم
که میدانند واگر بشکنند سوگندهای خود را از بعد پیمان خود وطعنه زنند در دین شما پس کارزار کنید با پیشوایان کافر بدرستیکه ایشان را ایمانی نیست شاید
لعلهم ينتهون الا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدءوكم اول مرة اتخشونهم
که ایشان باز ایستند آیا کارزار نمیکنید با گروهی که شکستند سوگندهای خود را وقصد کردند بیرون کردن پیغمبر را وایشان ابتدا کردند شما را اول مرتبه آیا میترسید از ایشان
فالله احق ان تخشوه ان كنتم مؤمنين قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف
پس خدا سزاوارتر است که بترسید از او اگر هستید گرویدگان کارزار کنید با ایشان تا عذاب کند ایشان را بدست شما وخوار گرداند ایشان را ویاری کند شما را بر ایشان وشفا
صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم ام حسبتم ان تتركوا ولما
سینهای گروه مومنان را وببرد خشم دلهای ایشان را وتوبه پذیرد خدا بر کسی که خواهد وخدا دانای حکیم است یا پنداشتید که واگذاشته خواهید شد
يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون
تا بدانسته خدا آنانرا که جهاد کردند از شما ونگرفتند از سوای خدا ونه پیغمبر او ونه مومنان دوستی وخدا مطلع است بآنچه میکنید

القراء ورسوله بالنصب وح وزيد الباقون بالرفع انما بهمزتين عاصم وحمزة وعلي وخلف ابن عامر هشام يدخل بينهما مده الباقون انما بهمزة ثم ها
لا ايمان بكسر الهمزة ابن عامر الباقون بالفتح جمع يمين يعلمون بتاء الغيبة عباس مخبر الوقوف من المشركين ط معجزي الله لا للعطف الكافرين من
المشركين لا للعطف ورسوله ط حين لكم ك لابتداء الشرط مع الواو ومعجزي الله ط اليم لا للاستئناف موتهم ط المتقين مرصد ج سبيلهم ط رحيم ط منهم
لا يعلمون المسجد الحرام ج لان ما بالجزاء مع اتصالها بالفاء فاستقيموا لهم المتقين ولا ذمة ط قلوبهم ج فاسقون ك لان ما بعده يصلح وصفا لما قبله
يعلمون ولا ذمة ط المعتدون في الدين ط يعلمون انهم الكفر لا للتعليل لهم بقوله فقاتلوا وما بينهما اعتراض ينتهون اول مرة ط اتخشونهم لان ما
بعده مبتدا مع الفاء مؤمنين مؤمنين لا للعطف قلوبهم ط من يشاء ط حكيم وليجة ط تعملون التفسير قد عدى في الكشاف من اسماء هذه السورة
براءة وذلك واضح والتوبة لان فيها ذكر التوبة على المؤمنين والمقشقشة لانها تقشقش من النفاق اى تبرئ منه والمبعثرة والمثيرة والحافرة والفاضحة
والمنكلة والمشردة والمخزية ولقد مدحه لانها تبعثر عن اسرار المنافقين تبحث عنها وتثيرها وتحفر عنها وتفضحهم وتنكلهم وتشردهم وتخزيهم و
تدمدم عليهم ومن حقه ان تسموها سورة التوبة واما هي سورة العذاب والله ما تركت الا انا ألت احدا منه وعن ابن عباس ما ذا لت تقول
ومنهم حتى حسبنا ان لا تدع وللعلماء خلاف في سبب اسقاط التسمية من اولها فعن ابن عباس قال قلت لعثمان بن عفان في ذلك
فقال كان النبي ﷺ كلما نزلت عليه سورة يقول ضعوها في موضع كذا وكان براءة من اخر القرآن نزولا وتوفي رسول الله ﷺ ولم يبين موضعها

التوبة

وكانت قصتها شبيهة بقصتها فقرنت بينهما وكانه اراد بالمشابهة ما روى عن ابي بن كعب في الانفال ذكر العهود وفي براءة نبذ العهود فوضعت احداهما بجنب الاخرى واستبعد جمع من العلماء هذا القول لانا لو جوزنا في بعض السور ان لا يكون توقيفيا من الله على سبيل الوحي لجوزنا مثله في سائر السور وفي ايات السورة الواحدة وذلك يفضي الى خلو من الزيادة والنقصان في القرآن على ما يقوله الامامية وقال بعض العلماء ان الصحابة اختلفوا في ان الانفال مع التوبة سورتان ام سورة واحدة لانهما مائتان وست ايات فهما بمنزلة احدى الطوال وكلتاهما وردت في القتال والمغازي فلما كان هذا الاختلاف فرجحا بينهما فرجحت بينهما على قول من يقول انهما سورتان ولم يكتب البسملة بينهما على قول من يرى انهما واحدة فعلموا علما يدل على ان هذا الاشتباه حاصل وفيه انهم لم يحوا بهذا القدر من الشبهة دل على انهم كانوا متهمين في ضبط الدين وحفظ القرآن عن التغيير والتحريف وذلك يبطل قول الامامية وفيه دليل على ان البسملة ليست من كل سورة والا جاز كتبتها ههنا بل عند كل مقطع كلام وعن ابن عباس سألت عليا عن ذلك فقال لان بسم الله الرحمن الرحيم امان وهذه السورة نزلت بالسيف ونبذ العهود وذكر سفيان بن عيينة هذا المعنى واكده بقوله تعم ولا تنهى ولم تقرأ انكم لستم موسى فقيل له البسملات التي في كتب اهل الحرب بسم الله الرحمن الرحيم فاجاب بان ذلك ابتداء منه يدعوهم الى الله ولم ينبذ اليهم عهدهم وهذا قال في آخر الكتاب والسلم على من اتبع الهدى ومما يؤكد شبهة من زعم انهما سورة واحدة ان ختم الانفال وقع بايجاب ان يوالي المؤمنون بعضهم بعضا وان يكونوا منقطعين عن الكفار بالكلية وقوله براءة من الله ورسوله تاكيد لذلك الكلام وتقرير له ومعنى البراءة انقطاع العصمة وهي خبر مبتدا محذوف ومن لابتداء الغاية متعلق بمحذوف والمعنى هذه براءة واصلة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم كما تقول كتاب من فلان الى فلان ويجوز ان يكون براءة مبتدا لتخصصها بصفتها وهي الجار والمجرور كما قالوا والخير محذوف كما ذكرنا نظيره قولك رجل من بني تميم في الدار كان قد اذن الله في معاهدة المشركين فاتفق المسلمون مع رسول الله وعاهدوهم فلما نقضوا العهد اوجب الله النبذ اليهم وكانه قيل للمسلمين اعلموا ان الله ورسوله قد برئا من العهد الذي عاهدتم به المشركين من بني آدم كانوا عاهدوا المشركين من اهل مكة وغيرهم من العرب فنكثوا الا ناسا منهم وهم بنو ضمرة وبنو كنانة فنبذ العهد الى الناكثين وامروا ان يسيحوا في الارض اربعة اشهر امنين ان ساروا والاشهر هي المحرم لقوله فاذا انسلخ الاشهر الحرم والسياحة التقرب في الارض والاتساع في السير والبعد عن المدن وموضع العمارة مع الامن من الطعام والشراب وما منه بد للصائم ساغ ذكر المطعم والمشرب والمعنى في هذا الامر باحاطة الذهاب مع الامان وازالة الخوف روي ان فتح مكة كان سنة ثمان من الهجرة وكان رسول الله قد ولى عتاب بن اسيد الوقوف بالناس الموسم فاجتمع في تلك السنة في المواقف وسائر المشاعر المسلمون والمشركون ونزلت هذه السورة سنة تسع وكان قد امر فيها ابا بكر على الموسم فلما نزلت السورة اتبعه عليا راكب العضباء ليقرأها على اهل الموسم فقيل له لو بعثت بها الى ابي بكر فقال لا يؤدي عني الا رجل مني فلما دنا علي سمع ابو بكر الرغاء فوقف وقال هذا رغاء ناقة رسول الله فلما لحقه قال اميرا وما مأمورا وروي ان ابا بكر لما كان ببعض الطريق هبط جبريل فقال يا محمد لا يبلغ عنك الا رجل منك فارسل عليا فاخذ ابو بكر الى رسول الله فقال يا رسول الله اشيء نزل من السماء قال نعم فسر وانت على الموسم وعلي يؤدي عنك فلما كان قبل التروية خطب ابو بكر وحدثهم عن مناسكهم وقام على يوم النحر عند جمرة العقبة فقال ايها الناس اني رسول الله اليكم فقالوا بما فاذا فقرأ عليهم ثلثين او اربعين اية وعن مجاهد ثلث عشرة ثم قال امرت باربع ان لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة وان يتم الى كل ذي عهد عهده فقالوا عند ذلك يا علي ابلغ ابن عمك انا قد نبذنا العهد وراء ظهورنا وانه ليس بيننا وبينه عهد الا طعن او ضرب بالسيف

استدل الامامية بهذه القصة على تفضيل علي كرم الله وجهه وعلى تقديمه واجاب اهل السنة بانه امر ابا بكر على الموسم وبعث عليا خلفه ليبلغ هذه الرسالة حتى يصلي على خلف ابي بكر ويكون ذلك جاريا مجرى التنبيه على امامة ابي بكر واما قوله لا يبلغ عني الا رجل مني فذلك لان المتعارف بين العرب انه اذا عقد السيد الكبير منهم لقوم حلفا او عاهد عهدا لم يحل ذلك العهد الا هو او رجل من ذوي قرابته كان اعظم فلو تولاه ابو بكر جاز ان يقولوا خلاف هذا ما يعرف فينا فنقض العهد فان بلغ علي بتولي علي تولية ذلك عليا وقيل لما احضر ابا بكر ليتولى امر الموسم احضر عليا هذا التبليغ تطييبا للقلوب ودعاية للجواب ولنرجع الى التفسير قال ابن الانباري في الكلام اضمار والتقدير فقل لهم سيحوا ويكون ذلك رجوعا من الغيبة الى الحضور كقوله وسقاهم ربهم شرابا طهورا ان هذا لكم جزاء واختلفوا في الاشهر الاربعة فعن الزهري ان براءة نزلت في شوال والمراد في شوال وذي القعدة وذي الحجة والمحرم وقيل هي عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وربيع الاول وعشر من ربيع الاخر وكانت حراما لانهم امنوا فيها وحرم قتلهم وقتالهم او سميت حراما على التغليب لان ذا الحجة والمحرم منها وقيل ابتداء المدة من عشر ذي القعدة الى عشر من ربيع الاول لان الحج في تلك السنة كان في ذلك الوقت للنسيء الذي كان فيهم ثم صار في السنة الثانية في ذي الحجة قال المفسرون هذا تاجيل من الله للمشركين فمن كانت مدة عهده اكثر من اربعة اشهر حطت الى اربعة ومن كانت مدته اقل رفعت اليها والمقصود من هذا التاجيل ان يتفكروا في انفسهم ويحتاطوا في الامر ويعلموا انه ليس لهم بعد هذه المدة الا احد امور ثلثة الاسلام او قبول الاسلام

او قبول الجزية او السيف فيجيز ذلك حاملا لهم على قبول الاسلام ظاهرا والى هذا المعنى اشار بقوله واعلموا ان هذا الامهال ليس لعجز ولكن لمصلحة ولطف لتتوب من تاب فيه ضرب من التهديد كانه قيل افعلوا في هذه المدة كل ما امكنكم من اعداد الآلات والادوات فانكم لا تفوتون الله وهو مخزيكم اي مذلكم في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالعذاب وقوله مخزي الكافرين من باب الالتفات من الحضور الى الغيبة ومن وضع الظاهر موضع المضمر ليكون فيه اشارة الى ان سبب الاخزاء هو الكفر ثم اراد ان يعلم جميع الناس البراءة المذكورة فقال اذان وارتفاعه كما تقدم براءة على الوجهين ثم الجملة معطوفة على مثلها وخطئ الزجاج في قوله انه معطوف على براءة لانه لو عطف عليها لكان هو ايضا مخبرا عنه بالاول وهو الذي عاهدتم لكنه غير مقصود بل المقصود الاخبار عنه بقوله الى الناس والاذان اسم بمعنى الايذان الاعلام كالامان والعطاء بمعنى الايمان والاعطاء ومنه اذان الصلوة اسم الله تعالى بهذا الاعلام يوم الحج الاكبر وهو الجمع الاعظم الذي حضر فيه المؤمن والمشرك والمعاهد والناكث وغير الناكث ليصل الخبر الى جميع الاطراف وبشهر وكان النبي صلعم بوبدان يحج في السنة الاتية فامر بالظهار هذه البراءة لئلا يحضر الموقف غير المؤمنين الموحدين وقيل يوم الحج الاكبر يوم عرفة لان فيه اعظم اعمال الحج وهو الوقوف بعرفة ولهذا قالوا الحج عرفة وهو قول عمر وابن عباس وابن المسيب وابن الزبير وعطاء وطاوس ومجاهد احد الروايتين عن علي عم وابن عباس وروايتا المسور بن مخرمة عن رسول الله صلعم انه قال خطب رسول الله صلعم يوم عرفة فقال اما بعد فان هذا يوم الحج الاكبر وقال ابن عباس في رواية عطاء هو يوم النحر وافقه قول الشعبي والسدي والمغيرة بن شعبة وسعيد بن جبير ودليلنا ان معظم افعال الحج من الطواف والحلق والنحر يقع فيه ومثله ما روي عن علي عم ان رجلا اخذ بلجام دابته فقال ما يوم الحج الاكبر فقال يومك هذا خل عن دابتي يعني يوم النحر وعن ابن عمر ان رسول الله صلعم وقف يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر وقال ابن جريج عن مجاهد يوم الحج الاكبر ايام منى كلها وهو قول سفيان الثوري وكان يقول يوم الحج الاكبر ايام منى كلها كيوم صفين ويوم الجمل وانما سمي الحج الاكبر لان كل حرب دامت اياما كثيرة ويسمى ايضا فقد وصف الحج الاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر وقيل الحج الاكبر القران والاصغر الافراد عن مجاهد انهم هذا وقد حلفت لبناء التي هي صلة الاذان تخفيفا و التقدير بان الله بريء من المشركين وقوله ورسوله بالرفع مبتدأ محذوف الخبر ورسوله اي كذلك وهو معطوف على المنوي في بريء اي بريء هو ورسوله وجاز العطف من غير تاكيد بالمنفصل المفصل وقوي بالخبر على الجوار او على ان الواو للقسم كقوله سبحانه لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون والفرق بين قوله برئ من الله وبين قوله ان الله بريء ان المقصود من الكلام الاول هو الاخبار بثبوت البراءة من العهد وبالثاني البراءة التي هي نقيض الموالاة ولهذا لم يضف المشركين ناسيا بوصف معين كالمعاهدة تنبيها على ان الموجب للبراءة هو كفرهم وشركهم ولهذا اتبعه قوله فان تبتم اي عن الشرك فهو خير لكم وفيه ترغيب في التوبة والاقلاع الموجب لزوال البراءة وان توليتم اعرضتم عن التوبة او بقيتم على التولي والاعراض عن الايمان والوفاء فاعلموا انكم غير فائتين اخذ الله وعقابه تال بعض العلماء قوله سبحانه واعلموا انكم غير معجزي الله لبريء كالاول للكان والثاني للزمان وبشر يا محمد او يا من له اهلية الخطاب وفيه من التهكم والتهديد ما فيه كيف لا يخاف ان عذاب الله نازل به او فاخافوا ودل المخاطبون على العذاب بل العذاب الشديد معد لهم يوم القيمة او قوله الا الذين عاهدتم فقد قال الزجاج ان الاستثناء يعود الى قوله برآءة من الله ورسوله الى المشركين المعاهدين الا الذين لم ينقضوا العهد وقال في الكشاف ويجوز ان يكون مستثنى من قوله فسيحوا في الارض كانه قيل سيحوا في الارض الا الذين عاهدتم ثم لم ينقضوا فاتموا اليهم عهدهم ولا تسيحوا بعد انقضاء اربعة اشهر وقيل استثناء من قوله الا الذين عاهدتم ومعناه لم ينقضوكم شيئا مما شرطتم عليهم في العهد ولم يظاهروا عليكم عدوا فاتموا اليهم عهدهم تاما كما امرتم به قال ابن عباس بني لهم من كنانة عهدهم تسعة اشهر فاتم لهم عهدهم ثم ختم الآية بقوله ان الله يحب المتقين يعني ان قضية التقوى ان لا يسوي بين الفريقين ولا يجعل الوفي كالغادر ومن جملة الغادرين بنو بكر عدوا على خزاعة عيبة رسول الله صلعم من قوله الانصار كرش وعيبة املوا بها طائفة وموضع سره واما نة وظاهرهم قريش بالسلاح حتى وقد عمرو بن سالم الخزاعي على رسول الله صلعم فانشد الا يا رب اني ناشد محمدا ان قريشا اخلفوك الموعدا ونقضوا ميثاقك المؤكدا هم بيتونا بالحجون هجدا وقتلونا ركعا وسجدا حلف ابينا وابيك الاتلدا فقال صلعم لا نصرت ان لم انصركم ومعنى ناشد محمدا اذكره الحلف والعهد لانه كان ابنه بين عبد المطلب بين خزاعة حلف قديم لكنانة الاقدم ثم بين حكم انقضاء اجل الناكثين فقال فاذا انسلخ الاشهر الحرم اي التي ابيح فيها للناكثين ان يسيحوا وانسلاخ الشهر تكامل جزء الى ان يغيب كانسلاخ الجلد عما يحويه شبه خروج المتمكن عن زمانه بانفصال المتمكن عن مكانه فكلاهما ظرف فاقتلوا المشركين يعني الناقضين حيث وجدتموهم من حل او حرم وفي اي مكان وخذوهم واسروهم والاخيذ الاسير واحصروهم منعوهم من التصرف في البلاد وقيدوهم وقال ابن عباس حصرهم ان يحال بينهم وبين المسجد الحرام واقعدوا لهم كل مرصد اي في كل ممر ومجاز وقيدهم هنا نصب على الظرف كما مر في قوله لاقعدن لهم صراطك المستقيم فان تابوا فامنوا الصلوة واتوا الزكوة ان حصلوا على شرطها فخلوا سبيلهم المراد من التخلية الكف عنهم واطلاقهم من الاسر والحصر عن البيت الحرام او عن التصرف في مهماتهم ان الله غفور رحيم يغفر لهم ما سلف لهم من الكفر والغدر وقال الشافعي اباح دماء الكفار بجميع الطرق والاحوال ثم حرمها عند التوبة عن الكفر و

واقامة الصلوة وايتاء الزكوة فلم يوجد احد هذه الامور فلم يوجد هذا المجموع فوجب ان يبقى احتمال الدم على الاصل فتارك الصلوة يقتل
ولعل ابا بكر استدل بمثل ذلك على جواز قتال مانعي الزكوة وحمل اكثر الائمة الاقامة والايتاء فيهما على اعتقاد وجوبهما والاقرار بذلك وان
كان عدولا عن الظاهر عن الحسن ان اسيرا نادى يجيء يسمع النبي ص اتوبك الله ولا اتوبك الى محمد ثلثا فقال ثم عرف الحق لاجله فارسلوه
قال بعض العلماء ذكر التوبة ههنا عبارة عن تطهر القوة النظرية عن الجهل وذكر الصلوة والزكوة عبارة عن تطهر القوة العملية عما لا ينبغي ولا يليق
ان كمال السعادة منوط بهذا المعنى جعلنا الله من اهلها لما اوجب الله سبحانه بعد انسلاخ الاشهر الحرم قتل المشركين دل ذلك على ان حجة الله تعالى
قد قامت عليهم وان ما ذكره الرسول قبل ذلك من انواع الدلائل والبينات كفى في ازاحة علتهم فبقي ذلك ان احدا من المشركين لو طلب الدليل و
التحم بالتفت اليه بل يطالبه اما بالاسلام او بالجزية او بالقتل فاذا الله تعالى بكمال رأفته هذه الشبهة فقال وان احد من المشركين استجارك الاية
قال علماء العربية ارتفع احد بفعل مضمر يفسره الظاهر تقديره وان استجارك احد استجارك كقوله ويمحو بين المفسر والمفسر فحذفوا المفسر والغرض منه الكلام
على الابهام ثم التفسير من حيث ان من مظان وقوع الفعل بعده وايضا ذكر الفاعل ههنا اهم لما بينا ان ظاهر الدليل يقتضي اباحة دم المشرك
فقدم ليدل على مزيد العناية بصونه عن الاهدار تقول استجرت فلانا اي طلبت فيه ان يكون جارا له محاميا وحافظا من ان يظلم ظالم ومنه
يقال اجاره الله من العذاب اي انقذه والمعنى وان جاءك احد من المشركين بعد انسلاخ الاشهر ينبأ بينه فاستامنك ليسمع ما تدعوا
اليه من التوحيد والقرآن فامنه حتى يسمع كلام الله سماع تدبر وتامل ثم ابلغه دار الدعوة يامن فيها ان لم يسلم ثم قال ان شئت فهذا ان المقصود
من شرع القتل قبول الدين والاقرار بالتوحيد وان النظر في دين الله من اعلى المقامات فان الكافر الذي دمه مهدر لما اظهر من نفسه
كونه طالبا للنظر والاستدلال زال ذلك الاهدار ووجب على الرسول ان يبلغه فامنه اما ان مهلة النظر فليس في الاية ما يدل على ذلك
ولعله مفوض الى اجتهاد الامام فمتى ظهر على المشرك علامات كونه طالبا للحق باحثا عن وجه الاستدلال امهل وترك وتتظهر عليه كونه معرضا
عن الحق رافعا للقرآن بالاكاذيب يلتفت اليه وابلغ المأمن وتشبه ان بقي المدة اربعة اشهر وهو الصحيح عن مذهب الشافعي والمذكور في الاية
كونه طالبا لسماع القرآن الا انه الحق بركونه طالبا لسماع الدلائل وجواب الشبهات لانه تعم علل وجوب الاجارة بكونه غير عالم حيث قال
في آخر الاية ذلك بانهم قوم لا يعلمون فكل من حصلت فيه هذه العلة وجبت اجارته وفي سماع كلام الله وجوه قيل اراد جميع القرآن لان تمام
الدلائل والبينات فيه وقيل اراد سماع سورة براءة لانها مشتملة على كيفية المعاملة مع المشركين والاولى حمله على كل الدلائل وانما خص القرآن
بالذكر لانه الكتاب الجامع لمعظم جميع الدلائل واعلم ان الامان قد يكون عاما يتعلق باهل اقليم وبلدة او ناحية وهو عقد الهدنة ويخص
بالامام وقد مر في تفسير قوله تعم وان جنحوا للسلم فاجنح لها وقد يكون خاصا يتعلق باحاد الكفار وهذا يصح من الولاة ومن احاد المسلمين
ايضا وهذا مقصود الاية وانه ثابت غير منسوخ روي عن سعيد بن جبير ان رجلا من المشركين جاء الى علي ع فقال ان اراد الرجل منا
ان يأتي محمدا بعد انقضاء هذا الاجل فيسمع كلام الله او يأتيه لحاجة قتل قال لا واستدل بالاية وعن السدي هو منسوخ بقوله فاقتلوا
المشركين وشرط الامان الاسلام والتكليف فيصح من العبد والمرأة والفاسق روي انه تم قال يسعى بذمتهم ادناهم وعوام اهل قرى المسلمين
من احادهم فقالوا كم اصنافهم فيعتبر مع الاسلام والتكليف الاختيار فلا يصح امان المكره على عقد الامان وينعقد الامان بكل لفظ دال
للغرض صريحا كقوله اجرتك او لا تخف وكناية كقوله انت على ما تحب ولكن كيف شئت مثل الكتابة والرسالة والاشارة المفهمة روي عن عمر
انه قال والذي نفسي بيده لو ان احدكم اشار باصبعه الى مشرك فنزل علي ذلك ثم قتله لقتلته هذا دخل الكافر بلدنا بلا سبب اما اذا
دخل لسفارة فلا يتعرض له وكذا اذا دخل لسماع الدلائل وقصد التجارة لا يفيد الامان الا اذا رأى الامام مصلحة في دخول التجار وحكم
الامان اذا انعقد عصمة المؤمن من القتل والسبي فان قتله قاتل ضمن بما يضمن به الذمي ولا يتعدى الامان الى ما خلفه في دار الحرب
من اهل ومال واما الذي معه فان وقع التعرض لامانه اتبع الشرط والا فالارجح ان لا يتعدى الامان الى ذلك وقد بقي في الاية مسئلة اصولية
وهي ان المعتزلة استدلوا بالاية على ان كلام الله تعالى هو هذه الحروف المسموعة وتبع ذلك ان يكون كلامه محدثا لان دخول هذه
الحروف في الوجود على التعاقب واجيب بان هذه المسموعة فعل الانسان وليست التي خلقها الله تعالى او لا عند كم فعلمنا ان هذا المسموع
ليس كلاما بالاتفاق فيجب ان تكون التي في اللوح المحفوظ ونحن نحمله على انها هي الدالة على الكلام النفسي فلهذا اطلق عليها انها كلام الله كما ان الكتبي قال ان كلام
الله شيء مغاير لهذه الحروف والاصوات وهو باق مع قراءة كل قارئ وزعم بعض الناس حين رأوا انه تم جعل كلامه مسموعا ان هذه الحروف
والاصوات قديمة لان قدم كلامه تم وفيه ما فيه ثم اكد المعاني المذكورة من اول السورة الى ههنا فقال على سبيل الاستنكار والاستبعاد
كيف يكون للمشركين عهد المرفوع اسم كان وفي خبره ثلثة اوجه الاول كيف قدم للاستفهام الثاني للمشركين عند علي هذا ظرف للعهد
او ليكون او للجار او هو وصف للعهد الثالث الخبر عند الله وللمشركين تبيين او متعلق بيكون وكيف حال من العهد يعني محال ان يثبت طولة
عهدهم اضدادكم يضمرون الغدر في كل عهد فلا تطمعوا في وفاء منهم ولا يثبتوا في قتالهم ثم استثنى منهم المعاهدين عند المسجد الحرام
الذين لم يظهر منهم نكث كبني كنانة وبني ضمرة ثم بين حكمهم فقال فما استقاموا لكم في ما وجهان احدهما ان يكون زمانية وهي المصدرية

على التحقيق اى استقيموا لهم مدة استقامتهم لكم الثانى شرطية اى ان استقاموا لكم على العهد فاستقيموا لهم على مثله ان الله يحب المتقين فيه اشارة الى ان الوفاء بالعهد والاستقامة عليه من اعمال المتقين ثم كرر الاستبعاد فقال كيف وحال الفعل لكونه معلوما اى كيف يكون لهم عهد وحالهم انهم ان يظهروا عليكم اى يغلبوكم ويظفروا بكم وذلك ان الغلبة من الكمال عند الشخص وكل من تصور نفسه كاملا فانه يريد ان يظهر ذلك لغيره فاطلق الظهور على الغلبة لكونه من لوازمها لا يرقبوا لا يراعوا فيكم ولا ينتظروا بكم الا ولا ولا ذمة قال فى الصحاح الال العهد والقرابة وجه ذلك فى الكشاف بان اشتقاقه من الال وهو الجوار والالنين لانهم اذا تحالفوا وضعوا ايديهم وسمى بها القرابة لانها تعقد بين الرجلين ما لا يعقده الميثاق وفى الصحاح ايضا ان الال بالكسر من اسماء الله عز وجل وفى الكشاف انه قرئ ايلا بمعناه وقيل جبريل وجبرال من ذلك وقيل منه اشتق الال بمعنى القرابة كما اشتقت الرحم من الرحمن قال الزجاج الال عند العرب على ما يوجبه اللغة يدور على معنى الحدة من ذلك الالة الحربة واذن موالة محددة ومعنى العهد والقرابة خارج من ذلك والذمة العهد وجمعها ذمم وذمام وهو كل امر لزمك فكان بحيث لو ضيعته لزمك مذمة وقال ابو عبيدة الذمة ما يتذمم مما اى يجتنب فيه الذم قال فى الكشاف يرضونكم كلام مبتدأ فى وصف طبعهم من مخالفة الظاهر الباطن مقررا لاستبعاد الثبات منهم على العهد وابا القلوب مخالفة ما فيها من الاضغان لما يجرونه على الستهم من الكلام الجميل ثم قال سبحانه واكثرهم فاسقون عن ابن عباس لا يبعد ان يكون بعض هؤلاء الكفار قد اسلم وتاب خلها لم يحكم بالفسق على الكل والظاهر انه اراد ان اكثرهم فساقهم لا يتحرزون عن الكذب ونقض العهد الذى هو مذموم فى جميع الاديان والنحل اشتروا استبدلوا بآيات الله بالقرآن وبالاسلام ثمنا قليلا هو اتباع الاهواء فصدوا عن سبيله فصرفوا غيرهم وعدلوهم انفسهم قال مجاهد اراد الاعراب الذين جمعهم ابو سفيان واطعمهم وقيل لا يبعد ان يراد طائفة من اليهود الذين اعانوا المشركين على نقض العهود فان هذا اللفظ من القرآن كالامر المختص باليهود ولائق وصفهم بقوله لا يرقبون فى مؤمن الا ولا ذمة ولو اراد المشركين كان تكرارا واولئك هم المعتدون المتجاوزون حدود الله فى دينه وظاهر يوجب العهد والعقد ثم قال فان تابوا وافاموا الصلوة واتوا الزكوة فان كان هذا فى اليهود ما ذكره قبل فى الكفار فلا انكار وان كان كلاما فى الكفار فجزاء الاول تخلية سبيلهم وجزاء هذا الثانى قوله فاخوانكم لهم اخوانكم فى الدين فلم يكن من التكرار فى شئ قال ابن عباس حرمت هذه الاية دماء اهل القبلة وتفصيل الايات بينتها لقوم يعلمون لانهم هم المنتفعون بالبيان وهذه جملة معترضة تفيد الحث على التامل فى احكام المشركين وعلى المحافظة على موارد ها وان نكثوا يعنى هؤلاء الناكثين ايمانهم من بعد عهدهم اى من بعد اسلامهم حتى يكون ارتدادهن او المراد نكث المشركين عهودهم وهو اشبه فهم والنكث نقض الخيط من بعد ابرامه وطعنوا فى دينكم ثلبوه وعابوه فقاتلوا ائمة الكفر هو جمع امام واصلها امتة كمثال وامثلة نقلت حركة الهمزة وادغمت الهمزة فى الميم وهو من وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على ان من كان بهذه المثابة من الغدر وقلة الوفاء وعدم الحياء فهو حقيق بان يكفر مقتدى به لا يشق كافر عياره وقيل خص سادتهم بالذكر لان من سواهم يتبعهم لا محالة ثم ابعث على القتال بقوله لعلهم ينتهون ليعلم ان الباعث على قتالهم هو ردهم الى الطاعة معبودهم رحمة عليهم لا امر نفسانى وداع شهوانى ووسط بين الامر بالقتال وبين الحامل عليه قوله انهم لا ايمان تنبيها على العلة الفاعلية للقتال اثبت لهم الايمان اولا فى الظاهر حيث قال وان نكثوا ايمانهم ثم نفاها عنهم فى الحقيقة لان ايمانهم ليست مما يعد ايمانا اذا لم يوفوا بها وبهذا تمسك ابو حنيفة فى ان يمين الكافر لا يكون يمينا وعند الشافعى يمينهم يمين لانه تعالى وصفها بالنكث ولو تكن منعقدة لم يتصور نكثها ومن قرأ لا ايمان لهم بالكسر اى لا اسلام لهم او لا يعطون الامان بعد الردة والنكث فظاهر قال العلماء اذا طعن الذمى فى دين الاسلام طعنا ظاهرا جاز قتله لان العهد معقود معه على ان لا يطعن فاذا طعن فقد نكث عهده وخرج من الذمة ثم شرع فى ذكر سائر الاسباب المحرضة على القتال فقال الا تقاتلون قال اهل المعانى اذا قلت لا تفعل كذا فانما يستعمل ذلك فى فعل يتوقع وجوده واذا قلت لست تفعل فانما تقول ذلك فى فعل تحقق وجوده والفرق ان لا تنفى بها المستقبل فاذا ادخلت عليها الالف صارت تخصيصا على فعل ما يستقبل وليس مستعملا فى نفى الحال فاذا دخلت عليها الالف صار لتحقيق الحال قال ابن اسحق والسدى والكلبى نزلت فى كفار مكة نكثوا ايمانهم بعد عهد الحديبية واعانوا بنى بكر على خزاعة وهموا باخراج الرسول من مكة حين هاجروا ومن المدينة يريد اليهود هموا باخراجه منها ونكثوا عهده وظاهروا ابا سفيان عليه يوم الاحزاب وقيل همت قريش يوم الحديبية بان يدخلوه مكة ثم يخرجوه قبل ان يتم عمرة استخفافا به وعلى هذا اريد بالهم العزم على الفعل وان لم يوجد وهم بدأوكم اول مرة بالقتال يعنى يوم بدر لانهم حين سمع الخبر قالوا لا ننصرف حتى نستاصل محمدا ومن معه والمراد انهم قاتلوا حلفاء من خزاعة والمراد ان الرسول جاءهم اولا بالكتاب المبين وتحداهم به فعدلوا عن المعارضة لعجزهم عنها الى المقاتلة والبادى اظلم والحاصل ان من كان فى مثل صفاتهم من نكث العهد واخراج الرسول والبدء للقتال حقيق بان لا نترك مقاتلته وان يوبخ من وراء ذلك ثم زاد فى التوبيخ فقال فيه تقرير للخشية وتقوية لداعية القتال منهم كما اذا قلت للرجل اتخشى فلانا لانه يستحيل ان يخشى احدا الى غيره فانما يوبخه ثم بين ما يجب ان يكون الامر عليه قائلا فالله احق ان تخشوه ان كنتم مؤمنين يعنى ان قضية الايمان ان تخشوا ان لا تخشوا المؤمن الا الله لان تقديم الاهم واقتضاء الاله ولا يكون الا ما يريد وفى الفاء نوع

تعليل

التوبة

تعليل لان الاستفهام في انتهى كانه قيل لا تخشوهم لان الله احق بالخشية واجزى بالطاعة وفيه نوع مجازاة كانه قيل ان صح انكم مؤمنون فلا تخشوا الا الله ثم زاد في تاكيد الامر بالقتال فقال قاتلوهم وترتب عليه خمس نتايج الاولى قوله يعذبهم الله بايديكم اى بالقتل والاسر والاستيلاء على الاموال وهذا ابتداء في ما كان الله ليعذبهم وانت فيهم لانه اراد هناك عذاب الاستيصال قالت الاشاعرة في الاية دلالة على ان الله تعالى يدخل في الوجود من الافعال كلها من الله يظهرها على ايدي العباد اعترض الجبائيان لو كان كذلك لجاز ان يقول الله انبياؤه على لسان الكفرة واجيب بان الامر كذلك عندنا الا انا لا نقوله رعاية للادب كما لا يقول الخالق الخنافس والحشرات وكما انكم لا تقولون يا مسهل اسباب الزنج واللواط وبادافع الموانع عنها الثانية ويخزهم قيل هو الاسر وقيل المراد ما نزل بهم من الذل والهوان حين شاهدوا انفسهم مقهورين في ايدي المؤمنين وهو قريب من الاول وهو هو وقيل هو عذاب الاخرة الثالثة وينصركم عليهم اورد عليه ان النصر يستتبع الخزاء الخصم فما حاجة الى افراده بالذكر والجواب ان المغايرة كافية في افراد كل من المتلازمين بالذكر على انه من المحتمل ان يحصل لهم الخزي من جهة المؤمنين الا ان المؤمنين يحصل لهم انة لسبب اخر فلما وعدهم النصر على الاطلاق زال ذلك الاحتمال الرابعة ويشف صدور قوم مؤمنين هم خزاعة وعن ابن عباس يطعنون من اليمن وسبا فقدموا مكة فاسلموا فلقوا من اهلها اذى شديدا فبعثوا الى رسول الله ثم يشكون اليه فقال ابشروا فان الفرج قريب الخامسة ويذهب غيظ قلوبهم قيل شفاء الصدر واذهاب غيظ القلب كالهما بمعنى فيكون تكرارا وجواب ان القلب اعم من الصدر كقوله يا دار مية بالعلياء فالسند وشفاء الصدر اشارة الى الوعد بالفتح ولا ريب ان الانتظار شاق وان كان مع البشارة بالموعود فاذهاب غيظ القلب اشارة الى الفتح وقد حصل الله لهم هذه المواعيد كلها وكان ذلك دليلا على صدق النبي ص واعجازه ثم قال ويتوب الله على من يشاء وهو ابتداء كلام للاخبار بان بعض اهل مكة يتوب عن كفره وقد وقع فقد اسلم ناس منهم وحسن اسلامهم وقرئ ويتوب بالنصب باضمار ان ودخول التوبة في جملة ما اجيب به الامر من طريق المعنى كقوله فاصدق واكن اما ان التوبة كيف يقع المقاتلة فذلك من قبل الكفرة واضح فان القتال قد يصير سببا لتوبة بعضهم عن الكفر واما من جهة المؤمنين فلعل القتال كان مشاقا على بعضهم فاذا اقدم صار ذلك لعلو اجاريا جرى التوبة عن تلك الكراهة وانهم ان حصول النصر والظفر انعام عظيم والعبد اذا شاهد تواتي النعم لم يبعد ان يصير ذلك داعيا له الى ان يتوب عن جميع الذنوب قد يصير كثرة المال والجاه سببا لتحصيل اللذات بالطرق الحلال فينهى عن الحرام وانهم الانسان يحرص على ما منع فاذا انفتح عليه ابواب الخيرات الدنيوية فربما يصير ذلك سببا لانقباضه عن الدنيا واعراضه عنها وهذا هو احد الوجوه التي ذكروها في تفسير قوله تعالى حكاية عن سليمان رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي بعد حصول هذا الملك لا ينبغي للنفس الاشتغال بالدنيا والله عليم بكل ما يجري في ملكه وملكوته حكيم مصيب في افعاله واقواله واحكامه وتدابيره وعن ابن عباس ان قوله الا انما المؤمنون الاية ترغيب في فتح مكة لان النتايج المذكورة مشاكلة لتلك الاحوال واستبعد بالحس لان هذه السورة نزلت بعد فتح مكة بسنة ثم بين انه ليس الغرض من ايجاب القتال نفس القتال وانما المقصود ان يؤتى بالانقياد لامر الله ولتكاليفه ليظهر الخلص من المنافق فقال ام حسبتم الاية وقد مر وجه اعرابه في ال عمران عند قوله ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا وقوله ولم يتخذوا معطوف على جاهدوا داخل في حين الصلة والوليجة البطانة يعني الجليب الخالص فعيلة من ولج كالدخيلة من دخل وهو الرجل يكون في القوم وليس منهم قال الواحدي يقال هو وليجي يستوي فيه الواحد والجمع ومعنى الاية لا تحسبوا ان تتركوا على ما انتم عليه ولم يظهر بعد معلوم الله من تميز المجاهد من الخلص الذين جاهدوا لوجه الله ولم يتخذوا جميعا من الذين يضادون رسول الله والمؤمنين ثم ختم الاية بقوله والله خبير بما تعملون ليعلموا انه لا يعزب عن علمه شيء من الاعمال ولا في السماء فيحمدوا في استفاضة السيئة ويجتهدوا في نفاء السيئة التاويل براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من النفوس المشركة التي اتخذت الهوى وصنم الدنيا معبودا انهادتها الروح والقلب اوان الطفولية لاستكمال القالب وتربيته فيحتاجوا الى رجل البشرية اربعة اشهر هي مدة كمال الاوصاف الاربعة النباتية والحيوانية والشيطانية والانسانية واذان من الله ورسوله الى الصفات الناسوتية يوم الحج الاكبر يوم الوصول الى كعبة الجمال والحج الاصغر الوصول الى كعبة القلب لزيارة كعبة الوصال حرام على مشركي الصفات الناسوتية فان تبتم عن الناسوتية بافنائها في اللاهوتية فهو خير لكم من قيامكم بالناسوت وان توليتم وكنتم الى غير الله فاعلموا انكم غير معجزي الله عن التصرف فيكم اما لاهل السعادة فبالجذبات الازلية واما لاهل الشقاوة فبالهم عذاب القطيعة الا الذين عاهدتم انهاء القلوب والارواح من مشركي النفوس على النوافق في العبودية ثم لم ينقصوكم شيئا من وظايف الشريعة ولم يظاهروا عليكم احدا من الشيطان والدنيا فاتموا اليهم عهدهم بالمداراة والرفق الى ان طلوع قمر العناية ونجم الجذبة والهداية فاذا انسلخ الاشهر الحرم استكملت مدة التربية بتمام الاوصاف الاربعة فاقتلوا النفوس المشركة بسيف النهي عن الشهوات حيث وجدتموهم في الطاعة بان تكلفوها اياها وفي المعصية بان تزجروها عنها وخذوهم باداب الشريعة واحصروهم احبسوهم في حصار الحقيقة واقعدوا لهم كل مرصد راقبوهم في الاحوال كلها فان تابوا وارجعوا الى الطلب الحق واقاموا الصلوة اداء حق العبودية واتوا الزكوة تزكت عن الاخلاق الذميمة فخلوا سبيلهم اتركوا التشديد عليهم بالرياضات ليعلموا بالتجربة بعد الوصول الى الحقيقة فان النهاية هي الرجوع الى البداية وان احدا من مشركي صفات النفس استجارك يا قلب ترك ما هو المخصوص من الصفات الذميمة

المنافقين لجاهدا جمع

الجزء العاشر

فاجره حتى يسمع كلام الله حتى يلهم بالهام ثم ابلغه مامنه وهو وارد الجذبة الالهية وان الجذبة اذا تعلقت بصفة من صفات النفس تجذب النفس بجميع صفاتها ذلك بانهم قوم لا يعلمون الله واسراره فلا يميلون اليه ويعلمون الدنيا وشهواتها فيركنون اليها كيف يكون لمشرك النفوس ثبات على العهد وقد جبلت ميالة الى السفليات وغايتها بعد صلاح حالها ان تميل الى نعيم الجنات الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام وهو مقام الوصول المحرم على اهل الدنيا والاخرة وهو مقام اهل الله وخاصته الذين تنورت نفوسهم بانوار الجمال والجلال فثبتها الله على العهد بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الاخرة فما استقاموا لكم على الصراط المستقيم فاستقيموا لهم بشرحهما في متسع من الشريعة لا يرتفعوا فيكم الا ولا ذمة لا يحفظوا حقوق الجنسية فان الارواح والقلوب النفوس مزدوجة في عالم الامر والخلق يرضونكم بالاعمال الظاهرة وبا بى قلوبهم واكثرهم فاسقون فيما يعلمون خارجون عن الصدق والاخلاص اشتروا بايات الله ثمنا قليلا ام متاع الدنيا ومصالحها فصدوا عن سبيله قطعوا طريق الحق على الارواح والقلوب واخوانكم في الدين رفقاؤكم في طلب الحق فارعوا حقوقهم فان لنفسك عليك حقا لقوم يعلمون ان السير الى الله من اعظم المقامات واهم المهمات وطعنوا في دينكم انكروا مذهب اسلوك ائمة الكفر النفوس وهموا باخراج الرسول يعني الواردات الغيبية بانسداد دروز نة القلب وذل مرة في اوان الطفولية تخشونهم في فوات حظوظها فالله احق ان تخشوه بفوات حقوقها وبذهيبة قلوبهم يعني وحشة الارواح والقلوب وكدورتها وتوب الله على من يشاء بالرجوع الى الحق قبل النادي في الباطن من حاجة الى رياضة شديدة والله عليم باستعدادات النفوس حكيم فيما يريد بل كل منها ام حسبتم انها النفوس الامارة ان تركوا بلا رياضة ولجاوا اولياء من الشيطان والدنيا والاخرة ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله شاهدين على انفسهم بالكفر اولئك حبطت اعمالهم وفي النار هم خالدون انما يعمر مساجد الله من امن بالله واليوم الاخر

(ع ١٠)

بطلست كرد اهل انها و در ترشش ايشان جاويدانند جز اين نيست كه آباد كند مسجدهاى خدا را آنكه گروايد بخدا وروز واپسين

واقام الصلوة واتى الزكوة ولم يخش الا الله فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين اجعلتم سقاية الحاج

وبپاداشت نماز را وداد زكوة را وترسيد نجز خدا پس اميد است كه آنكه بوده باشند از راه يافتگان بقرار داديد آبدادن حاجيان

وعمارة المسجد الحرام كمن امن بالله واليوم الاخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي

وآباد كردن مسجد حرام را چون آنكه گروايد بخدا وروز واپسين وكوشش كرد در راه خدا نگسان نيستند در نزد خدا وخدا هدايت نكند

القوم الظالمين الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم درجة

انانكه گرويدند وسفر كردند وكوشش كردند در راه خدا باداهاى خود وتنهاى خود بلند تر پايه اند پايشان

عند الله واولئك هم الفائزون يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين

در نزد خدا واينگروه ايشانند بهرستان مژده ميدهد ايشانرا پروردگارشان برحمت خود وخوشنودى وبوستانها ازبراى ايشانست نعمتهاى پايدار جاويدان

فيها ابدا ان الله عنده اجر عظيم يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا ابآءكم واخوانكم اولياء ان استحبوا الكفر على

درآن هميشه بدرستيكه خدا نزد اوست مزدى بزرگ اى انكسانى كه گرويده ايد فرا نگيريد پدران خود وبرادران خود را اگر دوست ميدارند كفر را

الايمان ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون قل ان كان ابآؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم و

بر گرويدن هركه دوست گيرد ايشانرا از شما پس آنگروه ايشانند ستمكاران بگو اگر هست پدران شما وفرزندان شما وبرادران شما وزنهاى شما و

عشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله

طايفه شما ومالهاى شما كه كسب كرديد انرا وبسود اگرس كه ميترسيد از نافروشى آن وجاهاى آراسته كرده شما دوست تر بسوى شما از خدا ورسول او

وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يات الله بامره والله لا يهدي القوم الفاسقين لقد نصركم الله في مواطن

(ع ١١)

وكوشش در راه او پس منتظر باشيد تا بيايد فرمان خدا وخدا هدايت نكند گروه نافرمانرا

كثيرة ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين

بسيار ودر روز حنين چون بشگفت آورد شما را بسيارى شما پس بى نيازى نكرد از شما چيزى وتنگ شد برشما زمين

ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وانزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك

پس فرستاد خدا وقار خود را بر پيغمبر او وبر مؤمنان وفرو فرستاد لشكرها كه نميديديد آنرا وعذاب كرد آنانرا كه كافر شدند واين است

جزاء الكافرين ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم يا ايها الذين امنوا انما المشركون نجس فلا

مزد كافران پس قبول كند خدا از پس اين بر انكه خواهد وخدا آمرزنده مهربانست اى زمره آنان كه گرويده ايد جز اين نيست كه مشركان پليدند پس

يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء ان الله عليم حكيم

نزديك نشوند مسجد الحرام را پس از اين سال واگر بترسيد از فقر پس زود بى نيازكرداند شمارا بفضل خود اگر خواهد بدرستيكه خدا داناى محكم كارست

القراءة مسجد الله ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب الباقون على الجمع بشرهم خفيفا حمزة وعثيرا كوعلى الجمع ابو بكر وحماد وحمله وضافت
ونحوها مما له حمزة وحبث ثم مظاهرا ابو جعفر ونافع ابن كثير وخلف ويعقوب وعاصم غير الاعشى الوقوف بالكفر اعمالهم لعطف المخافض
خالدون المهتدين في سبيل الله ط عند الله ط والظالمين لئلا يشتبه بالوصف فانفسهم لان ما بعده خبر الذين عند الله ط الفائزون مقيم
لان ما بعده حال ابدا ط عظيم على الايمان ط الظالمون بامره ط الفاسقين كثير لعطف الظرف حنين لان اذ ظرف نصرهم لا لانه والعطف
كفروا الكافرين من يشاء ط رحيم نصف الجزء وهذا ان شاء ط حكيم التفسير انه سبحانه بدا بالسورة بذكر البراءة من المشركين وبالغ في ايجاب ذلك
بتعداد فضائحهم وقبائحهم ثم اراد ان يحكي شبهاتهم التي كانوا يحتجون بها في ان هذه البراءة غير جايزة مع الجواب عنها قال المفسرون لما امر العباس
يوم بدر اقبل عليه المسلمون فعيروه بالكفر وقطيعة الرحم واغلظ علي عليه القول فقال العباس ما لكم تذكرون مساوينا ولا تذكرون محاسننا
فقال له علي عليه السلام لكم محاسن فقال نعم انا لنعم المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحاج ونفك العاني فانزل الله تعالى ما كان للمشركين
ما صح لهم وما استقام ان يعمروا مسجد الله يعني مسجد الحرام ومن قرأ على الجمع فاما ان يراد جميع المساجد فيشمل المسجد الحرام ايضا الذي هو اشرفها
وهذا اكد لان طريقة طريق الكناية كما لو قلت فلان لا يقرأ كتب الله كنت انفي لقراءة القرآن من تصريحك بذلك او يراد المسجد الحرام وجمع
لانه قبلة المساجد كلها وامامها فعامر كعامر جميع المساجد ولان كل بقعة منه مسجد قال القراء العرب تذيع الواحد مكان الجمع كقولهم
فلان كثير الدرهم وبالعكس كقولهم فلان يجالس الملوك ويعالجهم يجالس الا ملكا واحدا وعمارة المسجد اما لزمرة واما لكثرة اجتماع الصلوة و
الاعتكاف ولا شك انه ليس للمشرك ذلك امامرتبة وتوقد وليس المراد انه لا يجوز مجيء الانعام على المسلمين ولا ينبغي ان يكون
للكافر منة على اهل الاسلام ولان دخوله المسجد يؤدي الى نجاسة المسجد اما لكونه نجسا في الحكم واما لانه قلما يحترز عن النجاسات وصار وجوده
صلى الله عليه واله انزل وفد ثقيف في المسجد وهم كفار وشد ثمامة بن اثال الحنفي على سارية من سواري المسجد محمول على تعظيم شانهم كان يجوز
ان يكون ذلك بحضرة منه وهو في المسجد وقوله شاهدين على انفسهم حال من الواو وهي بمعنى والمعنى ما استقام لهم ان يجمعوا بين منافع
عمارة مساجد الله مع الكفر به وفي تفسير هذه الشهادة اقوال اصحها انهم اقروا على انفسهم بعبادة الاوثان وتكذيب النبي والقرآن وطعنهم
قال السدي هي ان النصراني اذا قيل له ما انت قال نصراني واليهودي يقول يهودي وعابد الوثن وقبل هي قولهم في طوافهم لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك وعن ابن عباس انه قال المراد انهم يشهدون على محمد بالكفر وانما جاز هذا التفسير لان العقد
جاءكم رسول من انفسكم ثم بين تعالى ما هو الحق في هذا الباب فقال اولئك حبطت اعمالهم اشارة الى ما تقدم ذكره عنهم كاكرام الوافدين وبناء الربط واطعام
الجايع لانه لا يفيد مع الكفر طاعة لان الكفر يوجب عقاب الابد وهذا قال وفي النار هم فيها خالدون ولا فائدة هذا التركيب المحصر اعني تعجيل
الاشاعرة به على خلاف صاحب الكبير ثم وصف من له استيهال عمارة المسجد فقال انما يعمر مساجد الله من امن بالله واليوم الاخر ان المراد
يعرف المبدا والمعاد لا يصح منه التوجه اليه وانما طوى ذكر الرسول تنبيها على انه واسطة والتوجه الحقيقي من الله والى الله وهذا ورد في الحديث
المصلي يناجي ربه وقيل ان المشركين كانوا يقولون ان محمدا ادعى رسالة الله طلبا للرياسة والملك فلنفي هذه التهمة تولى ذكره هم وقبايحهم
عليه بقوله واقام الصلوة واتى الزكوة لانهما معلومتان من افعاله ص ولما في الصلوة من التشهد وقبلها الاذان والاقامة ثم ان اقامة الصلوة
لا ريب فيها عمارة المسجد الحضور فيه واما ايتاء الزكوة فانما كان سببا للعمارة لانه يحضر المسجد طوايف الفقراء والمساكين لاستدعاء الزكوة ولان
ايتاء الزكوة واجب بناء المسجد واصلاحه نفل والانسان قلما يفرغ عن الواجب ليشتغل بالنافلة فلو لم يكن مؤديا للزكوة فالظاهر انه
لم يشتغل بعمارة المسجد ثم قال ولم يخش الا الله ليعلم انه لو اتى المسجد وبناه رياء وسمعة لم يكن عامرا له ففي المؤمن ان يجتنب في جميع الاحوال ما يوجب
الله على غيره فان ذلك لو ضره في العاجل فسينفعه في الاجل وفي ادخال كلمة انما في صدر الاية تنبيه على ان من لم يكن موصوفا بالصفات
المذكورة لم يكن من اهل عمارة المسجد وان المسجد يجب صونه عن غير العبادة فقد روي عن النبي ص انه قال باتي في اخر الزمان ناس من امتي يأتون
المساجد فيقعدون فيها حلقا ذكرهم الدنيا لا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة وعنه ص الحديث في المجلس ياكل الحسنات كما تاكل البهيمة الحشيش وقال
صلى الله عليه واله قال الله تعالى ان بيوتي في ارضي المساجد وان زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور
ان يكرم زايره ومن عمارة المساجد تعظيمها والتدريس فيها وقمها وتنظيفها وتنويرها بالمصابيح فعن ابن عن النبي ص من اسرج في مسجد سراجا لم تزل
الملائكة وحملة العرش يستغفرله ما دام في ذلك المسجد ضوءه وفي قوله فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين حسم لاطماع الكفار في الانتفاع
باعمالهم فان الموصوفين بالصفات المذكورة اذا كان اهتداؤهم مستعقبا لصلاح حالهم في الدارين دانوا بدين عيسى ولعل فما اختلف باهتداء
المشركين ومعناهم وفيه ان المؤمن يجب ان لا يغتر بالله عز وجل هذا وقد مر ان بعض الامة ذهبوا الى ان عسى من الله الكريم واجب قال بعضهم ان
الرجاء راجع الى العباد ثم انه قال اجعلتم سقاية الحاج ومعناه هبوا ان عمارة المسجد وسقي الحجيج يوجب لكم من الفضيلة الا ان هذه الاعمال
في مقابلة الايمان بالله والجهاد شيء نزر قال المفسرون انها نزلت في مناظرة جرت بين الكافرين الا انهم اختلفوا فقيل كافر ومؤمن
لقوله لكن امن وقصته ما مر ان العباس بن عبد المطلب حين اسر يوم بدر قال لئن كنتم سبقتمونا بالاسلام والهجرة والجهاد فلقد كنا نعمر

المسجد الحرام وسقي الحاج وروى ان المشركين قالوا لليهود نحن سقاة الحجيج وعمار المسجد الحرام فنحن افضل ام محمد واصحابه فقالت اليهود لهم انتم افضل وقيل ان كلا الفريقين مؤمن لقوله اولئك اعظم درجة وهذا يقتضي ان يكون للمفضول ايضا درجة وقصة ما روى عن النعمان بن بشير قال كنت عند منبر رسول الله ﷺ فقال رجل لا ابالي ان لا اعمل عملا بعد ان اسقي الحاج وقال الآخر ما ابالي ان لا اعمل عملا بعد ان اعمر المسجد الحرام وقال اخر الجهاد في سبيل الله افضل مما قلتم فزجرهم عمر وقال لا ترفعوا اصواتكم عند منبر رسول الله وهو يوم الجمعة ولكني اذا صليت دخلت فاستفتيت رسول الله فيما اختلفتم فيه ففعل فانزل الله الآية ويروى عن الحسن والشعبي ان طلحة قال انا صاحب البيت بيدي مفتاحه ولو شئت بت فيه وقال العباس فدللت بعد اسلامي انا صاحب السقاية والقائم عليها وقال علي ما ادري ما يقولان لقد صليت ستة اشهر قبل الناس وانا صاحب الجهاد فنزلت وعن ابن شهاب قال علي رضي الله عنه للعباس بعد ان كان اسلم الا تهاجر الا تلحق بالنبي ﷺ فقال السنا نعمر المسجد الحرام ونحجب البيت ونسقي الحاج فنزلت هذه الآية فقال العباس ما ارى الآثار سقايتها فقال النبي ﷺ اقيموا على سقايتكم فان لكم فيها خيرا والسقاية والعمارة مصدران من سقى وعمر ولا بد من تقدير مضاف اي اجعلتم اهل سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن امن او اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كايمان من امن ثم كان لسائل ان يسئل ما بال احد الفريقين لا يشبه بالآخر فالجواب انه قال مستانفا لا يستوون عند الله ثم صرح بالمفضول فقال والله لا يهدي القوم الظالمين اي المشركين ان الشرك لظلم عظيم واي ظلم اشنع من وضع اخس الموجودات وهو الاصنام مقام اشرفها وهو الله سبحانه واتمام بهدهم الله لعدم قابليته وقع في استعدادهم الفطري وذلك لكونهم مظاهر القهر فانهم ثم صرح بالفريق الفاضل فقال الذين امنوا الآية ثم من قال ان الفريقين المتناظرين كافر ومؤمن اورد عليه ان قوله اعظم درجة يوجب ان يكون للمفضول ايضا درجة ولكنه ليس للكافر درجة واجيب بان هذا وارد على حسب ما كانوا يقدرون لا على حسب نفس الامر ومن الدرجة والفضيلة نظير قوله ذلك خير لكم ام شجرة الزقوم او المراد انهم اعظم درجة من كل من لم يكن موصوفا بالهجرة والجهاد وان كان مؤمنا فاضلا عن الكافر او المراد ترجيح الايمان والهجرة والجهاد على السقاية والعمارة ولا شك انهما من اعمال الخير وموجبان للثواب لولا الكفر وفي قوله عند الله تشريف عظيم كقوله ومن عنده لا يستكبرون وكذا في قوله واولئك هم الفائزون لدلالته على الخصر الفوز فيهم ثم فسر الفوز بقوله يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها ابدا ان الله عنده اجر عظيم وفي تصدير الجملة الاسمية بان وفي لفظ عنده وتنكير اجر ووصفه بالعظم مبالغات لا تخفى قال الكلبي لما امر رسول الله ﷺ بالهجرة الى المدينة جعل الرجل يقول لابيه ولاخيه وللقرابة انا قد امرنا بالهجرة فمنهم من يسرع الى ذلك ويجيء ومنهم من يتعلق بزوجته وعياله وولده فيقولون انشدك الله ان تدعنا الى غير شيء فنضيع فيرق فيجلس معهم ويدع فنزل فيهم يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الآية وذكروا في وجه النظم ان هذه الآية جواب عن شبهة اخرى قالوها وهي انه كيف يمكن دعوى البراءة من الكفار وبينهم وبين المسلمين قرابات ومواصلات ومعاملات فقد كان الله تعالى امر بالانقطاع عن الاباء والاخوان واجب بسبب الكفر ومعناه استحبوا اختاروا وهو في الاصل طلب المحبة ثم ان النهي كان يحتمل ان يكون على سبيل التنزيه كالخروج فلا زال الله ذلك لهم بهذه الآية بقوله ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون قال ابن عباس رضي الله عنه يكون مشركا مثلهم لان الرضا بالشرك شرك وعن النبي ﷺ لا يطعم احدكم طعم الايمان حتى يحب في الله ويبغض في الله حتى يحب في الله اقرب الناس وعن ابن عباس رضي الله عنهما في المهاجرين خاصة كان قبل فتح مكة من امن ولم يهاجر لم يكن بينهم ايمانه الآية بهاجروا ويصادموا اقاربهم الكفرة ويقطعوا الارحام فقالوا يا رسول الله ان نحن اعتزلنا من يخالفنا في الدين قطعنا اباءنا وابناءنا واعشارنا وذهبت تجارتنا وهلكت اموالنا وخربت ديارنا وبقينا ضائعين فنزلت قل ان كان اباؤكم الآية فهاجروا فجعل الرجل يأتيه ابنه او ابوه او اخوه او بعض اقرباءه فلا يلتفت اليه ولا يتزوده ولا ينفق عليه ثم يقتلهم بعلة انهم قبل نزلت في السبعة الذين ارتدوا والحقوا بمكة فنهى الله عز وجل من موالاتهم قال الواحدي عشيرة الرجل اهله الادنون وهم الذين يعاشرونه من قراءة على الوحدة فلان العشيرة اسم جمع ومن قراءة على الجمع فلان كل واحد من المخاطبين له عشيرة قال الازهري لا يكاد العرب يجمع عشيرة على عشائر وانما يجمعونها على عشاير والقرآن حجة عليه والاقتراف الاكتساب التركيب بدر وعلى الذين

التوبة

ابن الله في شيء ويدخله تحت طلبكم والترتيب لما ذكروه في الآية في غاية الحسن لان اعظم الاسباب الداعية الى المخالطة الفرابة الى القرية
بسم الله ثم ان توسل بتلك المخالطة الى بقاء الاموال المكتسبة ثم الى التجارات المثمرة وهي اخوال المراتب الوعرة في الاوطان التي بنيت
احبالنا فبين تم انه يجب تحمل هذه المضار في الدنيا لبقي الدين سليما وذكر ان كانت رعايت هذه المصالح الدنيوية اولى عندكم من
طاعة الله وطاعة رسوله ومن المجاهدة في سبيل الله فتربصوا انتظروا بما تجبون حتى يأتي الله بامره عن الحسن هو عقوبة عاجلة واجلة
او قبل يعني القتال وعن عباس هو فتح مكة وفيه بعد لما روي ان هذه السورة نزلت بعد فتح مكة والله لا يهدي القوم الفاسقين الخارجين
عن طاعة الله الى معصيته ولا يخفى ما فيه من التهديد ثم لما اوجب ترك مصالح الدنيا لاجل الدين اراد ان يبين ان كل من اعرض عن
الدنيا لاجل مصالح دينه فان الله تعهد براعي مصالح دنياه فيفوز بسعادة الدارين وضرب لهذا مثلا فقال لقد نصركم الله في مواطن
كثيرة قال الواحدي النصر المعونة على الاعداء خاصة والمواطن جمع للموطن وهو كل موضع اقام به الانسان لامر وهو اطن الحرب مقاماتها ومواقفها
وامثالها من النصر لانه على صيغة منتهى الجموع ولاها كمساجد والمواطن الكثيرة غزوات الرسول وهي على ما في الصحاح تسع عشرة منها
غزوة بدر وقرظة والنضير واحد وغزوة خندق وذات الرقاع وغزوة بني المصطلق وغزوة تمار وغزوة ذي القرد وخيبر والحديبية
والفتح ويوم حنين اي وفي يوم حنين واستبعد هذا الكشاف عطف الزمان على المكان فقال معناه في ايام مواطن كثيرة ويوم حنين وجوز ان
يراد بالموطن الوقت كمقتل الحسين ثم قال علي ان الواجب ان يكون يوم حنين منصوبا بفعل مضمر لا بهذا الظاهر اي ونصركم يوم حنين
لان قوله اذ اعجبتكم كثرتكم بدل من يوم حنين فلو جعلت ناصبه هذا الظاهر لم يصح لان كثرتهم لم تعجبهم في جميع تلك المواطن ولم يكونوا
كثيرا في جميعها وجوز ان يكون اذ منصوبا باضمار اذكر وقلت ولعله لا حاجة الى هذه التكلفات فلا استبعاد في عطف الزمان على المكان
ما جعل بدلا عن الزمان لا يلزم ان يكون بدلا عن المكان حتى يكون الفعل الاول مقيدا بهما جميعا وحنين واد بين مكة والطايف
قال المفسرون لما فتح رسول الله صلعم مكة وقد بقيت ايام شهر رمضان خرج متوجها الى حنين لقتال هوازن وسقيف واختلفوا في عدد
عسكر رسول الله صلعم حينئذ فعن عطاء عن ابن عباس كانوا ستة عشر الفا عشرة الاف من الذين حضروا مكة والفان من الطلقاء
الاسارى الذين اعتقهم رسول الله صلعم وقال الكلبي كانوا عشرة الاف وبالجملة كانوا عددا كثيرين وكان هوازن وسقيف اربعة
الاف فلما التقوا قال رجل من المسلمين لن نغلب اليوم من قلة فشق هذه الكلمة على رسول الله صلعم وهي المراد من قوله اذ اعجبتكم وقيل قالها ابو بكر
وقيل رسول الله صلعم وهو بعيد لانه كان في الاحوال متوكلا على الله منقطع القلب عن الدنيا واسبابها ثم قال فلم تغن عنكم شيئا والاغناء ما يدفع
الحاجة اي لم يعطكم الكثرة شيئا يدفع حاجتكم ولم يفد كونها ضاقت عليكم الارض بما رحبت ما مصدرية والباء بمعنى مع والرحب السعة والجار والمجرور
في موضع الحال اي متلبسة برحبها كقولك دخلت عليه بثياب السفر والمعنى انكم لشدة ما لحقكم من الرعب لم تجدوا في الارض ذات الطول والعرض
موضعا يصلح لطريكم اليه وكانها ضاقت عليكم ثم وليتم مدبرين اي انهزمتم انهزاما قال البراء بن عازب كانت هوازن رماة فلما حملنا عليهم انكشفوا
واكببنا على الغنايم فاستقبلونا بالسهام فانكشف المسلمون عن رسول الله صلعم ولم يبق معه الا العباس بن عبد المطلب وابو سفيان بن الحرث والله
لا اله الا هو ما ولى رسول الله صلعم دبره قط لقد رايته وابو سفيان اخذ بالركاب والعباس اخذ بلجام الدابة وهو يقول انا النبي لا كذب انا ابن
عبد المطلب وطفق يركض بغلته نحو الكفار لا يبالي وكانت بغلة شهباء ثم قال العباس نادا المهاجرين والانصار وكان العباس رجلا صيتا
فنادى باصحاب الشجرة فرجعوا ونزلت الملئكة عليهم ثياب بيض وهم على خيول بلق واخذ رسول الله صلعم بيده كفا من الحصبا فرماهم بها وقال شاهت
الوجوه فما زال جدهم مدبرا وحدهم كليلا ولم يبق منهم احدا الا وقد امتلات عيناه من ذلك التراب فانهزموا وذلك قوله سبحانه ثم انزل الله
سكينته وهذه التي سكنوا بها وامنوا على رسوله وعلى المؤمنين الذين كانوا انهزموا وعلى الذين ثبتوا مع رسول الله صلعم حين وقع الطرب وانزل
جنودا لم تروها يعني الملئكة ستة عشر الفا وثمانية الاف على اختلاف الروايات وعن سعيد بن المسيب قال حدثني رجل كان في المشركين يوم
حنين قال لما كشفنا المسلمين جعلنا نسوقهم فلما انتهينا الى صاحب البغلة الشهباء تلقانا رجال بيض الوجوه حسان فقالوا شاهت الوجوه ارجعوا
فرجعنا وركبوا اكتافنا واختلفوا فقال الملئكة فقيل قاتلوا وقيل ما قاتلوا الا يوم بدر واتما نزلوا في هذا اليوم لتكثير السواد ولا تقاتل الخواطر
الحسنة في قلوب المؤمنين ثم قال وعذب الذين كفروا اي بالقتل والاسر واخذ الاموال وسبي الذراري احتج الاشاعرة بان ازال السكينة
وهو طمانينة القلب والثبات وتقوله وعذب على ان الدواعي والافعال كلها بخلق الله تعم ختم الله بقوله وذلك جزاء الكافرين واعلم ان
الحنفية تمسكوا في مسئلة الجلد مع التغريب بقوله تعم الزانية والزاني فاجلدوا قالوا الفاء للجزاء والجزاء اسم للكافي وكون الجلد كافيا يمنع
ان يكون غيره مشروعا وجاب الشافعي بانه تعالى قال في هذه الاية وذلك اي الاخذ والاسر جزاء الكافرين سمى العذاب العاجل
جزاء مع انه غير كاف لان العذاب لاجل باقي اما قوله ثم يتوب الله من بعد ذلك اي يسلم ناس منهم روي ان ناسا منهم جاؤا تائبين فاسلموا
وقالوا يا رسول الله انت خير الناس وابرهم وقد سبي اهلونا واولادنا واخذت اموالنا فقيل سبي يوم كذا ستة الاف نفس واخذ من الابل و
الغنم ما لا يحصى فقال ان عندكم ما تزدن يعني العساكر الفقراء ان خير القول اصدقه اختاروا اما ذراريكم ونساؤكم واما اموالكم قالوا ما كنا

نعدل بالاحساس شيأ فقام رسول الله ﷺ فقال ان هؤلاء جاؤا مسلمين وانا خيرناهم بين الذراري والاموال فلم يعدلوا بالاحساب شيأ فمن كان بيده شيء وطابت نفسا ان يرده فشأنه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب شيأ فنعطيه مكانه قالوا رضينا وسلمنا فقال اني لا ادري لعل فيكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا ذلك الينا فرفعت اليهم العرفاء ان قد رضوا فتم انه سبحانه اجاب عن شبهة اخرى لهم وذلك ان عليا عليه السلام حين قرأ عليهم براءة ينبذ اليهم عهدهم قال انا مرتبا اهل مكة ستعلمون ما تلقونه من الشدة لانقطاع السبل وفقد الحمولات فقال تعالى يا ايها الذين امنوا انما المشركون نجس قال في الكشاف هو مصدر كالقذر ومعناه ذوو نجس وقال الليث انه صفة يستوي فيه الواحد وغيره رجل نجس وقوم نجس امرأة نجس قلت ويجوز ان يجعل المصدر نعتا للمبالغة في الوصف اختلف المفسرون المشرك نجسا فعن ابن عباس ان اعيانهم نجسة كالكلاب والخنازير وعن الحسن ان من صافح مشركا توضأ وهو قول الهادي من ائمة الزيدية واما الفقهاء فقد اتفقوا على طهارة ابدانهم واحتج القاضي على ذلك بما روى انه ﷺ شرب من اوانيهم وبانه لو كان نجس العين لما تبدلت النجاسة بسبب الاسلام واجابوا عن الاية بان معناها انهم لا يغتسلون عن الجنابة ولا يتوضأون عن الحدث اذا تهم بمنزلة الشيء النجس في وجوب الاجتناب والاحتراز او كفرهم الذي هو صفة بمنزلة النجاسة المتصفة بالشيء فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وهي السنة التاسعة من الهجرة التي وقع النداء فيها بالبراءة من المشركين واختلفوا في هذا النهي فعن ابي حنيفة واصحابه ان المراد ان لا يحجوا ولا يعتمروا كما كانوا يفعلونه في الجاهلية والدليل عليه قول علي عليه السلام في النداء الا لا يحج بعد عامنا هذا مشرك وقال الشافعي المراد المنع من الدخول فيه وهو ظاهر النص وقاس مالك سائر المساجد على المسجد الحرام في المنع وقيل المراد ان يمنعوا من تولي المسجد الحرام والقيام بمصالحه ويعزلوا عن ذلك وعن عطاء ان المراد بالمسجد الحرام الحرم وان على المسلمين ان لا يمكنوهم من دخوله ونهي المشركين ان يقربوه راجع الى نهي المسلمين عن تمكينهم منه لقوله تعالى وان خفتم عيلة اي فقرا بسبب منع المشركين وموضع التجارات ليس هو عين المسجد بل الحرم كله ومن قال ان المراد منعهم من الحج قال انهم اذا لم يحضروا الموسم لم يحصل للمسلمين ما كان لهم في قدومهم عليهم من الارفاق والمكاسب فلهذا خافوا الفقر ثم وعدهم الله ازالة الفقر بقوله فسوف يغنيكم الله من فضله اي من تفضله بوجه اخر قال عكرمة انزل الله عليهم المطر فكثر خيرهم وعن الحسن جعل الله لهم اخذ الجزية بدلا عن ذلك وقيل اغناهم عن الغيث وعن مقاتل اسلم اهل جدة وصنعاء وجرش وحملوا الطعام الى مكة فكان ذلك اعود عليهم واعلم ان هذا اخبار بالغيب قد وقع فكان معجزا ومعنى ان شاء تعليم وارشاد وان لا يفتقر المسلمون بذلك فتركوا التضرع الى الله والتجاء اليه ولعلم ان حصول ذلك لا يكون في كل الاوقات لاغراض ومقاصد لا يعلمها الا ضابط الامور ورابط الاسباب وقد ختم الاية بقوله ان الله عليم اي باحوالكم حكيم لا يعطي ولا يمنع الا عن حكمة وصوب التاويل ما كان لمشركي النفوس الامارة ان يعمروا مساجد الله وهي القلوب وهم مصرون على ما جبلوا عليه من التمرد وتعبد الهوى حبطت اعمالهم التي صدرت عنهم رياء وسمعة انما يعمر القلوب من امن بالله واليوم الاخر صدق بان المقصود والمعبود هو الله وعمل لنيل السعادات الاخروية وادام المناجات مع الله بصدق الطلب زكى نفسه عن الاخلاق الذميمة ولم يخف فوات الحظوظ طالبا للثواب وانما يخاف فوات الحقوق الالهية سقاية الحاج حذف منها هذه الطايفة للاغراض الفاسدة وعمارة المسجد الحرام بالاعمال الموجبة لعمارة القلوب اذا كانت مشوبة بالرياء والهوى لا يستوون عند الله الطالبون والبطالون والله لا يهدي القوم الظالمين الذين يضعون الاعمال الصالحة في غير موضعها الذين امنوا اي القلوب المؤمنة وهاجروا اي الارواح المهاجرة الى القلوب وجاهدوا في سبيل الله الجهاد الاكبر باموالهم وانفسهم ببذل الموجود والوجود جميعا بشرهم ربهم بعد الخلاص عن حزن الوجود بتحلي صفات الحضور وجنات الشواهد والكشوف ان الله عنده اجر عظيم اي من وصل الى مقام العندية فالله العظيم اجره لا تتناهى وانا بانكم الا تيان فيما اشارة الى ان من اثر محبة الخالق فقد ابطل الاستعداد للفطرة لقبول الفيض الاقدسي يوم حنين اي حين حنت نفوسكم شوقا الى لقاء ربها وحسبتم انكم تبلغونه بكثرة الطاعات وضاقت عليكم ارض الوجود ثم اعرضتم عن الطلب اذ اجتمتم بحجب العجب بين الى عالم الطبيعة الحيوانية ثم انزل الله سكينته وهي واردات ترد على الارواح والقلوب فتسكن الى ربها على رسول الروح وعلى القلوب المؤمنة وانزل جنودا من المواهب الربانية وعذب الذين كفروا المتمردة باستعمالها في احكام الشريعة واداب الطريقة وذلك جزاء الكافرين اي علاج النفوس المتمردة ثم يتوب الله من بعد ذلك العلاج بجذبة ارجعي انما المشركون النفوس المعابدة للدنيا والشيطان والهوى فلا يقربوا القلب بعد عامهم هذا وهو حالة البلوغ وجوبان قلم التكليف على الانسان نهى القلوب عن اتباع النفوس وامرها بقتالها ومنعها عن طوافها لنا نجس كعبة القلب بتجاسة شرك النفس ولوصافها الذميمة وان خفتم عيلة حظوظا يستلذ بها عند اتباع النفس فسوف يغنيكم الله بعد انقطاع تصرفات النفس عن القلب بالواردات الربانية والكشوف الروحانية ان الله عليم بمستحقي فضله حكيم فيما دبر من قتال النفوس قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح

التوبة

ابن الله ذلك قولهم بافواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله انى يؤفكون اتخذوا
پسر خدا است این گفتار ایشان است بزبان خود مانند شباهت دارند گفتار آنها کسانی که کافر شدند از پیش کشند ایشان را خدا از کجا بسوی حق برگردانیده میشوند
احبارهم ورهبانهم ارباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما امروا الا ليعبدوا الهاً واحداً لا اله الا
دانشمندان خود را و پارسایان خود را پروردگاران از غیر خدا و مسیح پسر مریم را و مامور نشدند مگر که بپرستند خدای یکانه را نیست خدائی بحق مگر
هو سبحانه عما يشركون يريدون ان يطفؤا نور الله بافواههم ويابى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون
او منزه است از آنچه شریک گردانند میخواهند که خاموش کنند روشنی خدا را بدهنهای خود و نمیخواهد خدا مگر که تمام کند نور خود را و اگرچه ناخوش دارند
هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون يا ايها الذين
او ذاتی است که فرستاد پیغمبر خود را براستی و دین راست تا غالب گرداند او را بر دینها همه و اگرچه ناخوش دارند مشرکان ای آنها که
امنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله
ایمان آورده اید بدرستی که بسیاری از دانشمندان و پارسایان هر آینه میخورند اموال مردم را بباطل و باز میدارند از راه خدا
والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم يوم
و آنانکه گنج میکنند طلا و نقره را و خرج نمیکنند از در راه خدا پس مژده ده ایشان را بعذاب دردناک روزی که
يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا
گرم کرده شود بر آن در آتش دوزخ پس داغ کنند بآن پیشانی ایشان را و پهلوهای ایشان را و پشتهای ایشان را این است آنچه ذخیره کردید برای خود پس
ما كنتم تكنزون ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السموات
بچشید آنچه را بودید که گنج میکردید بدرستی که شمار ماهها نزد خدا دوازده ماه است در کتاب خدا روزی که آفرید
والارض منها اربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن انفسكم وقاتلوا المشركين كافة
از آنها چهار ماه حرام است این است دین استوار پس ستم نکنید در آنها بر نفسهای خود و جنگ کنید مشرکان را همه
كما يقاتلونكم كافة واعلموا ان الله مع المتقين انما النسىء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا
چنانکه جنگ میکنند با شما همه و بدانید که خدا با پرهیزگاران است بدرستی که پس کار انداختن ماهها زیادتی است در کفر گمراه کرده میشوند بآن آنانکه کافر شدند
يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء اعمالهم والله لا يهدى القوم الكافرين
حلال میکنند آنرا سالی و حرام میکنند آنرا سالی تا موافق شمار کنند آنچه را که حرام کرده خدا پس حلال کنند آنرا که حرام کرده خدا آراسته شده است برای ایشان بدی کردارهای ایشان و خدا راه نمیدهد گروه کافران را

القراءة عن ابن بالتون مكسورة للساكنين عاصم وعلى وسهل ويعقوب الباقون بغير تنوين يضاهئون بالهمزة عاصم غير الخزاز الاخرون
يضاهون بحذف الهمزة ان يطفؤا ابدلوا الهمزة فيهما ياء وحمزة فى الوقف وان شاء ليّن الهمزة اثنا عشر يكون العين بزيد و
الخزاز انما النسئ بالتشديد ورش من طريق الجمال وحمزة فى الوقف الباقون بنا بعدها همزة يضل بضم الياء وفتح الضاد على وحمزة
غير العجلى وحفص خلف لنفسه يضل بضم الياء وكسر الضاد العجلى واو قبيره وردبس الباقون يضل بفتح الياء وكسر الضاد الوقف صاغرون
المسيح ابن الله ط بافواههم لاحتمال ما بعده الحال والاستيناف من قبل قاتلهم الله يؤفكون ابن مريم ج لاحتمال الجملة بعده ان يكون حالا
واستيناف واحد لان ما بعده يصلح ابتداء ووصفا الاهوط يشركون الكافرون كلمة ط للعلق لو بما قبله المشركون عن سبيل الله ط فى سبيل الله ط
لتعلق الفاء ايم اى يوم وظهورهم تكنزون حرم ط تقاتلونكم كافة ط المتقين فيحلوا ما حرم الله اعمالهم ط الكافرين التفسير لما ذكر شبهات المشركين
واجاب عنها باجوبة صحيحة اراد ان يبين احكام اهل الكتاب المقصود تميزهم من المشركين فى الحكم لان الواجب فى المشركين القتال الى الاسلام والواجب
فى اهل الكتاب القتال او الجزية الى الاسلام واعلم انه تعالى ذكر صفات اربعة وامر بقتال من اتصف بها بقوله من الذين اوتوا الكتاب
فدل على ان اهل الكتاب متصفون بتلك الصفات فالصفة الاولى انهم لا يؤمنون بالله ورد عليه ان القوم يقولون نحن نؤمن بالله
واجيب بان ايمانهم بالله كلا ايمان لانهم مشبهة وحلولية واعترض ثانيا بان كل من نازع فى صفة من صفات الله لو كان منكرا لله لزم ان يكون
اكثر المتكلمين كذلك فالاشعرى من اهل السنة اثبت البقاء صفة والقاضى انكره وعبد الله بن سعيد اثبت القدم صفة والباقون انكروه و
القاضى اثبت لله ادراك المطعوم وادراك الروائح والحرارة والبرودة والاستاد ابو اسحق انكره والقاضى اثبت للصفات سبعة احوال معللة بالمعانى
الصفات وغيره انكره وعبد الله بن سعيد زعم ان كلام الله فى الازل ما كان امرا ولا نهيا ولا اخبارا ثم صار كذلك عند الانزال والاخرون انكروا
وقوم من قدماء الاشاعرة اثبتوا لله خمس كلمات الامر والنهى والاستخبار والخبر والنداء والمشهور ان كلام الله واحد واختلفوا فى ان خلاف
المعلوم هل هو مقدور لله واما اختلافات المعتزلة وسائر الفرق فاكثر من ان نحصيه ههنا واجب بان المجسم خالف فى الذات لا نه يقول ان
الله جسم والبرهان على ان اله العالم ليس بجسم ولا جسماني واما الخلاف فى المسائل المذكورة فراجع الى الصفة وظهر الفرق نعم انا نكفر الحلولية

بين الوصولين باء

والحق فيه القائلين بان كلام الله تعالى في كل لسان وفي كل جسم كتب فيه القران كما نكفر النصارى القائلين بان اقنوم الكلمة حلت في عيسى الصفة الثانية انهم لا يؤمنون باليوم الاخر لان اليهود والنصارى ينكرون المعاد الجسماني والقران دل على ان اهل الجنة ياكلون ويشربون وبالذبح يتمتعون اما السعادات الروحانية فتتفق عليها الصفة الثالثة ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله اي لا يحرمون ما حرم الله في القران والرسول في سنته كالخمر والخنزير ونحوهما وقال ابو روق اي لا يعملون بما في التوراة والانجيل بل حرفوهما واتوا باحكام توافق مشتهاهم الصفة الرابعة ولا يدينون دين الحق اي لا يعتقدون صحة دين الاسلام الذي هو الحق يقال فلان يدين بكذا اذا اتخذ ذلك دينه ومعتقده وقيل الحق هو الله ثم ذكر غاية القتال فقال حتى يعطوا الجزية فعلة من جزى يجزي اذا قضى ما عليه قال الواحدي هي ما يعطى للمعاهد على عهده وقال في الكشاف سميت جزية لانها طائفة مما على اهل الذمة ان يجزوه اي يقضوه او لانهم يجزون بها من عليهم بالاعفاء عن القتل ومعنى عن يد ان يدا بيد اي مواتية غير ممتنعة يقال اعط بيده اذا انقاد واصحابه ايدي المراد حتى يعطوها عن يد الى يد نقدا غير نسيئة ولا مبعوثا على يد احد وان اريد بها يد الاخذ فمعناه حتى يعطوها عن يد قاهرة مستولية اي بسببها كقوله ينهون عن اكل وعن شرب اي يتباعدون في التسمي بسببها والمراد عن انعام عليهم لان قبول الجزية منهم بدلا عن ارواحهم نعمة عظيمة عليهم قيل ان من اليهود موحدة فاوجب ايجاب الجزية عليهم والجواب اذا ثبت وجوب الجزية على بعضهم لزم القول به في حق الكل لعدم الامتياز ولوجود الصغار الباقية فيهم اما مقدار الجزية فعن ابن قسيط رسول الله ﷺ على كل محتلم دينارا وقسم عمر على نفر اغنيائهم في المدينة اثني عشر درهما وعلى الاوساط اربعة وعشرين وعلى اهل الثروة ثمانية واربعين فذهب الشافعي الى ان اقل الجزية دينار ولا يزاد على الدينار الا بالتراضي وذهب ابو حنيفة الى قسم عمر والمجوس سبيلهم سبيل اهل الكتاب لقوله ﷺ سنوا بهم سنة اهل الكتاب وبروى ثم اخذ الجزية من مجوس هجر ودلالته لهم شبهة كتاب معه دلالة ان كتبهم وهي الصحف لسخ انزلت على ابرهيم وقد رفعت الى السماء لاحداث احدثوها وليس المقصود من اخذ الجزية تقرير الكفر على كفرهم بدينار واحد حتى يصير موجبا للطعن وانما الغرض حقن دمائهم وامهالهم مدة لعلهم يتفكرون في كفرهم فيعرفون صدق محمد وتدعوهم اليه واضافة جزية اليهم وجزية كتابهم وجزية اباءهم الذين انقرضوا على الحق من شريعة التوراة والانجيل واما قوله وهم صاغرون فمعناه انه لابد مع اخذ الجزية من الحاق الذل والصغار بهم والسبب فيه ان طبع العاقل ينفر عن تحمل الذل فاذا امهل الكافر مدة وهو يشاهد عز الاسلام وذل الكفر وسمع الدلائل فالظاهر ان مجموع ذلك يحمل على الانتقال الى الاسلام وفسروا الصغار في الاية باخذ الجزية على سبيل الاهانة بان يكون الذي يأخذ المسلم الذي يأخذ الجزية قاعدا وهو قائم ويجر يده من جيبه ويجثي ظهره ويطأطئ راسه فيضع ما معه في كفة الميزان ويأخذ المستوفي بلحيته ويضرب في لهزميته وهذه الهيئة مستحقة على الاخ الا واجبة وقيل الصغار هو نفس اخذ الجزية والجزية تسقط بالاسلام عند ابي حنيفة دون الشافعي وانها يؤخذ عند ابي حنيفة في اول السنة وعند الشافعي في اخرها ولا يؤخذ من فقير لكسب ولا من امرأة ومختبل لا صبي ولا مجنون وعبد ولا من سيد بسبب جنى على الزمن والعسيف الشيخ الفاني والراهب الاعمى على الاصح من قولي الشافعي لان الجزية بمنزلة الكراء يستوفى فيه المعدوم وغيرهم قال الشافعي في احد قوليه العاجز عن الكسب يعقد له الذمة بالجزية فاذا تحول الحول اخذنا ان ايسر الا فهو ذمته الى ان يوسر وهكذا في كل حول ولا يقع عقد الذمة الا من الامام او نائبه الذي فوض اليه الائمة من الامور الكلية وكيفية العقد ان يقول اقررتكم واوربتكم في الاقامة في دار الاسلام على ان تبذلوا لنا كذا وتنقادوا لاحكام الاسلام التي نرضاها الامام ولا يقرهم الكتاب بالجزية في ارض الحجاز لما روي انه ﷺ قال لاخرجن اليهود من الحجاز فقال الشافعي هو مكة والمدينة ومخاليفها اي قراها وما روي انه ﷺ اوصى بان يخرجوا اليهود من جزيرة العرب محمول على انه اراد الحجاز جمعا بين الحديثين وقد بقي في الاية نكتة ذكرها بعض العلماء في ان المسلم لا يقتل بالذمي قال لان قوله قاتلوا اشتمل على باحة دمهم وعلى عدم وجوب القصاص بسبب قتلهم فلما قال حتى يعطوا الجزية علمنا ان المجموع انتفى عند اعطاء الجزية ولكن انتفاء احد جزائه واحد الجزئين وهو وجوب قتلهم مرتفع بالاتفاق فيبقى الاخر وهو عدم وجوب القصاص بقتلهم والجزية كما كان ولقائل ان يقول لا نزاع في الاحتمال ولكن ما الدليل على عدم وجوب القصاص وانت بعد ما تأملت وما حكم في الاية المتقدمة ان اهل الكتاب لا يؤمنون بالله شرع في اثبات تلك الدعوى فقال وقالت اليهود عزير ابن الله الا بد العلم مبتدأ والابن خبره ومن اسقط التنوين من عزير فلانه اسم عجمي زاد على ثلثة احرف فيمنع من الصرف كعازر وقيل منصرف لكونه عربيا وكان الوجه كسر التنوين كقراءة عاصم ولكنه اسقط التنوين للساكنين على مذهب بعضهم او لان الابن وقع صفة والخبر محذوف وهو معبودنا وطعن في هذا الوجه عبد القاهر باستلزامه احتمال توجه الذم الى الخبر دون الوصف وصح بحصل لنا علم كونه ابنا لله ومعلوم ان ذلك كفر لسذاقول ناس من اليهود بالمدينة وما بغيره هو بقول كلهم الا انه جاء على عادة العرب في ايقاع اسم الجماعة على الواحد بقولهم فلان يركب الخيول ويجالس الملوك وانما يركب واحدا ويجالس الاواحدا عن ابن عباس جاء رسول الله ﷺ سلام بن مشكم ونعمان بن اوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف فقالوا ذلك وعنه ايضا ان اليهود اضاعوا التوراة وعملوا بغير الحق فانساهم الله التوراة فمنهم من صدورهم فتضرع عزير الى الله تعالى وابتهل اليه فعاد حفظ التوراة الى قلبه فاتى قومه فلما جربوه وجدوه صادقا فيه فقالوا هذا ابن الله وقال عبد بن عميرانما قال هذا القول رجل من اليهود اسمه فنحاص بن عازوراء وقيل لعل هذا المذهب كان فاشيا فيهم ثم انقطع ولا عبرة بانكار اليهود وقول الله اصدق وقال في الكشاف الدليل على ان هذا القول كان فيهم ان الاية نزلت عليهم فما انكروا ولا كذبوا مع تهالكهم

التوبة

على التكذيب واما النصارى فلانهم يقولون ذلك وحكى الواحدي في سبب ذلك ان اتباع عيسى كانوا على الحق بعد رفع عيسى حتى وقع حرب بينهم وبين اليهود وكان في اليهود رجل شجاع يقال له بولس قتل جمعا من اصحاب عيسى ثم قال لليهود ان كان الحق مع عيسى فقد كفرنا والنار مصيرنا ونحن مغبونون ان دخلوا الجنة ودخلنا النار والى احوال فاضلهم نعرف راسه اظهر للندامة بما كان يصنع ووضع على راسه التراب وقال بانت مني التوبة الا ان تنتصر وقد تبت فاذهب الى النصارى لاكيدهم وكنت سنة لا اخرج ولا اعلم الا بجهل فصدقوه واحبوه ثم مضى الى بيت المقدس واستحلف عليهم رجلا ليضطرد وعلم ان عيسى ومريم والاله كانوا ثلثة وتوجه الى الروم وعلمهم اللاهوت والناسوت وقال انما كان عيسى انسانا ولاجتماعه ولكنه الله وعلم رجلا اخر يقال له يعقوب ثم مات ثم دعا رجلا يقال له ان الاله لم يزل ولا يزال عيسى ثم دعا هؤلاء الثلثة وقال لكل واحد منهم انت خالصتي فادع الناس الى ضلالك ولقد رايت عيسى في المنام فرضي عني وان عدا ذبح يعني لرضاه عيسى ثم دخل المذبح فذبح نفسه فهذا هو السبب في وقوع هذا الكفر في طوائف النصارى الا قرب ان لفظ الابن وقع في الانجيل على سبيل التشريف حيث قال انك انت الابن الوحيد كما وقع لفظ الخليل في حق ابرهيم وقال المسيح للحواريين اجبوا عدائكم وباركوا على لاعنيكم واحسنوا الى بغضيكم وصلوا على من يؤذيكم لكي تكونوا ابناء ابيكم الذي في السماء الذي اشرق شمسه على الصالحين والفجرة ثم ان القوم لاجل عداوة اليهود ولاجل ان يقابلوا غلوهم التماسد في احد الطرفين يغلو فاسد في الطرف الاخر حملوا لفظ الابن على البنوة الحقيقية والله تعالى اعلم بحقيقة الحال والله نعم اعلم بحقيقة الحال ثم له سبحانه ذلك قولهم بافواههم وفائدة هذا التخصيص كل قول فانما يقال بالفم انه قول لا يعضد برهان بل البرهان دال على بعضه لاستحالة اثبات الولد لمن هو بمعزل عن الحاجة والشهوة والمصاحبة واتخاذ الصاحبة فما هو الا لفظ يفوهون به فارغ من معنى محقق كالالفاظ المهملة الا يجاوز الحناجر ولا يؤثر معناها في القلب بل لا معنى لها حتى تؤثر تصوره وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم او نقول ان الانسان قد يختار مذهبا ولكن لا يصرح به لا بد كره بلسانه انما اذا نطق به فذلك هو الغاية في اختياره اذا ساعد عليه دليل كان نهاية في الحسن والتاثير فالمراد بالقول المذهب اي انهم يضمرون به لا يحفونه البتة او انه مذهب لا يساعد دليل فلا تاثير له في القلوب ويحتمل ان يراد انهم وقعوا في هذا المقالة حتى قعت في الافواه والالسنة ايضا هون من قرا يعمر فظاهر لانه من ضنا هي يضا هي مضموصا اي شاكل ومن قرا بالهمز فليجئ ضاهات لقولهم صهيا على بعبدو هي التي شاكلت الرجال في انها لا تحيض ومن جعل ضهيا فعليا بزيادة الهمزة كما في عرفا لشعر السبط السفلي لحيي ضهيا ممدودا بمعناه فلا ثبت في هذا الثاني عنده ولا بد من تقدير مضاف اي يضا قولهم قول الذين حذف المضاف واقيم الضمير المضاف اليه مقامه فانقلب مرفوعا لفقد الجار والمعنى ان قول هؤلاء المعاصرين للنبي من اهل الكتاب يشبه قول قدمائهم اي انه كفر فيهم فهم عريقون فيه ويضا قول اهل الكتاب قول المشركين القائلين الملائكة بنات الله وقيل الضمير في يضا هون للنصارى فقط اي يشاكل قول النصارى المسيح بن الله قول اليهود عزير ابن الله لان اليهود اقدم منهم ثم قال على عادة محاوراتهم العرب عجبا ومستفهما على سبيل الانكار قاتلهم الله اني يؤفكون كيف يصرفون عن الحق اي هم احقاء بان يقال لهم هذا تعجبا من شناعة قولهم كما يقال لقوم ركبوا شنعاء قاتلهم الله ما اعجب فعلهم ولمن ضل عن الطريق اين تذهب ثم وصفهم بضرب اخر من الاشراك فقال اتخذوا احبارهم ورهبانهم قال اهل المعاني الحبر العالم الذي يعبر عما يرتبط الحسن بيا والراهب الذي ظهر زنا والرهبة من قلبه على وجهه لباسه لكن في عرف الاستعمال اختص الاحبار بعلماء اليهود من ولد هرون والرهبان علماء النصارى من اصحاب الصوامع واختلفوا في معنى اتخاذهم اياهم اربابا بعد الاتفاق على انه ليس المراد انهم جعلوهم الهة العالم فقال اكثر المفسرين المراد انهم اطاعوهم في اوامرهم ونواهيهم بقول عدي بن حاتم كان نصرانيا فانتهى الى النبي وهو يقرا سورة براءة فلما وصل الى هذه الاية قال عدي انا لسنا نعبدهم فقال اليس تحرمون ما احل الله فتحرمون وتحلون ما حرم الله فقلت بلى فقال فتلك عبادتهم قال الربيع قلت لابي العالية كيف كانت تلك الربوبية في بني اسرائيل فقال انهم ربما وجدوا في كتاب الله ما يخالف قول الاحبار والرهبان وكانوا ياخذون باقوالهم وما كانوا يقبلون حكم الله قال العلماء انما لم يلزم تكفير الفاسق بطاعة الشيطان خلافا لما عليه الخوارج لان الفاسق وان كان يقبل دعوة الشيطان لانه يلعنه ويستخف به بخلاف اولئك لاتباع المعظمين لشانهم قال الامام فخر الدين الرازي رحمه الله فقد شاهدت جماعة من مقلدة الفقهاء قرات عليهم ايات كثيرة من كتاب الله في مسائل كانت تلك الايات مخالفة لمذهبهم فيها ولم يقبلوا تلك الايات ولم يلتفتوا اليها وكانوا ينظرون الى كلام المتعصبين يعني كيف يمكن العمل بظواهر تلك الايات مع ان الروايات عن سلفنا وردت بخلافها ولو تامل حق التامل وجد هذا ساريا في عرفنا لاكثر من قلت لعلهم توقعوا الحسن ظنهم بالسلف لانهم ربما وقفوا من تلك الاي على ما لم يقف عليه الخلف وقيل في تفسير هذه الربوبية ان الجهال والحشوية اذا بالغوا في تعظيم شيخهم وقدوتهم فقد يميل طبعهم الى الحلول والاتحاد وقد يساعدهم الشيخ في ذلك اذا كان مزورا طالبا للدنيا وقد يرضى بجعلهم له تعظيما واجلالا مع ان السجود عبادة لا يليق الا بالله واذا كان هذا مشاهدا في هذه الامة فكيف الامم السالفة وما المسيح ممن جعلوا ابنا لله فقد اهلوه للعبادة والالهية ولعل السبب في افراد المسيح بالذكر ان قولهم فيه اشنع من قولهم في الاحبار والرهبان او كان القول بالهية المسيح مخصوص باحد الفريقين فلو قيل اتخذوا احبارهم والمسيح ابن مريم اربابا لاوهم اشتراك الفريقين في اتخاذ المسيح ربا وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا والذي امرهم بذلك ادلة العقل والكتب السماوية وفي القرآن حكاية عن المسيح انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ويجوز ان يكون الضمير للاحبار والرهبان اي وما امر هؤلاء الذين هم عندهم ارباب الا بان يكونوا امروبين ثم نزه نفسه عن مقالتهم فقال لا اله الا هو سبحانه عما يشركون ثم ذكر نوعا اخر من قبايحهم فقال اهل الكتاب وهو سعيهم في ابطال امر محمد وجدهم في اخفاء الدلائل الدالة على صحة نبوته فقال يريدون ان يطفؤا نور الله اي دينه الثابت بالدلايل المشبه بالنور لاشتراكهما في الاهتداء بهما وذلك ان دين محمد ونبوته بالمعجزات الباهرة التي تمثلها اثبت نبوة موسى وعيسى لاستيلائها بالقرآن وحاصل شرعه تعظيم الله وتنزيهه عما لا يليق به والايمان

لطاعته وصرف النفس عن الاموال الفانية والترغيب في الاستعداد للباقية ثم انهم بكلماتهم الركيكة وشبهاتهم السخيفة اراد وا ابطال هذه الدلائل فكانوا كمن يريد بطال نور الشمس الذي هو اشد الانوار المحسوسة بسبب ان ينفخ فيه ولا ريب ان ذلك سعي باطل وكيد زاهق ولهذا قال ويأبى الله الا ان يتم نوره اى لو يريد الله الا ذلك الا ان الاباء يفيد زيادة على عدم الارادة وهي المنع والامتناع فكأن اراد واظلمنا ابتداء امتدح بذلك ولا يجوز ان يمتدح بانه يكره الظلم لان ذلك يستوي فيه القوي والضعيف فيه وعد بعز بذل النصرة والقوة واعلاء الدرجة ثم اكد ذلك المعنى بقوله هو الذي ارسل رسوله بالهدى وبكثرة الدلائل والمعجزات وبدين الحق وهو اشمل له على امور يظهر لكل احد كونه موصوفا بالصواب ومطابقا للحكمة وموديا الى الصلاح للدنيا والاخرة ثم بين غاية امره وتمام حكمه فقال ليظهره على الدين كله اى ليجعل الرسول ودين الحق غالبا على اهل الاديان كلهم او على كل دين عن ابي هريرة انه قال هذا وعد من الله بان يجعل الاسلام غالبا على جميع الاديان وتمام هذا انما يظهر عند خروج عيسى وقال السدي عند خروج المهدي لا يبقى احد الا دخل في الاسلام وادى الخراج قلت قد دخل في عصرنا من الملوك الكفرة ومن اشياعهم في الاسلام ما لا يعد ولا يحصى وازداد ذلك كل يوم دليل ظاهر على ان الكل سيدخلون في الاسلام وقد جاء في الحديث زويت لي الارض فاريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتي ما زوي لي منها وقيل ليظهره الاسلام على غيره في جزيرة العرب وهذا التخصيص لا وجه له ضعيف لعطف وقيل ليظهره الرسول على جميع شرائط الدين حتى لا يخفى عليه شيء من مدارك الاحكام وقيل ليظهره بالحجة والبرهان لان غلبة الكفار في بعض الاقطار ظاهرة ولقائل ان يقول ان المسلمين في تلك البلاد وان قلوا غالبة على الكفار وان كثروا بدليل انهم لا يمنعونهم من اظهار شعائر الاسلام والتزام احكامه قوله هو الذي ارسل فيه مدح منه تعالى لنفسه من جهة انه هو القادر على ابداء مثل هذا الامر العظيم ومن جهة انه هو الغالب على ما يصاله الى حيث شاء واراد من غير معاند ولا منازع ومن جهة انه هو المعطي لمثل هذه النعمة التي لا يوازنها نعمة وهي نعمة الهدى والاسلام وقوله ولو كره الكافرون الآية كالتأييد لما سبق ولو كره المشركون انما مساويا الدلالة تنبيها على ان اليهود والنصارى ايضا مشركون ولما تخصيص بعد تعميم ولعله رغم لانف مشركي قريش ثم لما وصف يهود والنصارى بالتكبر والتجبر وادعاء الربوبية والترفع على الخلق اراد ان يصفهم بالطمع والحرص فقال يا ايها الذين امنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان الآية وفيه تنبيه على ان مقصودهم من اظهار تلك الربوبية والتجبر تحصيل حطام الدنيا قال الامام فخر الدين الرازي ولعمري ان من تامل في احوال اليهود والنصارى في زماننا وجد هذه الآيات كانها ما انزلت الا في شانهم وشرح احوالهم فترى الواحد منهم يدعي انه لا يليق الى الجنة ولا يعلق خاطره بجميع المخلوقات وانه في الطهارة والعصمة مثل الملائكة المقربين حتى ذاك الامر الى الترفع لواحد منهم انه لا يليق ويحتمل الذل والدناءة في تحصيل دنيء قوله كثيرا دلالة على ان هذه الطريقة بعضهم لا كلهم فان العالم لا يخلو عن المحق والمبطل قال الكل على الباطل واثبات ذلك كالممتنع وهذا يوهم انه كما ان اجماع هذه الامة على الباطل لا يحصل فكذلك في سائر الامم وعبر عن اخذهم اموال الناس بالاكل تسمية للشيء باسم ما هو اعظم مقاصده وايضا من اكل شيئا فقد ضمه الى نفسه ومنعه من الوصول الى غيره كما ان الواخذ كذلك وهذا فان من اخذ اموال الناس فاذا طولب بردها قال اكلتها وما بقيت فلا قدرة لي على ردها وفي تفسير الباطل وجوه منها انهم كانوا ياخذون الرشى في تخفيف الاحكام والمسامحة في الشرايع وفي اخفاء بعث محمد وتاول الدلائل الدالة على نبوته ومنها انهم كانوا يوعدون عند عوامهم الحمقى انه لا سبيل الى الفوز بمرضاة الله نعم الا بخدمتهم وطاعتهم وبذل الاموال في ذاتهم والعوام كانوا يغترون بتلك الاكاذيب ومنها انهم قالوا الاطريق الى تقوية دينهم الا اذا كان ولئك الفقهاء اقوياء عظماء اصحاب الجاه والحشمة والاموال كما يفعله المزورون في زماننا هذا اما قوله ويصدون عن سبيل الله فمعناه بينا لعون في المنع من متابعة محمد كيلا يبطل جاههم وحشمتهم عند العوام لوا قروا به ثم قال سبحانه والذين يكنزون الكنز هو المال المدفون وقد كنزه يكنزه والتركيب يدل على الجمع ومنه ناقة كناز مكتنزة اللحم واكتنز الشيء اجتمع قيل المراد بقوله والذين الاحبار والرهبان لما وصفهم بالحرص الشديد اراد ان يصفهم بالامتناع من اخراج الواجبات عن اموالهم وقيل المقصود منعوا الزكوة من المسلمين ووجه النظم انه لما كان حال من امسك مال نفسه بالباطل كذلك فما ظنك بحال من سعى في اخذ مال غيره بالباطل والحكمة عن زيد بن وهب قال مررت بالربذة فاذا انا بابي ذر فقلت له ما انزلك هذه البلاد قال كنت بالشام فاختلفت انا ومعوية في هذه الاية فقال معوية نزلت في اهل الكتاب فقلت نزلت فينا وبهم فصار ذلك سببا للوحشة فكتب الي عثمان ان اقدم المدينة فلما قدمت المدينة انحرف الناس عني كانهم لم يعرفوني من قبل فذكرت ذلك لعثمان فقال ان شئت تنحيت فكنت قريبا فقلت اني والله لا ادع ما كنت اقول وعن الاحنف قال لما قدمت المدينة رايت ابا ذر يقول بشر الكافرين بمرضف يوم يحمى عليه في نار جهنم فيوضع على حلمة ثدي احدهم حتى يخرج من نغض كتفه ويوضع على نغض كتفه حتى يخرج من حلمة ثديه فلما سمع القوم ذلك تركوه فاتبعته وقلت ما رابك هؤلاء لا كرهوا ما قلت لهم فقال انا عسى يضع لي قرشي اختلف علماء الصحابة في هذا الكنز المذموم فقال الاكثرون هو المال الذي لم يؤد زكوته عن عمر بن الخطاب مال ادى زكوته ليس بكنز وقال ابن عمر كل ما رايت زكوته فليس بكنز وان كان تحت سبع ارضين وكل مال لم تؤد زكوته فهو كنز وان كان فوق الارض قال جابر اذا اخرجت الصدقة من مالك فقد اذهبت عنه شره وليس بكنز وعن ابن عباس

التوبة

قوله ولا ينفقونها في سبيل الله بريد الذين لا يؤدون زكوة اموالهم قال القاضي ويندرج فيه سائر الحقوق من الكفارات والنذور والصدقة الحج والجهاد والانفاق على الاهل والعيال وضمان المتلفات وارش الجنايات وقال الاقلون كل مال كثير فهو مذموم سواء اديت زكوته او لم تؤد حجة الاولين قوله تعالى ما كسبت ولا كسبتم اموالكم وقوله ع كل امرئ احق بكسبه نعم المال الصالح ما ادبت زكوته فليس بكنز وان كان باطنا وما بلغ ان يزكى ولم تزك فهو كنز وان كان ظاهرا وقد كان في عهد رسول الله ص جمع من الاغنياء كعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وكان بعدهم من اكابر المؤمنين وقد ندب الى اخراج الثلث والاقل في المرض ولو كان جمع المال محرما لكان بالمريض بتصدق اولى كل بل الصحيح في حال الصحة حجر الاقلين عموم الاية وما روى سالم بن الجعد انها لما نزلت قال رسول الله ص تبا للذهب تبا للفضة قالها ثلثا فقالوا فاي مال نتخذ قال لسانا ذاكرا وقلبا خاشعا وزوجة تعين احدكم على دينه وقوله من ترك صفراء وبيضاء كوى بها وتوفى رجل فوجد في منزره دينار فقال رسول الله ص كية وتوفى اخر فوجد في منزره دينارات فقال كيتان وعن علي ع كل مال زاد على الالفين فهو كنز ادبت منه الزكوة او لم تؤده ومن المعقول ان الله تعالى خلق الاموال لدفع الحاجات فاذا حصل للمرء منها ما زاد على قدر حاجته ومنع منه الغير كان ما نعا من ظهور حكمة الله وداعيا لوجوه الاحسان الى عبيده وقد زاد طائفة من العلماء الجمع بين القولين فقالوا كان هذا قبل ان يفرض الزكوة فاما بعد فرض الزكوة فالله اعدل واكرم من ان يجمع عبدا مالا من حيث اذن له فيه ويؤدي عنه ما اوجب عليه ثم يعاقبه وقال اهل التحقيق انما نهى عن جمع المال محمول على التقوى لان تزايد المال لا حد له يقف هناك فيخرج الى تضييع العمر تارة وتحصيل اخرى في حفظه ولانه كلما ازداد لذ تركه بذلك فيشتد حرصه لا ينقطع البتة وقد يفضي الى الطغيان والخذلان كقوله تعالى ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى ولو لم يكن في الفقر سوى الانكسار وقلة التعلق وفراغ البال للكفي بها منقبة وفخرا وكل ما يلهيك عن الله ولم يكن في سبيل الله فهو خير من وجوده واما ظاهر الفتوى فهو ان صاحب المال الكثير لا عتب عليه اذا ادى منه حقوقه هذا ومن حمل الاية على عمومها نفى الزكوة في النقود قاس الزكوة في المواشي عليه وقد ورد ايضا في الحديث ما من صاحب ابل او بقر او غنم وهو مشهور ولا ريب ان الاصل المعتبر في الاموال هو النقد وسائر الامتعة انما تحصل بها وتدور عليها ولمن اوجب الزكوة في الحلي المباح الاستدلال بالاية لان الذهب والفضة يشملهما ومن لم يوجب الزكوة فيه خصص عموم الاية بما روي انه ع قال لا زكوة في الحلي المباح ولم يصح ابو عيسى الترمذي ويتقدير ان يصح حملوه على الالآلي لقوله تعالى وتستخرجون حلية تلبسونها ولقائل ان يقول لو حملنا الحلي في الحديث على الالآلي لم يبق لتقييد المباح فائدة ثم انه تعالى ذكر شيئين الذهب والفضة ثم قال ولا ينفقونها فضل الضمير عائدا الى المعنى وهو الكنوز او الاموال والا ان كل واحد منهما جملة واحدة قيمة وعدة كثيرة ودراهم ودنانير فهو كقوله تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا وقيل الى اللفظ اي ولا ينفقون من الفضة وحد الذهب ما لا ينزل احد في الفضة من حيث كونها جوهرين ثمينين نفيسين مقصودين بالكنز فاغنى ذكر احدهما عن الاخر كقوله واذا رأوا تجارة او لهوا انفضوا اليها ومن تكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريئا واما الان التقدير والذهب كذلك كما ان معنى قوله فاني وقبيلها ارتباؤها للغروب وقد تبارك كذلك ثم قال فبشرهم بعذاب اليم تهكما مثل قولهم تحيتهم الضرب واكرامهم الشتم ولو قيل البشارة هي الخبر الذي يؤثر في القلب فيغير بسببه لون بشرة الوجه سواء كان من الفرح او من الغم كان حقيقة يوم يحمى عليها معناه ان النار يحمى عليها اي يوقد عليها نار ذات حمى وحر شديد من قوله نار حاميه ولو قيل يحمى اي الكنوز كقولك حميت الحديد لم يفد هذا المعنى وانما ذكر الفعل مع ان الاحماء للنار لانه مسند الى الجار والمجرور بعد حذف النار كما تقول رفعت القصة الى الامير فان لم تذكر القصة قلت رفع الى الامير فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ذكر العلماء في تخصيص هذه الاعضاء بالكي وجوها منها ان حصول الاموال يقصد بترح في القلب يظهر اثره في الوجه وشيع يلتفح بسببه الجنبان وابن شباب فالاخرة بطرحونها على ظهورهم فعورضوا بنقيض المقصود ومنها ان هذه الاعضاء بعظم تألمها لكونها مجوفة ولما في داخلها من الاعضاء الشريفة ومنها انهم يكوون على الجهات الاربع اما من قدام فعلى الجبهة واما من خلف فعلى الظهر واما من اليمين واليسار فعلى الجنبين ومنها ان المراد وقوع الكي على كل الاعضاء لانها اما في غاية الظاهرة وهي الجبهة واما في غاية الصلابة وهي الظهر واما متوسطة وهي الجنبان ومنها الجمال في الوجه والقوة في الظهر والجنبين والانسان انما يطلب المال للجمال والقوة فعورض بازالتهما ومنها قول ابي بكر الوراق خصت بالذكر لان صاحب المال اذا رأى الفقير قبض جنبيه واذا تعدى بجنبيه تباعد وتجافى عنه وولى عليه ظهره وانا اقول يحتمل ان يراد بالجباه قدامهم لشخصين هين لو تقدم لفسخر او بالظهور جهة الخلق حين خلفوا عقبة الحسرات وبالجنبين اليمين والشمال حين لم يصرفا المال في مرضات الله وانفقه في معصيته وسخطه وهذا بالنار وبال البتة ثم الذي جعل كيها هو كل المال او القدر الزكوي الظاهر انه الكل لانه لما لم يخرج منه الحق كان ذلك الجزء شائعا في كل مال فناسب ان يعذب بكل الاجزاء ثم قال هذا ما كنزتم والتقدير فيقال لهم هذا ما كنزتم لانفسكم وفيه توبيخ واشعار بانهم عوروا وانقبض ما قصدوا واكد ذلك بقوله فذوقوا ما كنتم تكنزون ما مصدرية او موصولة والمعنى عرفوا وبال كونكم كانزين او وبال المال الذي كنتم تكنزونه ثم ذكر نوعا اخر من قبائح اعمال اليهود والنصارى والمشركين فقال ان عدة الشهور الاثنان وذلك انه تعالى لما حكم في كل قبيلة بحكم خاص فاذا غيروا تلك الاوقات بسبب النسيء والكبيسة كان ذلك سعيا منهم في تغيير حكم الله بحسب الهوى فكان ذلك زيادة

ذكرهم واعلم ان المعالم الشرعية كلها منوطة بالشهور القمرية الهلالية لقوله سبحانه قل هي مواقيت للناس والحج والسنة القمرية عبارة عن اثني عشر شهرا قمرية بدليل قوله تعالى ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا قال ابو علي الفارسي لا يجوز ان يتعلق قوله في كتاب الله بقوله عدة الشهور للفصل بالاجنبي وهو الخبر اعني اثنا عشر بقوله في كتاب الله وبوم خلق الثاني بدل من الاول وهو من عند والتقدير ان عدة الشهور عند الله في كتاب الله يوم خلق السموات والارض فائدة الابدال ان تقرير الكلام في الاذهان لانه يعلم منه ان ذلك العدد واجب عند الله وثابت في علمه في اول ما خلق الله العالم ويجوز ان يكون في كتاب الله صفة اثني عشر اي اثنا عشر شهرا مثبتا في كتاب الله وعلى هذا لا يجوز ان يراد بالكتاب كتاب من الكتب لان يوم متعلق به ولا يتعلق الظروف باسماء الاعيان لا يقال علامك يوم الجمعة بل الكتاب يكون مصدرا بمعنى الفعل اي فيما اثبته في ذلك اليوم اللهم الا اذا قدرنا الكلام هكذا ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا مكتوبا في كتاب الله يوم خلق قال ابن عباس هو اللوح المحفوظ وقيل القرآن منها اربعة حرم ثلثة سرد مسرودة ذو القعدة وذو الحجة والمحرم واحد فرد وهو رجب مضر الذي بين جمادى وشعبان سمي بذلك لان مضر كانت تعظمه وتحافظ عليه وتحرم القتال فيه وقوله ذلك الدين القيم يعني ان تحريم الاشهر الحرم الدين المستقيم الذي كان عليه ابراهيم واسمعيل وقد توارثته العرب منهما وكانوا يعظمونها ويحرمون القتال فيها حتى لو لقي الرجل قاتل ابيه او اخيه تركه فلا تظلموا فيهن اي في الاشهر الاربعة انفسكم بان تجعلوا حرامها حلالا عن عطاء تالله ما احل للناس ان يغزوا في الحرم ولا في الاشهر الحرم الا ان يقاتلوا وما نسخت وعن الحسن مثله لانه من الدين القيم بانه الشيء الذي لا يزول وعن عطاء الخراساني احلت القتال في الاشهر الحرم بقوله براءة من الله ورسوله وقيل معناه لا تاثموا فيهن بينا لعظم حرمتهن كما عظم اشهر الحج بقوله فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فيه وان لبعض الاوقات اثرا في زيادة الثواب والعقاب كالامكنة كانت لحكم يختارون لاجابة الدعاء اوقاتا مخصوصة وفيه فائدة اخرى هي ان الانسان جبل مطبوعا على الظلم والفساد ومغمورا من ذلك على الاطلاق شاق عليه محض بعثه لا زمنا ولا مكانا بطاعة يسهل عليه الاتيان بها فيهما ولا يمنع عن ذلك ثم لو اقتصر على ذلك فهو امر مطلوب في نفسه وان جره ذلك الى الاستدامة والاستقامة بحسب الفترة والاعتياد او لاعتقاده ان الاقدام على ضد ذلك يبطل مساعيه السالفة فذلك هو المطلوب بالكلية ولا ريب ان تخصيص ذلك من الشارع اقرب الى اتحاد الاداء ولطائف الكلمة وقيل الضمير في قوله فيهن عائد الى اثني عشر والمقصود منع الانسان من الاقدام على الافساد مدة عمره والمراد المنع من الشيء على ما يجيء قال الفراء الاولى رجوع الضمير الى الاربعة لقربها ولما ذكرنا ان لهذه الاشهر مزيد شرف فناسب ان يخص بالمنع من الظلم وكان العرب تختار فيما بين الثلثة الى العشرة ضمير الجماعة وفيما جاوز العشرة وهو جمع الكثرة تختار ضمير الواحدة قال حسان لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى واسيافنا يقطرن من نجدة دما وبقال لثلث خلون من شهر كذا ولاحدى عشرة ليلة خلت ثم قال تعالى من قاتل وقاتلوا المشركين وظاهر الآية يدل على اباحة القتال في جميع الاشهر كما ان الامر الوارد عقيب الحرمة يدل على الاباحة ومعنى كافة جميعا لانهم اذا اجتمعوا تزاحموا فكف بعضهم بعضا وضم بعضهم على المصدر عند بعضهم لانه مثل العافية والعافية وقال الزجاج نصبه على الحال ولا يجوز ان يثنى ويجمع ويفرق باللام كقولك قاموا معا وقاموا جميعا وفي وجه التشبيه في قوله كما يقاتلونكم كافة قولان عن ابن عباس قاتلوهم بكليتهم ولا تجبنوهم بتركهم القتال كما انهم يستحلون قتالكم جميعكم وقيل قاتلوهم باجمعكم غير متفرقين في مقاتلة الاعداء ومقابلتهم فعلى الاول يكون كافة حالا من المفعول وعلى الثاني يكون حالا من الفاعل وفي قوله واعلموا ان الله مع المتقين لهم حث على التقوى على الجهاد بضمان النصر والمعونة ثم ذكر الظلم المنهي عنه في الاية المتقدمة وكذا النهي عنه بقوله انما النسيء وهو مصدر نساء اذا اخر كالنذير والنكير وقال قطرب اصله الزيادة من قولهم لسنان المرأة اذا حملت لزيادة الولد فيها وورد بانه يقال لها ذلك لتاخر حيضها وقيل هو بمعنى منسوك فعيل بمعنى مفعول واعترض بان المؤخر هو الشهر فيؤول المعنى الى ان الشهر زيادة في الكفر وهذا الحمل غير صحيح ويمكن ان يجاب بان المراد ان العمل الذي بسببه يصير الشهر الحرام موخرا زيادة في الكفر احتج الجبائي فيهما بان الكفر يقبل الزيادة فكذا الايمان وايضا اطلق الكفر على ترك العمل فترك العمل يكون ايمانا فلا يكون الايمان مجرد الاعتقاد والاقرار واجيب بان الزيادة راجعة الى الكمال وانما سمي هذا العمل كفرا لانه يؤول الى عقاد وتحليل ما هو حرام وبالعكس في قوله يضل به الذين كفروا بحث مشهور بين المعتزلة وغيرهم ان اسناد الاضلال الى الله تعالى بالمجاز او بالحقيقة وقد مر مرارا قوله يحلونه عاما الضمير فيه عائد الى النسيء قال الواحدي اي يحلون الناخير عاما وهو العام الذي يريدون ان يقاتلوا في الشهر الحرام ويحرمونه الناخير عاما اخر وهو الذي يتركون الشهر الحرام على تحريمه قال المفسرون انهم كانوا اصحاب حروب وغارات وكان يشق عليهم مكث ثلثة اشهر متوالية من غير قتل وغارة فاذا اتفق لهم في شهر منها او في المحرم حرب وغارة اخروا تحريمه لوقت ذلك الشهر الى شهر اخر قال الواحدي واكثر العلماء على ان هذا الناخير كان من المحرم الى صفر وروي انه حدث فيكنانة لانهم كانوا فقراء محاويج الى الغارة وكان جنادة بن عوف الكناني مطاعا في قومه وكان يقوم على جمل في الموسم فيقول يا اعلى صوته ان الهكم قد احلت لكم المحرم فاحلوه ثم يقوم في القابل فيقول ان الهكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه والاكثرون على انهم كانوا يحرمون من جملة شهور العام اربعة اشهر وذلك قوله ليواطئوا عدة ما حرم الله اي ليوافقوا العدة التي هي الاربعة ولا يخالفوا ولم يعلموا انهم خالفوا تركا للقتال ووجوب التخصيص في ذلك قوله

التوبة

قوله تعم فحلوا ما حرم الله اى من القتال وترك الاختصاص قال اهل اللغة يقال تواطأ القوم على كذا اذا اجتمعوا عليه لان كل واحد منهم يطأ حيث يطأ صاحبه والايطاء فى الشعر من هذا وهو ان يأتى فى القصيد بقافيتين لفظهما ومعناهما واحد قال ابن عباس لهم فما احلوا شهرا من الاشهر الحرم الا حرموا مكانه شهرا اخر من الحلال ولم يحرموا شهرا من الحلال الا احلوا مكانه شهرا اخر من الحرام لاجل ان يكون عدة الحرم اربعة مطابقة لما ذكره الله تعم فهذا هو المراد بالمواطاة وللاية تفسير اخر وهو ان يكون المراد بالنسئ كبس بعض السنين القمرية بشهر حتى يلتحق بالسنة الشمسية وذلك ان السنة القمرية اعنى اثنى عشر شهرا قمريا هى ثلثمائة اربعة وخمسون يوما وخمس وسدس من يوم على ما عرف من علم النجوم وعمل الزيجات والسنة الشمسية وهى عبارة عن عود الشمس من اية نقطة تفرض من الفلك اليها لحركتها الخاصة ثلثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم الا كسرا قليلا فالسنة القمرية اقل من السنة الشمسية بعشرة ايام واحد وعشرين ساعة وخمس ساعة تقريبا وبسبب هذا النقصان تنتقل الشهور القمرية من فصل الى فصل فتكون الحج واقعا فى الشتاء مرة وفى الصيف اخرى وكذا فى الربيع والخريف فكان يشق الامر عليهم اذ ربما كان وقت الحج موافقا لحضور التجار من الاطراف فكان يحتمل اسبابا تجاراتهم ومعاشهم فلهذا السبب اقدموا على الكبس بحيث يقع الحج دائما عند اعتدال الهواء وادراك الثمار والغلات وذلك بقرب حلول الشمس نقطة الاعتدال الخريفى فكبسوا تسع عشرة سنة قمرية بسبعة اشهر قمرية حتى صادوا تسع عشرة شمسية فزاد وا فى السنة الثانية شهرا ثم فى الخامسة ثم فى السابعة ثم فى العاشرة ثم الثالثة عشرة ثم فى السادسة عشرة ثم فى الثامنة عشرة وذلك ترتيب لهم يحوج عند المحبين وقد تعلموا هذه الصفة من اليهود والنصارى فانهم يفعلون هكذا لاجل اعيادهم فالشهر الزايد هو الكبيسى سمى بالنسئ لانه المؤخر والزايد مؤخر عن مكانه وهذا التفسير يطابق ما روى انه ص خطب فى حجة الوداع وكان فى جملة ما خطب الا ان الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم ثلث متواليات ذوا القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان والمعنى رجعت الاشهر الى ما كانت عليه وعاد الحج فى ذى الحجة وبطل النسئ الذى كان فى الجاهلية وقد وافقت حجة الوداع ذا الحجة فى نفس الامر فكانت حجة ابى بكر قبلها فى ذى القعدة التى سموها ذا الحجة وانما لزم العتب عليهم فى هذا التفسير لانهم اذا حكموا على بعض السنين بانها ثلثة عشر شهرا كان مخالفا لحكم الله بان عدة الشهور اثنا عشر شهرا اى لا ازيد ولا انقص واليه الاشارة بقوله ذلك الدين القيم على هذا التفسير يلزمهم ايضا ما لزمهم فى التفسير الاول من تعيير الاشهر الحرم عن اماكنها فيجوز ان يكون الاشارة الى المجموع ومعنى قوله يحلونه عاما اى يحلون النسئ من عام الكبس ويحرمونه عاما اى فى غير سنة الكبس ومعنى قوله ليواطؤا عدة ما حرم الله ما روى انه كان يقوم فى الموسم منهم خطيب يقول انا النسئ لكم فى هذه السنة شهرا وكذا افعل فى كل سنين اولت حتى يأتى حكم وقت الاداء فنسى المحرم ويجعله كبيسا ثم انه متى انتهت النوبة الى الشهر الحرام فتكون حرمته على نفى مصلحتهم واحلالهم على اثباتها وفى الاية قدم تفسير مثله مرارا والله تعم اعلم التاويل قالوا النفوس الذين لا يؤمنون بالله بتعبده ولا بالبوم الاخرى لا يعملون للاخرة ولا يحرمون ما حرم الله من حب الدنيا فانها راس كل خطيئة وحرم رسوله على نفسه ولا يدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب من النفوس الملهمة بالوارادات الربانية حتى يعطوا الجزية وهى معاملتها على خلاف طبعها عن يد عن حكم صاحب قوة وهو الشارع وقالت اليهود النفس ابن عزير القلب ابن الله وذلك اذا انعكس عن مراة القلب انوارا لوارادات الى النفس المظلمة فتنورت كما ان اليهود لما سمعت التوراة والعلوم التى فهم عنها بمعزل من عزير قالوا انه ابن الله وقالت نصارى القلوب ان مسيح الروح ابن الله وذلك ان الروح ربما يتجلى للقلب فى صفة الربوبية والخلافة مقترنا بصفة ابداع الحق وتشريفا اضافة ونفخ فيه من روحى يضاهئون قول الذين كفروا من قبل وهم النفوس الكافرة الذين اتخذوا احبارهم اى قلوبهم ورهبانهم اى ازواجهم ارنابا والمسيح بن مريم وهو المخفى وذلك ان المخفى هو اول مظهر للغيب الالهى الذى منه التربية ثم الروح ثم القلب ثم النفس ثم القالب فالنفس من حضرتها الى ان يرى الكل من الحق فان رويته ذلك من شان القلب كقوله ما كذب الفؤاد ما راى يريدون ان يطفؤا نور الله الذى دبش على الارواح فى بدا الخلق بافواه استيفاء الشهوات واللذات الجسمانيات هو الذى ارسل رسوله وهو النور المرشش بالهداية الى الله وطلب الحق لهم فى طلب الحق على طلب عزير كثيرا من احبار القلوب ورهبان الارواح لبا كلون اى يتمتعون بحظوظ النفس وهواها والذين يكنزون الذهب والفضة حرصا وطمعا فى الاستمتاع بحظوظ النفس ولا ينفقونها فى سبيل الله ليقطعوا مسافة البعد عن الله بقدمى ترك الدنيا ومع الهوى يحمى عليها فى نار جهنم الحرص فتكوى بها جباه القلوب والارواح لانهم استعملوا ذلك عن التوجه الى الحق وجنوبهم حيث لا يتجافى جنوبهم عن مضاجع المكونات وظهورهم حيث لم يقضوا حق التواضع والخشوع فيقال لهم هذا الذى صاركم من الم الحرمان وعذاب القطيعة بسبب ما كنزتم فذوقوا الان الم الحرص لانكم لم تذوقوا فى الدنيا حيث كنتم فى منام الغفلة منها اربعة حرم فيه اشارة الى ان الطالب المضطر الى تحصيل قوت نفسه وعياله يجب ان يجعل اوقات عمره اثلاثا ثلثا لطلب المعاش وترتيب مصالح الدنيا وثلثا للطاعات التى ينتفع بها فى الاخرة وثلثا من ذلك حرام ان يقع فى خاطره غير المولى ومن استغنى عن المواعيد فيحرم عليه صرف لحظة فى غير طلب الحق والى هذا المعنى اشار بقوله ذلك الدين القيم وفيه تنبيه على من لم يكن هكذا كان فى سلوكه

الجزء العاشر

اعوجاج ثم ذكر من شان النفوس المشركة انها ان قبلت على طاعة اخرها عن وقتها وهو لتنوعها الموجب لاذيادها كفرها لانها قد خالفت
الشرع من حيث يزكيها الطاعة باختيارها ومن حيث ذلك ان اعتقدت انها التاخير مما لا باس به يا ايها الذين امنوا ما لكم
اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض ارضيتم بالحيوة الدنيا من الاخرة فما متاع الحيوة الدنيا
كه چون گويند شما را كه بيرون رويد در راه خداوند كنيد در زمين اياخوشنود شديد بزندگاني دنيا از اسراي پس نيست بهره زندگاني دنيا
في الاخرة الا قليل الا تنفروا يعذبكم عذابا اليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل
در جنب آخرت مگر كمي اگر كه بيرون نرويد عذاب كند شما را عذابي دردناك و بدل آورد بشما گروهي غير از شما و ضرر نرسانيد او را چيزي وخدا بر هر
شيء قدير الا تنصروه فقد نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا
چيز توانا است اگر ياري نكنيد او را پس تحقيق كه ياري كند او را خدا وقتي كه بيرون كردند او را كافران كه دويم از دو بود وقتي در غار بودند چون گفت يار خود را كه
تحزن ان الله معنا فانزل الله سكينته عليه وايده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة
اندوه مخور كه خدا با ماست پس فرو فرستاد خدا اطمينان خود را او و ياري كرد او را بلشكري كه نديديد شما آنرا و كرد ايشان سخن آنرا كه كافر شدند پستي و سخن
الله هي العليا والله عزيز حكيم انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله ذلكم خير
خدا آن بلند پايه است وخدا غالب و داناست بيرون رويد سبك و بيار گان يا سواركان و كوشش كنيد با لهاتان و نفسهاتان در راه خدا اين بهتر است
لكم ان كنتم تعلمون لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون
مر شما را اگر ميدانستيد اگر بودي كالاي نزديك و سفري ميانه هر آينه پيروي كردند تو را ولكن دشوار شد بر ايشان سفر و زود سوگند
بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون انفسهم والله يعلم انهم لكاذبون عفى الله عنك لم اذنت
بخدا كه اگر توانيم هر آينه بيرون شويم با شما هلاك ميكنند نفسهاي خود را وخدا ميداند كه ايشان هر آينه دروغ گويانند درگذشت خدا از تو چرا اذن دادي
لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين لا يستاذنك الذين يؤمنون بالله واليوم
ايشانرا تا ظاهر شود مر تو را آنان كه راست گفتند و بداني دروغ گويان را دستوري نميخواهند از تو آنان كه ميگروند بخدا و روز
الاخر ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم والله عليم بالمتقين انما يستاذنك الذين لا يؤمنون بالله و
واپسين كه كوشش كنند بمالهاي خود و نفسهاي خود وخدا داناست بپرهيزگاران جز اين نيست كه دستوري خواهند از تو آنكه نگروند بخدا و
اليوم الاخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة ولكن
روز واپسين و در شك است دلهاي ايشان پس ايشان در شك خود متردد شوند واگر اراده بيرون رفتن ميكردند هر آينه مهيا ميكردند براي آن ساز
كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ولا وضعوا
ناخوش داشت خدا برخاستن ايشان پس سست كرد ايشان را و گفته شد كه بنشينيد با نشستگان اگر بيرون رفتندي با شما نيفزايد شما را مگر تباهي و هر آينه شتافتندي
خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا
ميان شما جستندي شما را فتنه و در شما بودند جاسوسان ايشان وخدا داناست بستمكاران تحقيقكه جستند فتنه را از پيش و برگردانيدند
لك الامور حتى جاء الحق وظهر امر الله وهم كارهون ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني الا في الفتنة
ترا كارها را تا كه آمد حق و هويدا شد فرمان خدا و ايشان كراهت دارند و از ايشان كسي ميگويد دستوري ده مرا و مفتون مساز مرا در فتنه
سقطوا وان جهنم لمحيطة بالكافرين القراءة وكلمة الله بالنصب يعقوب الباقون من الاخر فليل شيئا قدم معنا العطف
افتادند و بدرستي كه جهنم هر آينه فراگيرنده است كافران انزل على بضره مع عوارض المظروف السفلى الا من قرء وكلمة بالنصب لعليا حكيم في
سبيل الله لعلموا الثقة معلم لاحتمال ما بعد الاستيناف والحال لكاذبون عنك لحق الاستيناف جمعا نظما الكلام معنى الكاذبين و
انفسهم بالمتقين يترددون الفاعدين لفتنة لاحتمال ما بعد الاستيناف والحال لهم بالظالمين كارهون ولا تفتني مقطوع بالكافرين
التفسير لما شرح معايب هؤلاء الكفار عاد الى الترغيب في قتالهم عن ابن عباس انها نزلت في غزوة تبوك سنة عشر وذلك انه لما رجع عن
الطائف اقام بالمدينة اياما فامر بجهاد الروم فاستثقل الناس لكون الزمان زمان قيظ وقحط ولبعد المسافة ولوفور ما احتاج الى
الاستعداد ولشدة الحر وللخوف من عسكر الروم ولوجود اسباب الرفاهية بالمدينة لكون الوقت وقت ادراك الثمار وحصول الغلات روي
ان رسول الله ما خرج في غزوة يريد بتوك ليستعد الناس تمام العدة راصل النفر الخروج الى مكان لا مرهاج عليه واسم ذلك الغزو فخرجوا
النفر واصل اثاقلتم تثاقلتم كما قلنا في فاداراتم ومعنا تباطاتم وانما عدي بالى لتضمين معنى الميل لاحد ركقوله اخلد الى الارض اصمال الى
الدنيا وشهواتها وقيل المراد بلم الى الاقامة بارضكم والبقاء فيها ومعنى الاستفهام فيها معنى الانكار وقرئ اثاقلتم على الاستفهام للانكار ايضا
فيكون جوابا لاذا فعلا اخر محذوفا لا عليه باثاقلتم كانه قيل ما لكم تفعلون وذلك ان جواب اذا عامل في اذا والاستفهام لا يعمل فيما قبله ويجوز على هذا ان يكون اذا للظرفية والعامل فيها معنى الفعل كانه قيل ما لكم تصنعون اذا قيل لكم وفي الاخرة للبدل كقوله لجعلنا منكم ملائكة في الارض

تخلفون كانه قيل قد ذكرنا الموجبات الكثيرة الداعية الى القتال وبينا انواع فضائحهم التي تحمل العاقل على مقاتلتهم ولو لم يكن فيه
الا طاعة المعبود المستلزمة لثواب الاخرة لكفى به باعثا فما متاع الحيوة الدنيا في الاخرة اى في جنبها وفي مقابلتها الا قليل ويجوز
ان يراد بالقلة العدم اذ لا نسبة للمتناهي الى غير المتناهي الباقي والظاهر ان هذا التثاقل لم يصدر من جميع المخاطبين لاستحالة
الجبائي هذه الامة على المعصية والضلالة الا انه طالما اعطى للاكثر حكم الكل واطلق لفظ الكل على الاغلب ثم لما رغبهم في الجهاد
بعوض الثواب عليهم رغبهم فيه بعوض العقاب فقال الا تنفروا وربت عليه ثلث خصال الاولى قوله يعذبكم عذابا اليما قيل هو عذاب
الدنيا عن ابن عباس استنفرهم رسول الله ﷺ فتثاقلوا فامسك الله عنهم المطر وقال الحسن الله اعلم بالعذاب الذي كان ينزل عليهم و
قيل هو عذاب الاخرة فان الاليم لا يليق الا به وقيل انه هدد بالعذاب المطلق الشامل للدارين الثانية قوله ويستبدل قوما
غيركم يعني قوما اخرين خيرا منهم واطوع قيل هم اهل اليمن عن ابي عبيدة وقيل ابناء فارس عن سعيد جبير وقيل يحتمل ان يريد بهم الملائكة
وقال الاصم معناه انه يخرجكم من بين اظهركم وهو المدينة والاصح ابقاء الاية على الاطلاق الثالثة قوله ولا تضروه شيئا قال الحسن
الضمير لله وفيه انه غني عنهم في نصرة دينه بل في كل شئ وقال اخرون الضمير للرسول لان الله وعده ان يعصمه وعد الله كان لا محالة
في قوله والله على كل شئ قدير تنبيه على انه قادر على نصرة رسوله باي وجه اراد وقادر على ايقاع العذاب بكل من يخالف امره كائنا
من كان عن الحسن وعكرمة ان الاية منسوخة بقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة والصحيح انها خطاب لمن استنفره رسول الله
فلم ينفر او فلا نسخ قال الجبائي في الاية دلالة على ابطال مذهب الحشوية من اهل القبلة لا وعيد لهم وقال القاضي فيها دلالة على
وجوب الجهاد سواء كان مع الرسول او لا كقوله تعالى ما لكم اذا قيل لكم وليس على ان القائل هو الرسول ومن قال ان الضمير في
قوله لا تضروه عائد الى الرسول فجوابه ان خصوص اخر الاية لا يمنع من عموم اولها ثم رغبهم في الجهاد بطريق اخر فقال الا تنصروه فقد
نصره الله وهذا كالتفسير لما تقدم والمعنى ان لم تشتغلوا بنصره فان الله سينصره بدليل ان الله نصره وقواه حال ما لم تكن معه الا
رجل واحد لا اقل من الواحد وفيه انه لما اوجب النفرة وشدد فلن يخذله بعد ذلك وقوله اذ اخرجه الذين كفروا اي الجاوه الى ان خرج
ظرف لنصره وثاني اثنين نصب على الحال ومعناه احد اثنين لانه اذا حضر اثنان فكل واحد منهما ثان للاخر وواحد منهما وقوله
اذ هما في الغار بدل من اذ اخرجه واذ يقول بدل ثان والغار نقب عظيم في الجبل والمراد به ههنا نقب في اعلا ثور وهو جبل في
يمنى مكة على مسيرة ساعة واعلم انا قد ذكرنا في سورة الانفال ان قريشا ومن بمكة تعاقدوا على قتل رسول الله ﷺ فنزل واذ يمكر بك الذين
كفروا فامر الله تعالى ان يخرج هو وابو بكر الصديق الى الغار وامر عليا ان يضطجع على فراشه فلما وصلا الى الغار دخل ابو بكر يلتمس
ما في الغار فقال للرسول ما لك فقال له الرسول ما لك فقال بابي انت وامي لعل في الغار ما يؤذي السباع والهوام فان كان فيه شئ كان
لابي بكر فحرق عامة وسد الجحرة وبقي جحر واحد فوضع عقبه عليه كيلا يخرج منه ما يؤذي الرسول ﷺ فلما طلب المشركون الاثر وقربوا
بكا ابو بكر خوفا على رسول الله ﷺ فقال ﷺ لا تحزن ان الله معنا وقيل طلع المشركون فوق الغار فاشفق ابو بكر على رسول الله ﷺ
فقال ﷺ لا تحزن ان الله معنا وقيل طلع المشركون فوق الغار فاشفق ابو بكر على رسول الله ﷺ فقال ان عطب اليوم ذهب دين الله
فقال ﷺ ما ظنك باثنين الله ثالثهما وقيل لما دخلا الغار بعث الله حمامتين فباضتا في اسفله والعنكبوت فنسجت عليه وقال
رسول الله ﷺ اللهم اعم ابصارهم فجعلوا يترددون حول الغار ولا يفطنون له فاخذ الله ابصارهم عنه استدل اهل السنة بالاية على
افضلية ابي بكر وغاية اتحاده وغاية صحبته وموافقته باطنه ظاهره والا لم يعتمد الرسول عليه في مثل تلك الحالة وانه كان ثاني
رسول الله ﷺ في الغار وفي الغار لقوله ما ظنك باثنين صدر شئ لا وصيته في صلاة ابي بكر وفي الدعوة الى الله لانه ﷺ عرض الايمان اولا
على ابي بكر فامن ثم عرض ابو بكر الايمان على طلحة والزبير وعثمان بن عفان وجماعة اخرى من اجلة الصحابة وكان لا يفارق الرسول ﷺ
في الغزوات وفي اداء الجماعات وفي المجالس والمحافل وقد قام في مرضه مقامه في الامامة وقام في دفن جنب رسول الله وكان ثاني
اثنين من اول الامر الى الاخر ولو قدرنا انه توفي رسول الله ﷺ في ذلك السفر لزم ان لا يقوم بامره ولا يكون وصيا لا ابو بكر وان لا يبلغ
ما احدث في ذلك الطريق من الوحي والتنزيل الا ابو بكر وقوله لا تحزن نهي عن الحزن مطلقا والنهي يقتضي الدوام والتكرار فهو لا يزال
قبل الموت وعنده وبعده ولا شك ان من كان الله معه فانه يكون من المتقين المحسنين لقوله ان الله مع الذين اتقوا والذين
هم محسنون قال الحسين بن الفضل من انكر صحبة غار ابي بكر من الصحابة فانه يكون كذابا مستدعا ومن انكر صحبة ابي بكر فانه يكون كافرا لانه
خالف قول الله تعالى اذ يقول لصاحبه اجابت الشيعة بان كونه ثاني اثنين ليس اعظم من كون الله رابعا لكل ثلثة في قوله ما يكون من
نجوى ثلثة الا هو رابعهم وهذا عام في حق كل كافر ومؤمن وكون الصاحبية موجبة للشرف معارض بقوله تعالى للكافر
قال له صاحبه وهو يحاوره اكفرت بالذي خلقك وكما احتمل ان يقال انه ﷺ استخلصه لنفسه في هذا السفر لاجل الشفقة
احتمل ان يكون ذلك لاجل انه خاف ان يدل الكفار عليه او يوقفهم على اثاره لو تركه ثم انه حزن لو كان حقا لم ينه عنه فهو دين
وخطاء سلمنا دلالة الاية على فضل ابي بكر الا انا نجاع على ﷺ على فراشه اعظم من ذلك لما فيه من خطر النفس اجاب اهل

السنة بان كون الله رابعا لكل ثلثة امر مشترك وكونه ثانى اثنين لشرف زائد يختص الله ابا بكر به على ان المعتبر هنا لك بالعلم والتدبير وههنا بالتضجر والمرافقة فان احدا من اهل الاخبار فى الصحيح فى قوله قال لصاحبه مقرونة بما تقتضى الاهانة والاذلال وهو قوله اكفرت وفى الاية مقرونة بما يوجب التعظيم والاجلال وهو قوله لا تحزن ان الله معنا قالوا واعجبا ان الشيعة اذا حلفوا قالوا وحق خمسة سادسهم جبرئيل واستنكروا ان يقال وحق اثنين الله ثالثهما والاحتمال الذى ذكره مدفوع بما روى ان ابا بكر هو الذى استأجر الراحلة للرسول وان عبد الرحمن بن ابى بكر واسماء بنتى ابى بكر هما اللذان كانا يأتيانهما بالطعام مدة مكثهما فى الغار وذلك ثلثة ايام وقيل بضعة عشر يوما وروى ان جبرئيل عليه السلام اتاه وهو جائع فقال لهذه اسماء قد اتتك بجيئة فمرح بذلك رسول الله ص واخبر به ابا بكر ولو كان ابو بكر قاصدا للصياح بالكفار عند وصولهم الى باب الغار ولقالا لابنه وابنته نحن نعرف مكان محمد وكون خزينة معصمة مغارض بقوله تعم لموسى ولا تخف انك انت الاعلى وقول الملئكة لابرهيم لا تخف ولبشروه ثم انا لا ننكر ان اضطجاع علىّ ع على فراش الرسول طاعة وفضيلة الا ان صحبة ابى بكر اعظم لانا الحاضر اعلى خالا من الغائب والان علينا ما تحمل المحنة الا ليلة وابو بكر مكث فى الغار اياما وانما اختار عليا النوم على فراشه لانه كان صغيرا لم يظهر عنه بعد دعوة بالدليل القهرى ولا جهادا بالسيف والسنان بخلاف ابى بكر فانه قد دعا جماعة الى الدين وكان يذب عن الرسول بالنفس والمال وكان غضب الكفار على ابى بكر اشد من غضبهم على ع ولهذا لم يقصدوا عليا بضرب ولا الم ما عرفوا ان المضطجع هو ثم زعم اهل السنة ان الضمير فى قوله فانزل الله سكينته عليه عائد الى ابى بكر لا الى الرسول لانه اقرب المذكورين فانا لنقدر اذ يقول محمد لصاحبه ابى بكر ولان الخوف كان حاصلا لابى بكر والرسول كان امنا ساكن القلب بما وعده الله من النصر ولو كان خائفا لم يمكنه ازالة الخوف عن غيره وبقوله لا تحزن ولانه يناسب ان يقال فانزل الله سكينته عليه فقال لصاحبه لا تحزن واعترض بان قوله وايده عطف فانزل فوجب ان يكون الضمير فى حكم المعطوف عليه واجيب بان قوله وايده معطوف على قوله فقد نصره والتقدير الا تنصروه فقد نصره ففى الغار وايده فى واقعة بدر والاحزاب بجنود بالملائكة والظاهر ان الحزن لا يبعد ان يكون شاملا للنبى ص ايضا من حيث البشرية كقوله وزلزلوا ويكون فى الكلام تقديم وتاخير والتقدير فانزل الله سكينته عليه اذ يقول او يكون فانزل معطوفا على يضره والمراد بالسكينة ما القى فى قلبه من الامنة التى سكن عندها وعلم انه منصور لا محالة كقوله فى قصة حنين ثم انزل الله سكينته على رسوله وقوله وجعل يعنى يوم بدر وسائر الوقايع كلمة الذين كفروا وهى دعوتهم الى الكفر وعبادة الاصنام السفلى وكلمة الله وهى دعوته الى الاسلام او كلمة التوحيد لا الله الا الله هى العليا وفى توسيط كلمة الفصل اعنى هو تاكيد فضل كلمة الله فى العلو وانها المختصة بالعلاء دون سائر الكلم قال الفراء لا احب قراءة نصب لكلمة لان الاجود حينئذ ان يقال وكلمة هى العليا الا ترى انك تقول اعتق ابوك غلامه ولا تقول اعتق ابوك غلام ابيك قلت وفى الرفع ايضا الاستيناف وما فى الجملة الاسمية من الثبات والله عزيز حكيم فهو غالب لا يفعل الا الصواب ثم لما توعد من لا يغزو مع الرسول وضرب له من الامثال ما وصف عقبه بالامر الجزم فقال انفروا خفافا وثقالا قال المفسرون اى خفافا فى النفور لنشاطكم وثقالا عنه لمشقته عليكم او خفافا لقلة عيالكم وثقالا لكثرتهم او خفافا من السلاح وثقالا منه او ركبانا ومشاة او شبانا وشيوخا او مهازيل وسمانا او صحاحا ومراضا او الصحيح لنفسه وان المراد انفروا سواء كسم على الصفة التى يخف عليكم الجهاد معها او على ضدها قال الاكثرون ظاهر هذا الامر يقتضى تناول جميع الناس حتى الراضى والعاجزين وبؤيده ما روى عن ابن ام مكتوم انه قال لرسول الله ص اعلى ان انفر قال ما انت الا خفيف او ثقيل فرجع الى اهله ولبس سلاحه ووقف بين يديه ونزل قوله ليس على الاعمى حرج وقال مجاهد انا ابو ايوب شهد بدرا مع الرسول ولم يتخلف عن غزوات المسلمين ويقول قال الله انفروا خفافا وثقالا فلا اجدنا الا خفافا او ثقالا وعن صفوان بن عمرو كنت واليا على حمص فلقيت شيخا كبيرا قد سقط حاجباه من اهل دمشق على راحلته يريد الغزو فقلت يا عم لقد عذر الله اليك فرفع حاجبيه وقال يا بن اخى استنفرنا الله خفافا وثقالا الا انه من يحبه الله يبتليه وعن الزهرى خرج سعيد المسيب الى الغزو وقد ذهب احد عينيه فقيل له انك عليل فاصبر فقال استنفرنا الله الخفيف والثقيل فان لم يمكنى الحرب كثرت السواد وحفظت المتاع وعن ابن قال قرا ابو طلحة هذه الاية فقال ما اسمع الله عذر احد فخرج مجاهدا الى الشام حتى مات وقال السدى جاء المقداد بن الاسود الى رسول الله ص وكان عظيما سمينا وشكا اليه وسئله ان يأذن له فى التخلف فنزل انفروا خفافا وثقالا فاشتد شانها على الناس فنسخها الله بقوله ليس على الضعفاء ولا على المرضى الاية وقيل لا حاجة الى التزام النسخ لان هذه الاية انما نزلت فى غزوة تبوك بالاتفاق ولا شك انه تخلف عنه من النساء والرجال اقواما فذلك يدل على ان هذا الوجوب ليس على الاعيان لكنه من فروض الكفايات فمن امره الرسول بان يخرج لزمه ذلك ومن امره ان يبقى لزمه ان يبقى ولقائل ان يقول لا نزاع فى الضعفاء والمرضى ثم قال وجاهدوا باموالكم وانفسكم وفيه اجاب للجهاد بهما ان امكن او بالنفس فقط ان لم تكن مال زائد على اسباب الجهاد او بالمال بان يستنيب من يغزو عنه ان لم تكن له نفس سليمة صالحة للجهاد وهذا قول كثير من العلماء ذلكم خير لكم يعنى انه خير فى نفسه وانه خير من القعود لما فيه من الراحة

والدعة والنعيم العاجل وانما قال لو كنتم تعلمون لان ما يحصل من الخيرات في الجهاد لا بد لك الا بالتأمل له لا يعرفه الا المؤمن الذي عرف بالدليل ان وعد الله حق ثم نزل في المتخلفين من غزوة تبوك من المنافقين لو كان عرضا قريبا قال الزجاج اي لو كان المدعو محذوفا لانه ما تقدم عليه والعرض ما عرض من منافع الدنيا ومنه قولهم الدنيا عرض حاضر يأكل منه البر والفاجر والمراد بالقريب سهولة ماخذه وسفرا قاصدا اي وسطا بين القرب والبعد وكل متوسط بين الافراط والتفريط فهو قاصد يقال هو قاصد في قصده اي لا يجاوز الحد والشقة المسافة الشاقة الشاطة ووصف المسافة بالبعد مبالغة بخوجد جده ومحوى الكلام لو كانت المنافع قريبة الحصول والسفر وسطا لا تبعوك طمعا في الفوز بتلك المنافع ولكن لما كان السفر شاقا كانوا لا يبغون من الفوز بالغنيمة ثم اخبر انهم سيجدهم اذا رجعوا من الجهاد يحلفون بالله اما ابتداء على طريقة اقامة العذر واما عند ما يعاتبهم بسبب التخلف وقد وقع كما اخبر فكان معجزا وبالله متعلق بسيحلفون او هو من جملة كلام المتخلفين والقول مقدر في الوجهين اي سيحلفون بالله قائلين لو استطعنا وقوله لخرجنا سادا مسد جواب القسم ولو جميعا حال في الاية دالة على ان قوله انفروا خطاب للمستطيعين والا لما امكنهم جعل عدم الاستطاعة عذرا في التخلف قال الجبائي فيها دليل على ان الاستطاعة مع الفعل والا لما كذبهم الله تعالى فان من لم يخرج الى القتال لم يكن مستطيعا للقتال عند من يجعل الاستطاعة مع الفعل وقال الكعبي فيها دليل على ان القتال لم يكن واجبا عليهم فان قيل لا يجوز ان يريد انهم ما كان لهم زاد ولا راحلة ولا يريد نفس القدرة قلنا ان من لا زاحلة له يعذر في ترك الخروج فمن لا قدرة له اولى وايضا الظاهر من الاستطاعة قوة البدن واذا اريد بها المال فلانه يعين على ما يفعله الانسان بقوة البدن واجيب بان المعتزلة سلموا ان القدرة على الفعل لا بد وقت واحد فان الانسان الجالس في مكان لا يكون قادرا في هذا الزمان على ان يفعل فعلا في مكان بعيد عنه وانما يقدر على فعله في المكان الملاصق لمكانه فالقوم الذين تخلفوا ما كانوا قادرين على القتال عندنا وعندهم فيلزمهم ما الزموه علينا فوجب المصير الى تفسير الاستطاعة بالزاد والراحلة فسقط السؤال ولقائل ان يقول لهم ان كانوا غير قادرين على القتال الا انهم كانوا قادرين على الاشتغال باسباب القتال فعود السؤال قال في الكشاف لهلكون بدل من سيحلفون او حال لانه يقوله في الهلاك بحلفهم الكاذب وحال من ضمير خرجنا اي لخرجنا معكم وان القينا انفسنا في التهلكة وانما جاء به على لفظ الغائب لانه مخبر عنهم بقال حلف بالله ليفعلن او لا فعلن فالغيبة على الاخبار والتكلم على الحكاية قلت وفي الوجه الاخير نظر للزوم بناء اول الكلام على التكلم واخره على الغيبة ولعل الصحيح ان لو قبل لخرجنا معكم لهلك انفسنا والله تعالى اعلم ثم بين ان ذلك التخلف من بعضهم كان باذن الرسول ولهذا توجه عليه العتاب بقوله عفى الله عنك فان العفو يستدعي سابقة الذنب وبقوله لم اذنت لهم فانه استفهام في معنى الانكار وبيان لما كنى عنه بالعفو قال قتادة عوتب ببعض شانه فعلهما الرسول يومئذ لهما اذنه للمنافقين واخذه الفداء من الاسارى فعاتبه الله كما تسمعون والذي عليه المحققون انه محمول على ترك الاولى وقوله عفى الله عنك انما جاء على عادة العرب في التعظيم والتوقير فتقدمون امثال ذلك بين يدي الكلام يقولون عفا الله عنك ما صنعت في امري رضي الله عنك ما جوابك عن كلامي ووقاك الله الاعرف حقي وبعد حصول العفو من الله تعالى لا يستحيل ان يكون قوله لم اذنت لهم واردا على سبيل الذم والانكار بل يحمل على ترك الاكمل والاولى لا سيما وهذه الواقعة كانت من جملة ما يتعلق بالحروب ومصالح الدنيا قال كثير من العلماء في الاية دلالة على جواز الاجتهاد لانه عوتب على اذن لهم من تلقاء نفسه من غير ان يكون من الله في ذلك اذن ولا الهام فيما تاب ومنع ولا كان خاصا بل كافر القوله ومن لم يحكم بما انزل الله ولا يبعد ان لا يكون بمجرد الشهوة ويكون بالاجتهاد ثم انه لم يمنع من الاجتهاد مطلقا وانما منع الى غاية هي قوله حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين ولا يمكن ان يكون المراد من ذلك التبين هو التبين بطريق الوحي والا كان ترك ذلك كبيرة فتعين ان يحمل التبين على استعلام الحال بطريق الاجتهاد ليكون الخطاء واقعا في الاجتهاد لا في النص ويدخل تحت قوله ومن اجتهد واخطأ فله اجر واحد وفي الاية دلالة على وجوب الاحتراز عن العجلة وترك الاغترار بظواهر الامور قال قتادة عاتبه الله كما تسمعون ثم رخص له في سورة النور في قوله فاذا استاذنوك لبعض شانهم فاذن لمن شئت منهم قال ابو مسلم يحتمل ان يريد بقوله اذنت لهم الاذن في الخروج لا في القعود فقد يكون الخروج خيرا صوابا لكونه عونا للمنافقين واذا كان هذا محتملا فلا يتعين الاية لرخصة الاذن في القعود وقال القاضي هذا بعيد لان سياق الاية يدل على ان الكلام في القاعدين وفي بيان حالهم ثم ذكر انه ليس من عادة المؤمنين ان يستاذنوا لان الاستيذان من علامات النفاق فقال لا يستاذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الاخر ان يجاهدوا اي في ان يجاهدوا وكان الاكابر من المهاجرين والانصار يقولون لا يستاذن النبي في الجهاد وكانوا يحثون اوامرهم بالقعود شوقا عليهم ذلك لانهم رأوا ان على نبي لها لبغة لما امره الرسول بان يبقى في المدينة شق عليه ذلك ولم يرض الى ان قال له الرسول انت مني بمنزلة هرون من موسى وقيل ان حرف النفي مضمر كما ضمر في الجحد والتقدير ان لا يجاهدوا والاول اقرب لان سياق الاية يدل على ذم من يستاذن في القعود وعلى هذا يمكن ان يقوى معناه كما ذكرنا ان

يجاهدوا وفى قوله والله عليم بالمنافقين رمز الى انهم من جملة المنافقين وان لهم توابهم ثم بين الذين من شانهم الاستيذان فقال انما يستاذنك الآية وفيه ان السائل فى امر الدين وفى اصوله لا فى بعض مسائله غير مومن بالله تعم وفيه ان محل الريب والتيقن هو القلب وان الايمان ليس مجرد الاقرار باللسان والالم يصح نفيه عن المنافقين ومعنى قولهم فى دينهم يتردد ون ان الشاك متردد بين النفى والاثبات غير حاكم باحد الطرفين وتقديره ان الاعتقاد اما ان يكون جازما اولا والجازم ان كان غير مطابق فهو الجهل وان كان مطابقا فاما بضرورة او نظر فهو العلم اولا وهو اعتقاد المقلد وغير الجازم ان كان احد الطرفين راجحا عنده فالراجح هو الظن والمرجوح هو الوهم وان تساوى الطرفان فهو الريب والشك فلهذا كانت الحيرة والتردد من شان صاحبه كما ان الثبات والاستقرار من شان المستبصر قال المفسرون وان المستاذنين هم المنافقون وكانوا بضعة وثمانين رجلا ثم نفى على المنافقين سوء فعالهم بقوله ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عدته قال ابن عباس يريد من الماء والزاد والراحلة لان سفرهم بعيد والزمان شديد فزكم العدة دليل على انهم ارادوا التخلف قال العلماء وفيه اشارة الى انهم كانوا مياسير قادرين على تحصيل الاهبة والعدة ولكن كره الله انبعاثهم اى انطلاقهم فثبطهم والتثبيط صد الانسان عن الفعل الذى هم به ومعنى الاستدراك ان قوله ولو ارادوا الخروج يعطى معنى نفى الخروج وكانه قيل ما خرجوا ولكن تثبطوا لان الله تعم صرفهم عن ذلك كما يقول ما احسن الى زيد ولكن اساء الى ومثل هذا يسمى فى علم البديع صنعة الاستدراك وقد يقال تاكيد الذم بما يشبه المدح وههنا سوال وهو ان خروجهم مع الرسول ان كان مفسدة فلم عاتب الله رسوله فى اذنه لهم بالقعود وان كان مصلحة فلم كره الله انبعاثهم والجواب ان كان مفسدة لقوله لاعنتكم فى ذلك لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا وحديث العتاب ظاهر عند من لا يجوز الاجتهاد على الانبياء لتمكنهم من استعلام الصواب بطريق الوحى وكذا على قولنا فى بعض وجوهه انما بوهم انه تعم اذن لهم فى الخروج قوله تعالى فى هذه السورة فان رجعك الله الى طائفة منهم فاستاذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معى ابدا وقوله فى سورة الفتح سيقول لك المخلفون اذا انطلقتم الى مغانم الى قوله قل لن تتبعونا واما عندنا فانما حظا الرسول من قضاء الله فى اذنه لهم بالقعود وان كان تعويدهم مصلحة لانه اذن لهم قبل اتمام التفحص وكمال التدبر ولانه لو لم ياذن لهم فهم كانوا يقعدون من تلقاء انفسهم وكان يصير ذلك القعود علامة على نفاقهم فكان لا يقع الحاجة الى اظهارنا نفاقهم بوجوه اخر دالة على هتك استارهم وكشف اسرارهم قال المعتزلة البصرة فى الآية دلالة على انه تعم موصوف بصفة الكراهة كما انه موصوف بصفة الارادة وقلنا لا شاعرة معنى كره الله انه اراد عدم ذلك الشئ وزيف بان العدم لا يصلح ان يكون متعلق الارادة لان العدم مستمر فتعلق الارادة به يكون تحصيلا للحاصل ويمكن ان يجاب بان الارادة صفة تقتضى ترجيح احد طرفى الممكن على الآخر سواء كان ذلك الطرف الوجود او طرف العدم وطرف العدم غير حاصل الا بارادة العدم فكيف يكون تعلق الارادة تحصيلا للحاصل وايضا عدم الشئ المخصوص ليس عدما محضا اما قوله وقيل اقعدوا فيحتمل ان يكون قد جعل القاء الله فى قلوبهم كراهة الخروج امرا بالقعود ويحتمل ان يراد به قول الشيطان بطريق الوسوسة او قول بعضهم لبعض لما ارادوا الاجتماع على التخلف او هو قول الرسول كانه غضب عليهم حين استاذنوه فقال على سبيل الزجر اقعدوا مع القاعدين ناعتا لهم واهذه اللفظة وقالوا قد اذن لنا فلهذا عوتب بقوله لم اذنت لهم اى لم ذكرت هذه اللفظة التى امكنهم ان يتوسلوا بها الى تحصيل غرضهم ومعنى قوله مع الخالفين ان قدرهم الله بالتخلف والخبث والرجس الذى شانهم الجثوم فى البيوت رضوا بان يكونوا مع الخوالف قال المفسرون لما خرج رسول الله ﷺ حض بعسكره على ثنية الوداع وضرب عبد الله بن ابى عسكره على ذى جدة اسفل من ثنية الوداع ولم يكن بما قبل العسكرين فلما سار رسول الله ﷺ تخلف عنه عبد الله بن ابى فيمن تخلف من المنافقين واهل الريب فانزل الله تعالى يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا فيكون استثناء متصلا من اعم العام وحمله على الاستثناء المنقطع بناء على ان المقدر ما زادوكم خيرا الا خبالا ضعيف والخبال فى اللغة الفساد ومنه الحبل الممتوه وللمفسرين عبارات قال الكلبى الا شرا وقال السدى الا مكرا وقال الضحاك الا غدرا وقيل الا خبثا وقيل هو الاضطراب فى الرأى وذلك بتزيين امر القوم وتقبيح امرك حتى يختلفوا ويتفرق كلمتهم قالت المعتزلة دل الآية على انه تعالى كره ابعاثهم لاشتماله على هذا الخبال والشر فيه دليل على انه تعالى لا يريد الا الخير والصلاح ولقائل ان يقول انا نحكم بان كل حكم جزئى عبر معقول واعلم انه سبحانه عدد من مفاسد خروجهم ثلثة الاول قوله ما زادوكم الا خبالا ولا وضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة قال فى الكشاف زيدت الالف فى الكتابة لان الفتحة كانت تكتب الفا قبل الخط الذى اخترع بعد نزول القرآن وقد بقى من ذلك الالف اثر فى الطباع فكتبوا صورة الهمزة الفا وفتحتها الفا اخرى وهو اولا ادخلنا فيما ولا توهنا فى الاحزاب والرابع لها فى القرآن وفى الابضاع قولان لاهل اللغة فقال اكثرهم هو متعد يقال وضع البعير اذا حمل واوضع الراكب اذا حمله على العدو وعلى هذا يكون فى الآية حذف والتقدير ولا وضعوا ركابهم وقال الاخفش وابو عبيدة انه جاء لازما ويقال اوضع الرجل اذا سار بنفسه سيرا حثيثا ومنه ما روى ان النبى ﷺ افاض من عرفة وعليه السكينة

التوبة

واوضع فذادى مجراى اسرع قال الواحدى والاية تشهد للاخفش وابى عبيد وعلى القولين المراد فى الاية السعى بين المسلمين بالنميمة والمبالغة فى الاول اكثر لان الراكب اسرع من الماشى ومعنى خلالكم اى فيما بينكم والخلل الفرجة فيما بين الشيئين ويبغونكم الفتنة اى يبغون لكم قال الاصمعى يقال ابغنى كذا وابغ لى اى اطلبه لاجلى ومعنى الفتنة هنا افراق الكلمة والتشويش فى المقاصد فعند ذلك يحصل الانهزام اسرع فالحاصل من النوع الاول يحصل اختلاف الاراء ومن الثانى المشى بالنميمة لتسهيل تلك الغرض واما النوع الثالث فذلك قوله وفيكم سماعون لهم قال ابن مجاهد وابن زيد اى عيون لهم ينقلون اليهم ما يسمعون منكم وقال قتادة فيكم من يسمع كلامهم ويقبل قولهم واذا تعاضد الفاعل والقابل وقع الاثر على اكمل الوجوه لا محالة واعترض على هذا القول بانه كيف يجوز ذلك على المؤمنين مع قوة دينهم واجيب بان ذلك انما يقع لمن قرب عهده بالاسلام اولمن جبل على الجبن والغفلة اولمن حسن ظنه ببعض المنافقين لقرابة او هيبة وقلما يخلو الاقوياء من ضعيف يخيف واهل الحق من مبطل مناف وهذا خبر الاية بقوله والله عليم بالظالمين الذين ظلموا انفسهم بكفرهم ونفاقهم وغيرهم بالقاء الفتنة فيما بينهم ثم سلى نبيه بقوله كيدا هل النفاق قديما وحديثا فقال لقد ابتغوا الفتنة من قبل اى من قبل وقعة تبوك قال ابن جريج وهوان اثنى عشر رجلا من المنافقين وقفوا على ثنية الوداع ليلة العقبة ليفتكوا بالنبى ص وقيل المراد ما فعله عبد الله بن ابى يوم احد حين انصرف عن النبى ص مع اصحابه ومعنى الفتنة فى تشتيت شمل المسلمين والاختلاف الموجب للفرقة بعد الالفة فسلمهم الله منه وقلبوا لك الامور حرفوها ودبروا اكل الحيل والمكايد ومنه فلان حول قلب ان كان زائرا حول مضابد المكايد حتى جاء الحق الذى هو القران وظهر امر الله غلب دينه وشرعه وهم كارهون رد الله مكرهم وفى نحرهم والى بعيد مقصودهم ولما كان الامر كذلك فى الماضى فكذا يكون الحال فى المستقبل لقوله وما بى الله الا ان يتم نوره ومنهم من يقول ائذن لى فى القعود ولا تفتنى ولا توقعنى فى الفتنة وهى الاثم بان لا تاذن لى فان ان تخلفت بغير اذنك اثمت احتمل ان يكون قد ذكره على سبيل السخرية او على سبيل الجد بان كان يغلب على ظن ذلك المنافق صدق محمد وان كان غير جازم به بعد وقيل لا تفتنى اى لا تلقنى فى المهلكة فانى ان خرجت معك هلكت مالى وعيالى وقيل قال الجد بن قيس قد علمت الانصار انى مستهتر بالنساء فلا تفتنى ببنات الاصفر يعنى نساء الروم ولكنى اعينك بمالى فاتركنى فاعرض عنه النبى ص وقال قد اذنت لك فنزلت الاية فقال رسول الله ص لبنى سلمة وكان الجد منهم من سيدكم يا بنى سلمة قالوا جد بن قيس غير انه بخيل جبان فقال النبى ص واى داء ادوى من البخل بل سيدكم الابيض الفتى الجعد بشر بن البراء بن معرور الا فى الفتنة سقطوا اى ان الفتنة هى التى سقطوا فيها وهى فتنة النفاق والتمرد عن قبول التكاليف المستتبع لشقاء الدارين ولهذا ختم الاية بقوله وان جهنم لمحيطة بالكافرين اما فى الدنيا فلانها مساكنهم واما فى الاخرة فلما ارتكبوا اسبابها من البغى عليهم بالنفاق وافشاء الاسرار وهتك الاستار وبتحقير المقدار واما فى الاخرة فلما لهم اى الذى لا اسفل من النار والويل ابها الارواح والقلوب المؤمنة ما مصيبتكم وبلواكم اذا قبل لكم بالالهام الربانى اخرجوا من الدنيا وما فيها فى طلب الله والسير اليه انا قلنم الى ارض المدنيا وشهواتها الا تنفروا من سجن الدنيا وقيودها شهواتها بعذبكم عذابا اليما باستيلاء ظلمات الصفات النفسانية وغلبات الاوصاف السبعية والشيطانية وبالبعد عن الحضرة الربانية ويستبدل قوما غيركم من الارواح والقلوب المجاهدة بل من العقول الكاملة المفارقة لا تضروا رسول الوارد الربانى فقد نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا اى المنفوس الامارة الكافرة من ارض القبول ثانى اثنين ثانى النفس الملهمة اذهما فى غار العدم وكلمة الله هى العليا بجعل النفس المطمئنة راجعة ارجعى واصلة الى مقام العندية انفروا ايها الطلاب خفافا مجردين من علايق الاهل والاولاد والاموال وثقالا متلبسين بها اوخفافا مجردين بالعناية وثقالا بالكسب بالهداية وجاهدوا بقدمى بذل الاموال والانفس وقدم انفاق المال لان بذل النفس مع بقاء صفاتها الذميمة غير معتبر ومن صفاتها الذميمة الحرص على الدنيا والبخل بها ذلكم خير لكم لان الحاصل من المال ومن النفس الوجود والبوار والحاصل من الطلب الوصول والوصال لو كان مطلوبك يا محمد عرضا قريبا هو الدنيا ونعيمها وسفرا قاصدا هو تبع شهوات النفس وهواها لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة لانها الخروج من الدنيا والعقبى وسيحلفون بعنى ايبابى المنفوس لخرجنا معكم يا اهل القلوب عفا الله عنك قدم العفو على العتاب تحقيقا لقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر فهم فى ريبهم يترددون بين وصافهم الذميمة النفسانية والحيوانية بلا داعية الخروج الى الانوار الروحانية لا عدوا له عدة وهى متابعة الانبياء فتبطهم حبسهم فى سجن البشرية ما زادوكم الا خبالا اى نهاية اشارة الى ان قعود اهل الطبيعة فى حبس البشرية صلاح لارباب القلوب واصحاب السلوك لانهم لو خرجوا عن بنية صادقة وعزيمة صالحة ما زادوهم الا تشويشا وتفرقة لاقوالهم وافعالهم واحوالهم لقد ابتغوا الفتنة من قبل يعنى ان صفات النفس قبل البلوغ كانت تستخدم الروح فى شهواتها حتى جاء الحق وهو العقل القابل للاوامر الشرع وظهر امر الله وهو التكليف ومنهم من صفات النفس من يقول وهو الهدى ائذن لى فى القعود

عن الارتقاء فى مدارج المعارف والمشارع ولا تقنعى يا روح بتكليفى ما ليس من شانى وذلك ان الهوى مركب المحبة فيستعمله الروح
فى تضاعيد الى ذروة الكمال والوصال الا فى الفتنة سقطوا اى ان فتنة الهبوط هى الفتنة بالحقيقة وان جهنم البعد والقطيعة
من لوازم كفاد النفس ان تصبك حسنة تسؤهم وان تصبك مصيبة يقولوا قد اخذنا امرنا من قبل ويتولوا وهم
وصفانها اعاذنا الله عنها اگر برسد تورا نيكوئى بر جمعيت ما واگر برسد تورا مصيبتى گويند بدرستيكه فراگرفتيم كار خويش را پيش و برگرديم و شادمان

قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولينا وعلى الله فليتوكل المؤمنون قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين
بگو نرسد بما بخوشى خداوند ماست و بر خداى پس بايد كه توكل كنند گروندگان بگو چشم ميداريد مارا مگر يكى از دو نيكو

ونحن نتربص بكم ان يصيبكم الله بعذاب من عنده او بايدينا فتربصوا انا معكم متربصون قل انفقوا طوعا
و ما چشم ميداريم بشما كه برسد شما را خدا عذابى از نزد خود يا بدستهاى ما پس چشم داريد كه ما با شما چشم داران هستيم بگو نفقه كنيد بطوع

او كرها لن يتقبل منكم انكم كنتم قوما فاسقين وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله ولا
يا بكره نپذيرند از شما بدرستيكه شما هستيد گروهى نافرمان و منع نكرد ايشان را كه پذيرند از ايشان نفقات ايشان را مگر انكه ايشان كافر شدند بخدا و برسول او و

يأتون الصلوة الا وهم كسالى ولا ينفقون الا وهم كارهون ولا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله
نمى آيند بنماز مگر و ايشان كاهلان و نفقه نكنند مگر و ايشان كارهان پس بشگفت نيارد ترا اموال ايشان و نه فرزندان ايشان بدرستيكه مى خواهد خدا

ليعذبهم بها فى الحيوة الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون ويحلفون بالله انهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم
تا عذاب كند ايشان را بآن در زندگانى دنيا و هلاك شود نهاى ايشان و ايشان كافر باشند و سوگند ميخورند بخدا كه ايشان از شمايند و نيستند ايشان از شما ولكن ايشان

قوم يفرقون لو يجدون ملجأ او مغارات او مدخلا لولوا اليه وهم يجمحون ومنهم من يلمزك فى الصدقات
گروهى هراسانند اگر يابند پناهى يا غارهائى يا سوراخهائى در زمين هر آينه روى گردانند بآن و ايشان شتابنده اند و از ايشان كسى است كه عيب ميكند ترا در دادن صدقات

فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون ولو انهم رضوا ما اتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا
پس اگر بدهند باين مرد از زكوة راضى شوند و اگر ندهند باين مرد از آن ناگاه ايشان خشم آيند و اگر ايشان راضى شدندى بآنچه داد ايشان را خدا و رسول او و گفتندى بس است ما را

الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله انا الى الله راغبون
خدا از فضل خود و رسول او بدرستيكه بسوى خدا رغبت كنندگانيم

القراءة هل تربصون باظهار اللام وتشديد النون البزى وفى فليح وقراءة حمزة وعلى وهشام مدغما حيث لا يجتمع ساكنان
البافون باظهار اللام وتخفيف النون لن نقبل بالياء التحتانية حمزة وعلى وخلف الباقون بالفوقانية مدخلا بضم الميم وسكون الدال
سهل ويعقوب الباقون بالذال المشددة المفتوحة يلمزك بضم الميم سهل ويعقوب الاخرون بكسرها سوى عباس فانه مخير الوقوف
تسؤهم لابتداء شرط اجمع واو العطف فرحون لنا للابتداء لفظا مع الايجاد معنى هو مولينا لابتداء اخبار من الله او الحكاية
عنهم المؤمنون الحسنيين للاستيناف بعد تمام الاستفهام بأيدينا لوصل صح لان الفاء جواب تربصون منكم فاسقين
كارهون ولا اولادهم كافرون لمنكم يفرقون يجمحون الصدقات للشرط مع الفاء يسخطون ورسوله للى قوله راغبون لان الكل
يتعلق بلو وجواب لو بعد التمام محذوف اى لكان خيرا لهم التفسير هذا نوع آخر من خبث ضمائر المنافقين عن ابن عباس الحسنة فى يوم
بدر والمصيبة فى يوم احد والاولى حمله على العموم اذ معلوم من حال المنافقين انهم كانوا فى كل حسنة وعند كل مصيبة بالوصف الذ
ذكر الله تعالى معنى اخذنا امرنا اى امرنا الذى نحن موسومون به من التيقظ والتحرز وحسن الراى والتدبير ومن قبل اى من قبل ما
وقع ويتولوا اى عن مقام التحدث بذلك الى اهاليهم او اعرضوا عن الرسول وهم فرحون مسرورون ثم امر نبيه ص بان يقول لهم فى
جوابهم لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا قيل اى فى اللوح المحفوظ من خير او شر او خوف او رجا او شدة او رخاء وفائدته انه اذا علم
الانسان ان الذى وقع ممتنع ان لا يقع لان خلاف معلوم الله ومقدوره محال ذال عنه مناز عة النفس وهانت عليه المصائب
وقيل اى فى عاقبة امرنا من الظفر بالعدو واظهار دين الله على كل الاديان فيكون المقصود ان احوال المسلمين وان كانت مختلفة
فى الغم والسرور والدولة والمحنة الا ان العاقبة يكون لهم والظفر يقع من جانبهم فلا معنى لفرح المنافقين فى الحال وقال الزجاج
معناه لن يصيبنا الا ما اختصنا الله به من النصرة علينا او الشهادة وعلى هذا القول يقع منا فى الاية الثانية كالمكره هو لنا
لا يتولى امورنا الا هو يفعل بنا ما يريد من اسباب النجاة والتعازى لا اعتراض لاحد علينا وعلى الله فليتوكل المؤمنون ينبه
على ان المؤمن يجب ان لا يعلق الرجاء الا بارباب الاديان فانهم يتعلقون بالوسايط والاسباب ثم امرهم بجواب ثان فقال هل تربصون
بنا الا احدى الحسنيين التربص التمسك بما يقتضى بمجى حسنة ومنه تربصوا بالطعام اذا تمسك به الى حين زيادة سعره والحسنى تانيث
الاحسن وهى صفة الخاتمة والخصلة او العاقبة يعنى النصرة او الشهادة وفى الاولى احد الغنيمة والظفر بالاعداء وفى الثانية
ابقاء الذكر والفوز بنعم الاخرة ونحن نتربص بكم ان يصيبكم الله بعذاب من عنده قارعة مثل قارعة عاد وثمود وقيل عذاب الله يشمل عذا

التوبة

الدارين او يابينا بعنى القتل بان يظهر نفاقكم ويامر بقتلكم كالكفار الحربي فتربصوا امر الله بنا بخوف قانك انت العزيز الكريم ثم ذكر انهم ان تو بشئ من صورة البر لم يكن له قدر عند الله ولا ينتفعون في الاخرة والغرض ان اسباب الذل والهوان مجتمعة عليهم في الدنيا والاخرى عن ابن عباس نزلت في الجد بن قيس حين قال للنبي ص ائذن لي في القعود وهذا مالي اعينك به ولا يبعد ان يكون السبب خاصا والحكم عاما وانفقوا لفظه امر ومعناه خبر كقوله بنما يجيء استغفرلهم او لا تستغفرلهم ومعناه انفقوا وانظروا هل يتقبل منكم واستغفرلهم او لا تستغفرلهم وانظر هل ترى اختلافا بين حال الاستغفار وتركه ومثله قول كثير لعزة اسيئي بنا او احسني لا ملومة كانه يقول امتحني لطف محلك عندي وعاملني بالاساءة والاحسان وانظر به هل تجدين مني تفاوتا في الحالين وانما يجوز افامة الخبر والطلب احدهما مقام الاخر اذا دل الكلام عليه فبعد عن الاصل افادة المبالغة وانتصب طوعا او كرها على الحال ومعناه طائعين من غير التزام من الله ورسوله او ملزمين من جهتهما وسمي الالزام اكراها لانهم منافقون فكان الزامه اياهم الانفاق شاقا عليهم كالاكراه ويحتمل ان يراد طائعين من غير اكراه من رؤسائكم او ملزمين من جهتهم وذلك ان رؤساء اهل النفاق كانوا يحملونهم على الانفاق اذا راوه فيه مصلحة ومعنى لن يتقبل منكم ان الرسول لا يقبله منكم او انه لا يقع مقبولا عند الله ثم علل عدم القبول بقوله انكم كنتم قوما فاسقين قال الجبائي فيه دليل على ان الفسق يحبط الطاعات واجيب بان الفسق ههنا بمعنى الكفر ولا يلزم منه كون الفسق المطلق كذلك وانما قلنا ان الفسق بمعنى الكفر لقوله سبحانه وما منعهم ان يقبل منهم الا انه علل منع القبول بامور ثلثة واولها الكفر بالله وبرسوله وثانيها ولا ياتون الصلوة الا وهم كسالى قال المفسرون معناه انهم ان كانوا في جماعة صلوا وان كان وحده لم يصل وفيه انه يصلي للناس لا لله وفيه انه غير معتقد للصلوة ووجوبها فلهذا لزم منهم الكفر وثالثها ولا ينفقون الا وهم كارهون وذلك انهم لا ينفقون رغبة في ثواب الله وانما ينفقون لاجل المصالح الدنيوية فهم في حكم الكارهين وان انفقوا مختارين بعد دون الانفاق مغرما ومنعه مغنما خلاف قول رسول الله ص اروا زكوا اموالكم طيبة بها نفوسكم قيل الكفر الله سبب مستقل في منع القبول فكيف ضم اليه الامرين الاخرين والجواب انها امارات ويجوز تواردالامارات المتعددة على شئ واحد وبوجه اخر لطائف كفرهم او لانه بتده بعدم اعتقادهم وجوب الصلوة والزكوة وبعبارة اخرى حكم عليهم بالكفر مطلقا ثم خص من انواع كفرهم هذين تفظيعا لشانهما تارك الصلوة والزكوة قال في الكشاف وقرات في بعض الاخبار ان رسول الله ص كره للمؤمن ان يقول كسلت كانه ذهب الى هذه الاية وان الكسل من صفات المنافقين قال بعض العلماء وجه الجمع بين قوله ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره وبين مضمون هذه الاية وهو ان شيئا من اعمال البر لا يكون مقبولا عند الله مع الكفر هو ان يصرف ذلك الى تاثيره في تخفيف العقاب ولقائل ان يقول لو لم يكن مقبولا بوجه لم يكن له في التخفيف ايضا اثر وقيل في الاية دلالة على ان الصلوة لا تصح للكفار ولا لم يكونوا لانيان بها على وجه الكسل فانا نعلم من يقبل طاعاتهم كاذان قيامهم وقعودهم وسائر تصرفاتهم على وجه الكسل ليس فانا نعلم من لم يقبل بالانفاق ثم لما قطع رجاء المنافقين عن منافع الاخرة اراد ان يبين ان ما يظنونه من منافع الدنيا فهو ايضا في الحقيقة سبب لتعذيبهم وبلائهم وتشديد المحنة عليهم فقال مخاطبا للرسول ثم لكل احد فلا تعجبك الاية ونظيره ولا تمدن عينيك وانما قال فلا تعجبك بالفاء لان ما قبله مستقبل يصلح للشرط اي ان يكن فيهم ما ذكرنا من الاتيان بالصلوة على وجه الكسل وغير ذلك فهذا جزاؤه وهذا بخلاف ما سيجيء في الاية الاخرى من هذه السورة والاعجاب سرور لذة بالشئ مع نوع من الافتخار واعتقاد انه ليس لغيره ما يساويه وابعد من البعيد في حكم الله ان يزيل ذلك الشئ عنه ويحصله لغيره كقوله ما اظن ان تبيد هذه ابدا ولا اشك ان هذه خصلة مذمومة من جهة استغراق النفس في ذلك الشئ وانقطاعها عن الله ومن جهة استتباعها ازالة الشر في قدرة الله ولهذا قال ص ثلث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه والمقصود من الاية زجر الناس عن الانصباب الى الدنيا والمنع من التهالك في تحصيلها فان المستكن الاصلي هو الاخرة لا الاولى وقوله انما يريد الله ليعذبهم اعاده كما مر في قوله يريد الله ليبين لكم قال مجاهد والسدي وقتادة في الاية تقديم وتاخير والتقدير فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم في الحيوة الدنيا انما يريد الله ليعذبهم بها في الاخرة كانهم نظروا الى ان المال والولد لا يكونان عذابا بل هما من نعم الله تعالى على عباده واورد عليه انهما لا يكونان عذابا في الاخرة ايضا فان تكلفوا وقالوا اراد بذلك انهما سبب لعذاب فقد استغنوا عن التقديم والتاخير لانهما قد يكونان سببا للعذاب في الدنيا ايضا وبوجه اخر المال والولد وكذا الاعجاب بهما يكونان في الدنيا لا محالة فاي فائدة في ذكرها واعلم ان الاموال والاولاد قد يكونان سببا للتعذيب في الدنيا والاخرة وذلك ان كل ما كان حبه للشئ اشد كان خوفه عن فواته اكثر وحزنه على فواته اعظم وصاحب المال ابدا اما في خوف فوات المال واما في حزن فواته واما في تعب حفظه وتثميره ثم ان الدنيا حلوة خضرة فاذا كثر ماله انصب بكليته اليه ويقضي له طغيانه وقساوة قلبه الى ان يدعي حب الله وذكر الاخرة ثم ان بقي عليه ذلك الى اخر عمره وعند الموت عظم اسفه على مفارقته وبكان كمن ينتقل من بستان ونعيم الى جحيم وعذ

الحشر يكون حلالا له حسابا وحراما عذابا فثبت ان حصول المال سبب لعذاب النار فمن لا يتصرف فيه بالحق ومثله يكون نارا وكذا الكلام في اولادهم هذا الذي ان كان غالبا للكل لان المنافقين لهم وجوه اختصاص بالتعذيب وذلك ان الرجل اذا كان مؤمنا بالله واليوم الآخر علم انه خلق للآخرة لا للدنيا فيقدر حبه للامور الدنيوية بخلاف المنافق الذي اعتقد ان لا سعادة الا هذه الخيرات العاجلة وايضا ان النبي ﷺ كان يكلفهم انفاق الاموال وبعث الاولاد الى الغزو والجهاد وكانوا لا يعتقدون في ذلك فائدة اخروية وكانوا في شوق تكليف وكانوا مبغضين للنبي ﷺ مع انهم كانوا مضطرين الى بذل المال وبعث الاولاد الى خدمته وكانوا خائفين من افتضاحهم واظهار نفاقهم وتعريض اولادهم واموالهم للنهب والسبي وكثير منهم كان لهم اولاد ابقياء مخلصون كحنظلة بن ابي عامر غسيل الملائكة وكعبد الله بن عبد الله شهيد بدر وكان عند الله بمكان وهم خلق كثير كانوا يريبون طريقا بائهم في النفاق ويقدحون فيهم الا ان اذا صار هكذا ذا وي الاب بسببه لاجل هذه المعاني ذكر بعض العلماء ان المقدر يريد الله ان يزيد في اموالهم ليعذبهم اما قوله ويزهق انفسهم اي تخرج وهم كافرون فقد قالت الاشاعرة فيه دليل على انه تعالى اراد منهم الكفر واورد الجبائي عليه ان المريض اذا قال الطبيب اريد ان تدخل علي في حال المرض لم يلزم منه كونه مريدا للمرض نفسه والجواب ان امثال هذه موكولة الى قرائن الحال ففي قول المريض لا يريد ان المطلوب هو دخول الطبيب فكون الدخول واقعا في تلك الحالة من ضروريات كونه مريضا وهو طبيبه في الآية ليس لمراد زهوق الروح فقط لان المسلم والمنافق في ذلك سيان فالمراد وقوع الزهوق في حالة الكفر فيكون الكفر منهم مرادا بالضرورة وقال في الكشاف المراد الاستدراج بالنعم كقوله انما نملي لهم ليزدادوا اثما كانه قيل ويريدان يديم عليهم نعمه الى ان يموتوا وهم كافرون مشغولون بالتمتع عن النظر للعاقبة ومن قبائح افعال المنافقين ما حكى الله سبحانه عنهم في قوله ويحلفون بالله انهم لمنكم اي على دينكم ثم قال ومنهم منكم اي ليسوا على دينكم ولكنهم قوم يفرقون يخافون القتل فيظهرون الايمان تقية ثم اكد نفاقهم بقوله لو يجدون ملجأ مفرا مخصوصون فيه من عندهم الى انفسهم منكم لفروا اليكم لفارقوكم فلا تظنوا ان موافقتهم اياكم في الدار والمسكن من صميم القلب فيه المغارات جمع مغارة وهو الموضع الذي يغار الانسان فيه ان يستقر والمدخل بالتشديد مفتعل من الدخول ادغمت التاء في الدال لقرب مخرجهما والمدخل يفتعل من الادخال ومعناه المسلك الذي يندس بالدخول فيه قال الكلبي وابن زيد نفق كنفق اليربوع والمراد انهم لو وجدوا مكانا على احد هذه الوجوه مع انها شر الامكنة لولوا اليه يقال ولى اليه بنفسه اذا انصرف وولى عنه اذا صرف وهم يجمحون اي يسرعون اسراعا لا يرد وجوههم شيء ومنه الفرس الجموح لا يرده اللجام والحاصل انهم من شدة نفورهم وتنفرهم من الرسول والمسلمين صاروا بهذه الحالة قال بعض العلماء انه يقال ذكر ثلاثة اشياء والاقرب حملها على المعاني المتغايرة فالملجأ الحصون والمغارات الكهوف في الجبال والمدخل السرب تحت الارض كالابار والله تعالى اعلم ومن جملة قبائحهم قوله ومنهم من يلمزك الآية قال الواحدي لمزت الرجل لمزه والمزه بكسر الميم وضمها اذا عبته وعرفت اللبث فقال اللمز العيب في الحضور والهمز العيب في الغيبة واعلم ان العيب في الصدقات يحتمل وجوها الاول في اخذها بان يقال انتزاع كسب الانسان من يده غير معقول لان الله هو المتكفل بمصالح عبيده ان شاء افقرهم وان شاء اغناهم الثاني ان يقال هب انك تاخذ الزكوات الا ان ما تاخذه كثير فوجب ان تقنع بما قل من ذلك الثالث هب انك تاخذ هذا الكثير الا انك تصرفه الى غير مصرفه فيكون العيب قد وقع في قسمة الصدقات وفي تفريقها وهذا هو الذي دلت الاخبار على انهم اراده عن ابي سعيد الخدري بينا نقسم رسول الله ﷺ بعض غنائم حنين قال لرجل ذي الخويصرة وكان من الخوارج اعدل يا رسول الله فقال ويلك ومن يعدل اذا لم اعدل فقد خبت وخسرت وعن الكلبي هو ابو الجواظ قال لا تزدن الصاحبكم انما يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم وهو يزعم انه يعدل فقال رسول الله ﷺ لا ابا لك اما كان موسى راعيا اما كان داود راعيا فلما ذهب قال رسول الله ﷺ احذروا هذا واصحابه فانهم منافقون وميل هم المؤلفة قلوبهم ثم بين ان تحبيبهم ذلك وسخطهم لاجل نصيب نفسهم لا للدين فقال فان اعطوا منها رضوا وذلك ان رسول الله ﷺ استعطف قلوب اهل مكة بوسائل بتوفيرا لغنائم عليهم فضجر المنافقون ومعنى اذا هم يسخطون فهم يسخطون وفائدة ان يعلم ان الشرط مفاجئ للجزاء ومهجم عليه ثم ارشدهم الى ما هو صلاحهم في نفس الامر فقال ولو انهم رضوا الآية ورتبه على اربع مراتب الاولى الرضا بما اتاهم الله ورسوله لعلمهم بانه تعالى حكيم يعلم عواقب الامور فكلما كان حكما له وقضاء منه كان حقا وصوابا ولا اعتراض عليه الثانية ان يظهر اثر ذلك الرضا على لسانه وهو قولهم حسبنا الله كفانا فضله وصنعه لغيرنا المال ولنا الرضا والتسليم وذكر المحيي الثالث ان نزل من هذه المرتبة العالية كان واثقا بان الله لا يهمله وسيعوضه من فضله في عنيمة اخرى الرابعة الرغبة الى الله بان المقصد الصحيح والمقصود الاصلي من الايمان والطاعة والمال والمنال هو رضوان الله عليه الصلوة والسلام يقوم يذكرون الله فقال لها الذي يحكم عليه قالوا الخوف من عقاب الله فقال لاصبتم ومر على قوم آخرين يذكرون فقال لها الذي حكم عليه فقالوا الرغبة في الثواب فقال اصبتم ومر على قوم ثالث مشتغلين بالذكر فسالهم فقالوا لا نذكره للخوف من العقاب ولا للرغبة في الثواب بل لاظهار ذلة العبودية وعزة الربوبية وشرف القلب بمعرفته وشرف اللسان بذكره فقال انتم المحقون الناديل ان تصبك يا روح حسنة من علو طف الحق تحزن النفس

التوبة ٩

وصفاتها وبما تنطفر الروح عليها وان تصبك مصيبة من النوائب والقواطع اخذنا نصيبنا من المرائع الحيوانية لما خافنا في سبب
الى العالم الروحاني فقل يا روح لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا الا علينا فان الفقرات والوقفات للتربية لا للرد والنظر وقل هل
بنا ايها النفس وصفاتها الا احدى الحسنيين اما حسنا والعواطف الربانية والوقفة والفقرة الموجبة لحسن التربية بعذاب من
عنده هو الابتلاء بالمصائب من الخوف والجوع وغيرهما او بايدينا بالمنع من المخالفات وبكثرة الرياضات والمجاهدات طوعا
او بناء وكرها اى نفاقا لن يتقبل منكم لان اعمال اللسان وغيره من الجوارح من غير عمل القلب ليست بمقبولة وان كان عمل
القلب بدون الجوارح معفوا لقوله عليه السلام نية المؤمن ابلغ من عمله وباقى الايات اشارات الى ان من امارات النفاق عدم الرضا بقسمة
الخلاق وحالها انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم والغارمين وفي سبيل الله
المخلصين لله ابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن قل اذن
خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين امنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم
يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله احق ان يرضوه ان كانوا مؤمنين الم يعلموا انه من يحادد الله
ورسوله فان له نار جهنم خالدا فيها ذلك الخزي العظيم يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم
بما في قلوبهم قل استهزءوا ان الله مخرج ما تحذرون ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب قل
أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم ان نعف عن طائفة منكم
نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن
المعروف ويقبضون ايديهم نسوا الله فنسيهم ان المنافقين هم الفاسقون وعد الله المنافقين والمنافقات
والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم كالذين من قبلكم كانوا اشد منكم
قوة واكثر اموالا واولادا فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم
وخضتم كالذي خاضوا اولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة واولئك هم الخاسرون كلاهما بالرفع
وبالرفع لم تعلموا بتاء الخطاب جبلة عن المفضل الباقون بياء الغيبة ان نعف نعذب كلاهما بالنون ونصب طائفة عاصم عنه
المفضل الباقون على البناء للمفعول بناء الغيبة في الاول وتاء التانيث في الثاني الوقوف وابن السبيل اى فرض الله فريضة من
الله حكيم هو اذن اذنوا منكم الم يرضوكم لاحتمال الواو الحال والاستيناف ومؤمنين خالدا فيها العظيم بما في قلوبهم استهزءوا
لاحتمال ان للتعليل يحذرون ونلعب نستهزئ بعد ايمانكم محرمين من بعض كلاهما بتاء الجملة صفة لبعض المنافقين والهاء صفة
لكلهم ايديهم فنسيهم الفاسقون فيها حسبهم لاختلاف النظم مع اتحاد المقصود في تمام الجزاء ولعنهم الله لذلك مقيم بناء على تعلق
الكاف واولادا خاضوا والاخرة الخاسرون التفسير ان المنافقين لما مزوا الرسول في قسمة الصدقات بين لهم الله سبحانه مصرفها
كيلا يبقى لهم طعن اذ وجدوا فعله موافقا لحكم الله فقال انما الصدقات الاية وفي تصدير الكلام بانما دلالة على انه لا حق لاحد
في الصدقات الا لهؤلاء وتؤيده ما روى انه عليه السلام قال لرجلان كنت من الاصناف الثمانية فلك فيها حق والا فهو صداع في الراس
وناهيك في البطن ونتكلم في تعريف هؤلاء الاصناف فالاول والثاني الفقراء والمساكين ولا شك ان كلا من الصنفين محتاجون

ع ١٥

الفاء
التعقيب

[illegible] فى انهما متساويا الدلالة او احدهما اسوء حالا عن ابى يوسف ومحمد والجبائى انهما واحد حتى لو اوصى لزيد وللفقراء والمساكين بمال كان لزيد النصف لا الثلث قال الجبائى انه تعم ذكرهما باسمين ليؤكد امرهم فى الصدقات والفائدة ان يصرف اليهم من الصدقات سهم الاكثار لهم وعند الشافعى الفقير اسوء حالا لانه تعم اثبتا الصدقات لهؤلاء الاصناف رفعا لحاجاتهم فالذى وقع الابتداء بذكره يكون اشد حاجة لان الظاهر تقديم الاهم على المهم ومما يدل على اشعار الفقر بالشدة العظيمة قولهم اظن ان يفعل به فاقرة فجعل الفاقرة كناية عن اعظم انواع الشر والدواهى وروى انه ﷺ كان يتعوذ من الفقر ويقول اللهم احينى مسكينا وامتنى مسكينا واحشرنى فى زمرة المساكين فكانه سال توسط الحال ولهذا المانوفى رسول الله ﷺ ترك اشياء معلومة مع انه تعم اجابت غائر ظاهرا فانه مسكينا وتقييده تعم المسكين بقوله ذا مترية يدل على ان المسكين قد لا يكون كذلك وقال تعم اما السفينة فكانت لمساكين وكان ابن عباس يفسر الفقير بانه الذى لا يجد شيئا كاهل الصفة والمسكين بانه الطواف الذى يسال الناس فى الغالب انه يحصل له منهم شئ وقريب منه قول من قال سمى مسكينا لانه لدوام السكون الى المناس ولما كان المسكين هو السائل فقد فالمحروم فى قوله سبحانه وفى اموالهم حق للسائل والمحروم هو الفقير صاحب الحرمان واتفق الناس على ان الفقر ضد الغنى ولم يقل احد ان الغنى والمسكنة ضدان فلعل النزع هو ضد التمكن وقال ابو حنيفة المسكين اسوء حالا لقوله تعم او مسكينا ذا مترية وقد تقدم الكلام عليه لانه تعم جعل الكفارات من الاطعمة لرؤس الفاقرة اعظم من الجوع ونقل الاصمعى عن ابى عمرو بن العلاء ان الفقير الذى له ما يأكل والمسكين هو الذى لا شئ له وقال يونس قلت لاعرابى افقير انت قال لا والله بل مسكين وقيل سمى مسكينا لانه ليس كحيث يحضر لاجل انه لا بيت له ولا منزل واجيب بانه تعالى جعل الكفارة للمسكين ذى المترية وهو الفقير بعينه وانما النزاع فى المسكين المطلق والروايات متعارضة بما شاء الله واما على الصنف الثالث العاملون على الصدقات وهم السعاة الجباة للصدقة قال البر عمر وابن الزبير والشافعى يعطى هؤلاء اجورا مثلهم لانها اجرة للعمل وقال مجاهد والضحاك يعطون الثمن من الصدقات لانهم صنف من الثمانية والصحيح انا لهاشمى والمطلبى لا يجوز ان يكون عاملا على الصدقات لان رسول الله ﷺ لما بان يبعث ابا رافع عاملا على الصدقة وقال انما علمت ان مولى القوم منهم وفائدة التعديد بعلى التسليط والولاية فلان على بلدة كذا اذا كان واليا عليها واختلفوا فى ان الامام هل له حق لانه هو العامل فى الحقيقة او لاجل الحرز وحبر عن الاصناف والجمهور على ان العامل يأخذ نصيبه وان كان غنيا لان ذلك اجرة عمله وعن الحسن لا يأخذ لانه تم الحاجة الصنف الرابع المؤلفة قلوبهم عن ابن عباس هم قوم اشراف من الاحياء اعطاهم رسول الله ﷺ يوم حنين وكانوا خمسة عشر رجلا منهم ابو سفيان والاقرع بن حابس وعيينة بن حصين اعطى كل واحد منهم مائة من الابل قال العلماء لعل مراد ابن عباس انه لا يمتنع فى الجملة صرف الاموال الى المؤلفة والا فلم يكن ما اعطاهم من الصدقات وبرؤى ان ابا بكر الصديق اعطى عدى بن حاتم لما جاؤه بصدقات قومه ايام الردة والذى استقر عليه راى الائمة ان المؤلفة ثلثة اقسام ضعيف النية فى الاسلام ويرهب باعطائه بتوقع اسلام نظرائه والمتالف على جهاد من يليهم من الكفار ومانعى الزكوة حيث يكون ذلك هو الاهم من بعث جيش يعطى كل واحد منهم ما راى الامام باجتهاده هذا كله اذا كانوا مسلمين فاما الكفار الذين يميلون الى الاسلام فيعينون فيه باعطاء مال والذين يخاف شرهم ينالهم فلا يعطون شيئا من الزكوة وكان النبى ﷺ يعطيهم من خمس الخمس لان لا يعطون اصلا لقوة الاسلام والاستغناء عن تالفهم ولانه ليس فى الاية دلالة على ان المؤلفة يجوز ان يكونوا من الكفار فلا ينبغى ان يقال ان حكم الاية منسوخ الصنف الخامس قوله وفى الرقاب قال الزجاج تقديره وفى فك الرقاب والائمة فى تفسيرها قولان عن ابن عباس انهم المكاتبون وهو مذهب الشافعى قال اذا عجزوا عن اداء النجوم بان لا يكون لهم شئ او لا يفى ما فى ايديهم بنجومهم صرف اليهم او الى سيدهم باذنهم ما يعينهم على العتق وقال مالك واحمد واسحق المراد انه يشترى به عبيد فيعتقون وعن ابى حنيفة واصحابه وهو قول سعيد جبير لا يعتق من الزكوة رقبة كاملة ولكن يعطى منها فى رقبة ويعان بها مكاتب لان قوله وفى الرقاب يقتضى ان يكون له فيه مدخل وذلك بنافى كونه تاما فيه وقال الزهرى سهم الرقاب نصفه للمكاتبين المسلمين ونصفه يشترى به رقاب من صلوا وصاموا وقد اسلموا ثم يعتقون قال المصرفون انما عدل عن اللام الى فى الاصناف الاربعة الاول ليصرف المال اليهم حتى يتصرفوا فيه كما شاؤا وفى الاربعة الاخيرة لا يصرف المال اليهم بل يصرف الى جهات الحاجات المعتبرة فى الصنف التى لاجلها استحقوا سهم الزكوة ففى الرقاب يوضع نصيبهم فى تخليص رقابهم عن الرق او الاسر ولا يدفع اليهم وفى الغارمين يصرف المال الى قضاء ديونهم وفى الغزاة يصرف المال الى كل ما يحتاج اليه الغزو وفى ابن السبيل كذلك يصرف الى ما يبلغه المقصد وقال فى الكشاف انما عدل بالابتداء بانهم ارسخ فى استحقاق الصدقة عليهم من سبق لان فى الوفاء فيه بر على انهم احقاء بان يجعلوا مصبا للصدقات وتكريره فى قوله وفى سبيل الله [illegible] لمذهب ابى حنيفة فى الغارمين الصنف السادس الغارمون قال الزجاج اهل الغرم لزوم وما يستحق [illegible] لازما ولان معزما للنساء وسمى الدين غرما لانه شاق لازم والغارمون المديونون والدين

التوبة

ان حصل بسبب معصية لم يدخل في الاية لانا لمعصية لا تستوجب الاعانة وان حصل لا بالمعصية فهو مقصود الاية سواء حصل بسبب نفقات ضرورية او لاصلاح ذات البين وان كان متمولا او الضمان ان اعسر هو والاصيل وكل داخل في الاية دون الاصم في تفسيره انه ص لما قضى بالغرة في جنين قال الغاصلة لا اهلك الغرة يا رسول الله فقال لمحمد بن مسلمة اعنهم بغرة من صدقاتهم وكان حمل على الصدقة هو مستدل وانما يعطى الغارم قدر دينه ان لم يقدر على شئ وان قدر على بعض اعطى الباقي الصنف السابع قوله في سبيل الله يعني الغزاة قال الشافعي يجوز للامام ان ياخذ من مال الصدقات وان كان غنيا وهو مذهب مالك واحمد واسحق وابي عبيد وقال ابو حنيفة لا يعطى الغازي الا اذا كان محتاجا وظاهر لفظ الاية لا يوجب القصر على الغزاة فلهذا نقل القفال عن بعض الفقهاء انهم اجازوا صرف الصدقة الى جميع وجوه الخير من تكفين الموتى وبناء الحصون وعمارة المساجد لان كلها في سبيل الله الصنف الثامن ابن السبيل وهو المسافر فله الاجل معصية يعطى ما يبلغ المقصد وموضع ماله ان كان له في الطريق مال قال الشافعي ويعطى في المسافر الشاخص من وطنه او من بلد كان مقيما به منشأ للسفر او الغريب المجتاز ببلدنا والله اعلم ولنذكر طرفا من احكام هذه الاصناف الحكم الاول اتفقوا على دخول الزكوة الواجبة في قوله انما الصدقات لقوله في موضع اخر خذ من اموالهم صدقة ولقوله ص ليس فيما دون خمسة اوسق صدقة واختلفوا في الصدقة المندوبة فمنهم من قال يدخل والفائدة ان تعلم ان مصارف جميع الصدقات ليست الا هؤلاء الاصناف والاقرب اختصاص الاية بالواجبة لدخول لام التمليك في الاصناف والصدقة المملوكة لهم ليست الا الزكوة تدل على الحصر في الاصناف الثمانية والصدقة المندوبة يجوز صرفها الى وجوه اخر كالمساجد والمدارس وتجهيز الموتى وكان الصدقات ينصرف الى معهود سابق وهو الصدقات الواجبة في قوله ومنهم من يلمز ك في الصدقات الحكم الثاني في الاية دلالة على ان الزكوة انما يتولى اخذها الامام او نائبه لانه تع جعل للعاملين سهما منها والعامل هو الذي نصبه الامام لاخذ الزكوات ويتاكد هذا النص بقوله خذ من اموالهم صدقة فالقول بان المالك يجوز له اخراج زكوة الاموال الباطنة بنفسه انما يعرف بدليل اخر كقوله ص في اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم واذا كان حقا لهما وجب ان يجوز دفعه اليه ابتداء واذا كان الامام جائرا فالتفريق بنفسه افضل الحكم الثالث مذهب ابي حنيفة انه يجوز صرف الصدقة الى بعض هؤلاء الاصناف وهو قول عمر وبن حذيفة وابن عباس وسعيد بن جبير وعطا وابي العالية والنخعي لانه تعالى جعل جملة الصدقات لهؤلاء الثمانية فلا يلزم ان يكون كل جزء من اجزاءها كصدقة زيد مثلا موزعا على كل واحد منهم ولان الرجل الذي لا يملك الا عشرين دينارا فاخرج نصف دينار لو كلفناه ان يقسمه على اربعة وعشرين لوقع كل ثلثة منها الى ثلثة من كل صنف صار كل قسم حقيرا صغيرا غير منتفع به وهم معتبر وعن سعيد بن جبير لو نظرت الى اهل بيت من المسلمين فقراء متعففين فخبرهم بما كان احب الي وقال الشافعي لا بد من صرفها الى الاصناف الثمانية وهو قول عكرمة والزهري وعمر بن عبد العزيز واحتجوا عليه بان الله تع ذكر هذه القسمة في نظم الكتاب ثم اكدها بقوله فريضة من الله وهو في معنى المصدر المؤكد لان قوله انما الصدقات للفقراء في قوة قوله فرض الله الصدقات لهم وهذا كالزجر عن مخالفة الاية وعن النبي ص ان الله تبارك وتع لم يرض بقسمة ملك مقرب ولا نبي مرسل حتى تولى قسمتها بنفسه ثم ختم الاية بقوله والله عليم اي بتقدير الاصلح والمصالح حكيم لا يفعل الا ما هو الاصوب الاصلح وكل هذه المؤكدات دليل على وجوب الاحتياط في صرف الزكوة ومن ههنا قال الشافعي لا بد في كل صنف من ثلثة لانه تع ذكر اكثر الاصناف بلفظ الجمع ثلثة فان دفع نصيب الفقراء الى اثنين عزم للثالث قال ممول على الاقيس لان الثالث كان للتفضل فاذا الصنف جاز للمالك لانا لعدد من كل صنف غير محصور فيصعب اعتبار التسوية بخلاف التسوية بين الاصناف لانهم محصورون فيسهل التسوية بينهم الحكم الرابع العامل المؤلفة قلوبهم مفقودان في زماننا فيقال ان يصرف الزكوة الى الاصناف الستة الباقية كما لو فقد بعض الاصناف في بلد فانه يصرف الى الباقين ولا يؤمر بالنقل الى بلد وجد وا فيه جميعا والاحوط رعاية التسوية بينهم على ما يقوله الشافعي فاما اذا لم يفعل ذلك فانه مجزئ عند سائر الائمة اما الحكمة في ايجاب الزكوة فهو ان المال محبوب بالطبع لان القدرة من صفات الكمال والمال سبب لحصول القدرة على المشتهيات والمارب لكن الاستغراق في حبه يذهل النفس عن حب الله وعن التاهب للاخرة فاقتضت الحكمة الالهية تكليف مالك المال اخراج طائفة منه كسرا للنفس ومنعا من اضباطها بالكلية اليه فايجاب الزكوة علاج صالح لازالة مرض حب الدنيا عن القلب وهو المراد من قوله تخذ من اموالهم صدقة تطهرهم اي عن دنس الاستغراق في حب المال وايضا ان كثرة الاموال يوجب القوة والقدرة والشدة وتزايد تلك اللذات يدعو الانسان الى تحصيل الاموال المتزايدة فيصير المسئلة دورية لا مقطع لها ولا اخر فاثبت الشرع لها مقطعا واخرا وهو صرف طائفة من المال في طلب مرضاة الله ليصرف النفس عن ذلك الطريق الظلماني الذي لا اخر له ويقضي في الاغلب الى الطغيان وقساوة القلب وايضا النفس الناطقة لها قوتان نظرية وكمالها في التعظيم لامر الله وعلمه وكمالها في الشفقة

على خلق الله فاوجب الله ان زكوة ليتصف جوهر الروح بهذا الكمال ويصير بسبب ذلك محببا الى الخالق وامداده بالدعا
والهمة وايضا المال سمي مالا لكثرة ميله الى كل احد وهو غادر رايح سريع الزوال مشرف على التلف والبوار فاذا انفقه لوجه الله بقي
بقاء لا يمكن زواله وفي انفاق المال تشبيه بالجريان والمفارقة وليس الغنا لا عن الشئ لا بر لان الاستغناء عن الشئ صفة
الحق والاستغناء بالشئ صفة المخلوق بين العاجزين ففي الامر بالزكوة نقل للانسان من درجة ادنى الى درجة اعلى وايضا
للانسان روح وبدن ومال فاذا بذل الروح في الاستغراق في بحار معرفة الله وبذل البدن في العبودية لله والصلوة له فكيف
يليق به ان لا يبذل المال في ابتغاء مرضاته وايضا اذا فضل له المال عن قدر الحاجة وحصر انسان اخر محتاج فهنا حصل سببا
كل واحد منهما يوجب تملك ذلك المال اما في حق المالك فهو انه سعى في اكتسابه وتحصيله وتعلق قلبه به واما في حق الفقير فلاجتماع
الموجب للتعلق به فلما وجد هذان السببان المتدافعان اقتضت حكمة الشارع رعاية كل منهما بقدر الامكان ورجح جانب
المالك لان له حق الاكتساب وحق التعلق فابقى عليه الكثير وامر بصرف جزء يسير الى الفقير توفيقا بينا لامرين وجمعا بين
المصلحتين مع رعاية المال عن التعطيل فلا معطل في الوجود وايضا الاغنياء خزان الله لان المال مال الله وهم عبيده ولولا
انه القاها في ايديهم لما ملكوا منها حبة فكم من عاقل لا يملك ملأ بطنه وكم من غافل يابه الدنيا عفوا صفوا ولئن استبعد
ان يقول الملك لخزانه اصرفوا طائفة من مال خزانتي الى المحتاجين من عبيدي وايضا الاغنياء لو لم يلتزموا اصلاح
حاجات الفقراء فربما حملهم شدة الحاجة على تحصيل المال من وجوه منكرة كالسرقة ونحوها او على الالتحاق باعداء المسلمين
وقالت الانبيان نصف الايمان نصف صبر ونصف شكر وكان الله تعالى يقول للغني اعطيتك المال فشكرت وضربت من الشاكرين
فاخرج من يدك نصيبا منه حتى يصبر على فقدان المال فضربت من الصابرين ويقول للفقير ما اعطيتك الاموال الكثيرة فصبرت
فضربت من الصابرين ولكني اوجبت على الغني ان يصرف اليك طائفة من المال لتشكرني فتكون من الشاكرين وايضا اراد الله سبحانه
ان يكون الغني منعما على الفقير بما يؤديه اليه ويكون الفقير منعما على الغني بما قبله منه ليحصل الخلاص في الدنيا من الذم والعار
وفي الاخرة من عذاب النار ثم حكى نوعا اخر من فضايح المنافقين وهو انهم كانوا يقولون لرسول الله صلعم على وجه الطعن والذم
هو اذن عن ابن عباس كانوا يؤذون النبي صلعم ويقولون ما لا ينبغي فقال بعضهم لا تفعلوا فانا نخاف ان يبلغه ما نقول فنأتيه
نحلف له انا ما قلنا شيئا فقالوا نعم فانما محمد اذن سامعة فقال الجلاس بن سويد نقول ما شئنا ثم نأتيه فيصدقنا بما نقول فانما محمد
اذن سامعة فنزلت الاية وقال محمد بن اسحق بن يسار وغيره نزلت في رجل من المنافقين يقال له نافل بن الحرث وكان رجلا
احمر العينين اسفع الخدين مشوه الخلقة وهو الذي قال فينا النبي صلعم من اراد ان ينظر الى الشيطان فلينظر الى نافل بن الحرث وكان
ممن حدث النبي صلعم الى المنافقين فبلغه لا تفعل فقال انما محمد اذن من حدثه شيئا صدقه يقول ما شئنا ثم نأتيه فنحلف له فيصدقنا
وقال السدي اجتمع ناس من المنافقين فيهم جلاس بن سويد بن الصامت ووديعة بن ثابت فاراد وان يقعوا في النبي صلعم وعندهم
غلام من الانصار يدعى عامر بن قيس فحقروه فتكلموا وقالوا ان كان ما يقوله محمد حقا لنحن شر من الحمير فغضب الغلام وقال
والله ان ما يقول محمد حقا وانكم لشر من الحمير فمشى الى النبي صلعم فاخبره فدعاهم فسالهم فحلفوا ان عامرا كاذب وحلف عامر انهم كذبة
وقال اللهم لا تفرق بيننا حتى تبين صدق الصادق من كذب الكاذب فنزلت الاية ان قال علماء اللغة الاذن الرجل الذي
يصدق بكل ما يسمع ويقبل قول كل احد سمي بالجارحة التي هي الة السماع كان جملة اذن سامعة ومثله قولهم للرئية عين فسمي
ايذاؤهم النبي صلعم بقولهم له هو اذن وذلك انهم قصدوا به المدح وانه ليس كذلك ولا بعد عندي بل هو سليم القلب سريع
الاعتقاد بكل ما يسمع ويحلفان يريد بها الايذاء انواع اخر سوى هذا القول اي يؤذونه بالعيبة والنميمة وسائر انواع الايذاء
ويقولون في وجهه الاعتذار عن ذلك هو اذن يقبل كلما يسمع فنحن نأتيه فنعتذر اليه فيسمع عذرنا فيرضى ثم انه سبحانه رد
عن قولهم فقال قل اذن خير لكم بالاضافة كقولهم رجل صدق يريدون الجودة والصلاح ويجوز الاضافة هو الملابسة كانه قيل
نعم هو اذن في الخير والحق وبما يجب سماعه وقبوله وليس باذن في غير ذلك ويؤيده قراءة حمزة ورحمة بالجر عطفا عليه عطف
الخاص على العام اي هو اذن خير ورحمة لا يسمع ولا يقبل غيرهما ثم بين كونه اذن خير بانه يؤمن بالله اي يقر به ويعترف
بوحدانيته لما قام عنده من الادلة ويؤمن للمؤمنين بسلم لهم قولهم لوثوقه بقولهم وعلمه باخلاصهم لا لكونه من اهل اللغة
والبلة وهو رحمة للذين امنوا منكم باللسان دون الجنان لانه يجري امركم على الظاهر ولا يبالغ في التفتيش عن بواطنكم فان الله
هو الذي يتولى السرائر وهذا خبر الا بقوله والذين يؤذون رسول الله صلعم عذاب اليم واما من قرا اذن خير بالرفع فيهما فعلى ان
خبر مبتدا محذوف اي هو اذن خير لكم اي هو اذن موصوف بالخيرية في حقكم لانه يقبل معاذيركم ويتغافل عن
جهالاتكم فيحفظ بذلك دماءكم واموالكم وقيل التقدير قل اذن واعية سامعة للحق خير لكم من هذا الطعن الفاسد ثم

التوبة

وتقدير ه

ذكر بعده ما يدل على فساد هذا الطعن وهو قوله يؤمن بالله الى آخره ووجه ثالث ذكره صاحب النظم واستحسنه الواحدي وهو ان قوله اذن وان كان رضا في الظاهر لكنه يضاد الحقيقة على الحال وتأويله قل هو اذن خير لكم ثم ذكر ان من قبائح المنافقين اقدامهم على الايمان الكاذبة فقال يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله احق ان يرضوه اى كان من الواجب ان يرضوا الله تعالى بالاخلاص والتوبة لا باظهار ما يسترون خلافه وانما لم يقل يرضوهما تعظيما لله بالافراد بالذكر او لان المراد والله احق ان يرضوه ورسوله كذا ووقع الاكتفاء بذكر الله لان رضى الله ورضى رسوله شئ واحد كما بقي احسان زيد واجماله بعشق ومعنى ان كنتم مؤمنين اى بزعمكم ثم وبخهم بقوله الم يعلموا وذلك انه يقال لمن يولع في تعليم مدة ثم لم يظهر عليه اثر العلم والرشد وكما النبي ص طال مكثه فيهم وكثر تحذيره عن المعصية وترغيبه في الطاعة والضمير في قوله انه للشان وفائدته مزيد التعظيم والتهويل والمحادة المخالفة لان كلا منهما في حد غير حد صاحبه كالمشاقة لان كلا منهما في شق اخر وقال ابو مسلم هي من الحد بمعنى المنع ثم ذكر في الجزاء وقوله فان له بالفتح اى فحق ان له نار جهنم وقيل ان مكرر للتاكيد والتقدير فله نار جهنم وقيل فان معطوف على انه وجواب من محذوف وهو هلك قال الزجاج يجوز كسر ان على الاستيناف بعد الفاء ولكن القراءة بالفتح ونقل الكعبي في تفسيره انه قرا بالكسر قال السدي يغفر المنافقين والله اردت الى قدمت فجلدت مائة جلدة ولا ينزل فينا شئ فيفضحنا فانزل الله تعالى يحذر المنافقون وقال مجاهد كانوا يقولون القول بينهم ثم يقولون عسى ان لا يفشى علينا سرنا فنزلت والضمير في عليهم وفي نبئهم للمؤمنين وفي قلوبهم للمنافقين لان السورة اذا نزلت في معناهم فهي نازلة عليهم وكانها تخبرهما في بواطنهم وبذبع عليهم اسرارهم قيل المنافق كافر فقبل يحذر نزول الوحي لانه غير قابل به واجيب انهم عرفوا ذلك بالقرينة او لكفرهم كان كفرهم عنادا وكانوا شاكين في صحة نبوته والشاك في امر خائف من وقوعه او هذا الخبر في معنى الامر اى ليحذر المنافقون عن ايذاء مسلمانهم اظهروا هذا الحذر على سبيل الاستهزاء ولهذا اجابهم الله بقوله استهزؤا وهو امر تهديد بان الله مخرج ما تحذرون يظهره بالفضيحة وبنزول العذاب عليكم او بحصول الزلة لان الشئ اذا حصل بعد عدم فكان فاعله اخرجه من العدم الى الوجود فقيل وان سالتهم الاية عن ابن عمر ان رجلا من المنافقين قال في غزوة تبوك ما رايت مثل هذه القراء ارغب بطونا اى اوسع ولا اكذب السنا ولا اجبن عند اللقاء يعني رسوله واصحابه فقال واحد من المؤمنين كذبت وانت منافق ثم ذهب لينخبر رسول الله فوجد القران قد سبقه فجاء ذلك الرجل الى رسول الله ص وقد ارتحل وركب ناقته فقال يا رسول الله انا كنا نلعب ونتحدث بحديث نقطع به عنا الطريق قال ابن عمر رايت عبد الله بن ابي بشد قدام رسول الله ص والحجارة تنكبه وهو يقول انما كنا نخوض ونلعب فقال النبي ص بالله وايانه وبرسوله كنتم تستهزؤن ما يلتفت اليه ولا يزيد عليه وقال الحسن وقتادة بينا رسول الله ص يسير في غزوة تبوك وركب من المنافقين يسيرون بين يديه فقالوا انظروا الى هذا الرجل يريد ان يفتح قصور الشام وحصونها هيهات هيهات فاطلع الله عز وجل نبيه على ذلك فقال احبسوا على الركب فاتاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا يا رسول الله ص انما كنا نخوض ونلعب قال الواحدي اصل الخوض الدخول في مايع مثل الماء والطين ثم كثر حتى اطلق على كل دخول فيه تلويث واذى كما نخوض في الباطل كما نخوض لنقطع الطريق ثم امر نبيه بان يقول في جوابهم بالله اى بتكلانه وبالسمائه او بقدرته حيث استبعدتم خيانة النبي ص واصحابه على فتح قصور الشام وايانه يعني القران ورسوله كنتم تستهزؤن اعتبا باعتذارهم فجعلوا كانهم معترفون بوقوع الاستهزاء منهم فاوقع الانكار على الاستهزاء بالله بان اول الاستفهام الذي يفيد التقرير بالمستهزا به ولم يقل تستهزؤن بالله ثم قال لا تعتذروا نقل الواحدي عن ائمة اللغة ان معنى الاعتذار محو اثر الذنب وقطعه من قولهم اعتذر المنزل اذا درس واعتذر المياه اذا انقطعت ومنه عذرة الجارية لانها تعتذى تقطع والعذر سبب لقطع اللوم لهذا لم يقبل الله عن الاعتذار بالخوض واللعب لان الشئ الذي يوجب الكفر لا يصلح للعذر ثم بين ذلك بقوله قد كفرتم اى صرتم بعد ايمانكم كافرين بعد الايمان الذي اظهرتموه وفيه ان الاستهزاء بالدين كيف كان كفر بالله صريح لان المعرفة الكبرى في الايمان هو التعظيم لامر الله ولشرايعه نعف عن طائفة منكم ذكر المفسرون انهم كانوا ثلثة استهزا اثنان وضحك الثالث ولما كان ذنب الضاحك اخف لانه لم يوافق القوم في الكفر فلا جرم عفا الله عنه وفيه اشارة الى انه من خاض في عمل باطل فعليه ان يجتهد في التقليل ويحذر من الاتيان فانه يرجى له بتركه ذلك التقليل ان يعفو الله عنه الكلبي قال الزجاج الطائفة في اللغة الجماعة لانها الذي يمكن ان يطيف بالشئ ثم يجوز ان يسمى الواحد بالطائفة قال تعالى وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين واقل الواحد وروى الفراء باسناده عن ابن عباس انه قال طائفة الواحد فما فوقه ووجه بان من اختار مذهبا فانه يضيفه ويذب عنه من كل الجوانب فلا يبعد ان يسمى طائفا بهذا السبب والباء للسببية الغزوي قال ابن الانباري العرب قد توقع لفظ الجمع على الواحد وقال تعالى الذين قال لهم الناس يعني نعيم بن مسعود ثم علل كونه معذبا للطائفة الثانية بانهم كانوا مجرمين اى مصرين مستمرين على الجرم ويجوز ان يكون سبب العفو عن الطائفة الاولى

احداثهم التوبة واخلاصهم الايمان بعد النفاق ويجوز ان يراد بالعذاب العذاب العاجل ومن قرأ ان يعف على البناء للمفعول والتذكير فلانه مسند الى الظرف كما تقول سير بالذبيرون سيرت وقرئ بالتاء على ذهابا الى المعنى كانه قيل ان ترحم طائفة ثم ذكر جملة احوال المنافقين وان اناسا منهم في ذلك كذكورهم فقال المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض اى في صفة النفاق واريد بهذا نفي ان يكونوا من المؤمنين وتكذيبهم في قولهم انهم لمنكم وتقرير قوله وما هم منكم ثم فصل ذلك المجمل ببيان مضادة حالهم لحال المؤمنين فقال يامرون بالمنكر وهو كل قبيح عقلا او شرعا واعظم ذلك الاخلاص في الايمان ويقبضون ايديهم عن كل واجب كصدقة او زكوة او انفاق في سبيل الله وهذا اولى ليتوجه الذم بترك وقبض الايدي كناية عن الشح والبخل كبسطها في الكرم والسخاء نسوا الله اغفلوا امره وتركوا ذكره وذلك ان النسيان الحقيقي لا يتوجه عليه الذم فنسيهم جازاهم بان صيرهم بمنزلة المنسي من ثوابه ورحمته وهذا على سبيل المزاوجة والطباق وانما جعل النسيان عبارة عن ترك الذكر لان من نسي شيئا لم يذكره فدل بذكر الملزوم على اللازم ثم قال ان المنافقين هم الفاسقون وفيه دليل على انهم هم الكاملون في الفسق وان على المسلم ان يحترز عما يكسبه هذا الاسم ثم بين حال اهل النفاق والكفر فقال وعد الله الاية ومعنى خالدين فيها مقدرين الخلود فيها قاله في الكشاف ويحتمل ان يراد مستاهلين للخلود هي حسبهم كافيهم في الجزاء والايلام ومع ذلك فقد لعنهم الله ليكون العذاب مضعفا ونابا لاهانة والطرد ولهم عذاب معهم نوع اخر من العذاب الدائم سوى عذاب النار او عذاب عاجل لا ينفكون عنه من النفاق والخوف من افتضاحهم ثم شبه المنافقين بالكفار الذين كانوا قبلهم في الامر بالمنكر والنهي عن المعروف وقبض الايدي عن الخيرات فقال ملتفتا من الغيبة الى الخطاب كالذين من قبلكم اى انتم مثل الذين او فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم فعلى الاول محل الكاف رفع وعلى الثاني نصب وصف اولئك الكفار بانهم كانوا اشد قوة اى جسامة من هؤلاء المنافقين واكثر اموالا واولادا فاستمتعوا بخلاقهم وهو ما خلق للانسان اى قدر له من خيره كما قيل له قسم لانه قسم ويضيبك لانه نصيب اى اثبت فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم قيل ما الفائدة في ذكر الاستمتاع بالخلاق في حق الاولين مرتين ثم ذكره في حق المنافقين ثانيا ثم تكريره في حق الاولين ثالثا واجيب بانه تعم ذم الاولين بالاستمتاع بما اوتوا من حظوظ الدنيا وحرمانهم عن سعادة الاخرة بسبب استغراقهم في تلك الحظوظ فلما قرر تعم هذا الذم عاد فشبه حال المنافقين بحالهم فيكون ذلك نهاية في المبالغة قال جار الله نظيره ان تقول لبعض الظلمة انت مثل فرعون كان يقتل بغير جرم ويعذب وانت تفعل مثل فعله واما قوله وخضتم كالذي خاضوا معطوفا على ما قبله مستندا اليه مستغنى باسناده عن تلك النقطة ومعنى كالذي كالخوض الذي خاضوه او كالفرج الذي خاضوا وقيل اصله كالذين فحذف النون ثم بين ان اولئك الكفار لم يحصل لهم الا حبوط الاعمال في الدنيا فبسبب الفقر والانتقال من العز الى الذل ومن القوة الى الضعف واما في الاخرة فلانهم هلكوا وبادوا وانتقلوا الى العقاب الدائم وخسران الدارين فهؤلاء المنافقون المشاركون لهم في هذه الاعمال والفضايح مع ضعف بنائهم وقلة عددهم وعددهم اولى بخسران الدارين وخسا الامرين التاويل انما الصدقات وهي صدقات مواهب الله كما قال ما من يوم ولا ليلة ولا ساعة الا لله فيها صدقة على من يشاء من عباده للفقراء وهم الاغنياء بالله الذين فوضوا عنهم ويقوا بربهم المساكين الذين لم يبقوا وصفا الوجود القواسف تبقى القلب في بحر الطلب قد خرقها خضم المحبة وكان ورائهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا والعاملين عليها وهم ارباب الاعمال كما كان الفقراء والمساكين ارباب الاحوال والمؤلفة قلوبهم الذين بتالف قلوبهم بذكر الله وفي الرقاب الذين يريدون ان يتخلصوا عن رق الوجود الى حرية العبودية موحدها والمكاتب عبد ما بقي عليه درهم والغارمين الذين استغرقوا من مرارات المكونات وصافها وطيباتها وخواصها وهم محبوسون في سجن الوجود فهم معاونون بتلك الصدقات للخلاص عن حبس الوجود وفي سبيل الله المجاهدون والمجاهدات الاكبر مع كفار النفوس والهوى والشيطان والدنيا وابن السبيل المسافرون عن اوصاف الطبيعة وعالم البشرية السائرون الى الله على اقدام الشريعة والطريقة فريضة من الله اوجبها على ذمة كرمه كما قال من طلبني وجدني والله عليم بطالبيه حكيم في معاونتهم بعد الطلب كقوله من تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا ويقولون هو اذن اى واع لما يعده بنظر المذمة والعيب قل اذن خير لكم اى سامعة خير لكم لان مقام السامعية يسمع ما يوحى اليه يؤمن بالله عيانا ويؤمن للمؤمنين لان فوائد ايمانه ترجع اليهم كما تعود الى نفسه ورحمة للذين امنوا لانهم يهتدون بهداه والذين يؤذون رسول الله باقوالهم وافعالهم واحوالهم بحذر المنافقون والحذر لا يغني عن القدر ان يعف عن طائفة اظهارا للفضل والرافة يعذب طائفة اظهارا للقهر والعزة ولكن اظهارا للطف بلا سبب واظهارا للقهر لا بسبب انهم كانوا مجرمين وبعضهم من بعض لان ارواحهم كانت في صف واحد في الازل فعاملهم من مقتضيات ارواحهم لنسوا الله ولو ذكروه قبل الاتيان بالمعاصي لم يفعلوا ما فعلوا ولو ذكروه بعد الاتيان لاستغفروا فغفر لهم هي حبهم لانها نصيبهم في الازل كانوا اشد منكم قوة بالاستعداد

الفطرة وضيعوها في الاستمتاع العاجل فخسروا رأس المال والربح بجوا الم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح
وعاد وثمود وقوم ابرهيم واصحاب مدين والمؤتفكات اتتهم
رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم
ولكن كانوا انفسهم يظلمون والمؤمنون والمؤمنات بعضهم
اولياء بعض يأمرون بالمعروف
وينهون عن المنكر ويقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة ويطيعون
الله ورسوله اولئك سيرحمهم
الله ان الله عزيز حكيم وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري
من تحتها الانهار خالدين
فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله اكبر ذلك هو الفوز
العظيم يا ايها النبي ع
جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأويهم جهنم وبئس المصير يحلفون بالله
ما قالوا ولقد
قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم وهموا بما لم ينالوا الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله
فان
يتوبوا يك خيرا لهم وان يتولوا يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا والاخرة وما لهم في الارض من ولي ولا
نصير ومنهم من عاهد الله لئن اتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين
فلما اتاهم من فضله
بخلوا به وتولوا وهم معرضون فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما
كانوا يكذبون الم يعلموا ان الله يعلم سرهم ونجوىهم وان الله علام الغيوب الذين يلمزون المطوعين
من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون الا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب اليم

القراءة والمؤتفكات وبابه بغير همز ابو عمرو وغير شجاع وورش وهبيرة والحلواني عن قالون والاعشى وحمزة في الوقف الوقوف والمؤتفكات بالبينات لابتداء النفي بعد فاء التعقيب يظلمون من بعض لما مر ورسوله سيرحمهم الله حكيم عدن اكبر العظيم واغلظ عليهم جهنم المصير ما قالوا لم ينالوا من فضله خبرا لهم والاخرة ولا نصير من الصالحين معرضون يكذبون علام الغيوب لاحتمال النصب والرفع على الذم وكونه بدلا من الضمير في بخلوهم فيسخرون منهم سخر الله منهم لاتمام الجزاء مع اختلاف النظم اليم التفسير لما شبه المنافقين بالكفار المتقدمين في تكذيب الانبياء والاشتغال بالنعيم الزائل بين ان اولئك الكفار منهم فذكرت طوائف سمع العرب اخبارهم لان بلادهم وهي الشام قريبة من بلادهم وقد بقيت آثارهم مشاهدة وهذا حث للكلام بحرف الاستفهام للتقرير فاولهم قوم نوح وقد اهلكوا بالاغراق وثانيهم قوم عاد واهلكوا بالريح العقيم وثالثهم ثمود واخذوا بالصيحة ورابعهم قوم ابرهيم سلط الله عليهم البعوض وكفى شرهم وهو نمرود بعوضة واحدة سلطها على دماغه وخامسهم اصحاب مدين قوم شعيب اخذتهم الرجفة وسادسهم اصحاب المؤتفكات قوم لوط امطر الله عليهم الحجارة بعد ان جعل مدائنهم عاليها سافلها والائتفاك الانقلاب سميت مدائنهم بذلك لان الله تعالى قلبها عليهم ويمكن ان يراد بالمؤتفكات الناس لانقلاب احوالهم من الخير الى الشر ثم قال اتتهم رسلهم بالبينات اي بالمعجزات ولا بد بعد هذا من اضمار والتقدير فكذبوهم فاهلكهم الله فما كان الله ليظلمهم قالت المعتزلة اي ما صح منه الظلم ولكنهم استحقوا ذلك بسبب كفرهم وقدم الكلام في امثال ذلك ثم بين ان شأن المؤمنين في الدنيا والاخرة بخلاف المنافقين فقال والمؤمنون لا يتركون الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقال بعض العلماء انما قال ههنا اولياء بعض وهناك من بعض لان نفاق اتباع المنافقين حصل بسبب التقليد لاكابرهم وبمقتضى الطبع والعادة بخلاف الموافقة بين المؤمنين فانها بسبب المشاركة

ولياء في النقيب

في الاستدلال والتوفيق والهداية والقول بكون بعض المنافقين من بعض يوجب اشتراكهم في امر من الامور بالجملة كالدار او حكم من الاحكام الشرعية او سمة وطريقة وهذا هو المقصود ولكنه يحتمل ان يكون تكليفا او بطريق النفاق لان سبب انعقاد غرض من الاغراض الدنيوية العاجلة فذكر الله تعالى اشتراكهم في ذلك بلفظ منهم لكان الاحتمال المذكور واما اشتراك المؤمنين في الدين فلما كان سببه الاخلاص والعصبية للدين والاجتماع على ما يفضي الى سعادة الدارين كانت الموالاة بينهم محققة فصرح الله تعالى بذلك ووصفهم باضداد صفات المنافقين فقال يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وهاتان الصفتان بالنسبة الى غيرهم ثم قال ويقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهاتان لهم في انفسهم وهما بازاء قوله في صفة المنافقين ولا يأتون الصلوة الا وهم كسالى لا ينفقون الا وهم كارهون ثم وصفهم بالطاعة على الاطلاق فقال ويطيعون الله ورسوله اي في كل ما يأمرون وينهون ثم ذكر ما اعدلهم من الثواب على سبيل الاجمال فقال اولئك سيرحمهم الله والسين يفيد المبالغة في انجاز الوعد بالرحمة كما يؤكد الوعيد بها اذا قلت سانتقم منك يوما يعني انك لا تفوتني وان تباطأ ذلك ثم ختم الاية بقوله ان الله عزيز حكيم وفيه ترغيب للمؤمنين وترهيب للكافرين لان العزيز هو من لا يمنع من مراده في عباده من رحمة او عقوبة والحكيم هو الذي يدبر عباده على ما وفق ما يقتضيه العدل والصلاح ثم فصل ما اجمل من الرحمة بقوله وعد الله المؤمنين الاية وقد كثر كلام اصحاب الاثار في معنى جنات عدن فقال الحسن سالت عمران بن الحصين وابا هريرة عن ذلك فقالا على الخبير سقطت سالنا رسول الله فقال هو قصر في الجنة من اللؤلؤ وفيه سبعون دارا من ياقوتة حمراء في كل دار سبعون بيتا من زمردة خضراء في كل بيت سبعون سريرا على كل سرير سبعون فراشا على كل فراش زوجة من الحور العين وفي كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونا من الطعام وفي كل بيت سبعون وصيفة يعطى المؤمن من القوة ما يأتي على ذلك اجمع وعن ابن عباس انها دار الله لم ترعين ولم يخطر على قلب بشر وقال ابن مسعود جنات عدن بطنان الجنة اي وسطها قال الازهري وبطنان الاودية المواضع التي يستنقع فيها السيل واحدها بطن وقال عطا عن ابن عباس هي قصبة الجنة وسقفها عرش الرحمن وهي المدينة التي فيها الرسل والانبياء والشهداء وائمة الهدى وسائر الجنات حولها وفيها عين التسنيم وفيها قصور الدر والياقوت والذهب تهب الريح من تحت العرش فيدخل عليهم كثبان المسك الابيض قال عبد الله بن عمران في الجنة نهرا يقال له عدن حوله البروج ولخمسة الاف باب على كل باب خمسة الاف حورة لا يدخله الا نبي او صديق او شهيد وفي هذه الاخبار دلالة على ان عدنا علم وهو اسم قوله جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب ولو لم يكن علما لم يوصف بالمعرفة ولا يبعد ان اصل صفة من قولك عدن بالمكان اذا اقام به ومنه المعدن للمكان الذي يخلق فيه الجوهر وعلى هذا فالجنات كلها جنات عدن الا ان يغلب الاسم على بعضها ورضوان من الله شيء يسير من رضاه اكبر من ذلك كله لان رضاه سبب كل فوز وكرامة وكل حظ مع رضا المولى هين وكل نعيم مع سخطه منغص وفيه دليل على ان السعادات الروحانية اعلى حالا واشرف من السعادات الجسمانية بل لا نسبة لتلك اللذة والابتهاج الى هذه على ان الاعتراف بالسعادات الجسمانية واجب من حيث الشرع ذلك الموعود والرضوان هو الفوز العظيم وحسدون ما بعده الناس فوزا في الحديث ان الله عز وجل يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون ومالنا لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول انا اعطيكم افضل من ذلك قال ادخل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم ابدا ثم عاد مرة اخرى الى شرح احوال المنافقين فقال يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم قال الضحاك اي جاهد الكفار واغلظ على المنافقين لان المنافق لا يجوز محاربته في ظاهر الشرع وضعف بان السنة بابانه وقيل المراد بقوله المنافقين هم الذين عرفهم الله حالهم فصاروا كسائر الكفرة فجاز قتالهم وزيف بانه وان علم حالهم بالوحي الا انه مامور بان يحكم بالظاهر والقوم كانوا يظهرون الاسلام فكيف يجوز قتالهم والصحيح ان الجهاد يبذل المجهود في حصول المقصود وهو شامل للسيف واللسان فالمراد بجاهد الكفار بالسيف والمنافقين واغلظ عليهم في الجهادين جميعا عن ابن مسعود ان لم يستطع بيده فبلسانه فان لم يستطع فليكفهر في وجهه فان لم يستطع فبقلبه بان يكرههم ويبغضهم وتزامر منه وحمل الحسن جهاد المنافقين على اقامة الحدود عليهم اذا تعاطوا اسبابها واعترض عليه بان اقامة الحدود واجبة على كل فاسق منافقا كان او لا ان الغالب ممن يقام عليه الحد في زمن رسول الله ﷺ كونه منافقا قال الضحاك خرج المنافقون مع رسول الله ﷺ الى تبوك وكانوا اذا خلا بعضهم الى بعض سبوا رسول الله ﷺ واصحابه وطعنوا في الدين فنقل ما قالوا واحد بقتر الى رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ يا اهل النفاق ما هذا الذي بلغني عنكم فحلفوا ما قالوا شيئا من ذلك فانزل الله تعالى يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وعن قتادة عن رجلين اقتتلا رجلا من جهينة ورجل من غفار فظهر الغفاري على الجهني فنادى عبد الله بن ابي يا بني الاوس انصروا اخاكم فوالله ما مثلنا ومثل محمد الا كما قال القائل سمن كلبك يأكلك وقال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل فسعى بها رجل من المسلمين الى النبي ﷺ فارسل اليه فجعل يحلف بالله ما قال فنزلت الاية اما قوله وهموا بما لم ينالوا فهو قتل رسول

التوبة

الله عند رجعه من تبوك وذلك انه توافق خمسة عشر رجلا منهم على ان يدفعوه عن راحلته الى الوادي اذا استم العقبة بالليل وكان عمار بن ياسر اخذ بخطام راحلته يقودها وحذيفة خلفها يسوقها فبينما هم كذلك اذ سمع حذيفة بوقع اخفاف الابل وبقعقعة السلاح فالتفت فاذا هم قوم متلثمون فقال اليكم يا اعداء الله فهربوا وقيل هم المنافقون بردغامر بن قيس لرده على الجلاس بن سويد وقد مر في تفسير قوله يحلفون بالله لكم ليرضوكم وقيل اراد وان يتوجوا عبد الله بن ابي وان لم يرض رسول الله ﷺ وما نقموا وما عابوا الا ان اغناهم كقول القائل ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم وذلك انهم كانوا حين قدم رسول الله ﷺ المدينة في ضنك من العيش لا يركبون الخيل ولا يحوزون الغنيمة فظفروا الغنائم وجمعوا الاموال وروي انه قتل الجلاس مولى مر رسول الله ﷺ بمدينة اثني عشر الفا فاستغنى ثم استعطف قلوبهم بعد صدوره هذه الجنايات العظيمة عنهم فقال فان يتوبوا يك يعني ذلك الرجوع خيرا لهم وكان الجلاس ممن تاب فحسنت توبته وان يتولوا يعرضوا عن التوبة يعذبهم عذابا اليما في الدنيا بالقتل والسبي واغتنام الاموال وقيل بما بنا لهم عند الموت ومعاينة ملائكة العذاب وقيل في القبر واما عذاب الاخرة فمعلوم وما لهم في الارض يحتمل ارض الدنيا وارض القيامة ثم بين ان هؤلاء كما بنا فقون الرسول والمؤمنين فكذلك بنا فقون بهم فيما عاهدوه عليه فقال ومنهم من عاهد الله يروي عن ابي امامة الباهلي ان ابا ثعلبة بن حاطب الانصاري قال لرسول الله ﷺ ادع الله ان يرزقني مالا فقال ويحك يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه ثم قال مرة اخرى فقال اما ترضى ان تكون مثل نبي الله فوالذي نفسي بيده لو شئت ان تسير معي الجبال لسارت ذهبا وفضة فقال والذي بعثك بالحق لئن دعوت الله ان يرزقني مالا لاوتين كل ذي حق حقه فقال رسول الله ﷺ اللهم ارزق ثعلبة مالا فاتخذ غنما فنمت كما تنمو الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها ونزل واديا من اوديتها حتى جعل يصلي الظهر والعصر في جماعة ويترك ما سواهما ثم نمت وكثرت حتى ترك الصلوات الا الجمعة وهي تنمو كما تنمو الدود حتى ترك الجمعة فسأل عنه رسول الله ﷺ فاخبر فقال يا ويح ثعلبة ثلثا وانزل الله عز وجل خذ من اموالهم صدقة فبعث رسول الله ﷺ رجلين على الصدقة رجلا من جهينة ورجلا من بني سليم وكتب لهما كيف يأخذان الصدقة وقال لهما مرا بثعلبة برجل من بني سليم فخذا صدقاتهما فخرجا حتى اتيا ثعلبة فسألاه الصدقة واقرآه كتاب رسول الله ﷺ فقال ما هذه الا اخت الجزية ما ادري ما هذا انطلقا حتى تفرغا ثم تعودان الي فانطلقا واخذ السلمي فنظر الى خيار اسنان ابله فعزلها للصدقة ثم استقبلهم بها فلما رآها قالوا ما يجب هذا عليك وما نريد ان تأخذ هذا منك قال بلى خذوه فان نفسي بها طيبة فاخذوها منه ثم رجعا على ثعلبة فقال ارونی كتابكما ثم قال ما هذه الا اخت الجزية انطلقا حتى ارى رأيي فانطلقا حتى اتيا النبي ﷺ فلما رآهما قال يا ويح ثعلبة قبل ان يكلمهما ودعا للسلمي بالبركة ثم نزلت الآية وعند رسول الله ﷺ من اقارب ثعلبة فخرج اليه فقال يا ويحك يا ثعلبة فانزل الله فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى اتى النبي ﷺ فسأله ان يقبل منه صدقته فقال ان الله قد منعني ان اقبل منك صدقتك فجعل يحثو التراب على راسه فقال رسول الله ﷺ هذا عملك قد امرتك فلم تطعني فلما ابى ان يقبل منه شيئا رجع الى منزله وقبض رسول الله ﷺ ولم يقبل منه شيئا ثم جاء بها الى ابي بكر حين استخلف فقال قد علمت منزلتي من رسول الله ﷺ وموضعي من الانصار فاقبل صدقتي فقال لم يقبلها رسول الله وانا اقبلها فقبض ابو بكر والى ان يقبلها ثم جاء بها الى عمر في خلافته فلم يقبلها وكذا في خلافة عثمان ولم يقبل صدقته واحد من الخلفاء اقتداء برسول الله ﷺ واقول وما ذاك الا بشوم اللجاج والاصرار قال بعض العلماء المعاهدة اعم من ان يكون باللسان او بالقلب قال المحققون انه لا بد من التلفظ بها لما روي انه ﷺ قال ان الله عفا عن امتي ما حدثت به انفسها ولم يتلفظوا به ولان قوله عز من قائل ومنهم من عاهد الله ان اتانا من فضله تصدق ظاهره مشعر بالقول اللساني والمراد بالفضل ابتداء السؤال بطريق التجارة او الاستغنام ونحوهما واصل لنصدقن لنتصدقن ادغمت التاء في الصاد والمتصدق المعطي لا السائل كقوله تعالى وتصدق علينا ان الله يجزي المتصدقين ومعنى قوله ولنكونن من الصالحين عن ابن عباس انه اراد الحج ولعل المراد اخراج كل ما يجب اخراجه اذ لا دليل على التقييد ثم وصفهم بصفات ثلث فقال فلما اتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فالبخل عبارة عن منع الحق الشرعي والتولي يقتضي العهد والاعراض اذ قد يكون لا لاجحام عن تكاليف الله وان ذلك منهم عادة معتادة ولترتب هذا الذم على منع الصدقة ولاطلاق لفظ البخل عليه وهو في عرف الشرع عبارة عن منع الواجب ذكر العلماء ان الصدقة الملتزمة في قوله لنصدقن هي الصدقة الواجبة وان الرجل قد عاهد ربه ان يقوم بما يلزمه من الانفاقات الواجبة ان وسع الله عليه دون ما يلتزمه الانسان بالنذر من المندوبات اذ لا دليل له الا يتعلى ذلك مع ان سبب النزول يأبا فان قيل الزكوة لا تلزم بسبب الالتزام وانما تلزم بسبب ملك النصاب وحلول الحول قلنا ان قوله لنصدقن لا دليل فيه على الفور بل المراد لنصدقن في وقته الذي يليق به وفي الآية دلالة على ان الرجل حين عاهد بهذا العهد كان مسلما ثم انه لما بخل بالمال ولم يف بالعهد صار منافقا ويؤكده قوله سبحانه فاعقبهم نفاقا عن الحسن وقتادة ان اعقب مسند الى ضمير البخل اي اورثهم البخل نفاقا متمكنا في قلوبهم لان كان سببا فيه وباعثا عليه وكذا المناوبل ان جعل عائدا الى القول او الاعراض وضعف بان حاصل هذه الامور كونه تاركا للاداء الواجب وذلك لا يمكن جعله مؤثرا في

حصول النفاق في القلب لان ترك الواجب عدم والنفاق جهل وكفر وهو امر وجودي والعدم لا يؤثر في الوجود وكان هذا الترك قد وجد في حق
كثير من الفساق مع انه لا يحصل معه النفاق ولا ترك واجب حصل الكفر في القلب لا وجبه سلوك ان الترك جائزا شرعا او محرما فبسبب خلاف
الاحكام الشرعية لا يخرج السبب عن كونه مؤثرا وكان البخل والتولي والاعراض هو بعينه اخلاف ما وعدوا الله به فصير تقديره لان التولي
اوجب النفاق بسبب التولي وهذا كلام كما ترى فلم يبق الا ان يسند الفعل الى الله تعالى فيكون فيه دليل على ان خالق الكفر في القلوب هو
الله ومن معتزلة قال الزجاج معناه انهم لما صلوا في الماضي فالله تعالى يضلهم عن الدين في المستقبل ومما يؤكد القول بان الضمير في عقبه
ان الضمير في قوله الى يوم يلقونه عائد الى الله وللمعتزلة ان يقولوا النفاق وان سلم انه وجودي لكنه امر شرعي ولا يبعد جعل شيء عدمي
امارة عليه وايضا الترك المقرون بالتولي والاعراض لا نسلم انه لا يحصل معه نفاق ولا يلزم من كون الترك المحرم موجبا للكفر بجعل الشارع
كون الترك الجائز كذلك ولا نسلم ان البخل هو بعينه اخلاف الوعد والكذب بل قد يقع البخل من غير سبق وعد سلمنا عود الضمير الى الله لكن
من اين يلزم كونه خالقا للكفر والنفاق ولم لا يجوز ان يراد فاعقبهم الله العقوبة على النفاق باحداث الغم في قلوبهم وضيق الصدور وما
بنا لهم من الذل والخوف او يراد فخذلهم حتى نافقوا وتمكن في قلوبهم نفاقهم فلا ينفك عنها الى ان يموتوا ولاهل السنة ان يقولوا هذا
عدول عن الظاهر مع ان الدلائل الدالة على وجوب انتهاء الكل الى مشية الله وتقديره بعضد ما قلناه قال العلماء ظاهر الآية يدل على
ان نقض العهد وخلف الوعد يورث النفاق فعلى المسلم ان يبالغ في الاحتراز عنه وبذهب الحسن البصري ان نقض العهد يوجب النفاق لا محالة
تمسكا بهذه الآية وبقوله ﷺ ثلث من كن فيه فهو منافق وان صلى وصام وزعم انه مؤمن اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان
وقال عطاء بن ابي رباح حدثني جابر بن عبد الله ان رسول الله ﷺ انما ذكر قوله ثلث من كن فيه فهو منافق في المنافقين خاصة الذين
حدثوا رسول الله ﷺ فكذبوه وائتمنوا على سره فخانوه ووعدوه ان يخرجوا معه الى الغزو فاخلفوه ويقال ان عمرو بن عبيد سئل عن هذا الحديث
فقال اذا حدث عن الله كذب عليه في دينه ورسوله واذا وعد اخلف كما ذكره الله فيمن عاهده واذا ائتمن على دين الله خان في
السر وكان قلبه على خلاف لسانه ويقال ان واصل بن عطاء ارسل الى الحسن رجلا فقال ان ولاد يعقوب حدثوه في قولهم فاكله الذئب
فكذبوا ووعدوه في قولهم وانا له لحافظون فاخلفوا وائتمنهم ابوهم على يوسف فخانوه فهل تحكم بكونهم منافقين فتوقف الحسن
في مذهبه قال اهل التفسير قوله الى يوم يلقونه يدل على ان ذلك المعاهد يموت وكان كما اخبر فيكون اخبارا بالغيب ومعجزا قال الجبائي
هذا اللقاء لا شك انه ليس بمعنى الرؤية لان الكفار لا يرون ربهم بالاتفاق فدل على ان اللقاء في القرآن ليس بمعنى الرؤية وضعف
بانه لا يلزم من عدم كون هذا اللقاء بمعنى الرؤية ان يكون كل لقاء ورد في القرآن كذلك كقوله الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم ثم
ويحتمل على التجاهل او عدم العلم بعلم الله واحاطته بضمائرهم ونجاويهم فقال الم يعلموا الآية والسر ما ينطوي عليه الصدور والنجوى ما يكون بين اثنين واكثر مع الاخفاء عن غيرهم والتركيب يدل على التخليص كما مر فالمناجاة كان المتناجيين تخلصا عن
غيرهما وصار خلصوا نجيا ومعنى الآية كيف تتجاوزون على النفاق الذي لا اصل فيه الا ستار والمناجاة فيما بينهم مع انه تعلم علم ذلك
من خالهم كما تعلم الظاهر ويعاقب عليه كما يعاقب على الظاهر لانه العالم بجميع المعلومات على ما وجه يقرض عن ابن عباس ان رسول
الله ﷺ خطبهم ذات يوم وحثهم على ان يجعلوا الصدقات فجاء عبد الرحمن بن عوف باربعة الاف درهم وقال يا رسول الله ﷺ مالي ثمانية
الاف جئتك بنصفها فجعلها في سبيل الله وامسكت نصفها لعيالي فقال رسول الله ﷺ بارك الله لك فيما اعطيت وفيما امسكت
فبارك الله في مال عبد الرحمن حتى انه خلف امرأتين يوم مات فبلغ ثمن ما خلف لهما ثمانين الف درهم وقيل صولحت احديهما على
ثمانين الفا وتصدق عاصم بن عدي العجلاني بمائة وسق من تمر وجاء ابو عقيل الانصاري بصاع من تمر وقال اجرت الليلة
الماضية بقبضة من رجل لا رسال الماء الى نخيلها فاخذت صاعين من تمر امسكت احدهما لعيالي وافرضت الآخر لربي فامر رسول
الله ﷺ بوضعه في الصدقات فلمزهم المنافقون وقالوا ما اعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء وسمعة واما ابو عقيل فانه جاء بصاع غير مذكر
مع سائر الاكابر والله غني عن صاع احبر فانزل الله سبحانه الذين يلمزون المطوعين اي المتطوعين فادغمت والتطوع النفل وهو
الطاعة لله بما ليس بواجب الجهد بالضم والفتح شق قليل يعيش به الفقير قاله الليث وقال الفراء الضم لغة اهل الحجاز والفتح لغة غيرهم
وفرق ابن السكيت بينهما فقال الجهد بالضم الطاقة وبالفتح المشقة وقال الشعبي الاول في العمل والثاني في القوة سخر الله منهم خبر لا
دعاء كقوله الله يستهزئ بهم وقد عرفت ان هذا من قبيل المشاكلة او المراد منه لازم السخرية وهو ايقاع الذل والهوان بهم وقال
الاصم المراد انه تعالى تكلفهما نفاقا لما مع انه لا يبتهم عليها وانما توجه الذم على المنافقين في هذا لان الحكم بالرياء لمن يعطي
الكثير كعبد الرحمن وعاصم حكم على بواطن الامور وذلك مما استأثر الله به ورسوله وايضا لم الفقير على جهد المقل سفه لانه لما
يقدر الا على ذلك فقد بذل كل ما تملكه منه غالبا انه قد يقدر على اكثر من ذلك لم يكن ممنوعا وسعى الانسان في ان يضم نفسه الى
اهل الخير والدين خير له من ان يضم نفسه الى اهل الكسل والبطالة ولولم تكن هذه الا التقية بالله والدخول في زمرة من يؤثرون على

انفسهم لو كان بهم خصاصة يكفى به منقبة وفضلا التاويل بعضهم دليلا بعض لا ان التعارف فى عالم الارواح واجب لهم
فى عالم الاشباح يامرون بالمعروف الحقيقى اى بالطيب والمطلوب هو الله لقوله فاحببت ان اعرف وينهون عن المنكر وهو ما
يقطع العبد عن الله ويقيمون الصلوة الحقيقية ويؤتون الزكوة يعنى ما فضل عن كفافهم الضرورى ويطيعون الله ورسوله
بخلاف المنافقين فانهم يطيعون النفس والهوى ومساكن طيبة على مراتب النفوس الطيبة فان الطيبات للطيبين يا ايها النبى
يعنى القلب الذى لربنا من مقام الانباء جاهد الكفرة بسيف الصدق والمخالفات وجاهد نفوس المريدين الذين
تدعون الارادة فى الظاهر دون الباطن واغلظ عليهم فى المؤاخذات باحكام الشريعة والطريقة حتى يتمرن نفوسهم والا فاوهم
جهنم القطيعة ولقد قالوا كلمة الكفر وهى التى توجب الانكار والاعتراض عن الشيخ وهو بما ماينا لوا اى تبنوا لانفسهم مرتبة الشيخوخة
قبل اوانها وما تفقهوا الا ان الشيخ رباهم بيان فضل الله عن حكمة الولاية فلم يحتملوا لضيق وعاء همتهم ومرتد الطريقة اعظم من مرتد
الشريعة فلهذا يكون عذابه اليما فى الدنيا والاخرة كما قال المجيد لو اقبل صديق الى الله الف سنة ثم اعرض عنه لحظة فان ما فاته اكثر
مما ناله ومنهم من عاهد الله باستعداده الفطرى ان اتانا من فضله جعلنا ممكنين من اكتساب الكمال لنصدقن لنكونن كل ما اعطانا
فيما اعطى الاجلة الى يوم يلقونه اى يلقون جزاء النفاق وان الله علام الغيوب يعلم ما توسوس به انفسهم وهو غيب عن الخلق
ويعلم ما يستكنون فى قلوبهم وهو غيب من نفوسهم ولهذا قال الغيوب بتخاله منهم ذكره بلفظ الماضى ليعلم ان سخرية المنافقين بتبعة
سخرية الله بهم استغفر لهم او لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بانهم كفروا
فى الاول اگر آمرزش خواهى ايشان را اگر آمرزش نخواهى ايشان را اگر طلب آمرزش ايشان هفتاد مرتبه پس هرگز نيامرزد خدا ايشان را اين بآنست كه ايشان كافر شدند
بالله ورسوله والله لا يهدى القوم الفاسقين فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا ان يجاهدوا ع ۱۷
بخدا و رسول او وخدا راه نمى نمايد گروه تباه كاران را شادند پس نشستن ايشان بر خلاف سخن خدا و رسول او وناخوش داشتند آنكه جهاد كنند
باموالهم وانفسهم فى سبيل الله وقالوا لا تنفروا فى الحر قل نار جهنم اشد حرا لو كانوا يفقهون فليضحكوا قليلا
بمالهاى خويش در راه خدا وگفتند يكديگر را كه مرويد در گرما بگو آتش دوزخ سخت گرمتر است اگر بودند كه مى دانستند پس بايد كه خندند
وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون فان رجعك الله الى طائفة منهم فاستاذنوك للخروج فقل لن تخرجوا
وبسيار گريند باداش آنچه بودند كه مى كردند پس اگر باز گرداند ترا خدا بسوى گروهى از ايشان پس دستورى خواهند از تو براى بيرون شدن پس بگو هرگز بيرون نشويد
معى ابدا ولن تقاتلوا معى عدوا انكم رضيتم بالقعود اول مرة فاقعدوا مع الخالفين ولا تصل على احد منهم
بامن همچنين وكارزار نكنيد بدشمنان بدرستيكه بر نشستن بار اول پس بنشينيد با زنان وكودكان ونماز نكن بر احدى از ايشان
مات ابدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون ولا تعجبك اموالهم واولادهم انما
كه بميرد هرگز وبايستى بر گور او گر ايشان كافر شدند بخدا ورسول او وبمردند وايشان تباه كاران بودند وشگفت نيايد ترا از بسيارى مال ايشان وفرزندان ايشان
يريد الله ان يعذبهم بها فى الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون واذا انزلت سورة ان امنوا بالله وجاهدوا
خواهد خدا كه عذاب كند ايشان را بآن در دنيا وبرآيد جانهاى ايشان وايشان كافر باشند وچون فرستاده شود سورتى
مع رسوله استاذنك اولوا الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين رضوا بان يكونوا مع الخوالف وطبع
با رسول او دستورى خواهند از تو خداوندان توانگرى از ايشان وگفتند بگذار ما را تا باشيم با نشستگان راضى شدند بآنكه باشند با زنان وكودكان ومهر شد
على قلوبهم فهم لا يفقهون لكن الرسول والذين امنوا معه جاهدوا باموالهم وانفسهم واولئك لهم الخيرات
بر دلهاى ايشان پس ايشان در نيابند ليكن رسول وآنانكه گرويدند با او جهاد كردند بالهاى خويش وجانهاى خويش بگذرند مر ايشان را
واولئك هم المفلحون اعد الله لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم القراءة ع ۱۸
وايشانند رستگاران آماده است خدا ايشان را بهشتها كه روان است از زير آنها نهرها جاويدان باشند در آنجا اين بروزى بزرگ است
بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو وحفص فى المفصل معى عدوا بالفتح حفص لو قوفه او لا تستغفر لهم فلن يغفر الله
لهم ورسوله الفاسقين فى الحرّ الآن المعنى لو كانوا يفقهون حرارة النار لما قالوا لا تنفروا فى الحر ولو وصلا وهم ان جهنم
لا يكون نارها اشد حرا اذا لم يفقهوا ذلك يفقهون كثيرا الآن جزاء يصلى ان يكون مفعولا له او مصدرا محذوفا اى يجزون جزاء
يكسبون معى عدوا الخالفين على قرء فاسقون واولادهم كافرون القاعدين لا يفقهون وانفسهم اخبرات للابتداء وعقد
الفلاح على المعظم بدليل تكرار اولئك مع اتفاق الجملتين المفلحون خالدين فيها العظيم المفسر عن ابن عباس ان عبد الله بن ابى
الاولى فى المنافقين قالوا يا رسول الله استغفر لنا فاشتغل بالاستغفار لهم فنزل استغفر لهم الآية ومن المعتزلة من قال
انهم طلبوا من الرسول ان يستغفر لهم وان الله نهاه عنه والنهى عن الشئ لا يدل على النهى واقدم على ذلك الفعل ثم ان الدليل

قد يدل على ما نحن فيه بالاستغفار لان المنافق كافر فقد نظم في سلك ان الاستغفار للمنافق يجري مجرى غيره على من يئس من ايمانه ولا مانع ان يكون النبي ﷺ غير مجاب الدعوة وان كثرة الدعاء ومن الفقهاء من قال التخصيص بالعدد المعين يدل على ان الحال فيما وراء ذلك العدد بخلافه لما روي انه لما نزل الآية قال لازيدن على السبعين فنزل سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم فلن يغفر الله لهم فكف عنه فلولا انه فهم بدليل الخطاب لما عرف فيما وراء السبعين بالخلاف لم يقل لازيدن على ذلك وجب بانه زاد ظنها لرحمة والرأفة بامته ورد عالم الى نزح بعضهم لبعض لانه فهم منه ذلك وقد قال نعم فلن يغفر الله لهم وارد فه بقوله ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله فليس المقصود لهذا العدد المحدد بل المنع وانما هو كقول القائل لمن يسأله حاجة لو سألتني سبعين مرة لم اقضها ولعل هذا بين العلة لك لاجلها لا ينفعهم استغفار الرسول وهي كفرهم وفسقهم وهذا المعنى قائم في الزيادة على السبعين وذكر بعضهم لتخصيص السبعين وجها هو ان السبعة عدد شريف لانه عدد السموات والاخضين والبحار والاقاليم ونجوم الشبانة والاعضاء وايام الاسبوع فضرب السبعة في عشرة لان الحسنة بعشر امثالها وقيل خص بالذكر لانه زعم كبر على حمزة سبعين تكبيرة وكانه قيل ان تستغفر لهم سبعين مرة بازاء تكبيراتك على حمزة هذا وقد مر في تفسير قوله قل انفقوا طوعا او كرها ان هذا امر في معنى الخبر كانه قيل لن يغفر الله لهم استغفرت لهم ام لا وانتصاب سبعين على المصدر كقولك ضربته عشرين ضربة ثم ذكر نوعا اخر من قبائح افعالهم فقال فرح المخلفون قيل انهم حلفوا لو كان الاولى ان يقال افرح المتخلفون واجيب بانهم استأذنوا رسول الله ﷺ فاذن لهم وخلفهم بالمدينة في غزوة تبوك وارتبخلفهم كسلهم ونفاقهم والشيطان اوالجاهدون لما لم يوافقوهم في الغزو فكانهم خلفوهم او الطاق عليهم المخلفون باعتبار انهم سيصيرون ممنوعين من الخروج في الآية الاتية فان رجعك الله الى قوله ولن تقاتلوا معي عدوا ومعنى بمقعدهم بقعودهم قاله مقاتل او بموضع قعودهم وهو المدينة قاله ابن عباس ومعنى خلاف رسول الله ﷺ حين سار وا قاموا قاله قطرب والزجاج فانتصابه على انه مفعول له اي قعدوا لاجل خلافه او على الحال اي مخالفين له قال الاخفش ويونس الخلاف بمعنى الخلف اي بعد رسول الله ﷺ وذلك ان جهة الامام التي يقصدها الانسان يخالفها جهة الخلف وكرهوا ان يجاهدوا كيف لا يكرهونه وليس فيهم باعث الايمان وداعي الاحتساب ومعهم صارف الكفر والنفاق وهيهات يعترض بالمؤمنين الباذلين انفسهم واموالهم وارواحهم في الله المؤثرين بذلك على الدنيا بل المحض اعلم ان الفرح ضد الغم يقال فرح يفرح فرحا وفرحا وفرحة وفرحانا وفرحة وفرحا وفرحا وفرحا

التوبة

يغني عنه فيقضي صلوتي من الله والله ان كنت لاريد ان اسلم بالف من قومه وكان كما قال وقيل لعل التسبب فيه انه لما طلب من الرسول قميصه الذي مس جلده ليدفن فيه غلب على ظن الرسول انه انتقل الى الايمان لانه وقت يتوب فيه الكافر فرغب ان يصلي عليه وذكر من اسباب دفع لقميص ان العباس عم رسول الله ص اخذ اسيرا يبدر ولم يجد واله قميصا طويلا فكساه عبد الله قميصه ومنها ان المشركين قالوا له يوم الحديبية انا لا ننقاد لمحمد ولكنا ننقاد لك فقال ان لي في رسول الله ص اسوة حسنة فشكر رسول الله ص صنيعه ومنها انه كان لا يرد السائل فلعله تعم واما السائل فلا تتهر ومنها ان ابنه عبد الله كان من الصالحين فالرسول اكرمه لكان ابنه ومنها اظهار الرافة والرحمة كما مر قوله مات صفة لاحد وابدا ظرف لقوله لا تصل وانه يحتمل تابيدا لنفي ونفي التابيد والظاهر الاول لان القرائن تدل على منعه من ان يصلي على احد منهم منعا كليا دائما قال الزجاج معنى قوله ولا تقم على قبره ان رسول الله ص كان اذا دفن الميت وقف على قبره ودعا له فنهى ههنا منه وقال الكلبي معناه لا تقم باصلاح مهمات قبره وانهم كفروا تعليل للنهي ويرد عليه ان الكفر حادث وسكم الله قديم والحادث لا يكون علة للقديم واجيب بان العلة ههنا بمعنى الامارة المعرفة للحكم قال في الكشاف وانما قيل مات وماتوا بلفظ الماضي والمعنى على الاستقبال على تقدير الكون والوجود لانه كائن موجود لا محالة وانما وصفهم بالفسق بعد وصفهم بالكفر لان الكافر قد يكون عدلا في دينه والكذب والنفاق والخداع والجبن والخبث مستقبح في جميع الاديان اما قوله ولا تعجبك اموالهم واولادهم فقد سبق مثله في هذه السورة بتفاوت الفاظ فوجب علينا ان نذكر سبب التفاوت ثم فائدة التكرار فنقول والله تعالى اعلم بمراده انما ذكر النهي ههنا بالواو وههنا بالفاء لان الفاء لا تعلق له ههنا بما قبله وهو هو على حاله الفسق خلاف ما هناك وانما قال ههنا واولادهم بدون لا لان المراد هناك الذين من لا دون الى الاعلى وان اعجابك اولئك الاقوام باولادهم فوق اعجابهم باموالهم كقولك لا تعجبني امر الناس ولا امر الشيوخ وههنا اراد المعية فقط اما الكفاء بما سبق هناك واما لان هؤلاء اقوام اخرون لم يكن عندهم تفاوت بين الامرين وقيل انه هناك لما علق الثاني بالاول تعلق الجزاء بالشرط اكد معنى النهي بتكرار لا وانما قال ههنا ان يعذبهم لانه اخبار عن قوم ماتوا على الكفر فتعلق الارادة بانهم فيموتوا هو العذاب واما في الاية المتقدمة فالمعنى محذوف وقدروا قيل الفائدة فيه التنبيه على ان التعليل فيها حكام الله محال وانه ليما ورد حرف التعليل فمعناه ان وانما حذف الجهة ههنا اكتفاء بما ذكر هناك وقيل تنبيها على ان الجهة الدنيا لا يستحق ان يبنى جهة لحسنها واما فائدة التكرير فهي المبالغة في التحذير من الاموال والاولاد لانها جاذبة للقلوب فتحتاج الى صارف قوي ويحتمل ان يكون الاولى في قوم والثانية في اخرين وقيل الثانية في اليهود والاولى في المنافقين ثم عاد الى توبيخ المنافقين فقال واذا انزلت سورة اي بعضها ويجوز ان يراد بعضها كما يقع القرآن والكتاب على بعضه وقيل هي براءة لان فيها الامر بالايمان والجهاد ان امنوا ان هي المفسرة لان انزال السورة في معنى القول وقال الواحدي تقديره بان امنوا وانما قدم الامر بالايمان لان الاشتغال بالجهاد لا يفيد الا بعد الايمان اولوا الطول ذوا الفضل والسعة من طال عليه طولا قال ابن العباس والحسن وقال الاصم الرؤساء والكبراء المطولون اليهم وخصوا بالذكر لان الذم لهم ألزم اذ لا عذر لهم في القعود مع القاعدين مع اصحاب الاعذار من الضعفة والزمنى والخوالف النساء اللواتي تخلفن في البيت وجوز بعضهم ان يكون الخوالف جمع خالف وكان يصعب على المنافقين تشبيههم بالخوالف ثم قال وطبع على قلوبهم كقوله ختم الله على قلوبهم وقد مر البحث فيه وقال الحسن الطبع بلوغ القلب في الكفر الى حد كان معه فات عن الايمان وقال الاشاعرة هو حصول هيئة الكفر المانعة من الايمان والطبع في اللغة الختم وهو اثر في الطين ونحوه ومنه الطبع للسجية التي جبل عليها الانسان فهم لا يفقهون امرا وحكمة الله في الجهاد وفي الذهاب من السعادة وما في التخلف من الشقاء وفي قوله لكن الرسول تكتة هي ان تخلف هؤلاء فقد انهض الى الغزو من هو خير منهم واخلص نية كقوله فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين ثم ذكر منافع الجهاد على الاجمال فقال واولئك لهم الخيرات وهي شاملة لمنافع الدارين وقيل هي الحور لقوله فيهن خيرات حسان وقوله واولئك هم المفلحون المراد منه الخلاص من المكاره ثم فصل ما اجمل فقال اعد الله الاية وقيل الخيرات الفلاح الدنيا وهذه في الاخرة والفوز العظيم عبارة عن تلك الحالة المرتبة رفيعة ودرجة عالية الثناء وقيل انما يؤثر استغفار الرسول في حقهم لعصوفي المقابل لا لتقصير في الفاعل والاثر يتوقف على الامرين جزاء بما كانوا يكسبون من دين القلوب وكدورة الارواح بظلمة الصفات المجبولة وهم كافرون مستورو القلوب بحجاب حب الاموال والاولاد لهم الخيرات لما سعوا سعي العبودية لانوا لخيرات الموسومة هم المفلحون المتخلصون عن حجب صفات النفس ذلك وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا الفوز العظيم اذ لا حجاب اعظم من حجاب النفس

اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ

لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَاللَّهُ
نيست بر ايشان هيچ نفقه كنند تنگى چون پاك خواهند خدا و رسول او را نيست بر نيكوكاران از راه بر وخدا
غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ
آمرزگار مهربانست ۝ ونه بر آنانكه چون آيند تو را برانى تا بر آنى كه ايشان را بنشانم شما را انچه بر آنشانم
عَلَيْهِ تَوَلَّوا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ إِنَّمَا السَّبِيلُ
بر آن بر گردند وچشمهاى ايشان ملو بود از اشك اندوه انكه نباشد آنچه نفقه كنند در سبيليكه براه
عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ
بر آنانست كه دستورى خواهند از تو وايشان توانگرانند خوشنود شدند بانكه باشند با زنان وكودكان ومهر نهاد
اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُل لَّا
خدا بر دلهاى ايشان پس ايشان نميدانند ۝ عذر خواهند از شما چون بازگرديد بسوى ايشان بگو
تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ
عذر مخواهيد هرگز نداريم شما را بدرستيكه خبر داد ما را خدا از اخبار شما
وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ
ورسول او پس بازگردانند بسوى دانائى نهان ودانشكار پس بيناگاهانند شما را بانچه كرديد
سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ
زود سوگند خورند بخداى شما چون برسيد بسوى ايشان تا بر گرديد از ايشان پس بر گرديد از ايشان بدرستيكه ايشان
رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ
پليدند وجايگاه ايشان دوزخ است پاداش انچه ايشان مى اندوختند ۝ سوگند خورند شما را تا راضى شويد از ايشان
فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ۝ الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا
پس اگر راضى شويد از ايشان پس بدرستيكه خدا راضى نشود از گروه تباه كاران ۝ اعراب
وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ
ونفاق سزاوارتر كه ندانند حدهاى انچه فرستاد خدا بر رسول خود وخدا داناى محكم كارست
وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ
واز اعراب هست كسيكه فرا ميگيرد انچه انفاق ميكند تاوانى وچشم ميدارد بشما حادثها بر ايشان حادثه
السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ
بد وخدا شنواى داناست ۝ واز اعراب هست كسيكه ايمان آورد بخدا وروز باز پسين ويگيرد انچه نفقه ميكند
قُرُبَاتٍ عِندَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ
نزديكى نزد خداى را ودرودهاى رسول بدان كه آن نزديكيست ايشان را زود درآورد ايشان را خدا در رحمت خود
إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ القراءة المعذرون من الاعذار قتيبة وبعقوب الباقون بالتشديد
بدرستيكه خدا آمرزگار مهربانست ۝ معذرون است دائرة السوء بضم السين وكذلك في الفتح ابو عمرو وابن كثير الاخرون
بفتحها قربة بضم الراء نافع غير قالون الاخرون باسكانها وكلاهما بمعنى الوقوف ورسوله ط اليم ٥
لله ورسوله ط من سبيل ط رحيم ٥ لا للعطف ما ينفقون ٥ ط اغنياء ج لاحتمال ان يكون رضوا مستانفا
او وصفا مع الخوالف لا لان الواو للعطف والحال لا يعلمون ٥ الجزء الحادى عشر وثلث العشر ان اليم
من اخباركم ط يعلمون ٥ لترضوا عنهم ط عنهم ط رجس ز لاختلاف الجملتين مع شدة اتصال المعنى
في اتمام الوعيد جهنم ج لان جزاء يصلح ان يكون مفعولا له او مفعولا مطلقا لمحذوف او يجزون جزاء
يكسبون ٥ لترضوا عنهم ج ط لابتداء الشرط مع فاء التعقيب الفاسقين ٥ على رسوله ط حكيم ٥ الدوائر

التوبة

دائرة السوء عليهم ط والرسول ط لهم ط في رحمته ط رحيم ٥ التفسير لما شرح احوال منافقي المدينة شرع في احوال المنافقين من اهل البدو فقال وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ من قرء بالتخفيف فهو من اعذر اذا اجتهد في العذر وبالغ فيه ومنه قوله من انذر فقد اعذر فكانه تعالى فصل بين اصحاب العذر وبين الكافرين فالمعذرون هم الذين اتوا بالعذر وهم اسد وغطفان قالوا ان لنا انباعا وعيالا وان بنا جهدا فائذن لنا في التخلف وقيل هم رهط عامر بن الطفيل قالوا ان غزونا معك اغارت اعراب طي على اهالينا ومواشينا فقال صلى الله عليه وآله سيغنيني الله عنكم وعن مجاهد نفر من عفار ومن قرء بالتشديد ففيه وجهان الاول ان يكون من التعذير وهو التقصير في الامر والتواني فيه وحقيقته ان يوهم ان له عذرا فيما يفعل ولا عذر له الثاني وقد ذكره الفراء والزجاج وابن الانباري انه من الاعتذار والاصل فيه المعتذرون ادغمت التاء في الذال بعد نقل حركتها الى العين والاعتذار قد يكون بالكذب كقوله تعالى يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا وقد يكون صحيحا كقول القائل ومن بيك حولا كاملا فقد اعتذرا جاء بعذر صحيح فاذا اخذنا بقراءة التخفيف كان المعذرون صادقين واذا اخذنا بقراءة التشديد وفسرناها بالمعتذرين احتمل الامرين ومن المفسرين من رجح جانب صدقهم لانه تعالى ميزهم من الكاذبين بقوله وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ومنهم من مال الى انهم كاذبون روى الواحدي باسناده عن ابي عمرو انه قال ان اقواما تكلفوا عذرا بباطل وهم الذين عناهم الله بقوله وجاء المعذرون وتخلف اخرون لا بعذر ولا بشبهة عذر جراة على الله وهم الذين اراد هم الله بقوله وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وهم منافقوا الاعراب الذين لم يجيئوا ولم يعتذروا وظهر بذلك انهم كذبوا الله ورسوله في ادعائهم الايمان سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ من الاعراب عَذَابٌ أَلِيمٌ في الدنيا بالقتل وفي العقبى بالنار وانما قال منهم لعلمه بان بعضهم سيؤمن ويتخلص من هذا العقاب ثم ذكر ان تكليف الجهاد ساقط عن اصحاب الاعذار الحقيقية فقال لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وهم الذين في ابدانهم ضعف في اصل الخلقة او لهرم ولا عَلَى الْمَرْضَى ويدخل فيه اصحاب العمى والعرج والزمانة وكل من كان موصوفا بمرض يمنعه من التمكن من المحاربة وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ في الغزو على انفسهم حَرَجٌ قيل هم مزينة وجهينة ومن عده وفيه دليل على انه لا يحرم عليه الخروج اذا امكنه الاغاثة بمقدار القدر لحفظ متاع المجاهدين وتكثير سوادهم وانما يكون ذلك منه طاعة مقبولة اذا لم يجعل نفسه كلا ووبالا عليهم ثم انه شرط في جواز القعود النصح لله ورسوله ليحترزوا بعدهم عن الغاء الارجاف واثارة الفتن ويقدموا على اصلاح مهمات بيوتهم وبالجملة على كل ما له مدخل في طاعة الله ورسوله وموافقة السر العلن كما يفعل المولى الناصح بصاحبه ثم قال مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ اي المعذرين الناصحين مِنْ سَبِيلٍ للعقاب والمؤاخذة قال بعض اهل الظاهر كداود والاصفهاني وغيره ان المحسن هو الاتي بالاحسان وراء الاحسان وسنامه هو قول لا اله الا الله فهذا يدل على ان المكلف اذا تكلم بهذه الكلمة برئت ذمته نفسه وماله الا بدليل منفصل كما ان السلطان لو قال لاهل مملكته تكليفي عليكم كذا وكذا وبعد ذلك لا سبيل لاحد على احد كان ذلك دليلا على انه لا تكليف عليهم فيما وراء ذلك لان باب النفي لا نهاية له فلا ينضبط الا بهذا الطريق وعلى هذا لو ورد في القرآن الف تكليف او اقل او اكثر كان ذلك تنصيصا على ان التكاليف محصورة فيها وفيما وراءها ليس لله على الخلق تكليف وامر ونهي وبهذا الطريق يصير الشريعة مضبوطة ويكون القرآن وافيا ببيان التكاليف والاحكام ولا حاجة الى التمسك بالقياس الا ان هذا التنزل على ان الاصل براءة الذمة فان كان القياس مفيدا للبراءة ايضا فضايع وان كان

يفيد شغل الذمة صادر مخصصا لعموم النص وانه لا يجوز لان النص اقوى من القياس ولما ذكر
ذكر الضعفاء والمرضى والفقراء بين قسما رابعا وهم الذين لا يجدون الراحلة وان قدروا
على الزاد فقال ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم اى على المركوب قلت قال فى الكشاف
هو حال من الكاف فى اتوك باضمار قد اى اذا ما اتوك قائلا لا اجد ما احملكم عليه تولوا
وجوز ان يكون واسطة بين الشرط والجزاء كالاعتراض قلت ويحتمل ان يكون بدلا من اتوك قال
مجاهد هم ابناء مقرن ومقرن وسويد والنعمان وقيل ابو موسى الاشعرى واصحابه اتوا
رسول الله صلى الله عليه واله ليستحملوه فرد وافق منه غضبا فقال ما احملكم عليه فتولوا
وهم مدبرون يبكون فدعاهم واعطاهم ذودا عن الذمى فقالا ابو موسى الست حلفت يا رسول
الله صلى الله عليه واله فقال اما انى ان شاء الله لا احلف يمين فارى غيرها خيرا منها وكفرت
عن يمينى وقيل هم البكاؤن ستة نفر من الانصار معقل بن يسار وصخر بن حنساء وعبد الله
ابن كعب وعلبة بن زيد وسالم بن عمير وثعلبة بن عنمة وعبد الله بن مغفل اتوا رسول الله صلى الله
عليه واله فقالوا يا نبى الله ان الله عز وجل قد ندبنا للخروج معك فاحملنا على حقاق المرنوعة
البغال المخصومة تغزو معك فقال لا اجد ما احملكم عليه فولوا وهم يبكون وقوله تفيض من الدمع
كقولك تفيض من الدمع دمعا وهو ابلغ من تفيض دمعها لان العين جعلت كانها فائضة
ومن للبيان والجار والمجرور فى محل النصب على التمييز حزنا الا يجدوا اى على ان لا يجدوا انما
السبيل اى سبيل العتاب والعقاب فى امر الغزو والجهاد على الذين يستاذنونك فى التخلف وهم
اغنياء ثم قال على سبيل الاستيناف رضوا كانه قيل فما لهم استاذنوا وهم قادرون على الاستعداد
فقيل رضوا بالخساسة والانتظام فى جملة الخوالف ومن جملة اسباب الاستيذان ان طبع الله
تعالى على قلوبهم قال اهل العلم لما قال فى الاية الاولى واذا انزلت سورة قال هناك
وطبع ليكون المجهول منفيا على المجهول بخلافه فى هذه الاية ثم ان العلم فوق الفقه وكان انسب بالمقام
الذى جرى فيه ذكر الله اما قوله قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم فانه علة المنع من الاعتذار لان غرض المعتذر
ان يصير عذره مقبولا فاذا علم بان القوم يكذبونه وجب عليه تركه وقوله قد نبانا الله علة لانتفاء التصديق
وسيرى الله عملكم يعنى رؤيته وقوع اى سيقع انكم هل تتقون على الحالة التى تظاهرونها ام لا وفى قوله ثم
تردون الى عالم الغيب تخويف شديد وفيه انه مطلع على بواطنهم الخبيثة وضمائرهم المملوءة من
النفاق والكذب وانما لم يقل فى هذه الاية والمؤمنون كما فى الاية التى تجئ لان هذه فى المنافقين
ولا يطلع على ما فى باطنهم الا الله ثم رسوله باطلاع الله اياه بنوبتر كما قال قد نبانا الله من اخباركم
والاية الاخرى فى المؤمنين وعباداتهم ظاهرة للكل وختم ايات المنافقين بقوله ثم تردون
لانه وعيد فقطعه عن الاول بخلاف اية المؤمنين حيث وصلها بالواو لانه وعد والله اعلم ثم ذكر
منافقى الاعراب سيؤكدون اعذارهم بالايمان الكاذبة مثل ما حكى تعالى عن منافقى المدينة فقال
سيحلفون بالله لكم اى لاجلكم اذا انقلبتم اى رجعتم اليهم ولم يذكر المحالف عليه والظاهر انهم حلفوا على انهم ما
قدروا على الخروج ولكن بين غرضهم من الحلف فقال لتعرضوا عنهم اى اردوا الصفح والعفو فامر الله المؤمنين باعطاء
طلبتهم ولكن على سبيل المقت لا الصفح وكذا قال ابن عباس اراد ترك الكلام والسلم وقال مقاتل قال

الا ايب الذى هو خير منها

التوبة

رسول الله حين قدم المدينة لا تجالسوهم ولا تكلموهم وكانوا ثمانين رجلا منهم جد بن قيس ومعتب فيشر بن علية الاجتناب عنهم فقال انهم رجس فكانهم بخس العين فلا سبيل الى تطهيرهم بالعقاب والتوبيخ وفي امثالهم انما يعاقب الاديم دون البشرة المعاتبة المعاودة وبشرة الاديم ظاهره الذي عليه الشعر اي انما يعاد الى الدباغ من الاديم ما سلمت بشرته بضرب لين فيها مراجعة ومستعتب اذا لم يكن المعاتبة نافعة فيهم فتركها هو الصواب وماويهم جهنم منقلبهم النار عنا باوبيخ ثم بين انهم طلبوا اعراضهم الصفح بقولهم يحلفون لترضوا عنهم فنهاهم عن الرضى بقوله فان ترضوا عنهم الاية ذلك ان ارادة المؤمن يجب ان تكون موافقة لارادة الله واي فائدة في رضى المؤمنين اذا كان الله تعالى ساخطا عليهم ثم عدد مثالب الاعراب واراد بهم جميعا معنيين كانوا يقولون منافقي المدينة قال اهل اللغة رجل عربي اذا كان نسبه الى العرب ثابتا وجمعه اعراب كالمجوسي والمجوس واليهودي واليهود فالاعرابي اذا قيل له يا اعرابي فرح واذا قيل للعربي يا اعرابي غضب وذلك ان من استوطن القرى العربية فهو عربي ومن نزل البادية فهو اعرابي ولهذا لا يجوز ان يقال للمهاجرين والانصار اعراب وانما هم عرب قال لا يؤمن امرأة رجلا ولا فاسق مؤمنا الا اعرابي مهاجرا قيل انما سمي العرب عربا لان اولاد اسمعيل عليه السلام نشأوا بالعربة وهي من تهامة ونسبوا الى بلدهم وكل من سكن جزيرة العرب ينطق بلسانهم فهو منهم وقيل لان السنتهم معربة عما في ضمائرهم لما في لسانهم من الفصاحة والبلاغة يحكى عن بعض الحكماء انه قال حكمة الروم في ادمغتهم وذلك لانهم يقدرون على التركيبات العجيبة وحكمة الهند في اوهامهم وحكمة يونان في افئدتهم وذلك لكثرة ما لهم من المباحث العقلية وحكمة العرب في السنتهم وذلك لحلاوة الفاظهم وعذوبة عباراتهم وانما حكم على الاعراب بانهم اشد كفرا ونفاقا لانهم يشهدون الوحوش سئل بعض الحكماء ما بال اهل البادية لا يحتاجون الى الطبيب فقال كما لا يحتاج حمار الوحش الى المباطرة ولاستيلاء الهواء الحار عليهم الموجب لكثرة الطيش والخروج عن الاعتدال وان من اصبح وامسى مشرفا عليه انوار النبوة ومشرفا باستماع مواعظه واداب كيف يكون مساويا لمن يشاء كما شاء من غير سياسة ساس ولا تاديب مؤدب وان شئت فقل الفواكه الجبلية بالفواكه البستانية ولهذا قالوا الجفاء والقسوة في الغلادين اي الاكارين لانهم يعدون اي يضيعون وقوله واجدر اي اقرب واحق بان لا يعلموا حدود ما انزل الله اي مقادير تكاليفه واحكامه وما ينتمي اليه الادلة العقلية والسمعية والله عليم بما في قلوب اهل البدو والحضر واصحاب الوبر والمدر حكيم في كل ما قدر من الشرايع وما يتبعها من الجزاء ثم نوع جنس الاعراب فقال ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرما هو مفعول ثان للتخذ لانه بمعنى الجعل والاعتقاد والزعم اي يعتقد ان الذي ينفقه في سبيل الله غرامة وخسران وقد عرفت ان اصل الغرم اللزوم كانه اعتقد انه لزم لا مرمن خارج كقتية اوبناء لبس مما يليق من النفقة والمغرم اما مصدر او موضع ويتربص بكم الدوائر نوب الزمان وتضاريفه ودوله وكانها لاستعلاء المكروه تشبيها بالدائرة التي تحيط بما في ضمنها بحيث لا يوجد منها مخلص ثم حبب الله ظنونهم بالاسلام وذوبه بان دعا عليهم بقوله عليهم دائرة السوء وانها جملة معترضة كقولك غلت ايديهم والسوء بالفتح مصدر اضيف اليه الدائرة للملابسة كقولك رجل صدق قال في الكشاف وهو ذم للدائرة لان من ذارت عليه دام لها وبالضم اسم بمعنى البلاء والعذاب والمراد انهم لا يرون في محمد ودينه الا ما يسوءهم والله سميع لاقوالهم عليم بنياتهم قيل هم اعراب اسد وغطفان وتميم ثم ختم الكلام بذكر الصالحين منهم فقال ومن الاعراب والمعنى انهم يعتقدون ما ينفقونه سببا لحصول القربات عند الله وسببا لحصول القربات عند الله وسببا لصلوات الرسول عليهم لانه كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم كقوله اللهم صل على آل ابي اوفى ثم انه تعالى اشهد لهم ولاموالهم بصحة ما اعتقدوه فقال على طريق الاستيناف وكذا الجواب في التنبيه التحقيق لا انها قربة لهم ثم فسر القربة بقوله سيدخلهم والسين لتحقيق الوعد قيل هم عبد الله ذو البجادين ورهطه اخذ ذو البجادين اسم بجاد وهو كساء مخطط فشقه نصفين فزر به باحدهما وازر به بالثاني وبعثه الى رسول الله ﷺ فكان فائدة والله اعلم التاويل الناس ثلثة المقصرون والمعذورون والمعتذرون بتقصيرهم والقاعدون الكذابون والناصحون المخلصون في الطلب لكن فيهم الضعفاء والمرضى والفقراء فلا حرج عليهم في القعود عن طلب الكمال بالظواهر مع اشتغال البواطن في الطلب بقدر الاستعداد ولا على الذين اذا ما اتوك بطريق المتابعة لتحملهم على جناح الهمة النبوية وتوصلهم الى مقامات لم تكونوا بالغيها بجناحي البشرية والروحانية قلت لا اجد ما احملكم عليه ترفعا وكلالا واستهزاء لن نؤاخذ ولن نؤاسركم كما قيل لموسى لن نؤاخذ زيادة لشوقه وكم اعتبأ لهم الاستعداد الكاملة فلم يستعملوها في طلب الكمال كسلا وميلا الى اللذات العاجلة الاعراب اشد كفرا ونفاقا في غالب الانسانية وهو انفسه وحضره قابلية الكفر والنفاق للنفس مقتضى الذات كما ان الايمان للقلب لذاته بالنظرة وقد يصير القلب كافرا بسراية النفس مؤمنة بسراية القلب لكن النفس يكون اشد كفرا من القلب الكافر كما ان القلب يكون اشد ايمانا من النفس المؤمنة حدود ما انزل الله على رسوله يعني الوارد ات النازلة على الروح فان القلب حضرة الروح كما ان المدينة حضرة الرسول ﷺ ومن المنفوس من يعتقد انها ما

التاويل

يصرف عن اوقاته في طلب الكمال ضايع وخسارة ينتظر بالقلب اشتعالا وفرة عليهم دائرة السوء باستيلاء القلب عليها و
قهرها بما يخالف هواها والله سميع يجيب هذا الدعاء عليهم بمن ينبغي ان يسمع في حقه والسابقون الاولون من المهاجرين
والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه واعد لهم جنات تجري من تحتها

و بديشان والانكه پيروى كنند ايشان را بنكوئى راضى شدند خدا از ايشان و راضى شدند از او و آماده كرد ايشان را بجهت ايشان بهشتها كه روان است از زير ايشان

الانهار خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن اهل المدينة مردوا

نهرها جاويد باشند در آنجا همشه اين پيروزى بزرگ و از آنكه پيرامن شما ايشانند از اعراب منافقانند و از اهل مدينه سخت گشتند

على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون الى عذاب عظيم واخرون اعترفوا

بر نفاق ما ميدانيم ايشان را عذاب كنيم ايشان را دو مرتبه پس باز گردانيده شوند بسوى عذاب بزرگ و ديگران معترف شدند

بذنوبهم خلطوا عملا صالحا واخر سيئا عسى الله ان يتوب عليهم ان الله غفور رحيم خذ من

بگناهان خويش عمل نيك و ديگر شايد خدا آنكه ببخشد بر ايشان بدرستيكه خدا آمرزنده مهربان است و اگر از

اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلوتك سكن لهم والله سميع عليم

مالهاى ايشان صدقه تا پاك كنى ايشان را و تزكيه كنى ايشان را بان و دعا كن بر ايشان بدرستيكه دعاى تو آرامش ايشان را و خدا شنوا و داناست

الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وان الله هو التواب الرحيم وقل اعملوا

آيا ندانستند خدا او توبه پذيرنده از بندگان خود و آنكه خدا او است توبه پذير مهربان و بكوئيد كار كنيد

فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون

پس زود باشد كه ببيند خدا عمل شما را و رسول او و مؤمنان و زود باز گردانيده شويد بسوى دانا بر نهان و آشكار پس بشما گويد بآنچه بوديد

واخرون مرجون لامر الله اما يعذبهم واما يتوب عليهم والله عليم حكيم والذين اتخذوا مسجدا ضرارا

و ديگرانند تأخير كرده شدگان بر فرمان خدا يا عذاب كند ايشان را و يا ببخشايد بر ايشان و خدا دانا كار است

وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وارصادا لمن حارب الله ورسوله وليحلفن ان اردنا الا الحسنى والله يشهد

و بكفر گرائيدند و جدائى افكندن ميان مؤمنان و ستيزه كردن كمين گاهى مر آنرا كه محاربت كرد با خدا و رسول او از پيش و سوگند خورند كه نخواستيم مگر نيكوئى و خدا

انهم لكاذبون لا تقم فيه ابدا لمسجد اسس على التقوى من اول يوم احق ان تقوم فيه فيه رجال يحبون ان

بدرستيكه ايشان دروغگويانند هرگز بپا مايستى در آن هرآينه مسجدى بنا نهاده شد بر پرهيزكارى از روز اول سزاوارتر است بآنكه بپا ايستى در آن در آنجا مردانند دوست ميدارند

يتطهروا والله يحب المطهرين افمن اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير ام من اسس بنيانه

كه پاك شوند و خدا دوست ميدارد پاكيزه كاران را آيا آنكه بنا نهاد بنا خود را بر تقوى از خدا و خوشنودى بهتر است يا آنكه بنا نهاد بنا خود را

على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة

بر كنارهٔ پرتگاه پس فرو ريخت با او در آتش دوزخ و خدا راه نمينمايد بستمكاران را و همواره بنا نهادن ايشان كه بنا كردند

في قلوبهم الا ان تقطع قلوبهم والله عليم حكيم القراءة من تحتها بزيادة من ابن كثير الباقون تجد فيها وبالنصب

در دلهاى ايشان مگر كه پاره پاره شود و خدا دانا است و خداوند حكيم بخوانى از تحتها بزيادت من از ابن كثير باقى تجد فيها و بنصب

على الظرف الانصار بالرفع بعقوب لا تزال بالجزم صلوتك على

التوحيد حمزة وعلى وخلف وعاصم غير ابي بكر وحماد الباقون على الجمع بكسر التاء علامة للنصب مرجون بواو وساكنة

بعد الجيم ابو جعفر ونافع وحمزة وعلى وخلف وعاصم سوى ابي بكر وحماد الباقون بالهمزة المضمومة بعد الجيم الذين اتخذوا بغير واو

ابو جعفر ونافع وابن عامر اسس بنيانه محمولا في الحرفين ابن عامر ونافع جرف بسكون الراء ابن عامر وحمزة وخلف ويحيى

وحماد الباقون بالضم هار بالامالة ابو عمرو وحمزة وفي رواية ابن سعدان وابي عمرو وعلي غير ليث وابن حمدون وحمدويه

والبخاري عن ورش وابن ذكوان غير ابن مجاهد والنقاش ويحيى وحمادا الى ان قراها بعقوب الباقون الا ان تقطع فعلا

ماضيا او مضارعا بحذف التاء من التفعل ابن عامر وبزيد وحمزة وحفص والمفضل وسهل ورويس تقطع مضارعا

مجهولا من التقطيع الوقوف باحسان لان قوله رضي الله عنهم جزم السابقون ابدا العظيم منافقون لمن قدر ومن اهل المدينة

قوم مردوا ومن وصل وقف على اهل المدينة تقديره مردوا على النفاق ومن قال ومن اهل المدينة قوم احتمل ان يجعل

لا تعلمهم صفة للقوم ثم يقف لا تعلمهم نحن نعلمهم عظيم لاحتمال التقدير ومنهم آخرون وان يكون معطوفا على

منافقون او على قوم المقدر سيئا عليهم ما رحيم وصل عليهم ما عليم الرحيم والمؤمنون ما تعلمون يتوب عليهم حكيم

من قبل ما الحق بالكاذبون ابدا ما ان تقوم فيه ما ان يتطهروا ما المطهرين في نار جهنم ما الظالمين قلوبهم ما حكيم التقيد

التوبة

لما ذكر الاعراب المخلصين بين ان فوق منازلهم منازل اعلى واجل وهى منازل السابقين الاولين والتابعين لهم باحسان قال ابن عباس السابقون الاولون من المهاجرين هم الذين صلوا الى القبلتين وشهدوا بدرا وعن الشعبى هم الذين بايعوا بيعة الرضوان بالحديبية ومن الانصار اهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة نفر واهل بيعة العقبة الثانية وكانوا سبعين فى الذين آمنوا حين قدم عليهم ابو زرارة مصعب بن عمير يعلمهم القرآن والظاهر ان الاية عامة فى كل من سبق فى الهجرة والنصرة قال اهل السنة لا شك ان ابا بكر اسبق فى الهجرة او هو من السابقين فيها وقد اخبر الله تعالى عنهم بانه رضى عنهم ولا شك ان الرضاء معلل بالسبق الى الهجرة فيدوم بدوامه فدل ذلك على صحة امامته والا استحق اللعن والمقت قال اكثر العلماء كلمة من فى قوله من المهاجرين والانصار للتبعيض وانما استحق السابقون منهم هذا التعظيم لانهم آمنوا وفى عدد المسلمين فى مكة والمدينة قلة وفيهم ضعف فقوى الاسلام بسبهم وكثر عدد المسلمين واقتدى بهم غيرهم وقد قيل من سن سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها وقيل للمتبعين ليتناول المدح جميع الصحابة وروى عن حميد بن زنادانه قال قلت يوما لمحمد بن كعب القرظى الا تخبرنى عن اصحاب رسول الله ﷺ وما كان بينهم فقال لما ان الله تعالى قد غفر لهم واوجب لهم الجنة فى كتابه احسنهم وسيئهم قلت له فاى موضع اوجب لهم الجنة قال سبحان الله الا تقرأ قوله تعالى والسابقون الاولون الى آخر الاية اوجب جميعهم الرضوان وشرط على التابعين شرطا لم يشرط عليهم وهو الاتباع بالاحسان وذلك ان يقتدوا بهم فى اعمالهم الحسنة لا السيئة او باحسان فى القول وهو ان لا يقولوا فيهم سوءا ويحفظوا لسانهم عن الاعتياب والطعن فى حقهم قال العلماء معنى رضاء الله عنهم قبول طاعاتهم ثم تعالى فى شرح احوال المنافقين فقال ومن حولكم هو خبر ومن الاعراب بيان او حال ومنافقون مبتداء ومن اهل المدينة عطف على الخبر او خبر لمبتداء اخر بنا على ان التقدير ومن اهل المدينة قوم مردوا والتركيب يدل على الملاسة والبقاء على هيئة واحدة فمن ذلك صرح ممرد وغلام امرد وارض مرداء لا نبات فيها وتمردا عتا فان من لم يقبل قول غيره ولم يلتفت اليه يبقى كما كان على هيئة الاصلية من غير تغير فيعنى مردوا على النفاق تمهروا وتمرنوا وبقوا عليه حذاقا معودين الى حيث لا تعلم انت نفاقهم مع وفور حدسك وقوة ذكائك ثم قال سنعذبهم مرتين قال ابن عباس هما العذاب فى الدنيا بالفضيحة والعذاب بالقبر روى السدى عن ابى مالك انه ﷺ قام خطيبا يوم الجمعة فقال اخرج يا فلان انك منافق حتى اخرج ناسا وفضحهم وقال مجاهد هما القتل والسبى وعذاب القبر وقال قتادة بالزلازل وعذاب القبر وقال محمد بن اسحق هو ما يدخل عليهم من غيظ الاسلام والمسلمين ثم عذابهم فى القبور وقال الحسن باخذ الزكوة من اموالهم وبعذاب القبر وقيل احد العذابين ضرب الملائكة الوجوه والادبار والاخر عند البعث بوكل بهم عنق من نار ثم يردون الى عذاب عظيم هو الدرك الاسفل من النار قال الكلبى ومن حولكم جهينة ومزينة واشجع واسلم وغفار ومن اهل المدينة عبد الله بن ابى وجد بن قيس ومعتب بن قشير وابو عامر الراهب واضرابهم ثم قال واخرون وهو معطوف على منافقون او مبتداء اعترفوا صفته وخلطوا خبره وعسى الله جملة مستانفة وقيل خلطوا خالطوا بانما وقد وعسى الله خبر والمعترفين خلاف فى انهم قوم من المنافقين تابوا عن نفاقهم او قوم من المسلمين تخلفوا عن غزوة تبوك لا للكفر والنفاق ولكن للكسل ثم ندموا على ما فعلوا عن ابن عباس فى رواية لما نزلت فى قوم كانوا قد تخلفوا ثم ندموا وقالوا نكون فى الكن والظلال مع النساء ورسول الله ﷺ واصحابه فى الجهاد روى انهم كانوا ثلثة ابو لبابة ومرداس بن المنذر واوس بن ثعلبة وديعة بن حزام وقيل كانوا عشرة فسبعة منهم حين بلغهم ما نزل فى المخلفين قالوا بانفسنا لما ذهبنا الى رسول الله ﷺ ورغبنا فى صحبته وصحبة المسلمين تخلفنا عنه وشاهدنا ما شاهدنا من الجهد والضر فكيف به اذا سافر فى الحر والقيظ وبعد الشقة ونحن فى الظل والماء والثمار والنساء والله لنوطنن انفسنا على امر ان يطيب نفس رسول الله ﷺ ويعذرنا فيه فربطوا انفسهم على سوارى المسجد وقالوا والله لا نطلق انفسنا حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذى يطلقنا ويعذرنا فقدم رسول الله ﷺ فدخل المسجد وصلى ركعتين وكانت هذه عادته كلما قدم من سفر فرآهم موثقين فسئل عنهم فقالوا هؤلاء تخلفوا عنك فعاهدوا الله ان لا يطلقوا انفسهم حتى تكون انت الذى تطلقهم وترضى عنهم فقال رسول الله وانا اقسم بالله لا اطلقهم ولا اعذرهم حتى امر بطلاقهم فنزلت هذه الاية فاطلقهم وعذرهم فقالوا يا رسول الله هذه اموالنا وانما تخلفنا عنك بسببها فتصدق وطهرنا فقال ما امرت ان آخذ من اموالكم شيئا فنزل خذ من اموالهم صدقة الاية والاعتراف هو الاقرار بالشئ عن معرفة والمراد انهم اقروا بذنوبهم وهذا كالمقدمة للتوبة لان الاعتراف بالذنب لا يكون توبة الا اذا اقترن به الندم على الماضى والعزم على تركه فى الحال وفى الاستقبال خلطوا عملا صالحا واخر سيئا اى خلطوا كل واحد منهما بالاخر كقولك خلطت الماء واللبن وهذا ابلغ من قولك خالطت لانك جعلت فى الاول كلا منهما مخالطا ومخلوطا به كانك قلت خلطت الماء باللبن واللبن بالماء ويجوز ان يكون الواو بمعنى الباء من قولك بعت الشاة شاة ودرهما اى شاة بدرهم وذلك ان الواو والجمع والباء للالصاق فيهما متقاربان ويجوز ان يقال الخلط ههنا بمعنى الجمع قال اهل السنة مهما دليل على نفى القول بالمحابطة لانه لو لم يبق العملان لم يتصور اختلاطهما وفى قوله عسى الله ان يتوب عليهم دليل على وقوع

التوبة الى اخر الحصر ومقدمتها وهي الاعتراف بعدم وفيه دليل على قبول توبتهم لان عسى من الكريم اطماع واجب وفائدة ان يكون المكلف على الطمع والاشفاق فلا يتكل ولا يهمل وفيه ان التوبة بخلق الله وقالت المعتزلة معنى ان يتوب ان يقبل التوبة وديانة عدول عن الظاهر مع ان الدليل العام وهو وجوب انتهاء الكل الى مشيته وتكوينه بعضد ما قلناه ثم قال سبحانه خذ من اموالهم صدقة عن الحسن كانوا يقولون ليس لما ادى من هذه الاية الا الصدقات الواجبة وانما هي صدقة كفارة الذنب الذي صدر عنهم وبهذا يحصل انتظام بينها وبين ما قبلها كما مر وقال اكثر الفقهاء المراد بها الزكوة ووجه انتظام انهم لما اظهروا التوبة والندامة امروا باخراج الزكوة الواجبة تصحيحا لدعواهم ومما يدل على ذلك ان الامر ظاهره الوجوب وايضا التطهير والتزكية يناسب الواجب لا التطوع وفي قوله من اموالهم دلالة على ان القدر الماخوذ بعض تلك الاموال ويتعين ذلك البعض ما عرف من السنة وفي اضافة المال اليهم دليل على ان المال مالهم ولا شركة للفقير فيه فتكون الزكوة متعلقة بذمة حتى لو تلف النصاب بعد الوجوب بقي الحق في ذمة المالك وهو قول الشافعي وقوله تطهرهم وتزكيهم الثناء فيهما للخطاب اي تطهرهم ايها الاخذ وتزكيهم بواسطة المال الصدقة وقيل الثناء في مطهرهم للتانيث والضمير للصدقة وفيه نوع انقطاع للمعطوفين قال العلماء المعطوف متغاير ان لان المحال تزكية مبالغة في التطهير او هي بمعنى الانماء كانه تعالى جعل النقصان سببا للانماء والزيادة والبركة او المراد بالتزكية تعظيم شانهم والاثناء عليهم قال ابو حنيفة ظاهر الاية يدل على ان الزكوة طهرة للاثام فلا تفرض الا حيث يمكن حصول الاثام وذلك لا يعلم الا في حق البالغ العاقل دون الصبي والمجنون وقال الشافعي يجب الزكوة في مالهما لانه لا يلزم من انتفاء سبب معين انتفاء الحكم مطلقا وصل عليهم قال ابن عباس معناه ادع لهم فمن هنا قال الشافعي السنة للامام اذا اخذ الصدقة ان يدعو للمتصدق ويقول اجرك الله فيما اعطيت وبارك لك فيما ابقيت وقال اخرون بظاهر اللفظ لما روي عن عبد الله بن ابي اوفى قال كان ابي من اصحاب الشجرة وكان النبي ﷺ اذا اتاه قوم بصدقتهم قال اللهم صل على ال فلان فاتاه ابي بصدقته فقال اللهم صل على ال ابي اوفى واكثر الائمة الان على انه لا يصلى لصلوة لغير النبي على غيره الا تبعا واطلق بعضهم كالغزالي اظام الحرمين لفظ الكراهة وقالوا السلم ايضا في معنى الصلوة واما الشيعة فانهم يذكرون الصلوة والسلم في حق الرسول ايضا كعلي واولاده ع وهم على العموم من قريشيين بنو هاشم والمطلبيون بنو امية وبنو نوفل وعنهم قالوا لانها كانت جائزة في حق من يؤدي الزكوة فكيف يمنع ذكره اولا يحسن في اهل بيت الرسول ولان الكل اجمعوا على جوازها بالتبعية فما الفرق واما السلام فلا كلام عليه لانه جائز في حق جميع المسلمين فكيف لا يجوز في الرسول ان صلوتك لهم وانسكن لهم والسكن ما يسكن اليه القلب وتطمئن به نفسه وذلك لان دعاءه يستجاب البتة فيستظهرون بها وكيف لا ويفيض اشراق نفسه عليهم بتوجهه اليهم والترحم لهم احتج من نفى الزكوة بها في زمان ابي بكر فقالوا الوجوب مشروط بحصول السكن ولان لا سكن ورد عليهم بانا لا ايات روي ان رسول الله ﷺ لما حكم بصحة توبة هؤلاء قال الذين لم يتوبوا هؤلاء قال الذين لم يتوبوا هؤلاء الذين تابوا كانوا بالامس معنا لا يكلمون ولا يجالسون فما لهم فنزلت الم يعلموا اي غير التائبين وقيل معناه الم يعلم التائبون قبل ان يتاب عليهم وتقبل صدقاتهم ان الله يقبل التوبة الصحيحة ويقبل الصدقات الصادرة عن خلوص نية وفائدة توسط هو ان يعلم ان الالهية هي الموجبة لقبول التوبة لا استغنائه عن طاعة المطيعين ومعصية المذنبين فاذا انتقل العبد من حالة المعصية الى حالة الطاعة وجب على كرمه قبول توبته وفيه رد على من قبل التوبة ليس الى الرسول في قوله عن عباده دون من اشارة الى البعد الذي يحصل للعبد عن الله بسبب المعصية او الى بعده نفسه عن الله هضما وانكسارا وفي اضافة اخذ الصدقات الى الله بعد ان امر الرسول بالاخذ تشريف عظيم لهذه الطاعة وانها من الله بمكان وانه يربيها كما يربي احدنا فلوه حتى ان اللقمة تكون عند الله اعظم من احد وقد جاء هذا المعنى في الحديث ثم امر نبيه بان يقول للتائبين او لغير التائبين ترغيبا لهم في التوبة اعلموا فيه نوع تهديد وتخويف مستبقوا الله عليكم وقدم بقسم مشلم عن قريب الحاصل انه كان قبل لهم اجتهدوا في العمل فان له في الدنيا حكما وهو ان يراه الله ورسوله والمؤمنون وفي الاخرة حكما وهو الجزاء وبوجه اخر كانه قيل ان كنتم من المحققين فاعملوا لله وان كنتم من الظاهريين فاعملوا لمقبول بناء الخلق وهم الرسول والمؤمنون فانهم شهداء الله يوم القيمة والشهادة لا تصح الا بعد الرؤية ولا شك ان رؤية الله تعم شاملة لافعال القلوب والجوارح جميعا اما رؤية الرسول والمؤمنين فلا يشمل افعال القلوب الا بزعمه الله واطلاعه عليها وانما علم انه تعالى قسم المخلفين الى ثلثة اقسام منهم المنافقون الذين مردوا على النفاق والثاني التائبون المعترفون بذنوبهم والثالث الذين بقوا موقوفا امرهم وذلك قوله واخرون واعربوا كاعراب قوله واخرون اعترفوا ومعنى مرجون مؤخرون كما مر في رجئه وارجائه اخره ومنه قولهم ارجه واخاه كما مر وبه سميت المرجئة لانهم يجرمون بعض الذنوب ولا يجزمون بتعذيب التائب ولكن يؤخرونها الى مشيئة الله ويقولون الهم مرجون لامر الله وقال الاوزاعي لانهم يؤخرون العمل

شهد

او وقوفون

على الايمان

التوبة

عن الايمان وقال ابن عباس نزلت في كعب بن مالك ومرارة بن ربيع وهلال بن امية امر رسول الله اصحابه ان لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم ولم يفعلوا ابو لبابة واصحابه من مثل انفسهم على السواري واظهار الجزع والغم فلما علموا ان احدا لا ينظر اليهم فوضوا امرهم الى الله واخلصوا نياتهم فقبلت توبتهم ونزلت فيهم وعلى الثلثة الذين خلفوا كما سيجئ وقال الحسن لهم قوم من المنافقين حدثوهم انفسهم بهذه الاية ان لم يتوبوا وقوله اما يعذبهم التشكيك فيرجع الى المعنى اى ليكن امرهم على الخوف والرجاء وكان يقول الناس هلكوا ان لم ينزل الله لهم عذرا ويقول الخوارج عسى الله ان يغفر لهم قال الجبائي جعل دائم امرهم بين التعذيب والتوبة فدل ذلك على انتفاء القسم الثالث وهو العفو من غير التوبة واجيب بانه لا يجوز ان يكون المنفصلة مانعة الجمع فقط وذكر اصناف المنافقين وبين طوائفهم المختلفة قال الذين اتخذوا وكانوا قالوا ومنهم الذين اتخذوا في الكشاف ان محله الرفع على الابتداء وخبره محذوف اى ومن وصفوا هؤلاء الاقوام قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وعامة اهل التفسير كانوا اثني عشر رجلا بنوا مسجدا يضارون به مسجد قباء وروي ان بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قبا بعثوا الى رسول الله ان يأتيهم فاتاهم فصلى فيه فحسدهم اخوهم بنو غنم بن عوف وقالوا نبني مسجدا كذلك واعلم انه سبحانه حكى ان الباعث لهم على هذا العمل كان امورا اربعة الاول الضرار وهو المضارة والثاني الكفر بالنبي ﷺ وبالاسلام وذلك انهم اذا رأوا قوة اهل النفاق والتاثير بين المؤمنين لانهم اذا رأوا ان لا يحضروا مسجد قباء فيقل جماعتهم ولا سيما اذا صلى النبي ﷺ في مسجدهم فيؤدي ذلك الى الخلاف في الكلمة وبطلان الالفة والرابع قوله وارصادا لمن حارب الله ورسوله وقوله من قبل يتعلق بمحاذيا اى من قبل بناء مسجد الضرار وقال في الكشاف انه يتعلق باتخذوا والمراد من قبل ان يبنوا فنافق هؤلاء باتخاذه قال الزجاج ارصادا لانتظار وقال ابن قتيبة انتظارا مع العداوة قال الاكثرون انه لأعداء والمراد من حارب ابو عامر الراهب الذي غسلته الملائكة وسماه رسول الله الفاسق وكان قد تنصر في الجاهلية وترهب وطلب العلم فلما ظهر رسول الله ﷺ عاداه لانه زال رياسته وقال لرسول الله ﷺ يوم احد لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله الى يوم حنين فلما انهزم هوازن خرج هاربا الى الشام وارسل الى المنافقين ان استعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح فاني ذاهب الى قيصر واتي بجنود واخرج محمدا واصحابه من المدينة فبنوا مسجدا وانتظروا ابا عامر ليصلي بهم في ذلك المسجد ثم اخبر الله تعالى عن نفاقهم بقوله وليحلفن ان اردنا اى ما اردنا ببناء هذا المسجد الا الخصلة الحسنى وهي الصلوة وذكر الله والتوسعة على المسلمين قال المفسرون انهم لما بنوا مسجدهم واتوا رسول الله ﷺ بتبوك فاتوا رسول الله وقالوا بنينا مسجد الذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية ونحن نحب ان تصلي لنا فيه وتدعو بالبركة فقال انا على جناح سفر وحال شغل واذا قدمنا انشاء الله صلينا فيه فلما قفل من الغزوة سألوه اتيان المسجد فنزل لا تقم فيه ابدا الاية فدعا مالك بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن السكن ووحشي قاتل حمزة فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه واحرقوه ففعلوا وامر ان تتخذ مكانه كناسة تلقى فيه الجيف والقمامة ومات ابو عامر بالشام بقنسرين وقال الحسن هم رسول الله ان يذهب الى ذلك المسجد فناداه جبرئيل لا تقم فيه ولا ريب ان النهي عن القيام فيه يستلزم النهي عن الصلوة فيه ثم بين علة النهي فقال لمسجد اسس على التقوى من اول يوم اى من اول يوم وجوده احق ان تقوم فيه والمعنى لو كان القيام في غيره جائزا لكان هذا اولى لاشتماله على الخيرات الكثيرة فكيف اذا كان غيره مشتملا على المفاسد الكثيرة من الضرار وغيره قالت الشيعة في هذا المقام ان المسجد اذا كان مبنيا على التقوى من اول يوم كان اولى بالصلوة فيه فالامام اولى بان يكون متقيا من اول عمره وذلك الا على كرم الله وجهه لانه لم يكفر بالله طرفة عين ولم يتلفظ في هذا المسجد فقيل مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة عن ابي سعيد الخدري سألت رسول الله ﷺ عن المسجد الذي اسس على التقوى فاخذ حصيا وضرب بها الارض وقال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة وقيل هو مسجد قباء اسسه رسول الله ﷺ وصلى فيه ايام مقامه بقباء وهو يوم الاثنين والثلثاء والاربعاء والخميس وخرج يوم الجمعة قال في الكشاف وهذا اولى لان الموازنة بين مسجد قباء اوقع وقال القاضي كل مسجد بني على التقوى فانه يدخل فيه كما لو قال قائل لرجل صالح احق ان تجالسه لم يكن ذلك مقصورا على احد وايضا كل مسجد بني مباهاة او رياء وسمعة او لغرض سوى وجه الله او بمال غير طيب فهو لا حق بمسجد الضرار ثم ذكر لمسجد التقوى وصفا اخر وذلك قوله فيه رجال يحبون ان يتطهروا فقيل انه التطهر من الذنوب بالتوبة والاستغفار والاخلاص كما ان اهل مسجد الضرار وصفوا باضداد هذه الامور من الضرار والكفر والتفريق ولان طهارة الباطن اشد تاثيرا من طهارة الظاهر في القرب من الله وقيل انه التطهر بالماء وذلك انهم كانوا لا يستنجون للبول على الجنابة ويتبعون الماء اثر البول وروي انها لما نزلت مشى رسول الله ﷺ ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قباء فاذا الانصار جلوس فقال أمؤمنون انتم فسكت القوم ثم اعادها فقال عمر يا رسول الله انهم لمؤمنون وانا معهم

بيان

فقال هم الراضون بالقضاء قالوا نعم قال الصابرون على البلاء قالوا نعم قال الشاكرون في الرخاء قالوا نعم فقال هم مؤمنون ورب
الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الانصار ان الله عز وجل قد اثنى عليكم فما الذي تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يا
رسول الله ثم نتبع الغائط الاحجار الثلثة ثم نتبع الاحجار الماء فقال النبي ثم رجال يحبون ان يتطهروا وقيل يحبون ان يتطهروا
بالمحو الكفر لذنوبهم فمحوا باجمعهم ومحبة التطهر اثار مرادة الحرص عليه ومحبة الله الرضاء عنهم والاحسان اليهم كما يفعل المحب
لمحبوبه ثم بين انه لا نسبة بين الفريقين وان بينهما بونا بعيدا فقال مستفهما على سبيل التقرير افمن اسس بنيانه وهو مصدر
كالعمران واريد به المبنى والمعنى ان من اسس بناء دينه على قاعدة توبة محكمة وهي تقوى الله ورضوانه خير ام من اسس دينه على ضد ذلك
والشفا هو الشفير له الشفة والجرف هو ما انهار من السيل والمنهار الوادي يبقى على طرفي المسيل طين واه مشرف على السقوط ساعة
فساعة فذلك الموضع الذي هو بصدد السقوط جرف هار الهاء زائدة وهو ايضا المصدع الذي اشفى على التهدم والسقوط
قال الليث الهار مصدر هار الجرف يهور اذا انصدع من خلفه وهو ثابت بعد في مكانه فاذا سقط فقد انهار وقال في الكشاف انه صفة
قصرت عن فاعل كخالف عن خالف والفه لبست بالف فاعل انما هي عينه واصله هور على فعل ولا ترى ابلغ من هذا الكلام وقد
دل على حقيقة الباطل فالكونه على شفا جرف هار اذا كان مشرفا على السقوط ولكونه على طرف جهنم كان اذا انهار فانما يسقط في نار
جهنم وروي انه حفرت بقعة من مسجد الضرار فرأى الدخان يخرج منه ثم ذكر ان بنيانهم ذلك سبب لازدياد ريبهم فقال لا يزال
بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم الريبة في قولهم وجوه منها ان هدمه صار سببا لازدياد شكهم في نبوته ومنها ان تخريبهم
ظنوا انه لاجل الحسد فارتفع امانهم عنه وصاروا مرتابين في انه هل يقرهم على ما هم فيه او يأمر بقتلهم وهتك اموالهم فلا يزول
تلك الريبة الا ان تقطع قلوبهم اجزاء متفرقة اما بالموت واما بالسيف واما بالبلاء فحينئذ يضمحل اثرها عنها والمقصود ان
هذا الشك يبقى في قلوبهم ابدا وهم يموتون على النفاق قال في الكشاف يجوز ان يكون ذكر التقطيع تصويرا لحال زوال الريبة
عنها ويجوز ان يراد حقيقة تقطيعها وما هو كائن منه بقتلهم او في القبور او في النار وقيل معناه الا ان يتوبوا توبة تقطع
بها قلوبهم ندما وتأسفا على تفريطهم التأويل والسابقون الاولون الذين سبقت لهم العناية الازلية والسابقون الاولون
عند الخروج من البدو هم اهل الصف الاول من الجنود المجندة او السابقون في جواب الست بربكم الاولون في استماع هذا
الخطاب والسابقون في استحقاق المحبة عند اختصاصهم بتشريفهم فالاولون باداء حق المحبة في سر يجونه
او السابقون عند تخمير طينة ادم في مسترد ارائهم بالقدرة الاولون باستكمال بصرف القدم في كمال الاربعين صباحا
والسابقون عند رجوعهم بقدم السلوك الى مقام الوصال الاولون بالوصول الى سرادقات الجلال وهذا السبق
محصور بالنسبة اليهم وبامتهم كما قال نحن الاخرون السابقون من المهاجرين عن الاوطان البشرية والاضدادهم في طلب الحق والهرب
اتبعوهم باحسان بذلوا جهدهم في متابعتهم بقدر الامكان رضي بأعطاء الاستعداد الكاملة ورضوا عنه بابقاء حقوقها
وممن حولكم من اعراب صفات النفس منافقون ومن اهل مدينة القلب صفات النفس بعضها منافق كالقوة الشهوية
للوقاع فانها تتبدل بالعفة عند استيلاء القلب بسياسة الشريعة وتربية الطريقة ظاهرا لا حقيقة لانها لا تتبدل بالكلية
بل تميل الى الشهوة اذا خليت وطباعها ولهذا قال وان خوفوا على امتي النساء ومنها كافرة كالقوة الشهوية في
طلب الغذاء فانها باقية على طبعها ما دام البدن باقيا لا حتياجه الى بدل ما يتحلل ومنها مسلمة كالقوة الغضبية والشيطانية من
الكبر والحسد والكذب والخيانة فانها يجب ان تتبدل باضدادها من التواضع والمحبة والصدق والامانة عند استنارة النفس بنور
الايمان والذكر فهذه الصفات وغيرها من صفات النفس مما لم تتبدل بالكلية او لم تكن مغلوبة بانوار صفات بقية القلب
عند استنارة النفس بنور الايمان والذكر فهذه الصفات وغيرها من صفات النفس مما لم يتبدل بالكلية ولم تكن مغلوبة
بانوار بعض النفاق كما قال اربع من كن فيه منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم اذا حدث كذب واذا ائتمن خان واذا وعد
اخلف واذا عاهد غدر ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها لا يعلمهم نحن نعلمهم يعني ان هذه
الافعال لا يعرفها ارباب العلوم الظاهرة وانما يعرفها اصحاب الكشوف الباطنة سنعذبهم مرتين مرة باحكام الشريعة
ومرة باداب الطريقة ثم يردون بجذبات اللطف الى عذاب عظيم هو الفطام عن الكونين والفناء في الله او بجذبات القهر الى
اسبال حجب البعد والبقاء في عالم الطبيعة واخرون يعني القلب صفات اخر غير صفات النفس وهي صفات النفس والتلوث بها
خلطوا عملا صالحا هو صدق التوجه واخر سيئا هو مطاوعة النفس الهوى في بعض الاوقات عسى الله ان يوفقهم للرجوع الى
طريق الحق بالكلية والاعراض عما سواه خذ من اموالهم صدقة تطهرهم بها عن دنس حب الدنيا وتزكيهم بالاخلاق الفاضلة
فان حب الدنيا راس كل خطيئة وتأخذ الصدقات فيزان لمعطي يجب ان لا ينظر الا الى الله ولا يمن على الفقير اصلا وسترد

التوبة

بامدام اعمالكم الى الله الذى يعلم ما غاب منكم من نتايج اعمالكم وما عجتم عنه من التقدير الازلى وما تشاهدون بالعيون والقلوب
فى عالمى الملك والملكوت واخرون مرجون امرهم لله يتردد بينهم ليتردد بين الخوف والرجاء فيطير باجنحاى القبض والبسط الى يصلوا
الى سرادقات الهيبة والانس والله عليم بتربية عباده حكيم فيما يفعل من القبول والرد والذين اتخذوا فى عالم الطبيعة مزملة
النفس مسجد اضرار الارباب الحقيقة وكفرا باحوالهم لمن حارب الله هم اهل الاباحة من مدعى الفقر لا تقم ابدا رسول الروح اسس على
التقوى هو مسجد القلب جبل على العبودية والطاعة من اول يوم من الميثاق رجال يحبون ان يتطهروا هم الاوصاف الحميدة والملكات
المزكات عن دنس الطبيعة ولوث الحدوث ثم بين اهل السعادة والشقاوة فقال افمن اسس بنيانه اى جبل على الخير وما فيه
رضى الله لا تزال بنيانهم الذى بنوا ريبة لانهم جبلوا على الشقاء الا ان تقطع قلوبهم عبرا عن طباعهم وذلك محال ولا تزال
ريبة من مزبلة النفس وسخ وظلمة الى قلوبهم الا ان تقطع قلوبهم عبرا عن طباعهم وذلك محال ولا تزال ريبة من مزبلة النفس
وسخ وظلمة الى قلوبهم الا ان تقطع قلوبهم ع إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ
ستكين الرياضة فزول عنها تلك الملكات بدرستيكه خدا خريد از مؤمنان نهاد ايشان را واموال ايشان را بانكه مر ايشان را بهشت
فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ
در راه خدا پس بكشند يا كشته شوند وعده درست كرده بر آن حق است در توريت و انجيل و قرآن و كيست كه وفا كننده بعهد خويش از خدا
فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ
پس شاد شويد به بيع كردن خود كه بيع كرديد بآن و اين آن بشكارى بزرگ توبه كنندگان عبادت كنندگان حمد كنندگان روندگان
الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ مَا كَانَ
ركوع كنندگان سجود كنندگان امر كنندگان بنيكوئى و نهى كنندگان از بدى و حفظ كنندگان مر حدود خدا را و مژده ده مؤمنان را
لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ وَمَا كَانَ
مر پيغمبر را و آنان كه گرويدند انكه آمرزش خواهند مر مشركان را و اگرچه باشند خداوندان خويشى از پس آنكه روشن كرد مر ايشان را بدرستيكه ايشان ياران دوزخند و نبود
اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ
آمرزش خواستن ابراهيم مر پدر خود را از بس وعده كرده وعده داده بود او را پس چون روشن شد او را بدرستيكه دشمن خداست بيزار شد از او بدرستيكه ابراهيم بسيار زارنده بود
وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ
و نبود خدا را كه گمراه كند قومى را پس از آنكه راه نمود ايشان را تا روشن كند ايشان را آنچه بپرهيزند بدرستيكه خدا بهر چيزى داناست بدرستيكه خدا مر او راست پادشاهى
وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ لَّقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ
و زمين زنده ميكند و ميميراند و نيست مر شما را از جز خدا هيچ دوستى و نه يارى كننده بدرستيكه مسهل كرد بر پيغمبر و مهاجرت كنندگان و ياران
الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُم بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ وَ
آنانكه پيروى كردند او را در ساعت تنگى از پس آنكه نزديك بود كه ميل كند دلهاى گروهى از ايشان پس برگشت بر ايشان بدرستيكه او بايشان مهربان است و
عَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
بر سه كس كه بهم گذاشته شدند تا چند شك كردند بر ايشان زمين با آنچه فراخ بود و شك كردند بر ايشان جانهاى ايشان و دانستند كه نيست
آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ القراءة فيقتلون مبنيا للمفعول ويقتلون مبنيا للفاعل حمزة وعلى وخلف
گروهى اند بر هر هراز خدا و باشيد از راستگويان ان الاخوين على العكس ويقتلون بالتشديد ابو عون عن قنبل ابن اهام وكذلك ما
بعده هشام بخلف عنه حمزة وحفص والمفضل البافون بناء الثانية خلفوا بالتخفيف وفتح اللام روى البرزوى عن
عباس البافون بالتشديد مجهولا الوقوف الجنة ويقتلون ط والقرآن ط بايعتم به ط العظيم ط لله ط المؤمنون ه الجحيم ه اياه ط
متروح حليم ط ما يتقون ط عليم ه والارض ط ويميت ط نصير ه تاب عليهم ط رحيم ه للعطف على النبى خلفوا ط الا
البرط ليتوبوا ط الرحيم ه الصادقين ه التفسير لما شرح فضايح المنافقين وقبايحهم بسبب تخلفهم عن غزوة تبوك وذكر
اشتاتهم وفرع على كل قسم ما كان لايقا به عاد الى بيان فضيلة الجهاد والترغيب فيه قال محمد بن كعب القرظى لما بايعت الانصار
رسول الله ليلة العقبة وهم سبعون نفسا قال عبد الله بن رواحة اشترط لنفسك ولربك ما شئت فقال اشترط
لربى ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا واشترط لنفسى ان تمنعونى مما تمنعون منه انفسكم واموالكم قالوا فاذا فعلنا ذلك

التفسير

فما لنا لا نقاتل في الجنة فلما نزلت إن الله اشترى الآية قال مجاهد والحسن ومقاتل فامنهم فاغلى ثمنهم
وقال جعفر الصادق عم والله ما لابدانكم ثمن الا الجنة فلا تبيعوها الا بها واعلم ان هذا الاشتراء وقع مجازا عن الجزاء لان
المشتري انما يشتري ما يملك والعبد وما يملكه لمولاه ولهذا قال الحسن انفسنا هو خلقها واموالا هو رزقها والمراد بانفسهم النفوس
المجاهد بها واموالهم التي ينفقونها في سبيل الجهاد وعلى انفسهم واهليهم وعيالهم على الوجه المشروع وههنا نكتة هي ان قيم الطفل
لو ان يبيع مال الطفل من نفسه لشرط رغاية الغبطة ففي هذه الآية البايع والمشتري هو الله ففيه تنبيه على ان العبد كالطفل الذي
لا يهتدي الى مصالح نفسه وانه تعم هو لمراعي مصالحه حتى يوصله الى انواع الخيرات واصناف السعادات ويوجه اخر الانسان
بالحقيقة عبارة عن الجوهر المجرد الذي هو من عالم الارواح وهذا البدن وما يحتاج اليه من مركبات ومزاجات المعاش كالآلات والوسايط
لتحصيل الكمالات الموصلة الى الدرجات العاليات فالبايع هو جوهر الروح القدسي والمشتري هو الله واحد العوضين الجسد
الباقي والمال الفاني والعوض الاخر الجنة الباقية والسعادات الدايمة فالربح حاصل والخسران زايل ولهذا قال فاستبشروا
ببيعكم الذي بايعتم به وفي قوله يقاتلون معنى الامر كقوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم وهو كالتفسير لذلك
المبايعة فيقاتلون ويقتلون اي انهم يقتلون الكفار فلا يرجعون عنهم حتى يصيروا مقتولين ومن قرأ بتقديم المجهول فمعناه ان
طائفة منهم اذا صاروا مقتولين لم يصر ذلك رادعا للباقين عن المقاتلة بعد الامكان ومن العلماء من خصص هذا الوعد
بمجاهدي السيف لظاهر قوله يقاتلون والتحقيق ان كل انواع الجهاد يدخل فيه لان الجهاد بالحجة والدعوة الى دلائل التوحيد اكمل
انواع القتال ولهذا قالوا لعل عم لان يهدي الله على يديك رجلا خير لك مما طلعت عليه الشمس ولان الجهاد بالسيف لا
يحسن الا بعد تقديم الجهاد بالحجة ولان الانسان جوهر شريف فتى امكن ازالة صفاته الرذيلة مع ابقاء ذاته الشريفة كان اولى
من افناء ذاته الا ترى ان جلد الميتة لما كان متنفعا كان بعض الوجوه شرع على ابقائه فقال هلا اخذتم اهابها فدبغتموه فانتفعتم
به قوله وعدا عليه قال الزجاج انه منصوب بمعنى قوله باني لهم الجنة كانه قيل وعدها وهو مصدر مؤكد وكذا قوله حقا وهو نعت للمصدر
مؤكد وما الذي حصل فيه التوبة والانجيل والقرآن قيل وعد المجاهدين على الاطلاق وقيل ذكر هذا البيع لامة محمد وقيل
الامر بالقتال ومن اوفى استفهام بمعنى الانكار اي لا احد اوفى بما وعد من الله لانه الغني عن كل الحاجات القادر على كل
المقدورات وفي الآية انواع من التوكيدات فاولها قوله ان الله اشترى واذا كان المشتري هو الاله الواجب الذات المتصف
بجميع الكمالات المنزه عن جميع النقايص فما ظنك بربح عبر عن ايصال الثواب بالبيع الشري حتى يكون حقا مؤكدا
ومنها انه قال باني لهم الجنة بحرف التحقيق وبلام التمليك دون ان يقول باني الجنة ومنها قوله وعدا وانه لا يخلف الميعاد ومنها
قوله عليه وكلمة على للوجوب ظاهرا ومنها قوله حقا وهو تاكيد التحقيق ومنها قوله في التوراة والانجيل والقرآن وانه يجري
مجرى الاشهاد لجميع الكتب الالهية وجميع الانبياء والرسل على هذه المبايعة ومنها قوله ومن اوفى بعهده من الله وفيه تنبيه
على انه لا يكذب ولا يخلف البتة ومنها قوله فاستبشروا والبشارة الخبر الصدق الاول ومنها قوله وذلك هو الفوز ثم وصف
الفوز بالعظيم واعلم ان هذه الخاتمة يقع على ثلثة اوجه احدها ذلك الفوز بعينه هو انه في ستة مواضع في براءة موضعين وفي
النساء والمائدة والصف والتغابن ومافي النساء بزيادة واو والاخر وذلك هو الفوز بزيادة هو وذلك في ستة مواضع اخر
براءة موضعين ويونس والمؤمن والدخان والحديد ومافي براءة احدهما بزيادة الواو وهو خاتمة هذه الآية وكذلك في
المؤمن وسبب هذا الاختلاف ان الجملة اذا جاءت بعد جملة من غير تراخ بنزول جاءت مربوطة اما بواو العطف واما
بكناية تعود من الثانية الى الاولى واما باشارة فيها اليها وربما جمع بين الشيئين منها والثلثة للدلالة على المبالغة وقد
جمع في هذه الخاتمة بين الثلثة لغاية التوكيد والمبالغة لانه ذكر الكتب الثلثة فكل واحد في مقابلة كتاب واحد و
كذلك في المؤمن وقع الثلثة في مقابلة ثلثة اربعة فاغفر ولهم وارحمهم قال ابو القاسم البلخي لا بد من حصول الاعواض
على الآلام للاطفال والبهايم قياسا على ما اثبته الله تعالى للمكلفين من العوض على الم القتل وهو الجنة ثم ذكر ان حكم سائر
المؤمنين كذلك فقال التائبون قال الزجاج انه مبتداء محذوف الخبر التائبون العابدون من اهل الجنة ايضا وان لم يجاهدوا
كقوله وكلا وعد الله الحسنى وقيل التائبون رفع على البدل من الضمير في يقاتلون وقيل مبتداء خبره العابدون وما بعده
اي التائبون من الكفر على الحقيقة هم الجامعون لهذه الخصال الما قبر هذه الاوصاف فقد قال ابن عباس والحسن التائبون
هم الذين تابوا من الشرك وبرؤا من النفاق وما لا خرون الى التعميم يشمل المعاصي لانا ادلة على التخصيص والعابدون
قال ابن عباس الذين هم يحسنون عبادة الله واجتنبوا عليهم وقال الحسن هم الذين عبدوا الله في السراء والضراء والعبادة لا
شك انها عبادة عن نهاية التعظيم وغاية الخضوع وقال قتادة هم قوم اخذوا من ابدانهم في ليلهم ونهارهم والحامدون

معدهم الجنة

هم الذين يقومون بحق شكر نعم الله ويجاوبون اظهار ذلك عادة لهم ودليل ان الحمد ذكر من كان قبل آدم لقول الملائكة ونحن نسبح بحمدك وذكر اهل الدنيا يقولون في كل يوم سبع عشرة مرة الحمد لله رب العالمين ذكر من يكون بعد خراب الدنيا لقول آخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين والسائحون قال غالمة المفسرين هم الصائمون لقوله سياحة امتي الصيام ثم قيل هذا صوم الفرض وقيل الذين يديمون الصيام قال الازهري انما قيل للصائم سائح لان الذي يسيح في الارض متعبدا لا زاد معه فيكون ممسكا عن الاكل والشرب كالصائم وقيل اصل السياحة الاستمرار على الذهاب كالماء الذي يسيح والصائم مستمر على فعل الطاعة وترك المنهي من الاكل والشرب والوقاع وقال اهل المعاني الانسان اذا امتنع من الاكل والشرب انفتحت عليه ابواب المعاني والحكم وتجلت له انوار المعارف والحقايق فيحصل له سياحة في عالم العقول وقيل السائحون طالب العلم يتنقلون من بلد الى بلد في طلب العلم في مظانه وكانت السياحة في بني اسرائيل قال عكرمة عن وهب منبه لا ريب ان للسياحة اثرا عظيما في تكميل النفس لانه يلقى انواعا من الضر والبؤس فيصبر عليها وقد ينقطع زاده فيتوكل على الله ويصير ذلك ملكة له وقد ينتفع بالمشاهدة والزيارات للاحياء والاموات ويستفيد من هو فوقه ويفيد من هو دونه ويكتسب التجارب ومعرفة الاحوال والاخلاق والسير والآثار الراكعون الساجدون يعني المصلين قال بعض العلماء انما جعل الركوع والسجود كناية عن الصلوة لان سائر هيئات المصلي موافقة للعادة كالقيام والقعود وانما الفضل بين المصلي وغيره بالركوع والسجود وقيل ولم يذكر التواضع للقيام واوسطها الركوع وغايتها السجود فخصا بالذكر تنبيها على ان المقصود من الصلوة نهاية الخضوع ثم قال الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر ومعناهما مذكور فيما مر الا ان ههنا بحثا اخر وهو انه لم ادخل الواو في قوله والناهون والحافظون دون سائر الاوصاف واجيب بان الشيء يجيء بالواو وبغيرها كقوله غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب والمراد ان الموصوفين بالصفات المستثنيهم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر وكون فيه ترغيب في الجهاد لان راس المعروف الايمان بالله وراس المنكر الكفر بربه والجهاد يوجب حصول الايمان وازالة الكفر والنهي عن المنكر اصعب اقسام التكاليف لافضائه في الاغلب الى الخصومة وقد ان التعصب فدخل عليه الواو وتنبيها على هذه المخالفة والمباينة وبعض النحويين جواب عام يشمل هذه الآية وما في الكهف في قوله ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم وما في الزمر في قوله في ذكر الجنة وفتحت ابوابها وما في التحريم في قوله ثيبات وابكارا وذلك انهم سموا هذه الواوات واو الثمانية قائلين ان السبعة نهاية العدد ولهذا كثر ذكرها في القرآن والاخبار فالثمانية تجري مجرى استيناف كلام فلهذا فصل بالواو واما قوله والحافظون لحدود الله فكاجمال بعد تفصيل وذلك ان التكاليف ما ان يتعلق بمصالح الدين وهي باب العبادات من الصلوة والزكوة والصوم والحج والجهاد والاعتاق والنذر ونحوها او بمصالح الدنيا وهي المعاملات وانها اما لجلب المنافع او لدفع المضار والمنافع اما ان يكون مقصودة بالاصالة او بالتبعية فالمقصودة بالاصالة هي المنافع الحاصلة من مذاق الحواس الخمس وهي المذوقات ويدخل فيها كتاب الاطعمة والاشربة والصيد والذبايح والضحايا والمملوسات ويدخل فيها باب الحكام الوقاع فمنها ما يفيد حله كالنكاح والرضاع وما يتبعها من المهر والنفقة والسكنى واحوال القسم والنشوز ومنها ما يوجب ازالته كالطلاق والخلع والايلاء والظهار واللعان ومن احكام المملوسات البحث عما يحل لبسه واستعماله وعما لا يحل كالاواني الذهبية وغيرها والمشارب وهو باب ما يحل النظر اليه وما لا يحل والمسموعات وهو باب ما يحل سماعه وما لا يحل والمشمومات وقد قيل انه ليس للفقهاء فيه مجال ويحتمل ان يقال ان منها جواز استعمال الطيب في بعض الاوقات ومنعه في بعضها كحالة الاحرام ومنها ما يكره كاكل البصل والثوم للمصلي بالجماعة في المسجد والمنافع المقصودة بالتبعية هي الاموال والبحث عنها اما من جهة الاسباب المفيدة للملك كالارث والهبة والوصية واحياء الاموات والالتقاط واخذ الفيء والغنايم والزكوات وكالبيع بيع العين بالعين وهو السلم او بالعكس كما اذا اشترى شيئا في الذمة او بيع الدين بالدين وهو بيع الكالي بالكالي المنهي عنه لاعند تقاص لدينين او من جهة الاسباب المفيدة للمنفعة كالاجارة والجعالة وعقد المضاربة او من جهة الاسباب التي توجب غير الملك لتصرف فيه كالوكالة والوديعة او من جهة الاسباب التي تمنع المالك التصرف في ملكه كالرهن والاجارة والتفليس واما دفع المضار والمضرة اما في النفس فهو كتاب الجراح او في الدين وهو كتاب الجهاد وباب الارتداد واحكام البغاة واما في النسب فهو باب احكام الزنى والقذف واللعان واما في العقل كتاب تحريم الخمر واما في المال والضرر فيه اما على سبيل الاعلان والجهار وهو الغصب وقطع الطريق او على سبيل الخفية وهو السرقة وههنا باب آخر وهو ان كل احد لا يمكنه استيفاء حقوقه من المنافع ودفع المضار بنفسه عن نفسه لضعفه فلهذا السبب نصب الله الامام لتنفيذ الاحكام وقد يكون للامام نواب هم الامراء والقضاة وليس قول الغير مقبولا الا بحجة وهي

الشهادة والايمان محصل من ذلك كتاب باب القضاء وباب الدعاوى والبينات فهذا ما امكن من ضبط معاقد تلك
الله تعم واحكام وحدوده وكلها منوطة باعمال الجوارح دون اعمال القلوب التي لا يطلع عليها الا الله تعم ولكن قوله
الحافظون لحدود الله تشمل ذلك ايضا بل دعايته اهم من دعاية احوال الظواهر ثم ختم الاية بتكرير البشارة وفيه من كمال
العناية ما فيه ولما بين من اول السورة الى ههنا وجوب اظهار البراءة من المنافقين والكفرة الاحياء اراد ان يبين وجوب
البراءة من امواتهم ايضا وان كانوا اقارب فقال ما كان للنبي ومعناه النهي اي ما صح له وما استقام وما ينبغي له ذلك ثم علل
المنع بقوله من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم لانهم ماتوا على الشرك وقد قال تعم ان الله لا يغفر ان يشرك به فطلب غفرانهم جار
مجرى الخلاف وعد الله ووعيده وفيه خطر فتبرأ نبي حيث يدعو بما لا يستجاب له وهذه العلة لا تختلف بان يكونوا من
الاباعد او من الاقارب فلهذا بالغ فيه بقوله ولو كانوا اولي قربى روى الواحدي باسناده عن سعيد بن المسيب عن ابيه قال
لما حضرا با طالب الوفات دخل عليه رسول الله ﷺ وعنده ابو جهل وعبد الله بن ابي امية فقال اي عم قل لا اله الا الله كلمة
احاج لك بها عند الله فقال ابو جهل وابن ابي امية يا ابا طالب ترغب عن ملة عبد المطلب فلم يزالا يكلمانه حتى قال اخر شيء
كلمهم به انا على ملة عبد المطلب فقال النبي ﷺ لاستغفرن لك ما لم انه عنه فاستغفر له بعد ما مات فقال المسلمون انا
نعتنا ان نستغفر لاباءنا ولذوي قرابتنا قد استغفر ابراهيم لابيه وهذا محمد يستغفر لعمه ايا نستغفر للمشركين فنزلت
ما كان للنبي الاية وقيل ان عباسا لما افتخر ثم سئل اي ابويه احد شيء عهدا اي اخرهما موتا فقيل امه فزار قبرها
فبكى ثم قام باكيا فقال انى استاذنت ربي في زيارة قبر امي فاذن لي واستاذنته في الاستغفار لها فلم ياذن لي فيه ونزل
على ما كان النبي الاية وقال بعضهم كصاحب الكشاف والحسن ان الفصل هذا اصح لان هذه السورة من اخر القرآن نزولا
وكانت وفاة ابي طالب بمكة قبل اول الاسلام ويمكن ان يوجه الاول بانه ﷺ لعله بقي مستغفرا الى حين نزول الاية ثم اعتذر
عن استغفار ابراهيم لابيه بانه صدر عن موعدة وعدها اياه وذلك انه اباه كان وعد ابراهيم ان يؤمن فكان يستغفر له
بناء على ذلك الوعد فلما تبين لابراهيم انه عدو لله اما باصراره على الكفر او بموته على ذلك وبطريق الوحي برأ منه وترك
الاستغفار ويجوز ان يكون الواعد ابراهيم ع وهو اظهر قراءة الحسن وعدها اياه بالباء الموحدة وذلك في قوله
لاستغفرن لك وعده ان يستغفر له رجاء اسلامه وقيل المراد من استغفار ابراهيم لابيه دعاءه له الى الاسلام المؤدي
للغفران وكان يتضرع الى الله تعم ان يرزقه الايمان وقيل المقصود النهي عن صلوة الجنازة فكان قوله ولا تصل على
احد منهم في حق المنافقين خاصة وهذه في حق الكافرين عامة ثم ختم الاية بقوله ان ابراهيم لاواه حليم قال اهل
اللغة اواه فعال ماخوذ من حروفاوه كلمة يقولها المتوجع وذلك ان الروح القلبي يختنق عند الحزن في داخل القلب
ويشتد حرارته فاذا تكلم صاحبها خرج ذلك النفس المختنق فخفف بعض ما يتبرم عن النبي ﷺ انه قال الاواه الخاشع المتضرع
والحليم ضد السفيه وصفه تعم بشدة الرافة والشفقة والخوف والوجل فبين ان ابراهيم مع هذه العادة تبرأ من ابيه
حين انقطع رجاؤه منه فانتم ايها المعنى الاولى ان المسلمين خافوا ان يؤاخذوا بما سلف منهم من الاستغفار للمشركين
فانزل الله وما كان الله ليضل قوما اي عن طريق الجنة ويحكم عليهم بالضلال او يخذلهم او يوقع الضلالة في قلوبهم حتى
يكون منهم الامر الذي يستحق به العقاب بعد اذ هديهم حتى يبين لهم ما يتقون ما يجب عليهم ان يحترزوا عنه والحاصل
ان الله لا يحكم قوما ضالا لا بعد ان سماهم مهتدين ما لم يقدموا على شيء مبين حظره واما قبل العلم والبيان فلا يؤاخذهم كما
لم يؤاخذ بشرب الخمر والربوا قبل تحريمها وفي الاية تشديد عظيم حيث جعل المهدد للاسلام اذا اقدم على بعض المحظورات داخلا
في حكم الضلال ثم قال ان الله بكل شيء عليم ان الله له ملك السموت والارض يحيي ويميت والمراد ان من كان عالما قادرا
هكذا لم يحسن الى ان يفعل العقاب قبل البيان وازاحة العذر قالت المعتزلة وفيه دليل على ان قبيح من الله الابتداء بالعقاب
واجيب بان ذلك يحكم الملكية غاية ما في الباب انه لا يعاقب الا بعد ازاحة العذر عادة وفي قوله ان الله له ملك السموت
والارض فائدة اخرى هي انه لما امر بالبراءة من الكفار بين غاية قدرته ونهاية مضرته لمن اراد استظهار المسلمين كيلا
يضعف قلوبهم بالانقطاع عن الاقارب والانصار كانه قال وجب عليكم ان تقبلوا الى حكمي وتكلوا بي في الحكم وانتم عبيدي
ثم عاد الى بقية احكام الكفار فقال لقد تاب الله على النبي الاولى بين بقسميه لا بين على اسوة مع جوابها فالسؤال الاول
ان قبول التوبة دليل سبق الذنب والنبي معصوم والمهاجرون والانصار الذين اتبعوه تحملوا اعباء ذلك السفر الطويل فكان
اللايق بحالهم ان يثنى عليهم والجواب منع كونه مؤمنا من الاوهو محتاج الى التوبة والاستغفار لانه لا ينفك عن هفوة اما من
باب الكبائر واما من باب الصغائر واما من باب ترك الاولى والافضل كما اشير الى ذلك في حق النبي ﷺ بقوله عفا الله عنك

التوبة

اذ ضاقت لهم ولعله قد وقع في قلوب المؤمنين نوع نفرة من تلك الشفرة لما غابوا المشاعب لا اقل من الوساوس و الهواجس فاخبر الله سبحانه ان تلك الشدايد صارت مكفرة لجميع الزلات التي صدرت عنهم في ذلك السفر بل في مدة عمرهم و صارت قائمة مقام التوبة المقرونة بالاخلاص ويجوز ان يكون ذكر الرسول لاجل تعظيم شان المهاجرين والانصار لانه صدر عنه ذنب لسؤال الثاني ما المراد بساعة العسرة فالجواب قد يستعمل الساعة في معنى الزمان المطلق والعسرة بعدد الامر وصعوبته والمراد الزمان الذي صعب عليهم الامر جدا في ذلك السفر كانوا في عسرة من الظهر يعقبون العشرة على بعير واحد وفي عسرة من الزاد تزودوا التمر المدود والشعير المسوس والاهالة الزنخة المنتنة وقد بلغت منهم الشدة الى ان اقتسم التمرة اثنان ثم الى ان مصها جماعة ليشربوا عليها الماء وفي عسرة من الماء حتى نحروا الابل واعتصروا فرثها وفي شدة زمان حر اذا القيظ كما قال المنافقون لا تنفروا في الحر وقال ابو مسلم يجوز ان يراد بساعة العسرة جميع الاحوال والاوقات العسرة التي مروا عليهم في غزواتهم كما ذكر الله تعالى وغزوة الخندق واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر الثالث ما معنى كاد تريغ وكيف اعرابه والجواب هما استعملا ان كاد زيد يخرج زيد ومعنى الاول كاد زيد يخرج اي قارب الخروج ومعنى الثاني كان الشان يكون كذا يعني قارب الشان هذا الخبر وشبهه سبويه بقولهم خلق الله مثلا اي ليس الشان ذاك ولكن صنده والزيغ الميل عن الجادة فمثل قارب بعضهم ان يميل عن الايمان وقيل هم بعضهم عند تلك الشدة بالمفارقة ثم حاسبوا انفسهم فصوبوا وثبتوا ونده موا وقيل انما كان الحديث نفس بلا عزيمة ومع ذلك خافوا ان يكون معصية الرابع ذكر التوبة في اول الاية فلم كررها في قوله ثم تاب عليهم الجواب لما عاد الضمير في عليهم الى الفريق فلا تكرار وان عاد الى النبي والمهاجرين والانصار جميعا فالتكرير للتوكيد مع زيادة دقيقة هي ان التوبة اكتنفت الذنب من جانبيه ذلك انه بدا بذكر التوبة قبل ذكر الذنب تطييبا لقلوبهم ثم ذكر الذنب ثم اردفه بذكر التوبة ليدل على ان العفو عفو متاكد كما يقول السلطان عند كمال الرضى عفونا عنك والبر لاسيما بقوله ص ان الله يغفر ذنب الرجل المسلم عشر مرة وقال ابن عباس في تفسيره قوله ثم تاب عليهم ليرجعوا عما هم عليه من الزلة ثم اكد هذه المعاني بقوله انه بهم رؤف رحيم فيشبه ان يراد بالرافة ازالة الضرر وبالرحمة ايصال المنفعة او الاول رحمة سابقة والثاني لاحقة الخامس الثلثة الذين خلفوا من هم المرجون لامر الله كما مر سموا مخلفين كما سموا رجسين اي مؤخرين عن اهل البيعة حيث يتب عليهم بعد اولئك وقيل لانهم خلفوا عن الغزو ومثله قراءة من قرا بالتخفيف اي خلفوا الغازين وقيل المخلف من الخلوف الفاسد اي فسدوا وقد اجعفر اصادوه خالفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض مع سعتها وهو مثل للحيرة في الامر وضاقت عليهم انفسهم اي قلوبهم لا يسعها الفرح والسرور وظنوا اي علموا وتيقنوا ان لا ملجا من سخط الله الا الى استغفاره كقوله ص اعوذ بك منك وقيل الظن بمعناه الاصلي وهو الرجحان وذلك انهم ما كانوا قاطعين بان ينزل الله في شانهم قرانا وان سلم انهم قطعوا بذلك لانهم جوزوا ان يكون المدة قصيرة وجواب اذا محذوف والتقدير حتى اذا كان كذا وكذا تاب عليهم وحسن حذفه لتقدم ذكره عن كعب مالك قال لما قفل رسول الله سلمت عليه فرا علي كالمغضب بعدما كان ذكرني في الطريق وقال لبت شعري ما خلفه كعبا فقيل له ما خلفه الا حسن برديه والنظر في عطفه فقال معاذ الله ما اعلم الا خيرا واسلاما وهي عن كلامنا الثلثة فاجتنبنا الناس ولم يكلمنا احد من قريب ولا بعيد فلما مضت اربعون ليلة امرنا ان نعتزل نساءنا ولا نقربهن فلما تمت خمسون ليلة اذا انا بنداء من ذروة سلع وهو جبل بالمدينة ابشر يا كعب مالك فخررت ساجدا وكنت كما وصفني بي وضاقت علي نفسي الارض بما رحبت وسمعت الشارة فلبست ثوبي وانطلقت الى رسول الله ص فاذا هو جالس في المجلس حوله المسلمون فقام الي طلحة بن عبيد الله هرول الى حتى صافحني وقال لا هنئك توبة الله عليك فلم اسالها طلحة وقال رسول الله ص وهو يستنير استنارة القمر ابشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك امك فقلت اعن عندك يا رسول الله ام من عند الله فقال لا بل من عند الله وكان رسول الله اذا سر استنار وجهه حتى كان وجهه قطعة قمر فلما جلست بين يديه قلت يا رسول الله ان من توبتي ان انخلع من مالي صدقة الى الله والى رسوله فقال رسول الله امسك عليك بعض مالك فهو خير لك فقلت فاني امسك سهمي الذي بخيبر فقلت يا رسول الله ان الله انما انجاني بالصدق وان من توبتي ان لا احدث الا صدقا ما بقيت فوالله ما علمت احدا من المسلمين ابلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله احسن مما ابلاني والله ما تعمدت كذبة منذ قلت ذلك لرسول الله الى يومي هذا واني لارجو ان يحفظني الله فيما بقي وانزل الله على نبيه لقد تاب الله على النبي الى قوله وكونوا مع الصادقين فوالله ما انعم الله علي من نعمة قط بعد ان هداني للاسلام اعظم في نفسي من صدقي لرسول الله ان لا اكون كذبته فاهلك كما هلك الذين كذبوا ان الله قال للذين كذبوا حين انزل الوحي شر ما قال لاحد فقال سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فاعرضوا عنهم انهم رجس وماواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون يحلفون لكم لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين وكنا خلفنا ايها الثلثة عن امر اولئك الذين قبل منهم حلفهم وبايعهم واستغفر لهم وارجا رسول الله امرنا حتى قضى الله فيه فبذلك قال الله وعلى الثلثة الذين خلفوا وليس الذي ذكر مما خلفنا عن الغزو انما هو تخليفه اياه عمن جاء واعتذر اليه وحلف له فقبل منه وارجا امرنا حتى قضى الله فيه فبذلك قال الله وعلى الثلثة الذين خلفوا وقرئ خالفوا اي خالفوا امر الرسول بالتخلف عنه او خالفوا الغازين بالتثبيط او خالفوا توبتهم بالتسويف او خالفوا الاعمال الصالحة بالسيئة او خالفوا الناس بالاقامة بعد ظعنهم او خالفوا الى نسائهم بالرجوع اليهن بعد ما ظنوا انهم يرحلون عنهن ولا يرجعون اليهن ابدا او خالفوا الى الكفر بالتوبة منه وقرئ خلفوا على البناء للمفعول من التخليف بمعنى التاخير او من الخلف لانهم خلفوا عن الغزو او خلفهم الشيطان عن الخير او خلفوا عن التوبة بالتسويف او خلفوا عن امر الرسول بالتثبيط او خلفوا عن امر الرسول بالتخلف عنه او خلفوا عن امر الرسول بالتخلف عنه او خلفوا عن امر الرسول بالتخلف عنه

ضاقت الارض بما رحبت سبحانه المؤمنين على ملازمة سيرة التقوى والانضمام فى زمرة اهل الصدق لا النفاق فقال يا ايها الذين
امنوا الاية قال بعض العلماء ظاهر الامر للوجوب فوجب على المؤمنين ان يكونوا مع الصادقين لا بمعنى ان يكونوا على
طريقتهم وسيرتهم لان ذلك عدول عن الظاهر بل بمعنى المصاحبة والكون مع الشئ مشروط بوجود ذلك الشئ فلا بد من
وجود الصادقين ثم انه ثبت بالتواتر من دين محمد ان التكاليف المذكورة فى القرآن متوجهة على المكلفين الى يوم القيمة
فلا يكون هذا الامر مختصا بالكون مع الرسول واصحابه فى الغزوات بل اعم من ذلك ثم ان الصادق لا يجوز ان يكون مخطئا
فى الامام المعصوم الذى يمتنع خلو زمان التكليف عنه كما يقوله الشيعة لان كون كل واحد من المؤمنين مع ذلك الصادق
بعد تسليم وجوده تكليف بما لا يطاق فالمراد بالصادقين اهل الحل والعقد فى كل حين والمراد انهم اذا اجمعوا على شئ كانوا
صادقين فيه محقين ويجب على الباقين ان يكونوا معهم ظاهرا وباطنا قال اكثر المفسرين الصادقون هم الذين صدقوا فى دين
الله وفيما عاهدوا عليه من الطاعة فيه قولا وعملا وقيل اى كونوا مع الثلثة المذكورين فى الصدق والثبات وعن ابن عباس
الخطاب لمن امن من اهل الكتاب اى وافقوا المهاجرين والانصار فى الصدق وقيل الخطاب للذين شهدوا انفسهم على السوء فى
وفى الاية دلالة على فضيلة الصدق وكماله درجته ومن خصائص الصدق ما روى ان اعرابيا جاء الى رسول الله وقال انى
اريد ان ازنى ومن بك الى احب الخمر والزنى والسرقة والكذب والناس يقولون انك تحرم هذه الاشياء كلها ولا طاقة لى بتركها
فان قنعت منى بترك واحدة امنت بك فقبل ذلك وشرط له الصدق ثم اسلم فلما خرج من عند رسول الله عرضوا عليه الخمر
فقال ان شربت فان سألنى رسول الله عن شربها وكذبت فقد نقضت العهد وان صدقت اقام الحد على فتركها ثم عرض
عليه الزنى فجاءه ذلك الخاطر فتركه وكذا فى السرقة فعاد الى رسول الله وقال ما احسن ما فعلت لما منعتنى عن الكذب
انسد ابواب المعاصى على وناب عن الكل ثم فضائل الصدق ان الايمان منه لان من مثابر الطاعات ومن معايب الكذب ان
الكفر منه لان من مثائر الذنوب ومن مثالب الكذب انه يلبس مع تمرده وكفره استنكافه منه حتى استثنى فى قوله لاغوينهم
اجمعين الا عبادك منهم المخلصين ثم المقتضى لقبح الكذب هو كونه كذبا عند الاشاعرة وكونه مفضيا الى المفاسد عند
المعتزلة والله اعلم التأويل ان الله اشترى فى التقدير الازلى لهذا بتسترلهم الابدال النفوس والمال فى الجهاد الاصغر وفى الجهاد
الاكبر وانه كما اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة اشترى من اوليائه الصديقين قلوبهم وارواحهم بان
لهم التائبون عما سوى الله العابدون المتوجهون اليه على قدم المحبوبية الحامدون له على ما وفقهم لنعته طلبة السائحون السائرون
اليه بقدم الصبر والشكر والزهد والتوكل الراكعون اى الراجعون عن مقام القيام بوجودهم الى القيام بموجدهم الساجدون
الساقطون على عتبة الوحدة بلا هم الآمرون بالمعروف الحقيقى الناهون عما سواه والحافظون لحدود الله لئلا يتجاوزوا
عن طلبه الى طلب غيره فما كان للنبى فيه ان الاجتهاد ليس سببا لنيل المراد وان الهداية من مواهب الربوبية لا من مراتب العبودية
ان ابراهيم لاواه الاواه هو المتبرئ من المخلوقات لكثرة نيل المواجيد والكرامات فيكون لضعف البشرية قوله بموله فيهما
ودرله وارق الحق ضاق عليه نطاق الخلق فناوه عنه تفنن لقلب المضطر من الخلق الى الحق حليم عما اصابه من الخلق الحق فلا
رجوع له من الحق الى الخلق محال من الاحوال ولهذا قال لجبرئيل حين سئله الملك حاجة اما اليك فلا وما كان الله ليضل قوما
ليردهم بالمكر الى الاشتغال بالبعد بعد اذ هديهم الى الوحدانية والفردانية بالتوحيد والتفريد حتى يبين لهم ما يتقون من
آفات البشرية وعاهات الدنيا هى راس كل خطيئة فان له يحترزوا عنها ومقوا بالاستدراج الحيث خرجوا عنها نعوذ بالله من
الحور بعد الكور او نقول ان الله لم يعم بعد اذ هديهم بالافناء عن الوجود الى البقاء بالجود لا يردهم الى بقاء البقاء وهو الاثبات
بعد المحو والتمحو بعد الستر وقد سماه المشايخ الاثبات الثانى حتى يبين لهم ما يتقون من الاحوال والاقوال رعاية لتلك
الاحوال ان الله له ملك السموات القلوب وارض النفوس يحيى بنور ربوبيته من يشاء ويميت عن صفات البشرية من يشاء وما
لكم من دون الله من ولى فلا تشغلكم طلب الملك عن المالك فان طالب الملك لا يجد الملك ولا المالك وطالب المالك
يجد الملك والمالك وطلب المالك يجد الملك والمالك جميعا لقد تاب الله على النبى التوبة فضل من الله ورحمة فقدم
ذكر النبى على المهاجرين ليكون وصول فضله اليهم بعد العبور على النبى تحقيقا لقوله وما ارسلناك الا رحمة للعالمين الذين
اتبعوه فى ساعة عسرة الدنيا وترك شهواتها او نقول لقد تاب الله اى فاض انوار عرفانه على نبى الروح ومهاجر صفاته
الذين هاجروا معه من مكة عالم الروح الى مدينة الجسد والانصار من القلب والنفس وصفاتهما الذين اتبعوه فى ساعة رجوعه
الى مدينة الجسد الانصار من القلب والنفس وصفاتهما الذين اتبعوه فى ساعة رجوعه الى عالم العلو والعزة لانهم من عالم
السفل وعلى الثلثة الذين خلفوا من النفس والهوى والطبع وما تبعوا الروح عند رجوعه الى عالمه ابتداء حتى اذا ضاقت عليهم

التوبة

ارض البشرية شوقا الى تلك الحضرة وضاقت عليهم انفسهم تحننا الى تلك السعادات وتحققوا بنور اليقين ان لو بقوا في السعادات
لا ملجأ لهم من عذاب البعد عن الله الا الفرار اليه ثم تاب عليهم بجذبة العناية ولو وكلهم الى طبيعتهم ما سلكوا طريق الحق ابدا
مع الصادقين الذين صدقوا ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا
بوم المشاق والله اعلم بنهى ايشان مدينه و انكه براموس ايشان نشيند از اهل باديه كه مخالفت كنند از رسول خدا وبايد كه رغبت كنند
بانفسهم عن نفسه ذلك بانهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطئون موطئا يغيظ
تنهاى ايشان از جان او ان بسبب آنست كه ايشان را نرسد بايشان تشنگى ورنجى ودر سختى در راه خدا وبجاى نرند جاى كه بخشم آورد
الكفار ولا ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم به عمل صالح ان الله لا يضيع اجر المحسنين ولا ينفقون نفقة
كافرانرا ونباشند از بهر دشمنى هيچ چيز الا بدرستيكه نوشته شود ايشان را بآن كار نيكو بدرستيكه خدا ضايع نميكند مزد نيكوكاران را ونفقه نكنند نفقه كران
صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا الا كتب لهم ليجزيهم الله احسن ما كانوا يعملون وما كان المؤمنون
ريزه چيزى ونه بزرك ونه برند وادى را مگر كه نوشته شود ايشان را تا جزا دهد ايشان را خدا بهترين آنچه بوده كه ميكردند وبنبود مر گروه مسلمانان را
لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم
تا بيرون روند همه پس چرا بيرون نرفتند از هر گروهى از ايشان گروهى تا فقيه شوند ودر دين وتا بيم كنند قوم خويش را چون باز گردند بسوى ايشان تا شايد ايشان
يحذرون يا ايها الذين امنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا ان
بپرهيزند اى كسانكه گرويديد بايد كه جنگ كنيد با كسانكه نزديك شما اند از كافران وبايد كه بيابند در شما درشتى وبدانند انكه
الله مع المتقين واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا فاما الذين امنوا فزادتهم
خدا با پرهيزكاران است وچون فرستاده شود سورتى پس بعضى از ايشان ميگويد كدام يك شما افزود اين سوره ايمان را اما كسانكه گرويدند پس بيفزود ايشان را
ايمانا وهم يستبشرون واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرون اولا
ايمان وايشان شاد باشند واما آنكه در دلهاى ايشان شكست وشك است بيفزود ايشان را پليدى بر پليدى ايشان ومردند ايشان وهمه كافر باشند آيا نمى
يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون واذا ما انزلت سورة نظر بعضهم
كه ايشان مبتلا ميشوند در هر سال يكبار يا دو بار پس توبه نميكنند وايشان پند نميگيرند وچون فرستاده شود سورتى مينگرند بعضى از ايشان
الى بعض هل يراكم من احد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بانهم قوم لا يفقهون لقد جاءكم رسول من
بسوى بعضى آيا مى بينند شما را از هيچ يكى پس برگردند برگردانيد خدا دلهاى ايشان را بآنكه گروهى اند كه نميدانند درين سورة كشف كه آمد شما را رسولى از
انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا
تنهاى شما دشوار است بر او آنكه برنج افتيد حريص است بايمان آوردن شما مومنان را رحيم است پس اگر برگردند پس بگو بسنده است مرا خداى
هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم القراءة مولها ونحوه بالياء يزيد والثمون وفي الوقف عليه بفتح
او بر او توكل كردم واوست پروردگار عرش عظيم ورزكى العين المفضل الباقون بكسرها ولا تزون بتاء الخطاب للمؤمنين حمزة و
يعقوب الباقون على العينية الوقف عن نفسه ط صالح ط المحسنين لا للعطف يعلمون كافة ط يحذرون ه غلظة ط المتقين
ايمانا ج يستبشرون ه كافرون ه يذكرون ه الى بعض ط يقولون هل يراكم ثم انصرفوا ط لا يفقهون ه عزيز
على تا وبل عليه شفاعة ما عنتم والصحيح الوصل لان المعنى شديد عليه ما اثمتم ولا وقف في الآية الى قوله رحيم حسبي الله
والاصح الوصل على جعل الجملة حالا اى يكفى الله غير شارك في الالوهية الا هو العظيم التفسير لما امروا موافقة النبي واصحابه
في جميع الغزوات والمشاهد بقوله وكونوا مع الصادقين اكد ذلك المعنى بالنهى عن التخلف عنه فقال ما كان لاهل المدينة
اى لا يستقيم ولا يجوز لهم ولا عراب الذين كانوا حول المدينة قد ذكرنا عن ابن عباس انهم مزينة وجهينة واشجع واسلم وغفار
وكانوا اداما المعروفين منهم وانما لفظ عام ومعنى ولا يرغبوا ولا ان يرغبوا يقال رغبت بنفسي عن هذا الامر اى ابخل
بها عليه ولا اتركها له والمراد انه لا يصح لهم ان يرغبوا عن صحبة رسول الله تسبب صلاح انفسهم وبقائها بل عليهم
ان يصحبوه على الباساء والضراء ويرضوا لانفسهم ما يرضاه الرسول لنفسه لان نفسه اعز نفس عند الله فاذا تركت
مع كرامتها للخوض في شدة وجب على سائر الانفس ان لا يضنوا بها على ما سمح بنفسه عليه وفي هذا النهى مع التهييج توبيخ عظيم ولا
يخفى ان الجهاد لا يجب على كل فرد بعينه للاجماع وان اصحاب الاعذار من الضعفاء والمرضى ونحوهم مخصوصون بالعقل و
بالنقل فيبقى ما وراء هما بين الصورتين داخلا تحت عموم الآية ثم ذكر ترغيبا بجرى مجرى علة المنع من التخلف فقال
ذلك بانهم اى الوجوب الدال عليه بقوله ما كان لهم بسبب انهم متابون على انواع المتاعب اصنافا شديدا على جميع

ع

ع

التفسير

الحركات والسكنات مدة الذهاب والاياب والظماء شدة العطش والنصب الاعياء والتعب والمخمصة المجاعة الشديدة التي تظهر خموصة البطن والموطئ مصدر كالموردا ومكانه وعلى التقدير بن التصير في يغيظ عايد الى الوطئ الصريح او المقدر ثم الوطئ يجوز ان يكون حقيقة فيراد به الدوس بالاقدام ويجوز فيه الخيول وباخفاف الابل ويجوز ان يكون مجازا فيراد به الايقاع والاهلاك قال ابن الاعرابي يغيظهم وغيظهم واغاظهم بمعنى ويقال نال منه اذا زراه ونقصه وهو عام في كل ما يسوؤهم ويلحق بهم ضررا من قتل او اسر او غنيمة او هزيمة والمراد انهم لا يتصرفون في ارض الكفار بتصرف ما يغيظهم ويسوءهم شيئا الا كتب لهم به عمل صالح وفيه دليل على ان من قصد طاعة الله كان قيامه وقعوده ومشيه وحركته وسكونه كلها حسنات مكتوبة عند الله وكذا القول في طرف المعصية ولكن بالضد فما اعظم بركة الطاعة وما اشد سوء المعصية وبهذه الاية استشهد اصحابنا بحنفر ان المدة القادمة بعد انقضاء الحرب يشارك الجيش في الغنيمة لان وطئ دارهم مما يغيظهم ويبكي منهم وقال الشافعي لا يشاركون الغانمين في الغنيمة وان شاركوهم في الثواب لان الغنيمة من خواص المحاربين ومن قد تغلط حظرا قال قتادة هذا الحكم من خواص رسول الله ﷺ اذا غزا بنفسه فليس لاحد ان يتخلف عنه لا بعذر وقال ابن زيد هذا حين كان المسلمون قلة فلما كثروا نسخه الله بقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة وقال عطية ما كان لهم التخلف اذا علم الرسول وامرهم قال العلماء وكذلك غيره من الائمة والولاة واذا عين لطائفة لا ناوب شرطنا للمندوب ان يتقاعد لم يحضر بذلك بعض دون بعض يؤدي الى تعطيل الجهاد قوله ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة قال المفسرون هربد تمرة فما فوقها وعلاقة سوط وما ارفق عليها مثل ما انفق عثمان في جيش العسرة ولا يقطعون واديا اي ارضا في ذهابهم ومجيئهم وهذا شايع في استعمال العرب يقولون لا يتصل فلان بفلان عن فلان وهو في الاصل قاعد عن ودي اذا سئل والوادي كل منعطف بين جبال واكام يكون منفذ السيل الا كتب لهم ذلك لانفاق والقطع وذلك العمل الصالح المعهود في الاية المتقدمة ثم ذكر غاية الكتب فقال ليجزيهم اي اثبت في صحائفهم لاجل الجزاء جزاء احسن من اعمالهم واجل وقيل الاحسن من صفة الفعل اي يجزيهم على الاحسن وهو الواجب والمندوب دون المباح واعلم انه سبحانه عد اشياء بعضها ليس من اعمال المجاهدين وهو الظماء والنصب والمخمصة ونائبها من اعمالهم وهي الوطئ النيل والانفاق وقطع الارض وضم هذا الباقي منهم شطرا منه الى ما ليس من اعمالهم يدلها على انه في الثواب جار مجرى عملهم ولهذا صرح بذلك فقال الا كتب لهم به عمل صالح اي جزاء عمل صالح واكد ذلك بقوله ان الله لا يضيع اجر المحسنين ثم اورد الشطر الباقي لغرض اخر وهو الوعد باحسن الجزاء واقتصر ههنا على قوله الا كتب لهم لان هذا القسم من عملهم فلم يحتج الى تصريح بذلك واكتفاء مما تقدم اولان الضمير عائد الى المصدر الدال عليه الفعل والله تعالى اعلم بمراده ثم قال وما كان المؤمنون وفيه قولان احدهما انه من بقية احكام الجهاد لانه سبحانه لما بالغ في عيوب المنافقين كان المسلمون اذا بعث رسول الله ﷺ سرية الى الكفار ينفرون جميعا ويتركونه بالمدينة وحده فنزلت الاية قال ابن عباس والمعنى انه لا يجوز للمؤمنين ان ينفروا باسرهم الى الجهاد بل يجب ان يصير طائفتين احديهما للملازمة خدمة الرسول والاخرى للنفير الى الغزو ثم ههنا احتمالان لانه قال محمد ما كان لهم هلا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين فذهب الاكثر الى ان الضمير في ليتفقهوا عائد الى الفرقة الباقية في حضرة الرسول لانهم اذا بقوا في خدمته شاهدوا الوحي والتنزيل وضبطوا ما حدث من الشرايع وعلى هذا فلا بد من اضمار والتقدير فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة واقام طائفة ليتفقه المقيمون في الدين ولينذروا قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون معاصي الله عند ذلك وهذا الطريق يتم امر الدين بها تين الطائفتين والاضاع احد الشقين والاحتمال الاخر ما روي عن الحسن ان الضمير يعود الى الطائفة النافرة ويتفقهه هو انهم يشاهدون ظهور المسلمين على المشركين وان العدد القليل منهم من غير زاد ولا سلاح كيف يغلبون الجم الغفير من الكفار فيتبينون لذلك ما سبق لصنع الله في اعلاء كلمته فاذا رجعوا الى قومهم انذروهم بما شاهدوا من دلائل الحق فيحذروا اي يتركوا الكفر والشرك والنفاق القول الثاني انه ليس من بقية احكام الجهاد وانما هو حكم مستقل بنفسه ووجه النظم ان الجهاد دائم يتعلق بالسفر وكل التفقه اما في زمن الرسول ﷺ فوجوبه ظاهر لمن ليس بحضرته حتى يصل اليه ويستفيد من خدمته لان الشريعة ما كانت مستقرة بل كانت تتجدد كل يوم شيئا فشيئا واما في زماننا فلا يجب بنه متى عجز عن التفقه الا بالسفر وجب عليه وان امكنه في الحضر فلا شك ان للسفر بركة اخرى بعرفها كل من زاول الاسفار وحاول الاخطار ومعنى ليتفقهوا ليتكلفوا الفقاهة في الدين ويتجشموا للتاعب في اخذها وتحصيلها والفقه في الاصطلاح هو العلم بالاحكام الشرعية الفرعية المستنبطة من دلايلها التفصيلية والظاهر ان المراد في الاية اعم من ذلك بحيث يشمل علوم الشرع كلها من التفسير والحديث واصول الدين واصول الفقه ومقدمات كل من ذلك وغايتها بحسب الامكان النوعي والشخصي وفي قوله ولينذروا قومهم اشارة الى ان الغرض الاصلي من التعلم هو الانذار

والارشاد الا ما يتبقى له علماء السوء من الاغراض الفاسدة كالمطاعم والملابس والمفاخر اعاذنا الله تعالى بفضله من فتح البشرة وفساد الطوية وجعلنا ممن لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا القائلون بان جبل الواحد حجة قالوا اوجب الله تعالى ان يخرج من كل فرقة طائفة والخارج من الثلثة يكون اثنين او واحدا ثم انه اوجب العمل باخبارهم بقوله ولينذروا و اجيب بان ايجاب الانذار لا يدل على وجوب العمل لان الشاهد الواحد يلزمه اداء الشهادة وان لم يلزم القبول وورد بان قوله لعلهم يحذرون ايجاب العمل باخبارهم ثم ارشد سبحانه الى ترتيب القتال فقال يا ايها الذين امنوا قاتلوا الذين يلونكم اي يقربون منكم مبتدأ من الاقرب فالاقرب منتقلا الى الابعد والقتال واجب مع كافة الكفرة بآية القتال ولكن هذه الآية تحصر كان الغرض منها الترتيب ما لم يدع الى قتال الابعد قبل دفع الاقرب ضرورة فلا يكون هذه منسوخة بآية القتال على ما نقل عن الحسن وانما وجب الابتداء بالغزو من المواضع القريبة لان قتال الكل دفعة متعذر وللاقرب ترجيح ظاهر كما في الدعوة كما في سائر المهمات مثلا في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر يبتدأ بالجمع الحاضرين ثم ينتقل الى الغائبين وايضا المؤنة في قتال الاقربين من النفقة والدواب تكون اقل والقتال معهم يكون اسهل للوقوف على احوالهم وعدد عسكرهم والفرقة المجاهدة اذا تجاوزوا من الاقرب الى الابعد فقد عرضوا الذراري للفتنة وقد حارب رسول الله صلعم قوما ثم غزاهم عرب الحجاز ثم غزا الشام وبروى انه اعرابيا جلس على المائدة وكان يمد يده الى الجوانب البعيدة من تلك المائدة فقال صلعم كل مما يليك فنبه بهذه الوجوه ان الابتداء بالاقرب فالاقرب واجب الم يضطر الى العدول لضرورة وقوله وليجدوا فيكم غلظة اي شدة بطش وقوله واغلظ عليهم ومن قرا بفتح الغين فهو المصدر ايضا كالسخطة وهي لفظة جامعة للجراة والصبر على القتال و لشدة العداوة والعنف في الفعل والاسر كل ذلك بما يتصل بالدعوة الى الدين اما باقامة الحجة واما بالسيف انما فيما يتصل بالبيع والشري والمجالسة فلا ولكن يقوى الله سبحانه على ذكره في موارده ومصادره ولهذا ختم الآية بقوله واعلموا ان الله مع المتقين فان قتله قتله لله وان تركه على الحرية تركه لله وان كسر عدوه وال الامر الى اخذ الغنيمة ذاهدوا لله ثم حكى بقية مخازي اعمال المنافقين فقال واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول اي يقول بعض المنافقين لبعض انكارا واستهزاء بالمؤمنين المعتقدين زيادة الايمان بزيادة العلم الحاصل بالوحي والعمل بما يوحى يقولونه لقوم من المسلمين وغرضهم صرفهم عن الايمان والمقول لكم مرفوع بالابتداء وخبره زادته هذه ايمانا ثم انه تعالى حكى انه حصل للمؤمنين بسبب نزول هذه السورة امران احدهما ازدياد الايمان وقد مر معناه في اول سورة الانفال والثاني الاستبشار وهو استدعاء البشارة اما بثواب الاخرة واما بالغرة والنصرة في الدنيا والمراد انهم يفرحون بسبب تلك التكاليف الزائدة من حيث انه يتوسل بها الى مزيد الثواب وحصل للمنافقين الذين لهم عقايد فاسدة واخلاق ذميمة امران اولهما زيادة الرجس على الرجس لان تكذيب سورة بعد تكذيب مثلها انضم كفرا الى كفر اولان حصول حسد وغل ونفاق عقيب امثالها ازدياد ملكة ذميمة عن اخرى وثانيهما بقاؤهم على تلك العقايد والاعمال الى ان ماتوا الان الملكة الراسخة لا تزول الى ان مات صاحبها واسناد زيادة الرجس الى السورة اسناد حقيقي عند الاشاعرة لانهم يقولون انه سبحانه يخلق الكفر والايمان في العبد فلا بعد اصلا في ان السورة فيها الرجس واسناد مجازي عند المعتزلة لانهم يقولون انهم احدثوا الرجس من عند انفسهم حين نزول السورة بدليل ان الاخرين سمعوا السورة وازدادوا ايمانا والتحقيق فيه ان النفس الطاهرة المنقية عن درن الدنيا باستيلاء حب الله و الاخرة اذا سمعتها صارت سماعها موجبا لازدياد رغبتها في الاخرة ونفرتها عن الدنيا واما النفس الخبيثة المنهمكة على الدنيا وطيباتها الغافلة عن حب الاخرة وعشق المولى اذا سمعتها مشتملة على تعريض النفس للقتل والمال للنهب بسبب الجهاد ازدادت نفرتها عنها وانكاره عليها وكل بقدر ثم عجب من حال المنافقين فقال اولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين قال ابن عباس انهم يمتحنون بالمرض ثم لا يتوبون من النفاق ولا يتعظون بذلك المرض كما يتعظ المؤمن وانه عند ذلك يتذكر ذنوبه ويوقن بان ذلك ربه عز وجل بذلك اما ان خوفا وقال مجاهد بالجوع والخوف وقال قتادة بالغزو والجهاد فان تخلفوا وقعوا في السنة الناس بالطعن والخزي وان ذهبوا وهم على حالة النفاق عرضوا انفسهم للقتل واموالهم للنهب من غير فائدة وقال مقاتل كانوا يجتمعون على ذكر الرسول بالطعن فيخبره جبرئيل فيوبخهم بذلك فيعظهم فما كانوا يتعظون ثم ذكر نوعا اخر من مخازيهم فقال واذا ما انزلت سورة نظر بعضهم الى بعض اي سورة مشتملة على ذكرهم او اعم من ذلك وانظر نظر الطعن والاستهزاء والانزواء بالوجه قائلين هل يراكم من احد من المسلمين لننصرف فانا لا نصبر على استماعه ويغلبنا الضحك فتحا فا الافتضاح بينهم كان نظر الغماز دال على ما في الباطن من الانكار الشديد او اراد وا ان كان من ورائكم احد فلا تخرجوا والا فاخرجوا للتخلص من

هذا الابناء وسماع الباطل ثم انصرفوا اى من مكان الوحى الى مكانهم او عن استماع القرآن الى الطعن فيه ومعنى صرف
الله قلوبهم قال ابن عباس منعهم عن كل رشد وخير وقال الحسن طبع الله قلوبهم وقال الزجاج اضلهم الله قالت الاشاعرة
هو اخبار عما فعل الله بهم من الصد عن الايمان والمنع منه وقالت المعتزلة هو دعاء عليهم بالخذلان وبصرف قلوبهم عن الاسترواح
او اخبار بانه صرفهم عن الالطاف التى يختص بها من امن بها او المراد صرف قلوبهم بما اورثهم من الغم والكيد قالوا ومعنى
قوله لا يفقهون لا يتدبرون حتى يفقهوا وعند الاشاعرة هم قوم جبلوا على ذلك يحكى عن محمد اسحق انه قال لا تقولوا انصرفنا
من الصلوة فان قوما انصرفوا صرف الله قلوبهم لكن قولوا قضينا الصلوة كان مقصودا التفال باللفظ الوارد فى الخبر وفى
الشرع انه تعالى قال فاذا قضيت الصلوة فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله ثم لما امر رسوله فى هذه السورة بتبليغ تكاليف
شاقة يعسر تحملها ختم السورة بما يهون الخطب فى تحملها فقال لقد جاءكم رسول من انفسكم اى من جنس البشر لا الملك لان
الجنس الى الجنس اميل وبه الف انس والخطاب للعرب والمقصود عنهم فى نصرته والقيام بخدمته لان كل ما يحصل له من
الدولة والرفعة فان ذلك لتعزهم وفخرهم لانه من ابناء جلدتهم او الخطاب لاهل الحرم خاصة لانهم كانوا يسمون اهل الحرم اهل
الله وخاصته وكانوا يخدمونهم ويقومون باصلاح مهماتهم فكانه قيل لهم كنتم قبل مقدمه مجدين فى خدمة اصنامكم فلم
تتكاسلوا فى خدمته مع انه لا نسبة لشرف الى اثائر او المقصود من ذكر هذه الصفة التنبيه على طهارته كانه قيل هو من
عشيرتكم تعرفونه بالصدق والامانة والعفاف وتعرفون كونه حريصا على دفع الافات عنكم وايصال الخيرات اليكم فارسال
من هذه حاله وصفته يكون من اعظم نعم الله عليكم وقرئ من انفسكم بفتح الفاء اى من اشرفكم وافضلكم وتنسب هذه القراءة
الى النبى والوصى اهل البيت ع ثم وصفه بما يستتبعه المجانسة والمناسبة من النتايج وذلك قوله عزيز عليه ما عنتم العزة
الغلبة والشدة والعنت المشقة والوقوع فى المكروه والاثم وما مصدرية اى شديد شاق عليه لكونه بعضا منكم عنتكم ولقائكم
المكروه واولى المكاره بالدفع عقاب الله وهو انما ارسل لدفع هذا المكروه حريص عليكم الحرص يمنع ان يتعلق بذواتهم
فالمراد حريص على ايصال الخيرات اليكم فى الدارين فالصفة الاولى لدفع الافات وايصال الخيرات والسعادات فلا تكرار وقال
الفراء الحريص الشحيح والمعنى انه شحيح عليكم ان تدخلوا النار وفيه نوع تكرار ثم بين انه رحمة للعالمين فقال بالمؤمنين اى منكم ومن
غيركم رؤف رحيم قال ابن عباس لم يجمع بين اسمين من اسمائه الا له وحاصل هذه الخاتمة ان هذا الرسول منكم فكل ما يحصل له من
العز والشرف فذلك عائد اليكم وانه كالطبيب الحاذق وكالاب الشفيق واذا عرفتم ان الطبيب حاذق والاب مشفق فالعلاج والتاديب
منهما احسان واجمال وان كان صعبا مولما فاقبلوا امركم به من التكاليف وان كانت شاقة لتفوزوا بسعادة الدارين ثم قال للرسول
فان لم يقبلوا منك ما امرتهم به واعرضوا وتولوا فاتركهم ولا تلتفت اليهم وارجع فى جميع امورك الى الله الذى بالحق ارسلك فهو كافيك وهو
رب العرش العظيم فلا يخرج عن قبضة قدرته وتصرفه شئ لانه محيط بالعرش وبما هو اعلى العرش والله اعلم بالتاويل ما كان
لاهل مدينة الغالب عليهم هو النفس والهوى والقلب ومن حولهم من الاعراب الصفات النفسانية والقلبية ان يتخلفوا عن رسول
الروح السائر اليه ولا يبدلوا وجودهم عند بذل وجوده بالفناء فى الله ذلك بانهم لا يصيبهم ظمأ من ماء الشهوات ولا نصب
من انواع المجاهدات ولا مخمصة بترك اللذات وحطام الدنيا فى طلب الله ولا يطئون موطئا من مقامات الفناء يغيظ الكفار
النفس والهوى ولا ينالون من عدو الشيطان والنفس والدنيا بلاء ومحنة وفقرا وحزنا وغير ذلك من اسباب الفناء الا
كتب لهم به عمل صالح من البقاء بالله بقدر الفناء فى الله ولا ينفقون نفقة صغيرة هى من بذل الصفات ولا كبيرة هى بذل الذات
فى صفات الله وفى ذاته ولا يقطعون واديا من اودية الدنيا والاخرة والنفس والهوى والقلب والروح احسن ما كانوا يعملون
لان علمهم بقدر معرفتهم وجزاؤه يضيق عنه نطاق فهمهم فلا تعلم نفس ما اخفى لهم وما كان المؤمنون لينفروا فى السير
الى الله وبالله وفى الله فهلا نفر من كل قوم وقبيلة فرقة طائفة هم خواصهم واهل الاستعداد الكاملون ليتعاملوا السلوك
ويجزوا بذلك قومهم لعلهم يحذرون من غير الله قاتلوا الذين يلونكم من كفار النفس الهوى وصفاتها وليجدوا فيكم غلظة عزة
صادقة فتزيد شهواتها وما توا وهم كافرون اى اموت قلبهم لتزايد ظلمة النفاق كل حين ثم اخبر عن موت القلب بقوله
او لا يرون انهم يفتنون والفتنة موجبة لانتباه القلب لحى ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب اى قلب حى هل يرهم
من احد فى مقام الانكار والنفاق اى هل يرى محمدا انكارنا على رسالته والقرآن فانه رد رسولا اما نبوة رسالته ثم انصرفوا عن
هذا الحسبان لان قلوبهم مصروفة وليس لهم فقه القلب لان ذلك من امارات جوة من انفسكم لتسكين للعوام لئلا ينفروا عنه
اشارة للخواص الى ان البشر لهم استعدادا للوصول والوصال فان لم يكن بالاستقلال فبالمتابعة فاتبعوني يحببكم الله ومن
قرأ من انفسكم اى اشرفكم فلانه اول جوهر خلقه الله تعالى اول ما خلق الله تعالى روحى ولا اختصاصا بالخلاص عن تعلق الكونين

النوع

وبلوغه إلى قاب قوسين أو أدنى وتخلله بجلبته فأوحى إلى عبده ما أوحى ولعلوهمته ما زاغ البصر وما طغى ولرؤيته بتر
لقدر وكفقد رأى من آيات ربه الكبرى بالمؤمنين رؤوف رحيم فمن رافته أمر بالرفق كما قال ان هذا الدين متين فأدخلوا
فيه بالرفق ومن رحمته قيل له فبما رحمة من الله لنت لهم وههنا نكتة وهي ان رافته ورحمته لما كانت مخلوقة اختصت
بالمؤمنين فقط وكانت رحمته نعم ورافته للناس عامة ان الله بالناس لرؤوف رحيم ونكتة اخرى
هي ان رحمته عامة للعالمين لقوله وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين وأما رحمته
المضمومة الى الرافة فخاصة بالمؤمنين وكان الرافة اشارة الى ظهور اثر
الدعوة في حقهم فالمؤمنون امة الدعوة والاجابة جميعا وغيرهم
امة الدعوة فقط حسبي الله لان المفوض من التبليغ قد
حصل لك وهو وصولك الى الله اعرضوا عن
دعوتك وامتلوا والله المستعان
تم الربع الثالث من التفسير المسمى غرائب القرآن
ورغائب الفرقان والحمد لله
على نواله والصلوة
على نبيه المصطفى
محمد و
اله

الحمد لله

سورة يونس مكية الا الآيات الثلاث بقوله تعالى فان كنت في شك الى آخرهن حروفها خمسة آلاف وخمسمائة وستون كلمها ثمانمائة وثمان وثمانون آيها مائة وتسع

بسم الله الرحمن الرحيم

بنام خداوند بخشاينده مهربان

ع الر تلك آيات الكتاب الحكيم اكان للناس عجبا ان اوحينا الى رجل منهم ان انذر الناس وبشر الذين آمنوا ان لهم
الر اين آيتهاى كتاب باحكمت است ٭ آيا شد مردمرا از ايشان كه بترساند مردمرا وخجسته دارد ايشان را كه گرويدند كه ايشان را
قدم صدق عند ربهم قال الكافرون ان هذا لساحر مبين ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة
ساينده خوبى نزد پروردگارشان گفتند كافران بدرستيكه اين هاينه سحريست بزرگ بدرستيكه پروردگارشما خداييست كه آفريد آسمانها وزمين را درشش
ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر ما من شفيع الا من بعد اذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه افلا تذكرون اليه
روز پس بشستاد برعرش تدبير ميكند كار را نيست هيچ شفيعى مگر پس از دستورى او آنست خداى پروردگارشما پس پرستيد اورا آيا پس پند نميگيريد بازگشت
مرجعكم جميعا وعد الله حقا انه يبدؤا الخلق ثم يعيده ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا
بازگشت شما همه وعدا داد از راستى بدرستيكه او آغاز ميكند آفرينش را پس باز ميگرداند اورا تا جزا دهد آنانرا كه گرويدند وكردند كارهاى شايسته بعدل وآنانكه كافر شدند
لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا
مرايشانرا آشامى از آب جوشان وعذابى دردناك بسبب آنچه بودند كافر ميشدند اوست كه گردانيد آفتاب را روشنائى وماه را روشنى ومقرر داشت مرماه را منزلها تا بدانيد
عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون ان في اختلاف الليل والنهار وما
شمار سالها وحساب را نيافريد اين را مگر بحق تفصيل ميدهد آيتها را براى جمعى كه ميدانند بدرستيكه در اختلاف شب وروز وآنچه
خلق الله في السموات والارض لآيات لقوم يتقون ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا
آفريد خدا در آسمانها وزمين هر آينه آيتهائى است براى جمعى كه پرهيزند بدرستيكه آنانكه اميد نميدارند ملاقات ما را وراضى شدند بزندگانى دنيا وآرميدند
بها والذين هم عن آياتنا غافلون اولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات
بان وآنانكه ايشان از آيتهاى ما بيخبرند اينها جايگاهشان آتش است بسبب آنچه بودند كسب ميكردند بدرستيكه آنانكه گرويدند وكردند كارهاى شايسته
يهديهم ربهم بايمانهم تجري من تحتهم الانهار في جنات النعيم دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها
راه مينمايد ايشان را پروردگارشان بسبب ايمانشان جويها روان است از زير ايشان در بهشتهاى پرنعمت خواندنشان در آن سبحانك اللهم است ودرودشان در آن
سلام وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين القراءة الربا الا ما لا ذكر لك ما بعده وابو عمرو وخلف حمزة وعلى الحزاز
سلامت وآخر خواندنشان اينكه ستايش مرخداى را كه پروردگار عالميانست عن هبيرة والبخاري عن ورش ويحيى وابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان لساحر
بالالف ابن كثير وعاصم حمزة وعلى وخلف الاخرون لسحر حقا انه بالفتح بزيد ضياء بالهمز حيث كان ابن مجاهد وابو عون عن قنبل يفصل
بالياء ابن كثير وعمرو وسهل ويعقوب وحفص والمفضل والبجلي الباقون بالنون واظهروا النون بغير همز الاصبهاني عن ورش وحمزة في الوقف
بالوقوف الزكو في الحكيم ط عند بهم ط مبين ٥ يدبر الامر ط اذنه ط فاعبدوه ط تذكرون ٥ جميعا حفاظ الا لمن قرأ انه بالفتح
بالقسط ط بكفرون والحساب ط الا بالحق ط لمن قرأ نفصل بالنون ومن قرأ بالياء امكن ان يجعل نفصل ط لا يعلمون يتقون غافلون

لان اولئك خبران بانهم ط للحذف تقديره يهديهم ربهم بانهم الى اداء البقاء مع اتحاد المقصود وتمام الموعود لتعم سلام ط لان
الجملتين وان اتفقتا فقد اعترضت جملة معطوفة اخرى لان قوله واخر دعويهم معطوف على دعويهم الاول العالمين للتفخيم تفقوا
على ان قوله الر ليس بآية وعلى ان طه آية ولعل الفرق ان الر لا يشاكل مقاطع الآى التى بعده عن ابن عباس ومعناه انا الله ارى وقيل لا
رب غيرى وقيل الرحيم اسم الرحمن تلك اشارة الى ما تضمنته السورة من الآيات والتبعيد للتعظيم والكتاب السورة والحكيم ذو الحكمة لاشتماله
عليها او وصف بصفة من تكلم به منزلهم للقصيدة حكيمة وقيل فعيل بمعنى فاعل لانه يحكم بين الحق والباطل او يحكم بان محمدا صادق ولان
القرآن اظهر معجزاته وابقاها وقيل بمعنى مفعول اى حكم فيه بجميع المامورات والمنهيات وقيل بمعنى الحكم والاحكام المنع من الفساد وذلك
انه لا يمحوه الماء ولا يحرقه النار ولا يغيره الدهور ويحتمل ان يقال الكتاب الحكيم هو القرآن او اللوح المحفوظ او التوراة والانجيل لان جميع
الكتب الالهية متوافقة فى الاصول ويجوز ان يكون تلك اشارة الى ما تقدم هذه السورة من آيات القرآن واعلم انه سبحانه لما ختم السورة
المتقدمة بقوله لقد جاءكم رسول من انفسكم صدر هذه السورة بتعديد بعض الحروف على طريق التحدى وذلك ان حروف القرآن من جنس
الحروف التى يتلفظون بها فلولا انه معجز لعارضوه وناقضوه وبانوا بين بهذا الطريق ان محمدا رسول حق من عند الله على كفار قريش
بعجزهم من كونه رسولا فقال اكان للناس عجبا نصب على انه خبر كان واسمها ان اوحينا وفائدة اللام فى قوله للناس مع تقديمه هى انهم جعلوه
لهم اعجوبة يتحدثون بها ثم ان تعجبهم اما ان يكون من جعل البشر رسولا او من تخصيص محمد بالوحى والنبوة فقد ذكر انهم كانوا يقولون
العجب ان الله لم يجد رسولا يرسله الى الناس الا يتيم ابى طالب وكلا الامرين ليس بعجب اما الاول فلان الجنس الى الجنس يميل ولو جعلناه
ملكا جعلناه رجلا قل لو كان فى الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا واما الثانى فان الفقر واليتم
لا يوجب فى النبوة قدحا لان الله غنى عن العالمين وما اموالكم ولا اولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى وانما المعتبر الاستغناء كونه متصفا
بالصدق والامانة والتقوى وكان لمحمد ص فى ذلك قبل بعثه اليد الطولى وكان يدعى محمدا الامين وان فى قوله ان انذر الناس هى المفسرة
لان الايحاء فيه معنى القول او مخففة من الثقيلة وقد عملت فى ضمير شان مقدر معناه انه اى ان الشان قولنا انذر الناس وقوله بشر
الذين امنوا انهم اى بان لهم والانذار اخبار مع تخويف وانه عام للناس كلهم ولكن البشارة خاصة بالمؤمنين ويحتمل ان يراد بالناس الكفار
فقط ويمكن ان يكون تعجبهم عائدا الى الانذار والتبشير وليس ذلك بعجب بل المنكر فى العقول تعطيل الاعمال وان يترك الانسان سدى وارسال
الرسل امرها الى الله تعم المكلفين عنه شيئا من الازمنة وبه يتم المالكية والامر والنهى والاذن والمنع والثواب والجزاء وانما قدم الانذار
على التبشير لان الانذار تحذير عن فعل ما لا ينبغى والتبشير ترغيب فى فعل ما ينبغى والتخلية مقدمة على التحلية ومعنى قدم صدق سابقة و
فضل ومنزلة رفيعة اى سبق لهم عند الله خير قال احمد بن يحيى القدم كل ما قدمت من خير وقال ابن الانبارى كناية عن العمل الذى لا يقع فيه
تاخير ولا ابطاء والسبب فى اطلاق القدم على السابقة ان السعى والسبق لا يحصل الا بالقدم فسمى المسبب باسم السبب كما سميت النعمة يدا لا
ويقطى باليد اضافة القدم الى صدق لاجل المبالغة وللتنبيه على انها من السوابق العظيمة اى القدم التى يصدق ويحق ان يسمى قدما واما
عبارات المفسرين فمنهم من قال قدم صدق هى الاعمال الصالحة ومنهم من قال الثواب ومنهم من قال شفاعة محمد ص اما قوله قال الكافرون
فقال المقاتل فيه اضمار والتقدير فلما انذرهم قالوا ذلك ثم من قرأ الساحر بالالف فقوله هذا اشارة الى النبى ص ومن قرأ السحر فهو اشارة
الى القرآن وفيه دليل على عجزهم واعترافهم بانهم قاصرون عن معارضته كالسحر ومن هنا جوز بعضهم ان يكونوا ارادوا به المدح اى انه بالكمال
فصاحة وبعد الايتان بمثله جار مجرى السحر ثم لما انكر عليهم تعجبهم من الامور المذكورة وهى الواسطة اراد ان يقيم البرهان عليها وهى
باثبات المعاد وذلك فى اثنين متواليين وقد مر فى الاعراف تفسير قوله ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام ثم استوى
على العرش فلا حاجة الى الاعادة ثم ذكر ما يدل على مزيد عظمته وجلاله وانه لا يخرج امر من الامور من قضائه وتقديره فقال يدبر الامر ما
من شفيع الا من بعد اذنه وانما فقد العاطف لانها كالتفسير والتفصيل الدال عليه قوله ان ربكم الله اى والامر الشان اراد به احوال الخلق
واحوال ملكوت السموات والارض والعرش والمعنى انه يقضى ويقدر بمقتضى الحكم ويفعل ما يفعله المصيب فى افعاله الناظر فى دبر
الامور وعواقبها لئلا يدخل فى الوجود ما لا ينبغى قال الزجاج ان الذين خوطبوا بهذه الاية كانوا يقولون ان الاصنام شفعاؤنا عند الله
فرد الله عليهم بانه ليس لاحد ان يشفع اليه فى شئ الا بعد اذنه لانه اعلم بموضع الحكمة والصواب فلا يجوز لهم ان يسئلوه ما لا يعلمون انه صواب
وصلاح وفى قوله يدبر الامر اشارة الى استقلاله فى التصرف فى جانب المبدا وفى قوله ما من شفيع اشارة الى استقلاله فى طرف المعاد ويمكن
ان يقال المراد انه خلق العالم على احسن الوجوه واقربها من الاصلح مع انه ما كان هناك شفيع يشفع فى تحصيل المصالح فدل ذلك على انه يحسن
الى عباده مريدا للخير والراحة لهم كامل العناية بما جوالهم قال ابو مسلم الشفيع معناه الثانى من الشفع الذى يخالف الوتر اى خلق السموات
والارض وحده ولا احد معه لا شريك يعينه ثم خلق الملائكة والثقلين والمراد انه لم يدخل فى الوجود احدا الا من بعد ان قال له كن حتى
كان وحصل ثم اشار الى المبدا المعلوم بالاوصاف المذكورة فقال ذلكم الله ربكم الذى ليتاهل منكم العبادة بازاء النعم الجسام

باثبات المبدا وبين غايته

الجزء الحادي عشر

من خلق السموات والارض وما فيهما وعليهما فاعبدوه وحده افلا تذكرون فيه تنبيه على وجوب الاعتبار والنظر في الدلائل الدالة على عظمته وجلاله ثم شرع في اثبات المعاد فقال اليه مرجعكم اي رجوعكم جميعا مجموعين وتقديم الجار والمجرور للاختصاص والمعنى لا ترجعون في العاقبة الا الى جزائه وحكمه فاستعدوا للقائه ثم اكد ذلك بقوله وعد الله حقا وفيه تاكيدان كما مر ثم قال انه يبدؤا الخلق ثم يعيده وهو استيناف فيه معنى التعليل كانه قيل ان الذي قدر على الابداء يقدر على الاعادة بالطريق الاولى كقوله وينشئكم فيما لا تعلمون يعني انه سبحانه لما كان قادرا على انشاء ذواتكم اولا ثم على انشاء اجزائكم ثانيا شيئا فشيئا من غير ان تكونوا عالمين بوقت حدوثه وبوقت نموه وجب القطع بانه لا يمتنع عليه اعادة تلك الاجزاء بعد البلى والتفرق ومن قرأ انه بالفتح فعلى حذف لام التعليل اي لانه وعلى انه منصوب بالفعل الذي يتضمنه عد اسدى وعد الله عد ابدا الخلق ثم اعادته ويجوز ان يكون مرفوعا بما نصب حقا اي حق حقا بدء الخلق ثم ذكر غاية الاعادة وحكمتها فقال ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات قال المفسرون في الاية اضمار والتقدير انه يبدء الخلق لما مر بالعباد ثم يميتهم ثم يعيدهم ليجزي وانما حسن هذا الحذف لتقدم قوله فاعبدوه ولان الاعادة لا يكون الا بعد الاماتة والاعدام وقوله بالقسط اي بالعدل متعلق بيجزي اي ليجزيهم بقسطه ويوفيهم اجورهم او ليجزيهم بقسطهم فيما لم يظلموا انفسهم حين امنوا وعملوا صالحا وهذا وجه حسن لطباق قوله بما كانوا يكفرون وفي قوله والذين كفروا من غير ان يدخل لام العاقبة في الجملة كما ادخلها في الاولى دليل على انه خلق الخلق للرحمة لا للعذاب وانما جاء التعذيب لغرضهم وقوعهم في طريق القهر والحميم الماء الذي اسخن بالنار حتى انتهى حره قال الاشاعرة في الاية دلالة على عدم منزلة بين المنزلتين على ما يقول بها المعتزلة واجيب بان عدم الذكر لا يدل على العدم وورد بان الفساق اكثر من اهل الطاعة فكيف يجوز طي ذكرهم واعلم ان للعلماء في اثبات المعاد طريقين الاول طريقة الفائلين بالحسن والقبح العقليين والثاني طريقة من يقول لا يجب على الله شئ اصلا يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد اما الفريق الاول فلهم على وجوب المعاد حجج عقلية منها انه تعالى خلق الخلق واعطاهم عقولا وقدرا فيجب في حكمته ان يرغبهم في الخيرات ويزجرهم عن السيئات وهذا الترغيب والزجر لا يمكن الا بربط الثواب على الفعل والعقاب على الترك هذا في المامورات والمنهيات ذلك الثواب المرغب في العقاب المرهب غير حاصل في الدنيا فلا بد من دار اخرى هي دار الاخرة ليحصل فيها ذلك والا لزم ان يكون الله تعالى كاذبا في قوله ليجزي الخ فان قيل لم لا يكفي في الترغيب والردع ما اودع الله في العقول من تحسين الخيرات وتقبيح المنكرات فلا يحتاج الى الوعد والوعيد قلنا لو سلم فلا يجوز ان يكون الغرض من الترغيب والترهيب نظام العالم لانه يفعل ذلك والا يلزم منه الكذب على الله لانه تعالى مخصص اكثر عمومات القرآن ثم نزعم انه لا كذب سلمنا انه يفعل لكن لم لا يجوز ان يكون الثواب والعقاب هو ما يصل الى الانسان في دار الدنيا من الراحات والالام فالجواب ان العقل وان كان يدعو الى فعل الخير وترك الشر الا ان الهوى والنفس يدعوان الى الالهاء في الشهوات الجسمانية واذا حصل هذا التعارض فلا بد من مرجح وما ذاك الا ترتيب الوعد والوعيد على الاعمال ليحترز المكلف في ذلك مناف للغرض من اخذ الاجرة انما يكون بعد الفراغ من العمل والعبد ما دام في الدنيا فهو في العمل فقد ترى ازهد الناس واعلمهم مبتلى بالافات والبليات وافسقهم واجهلهم في تمام اللذات والمسرات ومنها ان صريح العقل يوجب في حكمة الحكيم ان يفرق بين المحسن والمسئ والمظلوم والظالم ان لا يجعل من كفر به وعصاه كمن امن به واطاعه وليس هذه التفرقة في الدنيا كما قيل كم عالم عالم اعيت مذاهبه وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا فلا بد من دار اخرى يظهر فيها التفاوت ومنها انه تعالى كلف عبيده بان يعبدوه والحكيم اذا امر عبده بشئ فلا بد ان يجعله فارغ البال منتظم الاحوال حتى يمكنه الاشتغال باداء تكليفه والناس جبلوا على طلب اللذات والتبادر الى تحصيل اسباب الراحات فلو لم يكن ثمة جزاء من خوف المعاد لوقع الهرج والمرج والفتن وحينئذ لا يتفرغ المكلف لاداء ما امر به فان قيل لم لا يكفي في نظام العالم مهابة الملوك وسياستهم قلنا ان لم يكن السلطان قاهرا قادرا على الرعية فلا فائدة فيه وان كان قاهرا غالبا ولا خوف له من المعاد تحيف يقدم على انواع الظلم والايذاء لان الداعية النفسانية قائمة ولا وازع له في الدنيا ولا في الاخرة ومنها انه تعالى خلق هذا العالم وخلق فيه الناس والعبث لا يليق بالحكيم الرحيم فوجب ان يقال انه خلقهم لمقصود ومصلحة وخير وليس ذلك في الدنيا لان الذات هذا العالم جسمانية لا حقيقة لها الا ازالة الالم امر عدمي وكان هذا حاصلا قبل الوجود فلا يبقى للتخليق فائدة وايضا ان الذات الجسمانية مشوبة بالالام بل اللذة في الدنيا كالقطرة من البحر فعلمنا ان للراحة دارا اخرى فان قيل لم لا يجوز ان يعذب اهل النار لا لمصلحة وفائدة لهم قلنا الفرق ان ذلك الالم استحقوه على اعمالهم وهذا الالم الحاصل في الدنيا غير مستحق فوجب ان يعقبه خيرات عظيمة والا لكنا في كونه من ارحم الراحمين واكرم الاكرمين ومنها انه لو لم يحصل للانسان معاد لكان اخس من جميع الحيوانات لانها تشاركه في اللذات الحسية لان الروح في هذا الجسد كاللون في فم الانسان والانسان يزيد عليها بعقل هو سبب تالمه وتاذيه في اغلب احواله اذ يتفكر في الاحوال الماضية فيتاسف وفي المستقبلة فيخاف فلو لم يكن للانسان معاد يكمل حاله ويظهر سعادته كان عقله سببا لشقاوته وخسته وفي شرفه ومرتبته ومنها ان ايصال النعم اما ان يكون مشوبا بالافات او خالصا عنها فلما انعم الله تعالى علينا في الدنيا بالمرتبة الاولى وجب ان ينعم علينا بالمرتبة الثانية في دار اخرى اظهارا لكمال القدرة والرافة والحكمة فهناك ينعم على المطيعين ويعفو عن المذنبين ويزيل

وازالة الالم

العموم

الغموم والهموم والآفات والمخافات ومما يقوي هذا الكلام ان الانسان دائما في الترقي من حين كونه جنينا في بطن امه الا ان يخلص من ذلك السجن ويخرج الى فضاء الدنيا والى ان ينتقل من تناول اللبن والشدا الوثيق في المهد الى تناول الاطعمة اللذيذة والمشي والتعدد الى ان يصير اميرا نافذ الحكم على الخلق وعالما مشرفا على حقايق الاشياء فوجب بحكم هذا الاستقراء ان يكون حاله بعد الموت اشرف واجل من اللذات العاجلة المشوبة بالآلام ومنها طريقة الاحتياط فانا اذا امنا بالمعاد وذاهبنا الرفان كان هذا المذهب حقا فقد نجونا وهلك المنكرون وان كان باطلا لم يضرنا هذا الاعتقاد غاية ذلك فوات بعض اللذات الزائلة المشوبة بالمنغصات ومنها ان احوال الانسان من صباه الى هرمه يضاهي حال الارض من الربيع الى الشتاء ثم انا نرى الارض في الربيع الثاني يعود الى تلك الحيوة فلم لا يعقل مثل ذلك في الانسان ومنها ان الانسان انما يتولد من نطفة تولدت من الاغذية الكائنة من الاجزاء العنصرية المتفرقة في مشارق الارض ومغاربها فاذا مات وتفرقت تلك الاجزاء فكيف يمتنع ان يجتمع مرة اخرى على مثال الاجتماع الاول ومنها ان النظر في تغيرات العالم ادى الى ايمان صانع حكيم قادر قاهر والعقل يحكم بان هذا الحكيم لا يليق به ان يترك عبيده مهملا لا يكذبون عليه ويجورون فلا بد من ان يكون له امر ونهي ووعد ووعيد من غير تجويز خلف فيهما كما مر ولا يتحقق جميع ذلك الا في دار الجزاء واما الفريق الآخر الذين لا يعللون افعال الله تعالى برعاية المصالح فانهم يقولون المعاد امر جائز الوجود لان تعلق النفس بالبدن لما كان في المرة الاولى جائزا فالمرة الثانية ايضا جائزة ثم ان له العالم قادر مختار عالم بجميع المعلومات الكليات والجزئيات فلا يعجزه تمييز اجزاء بدن زيد وان اختلطت باجزاء التراب والبحار عن اجزاء بدن عمرو واذا ثبت هذا الامكان وقد دل الدليل على صدق الانبياء وعلى ان القرآن كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ثم انهم قطعوا بوقوع هذا الممكن والقرآن مشحون بآيات البعث والجزاء فوجب علينا القطع بالمعاد الجسماني ثم شبهة المنكرين من وجهين الاول انهم قالوا الدار الآخرة ان كانت خيرا من هذه فالتبديل بسفه وان كانت مثلها فبعث وان كانت شرا منها فاما ان يقال انه قادر على خلق ذلك الاجود ولا ثم تركه وفعل الارذل فذلك سفه ويقال انه ما كان قادرا ثم حدثت له القدرة فذلك انتقال من العجز الى القدرة ومن الجهل الى الحكمة فهو محال على القديم والجواب ان كلا من الدارين خير من وجه فيها فالاولى لتحصيل الكمالات النفسانية الممكنة للنوع الانساني من قبيل العلم والعمل والاخرى للرحمة والجزاء ومن ذلك انهم قالوا حركات الافلاك مستديرة والمستديرة لا ضد لها وما لا ضد له لا يقبل الفساد والجواب ما ذكرنا في كتبنا الحكمية من ان كل جسم مركب فكل مركب يحل لا محالة ولئن سلمنا انها ازلية لكن لا نسلم انها غير انتقالية لان الحركة عبارة عن الانتقال من حال الى حال وهذه الهيئة تقتضي المسبوقية بالغير فكان الجمع بين الازل والحركة محالا ولئن سلمنا ان الحركة ازلية فلم لا يجوز ان يكون بعض اوضاع الافلاك مقتضيا لاعادة المعدومات من الاشخاص الانسانية ومن ذلك انهم قالوا الانسان عبارة عن هذا البدن ذي الاجزاء الكيف كانت بل بشرط وقوعها على تاليف مخصوص لان اجزاء البدن كانت موجودة قبل هذا الانسان والموجود مغاير للمعدوم فاذا مات الانسان وتفرقت اجزاؤه فقد عدمت تلك الصورة والاعراض عود المعدوم محال والجواب ان الانسان ليس عبارة عن هذا الجسد وانما هو النفس سواء كانت جوهرا مجردا مفارقا او جسما مخصوصا لطيفا باقيا في جميع احوال البدن من الجنين الى الهرم مصونا عن التحلل والتبدل وهو الذي يسميه المتكلمون بالاجزاء الاصلية ومن ذلك انهم قالوا اذا اكل الانسان واغتذى به انسان آخر فلو ان يعاد تلك الاجزاء في بدن كل واحد من الشخصين وفي ذلك محال واجيب بعين ما مر وهي ان الاجزاء الاصلية لا تصير جزءا من انسان آخر فهذه خلاصة ما وصل اليه عقول اهل المعاد والله تعالى اعلم بحقايق الامور ثم عدد بعض نعمه على المكلفين فقال هو الذي جعل الشمس ضياء وهو اجوف واوي يحسن اللام قلبت واوه ياء لكسرة ما قبلها ثم قرب الهمزتين بينهما الف فتحول على القلب لان قد اقدم اللام على العين وقد عرف العلة على الطرف فانقلبت همزة كما في كساء وهو اما ان يكون جمع ضوء كحوض وحياض او مصدر ضاء يضوء مثل قام قياما وصام صياما ولا بد من تقدير مضاف اي جعل الشمس ذات ضياء والفرق انورا الا ان يحمل على المبالغة فجعل نفس الضياء والنور كما يقال للرجل الكريم انه كرم وجود والضياء اقوى من النور ولا خلاف بين العقلاء ان ضوء الشمس كيفية قائمة بها لذاتها واما نور القمر فقد ذهب جمهور الحكماء الى انه مستفاد من الشمس بذلك يقع اختلاف حاله من الهلالية الى البدرية كما بينا في تفسير قوله تعالى يسئلونك عن الاهلة وقدره منازل قال في الكشاف اي قدر مسيره منازل او قدره ذا منازل ومنزل القمر المسافة التي يقطعها في يوم وليلة بحركته الخاصة به وجعلها ثمانية وعشرون واساميها مشهورة الشرطين البطين الثريا وهي كواكب ثابتة معروفة عندهم جعلوها علامات المنازل فيرى القمر كل ليلة نازلا بقربها حدها وذلك انهم قسموا دور الفلك وهو اثنا عشر برجا على ثمانية وعشرين عدد ايام دور القمر فاصاب كل برج من كل ثلث فيهما كل منزل بالعلامة التي وقعت في وقت التسمية بحذائه ثم ذكر بعض منافعها العائدة على المكلفين فقال لتعلموا عدد السنين والحساب حساب الاوقات من الاشهر والايام والليالي وقد ذكرنا السنة الشمسية والسنة القمرية وكيفية دوران احديهما على الاخرى في تفسير قوله تعالى ان عدة الشهور الآية فلا حاجة الى التكرار ثم اشار الى سائر منافعها وخواصها بقوله ما خلق الله ذلك الا

المهيئة له بالحالة المنتقل عنها والاولية ثنائي السبق

الجزء الخامس عشر

الا متلبسا بالحق والصواب دون الباطل والعبث فالشمس سلطان النهار والقمر خليفتها بالليل وبحركة الشمس يفصل السنة الى الاربعة وبالفصول ينتظم مصالح هذا العالم ويتحصل معايش الخلائق وبحركة القمر يحصل الشهور وباختلاف حالاته في زيادة النور ونقصانه يختلف احوال الرطوبات الى غير ذلك من الخواص التي يرشد اليها التامل والتدبر لهذا قال يفصل الآيات لقوم يعلمون لانهم هم الذين ينتفعون بهذه الدلائل وقيل المراد بالعلم ههنا العقل الذي يعم الكل ثم ذكر المنافع الحاصلة من اختلاف الليل والنهار وقد مر تفسيره في سورة البقرة في قوله ان في خلق السموات والارض الآية ومعنى قوله وما خلق الله في السموات والارض كقوله وما من شيء وقد مر في اخر الاعراف وانما خص كونها آيات بالمتقين لانهم يحذرون العاقبة فيدعوهم الحذر الى التدبر والنظر قال القفال من تدبر في هذه الاحوال علم ان الدنيا مخلوقة لبقاء الناس وان خالقها وخالقهم ما اهملهم بل جعلها لهم دارا عمل واذا كان كذلك فلا بد من امر ونهي ثم من ثواب وعقاب ليتميز المحسن عن المسيء فهذه الاحوال في الحقيقة دالة على صحة القول بالمبدأ والمعاد ثم شرع في شرح احوال من لا يؤمن بالمعاد ومن يؤمن به فقال ان الذين لا يرجون لقاءنا عن ابن عباس ومقاتل والكلبي معناه لا يخافون البعث كقوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا ومن الناس من يعبد الله على حرف وقيل معناه لا يطمعون في حسن لقائنا كما يامل الشفعاء والاولياء وقيل لا يتوقعون اصلا لانهم لا يؤمنون بالمعاد فهم ذاهلون عن طلب اللذات الحقيقية فارغون عن التوجه نحو السعادات الباقية ورضوا مع ذلك بالحقيرة الدنيا الحسية واطمانوا اليها سكنوا اليها سكون العاشق الى معشوقه وهذه غاية الانهماك والاستغراق في اللذات الجسمانية والذين هم عن اياتنا غافلون فلا يعتبرون بالايات ولا ينظرون في الدلائل الموصلة الى حقيقة المبدأ والمعاد فلم تقبلوها بالتقليد ولم ينظروا اليها بعين الاجتهاد واولئك مأواهم النار فيه معنى الجزاء ولذلك تعلق به قوله بما كانوا يكسبون وفيه ان الاعمال السابقة هي المؤثرة في حصول العذاب الجسماني فيه وهو النار المحسوسة والعذاب الروحاني وهو نار البعد من المولى والقطيعة من السعادة الباقيات فيكون مثال مثال من اخرج من مجالسة معشوقه فالقي في بئر ظلمانية لا الف بها ولا مونس بل يكون فيها انواع الموذيات واصناف الوحشات نعوذ بالله من تلك الحالات هذا حال من لا يؤمن بالمعاد فلا يعمل له واما حال الذي يؤمن به فذلك قوله ان الذين امنوا استكملوا من جهة القوة النظرية وعملوا الصالحات استكملوا من قبل القوة العملية او صدقوا بقوله ثم حققوا التصديق بالعمل الصالح الذي جاءت به الانبياء والكتب من عند الله او اشتغلوا قلوبهم وارواحهم بتحصيل المعرفة ثم جوارحهم بالخدمة حتى تكون عيونهم مشغولة بالاعتبار واذانهم باستماع كلام الله السنتهم بذكر الله وسائر اعضائهم بطاعة الله تهديهم ربهم بايمانهم قال اكثر المفسرين معناه يهديهم الى الجنة ثوابا لهم على ايمانهم واعمالهم الصالحة ومعنى قوله بايمانهم اي بايمانهم هذا المضموم اليه العمل الصالح وهذا التفسير يوافق قوله تعالى يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم ولقوله ان المؤمن اذا خرج من قبره صور له عمله الصالح في صورة حسنة فيقول له انا عملك فيكون له نورا وقائدا الى الجنة والكافر اذا خرج من قبره صور له عمله في صورة سيئة فيقول انا عملك فينطلق به الى النار وقيل معنى الآية ان ايمانهم يهديهم الى مزايا من الالطاف ولوامع من الانوار بحيث يزول بواسطتها عنهم الشكوك والشبهات فتؤدي الى حصول المثوبات ولذلك جعل تجريه من تحتهم الانهار بيانا لتفسير الامن التمسك بسبب السعادة كالوصول اليها فهذه الهداية عبارة عن الفوائد الزوائد الحاصلة في الدنيا بعد الايمان قال القفال فعلى هذا الوجه كان المعنى يهديهم ربهم بايمانهم ويجري من تحتهم الانهار الا انه حذف الواو وجعل قوله تجري خبرا مستانفا اقامه مقامها والتحقيق في تقرير هذا الوجه ان العلم نور والجهل ظلمة والروح كاللوح والعلوم والمعارف كالنقوش ولكن حالها بالضد من النقوش الجسمانية تكدر اللوح وتواري النقوش المعنوية وتكاثرها يزيد اللوح الروح لمعانا واشراقا حتى انه يقوى بها على تحصيل المعارف الباقية بسهولة فليس فهم الرجل المتهيئ للعلوم والحقايق كفهم المبتدي فالانسان اذا امن بالله فقد اشرقت وجهه بنور المعرفة واذا واظب على الاعمال الصالحة حصلت له التوجه الى الاخرة والاعراض عن الدنيا ولا يزال تتزايد اشراقات هذه المعارف والملكات فيرتقي في معارجها لحظة فلحظة ولما كان لا نهاية لمراتب المعارف والانوار العقلية فلا نهاية لمراتب هذه الهداية وفي قوله يهديهم ربهم بايمانهم دليل لمن قال ان العلم بالمقدمتين لا يوجب العلم بالنتيجة ولكنها تعدان الذهن لحصول الفيض من الجواد المطلق ومعنى تجري من تحتهم الانهار انهم يكونون في البساتين على مواضع مرتفعة كالسرر والاوائل والانهار تجري من بين ايديهم وعلى هيئة فيها قال بعض المفسرين اي دعاؤهم ونداؤهم كما يدعو الفاضل بقوله اللهم اني عبدك قبل الدعاء العبادة كقوله واعتزلكم وما تدعون من دون الله وانما يكون هذه عبادتهم لا على سبيل التكليف بل على سبيل الالهام والعادة انها جاءت بذكر الله وقيل الادعاء بمعنى التمني والمعنى ان اهل الجنة يدعون في الدنيا والاخرة تنزيها لله من المعايب والافراد له بالالهية قال القفال اصله من الدعاء لان الخصم يدعو خصمه الى من يحكم بينهما وقيل اي طريقتهم وسيرتهم وذلك لان المدعي للشيء مواظب عليه فيمكن ان يجعل الدعوى كناية عن الملازمة وان لم يكن في قولهم سبحانك اللهم دعاء ولا دعوى وقيل ان تمنيهم كقولهم ما يدعون اي ما يتمنونه ويقول العرب ادع علي ما شئت اي تمن فكان تمنيهم في الجنة لما لا نهاية له وتقديره لقد كانوا في الدنيا يدعون الحروب من ليكنون اليه ويستنصرونه فيقولون

فان زاحم النقوش الجسمانية

يا الفلان فاخبر الله تعالى عنهم ان تحيتهم في الجنة بذكر الله وسكونهم بتحميده وتحيتهم فيها سلام اى بعضهم بحيي بعضا بالسلام وقيل هي تحية الله والملائكة اياهم اضافة المصدر الى المفعول واخر دعوتهم ان الحمد هي ان المخففة من الثقيلة واصله انه الحمد لله على ان الضمير للشان قال اهل النظائر المفسرون في سبب تخصيص هذه الاذكار باهل الجنة ان قوله سبحانك اللهم علم بين اهل الجنة وخدامهم اذا سمعوا ذلك عرفوا انهم الحمد لله رب العالمين قال القاضي انه وعد المتقين بالثواب العظيم فاذا دخل اهل الجنة الجنة وجدوا تلك المواعيد فقالوا سبحانك اللهم اى تنجيك عن الخلف في الوعد قبل الهام الله بني آدم في الجنة بعد انقراض الدنيا ما افتخر به الملائكة قبلهم في قولهم ونحن نسبح بحمدك ويمكن ان يقال ان لكل انسان معراجا بحسب قوته فاذا وصل العارف الصادق الى صفات جلال الله تعالى قال سبحانك اللهم اى تنجيك عن ان يليق بك الا الجلال فاذا رجع من ذلك المقام واحترق في اوائل تلك الانوار رجع من عالم الجلال الى عالم الاكرام فاقاض الخير على جميع المحتاجين ويدفع المخافة والمكاره عنهم بكل ما امكنه وذلك قوله وتحيتهم فيها سلام ثم اذا شاهدوا اثر نعمة الله عليهم بالاستقامة والاقاضة اختموا الكلام بقولهم الحمد لله رب العالمين على هذا يدوم ادامهم في العروج والنزول ما داموا في الدنيا فيكون كذلك حالهم في العقبى لقوله كما تعيشون تموتون وكما تموتون تبعثون اذا ويمكن الوقوف على الواو اشارة الى ان احدهما من الحق للخلق الى حبيبه محمد صلعم كانه قال يا الهي عليك في الازل وانت في العدم وبلطفك عليك في الوجود وبرحمتك وافضالك من الازل الى الابد الثانية من الحق لنبيه عليه السلام بقول يا انسان معي حين خلقت وحدك ولم يكن ثالث وبلبيك الذي اجبتني بحين دعوتك للخروج من العدم فقلت لبيك ياسيدي فقلت لبيك وسعديك والخير كله بيديك وبرجوعك منك الى حين قلت لنفسك بجذبة ارجعي الى ربك اى هذه الآيات المنزلة عليك آيات الكتاب الحكيم الذي وعدتك في الازل واتلوه عليك والاستاذ الحكيم على الكتب كلها فلا ينسخ كتابه هو بنسخ الشرايع والاحكام والكتب كلها الى رجل منهم لما رأى فيه وجوه لبيته قبول الوجود وغيره ويحتمل ان يكون معنى الناس عهد الله قدم صدق محمد لانه اول من خرج من العدم الى الوجود وهو العناية الازلية سبقت رحمتي غضبي لساحر بين صدقوا في انهم مسحورون الا انه سحرهم سحرة صفات فرعون النفس الذي يربيكم هو الذي خلق السموات وارضكم وارض نفوسكم من ستة انواعها الروح والقلب والعقل والنفس الحيواني والنفس النباتي والصورة المستبهة ثم استوى على عرش القلب يدبر امر السعادة والشقاوة يقلبه كيف يشاء اليه مرجعكم جميعا فرجعوا مقبولين بجذبات العناية التي صورتها خطاب ارجعي الى ربك في حقيقتها انجذاب القلب الى الله وتنجيها عن وقف النفس عن الدنيا واستواء الذهب والمدر عندها ورجوع المردودين بغير الاختيار بالسلاسل والاغلال ومن تنايجه تعلقات الدنيا واستيلاء صفات النفس بالقسط اى لكل بحسب كماله ونقصانه جعل شمس الروح ضياء يستنيرها قمر القلب اذا وقع في مواجهتها واذا وقع في مقابلة ارض النفس انكسف ولهذا سمي قلبا لتقلب احواله بين الروح والنفس وتلك الاحوال هي منازله ومقاماته لتعلموا عدد سنين المقامات وحساب الكشوف والمشاهدات اذ في اختلافهما تحصيل صفات البشرية وتنهارها صفات الروحانية وما خلق الله في سموات الروحانية وارض البشرية من الاوصاف والاخلاق وتبدل الاحوال الآيات دالة على التوحيد لقوم يتقون الاخلاق الذميمة والذين هم عن آياتنا غافلون وان لم يركنوا الى الدنيا وتمتعاتها كالرهبان والبراهمة ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي اليهم اجلهم فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون وإذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه او قاعدا او قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كان لم يدعنا الى ضر مسه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون ولقد اهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا كذلك نجزي القوم المجرمين ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا او بدله قل ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي ان اتبع الا ما يوحى الي اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا ادراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله افلا تعقلون فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بآياته انه لا يفلح المجرمون ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم وما لا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات

ع

وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ

و نه در زمین نه در آسمان او و برتر است از انکه شریک میسازند و بنخست همه مردمان مگر امتی واحد پس اختلاف کردند و اگر نبودی کلمه که پیش رفته از پروردگار تو

بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ

میان ایشان در انچه در ان خلاف میکردند و میگویند چرا فرو فرستاده نشد براو آیتی از پروردگارش پس بگو جز غیب کسرا مر خدای راست پس منتظر باشید بدرستیکه من با شما از منتظرانم

القراءة لقضى اليهم مبنيا للفاعل اجلهم بالنصب ابن عامر ويعقوب الاخرون مبنيا للمفعول ورفع اجلهم او بدله بضم اللام وسكون الفاء روى خلف عن الكسائي والاخبار عنه وعن غير الاشمام الى ان يفتح الياء وكذلك انى خاف ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو ونفسه ان يفتح الياء وابو عمرو وابو جعفر ونافع لا ادريكم بلام الابتداء فعلا ماضيا مثبتا روى ابو ربيعة عن البزي وبجيزه وعلى وابو عمرو وخلف وورش من طريق الجارى والخزاز عن جبير وابن مجاهد النقاش عن ابن ذكوان وحماد ويحيى طريق ابى حمدون بالامالة فعلا ماضيا منفيا بلا الباقون مثله ولكن بالتفخيم تشركون بتاء الخطاب وكذلك في النحل والروم حمزه وعلى وخلف الباقون بالياء الوقوف اجلهم لان ما بعده مستقبل الى فنحن نذيعهون او فائماط مسطر يعلمون ظلموا الاطلان الواو للحال ليؤمنوا الجرميين يعلمون بيناط لان ما بعده جواب اذا او بدله ط نفسي ج ط لان ان النافية لها صدر الكلام ولكن القائل متحد الى ط حيث كمثلها قلنا عظيم ط بر الوصل اولى للفاء واشدة اتصال المعنى من قبله ط يعقلون بالناط الجرميين عند الله ط في الارض ط يشركون فاختلفوا ط يختلفون من ربه ج ط للابتداء بالامر مع الفاء فانتظر واج لاحتمال الابتداء او التعليل المنتظرين التفسير انه سبحانه ابتدا في هذه السورة بذكر الشبهات القوم فالاولى انهم تعجبوا من تخصيص الله محمدا صلعم بالنبوة فازال ذلك التعجب بالانكار وبالدليل الدال على صحة المبدا والمعاد فكانه قيل انهم جاءهم الايدليل التوحيد الاقرار بالمعاد فليس للتعجب معنى ثم شرع في شبهة اخرى وهي انهم كانوا يقولون ابدا اللهم ان كان محمد حقا فامطر علينا حجارة من السماء فاجابهم بقوله ولو يعجل الله الاية وقال القاضي لما ذكر الوعيد على عدم الايمان بالمبدا والمعاد ذكر ان ذلك العذاب من حقه ان يتاخر عن هذه الحيوة الدنيا والا فالتكليف قال الفقال الناس وصفهم بالغفلة اكد ذلك بان من غاية غفلتهم ان الرسول صلعم انذرهم استعجلوا العذاب فبين الله تعالى انه لا مصلحة في تعجيل ايصال الشر اليهم فلعلهم يؤمنون او يخرج من اصلابهم من يؤمن كانوا عند نزول الشدائد يدعون الله بكشفها كما يجيء في الاية التالية وفي الوجه كانوا يستعجلون النبي بالعذاب فقال ما معناه ولو عجلنا لهم الشر الذي دعوا به كما يعجل لهم الخير ويجيبهم اليه لماتوا واهلكوا قال في الكشاف اصل الكلام ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله لهم بالخير فوضع استعجالهم بالخير موضع تعجيله لهم الخير اسماعا وابرعة اجابته لهم حتى كان استعجالهم بالخير يعجل منه لهم وقيل التعجيل بمعناه طلب العجلة الا ان الاستعجال اشهر واظهر فمعنى الاية لو اراد الله عجل الشر للناس كما اراد واعجلة الخير لهم وقيل هما متلازمان فكل معجل يلزمه الاستعجال الا انه تقع وصف نفسه بتكوين العجلة ووصفهم بطلبها لان اللائق بها التكوين واللائق بهم الطلب وسمى العذاب في الاية شرا لانه اذى والم في حق المعاقب به ثم ان قوله ولو يعجل كان منضما لمعنى نفي التعجيل فيمكن ان يكون قوله فنذرهم معطوفا على منوى كانه قيل ولكن لا يعجل فنذرهم الزاما للحجة او لمصالح اخرى بين انهم كاذبون في استعجال الشر لو اصابهم ما طلبوه اظهر واعجل الطيش وقال اذا مس الانسان الضر اى هذا الجنس وعا بجنبه اللام في معنى الوقت كقولك جئته لشهر كذا وان شئت قلت في موضع الحال الان الظرف والحال متاخيان فيصح عطف احدهما على الاخر وتاويل احدهما بالاخر اى دعانا مضطجعا او قاعدا او قائما او وقت اضطجاعه وقعوده وقيامه والمراد انه يدعو الله في جميع احواله لا يفتر عن الدعاء ثم ان خص الضر بالمرض احتمل ان يراد انه يدعو الله حين كان مضطجعا غير قادر على القعود او قاعدا غير قادر على القيام او قائما لا يطيق المشي والمضطر الى ان يخف كل الخفة ويرزق الصحة بكمالها او يراد ان من المضرورين من هو سوداوي حالا وهو صاحب الفراش ومنهم من هو اخف منه وهو القادر على القعود ومنهم المستطيع للقيام وكلهم لا يصبرون على الضراء قال بعض المفسرين الانسان ههنا هو الكافر ومنهم من بالغ فقال كل موضع في القرآن ورد فيه ذكر الانسان فالمراد به الكافر وهذا شبه بحكم لورود مثل قوله تعالى هل اتى على الانسان الان يساعده نقل صحيح والاصح عند العلماء العمول ان الانسان خلق ضعيفا لا يصبر على اللاواء ولا يشكر عند النعماء الا من عصمه الله وقليل ما هم وهم الذين نظرهم في جميع الاحوال على المقدر المؤجل للامور حسب ارادته ومشيته فلا جرم ان اصابهم السراء شكروا واصابهم الضراء صبروا فانهم ارادتهم في ارادته ورضوا بقضائه قال الزجاج في الاية تقديم وتاخير والتقدير واذا مس الانسان الضر مضجعا او قاعدا او قائما وضعف بان تعديد احوال الدعاء ابلغ من تعديد احوال الضر لانه اذا كان داعيا على الدوام لم ينس ذلك في وقت الرخاء كان اعجب ومعنى مر مضى على طريقته التي له قبل مس الضر ومر عن موقف الدعاء والتضرع لا يرجع اليه معنى كان لم يدعنا كانه لم يدعنا فحذف حذف ضمير الشان كذلك مثل ذلك الذي بين زين للمسرفين ما كانوا يعملون من تتبع الشهوات والمراد هو الله تعالى والنفس والشيطان تفرع على مسئلة الجبر والقدر وقد مر ذكرها قال العلماء سمى الكافر مسرفا لانه انفق ماله من الاستعداد الشريف من النفس الناطقة والاموال النفيسة في الامور الخسيسة الزائلة من الاصنام التي هي احقر من لا شئ

ومن الشهوات الفانية التي لا اصل لها ولا دوام والمسرف في اللغة هو الذي ينفق المال الكثير لاجل الغرض الخسيس فصح ما قلنا ثم ذكر ما يجري
مجرى الردع والزجر لهم عن الغاء الشبه الاغاليط فقال ولقد اهلكنا القرون وقد مضى تفسير القرن في اول الانعام ولما ظرف لاهلكنا والواو
في وجاءتهم للحال اى ظلموا بالتكذيب قد جاءتهم رسلهم بالدلائل والحجج على صدقهم وهي المعجزات بقوله وما كانوا ليؤمنوا اما ان يكون
عطفا على ظلموا او يكون اعتراضا واللام لتاكيد النفي وان الله قد علم منهم انهم يصرون على الكفر والسبب في اهلاكهم تكذيب الرسل وعلم الله
باصرارهم كذلك اى مثل ذلك الجزاء وهو الاستيصال الكلي نجزي كل مجرم وفيه وعيد لاهل مكة على تكذيبهم رسول الله ثم خاطب
الذين بعث اليهم رسول الله بقوله ثم جعلناكم خلائف اى استخلفناكم في الارض بعد ذلك القرون لننظر كيف تعملون خيرا او شرا استعير
النظر للعلم الحقيقي الذي لا يتطرق اليه شك ويعني به العلم الذي يتعلق به الجزاء كما في الاعراف فلنقصن صدق الله وبنا ما جعلنا خلفاء الا
لينظر الى عملنا الناقد والله من ايمانهم الكفر ايانا بالليل النهار ثم حكى نوعا ثالثا من شبههم فقال واذا تتلى عليهم ايانا بينات قال الذين لا يرجون
لقاءنا اى لا يؤمنون بالمعاد لان كل من كان مؤمنا بالنشور فانه يرجو ثواب الله ويخاف عقابه وانتفاء اللازم دليل انتفاء الملزوم طلبوا
من الرسول احد امرين اما الاتيان بقران غير هذا القران مع بقاء هذا القران على حاله او ما تبديل هذا القران بنسخ بعض الايات ووضع
اخرى فيه كما قاله الله تعالى ان يقول في جوابهم ما يكون لي اى ما ينبغي وما يحل ان ابدله من تلقاء نفسي من قبل نفسي فنفى عن نفسه احد القسمين
الذي هو اسهل واقل لزوم منه نفي الاصعب الاكثر بالطريق الاولى ثم اكد الجواب بقوله ان اتبع الا ما يوحى الي ان لنسخ اية تبعت
النسخ وان بدلت اية مكان اية تبعت التبديل وقد تمسك بهذا نفاة القياس ونفاة جواز الاجتهاد واجيب بان رجوعها ايضا الى الوحي ونقل
عن ابن عباس ان قوله اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم منسوخ بقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وضعف
بان النسخ انما يكون في الاحكام والتعبدات لا في ترتيب العذاب على المعصية قال المفسرون هذا الالتماس منهم يحتمل ان يكون على سبيل السخرية
فقد روي مقاتل والكلبي انهم خمسة نفر من مشركي مكة اوهم المستهزئون في قوله انا كفيناك المستهزئين ويحتمل ان يكون على سبيل التجربة والاقتراح
حتى انه ان فعل ذلك علموا انه كاذب فيما اراد وان هذا القران مشتمل على ذم الهتهم فطلبوا قرانا اخر لا يكون كذلك ثم اكد كون هذا القران من
عند الله سبحانه وانه غير مستند في ايراده فقال لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا ادراكم به ولا اعلمكم الله به على لساني ومن قرء بلام الابتداء
فعناه ما تلوته انا عليكم ولا اخبركم الله به على لسان غيري لكنه من على من يشاء من عباده فرد اهل بذلك دون غيري وقرى ادراكم به بالهمزة
ووجهان يكون الهمزة مقلوبة من الالف ويكون من الدراء الدفع ومعناه لدفعتكم به جعلته دريا اى لاجعلكم بتلاوته خصماء تدفعون وتنبو بالجدال
وتكذبوني فقد لبثت فيكم عمرا اى بعضا معتبرا من العمر وهو اربعون من قبله افلا تعقلون فيه قدح في صحة عقولهم لان ظهور مثل
هذا الكتاب العظيم المشتمل على علوم الاولين والاخرين المعجز للثقلين عن معارضته على من عرف حاله من عدم التعلم والمدارسة ومخالطة العلماء
اذا شك عاقل انه من قبل الوحي والمدد السماوي وكان ذلك انكارا للضروريات وافتراء على الله فلهذا قال فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا
الاية وفيه ان هذا القران لو لم يكن من عند الله ثم نسبه الرسول الى الله لم يكن احد اظلم منه ثم قبح الله اصنامهم معارضة لهم بنقيض مقصودهم
من الالتماس فقال ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ان لم يعبدوه ولا ينفعهم ان عبدوه ومن حق المعبود ان يكون مثيبا معاقبا وفيه
اشعار بانها جماد والمعبود لا بد ان يكون اكمل من العابد اذا كانت المنافع والمضار كلها من الله فلا يليق العبادة الا به ويقولون هؤلاء شفعاؤنا
عند الله قد ذكرنا وجه ذلك في اوايل سورة البقرة في قوله ولا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون ثم انكر عليه ثم معتقدهم بقوله قل اتنبئون الله
بما لا يعلم والمراد انه لا وجود لكونهم شفعاء اذ لو كان موجودا لكان معلوما للعالم بالذات المحيط بجميع المعلومات وهذا مجاز مشهور
يقول ما علم الله ذلك مني والمقصود انه ما وجد منك ذلك قط وفي قوله في السموات ولا في الارض تاكيد اخر لنفي كون ما لم يوجد فيهما شيئا
منتف معدوم قوله سبحانه وتعالى عما يشركون اما ان يكون من تمام ما امر النبي ان يقوله لهم او ابتداء كلام من الله تعالى تنزيها
لنفسه عن اشراكهم وعن الشركاء الذين يشركونهم به ثم بين ان عبادة الاصنام بدعة وان الناس يعني العرب لم يكونوا كلهم كانوا على
على الدين الحق فاختلفوا وقد مر تفسير مثله في سورة البقرة في قوله كان الناس امة واحدة والمقصود ههنا تقبيح صورة الشرك و
عبادة الاصنام من دون الله في اعينهم وتنفير طباعهم عن مثل هذا الامر المستحدث الفظيع ولولا كلمة سبقت من ربك من نباء امر الثواب
والعقاب على التكليف لا على الالجاء والقسر ومن تاخير الحكم بينهم الى يوم القيمة او من قوله سبقت رحمتي غضبي لقضي بينهم عاجلا وليزهق الحق
من المبطل ثم ذكر نوعا رابعا من اغاليطهم فقال ويقولون لولا انزل عليه اية من ربه وقد مر تفسيره في الانعام في قوله لولا نزل عليه اية
من ربهم كانهم لم يعتدوا بالقران اية فاقترحوا غيره تعنتا فقل انما الغيب لله هو المختص بعلمه فانتظروا انزول ما اقترحتموه هذا امر فيه تهديد
ووعيد والله ورسوله اعلم واذا اذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم اذا لهم مكر في اياتنا قل الله اسرع مكرا ان رسلنا

يكتبون ما تمكرون هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها

(وجون بحث ہم محاورہ ہے ... یعنی کرمن کردان مرا ... یکبارہ ہوا ... کہ مریدرسیدکہ فرسادگان ...)
(یکبارہ یکمر یکسنند)

ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا انهم احيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين
باری کشت وبیاد ایشرا موج از هر جا ودانستند که ایشان احاطه کرده شدند بایشان خواستند خدارا خالص کردانیدند دین را که اگر نجات دهی ما را ازین هوا یعنی باشیم از شکر کنندگان
فلما انجاهم اذا هم يبغون في الارض بغير الحق يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم متاع الحيوة الدنيا ثم الينا مرجعكم فننبئكم
چون نجات داد ایشان را که ناگاه ایشان ستم میکنند در زمین بغیر حق ای مردمان نیست ستم شما مگر بر خودهای شان در مایه تعیش دنیا پس بسوی ما بازگشت شما پس آگاه کنیم شما را
بما كنتم تعملون انما مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض مما يأكل الناس والانعام
باچه بودید که میکردید جز این نیست مثل زندگانی دنیا چون آبیست که فرو فرستادیم از آسمان پس آمیخته شد بآن رستنی زمین از آنچه میخورند مردمان وچهارپایان
حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت وظن اهلها انهم قادرون عليها اتيها امرنا ليلا او نهارا فجعلناها حصيدا
تا چون گرفت زمین برابر آرایش را وزینت یافت وگمان بردند اهلش که ایشان قدرت دارند بر آنها آمد آنرا امر ما شبی یا روز پس گردانیدیم او را درو کرده شده
كان لم تغن بالامس كذلك نفصل الايات لقوم يتفكرون والله يدعوا الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط
گویا که نرسته بود دیروز همچنین تفصیل میدهیم آیتها را از برای گروهی که اندیشه میکنند وخدا میخواند بسوی سرای سلامت وراه مینماید بکسی را که میخواهد بسوی راه راست
مستقيم للذين احسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون و
راست از برای آنها که نیکی کردند نیکیست وزیادتی وبپوشد رویهای شانرا کدورتی ونه خواری آنها اهل بهشتند در آن جاوداینند و
الذين كسبوا السيات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة ما لهم من الله من عاصم كانما اغشيت وجوههم قطعا من الليل
آنانکه کسب کردند بدیها را جزای بدی بمثل آنست ودرو پوشد خواری نباشد ایشانرا از خدا هیچ نگهدارنده گویا پوشانیده شد رویهای شان پارهای از شب
مظلما اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين اشركوا مكانكم انتم وشركاؤكم فزيلنا
تاریک اینان اهل آتشند ایشان در آن جاودانند وروزیکه محشور میکنیم ایشان را همه پس میگوئیم آنانرا که شرک آوردند جای خود باشید شما وانباز شما پس جدا کنیم
بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم ان كنا عن عبادتكم لغافلين هنالك
میان ایشان وگفت انباز شان آنچه بعبادت ما را نمیپرستیدید پس کافیست خدا گواه میان ما وشما که بودیم از پرستیدن شما هرآینه بیخبران آنجا
تبلوا كل نفس ما اسلفت وردوا الى الله مولهم الحق وضل عنهم ما كانوا يفترون القراءة يكرون بياء الغيبة سهل
بیازماید هر نفس آنچه پیش فرستاده وبازگردانیده شوند بسوی خدا که مولی شان بحق است وگم شود از ایشان آنچه بودند که افترا میکردند وروح الباقون بالتاء الفوقانية
ينشركم بالنون ابن عامر ويزيد الباقون يسيركم من التسيير متاع بالنصب حفص والمفضل الباقون بالرفع قطعا بسكون الطاء ابن كثير
وعلي وسهل ويعقوب والآخرون بفتحها تتلوا بتاءين من التلاوة حمزة وعلي وخلف وروح وروى عن عاصم تبلو بالنون ثم
الباء الموحدة كل نفس بالنصب الباقون بناء التانيث كل بالرفع الوقوف اياتنا ط مكر ط تمكرون والبحر ط في الفلك ج ط للعدة
مع ان جواب اذا منتظر احيط بهم ط لان قوله دعوا بدل من ظنوا لان دعاءهم من لوازم ظنهم الهلاك فهو متلبس به وان جعل
دعوا عن سؤال سائل فما صنعوا كان لا ط لوقف حمزة ج لاحتمال اضمار القول وجعل الدعاء في معنى القول الشاكرين بغير
الحق ط على انفسكم ط الا لمن جعله متعلقا بينكم تعلمون والانعام ط عليها ج لان ما بعده جواب اذا لا مسط يتفكرون السلام
مستقيم وزيادة ط ولا ذلة الجنة ج ط خالدون بمثلها ط لان قوله وترهقهم معطوف على محذوف اي يلزمهم جزاء سيئة وترهقهم
ذلة عاصم ج ط لان الكاف لا تتعلق بعاصم مع تعلقها بذلة قبله معنى لان رهق الذلة سواد الوجه المعبر عنه بقوله كانما مظلما
اصحاب النار ج ط خالدون شركاؤهم ج ط للعدة مع فاء التعقيب يفترون نصف الجزو التفسير لما بين في
الآية المتقدمة انهم يطلبون الآيات الزائدة عنادا ومكرا ولجاجا اكد ذلك بقوله واذا اذقنا روى انه سبحانه سلط القحط على اهل
مكة سبع سنين ثم رحمهم وانزل الامطار النافعة ثم انهم اضافوا تلك المنافع الى الاصنام وقيل نسبوها الى الانواء فقابلوا نعم الله
بالكفران فذلك مكرهم وهو احتيالهم في دفع آيات الله بكل ما يقدرون عليه من الفاء شبهة او تخليط في المناظرة وفي تخصيص الاذاقة
بجانب الرحمة دليل على كثرة من الرحمة قليل بالنسبة الى رحمته الواسعة وفيه ان الانسان لغاية ضعف الفطرة لا يطيق له في الراحة كما انه
لا يطيق ادنى الالم الذي يعقبه الكشف عن حاله حتى احسوا بسوائها فيهم وهذا ايضا من جملة الضعف انه نسي ما عهد
من الضر الشديد اذا الثانية للمفاجاة وقع مقام الفاء في جواب الشرط كما مر في قوله اذا هم يقنطون وفائدته ان يعلم انهم فاجاوا وقوع
المكر منهم في وقت الاذاقة وسارعوا اليه لو يلبثوا قدر ما ينقضوا من وسمهم عبارة الضرو لهذا قال سبحانه قل الله اسرع مكرا
يقدر على ابطال جزاء مكرهم اليهم قبل ان يرتد اليهم طرفهم ولكنه يمهلهم لاجل معلوم ليضاعف خبثهم مع كونه محفوظا بايانه قوله ان
رسلنا يكتبون ما تمكرون وقد مر تحقيق هذا في تفسير قوله ويرسل عليكم حفظة واعلم ان مضمون هذه الآية قريب من مضمون
قوله واذا مس الانسان الضر الآن هذه زائدة عليها بدقيقة هي انهم بعد الاعراض عن الدعاء يطلبون الغوائل ويقابلون الرحمة بالمكر

والحذيفة ولا يضون راسا براس ثم ضرب لاجل وصفهم به مثلا حتى ينكشف المقصود تمام الانكشاف فقال هو الذي يسيركم وسن قراءة ينشركم فكقوله فانتشروا في الارض قال بعض العلماء المسير في البحر هو الله سبحانه وتعالى واما في البر فالمراد من التسيير التمكين والاقدار والحق ان جميع الافعال والحركات مستندة الى احداث الله تعالى غاية ذلك ان اثار اقداره واحداثه في البحر اظهر كما مر في تفسير قوله والفلك التي تجري في البحر قال القفال هو الله الهادي لكم الى السير في البحر طلبا للمعاش وهو المسهل لكم لاجل ذلك اسباب ذلك السير حتى لانتهاء العالم والغاية مضمون الجملة الشرطية بكمالها فالقيود المعتبرة في الشرط ثلثة اولها الكون في الفلك وثانيها جري الفلك بهم بالريح الطيبة والتنكير في جرين للفلك على انها جامع كامر وثالثتها فرحهم بها والقيود المعتبرة في الجزاء ثلثة ايضا اولها مجاءتها اي الفلك والريح الطيبة تلقاها ريح عاصف ان عصوف كلابن لذات اللبن ولان لفظ الريح مذكر والعصوف شدة هبوب الريح وثانيها وجاءهم الموج من كل مكان اي من جميع جوانب الفلك والموج ما ارتفع من الماء فوق البحر وثالثتها وظنوا انهم احيط بهم اي غلب على ظنونهم الهلاك واصله العدو اذا احاط بقوم او بلد فقد سدوا من البوار فجعل احاطة العدو بالشخص مثلا في الهلاك وقرئ في الفلك الا فيه قال في الكشاف وانما التفت في قوله وجرين بهم الى الخره من الخطاب الى الغيبة لما في الغيبة من نكتة لغير هم حالهم لتعجبهم منها وليستدعى منهم الانكار والتقبيح قال الامام فخر الدين الرازي الانتقال من مقام الخطاب الى مقام الغيبة في هذه الاية دليل المقت والتبعيد كما ان عكسه في قوله اياك نعبد دليل الرضا والتقريب قلت هذا حسن اما قوله دعوا الله مخلصين فقد قال ابن عباس تركوا الشرك ولم يشركوا به من الهتهم شيئا واقروا لله بالربوبية والوحدانية وقال الحسن ليس هذا اخلاص الايمان لكن لاجل العلم بانه لا ينجيهم من ذلك الا الله فيكون ذلك خاليا عن الايمان الاضطراري وقال ابن زيد هؤلاء المشركون يدعون مع الله ما يدعون فاذا جاء الضر لا لم يدعوا الا الله وعلى هذا يجب ان المراد من ذلك الدعاء قولهم لهيا شراهيا تفسيرها يا حي يا قيوم يحكى ان رجلا قال لجعفر الصادق عليه السلام ما الدليل على اثبات الصانع فقال اخبرني عن حرفتك فقال التجارة في البحر قال صف لي كيف حالك فقال ركبت البحر فانكسرت السفينة وبقيت على لوح من الواحها وجاءت الرياح العاصفة فقال جعفر الصادق عليه السلام هل وجدت قلبك تضرعا فقال نعم قال جعفر فالملك هو الذي تضرعت اليه في ذلك الوقت لتنجيك من هذه الشدة كما من في الانعام يبغون في الارض بغير الحق البغي قصد الاستعلاء بالظلم من قولك بغى الجرح اذا ترامى الى الفساد واصله الطلب فلهذا اكد المعنى بقوله بغير الحق قال في الكشاف انما زاد هذا القيد احترازا من استيلاء المسلمين على ارض الكفرة بقهدورهم واحراق زروعهم كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ببني قريظة قلت ويحتمل ان يراد بغير شبهة حق عندهم كقوله ويقتلون النبيين بغير الحق من قرأ متاع بالنصب فما قبله جملة تامة اي انما بغيكم وبال على انفسكم وهو مصدر مؤكد كانه قيل يتمتعون متاع الحيوة الدنيا ومن قرأ بالرفع فاما على ان التقدير هو متاع الدنيا بعد تمام الكلام او على انه خبر وقوله على انفسكم صلة اي انما بغيكم على امثالكم والذين جنسهم بغي بعضكم على بعض منقطعة الحيوة الدنيا لانها وان بقاء لها والبغي من منكرات المعاصي قال صلى الله عليه وسلم اسرع الخير ثوابا صلة الرحم واعجل الشر عقابا البغي واليمين الفاجرة وروى ثلثان يعجلهما الله في الدنيا البغي وعقوق الوالدين وعن محمد بن كعب ثلث من كن فيه كن عليه البغي والنكث والمكر قال تعالى انما بغيكم على انفسكم اي لا يتهيأ لكم بغي بعضكم على بعض الا اثارا قليلة هي مدة حيوتكم مع قصرها وسرعة انقضائها ثم الى وعدنا من المجازاة مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون وهو في هذا الموضع وعيد بالعقاب كقول الرجل في معرض التهديد سأخبرك بما فعلت ثم ذكر مثلا لمن بغى في الارض وبغر بالدنيا ويشد تمسكه بها فقال انما مثل الحيوة الدنيا اي صفتها العجيبة الشان كماء انزلناه من السماء فاختلط به اي اشتبك بسبب هذا الماء نبات الارض فيحتمل ان يراد ان نباته ثم وصوله الى حد الكمال كلها بسبب المطر ويحتمل ان يراد ان نباته الى حد الكمال كلها بسبب المطر ويحتمل ان يراد ان النبات كان في اول بروزه ومبادي حدوثه غير مهتز ولا مترعرع فاذا نزل المطر عليه اهتز ونمى حتى اختلط بعض الانواع ببعض وتكاثف حتى اذا اخذت الارض زخرفها قال الجوهري الزخرف الذهب ثم تشبه به كل مموه مزور وان تلك اصله تزينت فادغم واجتلبت لذلك همزة الوصل وهذا كلام في نهاية الفصاحة وفيه تشبيه الارض بالعروس التي تاخذ الثياب الفاخرة من كل لون فتلبسها ثم تزين بجميع الاقسام المعهودة لها من حمرة وبياض وغيرهما وظن اهلها اي غلب على ظنونهم او تيقنوا انهم قادرون عليها متمكنون من تحصيل ريعها انتهز نا باهلاكها واستيصالها وضربها ببعض الهاهات ليلا او نهارا اي حين غفلتهم بالنوم او حين اشتغالهم وتقلبهم في طلب معايشهم فجعلناها اي زرعها حصيدا شبيها بما يحصد من الزرع في قطعه واستيصاله كان لم تغن اي كان الشان لم يلبث زرعها بالامس اي في زمان قريب يقال غنى بالمكان بالكسر يغنى بالفتح اذا اقام به والامس مثل في الوقت القريب هذا والصحيح عند علماء البيان ان هذا التشبيه من التشبيه المركب قال في الكشاف شبهت حال الدنيا في سرعة تقيضها وانقراض نعيمها بحال نبات الارض في جفافه وذهابه حطاما بعد ما التف وتكاثف وزين الارض بخضرته ورفيفه وقيل المراد ان عاقبة هذه الحيوة التي ينفقها المرء في باب الدنيا كعاقبة هذا النبات الذي حين عظم الرجاء به وقع اليأس منه لان الغالب ان الممتلئ بالدنيا اذا اطمأن بها عظمت رغبته فيها وانتظم امره بحصول الانتظام اتاه الموت وتلخيصه انه كلما يحصل لذلك الزرع عاقبة محمودة كذلك للمغتر بالدنيا المطمئن بها لا يحصل

عاقبة تحمد يحتمل ان يكون هذا مثلا لمن لا يؤمن بالمعاد فان الارض الميتة اذا زال احسانها فانه يعود ويقهر مرة اخرى فكذا النشور كذلك يفعل
الآيات نذكر واحدة منها بعد الاخرى لتكون كثرتها وتواليها سببا لقوة اليقين موجبا لزوال الشك لقوم يتفكرون في احوال الآفاق و
الانفس ثم لما نفر المكلفين عن الميل الى الدنيا بالمثل السابق رغبهم في الآخرة بقوله والله يدعو الى دار السلام ومثله ما روي عن النبي
انه قال سيد بنى دارا وضع مائدة وارسل داعيا فمن اجاب الداعي دخل الدار واكل ورضي عنه السيد ومن لم يجب لم يدخل ولم ياكل ولم يرض عنه
السيد فالله السيد الدار دار السلام والمائدة الجنة والداعي محمد وعنه ما من يوم طلع فيه الشمس الا وبجنبيها ملكان ينادیان بحيث يسمع
كل الخلائق الا الثقلين ايها الناس هلموا الى ربكم والله يدعو الى دار السلام واتفقوا على ان دار السلام هو الجنة واختلفوا في سبب التسمية
فقيل لان السلام هو الله والجنة داره فالاضافة للتشريف كما اطلق اسم السلام عليه تعالى لانه سلم من الفناء والتغير ومن جميع سمات النقص
والحدوث من الظلم والعجز والجهل وهو القادر على تخليص المضطرين من المكاره والآفات فكفى بدارا ضافتها اليه تعالى تفخيما وفضلا وشرفا و
تجردا وسرورا وقيل سميت دار السلام لان من دخلها سلم من الآفات والمخافات وقيل لفشو السلام بينهم تحيتهم فيها السلام والملائكة يدخلون
عليهم من كل باب سلام عليكم سلام قولا من رب رحيم واعلم ان الدعوة عامة ولكن الهداية خاصة فلذلك قال فيهدي من يشاء الى صراط
مستقيم ومن هنا ذهب اهل السنة الى ان الهداية والضلالة والخير والشر كلها بمشيئة الله تعالى وارادته وقالت المعتزلة المراد وهدى من يشاء
اجابة تلك الدعوة ويعينون ان من اجاب الدعاء واطاع واتقى فان الله يهديه اليها والمراد من الهداية الالطاف ثم قسم اهل الدعوة الى قسمين
وبين حال كل طائفة فقال للذين احسنوا الحسنى وزيادة ولا بد من تفسير هذه الالفاظ الثلاثة فعن ابن عباس احسنوا اي قالوا كلمة لا
اله الا الله وذهب غيره الى ان المراد اتيان الطاعات واجتناب المنهيات لان الدرجات العالية لا تليق الا بهم واما الحسنى فقال في الكشاف المراد
المثوبة الحسنى قال ابن الانباري العرب توقع هذه اللفظة على الخلة المحبوبة والخصلة المرغوب فيها ولذلك ترك موصوفها واما الزيادة
فمحملها اهل السنة على رؤية الله لان اللام في الحسنى للعهد وبين المسلمين من المنافع التي اعدها الله تعالى لعباده فالزيادة عليها تكون مغايرة
لها وهي الرؤية وقالت المعتزلة الزيادة يجب ان يكون من جنس المزيد عليه ورؤية الله تعالى بعد تسليم جوازها ليست من جنس نعيم الجنة فالمراد
بها ما يزيد على المثوبة من التفضل كقوله ليوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله وزيف بان الزيادة اذا كان المزيد عليه مقدارا معينا
وجب ان يكون من جنسه كما لو قال الرجل لغيره اعطيتك عشرة امنان من الحنطة وزيادة اما اذا كان غير مقدر كما لو قال اعطيتك الحنطة
وزيادة لم يجب ان يكون الزيادة من جنس المزيد عليه المذكورة في الآية لفظة الحسنى وهي الجنة وانها مطلقة فالزيادة عليها شيء مغاير لكل
ما في الجنة وعن علي الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة وعن ابن عباس الحسنى الجنة والزيادة عشر امثالها الى بعمائة ضعف وعن مجاهد مغفرة
من الله ورضوان وعن يزيد بن شجرة هي ان تمر السحابة باهل الجنة فتقول ما تريدون ان امطركم فلا يريدون شيئا الا امطرتهم هذا شان
المنافع الحاصلة لهم واما انها منافع خالصة عن الكدورات فافاد ذلك بقوله ولا يرهق اي لا يغشى وجوههم قترة غبرة فيها سواد ولا ذلة ولا
ترهوان وكسوف حال ثم اشار الى كون تلك المنافع خالصة منزهة عن الانقطاع بقوله اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون وهذا معنى قول
علماء الاصول الثواب منفعة خالصة دائمة مقرونة بالتعظيم ثم بين حال الفريق الآخر بقوله والذين اي جزاء والذين كسبوا السيئات جزاء
سيئة بمثلها اي جزاؤهم ان يجازى سيئة واحدة بسيئة مثلها لا يزاد عليها ومن جوز العطف على عاملين مختلفين جوز ان يكون
والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها قالت المعتزلة وفيه دليل على ان المراد بالزيادة في الآية المتقدمة التفضل لا ندل بترك الزيادة
على السيئة على عدله فناسب ان يكون قد دل هناك باثبات الزيادة على المثوبة على فضله ويرهقهم ذلة حين ما توا فاقدين خالين
عن الملكات الحميدة كان شعورهم بذلك سببا لذلهم وهوانهم على انفسهم وهذا على قاعدة حكماء الاسلام ان الجهل سواد وظلمة كما ان
العلم والمعرفة بياض ونور ومن قول الشيخ ابو علي كل بيت انت ساكنه غير محتاج الى السراج ظاهر من عاصم اي لا يعصمهم احد من عذاب الله وسخطه
او ما لهم من جهة الله من عنده من يعصمهم كما للمؤمنين والتحقيق انه لا عاصم من الله لاحد في الدنيا ولا في الآخرة الا باذن الله الا ان هذا المعنى
في الآخرة اظهر كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ثم بالغ في الكشف عن سواد وجههم فقال كانما اغشيت اي البست وجوههم قطعا
من الليل من قرأ بسكون الطاء فمعناه البعض والطائفة ومظلما صفته ومن قرأ بفتحها على انه جمع قطعة فمظلما حال من الليل والعامل
فيها ما معنى الفعل في من الليل واغشيت كان قوله من الليل صفة لقوله قطعا فكان اقتضاء العامل الى الموصوف كاقتضائه الى الصفة فالله
في الكشاف واعلم ان جمعا من العلماء ذهبوا الى ان المراد بقوله والذين كسبوا السيئات هو الكفار لان سواد الوجه من علامات الكفر
بدليل قوله فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم وقوله ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة اولئك هم الكفرة الفجرة
ولقوله بعدها ويوم نحشرهم والضمير عائد الى هؤلاء ثم انه وصفهم بالشرك فقال الآخرون اللفظ عام يتناول الكافر والفاسق الا ان الآيات
المذكورة تخصصه ثم شرح بعض احوال المشركين في القيمة فقال ويوم نحشرهم منصوب باضمار اذكر او ظرف متعلق بقيل اي قيل
قيل لكل نفس في حاصل الكلام انه نحشر العابد والمعبود ليسئلوا فنبرئ المعبود العابد بخلاف ما كانوا يزعمون من قولهم هؤلاء شفعاؤنا

عند الله وقيل اشارة الى ان الممكن لا نسبة له الى الواجب الحق فاذا اتخذ الممكن معبودا برئ من ذلك في مقام لا ينفع الا الصدق قال في الكشاف مكانكم اى الزموا مكانكم لا تبرحوا حتى تنظروا ما نفعل بكم وعندابى على هو اسم من اسماء الافعال وحركته حركة بناء وهو كلمة وعيد عند العرب وانتم لتاكيد الضمير في مكانكم لسده مسد قوله الزموا وشركاؤكم عطف عليه فزيلنا بينهم فرقنا بينهم قطعنا الوصل التي كانت بينهم في الدنيا قيد عين الكلمة واوا لانه من زال يزول ومما قلبت تاؤه لان وزن الكلمة فعل اى يولنا مثل بيطر من اعل اعلال سيد قيل هي من ذلت الشئ اذا له فعينه على هذا ياء والوزن فعل ونظيره ليلا قوله وقال الذين لا يرجون لقاءنا اى اصحاب الاعراف لان حكم الله تابى سيكون كالكائن وقال شركاؤهم في صحة هذه الاضافة وجوه منها انهم جعلوا نصيبا من اموالهم لتلك الاصنام فهم شركاؤهم ومنها انهم متشاركون في الخطاب في قوله مكانكم ومنها انهم اتبعوا هذه الشركة والشركاء قيل هم الملائكة لقوله ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون وقيل كل من عبد من دون الله وقيل الاصنام لان هذا الخطاب مشتمل على التهديد بانه لا يليق بالملائكة المقربين وكيف ينطق هذه الاصنام قيل لان الله يخلق فيهم الحيوة والعقل والنطق ثم هل يبقيهم ويفيهم الكل محتمل ولا اعتراض لاحد عليه قيل يخلق فيهم الكلام لتهديد الخلق العابدين فهل يكون تهديدا في حق المعبودين قالت المعتزلة لا لانه لا ذنب للمعبودين ومن لا ذنب له يقبح من الله تهديده وتعويقه قالت الاشاعرة لا يسئل عما يفعل اما قول الشركاء ما كنتم اياانا تعبدون وهم كانوا قد عبدوهم فالمراد انكم ما عبدتمونا بامرنا واردنا لقولهم فكفى بالله شهيدا الاية ومن اعظم اسباب الغفلة كونها جمادات لا حس لها ولا شعور وقيل ان ذلك الموقف الدهشة والحيرة فذلك الكذب يجرى مجرى كذب الصبيان والمجانين والمدهوشين وقيل انهم ما قالوا لاعمال الكفار ورضاها بل قالوا ما كنا نعلم انهم عبدوا الشياطين حيث امروهم باتخاذ الاندادومن جوز الكذب في الغيبة فلا اشكال وهنا الا في ذلك المقام وفي ذلك الموقف وفي ذلك الوقت على استعارة اسم المكان للزمان تبلو كل نفس تختبر بذوق مما اسلفت من العمل ومن قرأ بالنون فالمعنى يفعل بها فعل الخائر او نصيب بالبلاء وهو العذاب كل نفس عاصية لاجل ما اسلفت من الشر ومن قرأ تتلوا بتاءين فمعناه تتبع ما اسلفت لان عملها هو الذي يهديها الى طريق الجنة او الى طريق النار ويقرأ في صحيفتها ما قدمت من خير وشر وردوا الى الله مولاهم الحق الصادق بوعيده وضل عنهم ما كانوا يدعون انهم شركاء الله وما كانوا يختلقون من شفاعة الالهة والحاصل انهم يرجعون عن الباطل ويعترفون بالحق حين لا ينفعهم ذلك الاوان ويل وادا ذقنا الناس رزق توبيخ وايذان بان ما هم فيه من الرزق كشف شهوة من بعد ضراء وهي الغموم والاخلاق الذميمة وجحود الاوصاف الالهية مكر في اياتنا باظهارها الى غير اهلها بشرب النفس وطلب الجاه والقبول قل الله اسرع مكرا انتدبهم عن تلك المقامات الى ركنات البعد من حيث لا يشعرون وهو الذي يسيركم في البر البشرية والبحر الروحانية او في بر العبودية وبحر الربوبية حتى اذا كنتم في تلك جاريات العناية وجرين بهم بهبوب نسيم شهود الجمال وفرحوا بالوصول الى اوصافها نكباء تجلى صفات الجلال فجاءتها موج البلايا والمحن من اماكن النعم البلاء موكل بالانبياء ثم بالاولياء ثم الامثل فالامثل فلما انجاهم فاجاءها شارة الى ارباب الطلب وصلوا بجذبات الحق الى شهود الجمال واستغراق بحر الجلال ستقبلتهم عواصف الغيرة والكبرياء فتشتد بهم الى البغي وهو الطلب في ارض سوء الخوض غير الحق كما انزلنا من سماء القلب الى ارض البشرية فاختلط به الصفات المولدة من ارض البشرية مما ياكل الناس والانعام من الصفات الحميدة الانسانية والذميمة البهيمية انتهاحكمنا الازلي ليلا او عند استيلاء ظلمات صفات النفس او نهارا عند بقاء ضوء الفيض الروحاني لكنه بامتزاج القوة الخيالية والوهمية وقع في ورطة العقايد الباطلة كالبعض الفلاسفة والمبتدعة والله يدعوا الى دار السلام وهي مقام الغناء لان صاحبه يسلم عن افات الحجب في مقام العلم والمعرفة لان صاحبه يسلم عن افات الاثنينية والجهالة ويهدي من يشاء بجذبات العناية الى صراط مستقيم يؤدي الى السير بالله في الله للذين احسنوا الحسنى فالاحسان ان تعبد الله كانك تراه والحسنى هي شواهد الحق والنظر اليه والزيادة الجنة وما فيها من النعم هي ما زاد على النظر من اشياء قل من يرزقكم من السماء والارض امن يملك السمع الناس وتبعته في الالهوتية والله ولي التوفيق

والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الامر فسيقولون الله فقل افلا تتقون فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق الا الضلال فانى تصرفون كذلك حقت كلمت ربك على الذين فسقوا انهم لا يؤمنون قل هل من شركائكم من يبدؤا الخلق ثم يعيده قل الله يبدؤا الخلق ثم يعيده فانى تؤفكون قل هل من شركائكم من يهدى الى الحق قل الله يهدى للحق افمن يهدى الى الحق احق ان يتبع امن لا يهدى الا ان يهدى فما لكم كيف تحكمون وما يتبع

فقط وهذا الخطاء

وضاع عنهم سو

نصف ربع

ع

أكثرهم إلا ظنا إن الظن لا يغني من الحق شيئا إن الله عليم بما يفعلون وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله
بیشتر شان مگر گمان را بد رستیکه گمان کفایت نمیکند از حق چیزرا بد رستیکه خدا دانا است بآنچه میکنند وبنا شد این قرآن که بدروغ بسته شود از غیر خدا
ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة
ولیکن تصدیق است چیزرا که پیش او است و تفصیل دادن کتب است نیست شکی در آن از پروردگار جهانیان یا میگویند بدروغ بسته است او را بگو پس بیارید
مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله كذلك
مانند او و بخوانید هر که را توانید از غیر خدا اگر هستید راستگویان بلکه تکذیب کردند آنچه را احاطه نکردند بدانش و هنوز نیامد ایشانرا بیان
كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به وربك أعلم
تکذیب کردند آنانکه پیش ازایشان بودند پس بنگر چگونه بود انجام ستمکاران و از ایشان کسیست که میگرود بآن و از ایشان کسیست که نمیگرود بآن و پروردگار تو داناتر است
بالمفسدين فإن كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون القراءة كلمات ذلك
بتباهکاران پس اگر تکذیب کردند ترا پس بگو مرا است کردار من و مر شمارا است کردار شما شما بیزارید از آنچه من میکنم و من بیزارم از آنچه شما میکنید وکذلك فی الخمسة
وعلى الجمع بو جعفر ونافع وابن عامر لا يهدي بسكون الهاء وعلى وخلف يهدي بسكون الهاء وتشديد الدال بو جعفر ونافع غير ورش وعباس
ابو عمرو غير عباس باشمام الفتحة قليلا يهدي بكسر الهاء وتشديد الدال عاصم غير يحيى وحبله ورويس يهدي بكسرتين والتشديد يحيى يهدي
بفتحتين والتشديد بدال ابن كثير وابن عامر وورش وسهل ويعقوب غير رويس الوقوف يدبر الأمر الله يتقون ج ربكم الحق ج فماذا
مع الفاء الضلال ج تصرفون لا يؤمنون ثم يعيده ط الأولى ط يؤفكون الى الحق ط للخوط الى يهدي ج ط لما مرفما لكم ص ط الحق الا
الثاني تحكمون ط الاظناط شيئا ط يفعلون العالمين افتراه ط صادقين تأويله ط الظالمين لا يؤمن به ط بالمفسدين عملكم ج لان انتم
مبتدأ والعامل واحد تعملون التفسير لما بين فضائح عبدة الاوثان اكدها بالجمع اللامعة والبراهين القاطعة من احوال الرزق والحوت
والموت والحيوة والابداء والاعادة والارشاد والهداية وقد بنى الحجج على الاستفهام وتفويض الجواب الى المسئول ليتكون ابلغ فى الزام
الحجة واوقع فى النفوس فالحجة الاولى قوله قل من يرزقكم من السماء والارض بانزال الامطار النافعة الموجبة لتولد الاغذية النباتية
الحيوانية فى الارض بعد عقاقير شرائط ترتيبها وانمائها وحفظها من العاهات ام من يملك السمع والابصار خص الحاستين بالذكر
لما فى خلقهما وتسويتهما من الفطرة العجيبة وكان ص يقول سبحان من يبصر بشعر واسمع بعظم وانطق بلحم ولما فى تحصيلهما من الآفات فى
المدد الطوال وهما الطيفان يؤذيهما ادنى شئ مزيد قدرة ورافة ومن يخرج الحى من الميت حيوان الماشى والطائر من النطفة والبيضة
وقد مر سائر الاقوال فى سورة الانعام ومن يدبر الامر عمم بعد ما خصص لان اقسام تدبيره تقع فى العالم العلوى والعالم السفلى وعالمى الغيب
والشهادة امور لا نهاية لها وذكرها كالمتعذر فسيقولون الله وفيه ليل على انهم كانوا يعبدون الاصنام بناء على انها شفعاؤهم
وانها تقربهم الى الله زلفى ولكنهم كانوا يحظين فى هذا الاعتقاد فلهذا ختم الآية بقوله فقل أفلا تتقون الله الذى اعترفتم بانه فيض جميع الخيرات
فكيف اشركتم بعبادته الجمادات التى لا تقدر على نفع او ضر فذلكم الموصوف بالقدرة الكاملة والرحمة الشاملة ربكم الحق الثابت بالبرهان
بالوجدان والبرهان فماذا بعد الحق الا مزيته وما فائيا واستغهاميا ومجموع ما ذا كلمة واحدة معناها اى شئ بعد الحق الا الضلال
والمراد انه لما ثبت وجود الواجب الحق كان ما سواه ممكن الذات باطلا دعوى الالهية لان واجب الوجود يجب ان يكون واحدا فى ذاته وفى صفاته
وفى جميع اعتباراته والا لزم افتقاره الى ما انضم اليه فلا يكون واجبا هف محال فلهذا ختم بقوله فانى تصرفون كيف تحيرون العقول
عن هذا الحق الظاهر فى من يقعون فى الضلال اذ لا واسطة بين الامرين فمن يخطى احدهما وقع فى الآخر كذلك كما حق وثبت ان الحق هو
الضلال او كما حق انهم مصروفون عن الحق كذلك حقت كلمة ربك وتقديره لكلمة انهم لا يؤمنون على انه بدل اى حق عليهم انتفاء الايمان
وقد علم الله منهم ذلك فى الازل او اراد بالكلمة العدة بالعذاب فانهم لا يؤمنون تعليل على حذف اللام اجتمع المعربون بمثل قولهم تقرأ فلانا
تضرب ان الضارب لو كان هو الله تعالى لم يصح منه هذا التعجب لانكاره وقال الاشاعرة قد يتعلق علم الله بانهم لا يؤمنون كما قال حقت كلمة
ربك فتعلق خبره بانهم لا يؤمنون وقدرته لم يتعلق بخلق الايمان فيه بل بخلق الكفر فيه واثبت ذلك فى اللوح المحفوظ واشهد عليه
ملائكته وانزل على انبيائه واشهدهم عليه فلو حصل الايمان لبطلت هذه الاشياء فينقلب علم جهلا وخبره الصدق كذبا وقدرته
عجزا وارادته عبثا واشهاده باطلا الحجة الثانية قل من شركائكم من يبدؤا الخلق ثم يعيده وانما قال ثم يعيده مع ان الخصم لا يعترف
به لما تقدم فى هذه السورة دلائل الاعادة بحيث لا يمكن العاقل مدافعتها اذا تامل وانصف فبنى الامر على ذلك فانما امر نبيه ان يتوب عنهم فى الجواب
بقوله قل الله الآية تنبيها على ان هذا المعنى بلغ فى الوضوح الى حيث لا حاجة بنا الى اقرار الخصم المكابر فكانه قيل كلم عنهم ان اريد عدم مجاوبتهم
ان ينطقوا بالحق وقوله فانى تؤفكون كقوله فانى تصرفون وقد مر فى المائدة الحجة الثالثة الاستدلال على وجود الصانع بالخلق ثم
بالهداية عادته مطردة فى القرآن فحكى عن الخليل انه الذى خلقنى فهو يهدين وعن موسى ربنا الذى اعطى كل شئ خلقه ثم هدى

وامر محمدا ﷺ بتسبيح اسم ربك الاعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى والسر في ان المقصود من خلق الجسد حصول الهداية للروح وادراك العلوم والمعارف فيه بارشاد الحق سبحانه اذ الطرق المنحرفة كثيرة والظنون والاغاليط غير محصورة فتحصيل الوسط الحقيقي لا يمكن الا بتوفيقه وهدايته ولا مدخل في ذلك بالاستقلال للملك والنبي وحتى فضلا عن الاصنام التي هي في ادنى مراتب الوجود لانها جمادات لا شعور لها هذا تقرير الحجة الثالثة وقال الزجاج يقال هديت للحق والى الحق بمعنى فجمع بين العبارتين ويقال هدى بنفسه بمعنى اهتدى كما يقال شرى بمعنى اشترى ومنه قوله الا ان لا يهدي وسائر القراء اصلها يهتدي فادغم وفتحت الهاء بحركة التاء او كسرت لالتقاء الساكنين وقد يصرف لها الاتباع ما بعدها قيل هذه الشركاء جمادات فكيف قال في حقها الا ان يهدى واجيب بوجوه منها ان المراد بها في الآية رؤساؤهم واشرافهم كقوله اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا والمراد ان الله سبحانه هو الذي يهدي الخلق الى الدين الحق بالدلائل النقلية وبما يمكنهم منه من الدلائل العقلية واما هؤلاء الدعاة والرؤساء فانهم لا يقدرون على ان يهدوا غيرهم الا اذا هداهم الله ومنها انهم لما اتخذوها آلهة وصفهم الله تعالى بصفة من يعقل كقوله ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ومنها ان ذلك بالفرض والتقدير يعني لها لو كانت بحيث يمكنها ان يهتدي فانها لا يهدي غيرها الا ان يهدى ومنها ان البنية عندنا ليست بشرط في صحة الحيوة والعقل فيصح من الله تعالى ان يجعلها حية عاقلة ثم انها تشتغل بهداية الغير ومنها ان المراد من الهدى النقل والحركة يقال هديت المرأة الى زوجها اي نقلت اليه فالمعنى لا ينتقل الى مكان الا اذا نقل اليه ثم عجب من مذهبهم الفاسد باستفهام متوالين فقال فما لكم كيف تحكمون ثم بين ما بنوا عليه مذهبهم فقال وما يتبع اكثرهم الا ظنا اي في اقرارهم بالله لانه قول غير مستند الى برهان عندهم بل بمعول من سلفهم او في قولهم للاصنام انها آلهة او شفعاء وعلى هذا فالمراد بالاكثر الجميع ان الظن في معرفة الله وفيما يجب تحقيقه لا يغني من الحق وهو العلم والتحقيق شيئا من الغناء والمعنى ان الظن لا يقوم مقام العلم في شيء من الاحوال ثم اوعدهم على اتباعهم الظن وتقليد الآباء بقوله ان الله عليم بما يفعلون ويمسك نفاة القياس بالآية ظاهر من قبل ان القياس لا يفيد الا الظن واجيب بان التمسك بالعمومات لا يفيد الا الظن وهذه الآية من العمومات فلم يجب تتبعها بر عمكم وما افضى ثبوته الى نفيه كان متروكا ولما فرغ من دلائل التوحيد شرع في اثبات النبوة فقال وما كان هذا القرآن ان يفترى اي افتراء من دون الله وكلمة ان بمعنى اللام اي ما ينبغي له وما استقام ان يكون مفترى والحاصل ان وصفه ليس في صف شيء يمكن ان يفترى به على الله لانه معجز لا يقدر البشر على اتيان مثله وانما القادر عليه هو الله تعالى ولكن كان تصديق الذي بين يديه من الكتب لمنزلة لاعجازه دونها فهي عيار عليها شاهد بصحتها ونفس هذا التصديق بتة معجز لان فاصيصه موافقة لما في كتب الاولين مع انه لم يتعلم قط ولم يتلمذ ولان بشارته جاءت في تلك الكتب على وفق دعواه ولانه يخبر عن الغيوب المستقبلة فيقع مطابقا فظهر ان القرآن معجز من قبل اشتماله على الغيوب الماضية والمستقبلة اما انه معجز من جهة اشتماله على العلوم الجمة فذلك قوله وتفصيل الكتاب اي بيان ما كتب في فرض من الاحكام والشرايع كقوله كتاب الله عليكم قال في الكشاف هو قوله لا ريب فيه من رب العالمين داخل في حيز الاستدراك كانه قال فلكن كان تصديقا وتفصيلا منتفيا عنه الريب كائنا من رب العالمين ويجوز ان يكون من رب العالمين متعلقا بتصديق وتفصيل لا ريب فيه اعتراض كقولك زيد لا شك فيه كريم والمعنى ولكن كان تصديقا من رب العالمين وتفصيلا منه لا ريب فيه ثم اعاد بيان اعجازه مرة اخرى فقال مستفهما على سبيل الانكار ام يقولون افتراه قل ان كان الامر كما تزعمون فاتوا انتم وطيحة الافتراء بسورة مثله في البلاغة وحسن النظم فانتم مثلي في العربية والفصاحة وادعوا من استطعتم من دون الله اي لاستعينوا بالله وحده ثم استعينوا بكل من سواه ان كنتم صادقين انه افتراه قال بعض العلماء هذه الآية في سورة يونس وهي مكية فلعل المراد بالسورة المتحدى بها هذه السورة والاصح ان التحدي واقع على اقصر سورة قالت المعتزلة لو لم يمكن الاتيان بمثل القرآن صح الوجود في الجملة لم يتحد العرب به لكنهم تحدوا بذلك فدل على ان القرآن محدث اذ لو كان قديما والاتيان بالقديم محال لم يصح هذا التحدي واجيب بان القرآن يقال بالاشتراك على الصفة القديمة القائمة بذات الله وعلى هذه الحروف والاصوات المحدثة والتحدي انما وقع بهذه لا بتلك بل كذبوا واستدعوا الى التكذيب بما لم يحيطوا بعلمه وهو القرآن ولما بانهم تاويله ومعنى التوقع فيه انهم كذبوا به على البديهة قبل التدبر ومعرفة التاويل والاباء وكذبوا به بعد التدبر وتكرير التحدي عليهم استيقان عجزهم عن هذا بغيا وعنادا وانما علم على ان التكذيب لاوجه منها انهم وجدوا في القرآن افاصيص الاولين ولم يعرفوا المقصود منها فقالوا اساطير الاولين وخفي عليهم ان الغرض منها بيان قدرة الله تعالى على التصرف في هذا العالم وبقاء الامم من الغرالى الذل وبالعكس ليعرفوا المكلف ان الدنيا ليست بمقر فنهاية كل حركة سكون وغاية كل سكون ان لا يكون كقوله عز من قائل لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب ومنها انهم كلما سمعوا حرفا في التهجي في اوايل السور ولم يفهموا منها شيئا ساء ظنهم بالقرآن فاجاب الله تعالى عنه بقوله هو الذي انزل عليك الكتاب الى قوله واخر متشابهات الآية ومنها انهم لما القرآن يظهر شيئا فشيئا فقالوا لولا انزل عليه القرآن

جملة واحدة ومنها انهم وجدوا القرآن مملوا من حديث الحشر والنشر وكانوا قد الفوا المحسوسات فاستبعدوا ذلك انهم وجدوا فيه تكاليف كثيرة
من الصلوة والصيام والزكوة والحج والجهاد وكانوا يقولون ان الله العالم غني عنا وعن طاعاتنا كذلك كذب الذين من قبلهم يعني قبل
النظر في معجزات انبيائهم قال اهل التحقيق في الاية دلالة على ان من كان غير عارف بوجوه التاويل قد يقع في الكفر والبدعة لان ظواهر
النصوص قد يتعارض فيفتقر هناك الى ان تطبق النزيل على التاويل وقيل معنى بالغيوب ص من الاية ان القرآن كتاب معجز من جهتين
من جهة اعجاز نظمه ومن جهة ما فيه من الاخبار بالغيوب ومن جملتها احوال الاخرة فقوله بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه اشارة الى التكذيب
به قبل ان ينظروا في نظمه وبلوغه حد الاعجاز وقوله ولما يأتهم تأويله اشارة الى تكذيبهم قبل ان يحيطوا بما فيه وهل يطابق الواقع ام لا ثم ذم
الاية بقوله فانظروا كيف كان عاقبة الظالمين والمراد انهم طلبوا الدنيا واعرضوا عن الاخرة فلم يبق عليهم الدنيا وفاتتهم الاخرة
فبقوا في خسران الدارين وقيل المقصود عذاب الاستيصال الذي نزل بالمكذبين قبلهم ثم قسم طوائف الامم فقال منهم من يؤمن
بالقرآن وبالرسول اي يصدق بقلبه ويعلم انه حق لكنه يعاند ومنهم من يشك فيه لا يصدق به لا ظاهرا ولا باطنا ويمكن ان يقال المراد
بهذه القسمة في الاستيصال اي ومنهم من سيؤمن ومنهم من يبقى على الكفر فيكون الاية كالعذر في تبقيتهم وعدم استيصالهم وربك
اعلم بالمفسدين فيجازيهم على حسب مراتبهم في التكذيب بعلم طوباتهم هل يتوبون او يصرون ثم يبرا خصائص كل مكلف واقعا
وينبه على اعمالهم من الثواب والعقاب فقال وان كذبوك فقل لي عملي اي جزاء عملي على الطاعة والايمان وتبليغ الرسالة ولكم عليكم
قال مقاتل والكلبي هي منسوخة بايات القتال والتحقيق ان اية القتال لا يدفع شيئا من مدلولات هذه فلا نسخ والله اعلم القاء
قل من يرزقكم اي من ينزل من سماء النفس مطر الهوى حتى يخرج من ارض النفس نبات الافعال والاعمال ينزل من سماء القلب مطر
انوار فيض الروح ويخرج من ارض النفس نبات الصفات البشرية والحيوانية وينزل من سماء الروح مطر فيض الروح ويخرج من ارض
القلب نبات الاوصاف الحميدة وينزل من سماء القدة مطر تجلي الصفات والفيض الرباني ويخرج من ارض الروح المجنة والاخلاق
الالهية او ينزل من سماء الذات مطر تجلي الصفات ويخرج من ارض الوجود نبات الفناء في الله وثمرات البقاء بالله امن يملك السمع و
الابصار فيكون سمعه الذي به يسمع وبصره الذي به يبصر يخرج الحي من الميت النفس من القالب من القلب من الروح من القلب والعكوس
ومن يدبر امر الانسان بالرتبة من التراب الى ان يصل الى رب الارباب فسيقولون هذه الاحوال كلها من الله فقل لمن بلغ نظره الى هذه
المراتب العلية وانها عبثا بل للتوحيد والمعرفة افلا تتقون ما به عن غير الله خلوا بيت الوحدة كذلك حقت كلمة ربك هكذا جرى
القلم في الازل على الذين خرجوا عن قبول فيض النور حين رشح على الخلق من نوره وتفصيل الكتاب تفصيل الجملة التي هي مكنونة عنده في
ام الكتاب هو علم القايم بذاته وذلك اعلم بالمفسدين الذين افسدوا استعدادهم الفطري والله اعلم ومنهم من يستمعون اليك
افانت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون ومنهم من ينظر اليك افانت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون ان الله لا يظلم
لا پس تو مي شنوائي كران را وا كر نمي شنوند كه بيانند بعقل وازايشان كسيست كه نكاه ميكند بتو لا پس تو راه مينماي كورانرا واكرچه باشند كه نه بينند بدرستيكه خدا ظلم نميكند
الناس شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون ويوم يحشرهم كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار يتعارفون بينهم قد خسر
مردمانرا چيزي وليكن مردمان بخويشتن ظلم ميكنند وروزيكه حشر كند ايشانرا كويا نكرده اند مكر ساعتي از روز شناسند يكديكررا ميان خويش
الذين كذبوا بلقاء الله وما كانوا مهتدين وامانرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك فالينا مرجعهم ثم الله شهيد
آنانكه تكذيب كردند ملاقات جزاء خدايرا وبخطر هدايت نيافتكان وهاميمنيم نمودار ترا بعضي از آنچه وعده ميدهيم ايشانرا يا ميميرانيم تورا پس بازكشت ايشان پس خداوند كواه
على ما يفعلون ولكل امة رسول فاذا جاء رسولهم قضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون ويقولون متى هذا الوعد
بر آنچه ميكنند وازبراي هر امتي رسوليست پس چون آمد رسول ايشان حكم كرده شود ميان ايشان بعدالت وايشان ستمكرده نشوند وميكويند كي ميبود اين وعد
ان كنتم صادقين قل لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا الا ما شاء الله لكل امة اجل اذا جاء اجلهم فلا يستاخرون ساعة
اكر هستيد راستكويان بكو مالك نيستم ازبراي خود ضرر ونه نفعي مكر آنچه خدا خواهد ازبراي هر امتي اجليست چون آمد اجل ايشان پس نه واپس مانند ساعتي
ولا يستقدمون قل ارايتم ان اتيكم عذابه بياتا او نهارا ماذا يستعجل منه المجرمون اثم اذا ما وقع امنتم به الان
ونه پيشي توانند كرد بكو خبر دهيد اكر آيد شمارا عذاب او بشب شبيخون يا روز چه چيز استشتاب خواهند مجرمان ازان كناهكاران لا پس چون بوقوع آمد بكريد بدان اكنون
وقد كنتم به تستعجلون ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون الا بما كنتم تكسبون ويستنبئونك احق هو قل اي
وبدستيكه بدان شتاب ميخواستيد پس كفته شود ستمكاران را كه بچشيد عذاب جاويد را آيا جزا داده نميشويد مكر بآنچه بوديد كه ميكرديد وخبر ميپرسند از تو آيا حق است ان كه
وربي انه لحق وما انتم بمعجزين ولو ان لكل نفس ظلمت ما في الارض لافتدت به واسروا الندامة لما راوا العذاب وقضي
بكو بلي پروردكار من آن حق است وشما عاجز كننده نيستيد واكر هر نفسي را كه ستم كرده باشد در زمين همه آنچه در زمين است هر آينه فداي خود دارد در زمان ديدن عذاب پشيماني را پنهان دارند وحكم كرده شود
بينهم بالقسط وهم لا يظلمون الا ان لله ما في السموات والارض الا ان وعد الله حق ولكن اكثرهم لا يعلمون هو يحيي و
ميان ايشان بعدل وايشان ستم نكرده شوند آكاه باشيد كه مر خدايرا آنچه در آسمانها وزمين است آكاه باشيد كه وعده خدا حق است ولكن بيشتر ايشان نميدانند اوست زنده

سورة يونس

وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝ قُلْ
وبسوی او باز بگردید ۔ ای مردمان بتحقیق آمد شمارا پندی ۔ از پروردگار شما ۔ وشفائی مر آنچه در سینهاست ۔ وهدایت ورحمتی از برای گروه گانی که
بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ۝ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ آللَّهُ
بکرم خدا ۔ وبرحمتش ۔ پس بآن پس باید شادمان شوند ۔ آن بهتر است از آنچه جمع میکنند ۔ بگو خبر دهید مرا که آنچه فرو فرستاد خدا برای شما از روزی پس گردانیدید از آن حرام وحلال ۔
أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ۝ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ
رخصت داد شمارا بآن خدا ۔ ویا بر خدا دروغ میبندید ۔ وچیست گمان آنانکه میبندند ۔ بر خدا دروغ ۔ روز قیامت بدرستیکه خدا هر آینه صاحب فضل است بر مردمان ولیکن بیشتر ایشان
لَا يَشْكُرُونَ ۝ القراءة أأذن بتليين الهمزة ونحوه الاصبهانی عن ورش وحمزة فی الوقف ولكن الناس بالتخفيف والرفع حمزة وعلی وخلف
شکر نمیکنند ۔ يحشرهم بالياء حفص الباقون بالنون نزيلك ونتوفينك بالنون الخفيفة ورويس الا ان يونسن غالا ان بحذف الهمزة التی
بعد اللام والقاء حركتها علی اللام حيث كان ابو جعفر ونافع ورمز حمزة فی الوقف بلى انه بفتح الياء ابو عمرو وابو جعفر ونافع فليفرحوا
بياء الغيبة يجمعون بتاء الخطاب ابن عامر ويزيد وقرأ يد علی ضده وقراءة ويس كليهما علی الخطاب الباقون علی الغيبة فيهما الوقف
اليك ط لا يعقلون اليك ط لا يبصرون يظلمون بينهم ط مهتدين يفعلون رسول ج ط لا يظلمون صادقين ما شاء الله ط اجل ط
ولا يستقدمون المجرمون امنتم ط به يستعجلون الحكيم ط للاستفهام مع ان القائل واحد يكسبون احق هو ط بمعجزين لا فتدت به ط
العذاب ج ط للعطف علی السرادون راوا يظلمون والارض ط لا يعلمون يرجعون للمؤمنين فليفرحوا ط يجمعون وحلالا ط يفترون ط
القيمة ط لا يشكرون نصف السبع النفيران الانسان اذا قوی بعضه لانسان اخر وعظمت نفرته عنه صارت نفسه متوجهة الی
طلب مضاجرته فی كلامه معرضة عن جهات محاسنه فيه بنظر سخط وكان العثمی فی الاذن معنی يناسب فی حصول ادراك الصوت والعمی فی العين امر
يناسب فی حصول ادراك الصورة فكذلك حصول هذا البغض الشديد يضاد وقوف الانسان علی محاسن من يعاديه فبين الله سبحانه ان ذلك
الكفار تبلغ حالة النفرة والعداوة الی هذا الحد بحيث يستمعون اليك اذا قرأت القرآن وعلمت الشرايع ولكنهم لا يسمعون ولا يقبلون
وينظرون اليك بعاينون ادلة الصدق واعلام النبوة ولكنهم لا يبصرون ولا يصدقون قال اهل المعانی المستمع الی القرآن كالمستمع
الی النبی ﷺ بخلاف النظر فكان فی المستمعين كثرة تجمع ليطابق اللفظ المعنی وحد ينظر حملا علی اللفظ اذ لم يكثروا كثرتهم ثم قال انك لا تطمع ان
تقدر علی اسماع الصم لو انضم الی صممهم عدم عقولهم او تقدر علی هداية العمی لا سيما اذا اقترن بفقد البصر فقد البصيرة انما يقدر علی
ردهم الی حالة الكمال فحالة الفقد والقوی وحده وهذا الحصر انما يفهم من قوله افأنت والمقصود من هذا الكلام تسلية الرسول ﷺ فان
الطبيب اذا رأی مريضا لا يقبل العلاج اصلا اعرض عنه ولم يستوحش من ذلك لان التقصير من المزاج لا من الصنعة والحذق ثم اكد عدم قابليتهم
فی الفطرة مع اشارة الی ما بلحقهم من الوعيد يوم القيمة بقوله ان الله لا يظلم الا يفسرها المعتزلة بان المراد من نفی الظلم انه ما جاء
احد الی هذه القبايح والمنكرات لكنهم باختيار انفسهم اقدموا عليها واجاب الواحدی عنه بانه انما نفی الظلم عن نفسه لانه يتصرف فی ملك
نفسه فلا اعتراض عليه وانما قال ولكن الناس انفسهم يظلمون لان الفعل منسوب اليهم بسبب الكسب والتحقيق ان نفی الظلم عنه لان وقوع قبيح
القهر ضرورة ونسب الظلم اليهم لخصوص وقوعهم فی الطريق فيه رقة ثم ذكر وعيد الكفار فقال ويوم نحشرهم ای واذكر يوم نحشرهم كانهم
يلبثوا فی محل النصب علی الحال ای مشبهين بمن لم يلبث الا ساعة وقوله يتعارفون اما حال اخری وبيان لقوله كان لم يلبثوا لان التعارف
لا يبقی مع طول العهد يجوز ان يكون قوله ويوم نحشرهم متعلقا بيتعارفون والمراد باللبث قيل لبثهم فی الدنيا وقيل فی القبور استقلوا
مدة الطول اما لانهم ضيعوا اعمارهم فی الدنيا فجعلوا وجودها كالعدم او استقصروها للدهشة الحيرة او لطول وقوفهم فی المحشر او لشدة
ما هم فيه من العذاب لنسوا الذات الدنيا واستحقرها واما التعارف فقد قيل يعرف بعضهم بعضا ما كانوا عليه من الخطأ والكفر وقيل
يعرف كل واحد اهل معرفته والجمع بين ذلك وبين قوله ولا يسئل حميم حميما ان هذا تعارف توبيخ وتضليل يقول كل فريق لصاحبه انت
اضللتنی يوم كذا وانهم يتعارفون اذا بعثوا ثم ينقطع المعرفة وانما حذف جميعا فی هذه الاية اكتفاء بما فی الاية السابقة ويوم نحشرهم
جميعا ثم نقول للذين اشركوا والاية سيقت هنا لبيان حشر العابدين والمعبودين فاكد بقوله جميعا ليشمل الفريقين صرح بالله
واعلم فقد خسر استيناف فيه معنی التعجب كانه قيل ما اخسرهم وفيه شهادة من الله علی خسرانهم وجوز فی الكشاف ان يكون علی ارادة القول
ای يتعارفون بينهم قائلين قد خسر الخ بقوله وما كانوا مهتدين ای فی غاية مصالح هذه التجارة لانهم اعطوا الكثير الشريف
الباقی وقنعوا بالقليل الخسيس الفانی كمن رای جارية حسنة فيظنها جوهرة نفيسة فاشتراها بكل ماله فاذا عرضها علی الناقدين خابا
سعيه فات امله ثم سلی رسوله ﷺ فقال وإما نرينك وجوابه محذوف وقوله فإلينا مرجعهم جواب نتوفينك والمعنی وامانرينك الذی
اعدناك بعض الذی نعدهم فی الدنيا فذاك او نتوفينك قبل ان تدركهم فنحن نريكهم فی الاخرة لان مرجع الكل الينا ولقد صدق الله وعده
فعذاه فی هذه الدار خزيهم وقهرهم بالقتل والاسر والاستيلاء عليهم والاستعلاء علی ديارهم واموالهم والذی سيريه فی الاخرة اكثر واشد

يدل عليه لفظ ثم لتبعيد الرتبة في قوله ثم الله شهيد على ما يفعلون ولا يخفى لتجهد هذه الشهادة من السخط والعقاب ويحتمل ان يراد بانطاق جوارحهم يوم القيمة جعل ذلك بمنزلة شهادة الله ثم بين انه ما اهمل امة من الامم من رسول في وقت من الاوقات فقال ولكل امة رسول وزمان الفترة محمول على ضعف دعوة النبي المتقدم ووقوع موجبات التخليط في شرعه فاذا جاء رسولهم فبلغ فكذبه قوم وصدقه اخرون وقضي بينهم بالقسط اي حكم وفصل بالعدل فانجى الرسول والمصدقون وعذب المكذبون فهذه الاية نظير قوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ويحتمل ان يقال المراد ولكل امة من الامم يوم القيمة رسول يشهدون له ويدعون به فكانه تعالى يقول انا شهيد على اعمالهم ومع ذلك فاني احضرهم في موقف القيمة مع كل قوم رسولهم حتى يشهد عليهم بالكفر والايمان فاذا جاء رسولهم وشهد لهم او عليهم قضي بينهم والمراد منه المبالغة في اظهار العدل والانصاف فيكون الاية كقوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد ثم ذكر شبهة اخرى من شبهات الكفرة وذلك انهم كلما هددهم بنزول العذاب في زمان ولم يظهر ذلك العذاب كانوا يقولون متى هذا الوعد استبعادا لنزوله وتهكما في بوته وهذا مما يؤكد القول الاول في الاية المتقدمة لانه لا يجوز ان يقولوا متى هذا الوعد عند حضورهم في دار الاخرة لحصول اليقين المعرفي وايضا قوله ان كنتم صادقين لفظ الجمع موافق لقوله ولكل امة رسول ثم امره ان يجيب بما يحسم مادة الشبهة وهو قوله قل لا املك لنفسي ضرا من مرض وفقر ولا نفعا من صحة وغنى الا ما شاء الله قال العلماء انه استثناء منقطع اي ولكن ما شاء الله من ذلك كائن فكيف املك لكم الضر وجلب العذاب ثم بين ان احدا لا يموت الا بالقضاء وان العذاب كل طائفة امدا محدودا لا يتجاوز فلا وجه للاستعجال فقال لكل امة اجل الاية وقد مر تفسير الاية في اوائل الاعراف الا انه ادخل الفاء ههنا في الجزاء لانه نبى الشرط على الاستيناف والبيان بخلاف ما هنالك فانه جعل الشرط مرتبا على قوله ولكل امة اجل فلم يحسن الجمع بين الفائين ثم زيف رايهم في استعجال العذاب مرة اخرى فقال قل ارايتم اي اخبروني ان اتيكم عذابه اي في حين الغفلة والراحة او نهارا حين الاشتغال بطلب المعاش في اول الاعراف ماذا يستعجل اي شيء يستعجل منه اي من العذاب المجرمون وانما لم يقل ماذا يستعجلون منه دلالة على وجوب ترك الاستعجال وهو الاجرام لان حق المجرم ان يخاف التعذيب على اجرامه فان ابطا مجيئه فضلا عن ان يستعجل ومن للبيان او للابتداء والمعنى ان العذاب كله مولم فاي قسم منه يتقى المجرم ان يستعجل منه فاي شيء يستعجلون منه يوجب الاستعجال والمراد التعجب كانه قيل اي شيء هائل شديد يستعجلون وقيل الضمير في منه لله تعالى وجواب الشرط محذوف وهو يندمون او على الاستعجال اذ تعرفوا الخطاء فيه وماذا الجملة مفعول ارايتم ويجوز ان يكون جوابا للشرط كقولك ان اتيتك ماذا تطعمني ثم تغلق الجملة بارايتم ويجوز ان يكون اغراضا وجواب الشرط ثم اذا وقع امنتم به والمعنى ان اتيكم عذابه امنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان ودخول حرف الاستفهام على ثم كدخوله على الواو والفاء الا ان على افادة القول اي قيل لهم اذا امنوا بعد وقوع العذاب الان امنتم به وقد كنتم به تستعجلون على جهة التكذيب والانكار وقوله ثم قيل عطف على قيل المضمر قبل الان والحاصل ان الذي تطلبونه بضرر محض عار عن المنفعة والعاقل لا يطلب مثل ذلك انما قلنا انه ضرر محض لانه اذا وقع العذاب فلما ان تؤمنوا واما ان لا تؤمنوا واما ان الياس غير مقبول واما ان لا تؤمنوا فيحصل عقيب ذلك عذاب الخزي والدوام ويقال على سبيل الاهانة ذوقوا عذاب الخلد فان قلتم لهما انت الغني عن الكل فكيف يليق برحمتك هذا الوعيد والتهديد اجيبتم هل تجزون الا بما كنتم تكسبون فالجزاء مرتب على العمل ترتب المعلول على العلة كما يقوله الحكيم وترتب الاجر الواجب عند المعتزلة او بحكم الوعد المحض عند اهل السنة وتفسير الكسب مذكور في البقرة في قوله لها ما اكتسبت ولكم ما كسبتم ثم حكى عنهم بعد هذه البيانات استفهموا اثارة اخرى عن تحقيق العذاب فقال ويستنبئونك احق هو وهو استخبار على جهة الاستهزاء والانكار اي حق ما تعدنا به من نزول العذاب في العاجل وهذا السؤال جهل محض لانه تقدم ذكره مع الجواب مرة واحدة فلا وجه لاعادته ولانه قد تبين بالبراهين القاطعة صحة نبوة محمد فيلزم القطع بصحة كل ما اخبر عن وقوعه قيل المراد احق ما جئت به من القرآن والشرع وقيل اي ما تعدنا من البعث والقيمة فامره الله تعالى بجوابهم بقوله قل اي ربي ومعناه نعم ولكنه مستعمل مع القسم البتة وفائدة هذا القسم جوابهم ان يكون قد برهن الكلام معهم على الوجه المعتاد بينهم استمالة لقلوبهم ومن الظاهر ان من اخبر عن شيء واكده بالقسم فقد اخرجه عن حد الهزل وادخله في باب الجد فقد يكون هذا القدر مقنعا اذا لم يكن الخصم الد ثم اكد مضمون المقسم عليه بقوله وما انتم بمعجزين فانين العذاب والغرض التنبيه على ان احدا لا يدافع نفسه عما اراد الله وقضى ثم زاد في التاكيد بقوله ولو ان لكل نفس الاية وقد مر مثله في ال عمران والمائدة وقوله وظلمت صفة لنفس اما قوله واسروا الندامة فقد قيل الاسرار بمعنى الاظهار والهمزة للسلب اظهروا الندامة حيث لضعفهم وليس هناك تجلد المشهود انه الخفاء وسببه انهم بهتوا حين عاينوا قيل الاسرار بمعنى الاظهار والهمزة للسلب ما سلبهم قواهم فلم يطيقوا اصرارا ولا بكاء او اخفوا الندامة من سفلتهم واتباعهم حياء منهم وخوفا من توبيخهم وهذا التوبيخ او لما يرون العذاب اما عند احاطة النار بهم فلا يبقى هذا التماسك اذ اراد بالاخفاء الاخلاص لان من اخلص في الدعاء اسره وفيه فضيحتكم بهم وباخلاصهم لانهم انوا بذلك في غير وقته وقضي بينهم بالقسط وقيل اي بين المؤمنين والكافرين وقيل بين الرؤساء والاتباع وقيل بين الكفار بانزال العقوبة عليهم وقيل بين الظالمين من الكفار والمظلومين منهم فيكون في ذلك القضاء تخفيف من عذاب بعضهم وتثقيل لعذاب بعضهم

وان اشركوا

وان اشترك كلهم في العذاب ثم ذكر في تبيين انه جميع ما قدر بحكم الملكية والقدرة على الاحياء والاماتة والابداء والاعادة وقيل وجه النظم انه لما ذكر حديث الاقتدار بين انه ليس لنظام شيء يقتدي به فان كل الاشياء ملكه وملكه وقيل انه لما اقسم على حقية ما جاء به النبي وكان دليلا اقناعيا اراد ان يصححها بالبرهان النيري فذكر ان كل ما في هذا العالم من نبات وحيوان وجسد وروح وظلمة ونور وعلوي وسفلي بسيط ومركب فهو ملكه فلكونه قادرا على جميع الممكنات يقدر على ايصال الرحمة الى اوليائه والعذاب الى اعدائه ولكونه منزها عن النقايص في الافعال يكون بريئا عن الخلف في الوعد والايعاد وفي تصدير الكلام بكلمة الا تنبيه للغافلين وايقاظ للنائمين وتقريع للناظرين في الاسباب الظاهرة الغافلين عن البيان للامير والدار للوزير والغلام لزيد والجارية لعمرو ولا يعلمون ان كلها عواري ودايع ولا بد يوما ان ترد الودايع واعلم ان الطريق الى اثبات نبوة الانبياء باموور احدها اظهار المعجزة على يده مطابقا لدعواه وقد قرره الله سبحانه في هذه السورة على احسن الوجوه حيث قال ما كان هذا القرآن ان يفترى الى تمام الاية والثاني ان نعلم بعقولنا ان الاعتقاد الحق والعمل الصالح ما هو وكل من جاء ودعا الخلق الى ذلك وادعى الرسالة وكان لنفسه قوة تكميل الناقصين غلب على ظننا انه النبي الحق فاشار سبحانه الى هذا الطريق بقوله قل يا ايها الناس الاية فوصف القرآن بصفات اربع الاولى كونه موعظة والمراد بها الزجر عما لا ينبغي كالطبيب ينهى المريض اولا عما يضره الثانية كونه شفاء لما في الصدور لحصول العقايد الحقة والاخلاق الحميدة فيها بدل اضدادها كالطبيب يعيد الصحة بدل المرض والاخلاط المحمودة بدل الاخلاط الفاسدة بالمعالجات الصائبة والادوية النافعة الثالثة لحصول الهدى بسببه ذلك انه اذا زالت الملكات الردية التي طبيعتها الظلمة وصارت مراة النفس مصقولة محاذية لعالم القدس تطبع فيها نقش الملكوت وتجلى لها قدس الاهوت الرابعة كونه رحمة للمؤمنين وذلك بان تصير النفس بالغة الى هذه الدرجات الروحانية والمعارج الربانية بحيث تفيض انوارها على ارواح الناقصين فيضل النور من جوهر الشمس على اجرام هذا العالم وانما خص المؤمنين بهذه الرحمة لان كل روح لم يتوجه الى خدمة ارواح الانبياء المطهرين لم ينتفع بانوارهم كما ان كل جرم لم يقع في مواجهة قرص الشمس لا يستضيء بنورها والحاصل ان الموعظة اشارة الى تطهير ظواهر الخلق عما لا ينبغي وهو الشريعة والشفاء اشارة الى تطهير الارواح عن العقايد الفاسدة والاخلاق الردية بتحصيل اضدادها وهي الطريقة والهدى عن ظهور نور الحق في فلوات الصدور بيقين وهي الحقيقة والرحمة اشارة الى كونها بالغة في الكمال والاشراق الى حيث يصير مكملة للنبوة وهي النبوة والله ارشد سبحانه الى الطريق الموصل الى السعادات الباقية الروحانية ذكر انها هي التي يجب ان يكمل الفرح بحصولها وبالسعادات الفانية الجسمانية فقال قل بفضل الله وبرحمته قال في الكشاف اصل الكلام بفضل الله وبرحمته فليفرحوا فبذلك فليفرحوا والتكرير للتقرير والتاكيد لا يجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما من فوايد الدنيا فحذف احد الفعلين لدلالة الاخر عليه والفاء داخلة لمعنى الشرط كانه قيل ان فرحوا باشيء فليخصوهما بالفرح وجوز ان يراد بفضل الله وبرحمته فليعتنوا بذلك فليفرحوا وان يراد قد جاءكم موعظة بفضل الله وبرحمته فبذلك اي بمجيئها فليفرحوا وعلى هذا يكون قد اعراضا ومن قرأ بتاء الخطاب فمعناه على ما نقل عن زيد بن ثابت فبذلك فلتفرحوا ايا اصحاب محمد هو خير مما تجمع الكفار ونسبت هذه القراءة الى النبي وهو الاصل والقياس لانه دال على الامر بالفرح واشد تحريضا بزعمنا قلنا انا الاصل لان حكم الامر في المخاطب والغايب واحد الا انه خفف امر المخاطب بحذف اللام وبحذف حرف المضارعة لكثرة الاستعمال فاضطر الى همزة الوصل ومن قرأ يجمعون بناء الخطاب فلتغلب الخطاب على الغايب جميعا الا انه غلب الخطاب كما يغلب التذكير وكانه اراد المؤمنين وفيه حث لهم على ترجيح الجواذب العقلية الروحانية على الدواعي النفسانية الجسدانية لانه لا معنى لهذه اللذات الجسمانية الا دفع الالام والمعنى العدمي لا يستحق الفرح به وبتقدير ان تكون صفات الثبوتية الا ان التضرر بالامها اقوى من الانتفاع بلذاتها فلا نسبة للذة الوقاع وهي اقوى اللذات الى الم القولنج وسايير الالام القوية وايضا ان مداخل اللذات الجسمانية معظمها البطن والفرج ومداخل الالام كل اجزاء من اجزاء البدن وايضا اللذات الجسمانية لا بقاء لها مثلا اذا زال الم الجوع زال الالتذاذ بالاكل وكل ما كان فناؤه لذاته لا يستدعي فرح العاقل بحصوله ولو حصل في لذة الاكل والوقاع الا اغماب الحواس والجوارح وتعقد ماتها ولواحقها الكفى ومن المعلوم ان الفرح الحاصل بحصول الولد لا يعادل الحزن الواقع عند موته وفيه قال المعري ان حزنا في ساعة الموت لاشعاف سرور في ساعة الميلاد فتبين بهذه الوجوه ان ما الفرح انما يجب ان يكون بالروحانيات الباقيات لا بالجسمانية الزائلات اما المفسرون فقد قالوا فضل الله الاسلام ورحمته ما وعد عليه من القرآن الى بن كعب ان رسول الله ﷺ تلا قل بفضل الله وبرحمته فقال بكتاب الله والاسلام ومثله ما روي عن ابي سعيد الخدري فضل الله القرآن ورحمته ان جعلكم من اهله ثم اشار الى طريق ثالث في اثبات النبوة فقال قل ارايتم الاية وتقريره انكم تحكمون بحل بعض الاشياء وحرمة بعضها فان كان هذا لمجرد التشهي فذلك طريق باطل معجوج بالاتفاق لادائه الى المنازع والتناجر واختلاف الاراء وافتراق الاهواء وان كان لانه حكم الله فيكم فبم عرفتم ذلك فان كان بقول رسول ارسله اليكم فقد اعترفتم بصحة النبوة والا كان افتراء على الله وفي الاية ايضا اشارة الى فساد طريقتهم في شرايعهم واحكامهم من تحريم السوائب والبحاير وقولهم هذه انعام وحرث حجر وغير ذلك مما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل ءالله اذن لكم وقل مكررا للتاكيد الرابط محذوف ومجموع المبتدا والخبر متعلق بما رايتم والمعنى اخبروني الذي انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه

الجزء الحادي عشر

حراما وحلالا قل آلله أذن لكم في تحريمه وتحليله أم على الله تفترون وعن الزجاج ان ما في آنزل بمعنى الاستفهام منصوبا بانزل وانزع
[illegible] مفعول لرأيتم معناه اخبروني على هذا يكون قل الله كلاما مستانفا ومعنى انزل خلق وانشاء كقوله وانزل لكم من الانعام ثمانية
ازواج وذلك ان كل ما في الارض من زرع او ضرع فانه بسبب الماء النازل من السماء قال في الكشاف ويجوز ان يكون الهمزة في الله للانكار ويم
منقطعة بمعنى بل انفترون على الله تقريرا للافتراء ثم قال وما ظن الذين يعني اي شيء ظنهم في ذلك اليوم وما يصنع بهم فيه وهو في صورة الاستعلام
ولكن المراد تعظيم وعيد من يفتري على الله حيث يهمله ولا يزاجره للمفتري في الاحكام بغير علم فليتق الله وليحذر ان الله لذو فضل
على الناس اذ انعم عليهم بالعقل وزجرهم بارسال النبي وتعليم الشرايع ولكن اكثرهم لا يشكرون هذه النعم بجحد بنبيه ومخالفة النبأ وبل فاتحة
لتضمع الصم اذان القلوب فانت تهدي العمي على بصارة البصائر ويوم نحشرهم حشر العوام خروج اجسادهم من القبور الى المحشر وحشر الخواص
خروج ارواحهم الاخروية من قبور اجسامهم الدنيوية بالسير السلوك وحشر الاخص خروجهم من قبور الانانية الروحانية الالهوية الربانية كما
قال يوم نحشر المتقين الى الرحمن كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار لانه لا تستبلدة الدنيا الى ما بين الازل والابد يتعارفون بينهم بعرفان
تفاوت مقامات كل صنف من هؤلاء واما نرينك بعض الذي نعدهم بشرط الايمان من نعيم الجنان ولقاء الرحمن او نتوفينك فنبلغك
اقصى المراتب في مقامك المحمود فالينا مرجعهم رجوعا اضطراريا لا اختياريا ثم الله شهيد على ما يفعلون من خيانة الدارين ولكل امة
رسول في الظاهر من الانبياء وفي الباطن من الهام الحق لكل امة اجل في استكمال السعادة والشقاوة بيانا اي في الازل او نهارا اي يظهر
الان ما قد لكم في الازل قل اني ربي انه لحق اي اقسم بربي الذي يربيني ان وقوع الاموال اخروية حق لا ريب عرب على الجنة والنار ليلة
المعراج فلا تستبعدوا ذلك الا ان لله ما في سموات الارواح وارض القلوب والنفوس الا ان وعد الله لاهل السعادة ولاهل الشقاوة
في الازل حق هو يحيي قلوبا بعضهم بالمعرفة ويميت قلوبا اخرين بالجهل ويحيي بالنور ويميت بالظلمة او يحيي بصفة الجمال يا ايها الناس
قد جاءتكم موعظة هي خطاب الست بربكم وهو دواء العشق وشفاء من ذل الدعوى وهو توفيق اجابة بلى التي في الصدور وهو
القلب في نهاد ره صدف الصدر وهدى عناية خاصة اذ الدعوة عامة والهداية خاصة ورحمة اتصال المداد الفيضان يبلغ غاية
الكمال في الفوز بالوصول والوصال قل بفضل الله وهو اسماع الخطاب ورحمته وهو الابقاء على هذا القول الخطاب فليفرحوا هو خير مما يجمعون اهل
الدنيا في دنياهم ما انزل الله لكم من رزق القلوب والارواح فضلا عن النفوس والاشباح من الواردات والشواهد فجعلتم منه حراما
على انفسكم وحلالا على غيركم اي حدثت انفسكم بان تحصيل هذه السعادات دنيل تلك الكرامات ليس من شاننا وانما هو من شان
الانبياء وخواص الاولياء قل آلله اذن لكم ان تعرضوا عن هذه المقامات وتحيلوها الى غيركم وتركنوا الى الدنيا وزخارفها ام
على الله تفترون بان الدعوة اختصتهم دوننا ان الله لذو فضل على الناس بتوبيته الاستعداد الفطري وما تكون في
شان وما تتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال
امر وكوائي ازان هيچ خواندن ونكنيد هيچ كار كه ما بانهم برسنا كواهان هنكا مكه شروع ميكنيد دران وبنهان نماند از پروردكار تو هموزن
ذرة في الارض ولا في السماء ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم
ذره ودر زمين ونه در آسمان ونه كوچكتر ازآن ونه بزرگتر مكر در كتاب روشن آكاه باشيد كه دوستان خدا نه ترسي بر ايشان ونه
يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم
اندوهكين ميشوند آنانكه كروبدند وبيوسته كه بر هيزكار ميكردند مر ايشان راست بشارت در زندكاني دنيا ودر آخرت نيست تبديلي سخن خدا را اين آن كاميابي بزرك
ولا يحزنك قولهم ان العزة لله جميعا هو السميع العليم الا ان لله من في السموات ومن في الارض وما يتبع الذين يدعون
وبشبه نكند ترا كفتار ايشان بدرستيكه عزت مر خداراست همكي او شنوا ودانا آكاه باشيد بدرستيكه مر خداراست هركه در آسمانها ودر زمين است وبرو دكار ميكنند آنانكه ميخوانند
من دون الله شركاء ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا
از غير خدا شريكان را بدروغ ميكنند كمكار انديشند ايشان كه كمان بد دروغ ميكويند او است كه كردانيد براي شما شب را تا ارام كيريد در آن وروز را بينا
ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغني له ما في السموات وما في الارض ان عندكم
بدرستيكه در اين آيتها براي جمعي كه ميشنوند كفتند كرفت خدا فرزندي را منزه است او از نياز مر او راست آنچه در آسمانها وآنچه در زمين است نيست شما را
من سلطان بهذا اتقولون على الله ما لا تعلمون قل ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع في الدنيا ثم
هيچ حجتي بدين لا بكوئيد بر خدا آنچه نميدانيد بكو بدرستيكه آنانكه مر ميبندند دروغ را رستكار نميشوند ما يه بهره اي است در دنيا پس
الينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون القراءة شان بغيرهم حيث كان ابو عمرو وغير شجاع والاعشى
بازكشت ايشان بس بحشم ما است نر اعذاب سخت بدوانان را كه كافر شدند يزيد بها الا صفهاني عن ورش وحمزة في الوقف يغرب بالكسر حيث كان
على الباقون بالضم ولا اصغر ولا اكبر بالرفع فيهما حمزة وخلف سهل ويعقوب والمفضل الاخرون بالنصب الوقوف تفيضون فيه مبين

يحزنون

يحزنون ج لان الذين يجعل صفة لاولياء ويصلح نصبا ورفعا على المدح فيوقف على يتقون ط او صفة لهم فلا توقف على يتقون وفي الاخرة ط لكلمات الله ط العظيم ط لانه لو وصل لاوهم ان الضمير عائد الى اولياء وقول الاولياء لا يحزن الرسول قولهم لئلا توهم ان قولهم ان العزة مقول الكفار جميعا ط العليم الارض ط شركاء ط يخرصون مبصرا ط ليسمعون سبحانه ط العنى ط وما في الارض ط ان هم ط لا يعلمون لا يفترون ط يكفرون التفريق بين فساد طريقة الكفار في عقايدهم واحكامهم بين كونه سبحانه عالما بعمل كل احد بما في قلبه من الدواعي والصوارف والرياء والاخلاص وغير ذلك فقال وما تكون يا محمد في شان اي امر من الامور واصله الهمز بمعنى القصد من شانت شانه اذا قصدت حصده قال ابن عباس اي في شان من اعمال البر وقال الحسن في شان الدنيا وجمعها وما في وما يكون وما تتلوا نافية والضمير في منه لله عز وجل اي نازل من عنده واما للشان لان تلاوة القرآن شان من شؤون رسول الله ﷺ بل هو معظم شانه ولهذا افرد بالذكر كقوله وملائكته وجبريل وميكال واما للقرآن والاضمار قبل الذكر تفخيما له لانه قبل وما تتلو من التنزيل من قرآن لان كل جزء منه قرآن ثم عمم الخطاب فقال ولا تعملون ايها المكلفون من عمل اي عمل كان الا كنا عليكم شهودا اشهد رقيبا والجمع للتعظيم او لان المراد الملائكة الموكلون اذ تفيضون فيه الافاضة الشروع في العمل على جهة الانصباب والاندفاع ومنه قوله فاذا افضتم من عرفات قبل شهادة الله عليه تدل على ان كل من علم شيئا علم انه لا يعلم الاشياء الا عند وجودها والجواب ان الشهادة علم خاص لا يلزم منه امتناع تقدم العلم المطلق على الشيء كما اخبرنا الصادق ان زيدا يفعل كذا غدا فنكون عالمين بذلك لا شاهدين ثم زاد في التعميم فقال وما يعزب عزب يعزب اي بعد لا يغيب منه كل غائب اي بعيد والرجل الغريب لبعده عن الاهل ومعنى مثقال ذرة قدر في قوله ان الله لا يظلم مثقال ذرة وذلك في سورة النساء والمقصود انه لا يغيب عن علمه شيء اصلا وان كان في غاية الحقارة وانما قال ههنا في الارض ولا في السماء خلاف ما في سورة سبا وهو المعهود في القرآن لان الكلام سيق لشهادته على شؤون اهل الارض فناسب ان يقدم ذكرها في الارض هذا بعد تسليم ان الواو بمعنى الترقي بالغ في تعميم علمه فقال ولا اصغر من ذلك ولا اكبر من قرأ بالنصب على نفي الجنس وبالرفع على الابتداء ليكون كلا براسه فلا اشكال واما من جعل صفة ثانية معطوفا على لفظ مثقال لانه في موضع الجر بالفتح لامتناع الصرف وجعل رفعه معطوفا على محل مثقال لانه فاعل يعزب ورد عليه الاشكال وهو انه يصير تقدير الاية لا يغيب عليه شيء في الارض ولا في السماء الا في كتاب يلزم منه ان يكون ذلك الشيء الذي في الكتاب خارجا عن علم الله وانه محال ويمكن ان يجاب عنه بان الاشياء المخلوقة قسمان قسم اوجد الله تعالى ابتداء من غير واسطة كخلق الملائكة والسموات والارض وقسم اوجده بواسطة القسم الاول من حوادث عالم الكون والفساد والاشك ان هذا القسم الثاني مبتدأ في سلسلة العلية والمعلولية عن مرتبة واجب الوجود فالمراد من الاية انه لا يبعد عن مرتبته وجوده شيء في الارض ولا في السماء الا هو في كتاب مبين وهو كتاب اثبت فيه صور تلك المعلومات والغرض الرد على زعم من زعم انه تعالى غير عالم بالجزئيات ويقول ان الاستثناء منقطع بمعنى لكن هو في كتاب مبين وذكر ابو علي الجرجاني صاحب النظم ان لا بمعنى الواو على ان الكلام قد تم عند قوله ولا اكبر ثم وقع الابتداء بكلام اخر فقال الا في كتاب اي هو مثبت في كتاب مبين والعرب يضع الا موضع الواو والنسق كثيرا ومنه قوله اني لا يخاف لدي المرسلون الا من ظلم يعني ومن ظلم وقوله لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا يعني الذين ظلموا انهم انما بين احاطته بجميع الاشياء وكان في ذلك تقوية قلوب المطيعين وكسر قلوب المذنبين اتبعها تفصيل حال كل فريق فقال الا ان اولياء الله الاية والتركيب يدل على الفرق فكانهم قرنوا منه تعالى استغراقهم في نور معرفته وجماله وجلاله فقال ابو بكر الاصم هم الذين تولى الله هدايتهم بالبرهان وتولوا القيام بحقوق عبوديته والدعوة اليه فقال المتكلمون ولي الله من يكون اتيا بالاعتقاد الصحيح المبني على الدليل ويكون اتيا بالاعمال الصالحة الواردة في الشريعة وعنوا بذلك قوله تعالى في صفتهم الذين امنوا وهو اشارة الى كمال حال القوة النظرية وكانوا يتقون وهو اشارة الى كمال حال القوة العلمية وههنا مقام اخر وهو ان يحمل الايمان على مجموع الاعتقاد والعمل ويكون الولي متقيا في كل الاحوال ما في وقت العلم فانه تعالى لا يقدر ان يكون مقصودا على ما عرفنا ويكون كل وصف ذاما في مقام العمل فان من يتعبد وعبادته قاصرة عما ينبغي بكبريائه تعالى لا يكون ابدا في الخوف والدهشة واما نفي الخوف والحزن عنهم فقد مر تفسيره في اوائل سورة البقرة وعن سعيد جبير ان رسول الله ﷺ سئل من اولياء الله فقال الذين يذكر الله برؤيتهم يعني ان مشاهدتهم يذكر الاخرة لما فيهم من اثار الخشوع والاخبات والسكينة وعن عمر ان النبي ﷺ يقول ان من عباد الله عبادا ما هم بانبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيمة لمكانهم من الله فقالوا يا رسول الله اخبرنا منهم وما اعمالهم فلعلنا نحبهم قال هم قوم تحابوا في الله على غير ارحام بينهم ولا اموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلى منابر من نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس ثم قرأ الاية يحكى ان ابرهيم الخواص كان في البادية ومعه واحد يصحبه فاتفق في بعض الليالي ظهور حالة قوية وكشف تام له فجلس في موضع فجاء السباع ودفعوا بالقرب منه والمريد يتسلق اعلى راس شجرة خوفا منها والشيخ كان فارغا من تلك السباع فلما اصبح وزال تلك الحالة ففي الليلة الثانية وقعت بعوضة على يده وظهر الجزع من تلك البعوضة فقال المريد كيف تليق هذه الحالة بما قبلها فقال الشيخ تحملنا البارحة ما تحملناه بسبب قوة الواردة الغيبية

فلما غاب ذلك الوارد فانا اضعف خلق الله ثم اخبر الله سبحانه عنهم بان لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الاخرة فقيل بشراهم في الدنيا ما بشر الله به المؤمنين المتقين في غير مكان في كتابه بقوله الذين امنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات وقيل لها عبارة عن محبة الناس لهم وعن ذكرهم اياه بالثناء الحسن عن ابي ذر رضه قلت لرسول الله ص ان الرجل يعمل العمل لله ويحبه الناس قال تلك عاجل بشرى المؤمن الدليل على ان الكمال محبوب لذاته فكل من اتصف بصفة الكمال كان محبوبا بالكل احد اذا اتصف لم يحمده ولا كمال للعبد اعلى واشرف من كونه مستغرقا القلب في معرفة الله معرضا عما سواه ونور الله مخدوم بالذات ففي اي قلب حصل كان مخدوما بالطبع لما سوى الله قيل هي الرويا الصالحة وعنه ص الرويا الصادقة جزء من ستة واربعين جزء من النبوة وسبب تخصيص هذا العدد ان النبي ص استبنى بعد اربعين سنة الى كمال عمره وهو ثلث وستون سنة وكان بدايته الوحي اولا بطريق المنام ستة اشهر ونسبة هذه المدة الى ثلث وعشرين سنة التي هي جميع مدة الوحي نسبة الواحد الى ستة واربعين واما ان الرويا الصادقة توجب البشارة فلان الهام لسبب صفاء القلب واتصال النفس الى عالم القدس والاطلاع على بعض ما هنالك وعن عطاء البشرى في الدنيا هي البشارة عند الموت تنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة وانا البشرى في الاخرة فتلقى الملائكة اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة وما يرون من بياض وجوههم واعطاء الصحائف بايمانهم وما يقرؤن منها الى خواتمها في الجنة لا تبديل لكلمات الله لا تغيير لقوله ولا خلف لمواعيده وقد مر مثله في الانعام ذلك اشارة الى كونهم مبشرين في الدارين وكلتا الجملتين اعتراض ولا يجب ان يقع بعد الاعتراض كلام يقول فلان ينطق بالحق والحق ابلج قال القاضي لا تبديل لكلمات الله يدل على انها قابلة للتبديل وكل ما يقبل العدم امتنع ان يكون قديما ومحل المنع ظاهر فان نفي شيء عن شيء لا يلزم منه امكانه لقول الموحد لا شريك لله ثم سلى رسوله عن صنيع الفريق المكذبين فقال ولا يحزنك ويقول لئن كان الحزن عنه في الاخرة بقوله الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فلان الحزن عنه في الدنيا بقوله ولا يحزنك قولهم اي تكذيبهم لك وتهديدهم بالحتم والاموال وفشادهم في تدبير هلاكك وابطال امرك وبالجملة كلها يتكلمون به في شأنك من المطاعن والقوادح ثم استأنف قوله ان العزة لله كانه قيل لم لا احزن فقيل لان العزة لله جميعا ان الغلبة والقهر بحزبه كتب الله لاغلبن انا ورسلي وقرئ ان بالفتح لا على انه بدل فان ذلك يؤدي الى ان القوم كانوا يقولون ان العزة لله جميعا والرسول كان يحزنه ذلك وهذا كفر بل لان التقدير لان العزة على صريح التعليل وكان رسول الله ص واثقا بوعد الله تعالى في جميع الاحوال وان كان قد يقع في بعض الحروب والوقايع انكسار وهزيمة فان الامور بخواتيمها ثم اكد الوعد بقوله هو السميع العليم ليسمع ما يقولون ويعلم ما يدبرون فيكفيك شرهم ثم زاد في التاكيد مع اشارة الى فساد عقيدة المشركين فقال الا ان لله من في السموات ومن في الارض فخصص ذوي العقول اما للغلبة او لان الاية سيقت لبيان فساد عقايد اهل الشرك فذكر ان العقلاء المميزين وهم الملائكة والثقلان كلهم عبيده ولا يصلح احد منهم لان يكون شريكا له فما ورائهم ممن لا يسمع ولا يعقل كالاصنام اولى بان لا يكون ندا له ثم اكد هذا المعنى بقوله وما يتبع ما نافية ومفعول يدعون محذوف اي ليس يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء شركاء في الحقيقة انما هي اسماء لا مسميات لها لان شركة الله في الربوبية محال وانما حذف احد المكررين للدلالة فالاول مفعول يدعون والثاني مفعول يتبع ويجوز ان يكون ما استفهامية بمعنى اي شيء يتبعون وشركاء على هذا نصب بيدعون ولا حاجة الى اضمار ويجوز ان يكون ما موصولة معطوفة على من كانه قيل لله ما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء اي له وشركاؤهم ثم زاد في التاكيد فقال ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون وقدر مثله في سورة الانعام ثم ذكر طرفا من آثار قدرته مع اشارة الى بعض نعمه فقال هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه طلبا للراحة والنهار مبصرا اذ الابصار باعتبار صاحبها اي جعله مضيئا لتهتدوا به في حوايجكم وهذان طرف من منافع الليل والنهار ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون سماع تامل وتدبر وقبول ثم حكى نوعا اخر من اباطيلهم فقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه وقد مر في البقرة ولما نزه نفسه عن اتخاذ الولد برهن على ذلك بقوله هو الغني وتقريره ان الغنى التام يوجب امتناع كونه ذا اجزاء وحصول الولد لا يتصور الا بعد انفصال جزء منه يكون كالبذر بالنسبة الى النبات وايضا انما يحتاج الى الولد الى توليد المثل الذي يقوم مقامه من يكون بصدد الانقضاء والانقراض فالازلي القديم لا يفتقر الى الولد ولا يصح له مثل وايضا الغني لا يفتقر الى الشهوة ولا الى اعانة الولد ولو صح ان يتولد منه مثله لصح ان يكون هو اياه متولدا من مثله ولا يشكل هذا بالولد الاول من الاشخاص الحيوانية فان المدعى هو الصحة لا الوقوع ثم بالغ في البرهان فقال له ما في السموات وما في الارض واذا كان الكل ملكه وعبيده فلا يكون شيء منها ولدا له لان الاب يساوي الابن في الطبيعة بخلاف المالك ثم زيف عقايدهم الفاسدة فقال ان عندكم من سلطان بهذا اي ما عندكم من حجة بهذا القول قال في الكشاف والباء حقها ان يتعلق بقوله ان عندكم على ان يجعل القول مكانا للسلطان كقولك ما عندكم فيما ادعيتم موز كانه قيل ان عندكم فيما تقولون سلطان اقول كانه نظر الى ان استعمال الباء بمعنى في اكثر منه بمعنى على ثم وبخهم على القول بلا دليل ومعرفة فقال اتقولون على الله ما لا تعلمون ثم اوعدهم على فريتهم فقال قل ان الذين يفترون الاية ثم بين ان ذلك المفترى ان فاز بشيء من المطالب العاجلة والمارب الخسيسة

من یاته ظاهر وعرض زایل فذلك متاع قلیل فی الدنیا ثم لابد من الموت والرجوع الی حکم الله ثم حصول الشقاء المؤبد والعذاب الالیم اعاذنا
الله منه انا وبل وما تکون فی شأن من النبوة وما تتلو من شأن النبوة من قرآن وما تعملون یا امة محمد من عمل من الاعمال الا کنا
النبوة من قبول القرآن ورده من مثقال ذرة مما اظهر من حرکة فی ارض البشریة بعمل من اعمال الخیر والشر ولا فی السماء ای فی سماء القلوب
بالنیات الصالحة والفاسدة ولا اصغر من الحرکة وهو القصد دون الفعل ولا اکبر من النیة وهو العمل الا ان اولیاء الله الذین هم اعداء
النفوس لا خوف علیهم من حیث النظر بنفوسهم ولا هم یحزنون علی ما فاتهم من شهوات النفوس للعذة القائمة بنیتهم هم البشریة فی الحیوة
الدنیا بالرفایع والمبشرات فی الاخرة بکشف القناع عن جمال العزة لا تبدیل لکلمات الله لاحکامه الازلیة حیث قال المولی کن لیا
وللعدو کن عدوا لا یحزنك یا رسول القلب قول مشرکی النفوس فی تزیین شهوات الدنیا ولذاتها فی نظرك ان العزة لله جمیعا یعز من یشاء فی
الدنیا وفی الاخرة جمیعا فلا یمنعه نعیم الدنیا عن نعیم الاخرة بل ربما یعینه علی الاخرة کما جاء فی الحدیث الربانی ان من عبادی من لا یصلحه الا الغنی
فافقره فیفسده ذلك الا ان لله من فی السموات والارض ای القلوب السماویة والنفوس الارضیة ان یتبعون الا الظن ای یظنون انهم
یتبعون شرکاء الدنیا والهوی باختیارهم لا باختیارنا هو الذی جعل لکم لیل البشریة لتسکنوا فیه تتبعا لمجاهدات وتزول عنکم الملالة
والکلالة ولهار الروحانیة لتضیاء وبصیرة یبصر بها مصالح السلوك والترقی فی المقامات لقوم یسمعون حقایق القرآن بسمع القلوب
الواعیة ثم اخبر عن الشبهات التی تقع فی اثناء السلوك فقالوا ای مشرکوا النفوس عند تجلی الروح بالخلافة فی صفة الربوبیة معترفا بتجلی صفة
ابداع الحق وبمبدعیة الروح مع کمال قربه واختصاصه بالحق عند بقاء تصرفات الخیال حتی یثبت الابوة والنبوة بین الله وبین العبد
النبوة اخص المتعلقات بالوالد وهذا الکشف هو الاشد اهو مبنی ضلالة الیهود والنصاری له ما فی السموات الروحانیة من الکشوف والاحوال
وما فی الارض البشریة من الوهم والخیال وما یتبعان من الشبهات والافات ان الذین یفترون هم النفوس الامارة بالسوء لا یفلحون
لا یظفرون بکشف الحقایق ثم تذییلهم لان الناس نیام فاذا ماتوا انتبهوا فاحسوا بالالم والله اعلم واتل علیهم نبأ نوح اذ قال
لقومه یا قوم ان کان کبر علیکم مقامی وتذکیری بآیات الله فعلی الله توکلت فاجمعوا امرکم وشرکاءکم ثم لا یکن
امرکم علیکم غمة ثم اقضوا الی ولا تنظرون فان تولیتم فما سألتکم من اجر ان اجری الا علی الله وامرت ان اکون من
المسلمین فکذبوه فنجیناه ومن معه فی الفلك وجعلناهم خلائف واغرقنا الذین کذبوا بآیاتنا فانظر کیف کان عاقبة
المنذرین ثم بعثنا من بعده رسلا الی قومهم فجاءوهم بالبینات فما کانوا لیؤمنوا بما کذبوا به من قبل کذلك نطبع علی
قلوب المعتدین ثم بعثنا من بعدهم موسی وهرون الی فرعون وملائه بآیاتنا فاستکبروا وکانوا قوما مجرمین
فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا ان هذا لسحر مبین قال موسی اتقولون للحق لما جاءکم اسحر هذا ولا یفلح الساحرون
قالوا اجئتنا لتلفتنا عما وجدنا علیه آباءنا ویکون لکما الکبریاء فی الارض وما نحن لکما بمؤمنین وقال فرعون ائتونی
بکل ساحر علیم فلما جاء السحرة قال لهم موسی القوا ما انتم ملقون فلما القوا قال موسی ما جئتم به السحر ان الله سیبطله
ان الله لا یصلح عمل المفسدین ویحق الله الحق بکلماته ولو کره المجرمون فما آمن لموسی الا ذریة من قومه علی خوف
من فرعون وملائهم ان یفتنهم وان فرعون لعال فی الارض وانه لمن المسرفین وقال موسی یا قوم ان کنتم آمنتم بالله
فعلیه توکلوا ان کنتم مسلمین فقالوا علی الله توکلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمین ونجنا برحمتك من
القوم الکافرین واوحینا الی موسی واخیه ان تبوءا لقومکما بمصر بیوتا واجعلوا بیوتکم قبلة واقیموا الصلوة وبشر

موقوفه آستان قدس رضوی
آستان قدس

المؤمنين وقال موسى ربنا انك اتيت فرعون وملأه زينة واموالا في الحيوة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا
گردنہا گرا وگفت موسی پروردگارا بدرستیکہ تو داده فرعون وجماعتش را پیرایہا در زندگانی دنیا پروردگارا تا گمراه کنند از راه تو پروردگارا
اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم قال قد اجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان
اجرا گردان بر مالہاشان وسخت گردان بر دلہاشان پس ایمان نیارند تا نبینند آن عذاب دردناک را گفت بتحقیق که اجابت کرده شد دعای شما پس ثابت باشید واز پی بروید
سبيل الذين لا يعلمون وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فاتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى اذا ادركه الغرق قال
راه نادانان را نمیدانند وگذرانیدیم بنی اسرائیل را از دریا پس پی در پی رسید بایشان فرعون وشکر بایش از روی ستم وتعدی تا چون دریافتش فرو گرفت
امنت انه لا اله الا الذي امنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين آلان وقد عصيت من قبل وكنت من المفسدين
ایمان آوردم که نیست الہی مگر که بدو بنداد فرزندان یعقوب ومن از منقادانم اکنون وتحقیق که نافرمانی کردی پیش ازین وبودی از کنندگان کار
فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وان كثيرا من الناس عن اياتنا لغافلون القراءة وشركاؤكم بالرفع يعقوب ان
پس امروز نرهانیم ترا ببدن تو تا بوضع بندی برای آنکہ بعد از خود آیتی باشی برآن که بعد از تو بیایند از آنہا ایمان آرند وبسیاری از مردم از آیتہای ما البتہ غافلند اجوی بفتح الیاء حیث کان ابو جعفر و
نافع وابو عمرو وابن عامر وحفص ويكون للكبياء الغيبة حماد ويزيد وزيد الباقون بناء الثانية الخطاب للمدبرين ابو عمرو وان تبوءا بالياء
الخزاز وحمزة في الوقف وان شاء بين الهمزة الاخرون بالهمز ليضلوا بضم الياء حمزه وعلى وخلف عاصم عن المفضل والباقون بفتحها ابن عامر غير الحلواني عن هشام تتبعان بتخفيف النون
ابن عامر غير الحلواني عن هشام تتبعان خفيفة التاء والنون ابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان وفي كلتا القراءتين خففت النون ثم
كسرت لالتقاء الساكنين تشبيها بنون التثنية الباقون والحلواني عن هشام تتبعان بتشديدهما في الحالين امنت بكسر الهمزة على الاستئناف
بدلا من امنت همزة وعلى وخلف الاخرون بالفتح بخبيك من الاجتباء سهل ويعقوب قتيبة الاخرون بالتشديد الوقوف نباء نوح ها لنا
يوهم ان اذ ظرف لقوله اتل بل التقدير واذكر اذ قال ولا تنظرون من اجرط على انه لا الان التقدير وقد امرت من المسلمين بايا تناج للفاء
ولان امر النظر للعبرة يقتضي التثبت للنذر المنذرين من قبل ط المنذرين مجرمين مبين لما جاءكم لا بناء على ان التقدير اتقولون
للحق لما جاءكم هو سحر والاستفهام في قوله اسحر يستحق الابتداء وسيجيء له مزيد بيان هذا ط للفصل بين الاخبار والاستخبار الساحرون
في الارض ط بمؤمنين عليم ملقون ما جئتم به ط لمن قرأ السحر مستفهما اسحر ط المفسدين ط المجرمون ان يفتنهم ط في الارض ج لانقطاع الكلام
المسرفين مسلمين توكلتم ج للعدول مع اتحاد القائل الظالمين لا للعطف الكافرين ج واقيموا الصلوة ط لان قوله وبشر خطاب
لمحمد وان اريد به موسى فلابد من العدول للمؤمنين الدنيا لتعلق قوله ليضلوا بقوله اتيت ربنا تكرار لا ولاجعلوا
التضرع عن سبيلك ج لابتداء النداء مع اتحاد القائل الاليم لا يعلمون وعدوا ط الغرق ط لان فاء جواب المسلمين المفسدين
ايتا ط لغا فلون التفسير لما بالغ في تقرير الدلائل والبينات والجواب عن الشبهات شرع في قصص الانبياء المتقدمين لان نقل الكلام
من اسلوب الى اسلوب اقرب الى انشراح الصدور ودفع الملال مع ان في ذكرها تسلية للرسول وعبرة للمعتبر الى غير ذلك من الفوائد
التي ستوقف عليها في الاعراف ومعنى كبر ثقل وشق لقوله وانها لكبيرة وفي مقامي وجوه منها انه زيادة كقولك فعلت كذا لمكان فلان
اي لاجله وكقوله تعالى ولمن خاف مقام ربه اي ربه مثله قولهم فلان ثقيل الظل ومنها ان يراد به المكث اي شق عليكم مكثي بين اظهركم
مدة طويلة الاربعين عاما ولا شك ان من الفطرة ويدعو الى خلافها ولا سيما اذا تكرر الدعاء كان ذلك موجبا للتنفر والثقل وخاصة
اذا كان ذلك لطريقة مقتضاة النقل الطبيعة الداعيتين الى اللذات العاجلة ومنها ان يكون المقام بمعنى القيام لانهم كانوا يقومون على اقدامهم
في الوعظ والتذكير ليكون مكانهم بينا وكلامهم مسموعا كما يحكى عن عيسى انه كان يعظ الحواريين قائما وهم قعود وجواب الشرط اما قوله
فعلى الله توكلت اي ان شقة بعضكم لي تحملكم على الاقدام على ايذائي وانا لا اقابل ذلك الشر الا بالتوكل على الله فان ذلك هجيراي قديما
وحديثا واما قوله فاجمعوا وقوله فعلى الله توكلت اعترض كقولك ان كنت انكرت علي شيئا فالله حسبي فاعمل ما تريد ولا
يحسن ان يقال ان الفاء التانية عاطفة للاختلاف طلبا وخبرا ومعنى فاجمعوا امركم اعزموا عليه من اجمع الامر اذا نواه وعزم عليه
قاله الفراء وقال ابو الهيثم جمع امره اي جعله جمعا بعد ما كان متفرقا وتفرقة انه يقول مرة افعل كذا ومرة افعل كذا فلما عزم على امر
واحد فقد جمعه اي جعله جميعا فهذا هو الاصل في الاجماع ثم صار بمعنى العزم حتى وصل بعلى فقيل اجمعت على الامر اي عزمت عليه
الفصيح اجمعت الامر والمراد بالامر وجوه مكرهم وكيدهم وانتصب شركاءكم على المفعول معه اي مع شركائكم ومن قرأها بالرفع عطفا
على الضمير المتصل وانما يحسن ذلك من غير تاكيد بالمنفصل والمراد بالشركاء اما منهم على مثل قولهم ودينهم واما الاصنام و
حسن بسناد الاجماع اليهم على وجه التهكم كقوله قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون واعلم انه تعالى في اول الامر فعلى الله توكلت ليدل على
انه واثق بوعد الله جازم بان تهديدهم اياه بالقتل لا يضره ثم اورد عليهم ما يدل على صحة دعواه فقال فاجمعوا كيدكم كانه قال احصلوا
كل ما تقدرون عليه من الاسباب المؤدية الى مطلوبكم غير مقصرين على ذلك بل ضاموا الى انفسكم شركاءكم الذين تزعمون ان حالهم

يقوى بمكانهم ثم ضم الى ذلك قيدا اخر فقال ثم لا يكن امركم عليكم غمة قال ابو الهيثم اى مبهما من قولهم غم علينا الهلال فهو مغموى التدبر وقال الليث لقى غمة من امره اذا لم يهتد له وقال الزجاج اى ليكن امركم الذى اجتمعتم عليه ظاهرا منكشفا اى تجاهروننى بالاهلاك ويحتمل ان يراد بهذا الامر العيش والحال اى اهلكونى لئلا يكون عيشكم بسببى غمة اى حالكم عليكم غما اى هما والغم والغمة كالكرب والكربة ثم زاد قيدا اخر فقال ثم اقضوا الى ذلك الامر الذى تريدون بى اى ادوا الى قطعة حكموا بصحته وامضاءه عن القتال ان فيه تضمينا والمعنى القولوا امضوا استقر علىّ امركم محكما مفروغا منه ثم ختم الكلام بقوله ولا تنظرون اى عجلوا ذلك بادى بدء انقدرون عليه من غير امهال فكلا ومعلوم ان مثل هذا الكلام لا يصدر الا عمن بلغ فى التوكل الغاية القصوى ثم بين ان كل ما اتى به فان ذلك فارغ من الطمع الدنيوى والغرض الخسيس فقال فان توليتم اعرضتم عن نصحى وتذكيرى فما سألتكم من اجر فيما كان عندى ما ينفركم عنى وشهوتم لاجله من طمع او غرض عاجل ان اجرى ليس الا على الله اى ما نصحتكم الا لوجهه ولا يتبنى الا هو وفى الاية نكتة كانه اراد انه لا يخاف منهم بوجه من الوجوه لا بابطال الشر وذلك قوله صلى الله توكلت الى اخره ولا بانقطاع الخير منهم وذلك قوله فان توليتم الاية وامرت ان اكون من المسلمين اى سواء قبلتم دين الاسلام اولم تقبلوه فانا مامور بان اكون على دين الاسلام اومامور بالاستسلام لكل ما القى من قبل هذه الدعوة وكذبوه بقوا على تكذيبهم الى اخر المدة المتطاولة فجيناه ومن معه فى الفلك قد ذكرنا فى الاعراف الفرق بين هذه العبارة وبين ما هنالك فجعلناهم خلائف نخلفهم الهالكين بالطوفان فانظر كيف كان عاقبة المنذرين تعظيم لشان اهلاكهم وتحذير لغيرهم وتسلية للنبى ثم بعثنا من بعده من بعد نوح رسلا كهود وصالح وابراهيم ولوط وشعيب فجاؤهم بالبينات بالحجج الواضحات والمعجزات الباهرات فلما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل الا بتقدير هذا فى اواسط الاعراف الا ان زيدها هنا لفظة به فقيل لتناسب ما قبله فكذبوا بايانتا وكذلك فى الاعراف راعى المناسبة لان ما قبله ولكن كذبوا بغير الباء ثم بعثنا من بعده بعد الرسل والام بايانتا يعنى الايات التسع فاستكبروا عن قبولها وكانوا قوما مجرمين كفارا ذوى اثام ولذلك اجترؤا على رد الايات ما قوله اسحر هذا فليس بمقول القول انهم قطعوا فى قوله ان هذا لسحر مبين بانه سحر وما استفهموا ولكن الوجه فيه ان يقال ان القول ههنا بمعنى الطعن العيب كالذكر فى قوله سمعنا فتى يذكرهم ومنه قولهم فلان يقال المقال اى مطاعن الناس فكانه قال انعيبون الحق وتطعنون فيه ثم انكر عليهم قولهم فقال اسحر هذا او يقال مفعول يقولون محذوف وهو قولهم ان هذا لسحر مبين او يقال جملة قوله اسحر هذا ولا يفلح الساحرون حكاية لكلامهم كانهم قالوا منكرين لما جاءهم به اجئتمونا بالسحر تطلبان به الفلاح ولا يفلح لان حاصل صنيعهم تخييل وتمويه قالوا اجئتنا لتلفتنا التركيب يدل على الالتواء ومنه الفتل والالتفات افتعال من اللفت وهو الصرف والحمل ويكون لهما الكبرياء فى الارض اى الملك والعز فى ارض مصر قال الزجاج سمى الملك كبرياء لانه اكبر ما يطلب من امر الدنيا وايضا لانه اذا اعترف القوم بصدقه صارت مقاليد امارته فى يده صار اكبر القوم وقيل لان الملوك موصوفون بالكبر والحاصل انهم علموا وعدم قبولهم دعوة موسى بابرين التمسك بالتقليد هو عبادة اسلافهم الاصنام والحرص على طلب الدنيا والجد فى بقاء الرياسة ويجوز ان يقصد واذ منها ان ملكا ارض مصر يجبرا وتكبرا ثم صرحوا بالتكذيب قالوا ائن ما جئتنا به لسحر مبين ثم حاولوا المعارضة وقد مرت تلك القصة فى الاعراف اما قوله ما جئتم به فمعناه الذى جئتم به هو السحر لا الذى سماه فرعون وقومه سحرا من ايات الله قال الفراء وانما قال السحر بالالف واللام لانه جواب الكلام الذى سبق كانهم قالوا لموسى ما جئت به سحر فقال موسى بل ما جئتم به السحر فوجب دخول الالف واللام لان النكرة اذا عادت معرفة يقول الرجل لغيره لقيت جملا فيقول له من الرجل او قال من رجل لم يقع فى وهمه ان سئل عن الرجل الذى ذكره ومن قرأ آسحر بالاستفهام فما استفهامية مبتدأ وجئتم بخبره كانه قيل اى شئ جئتم به ثم قال على وجه التوبيخ اسحر اى هو سحر او السحر جئتم به ان الله سيبطله باظهار المعجزة عليه ان الله لا يصلح عمل المفسدين لا يثبته بجعل العاقبة وخيمة ويحق الله الحق يثبته بكلماته بمواعيده او بما سبق من قضائه او بامره فما امن لموسى اى فى اول امره الا ذرية من قومه قال ابن عباس الضمير فى قومه يعود على فرعون والذرية يعبر بها عن القوم على وجه التحقير وان كان المراد ههنا ليس هو الا هانة فالمراد التصغير يعنى قلة العدد وقيل المراد اولاد من اولاد قومه كانه دعا الاباء فلم يجيبوه خوفا من فرعون واجابته طائفة من ابنائهم مع الخوف من فرعون ان يصرفهم عن دينهم بتسليط انواع البلاء عليهم وقيل ان الذرية اقوام كانوا امهاتهم من بنى اسرائيل وقيل الذرية هو من ال فرعون واسيه امرأته وخازنه وامرأة خازنه وماشطته فالضمير فى قومه على هذا لفرعون وعوده الى موسى اظهر لانه اقرب المذكورين ولما نقل ان الذين امنوا به كانوا من بنى اسرائيل والضمير فى ملائهم اما لفرعون على جهة التعظيم لانه ذو اصحاب يأتمرون له او المراد ال فرعون بحذف المضاف او للذرية يعنى اشراف بنى اسرائيل لانهم كانوا يمنعون اعقابهم خوفا من فرعون عليهم على انفسهم يدل على ذلك قوله ان يفتنهم اى يعذبهم فرعون ثم اكد اسباب الخوف بقوله ان فرعون لعال فى الارض وانه لمن المسرفين فى القتل والتعذيب ان الجار والمجرور لا يصلحان العبد فادعى الربوبية العليا وقال موسى تثبيتا لقومه ان كنتم آمنتم بالله صدقتم به وبما يأتيه فعليه توكلوا خصوه بتفويض امورهم اليه ان كنتم مسلمين قال العلماء المؤخر فى مثل هذه الصورة مقدم فى المعنى نظيره ان ضربك زيد فاضرب ان كانت بك قوة والمراد ان كانت بك

قوة فان ضربك بيدك ضربة فكانه قيل لهم في حال اسلامهم ان كنتم منقادين لتكاليفكم بالاخلاص مصدقين له بالتحقيق عارفين بانه واجب الوجود لذاته وما سواه محدث مخلوق مقهور تحت حكمه وتدبيره ففوضوا جميع اموركم اليه وحده فقالوا لموسى عليه السلام توكلنا ثم اشتغلوا بالدعاء قائلين ربنا لا تجعلنا فتنة اى موضع فتنة لهم والمراد بالفتنة تعذيبهم او صرفهم عن دينهم او المراد لا تفتن بنا فرعون وقومه لانك لو سلطتهم علينا صار ذلك شبهة لهم في انا لسنا على الحق ويجوز ان يكون الفتنة بمعنى المفتون اى لا تجعلنا مفتونين بان تمكنهم من صرفنا عن الدين الحق والمراد هو التضرع الى الله في ان يصون دينهم عن الفساد اتبعوه سؤال عصمة انفسهم فقالوا ونجنا الا بهذه في ذلك دليل على ان عنايتهم بمصالح الدين فوق اهتمامهم بمصالح النفس وهكذا يجب ان يكون عقيدة كل مسلم والله الموفق واوحينا الى موسى واخيه ان تبوآ لقومكما بمصر بيوتا تبوؤ بالمكان اتخذه مباءة ومرجعا مثل توطنه اذا اتخذه وطنا واختلف المفسرون في البيوت فمنهم من ذهب الى انها المساجد كقوله في بيوت اذن الله ان ترفع فالمراد من قوله واجعلوا بيوتكم قبلة ان يجعل تلك البيوت مساجد متوجهة نحو القبلة وهي جهة بيت المقدس او الكعبة على ما نقل عن ابن عباس قال الحسن الكعبة قبلة كل الانبياء وانما النسخ عدول عنه بامر الله تعالى في ايام نبينا صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة ومنهم من قال لها مطلق البيوت ثم قيل المراد واجعلوا وجوهكم قبلة اى صلوا في بيوتكم وقيل المراد اجعلوا بيوتكم متقابلة اما السبب في اتخاذ هذه البيوت فان يصلوا في بيوتهم خفية خيفة عن الكفرة كما كان المؤمنون على ذلك في اول الاسلام بمكة والمقصود الجمعية واعتضاد البعض بالبعض وقيل على التفسير الاول لما اظهر فرعون العداوة الشديدة امر الله موسى وهرون وقومهما باتخاذ المساجد على رغم الاعداء وتكفل ان يصونهم عن شرهم وانما ثنى الخطاب لان حق الاثنين الجمع كما ان حق الجمع الاثنين ثم جمع لان اختيار المكان للعبادة مما يفوض الى الانبياء فخوطب موسى وهرون بذلك ثم جعل الخطاب عاما لهما ولقومهما لان استقبال القبلة واقامة الصلوة واجب على الجميع ثم خص موسى عليه السلام بالتبشير في قوله وبشر المؤمنين لان الغرض الاصلي من جميع العبادات هو هذه البشارة فلم تكن لائقة الا بحال موسى الذي هو الاصل في الرسالة وفيه تعظيم لشان البشارة والمبشر قال الضعيف مؤلف الكتاب قد سنح في خاطري وقت هذه الكتابة ان الخطاب في قوله وبشر المؤمنين لنبينا صلى الله عليه وسلم على طريقة الالتفات والاعتراض ومضمون البشارة انه جعلت الارض كلها لهذه الامة مسجدا وطهورا دون سائر الامم فانهم اموا باتخاذ موضع يرجعون اليه لتلك العبادة والله اعلم بمراده ثم ان موسى عليه السلام لما بالغ في اظهار المعجزات الظاهرة ورأى القوم مصرين على الجحود والانكار اخذ يدعو عليهم من حق من يدعو على الغير ان يذكر له سبب الدعاء عليه فلهذا قال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة واموالا فالزينة عبارة عن الحلي والحلل والجمال الباسر للدواب واثاث البيت والاموال ما يزيد على ذلك من الصامت والناطق عن ابن عباس كانت لهم من قناطير مصر الى الارض الحبشة جبال فيها معادن من ذهب وفضة قالت الاشاعرة اللام في قوله ليضلوا لام التعليل كان موسى قال يا رب انك اعطيتهم هذه الزينة والاموال لاجل ان يضلوا فعند الاشاعرة انه تعالى انما تعهد بسبب لضلالهم واراد منهم ذلك واللام هي التي اسبابه ثم شرع في الدعاء عليهم بالطمس على اموالهم والطمس المحو والمسخ كما مر في سورة النساء في قوله سبحانه من قبل ان نطمس وجوها وباشد على قلوبهم وعلى معناه الاستيثاق والختم وقالت المعتزلة قوله ليضلوا دعاء بلفظ الامر الغائب دعا عليهم بثلثة اشياء بالطمس بالشد كانه لما علم بالتجربة وطول الصحبة ان ايمانهم كالمحال وعلم ذلك بالوحي اشتد غضبه عليهم فدعا الله عليهم بما علم انه لا يكون غيره قابلا لئلا يتبوا على ما هم عليه من الضلال ليطبع الله على قلوبهم كما يقول الاب المشفق لولده اذا لم يقبل نصحه واستمر على غيه سلمنا ان قوله ليضلوا امر دعاء عليهم لكن اللام فيه للعاقبة كقوله لدوا للموت سلمنا ان اللام للتعليل لكنهم جعلوا نعمة الله سببا في الضلال فكانهم اوتوها ليغلبوا ولم لا يجوز ان يكون لام مقدرة اى لئلا يضلوا كقوله يبين الله لكم ان تضلوا اى لا تضلوا او يكون حرف لا استفهاما مقدرا في اتيت على سبيل التعجب اما قوله ربنا فلا يؤمنوا فاما ان يكون معطوفا على قوله ليضلوا على التفاسير كلها وما بينهما اعتراض واما ان يكون جوابا بالقول واشد ويجوز ان يكون دعاء بلفظ النهي معطوفا على اشدد قال قد اجيبت دعوتكما اضاف الدعوة اليهما لان موسى كان يدعو وهرون يؤمن ويجوز ان يكونا جميعا يدعوان لانه خص موسى بالذكر في الاية الاولى لاصالته في الرسالة والمعنى ان دعاءكما مستجاب وما طلبتما كائن ولكن في وقته فاستقيما فاثبتا على ما انتما عليه من التبليغ والانذار زيادة في لزام الحجة ولا تستعجلا فقد لبث نوح في قومه الف سنة الا قليلا قال ابن جريج فمكث موسى بعد الدعاء اربعين سنة يدعوهم الى الله ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون ان الا يفيد اجابة الدعاء فقد استجاب الدعاء ولكن يظهر الاثر بعد حين وجاوزنا ببني اسرائيل البحر قد مرت تلك القصة في اوائل سورة البقرة في قوله وانا فرقنا بكم البحر الاية ومعنى قوله فاتبعهم لحقهم يقال تبعته حتى اتبعته اذا بلغ الافراط في الظلم والعدو ومجاوزة الحد وفي الاية سؤال وهو ان فرعون تاب ثلث مرات احداها قوله امنت وثانيها انه لا اله الا الذي امنت به بنو اسرائيل وثالثها وانا من المسلمين فلم يقبل توبته والجواب من وجوه الاول انه ايمان الياس وانه لا يقبل لان الالجاء ينافي التكليف الثاني انها لم تكن مقرونة بوجود المانع ومثل هذا الاعتقاد الفاحش لا يزول ظلمة الا بنور الحجة القطعية الرابع ما روي ان بعض بني اسرائيل لما جاوزوا البحر استثقلوا بعبادة الله تعالى واشتاقوا الى عبادة الاصنام بذلك العجل الذي اصنعوا بعبادته في ذلك الوقت وكانت هذه الكلمة سببا لزيادة الكفر فلما رأى اكثر اليهود يميلون الى

التجسيم والتشبيه لذلك عبدوا العجل كما انه ما امن الا بالاله الموصوف بالجسمية والحلول والنزول الى السماء سن لهم الايمان انما يتم بالاقرار بوحدانية الله ثم ببنوة موسى كما انه لو قبل الف مرة لا اله الا الله لم يصح ايماننا الا اذا قرن به محمد رسول الله الى الناس كافة السابع يروى ان جبريل مر بفرعون نبيثا ما قول الامير في عبد تنازع في مال مولاه وبغى فكفر نعمته وجحد حقه وادعى السيادة دونه فكتب فرعون فيه يقول ابو العباس الوليد بن مصعب جزاء العبد الخارج على سيده الكافر نعمته ان يغرق في البحر فان فرعون لما غرق رفع جبريل اليه خطه فعرفه اما قوله الآن فالمشهور من الاخبار انه قول جبريل وقيل انه قول الله سبحانه والتقدير انه من الساعة في وقت الاضطرار حين الجهل الغرق وادراكك وقوله وكنت من المفسدين في مقابلة قوله وانا من المسلمين يروى ان جبريل اخذ حمأة فاه بالطين حين قال امنت لئلا يتوب فعصبا عليه والاقرب عند العلماء ان هذا الخبر غير صحيح لانه قال ذلك حين بقاء التكليف فلم يجز على جبريل ان يمنعه من التوبة بل يجب ان يحثه عليها وعلى كل طاعة لقوله تعالى وتعاونوا ولو منعه لكانت التوبة ممكنة لان الاخرس قد يتوب بان يعزم بقلبه على ترك المعاودة الى القبيح لو منعه من التوبة لكان قد رضي بقائه على الكفر والرضاء بالكفر كفر وكيف يليق به سبحانه ان يقول لموسى وهرون فقولا له قولا لينا ثم يامر جبريل بمنعه عن الايمان ولو قبل ان جبريل فعل ذلك من تلقاء نفسه كان منافيا لقوله وما نتنزل الا بامر ربك لا يسبقونه بالقول ان كان قال ذلك بعده وان التكليف لم يكن لما فعل جبريل فائدة اللهم الا ان يقال انه سر خاص في وقت لا ينفعه ايمانه غضبا لله على الكافر قوله فاليوم ننجيك ببدنك فيه اقوال منها ان معناه ننجيك من البحر ونخلصك بها وقع فيه قومك من قعر البحر لكن بعد ان تغرق وقوله ببدنك في موضع الحال اي في الحال التي لا روح فيك وانما انت بدن قال كعب بقاه الماء الى الساحل كانه ثور والمراد ببدنك كاملا سويا لم ينقص منه شيء ولم يتغير وعريانا بلا لباس الابدان وفيه نوع تهكم كانه قيل ننجيك لكن هذه النجاة انما يحصل لبدنك لا لروحك كما يقال نعلقك فنخلصك من السجن لكن بعد ان تموت وقيل ننجيك ببدنك اي نلقيك بنجوة من الارض وهي المكان المرتفع وقيل ببدنك اي بدرعك قال الليث البدن الدرع القصير الكمين عن ابن عباس قال كان عليه درع من الذهب يعرف بها فاخرجه الله من الماء ليعرف ذلك الدرع فان صحت هذه الرواية كانت معجزة لموسى قوله لتكون لمن خلفك آية قيل ان قوما اعتقدوا في الهيته وزعموا ان مثله لا يموت فاظهر الله تعالى امره بان اخرجه من الماء بصورته حتى يشاهده وذلك الشبهة عن قلوبهم وكان مطرحه على مرمى من بني اسرائيل فلهذا قيل لمن خلفك وقيل انه تعالى اراد ان يشاهد الخلق على ذلك الذل والاهانة بعد ما سمعوا منه قوله انا ربكم الاعلى ليكون ذلك زجرا للعابرين عن مثل طريقته ويعرفوا انه كان بالامس في نهاية الجلالة ثم ال امره الى ما ال فلا يجترءوا على محو ما اجراه عليه وقيل المراد ليكون طرحك الساحل وحدك دون المغرقين اية من اياتنا لام الاشارة ثم نرجع الى هذه الآية عن ترك النظر في الدلائل وحتم على الناس الاعتبار فقال وان كثيرا من الناس عن اياتنا لغافلون التاويل وانزل عليهم تنبا نوح الروح اذ قال لقومه يا هم القلب والنفس وصفاتها يا قوم ان كان عظم عليكم مقامي في الاخلاق الحميدة الروحانية ودعائي الى الله ببراهينه الواضحة فاساسا لكم من اجر من حظوظ مشاربكم الدنيوية ما حظي الا من مواهب الله وشهود جماله وجعلناهم خلائف خلفا الله في ارضه باقي التاويل كما مر في الاعراف وهكذا في قصة موسى لا يفلح الساحرون لان الفلاح هو الخلاص عن قيد الوجود الحادث وتحقق الله الحق اي الذكر بكلماته وهي لا اله الا الله ولو كره اهل الهوى والنفوس الامارة فاما من لوثني القلب الا صفاته او بعض صفاته فرعون النفس بتبديل اخلاقها الذميمة بالاخلاق الحميدة القلبية على خوف من فرعون النفس والهوى والدنيا وشهواتها ان يصير الى اخلاقها الطبيعة التي جبلت عليها واوحينا الى موسى القلب وهرون السر ان هيئا لصفاتكما بمصير عالم الروح مقامات ومنازلا في عالم النفس السفلي واجعلوا تلك المقامات متوجهة الى طلب الحق واقيموا الصلوة دوموا العروج من المقامات الروحانية الى المواصلات الربانية ليضلوا عن سبيلك ليكون عاقبة امرهم ان ينقطعوا او يقطعوا ابناء الملا عن السير في طلبك ربنا اطمس على اموالهم بمحقها في تحقيرها في نظرهم واشدد طريق النظر الى الدنيا وما فيها على قلوبهم واجعل همتهم عليه في طلب النظر اليك فقط حتى يروا العذاب الاليم فان النفس وصفاتها لا يؤمنون بالاخرة وطلب الحق حتى يذيقهم الم الفطام عن الدنيا وشهواتها سبيل الذين لا يعلمون طريق الوصول الى الله ولا يعرفون قدره وجاوزنا ببني اسرائيل هم القلب السر وصفاتها والبحر بحر الروحانية الملكوتية فاتبعهم فرعون النفس وصفاتها بعد الفطام عن شواب عالم الملك تقمد وسترا حتى اذا هبت رياح اللطف وتموجت بحار الفضل واستغرق موسى القلب وصفاته في بحر الوصال وبلغت امواج انوار الوجه الى ساحل البشرية ادرك فرعون النفس الغرق العروج فقال امنت ومن ما دار اجنبية فرعون النفس من عالم الروح انه لم يتمسك بحبل التوحيد المعرفة بيد الصدق والاستقلال لم يقل امنت بالله الذي لا اله الا هو وانما تمسك بيد الاضطراب والتقليد فقال لا اله الا الذي امنت به بنو اسرائيل ننجيك ببدنك اي نخلصك مع قالبك من بحر الضلالة لتكون دليلا على كمال قدرتنا وعلى عنايتنا وان من اتبع خواص عبادنا نجعله من اهل النجاة والدرجات بعد ان كان من اهل الهلاك والدركات واسكنا ولقد بوانا بني اسرائيل مبوا صدق ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا حتى جاءهم العلم ان.

ربك يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون فان كنت في شك مما انزلنا اليك فاسئل الذين يقرءون الكتاب
برادر دگار تو حكم ميكند ميان ايشان روز قيامت در آنچه در آن اختلاف ميكردند پس اگر باشي در شك از آنچه فرو فرستاديم بسوي تو پس پرس از آنها كه ميخوانند كتاب را
من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين ولا تكونن من الذين كذبوا بايات الله فتكون من الخاسرين
پيش از تو تحقيق كه آمد ترا حق از پروردگارت پس مباش از شك كنندگان و مباش البته از آنها كه تكذيب كردند آيتهاي خدا پس خواهي بود از زيانكاران
ان الذين حقت عليهم كلمت ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل اية حتى يروا العذاب الاليم فلولا كانت قرية امنت
بدرستيكه لازم شد بر ايشان كلمه پروردگار تو ايمان نخواهند آورد و اگر آيد بايشان هر آيتي تا اينكه ببينند عذاب دردناك را پس چرا نبود قريه كه ايمان آورد و نفعش
فنفعها ايمانها الا قوم يونس لما امنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا ومتعناهم الى حين ولو شاء ربك
پس نفع كرد ايمان او مگر قوم يونس چون ايمان آوردند برداشتيم از ايشان عذاب رسوائي را در زندگي دنيا و برخورداري دادم ايشان را وقتي و اگر خواسته بود پروردگار تو
لامن من في الارض كلهم جميعا افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله
ايمان آوردي هر كه در زمين است همه آنها تمام آيا پس تو اكراه ميكني مردمان را تا باشند گرويدگان و نيست هيچ نفسي را كه بگرود
ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون قل انظروا ماذا في السموت والارض وما تغني الايت والنذر عن قوم لا
و ميگرداند ناپاكي را بر آنها كه نميانديشند بگو بنگريد چه چيز است در آسمانها و زمين و سود نميكند آيتها و بيم كنندگان از گروهي كه
يؤمنون فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم قل فانتظروا اني معكم من المنتظرين ثم ننجي رسلنا ع
ايمان نميآورند پس آيا انتظار ميبرند مگر مانند روزهاي آنان كه گذشتند از پيش ايشان بگو پس انتظار بريد بدرستيكه من با شما از انتظارانم پس هر آينه نجات ميدهيم رسولان را
والذين امنوا كذلك حقا علينا ننج المؤمنين قل يا ايها الناس ان كنتم في شك من ديني فلا اعبد الذين تعبدون
و آنهائي كه گرويدند همچنين است ثابت شده بر ما كه نجات دهيم گرويدگان را بگو اي مردمان اگر باشيد در شك از دين من پس نميپرستم آنهائي را كه
من دون الله ولكن اعبد الله الذي يتوفيكم وامرت ان اكون من المؤمنين وان اقم وجهك للدين حنيفا ولا
غير خدا را ليكن ميپرستم خداي را كه ميميراند شما را و فرموده شده ام كه باشم از گرويدگان و اينكه راست كردان روي خود را براي دين حق گراينده و
تكونن من المشركين ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك اذا من الظالمين وان يمسسك
باش البته از مشركان آورندگان و مخوان از غير خدا آنچه نفع نميرساند ترا و ضرر نميرساند پس اگر بكني پس بدرستيكه تو در اين هنگام از ستمكاران و اگر برساند تو را
الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم
خدا بضرر پس نيست دفع كننده مر آنرا مگر او و اگر خواهد ترا بخير پس نيست برگرداننده فضل او را هر كرا خواهد از بندگانش و او است آمرزنده مهربان
قل يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما انا عليكم
بگو اي مردمان بتحقيق آمد شما را حق از پروردگارتان پس كسيكه راه يافت پس جز اين نيست كه راه مييابد براي نفس خويش و هر كه گمراه شد پس جز اين نيست كه گمراه ميشود بضرر نفس خود و نيستم من بر شما
بوكيل واتبع ما يوحى اليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين القراءة بتاء امثل انشانا ويجعل بالنون يحيى وحماد الاخوين
كارگذار و پيروي كن آنچه وحي ميشود بسوي تو و صبر كن تا اينكه حكم كند خدا و او است بهترين حكم كنندگان بالياء التحتانية ثم ينجي من الانجاء نصر و روح و يزيد
ننجي المؤمنين من الانجاء ايضا على وسهل ويعقوب وحفص المفضل الاخرون بالتشديد وفيها الوقوف الطيبانج للابتداء بالنفي
مع الفاء العلم يختلفون من قبلج لانقطاع النظم مع اتفاق المعنى المؤمنين لا للعطف الخاسرين لا يؤمنون لا لتعلق لو بما قبلها
الاليم يونس ط حين جميعا ط مؤمنين باذن الله ط اي هو يجعل لا يعقلون ط الارض ط للفصل بين الاستخبار والاخبار لا يؤمنون
من قبلهم ط من المنتظرين كذلك ج لاحتمال ان يراد ننجيهم كالانجاء الرسل او يكون الوقف على امنوا والتقدير ننجي المؤمنين الانجاء
كذلك وحقا علينا اعتراض المؤمنين لا يتوفيكم لاحتمال ان يراد وقد امرت المؤمنين لا للعطف حنيفا ج للعطف مع زيادة نوع
التاكيد المؤذن بالاستيناف المشركين ولا يضرك ج للابتداء بالشرط مع الفاء الظالمين لا هو ج للعطف مع حق الفصل
بين المتضادين لفضله ط من عباده ط الرحيم من يكم ج لتفسر ج عليها ج للعطف مع النفي بوكيل ط بحكم الله ج لاحتمال العطف
والاستيناف الحاكمين التفسير لما ذكر ما وقع عليه الختم في واقعة فرعون وجنوده اراد ان يذكر ما وقع عليه الختم في واقعة بني اسرائيل
فقال ولقد بوانا اي اسكنا هم مسكن صدق واسكان صدق فيكون المبوا اسم مكان او مصدرا والعرب اذا مدحت شيئا اضافته
الى الصدق ليعلم ان كل ما يظن به من الخير ويطلب ، منه فانه يصدق ذلك الظن ويوجد فيه فيكون المعنى منزلا صالحا مرضيا والمراد ببني اسرائيل
اما اليهود الذين كانوا في زمن موسى عليه السلام فمبوا الصدق الشام ومصر ما بين انهما فانها بلاد كثيرة الخصب غزيرة الارزاق مع ذلك
فقدوا ذلك لما كانت تحت تصرف فرعون وقومه من التناطع والتضامت فما اختلفوا في دينهم وما تشعبوا فيه شعبا و
كانوا على صريقة واحدة حتى قرءوا التوراة وقابلوها بضدها المقصود منها وبدلوا الاتفاق بالاختلاف واحدثوا المذاهب المتعددة

سورة يونس

واما اليهود المعاصرون لرسول الله ﷺ وهذا ذهب جم غفير من المفسرين عن ابن عباس هم قريظة والنضير وبنو قينقاع انزلناهم منزل الصدق ما بين المدينة والشام ورزقناهم من طيبات تلك البلاد رطبا وتمرا الذي في غيرها فبقوا على دينهم ولم يظهر فيهم الاختلاف حتى جاءهم سبب العلم وهو القرآن النازل على محمد ﷺ فاختلفوا في نعته وصفته وامن به قوم وبقي على الكفر آخرون بالجملة فالله تعالى يقضي بين المحقين منهم والمبطلين في يوم الجزاء لان دار التكليف ليست دار القضاء وما بين كيفية اختلاف اليهود في شان كتابهم وفي شان رسول الله ﷺ حقيقة وحقيقة ما انزل عليه بقوله فان كنت في شك والشك في اللغة ضم الشيء بعضه الى بعض مستعمل في الجوهر في العقد وشكلته بالبرج خرقته وانضممته والتشكيك تفريق من الناس والاشكال البيوت المصطفة والشاك يضم الى طايفته شيئا اخر خلافه والخطاب فيه للرسول في الظاهر والمراد امته كقوله يا ايها النبي اذا طلقتم والدليل عليه قوله بعد ذلك قل يا ايها الناس ان كنتم في شك من ديني ولانه لو كان شاكا في شان نفسه لكان غيره بالشك اولى ويمكن ان يقال الخطاب للرسول ﷺ حقيقة ولكن ورد على سبيل الفرض والتمثيل كانه قيل فان وقع لك شك مثلا والقضية الشرطية لا اشعار فيها البتة بوقوع الشرط ولا وقوعه بل المراد استلزام الاول للثاني على تقدير وقوع الاول فقد يكون ان محالين كقول القائل ان كانت الخمسة زوجا كانت منقسمة بمتساويين وفيه من الفوايد الارشاد الى طلب الدلائل لاجل مزيد اليقين بحصول المطلوب وفيه استمالة للامة والحث لهم على السؤال عما كانوا متوقفين في شك وفيه ان اهل الكتاب من لا احاطة بصحة ما انزل اليك بحيث يصلحون لمراجعتك فضلا عن غيرك فيكون الغرض وصف الاخبار بالرسوخ في العلم بصحة ما انزل الى الرسول ﷺ بالشك وذلك قائم عندنا وله لا اشك ولا اسال بل اشهد انه الحق وعن ابن عباس لا والله ما شك طرفة عين ولا اسال احدا منهم وقيل ان كنت في شك يعني كما لا امرك بالسؤال لانك شاك ولكن لتزداد يقينا وقيل الخطاب لكل سامع يأتي منه الشك من المسؤول عنه فان المحققين منهم مؤمنوا اهل الكتاب كعبد الله بن سلام وعبد الله بن صوريا وتميم الداري وكعب الاحبار لانهم هم الذين يوثق بخبرهم ومنهم من قال الكل سواء لانهم اذا بلغوا حد التواتر وقرأوا آية من التوراة والانجيل يدل على البشارة بمقدم محمد ﷺ فقد حصل الغرض لان تلك الآية لما بقيت مع توفر الدواعي على تحريفها كانت من اقوى الدلائل وان كان المقصود من السؤال معرفة حقيقة القرآن وصحة نبوة محمد ﷺ فقوله مما انزلنا اليك وقيل السؤال راجع الى قوله فما اختلفوا حتى جاءهم العلم ثم انه سبحانه لما بين الطريق المزيل للشك شهد بحقيته فقال لقد جاءك الحق من ربك ثم ان فريق المكلفين بعد الصديقين اما متوقفون في صدقه واما مكذبون فنهى الفريقين مخاطبا في الظاهر لنبيه قائلا فلا تكونن من الممترين ولا تكونن الاية والمرا فاثبت دم على ما انت عليه من انتفاء المرية وانتفاء التكذيب فيه من التهيج والبعث على اليقين والتصديق ما فيه ثم لما زجر كل فريق عما زجر بين ان له عبادا قضى عليهم بالشقاء وعبادا اختص لهم بالحسنى فلا يتغيرون عن حالهم البتة اما الاولون فاشار اليهم بقوله ان الذين حقت الاية وقد مر مثله في هذه السورة وقال المعتزلة ان عدم ايمان هذا الفريق الى حين وقوع الياس سوء منهم على الكفر مكتوب عند الله واثبت عليهم قوله في الازل بما يجري عليها كانها مقدر ومراد وقال الاشاعرة كلمته حكمه وارادته وخلقه فيهم الكفر قد مر مرارا هذه الابحاث مرارا كثيرة واما الاخرون فذلك قوله فلولا كانت اي فهلا حصلت قرية واحدة امنت تابت عن الكفر واخلصت الايمان قبل معاينة العذاب فنفعها ايمانها لوقوعه وقت الاختيار والتكليف دون اوان الياس الاضطراري الا قوم يونس هو استثناء منقطع اي ولكن قوم يونس لان اول الكلام جرى على القرية وان كان المراد اهلها وقيل ان لولا في هذا المقام بمعنى النفي كانه قيل ما امنت قرية من القرى الهالكة الا قوم يونس يروى ان يونس بعث الى نينوى من ارض الموصل فكذبوه فذهب عنهم مغاضبا كما سيجيء في سورة الانبياء فلما فقدوه خافوا نزول العذاب فلبسوا المسوح وعجوا اربعين ليلة وقيل قال لهم يونس ان اجلكم اربعون ليلة فقالوا ان رأينا اسباب الهلاك امامنا بك فلما مضت خمس وثلثون غامت غيما اسودا هائلا يدخن دخانا شديدا ثم يهبط حتى تغشى مدينتهم وتسود سطوحهم فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد بانفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين النساء والصبيان وبين الدواب اولادها فحن بعضها الى بعض وعلت الاصوات والعجيج واظهروا الايمان والتوبة وتضرعوا فرحمهم وكشف عنهم وكان يوم عاشوا يوم الجمعة وعن ابن مسعود بلغ من توبتهم ان يرد الظالم حتى ان الرجل كان يقتلع الحجر وقد وضع على اساس بنائه فيرده وقيل خرجوا الى شيخ من تقيف علما فقالوا قد نزل بنا العذاب فما ترى فقال لهم قولوا ياحي حين لا حي ويا حي محيي الموتى ويا حي لا اله الا انت فقالوها فكشف عنهم ومتعوا بالايمان والاعمال الصالحة وبالخيرات الدنيوية الى حين انقضاء اجالهم وعن الفضيل بن عياض قالوا الا ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وانت اعظم منها واجل افعل بنا ما انت اهله ولا تفعل بنا ما نحن اهله ثم بين ان الايمان وجده كلاهما بمشيئة الله وتقديره فقال ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا قال الاشاعرة هذه القضية تفيد الشمول فلا احاطة لكنه ما حصل ايمان اهل الارض بالكلية فدل هذا على انه تعالى ما اراد ايمان الكل واول المعتزلة المشيئة بمشيئة الالجاء والقسر واجيبا بان الكلام في الايمان الذي كان يطلبه النبي منهم وهو الايمان المنوط به التكليف لا الايمان القسري الذي لا ينفع به المكلف فلو حمل الايمان المذكور في الاية وكذا المشيئة على الايمان الالجائي وعلى مشيئة القسر لم ينتظم الكلام ثم ذكر ان القدرة الظاهرة والمشيئة النافذة ليست الا لله سبحانه وتعالى فقال أفأنت تكره

لا وصف الرسول بهم

معلوم لا كنايته بهم

فاولى الاسم حرف الاستفهام للاعلام بان الاكراه ممكن مقدور عليه وانما الكلام فى المكره من هو وما هو الا الله الواحد وحده فحمل المعتزلة هذا الاكراه على الالجاء ومعناه ان يفعل فى قلوبهم ما يضطرون عنده الى الايمان وحمل الاشاعرة الاكراه على الايمان ومعناه انه قادر على خلق الايمان والكفر فيهم لا انت بدليل قوله وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله ويجعل الرجس اى الكفر والفسق على الذين لا يعقلون وفسر المعتزلة الاذن بمعنى الالطاف والرجس بالخذلان لان الرجس هو العذاب والخذلان سببه خصصوا النفس بالنفس المعلوم ايمانها والذين لا يعقلون يعنى المصرين على الكفر واستدلت الاشاعرة بقوله وما كان لنفس على انه لا حكم للاشياء قبل ورود الشرع لان الاذن عبارة عن الاطلاق فى الفعل ورفع الحجر واذا كان اصل الشرع وهو الايمان باذن الله فاترتب عليه ولى اجابت المعتزلة بان المراد بالاذن التوفيق والتسهيل والالطاف لما بين ان الايمان لا يحصل الا بمشيئة الله اتبعه امرا بالنظر والاستدلال بالسماوية والارضية حتى يتوهم ان الخير هو الخير المحض فقال قل انظروا ماذا فى السموات والارض اى شئ فيهما من الايات والعبر بتذكر النفكر والتدبر فى هذه الدلائل لا ينفع فى حق من حكم الله عليه فى الازل بالشقاء فقال وما تغنى يحتمل ان يكون ما نافية اى لا تفيد هذه الايات والنذر وهى جمع نذير صفة او مصدر فى حق المحكوم عليهم بعدم الايمان وان يكون استفهاما مبتدا للانكار بمعنى اى شئ يغنى عنهم ثم قال فهل ينتظرون والمراد ان الامم المتقدمين كانوا يتوعدون بانواع العذاب فلما جاءتهم بانام مشتملة على انواع العذاب وبوقائع الله فيهم وهم يكذبونهم ويسخرون منهم وكذلك كان يفعل الكفار المعاصرون للرسول ﷺ فقال سبحانه قل فانتظروا فانى معكم من المنتظرين وفيه تهديد ووعيد بانه سينزل بهؤلاء مثل ما نزل باولئك من الاهلاك بعد مجاء الرسول واتباعه كما حكى ذلك الحال الماضية بقوله ثم ننجى رسلنا الاية قالت المعتزلة حقا علينا المراد به الوجوب لاستحقاقهم الثواب لا يحسن تعذيب الرسول والمؤمنين وقالت الاشاعرة انه حق بحسب الوعد والحكم فان العبد لا يستحق على خالقه شيئا امر رسوله باظهار الدين الصحيح بين طريقة المشركين فقال يا ايها الناس والمعنى فى اصل مكة ان كنتم لا تعرفون دينى فاعلموا انى مبرا عن دينكم الباطلة ولكن اعبد الله الذى يتوفيكم وتخصيص هذا الوصف لانه يدل على الخلق اولا وعلى الاعادة ثانيا كما مر مرارا والاول اشد الاحوال ايها فى القلوب فكان اقوى فى الزجر والردع او لانه قد تقدم ذكر الاهلاك والوقائع النازلة بالامم الخالية فكانه قال اعبد الله الذى وعدنى باهلاككم وانجائى وفى الاية اشارة الى المؤمنين بوافقهم فى دينهم كيلا يشكوا فى امره ويقطعوا اطماعهم عنه ولما ذكر انه لا يعبد الا الله بين انه ما مامور بالايمان والمعرفة فقال وامرت ان اكون اى بان اكون من المؤمنين ثم عطف عليه قوله وان اقم وجهك ولا تدع نظرا الى المعنى كانه قيل له كن مؤمنا ثم اقم ولا تدع او المراد وامرت بكذا وحى الى ان اقم قال فى الكشاف قد سوغ سيبويه ان يوصل ان بالامر والنهى وشبه ذلك بقولهم انت الذى تفعل على الخطاب لان الغرض وصلها بما يكون معه فى معنى المصدر والامر والنهى والان على المصدر لا لانه غيرهما من الافعال ومعنى اقم وجهك استقم اليه ولا تلتفت يمينا وشمالا وحنيفا حال من الدين او من الوجه قال المحققون الوجه ههنا وجه العقل والمراد توجهه الكلية الى طلب الدين كمن يريد ان ينظر الى شئ نظرا ما فانه يقيم وجهه فى مقابلته لا يصرفه عنه ثم اكد الامر بالنهى عن ضده فقال ولا تكونن من المشركين ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ان دعوته ولا يضرك ان تركته فان فعلت اى فان دعوت من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك وكنى عنه بالفعل حقيقة وادخل حرف الجزاء للشرط وجواب لسؤال مقدر كان سائلا سئل عن تبعة عبادة الاوثان وجعل من الظالمين لان اضافة التصرف بالاستقلال الى ما سوى مدبر الكل وضع للشئ فى غير موضعه ثم صرح بانه مبدأ الكائنات ومنتهى الحاجات لا غير وقال وان يمسسك الله الاية وقد مر تفسير مثلها فى اول سورة الانعام قال الواحدى وان يرد بك بخير من القلب واصله وان يرد بك الخير ولكنه لما تعلق كل واحد منهما بالاخر جاز كل واحد منهما واقول فى تخصيص الارادة بجانب الخير والمس بجانب الشر دليل على ان الخير يصدر عنه سبحانه بالذات والشر بالعرض ثم ختم السورة بما يستدل به على قضائه وقدره فى الهداية والضلال فقال ايها الناس الاية وفسرها الاشاعرة بان من حكم له فى الازل بالاهتداء فسيقع لذلك ان حكم له بالضلال فكذلك لا حيلة فى دفعه كما مر فى سورة الانعام قد جاءكم بصائر من ربكم فمن ابصر فلنفسه الاية وقالت المعتزلة المراد انه بين الشريعة وازاح العلة فظهر وقطع العذر فمن اختار الهدى فانما نفع باختياره لنفسه ومن اثر الضلال فلا يعود وباله الا على نفسه يروى عن ابن عباس ان الاية منسوخة بايه القتال لا يخفى ضعفه ثم امر باتباع الوحى والتنزيل فان وصل اليه بسبب الاتباع مكروه فليصبر فيه الى ان يحكم الله وهو خير الحاكمين وبعضهم فى المعنى شعرها صابرا حتى يجئ الصبر عن صبرى ... وابشر حتى يحكم الله فى امرى ساصبر حتى يعلم الصبر انه ... صبرت على شئ امر من الصبر

ولقد بوانا بنى اسرائيل يعنى منزلات الروح العلوى من القلب السرى النفس لانها من النبات لا من النبى منبوا صدق مقعدا ومنزلا عليا فى العالم النورانى ورزقناهم من الطيبات من الفيض الربانى الفائض على الروح لان الروح مستو على عرش القلب وكل ما فاض من صفة الرحمانية على الروح يفيض على القلب السرى فما اختلف القلب السرى حتى جاءهم دعوة النبى من قبلها صار مقهورا ومن بعدها كان سرورا وبوجه ما صدق بين الامتين من اصابع الرحمن فما اختلفوا حتى ادركهم علم الله الازلى بالسعادة والشقاوة فان كنت فى شك مما خلق الانسان ضعيفا فاذا انفتح عليه ابواب الكرامات وهبت رياح السعادات فربما ظن انه بما يدعى به الاطفا

هود ١١

فالبدن يحمل هموم كراهة الاجتباء ومن خامة الابتلاء فكان النبي من خصوصيته انما انا بشر مثلكم يرتع في هذه الرياض ويختصر
يوحى اليه يقتبس بكاسات المنا وكان من تلك الحياض فشك عند سكره انها من ثهلون ومن كشوف التمكين فادركته العناية الازلية فاكرم
بخطاب لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن بل كان هذا النبي في التكوين فما كان تمتريا ولهذا قال والله لا اشك ولا اسئل الا مثل ايام الذين
خلوا من اينه كل ميسر لما خلق له قل فانتظروا ظهور ما قدر لكم ولكن اعبد الله الذي يتوفيكم بالفناء عن النفس وصفاتها حنيفا طاهرا عن لوث
الالتفات الى ما سواه واقم الصلوة طرفي النهار

سورة هود مكية غير اية فانهن نزلن في المدينة وهي قوله اقم الصلوة طرفي النهار فيها الف وماتان وست عشرة كلمة والفان وسبعمائة وخمس وثلاثون حرفا وثلث وعشرون نقطة

بسم الله الرحمن الرحيم

بنام خداوند بخشاينده مهربان

الر كتاب احكمت اياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ألا تعبدوا إلا الله إنني لكم منه نذير وبشير وأن استغفروا
كتابيست كه محكم كرده شده اند آيتهايش پس بتفصيل داده شده از نزد ربانى كه كار دان آگاه كه نپرستيد مگر خدا را بدرستى من مر شما را از آنش بيم كننده ومژده دهنده ام وآنكه آمرزش خواهيد
ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعا حسنا إلى أجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله وإن تولوا فإني أخاف عليكم
از پروردگار تان پس بازگشت كنيد باو برخوردار كند شما را برخوردار نيكو تا مدتى نام برده شده ومى دهد هر صاحب فضيلتى فضيلت او را وگر روى گردانيد پس بدرستيكه من مى ترسم
عذاب يوم كبير إلى الله مرجعكم وهو على كل شئ قدير ألا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون
از عذاب روز بزرگ بسوى خداست بازگشت شما واو بر هر چيز توانا است آگاه باشيد كه ايشان مى پيچانند سينهاى خود را تا پنهان شوند از او آگاه باشيد هنگامى كه
ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون إنه عليم بذات الصدور وما من دابة إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في
جامهاى خود را ميپوشند او ميداند آنچه پنهان ميكنند وآنچه آشكار ميكنند بدرستيكه او داناست بآنچه در سينهاست وهيچ جنبنده در زمين نيست مگر بر خداست روزى او ودر ميداند جاى قرار او ومحل سپردن او را همه در
كتاب مبين وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملا ولئن
كتابى روشن واوست كه آفريد آسمانها وزمين را در شش روز وبود عرش او بر آب تا بيازمايد شما را كه كدام شما نيكوتر كرداريد واگر
قلت إنكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى أمة
بگوئى بدرستيكه شما برانگيخته شدگانيد از پس مرگ هر آينه گويند آنانكه كافر شدند نيست اين مگر جادوئى آشكار ودر آينه اگر باز پس اندازيم از ايشان عذاب را تا مدتى
معدودة ليقولن ما يحبسه ألا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون ولئن أذقنا الإنسان
شمرده شده هر آينه گويند چه باز داشت آنرا آگاه باشيد روزيكه بيايد بر ايشان نيست گردانيده شده از ايشان ودر گرفت ايشان را آنچه بان استهزا ميكردند ودر آينه اگر بچشانيم انسان را
منا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليئوس كفور ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني إنه لفرح فخور
از خود رحمتى پس برداريم آنرا از او بدرستيكه او هر آينه نوميد ناسپاس است واگر بچشانيم او را نعمتى پس از سختى كه مس كرد او را هر آينه بگويد كه رفت بديها از من بدرستيكه او هر آينه شادمانى نازنده
إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق به صدرك
مگر آنانكه صبر كردند وكردند كارهاى شايسته آنها اند ايشان را آمرزش وپاداش بزرگ پس شايد تو ترك كننده باشى برخى از آنچه وحى ميشود بسوى تو وتنگ شود بان سينه ات
أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك إنما أنت نذير والله على كل شئ وكيل أم يقولون افتراه قل فأتوا
كه بگويند چرا فرو فرستاده نشد بر او گنجى يا بيايد با او فرشته جز اين نيست كه تو بيم كننده اى وخدا بر همه چيز وكيل است يا بگويند بدروغ بربسته است آنرا بگو پس بياوريد
بسور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم
سوره مثل او بربافته شده وبخوانيد هر كه را توانيد از غير خدا اگر هستيد راستگويان پس اگر اجابت نكردند مر شما را پس بدانيد كه جز باندازه علم خدا فرو فرستاده شده است
الله وأن لا إله إلا هو فهل أنتم مسلمون من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون
خدا واينكه نيست خدائى مگر او پس آيا شما منقادان هستيد كسيكه باشد كه خواهد زندگانى دنيا وزينت آنرا تمام مى دهيم باين كردارهاى آنان در آنجا كم كرده نشود
أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون أفمن كان على بينة من ربه
آنها آنانند كه نيست مر ايشان را در آخرت مگر آتش وناچيز شد آنچه كرده اند در آن وتباه است آنچه بودند كه مى كردند پس آيا كسيكه هست بر حجتى از پروردگار
ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة أولئك يؤمنون به ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده فلا
وبخواند آنرا شاهدى از او واز پيش آن كتاب موسى پيشوا ورحمت آنانند كه ايمان مى آرند باو وهر كه كافر شود باو از گروهها پس آتش وعده گاه اوست
تك في مرية منه إنه الحق من ربك ولكن أكثر الناس لا يؤمنون ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أولئك يعرضون على
پس مباش در شكى از آن بدرستيكه او حق است از پروردگار تو ولكن اكثر مردمان ايمان نمى آورند واكر ستمكارتر از آنكه بربافت بر خدا دروغ را اينها عرض كرده ميشوند
ربهم ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها
بر پروردگار شان وگويند گواهان اينانند كه دروغ بستند بر پروردگار شان آگاه باشيد لعنت خدا بر ستمكاران آنانكه باز ميدارند از راه خدا ويجوياند راه

ع ٢

ويعلم مستقرها ومستودعها الخ

ع ٣

نعماء ٣ ضراء ٣

عوجا وهم بالاخرة هم كافرون اولئك لم يكونوا معجزين في الارض وما كان لهم من دون الله من اولياء يضاعف لهم العذاب
کج وایراه شده آخرت ایشان کافران انها نباشند عاجز کننده کان ورزیدن وباشد مران را از جز خدا هیچ دوستان مضاعف کرده شود بر ایشان عذ
ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون اولئك الذين خسروا انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون لا جرم انهم
بستدن کردن توانستند شنیدن ونبینند کردند زیان کردند بعضها خود وگم شد از ایشان آنچه دروغ میبستند ناچار ایشان
في الاخرة هم الاخسرون ان الذين امنوا وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون
در آخرت ایشان زیانکاران بدرستیکه آنانکه گرویدند وکردند کارهای شایسته وآرمیدند بپروردگارشان آنگروه اهل بهشتند ایشان در آنجا جاویدانند
مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا افلا تذكرون القراءة وان تولوا باظهار النون وتشديد
مانند آن دو گروه چون کور وکر وبینا وشنوا ایا پس یکسانند مثل آیا پند نمیگیرید
الباء البزي وابن فليح فاني اخاف بفتح الياء ابو عمرو وابو جعفر ونافع وابن كثير غير انه يفتح الياء ابو جعفر ونافع وابو عمرو والوقف للكوفي في خبره لابناء على انه يتعلق بما قبله
الا الله ط وبشير للعطف فضله ج كبير مرجعكم ج لاحتمال الحال والاستيناف قدير منط شيابهم لابناء على ان عاملهما معين قوله يعلم
يعلمون الصدور الجزء الثاني عشر ومستودعها ط مبين مما يحيطه ليستهزءون منج لحذف جواب لئن اي ليياسن
وقيل جوابها انه والاول وجه كفور عنط مخوف لا للاستثناء الصالحات ط كبير ملك نذير وكيل ط لان ام استفهام تقريع افتريه ط صادقين
الا هوط للاستفهام مع الفاء مسلمون يحزنون الا النار زنا على ان ليس بمنزلة حرف النفي في الوصل وجاز لان ليس فعل ماض وهو مما
عطف عليه المجموع جزاء يعلمون ورحمة ط يؤمنون به موعده ط لاختلاف الجملتين مع الفاء لا يؤمنون كذباط على بهم الثاني ج لان
ما بعده يحتمل ان يكون من قول الاشهاد او ابتداء اخبار الظالمين لاعوجاط من اولياء م لئلا يوهم ان ما بعده صفة اولياء العذابط
يبصرون يفترون الاخسرون الى بهم لان ما بعده خبر ان الجنة ج خالدون والسميع ط مثلا ط تذكرون التفسير ان كان اسما للسورة
فما بعده خبره وان كان وارد اعلى سبيل التعديد او كان معناه انا الله اري فقوله كتاب خبر مبتداء محذوف اي هذا الكتاب والاشارة اما
الى هذا البعض واما الى مجموع القرآن ومعنى احكمت نظمت نظما رصينا من غير نقض وفصلت جعلت حكيمة من حكم لبعض ذا صار حكيما او صنعت من الفصل
والبطلان من قولهم حكمت الدابة وضعت عليها الحكمة لمنعها من الجماح اي لم ينسخ بكتاب سواه كما نسخ سائر الكتب وذلك لاشتماله على
العلوم النظرية والعملية والظاهرية والباطنية وعلى اصول جميع الشرايع فلا محالة لا يتطرق اليه تبديل ولا تغيير ثم فصلت كما يفصل القلائد
بالفرائد كل لنزول جملة النبوة والاحكام والمواعظ والقصص لكل معنى من هذه المعاني فصل انفرد به وجعلت فصولا سورة سورة او آية
آية او فرقت في التنزيل ولم تنزل جملة واحدة او فصل فيها تكاليف العباد وبين ما يحتاجون اليه في اصلاح المعاش والمعاد ومعنى ثم التراخي
في الحال كقولك فلان كريم الاصل ثم كريم الفعل او احكمت صفة كتاب ومن لدن صفة ثانية او خبر بعد خبر او صلة لاحكمت وفصلت اي من
عنده احكامها وتفصيلها وفي قوله حكيم خبير لف ونشر لان المعنى احكمها حكيم وفصلها خبير عالم بمواقع الامور احتج الجبائي بقوله احكمت
ثم فصلت على كون القرآن محدثا لان الاحكام والتفصيل يكون بجعل جاعل وكذا بقوله من لدن لان القديم لا يصدر عن القديم واجيب
بانه لا نزاع في حدوث الاصوات والحروف وانما النزاع في الكلام النفسي في قوله ان لا تعبدوا الا الله مفعول له اي لاجل ذلك ويكون ان
مفسرة لان في تفصيل الآيات معنى القول كانه قيل ثم قيل للنبي قل لهم لا تعبدوا او مزيدة في الكلام ان يكون كلاما مبتداء منقطعا عما قبله
محكيا عن لسان النبي ﷺ يعزى متعلق باحتضار الله بالعبادة كانه قال لزلفه عبادة الله مثل تضرب للرغائب الخطير في منه عز وجل حالا من
نذير وبشير اي انني لكم نذير من جهته ان لم تخصوه بالتعبد بشير ان خصصتموه بذلك ويجوز ان يكون منه صلة النذير اي انذركم منه وان
عذابه ويكون صلة البشير محذوفا اي البشركم بثوابه ثم عطف على قوله ان لا تعبدوا قوله وان استغفروا اي اطلبوا من ربكم المغفرة لذنوبكم
ثم بين الشيء الذي يطلب لذلك وهو التوبة فقال ثم توبوا اليه فالتوبة مطلوبة لكونها من مهمات الاستغفار وما كان اخرا في الحصول
كان اولا في الطلب فلهذا قدم الاستغفار على التوبة وقيل استغفروا اي توبوا ثم قال توبوا اي خلصوا التوبة واستقيموا عليها وقيل
استغفروا من سالف الذنوب ثم توبوا من ايف الذنوب قيل استغفروا من الشرك ثم ارجعوا اليه بالطاعة وقيل الاستغفار ان يطلب من الله
الاعانة في الذي لا يتمكن من التوبة بسعي الانسان في الطاعة والاستعانة بفضل الله مقدم على الاستعانة بسعي النفس ثم رتب على الاشتغال
امرين الاول التمتع بالمنافع الدنيوية الى حين الوفاة كقوله فلنحيينه حياة طيبة سؤال كيف الجمع بين هذا وبين قوله ثم وكوا ان يكون
الناس امة واحدة وقول النبي الدنيا سجن المؤمن البلاء موكل بالانبياء ثم بالاولياء واجيب بان المراد ان لا يهلكهم بعذاب الاستيصال
او يوزقهم كيف كان والجواب الثاني ان الانسان اذا كان مشغولا بطاعة الله مستغرقا في نور معرفته وعبادته كان مبتهجا في نفسه مسرورا
في باطنه هينا عليه ناقما من اللذات العاجلة فانعما بما يصيبه من الخيرات الزايلة الثاني قوله ويؤت اي في الآخرة كل فضل فضله اي ثوب
فضل ذلك المحسن مقتضاه يعني الجزاء المرتب على عمل بحسب تزايد الطاعات في تسمية الاعمال الحسنة فضلا تشريفا يجوز ان يعود الضمير في وفضله

سبل الله

هود

الى الله تعم وفيه تنبيه على المدخرات في الجنة بتفاضل بحسب تزايد الطاعات ثم اوعد على مخالفة الامر بقوله فان تولوا اى تتولوا فحذف احدى التاءين والمعنى ان تعرضوا عن الاخلاص في العبادة وعن الاستغفار والتوبة فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير يوم القيمة الموصوف بالعظم بالنقل اليه ويذرون وراءهم يوما ثقيلا ثم بين كبر عذاب ذلك اليوم بقوله الى الله مرجعكم اى لا حكم في ذلك اليوم الا لله ولا رجوع الا الى جزائه وهو مع ذلك كامل القدرة نافذ الحكم فما ظنكم بعذاب يكون المعذب به مثله وفيه من التهديد ما فيه ولكن الاية تتضمن البشارة من وجه اخر وذلك ان الحاكم الموصوف بمثل هذه العظمة والقدرة والاستقلال في الحكم اذا رأى عاجزا مشرفا على الهلاك فانه يرحم عليه لا يقيم لعذابه وزنا اللهم لا تخيب جانبنا فانك واسع المغفرة ثم ذكر ان التولي عن الاوامر المذكورة باطنا كالتولي عنها ظاهرا فقال الا انهم يثنون يقال ثنى صدره عن الشيء اذا زوره عنه وانحرف وطوى عنه كشحا قال المفسرون وههنا اضمار اى يثنون صدورهم ويريدون ليستخفوا منه اى من الله ثم كرر كلمة الا تنبيها على وقت استخفائهم وهو حين يستغشون ثيابهم اى يريدون الاستخفاء في وقت الاستغشاء الثياب قال الكلبي ثنى صدورهم كناية عن نفاقهم لما روي ان طائفة من المشركين منهم الاخنس بن شريق قالوا اذا اغلقنا ابوابنا وارخينا ستورنا واستغشينا ثيابنا وثنينا صدورنا على عداوة محمد فكيف يعلم بنا وعلى هذا لا حاجة الى الاضمار وقيل انه حقيقة وذلك ان بعض الكفار كان اذا مر برسول الله ﷺ ثنى صدره وولى ظهره واستغشى ثيابه لئلا يسمع كلام رسول الله ﷺ وما يتلو من القرآن ويقول في نفسه ما يشتهي من الطعن ثم استأنف قوله يعلم ما يسرون وما يعلنون تنبيها على انه لا فائدة لهم في الاستخفاء لانه تعالى عالم بالسر كما انه عالم بالظواهر ثم اكد كونه عالما بكل المعلومات بكونه كافلا لارزاق جميع الحيوانات ضامنا لمصالحها ومهامها فضلا وامتنانا وكرما واحسانا فقال وما من دابة الاية والمستقر مكانها من الارض والمستودع ما قبل ذلك من الامكنة من صلب ذي رحم وبيضة وقال الفراء مستقرها حيث تأوي اليه ليلا او نهارا ومستودعها موضعها الذي يموت فيه قد مر تمام الاقوال في سورة الانعام واستدل الاشاعرة بالاية على ان الحرام رزق لانها تدل على ان ايصال الرزق الى كل حيوان واجب على الله بحسب الوعد عندنا او بحسب الاستحقاق عند المعتزلة شبه التذر ثم انا نرى انسانا لا ياكل من الحلال طول عمره وقد سماه الله تعالى رزقا ثم ختم الاية بقوله كل في كتاب مبين اى كل واحد من الدواب رزقها ومستقرها ومستودعها ثابت في علم الله او في اللوح المحفوظ وقد ذكرنا فائدته في قوله ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين يروى ان موسى عند نزول الوحي عليه تعلق قلبه باهله فامره الله تعالى ان يضرب بعصاه صخرة وانشقت فخرجت ثالثة ثم ضربها فخرجت دودة كالذرة وفي فمها شيء يجري مجرى الغذاء لها فسمع الدودة يقول سبحان من يراني ويسمع كلامي ويعرف مكاني ويذكرني ولا ينساني ثم انزل قد مر تمام قوله وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء قال الاخبار خلق الله ياقوتة خضراء ثم نظر اليها بالهيبة فصارت ماء ثم بعد ثم خلق الريح فجعل الماء على متنها ووضع العرش على الماء وقال ابو بكر الاصم هذا كقولك السماء الاعلى الارض وليس ذلك على سبيل كون احدهما ملصقا بالاخر وعلى هذا فيكون الاناء عرشه على الماء وقال في الكشاف المراد انه ما كان تحت العرش هو الماء وفيه دليل على ان العرش والماء كانا مخلوقين قبل السموات والارض وعلى ان الملائكة خلقت قبل العرش والماء ليعتبروا بها الا لزم ان يكون خلقها قبل ان يعتبر بها عبثا اذ لا يتصور عود نفعها اليهم وقال ابو مسلم العرش البناء اى بناؤه للسموات كان على الماء وقال حكماء الاسلام المراد بالماء تحريك شبيه سيلان الماء اى وكان عرشه يتحرك وبالجملة مقصود الاية بيان كمال قدرته في امثال الجرم العظيم على الصغير مما قوله ليبلوكم فالمعنى قالوا اللام للتعليل وذلك انه خلق هذا العالم الكبير لاجل مصالح المكلفين وان يعاملهم معاملة المختبر المبتلي لاحوالهم كيف يعملون فيجازي كل فريق بما يستحقه والاشاعرة قالوا ان احكامه غير معللة بالمصالح ومعناه انه فعل فعلا لو كان يفعله من يجوز عليه غاية المصالح لما فعل الا لهذا الغرض وانما علق فعل البلوى لما في الاختبار من معنى العلم لانه طريق الى العلم فهو ملابس له كالنظر والاستماع في قولك انظر ايهم احسن وجها واسمع ايهم احسن كلاما قال في الكشاف الذين هم احسن عملا هم المتقون وانما خصهم بالذكر وطرح ذكر من وراءهم طمعا في رجوع الفساق والكفار تشريفا لهم قلت ويجوز ان يتناول احسن بمعنى حسن ليشمل الخطاب جميع المكلفين ثم لما كان الابتلاء يتضمن حدوث البعث بعد ذلك قوله ولئن قلت الاية والاشارة في قوله ان هذا الا سحر الى البعث اى هو باطل كبطلان السحر والى القرآن لانه الناطق بالبعث فاذا جعلوه سحرا فقد اندرج تحته انكار ما فيه من البعث قال الفقال معناه ان هذا القول خديعة منكم وضعتموها لمنع الناس عن لذات الدنيا واجتذابهم الى الانقياد لكم والدخول تحت طاعتكم ومن قرأ ساحر فالاشارة الى النبي ﷺ ثم بين انه متى تأخر عنهم العذاب الذي توعدهم الرسول به اخذوا في الاستهزاء وقالوا ما الذي حبسه عنا فقال ولئن اخرنا عنهم الاية والامة اشتقاقها من الام وهو القصد والوقت المقصود والمعدود ايضا الوقت المضبوط لاتباع الموعود وقيل هي الجماعة من الناس قد يسمى الحين باسم ما يحصل فيه كقولك كنت عند فلان صلوة العصر اي في ذلك الحين فالمراد الحين بمقتضى تعدد من الناس قال في الكشاف اي جماعة من الاوقات والعذاب عذاب الاخرة وقيل عذاب يوم بدر عن ابن عباس قتل جبريل المستهزئين ومعنى ما يحبسه اي شيء يمنعه من النزول سخرا لانه على حصة الاستهزاء والتكذيب في جانبهم الله بقوله الا يوم يأتيهم وهو متعلق بخبر ليس اي ليس العذاب مصروفا عنهم يوم يأتيهم واستدل به من جوز تقدم

فانشقت فخرجت منها حصاة فابتلعت ثم خارت بالتسبيح

خبر ليس على الانكار اذا جاز تقديم معمول الخبر عليها فتقديم الخبر عليها اولى والا لزم المتابع مزية على المتبوع ثم قال وخاق بهم اى احاط بهم ما كانوا به يستهزؤن اراد ليستعجلون ولكنه وخاق بلفظ الماضي لانه جعل كالواقع ثم حكى ضعف الانسان في خالبي السراء والضراء فقال لئن اذقنا الانسان الاية واختلف المفسرون وقيل الانسان مطلق بدليل صحة الاستثناء في قوله الا الذين امنوا ولان هذا النوع مجبول على الضعف والنقص والجملة والقلة والثبات وقيل المراد الكافر والاستثناء منقطع واللام للعهد فلا يدخل الكافر ولان وصف الانسان بالكفران والفرح المفرط بالامور الزائلة والفخر بها لا يليق الا بالكافر وذلك لانه يعتقد ان السبب في حصول تلك النعم من الامور الاتفاقية فاذا زالت استبعد حدوثها مرة اخرى فيقع في اياس الشديد عند حصولها كان ينسبها الى الاتفاق فلا يشكر الله بل يكفره واذا انتقل من مكروه الى محبوب ومن محنة الى منحة اشتد فرحه بذلك وافتخر بها لذهوله عن التعاقبات الاخروية الروحانية فيظن انه قد فاز بغاية الامانى ونهاية المقاصد اما المؤمن فخائف على عمله لذلك استحق وعد الله بالمغفرة والاجر الكبير اما تفسير الالفاظ فالاذاقة والذوق اقل ما يوجد به الطعم وفيه دليل على الانسان لا يصبر عن اقل القليل ولا على فيه ان جميع نعم الدنيا في قلة الاعتبار وسرعة الزوال كشبه حلم النائم ومن وخيالات المبرسمين والرحمة النعمة من صحة او من اولاد ونزعناها سلبناها واليؤس والكفور بنا ان للسباغة والنعماء انعام يظهر اثره على صاحبه والضراء مضرة كذلك فاذا الواحد لانها اخرجت مخرج الاحوال الظاهرة نحو حوراء وعوراء والسيئات يريد بها المصائب التي سألته ثم سلى نبيه بقوله فلعلك تارك الاية قال ابن عباس ان رؤساء مكة قالوا ان كنت رسولا فاجعل لنا جبال مكة ذهبا او ائتنا بالملائكة ليشهدوا لك فخاطب الله سبحانه نبيه بقوله فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك واختلفوا في ذلك البعض فعن ابن عباس ان المشركين قالوا ائتنا بكتاب ليس فيه شتم الهتنا حتى نتبعك ونؤمن بكتابك وقال الحسن طلبوا منه ان يترك قوله ان الساعة اتية واجمع المسلمون على انه لا يجوز على الرسول ان يترك بعض ما اوحى الله اليه لانه ينافي المقصود من الرسالة المعتبر فيها الامانة فاولوا الاية بان امثال هذه التهديدات لعلها سبب عدم التقصير في اداء الوحي فلهذا حوطت بها او لعله كان ههنا امران احدهما ترك اداء شيء من الوحي وثانيهما انهم كانوا يتلقون الوحي بالطعن والاستهزاء فنبه بالاية على ان تحمل الضرر الثاني اهون واذا وقع الانسان بين مكروهين وجب ان يختار اسهلهما والعرب يقول لغيره اذا اراد ان يزجره لعلك تفعل كذا اي لا تفعل وانما قال وضائق ولم يقل وضيق به صدرك دلالة على انه ضيق حادث لانه كان افسح الناس صدرا ومعنى ان يقولوا مخافة ان يقولوا لولا انزل اي هلا انزل عليه ما اقترحنا نحن من الكنز والملائكة ولم انزل عليه ما لا نريده لا نقترحه ثم بين ان حاله مقصور على انذاره لا يتخطاها الى انزال المقترحات والذي يسلمه هو القادر على ذلك حفيظ عليه على كل شيء ومن كمال قدرته انزال القرآن المعجز لدهماء المصاقع واشار الى ذلك بقوله ام يقولون الاية وقد مر مثله في سورة يونس عن ابن عباس ان السور العشر من اول القرآن الى ههنا واعترض عليه بان هذه السورة المتقدمة عليها مدنية فكيف يمكن ان يشار الى ما ليس بمنزل بعد فالاولى ان يقال ان التحدي وقع بمطلق السورة التي تظهر فيها قوة ترتيب الكلام وتاليفه تحداهم اولا بمجموع القرآن في قوله قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله الاية بعشر سور في هذه الاية وذلك ان العشرة اول عقد من العقود ثم بسورة في يونس وفي البقرة وهذا كما يقول الرجل لصاحبه اكتب كذا فان عجز قال اكتب عشرة اسطر مثل ما اكتب فان عجز قال فاخر الامر قد قدرت منك على سطر واحد مثله ثم اذا اراد ان يبالغ قال قد جوزت لك ان تستعين بكل من تريد فاظهر عجزه حال الانفراد وحال الاجتماع والتعاون تبين عجزه عن المعارضة على الاطلاق وبهذا قال فان لم يستجيبوا الى معارضة القرآن والى الايمان لكم اي لك وللمؤمنين لان رسول الله والمؤمنين كانوا يتحدونهم او الجمع لتعظيم رسول الله فاعلموا انما انزل بعلم الله اي ملتبسا بما لا يعلمه الا الله من النظم المعجز والاشتمال على العلوم الجمة الخفية والغائبة وفي الامر راجع الى الثبات اي اثبتوا على ما انتم عليه من العلم واليقين بشان القرآن وبوجوه على التوحيد الذي استفدتم من القرآن او دلكم على ذلك عجزهم عن المعارضة والاعانة ثم ختم الاية بقوله فهل انتم مسلمون وفيه نوع من التهديد كانه قيل للمسلمين اذا تبينتم صدق قول محمد وازددتم بصيرة وطمانينة وجب عليكم الزيادة في الاخلاص والطاعة وتغيير خوه هو ان يكون الضمير في لم يستجيبوا لمن في من استطعتم والخطاب في لكم للمشركين وكذا في قوله فاعلموا وفي انتم والمعنى فان لم يستجب لكم من تدعونه الى المظاهرة لعلمهم بالعجز عنه فاعلموا انه منزل من عند الله ان توحيده واجب وغيرهم في اصل الاسلام وهددهم على تركه بقوله فهل انتم لزوم الحجة مسلمون ثم اوعد من كانت همته مقصورة على زينة الحياة الدنيا وكان مائلا عن الدين جملا اوعنادا فقال من كان يريد الاية عن انس انهم اليهود والنصارى وقيل المنافقون كانوا يطلبون بغزوهم مع الرسول الغنائم فكان حبسهم فيها وقال الاصم هم منكرو البعث قال الحزون هي عامة في الكافر والمسلم المرائي وقال الغاضي المراد من كان يريد بعمل الخير الدنيا وزينتها نوفي اليهم اعمالهم نوصل اليهم اجور اعمالهم وافية كاملة من غير بخس في الدنيا وهو ما ينالون من الصحة والكفاف وسائر اللذات والمنافع عن ابي هريرة ان رسول الله قال اذا كان يوم القيمة يدعى برجل جامع للقرآن فيقال له ما عملت فيه فيقول قام بي اناء الليل واناء النهار فيقول الله كذبت وتقول الملائكة كذبت بل اردت ان يقال فلان قارئ وقد قيل ذلك ويؤتى بصاحب المال فيقول الله الم اوسع عليك فما اعملت فيما اوتيت فيقول وصلت الرحم وتصدقت فيقول الله كذبت بل اردت ان يقال فلان جواد وقد قيل

هود

ثم يؤتى بمن قتل في سبيل الله فيقول فاقتل في الجهاد حتى قتلت فيقول الله تعالى كذبت بل اردت ان يقال فلان جرى فقال ابو هريرة ثم ضرب رسول الله ركبتي وقال يا ابا هريرة اولئك الثلثة اول خلق تسعر بهم النار يوم القيمة روى ان ابا هريرة ذكر هذا الحديث عند معوية فبكى معوية حتى ظننا انه هالك ثم افاق فقال صدق الله ورسوله من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها الاية ثم بين ان بين طالب الدنيا واحدها وبين طالب السعادات الباقية تفاوتا بينا فقال افمن كان والمعنى امن كان يريد الحيوة الدنيا فمن كان على بينة اى لا يعقبونهم في المنزلة عند الله ولا يقاربونهم نظرا الى حال العلماء والجهال فان الجهال للدخول قبل العلماء فيقول الجهال ثم العلماء كلا وحاشا ترى ان العلماء ينبغي ان يدخلوا الا ثم الجهال ويمكن ان يقال التقدير افمن كان على بينة من ربه كمن يريد الحيوة الدنيا فحذف الخبر لعلم به مثله افمن زين له سوء عمله فراه حسنا امن هو قانت اناء الليل ساجدا وقائما واعلم ان اول هذه الاية يشتمل على الفاظ اربعة مجملة الاول ان هذا الذي وصفه الله بانه على بينة من هو الثاني ما المراد بالبينة الثالث ما معنى يتلوه اهو من التلاوة ام من التلو الرابع الشاهد من هو للمفسرين فيها اقوال اصحها ان معنى البينة البرهان العقلي الدال على صحة الدين الحق والذي هو على البينة مؤمنو اهل الكتاب كعبد الله سلام واخر ابه ومعنى يتلوه يعقبه وتذكير الضمير العايد الى البينة بتاويل البيان والبرهان والمراد بالشاهد القران ومنادى من الله ومن القران المقدم ذكره في قوله ام يقولون افتريه ومن قبله كتاب موسى اى ويتلو ذلك البرهان من قبل القران كتاب موسى وهو التورية حال كونها اماما اى اعني اماما كتابا مؤتما به في الدين قدوة فيه ورحمة ونعمة عظيمة على المنزل اليهم والحاصل ان المعارف اليقينية الممكنة امّا ان يكون طريق اكتسابها بالحجة والبرهان واما ان يكون بالوحي والالهام واذا اجتمع على بعض المطالب هذان الامران واعتضد كل واحد منهما بالاخر كان المعلوم اوثق ثم اذا توافقت كلمة الانبياء على صحته بلغ المطلوب غاية القوة والوثوق ثم انه حصل في تقرير صحة هذا الدين هذه الامور الثلثة جميعا البينة وهي الدلائل العقلية اليقينية والشاهد هو القران المستفاد من الوحي وكتاب موسى المشتمل على الشرايع المتقدمة عليها الصالح لاقتداء الخلف به وعند اجتماع هذه الامور لم يبق لطالب الحق المنصف في صحة هذا الدين شك ولا ارتياب وقيل افمن كان محمد على البينة القران ويتلوه بقرءه شاهد هو جبريل نزل بامر الله وقرء القران على محمد وشاهد من تبعه هو لسانه او شاهد هو بعض محمد يعني علي بن ابي طالب او يتلوه اى يعقب ذلك البرهان شاهد من النبي هو صورته وخايلته فان من نظر اليه بعقله يتفرس من انه ليس بمجنون ولا وجهه وجه كذاب ولا كاهن وقيل الكائن على البينة هم المؤمنون والبينة القران ويتلوه يعقب القران شاهد من الله هو محمد او الانجيل لانه يعقبه في التصديق والدلالة على المطلوب وان كان موجودا قبله او ذلك الشاهد كون القران واقعا على وجه يعرف المتامل فيه اعجازه لاشتماله على فنون الفصاحة وصنوف البلاغة الى غير ذلك من المزايا التي قلما اخبر عنها الا الذوق السليم ثم مدح الكائن على البينة بقوله اولئك يؤمنون به اى بالقران ثم اوعد غيرهم بقوله ومن يكفر به من الاحزاب يعني اهل مكة ومن انخذ معهم كاليهود والنصارى المجوس فالنار موعده فلا تك في مرية منه من القران او من الموعد ولما ابطل بعض عادات الكفرة من شدة حرصهم على الدنيا وذلك قوله من كان يريد الحيوة الدنيا ومن انكارهم نبوة محمد وذلك قوله افمن كان على بينة اراد ان يبطل ما كانوا يعتقدون في اصنامهم انها شفعاء من تشفعهم فقال ومن اظلم ثم قال اولئك يعرضون لم يحمل عليهم العرض لانهم مخصوصون بالعرض فان العرض عام ولكن فائدة الحمل ترجع الى المعطوف اراد انهم يعرضون فيفضحون بقول الاشهاد ومعنى عرضهم على ربهم انهم يعرضون على الاماكن المعدة للحساب والسؤال والمراد عرضهم على من يوبخ ويبكت بامر الله من الانبياء والمؤمنين او اراد انهم يجلسون في المواقف ويعرض اعمالهم على الوفاق مجاهد الاشهاد الملائكة الحفظة وقال قتادة هم الناس كما يقال على رؤس الاشهاد اى الناس وقيل هم الانبياء كقوله ولتسئلن المرسلين والاشهاد ما جمع شاهد كصاحب واصحاب وجمع شهيد كشريف واشراف قال ابو علي وهذا ارجح لكثرة ورود شهيد القران ويكون الرسول عليكم شهيدا فكيف اذا جيئنا من كل امة بشهيد وجيئنا بك على هؤلاء شهيدا والفائدة في اعتبار قول الاشهاد المبالغة في اظهار الفضيحة وباقي الاية قد مر تفسيرها في الاعراف اولئك لم يكونوا معجزين في الارض لو كان يمكنهم ان يهربوا من عذابنا لانه سبحانه قادر على جميع الممكنات ولا تتفاوت قدرته بالنسبة الى القريب والبعيد الضعيف والقوي وما كان لهم من دون الله من اولياء ينصرهم ويمنعهم من عقابه جمع تقدم بين ما يرجع اليهم وبين ما يرجع الى غيرهم وبين بذلك انقطاع حيلتهم في الخلاص من عذاب الدنيا ومن عذاب الاخرة وقيل هذا من كلام الاشهاد والمراد انه تقاعد شاءهم في الدنيا لعاقبتهم ولكنه اراد انظارهم وتاخيرهم الى هذا اليوم يضاعف لهم العذاب من قبل الكفر والصد عن السبيل والاضلال وما كانوا يستطيعون السمع يريد ما هم عليه في الدنيا من صمم القلوب عن البصائر ثم ان الاشاعرة قالوا ان ذلك يخلق الله تعالى حتى صيرهم عاجزين ممتنعين عن الوقوف على دلائل الحق وهو فقه ما روي عن ابن عباس رض انه قال منع الكافرين من الايمان في الدنيا وذلك قوله وما كانوا يستطيعون الاية وفي الاخرة كما قال يدعون الى السجود فلا يستطيعون وقالت المعتزلة المراد استثقالهم لاستماع الحق ونفورهم عنه كقول القائل لهذا الكلام مما لا استطيع ان اسمعه لهذا الشخص لا استطيع ان ابصره والمراد بالاولياء الاصنام كانه قال الذين سموهم اولياء ليسوا في الحقيقة اولياء ثم نفى كونهم اولياء بانهم لا يسمعون ولا يبصرون فكيف يصلحون للولاية وعلى هذا يكون قوله يضاعف لهم العذاب تعرضا

بوعبدالله اعلم انه سبحانه وصف الكفار في هذه الآيات بصفات كثيرة الاولى قوله ومن اظلم ممن افترى الثانية اولئك يعرضون اي في موقف الذل والهوان الثالثة بيان الخبر والفيصح في قوله ويقول الاشهاد الرابعة اللعنة عليهم الخامسة الصد عن سبيل الله السادسة سعيهم في الفناء الشبهات في ذلك قوله ويبغونها عوجا السابعة كونهم كافرين بالاخرة الثامنة كونهم عاجزين عن الفرار اولئك لم يكونوا التاسعة وما كان لهم من دون الله من اولياء العاشرة مضاعفة العذاب لهم الحادية عشرة الثانية عشرة ما كانوا يستطيعون الاية الثالثة عشر اولئك الذين خسروا انفسهم وقد مر في الانعام الرابعة عشرة ضل عنهم ما كانوا يفترون وقد سبق في يونس الخامسة عشر لا جرم قال الفراء انها بمنزلة قولك لا بد ولا محالة ثم كثر استعمالها حتى صارت بمنزلة حقا وقال النحويون لا حرف نفي وجرم اي قطع معناه لا قطع فاطع لهم في الاخرة هم الخاسرون وقال الزجاج لا نفى لما ظنوا انه ينفعهم وجرم معناه كسب المعنى لا ينفعهم ذلك وكسب لهم ذلك الفعل خسار الدارين قال الازهري وهذا من احسن ما قيل في هذه اللغة قوله وعد المؤمنين واخبتوا الى ربهم معناه اطمانوا اليه وانقطعوا الى عبادته بالخشوع من الخبت وهي الارض المطمئنة وفيه اشارة الى ان الاعمال لا بد فيها من الاحوال القلبية الموجبة للالتفات عما سوى الله وقيل المراد اطمينانهم وتصديقهم كل ما وعد الله به من الثواب ضده وقيل المراد كونهم خائفين من وقوع الخلل في بعض تلك الاعمال ثم ضرب للفريقين مثلا وهو اما تشبيهات بان شبههما تارة بالاعمى والبصير والاخرى بالاصم والسميع اما تشبيه واحد والواو لعطف الصفة على الصفة فيكون قد شبه الكافر بالجامع بين العمى والصمم والمؤمن بالجامع بين البصر والسمع والاشبه ان الفريق الكافر هو الذي وصف بالصفات الست عشرة واما الفريق المؤمن فقيل المراد به قوله افمن كان على بينة وقيل المذكورون في قوله ان الذين امنوا ثم انكر شبههما في الاحكام والمآب بقوله هل يستويان مثلا اي اشباها وفي قوله افلا تذكرون تنبيه على ان علاج هذا العمى ممكن بتبديل الاخلاق وتغيير الاحوال بتسديد الله تعالى وتوفيقه الثالثة الر الالف اشارة الى الله واللام الى جبريل والراء الى الرسول يعني هذا انزال الله على لسان جبريل الى الرسول كتاب مبين من لدن حكيم خبير كقوله وعلمناه من لدنا وراس العلم الذي ان تقول لا ملك الا محمد ان لا تعبدوا الا الله وان استغفروا ربكم بما ضاع من عمركم في غير طلب الله ثم توبوا ارجعوا اليه بقدم السلوك لتكون التوبة تحلية لكم بعد التزكية بالاستغفار يمتعكم متاعا حسنا هو الترقي في المقامات العلية الى اجل مسمى هو حين انقضاء المقامات وابتداء درجات الوصول ويؤت كل ذي فضل فضله اي يؤت كل ذي صدق واجتهاد في الطلب درجات الوصول فان المشاهدات بقدر المجاهدات والحاصل ان المتاع الحسن هو الترقي من مراتب السير الى الله وابتاء الفضل هو درجات السير في الله عذاب يوم كبير هو عذاب الانقطاع عن الله الكبير الاخرين يستغشون ثيابهم الجسمية على وجه الروح كان يعلم ما يسرون من حرمان الوصول وما يعلنون من نقص الحرمان تحت ثياب القالب ما يعلنون من شق الصدور وانه عليم بذات الصدور اي بما في الصدور من القلوب الفانية وما من دابة في الارض الا على الله رزقها الان كل حيوان له صفة مخصوصة ومزاج مخصوص وغذاؤه ان يكون ملائما لمزاجه فعلى قدر كرم الله انه كما خلق اجسادها على الامزجة المتعينة يخلق غذاؤها موافقا لمزاج كل منها ثم يهديها الى ما هو وفق لها ويعلم مستقرها في العدم كيف قدرها استعداد للصور الحقيقة بها مستودعها الذي يؤول اليه عند ظهورها فيها بالقوة الى الفعل ليبلوكم فان العالم لما فيه محل الابتلاء ومحل السعداء والاشقياء ولئن قلت للاشقياء موتوا عن الطبيعة باستعمال الشريعة وزاولة الطريقة ليحيوا بالحقيقة فان الحيوة الحقيقية يكون بعد الموت عن الحيوة الطبيعة ليقولن الذين كفروا سرا واحسن استعدادهم الفطري بتعلق الشهوات الفانية ان هذا الا سحر مبين اي كلام ممزوج باصل له ولئن اخرنا عنهم عذاب البعد الى الحين ظلوا

ع ٣

وقوف العلم بحيث ان الناس ينامون فاذا ماتوا انتبهوا الا الله اني لكم منه نذير وبشير الا تعبدوا الا الله اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم فقال الملا الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادي الراي وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي واتاني رحمة من عنده فعميت عليكم انلزمكموها وانتم لها كارهون ويا قوم لا اسئلكم عليه مالا ان اجري الا على الله وما انا بطارد الذين امنوا انهم ملاقوا ربهم ولكني اراكم قوما تجهلون ويا قوم من ينصرني من الله ان طردتهم افلا تذكرون ولا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول اني ملك ولا اقول للذين تزدري اعينكم لن يؤتيهم الله خيرا الله اعلم بما في انفسهم اني اذا لمن الظالمين قالوا يا نوح قد جادلتنا فاكثرت

جدالنا فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين قال انما يأتيكم به الله ان شاء وما انتم بمعجزين ولا ينفعكم نصحي
جدال را، پس بیار بر ما آنچه وعده ما را اگر هستی از راستگویان گفت جز این نیست که آرد بر شما آن را خدا اگر خواهد و نیستید شما عاجز کنندگان او و سود نمیدهد شما را پند دادن من
ان اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم هو ربكم واليه ترجعون ام يقولون افتريه قل ان افتريته فعلي
اگر خواهم که پند دهم شما را اگر خواهد خدا که گمراه کند شما را او ذات پروردگار شما و بسوی او باز گردانیده میشوید بلکه میگویند بر بافته است او را بگو اگر بر بافته باشم آن را پس بر من
اجرامي وانا بريء مما تجرمون ع واوحي الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد امن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون
گناه من و من بیزارم از آنچه گناه میکنید و وحی کرده شد بسوی نوح که ایمان نخواهند آورد از قوم تو هرگز مگر کسی که ایمان آورده است پس اندوه مکن مباش بآنچه کرده میکنند
واصنع الفلك باعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من
و بساز کشتی را بنگاه داشت ما و وحی ما و در خطاب مکن مرا در باره آنان که ستم کردند بدرستیکه ایشان غرق شدگانند و میساخت کشتی را و هرگاه که گذشتند بر او جماعتی از
قومه سخروا منه قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه
قوم او مسخره کردند از او گفت اگر مسخره کنید از ما پس ما مسخره میکنیم از شما چنانکه مسخره میکنید پس زود باشد که بدانید کیست که میآید او را عذابی که رسوا کرداند او را و فرود آید بر او
عذاب مقيم حتى اذا جاء امرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين واهلك الا من سبق عليه القول و
عذابی دایم تا وقتیکه آمد فرمان ما و بجوشید آن تنور گفتیم بکشتی در بردار در کشتی از هر نر و ماده دو جفت را و کس را که گرفته است پیشی گرفته بر او گفتن را و
من امن وما امن معه الا قليل وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرسيها ان ربي لغفور رحيم وهي تجري بهم في موج
کسانی را که ایمان آورده و ایمان نیاورد با او مگر اندکی و گفت سوار شوید در کشتی بنام خدا در وقت روان شدن و بار ایستادنش بدرستیکه خدای من آمرزنده مهربان است و آن میبرد ایشان را در میان موجها
كالجبال ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين قال ساوي الى جبل يعصمني
که همچو کوهها و ندا کرد نوح پسر خود را و بود در کناری از کشتی ای پسرک من سوار شو با ما و مباش با کافران گفت زود باشد که پناه برم بکوهی که نگاه دارد مرا
من الماء قال لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين وقيل يا ارض ابلعي ماءك
از آب گفت نیست نگاه دارنده امروز از فرمان خدا مگر از که بر بخشد و حایل شد میان ایشان موج پس شد از غرق شدگان و گفته شد ای زمین فرو بر آب خود را
ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقضي الامر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين ونادى نوح ربه فقال
و ای آسمان باز کش آب را و کم کرده شد آب و گزارده شد کار و قرار گرفت بر کوه جودی و گفته شد دور باد از رحمت مردم ستمکاران و بر خواند نوح پروردگار خود را پس گفت
رب ان ابني من اهلي وان وعدك الحق وانت احكم الحاكمين قال يا نوح انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح فلا
پروردگار من بدرستیکه پسر من از کسان من است و بدرستیکه وعده تو حق است و تو حکم کننده ترین حکم کنندگانی گفت ای نوح بدرستیکه او نیست از کسان تو بدرستیکه او صاحب کردار ناشایست است پس
تسئلن ما ليس لك به علم اني اعظك ان تكون من الجاهلين قال رب اني اعوذ بك ان اسئلك ما ليس لي به علم
مخواه از من آنچه نیست مر تو را بآن دانش بدرستیکه من پند میدهم ترا که مبادا که باشی از نادانان گفت پروردگارا بدرستیکه من پناه میبرم بتو که سوال کنم از تو
الا تغفر لي وترحمني اكن من الخاسرين قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى امم ممن معك وامم سنمتعهم
و اگر نیامرزی مرا و رحم نکنی مرا باشم از زیانکاران گفته شد ای نوح فرود آی بسلامتی از ما و برکتها بر تو و بر گروهی چند از آنها که با تو اند و امتانند که برخوردار
ثم يمسهم منا عذاب اليم تلك من انباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا فاصبر ان
پس برسد ایشان را از ما عذابی دردناک این از خبرهای نهان است وحی میکنیم آن را بسوی تو نبودی که میدانستی آنرا تو و نه قوم تو پیش از این پس صبر کن بدرستیکه
العاقبة للمتقين القراءة انى لكم بكسر الهمزة نافع وابن عامر وعاصم وحمزة والاخرون بفتحها يا بدى بالهمزة ابو عمرو ويصير الراى يا بياء ابو عمرو
انجام نیکو مر پرهیزگاران را و غیر شجاع و بزدل و لاعشی و لاصبی بآن عزدش و حمزه فی الوقف فمیت بحقوله مشدد احمزة وعلی وخلف وحفص الباقون
بضدها انلزمكموها باختلاس ضمة الميم عباس اجرى الاما بالفتح ابو جعفر ونافع وابن عامر وابو عمرو وحفص ولكنى اريكم بالفتح حيث كان
ابو جعفر ونافع وابو عمرو ونصحى ان ابو جعفر ونافع وابو عمرو باعيننا مدغما حيث كان عباس من كل بالتنوين حيث كان حفص والفضل
مجريها بفتح الميم بالامالة حمزة وعلى وخلف وحفص مجريها بالضم وبالامالة ابو عمرو والباقون بالضم مفخما يا بنى بفتح الياء عاصم ركب
معنا مظهرا عاصم حمزة عمل انه فعل غير بالنصب على وسهل ويعقوب الاخرون عمل غير بالرفع فيهما تسئلن بالنون المشددة المكسورة لا ذا
النون المخففة في نون الوقاية بعد حذف ياء المتكلم في الحالين ابن عامر وقالون باثبات الياء في الوصل ابو جعفر ونافع غيرها لون بفتح
النون المشددة ابن كثير تسئلني بغير نون الناكيد باثبات الياء في الحالين سهل ويعقوب الباقون بغيرها في الحالين اني اعظك اني اعوذ
بفتح الياء فيهما ابو جعفر ونافع وابن عامر وابو عمرو الوقف مبين لا الا الله ط الاليم الراي ج كاذبين فعيت عليكم ط كارهون ما لا ط
امنوا ط تجهلون طرد تهم ط تذكرون خير اط انفسهم ج الظالمين الصادقين بمعجزين ان يغويكم ط يرجعون ط افتريه ط مجرمون يفعلون
للابتداء والعطف ظلموا ج لاحتمال التعليل مغرقون سخروا منه ط تسخرون ط يعلمون لا الان ما بعده مفعول مقيم التنور لا الان ما بعد

جواب اذ ومن امن قليل ط ومرسيها ط رحيم للكافرين من الماء ط درهج لاتفاق الجملتين مع اختلاف العامل المغرقين الظالمين الحاكمين من اهلك ج علم ط الجاهلين علم ط الخاسرين معك ط اليم الياء ج لاحتمال ما بعده الحال او الاستيناف هذا ط وعلى قوله فاصبر حسن للابتداء بان المتقين التفسيرا او رد على الكفار انواع الدلائل اكدها بالقصص على عادته من التفنن في الكلام والنقل من اسلوب الى اسلوب الموعظة فيدا بقصة نوح ومعنى انى لكم اى متلبسا بهذا الكلام وهو قوله اني لكم فلما اتصل بها الجار فتح ومن كسر فعلى ارادة القول او ان لا تعبدوا بدل من اني لكم نذير اى رسلناه بان لا تعبدوا الا الله ويكون ان مفسرة متعلقا بارسلنا او بنذير وصف اليوم باليم مجازا لوقوع الالم فيه فيكون مجازا وكذا لو جعل الوصف للعذاب او الحرب او ثم حكى انه طعن اشراف قومه في نبوته من ثلاث جهات الاولى انه بشر مثلهم الثانية انه لم يتبعه الا الارذل يعنون اصحاب الحرف الخسيسة كالحاكة وغيرها قالوا لو كنت صادقا لاتبعك الاكياس الناس والاشراف منهم والارذال جمع ارذل وقيل جمع الارذل جمع رذل وهو الدون من كل شيء في منظره وحاله ومعنى بادي الرأي اول الرأي وهو نصب على الظرف اى اتبعوك في ابتداء حدوث الرأي من غير روية او معناه ظاهر الرأي من قولك بدا الشيء اذا ظهر ومنه البادية للبرية لظهورها وبروزها للناظر وهذا تفسير من قرأ بغير همز وعلى هذا فالمراد انهم اتبعوك في الظاهر وباطنهم بخلافه او اتبعوك وقت حدوث ظاهر رأيهم فحذف المضاف فلم نضاف اليه مقامه ويجوز ان يتعلق بادي الرأي بقوله اراذلنا اى كونهم كذلك امر ظاهر لكل من يريهم عيانا وبما اكد هذا البادي بما نقل عن مجاهد انه قرأ الا الذين هم ازاذلنا اى العين انما استرذلوا المؤمنين لاعتقادهم ان المزية عند الله سبحانه بالمال والجاه ولم يعلموا ان ذلك مبعد من الحق لا مقرب منه وان الانبياء ما بعثوا الا لترك الدنيا والاقبال على الاخرة فكيف يجعل قلة المال طعنا في النبوة وفي متابعة النبي الشبهة الثالثة وما نرى لكم علينا من فضل لا في العقل ولا في كمية غاية المصالح ولا في قوة الجدل بل نظنكم كاذبين خطاب لنوح ولمن امن بتبعيته او خطاب للاراذل كانهم نسبوهم الى الكذب في ادعاء الايمان ثم حكى ما اجاب به نوح قومه وهو ان حصول المساواة في صفة البشرية لا يمنع من حصول المفارقة في صفة النبوة وذلك قوله ارأيتم ان كنت على بينة برهان من ربي واتاني بايتاء تلك البينة رحمة وعلى هذا البينة هي الرحمة ويجوز ان يريد بالبينة المعجزة وبالرحمة النبوة وقيل بالعكس فمعنى خفيت واخفيت البينة او كل من البينة والرحمة اى صارت مظلمة مشتبهة في عقولكم والبينة يوصف بالابصار والعمى مجازا باعتبار ملابسها كما ان دليل القوم ان كان بصيرا اهتدوا وان كان اعمى بقوا خابطين متحيرين ثم قال انلزمكموها اى انكرهكم على قبول البينة وانتم لها كارهون والمراد انا لا نقدر على ايصال حقيقة البينة اليكم وانما يقدر على ذلك من هو قادر على الايجاد والاعدام وتغيير الاحوال وتبديل الاخلاق ثم انذكر لا يطلب على تبليغ الرسالة ما لا يحتمل بقاء وتلك الحال بسبب كون المجيب غنيا او فقيرا وما انا بطارد الذين امنوا عن ابن جريج انهم قالوا ان احببت ان نتبعك فاطردهم فانا لا نرضى بمشاركتهم فلم يبذل ملتمسهم وعلل ذلك بقوله انهم ملاقوا ربهم فيعاقب من يطردهم او بلاقونه فيجازيهم على ما في قلوبهم من الايمان الصحيح او النفاق بزعمكم او المراد انهم معتقدون لقاء ربهم ولكني اريكم قوما تجهلون لقاء ربكم او انهم خير منكم قوما تسفهون حيث تحملون المؤمنين اراذل ثم اكد عدم طردهم بقوله ويا قوم من ينصرني من الله من يمنعني من عقابه ان طردتهم ثم لان العقل والشرع توافقا على انه لا بد من تعظيم المؤمن البر المتقي ومن اهانة الكافر الفاجر فكيف يليق ببني الله ان يقلب هذه القضية سؤالا ان كان طرد المؤمن لطلب رضاة الكافر معصية فكيف فعل ذلك رسول الله ثم حتى طفق عنه بقوله ولا اقول للذين تزدري اعينكم الجواب انه لم يكن ذلك طردا منه وانما عين لاحلامهم اوقاتا مخصوصة كاشراف قريش فانا اخرى فعوتب على ذلك العقد احتجت المعتزلة بالاية على عدم الشفاعة للفساق لو كانت جائزة لكانت في حق نوح اولى فلم يقل من الذي يخلصني من عذاب الله ان جيب بانه مخصوص بايات العفو ثم ذكر انه كما لا يسألهم مالا فانه لا يدعي ان عنده خزائن الله حتى يجدوا ان له فضلا عليهم من هذه الجهة ولا اعلم الغيب حتى يحمل بما الى ما اريده لنفسي لاتباعي واطلع على الضمائر ولا اقول اني ملك لتعظم بذلك عليكم بل طريقي الخضوع والتواضع وعدم الاستنكاف عن مخالطة الفقراء وقدم في الانعام سائرها يتعلق بالاية ومعنى تزدري تعيب وتحقر والازدراء افتعال من زرى عليه عابه في قوله تعالى الله اعلم بما في انفسهم دلالة على انهم كانوا يتسبون اتباعه مع الفقر والذلة الى النفاق في اذا اى ان قلت شيئا من ذلك كنت من الظالمين لنفسي او ان قلت ان الله لن يؤتيهم خيرا مع انه لا وقوف على باطنهم ثم ان قومه وصفوه بكثرة الجدال قائلين يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا قال اهل المعاني اردت جدالنا وشرعت فيه فاكثرت كقولك جادلت فلانا فاكثر هو ردا اذا عطى عطيتا افاكثر بل تريدان الوصف مقارن للموصوف وفي الاية دلالة على ان الجدال في تقرير دلائل التوحيد من ذاب الانبياء ثم استعجلوا العذاب الذي كان يتوعدهم به فاجاب نبي الله بان ذلك ليس الي وانما هو بمشيئة الله وارادته ولا يعجزه عن ذلك احد وقوله ولا ينفعكم نصحي كقول القائل لامرأته انت طالق ان دخلت الدار ان كنت الخبز لم تقع الطلاق الا اذا دخل الدار فاكل الخبز وهذا قال الفقهاء الموخر في اللفظ مقدم في المعنى فكانه قيل ان كان الله يريد ان يغويكم فان اردت ان انصح لكم لم ينفعكم نصحي واحتج الاشاعرة بالاية ظاهر واجاب المعتزلة بانه لا يلزم من فرض امر وقوعه ولعل نوحا انما قال ذلك لانه تعالى اخبره بانه تعالى لم يرد التكليف على المختار والا لم يكن للنصح فائدة ولتثبت الخصم بالجبر ولزم اتمام الحجة

هود

ومن الجائز ان يراد بالاعواء التغذيب من غوى الفصيل اذا سئم فهلك ويراد به الجنس كقوله فسوف يلقون غيا اى خيبة من خير الاخرة او يراد به منع الالطاف وقد تقدم امثال ذلك مرارا ثم اشار الى المبدأ والمعاد بقوله الله مرجعكم واليه ترجعون ثم انكر الله سبحانه عليهم وقولهم انما ادعى نوح انه اوحى اليه مفتري فقال أم يقولون افتراه فامره بان يجيب بكلام منصف هو قوله ان افتريته فعلي اجرامي اى عقاب اجرامي وهو الافتراء وانا بريء مما تجرمون اى مما اجرامكم وهو اسناد الافتراء الى وهمنا اضمار كان قبل الكنى ما افتريته فالاجرام وعقابه عليكم وانا بريء منه واكثر المفسرين على ان هذه الاية من تمام قصة نوح وعن مقاتل انها من قصص محمد ص وقعت في اثناء قصة نوح قوله سبحانه واوحي الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فان قد للتوقع وقوله فلا تبتئس تسلية له اى لا تحزن بما فعلوه من تكذيبك واذيتك فقد حان وقت الانتقام منهم قال اكثر المعتزلة انه لا يجوز ان ينزل الله عذاب الاستيصال على قوم يعلم ان فيهم من يؤمن او في اولادهم من يؤمن بدليل دعاء نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا الى قوله الا فاجرا كفارا لعلل الاهلاك بمجموع الامرين فدل ذلك على انهما لو لم يحصلا لم يحز الاهلاك وذهب كثير منهم الى الجواز فليس كل خبر معلوم بواجب الوقوع نعم كلما يقع يجب ان يكون على الوجه الاصلح وهذا مذهب الاشاعرة في هذا المعنى ظاهر فله ان يفعل في ملكه ما شاء ثم عرفه وجه اهلاكهم والحكمة وجه خلاص من امن فقال واصنع الفلك وهو امر ايجاب على الاظهر لانه لا سبيل الى صون روحه عن الهلاك في الطوفان الا بذلك وصون النفس واجب وما لا يتم الواجب الا به فهو واجب وقيل امر ايجاد كمن امر ان يتخذ الانسان لنفسه دارا يسكنها والانصاف ان الامر ظاهر الوجوب وان قطعنا النظر عن فائدته وغايته وقوله باعيننا وحيننا في موضع الحال اى متلبسا بذلك والسبب فيه ان اقدامه على صنعة السفينة مشروط بامرين احدهما انه لا يمنعه اعداؤه عن ذلك العمل واشار اليه بقوله باعيننا وليست العين بمعنى الجارحة لانه منزه عن الجوارح والاعضاء فالمراد بها الحفظ والحياطة والكلاءة لان العين آلة الحفظ والحراسة والثاني ان يكون عالما بكيفية تركيب الاخشاب وبخبرها عن ابن عباس لم يعلم كيف صنعة الفلك فاوحى الله تعالى اليه ان يصنعها مثل جوء الطائر وقيل المراد عين الملك الذي كان يعرفه كيفية اتخاذ السفينة ثم قال ولا تخاطبني في الذين ظلموا اي في شانهم وعلل عدم الخطاب بقوله انهم مغرقون اى انهم محكوم عليهم بالاغراق وقد جف القلم عليهم بذلك فلا فائدة للشفاعة وقيل لا تخاطبني في تعجيل عقابهم فانهم يغرقون في الوقت المعين لذلك فلا فائدة في الاستعجال فلكل امة اجل وقيل المراد بالذين ظلموا امراته واعلته وكعاد ابنه ثم حكى الحال الماضية بقوله ويصنع الفلك والحال انه كلما مر عليه ملاء من قومه سخروا منه يحتمل ان يكون هذا جوابا لما وقوله قال ان تسخروا استيناف على تقدير سؤال سائل كانه قيل ماذا قال نوح ح ويحتمل ان يكون سخروا بدلا من مر به وصفة للملاء وقال جوابا لما قيل كانوا يقولون يا نوح كنت نبيا فصرت نجارا ولو كنت صادقا في دعواك لكان الهك يغنيك عن هذا العمل الشاق وقيل انهم مارّوا السفينة قبل ذلك فكانوا يتعجبون ويسخرون وقيل انها كانت كبيرة وكان يصنعها في مفازة بعيدة عن الماء فكانوا يقولون هذا من باب الجنون وقيل طالت مدته وكان ينظرهم الغرق وليس منه عين ولا اثر فغلب على ظنونهم كونه كاذبا فيسخرون منه فاجابهم بقوله ان تسخروا منا في الحال فانا نسخر منكم في المستقبل اذا وقع عليكم الغرق في الدنيا والحرق في الاخرة او ان حكمتم علينا بالجهل فيما نصنع فانا نحكم عليكم بالجهل فيما انتم عليه من الكفر والتعرض لسخط الله وان تستجهلونا فانا نستجهلكم في استجهالكم لانكم لا تستجهلون الا عن الجهل بحقيقة الامر والبناء على الحال كما هو عادة الاعمار وسمي جزاء السخرية سخرية كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها ثم هددهم بقوله فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه في الدنيا وهو عذاب الغرق ويحل عليه عذاب مقيم في الاخرة لازم لزوم الدين الحال للغريم ومن موصولة او استفهامية وقدر في الانعام روي ان نوحا اتخذ السفينة في سنتين وكان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسين ذراعا وارتفاعها ثلثين وكانت من خشب الساج وجعل لها ثلثة بطون الاسفل للوحوش والسباع والهوام والاوسط للدواب والانعام والاعلى للناس وما يحتاجون اليه من الزاد وحمل معه جسد آدم وقال الحسن كان طولها الفا وماتي ذراع وعرضها ستمائة قوله حتى اذا جاء امرنا هي غاية لقوله ويصنع الفلك اى كان يصنعها الى ان جاء وقت الامر بالاهلاك وفار التنور اى نبع الماء منه بشدة وسرعة تشبيها بغليان القدر والتنور هو الذي يخبز فيه فقيل هو ما استوى فيه العربي والعجمي وقيل معرب لانه لا يعرف في كلام العرب نون قبل راء عن ابن عباس والحسن ومجاهد هو تنور نوح وقيل كان لادم وحواء حتى صار لنوح وموضعه بناحية الكوفة قال المجاهد والشعبي عن علي انه في مسجد الكوفة وقد صلى فيه سبعون نبيا وقيل بالشام بموضع يقال له عين وردة قال مقاتل وقيل بالهند روي ان امراته كانت تخبز فاخبرته بخروج الماء من ذلك التنور فاشتغل في تلك الحال بوضع الازواج في السفينة وكان الله تعالى جعل هذه الحالة علامة لوقوع الطوفان وروي عن علي انه قال المراد بالتنور وجه الارض كقوله وفجرنا الارض عيونا وعنه انهما كلمتان وجهان معنى فار التنور طلع الصبح قيل معناه اشتد الامر كما يقال حمي الوطيس والمراد اذا رايت الامر يشتد والماء يكثر فاركب في السفينة وذلك قوله قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين والزوجان شيئان يكون احدهما ذكرا والاخر انثى من قرابة الاخر ومعناه احمل من كل صنفين بهذا الوصف شيئين ومن قرا بالتنوين فالمراد احمل من كل شيء زوجين اثنين للتاكيد لا يبعد ان يكون التباس داخلا فيه لاحتياج الناس الى اهلك معطوفا على مفعول احمل وكذا من امن وقوله الا من قد سبق عليه القول قال الضحاك اراد ابنه وامرته

قدر الله لهما الكفر اذ علم منهما ذلك ثم قال وما آمن معه الا قليل اى نفر قليل عن مقاتل انهم ثمانون وهم سموا قريتهم ثمانين بناحية الموصل لانهم لما خرجوا من السفينة بنوها وقيل اثنان وسبعون رجلا وامرأة واولاد نوح سام وحام ويافث ونساؤهم فالجميع ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء وعن محمد بن اسحق كانوا اثنى عشر وعن النبى كانوا ثمانية نوح واهله وبنوه الثلثة ونساؤهم وقيل فى بعض الروايات ان ابليس دخل معهم السفينة وفيه بعد لانه رجيم نادى فلا يؤمر الغرق فيه قوله سبحانه حكاية عن نوح واهله وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرسيها الاية فيه انجاء الاولاد ان الركوب متعد بنفسه يقال ركبت الدابة والبحر والسفينة اى علوتها فما الفائدة فى زيادة لفظة فى قال الواحدى فائدتها ان يعلم انه امرهم بان يكونوا فى جوف الفلك كما على ظهره الثانى قوله بسم الله اما ان يتعلق بقوله اركبوا حالا من الواو اى مسمين الله وقائلين باسم الله مجريها ومرسيها مصدران حذف منهما الوقت المضاف كقولهم جئتك خفوق النجم ومقدم الحاج اى زمان مكانا للاجراء والارساء او زمانها ومكانها بما فى بسم الله من معنى الفعل او بالقول المقدر وعلى التقادير يكون مجموع قوله وقال اركبوا الى قوله ومرسيها كلاما واحدا واما ان يكون باسم الله مجريها ومرسيها كلام اخر من مبتدأ وخبر اى باسم الله اجراؤها وارساؤها بوحى انه كان اذا اراد ان تجرى قال بسم الله تجرى واذا اراد ان تجرى قال بسم الله تجرى واذا اراد ان ترسو قال بسم الله فرست ويجوز ان يقحم الاسم كقوله ثم اسم السلم عليكما ويراد بالله اجراؤها وارساؤها وكان نوح اذا ركب قال لاثم اخبرهم بان اجراءها وارساءها بذكر اسم الله وبامره وقدرته ويجوز فى الكشاف ان يكون هذه الجملة فى موضع الحال عن ضمير الفلك اى تكون جملة مستانفة ولكن فضلة من تتمة الكلام الاول كانه قال اركبوا فيها مقدرين ان اجراءها وارساءها باسم الله تعالى قال الواحدى يريد ان الشئ يرسو اذا ثبت فارساء غيره يروى انها سارت بهم اول يوم من رجب لعشرة مضين منه فسارت ستة اشهر ثم استوت على الجودى يوم العاشر من المحرم ويروى انها مرت بالبيت طافت به سبعا فاعتقها الله من الغرق البحث الثالث قوله ان ربى لغفور رحيم كيف ناسب مقام الاهلاك واظهار العزة والجواب كان القوم اعتقدوا انهم بخوابر كة ايمانهم وعلمهم فنبههم الله تعالى بهذا الذكر على ان الانسان فى كل حال من احواله لا ينفك عن ظلمات الخطاء والزلل فيحتاج الى مغفرة الله ورحمته وفى الاية اشارة الى ان العاقل اذا ركب فى سفينة الفكر ينبغى ان يكون قلبه مرئى من حوله وقوته وقطع النظر عن الاسباب ويربط قلبه وعلوهمته بفضل واهب العقل فيقول بلسان الحال باسم الله مجريها ومرسيها حتى تصل سفينة فكره الى ساحل الايقان وتخلص عن امواج الشبه والظنون والاوهام قال فى الكشاف فهى تجرى بهم متصلا بمحذوف كانه قيل فركبوا فيها يقولون باسم الله وهى تجرى بهم فى موج كالجبال فى التراكم والارتفاع فلعل الامواج احاطت بالسفينة من الجوانب فصارت كانها فى داخل تلك الامواج واختلف المفسرون فى قوله ونادى نوح ابنه فالاكثرون على انه ابن له فى الحقيقة لئلا يلزم صرف الكلام عن الحقيقة الى المجاز عن غير ضرورة وكيف يستبعد فى كون ولد النبى كافرا مع علمه على هذا القول بانه كيف ناداه مع كفره وقد قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا واجيب بانه كان منافقا وظن نوح انه مؤمن او ظن انه كافر الا انه توقع منه الايمان عند مشاهدة العذاب بدليل قوله ولا تكن مع الكافرين ولعل شفقة الابوة حملته على ذلك لنداء وعن محمد بن على الباقر والحسن البصرى انه كان ابن امرأته ويؤيده ما روى ان عليا قرأ ونادى نوح ابنها ويؤكد هذا الظن قوله ان ابنى من اهلى دون ان يقول انه منى وقيل انه ولد على فراشه لغير رشده واليه الاشارة بقوله لغير صالح فخانتاهما ورد هذا القول بانه يجب صون منصب الانبياء عن مثل هذه الفضيحة لقوله الخبيثات للخبيثين وفسر ابن عباس تلك الخيانة بان امرأة نوح كانت تقول لقومه انه مجنون وامرأة لوط دلت الناس على ضيفه وقوله وكان فى معزل هو مفعل من عزله عنه اذا نحاه وابعده اى كان فى مكان عزل ابنه نفسه عن ابيه عن السفينة وعمن فيها او كان فى معزل عن دين ابيه وقيل فى معزل عن الكفار ولهذا ظن نوح انه يريد بها مفارقة الكفرة ولكن قوله ولا تكن مع الكافرين لا يساعد هذا القول قوله يا بنى بكسر الياء لاجل الالتقاء بعد زيادة الاضافة ويفتحها الكسائى بعد ان الف المبدلة من الياء ويجوز ان يكون الياء والالف ساقطتين من اللفظ فقط لالتقاء الساكنين ثم حكى اصرار ابنه على الكفر بان قال ساوى الى جبل فاجاب نوح بانه لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم واعترض عليه بان معنى من رحم من رحمه الله وهو معصوم فكيف يصح استثناؤه من العاصم واجيب بان من فاعله فى المعنى لا مفعول والمراد نوح لانه سبب الرحمة والنجاة كما اضيف الاحياء الى عيسى والرحيم الذى ذكره فى قوله ان ربى لغفور رحيم وهو عاصم لا معصوم وهو استثناء مفرغ والتقدير لا عاصم اليوم لاحد من امر الله الا لمن رحم او العاصم بمعنى ذى العصمة كلابن وتامر والعصمة المعصوم والمضاف محذوف والتقدير لا عاصم قط الا مكان من رحمه الله ويجاهم يعنى السفينة وهو استثناء منقطع كانه قيل ولكن من رحمه الله فهو المعصوم وحال بينهما الموج اى بسبب هذه الحيلولة خرج من ان يكون ممن هلك فصار من جملة الغرقى وقيل لما ارتفع الاية مما اختص به البلاغة حتى صارت متداولة بين علماء المعانى فتكلموا فيها وفى وجوه محاسنها فلا علينا ان نورد ههنا بعضها استفدناه منه فنقول النظر فيها من اربع جهات من جهة علم البيان ومن جهة علم المعانى ومن جهة علم البديع ومن جهة الفصاحة المعتبرة للفظية اما من جهة علم البيان وهو النظر فيها فيها من المجاز والاستعارة والكناية وما يتصل بها فالقول فيه انه عز سلطانه اراد ان يبين معنى اردنا ان نرد ما انفجر من الارض الى بطنها فاردنا ان نقطع طوفان السماء فانقطع وان نغيض الماء النازل من السماء فغاض وان نقضى امر نوح وهو انجاؤه واغراق قومه كما وعدناه فقضى وان نسوى السفينة على الجودى وهو جبل بقرب الموصل فاستوت

هود

وابقينا الظلمة غرقى فبنى الكلام على تشبيه الارض والسماء بالمأمور الذى لا يتأتى منه كمال هيبة العصيان وعلى تشبيه تكوين المراد بالامر الجزم الذى لا تردد فى تكوين المقصود تصويرا لاقتداره وان السماء والارض مع عظم جرمهما تابعتان لارادته ايجادا واعداما وتغييرا وتصريفا كانهما عقلاء مميزون قد احاطا علما بما يوجب الامتثال والاذعان لحاقهما فاستعمل قيل بدا اريد مجازا الطلاقا للمسبب على السبب فان صدور القول انما يكون بعد ارادته وجعل قرينة المجاز خطاب المجاد بقوله يا ارض ابلعى وياسماء والحظا بان نيط على سبيل الاستعارة للشبه المذكور وهو كون السماء والارض كالمأمورين المنقادين وايضا استعار لغوض الماء فى الارض لمبلغ الذى هو اعمال القوة الجاذبة فى الطعوم للشبه بين الغوض والبلع وهو الذهاب الى مقر خفى وجعل قرينة الاستعارة نسبة الفعل الى المفعول وفى جعل الماء مكان الغذاء ايضا استعارة لانه شبه الماء بالغذاء لتقوى الارض بالماء فى الانبات للزروع والاشجار تقوى الاكل بالطعام وجعل قرينة الاستعارة لفظ ابلعى لكونها موضوعة للاستعمال فى الغذاء دون الماء ثم امر الجماد على سبيل الاستعارة للشبه المقدم ذكره وخاطب الامرد ونان يقول لمبلغ ترشيحا لاستعارة النداء ان كونه مخاطبا من صفات الحى كما ان كونه منادى من صفاته ثم قال ماءك باضافة الماء الى الارض على سبيل المجاز تشبيها لاتصال الماء بالارض باتصال الملك بالمالك واختار ضمير الخطاب دون ان يقول لمبلغ ماؤها لاجل الترشيح المذكور ثم اختار مستعير الاحتباس المطر الذى هو ترك الفاعل الفعل للشبه بينهما فى عدم ما كان ثم امر على سبيل الاستعارة وخاطب الامر لمثل ما تقدم فى ابلعى من ترشيح استعارة النداء ثم قال وغيض الماء غاض الماء قل ونقص غاضه لازم يتعدى ولا يتعدى وقضى الامر واستوت على الجودى قيل بعد فلم يصرح بالفاعل سلوكا لسبيل الكناية لان هذه الامور لا يتأتى الا من قدير قهار فلا مجال لذهاب الوهم الى غيره فى صدد الاية ليستدل من ذكر الفعل وهو اللازم على الفاعل وهو الملزوم وهذا شان الكناية ثم ختم الكلام بالتعريض لانه يلبغى عن الظلم المطلق وعن علة قيام الطوفان واما النظر فيها من جهة علم المعانى وهو النظر فى فائدة كلمة منها وجهة كل تقديم وتاخير فيها بين جملها فذلك انه اخبر بالنداء لانها اكثر استعمالا ودلالة لنهاية على تبعيد المنادى الذى يسند عيه مقام الغرة والهيبة ولهذا لم يقل يا ارضه ابلعى ماءك ويا سمائه اقلعى ولم يقل يا ايتها الارض ويا ايتها السماء اختصارا مع الاحتراز عن تكلف التنبيه لمن ليس من شانه التنبيه واختير لفظ الارض والسماء لكثرة دورانهما مع قصد المطابقة واختير ابلعى على لتبلعى لكونه اخصر ولمجىء حظ التجانس بينه وبين اقلعى او فرقيل ماءك بلفظ المفرد لما فى الجمع من الاستكبار المنافى عنه مقام العزة والاقتدار وكذا فى افراد الارض والسماء ولم يحذف مفعول ابلعى لئلا يلزم تعميم الابتلاع لكلها على الارض ولما علم اختصاص الفعل به واقتصر عليه بحذف من اقلعى حذرا من التطويل وانما لم يقل ابلعى مائك فبلعت لان عدم تخلف المأمور به عن امر المطاع معلوم واختير غيض على غيض للشدة للاختصار ولمثل هذا عرف الماء والامر دونان يقال ماء الطوفان وامر نوح للاستغناء عن الاضافة بالتعريف العهدى ولم يقل سوبت لتناسب ول القصة وهى تجرى بهم من بناء الفعل للفاعل ولان استوت اخصر لسقوط همزة الوصل ثم قيل بعدا للقوم دون ان يقال ليبعد القوم من بعد بالكسر ببعد بالفتح اذا هلك للتاكيد مع الاختصار ودلالة لام الملك على انا بعدا حق لهم وقول القائل بعدا له من المصادر التى لا يستعمل اظهار فعلها ثم اطلق الظلم ليتناول ظلم انفسهم وظلمهم غيرهم واما ترتيب الجمل فقدم النداء على الامر ليتمكن الامر الوارد عقيب النداء كما فى نداء الحق وقدم نداء الارض لابتداء الطوفان منها بدليل قوله وفار التنور ثم بين بالتجنيس البلع والاقلاع بقوله وغيض الماء ثم ذكر مقتضى القصة وهو قوله وقضى الامر اى انجز الموعود من اهلاك الكفرة وانجاء المؤمنين ثم بين حال استقرار السفينة بقوله واستوت على الجودى وكان جبلا منخفضا فكان استواء السفينة عليه ليلا على انقطاع مادة الماء ثم ختمت القصة بالتعريض قيل كيف يليق بحكمة الله تعريق الاطفال بسبب اجرام الكفار واجيب على اصول الاشاعرة بانه لا يسئل عما يفعل وعلى اصول المعتزلة بانه يعوض الاطفال والحيوانات كما فى ذبحها واستعمالها فى الاعمال الشاقة وقد روى جمع من المفسرين انه سبحانه اعقم ارحام نسائهم قبل الغرق باربعين سنة فلم يغرق الا من بلغ اربعين وهذا مع تكلفه لا يتمشى فى الجواب عن اهلاك سائر الحيوانات والظاهر ان القائل فى قوله وقيل بعدا هو الله تعالى لتناسب صدر الاية ويحتمل ان يكون القائل نوحا واصحابه لان الغالب ممن يسلم من الامر انما لم يسلم لسبب اجتماع قوم الظلمة انه يقول مثل هذا الكلام ولا نجار مجرى الدعاء عليهم فيحمل من كلام البشر اليق واما النظر فى الاية من جهة الفصاحة المعنوية فهى كما ترى نظم للمعنى الطيف ونادية بالبلغ وجه اتمه واما من جهة الفصاحة اللفظية فهى فيها كالعسل فى الحلاوة وكالنمير الرقيق على العذبات سلسة على الاسلات لعل ما تركنا من لطايف هذه الاية بل كل اية اكثر مما تذكر والله تعالى اعلم بمراده من كلامه ونادى نوح اى اراد ان يدعوه فقال رب ان ابنى من اهلى بعض اهلى سواء كان من صلبه او ربيبه او ان وعدك اى كل ما تعد به الحق الثابت الذى لا شك فى انجازه وقد وعدت ان تنجى اهلى وانت احكم الحاكمين اعلمهم واعدلهم لانه لا فضل لحاكم على غيره الا بالعلم والعدل ويجوز ان يكون الحاكم بمعنى ذى الحكمة كدارع قال يا نوح انه ليس من اهلك اى من اهل دينك ومن اهلك الذين وعدتهم الانجاء معك ثم صرح بان العبرة بقرابة الدين والعمل الصالح لا بقرابة النسب فقال انه عمل غير صالح من قرأ على لفظ الفعل فمعناه انه عمل عملا غير صالح وهو الاشراك ونحوه ومن قرأ على لفظ الاسم فللمبالغة كما يقال فلان كرم وجود اذا غلب عليه الكرم والجود وفى قوله غير صالح دون ان يقول فاسد تعريض

بل يصرح بانه انما نجا من نجا بالصلاح ويحمل على هذه القراءة ان يعود الضمير في انه الى سؤال نوح اى ان ذلك هذا المتضمن لسؤال انجاء ابنك
عمل غير صالح وقيل المراد ان هذا الابن ولد زنا وقد عرفت سقوطه ثم نهاه عن مثل هذا السؤال وبخه عليه بقوله فلا تسئلن ما ليس لك
علم به اني اعظك ان تكون من الجاهلين قال المحققون الظاهر ان ابنه منافقا فلذلك اشتبه امره على نوح وحمله شفقة الابوة اولا على عدوه
الى ركوب السفينة فلما حال بينهما الموج لحقه الى الله في خلاصه من الغرق فعوتب على ذلك لانه لما وعده الله انجاء اهله واستثنى منهم من سبق
عليه القول كان عليه ان يتوكل على الله حق توكله ويعلم ان كل من كان من اهله وممن انه يخلص من الغرق لا محالة ولما لم يعلم ذلك بعين لجاز
توجيه اية العتاب على ترك الاولى فلذلك تنبه ورجع الى الله قائلا رب اني اعوذ بك ان اسئلك فيما يستقبل من الزمان ما ليس لي به علم
ناديا ربا دائما بك واعاظا بعظمتك ان لا تغفر لي ما فرط مني عن لحظ في باب الاجتهاد من قلة الصبر على ما يجب عليه الصبر عليه هذا التضرع
مثل تضرع ابينا ادم في قوله ربنا ظلمنا الاية فلذلك عفي عنه وقيل يا نوح اهبط اى من السفينة بعد استوائها على الجبل وانزل من
الجبل الى الفضاء متلبسا بسلام منا بسلامة من التهديد بالوعيد بل من جميع الافات والمخافات لانه لما خرج من السفينة كان خائفا من
عدم الماكول والملبوس وسائر جهات الحاجات لانه لم يبق في الارض شئ يمكن ان ينتفع به من النبات والحيوانات وقيل اى مسلما عليك
مكرما والبركات الخيرات النامية الثابتة وفسروها في هذا المقام بانه وعده بان جميع اهل الارض من الاشخاص الانسانية يكون من نسله
اما لانه لم يكن في السفينة الا من هو من ذريته واما لانه لما خرج من السفينة مات من لم يكن من اهله وبقي النسل والتوالد في ذريته ليلة قوله تعالى انه
وجعلنا ذريته هم الباقون فنوح ادم الاصغر وقيل لما وعده السلامة من الافات وعده ان موجبات السلامة والراحة تكون في الغرائب
والشبات لا عليك وحده بل على امم ممن معك ان كان من للبيان فالمراد الامم الذين كانوا معه في السفينة لانهم كانوا اجناسا وهم اصل
الامم التي انشعبت منه وان كان لابتداء الغاية فالمعنى على امم ناشئة ممن معك الى اخر الدهر هذا شان الامة المؤمنة ثم ذكر حال الامة الكافرة
المتوالدة فقال وامم وهو رفع على الابتداء والخبر محذوف اى ومن معك امم سنمتعهم في الدنيا ثم يمسهم في الاخرة منا عذاب اليم عن ابن
زيد هبطوا والله عنهم راض ثم خرج منهم نسلا منهم من رحم ومنهم من عذب وخصص بعضهم الامم الممتعة بقوم هود وصالح ولوط
وشعيب وبنات اشارة الى قصة نوح وهو مبتداء والجملة بعدها الخبار وقوله ولا قومك للمبالغة كقول القائل لا ترى هذه المسئلة لا
انت ولا قومك ولا اهل بلدك والمراد تفاصيل القصة والا فمجملها اشهر من ان يخفى ومعنى من قبل هذا اى من قبل هذا الانجاء والعلم
الذي كسبته بالوحي ومن قبل هذا الوقت وكان هذه القصة اعجب شئ في هذه السورة تثبيتا للنبي على انذار قومه لذلك ختمت بقوله
فاصبر كما صبر نوح ان العاقبة للمتقين انا بل ما نراك الا بشرا مثلنا اى مخلوقا محتاجا مثلنا وفي ان النفس بنظرها السفلي ترى اولي
العلو سفليا فلهذا انظر الى النبي ولا ترى نبوته الحميدة بل تراه بنظر الكذب والسحر والجنون الا الذين هم اراذلنا بادي الراي والاراذل
من اتباع الروح البدن وجوارح النكتة فان الغالب على الخلق ان البدن يقبل دعوة الروح ويستعمل الجوارح بالافعال الشرعية و
لكن النفس الامارة يكون على كفرها ولا تجلي البدن ان يشتغل بالاعمال الشرعية الدينية لانه رئيس فاسد ومصلح دنيوية كما هو المعتاد الاكثر
الخلق وما انا بطارد الذين امنوا من طمع النفس ان يتاذى من استعمال البدن وجوارحه في التكاليف الشرعية فيقول للروح ان تزهد
او من يلك الخلق باخلاقك فامنع البدن وجوارحه التكاليف من ينصرني من الله من يمنعني من قهره ان منعت البدن من الطاعة فاقتصر على
مجرد ايمان النفس تخلقها باخلاق الروح كما هو معتقد اهل الفلسفة والاباحة يقولون ان اصل العبودية معرفة الربوبية وجميع الباطن
والتحلي بالاخلاق الحميدة افلا تذكرون ان جميع الباطن ونور من نتايج من استعمال الشرع والظلمة في الطبع وانما بعث الانبياء ليخرجوا من
ظلمات الطبع الى نور من الشرع في الظاهر فالنور في الشرع والظلمة في الطبع وانما ظلمات الطبع الى نور الشرع لن يؤتيهم الله خيرا استعدادا
لتحصيل الدرجات العلوية وانهم مخلوقون من السفليات الله اعلم بما في نفس كل جارحة من استعداد تحصيل الكمال وانا برئ مما تجرمون
من التكذيب وفيه ان ذنوب النفس لا يتاثر في صفاء الروح ولا يتكدر بها ما كان الروح متبرئا من ذنوب النفس هنا سفنا على معاملات
النفس وتتبع هواها وادخل في نوح الروح انه لن يؤمن من قومك هم القلب في صفاته والسر في صفاتها والبدن وجوارحه الا من قد
امن من خواص العباد وهم القلب في صفاتها والسر في صفات النفس والبدن وجوارحه فاما النفس فانها لا تؤمن ابدا اللهم الا نفوس الانبياء
وخواص الاولياء فانها تسلم احيانا دون الايمان فلا تبتئس بما كانوا يفعلون لان اعمال الشر لنفوس السعداء كالجسد للاكسير يقلب ذهبا
مقبولا عند طرح الروح عليها فكذلك يقلب اعمال الشر خيرا عند طرح التوبة عليها اولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات ولا تبتئس
على نفوس الاشقياء لان اعمالها حجة الله على شقاوتهم وبذلك السلاسل يسحبون في النار على وجوههم واصنع الفلك اتخذ يا نوح الروح
سفينة الشريعة بنظرك لا بنظرك فان نظرك تتبع الحواس بصورة ظاهرها ويغفل عن اسرارها ولا تخاطبني في الذين ظلموا فان الظلم من شيم
النفوس انهم مغرقون في بحر الدنيا وشهواتها وكلما مر عليهم ملائم النفس وهواها ويغفل عن اسرارها ولا تخاطبني في الذين ظلموا فان الظلم
وصفاتها تسخرون من استعمال اركان الشريعة انكم بعضهم احمقا يقتها حتى اذا جاء امرنا وهو حد البلوغ والركون في سفينة الشريعة وفار

هود

ماء الشهوة من تموّج القلب فلما احمل السفينة الشريعة من كل صفة وزوجها كالشهوة وزوجها العفة والحرص وزوجها القناعة والبخل وزوجها السخاء الغضب وزوجه الحلم وكذا الحقد مع السلامة والعداوة مع المحبة والكبر مع التواضع الثاني مع العجلة واهلك وهم صفات الروح لا النفس ومن وهم القلب الشر في قوله تعم وقال اركبوا فيها باسم الله اشارة الى ان من ركب سفينة الشرع بالطبع تقليدا لاباء والمعلم لم يحصل له النجاة الحقيقية كما ركب ابليس بالطبع في سفينة نوح وانما النجاة لمن ركب بامر الله وذكره مجراها من الله ومرسيها الى الله كقوله ارتقى الى فلك المنتهى في موج من الفتن كالجبال وناداى نوح الروح ابنه كنعان النفس المولود بينه وبين القالب كان في معزل من معرفة الله وطلبه سار الى جبل العقل يعصمني من الماء الفتن لا عاصم اليوم اى لا منبع ماء الشهوات من ارض البشرية ونزل ماء ملان الدنيا وزينتها من سماء القضاء فلا يتخلص منه الا من رحمه الله بالاعتصام بسفينة الشريعة انبغي ماء شهواتك قلعي عن انزال مطر الاماني وغيض ماء الفتن ببركة الشرع وقضي الامر بما كان مقدارا من طوفان الفتن للابتلاء والتمييز واستوت سفينة الشريعة على الجودي وهو مقام التمكين بعد مقامات السالكين وان وعدك الحق وهو نوح الروح عند هبوطه الى العالم السفلي من الرجوع الى العالم العلوي انه ليس من اهلك وكان للروح اربعة بنين ثلثة من المؤمنين وهم القلب والسر والعقل واحد كافر وهو النفس فنفي عن النفس اهلية الدين والملة لانها خلقت للامانة اهبط من سفينة الشريعة عند مفارقة الجسد الخلاص من طوفان الفتن وانا سنمتعهم هم النفوس متعت بالحظوظ الدنيوية ثم يمسهم في الاخرة عذاب البعد عن الملوفات فاصبر على بلية الروح والنفس ان العاقبة لمن اتقى طوفان فتن الدنيا والنفس والهوى

ع ٥

والى عاد اخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ان انتم الا مفترون يا قوم لا اسئلكم عليه اجرا ان

وفرستاديم بسوى عاد برادرشان هود را گفت اى قوم من بپرستيد خدارا نيست مرشما را هيچ خداى جز او نيستيد شما مگر دروغ كنندگان اى قوم من نميطلبم ازشما بران هيچ مزد

اجري الا على الذي فطرني افلا تعقلون ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم

مزد مگر بر آنكه بيافريد مرا آيا پس نميانديد بعقل واى قوم من آمرزش خواهيد از خداوندان پس توبه كنيد بسوى او تا فرستد آسمان بر شما باران پى در پى و بيفزايد شما را

قوة الى قوتكم ولا تتولوا مجرمين قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي الهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين

قوتى بر قوت شما و اعراض مكنيد در حالتيكه اصرار كنندگان باشيد گفتند اى هود نياوردى ما را بحجتى روشن و نيستيم ما واگذارندگان خدايان خود را از گفتار تو و نيستيم مر تو را گروندگان

ان نقول الا اعتراك بعض الهتنا بسوء قال اني اشهد الله واشهدوا اني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني

نمىگوئيم مگر آنكه بسا انداخت ترا برخى خدايان ما بدى گفت بدرستيكه من گواه ميگيرم خدارا و گواه باشيد كه من بيزارم از آنچه شريك مى آوريد

جميعا ثم لا تنظرون اني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة الا هو اخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم

همه پس مهلت مدهيد مرا بدرستيكه من توكل كردم بر خدا كه پروردگار من و شماست نيست هيچ جنبنده مگر او گيرنده ناصيه موى پيشانى او را بدرستيكه پروردگار من بر راه راست

فان تولوا فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم ويستخلف ربي قوما غيركم ولا تضرونه شيئا ان ربي على كل شيء حفيظ

پس اگر اعراض كنيد پس بتحقيق رسانيدم شما را آنچه فرستاده شدم بسوى شما بدان و جانشين گرداند پروردگار من قومى را غير شما و ضرر نرسانيد او را چيزى بدرستيكه خداى من بر همه چيز نگهبان است

ولما جاء امرنا نجينا هودا والذين امنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ وتلك عاد جحدوا بايات ربهم

و چون آمد فرمان ما رهانيديم هود را و آنانكه گرويدند با او برحمتى از ما و رهانيديم ايشان را از عذاب درشت و اين قوم انكار كردند نشانهاى پروردگار خود را

وعصوا رسله واتبعوا امر كل جبار عنيد واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة الا ان عادا كفروا ربهم الا بعدا

و نافرمانى كردند پيغمبران او را و پيروى كردند هر سركش معاند را و پى آورده شدند در اين دنيا لعنت و در روز قيامت آگاه باشيد بدرستيكه عاد كافر شدند پروردگار خود را

لعاد قوم هود

ع

والى ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره هو انشاكم من الارض واستعمركم

مر عاد را گروه هود و بسوى ثمود برادرشان صالح را گفت اى قوم بپرستيد خدارا نيست شما را هيچ خداى جز او او آفريد شما را از زمين و عمر داد شما را

فيها فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربي قريب مجيب قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا اتنهانا ان نعبد ما يعبد

در آن پس آمرزش خواهيد از او پس بازگشت كنيد بسوى او بدرستيكه پروردگار من نزديك است اجابت كننده گفتند اى صالح بدرستيكه بودى در ما اميد نداشته شده پيش از اين آيا منع ميكنى ما را از آنكه بپرستيم

آباؤنا وانا لفي شك مما تدعونا اليه مريب قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي وآتاني منه رحمة فمن

پدران ما و بدرستيكه ما در آنيم در شكى از آنچه ميخوانى ما را بسوى آن شكى بگمان گفت اى قوم خبر دهيد اگر باشم بر حجتى از پروردگار من و داده باشد مرا از خويش رحمتى پس كيست

ينصرني من الله ان عصيته فما تزيدونني غير تخسير ويا قوم هذه ناقة الله لكم اية فذروها تاكل في ارض الله

كه يارى كند مرا از خدا اگر نافرمانى كنم او را پس نميافزائيد مرا جز زيان كار ساختن واى قوم اين ناقه خداست مر شما را معجزه پس بگذاريد پس بگذارند بخورد در زمين خدا

ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب فعقروها فقال تمتعوا في داركم ثلثة ايام ذلك وعد غير مكذوب

و مرسانيد بدى پس بگيرد شما را عذاب نزديك پس پى كردند آنرا پس گفت برخوريد در خانهاتان سه روز اين وعدى است بغير دروغ

فلما جاء امرنا نجينا صالحا والذين امنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ ان ربك هو القوي العزيز واخذ

پس چون آمد فرمان ما رهانيديم صالح را و آنانكه گرويدند با او برحمتى از ما و از رسوائى آن روز بدرستيكه پروردگار تو او است نيرومند غالب و گرفت

الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين كان لم يغنوا فيها الا ان ثمود كفروا ربهم الا بعدا لثمود القراءة

لازائد كسكر اندفرو ديهلك پس گرفته شدند در خانهاشان برحابر اندكان گويا انان هرگز نداشتند در ان گاه بيشه بلكه نجوها گرفتند پريز . وكاو خود بدانسته هلاك بر ثمود فطرنى

بفتح الياء ابو جعفر نافع والبزى غير الخزاعى في اشهد بالفتح ابو جعفر ونافع فان تولوا بتشديد التاء البزى وابن فليح بخلف بالجزم الخزاز

عن هبيرة الباقون بالرفع يومئذ بفتح الميم وكذلك في المعارج ابو جعفر ونافع غير اسمعيل وعلى والشموني والبرجمي وعباس الاحرون بالجر الا

ان ثمود غير منصرف فالوقف بغير الف لحمزه وحفص وسهل ويعقوب الباقون بالتنوين والوقف بالالف ثمود بالتنوين في الوصل على

الوقون هو ط غيره ط مغفرون اجراط فطرني ط تعقلون مجرمين بمؤمنين بسوط يشركون ط لا تنظرون وربكم ط بناصيتها ط مستقيم

به اليكم ط للاستيناف الا من قرأ ويستخلف بالجزم غير كم ج لاحتمال ما بعده الاستيناف والحال شيئا ط حفيظ ط مناج لحق الحذف ط

وقد بجنباهم غليظ ط عنيد ويوم ط القيمة ط ربهم ط هود ط صالحا لما مر في الاعراف غيره ط اليه ط مجيب مريب محتبره وترتيب ارام ط مكذوب

يومئذ ط العزيز جاثمين لا لكاف التشبيه فيها ربهم ط لثمود التفسير قدم مرفي الاعراف تفسير قوله والى عاد الاية ومعنى قوله ان انتم الا

مفترون انكم كاذبون في قولكم ان هذه الاصنام تحسن عبادتها مع انها لا تحس ولا تعقل ولا شعور ثم قال مثل قول نوح يا قوم لا اسئلكم

عليه اجرا لان النصيحة لا يحضها الا حسم المطامع فلا تعقلون ان ناصح من لا يطلب الا جرا الا من الله لا يكون من التهمة في شيء قيل انما قال

في قصة نوح ما لا دون ما جرا لذكر الجزاء بعده فلفظ ما اليها اليق وحذف الواو من يا قوم لانه اراد الاستيناف او البدل دون العطف و

يا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه قد مر مثله في اول السورة وقال الاصم كان القوم المراد سلوه ان يغفر لكم ما تقدم لكم من اعراضكم ثم اعزموا

على ان لا تعودوا الى مثله ثم قصدا ستمالتهم وترغيبهم في الايمان بكثرة المطر وزيادة القوة لان القوم كانوا حراصا على جمع الاموال من وجوه العمارة

والزراعة مفتخرين بما اوتوا من البطش والقوة فقدم لهم باب الدعوة الى الدين والترغيب فيما كانت همتهم معقودة به ليحصل في نفسه

الغرض الكلي والمقصود الاصلي وهو الفوز بالسعادات الاخروية وكانوا انما خصهم هذين النوعين من السعادات الدنيوية لان الاول اصل جميع

النعم والثاني اصل في الانتفاع بتلك النعم قيل المراد بالقوة الزيادة في المال وقيل في النكاح وروي انه حبس عنهم القطر ثلاث

سنين واعقم نساؤهم فوعدوا انهم ان امنوا احيا الله بلادهم ورزقهم المال والولد والمدرار الكثير الدر كما مر في اول الانعام عن الحسن ان

وفد على معوية فلما خرج تبعه بعض حجابه فقال الى رجل ومال لا يولد لي فقال عليك بالاستغفار حتى انه ربما استغفر في يوم

واحد سبعمائة مرة فولد له عشرة بنين فبلغ ذلك معوية فقال هلا سألتموه فقال ذلك فوفد وفدة اخرى فسأله الرجل فقال الم تسمع

قول هود ويزدكم قوة الى قوتكم ونوح ويمددكم بأموال وبنين ثم قال هود ولا تتولوا اي لا تعصوا عما ادعوكم اليه مجرمين مصرين

على الاجرام والاثام مجدد هودا وقالوا ما جئتنا ببينة كما قالت قريش لرسول الله صلعم لولا انزل عليه اية من ربه ولم يشهد منه معجزة

ولكن العلماء قالوا اظهار الدعوة مع اولئك الاقوام من غير مبالاة وتوان اية من الايات وقوله عن قولك حال اي لضمير كانه قيل وما نترك

الهتنا صادرين عن قولك وما نحن لك بمؤمنين لا يصدق مثلنا مثلك ابدا ثم زعموا ان بعض الهتهم اعتراه بسوء اي عشاه واورثه

الخبل والجنون لانه كان بسبب تهتم وذلك قولهم ان نقول لك الا اعتراك والا لانعوى ما نقول شيئا الا هذا القول فمن يتكلم

بكلام المجانين المراد ان الاصنام كافأته على سوء فعله بسوء الجزاء فاظهر نبي الله الجلادة والثقة بالله فيما هو بصدده وتبرء منهم ومن شركهم

فاشهد الله وذلك شهادة صحيحة واشهدهم ايضا وهذا كالتهاون وقلة المبالاة بهم كقول الرجل لمن نوى قطعه بالكلية اشهد علي اني لا احبك

تهكما به تدبر قوله فكيدوني في الاية في خر سورة الاعراف وقوله ما من دابة الا هو اخذ بناصيتها تمثيل لغاية التسخير ونهاية التذليل وكانوا

اذا اسروا الاسير فاراد وا اطلاقه والمن عليهم جزوا ناصيته فكان علامة لقهره قالت المعتزلة هذا دليل التوحيد لانه على انه لا مالك

الا هو وقوله ان ربي على صراط مستقيم دليل العدل والاشاعرة قالوا معناه معنى ان ربك لبالمرصاد اي لا يخفى عليه شيء ولا يفوته

هارب فان تولوا فقد ابلغتكم كقول القائل ان اكرمتني الان فقد اكرمتك فيما مضى والمراد فان تتولوا فانا غير معاتب ولا معصر لاني

قد بلغت حق الرسالة وفي قوله ويستخلف اشارة الى عذاب الاستيصال وانه يجاز بعدهم من هو اطوع منهم وانه لا ينقص من ملكه شيئا

ان ربي على كل شيء حفيظ يحفظ اعمال العباد حتى يجازيهم عليها او يحفظني عن شركائكم وكيدكم او يحفظه من الهلاك والذين امنوا معه قيل كانوا

اربعة الاف برحمة منا اي بفضل وامتنان وبسببها هم فيه من الايمان والعمل الصالح ونجيناهم من عذاب غليظ اطلق التجية اولا ثم قيدها

على معنى وكانت تلك التجية من عذاب غليظ سموم يدخل في انوفهم ويخرج من ادبارهم فيقطعهم عضوا عضوا ويحتمل ان يراد بالثانية

النجاة من عذاب الاخرة والاعذاب غلظ منه ولما ذكر قصتهم خاطب محمدا واشار الى قبورهم واثارهم بقوله وتلك عاد فانظروا واعتبروا

ثم استأنف وصفهم جملة فقال وجحدوا بايات ربهم فلم يتأملوا من المعجزات الى صدق الانبياء ولم يرتقوا من الممكنات الى وجود الواجب

بالذات وعصوا رسله قيل لم يرسل اليهم الا هود وصح الجمع لان عصيان رسول واحد يتضمن عصيان كلهم لان كفر بين احد من رسله

واتبعوا امر كل جبار عنيد اطاعوه وسألهم وكبراؤهم المتمردة وشياطينهم وهذا جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين وفي تكرير الا والنداء

هود

على تقطيع شأنهم وانهم كانوا مستأهلين للدعاء عليهم بالهلاك ويحتمل ان يراد البعد من رحمة الله في الآخرة وقوله قوم هود عطف بيان لعاد اما للتأكيد لمزيد التقرير واما لان عادا عاد الاولى القديمة التي هي قوم هود والاخرى هي ارم في قوله في قصة ثمود هو انشأكم اي قدم الضمير للحصر لم ينشئكم الا هو ومعنى الانشاء من الارض ان الكل مخلوق من صلب آدم وهو مخلوق من الارض ويمكن ان يقال ان الانسان مخلوق من المني وهو يحصل من الغذاء والغذاء ينتهي الى النبات ثم الى الارض وقيل ان من بمعنى في واستعمركم من العمارة اي جعلكم عمار الارض وامركم بالعمارة فيها واجب او ندب او مباح ومكروه وكان ملوك فارس قد اكثروا من حفر الانهار وغرس الاشجار وعمروا الاعمار الطوال مع ما كان فيهم من الظلم فسئل نبي الله من انبيائهم ربه عن سبب تعميرهم فاوحى الله اليه انهم عمروا بلادي فعاش فيها عبادي وقيل من العمر بمعنى استبقاكم من البقاء وقيل من العمر وهو اعمركم الله فيها دياركم ثم هو وارثها منكم عند انقضاء اعماركم او جعلكم معمرين دياركم فيها لان الرجل اذا ورث داره من بعده فكانه عمرها اياها لانه ليس فيها عمره ثم يتركها الوارث ومعنى كونه تعمر قريبا اندمز في قوله واذا سألك عبادي عني فاني قريب وذلك في البقرة قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا عن ابن عباس فما لخلا خير ايقدمنا الله على جميعنا وقيل كنا نظن بك الرشد والصلاح وكمال العقل واصابة الرأي قبل ان تعطف علي فقيرنا وتقوي ضعيفنا وتعود مرضانا فلما نطقت انك من الانصار والاحباب والموافقة في الدين فكيف ظهرت العداوة والبغضاء ثم اضافوا الى هذا الكلام التمسك بالتقليد متابعة الآباء ثم صرحوا بالتوقف في الريبة في امره ومريب من اراب اذا وقع في الريبة او من اراب الرجل اذا كان ذا ريبة وهو من الاسناد المجازي واعلم ان قوله وانا لفي شك بنون الوقاية ههنا على الاصل واما في سورة ابراهيم فانما قال وانا بغير نون الوقاية لقوله بعده وثناء ونا على الجمع فكان اجتماع النونات مستكرها فاجابهم هود بقوله ان كنت على بينة الآية وبنى امره على الفرض والتقدير لان خطاب المخالف على الوجه الاقرب الى القبول كانه قال قد رددتم علي بينة من ربي واتى بنى على الحقيقة فمن يمنعني من عذاب الله ان عصيته في امره فما تزيدونني غير تخسير اي على هذا التقدير تخسرون اعمالي وتبطلونها او فما تزيدونني بما تحملونني عليه الا الى انسبكم الى الخسران واقول انكم خاسرون والمعنى الاول اقرب لانه كالدلالة على ان متابعتهم لا تزيده الا خسران الدارين وناقة الله قد مر تفسيره في الاعراف ومعنى عذاب قريب عاجل لا يتأخر الا ثلثة ايام وغير مكذوب من باب الاتساع اي غير مكذوب فيه فحذف الحرف واجرى الضمير مجرى المفعول به او من باب المجاز كان الوعد اذا وفي به فقد صدق ولم يكذب او المكذوب مصدر كالمجلود وصف به قوله فلما جاء امرنا بالفاء وفي قصة هود بالواو ولعل التعقيب ههنا بدليل قوله عذاب قريب ومثله في قصة لوط لقوله الليس الصبح بقريب بما في قصته فانه قال ويستخلف بلفظ المستقبل ومثله في قصة شعيب سوف تعلمون من باب تحريف التسويف فلم يكن الفاء مناسبا واعتبر هذا المعنى في سائر المواضع كما في سورة يوسف قال ولما جهزهم بالواو ولا لان التعقيب لم يكن مرادا ثم فلما جهزهم لما كان التعقيب لله اعلم من خزي يومئذ معطوف على محذوف والتقدير نجيناهم انجاء ومن معه من العذاب النازل بقومه ومن الخزي الذي لزمهم او يتعلق بمعطوف محذوف اي ونجيناهم من خزي يومئذ كما قال ونجيناهم من عذاب غليظ والمعنيان كما قلنا هنالك والقرآن في يومئذ لان الظرف المضاف الى اذ يجوز بناؤه على الفتح والتنوين اذ عوض من المضاف اليه اي جملة والتقدير ويوم اذ كان كذا وكذا لذلك لما كنين ان ربك هو القوي العزيز القادر الغالب فمن قدرته ان نجى المؤمن من الكافر ومن عزته وقهره اهلك الكفار بالصيحة التي سمعوها من جانب السماء اما بواسطة جبرئيل او ما لا حداثها في سحاب مع برق شديد محرق وانما يصير الصيحة سببا للهلاك لان التموج الشديد في الهواء يوجب تأذي صماخ الانسان وقد يتمزق غشاء الدماغ بذلك والاعراض النفسانية ايضا اذا قويت وجب الموت وتمام القصة مذكور في سورة الاعراف وقوله الا ان ثمودا الى آخره شبيه بما مر في قصة هود والتاء ولد كما مر في سورة

ع ١٠ ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام فما لبث ان جاء بعجل حنيذ

الاعراف والله اعلم وبعيش آمدند فرستادگان ما ابراهيم بمژده فرزند كفتند سلام كفت سلام پس درنك نكرد كه آورد كوساله را بريان در زمان

فلما رأى ايديهم لا تصل اليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط وامرأته

پس چون ديد دستهاشان نمي رسد بان ناخوش كرفت ايشانرا ودر دل كرفت از ايشان ترسي كفتند مترس ما فرستاده ايم بسوي قوم لوط ودن او

قائمة فضحكت فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب قالت يا ويلتى ألد وانا عجوز وهذا بعلي شيخا

ايستاده بود پس خنديد پس مژده داديم او را بسحق ودر پس اسحق يعقوب كفت اى واى مرا آيا فرزند آورم ومن پيرزنم وين شوهر منست كه پير مرد

ان هذا لشيء عجيب قالوا اتعجبين من امر الله رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت انه حميد مجيد فلما ذهب

اين سزاوار چيز عجب كفتند آيا تعجب ميكني از امر خداى رحمت خدا وبركتهاى او بر شما اى اهل اين خانه بدرستيكه او ستوده بزرگوار است پس چون رفت

عن ابراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا في قوم لوط ان ابراهيم لحليم أواه منيب يا ابراهيم اعرض عن هذا

از ابراهيم ترس وآمد او را مژده شفاعت قوم لوط ميكرد با ما در باره بدرستيكه ابراهيم البته بردبار ناله كننده بازكشنده از ابراهيم روى بكردان از اين سخن

انه قد جاء امر ربك وانهم آتيهم عذاب غير مردود ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقال

بدرستيكه آمد فرمان پروردكار تو وانكه ايشانرا آيت عذاب ازكردانيدني نيست وچون آمدند رسولان ما لوط را اندوهكين شد بايشان وتنك شد بايشان در اطراف وكفت

هذا يوم عصيب وجاءه قومه يهرعون اليه ومن قبل كانوا يعملون السيئات قال يا قوم هؤلاء بناتي هن اطهر
این روز است سخت و آمدند بسوی او شتابان و پیش از این کار بد می‌کردند گفت ای قوم این دختران من پاکیزه‌ترند
لكم فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي أليس منكم رجل رشيد قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وانك لتعلم
شما را پس بترسید از خدا و رسوا نکنید مرا در مهمانم آیا نیست از شما مرد راه‌یافته گفتند بتحقیق دانسته‌ای که نیست ما را در دختران تو هیچ حقی و بتحقیق تو میدانی
ما نريد قال لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد قالوا يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك فأسر بأهلك
آنچه را ما خواهیم گفت کاش نیرو می‌داشتم بشما یا جای می‌گرفتم بکاری سخت گفتند ای لوط بدرستیکه ما رسولان پروردگار تو ایم نخواهند رسید هرگز بتو پس برو
بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك إنه مصيبها ما أصابهم إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب
با اهل خود در پاره از شب و نباید که ملتفت شود از شما احدی جز زنت بدرستیکه رسنده است او را آنچه رسید بدیشان از عذاب بدرستیکه وعده گاه ایشان صبح است آیا نیست صبح نزدیک
فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وما هي من
پس چون آمد فرمان ما گردانیدیم بالای آنرا زیر آنرا و بارانیدیم بر آن سنگهائی از سنگ گل بر هم نهاده شده نشان کرده نزد پروردگار تو و نیست آن از
الظالمين ببعيد القراءة سلم بكسر السين بلا الف فيها حمزة وعلي ويعقوب بالنصب غير عاصم وحمزة وحفص الا خرون بالرفع سيئ بهم وتابه
ستمکاران دور کرد بجهة و ابو جعفر و نافع و ابن عامر و علی و رویس الا خرون سیئ مثل قیل تخزوني بالياء في الحالين سهل ويعقوب
وابن شنبوذ عن قنبل وافق ابو عمرو يزيد واسمعيل في الوصل ضيفي بفتح الياء ابو جعفر و نافع و ابو عمرو فاسر وتابه بهمزة الوصل ابو جعفر
ونافع وابن كثير وعباس من طريق الوصلي وحمزة في الوقف ان شاء لين الهمزة الا امرأتك بالرفع ابن كثير و ابو عمرو الباقون بالنصب الوقوف
سلاما ساط حنيذ خيفة ط قوم لوط ط بإسحق ط لمن قرأ يعقوب بالرفع يعقوب ش بخاط عجيب ط هل البيت ط مجيد ط قوم لوط ط منيب عن هذا ج
لاحتمال التعليل امر ربك ج للابتداء بان مع اتصال المعنى مردود عصيب ج للعطف ولاختلاف النظم السيئات ط ضيفي ط رشيد من حق
لما مر يزيد شديدا لا امرأتك ط اصابهم ط الصبح ط بقريب منضود لا لان ما بعده صفة حجارة عند ربك ط بعيد التفسير الرسل ههنا
الملائكة واجمعوا على ان الاصل فيهم جبرئيل ثم اختلفوا فقيل كان معه اثنا عشر ملكا على احسن ما يكون من صورة الغلمان وقال الضحاك
كانوا تسعة وقال ابن عباس كانوا ثلثة جبرئيل وميكائيل واسرافيل وهم الذين ذكرالله تعالى في سورة الحجر وبشروهم عن ضيف ابرهيم وفي الذاريات
هل اتيك حديث ضيف ابرهيم والظاهر ان البشرى هي البشارة بالولد وقيل بهلاك قوم لوط ومعنى سلاما سلمنا عليك ومعنى سلام لهم
سلام امركم سلام او سلام عليكم وكان الرفع يدل على الثبات والاستقرار والنصب يدل على الحدوث لمكان تقدير الفعل قال العلماء
ان سلام ابرهيم كان احسن اقتداء بقوله تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او لانا صيغ وقوع سلام مبتدا مع كونه نكرة لتخصصها بالاضافة الى
المتكلم اذ اصله سلمت سلاما فعدل الى الرفع لافادة الثبات ومن قرأ سلما فمعناه السلم ايضا قال الفراء سلم وسلام كحل وحلال وحرم وحرام وقال ابو علي
الفارسي يحتمل ان يراد بالسلم خلاف الحرب قالوا مكث ابرهيم خمس عشرة ليلة لانه ضيف فاغتم لذلك فجاءته الملائكة فراى اضيافا فلم يرمثلهم فانه ث ان
في ان جاء بعجل او فما لبث مجيئه بعجل هو ولد البقرة حين مشوى في حفرة من الارض بالحجارة المحماة وهو من فعل اهل البادية معروف ومعناه
محنوذ كطبخ بمعنى مطبوخ وقيل الحنيذ الذي يقطر سمنا كقوله بعجل سمين يقول حنذت الفرس اذا القيت عليها الجل حتى يقطر عرقا فلما راى
ايديهم لا تصل اليه الى العجل او الطعام نكرهم اى انكرهم واستنكر فعلهم واوجس اضمر منهم خيفة لانه ما كان يعرف انهم ملئكة وكان من عادة
العرب انه اذا نزل بهم الضيف لم يتناول طعامهم توقعوا منه المكروه والشر وقيل انه كان ينزل في طرف من الارض بعيدا عن الناس فلما امتنعوا
من الاكل خاف ان يريد بهم شرا وقيل انما كان يعرف انهم ملئكة الله لقولهم لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط لم يقولوا لا تخف انا ملئكة بل ذكروا
سبب الارسال وهو اهلاك قوم لوط وعلى هذا فانما خاف ان يكون نزولهم لامر انكره الله او لتعذيب قومه والاحتمال الاول وهو انه كان لا يعرف
انهم ملائكة اقرب بدليل احضاره الطعام واستدلاله بترك اكلهم على توقع الشر منهم وانما ذكروا سبب الارسال ايجازا واختصارا للدلالة الارسال
على كونهم رسلا لا اضيافا وانما اتوه على صورة الاضياف لئلا يكونوا على صفة يهجنها لانه كان مشغوفا بالضيافة وبهم عرف الملئكة خوفه قبل بالتغير في
وجهه او بتعريف الله وعلمه ان علمه بانهم ملئكة موجب للخوف لانهم كانوا لا ينزلون الا بعذاب امرأته وهي سارة بنت هاران بن ناحور ابن عم ابرهيم
قائمة وراء الستر تسمع محاورتهم او كانت قائمة على رؤسهم تخدمهم وهم قعود فضحكت قال العلماء الابد للضحك من سبب فقيل سببه السرور بزوال الخيفة
وقيل بهلاك اهل الخبائث وعن السدي ان ابرهيم قال لهم الا تاكلون قالوا انا لا ناكل طعاما الا بالثمن فقال ثمنه ان تذكروا اسم الله على اوله
وتحمدوه في اخره فقال جبرئيل لميكائيل حق لمثل هذا الرجل ان يتخذه ربه خليلا فضحكت امرأته فرحا بهذا الكلام وقيل كانت تقول لابرهيم اضمم لوطا
ابن اخيك اليك فاني اعلم انه ينزل بهؤلاء القوم عذاب ففرحت بموافقة قولهم لقولها فضحكت وقيل طلب ابرهيم من منهم معجزة دالة على انهم من الملئكة
فامروا بهلاك العجل المشوي فطفر ذلك العجل المشوي الى مرعاه فضحكت سارة من طفرته وقيل ضحكت تعجبا من قوم اتاهم العذاب وهم غافلون و
قيل تعجبت من خوف ابرهيم مع كثرة خدمه وحشمه من ثلثة انفس وقيل في الكلام تقديم وتاخير اى فبشرناها باسحق فضحكت سرورا وعن مجاهد و

هود

وامرأته ضاحكة اى حاضت منه فضحكت لطلعة الدم او الشئ يعنى استعدادها العلوق الولد من قرأ يعقوب بالرفع فعلى الابتداء والخبر محذوف اى يعقوب مولود او موجود من بعد اسحق ومن قرأ بالنصب فعلى العبارة المتروكة كأنه قيل ووهبنا لها اسحق ومن بعد اسحق يعقوب اقول من المحتمل ان يكون يعقوب مجرورا بالعبارة الموجودة اى وبشرناها بيعقوب من بعد اسحق وقيل لولد ولد الولد ووجهان يراد بيعقوب اولاده كما يقال هاشم ويراد اولاده يا ويلتى كلمة تلهف وقد ثبت فى الامالة فى يا ويلتى اعرب وشبها نصب على الحال والعامل فيه ما فى هذا من معنى ابنا واشير بهذا يعنى ان تولد ولد من مرهن لشئ عجيب عادة فازال الملائكة تعجبها منكرين عليها بقولهم على سبيل الاستيناف رحمة الله وبركاته عليكم يا اهل بيت خليل الرحمن المقصود ان رحمة عليكم متكاثرة وبركاته فيكم متواترة وخرق العادات فى اهل بيت النبوة غير عجيب يحتمل ان يكون انتصاب اهل البيت على الاختصاص وقيل الرحمة النبوة والبركات الاسباط اما من بنى اسرائيل لان الانبياء منهم وكلهم من ولد ابرهيم ثم اكدوا ازالة التعجيب بقولهم انه حميد مجيد فعال من الحمد ذو الكرم الكامل فلا يليق به منع الطالب عن مطلوبه فلما ذهب عن ابرهيم الروع الخوف الذى لحقه حين نكرهم ضيافة وجاءته البشرى البشارة بحصول الولد بجادلنا فى قوم لوط فى معناهم وفى شأنهم وهو جواب لما على حكاية الحال او لان لما ترد المضارع الى الماضى عكس ان ويحتمل ان يكون جواب لما محذوفا عليه يجادلنا اى اجراء على خطابنا او قال كذا ثم ابتدأ فقال يجادلنا وقيل معناه اخذ يجادلنا ولا بد من حذف مضاف اى يجادل رسلنا لا بمعنى مخالفة امر الله فان ذلك لا يكون من معصوم بل سعيا فى تاخير العذب عنهم رجاء ايمانهم وتوهمهم بروى انهم قالوا اتهلكوا اهل هذه القرية فقال ارايتم لو كان فيها خمسون من المؤمنين اتهلكونها قالوا لا قال فاربعون قالوا لا حتى بلغ العشرة قالوا لا قال فان كان فيها رجل واحد مسلم اتهلكونها قالوا لا بعد ذلك قال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله قال الاضوليون ان ابرهيم كان يقول ان امر الله ورد بايصال العذاب ومطلق الامر لا يوجب الفور والملائكة يدعون لفورا اما للقرائن او لان مطلق الامر يستدعى ذلك فهذه هى المجادلة او لعل ابرهيم كان يدعى ان الامر مشروط بشرط لم يحصل بعد وهم لا يسلمون بالجملة فان العلماء يجادل بعضهم بعضا عند التمسك بالتصوص وليس يوجب القدح فى واحد منهم فكذلك ههنا ولذلك مدحه بقوله ان ابرهيم لحليم غير عجول فى الامور اواه كثير التاوه من الذنوب منيب راجع الى الله فى كل ما ينبغى له وهذه الصفات تدل على رقة القلب والشفقة على خلق الله حتى حملته على المجادلة فيهم رجاء ان يرفع العذاب عنهم ولما عرفت الملائكة ان العذاب قد حق عليهم قالوا يا ابرهيم اعرض عن هذا الجدال انه قد جاء امر ربك باهلاكهم وانهم اتيهم عذاب غير مردود فلا اراد لقضائه فلا ينفع فيهم جدال ولا دعاء ولما جاءت رسلنا المذكورون لوطا سيئ بهم اصله سوئ لانه من الساءة يسوءه نقيض سره وبه نقلت الكسرة الى الفاء وابدلت العين ياء ومن قرأ سيئ بابدال العين ياء مكسورة فلكراهة اجتماع الواو والهمزة وضاق بهم ذرعا قال الازهرى الذرع يوضع موضع الطاقة واصله ان البعير يذرع بيديه فى سيره على قدر سعة خطوه فاذا حمل عليه اكثر من طاقة ضاق ذرعه عن ذلك فجعل ضيق الذرع عبارة عن قلة الوسع والطاقة وربما قالوا ضقت لامر ذرعا وقال هذا يوم عصيب اى شديد كأنه اريد اشتداد ما فيه من الامور من ابن بمباس انظلقوا من عند ابرهيم الى لوط وبين القريتين اربعة فراسخ ودخلوا عليه على صورة شباب مرد من بنى ادم فى غاية الحسن لم يعرف لوط انهم ملئكة الله فساءه مجيئهم واغتم لذلك لانه خاف عليهم خبث قومه وان يعجز عن مقاومتهم وقيل سبب المساءة انه لم يكن قادرا على القيام بحق ضيافتهم لانه ما كان يجد ما ينفق عليهم قبل السبب ان قومه منعوه عن ادخال الضيف داره وقيل عرف انهم ملائكة جاؤا لاهلاك قومه وفرق قلبه على قومه والصحيح هو الاول بروى انه تعالى لما لم يهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط اربع شهادات فلما مشى معهم منطلقا امامهم الى منزله قال لهم امرهت الفرية قالوا وما امرهم قال اشهد بالله انها لشر قرية فى الارض عملا بقول ذلك اربع مرات فدخلوا معه منزله ولم يعلم بذلك احد فخرجت امرأته فاخبرت بهم قومها فذلك قوله وجاءه قومه يهرعون اليه قال ابو عبيدة يستحثون اليه كأنه يحث بعضهم بعضا وقال الجوهرى الاهراع الاسراع وهرع الرجل على ما لم يسم فاعله فهو مهرع اذا كان يرعد من حمى او غضب فزع وقيل اتمالم يسم فاعله للعلم به والمعنى اهرعهم خوفه او حرصه ثم بين ان اسراعهم انما كان لاجل العمل الخبيث فقال ومن قبل كانوا يعملون السيئات الفواحش ثم روا عليها فلذلك جاءوه مجاهرين لا يكفهم حياء وقيل معناه وكان لوط قد عرف عادتهم فى ذلك العمل قبل ذلك اراد ان يقى ضيفانه بعبارة فقال هؤلاء بناتى عرض بناته من صلبه وعرض مجامعهن وسعيد جبير اراد نساء امته لان النبى كالاب لامته واخرهذا القول لان عرض البنات لحقهن بيان على الفجار لا يليق بذوى المروات وكان للوط من صلبه لا يكفى للجمع العظيم الذى روى انهم كانوا اربعين الفا لكن له الابنتان راقل الجمع ثلثة والفاظون بالقول الاول قالوا ان تزوج بعض بناته من بعضهم لا يحل لان الكفر فاعل تزويج المسلمات من الكفار كان جائزا كما فى اول الاسلام زوج رسول الله صلعم ابنتيه من عتبة بن ابى لهب والعاص بن الربيع من عبد العزى وهما كافران فنسخ بقوله ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا وقيل كان لهم سيدان مطاعان فاراد ان يزوجهما ابنتيه وقيل ان بناته كن اكثر من ثلثين ويجوز ان يكون قد عرض البنات عليهم لا بطريق الجد بل طمعا منهم ان يستحيوا منه ويرقوا له واطهر بمعنى الطهارة فى نكاح الرجال فاتقوا الله بانكاحهن عليهم ولا تخزون ولا تفضحون من الخزى او لا تخجلون من الخزاية وهى الحياء فى ضيفى حق اذا نسبتم الى فجور الضيف والجار يورث للضيف العار والشنار والضيف يستوى فيه الواحد والجمع ويجوز ان يكون مصدرا الكيس منكم رجل رشيد صالح او مصلح مرشد يمنع او يمنع عن مثل هذا العمل القبيح قالوا لقد علمت ما لنا فى بناتك من حق من شهوة ولا حاجة لان من احتاج الى شئ فكأنه حصل له فيه نوع حق ولذلك قالوا وانك

الاول قالوا اما دعى القوم

لتعلم ما نريد وبجوز ان يراد انهن لسن لنا بازواج فالحق لنا فيهن من حيث الشرع ومن حيث الطبع اوم اراد انك دعوتنا الى نكاحهن بشرط الايمان ونحن لا نؤمن البتة فلا يتصور لنا حق فيهن قال لوط لو ان لي بكم قوة وجواب محذوف اي لفعلت بكم وصنعت وبالغت في دفعكم قال اهل المعاني حذف الجواب ابلغ لان الوهم يذهب الى انواع كثيرة من الدفع والمنع والمراد لو ان لي ما اتقوى به عليكم فسمي موجب القوة بالقوة ويحتمل ان يريد بالقوة القدرة والطاقة او اوي انضم الى ركن شديد حام منيع شبه الركن من الجبل في شدته وقوله او اوي عطف على الفعل المقدر بعد لو والحاصل انه تمنى دفعهم بنفسه وبمعاونة غيره قال دلك من شدة القلق والحيرة في الامر النازل به وهذا قالت الملائكة وقد رقت عليه وجدت له ان ركنك لشديد وقال النبي صلعم رحم الله اخي لوط كان يأوي الى ركن شديد فما بعث نبي بعده الا في ثروة من قومه يحتمل ان يريد بالركن الشديد حصنا يتحصن به قياما من شرهم ويحتمل انما شاهد سفاهة القوم وانذارهم على سوء الادب تمنى حصول قوة تومئ على الدفع ثم استدرك وقال بل الاوى الى ركن شديد وهو الاعتصام بعناية الله روي انه اغلق بابه لما جاؤا فتسوروا الجدار فلما رأت الملائكة ما لقي لوط من الكرب قالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك وهذه معجزة موضحة للتي قبلها لانهم اذا كانوا رسل الله لم يصل الاعداء اليه ولن يقدروا على ضرره فامر الملائكة ان ينفخ الباب فدخلوا فاستأذنا جبرئيل ربه في عقوبتهم فاذن له فضرب بجناحه وجوههم فطمس اعينهم واعماهم كما قال سبحانه ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا اعينهم فصاروا لا يعرفون الطريق فخرجوا وهم يقولون ان في بيت لوط سحرة ثم بين نزول العذاب وجه خلاص لوط واهله فقال فاسر باهلك الباء للتعدية ان كانت الهمزة للوصل من السرى او زيادة ان كانت للقطع والاسرى يقطع من الليل عن ابن عباس اي في اخر الليل وقال قتادة بعد طائفة من الليل وقيل نصف الليل كانه قطع بنصفهن ولا يلتفت منكم احد اي لا ينظر الى ما وراءه الا امرأتك اكثر القراء على النصب فاعترض بان الفصيح في مثله هو البدل لان الكلام غير موجب فكيف اجتمع القراء على غير الفصيح فاجاب جار الله بان الرفع بدل من احد على البناء في النصب مستثنى من قوله لا يلتفت وزيف بان الاستثناء من اسر يقتضي كونها غير مسرى بها والاستثناء من لا يلتفت احد يقتضي كونها مسرى بها لان الالتفات بعد الاسراء فيكون مسرى بها غير مسرى بها ويمكن ان يجاب بان اسر وان كان مطلقا في الاتمر في المعنى يتضايق عدم الالتفات ان المراد اسر بها هلك اسرا لا التفات فيه الا امرأتك فانك تسرى بها اسرا مع الالتفات فاستثنى على هذا ان شئت من لا يلتفت ولا تناقض بعضهم كابن الحاجب جعل الا امرأتك في كلتا القراءتين مستثنى من لا يلتفت فلم يبق بعد اجتماع القراء على قراءة غير الا قوى ويمكن ان يقال انما اجتمعوا على النصب ليكون استثناء من اسر لو جعل استثناء من لا يلتفت لزم ان تكون مامورة بالالتفات لكان القائل اذا قال لا يقم منكم الا زيد كان ذلك امرا لزيد بالقيام اللهم الا ان يجعل الاستثناء منقطعا على معنى ولا يلتفت منكم احد لكن امرأتك تلتفت فتصيبها ما اصابهم واذا كان هذا الاستثناء منقطعا كان النفاتها وجيها للمعصية قاله في الكشاف وروي انه امر ان يخلفها مع قومها فلم يسر بها واختلاف القراءتين لا يخلو الفراءتان يجب اجتماعهما على الصحة لتواتر القرآن كلها وروي انها لما سمعت هذه العذاب اي صوتها التفتت وقالت يا قوماه فادركها حجر فقتلها وقيل المراد بعدم الالتفات قطع تعلق القلب عن الاصدقاء والاموال والاستعفاء عن هذا يصح الاستثناء ان من غير شائبة التناقض كانه امر لوطا ان يخرج بقومه ويترك هذه المرأة فانها لكفرها لم امر ان يقطعوا العلائق واخبر ان امرأته تبقى متعلقة القلب بها بروي انه قال لهم متى موعد هلاكهم فقيل له ان موعدهم الصبح فقال اريد اسرع من ذلك فقالوا اليس الصبح بقريب فلما جاء امرنا باهلاكهم جعلنا اي جعل سفلها عاليها ساقلها روي ان جبرئيل ادخل جناحه الواحد تحت مدائن قوم لوط وقلعها وصعد بها الى السماء حتى سمع اهل السماء صياح الكلاب ونباح الديوك ثم قلبها دفعة وضربها على الارض ثم امطر عليهم حجارة من سجيل وهو معرب سنك كل كانه مركب من حجر وطين وهو في غاية الصلابة وقيل سجيل اي مثل السجل وهي الدلو العظيمة او مثلها في تضمن الاحكام الكثيرة وقيل اي مرسلة عليهم من السجلة اذا ارسلته وقيل اي كما من الله ان يعذب بها وكتب عليه اسما المعذبين من السجل وقد سجل لفلان وقيل من سجين اي من سجنهم فابدلت النون لاما وقيل انه اسم من اسماء الدنيا ومعنى منضود موضوع بعضها فوق بعض في النزول يأتي على سبيل المتابعة والتلاحق وفضد السماء فضدا معد الاهلاك الظلمة وفي السماء معاد نهلك حجارة مخصوصة كقوله من جبال فيها من برد منزلة معلمة للعذاب او بياض وحمرة من الحسن المستحسن عليها امثال الخواتيم وقال ابن جريج كان عليها سيما لا تشاكل حجارة الارض وقال الربيع مكتوب على كل حجر اسم من يرمي به وقال ابو صالح رأيت منها عند ام هاني حجارة فيها خطوط حمر على هيئة الجزع ومعنى عند ربك اي في خزائنه لا يتصرف في شيء منها الا هو او مقدرة في علمه اهلاك من اهلك بكل واحد منها وما هي اي تلك الحجارة من الظالمين اي من كل ظالم ببعيد وهو وعيد لاهل مكة عن رسول الله صلعم انه سئل جبرئيل عن هذا فقال يعني من ظالمي امتك ما من ظالم الا وهو يصيد سقوط الحجر عليه سماء سماء وقيل اي تلك القرى وليست ببعيدة من ظالمي اهل مكة يمرون بها في سيرهم الى الشام وقيل المراد انها ان كانت في السماء الا انها اذا هوت منها فهي اسرع شيء لحوقا بالمسرى فكانها بمكان قريب والله تعالى اعلم

ع

وارسلنا الى مدين اخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان اني اراكم بخير اني اخاف عليكم عذاب يوم محيط ويا قوم اوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين بقيت الله خير لكم ان كنتم مؤمنين وما انا عليكم بحفيظ قالوا يا شعيب اصلوتك تأمرك ان نترك ما يعبد اباؤنا او ان نفعل في اموالنا ما نشاء انك لانت الحليم الرشيد قال يا قوم ارأيتم ان كنت على بينة من ربي ورزقني منه رزقا حسنا وما اريد ان اخالفكم الى ما انهيكم عنه ان اريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب

هود

وَيٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِيٓ أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ۝ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ
تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ۝ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ وَمَآ أَنتَ
عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ۝ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّى بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ۝ وَيٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ
إِنِّى عَٰمِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ وَٱرْتَقِبُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ ۝ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ۝ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ۝ وَلَقَدْ
أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ۝ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ فَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ۝ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ
ٱلنَّارَ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ۝ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ۝ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ۝
وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ۝ وَكَذَٰلِكَ
أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ۝

القراءة ان بالفتح اركبْ بالامالة ابو جعفر ونافع وابو عمرو والبزي وكذلك
روى عن اهل مكة الى اخاف شقاقي ان بفتح الياء فيهما ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو وصلوا تلك كما مر في سورة التوبة في قوله ان صلوتك سكن ابو جعفر
بالفتح ابو عمرو وابن عامر وابو جعفر ونافع ارهطي بالفتح ابو جعفر ونافع وابن كثير وابن عامر وابو عمرو بعدت ثمود بالاظهار ابن كثير وابو جعفر ونافع وخلف
يعقوب عاصم غير الاعشى لو توف شعيباً غير محيط مفسدين مؤمنين للابتداء بالنفي مع الواو يحفظ ما انشاء طا الرشيد حسنا عنه ما استطعت
الا بالله اثيب نصف الجزء وصالح بعيد ايله ودود ضعيفاً لان لوطا للابتداء مع الواو ولجدالة لتحقق النفي وكون الواو للحال اوجه بعزيز بن الله بفصل
بين الاستخبار والاخبار والخبار المقصود وجه للوصل ظهرياً محيط عاملون تعلمون كاذب للفصل بين الخبر الطلب رقيب جاثمين لبئما ثمود مبين للتعلق
الجار فرعون للنفي مع الواو للعطف والحال برشيد النار المورود النهد المرفود حصيد امر ربك شديد ظالمة شديد التفسير يفصل الميكال بثمن مغبون
بان بفصح الابناء من القدر الواجب يزيد في الاستيفاء على القدر الواجب فيلزم في كلا الحالين نقصان حق الغير ثم على النهي بقوله اني اركم بخير اي بثروة وسعة
تغنيكم عن التطفيف بنعمة من الله حقها ان تشكر لتزداد لا ان تكفر فتزال واني اخاف عليكم عن ابن عباس انه فسر الخوف بالعلم وقال الخرون انما الظن الغالب لانه
كان يجوز ان دجارهم وانتهاءهم والعذاب المحيط المهلك لما اصل كانه احاط بهم بحيث لا ينفلت منهم احد وزيادة اليوم لاجل المبالغة والاستناد المجازي
باعتبار ما هو واقع فيه واشتمل عليه ذلك اليوم قيل هو عذاب الاستيصال في الدنيا وقيل عذاب الاخرة والاظهر العموم قولوا اوفوا المكيال الى قوله اشياءهم قد
مر تفسير مثله في الاعراف وقوله ولا تعثوا في الارض مفسدين مضى تفسيره في اوائل البقرة بقيت الا بقية سئوال وهو انه سبحانه نهاهم اولا عن النقص ثم
امرهم بالايفاء فهل فيه فائدة سوى التاكيد للتقرير والجواب بعد تسليم ان النهي عن الشيء امر بضده وهو ان النهي عن النقص في المبايعة وان كان يفيد تصريحه
تغييراً وتوبيخاً لكنه يوهم النهي عن اصل المبايعة فلدفع هذا الخيال امرهم بايفاء الكيل فيفيد باحد اصل المبايعة مع التصريح بالنعت المستحسن في العقول لزيادة
الترغيب فيه انهم فائدة اخرى من قبل تقييد الايفاء بالقسط ايعلم ان ما جاوز العدل ليس بواجب بل هو فضل ومروءة لا يتقيد عند حد وانما الواجب
شيء من الايفاء بقدر ما يخرج عن العهدة بيقين كما ان غسل الوجه لا يحصل باليقين الا عند غسل شيء من اول سن بقية الله قيل ثواب الله وقيل طاعته
ورضاه كقوله والباقيات الصالحات خير وقيل اي ما يبقى لكم من الحلال بعد التنزه عما هو حرام عليكم خير لكم بشرط ان تؤمنوا الان شهنا من الاعمال
لا ينفع مع الكفر ان كنتم مصدقين لي فيما انصح لكم ولا ريب ان الامانة تجر الرزق لاعتماد الناس واقبالهم عليه فيفتح له ابواب المكاسب الخيانة تجر
الفقر لنفرة الناس عنه وعن معاملته وتحجنه قالت المعتزلة في اضافة البقية الى الله دليل على ان الحرام لا يسمى رزق الله وقد رد بقية الله بالثناء الفوقاني
اي ارتقاؤه الصائف عن المعاصي والقبائح وما انا عليكم بحفيظ احفظ اعمالكم لاجازيكم انما انا مبلغ ناصح وقد اعذر قوله اصلوتك قيل اي دينك
وانما ذلك لان الصلوة عماد الدين فعبر عن الشيء باسم معظم اركانه وقيل المراد الاتباع لان اصل الصلوة ومنه المصلي للذي يتلو السابق والمعنى ربك
اي اتباعه اياك بذلك والاظهر ان المراد به الاعمال المخصوصة روي ان شعيباً كان كثير الصلوة فكان قومه اذا راوه يصلي تغامزوا وتضاحكوا فقصدوا
بقولهم اصلوتك تامرك السخرية والهزء فكان الصلوة التي يداوم عليها ليلا ونهارا هي من باب الجنون والوساوس ومعنى تامرك بتكليفنا ان نترك على حذف
المضاف لان الانسان لا يؤمر بفعل غيره وقوله ان نفعل معطوف على ما في ما يعبد اي تامرك صلوتك بترك ما يعبد اباؤنا وبترك ان نفعل في اموالنا ما نشاء
روي انه كان ينهاهم عن قطع اطراف الدراهم كما كان يامرهم بترك التطفيف والابتياع بالحلال القليل من الحرام الكثير انك لانت الحليم الرشيد قيل
انه مجاز والمراد نسبته الى غاية السفاهة والغواية فعكسوا تهكما به وقيل حقيقة وانه كان معروفا بينهم بالحلم والرشد فكانهم قالوا له انك لمعروف بهذه
السيرة فكيف تنهانا عن دين الفناه وسيرة تعودناها ثم اشاروا الى ما اثناه الله من العلم والهداية والنبوة والكرامة والرزق الحلال الحاصل من غير بخس ولا تطفيف
وجواب الشرط محذوف اكتفى عنه بما ذكر في قصتي نوح وصالح والمعنى اياكم ان كنت على حجة واضحة وبقين من ربي وقد اتاني بعد هذه السعادات الروحانية
السعادات الدنيوية من الخبرات والمنافع الجليلة هل يسعني مع هذه الاكرامات ان اخون في وحيه ولا امركم بترك الشرك وبفعل الطاعة والانتهاء لا ينهاكم
الا لاهتمالكم وما اريد ان اخالفكم الى ما انهيكم عنه بقال خالفني فلان اذا قصده وانت مولي عنه فالمعنى لا اجعل نفسي مخالفا لقولي فلا استبدكم
الى شهواتكم التي نهيتكم عنها ان اريد الا الاصلاح الا ان اصلحكم بالموعظة والنصيحة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ما استطعت ما للمدة ظرف للاصلاح

اى مدة استطاعتى لاصلاحكم وابدل من الاصلاح اى المقدار الذى استطعته منه او المضاف محذوف اى الا الاصلاح اصلاح ما استطعت او مفعولا للاصلاح فقد جعل المصدر المعرف كقوله ضعيف النكاية اعداءه اى الا ان اصلح ما استطعت صلاحه من فاسدكم ثم بين ان كل ما اتى وبين رفو قوعه بتسهيل الله وتاييده فقال وما توفيقى الا بالله والتوفيق ان يوافق ارادة العبد ارادة الله تعالى عليه توكلت خصه بتفويض الامور اليه لانه مبدأ المبادئ واليه انيب لانه المعاد الحقيق بضمه تهديد للكفار وحسم لاطماعهم منه ثم اوعدهم بقوله لا يجرمنكم شقاقى لا يكسبنكم خلافى ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح من الغرق او قوم صالح من الصيحة وما قوم لوط منكم ببعيد لا بقتل ببعيد حملا على لفظ القوم لانه مؤنث ولا ببعيد بن حملا على معناه ولكنه على تقدير مضاف اى وما اهلاكهم ببعيد لانهم اهلكوا فى عهد قريب من عهدهم او المراد وما هم بشئ بعيد او بزمان او مكان ببعيد وجوزوا ان يستوى فى بعيد وقريب قليل وكثير بين المذكر والمؤنث لورود هما على زنة المصادر التى هى للتسهيل والتهيؤ ونحوهما ان ربى رحيم ودود يجوز ان يكون بمعنى فاعل او مفعول كقوله يجتهم ويجتونه وهذا حث لهم على الاستغفار والتوبة وتنبيه على ان سبق الكفر والمعصية لا ينبغى ان يمنعهم عن الايمان والطاعة ولما بالغ خطيب الانبياء فى التنفير والتبشير قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول اما القلة او عند او قالوه تهكما واستهانة كما يقول الرجل لصاحبه اذا لم يعبأ بجده بشه ما ادرى ما تقول كانهم جعلوا كلامه تخليطا وهذيانا لا ينفعهم كثيره وقيل لانه كان الثغ او انا لنريك فينا ضعيفا عن الحس مهينا اى لا عز لك فينا بنسب ولا قوة فلا يقدر على الامتناع منا ان اردنا بك مكروها وفسر بعضهم الضعيف بالاعمى لان العمى سبب لضعف ولانه لغة حمير وزيف هذا القول اما عند من جوز العمى على الانبياء فلان لفظة فينا يأباه لان الاعمى فيهم وفى غيرهم واما عند من لا يجوزه كبعض المعتزلة فلان الاعمى لا يمكنه الاحتراز من التجاسات وانه يخل بجواز كونه حاكما وشاهدا فلان يمنع من النبوة كان اولى ثم ذكروا انهم انما لم يرجموه او ابرموه لانه لم يكن له فى عشيرته من يقوم بامر الشرط لاجل رهطه والرهط من الثلاثة الى العشرة وقيل الى السبعة والاجر شر القتل وهو الرجم او الحجارة او المراد الطرد والابعاد ومنه الشيطان الرجيم ثم اكدوا المذكور بقولهم وما انت علينا بعزيز وانما العزيز علينا رهطك لا خوفا من شوكتهم ولكن لانهم من اهل ديننا فالكلام واقع فى فاعل العز لا فى العز فعل وهو العز ولذلك قال فى جوابهم ارهطى اعز عليكم من الله ولو قبل وما اعز بى علينا لم يصح هذا الجواب انما لم يقتلوا اعز عليكم منى ايذانا بان النهاون بنبى الله كالنهاون بالله كقوله من يطع الرسول فقد اطاع الله واتخذتموه اى امر الله او ما جئت به وراءكم ظهريا منسوب الى الظهر والكسر من تغييرات النسب اى جعلتموه كالشئ المنبوذ وراء الظهر غير ملتفت اليه ثم وصف الله تعالى بما يتضمن الوعيد فى حقهم فقال ان ربى بما تعملون محيط ثم زاد فى الوعيد والتهديد بقوله اعملوا على مكانتكم وقد مر تفسيره مثله فى الانعام قال فى الكشاف الاستيناف بغير فى سوف تعلمون وصل خفى تقديره انا فمهما من الوصل بالفاء وهو باب من ابواب علم البيان بتكاثر محاسنه ثم بالغ فى التهديد بقوله وارتقبوا انتظروا عاقبة الشقاق انى معكم رقيب راقب كالضريب بمعنى الضارب ومراقب كالعشير والنديم او مرتقب كالفقير والوقيع بمعنى المفتقر والمرتفع وباقى القصة على قياس قصة صالح واخذ الصيحة واخذت الصيحة كلتا العبارتين فصيحة لمكان الفاء الا انها جاءت فى قصة شعيب مرة الرجفة ومرة الظلة ومرة الصيحة ازدادت التاءات حسنا بخلاف قصة صالح واتحادها عليهم بقوله كما بعدت ثمود لما روى الكلبى عن ابن عباس قال لم يعذب الله امتين بعذاب واحد الا قوم شعيب وقوم صالح فاما قوم صالح فاخذتهم الصيحة واما قوم شعيب اخذ بهم من فوقهم وقوله استحقا بايانا وسلطان مبين قال فى التفسير الكبير الايات اسم للعدد المشترك بين العلامات المفيدة للظن وبين الدلائل التى تفيد اليقين والسلطان اسم لما يفيد القطع وان لم يتاكد بالحس والسلطان المبين مخصوص بالدليل القاطع الذى يعضده الحس وقال فى الكشاف يجوز ان يراد ان الايات منها سلطان مبين لموسى على صدق نبوته وان يراد بالسلطان المبين العصا لانها ابهرها وقوله الى فرعون متعلق بارسلنا فاتبعوا امر فرعون اى شانه وطريقه وامره اياهم بالكفر والجحود وتكذيب موسى وما امر فرعون برشيد اى ليس فى امره رشد انما فيه غى وضلال وفيه تعريض بان الرشد والحق فى امر موسى ثم ان قومه عدلوا عن اتباعه الى اتباع من ليس فى امره رشد قط فلا جرم كما كان فرعون قدوة لهم فى الضلال فكذلك يقدمهم يوم القيمة الى النار وهم على اثره ويجوز ان يراد بالرشد الاحمود وحسن العاقبة فيكون المعنى وما امر فرعون بحميد العاقبة ثم فسر ما يقدم قومه اى كيف يرشد امر من هذه عاقبته وبئس قدمه قدمهم بالتخفيف والتشديد بمعنى تقدمهم ومنه مقدمة الجيش ومثله اقدم ومنه مقدم العين انما قال فاوردهم بلفظ الماضى تحقيقا للوقوع والمورد المورود الذى وردوه شبه فرعون بمن تقدم الواردة الى الماء وشبه اتباعه بالواردة ثم بغى عليهم بقوله وبئس المورد الذى يرد ومنه النار لان الورد انما يراد لتسكين العطش وتبريد الاكباد والنار ضده وتذكير بئس لتذكير المورد وان كان هو عبارة عن النار كقولك نعم المنزل دارك ولو قلت نعما جاز نظرا الى الايراد وفى تشبيه النار بالماء نوع تهكم وابتعوا فى هذه حذف صفته فى هذه الابتاع كتفاء بما مر فى قصة عاد وبئس الرفد المرفود اى بئس العطاء المعطى ذلك وقيل الرفد العون والمرفود المعان وذلك ان اللعنة فى الدنيا رفدت اى اعينت وامدت باللعنة فى الاخرة قال قتادة ترادفت عليهم لعنتان لعنة من الله والملائكة والناس فى الدنيا ولعنة فى الاخرة ذلك الذى ذكرنا او ذلك الذى ابناء بعض ابنائه الفرج المملكة تقتضه عليك خبر بعد خبر ثم استانف فقال منها قائم وحصيد اى فمنها حصيد والمراد بعضها باقى كالزرع القائم على ساقه وبعضها عافى الاثر كالزرع المحصود فاهلكناهم باهلاكنا اياهم ولكن ظلموا انفسهم بارتكاب ما ارتكبوا عن ابن عباس ما نقصناهم فى الدنيا من النعيم والرزق ولكن نقصوا حظ انفسهم حيث استحقوا بعقوق الله ما استحقت فما قدرت ان ترد عنهم الهتهم التى يدعون بعبدون وهى حكاية حال ماضية بامر الله حين جاءه امره يعنى الهتهم غير تتبيب تخسير تبت

هود

خسروتبه غبرا وقعر في الخسران كانوا يعتقدون في الاصنام انها معين في الدنيا على تحصيل المنافع ودفع المضار وستشفعهم عند الله في الاخرة فلم ينفعهم في الدنيا حين جاءهم عذاب الله وسيورثهم ذلك الاعتقاد عذاب النار في الاخرة فهم في خسران الدارين ثم بين ان عذابه غير مقصور على اولئك الاقوام ولكنه يعم كل ظالم سيوجد فقال وكذلك اى مثل ذلك الاخذ اخذ ربك فالاخذ مبتدأ وكذلك خبره وقوله وهي ظالمة حال من القرى باعتبار اهلها ان اخذه اليم شديد وجيع صعب على الماخوذ وهو تحذير من وخامة عاقبة كل ظلم على الغير او على النفس فعلى العاقل ان يبادر الى التوبة ولا يعتبر بالامهال التأويل ولا ينقصوا امكيال المحبة وميزان الطلب فيكمال المحبة عداوة ما سوى الله وميزان الطلب لسير على الحقيقة والشريعة والطريقة اني اراكم بخير هو حسن الاستعداد الفطري واني اخاف عذاب يوم محيط اى الاستعداد في طلب غير الحق بالقسط في تعظيم امر الله والشفقة على خلق الله ولا تبخسوا الناس اشياءهم حقوق النصيحة وحسن العشرة في الله ولله ولا تعثوا في الارض وجودكم مفسدين بقية الله بقاؤكم بها فانه خير لكم مما فاتكم بابقاء المكيال والميزان رزقا حسنا نورانا ما ابقى به اصلاح الامور والاستعداد ان ساعدك التوفيق وما معاملة قوم لوط من معاملتكم ببعيد لان الكفر كله ملة واحدة وما امر فرعون برشيد لان فرعون النفس امارة بالسوء اذا اخذ القرى قرى الاجساد منها قائم قابل لمدارك مختلفات ومنها ما هو محصور بحوادث الاستعداد والله نعلم اعلم بالصواب ان في ذلك لاية لمن خاف عذاب الاخرة ذلك اى ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود وما نؤخره الا لاجل معدود يوم يأت لا تكلم نفس الا باذنه فمنهم شقي وسعيد فاما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك ان ربك فعال لما يريد واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء ما يعبدون الا كما يعبد اباؤهم من قبل وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص ولقد اتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم وانهم لفي شك منه مريب وان كلا لما ليوفينهم ربك اعمالهم انه بما يعملون خبير فاستقم كما امرت ومن تاب معك ولا تطغوا انه بما تعملون بصير ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من اولياء ثم لا تنصرون واقم الصلوة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين واصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين فلولا كان من القرون من قبلكم اولوا بقية ينهون عن الفساد في الارض الا قليلا ممن انجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه وكانوا مجرمين وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم انا عاملون وانتظروا انا منتظرون ولله غيب السموات والارض واليه يرجع الامر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون القراءة وما يؤخره بالياء يعقوب المفضل الباقون بالنون يوم يأت بالياء في الحال ابن كثير وسهل يعقوب واقف وابو جعفر ونافع وابو عمرو وعلى في الوصل الاخرون بحذف الياء الا الاكمل بتشديد التاء البزي وابن فليح سعد وابن سعد وابن فليح بضم السين حمزة وعلي وخلف وحفص قبل انه على ابهة الحمزة من اسعد الان سعد لازم ولكنه قد جاء المسعود الاخرون بفتحها وان كلا بالتخفيف ابن كثير ونافع وابو بكر وحماد الباقون بالتشديد لما شدد ابن عامر عاصم بن بهدلة وحمزة وكذلك في الطارق الباقون بالتخفيف وزلفا بضمتين يزيد الاخرون بفتح اللام فؤادك وبابه بغير همز الا صبغا عن هبيرة وحمزة في الوقف روح محمد ونافع وحفص تعلمون خطابا وكذلك في النمل ابو جعفر ونافع وابن عامر ويعقوب حفص الباقون على الغيبة الوقوف الاخرة ط مشهود ومعدود ط بإذنه ج شاء ربك ط لان التقدير يعطون عطاء مجذوذا هؤلاء ط من قبل ط منقوص فاختلف فيه ط بينهم ط مريب اعمالهم ط خبير ولا تطغوا ط بصير لا ان ما بعده من تمام جزاء ولا تركنوا ط يصرون من الليل ط السيئات ط للذاكرين ج المحسنين منهم لان التقدير وقد اتبع مجرمين مصلحون مختلفين ط رحم ربك ط خلقهم ط اجمعين فؤادك ط اذ التقدير وقد جاءك للمؤمنين ج مكانتكم ط عاملون ط للعطف انتظروا ط اى فانا منتظرون ط وتوكل عليه ط يعملون النفيلي في ذلك لذي قصصنا عليك من احوال الامم لانه لعبرة لمن خاف اى لمن هو اهل لان يخاف عذاب الاخرة كقوله هدى للمتقين لان انتفاعهم بهدى الهم قال الفقال في تفسيره بهذا الاعتبار انه اذا علم ان هؤلاء عدت بوا على اذنوبهم في الدنيا وهي دار العمل فلان يعدبوا على ما في الاخرة التي هي دار الجزاء اولى واعرض عليه في النفيلي الكبير بان ظاهر الاية يقتضي ان العلم بان التهمة حق كاف في حصول الاعتبار بظهور عذاب الاستيصال في الدنيا والفقال جعل الامر على العكس قال والاصح عندي ان هذا تعريض لمن زعم ان اله العالم موجب بالذات لا فاعل مختار وان هذه الاحوال التي ظهرت في ايام الانبياء مثل الغرق والخسف والصيحة انما حدثت بسبب قرانات الكواكب واذا كان كذلك فلا يكون حصولها دليلا على صدق الانبياء اما الذي يؤمن بالقيمة ويخاف عذابها فيقطع بان هذه الوقايع ليست بسبب الكواكب اتصالا انفصالا فيستفيد مزيد الخشية والاعتبار اقول وهذا نظر عميق والاظهر ما ذكرت اولا ومثله في القرآن كثير اتى في ذلك لعبرة لمن يخشى ان في ذلك لقوم يذكرون ثم لما كان العذاب الاخروي لا شك في حصوله يوم القيمة اشار اليه بقوله ذلك يوم مجموع اى يجمع لما فيه من الحساب والثواب والعقاب الناس او تراسم المفعول على فعله لاجل افادة الثبات وان حشر الاولين والاخرين فيه لكونه مظنة قول المنهد دانك لمنهوب ما لك محروب قومك فيه من تمكن الوصف وثباته ما ليس في الفعل وذلك يوم مشهود اى مشهود فيه الخلائق فالسعي في الظرف باجرائه مجرى المفعول به والفرق بين هذا الوصف والاول ان هذا يدل على حضور الناس فيه مع اطلاع البعض منهم على احوال الباقين من الحاسبة والمسائلة لبعض بحيث لا يعرف كل واحد الا واقعة نفسه والجمع المطلق لا يفيد هذا المعنى وانما

الثاني

النصف

والوصف به

فسرنا اليوم بانه مشهود فيه لا انه مشهود فيه لان سائر الايام يشركه في كونها مشهودا فيه دون غيره كما تميز يوم الجمعة عن ايام الاسبوع بكونه مشهودا فيه دونها وما يؤخرون الا لانتهاء اجل معدود اي لانقضاء مدة معلومة عين الله وقوع الجزاء بعدها وفيه فائدتان احديهما ان وقت الفيئة متعين لا يتقدم ولا يتاخر والثانية ان ذلك الاجل منتهاه وكل منتهاه فانتهائه لا محالة وكل آت قريب ثم ذكر بعض اهوال ذلك اليوم فقال يوم يأت لحذف الياء والاكتفاء عنها بالكسرة تخفيفا لغة هذيل وفاعل يأتي قيل الله كقوله او يأتي ربك اي مزاوحكمه دليله قراءة من قرأ وما يؤخره بالياء وقوله باذنه وقيل المراد الشئ المهيب الهائل المستعظم فحذف وكوه بمعنى لم يكونوا فرحين في التخويف قيل فاعله ضمير اليوم والمراد اتيان هوله وشدائده كما لا يصح اليوم ظرفا لاتيان اليوم وانتصاب يوم بلا تكلم او باذكر ضمرا وبالاتيان المقدر اي ينتهي الاجل يوم يأتي وقيل الاجل يوم يأتي وقيل الاتيان دال على التكلم لانه ذلك اليوم مع الآيات الدالة على نفي التكلم كقوله تعالى هذا يوم لا ينطقون وقوله هذا يوم يأتي كل نفس تجادل عن نفسها وكقوله هذا يوم لا ينطقون محمولة على اختلاف المواطن والازمنة او نفي العدد الصحيح المقبول واثبات العدد الباطل الكاذب ثم قسم اهل الموقف المجموعين للحساب او الافراد العامة الذين دل عليهما نفس فقال فمنهم شقي وسعيد اي ومنهم سعيد لا خلاف في الشقاء والسعادة مقترنان بالعمل الفاسد والعمل الصالح ويترتب عليهما الجنة والنار في الاخرة واما النزاع في ان العمل سبب للشقاء والسعادة كما هو مذهب المعتزلة او الشقاء سبب العمل كما هو مذهب اهل السنة فيختلف تفسير الشقاء بحسب المذهبين فهو عند المعتزلة الحكم بوجوب النار لانسان وعند السنية حرمان القلم عليه في الازل بانه من اهل النار وانه يعمل عمل اهل النار والتحقيق في المسئلة قد مر مرارا قيل قد بقي ههنا قسم اخر ليسوا من اهل النار ولا من اهل الجنة كالمجانين والاطفال فانهم اصحاب الاعراف وتخصيص القسمين بالذكر لا يدل على نفي الثالث اما قوله في صفة اهل النار لهم فيها زفير وشهيق ففيه وجوه قال الليث وكثير من الادباء الزفير استدخال الهواء الكثير لتروح الحرارة الحاصلة في القلب بسبب النفخ فيه روح ترتفع صدره وينتفخ جنباه والشهيق اخراج ذلك الهواء بجهد شديد من الطبيعة وكلتا الحالتين يدل على كرب شديد وغم عظيم والحاصل انهم جعلوا الزفير بمنزلة ابتداء نهيق الحمار والشهيق بمنزلة اخره وقال الحسن ان طبق جهنم يرفعهم بقوته حتى اذا وصلوا الى اعلى دركات جهنم وطمعوا ان يخرجوا منها ضربتهم الملائكة بمقامع من حديد فيردونهم الى الدرك الاسفل من النار فارتفاعهم في النار هو الزفير وانحطاطهم مرة اخرى هو الشهيق وقال ابو مسلم الزفير ما يجتمع في الصدر من النفس عند البكاء الشديد فينقطع التنفس والشهيق هو الصوت الذي يظهر عند اشتداد الكربة والحزن وربما يتبعها الغشية وربما يحصل عقيبه الموت وقال ابو العالية الزفير في الحلق والشهيق في الصدر وقيل الزفير الصوت الشديد والشهيق الصوت الضعيف عن ابن عباس طرحت فيها بكاء لا ينقطع وحزن لا يندفع وقال اهل التحقيق قوله سبحانه الى الدنيا والدليل انها زفير وضعفهم عن الاستمرار بكالات الروحانيات شهيق ثم ان قوما ذهبوا الى ان عذاب الكفار منقطع وله نهاية واستدلوا على ذلك بالقرآن والحديث والمعقول اما القرآن فقوله سبحانه خالدين فيها ما دامت السموات والارض اي مدة بقائها الا ما شاء ربك وفيه سؤالان الاول ان مدة عقابهم مغايرة لمدة بقاء السموات والارض المشار اليهما بقوله ما دامت السموات والارض فكيف يصح الاستثناء المشعر بالانقطاع الثاني سلمنا ان الامر كذلك لكن السموات والارض في الاخرة غير السموات والارض في الدنيا فلم قلتم ان السموات والارض في الاخرة باقية ابدا وما الحديث فما روي عن عبد الله عمرو بن العاص انه قال يجاء يوم القيامة بالموت في صورة كبش املح فيوقف بين الجنة والنار فيقال يا اهل الجنة هل تعرفون هذا فيشرئبون وينظرون ويقولون نعم هذا الموت فيؤمر به فيذبح على الصراط ثم يقال يا اهل الجنة خلود فلا موت ويا اهل النار خلود فلا موت فيزداد اهل الجنة فرحا الى فرحهم واهل النار حزنا الى حزنهم فهو لا يدل على ان عذاب الكفار منقطع واما المعقول فهو ان العذاب ضرر خالص عن النفع لا في حق الله تعالى ولا في حق المكلف فيكون قبيحا واليم الكفر جرم متناه ومقابلة الجرم المتناهي بعقاب لا نهاية لعظمه والجمهور من الامة على ان عذاب الكافر دائم واجابوا عن الاية بان المراد بسموات الاخرة وارضها المشار اليهما بقوله يوم تبدل الارض غير الارض والسموات ولا بد لاهل الاخرة مما يظلهم فيهما السماء والارض واذا علق حصول العدة للكافر بوجودهما لزم الدوام وايضا القرآن قد ورد على استعمالات العرب وانهم يعبرون عن الدوام والتابيد بقولهم ما دامت السموات والارض نظرا لقولهم ما اختلف الليل والنهار وما اقام ثبير وما لاح كوكب يمكن ايضا ان يقال حاصل الاية يرجع الى شرطية هي قولنا ان دامت السموات والارض في عقلهم فانا نقول لكن السموات والارض ثمة تدوم دوام عقابهم وهو المطلوب ان قلنا لكنها لم تدم فالاية لا تنتج المطلوب الخصم الا بعد استثناء نقيض المقدم لا بنتج شيئا وعبارة اخرى لئن كانت السموات والارض في حقهم كلما وجدت السموات والارض في حق عقابهم فلو قلنا لكنها لم توجد لم يلزم منه ان لا يوجد عقابه لانه لا يدل الا على حصول العقاب الدائم طويلا او مدة ما وانه هل يكون لها خر ام لا فذلك انما يستفاد من دليل اخر كقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء واما الاستثناء فقد ذكروا ان فيه دفع الايهام ان هذا الاستثناء لانهاء مدة العذاب كقولك والله لاضربنك الا ان اراك تتوب وقد يكون لغرض اخر كما علم به البشر وتعلم انك لا ترى غير ذلك ردا بالفرق فان معنى الابد انك لا تحكم بخلودهم فيها الا المدة التي شاء الله فالمشيئة قد حصلت جزما ولقائل ان يقول الماضي ههنا في معنى الاستقبال مثل ونادى اصحاب الاعراف وسيق الذين اتقوا فلم يبق فرق وقيل لا بعد سوى ما يتجاوز ذلك من الخلود الدائم كانه تكون لهم خلود بهذا بعد العرض طول مدته زاد عليه الدوام لا الخلود وقال ابن عباس وغيره المراد ان مكثهم في الدنيا وفي البرزخ او في الموقف وقيل الاستثناء يرجع الى قوله لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا ثم استثنى ان يعلم اخراج اهل التوحيد من النار والمراد الا من شاء ربك هذا بعيد لان النار لا يليق بها عدم الاشعار به والاكثرون على انه استثناء من الخلود بقوله ان ربك فعال لما يريد فكانه تعالى يقول امرهم الى مشيتي وقدرتي ورحمتي لا اقطع عنهم الرحمة لان الله لا يجب عليه شئ لاحد على حكم البسملة واما المعتزلة فكانهم لا يرضون بهذا ويقولون ان الاستثناء الثاني لا يساعد عليه الاجماع على ان احدا من اهل الجنة لا يدخل النار فالصواب ان يقال انه استثناء من الخلود في عذاب النار ومن الخلود في نعيم الجنة فان اهل النار ينقلون الى الزمهرير وفي غير ذلك مما لا يعلمه الا الله واهل الجنة ينقلون الى العرش والى ما هو اعلى حالا من الجنة كقوله ورضوان من الله اكبر ثم قالوا انه ختم بهذا الوعيد

هود

قوله ان ربك فعال لما يريد دابة الوعد بقوله عطاء غير مجذوذ ذي رعاية للمطابقة كانه قال ان ربك يفعل باهل النار ما يريد من العذاب كما يعطي اهل الجنة عطاءه الذي لا انقطاع له والجذ القطع واما الجواب عن الحديث فقد قال في الكشاف ان صح فمعناه انهم يخرجون من خلد النار الى برد الزمهرير فذلك خلودهم وصفوا بها اقول يحتمل ان يكون الالف سبب عدم الاحسان بالعذاب ليكون سبب الالتذاذ بالماوى فيكون خلوا اشارة الى هذا المعنى واما الجواب عن المعقول فهو ان الستير هو الله وحده وهو عالم التكليف لما كان غير مناه فعذاب البعد عنه ايضا يجب ان يكون غير مناه او نقول لانهاية لنوره فلا غاية لظلمة الغافل عنه والمنكر له او نقول اوضح لاشيا الوجود الواجب فاذا كان الشخص اهلا عنه كان مسلوب الاستعداد بالكلية فلا يكون انسانا في الحقيقة فلا يتصور له عروج من عالم الطبيعة والعبارات في هذا المقام كثيرة والمعنى واحد بيد ركم من وفق له وخلوا لاجله وما فرغ من اقاصيص عبدة الاصنام وبيان احوال الاشقياء والسعداء سلى رسول الله صلعم بشرح احوال الكفرة من قومه في ضمن نهي له عن الامتراء في سوء مغبتهم قائلا فلا تك حذف النون لكثرة الاستعمال ومن في شك تبعيضية او موصولة اى من الذي يعبده هؤلاء او من الذي يعبده هؤلاء المشركون المراد النهي عن الشك في سوء عاقبة عبادتهم ثم علل النهي مستانفا فقال ما يعبدون الا كما يعبد كالذي يعبده اباؤهم او كعبادة اباءهم والحاصل انهم شبهوا بابائهم في لزوم الجهل والتقليد وانا لموفوهم نصيبهم من الرزق والخيرات الدنيوية او من ازالة العذر وازاحة العلة بارسال الرسول وانزال الكتاب وفهمهم من العذاب كما وفينا ابائهم انصبائهم وفي الكشاف ان غير منقوص حال من النصيب لعلم انه تام كامل اذ يجوز ان يوفى بعض الشيء كقولك وفيته شطر حقه قلت هي معاطلة لان قول القائل وفيته شطر حقه التوفية تعود الى الشطر فلو قيل غير منقوص كان كالمكرور عاد السؤال فالصواب ان يقال انه حال مؤكدة اوصفة تقوم مقام المصدر اى توفية غير منحوز ولا تعتوره ادنى ما نقص او ردنظر الانكارهم نبوة محمد صلعم فقال ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه امن بر قومه وكفر به قوم اخرون كما اختلف في القرآن والغرض ان انكار الحق عادة قديمة للخلق ولولا كلمة سبقت من ربك هي ان رحمتي سبقت غضبي وهي ان دار الجزاء الاخرة الدنيا او هي ان هذه الامة لا يعذبون بعذاب الاستيصال لقضي بينهم بين قوم موسى او بين قومك بتمييز المحق من المبطل بسبب الانجاء والاهلاك يعني من جملة المختلفين فيه انهم يعني قوم موسى وقومك لفي شك منه من كتابهم او من كتابك او من القرآن او من المعاد او القضاء او الجزاء ثم جمع الاولين والاخرين في حكم توفية الجزاء ثوابا او عقابا فقال وان كلا التنوين فيه عوض عن المضاف اليه اى وان كلام يعني ان جميع المختلفين فيه ومن قرا بالتخفيف فعلى اعمال المخففة اذ لا يلزم من التخفيف ابطال العمل كما في لم يكن ولم يك ومن قرا لما مخففا فاللام هي الداخلة في خبر ان وما مزيدة للفصل بين لام ان وبين لام جواب القسم المقدر كما فصلوا بالالف بين التوكيدات في قولهم اضربنان ويمكن ان يكون ما نكرة اى لخلق يدا وجمع والله ليوفينهم ربك اعمالهم من حسن قبيح وايمان وجحود ومن قرا لما مشددا فاصله فاقبلت النون فيها فاجتمع ثلث ميمات فحذفت الاولى وابقاء الساكنة لاتصال اللام وقيل يجوز ان يكون اصله لما بالتنوين كما في قراءة الزهري وسلكها بن ارقم فحذف فتوالى لما مدودا ومعناه ولما من ما يحمى عن قرا ان كلا لما ليوفينهم على ان ان نافية ولما بمعنى الا كما في الطارق ولا يخفى ما في الاية من مؤكدات توفية الجزاء وان شيئا من الحقوق لا يضيع عند هم انها لفظة ان ومنها لام خبرها ومنها كل ومنها ما المزيدة ومنها القسم ومنها لام القسم منها نون التاكيد ومنها لفظ التوفية ومنها ربك فان من يربيك يقيدك على توفية حقك ومنها الجمع المضاف ومنها ضمير الاية بقوله انه بما تعملون خبير فانه اذا كان عالما بكل المعلومات قادرا على كل المقدورات كان عالما بعمل كل احد ومقدارا على آحاد مقدار على ايصال ذلك اليه ثم ان كرم حقوق وصدق اخباره التوفية مع المؤكدات لما كون فيقع وعده ووعيده لا محالة ثم امر نبيه ليتشدد بامره بكلمة جامعة للعقايد والاعمال قائلا فاستقم كما امرت عن جعفر الصادق عم معناه افتقر الى الله يصحح العزم يعني او توق به والتوكل عليه ومن تاب معك عطف على الضمير في فاستقم وضح للفصل او هو ابتداء اى ومن تاب معك فليستقم ومفعول معه ثم كما امر بالاستقامة على عبادة الحق نهى عن الانحراف عنها فقال ولا تطغوا والطغيان مجاوزة الحد وقال ابن عباس يريد تواضعوا للحق ولا تتكبروا على الخلق وخصص بعضهم الطغيان بالتجاوز عن حد ورد القرآن بتحليل حرام وتحريم حلال وهذا لانه اصل عظيم في الشريعة فيكون الترتيب في الوضوء واجبا كما ورد في القرآن وكل القول في الحدود والكفارات ونصاب الزكوة واعداد الركعات وغيرها فجميع الامورات المنهيات يجب الاحتياط في المسائل الاجتهادية والقياسات وكذا في الاخلاق والملكات وفي كل باله طرفا افراط وتفريط فهما مذمومان والمحمود هو الوسط وهو الصراط المستقيم المامور بالاستقامة والثبات عليه لان معرفته صعبة وتحقيقه ومعرفته اصعب والعمل به والبقاء عليه اصعب ولهذا قال ابن عباس ما نزل على رسول الله صلعم في القرآن اشد ولا اشق من هذه حتى اصحابه قالوا له لقد اسرع فيك الشيب فقال شيبتني هود واخواتها اى هذه الاية منها لما كان الصبر على السؤمة على عظم تغير العقايد وتبدل الاخلاق نهى عن مخالطة من يضع الشيء في غير موضعه فقال ولا تركنوا اى لا تميلوا بالمحبة والهوى الى الذين ظلموا فقال المحققون الركون المنهي عنه هو الرضاء بما عليه الظلمة من الظلم وتحسين الطريقة وتزيينها عند غيرهم مشاركتهم في شيء من تلك الامور فاما مخالطتهم لدفع ضرر او لجلب منفعة عاجلة غير داخلة في الركون واقول هذا من طرق المعاش والرخصة ومقتضى التقوى هو الاجتناب عنهم بالكلية لئن الله يكافي عبده وفي قوله فتمسكم النار اشارة الى ان الظلمة اهل النار بلام في النار او كالنار او لان ما يأكلون في بطونهم الا النار ومصاحبة النار توجب لا محالة مس النار وقوله وما لكم من دون الله من تتمة الجزاء وقال في الكشاف لو اوالى المحال من اولياء من انصار اى لا يقدر على منعكم من عذاب الله الا هو ثم لا تنصرون لا تنصرون كم هو ايضا وفيه اقناط كلي وفائدة ثم بعد النصرة من الظلم قال اهل التحقيق الركون الميل الى الشيء قوله الى الذين ظلموا اى الذين حدث منهم الظلم فلم يقل ولا تميلوا الى الظالمين ليدل على ان قليلا من الميل الى من حدث منه شيء من الظلم

يخفيفا وجا حذف الاول

بوجب هذا العقاب اذا كان هذا حال من ركن الى من ظلم فكيف يكون حال الظالم في نفسه عن رسول الله من دعا الظالم بالبقاء فقد احب ان يعصى الله وروى وقال سفيان في جهنم طرا لا يسكنها الا القراء الزائرون للملوك وعن محمد بن مسلمة الدباب على العذرة احسن قاري على باب هؤلاء والله يسئل سفيان عن الحرف الشريف على الهلال في بريه هل يسعى شهر ماه فقال لا فقيل له يهوت فقال دعه يموت ثم من انواع الاستقامة اقامة الصلوة تنبيها على شرفها فقال وأقم الصلوة وقيل تمسك بعض الخوارج بهذه الآية على ان الواجب الصلوة قبل الفجر والعشا لانهما طرفا النهار وهما الموصوفون بكونهما زلفا من الليل فان ما لا يكون نهارا يكون ليلا غايته ما في الباب ان هذا يقتضي عطف الصفة على الموصوف وهو كثير في كلامهم ولئن سلم وجوب صلوة اخرى الا ان قوله ان الحسنات يذهبن السيئات اشعر بان اقامة الصلوة طرفي النهار كفارة لتلك سائر الصلوات وجمهور الامة على بطلان هذا القول واستدلوا بالآية على وجوب الصلوات الخمس لان طرفي النهار منصوب على الظرف لاضافتها الى الوقت فيكتسب المضاف حكم المضاف اليه كقولك اتيته نصف النهار والطرفان هما الغدوة وهي الفجر والعشية وهما الظهر والعصر لا ما بعد الزوال عشي وزلفا جمع لفظ كظلم وظلما اي ساعات من الليل قريبة من اخر النهار من ازلفه اذا قربه وارد لف له وقرئ زلفا بسكون اللام تخفيفا وزبر الزلف فيهما وقرئ بضمتين تخفيفا وقيل لفا اي قربا فيكون معطوفا على الصلوة اي اقم الصلوة واقم زلفا اي صلوات يتقرب بها الى الله عز وجل في بعض الليل وبالجملة فصلوة الزلف المغرب والعشا وقيل ان طرفي النهار لا يشمل الا الفجر والعصر وبه استدل على مذهبه الحنيفة ان الوتر بالفجر افضل وتاخير العصر افضل لان الامة اجمعت على ان نفس الطرفين وهما وقت الطلوع والغروب لا يصلح لاقامة الصلوة فكل وقت كان اقرب الى الطرفين كان اولى باقامة الصلوة فيه حملا للمجاز على ما هو اقرب الى الحقيقة ما امكن هذا ما ذكره فخر الدين الرازي في تفسيره ولقائل ان يقول هذا لا يتمشى في صلوة الفجر لان الطرف الاول للنهار في الشرع هو طلوع الصبح الصادق والتنوير بعد الصلوة منه لا مقرب ولا ادري كيف ذهب عليه هذا المعنى مع افراط عصبته للشافعي واستدل ايضا لابي حنيفة على مذهبه في وجوب الوتر ان اقل الجمع ثلثة فيجب اقامة الصلوة على النبي ﷺ في ثلث لف من الليل اي ثلث ساعات ذهب منها ساعتان للمغرب والعشا فتعين ان يكون الساعة الثالثة للوتر واذا وجب عليه وجب علينا لقوله فاتبعوه ولمانع ان يمنع ان اقل الجمع ثلثة اشياء ثم ان كل ساعة لاجل صلوة ثم ان كل ما يجب على النبي ﷺ يجب علينا لان الاتباع هو الاتيان بمثل فعله اعم من ان يكون على تلك الجهة او لا ان الحسنات يذهبن السيئات قال المفسرون نزلت في ابن اليسر عمرو بن غزية الانصاري كان يبيع التمر فاتته امراة فاعجبته فقال لها ان في البيت اجود من هذا فذهبت معه الى بيته فضمها الى نفسه وقبلها واصاب منها كل ما يصيب الرجل من زوجته سوى الجماع ثم ندم فاتى رسول الله فاخبره بما فعل فقال انظروا امر بي فلما صلى صلوة العصر نزلت فقال نعم اذهب فانها كفارة لما عملت فقيل له هذا له خاصة ام للناس عامة فقال بل للناس عامة وروى انه قال له توضا وضوءا حسنا وصل ركعتين ان الحسنات يذهبن السيئات قال ابن عباس الصلوة الخمس كفارات لما بينهن من الذنوب ما لم تكن كبيرة وقيل المراد ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وعن مجاهد الحسنات قول العبد سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وقد يحتج بالآية على ان المعصية لا يضر مع الايمان الذي هو راس الاعمال الحسنة وذلك المذكور من قوله فاستقم الى ههنا ذكرى للذاكرين عظة للمتعظين ارشاد للمسترشدين ثم امر بالصبر على التكاليف المذكورة امرا ونهيا ونص على ان الاتيان بها احسانا وان جزاءه سيحصل لا محالة فقال واصبر الآية ثم عاد الى احوال الامم الخالية وبين ان السبب في حلول عذاب الاستيصال بهم امران الاول انه ما كان فيهم قوم ينهون عن الفساد وذلك قوله فلولا اي فهلا كان من القرون من قبلكم اولوا بقية ذوو اخير ورشد وفضل وذلك ان الرجل يستبقي بما يخبا جوده وافضله فضائل المفهمة مثلا في الجودة يقولون فلان من بقية القوم اي من خيارهم ومن امثالهم في الزوايا خبايا ويجوز في الكشاف ان يكون من البقوى كالتقية في التقوى اي فهلا كان منهم ذوو ابقاء على انفسهم وصيانة لها من سخط الله وعقابه الا قليلا استثناء متصل لان في تخصيصهم على الناهي عن الفساد المعنى نفيه عنهم فكانه قيل ما كان من القرون ناس ناهون الا قليلا ومن في ممن انجينا للتبيين اي هم الذين انجيناهم قال في الكشاف لان النجاة انما هي للناهين وحدهم ولقائل ان يقول اذا كان النهي عن المنكر فرض كفاية لم يلزم ان ينحصر النجاة في الناهين فيحتمل ان يكون من للتبعيض ويجوز على ما في الكشاف ان يكون الاستثناء منقطعا بمعنى ولكن قليلا ممن انجيناه من القرون نهوا عن الفساد قال ولو جعلته متصلا على ما عليه ظاهر الكلام كان المعنى فاسدا لانه يكون تخصيصا للاولى البقية على النهي عن الفساد الا للقليل من الناجين منهم كما يقول هلا قرا قومك القرآن الا الصلحاء منهم ويجعل زيد استثنا الصلحاء من المخصص على قراءة القرآن اقول لم لا يجوز ان يكون المراد من استثناء الصلحاء منهم انه لا حاجة لهم الى التخصيص كما انك تقول خصص قومك على القراءة الا الصلحاء فانهم لا يحتاجون الى ذلك لانهم موالطون عليها على ان في جعل الاستثناء منقطعا شبه تناقض لان اول الكلام يدل على انه لم يكن فيهم ناه واخره يدل على ان القليل منهم قد نهوا فتامل في هذا المقام فانه من مزلة الاقدام السبب الثاني في نزول العذاب قوله واتبع الذين ظلموا ما ترفوا اي عرفوا فيه من النعم والترفه من حيث الرياسة والثروة واسباب العيش والتنعم ورفضوا ما وراء ذلك مما يتعلق بامر الدين فهذه الجملة معطوفة على مدلول الجملة المخصصة اي ما كان من القرون ناس كذا واتبع الظالمون كذا ويجوز ان يكون في الكلام اضمار واو الحال كانه قيل انجينا القليل وقد اتبع الذين ظلموا جزاء اثر افهم والمفعول الذي اطوته النعمة وصبي مترف منعم لبدن وقوله وكانوا مجرمين واقعا معطوف على اتبع اي كانوا مجرمين بذلك او على اترفوا اي اتبعوا الاثر افه وكونهم مجرمين لان تابع الشهوات مغمور بالاثام او ابدا بالاجرام اعقبهم للمشركين بان انتهاء ما ينبغي له سبحانه ان يهلك القرى بظلم قال اهل السنة اي بظلم كامل اي بسبب مجرد الشرك والحال انهم مصلحون في المعاملة والعشرة فيما بينهم وذلك ان حقوق الله تعالى مبنية على المسامحة بخلاف حقوق العباد وهذا كما قيل الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم ويؤكد هذا التفسير قوله الا

هود

الاستيصال امثال قول نوح لقومه وشعيب كما حكى الله عنهم من ايذاء الناس والافساد في الارض وقالت المعتزلة قوله بظلم حال من الفاعل والمعنى استحال في الحكمة ان يهلك الله القرى ظالما لها واهلها قوم مصلحون في العمل تنزيها لذاته عن الظلم وايذانا بان اهلاك المصلحين ظلم ثم ذكر ان الكل بمشيته واراته فقال ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة مهديين والمعتزلة يحملون هذه المشيئة على مشيئة الالجاء والقسر وقد مر ما فيه والالوان مختلفة في الاجناس والاخلاق والافعال فمنهم من انكر العلوم كلها حتى الحسيات والضروريات وهم السوفسطائية ومنهم من سلم استفتاح العلوم كلها والمعارف كلها بالحواس الخمس ثم منهم من انكر الصانع تعالى وهم الدهرية ومنهم من اثبت له مبدأ موجبا بالذات وهم الفلاسفة على ما اشتهر منهم وهذا المقام تحقيق ليس هيهنا موضع بيانه ومنهم من انكر النبوات وهم البراهمة ومنهم من اثبتها وهم المتكلمون والمجوس واليهود والنصارى وفي كل واحد من هذه الطوائف اختلافات لا يكاد يدخل تحت الحصر وانما اوردنا مجمل الاختلاف في الالوان والالسنة والارزاق والاعمار بل حملناه على الاختلاف في الاديان وما يتفرع عليها لانه يتبين عن ذلك ما قبل الكلام وهو قوله ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة وما بعده وهو قوله الا من رحم ربك قالت المعتزلة الا ناس اهل الله ولطفه بهم فاتفقوا على الدين الحق وقال اهل السنة جميع الالطاف التي فعلها في حق المؤمن فهي مفعولة ايضا في حق الكافر وهذه الترجمة مختص بالمؤمن مرجح لجانب الايمان وصدوره منه فاذن الايمان بخلق الله وتكوينه وكذا ضده ثم قال ولذلك خلقهم فاختلف العلماء في الاشارة اليه بذلك فالمعتزلة قالوا ولذلك من التمكين والاختيار الذي كان منه الاختلاف خلقهم بتيسير مختار الحق لحسن اختياره وبعاقب مختار الباطل بسوء اختياره او ولما ذكر من ارجاع خلقهم الاشاعرة قالوا ولاجل ما ذكر من الاختلاف خلقهم لما صح في الحديث ثم خلق الجنة وخلق لها اهلها وخلق النار وخلق لها اهلها والدليل على ان اللام للدلالة على ان الكل بايجاده وتخليقه وان خلاف معلومه محال والى هذا اشار بقوله وتمت كلمة ربك اي علمه وارادته او قوله للملئكة لاملأن جهنم لانه وقع في المعتزلة بين معلوم ومراد ثم ذكر طرفا من فوائد القصص المذكورة في السورة فقال وكلا اي كل نبأ نقص عليك وقوله من انباء الرسل بيان لكل وما نثبت بدل من كلا او المراد وكل نوع من الانتصاص على انه مصدر دال على الاسالة المختلفة نقص وما نثبت مفعول ومعنى تثبيت فؤاده زيادة اليقين والطمانينة لان تكاثر الادلة اثبت للقلب اورسخ للعلم او المعنى تثبيت قلبه على اداء الرسالة وتحمل الاذى من قومه اسوة بسائر الانبياء وجاءك في هذه السورة او في هذه الانباء الحق وهو البراهين القاطعة الدالة على صحة المبدأ والوسط والمعاد وموعظة وهي الدلائل المقنعة الموقعة للتصديق بقدر الامكان والاول للخواص النفع والثاني للعوام النفع وذكرى للمؤمنين وهي الارشاد الى الاعمال الصالحة النافعة في الاخرة المحصلة لما هنالك من السعادة فان حسن هذا الدين معلوم لمن رجع الى نفسه وعمل بمقتضى تذكره وفكره واعلم ان المعارف الالهية لابد لها من قابل وفاعل موقابلها القلب انه ما لم يكن مستعدا لم يحصل له الانتفاع بسماع الدلائل ووردها عليه فلهذا السبب قدم ذكر اصلاح القلب علاجه وهو تثبيت الفؤاد ثم عقبه بذكر المؤثر الفاعل وهو محيي هذه السورة بل به منها وهي قوله فاستقم كما امرت مشتملة على الحق والموعظة والتذكير وهذا ترتيب في غاية الحسن ثم امر بالتهديد لمن لم يؤثر فيهم هذه البيانات من اهل مكة وغيرهم فقال وقل للذين لا يؤمنون اعملوا وقد مر تفسير مثله في هذه السورة وفي الانعام وانتظروا ما يعدكم الشيطان انا منتظرون ما وعدنا الرحمن من الغفران والاحسان وعن ابن عباس انتظروا بنا الدوائر وانا منتظر العذاب كما حل بنظرائكم ثم ختم السورة بما يشتمل على جميع المطالب من امر المبدأ والوسط والمعاد وقد سبق تقريره في اخر البقرة في تفسير ايذان الرسول فلا حاجة الى الاعادة التاويل يا من للسموات والارض اي يا من سموات الارواح والقلوب وارض النفوس البشرية الا ما شاء ربك من الاشقياء وذلك ان اهل الشقاوة ضربان اشقى واشقى فالاشقى بالمعاصي سعيد بالتوحيد فيخلص من النار اخرا والاشقى وهو الكافر يبقى فيها خالدا ومن اهل الجنة سعيد يبقى خالدا ابدا وسعداؤهم الذين يترقون الى مقعد صدق عند مليك مقتدر وهناك مقام الوحدة التي لا انقطاع له كما قال عطاء غير مجذوذ اي موهوم نصيبهم الذي قدر لهم في الازل من الشقاء ولولا كلمة سبقت من ربك باستكمال الشقاء لقضي بينهم بالطلاق عاجلا لقبح شأنه اشارة الى الضلال وقوله مريب اشارة الى الاضلال وان كلا اي كل واحد من الفريقين من المضلين فاستقم امر التكوين لذلك قال كما امرت اي في الازل وفي قوله ومن تاب معك اشارة الى ان النفوس جبلت على الاعوجاج فتحتاج الى الرجوع من الطريق المخوف الى الصراط المستقيم الى من اختص بالاستقامة بسبب امر التكوين كالنبي ﷺ ان الحسنات يذهبن السيئات يعني ان الاعمال الصالحة في الاوقات المعدودة تزيل ظلمات الاوقات المصروفة في قضاء الحوائج النفسانية الضرورية وذلك ان تعلق الروح النوراني العلوي بالجسد الظلماني السفلي موجب لخسران الروح كقوله والعصر ان الانسان لفي خسر الا ان يتداركه انوار العمل الصالح فهو قريب من حضيض البشرية الى ذروة الروحانية بل الى الوحدة الربانية فيندفع عنه ظلمة الجسد السفلي مثاله الفاء الحبة في الارض فانه من خسران الحبة الا ان يتداركه الماء وسائر الاسباب فيربيها الى ان يصير الواحدة الحبة الى سبعمائة وما زاد ذلك الذي كونا من التدارك عظة للذاكرين الذين يريدون ان يذكروا في الله في جميع الاحوال فانهم اذا حافظوا على هذه الاوقات فكانهم حافظوا على جميعها لان الانسان خلق ضعيفا ليس يقدر على عمر جميع الاوقات في محض العبودية والعبثا فلو لا كان من الفرض صوم التحضيض وحقيقة السؤال الجواب بانه لم يكن كذلك فاعل مختار فعال لما يريد خلق خلقا للاقرار وخلق خلقا للانكار ولا اعتراض لاحد عليك بوجه قوله ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة طائفة للحق متوجهة اليه لا يريدون مختلفين منهم من يطلب الدنيا ومنهم من يطلب العقبى ومنهم من يطلب المولى وهم المشار اليهم بقوله الا من رحم ربك ولذلك اي لطلب الله لهم بمجلس استعدادا وان كان سبقت غضبه لكن سبق رحمته في طريق الفهر وسبقت في الوجود وهو قوله وتمت كلمة ربك اي جرى به القلم الاعلى المقدور وما ثبت به

فوارك التنبيه نضه والتشكيك منه بيد مفاتيح ابواب اللطف والقهر قل للذين لا يؤمنون لطلب الحق وجدانا عاملون لطلب المقاصد من باب القهر انا عاملون لطلب الحق من باب لطفه وانتظروا نتائج اعمالكم انا منتظرون ثمرات اعمالنا ولله غيب السموات والارض الى ما غاب عنكم مما اودع من لطفه في سموات القلوب ومن قهره في ارض النفوس واليه يرجع امر اهل السعادة والشقاوة ومظاهر اللطف والقهر فاعبده ايها الطالب للحق فانك مظهر اللطف وتوكل عليه في الطلب لا على طلبك فانك ان طلبته بك لم تجده وما ربك بغافل عما تعملون الا زمن عما تعملون الى الابد والله حسبي سورة يوسف عليه السلام وهي بمكة وقيل فيما بين مكة والمدينة في الجحفة وهي اثنتان وسبعون آية والف وستمائة وستون كلما وثلثمائة واربعون آية وثمانمائة واحد عشر حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

الر تلك آيات الكتاب المبين انا انزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون نحن نقص عليك احسن القصص بما اوحينا اليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين اذ قال يوسف لابيه يا ابت اني رايت احد عشر كوكبا والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين قال يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا ان الشيطان للانسان عدو مبين وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تاويل الاحاديث ويتم نعمته عليك وعلى ال يعقوب كما اتمها على ابويك من قبل ابراهيم واسحق ان ربك عليم حكيم لقد كان في يوسف واخوته ايات للسائلين اذ قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا ونحن عصبة ان ابانا لفي ضلال مبين اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا يخل لكم وجه ابيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف والقوه في غيابت الجب يلتقطه بعض السيارة ان كنتم فاعلين قالوا يا ابانا مالك لا تامنا على يوسف وانا له لناصحون ارسله معنا غدا يرتع ويلعب وانا له لحافظون قال اني ليحزنني ان تذهبوا به واخاف ان ياكله الذئب وانتم عنه غافلون قالوا لئن اكله الذئب ونحن عصبة انا اذا لخاسرون فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه في غيابت الجب واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون وجاءوا اباهم عشاء يبكون قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذئب وما انت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين وجاءوا على قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون وجاءت سيارة فارسلوا واردهم فادلى دلوه قال يا بشرى هذا غلام واسروه بضاعة والله عليم بما يعملون وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين قال الفراء يا ابت بفتح التاء والوقف عليها يزيد وابن عامر وقرا ابن كثير ويعقوب بكسر التاء والوقف بالهاء الباقون بالكسر والياء احد عشر كوكبا العين بن عباس والحزاز الى ساجدين بفتح الياء الاعشى والمفضل يا بني بفتح الياء كان حفص المفضل الباقون بكسرها وزاك بالامالة على غير قتيبة وليث وقرا ابو عمرو بالامالة الا هبنة وقرا يزيد وابو عمرو وغير شجاع ودرش من طريق الاصبهاني والاعشى وحمزة في الوقف بغير همز ايذ للسائلين على التوحيد ابن كثير لا تقصص ايات على الجمع بخلهم بالادغام شجاع من طريق ابي غالب ابو شعيب غيابات وما بعده على الجمع ابو جعفر ونافع الباقون غيابة على التوحيد لا تامنا باخفام ضمة النون يزيد والحلواني عن هارون الاخوين بالاشمام الدئب ما بعده بغير همز ابو عمرو وغير شجاع وقتيبة ويزيد والاعشى ودرش وخلف وعلي حمزة في الوقف يرتع ويلعب بالياء فيهما والجزم عاصم حمزة وعلي وخلف بكسر العين في الاول ابو جعفر ونافع بالنون فيهما والجزم ابن عامر وابو عمرو وبكسر العين ابن كثير سوى الهاشمي والمفضل بعده عن قنبل فانهما يرتع بالكسر مع الياء بعده يرتع ويلعب بالجزم فيهما مع النون في الاول والياء في الثاني يعقوب عن رويس ليحزنني ان يفتح الياء ابو جعفر ونافع وابن كثير وقرا نافع ليحزنني ان بفتح الياء ايضا ولكن من باب الافتعال بل سولت وبابه مدغما حمزة وعلي وهشام يا بشرى بالامالة غير مضاف حمزة وعلي وخلف وحماد والخزاز عن هبيرة يا بشرى بغير الف اضافة عاصم غير حماد والخزاز الباقون يا بشراي بالاضافة الى ياء المتكلم الوقف الوقف المبين كوفي ايضا وغيرهم لا يقفون عليها لانهم يجعلون انا جواب معنى القسم في اول القرآن ق والوصل اصح لان الواو للحال العاقلين ساجدين كيد مبين واجتبيك حكيم للسائلين عصبة مبين ج والعربية يوجب الوقف ان قيل ان الابتداء بما يتصفون دلوه غلام بضاعة يعلمون معدودة ج لاحتمال الواو والحال الزاهدين ثقيل في الكشاف تلك شارة الى ايات السورة والكتاب المبين السورة اي تلك الايات التي انزلت اليك في هذه السورة ايات السورة اظهار امرها في اعجاز العرب وتبكيتهم او التي بين لمن تدبرها انها من عند الله لامن عند البشر او الواضحة التي لا يشتبه على العرب معانيها لنزولها بلسانهم او قد بين فيها ما سالت اليهود عنه من قصة يوسف فقد روي ان علماء اليهود قالوا لكبراء المشركين سلوا محمدا لم انتقل يعقوب من الشام الى مصر وعن قصة يوسف قول مدار هذه التفاسير على ان ابان الشيء وابانه هو بنفسه انا انزلناه اي هذا الكتاب الذي فيه قصة يوسف يعني هذه السورة في حال كونه قرآنا عربيا والقرآن اسم جنس يقع على كله وعلى بعضه وقوله قرآنا عربيا بتمحل لا موطئة لان المراد وصفه بالعربية احتج المجبرة بانا نزال القرآن وبكونه عربيا وايات على انه محدث لان هذه من اوصاف المحدثات واجيب بانه لا نزاع في حدوث الالفاظ وانما النزاع في الكلام النفسي ومعنى لعلكم تعقلون ارادة ان تفهموا وتحيطوا بما لا يلتبس عليكم لانه بلغتكم قال الجبائي انه دليل على ان المراد من المكلفين كلهم ان يعقلوا توحيده ويرد به واجيب بان الاية لا تدل الا على ان نزول هذه السورة واراد منهم معرفته كيفية هذه القصة ولا يدل على ان المراد من الكل الايمان والعمل الصالح قال اهل اللغة القصص اشتقاقه من قص

اثره اذا اتبعه لان الذي يقص الحديث يتبع ما حفظ منه شيئا فشيئا ومثله التلاوة لانه يتلوا اي يتبع ما حفظ منه اية بعد اية ثم ان كان القصص مصدرا بمعنى الاقتصاص فيكون احسن مثله لاضافة الى المصدر ويكون المفعول اي المقصوص محذوفا وهو الوحي لدلالة اوحينا اليه عليه ويكون هذا القرآن باجتنا اياه اليك على هذا فالحسن يرجع الى المنطوق لا الى القصة وحسن المنطوق كونه على ابدع طريقة واعجب اسلوب لان هذه الحكاية مقتضية في كتب الاولين وفي كتب التواريخ ولم يبلغ شئ منها الى حد الاعجاز وان اريد بالقصص المقصوص كما اراد بالنبأ والخبر المنبأ والمخبر فالحسن يرجع الى المنطوق لا الى القصة وحسن المنطوق كونه على ابدع طريقة واعجب اسلوب لان هذه الحكاية القصة ولاستيفائها ما يرجع الى اصلاح حال المكلف في الدارين وجمع حسنها اشتمالها على الغرائب العجائب النكت والعبر ان الصبر مفتاح الفرج وان مقتضى التمكين لا محالة لا يرده كيد كائد ولا حسد حاسد هو ان اصحاب رسول الله صلعم ملوا يوما فقالوا يا رسول الله لو حدثتنا فانزل الله عز وجل نحن نقص عليك احسن القصص الحديث كتابا متشابها ثم انهم ملوا فقالوا يا رسول الله لو قصصت فانزل الله نحن نقص عليك احسن القصص كل ذلك بموجب بالقرآن وان كنت هي المخففة من الثقيلة بدليل اللام الفارقة والمعنى وان الشان كنت من قبل ايحائنا اليك لمن الغافلين عن هذه القصة وعن الدين والشريعة اذ قال بدل الاشتمال من احسن القصص لان الوحي يشتمل على القصص فاذا قص فقد قص المقصوص ومنصوبا باضمار اذكر ويوسف لبيان من عبر بها على الاصح اذ لا سبب فيه بعد التعريف الا العجمة وهو اسم عبراني ومن ظن انه من اسف يوسف بناء على انه قرئ بكسر السين وبفتحها فيوجد فيه وزن الفعل ايضا فقد اخطأ لان القراءة المشهورة بإباه ولن يكون الاسم عربيا نادرة واعجبا اخرى هذا الخلاف روي عن يوسف بن يعقوب عن النبي صلعم الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف يعقوب اسحق بن ابرهيم قال النحويون الناء في يا ابت عوض من ياء الاضافة وهي للتانيث لانها قد تقلب هاء في الوقف وبجواز الحاق التاء بالمذكر نحو حمامة ذكر الكسائي فهي لمناسبة الياء التي هي بدل منها والفتحة اما فتحة الياء فمن يفتحها او الفتحة الباقية بعد حذف الالف من يا ابتا اني رايت هو من الرؤيا التي تختص بالمنام لا من الرؤية التي تشمل اليقظة بدليل قول يعقوب له لا تقصص رؤياك ولان ذلك لو كان في اليقظة لكانت اية عظيمة ولم تخف على احد من قرأ احد عشر لم يكونوا العين فلكواهة توالي المتحركات فيما هو في حكم كلمة وكذا الى تسعة عشر لانه لا يلتقي ساكنان قال في الكشاف روي جابر ان يهوديا جاء الى النبي صلعم فقال يا محمد اخبرني عن النجوم التي رآها يوسف فسكت رسول الله صلعم فنزل جبريل فاخبره بذلك فقال النبي صلعم لليهودي ان اخبرتك هل تسلم قال اجربان والطارق والذيال وذا الكتفين والفليق والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين رآها يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن له فقال اليهودي اي والله انها لاسماؤها واتول ان اكثر هذه الاسماء ليست مما اشتهر عند اهل الهيئة فان صح الخبر فهي من العلوم التي تفرد بها الانبياء وافراد الشمس والقمر من الكواكب بعد ذكرها دليل على شرفهما كقوله وملائكته وجبريل وميكائيل وانما كرر الفعل لطول الكلام او على تقدير سؤال كانه قيل له كيف رآيتهم فقال رآيتهم لي ساجدين والظاهر ان هذه السجدة كانت بمعنى وضع الجبهة اذ لا مانع من حملها على الحقيقة لكنها كانت على وجه التواضع وانما اجريت الكواكب مجرى العقلاء في عود الضمير اليها لان التجوز من شان العقلاء كقوله للاصنام وتريهم ينظرون اليك وعند الفلاسفة هم احياء ناطقة فلا حاجة الى ان يعد عبر ابوه وزوجه بان اخوته سبحدون لهم عشر وكذا ابواه وهما الشمس والقمر قبل هما ابوه وخالته لان امه لم تدخل مصر وتوفيت قبل ذلك وعن وهب ان يوسف رأى وهو ابن سبع سنين ان احد عشر عصا طوالا كانت مركوزة في الارض كهيئة الدارة الحول القمر وهي الهالة واذا عصا صغيرة ثبت عليها حتى اقتلعها وغلبها فوصف ذلك لابيه فقال اياك ان تذكر هذا لاخوتك ثم رأى وهو ابن اثنتي عشرة سنة الشمس القمر والكواكب تسجد له فقصها على ابيه فقال له لا تقصها عليهم فيبغوا لك الغوائل وقيل كان بين رؤيا يوسف ومسير اخوته اليه اربعون سنة وقيل ثمانون قال علماء التعبير ان الرؤيا الرؤية تظهر اثرها لمن غير كما لا يبقى المؤمن في الغم والحزن والرؤيا الجيدة يبطئ اثرها ليكون بهجة المؤمن اذا رآها وقوله لكم وامنصوب باضمار ان جوابا للنهي واللام في لك لتاكيد الصلة مثل سقيا لك وفي الكشاف ضمن الكيد معنى الاحتيال ليفيد معنى الفعلين فيكون ابلغ في التخويف وقيل متعلق بالمعدد الذي بعده ثم انه وصل بهذه النصيحة شيئا من تعبير رؤياه فقال وكذلك اي ومثل اجتبائك طهذه الرؤيا الشريفة يجتبيك ربك لامور عظام والاجتباء افتعال من جبيت الشيء اذا حصلته لنفسك وجبيت الماء في الحوض جمعته وخصص المحسن الاجتباء بالنبوة قال في الكشاف ويعلمك كلام مبتدا غير داخل في حكم التشبيه كانه قيل وهو يعلمك ويتم نعمته عليك اقول لعل ادخاله في حكم التشبيه ليس بضائر وفي تاويل الاحاديث التاس فيما يرونه في منامهم سمي التعبير تاويلا لانه يؤول امر الى ما راه في المنام او يؤول امر راه في المنام الى ذلك الاحاديث اسم جمع للحديث وليس بجمع احدوثة لانها التي يتحدث بها الناس ومنها انه تبين مما كتب الله وسنن الانبياء الا المفسر والمحدث بحدثان عن الله ورسوله فيقولان قال الله كذا وقال الرسول كذا ومنها ان الحديث بمعنى الحادث والمراد كيفية الاستدلال بالحادث على القديم سبحانه واما اتمام النعمة فمن فسر الاجتباء بالنبوة فسر الاتمام بالسعادات الدينوية والاخروية من المال والجاه والعلوم والاخلاق الفاضلة ومن فسر ذلك بالدرجات العالية فسر هذا بالنبوة ولان اتمام النعمة عليه شبه اتمامها على ابرهيم واسحق ومن المعلوم ان الامتياز بينهما وبين اقرانهما لم يكن الا بالنبوة وقد يفسر اتمام النعمة على ابرهيم بالخلة والانجاء من النار ومن ذبح الولد وعلى اسحق بانجائه من الذبح وقد تم بذبح عظيم وباخراج يعقوب الاسباط من صلبه ويكون وجه التشبيه انجاؤه من السجن والجب كانجائهما من النار والذبح والمراد بآل يعقوب نسله قيل يعقوب علم ان يوسف واخوته انما استكملوا بعض الكواكب واعترض بما فرط منهم في حق يوسف واجيب بان ذلك قبل النبوة وقبل اتمام النعمة وصل نعمة الدنيا بنعم الاخرة وذلك

يوسف

الله جعلهم ملوكا وانبيا، وابراهيم واسحق عطف بيان لابويك كان ابا الجد في حكم الاب ان ربك عليم بمن يستحق الاجتباء بحكمته لا يضع الشيء الا في موضعه فلا يجعل الرسالة الا في نفس قدسية وجوهر شريف قيل حكم يعقوب بوقوع هذه الامور دليل على خبرها فكيف خاف بها على يوسف حتى قال واخاف ان يأكله الذئب والجواب لعل خوفه لذلك كان مشروطا بعدم كيد اخوته ولعل قوله اخاف ان ياكله الذئب كيلا يبتهاونوا في حفظه فان الوسايط والاسباب مدخلا عظيما في وجود الامتثال وحصولها لقد كان في يوسف اي في قصته وحديثهم آيات للسائلين لمن سئل عن تلك القصة وعرفها او آيات على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم للذين سئلوه من اليهود عنها فاخبرهم بها من غير سماع العلم وفيه انكم يجب ان يصبر على بغي قومه الى ان يظهر امره كما فعل يوسف يروى ان اسامي اخوته يهودا وروبيل وشمعون ولاوي ودربالون ويشجر ودينة وهؤلاء من ليا بنت خاله يعقوب ودان ونفتالي وجاد واشر وهم من بريتين زلفة وبلهة فلما توفيت ليا تزوج اختها راحيل فولدت له بنيامين ويوسف اذ قالوا ظرف لكان او منصوب باضمار اذكر ليوسف لام الابتداء تحقيق لمضمون الجملة لاداخوه اي لابيه واتما عنوا بنيامين احب اذ اكان افعل التفضيل مستعملا ممن لم تتصور فيه ونحن عصبة الواو للحال والعصبة العشرة فصاعدا لان الامور تعصب بكفايتهم اي تقبضها في المحنة علينا وهما ابتا صغيران لا كفاية فيهما ولا منفعة ونحن جماعة تكفي مهمات ونقوم بمصالح ان ابانا لفي ضلال مبين اراد واضلا لا اخاصا وهو البعد عن طريق الصالح المعاش وحسن المعاشرة مع الاولاد ولم يعلموا ان المحبة امر يتعلق بالقلب ليس لاحد فيه تكليف لعل يعقوب قصر بين في يوسف ما اوجب اختصاصه بمزيد البر من غير اذ قالوا لهم انهم قالوا لما تشاوروا في امره اقتلوا يوسف قيل الامر بالقتل مسموعون او دان ورضي به الباقون فجاوا جميعا امرين والظاهر انه قال ذلك بعضهم بذلك اقتراح ليقل القتل ولقولهم او اطرحوه فكان بعضهم اشار الى القتل وبعضهم الى الطرح ومهما صدر امر من بعض القوم تحاسبوا الهم كقوله واذ قتلتم نفسا واتصب ايضا على الظرف كالظرف المبهم اي ارضا مجهولة بعيدة عن العمارة يخل لكم وجه ابيكم يخلص محبته لكم سليمة عن التنازع فيها وكان ذكر الوجه تصوير الاقباله عليهم بالكلية ويجوز ان يراد بالوجه ذاته او المراد يفرغ لكم من الشغل بيوسف وتكونوا مجزومة لانه معطوف على جواب الامر من بعده من بعد قتله او اطراحه او من بعد يوسف اذ قتل او غرب قوما صالحين تائبين الى الله او الى ابيه بعد ريمة تدينه بما جنيتم عليه او الى اصلاح دنياهم وانتظام امورهم وتفرغهم لمهماتهم بعد يوسف بفراغ البال قال قائل منهم هو يهودا وكان احسنهم فيه رايا وهو الذي قال فلن ابرح الارض لا تقتلوا يوسف لان القتل عظيم ولا سيما قتل الاخ وخاصة اذا كان القاتل والمقتول من اولاد الانبياء والقوة في غيابت الجب سمي البئر جبا لانها قطعت قطعا ولم يحصل فيها شيء سوى القطع للارض والغيابة غور البئر وما غاب منها عن عين الناظر واظلم من اسفلها ومن قرأ على الجمع فلان للجب اقطارا ونواحي يلتقطه بعض السيارة اي لرفقة السابرة قال ابن عباس اي المارة والالتقاط تناول الشيء من الطريق ونحوه يستعمل في الانسان وغيره ومنه اللقيط للمنبوذ ان كنتم فاعلين ان لم يكن بد من فعل الامر هذا الامر بد فهذا هو الرأي ثم ان يعقوب كان خائفا على يوسف من كيدهم وكان يظهر امارات ذلك على صحايف اعماله واقواله فلذلك قالوا مالك لا تأمنا على يوسف وانا له لناصحون ما وجدنا فيك بابه سوى النصح والاشفاق على الاطلاق ارسله معنا غدا نرتع ويلعب من قرأ بالجزم فمن الرتعة كالاكلة وهي الخصب والسعة ومن قرأ بالكسر فعلى حذف الياء من يرتع مستعارا من ارتعاء الابل ما شيئة واللعب ترك ما ينفع او ما لا ينفع فمن قرأ بالياء فلا اشكال لان الصبي لا تكليف عليه ومن قرأ بالنون قال كان لعبهم الاستباق والانتضال بدليل قوله انا ذهبنا نستبق سمي لعبا لانه في صورته او اللعب قد يطلق على استعمال المباحات كاجل انشراح الصدر قال صلى الله عليه وسلم جابر فهلا بكرا تلاعبها وتلاعبك قال اني تزوجت ثيبا لام الابتداء للتاكيد او لتخصيص المضاف بالحال واخاف ان ياكله الذئب اصله الظرف وهذا قال بعضهم انه مشتق من تذاءبت الريح اذا اتت من كل جهة قيل كان ارضهم مذاءبة فلذلك قال اخاف قيل راى في النوم ان الذئب قد شد على يوسف وكان يحذره فلفهم العدو كما جاء في امثالهم البلاء موكل بالمنطق قوله انا اذا جواب للقسم سادا مسد جواب الشرط حلفوا له لان كان ما خافه وحالهم انهم رجال كفاة وحماة فهم اذن اناس خاسرون عاجزون او مستحقون للدعاء عليهم بالخسار او المراد ان لم نقدر على حفظ بعضنا فقد هلكت مواشينا وخسرنا ها كان يعقوب قد اعتذر اليهم بامرين احدهما ان ذهابهم به مما يحزنه لانه كان لا يصبر عنه ساعة والثاني خوفه عليه من حفظة الذئب فلم يجيبوا عن الاول لانه هو الذي كانوا يحفظهم فلم يعبوا بذلك الكلام فخصوا الجواب بالثاني وههنا اضمار والتقدير فاذن لهم وارسله معهم فلما ذهبوا به واجمعوا عزموا على ان يجعلوه في غيابت الجب قيل هو بئر بيت المقدس وقيل الاردن وقيل بين مصر ومدين وقيل على ثلثة فراسخ من منزل يعقوب ثم ان كان جواب لما محذوفا ففي الاية اضمار اخر كما تقدم في الوقوف قال السدي ان يوسف لما برز مع اخوته اظهروا له العداوة واخذوا يهينونه ويضربونه وكلما استغاث باحد منهم لم يغثه الا بالاهانة حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح يا ابتاه لو علم ما يصنع بابنك اولاد الاماء فقال يهودا اما اعطيتموني موثقا ان لا تقتلوه فلما اراد والقاءه في الجب تعلق بثيابهم فزعوها من يده فتعلق بحائط البئر فربطوا يديه ونزعوا قميصه ليلطخوه بالدم ويحتالوا به على ابيهم فقال يا اخوته ردوا علي قميصي اتوارى به فقالوا له ادع الشمس والقمر والاحد عشر كوكبا حتى ينقدوك ودلوه في البئر فلما بلغ نصفها القوه ليموت وكان في البئر ماء فسقط فيه ثم اوى الى صخرة فقام عليها وهو يبكي فنادوه فظن انها رحمة ادركتهم فاجابهم فارادوا ان يرضخوه ليقتلوه فمنعهم يهودا بالطعام وروي ان عمه لما القي في الجب قال يا شاهدا غير غائب وقريبا غير بعيد وباغالبا غير مغلوب اجعل لي من امرك فرجا ومخرجا وحكي ان ابرهيم عليه السلام حين القي في النار جرد عن ثيابه فاتاه جبريل بقميص من حرير الجنة فالبسه

اياه فذعره ابوهم الى اسحق واسحق الى يعقوب فحمله يعقوب ثم همّ علفها في عنق يوسف فجاء جبريل فاخرجه والبسه اياه واوحينا اليه في صغر السن
كما اوحى الى يحيى وعيسى وقيل كان ذلك بالغا وعن الحسن كان له سبع عشرة سنة لتحدثن اخوتك بما فعلوا بك وهم لا يشعرون انك يوسف
لعلو شانك وبعد حالك عن اوهامهم ولطول العهد المنسي المغير للصبيات والاشكال يروى انهم حين دخلوا عليه مختارين فعرفهم وهم له منكرون
دعا بالصواع فوضعه على يده ثم نقره فطن فقال انه ليخبرني هذا الجام ان كان لكم اخ من ابيكم ويقال له يوسف وكان يدنيه دونكم وانكم انطلقتم به
القيتموه في غيابت الجب وقلتم لابيه اكله الذئب فبعتموه ثمن بخس دراهم بخوان يراد وهم لا يشعرون انا انشاه بالوحي واذ لنا الوحشة عن قلبه فتعلق
الجملة بقوله واوحينا وروي ان امراة حاكمت الى شريح فبكت فقال له الشعبي ايا امية اما تراها تبكي قال قد جاءا اخوة يوسف يبكون وهم ظلمة وما
ينبغي لاحد ان يقضي الا بما امر ان يقضي به من السنة المرضية عن مقاتل انهما جاءا عشاء لئلا يظهر امارة الحيل والكذب على وجوههم ولما سمع صوتهم يعقوب
فزع وقال مالكم يا بني هل اصابكم في غنمكم شيء قالوا لا قال فما لكم وابن يوسف قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق اي نتسابق في العدو او في الرمي وقيل نتصارع
ومآ انت بمؤمن لنا اي بمصدق لشدة محبتك ليوسف فيه دليل لمن زعم ان الايمان هو التصديق ولو كنا صادقين ولو كنا عندك من اهل الصدق
والثقة فكيف وانت سيء الظن بنا غير واثق بقولنا وجاءوا على قميصه نصب على الظرف اي فوق قميصه لا على الحال المتقدمة لان حال المجرور لا يتقدم عليه
بدم كذب بتي كذب اي دم هو الكذب بعينه مبالغة وروي انهم ذبحوا سخلة ولطخوه بدمها وروي ان يعقوب لما سمع بخبر يوسف صاح باعلى صوته وقال ابن
القميص فاخذه والقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال تالله ما رات كالليلة ذئبا احلم من هذا اكل ابني ولم يمزق عليه قميصه وقيل كان في قميص
يوسف ثلاث ايات انه ليعقوب على كذبهم وايته حين القاه البشير على وجهه فارتد بصيرا وايته على براءة يوسف حين قد من دبر ولما تبين يعقوب بالايات
المذكورة او بالوحي انهم كاذبون قال على سبيل الاضراب بل سولت قال ابن عباس بل زينت لكم انفسكم امرا في شانه وهو تفعيل من السول الامنية قال
الازهري واصله مهموز غير ان العرب استثقلوا بعد الهمزة وقال في الكشاف سولت سهلت من السول بفتحتين وهو الاسترخاء والتنكير لاجل التعظيم
فصبر جميل لا بد من تقدير مبتدا او خبر اي فامري صبر جميل او فصبر جميل امثل وفي الحديث انه الذي لا شكوى فيه اي الى الخلق لقوله انما اشكو بثي
وحزني الى الله وقيل اي لا اعاتبكم على كذبكم لكم كما كنت بحكي انه سقط حاجبا يعقوب على عينيه فكان يرفعهما بعضا فقيل له ما هذا
فقال طول الزمان وكثرة الاحزان فاوحى الله تعالى اليه يا يعقوب اتشكوني قال يا رب خطيئة فاغفرها لي ثم ان بنيه ان الصبر على ما وصفوه من هلاك
يوسف لا يمكن الا بمعونة الله تعالى فقال والله المستعان على ما تصفون فالفريقان كقولك اياك نعبد واياك نستعين ويعلم من الاية ان الصبر كان
لاجل الرضا بقضاء الله تعالى والاستغراق في شهود نور الحق بحيث منعه من الاشتغال بالشكاية عن البلاء فذلك صبر جميل والا فلا اعتراض بان هذا
الصبر كان فيما عانى الظالمين واهمال التخليص المظلوم من المحن والشدايد والتوبيخ فكيف جاز صبر يعقوب حتى لم يبالغ في التفتيش والتنقير ولو
بالغ لظهر عليه الامر لشهرته وعظم قدره واجيب بان الله سبحانه لعله منعه عن الطلب لتشديد المحنة عليه ولعله ان بالغ في البحث لم يقدر واعلى قتله
او علم ان الله تعالى يصون يوسف وسيعظم امره بالاخرة فلم يرد هتك ستر اولاده والقائهم في السنة الناس كقول القائل فاذا رميت يصيبني سهمي فكان
الاصوب الصبر والسكوت وتفويض الامر بالكلية الى الله تعالى ثم شرع في حكاية خلاص يوسف فقال وجاءت سيارة عن ابن عباس قوم يسيرون من
مدين الى مصر وذلك بعد ثلثة ايام من القاء يوسف في الجب فاخطاوا الطريق فنزلوا قريبا منه وكان الجب في قفرة بعيدة عن العمران لم يكن الا للرعاة
وقيل كان ماؤه ملحا فعذب حين القي فيه يوسف فارسلوا واردهم رجلا يقال له مالك بن ذعر الخزاعي لطلب الماء ومعنى الوارد الذي يرد الماء ليستقي
لقومه فادلى دلوه ارسلها في البئر قال الواحدي فاذا ان محمدا واخوها قبل دلا يدلو قال يا بشرى التقدير فظهر يوسف فقال الوارد يا بشرى كانه نادى البشرى
ويقول تعالي فهذا اوانك وقتي قال الوارد بهذا الكلام قال جمع من المفسرين حين راى يوسف متعلقا بالحبل وقال اخرون لما ادناه من اصحابه صاح بذلك
يبشرهم به قال السدي كان للوارد صاحب يقال له بشرى فنادى يا بشرى كما بقي يا زيد والاكثرون على انها بمعنى البشارة فقال ابو علي يحتمل ان يكون منادى
مضموما مثل يا رجل ويحتمل ان يكون منصوبا مثل يا رجلا كانه جعل ذلك النداء شايعا في جنس البشرى ومن قرا بالاضافة فنصبه ظاهر والضمير في واسروه
اما عائد الى الوارد واصحابه اي اخفوه من الرفقة لئلا يدعوا المشاركة في الالتقاط او في البشرى ان قالوا اشتريناه وطريق الاخفاء انهم كتموا من الرفقة
او قالوا ان اهل الماء جعلوه بضاعة عندنا على ان نبيعه لهم بمصر واما عائد الى اخوة يوسف بناء على ما روي عن ابن عباس انهم قالوا للوارد هذا
غلام لنا قد ابق فاشتريه منا وسكت يوسف مخافة ان يقتلوه ولعل الوجه الاول ولي بدليل قوله بضاعة وهي نصب على الحال اي اخفوه متاعا للتجارة
واصل البضع القطع والبضاعة قطعة من المال للتجارة والله تعالى عليم بما يعملون فيه وعيد اما للوارد واصحابه حيث استبضعوا اما لبيع طعم
او لاخوة يوسف ذلك ظاهر فيه ان كيد الاعداء لا يدفع شيئا مما علم الله من حال المرء والضمير في قوله وشروه اما ان يعود الى الوارد واصحابه اي باعوه
بثمن قليل لان المنفوس للشيء مهتادون به وكانوا فيه من الزاهدين ممن يرغب عما في يده قال اهل اللغة زهد فيه معناه رغب عنه وزهد عنه معناه
رغب فيه واما ان يعود الى الاخوة والمعنى باعوه والى الرفقة والمعنى اشتروه وهكذا الضمير في وكانوا ان عاد الى الاخوة فقلة رغبتهم في يوسف ظاهرة
والا لما فعلوا به ما فعلوا وان عاد الى الرفقة فذلك انهم اعتقدوا انه ابق فخافوا اعطاء الثمن الكثير عن ابن عباس ان اخوته عادوا الى الجب بعد ثلثة ايام
يتعرفون خبره فلما لم يروه مشوا في الجب واذا القافلة طلبوهم فلما راوا يوسف قالوا هذا غلام ابق منا فقالوا لهم فبيعوه منا فباعوه منهم ولعلهم عرفوا

انه ولد ليعقوب فكرهوا استواءه خوفا من الله ومن ظهور تلك الواقعة الا انهم مع ذلك اشتروه بالاخوة بثمن بخس اى مبخوس ناقص عن القيمة او ناقص العيار وقال ابن عباس البخس ههنا الحرام لان ثمن الحر حرام ودراهم الاردنيين معدودة قليلة بعد عدا ولا توزن لانهم كانوا لا يزنون الا ما بلغ الاوقية وهى الاربعون عن ابن عباس كانت عشرين درهما وعن السدى اثنين وعشرين اخذ كل واحد من الاخوة درهمين الا يهوذا فانه لم يأخذ شيأ وروى ان اخوته اتبعوهم يقولون استوثقوا منه لا يأبق والظاهر ان الضمير فيه عائد الى يوسف ويحتمل ان يعود الى الثمن البخس اى اخذوا ثمنه مالين رغب فيه قال النحويون قوله فيه ليس من متعلقات الزاهدين لان الالف واللام فيه موصول وزاهدين صلة وكما لا يتقدم نفس الصلة فكذا ما هو متعلق به فلا يتقدم معمول الصلة على الموصول مثلا وكانوا زيدا من الضاربين فهو يقوم امامك كما لا تقول قبل اى شئ تشهد وانت تعلم ان الله يعلم انك تشهد على شئ قبل قوله تعالى وما يعلمون تأويل تلك آيات الكتاب دلالة الان كتاب المحبوب المحب للهداية الى طريق الوصال ولهذا كانت احسن القصص لانها اتم قصص القرآن مناسبة ومشابهة باحوال الانسان اذ قال يوسف لابيه يعقوب لروحى اذ رأيت احد عشر كوكبا هن الحواس الخمس الظاهرة والخمس الباطنة اى المذكورة والحافظة والمتخيلة والمتوهمة والحس المشترك مع المفكرة ولكل من هذه اضاءة اى ادراك للمعنى المناسب له وهم اخوة يوسف القلب لانهم تولدوا بازدواج يعقوب الروح وزوج النفس والشمس والقمر الروح والنفس رأيتهم لى ساجدين وهذا مقام كمالية الانسان ان يصير القلب سلطانا يجعل له الروح والنفس والحواس والقوى وكذلك يجتبيك ربك على سائر المخلوقات وهذا كمال حسن يوسف يعلمك من تأويل الاحاديث العلم اللدنى المختص بالقلب ويتم نعمته عليك بان يتجلى لك فيستوى لك انه القلب عرش حقيقى للرب وعلى آل يعقوب اى متوالدات الروح من القوى والحواس كما اتمها على ابويك من قبل ابرهيم السر واسحق الخفى وبهما يستحق القلب القبول فيض التجلى وهناك لله الطاف خفية لا يسع الانسان فيه ملك مقرب ولا نبى مرسل ابانا للسائلين عن طريق الوصول الى الله ليوسف واخوته بنا امهن الحس المشترك فان له اختصاصا بالقلب لحبك الى ابينا منا لان القلب محل عرش الروح ومحل استوائه عليه والحس المشترك بمثابة الكرسى للعرش فتأملوا يوسف القلب لكن الهوى يسلم الميل الى الدنيا واطرحوه فى ارض البشرية يخل لكم وجه ابيكم بقبل الروح بوجهه الى الحواس والقوى لتحصيل شهواتها وتكونوا بعده قوما صالحين للتنعم الحيوانى والتقشف قال قائل منهم هو يهوذا القوة المفكرة لا تقتلوا يوسف القلب القوة والا غيابت الجب الغالب فى سفل البشرية يلتقطه بعض سيارة الجواذب النفسانية يرتع فى ملاعب الدنيا وانا له لحافظون من فتنة الدنيا وافاتها لئن اكله الذئب الشيطان انا اذا لخاسرون لان خسران جميع اجزاء الانسان فى هلاك القلب وربما فى سلامة القلب هم لا يشعرون فيه اشارة الى ان من خصوصية تعلق الروح بالقالب ان يتولد منها القلب العلوى والنفس السفلية والحواس والقوى فيحصل التجاذب فان كانت الغلبة للروح سعد وان كانت للنفس شقى وجاؤا ابا هم عشاء اى فى النصف الاخير من مدة العمر يستبق نتشاغل باللهو فى ايام الشباب وتركنا يوسف عندها القلب معطلا عن الاستكمال فاكله ذئب الشيطان وما انت بمؤمن لنا اى قالب القلب بدم كذب هوانا والملكات او زينوا عموا انها فكسرت الى القلب وزالت نور الايمان عنه بالكلية قال يعقوب الروح بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل على ما قضى الله وقدر والله المستعان على ما تصفون من رين القلب وموته وجاءت سيارة هى هبوب نفحات الطاف الحق فارسلوا واردهم وادلى دلوه جبريل من جانب الرحمن قال يا بشرى فيه اشارة الى ان الجدير بشارة فى تعلقها بالقلب كما ان للقلب بشارة فى خلاصه من حبائل الطبيعة كما قال نعم بشراكم وبشرى لكم والله عليم بحكم البشارتين وبما يعلمون من شراء بثمن بخس هو الحظوظ الفانية فى ايام معدودة وكانوا فيه من الزاهدين لانهم ما عرفوا قدره وانما ميلهم الى استجلاب المنافع الوضيعة العاجلة والله اعلم وقال الذى اشتراه من مصر لامرأته اكرمى مثواه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا وكذلك مكنا ليوسف فى الارض ولنعلمه من تأويل الاحاديث والله غالب على امره ولكن اكثر الناس لا يعلمون ولما بلغ اشده اتيناه حكما وعلما وكذلك نجزى المحسنين وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه وغلقت الابواب وقالت هيت لك قال معاذ الله انه ربى احسن مثواى انه لا يفلح الظالمون ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر والفيا سيدها لدى الباب قالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن او عذاب اليم قال هى راودتنى عن نفسى وشهد شاهد من اهلها ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين فلما رأى قميصه قد من دبر قال انه من كيدكن عظيم يوسف اعرض عن هذا واستغفرى لذنبك انك كنت من الخاطئين وقال نسوة فى المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا انا لنراها فى ضلال مبين فلما سمعت بمكرهن ارسلت اليهن واعتدت لهن متكأ واتت كل واحدة منهن سكينا وقالت اخرج عليهن فلما رأينه اكبرنه وقطعن ايديهن وقلن حاش لله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم قالت فذلكن الذى لمتننى فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين قال رب السجن احب الى مما يدعوننى اليه والا تصرف عنى كيدهن اصب اليهن واكن من الجاهلين فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن انه هو السميع العليم ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الايات ليسجننه حتى حين القراءة هيت لك بضم التاء وفتح الهاء ابن كثير هيت بكسرها وفتح التاء ابو جعفر ونافع وابن ذكوان والوزى عن هشام مثله ولكن بالهمز الحلوانى عن هشام مثل هذا ولكن بضم التاء البخارى عن هشام الباقون هئت لك بفتحتين وسكون الياء المخلصين بفتح اللام حيث كان ابو جعفر ونافع وعاصم وحمزة وعلى وخلف فى الحسن بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابو عمرو وابن

يوسف

كثير من قبل ومن دبر بالاختلاس عباس قد شغفها مدغما ابو عمرو وعلي وحمزه وخلف وهشام وقالت اخرج بكسر التاء ابو عمرو وسهل ويعقوب وحمزه وعاصم الاخرون بالضم للاتباع حاشا لله وما بعده في الحالين بالالف ابو عمرو ودبحن بفتح السين على انه مصدر يعقوب البانون بالكسر لتوفر دواعي في الارض بناء على ان الواو مقحمة واللام متعلقة بمكنا او هي عطف على محذوف قبله اي ليتمكن وليعلم والاظهر انها تتعلق بمحذوف بعده اي وليعلم من تاويل الاحاديث كان ذلك التمكن الاحاديث لا يعلمون وعلماء المحسنين هيت لك الظالمون همت به قد قبل بنا على ان قوله وهم جواب لولا وليس بصحيح لان جواب لولا لا يتقدم عليه وانما جاء بمحذوف وهو تحقق هاهم به كذا قال السجاوندي اقول لو وقف الفرق بين الهمين لم يبعد وهم بها برهان ربه والفحشاء الخاصين لك الباب لكم عن نفسي بدا لا يعلمون عليه وقفا ولعل الوقف عليه حسن كما لا يظن عطف وشهد على اوحى او تنبي او على اجملوه هي راودتني من اهلها على تقدير وقال ان كان من الكاذبين الصادقين من كيد كن عظيم عن هذا سكنه العدول عن مخاطب الى مخاطب ليبك لاحتمال التعليل الخاطئين عن نفسه لان قد تحسين الابتداء مع اتحاد القائل احتياط مبين علمهن بشراكوكم فيه فاستعصم لاحتمال القسم لصاغرين اليه للشرط مع الواو الجاهلين كيدهن ط العليم حين التفسير قد نبذت الاخبار ان اشتراه اما من الاخوة او من الوارد بن ذهبت الى مصر وباعوه عشرة العزيز لامه قطفيرا واطهر ولم يكن ملكا ولكنه كان على خزائن مصر والملك يومئذ الريان بن الوليد رجل او من الوارد بن ذهبت الى مصر فباعوه من العمالقي وقد امن بيوسف ومات في حياة يوسف فملك بعده قابوس بن مصعب فلم يؤمن بيوسف وهي ان العزيز اشتراه ابن سبع عشرة سنة واقام في منزله ثلث عشرة واستوزره بعد ذلك ريان بن الوليد ثم اتاه الله الحكم والعلم ابن ثلث وثلثين وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة وقيل كان الملك ايام فرعون وموسى عاش اربعمائة سنة دليله قوله ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات وقيل فرعون موسى من اولاد فرعون يوسف والمعنى ولقد جاءكم اباؤكم قبل اشتراه العزيز بعشرين دينارا وزوجي نعل وثوبين ابيضين وقيل دخلوه التنوق بعرضونه فنزلوا في ثمنه حتى بلغ ثمنه وزن مسكا ووزقا وخرا فاشتراه قطفير بذلك المبلغ ومعنى اكرمي مثواه اجعلي منزله ومقامه عندنا كريما اي حسنا مرضيا وفي هذه العبارة دلالة على انه عظم شان يوسف كما بقي سلاما على الجليس العالي وقال في الكشاف المراد تعهده بحسن الملكة حتى تكون نفسه طيبة في صحبتنا ويقول للرجل كيف بوى مثواك وام مثواك لمن ينزل به الرجل به من انسان رجل او امراة يريد هل تطيب نفسك بثوابك عنده والام في لامراته تتعلق بقال ثم بين الغرض من الاكرام فقال عسى ان ينفعنا بكفاية بعض مهماتنا او نتخذه ولدا لان قطفير كان لا يولد له او لما رآه من حصورا وعن ابن مسعود افرس الناس ثلثة العزيز حين قال لامراته اكرمي مثواه فنظر في يوسف ما تفرس في المراة التي اتت موسى وقالت لابيها يا ابت استاجره وابو بكر حين استخلف عمر ورؤي انه سئل عن نفسه فاخبر بلمبسه نعرفهم قال وكذلك اي كما انعمنا عليه بالانجاء من الجب وعطف قلب العزيز عليه مكنا له في ارض مصر حتى يتصرف فيها بالامر والنهي ولنعلمه قد مر في الوقوف بيان متعلقه وفي اويل السورة معنى تاويل الاحاديث والمراد من الاباء حكاية اعلاء شان يوسف في الكمالات الحقيقية لصولها القدرة واشاراتها بقوله مكنا والعلم واشاراته بقوله ولنعلمه ولا ريب ان ذلك كان حين التقى في الجب كما قال واوحينا اليه لتنبئنهم وكان يرتقي في ذلك الى ان بلغ حد الكمال وصار مستعدا للدعوة الى الدين الحق وللارسال الى الخلق والله غالب على امره اي على امر نفسه لا منازع له ولا مانع او على امر يوسف لم يكله الى غيره ولم يخله ونفسه قط ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان الامر كله بيد الله ثم انه سبحانه بين وقت استكمال امره فقال ولما بلغ اشده قيل الاشد ثمان عشرة سنة وعشرون وثلث وثلثون واربعون الى ستين اتيناه حكما وعلما فالحكم الحكمة العملية والعلم الحكمة النظرية وانما قدمت العلمية لان اصحاب الرياضات والمجاهدات يصلون اولا الى الحكمة العملية ثم الى العلم اللدني بخلاف اصحاب الافكار والانظار والاول هو طريق يوسف لانه تصبر على البلاء والمحن ففتح عليه ابواب المكاشفات وقيل الحكم النبوة لان النبي حاكم على الخلق والعلم علم الدين وقبل الحكم صيرورة نفسه المطمئنة حاكمة على النفس الامارة قاهرة لها الخ تفيض الانوار القدسية والاضواء الالهية من عالم القدس على جوهر النفس والتحقيق في هذا الباب ان استكمال النفس الناطقة انما يتيسر بواسطة استعمال الآلات الجسدانية وان الصبر يكون الوطوبات مستولية عليها فيضعف تلك الآلات فاذا كبر الانسان واستولت الحرارة الغريزية على البدن نضجت تلك الرطوبات وقلت واعتدلت فصارت الآلات صالحة لان يستعملها النفس الانسانية في تحصيل المعارف الكسبية لحقايق فقوله ولما بلغ اشده اشارة الى اعتدال الآلات البدنية وقوله اتيناه حكما وعلما اشارة الى استكمال النفس الناطقة وقوة لمعان الاضواء القدسية فيها قال في الكشاف وكذلك نجزي المحسنين فيه تنبيه على انه كان محسنا في عمله متقيا في عنفوان امره وان الله اتاه الحكم والعلم جزاء على احسانه واعترض عليه بان النبوة غير مكتسبة والحق ان الكل بفضل الله ورحمته ولكن للوسائط والمعدات مدخل عظيم في كل ما يتصل الى الانسان من الفيوض والآثار فالانوار السابقة تصير سببا للاضواء اللاحقة وهلم جرا عن الحسن احسن عبارة وتبرى شبهة اتاه الله الحكمة اي النبوة ثم ان يوسف كان في غاية الحسن والجمال فلما شبب بامراة العزيز وذلك قوله وراودته والمراودة مفاعلة من الادرار وذاجاء وذهب ضمن معنى الخداع اي فعلت ما يفعل الخادع بصاحبه حتى زلله عن الشيء الذي هو به بان تخرجه من بيته وقد يخص بمحاولة الوقاع فيقال راود فلان جاريته عن نفسها وراودته هي عن نفسه اذا حاول كل منهما الوطي والجماع وانما قال التي هو في بيتها ولم يقل لنخاطبه الى زيادة التقرير مع استبهام اسم المراة وغلقت الابواب لاريب ان التشديد يدل على التكثير لان غلق متعد كنفسه هو فتح المفسرون رووا ان الابواب كانت سبعة وقالت هيت لك هذه اللغة في جميع القراءات اسم فعل بمعنى هلم الا عند من قراها يت لك بها

مكسورة بعدها همزة ساكنة ثم تاء مضمومة فانها بمعنى تهيأت لك بقيت هاء بمعنى مجيء تهيأ قال النحويون هيت جاء بالحركات الثلثة
فالفتح للخطاب والكسر للقاء الساكنين والضم تشبيها بحيث واذا بنين باللام نحو هيت لك فهي صوت قائم مقام المصدر كأنه اي لك اقول هذا
واذا لم يبن باللام فهو صوت قائم مقام مصدر قائم مقام الفعل ويكون اسم فعل ومعناه اتاك خيرا في تهيأت واما أي اقبل وقد روى لواحد يأسنا
عن ابن زيد قالت هيت لك بالعبرانية هيتا اي تعال فعربه القرآن وقال الفراء انها لغة لاهل حوران سقطت الى مكة فتكلموا بها وقال ابن الانباري
هذا وفاق بين لغة قريش واهل حوران كما اتفقت لغة العرب والروم في القسطاس ولغة العرب والفرس في السجيل ولغة العرب والترك في الغساق ولغة
العرب والحبشة في ناشئة الليل ثم ان المرأة لما ذكرت هذا الكلام اجاب يوسف بثلث اجوبة الاول قال معاذ الله وهو من المصادر التي لا يجوز
اظهار فعلها اي اعوذ بالله معاذا وفيه اشارة الى ان حق الله تعالى اتم والضمير للشان ربي اي سيدي وما لكي بزعمهم واعتقادهم والا فيوسف
كان عالما بانه حر والحر لا يصير عبدا بالبيع والمراد الترفع اي الذي ربى حسن مثواي حين قال اكرمي مثواه وفيه اشارة الى ان حق الخالق
ايضا يمنع عن ذلك العمل وقبل اراد بقوله ربي الله تعالى لانه سبب الاسباب الثالث قوله انه لا يفلح الظالمون الذين يجازون الحسن بالسيئ واراد الذين
يزنون لانهم ظلموا انفسهم وفيه اشارة الى الدليل العقلي فان صون النفس عن الضرر واجب وهذه اللذة قليلة يتبعها الخوف في الدنيا وعذاب في
الاخرة فعلى العاقل ان يحترز عنها فما احسن نسق هذه الاجوبة قوله سبحانه ولقد همت به وهم بها لا شك ان الهم لغة هو القصد والعزم لكن العمل
العلماء اختلفوا فقال جم غفير من المفسرين الظاهر بين ان تلك الهمة بلغت حد المخالطة فقال ابو جعفر الباقر روى باسناده عن علي بن ابي طالب انها
طمعت فيه وانطرح فيها حتى هم ان يحل التكة وعن ابن عباس انه رحل الصنم اي السربال وجلس منها مجلس المجامع وعنه ايضا انها استلقت له وقعدت بين
شعبها الاربع وروي ان يوسف حين قال ذلك لعلم اني لم اخنه بالغيب قال له جبرئيل ولا حين هممت يا يوسف فقال يوسف عند ذلك وما ابرئ
نفسي ان النفس لامارة بالسوء وقال اخرون ان الصنم ما كانت لاجله النفس لم يخرج شئ منها من القوة الى الفعل ولكن كانت داعية الطبيعة وداعية
العقل والحكمة متجاذبين اما الاولون فقد فسروا برهان ربه بان المرأة قامت الى صنم لها مكلل بالدر والياقوت في زاوية من زواياها البيت فستره بالثوب
فقال يوسف لم فعلت ذلك فقالت استحي من الهي هذا ان يراني على المعصية فقال يوسف تستحين صنما لا يسمع ولا يعقل ولا استحي من الحي القائم على كل نفس بما
كسبت فوالله لا افعل ذلك ابدا وعن ابن عباس انه مثل له يعقوب عاضا على اصبعه قائلا افعل عمل الفجار وانت مكتوب في زمرة الانبياء والى هذا ذهب
عكرمة ومجاهد والحسن قتادة والضحاك ومقاتل وابن سيرين وقال سعيد جبرئيل مثل له يعقوب فضرب في صدره فخرجت شهوته من انامله وقيل صيح
يا يوسف لا تكن كالطائر كان له ريش فلما زنى فعد الريش له وقيل بدت كف فلم يبصر شيئا ثم بصر شيئا بعد شيئ فيها بين لها عضد لا معصم مكتوب فيها وان عليكم
لحافظين كراما كاتبين فلم ينصرف ثم راى فيها ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا فلم ينته ثم راى فيها واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله
فلم ينجع فيه فقال الله تعالى لجبرئيل ادرك عبدي قبل ان يصيب الخطيئة فانحط جبرئيل وهو يقول يا يوسف تعمل عمل السفهاء وانت مكتوب في زمرة الانبياء
وقيل راى ثمثال العزيز واما الاخرون فما سلموا شيئا من هذه الروايات وعلى تقدير التسليم فتوارد الدلائل على المطلوب لواحد غير بعيد وكذا
تزاحف الزواجر فهو كان ممتنعا عن ذلك العمل بحسب النظر في برهان الله الماخوذ على المكلفين من وجوب اجتناب المحارم وبحسب ما اعطاه الله من النفس
القدسية المطهرة النبوية لكنه انضاف الى ذلك البرهان هذه الزواجر تكميلا للالطاف وتتميما للعطايا بل قالوا لو ان ادنى الزناة واشطرهم ادنى
لقي ما لقيه بنو الله مما ذكروا لما بقي عنه عرق ينبض وعضو يتحرك فكيف احتاج النبي الى جميع هذه الزواجر والمؤكدات حتى ينتهي عن امضاء العزم قالوا
والهم يتعلق بالمعاقبة فانهم تضرعون اقدمهم بحيث الظنها ونحن نقول هم بدفعها لولا ان عرف برهان ربه وهو ان الشاهد سيشهد له ان كان قميصه
قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين فلعله لو اشتغل بان يدفعها امكن ان يتمزق قميصه من قبل فكانت الشهادة عليه لا له فلذلك لم يشتغل بدفعها
ونحن نقول لهم بها فائدة اخرى هي ان ترك المخالطة بها ما كان لعدم رغبته في النساء وعزوفه قدرته عليهن بل لاجل ان دلائل دين الله منعه عن ذلك العمل
وكيف يظن بيوسف معصية والله قد اثنى على المراة بقوله هي راودتني عن نفسي وبقوله رب السجن احب الي مما يدعونني اليه والمراة اعترفت بذلك حين
قالت الئن حصحص الحق وانا راودته عن نفسه فاستعصم وقالت الان تحقق الحق وزوج المراة صدقها فقال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم وشهد له شاهد من
اهلها كما يجئ وشهد له الله تعالى فقال كذلك اي مثل ذلك التثبت ثبتناه الا وامر مثل ذلك لنصرف عنه السوء حتى لا نسهد والفحشا الزنا
والسوء مقدماته الجماع من القبلة والنظر بشهوة ويحوز ان اكد الشهادة بقوله انه من عبادنا والاضافة للتشريف كقوله وعبادا الرحمن ثم زاد في
التاكيد فوصفه بالمخلصين اي هو من جملة من اتصف طاعاتهم بصفة الاخلاص ومن جملة من اخلصه الله تعالى بناء على قراءة فتح اللام وكسرها
يحتمل ان يكون من للابتداء لا للتبعيض اي هو ناش منهم لانه من ذرية ابرهيم فكل هذه الدلائل تدل على عصمة يوسف ثم انه برئ من الذنب
ولو كان قد وجد منه زلة لغبت عليه وذكرت توبته واستغفاره كما في ادم وذي النون وغيرهما ولما استحق هذا الثناء والله اعلم
بحقائق الامور وقوله واستبقا الباب اي تسابقا اليه على حذف الجار وايضا الفعل مثل واختار موسى قومه او على تقدير استبقا لمعنى ابتدرا
وانما وحد الباب لانه اراد الذي لا جميع الابواب التي غلقها وروي كعب لما هرب يوسف جعل فراش القفل يتناثر ويسقط حتى خرج من الابواب
وقدت قميصه من دبر لانها اجتذبته من خلفه فانقد اي انشق طولا والفيا سيدها لدى صاد في بعلها وهو قطفير وانما لم يقل سيدهما لانه

يوسف

يوانها خوفا ان

لان طلبت يوسف لم يكن ملكا في الحقيقة روى انهما الفياه مقبلا بريدان يدخل وقيل جاء السامع ابن عم المراة ثم اتم كان للنساء ان يسئلنه فقالت له اذن اقبل قالت فما جزاء من استفهما بسوء او فاحشة معناه اى شئ جزاؤه الا السجن او لبئس جزاؤه الا السجن او العذاب الاليم بالضرب بالسياط جمعت بين غرضين تنزيه ساحتها عند زوجها من الريبة والغضب على يوسف بتخويفه طمعا في ان يواتيها طوعا ثم اتهامها يوسف رأى وقائق الحجة فذكر السجن لانه كان اشد العذاب لمحب لا يريد الا الحيوة ما امكن وابهم لم يصرح بذكر يوسف واما اراد بها سوء ابل قصدت العموم ليندرج يوسف فيه وفي قولها الا ان السجن اشعار بان ذلك السجن غير دائم بخلاف قول فرعون لموسى لاجعلنك من المسجونين فيه اشعار بالتابيد قال يوسف هي راودتني عن نفسي وانما صرح بذلك اعتذارا عن فضيحة للسجن والعذاب فوجب عليه الدفع عن نفسه اولا لان ذلك لكم عليها قال سبحانه وشهد شاهد من اهلها قال جمع من المفسرين الشاهد ابن عم المراة وكان رجلا حكيما اتفق في ذلك الوقت انه كان مع العزيز فقال قد سمعت الجلبة من وراء الباب وشق القميص الا انا لا ندري بكما قدام صاحبه فان كان شق القميص من قدام فانت صادقة والرجل كاذب ان كان من خلف الرجل صادق وانت كاذبة فلما نظروا الى القميص وراوا الشق من خلف قال ابن عمها انه من كيدكن وعن ابن عباس وسعيد جبير والضحاك ان الشاهد ابن خال لها وكان صبيا في المهد وقد روي عن النبي ص انه تكلم اربعة وهم صغار ابن ماشطة بنت فرعون وشاهد يوسف صاحب جريج وعيسى ويحيى وعن مجاهد الشاهد هو القميص المشقوق من خلف ضعف بان القميص بالشهادة لا يوصف بالشهادة ولا يكون من اهلها واعترض على القول الاول بان العلامة المذكورة لا تدل قطعا على براءة يوسف لاحتمال ان الرجل قصد المراة وهي قد عصت عليه ففرت خلفه فمزقت ثيابه من خلفه كما تدركه وتضربه ضربا وجيعا واجيب بان هناك امارات اخر منها ان يوسف كان عبدا لهم والعبد لا يمكنه ان يتسلط على مولاه الى هذا الحد ومنها قرينة الحال كنتن المراة فوق المعتاد وما شوهد من احوال يوسف في مدة اقامته عندهم واعترض على القول الثاني بان شهادة الصبي امر خارق للعادة فتكون حجة قطعية فلم يبق للاستدلال بحال القميص لا كونه من اهلها فانه وايضا لفظ لا يقع في العرف الا على من تقدم معرفته بالواقعة والجواب ان تعيين الطريق في الاخبار والاعلام غير لازم وكون الشاهد من اهلها اوجب من الحجة عليها والزم لها والشاهد ههنا صبي وكيف حسنة انه اتى مؤدى الشاهد حيث ثبت به قول يوسف وبطل قولها قال في الكشاف ان للنكتة في قبل ودبر معناه من جهة وقال لها قبل وفي جهة دبرها طاهرا الضمير في قوله فلما راى في قوله قال انه من كيدكن فضل انه للشاهد الذي هو عمها كما ذكرنا اي لما قال قولك وهو ما جاء مرادا باهل السوء وان هذا الامر هو الذي اقتضى هذه الوسيلة من عملكن ان كيدكن عظيم قال بعض العلماء انا اخاف النساء اكثر مما اخاف الشيطان لان الله تعالى يقول ان كيد الشيطان كان ضعيفا وقال للنساء ان كيدكن عظيم واقول لا شك ان القرآن كلام الله الا ان هذا حكاية قول الشاهد فلا يثبت ما ادعاه ذلك العالم ولو سلم فالمراد ان كيد الشيطان ضعيف بالنسبة الى ما يريده الله تعالى امضاؤه وتنفيذه وكيد النساء عظيم بالنسبة الى كيد الرجال فانهن يغلبنهم ويسلبن عقولهم اذا عرض انفسهن عليهم وقال ص اتقوا فتنة النساء فان الشاب الفتى ليلقى الشيطان ثم قال الشاهد يوسف اي يا يوسف فحذف حرف النداء واعرض عن هذا الامر واكتمه ولا تحدث به واستغفري يا امراة لذنبك الاستغفار اما من الزوج او من الله تعالى لانهم كانوا يثبتون الاله الاعظم ويجعلون الاصنام شفعاء لهذا قال يوسف لصاحبي السجن ارباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار انك كنت من الخاطئين من المتعمدين للذنب يقال خطئ اذا اذنب متعمدا والتذكير للتغليب قيل الضمير في راى في قال لزوج المراة وانه كان قليل الغيرة فلذلك اكتفى فيها بالاستغفار وقاله ابو بكر الاصم وقال نسوة هي اسم مفرد لجمع المفرد المراة وتانيثه غير حقيقي ولذلك حسن حذف التاء من فعله وقد يضم نونه قال الكلبي هن اربع في مدينة مصر امراة الساقي وامراة الخباز وامراة صاحب الدواب وامراة صاحب السجن وزاد مقاتل امراة الحاجب الفتى الغلام الشاب الفتاة الجارية قد شغفها اي خرق حبه شغاف قلبها والشغاف حجاب القلب قبل جادة وقيل هو حبة القلب وخبا نصب على التمييز وحقيقة شغفه صار شغافه كما يقال كبد اذا اصاب كبده وكذا قياس سائر الاعضاء وقرئ بالعين المهملة اي اخرقها مع تلذذ من شغف البعير اذا هناه فاحرقه بالقطران وقال ابن الانباري هذا من الشغف هو وصول الحب الى ان تبلغ محبته الى اعلى المواضع من قلبه الضلال المبين الخطا عن طريق الصواب فلما سمعن مكرهن اغتيابهن وسوء قالتهن فيها واتما حسن التعبير عن الاغتياب بالمكر لانه اشد كما في الاخفاء وقيل للمرضة تكتمان سره فافشته فسمي مكرا ارسلت اليهن تدعوهن وقيل اردف ذلك ان يتوسلوا الى قربه يوسف فلهذا سمي مكرا وقيل كن اربعين واعتدت وهيات لهن متكا موضع اتكاء واصله موتكا لانه من وكات بدلت الواو تاء ثم ابدلت الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها والمراد هيات لهن بما رق يتكئن عليها كعادة المترفات انكا بها قصدت بذلك تاويل يوسف من مكرها اذا خرج على اربعين نسوة مجتمعات في يد لهن السكاكين توهمها لهن شين عليه وقيل متكا مجلس الطعام لانهن كانوا يتكئون للطعام والشراب والحديث على هيئة المتكئ ولذلك نهي ان ياكل الرجل متكئا والسكين لسكاكين لهن بها ما كان بها وقيل اراد بالمتكا الطعام على سبيل الكناية لان من عوته لطعام عند الضيافة اتخذ له متكا وقال مجاهد هو طعام يحتاج الى ان يقطع بالسكين لان القاطع متكئ على المقطوع بالة القطع وقرئ متكا مضموم الميم ساكن التاء مقصورا وهو الاترج فلما راينه اكبرنه اعظمنه وهبن من الجمال وكان احسن خلق الله الا ان نبينا ص كان اطهر قبل كان يشبه دم يوم خلقه ربه وما كان احد يستطيع وصفه وبه من تلالؤ وجهه على الجدران وقد ورد في الجمال من جدته ساذة وعن النبي ص مررت بيوسف ليلة الى عرج بي الى السماء فقلت لجبرئيل من هذا فقال يوسف فقيل يا رسول الله كيف رايته قال كالقمر ليلة البدر وقال الازهري اكبرن بمعنى حضن والمحاض للسكك يقال اكبرت المراة اي حاضت وقيل اكبرن اتين على الكبر يقال اكبرت الجارية اذا دنت من المحيض وقيل معناه ان المراة اذا تزينت اسقطت اترابها فالمراد حضن وهشمن قبل اكبرنه لما راين عليه من نور النبوة وبهاء الرسالة وامارات

محبوسه ودخل معه اى صاحباه فى لدخول السجن فتيان غلمان للملك الاكبر خبازه وشرابيه نقلا عن ائمة التفسير واستدلا لا بزيا هما المناسبة لحرفتهما رفع الى الملك انهما اراد اسمه الطعام والشراب فامر بادخالهما السجن ساعة ادخل يوسف قال احدهما اى الذى اراه فى المنام لقوطما نبئنا بتاويله وهو حكاية بحال ماضية اعصر خمرا اى عنبا سميته للتى باسم ما يؤل اليه وقيل الخمر بالغة عنبا اسم العنب لاصيره فى قوله بتاويله يعود الى ما نصا عليه وقد يوضع عليه الضمير موضع الاشارة كانه قيل بتنا بتاويل ذلك المرئى نراك من المحسنين من عيادة المرضى او كان اهل السجن يقصدون علمه ودعاءهم فيرجو طمعهم او نريك من العلماء عرفا ذلك بالقرائن او من المحسنين فى طاعة الله وطلب مرضاته ففرج عنا الغمة بتاويل ما ارايناه ان كانت للشهيد فى قابل الرؤيا وعن قتادة وكان فى السجن ناس قد انقطع رجاؤهم وطال حزنهم فجعل يقول ابشروا اصبروا توجروا فقالوا ما احسن وجهك وما احسن خلقك من انت فقال انا يوسف صفى الله يعقوب بن ذبيح الله اسحق بن خليل الله ابرهيم فقال له عامل السجن لو استطعت خليت سبيلك ولكنى احسن جوارك فكن ايها السجن شئت وعن الشعبى ومجاهد انهما تحاكما اليه فسماه فقال الشراب انى رايتنى فى بستان فاذا باصل كرم عليه ثلثة عناقيد من عنب فقطعتها وعصرتها فى كاس الملك وسقيته وقال الخباز انى رايتنى فوق رأسى ثلث سلال فيها انواع الاطعمة واذا سباع الطير تنهش منها قال لا ينبئكما طعام ترزقانه فى النوم بين ذلك ان يؤتى طعامكما الى فيه هذا ليس بجواب لما ظاهرا وانما قدم هذا الكلام لوجوه منها ان احد التعبيرين لما كان هو الصلب كان فى سماعه كراهة وتفزة اراد ان يقدم قبل ذلك ما يوثق بقوله ويخرجه عن معرض التهمة والعداوة او اراد ان يبين علو مرتبته فى العلم وانه ليس من المعبرين الذين يعبرون عن ظن وتخمين ولهذا قال السدى اراد لا ياتيكما طعام ترزقانه فى النوم بين ذلك ان ياتينى بتاويل رؤياكما ليس مقصورا على شئ دون غيره وقيل انه محمول على الهيفطة وانه على ايقاع معرفة الغيب كقول عيسى وانبئكم بما تاكلون اى اخبركما قبل ان ياتيكما انا اى طعام هو واى لون هو ولمن هو وكيف هو وكم يكون عاقبته اهو ضار ام نافع وان فيه سما ام لا فقد روى ان الملك كان اذا اراد قتل انسان صنع له طعاما مسموما وارسله اليه ثم قال ذلكما اى هذا التاويل والاخبار بالمغيبات من قبيل الوحى والالهام لا من التكهن والتنجيم الذى يكثر فيهما وقوع الخطاء ثم شبر نعمته وملته مشيرا فيه الى انه رسول من عند الله وتنبيها على ان الاشتغال بصالح الدنيا حتى ان الرجل الذى يصلب لعله يسلم فلا يموت على الكفر فقال انى تركت اى فضلت بل ما كنت قط ويجوز ان يكون قبل ذلك غير مظهر للتوحيد خوفا منهم لانه كان تحت ايديهم واما كونه مخصوصا من بين اهل السجن بالايمان فلقوله واتبعت ملة اباءى ابراهيم واسحق ويعقوب بعد معاينة الايات الشاهدة على براءته لا يصد الاعمى بنكر الجزاء اشد انكارا والمراد باتباع ملة اباءه الاتباع فى الاصول التى لا يتبدل بتبدل الشرايع ومعنى التنكير فى قوله من شئ الرد على كل طائفة خالفت الملة الحنيفية من عبدة الاصنام والكواكب وغيرهم ذلك التوحيد من فضل الله علينا وعلى الناس لان الله يشكر نعمة الايمان او نعمة اعطاء القدرة والاختيار الايمان فلا يظن ان الدلائل وهذا يناسب اصول المعتزلة وعن بعضهم انا لا نشكر الله على الايمان بل الله يشكرنا عليه كما قال فاولئك كان سعيهم مشكورا يا صاحبى السجن اراد بهما صاحبى السجن كقوله يا ارفا للبلة خصهما بهذا النداء لانهما دخلا السجن معه او اراد بهما اهل السجن كقوله اصحاب النار فسبب التعيين انهما استفتياه من بين الساكنين ثم انكر عليهم عبادة الاصنام فقال ارباب متفرقون فى العدد وفى الجهة وفيما يتبعها من اختلاف الاغراض والابعاض خير ان فرض ام الله الواحد القهار لان وحدة المعبود يستدعى توحيد المطلب تفريدا للمقصد وكونه قهارا غالبا غير مغلوب من وجه يوجب حصول كل ما يرجى منه من ثواب صالح اذ لو تعلقت ارادته بذلك فلا يصلح للمعبودية الا هو ولا يصلح حقيقة الالهية فى غيره فلذلك قال ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها اى سميتم الالهة بتلك الاسماء انتم واباؤكم والخطاب لهما ولمن على دينهما من اهل صنوكما لا يعبدون الا اسما فارغة عن المسميات اما انزل الله بتسميتها من سلطان اى حجة ثم لما نفى معبودية الغير بين ان الحكم فى امر الدين والعبادة الاله فى الحكم فقال ان الحكم الا لله ثم ذكر ما حكم به فقال امر ان لا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم الثابت بالبراهين ولكن اكثر الناس لا يعلمون انتم هذا المبادى والمعاد الحقيقى فتخذون غيره معبودا وتجعلون لغيره من الاصنام والاجرام بالاستقلال فعلا وتاثيرا ثم شرع فى اجابة مقترحهما وهو تاويل رؤياهما فقال اما احدكما يعنى الشراب فيسقى ربه سيده خمرا يروى انه قال له ما رايت من الكرمة وحسنها هو الملك وحسن حاله عنده واما الفصلان الثلثة فانها ثلثة ايام تمضى فى السجن ثم تخرج وتعود الى ما كنت عليه وقال للثانى ما رايت من السلاسل الثلثة ايام ثم تخرج فتصلب فتاكل الطير من راسك قوله قضى الامر قال فى الكشاف اتحد الامر فيهما امران مختلفان استفتيا فيهما لان الامر المراد بالامر ما انهما به من سم الملك وما سجنا لاجله فكانا استفتيا فى الامر الذى نزل بهما اعانية بخباء ام هلاك استدلا لا بزيا هما فقال ان ذلك الذى ذكرت من امر التاويل كائن لا محالة صدقتما او كذبتما وقيل عكسا رؤياهما فلما علم الخبيثان ان تاويل رؤياه شر ذكرا رؤياهما فقال يوسف لكل منكما واقع لا بد منه ومن هنا قال الحكماء ينبغى ان لا يتصرف الرؤيا ولا يعبر عن وجهها فان الفال على ما جرى وقال يوسف للذى ظن انه ناج منهما ان كرمى عند ربك اى اذكرنى عند الملك انى مظلوم من حيث اخوتى وجوعون ثم انى مظلوم من جهة النسوة اللاتى حبسنى الضمير فى ظن ان كان للرجل الناجى فلا شكال لانهما كانا مومنين بنبوة يوسف كما سنبين الاعتقاد فيه وكان قوله لم يفد تحقيقها لا بجرد الظن وان عاد الى يوسف فيرد عليه انه كان قاطعا بخلافه فما المعنى للظن واجيب بانه انما ذكر ذلك لتعبيره بناء على الاصول المقررة فى ذلك العلم فكان كالمسائل الاجتهادية والاصح انه قضى بذلك على سبيل البت والقطع لقوله ذلكما مما علمنى ربى الى قوله ذلكما مما علمنى ربى فالظن على هذا بمعنى اليقين كقوله الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم اما الضمير فى قوله فانساه الشيطان فمن الناس من قال انه يعود الى الرجل الناجى اى انساه الشيطان ذكر يوسف لسيده او عند سيده فاضافة الذكر الى الرب للملابسة لا لاجل انه فاعل او مفعول والاضافة

يوسف

محذوف تقديره فانساه ذكر اخبار ربه واسنا الانساء الى الشيطان مجاز لان الانساء عبارة عن ازالة العلم عن القلب الشيطان لا قدرة له على ذلك والا لازال معرفة الله من قلوب العباد وانما فعله الوسوسة واختيار الهواجس التي هي اسباب النسيان ومنهم من قال الضمير راجع الى يوسف والمراد بالرب هو الله تعالى اي الشيطان انسى يوسف ان يذكر الله تعالى وعلى القولين عوتب بالليث في السجن بضع سنين والبضع ما بين الثلثة الى العشرة لانه القطعة من العدد والبضع القطع ومثله العضب الا ان البضع على الاكثرون على ان المراد به الا هنا سبع سنين وعن ابن عباس كان قد لبث خمس سنين وقد اقترب خروجه فلما تضرع الى ذلك الرجل لبث بعد ذلك سبع سنين وعن النبي صلعم رحم الله يوسف لولم يقل اذكرني عند ربك ما لبث في السجن وعن مالك انه لما قال له اذكرني عند ربك قيل له يا يوسف اتتخذ من دوني وكيلا لاطيلن حبسك فبكى يوسف قال طول البلاء انساني ذكر المولى فويل لاخوتي قال المحققون الاستعانة بغير الله في دفع الظلم جائز فقد دعا ان النبي صلعم لرباعيه النوم ليلة من الليالي وكان يطلب مجرمه حتى جاء سعد بن وقاص فنام وقال تعالى حكاية عن عيسى عم من انصاري الى الله ولا خلاف في جواز الاستعانة بالكفار في دفع الظلم والغرق والحرق الا ان يوسف عوتب على قوله اذكرني عند ربك لوجوه منها انه لم يفتد بالخليل حين وضع في المنجنيق فلقيه جبريل في الهوى وقال هل من حاجة فقال اما اليك فلا مع انه اتبع ملة ابائه ومنها انه قال ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء وهذا يقتضي نفي الشرك على الاطلاق وتفويض الامر بالكلية الى الله سبحانه فقوله اذكرني عند ربك كالمناقض لهذا الكلام ومنها انه قال عند ربك ومعاذ الله ان زعم انه الرب بمعنى الاله الا ان اطلاق هذا اللفظ على غير الله لا يليق بمثله وان كان رب الدار ورب الغلام مستعملا في كلامهم ومنها انه لا يقرن بكلمة ان شاء الله ولما دنا فرج يوسف الله في المنام سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات عجاف فابتلعت العجاف السمان ورأى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وسبعا اخر يابسات قد استحصدن وادركن فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها فاضطرب الملك بسببه لان فطرته قد شهدت بان استيلاء الضعيف على القوي يندرج تحت نوع من انواع الشر الا انه لم يعرف تفصيله والشيء اذا علم من بعض الوجوه عظم الشوق الى تكميل تلك المعرفة ولا سيما اذا كان صاحبه ذا قدرة ويمكن به هذا الطريق امر الملك بجمع الكهنة والمعبرين وقال لهم ايها الملأ افتوني في رؤياي ثم انه تعالى اذا اراد امرا هيأ اسبابه فاجتمع اولئك الملأ عن جواب المسئلة وعماه عليهم حتى قالوا لها اضغاث احلام ونفوا عن انفسهم كونهم عالمين بتاويلها واعلم ان الله سبحانه خلق جوهر النفس لتاطفة بحيث يمكنها الصعود الى عالم الافلاك ومطالعة اللوح المحفوظ الا ان المانع لها عن ذلك اليقظة هو اشتغالها بتدبير البدن وبما يرد عليها من طريق الحواس في وقت النوم يقل تلك الشواغل فتقوى النفس على تلك المطالعة فاذا وقعت الروح على حالة من تلك الاحوال فان بقيت الخيال كما شوهدت لم يحتج الى التاويل وان نزلت اثار مخصوصة لذلك الادراك الروحاني الى عالم الخيال هناك يفتقر المعبر ثم منها ما هي متسقة منتظمة يسهل على المعبر الانتقال من تلك المتخيلات الى الحقايق الروحانية ومنها ما يكون مختلطة مضطربة لا يضبط تخيلها وتركيبها التشويش وقع في ترتيبها وتاليفها فهي المسماة بالاضغاث وبالحقيقة الاضغاث ما يكون مبدأها تشويش القوة المتخيلة فانها قد تقع في القوى البدنية اولورود امر غريب عليه من خارج لكن القسم المذكور قد يعد من الاضغاث من حيث انها تحتاج المعبر عن تاويلها ولنشتغل بتفسير الالفاظ اما الملك فقد ان بن الوليد ملك مصر وقوله اني اراه حكاية حال ماضية وسمان جمع سمينة وسمين وسمينة يجمع على سمان كما يقال رجال كرام وشيوخ كرام قال النحويون اذا وصف المميز فالاولى ان يوقع الوصف صفة للمميز كما في الاية دون العدد لانه ليس بمقصود بالذات فلهذا قيل سمان بالجر ليكون وصفا لبقرات ويحصل التمييز لسبع نوع من البقرات وهي السمان منهن ولو نصب جعل تمييزا للسبع بجنس البقرات او لانهم يعلم من الوصف ان المميز بالجنس موصوف بالسمن والعجف هو الهزال الذي ليس بعده هزال واللغة اعجف وعجفاء وهما لا يجمعان على فعال ولكنه حمل على سمان لانه نقيضه وقوله سبع عجاف تقديره بقرات سبع عجاف فحذف للعلم به كما في قوله واخر يابسات لتقدير وسبعا واخر لان مضاف المعنى الى هذا العدد انما يقبل سبع عجاف على الاضافة لان اسم الفاعل لا يضاف الا الى ما يقع بالوصف حدوثا وقولهم ثلثة فرسان وخمسة اصحابك لا تقع وصفا بل هي بمجرى الاسم ولا يجوز ان يكون قوله واخر مجرورا عطفا على سنبلات لان لفظ الاخر يابى ذلك ويبطل مقابلة السبع بالسبع واراد بالملا الاشراف من العلماء والحكماء واللام في للرؤيا للتبيين كما في لنا في وكانوا من الزاهدين اولان عمل العامل فيما تقدم عليه يضعف فيعضد باللام كما يعضد اسم الفاعل بها وان تاخر معموله واولان قوله للرؤيا خبر كان كقوله هو لهذا الامر اي فيمكن منه مستقلين وتعبرون خبر اخر او حال او للتبيين تعبرون معنى يتبدلون لعبارة الرؤيا والفصيح عبرت الرؤيا بالتخفيف قد يشدد واشتقاقها من العبر بالكسر لان المعبر يتامل النهر فيقال عبرت النهر اذا قطعته حتى يبلغ اخره عرضه وعبرت الرؤيا اذا اولتها فاشتقت من احد الطرفين الى الاخر والاضغاث جمع ضغث وهو الحزمة من انواع البقل والحشيش مما طال ولم يقم على ساق والاضافة بمعنى من اي اضغاث من احلام والصفة للجمع لكن الواحد قد يوصف كما يقال رجع اقصا وبرمة اعشار فالمراد هي حلم اضغاث احلام وقد يطلق الجمع ويراد به الواحد كقولهم فلان يركب الخيل ويلبس العمائم وان لم يركب الا فرسا واحدا ولم يلبس الا عمامة واحدة ويجوز ان يكون قد قص عليهم احلام اخر والا لام في الاحلام اما للعهد كانهم ارادوا المنامات الباطلة او للجنس فادعوا انهم غير متجرين في علم تاويل الرؤيا ولما اعضل على الملا تاويل رؤيا الملك تذكر الناجي يوسف وتاويله رؤياه ورؤيا صاحبه المصلوب وتذكر قوله اذكرني عند ربك وذلك قوله سبحانه وادكر بعد امة اصله ازتكر قلبت التاء دالا لتقارب مخرجيهما وادغمت بعد ازيد بعد حين كانها حصلت من اجتماع ايام كثيرة وقرئ بكسر الهمزة وهي التعداي بعد ما انعم عليه بالنجاة وقرئ بعد امة بوزن نعمة بمعنى انا انبئكم بتاويله فارسلون الى حيث شئتم فارسلوه فاتى يوسف فقال ايها الصديق الخ للتعظيم اوله والملا حوله والمعنى مرني باستعباره وعن ابن عباس لم يكن

البين في المدينة وههنا اضمار والمراد فارسلوه الى يوسف فاتاه فقال يوسف ايها الصديق البليغ الكامل في الصدق وصفه بهذه الصفة لانه تعرف احواله من قبل وفيه انه يجب على المتعلم تقديم ما يفيد المدح لعلمه وانما اعاد عبارة الملك بعينها لان التعبير يختلف باختلاف العبارات وقوله لعلي ارجع فيه نوع من حسن الادب لانه لم يقطع بانه يعيش الى ان يعود اليهم وعلى تقدير ان يعيش فربما عرض له ما يمنعه عن الوصول اليهم من الموانع التي لا تحصى كثرة وكذا في قوله لعلهم يعلمون فضلك ومكانك من العلم فيحاصلوك او يعلموا فتوالد فيكون فيه نوع شك لانه راى عجز سائر المعبرين وقيل كرر لعل لعلمه بانفواصل لاي الاكان مقتضى الشوق لعلي ارجع الى الناس فيعلموا ومثله في هذه السورة لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا الى اهلهم لعلهم يرجعون قال يوسف في جواب الفتوى تزرعون سبع سنين دأبا وهو خبر في معنى الامر لافادة المبالغة في ايجاب ايجاد المامور به قال في الكشاف والدليل على كونه في معنى الامر قوله فذروه في سنبله والقول يمكن ان يكون قوله تزرعون اخبارا عما سيوجد منهم في زمن الغيث والمطر لان الزرع يلزم نزول الامطار عادة وقوله فما حصدتم ارشاد لهم الى الاصلح لهم في ذلك الوقت دأبا بتسكين الهمزة وتحريكها مصدر دأب في العمل اذا استمر عليه واشتد بعد على الحال اي تزرعون ذوي دأب وعلى المصدر والحال فعلى اي تداومون دأبا واتمامهم بان يتركوه في السنابل الا القدر الذي ياكلونه في الحال لئلا يقع فيه السوس ثم يأتي من بعد ذلك فيه ذلك وفيه دليل على ان تزرعون اخبار لا امر سبع سنين شداد يأكل الناس فيها ما كان قد ادخر من الاستثناء الجائز لان الاكلين اهل تلك السنين لا السنون الا قليلا مما تحصنون تحرزون وتخبأون والاحصان جعل الشيء في الحصن كالاحراز جعل الشيء في الحرز اخبر انه يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس من الغوث او من الغيث بتقدير حذف البلاد اذا مطرت وفيه يعصرون العنب والزيتون والسمسم قيل يحلبون الضروع فاول البقرات السمان والسنبلات الخضر يسنبن مخاصيب للجفاف الباقيات يابسات سنين ثم لتشرهم بالبركة في العام الثامن فقال المفسرون انه قد عرف ذلك بالوحي فقاده الله اعلم سنة وقيل عرف استدلالا لانه ليس بعدانها الجد الا الخصب والجواب انه لا يلزم من انتهاء الجدب الخصب الخير الكثير فقد يكون توسط الحال وايضا في قوله وفيه يعصرون نوع تفصيل لا يعرف الا بالوحي فيما يرجع الضمير الى الملك وعرض عليه الخبر استحسنه وقال انتون به فجعل الله سبحانه علم عبد الخالصة من المحنة الدنيوية فيعلم منه ان العلم سبب للخلاص من المحن الاخروية ايضا فلما جاءه الرسول وهو الساقي فقال اجب الملك قال يوسف ارجع الى ربك فسئله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن ما شانهن وما حالهن ان ربي اي الله العالم بخفيات الامور اي العزيز الذي يأباه بكيدهن عليم وعلى الاول اراد انه بكيدهن عظيم لا يعلم الا الله ليبعد عوده او استشهد بعلم الله على الحق كما يراد الوعيد اي هو عليم بكيدهن فيجازيهن عليه وكيدهن ترغيبهن اياه في وقوعه سهلا وتزيين صورته عند العزيز حتى يرضى بحبسه ومن لطايف الابهام ان الله اراد ان يسئل الملك ان يسئل عما بالهن الا انه راعى الادب فاقتصر على سؤال الملك عن كيفية الواقعة فان ذلك مما يهيج على البحث والتفتيش ومنها انه لما ذكر سيدته بسوء ذكر النسوة على التعميم ومع ذلك راعى جانبها بان اضاف وصفهن بقطع الايدي فقط لا بالتعرض في الحياء عن النبي ص لقد عجبت من يوسف وكرمه والله يغفر له حين سئل عن البقرات الجفاف والسمان ولو كنت مكانه لقلت حبس ان اخرجوني ولقد عجبت منه حين اتاه الرسول فقال ارجع الى ربك ولو كنت مكانه ولبثت في السجن ما لبث لاسرعت الاجابة وبادرتهم الباب لما ابتغيت العذر ان كان لحليما ذا اناة قال العلماء ان الذي علم يوسف هو الذي علم الانبياء بالحزم والعقل لانه لو خرج في الحال فربما بقي في قلب الملك من ذلك التهمة ثم لعل الحساد يتسلقون بذلك الى تقبيح امره عنده وفي هذا الثاني والتثبت تلاف لما صدر منه في قوله للذي ظن انه ناج منهما اذكرني عند ربك قال الملك بعد احضار النسوة ما خطبكن ما شانكن العظيم اذ راودتن يوسف هل وجدتن منه مثلا ليكن اوالى ذلك اقبل الخبر لزليخا والجمع للتعظيم وقيل لها وحدها لانها كانت جميعا لانه كل واحدة منهن راودت يوسف لنفسها او لاجل امرأة العزيز قلن حاش لله تنجبا من عفته وتزاهده قالت امرأة العزيز حين عرفت ان لا بد من الاعتراف الان حصحص الحق وضح وانكشف وتمكن في القلوب من قولهم حصحص البعير اذا القى ثفناته للاناخة والاستقرار على الارض وقال الزجاج اشتقاقه من الحصة اي بانت حصة الحق من حصة الباطل اما قوله سبحانه ذلك ليعلم الى تمام الاربعين ففيه قولان الاول وعليه الاكثرون انه حكاية قول يوسف قال للقراء ولا يبعد وصل كلام انسان بكلام انسان اخر اذا دلت القرينة الصارفة لكل منهما الى ما يليق به والاشارة الى الحادثة الحاضرة بقوله ذلك لاجل التعظيم والمراد ما ذكر من رد الرسول والتثبت في اظهار البراءة وعن ابن عباس انه لما دخل على الملك قال ذلك الا اظهر انه قال ذلك في السجن عند عود الرسول اليه ومحل الغيب نصب على الحال من الفاعل اي وانا غايب عنه او من المفعول اي وهو غايب عني او على الظرف اي بمكان الغيب وهو الاستتار وراء الابواب المغلقة قيل هذه كلمة لو وقعت تحت الحواس فكيف قال ذلك ليعلم الملك واجيب بانه اذا خان وزير فقد خان الملك من بعض الوجوه واراد ليعلم الله ان المعصية خيانة والمراد ليعلم الملك انه لم اخن العزيز او ليعلم العزيز انه لم اخنه وليعلم ان الله لا يهدي كيد الخائنين لا ينفذه ولا يسدده وفيه تعريض بامرأة الخائنة وبالعزيز حين ساعدها بعد ظهور الآيات على حبسه فكانه خان حكم الله وفيه تاكيد لما شهد لنفسه ولا خيانة اشد من كيد الله ولا يخفى ان هذه الكلمات من يوسف مع الشهادة الجازمة والاعتراف الصريح من امرأة دليل على نزاهة يوسف عن كل سوء قال اهل التحقيق انما راى حرف استدراك في قوله ما بال النسوة اللاتي دون ان يقول ما بال زليخا اراد ان يكافيه على هذا الفعل الحسن والجرم ازال العطاء واعترف بان الذنب كله منها فنظره بالحكمي ان امرأة جائت بزوجها الى القاضي وادعت عليه العجز فامر القاضي بان يكشف عن وجهها حتى يتمكن الشهود من اداء الشهادة فقال الزوج لا حاجة الى ذلك فاني مقر بصدقها في دعواها فقالت المرأة لما



اكرمني الى هذا الحد فاشهد والى ابرات دعنه من كل حق في عليه ولما كان قول يوسف ذلك لتعلم جاريا مجرى تزكية النفس على الاطلاق وفعله الواقعة وقد قال نعم فلا تزكوا انفسكم اتبع ذلك قوله وما ابرئ نفسي ان النفس امارة بالسوء مبالغة الى الفباح راغبة في المعاصي وفيه ان نزل ذلك الجناية بها كان حظ النفس وشرها ولكن كان بتوفيق الله تعم وتسهيله وصرفه الا ما رحم ربي بالعصمة كالملائكة او المراد انها امارة بالسوء في كل وقت او ان الاوقت رحمة ربي او الاستثناء منقطع اي ولكن رحمة ربي هي التي تصرف الاساءة القول الثاني انه حكاية قول المراة لا يوسف ما كان حاضرا في ذلك المجلس والمعنى وان كنت احلت عليك الذنب عند حضوره ولكنه ما احلته عليك في غيبته حين كان في السجن وان الله لا يهدي كيد الخائنين فيفضحهم ويظهر خيانتهم فلما اقدمت على المكر فلا جرم طهره الله سبحانه وما ابرئ نفسي من الخيانة مطلقا فاني قد خنته حين فلت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن او عذاب اليم ثم انها اعتذرت عما كان منها فقالت ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي كنفس يوسف ان ربي لغفور رحيم استغفرت ربها واسترحمته مما ارتكبت قال المحققون النفس الانسانية شيء واحد فاذا مالت الى العالم العلوي كانت مطمئنة واذا مالت الى العالم السفلي والى الشهوة والغضب سميت امارة وفي هذا في غلب حواسها الى العالم الحسي وفرارها فيه فالجوع اذا خلي وطباعها اتخذ بنا في هذه الحالة فلهذا قيل انها من حيث هي امارة بالسوء واذا كانت تتخذ بنزعة الى العالم العلوي وسمة الى العالم السفلي سميت لوامة ومنهم من زعم ان النفس المطمئنة هي الناطقة العلوية والنفس الامارة منطبعة في البدن تحمله على الشهوة والغضب وسائر الاخلاق الرديئة ويستكف لاشارة بقوله الا ما رحم ربي ظاهره لانه دل على ان صرف النفس عن السوء بخلق الله وتكوينه وحمل المعتزلة على منع الالطاف والله اعلم بالحقائق بالتاويل لما ادخل يوسف الى قلب سجن الشريعة دخل غلمان لملك الروح هما النفس والبدن فان الروح العلوي لا يعمل عملا في السفل الدنيوي الا من شراب النفس فهي صاحب شرابه والبدن يجني من الاعمال الصالحة ما يصلح لغذاء الروح فان الروح لا يبقى الا بغذاء روحاني كما ان الجسم لا يبقى الا بغذاء جثماني وانما حبسا في سجن الشريعة لانهما متهمان بجعل سم الهوى والمعصية في شراب ملك الروح طعامه وفي دوائه اهماده لانه على انهما من الدنيا واهل الدنيا نيام فاذا ماتوا انتبهوا انا نريك من المحسنين الذين يعبدون الله عيانا وشهودا الى ان تركت ملة قوم فيها اشارة الى ان القلب مهما زكت ملة النفس الهوى والطبيعة علم الله علم الحقيقة اما احدكما فيسقي ربه اي سيده بافداح المعاملات والمجاهدات شراب المكشوف المشاهدات وهي بانية في حضرة ملك الروح ابدا واما الاخر وهو البدن فيصلب يخبل الموت فياكل طير اعوان ملك الموت من راسه الخبايا الان الفاسدة قضي الامر الذي فيه تستفتيان يعني ان القلب المسجون في بدن امر بالهام النفس بان تذكره المعاملات المستحسنة الشرعية عند الروح ليسقوي بها الروح وينبه عن نوم الغفلة الناشئة من الحواس الخمس ويسعى في استخلاص القلب عن اثر الصفات البشرية بالمعاملات الروحانية مستمدا من الالطاف الربانية ثم ان الشيطان بوساوسه سحاب النفس اثرا لهاما القلب والشيطان انسي القلب كالله حين استغاث النفس لتذكره عند الروح ولو استغاث بالله لخلصه في الحال فلبث في السجن بضع سنين اشارة الى الصفات البشرية السبع التي بها القلب محبوس وهي الحرص والبخل والشهوة والحسد والعداوة والغضب والكبر ثم رأى سبع بقرات سمان هن الصفات المذكورة ياكلهن سبع عجاف هن اضدادها وهي القناعة والسخاوة والعفة والغبطة والشفقة والحلم والتواضع يا ايها الملا يعني الاعضاء والجوارح والحواس والقوى افتوني في رايت في عجيب الملكوت وما نحن بتاويل الاحلام اي ليس التصرف في الملكوت وشواهدها من شانها فارسلون فيه ان النفس اذا اراد ان تعلم شيئا مما يجري في الملكوت ترجع بقوة المتفكرة الى القلب فتخبره فالقلب ترجمان بين الروحانيات والنفس فيما يفهم من لسان القلب الغيب بها الصديق لانه مصدق فيما يراه من شواهد الحق ويصدق فيما يروي الخلق ما كذب الفؤاد ما راى حدثني قلبي عن ربي قال الكشاف ارجع الى الناس اي الى الاحياء الانسانية تزرعون سبع سنين اشارة الى تربية الصفات البشرية السبع بالعادة والطبيعة في اوان الطفولية فذروه في سنبله اي ما حصلتم من هذه الصفات فذروه في اماكنه ولا تشغلوه الا قليلا مما تعيشون به الى اوان البلوغ وظهور نور العقل ومصباح السر في زجاجة القلب كوكب دري ثم اذا بدا نور القلب العقل بانوار تكاليف الشرع وشرف بالهام الحق في اظهار فجور النفس وتقويها فيزكيها عن هذه الصفات ويجليها بالصفات الروحانية السبع فكما السبع العجاف كان السبع السمان وانما سمي ما هو من عالم الارواح عجافا للطافتها وما هو من عالم الاجسام سمانا لكثافتها كثيرا الا قليلا مما تحصن به الانسان جوعة قالبه ثم ياتي من بعد ذلك عام اي بعد غلبات الصفات البشرية تظهر مقام فيه يتدارك السالك حدثانيا بعد حدثان فيبرا العبد من معاملاته وينجو من حبس وجوده وحجبه انانيته ولما اخبر القلب بنور الله ما راه الروح في عالم الملكوت وتاوله استحق قرب الروح وصحبته فاسند عي حضوره على لسان رسول النفس فرده اليه وقال سله ما بال النسوة لان الاوصاف الانسانية لما رات جمال القلب المنور بنور الله قطعن ايديهن من ملاذ الدنيا وشهواتها واثرن استعادة الاخروية على الشهوات الفانية ليعلم ان لم اخنه بالغيب اي القلب المنظور بنظر العناية لما غاب عن حضرة الروح لاشتغاله بتربية النفس والقالب ما خانه بالانقطاع الى الدنيا ونعيمها وان الله لا يهدي كيد الخائنين الذين يبيعون الدين بالدنيا ثم قال الاظهار العجز عن نفسه وللتفضل من ربه وما ابرئ نفسي ان النفس جبلت على الامارية ولكن اذا رحمها ربها بقلبها وغيرها فاذا انتفس صبح الهداية صارت لوامة نادمة على فعلها والندم توبة واذا طلعت شمس العناية وصارت ملهمة فالهمها فجورها وتقويها واذا بلغت التمس العناية وسط سماء الهداية اشرقت الارض بنور ربها وصارت النفس مطمئنة مستعدة للجذبة ارجعي الى ربك راضية

مرضية ان ربك غفور رحيم لنفس تابت ورجعت اليه رحيم لمن احسن ظاعته وعبادته والله حسبنا ونعم الوكيل وقال الملك ائتوني به
استخلصه لنفسي فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين امين قال اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم وكذلك مكنا
ليوسف في الارض يتبوء منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع اجر المحسنين ولاجر الاخرة خير للذين امنوا يتقون
وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون ولما جهزهم بجهازهم قال ائتوني باخ لكم من ابيكم الا ترون اني اوفي
الكيل وانا خير المنزلين فان لم تاتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون قالوا سنراود عنه اباه وانا لفاعلون وقال لفتيانه
اجعلوا بضاعتهم في رحالهم لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا الى اهلهم لعلهم يرجعون فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابانا منع منا الكيل
فارسل معنا اخانا نكتل وانا له لحافظون قال هل امنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه من قبل فالله خير حافظا وهو ارحم الراحمين
ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم قالوا يا ابانا ما نبغي هذه بضاعتنا ردت الينا ونمير اهلنا ونحفظ اخانا ونزداد
كيل بعير ذلك كيل يسير قال لن ارسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله لتاتنني به الا ان يحاط بكم فلما اتوه موثقهم قال الله
على ما نقول وكيل وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة وما اغني عنكم من الله من شيء ان الحكم الا لله عليه توكلت
وعليه فليتوكل المتوكلون ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم ما كان يغني عنهم من الله من شيء الا حاجة في نفس يعقوب قضيها وانه
لذو علم لما علمناه ولكن اكثر الناس لا يعلمون القراءة حيث شئتما بالنون ابن كثير الاخوين وابو بكر بالياء الغيبة الى او في بفتح ياء المتكلم نافع
غير اسمعيل لفتيانه اجعلوا بضاعتهم حافظا حمزة وعلي وخلف غير ابي بكر وحماد الباقون لفتيته خبر حفظا بكنل بياء الغيبة حمزة وعلي وخلف الباقون بالتاء
يؤتون بالياء في الحالين ابن كثير وسهل ويعقوب ووافق ابو عمرو وورش واسمعيل في الوصل الوقوف لنفسي امين الارض لانقطاع النظم مع اتصال
المعنى عليهم في الارض لاحتمال ما بعده الاستيناف والحال حيث شئتما يتبوأ منكرون من ابيكم لحق الاستفهام مع اتحاد القائل
المنزلين لا تقربون لفاعلون ترجعوا لحافظون من قبل لانها الاستفهام الى الاخبار حفظا الراحمين ايهم جواب لما ما ينفع الان ما بعده جملة مستأنفة
موضحة الاستفهامية فبإياء البناء لاحتمال العطف الاستيناف على نخير كيلا يسير بكم افاك الله قبل يبكت بين الفعل والاسم لان القائل يعقوب
لان الله سبحانه والاحسن يفرق بينهما بقوة التعلق لنا بلزوم الفصل بين القائل والمقول وكيل متعلق بما من شيء لله توكلت المتوكلون ابوهم
لان جواب للمحذوف اي سلموا باذن الله قضيها لا يعلمون التفسير الاظهر ان هذا الملك هو الريان لا العزيز لان قوله استخلصه لنفسي يدل على انه قبل
ذلك ما كان خالصا له وقد كان يوسف قبل ذلك للعزيز وفي قول يوسف اجعلني على خزائن الارض دلالة ايضا فانه طلب الاستخلاص لما به خاوص الشيء من
شوائب الاشتراك ومن عادة الملوك ان ينفردوا بالاشياء النفيسة روي ان جبريل دخل على يوسف في السجن وقال قال الله اجعلك ممن عندك فرجا
ومخرجا وارزقني من حيث لا احتسب فقبل الله دعاءه واظهر هذا السبب في خلاصه فجاءه الرسول وقال اجب الملك فخرج من السجن ودعا لاهله وكتب
على باب السجن هذا منازل البلوى وقبور الاحياء وشماتة الاعداء وتجربة الاصدقاء ثم اغتسل ونظف من درن السجن ولبس ثيابا جددا فلما دخل
على الملك قال اللهم اني اسئلك بخيرك من خيرك واعوذ بعزتك ان تفعل بي شرا ثم سلم عليه فلما كلمه احتمل ان يكون ضمير الفاعل ليوسف والملك
وهذا اولى لان مجالس الملوك لا تحسن ابتداء الكلام فيها لغيرهم روي ان الملك قال له ايها الصديق احب ان اسمع رؤياي منك قال رأيت سبع بقرات
في سنف لونهن واحد والحسن بمكان خروجهن ودخولهن وصف لسنابل وكان منها على الهيئة التي راها الملك بعينها فتعجب من وفور علمه وحدسه وكان قد علم
من حاله ما علم من زهده وعدم مساعدته في الخروج من السجن وقد وصف له الشراب من جهة في الطاعة والاحسان الى سكان السجن وصف عظم
اعتقاده فيه فعند ذلك قال انك اليوم لدينا مكين امين ويندرج في المكانة كمال القدرة والعلم اما القدرة فظاهرة واما العلم فلان كونه متمكنا
من افعال الخير موقوف على العلم بافعال الخير واضدادها وكونه امينا متفرع على كونه حكيما لانه لا يفعل الفعل الا لداعي الشهوة وانما يفعله لداعي الحكمة قال
المفسرون لما حكى يوسف رؤيا الملك وعبرها بين يديه قال له الملك فما ترى ايها الصديق قال ارشد ان تزرع في هذه السنين المخصبة زرعا كثيرا وتبني الخزائن
لاهراء وتجمع الطعام فيها فتبقى للخلق من النواحي ويمتار دون منك يجمع لك من الكنوز ما لم يجمع لاحد من قبلك فقال الملك ومن لي
بهذا الشغل فقال يوسف اجعلني على خزائن الارض اللام للعهد اي لي خزائن ارض مصر والخزائن جمع الخزانة وهي اسم للمكان الذي يخزن فيه الشيء
يحفظ اني حفيظ للامانات واعوان الخزائن علم بوجوه التصرف فيها على وجه الغبطة والمصلحة وقيل حفيظ لوجوه اياديكم عليم بوجوب مقابلتها بالطاعة
الشفقة فقال الواحدي هذا الطلب خطة منه وكانت عقوبة ان اخر عنه المفتاح عن ابن عباس ان النبي صلعم قال رحم الله اخي يوسف لولم يقل اجعلني
على خزائن الارض لاستعمله من ساعته لكنه لما قال ذلك اخره الله تعالى عنه سنة وقال خوف ان التصرف في امور الخلق كان واجبا عليه كان النبي يجب عليه رعاية
الاصلح لامته فيقدم الامكن وقد علم بالوحي انه سيحصل الخوف والفشل فاراد السعي فيما النفع الى المستحقين ودفع الضرر عنهم واذا علم النبي او العالم انه
لا سبيل الى دفع الظلم الا بتمكين الناس الا بالاستعانة من كافر او فاسق فله ان يستظهر به على ان يجاهد فقد زعم ان الملك كان قد اسلم وقيل كان الملك
يصدق بانه مكان في حكم التابع لا المتبوع ووصف نفسه بالحفظ والعلم على سبيل المبالغة لم يكن لاجل التمدح ولكن ليتوصل الى الغرض المذكور
وكذلك مثل ذلك للتقريب الاخاء من السجن مكنا ليوسف في الارض مصر وهي اربعون فرسخا في اربعين يتبوأ منها حيث يشاء تهوى وتشاء عن علي القارئين

يوسف

والمراد استقلاله بالتقلب والتصرف فيها بحيث لا ينازعه احد نصيب برحمتنا من نشاء فيه ان الكل من الله وبتيسيره وقالت المعتزلة ذلك لملكه المال بتمام الاسباب ورفعها الله صار ذلك كالها من قبل الله تعالى وعلقوا ايضا المشيئة بالحكمة ودعاية الاصلح والاشاعرة ناقشوا في هذا القيد ولا نضيع اجر المحسنين لان اضاعة الاجر يكون للعجز او للجهل او للبخل والكل ممتنع في صفته نعم ولاجر الاخرة خير من اجر الدنيا او خير في نفسه وفي قوله للذين امنوا وكانوا يتقون اشارة الى ان يوسف كان في الزمان السابق من المحسنين ومن المتقين ففيه دلالة على تزاهته يوسف من كل سوء قال سفيان بن عيينة المؤمن يثاب على حسناته في الدنيا والاخرة والفاجر يعجل له الخير في الدنيا وماله في الاخرة من خلاق وروي ان الملك توجه وختم بخاتمه وزاده بشيء ووضع له سريرا من ذهب كلها بالدر والياقوت فقال له اما السرير فاشتد به ملكا واما الخاتم فادبر به امرك واما التاج فلبس من لباسي ولا لباس باقي فقال قد وضعته للتجلا لا لك واقرار بفضلك فجلس على السرير وداناه الملوك وفوض الملك اليه امره وعزله فطهر ثم مات بعد تزوجه الملك امه فلما دخل عليها قال الملك ليس هذا خيرا مما طلبت في جدها عذراء فولدت له ولدين افرائيم ومنشا واقام العدل بمصر واسلم على يديه الملك وكثير من الناس وبلغ من اهل مصر نحو الف الطعام بالدنانير والدراهم في السنة الاولى حتى لم يبق معهم شيء منها ثم بالحلي والجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم بالرقيق حتى استرقهم جميعا فقالوا والله ما رأينا كاليوم ملكا اجل ولا اعظم منه فقال الملك كيف رأيت صنع الله بي فيما خولني من ارضه قال الرأي رأيك قال فاني اشهدك اني قد اعتقت اهل مصر عن اخرهم وردت عليهم املاكهم وكان لا يبيع من احد من المنارين اكثر من حمل بعير يقسطها بين الناس واصاب ارض كنعان وبلاد الشام نحوا مما اصاب مصر فارسل يعقوب بنيه لميرة وقد ذلك قوله سبحانه وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون لم يعرفوه لان طول العهد بنسيان والاعتقاد هم انه قد هلك او لانها عن اوهامهم حين فارقوه صبيا بعد راهم مكدودة ثم راوه ملكا مهيبا جالسا على السرير في زي الفراعنة ويحتمل ان يكون بينه وبينهم مسافة وما وقفوا الا حيث يقف طلاب الحوائج وانما عرفهم لان اثر تغيير الهيئات عليهم كان اقل لانه فارقهم وهم رجال ولم يغيروا نيتهم عما هو عادتهم ولان همته كانت معقودة بهم يعرفهم ويحتمل ان يكون عرفهم بالوحي وعن الحسن ما عرفهم حتى اعترفوا له ولما جهزهم بجهازهم هو ما يحتاج اليه في كل باب من ضم جهاز العروس الميت قال الليث جهزت القوم تجهيزا اذا تكلفت لهم جهاز للسفر قال وسمعت اهل البصرة يجعلون الجهاز بالكسر قال الازهري الفراء كلهم على فتح الجيم والكسر لغة جيدة قال ائتوني باخ لكم من ابيكم قال العلماء لابد من كلام يجر هذا الكلام فروي انه لما راهم وكلموا بالعبرانية قال لهم من انتم وما شانكم فانكر وا قالوا نحن قوم من اهل الشام رعاة اصابنا الجهد وجئنا نمتار فقال لعلكم جئتم عيونا قالوا معاذ الله نحن اخوة بنو اب واحد وهو شيخ صديق نبي من الانبياء اسمه يعقوب قال كم انتم قالوا كنا اثني عشر فهلك منا واحد فقال فكم انتم ههنا قالوا عشرة قال فاين الاخ الحادي عشر قالوا هو عند ابيه يتسلى به عن الهالك قال لتجيئني به لكم انكم لستم بعيون قالوا انا بلاد لا يعرفنا احد فاقدموا بعضكم عندنا وائتوني باخيكم من ابيكم يحمل رسالتكم فمن ابيكم يحمل رسالتكم حتى اصدقكم فاقترعوا بينهم فاصابت القرعة شمعون وكان احسنهم رايا في يوسف فحلفوه عندوه وقيل كانوا عشرة فاعطاهم عشرة احمال فقالوا ان لنا شيخا كبيرا واخا اخر بقي معه ولا بد لهما من حمل من جهازنا فاستدل الملك بهذا على براءة ساحتهم عن ريبة وكونهم اتقياء في الحال والادب فاستدعى منهم احضاره وقيل لعلهم اذكروا ابا هم قال يوسف فلم تكتموه وجدا فريدا فقالوا بل بقي عند واحد فقال لهم لم خصصتموه بالمعنى لاجل نقص في جسده قالوا لا بل لزيادة محبته فقال ان ابا كم رجل عالم حكيم ثم اقترعتم بين المجتمع امكم فضلا ادبا فلا بد ان يكون هوا بد عليكم في الكمال والجمال فائتوني به لاشاهد هذا الاول قول المفسرين والاخوان يحتملان ولما طلب منهم احضاره الخ جمع لهم بين المرغب فيه لاول قوله الا ترون اني اوفي الكيل وانا خير المنزلين المضيفين وكان قد احسن ضيافتهم وزاد لكل من الاب الخ الغائب حملا والقتالي فان لم تاتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون مجزوم على النهي ولا تدخلون في حكم الجزاء كانه قيل فان لم تاتوني به تحرمون ولا تقربوا قالوا سنراود عنه اباه سنخادعه عنه ونحتاله حتى ينتزعه من يده وانا لفاعلون كل ما في وسعنا في هذا الباب ولقادرون على ذلك وقال لفتيانه ليجعلوا بضاعتهم في رحالهم وهما جمع فتى كالاخوان والاخوة في اخ فنعلة للقلة وفعلان لهذا العمل من الاسرار نوجب كتمانه عن اهل الكثرة وفعلان للكثرة ووجه الترغيب قال اجعلوا بضاعتهم في رحالهم والرحال عدد كثير وبناسبه الجم الغفير من الغلمان لكيما يرجعوا البضاعة ما قطع من المال للتجارة والرحال جمع رحل والمراد به ههنا ما يستصحبه الرجل معه من الاثاث والاكثرون على انه امر ليوسع بضاعتهم لرحالهم على وجه لا يعرفون به لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا الى اهلهم وفرغوا ظروفهم لعلهم يرجعون لعل معرفتهم بذلك يدعوهم الى الرجوع الينا وكانت بضاعتهم النعل والادم وقيل امر بوضعها على وجه عرفوها والمعنى لعلهم يعرفون حق ردتها اما السبب الذي لاجله امر يوسف بذلك فقيل ليعلموا كرم يوسف فيبعثهم ذلك على المعاودة وقيل خاف ان لا يكون عند ابيه من البضاعة ما يدعوهم الى الرجوع او اراد به التوسعة على ابيه لان الزمان كان زمان قحط او لان اخذ ثمن الطعام من اخوته لوم او اراد ان يرجعوا فيعرفوا سبب رده لانهم اولاد الانبياء فاحترز ان لا يكون ذلك على سبيل المعاوضة او اراد ان يحسن اليهم على وجه لا يلحقهم عيب لا منة فلا يثقل على ابيه ارسال اخيه وقيل يرجعون منعما لعلهم يردونها فلما رجعوا ابانا منع منا الكيل اراد واقول يوسف فان لم تاتوني به فلا كيل لكم لان انذار المنع ابلغ لانه المنع بوثيقة فزاده من قبل نكتل بالنون اي نرفع المانع ونأخذ من الطعام ما نحتاج اليه ويحتمل ان يراد بالمنع ما توهموا اذ طلبوا الطعام لابيهم والاخ المخلف فلعله منع من ذلك وتفوه بهذا الاحتمال قراءة الغيبة اي يكتل اخونا فنضم اليه اكيالا اخر لنا قال هل امنكم عليه الخ منعوا كونهم حافظين له فقال يعقوب لهم ذكرتم مثل هذا

الكلام

الزهيب

الكلام فى يوسف فهل يكون املى الان الاكاملى فيما قبل يعنى كما لم يحصل الامان وقتئذ فكذا الان والظاهر ان ههنا اضمارا والتقدير فتوكل على الله فيه ودفعه اليهم وقال فالله خير حافظا وهو ارحم الراحمين او حافظا نصب على التمييز واحتمل الثانى الحال يحوله درّه فارسا وهو ارحم الراحمين ارجوان لا يجمع على مصيبتين وقيل انه تذكر يوسف فقال والله خير حافظا اى ليوسف لانه كان يعلم انه حى ولما فتحوا امتاعهم هو عام فى كل ما يستمتع به ويجوز ان يراد به ههنا الطعام او الاداعنا ما قولهما ما نبغى فالبغى بمعنى الطلب ما نبغيه او استفهامية لمعنى ما نطلب شيئا وراء ما فعل بنا من الاحسان او ما نريد منك بضاعة اخرى او اى شئ نطلب وراء هذا استظهروا ببضاعة المردودة الينا وميرنا اهلنا فى ذهوعنا الى الملك ونحفظ اخانا فلا يصيبه شئ مما نخافه ونزداد باستصحابه حمل بعير زائد على اوساقنا فاى شئ نبغى وراء هذا المبالغ ويجوز ان يكون البغى بمعنى الكذب والتزيد فى القول على ان ما نافية اى فما كذبنا فيما وصفنا لك من احسان الملك واكرامه وكانوا قالوا له انا قد صنا على خبر رجل وانزلنا واكرمنا كرامة لو كان رجلا من الملائكة ما يفعل بنا اكرمنا ثلاثة اكرامه قال فى الكشاف فعلى هذا التفسير لا يكون قوله ونمير معطوفا على معنى قوله هذه بضاعتنا وانما يكون قوله هذه بضاعتنا ابتداء كلام قدم قوله ونمير معطوفا على ما ينبغى او يكون كلاما مبتدأ اى وننبغى ان نمير كما يقول سعيت فى حاجة فلان ونجح وننبغى ان اسعى وجوز ان يراد ما ينبغى وما ننطق الا بالصواب فيما نشير به اليك من ارسال اخينا معنا ثم يهتوا كونهم مصيبين فى ايهامهم بقولهم هذه بضاعتنا نستظهر ونمير اهلنا الى اخره وقيل مادة اى طعام ذلك كيل بعير اى ذلك المكيل لاجلنا فليل زيدان بضاعتنا ليست بمقابلة ما نكال لاجل اخينا وقال مقاتل ذلك اشارة الى كيل بعير اى ذلك القدر سهل على الملك لا يضايقنا فيه ولا يطول مقامنا بسببه واختاره الزجاج وجوز فى الكشاف ان يكون هذا من كلام يعقوب يعنى ان حمل بعير شئ يسير لا يخاطر بمثله بالولد قال لن ارسله معكم حتى تؤتون موثقا تعطونى ما اوثق به من عند الله وهو الحلف لنا به يقال لا اراك ههنا الا ان تحاط بكم استثناء مفرغ من اعم العام فى المفعول وقد يقع مثل هذا الاستثناء فى الاثبات اذا استفاد المعنى نحو قرأت الا يوم كذا وان شئت قلت بالنفى لا يمتنع من الاتيان به لعلة من العلل الا لعلة واحدة هى ان يحاط بكم اى تهلكوا جميعا قالوا مجاهدا وتغلبوا فلم تطيقوا الاتيان به فانه ذلك على ما نقول من طلب الموثق واعطائه وكل مطلع رقيب فلما جمعوا المفسر اتمامهم ان يدخلوا من باب واحد خوفا عليهم من اصابة العين وههنا مقامان الاول ان الاصابة بالعين حق والاحاديث كثيرة من الامر بالاسترقاء منها ما روى ان رسول الله صلعم كان يعوذ الحسن والحسين فيقول اعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة اى جامعة لشر من لممه اذا جمعه والمراد علة تغير المزاج وعن عبادة بن الصامت قال دخلت على رسول الله صلعم فى اول النهار فرايته شديد الوجع ثم عدت اليه اخر النهار فرايته معافى فقال ان جبرئيل اتانى فرقانى وقال ارقيك بسم الله ارقيك من كل شئ يؤذيك من كل عين او حاسد الله يشفيك قال فافقت وروى انه دخل رسول الله صلعم بيت ام سلمة وعندها صبى يشتكى فقالوا يا رسول الله اصابته العين قال فلا استرقون له من العين حق ولو كان شئ يسبق القدر لسبقت العين القدر وقالت عائشة كان يامر العائن ان يتوضا ثم يغتسل منه المعين المقام الثانى فى الكشف عن حقيقته قال الجاحظ تبتدئ العين اجزاء فيتصل بالشخص المستحسن فيؤثر فيه كتاثير السم والسقم واعراض الجبانى وغيره باثر لو كان كذلك لاثر فى غير المستحسن كتاثيره فى المستحسن واجيب بان المستحسن ان كان صديقا حصل للعائن عند ذلك الاستحسان خوف شديد من حصوله وعلى التقديرين فالروح الموجه يتصعد فى داخل القلب يحصل فى الروح الباصرة كيفية مسخنة مؤثرة فلهذا السبب امر النبى صلعم العائن بالوضوء ومن اصابته العين بالاغتسال منه وقال ابو هاشم وابو القاسم البلخى لا يمتنع ان صاحب العين اذا شاهد الشئ واعجب كانت المصلحة له فى تكليفه ان يغير الله ذلك الشخص حتى لا يبقى فى قلب المكلف معلقا به وقال الحكماء ليس شرط المؤثر ان يكون تاثيره بحسب هذه الكيفيات المحسوسة بل قد يكون التاثير نفسانيا محضا او وهميا كالماشى على الجذع او تصوريا كما فى الحركات البدنية وقد يكون للنفوس خواص عجيبة يتصرف فى غير بدنها بحسبها فهذا هو المعتبر فى الاصابة بالعين اما الجبانى وغيره ممن انكر العين فقد قالوا ان اولاد يعقوب اشتهروا بمصر وبحدث الناس بكمالهم وجمالهم وهيئتهم فلما امر يعقوب ان يخافهم الملك الاعظم على ملكه فيحبسهم وقيل انه كان عالما بان ملك الموت لا يتمكن من قبض روحه الا ان الله تعالى سهل له ذلك باظهاره وكان غرضه ان يصل بنيامين اليه فى غيبتهم قاله ابراهيم النخعى واعلم ان العبد يجب عليه ان يسعى فى قضاء الحاجة بالقدرة ولكنه بعد السعى البليغ يجب ان يعلم ان كل ما يدخل فى الوجود هو بقضاء الله وقدره وان الحذر لا يغنى عن القدر فلهذا قال يعقوب وما اغنى عنكم من الله من شئ فقوله الاول مبنى على رعاية الاسباب الوسائط وقوله الثانى الى اخر الاية اشارة الى الحقيقة وتفويض الامر بالكلية الى مسبب الاسباب وقد صدق الله تعالى فى ذلك بقوله ما كان يغنى عنهم من الله من شئ قال ابن عباس ما كان ذلك التفرق يرد قضاء الله تعالى وقال الزجاج وابن الانبارى لو سبق فى علم الله ان العين يهلكهم عند الاجتماع لكان تفرقهم كاجتماعهم وقال الخرون ما كان يغنى عنهم راى يعقوب شيئا فاصابهم ما اصابهم مع تفرقهم من اضافة الشركة واحد الاخ وتضاعف المصيبة على الاب لاحاجة استثناء منقطع اى ولكن حاجة فى نفس يعقوب قضيها وهى اظهار الشفقة والنصيحة والخوف من اصابة العين او من حسدهم مصر او من قصد الملك ثم مدحه الله تعالى بقوله وانه لذو علم يعنى علم بان الحذر لا ينجى من القدر واشار الى كونه عاملا بعلمه ولكن اكثر الناس لا يعلمون مثل علم يعقوب او لا يعلمون ان يعقوب بهذه الصفة فى العلم وقيل المراد باكثر الناس المشركون لا يعلمون ان الله تعالى كيف يشاء ولجاءه الى العلوم التى ينفعهم فى الدنيا والاخرة الثانى لما بين الملك الاول ان يوسف قد رد بضاعته واستعد لدفع الاصر عن نفسه وصفا البشير ليكون خالصا له فى كشف حقائق الاشياء واعلم انه خلق جميع دواعيهم لكذب وحسدهم بنيه

كما قال النبي ﷺ ان في جسد بني ادم مضغة ان صلحت صلح بصلاحها سائر الجسد وان فسدت فسد بفسادها سائر الجسد الا وهي القلب فخص القلب بالذكر دون سائر المخلوقات وقال سبحانه لا يسعني ارضي ولا سمائي وانما يسعني قلب عبدي المؤمن اجعلني على خزائن ارضي الجسد فان الله تعالى في كل عضو من الاعضاء خزائن من اللطف ان استعمله الانسان فيما خلق ذلك العضو لاجله وخزائنه من القهر ان استعمله في ضده الى حفظ الخزائن عليهم باستعمالها فيما ينفعها دون ما يضرها فضرب برحمته فيه ان اصابة اللطف من مالك الخزائن دون القهر موكولة الى مشيئة الله تعالى وجاء اخوة يوسف وهم الاوصاف البشرية فعرفهم يوسف القلب لكن لم ينظر نور الله وهم له منكرون لبقائهم في الظلمة وحرمانهم عن النور ولما جهزهم بجهازهم اشترط ان يوسف القلب لما التجأ اليه الاوصاف البشرية بدل صفاتها الدنية منها النفسانية بالصفات المحمدة الروحانية فاستدعى منهم احضار بنيامين من السر لان السر لا يحضر مع القلب الا بعد التبديل المذكور واذا حضر معه بوفي باوفى الكيل ما ليوفي الاوصاف البشرية اجعلوا بضاعتهم في رحالهم فيه ان بضاعتهم كل عمل من الاعمال البدنية التي يجيء بها الاوصاف البشرية الى حضرة يوسف مردودة اليها لان القلب مستغن عنها وانما الاوصاف البشرية محتاجة اليها لان النفس بنار ربي تزكى بها كما قال تعالى ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان تربية القلب بالاعمال القلبية كالنبات الصالح ولهذا قال صلى الله عليه وسلم خير من عمل دكا العزائم الخالصة والاخلاق المحمدة والتوكل والاخلاص ثم قال كمال تربية القلب بالتخلية وبالتحلي بصفات الحق وصفاته فانه لعلهم يرجعون من صفة الامارية الى المأمورية والاطمئنان فيستحي بحدثنا ارجعي الى ربك ردت لبنا فوائد ما ترجع الى يوسف القلب ثم ارهلنا الاعضاء والجوارح تحصل لهم قوة زائدة على الطاعة بواسطة رسوخ الملكة له وحفظا احانا من الحوادث النفسانية والوساوس الشيطانية وتزداد بواسطة حضور السر عند القلب كمثل بعير من الفوائد الربانية ذلك كمثل بشر الله لنا نتمتع به مع الفوائد الربانية الا ان يحاط بكم ان يغالب عليكم الاحكام الازلية لانا خلوا من باب حد لا نشعر هو الى القلب بنوع واحد من المعاملات فلا استبداد مدخل في التقريب لان الكل موكول الى مسبب الاسباب ولما دخلوا على يوسف وفي اليد اخاه قال اني انا اخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل اخيه ثم اذن مؤذن ايتها العير انكم لسارقون قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون قالوا نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير وانا به زعيم قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين قالوا فما جزاؤه ان كنتم كاذبين قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه كذلك نجزي الظالمين فبدأ باوعيتهم قبل وعاء اخيه ثم استخرجها من وعاء اخيه كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك الا ان يشاء الله نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم قالوا ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل فاسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم قال انتم شر مكانا والله اعلم بما تصفون قالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا فخذ احدنا مكانه انا نراك من المحسنين قال معاذ الله ان ناخذ الا من وجدنا متاعنا عنده انا اذا لظالمون فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا قال كبيرهم الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف فلن ابرح الارض حتى ياذن لي ابي او يحكم الله لي وهو خير الحاكمين ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق وما شهدنا الا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين واسئل القرية التي كنا فيها والعير التي اقبلنا فيها وانا لصادقون قال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل عسى الله ان ياتيني بهم جميعا انه هو العليم الحكيم القراءة الى انا اخوك بفتح الباء ابو عمرو وابو جعفر ونافع ورفع درجات من نشاء بالاضافة وبنا الغيبة في الفعلين سهل ويعقوب بالنون وبالتنوين عاصم وحمزة وعلي وخلف بالنون وعلى الاضافة فلما استياسوا وابابا بالالف ثم الباء ابو بكر عن البرجمي وحمزة في الوقف ان شاء لين الهمزة بالقلب ثم همزة على الاصل الى يفتح الباء فيهما ابو جعفر ونافع وابو عمرو وقنبل من كثير الى الوقوف يعلمون لسارقون يفقدون زعيم سارقين كاذبين فهو جزاؤه الظالمين من وعاء اخيه ليوسف شاء الله لان ما بعده مستانف لشاط علمهم من قبل مكانا تصفون مكانة الثلثة لانقطاع النظم مع اتصال المعنى المحسنين عنده لتعلق اذا بما قبلها الظالمون نجيا ليوسف للابتداء بالتفي مع فاء التعقيب بحكم الله لي لاحتمال ما بعد الابتداء او الحال الحاكمين سرق لانقطاع النظم مع اتحاد القائل حافظين انقلبنا فيها لاختلاف الجملتين في الابتداء بان لصادقون امرا جميلا جميعا الحكيم التفسير روي انهم لما توجهوا بابيهم بنيامين انزلهم واكرمهم ثم اضافهم واجلس كل اثنين منهم على مائدة وبقي بنيامين وحده فبكى وقال لو كان اخي يوسف حيا لاجلسني معه فقال يوسف بقي اخوكم وحيدا فاجلسه معه على مائدته ثم امر ان ينزل كل اثنين منهم بيتا وقال هذا لا ثالث له فانزلهم معه واواه اليه اي انزله في المنزل الذي كان يأوي اليه فبات يوسف يضم اليه بنيامين ويشم رائحته حتى اصبح ولما رأى تأسفه لاخ هلك قال له اتحب ان اكون اخاك بدل اخيك الهالك قال من يجد اخا مثلك لكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف فقام اليه وعانقه وقال اني انا اخوك قال وهب اراد اني اقوم لك مقام اخيك في الايناس وعدم التوحش وقال ابن عباس وسائر المفسرين اراد تعريف النسب لان ذلك اقوى في ازالة الوحشة ولا وجه لصرف اللفظ عن ظاهره من غير ضرورة فلا تبتئس افتعال من البؤس الشدة والضر اراد نهيه عن اجتلاب الحزن بما كانوا يعاملون من دواعي الحسد والاعمال المنكرة التي افعلوها عليها يروى ان بنيامين قال ليوسف انا لا افارقك فقال له يوسف قد علمت اغتمام والدي فاذا حبستك ازداد غمه ولا سبيل الى ذلك ولا سبيل الا بان اضيف الى صاع الملك بحسن قال انا اراض بما رضيت قال فاني ادس صاعي في رحلك ثم انادي عليك انك قد سرقته فذلك قوله سبحانه وتعالى

جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل اخيه والسقاية مشربة يسقى بها وهي الصواع كان يسقي بها الملك والدواب ثم جعلت صاعا يكال به وكان مستطيلا من ذهب وفضة مموهة بالذهب ومرصعا بالجواهر قوله ثم اذن مؤذن نادى منادي ومؤذنه راجع الى الايذان والاعلام الا ان التشديد يفيد التكثير والتصويب الدعاء ايتها العير اراد اصحاب العير كقوله صد بالفيل الله اركبي العير الابل التي عليها الاحمال الاطعمة نعير اهلنا ذهب يحيى قيل هي قافلة الحمير كالتجارة جمع حبر واصلها فتح السين كسقف فابدلت الفتحة كسرة لاجل الباء كما في عنب ثم كثر في الاستعمال حتى قيل لكل قافلة عير وبينا سؤال وهو انه كيف جاز لنبي الله ان يرضى بنسبة قوم الى السرقة وهم برآء واجاب العلماء بانهم فعلوا ذلك من عند انفسهم لانهم لما لم يجدوا السقاية غلب على ظنونهم انهم اخذوها او المؤذن ذكر ما ذكر على سبيل الاستفهام او المراد انهم سرقوا يوسف عليه السلام من ابيهم او المراد ان فيكم سارقا وهو الاخ الذي دعى اليه هنا فلا ذنب لان الخصم رضي بان يؤخذ بحقه ذلك ثم ان اخوة يوسف قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون قالوا نفقد صواع الملك قيل صواع اسم للصاع والسقاية ولمن جاء بها اي بالصواع حمل بعير من طعام جعلا لمن حصله وانا به زعيم كفيل هو من قول المؤذن وفيه ان الكفالة كانت صحيحة في شرعهم ايضا اذا كان معلوما فكان حمل بعير كان عندهم شيئا معلوما كوسق مثلا الا ان هذه كفالة المال لو تالسرقة وهو كفالة بما لم يجب لانه لاجل للسارق ان يأخذ شيئا على رد السرقة ولعل مثل هذه الكفالة كانت تقع عندهم قالوا تالله الناء مبدل من الواو وضعفت عن التصرف في سائر الاسماء وجعلت فيها هو الحق بالقسم وهو اسم الله عز وجل حلفوا على امرين معجبين احدهما انهم علموا ان اخوة يوسف ما جاؤا لاجل الفساد في الارض بالنهب والغصب ونحو ذلك حتى رووا انهم يخلوا اوانيه ودوابهم مشدودة خوفا من ان يتناول زرعا او طعاما لاحد في الطرق والاسواق وكانوا مواظبين على انواع الطاعات ورد المظالم حتى حكى انهم ردوا بضاعتهم التي وجدوها في رحالهم وثانيهما انهم ما وصفوا قط بالسرقة فالوا اي اصحاب يوسف فما جزاؤه قال في الكشاف الضمير للصواع والمضاف محذوف اي فما جزاء سرقته ان كنتم من الكاذبين في مجيئكم وادعائكم البراءة قلت ويحتمل ان يعود الى السارق وكان حكم السارق في ال يعقوب ان يسترق سنة فلذلك استفتوا في الجزاء حتى قالوا جزاؤه من وجد في رحله اي جزاء السرق قال الزجاج وقوله فهو جزاؤه زيادة في البيان اي فاخذ السارق نفسه هو جزاؤه لا غير كما يقول حق السارق القطع جزاؤه للتقرير ما ذكر من استحقاقه ويجوز ان يكون مبتدا وما في الكلام جاز شرطيته مرفوعة المحل بالجزئية على ان الاصل جزاؤه من وجد في رحله هو ليكون الضمير الثاني عائدا الى الاول لا الى من ولكنه وضع المظهر مقام المضمر للتأكيد والمبالغة ويجوز في الكشاف ان يكون جزاؤه خبر مبتدا محذوف اي المسؤول عنه جزاؤه ثم افتوا بقولهم من وجد في رحله فهو جزاؤه اما قوله كذلك اي مثل ذلك الجزاء نجزي الظالمين فيحتمل ان يكون من بقية كلام اصحاب يوسف الله اعلم ثم قال لهم المؤذن ومن معه لا بد من تفتيش اوعيتكم فانصرف بهم الى يوسف فبدأ باوعيتهم قبل وعاء اخيه لنفي التهمة والوعاء كل ما اذا وضع فيه شيء احاط به قال قتاده كان لا ينظر في وعاء الا استغفر الله ثلاثا تماما قد فهم به حتى اذا لم يبق الا اخوه قال ما اظن هذا اخذ شيئا فقالوا والله لا نتركه حتى ننظر في رحله فنظر ثم استخرجها اي استفهاما او الصواع لانه يذكر ويؤنث من وعاء اخيه فاخذ وابرقبته وحملوا برقبته ثم قال سبحانه كذلك اي مثل ذلك الكيد العظيم كدنا ليوسف يعني علمناه واوحينا اليه والكيد مبدأه السعي في الحيلة والخديعة ويضاف الى الله تعالى والى الانسان من حيث لا يشعر في امر مكروه لا سبيل له دفعه وقد سبق فيما تقدم ان امثال هذه الالفاظ في حقه تعالى محمولة على انها بانات لا على البدايات وما هذا الكيد قبل هو ان اخوة يوسف سعوا في ابطال امره والله تعالى نصره وقواه وقيل الكيد يستعمل في الخير ايضا المعنى افعلنا ليوسف من الاحسان البدايات وفعلنا به ابتداء وقيل تفسير هذا الكيد هو قوله ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك لان حكم الملك في السارق ان يضرب ويغرم مثلي ما سرق فما كان يوسف قادرا على حبس اخيه عليه بناء على دين الملك حكم ومكنه الا ان يشاء الله هو ان الله كاد له فاجرى على لسان اخوته ان جزاء السارق هو الاسترقاق حتى يتوصل بذلك الى اخذ اخيه وحكم هذا الكيد حكم الحيل الشرعية التي يتوصل بها الى بعض الاغراض الدينية والدنيوية ثم مدحه على الهداية الى هذه الحيلة كما مدح ابراهيم على ما حكي عنه من الاتل التوحيد والبراءة من الشرك بقوله لا كوكب ثم القمر ثم الشمس فقال نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم فوقه ارفع درجة منه في علمه ثم ان اطلاق علم الله تعالى انه ذو علم كان هذا العلم مخصوصا لانه لا عليم فوقه وان قبل انه عالم بكل علم كما يقوله بعض المعتزلة كان النص نافيا على عمومه وان قلنا ان الكل يعني المجموع كان المعنى وفوق جميع العلماء عليهم هم درجة في العلم وهو الله تعالى والميل الى هذا التفسير لان قوله ذو علم مشعر بكون علمه زائدا على حقيقته ووصف غير الله في هذا البحث طول وفي الزمن كفاية يروى انهم لما استخرجوا الصاع من رحل بنيامين نكس اخوته رؤوسهم خجلا واقبلوا عليه قالوا له ماذا الذي صنعت فضحتنا وسودت وجوهنا يا بني الجبل ما يزال لنا منكم بلاء متى اخذت هذا الصاع فقال بنو راحيل هم الذين لا يزال منكم عليهم البلاء ذهبتم باخي فاهلكتموه ووضع هذا الصواع في رحلي الذي وضع البضاعة في رحالكم فعند ذلك قالوا ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل يعنون يوسف واختلف في ذلك السرقة فعن سعيد بن جبير ان جدة ابا امه كان يعبد الوثن فامر بان يسرق ذلك الوثان ويكسرها فلعله نزل عيادتها وقيل سرق عناقا من بيت وداجنه ودفعها الى مسكين وقيل كانت لابراهيم عليه السلام منطقة يتوارثها اكابر ولده فورثها اسحق ثم رفعت الى ابنه عمة يوسف فحضنت يوسف الى ان شب فاراد يعقوب ان ينتزعه منها وكانت تحبه حبا شديدا فاشتملت المنطقة على يوسف تحت ثيابه ثم زعمت انه قد سرقها وكان في شرعهم استرقاق السارق فوسلت بهذه الحيلة الى المساكة عند نفسها وقيل انهم كذبوا عليه بهتوه حسدا وغيظا فاسترها يوسف قال الزجاج وغيره الضمير يعود الى الكلمة والجملة كانه قيل فاسر الجملة في نفسه ولم يبدها لهم ثم فسرها بقوله قال انتم شر مكانا والمعنى انتم قلتم هذه الجملة على سبيل الخيبة

وطعن الفارسي في هذا الوجه فقال اي هذا النوع من الاضمار على شريطة التفسير غير مستعمل والحق ان القرآن حجة على غيره وقبل الضمير عائد الى الاجابة اي اتته اجابتهم في ذلك الوقت او وقت اخر وقيل يعود الى المقالة او السرقة اي لم يتبين يوسف تلك السرقة كيف وقعت انه ليس فيها ما يوجب الذم والعار وعن ابن عباس انه قال عوقب يوسف ثلاث مرات عوقب بالحبس لاجل همه بها وبالحبس الطويل لقوله اذكرني عند ربك وبقولهم فقد سرق اخ له من قبل لقوله انكم لسارقون ومعنى شرهم كما نا شر منزلة في السرق لانكم سرقتم اخاكم من ابيكم على التحقيق وقلتم اكله الذئب والله اعلم بالصحيح المراد انتم تعلمون اني لست بسارق في التحقيق ولا اخي والله اعلم بان الذي وصفتموه هل يوجب قالوا فان ابن عباس لما قال يوسف هذا القول غضب يهوذا وكان اذا غضب صاح لم يسمع صوته حامل الا وضعت وقام شعره على جلده فلا يسكن حتى يضع بعض ولد يعقوب يده عليه فقال لبعض اخوته اكفوني اسواق اهل مصر وانا اكفيكم الملك فقال يوسف لابن صغير له مسه فمسه فذهب غضبه وهم ان يصيح فركض يوسف برجله على الارض فزلزلت زلزلة شديدة وجد به فسقط فعند ذلك قالوا ايها العزيز ان له اباً شيخاً كبيراً في السن وفي القدر وهو احب اليه منا فخذ احدنا مكانه استعباداً او رهناً حتى نبعث لفداه اليك فلعل العفو او الفداء كان جايزاً ايضاً عندهم انا نراك من المحسنين اليك لو فعلت ذلك او نسألك المحسنين الينا بانواع الكرامة وردنا بضاعتنا الى رحالنا اوارادوا الاحسان الى اهل مصر حيث اعتقهم بعدما اشترى رقابهم بالطعام قال يوسف معاذ الله من ان نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده انا اذا اي اذا اخذنا غيره لظالمون في مذهبكم لان استعباد غير من وجد الصواع في رحله ظلم عندكم او اراد ان الله امرني واوحى الي باخذ بنيامين فلو اخذت غيره كنت عاملا بخلاف الوحي فلما استيأسوا منه حيث لم يقبل الشفاعة اي يئسوا والزيادة للمبالغة خلصوا اعتزلوا عن الناس خالصين لا يخالطهم غيرهم نجيا مصدر والمضاف محذوف اي ذوي نجوى والمراد انهم لتناجيهم في انفسهم لاشتياعهم لذلك فاعلهم فيه بجد واهتمام كما بقي رجل جور ورجال عدل او صفة لموصوف محذوف اي فوجا نجيا بمعنى منا جيا بعضهم لبعض كالعشير بمعنى المعاشر وفيهم كان شاجهم الجواب في تدبير امرهم على اي وجه يذهبون وماذا يقولون لابيهم في شان اخيهم فعند ذلك قال كبيرهم في السن وهو روبيل وفي القدر وهو شمعون لانه كان رئيسهم او في العقل والرأي وهو يهوذا او قوله الم تعلموا انا ان يكون فاصله اي من قبل هذا قصرتم في شان يوسف لم تفوا بعهدكم ايكم وامّا ان يكون مصدرية محله الرفع على الابتداء وخبره الظرف المقدر وهو من قبل تفريطكم اي وقع من قبل تقصيركم في حقه او النصب عطفا على مفعول الم تعلموا اخذ ابيكم عليكم موثقا وتفريطكم من قبل وامّا ان يكون موصولة بمعنى ومن قبل هذا ما فرطتموه في شان يوسف من الجناية فمحل يوسف الموصول الرفع او النصب على الوجهين فلن ابرح الارض فلن افارق ارض مصر حتى يأذن لي ابي في الانصراف او يحكم الله لي بالخروج منها او بالانصاف ومن اخذ اخي او بخلاصه من يده بسبب من الاسباب ثم انه بقي ذلك الكبير في مصر وقال لغيره من الاخوة ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق وما شهدنا عليه الا بما شاهدنا من استخراج الصواع من وعائه وما كنا للغيب حافظين اي ما علمنا انه يسرق حين اعطيناك الموثق فلا نجاهد ولا نحسن الفتاة وما علمنا انا اذا قلنا ان شرع بني اسرائيل هو ان السارق يؤخذ اخوه بذلك الحيلة ثم بالغوا في ازالة التهمة فقالوا واسئل القرية التي كنا فيها الاكثرون على انها مصر وقيل قرية على باب مصر وقع فيها التفتيش لما ارسل الى اهلها فسئلهم عن كنه القصة واسئل اصحاب العير التي اقبلنا فيها وكانوا قوما من كنعان من جيران يعقوب وقيل قوما من اهل صنعاء وقال ابن الانباري ان يعقوب كان من اكابر الانبياء فلا يبعد ان يحمل سؤال القرية على الخصيصة بان ينطق الله الجمادات لاجله معجزة فالمراد باسئل القرية والعير والجدران والحيطان فانها تخبرهم بصحة ما ذكرناه وقيل ان الشيء اذا ظهر ظهورا تاما فقد يؤمر بسؤال عنه السماء والارض وجميع الاشياء والمراد انه ليس للشك فيه مجال ثم زادوا في تاكيد نفي التهمة فقالوا وانا لصادقون وليس غرضهم اثبات صدقهم فان ذلك يجري مجرى اثبات الشيء بنفسه ولكن الانسان اذا ذكر الدليل القاطع على صحة الشيء فقد يقول بعده انا صادقون فتامل فيما ذكرته لك لتزول عنك الشكوك وهيهنا اضمار التقدير فرجعوا الى ابيهم فقالوا له ما قال لهم اخوهم فعند ذلك قال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل وقد مر تفسيره في اول السورة ولكن المفسرين زادوا شيئا اخر وقيل المراد انه خيل اليكم انه سرق وما سرق وقيل اراد سولت لكم انفسكم اخراج بنيامين والمصير الى مصر طلبا للمنفعة فعاد من ذلك شر وضرر والحكم على في ارسالكم معكم ولم تعلموا ان قضاء الله وما جاء على خلاف تقديره وقيل اراد فتواهم وتعليمهم والا فانا اردنا في ذلك الوقت ان السارق يؤخذ بسرقته واعترض على هذا الوجه بان كيف يجوز على يعقوب السعي في اخفاء حكم الله تعالى واجيب بان ذلك الحكم لعله كان مخصوصا بما اذا كان المسروق منه مسلما وكان الملك في ظن يعقوب كافرا والحال بلاؤه ومحنته علم بحسن الظن والرجاء انه سبحانه سيجعل له فرجا ومخرجا عما قريب ولعله علم بالوحي ان يوسف حي وكان بنيامين والكبير الذي قال فلن ابرح الارض قد بقيا في مصر فلذلك قال عسى الله ان ياتيني بهم اي بالثلثة الغائبين جميعا انه هو العليم بحالي الحكيم في كل ما يفعله من الابتلاء والابلاء الناويل لما دخل الاوصاف البشرية ومعهم السر على يوسف الطيب

كانه لم تعلموا ام

الصديق

اوحى القلب السر الذي لا تراه الحفظة بالمناسبة الروحانية فلا تتكلمون اذا وصلتم بما كانوا يتعاملون معك في سفارتي لان السر مهما كان رقيقا من قلب مقارنا للاوصاف كان محرما عن كمالات هو مستعدها فلما حضرهم جمع القلب لاوصاف بما يلائم احوالها جعل السقاية وهي مشربة كان منها شربي رحل اخيه لانهما تضيعا لبان واحد انكم لسارقون سرقتم ٢ الاول يوسف القلب شربه ٠ بثمن بخس من متاع الدنيا وشهواتها وسرقتم ٢ الاخر مشربة ليست مشاربكم وبينا ان من ارتع الشرب من مشارب الرجال وهو طفل يعد اخذ بالسرقة واسترد منه لين جاء به بحمل بعير من علف اللوم وترع الحيوانات لانه ليس مستحقا للشرب من مشارب الملوك لقد علمتم انا من المبعوثين المقبلين على يوسف القلب لا من بدو الانسانية في ارض الدنيا كما قالت الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها وما كنا سارقين اذ اخذنا يوسف القلب القينا في غيابت الحجب البشرية بل سبعناه ان ينال مملكة مصر المعبوبية ليكون عزيزا فيها ونحن اذ لاءاه لجزاءه من وجد في رحله اي لكل شارب مشرب ولكل شرب فدية فقد يتنا الشارب مشرب الاخوة الدنيا وشهواتها وقد يته الشارب من شرب المحبة بانزال الوجود كذلك نجزي الظالمين الذين وضعوا صواع الملك في غير موضعه طمعا في ان يكونوا حوب الملك وشربه كذلك كدنا ليوسف اي كما كاد الاوصاف البشرية في الابتداء يوسف القلب في جب البشرية كذلك كدنا لهم عند قسمة الاقوات من خزائن الملك فجعلنا اسمتهم من مراتع الحيوانات ياكلون كما تاكل الانعام وقسمنا بينهم من السر من مشربة الملك فوق كل ذي علم اتباعه علم التعقل عليم يجذبه من المصعد الذي يصعد اليه بالعلم المخلوق الى مصعد الايصعد اليه الا بالعلم القديم وهو السر في الله بالله الى الله وهذا صواع الاستعداد وعبية الانسانية ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل فيه اشارة الى الذي السر والقلب مع انهما مخصوصان بالحظوظ الاخروية والروحانية فانهما قابلان للاسرار فيما من الشهوات الدنيا وبها والنفسانية وما رات الاوصاف البشرية بغرة القلب وعرفت اختصاص البشرية اراد ان تفدي نفسها وسبلة الى يعقوب الروح فقالت نحذ احدنا مكانه قال معاذ الله ان ان نقبل بالصحبة والمخالطة الا من وجدنا متاعنا من الصدق والمحبة والاخلاص عنده اي لا يكون صحبتنا بالكراهية والنفاق وانما يكون بعلة المحبة فلما استيأسوا من صحبة القلب خلصوا عن الاوصاف الدنيئة قال كبيرهم وهو العقل الم تعلموا ان اباكم وهو الروح قد اخذ عليكم موثقا من الله يوم الميثاق الا تعبدوا الا الله فمن ابرح ارض فناء القلب هي الاصل والحاصل ان صفة العقل المخلص من الاوصاف البشرية خرجت عن اوامر النفس وتصرفاتها وصارت محكومة لاوامر الروح مستسلمة لاحكام الحق ارجعوا الى ابيكم الروح على اقدام العبودية وبذل الاجتهاد في ان ابناء سر في لانه وجد في رحله مشربة المحبة التي بها كمال الحب على وفقه وما كانا للغيبة حافظين عند ارتحالنا من الغيبة الى الشهادة حافظين لانه جعل السقاية في رحلة غيبنا واسئل القرية المكونة وارواح الابنية والابناء قال بل سولت لكم انفسكم تزيينات وللاوصاف البشرية خبايا لان بنا ذي لها بعقوب الروح لكن عليه ان يصبر على امضاء احكام الله وتنفيذ قضائه عسى الله ان يأتيني بهما ان مولدات الروح من القلب الاوصاف وغيرها وان تفرقوا وتباعدوا عن الروح في الجسد الانساني فان الله يجذبا الينا بجميعهم في مقعد صدق عند ملك مقتدر انه هو العليم بما في التفريق والجمع من الفوائد وتولى عنهم وقال يا اسفى على يوسف وابيضت عيناه من الحزن وهو كظيم قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف حتى تكون حرضا او تكون من الهالكين قال انما اشكو بثي وحزني الى الله واعلم من الله ما لا تعلمون يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه ولا تيأسوا من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون فلما دخلوا عليه قالوا يا ايها العزيز مسنا واهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فاوف لنا الكيل وتصدق علينا ان الله يجزي المتصدقين قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون قالوا ائنك لانت يوسف قال انا يوسف وهذا اخي قد من الله علينا انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين قالوا تالله لقد اثرك الله علينا وان كنا لخاطئين قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين اذهبوا بقميصي هذا فالقوه على وجه ابي يات بصيرا وائتوني باهلكم اجمعين فلما فصلت العير قال ابوهم اني لاجد ريح يوسف لولا ان تفندون قالوا تالله انك لفي ضلالك القديم فلما ان جاء البشير القاه على وجهه فارتد بصيرا قال الم اقل لكم اني اعلم من الله ما لا تعلمون قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين قال سوف استغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم فلما دخلوا على يوسف اوى اليه ابويه وقال ادخلوا مصر ان شاء الله امنين ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا وقال يا ابت هذا تاويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا وقد احسن بي اذ اخرجني من السجن وجاء بكم من البدو من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي ان ربي لطيف لما يشاء انه هو العليم الحكيم رب قد اتيتني من الملك وعلمتني من تاويل الاحاديث فاطر السموات والارض انت وليي في الدنيا والاخرة توفني مسلما والحقني بالصالحين القراءة مرجان بالامالة حمزة وعلي وخلف حق بفتح الباء ابو جعفر ونافع وابن عامر وابو عمرو قالوا انك على الخبر وعلى حذف حرف الاستفهام ابن كثير وبزيادة الف بعد همزتين عاصم وحمزة وعلي وخلف هشام بخلف بينهما مدة ابئنك بهمزة مكسورة بعدها ياء ساكنة نافع غير قالون وسهل وبعقوب غير زيد ابئنك بهمزة ممدودة ثم تاء ابو عمرو ورويس وقالون من طريق ابي نشيط بالياء في الحالين ابن مجاهد ابو عون عن قنبل الباقون بغير ياء اني اعلم بفتح الياء ابو جعفر ونافع وهشام وابن كثير وابو عمرو وبخلف عنه ورش بالفتح انه هو ابو جعفر وابو عمرو ادابا بالفتح انهم عند اخوني بفتح الياء انهما يزيد والبخاري عن ورش وقالون غير الحلواني والله اعلم الوقوف كظيم لا تعلمون لا تيأسوا من روح الله الكافرون وتصدق

يوسف

علينا المصدق بين جاهلون لانك يوسف اخي ونجيل التكرم مع اختلاف الجملتين على اشتراط الاحتمال انه ابتداء اخبار من الله وان كان من قول يوسف جاز الوقف لهم لاتحاد القائل مع الابتداء بان المحسنين لخاطبين الهبوط لاختلاف الجملتين نفيا واثباتا او خبرا ودعاء لكمال احتمال الاستيناف والحال وضح الزاجمين بان بصيرا لطول الكلام واعتراض الجواب مع اتفاق الجملتين اجمعين تفتدون القديم بصيرا لاحتمال ان يكون ما بعد جواب لما وقوله الفاه حالا باضمار قد ما لا تعلمون خاطبين اي لم تعلموا منين سجداج من قبل اتمام الجملة لفظا دون المعنى حقا لتمام بيان الجملة الاولى وابتداء جملة عظمى اخوتي لما يشاء الحكيم لاحاديث نحو حذف حرف النداء مع اتصال الكلام والاخراج لانقطاع النظم مع اتصال الثناء بالدعاء الصالحين التفسير لما سمع يعقوب وما سمع من حال ابنه ضاق قلبه جدا وتولى عنهم اي اعرض عن بنيه الذين جاؤا بالخبر وفارقهم وقال يا اسفى على يوسف الاسف اشد الحزن والالف فيه بدل من ياء الاضافة ونداء الاسف كنداء الويل وقد مر في المائدة والفاسق بين لفظ الاسف ويوسف لا يخفى حسنه وهو من الفصاحة اللفظية وكيف تاسف على يوسف دون اخيه ولا الذي اقام بمصر والاول احدث اشد الجواب لان الحزن الجديد يذكر العتيق والاسى يجلب الاسى ولان رزاياه يوسف كان اصل تلك الرزايا فكان الاسف عليه اسفا على الكل ولانه كان عالما بحزنه الاخوين دون حزنهم يوسف وابيضت عيناه من الحزن اي من البكاء الذي كان سبب الحزن قال الحكماء اذا كثر الاستعبار اوجب كدورة في سواد العين وربما كان سبب الحزن الى ان يذهب فتكون منها العمى لا بالام الطبقات ولا سيما الفرينة وانضباب الفضول الرديئة اليها قال مقاتل لم يبصر ست سنين حتى كشف الله تعالى بقميص يوسف وقال اخرون لم يبلغ حد العمى وكان يدرك ادراكا ضعيفا او المراد بالبياض غلبة البكاء كان العين ابيضت من بياض ذلك الماء روي انه لم يجف عين يعقوب من وقت فراق يوسف الى حين لقائه ثمانين عاما وما على وجه الارض اكرم على الله من يعقوب وعن رسول الله ﷺ انه سئل جبريل ما بلغ من وجد يعقوب على يوسف قال وجد سبعين ثكلى قال فما كان له من الاجر قال اجر مائة شهيد وما ساء ظنه بالله ساعة قط وقال ان جبريل عم دخل على يوسف حين ما كان في السجن فقال ان بصر اهلك ذهب الحزن عليك فوضع يوسف يده على راسه وقال ليت امي لم تلدني فلما اكرمني على ابي قال اكثر اهل اللغة الحزن والحزن لغتان بمعنى وقال بعضهم الحزن بالضم فالسكون ابكاء والحزن بفتحتين ضد الفرح وقد روي يونس عن ابي عمرو قال اذا كان في موضع النصب نحو اكقوله تولوا واعينهم تفيض من الدمع حزنا واذا كان في موضع الجر او الرفع ضموا كقولهم من الحزن وقوله انما اشكو بثي وحزني الى الله قال هو في موضع رفع بالابتداء قيل كيف جاز لنبي الله ان يبلغ به الجزع ذلك المبلغ واجيب بان المنهي من الجزع هو الصياح والنياحة وضرب الخد وشق الثوب لا البكاء ونفثة المصدور فلقد بكى رسول الله ﷺ على ولده ابرهيم وقال القلب يحزن والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب دانا عليك يا ابرهيم لمحزونون ومما يدل على ان يعقوب عم امسك لسانه عن النياحة وعما لا ينبغي قوله وهو كظيم فعيل بمعنى مفعول اي مملوء من الغيظ على اولاده من غير اظهار ما يسوءهم او مملوء من الحزن مع سد طريق نفثة المصدور ومن كظم السقاء اذا شده على ملاءه او بمعنى الفاعل اي الممسك لحزنه غير مظهر اياه والحاصل انه غرق ثلثة اعضاء شريفة منه في بحر المحنة فالسان كان مشغولا بذكر يا اسفا والعين كانت مستغرقة في البكاء والقلب كان مملوا من الحزن ومثل هذا اذا لم يكن بالاختيار لم يدخل تحت التكليف فلا يوجب العقاب روي ان ملك الموت دخل على يعقوب فقال له جئتني لتقبض قبل ان ارى حبيبي قال لا ولكن جئت لاحزن لحزنك واشجو لشجوك عن النبي ﷺ لم يعط امة من الامم انا لله وانا اليه راجعون عند المصيبة الا امة محمد الا ترى الى يعقوب حين اصابه ما اصابه لم يسترجع وانما قال يا اسفا وضعف هذه الرواية فخر الدين الرازي في تفسيره وقال من المحال ان لا يعرف امة من الامم ان الكل من الله وان الرجوع لا محالة اليه واقول هذا نوع من الكبائر فان منكر البعث والمعاد اكثر من حضيا الوادي على ان المراد من الاعطاء الارشاد الى هذا الذكر وخصوصا عند المصيبة وقد اخبر الله تعالى ان هذا انما خصت هذه الامة به والله اعلم فانوا الاظهر انهم لبسوا اولاده الذين تولى عنهم وانهم جماعة كانوا في الدار من جنده واولاد اولاده تالله تفتؤ اراد لا تفتؤ فحذف حرف النفي لعدم الالباس لعدم الالباس اذ لو كان اثباتا لم يكن بد من اللام والنون قال ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة اي لا تزال تذكر وعن مجاهد لا تفتر من حبه كانه جعل الفتور والفتوا خوان قال ابو زيد ما فتئت اذكره اي ما زلت لا تكلم به الا مع الجهد حتى تكون حرضا وصف بالمصدر للمبالغة والحرض نسا في الجسم لعقل الحزن والحب حتى يكون كالاحياء والاموات اراد وا انك تذكر يوسف بالحزن والبكاء عليه حتى تشفى على الهلاك او الهلاك فاجابهم بقوله انما اشكو بثي وحزني الى الله قال العلماء اذا استرسل الانسان حزنه كان هما واذا لم يقدر على اسراره فذكره لغيره كان ثبانا فالثبات اصعب انواع الاسر الانسان حزنه كان هما ولو لم يقدر على اسراره فذكره لغيره كان ثبانا فالثبات اصعب انواعهم الذي لا يصبر عليه صاحبه فبثه الى الناس فعنى الا بثاني الا اذكر الحزن القليل الا مع الله فالجا اليه ودعا له فخلوتي وشكايتي وهذا مقام العارفين الصدق يقين انتهاص اعوذ بك منك ويحتمل ان يكون هذا صغر قوله عنهم اي توليه عنهم الى الله والشكاية اليه بكى انه دخل على يعقوب جبل وقال له ضعف جسمك وتخفف بدنك وما بلغت سنا عاليا فقال الذي لكثرة غمومي فاوحى الله اليه يا يعقوب اتشكوني الى خلقي فقال يا رب خطيئة اخطانها فاغفرها لي فغفر له فكان بعد ذلك اذا سئل قال انما اشكو بثي وحزني الى الله وروي انه اوحى الى يعقوب ما وجدت اي غضبت عليكم لانكم ذبحتم شاة فقام بابكم مسكين فلم تطعموه وان احب خلقي الي الانبياء ثم المساكين فاصنع طعاما وادع عليه المساكين قيل اشترى جارية مع ولدها فباع ولدها فبكت حتى عميت واعلم ان حال يعقوب في ذلك الوقت

سديد ولا يم

كانت مختلفة فان كانت مستغرقة في بحار معرفة الله وناره كان يستولي عليه الحزن والاسف فلهذا كانت هذه الحادثة بالنسبة اليه
كالقاء ابرهيم في النار وكابتلاء اسحق بالذبح وكان شغل همهم بيوسف بغير اختيار منه وكذا اسف عليه عاد وعاتبوب على ذلك فان حسنات
الابرار سيئات المقربين وبالجملة كانت واقعة بعقوب امرا خارقا للعادة اراد الله تعالى بذلك ابتلاءه وتمادى اسفه وحزنه والا فمع غاية شهرته و
شدة محبته وقرب المسافة بينه وبين ابنه كيف خفي حال يوسف لم يبعث يوسف لم يسأل عنه رسولا بعد تملكه وقد تمر وازداد في حزن ابنه بمجلس
اخبر عنده اما قوله واعلم من الله ما لا تعلمون فمعناه اعلم من رحمته واحسانه ما لا تعلمون فارجوان يأتيني الفرج من حيث لا احتسب قيل انه راى ملك
الموت في المنام فقال له يا ملك الموت هل قبضت روح ابني يوسف قال لا يا نبي الله ثم اشار الى جانب مصر وقال اطلبه هيهنا وقيل انه كان قد زال
امارات الرشد والكمال في يوسف فعلم ان رؤياه صادقة لا يخطئ وقال السدي اخبره بنو بسير الملك وكمال حاله في الوالد واضافة فظن انه ابنه او
علم ان نبيا من الانبياء سيولد وسمع ان الملك اذا مات غلب على ظنه ان الملك هو يوسف فبعد وحي الله تعالى اليه انه سيلقى اويسقى ابنه ولكنه ما عين
الوقت فلذلك قال ما قال ثم دعا بنيه على سبيل التلطف فقال يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وهو طلب الشيء بالحاسة كالسمع والتبصر
مثله التحسس بالجيم وقد قرئ بهما وربما يخص الجيم بطلب الخير وضد الخير ولا تيأسوا من روح الله من فرجه وتنفيسه قرئ بالتاء اي من رحمته
التي يحيى بها العباد قال الاصمعي الروح ما يجده الانسان من نسيم الهواء فيسكن اليه والتركيب يدل على الحركة والطرفة فكل ما تطرب به وتلتذ
به فهو روح انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون لان هذا اليأس دليل على انه اعتقد ان الله تعالى غير قادر على كل المقدورات
او غير عالم بجميع المعلومات او ليس بجواد مطلق ولا حكيم لا يفعل العبث والبعث وكل واحد من هذه العقايد كفر فضلا عن جميعها اللهم انا
لا نيأس من روحك فان فعلت فانت اهلته ثم هيهنا اضمار والتقدير فتفلبوا وجاءوا بنيامين وعادوا الى مصر فلما دخلوا عليه قالوا يا ايها العزيز
اي الملك القادر المنيع مسنا واهلنا الضر الفقر والحاجة الى الطعام وعنوا باهلهم وجئنا ببضاعة مزجاة مدفوعة يدفعها كل تاجر عنها
من ارجئته اذا دفعته قال سيجانه الم تر ان الله يزجي سحابا ومنه قولهم فلان يزجي العيش اي يدفع الزمان بالقليل قال الكلبي هي من لغة
العجم وقيل لغة القبط والاصح انها عربية لوضوح اشتقاقها قيل كانت بضاعتهم الصوف والسمن وقيل الصنوبر وحبة الخضراء وقيل سويق المقل
وقيل دراهم زيوفا لا يوخذ الا بفضل لانها لم يكن عليها صورة يوسف كان معاهم مصر منقوش عليها صورته فاوف لنا الكيل الذي هو حقنا وتصدق
علينا واعلم انهم طلبوا المسامحة بما بين الثمنين وان يسعرلهم بالردي كما يسعر بالجيد فاختلف العلماء في انه هل كان ذلك منهم طلب الصدقة
فقال سفيان بن عيينة الصدقة كانت حلالا لا على الانبياء سوى محمد صلى الله عليه وسلم وقال اخرون اراد وا بالتصدق التفضل بالاغماض عن رداءة البضاعة
وبايفاء الكيل والصدقات محظورة على الانبياء كلهم وقوله ان الله يجزي المتصدقين يمكن تنزيله على القولين لان كل احسان ينبغي به وجه الله فان ذلك
لا يضيع عنده والصدقة العطية التي نرجو بها المثوبة عند الله ومن ثم لم يجوز العلماء ان يقول الله تعالى امنصدق واوالله تصدق علي بل يجب ان يقال
اللهم اعطني او تفضل علي او رحمني كان يعقوب رهم بالتحسس يوسف واخيه والتحسس يجب عليهما ان يوسف لما مطلوبا بجميع الطرق كما قبل الغريق
يتعلق بكل شيء قدروا بالعجز والاعتراف بضعف اليد واظهار الفاقة فرق الله تعالى قلبه وارفضت عبناه فعند ذلك قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف و
قيل لما ارادوا اليه كتاب يعقوب من يعقوب اسرائيل الله ابن اسحق ذبيح الله بن ابرهيم خليل الله الى عزيز مصر اما بعد فانا اهل بيت موكلنا البلاء اما جدي
فشدت يداه ورجلاه ورمي في النار ليحرق فنجاه الله تعالى وجعل النار عليه بردا وسلاما واما ابي فوضع السكين على قفاه ليقتل ففداه الله واما انا
فكان لي ابن وكان احب ولدي الي فذهبت اخوته الى البرية ثم اتوني بقميصه ملطخا بالدم وقالوا قد اكله الذئب فذهبت عيناي من بكائي ثم
كان لي ابن وكان اخاه من امه وكنت اتسلى به فذهبوا به ثم رجعوا وقالوا انه سرق وانا قد حبسته لذلك وانا اهل بيت لا نسرق ولا نلد السراق فان رددته
علي والا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك والسلم فلما قرأ يوسف الكتاب لم يتمالك وعبل صبر فقال لهم ذلك ورد ي انه لما قرأ الكتاب
بكى وكتب الجواب اصبر كما صبر ابوك وانتظر كما انتظر وا وقوله هل علمتم استفهام بقصد تعظيم الواقعة ومعناه ما اعظم الامر الذي ارتكبتم من يوسف وما اقبح ما اقدمتم
عليه كما يقول المذنب عند من عصيت وقد تصدق لقوله سيجاءه لتنبيتهم بامرهم هذا واما فعلهم بابيه فتعريضهم اياه للغم بافراده عن شبله وايهامه
وامره بذلك وهمله بالاحتقار والاهتضام وقوله اذ انتم جاهلون جار مجرى الاعتذار عنهم كانه قال انما اقدمتم على ذلك لفعل الغبي المنكر حال الحاكم
في اول الصبى وزمان الجهالة والعرة ازالة للخجالة عنهم فان مطية الجهل الشباب ونصحا لهم في الدين اي هل علمتم قبحه فتبتم لان العلم بالقبيح داع
الى التوبة غالبا فاثر كما هو عادة الانبياء حق الله على نفسه في المقام الذي يشفي الغيظ وينفث المصدور ويدرك ثارة المأثور وقيل انما انفع
العلم عنهم لانهم لم يعلموا بعلمهم ولما كلمهم بذلك قالوا انك لانت يوسف عرفوا بالخطاب الذي لا يصدر الا عن خيف مسلم من سنخ ابرهيم
او بتبسم عن ثغر فوه بثغاياه وكانت كاللؤلؤ المنظوم او برفع التاج عن راسه فنظروا الى علامة بقرنه يشبه الشابة البيضا كان ليعقوب وسارة مثلها قال
انا يوسف صرح بالاسم تعظيما لما جرى عليه من ظلم اخوته كانه قال انا الذي ظلمتموني على اشنع الوجوه والله اوصلني الى اعظم المناصب فاذلك الرافع
الذي قصدتم قتله ثم صرتم كافرون وطني فاقال وهذا اخي مع انهم كانوا يعرفونه لان مقصوده ان يقول وهذا يضر كان مظلوما كما كنت مظلوما
منعما علينا من الله وذلك يعرفونه لان مقصوده ان يقول وهذا يضر كان مظلوما فقوله قد من الله علينا اي بكل خير ديني واخروي او بالجمع بعد التفريق

من خلفهم

والاقط

يوسف

انه ان الشان من يتق عقاب الله ويصبر عن معاصيه وعلى طاعته فان الله لا يضيع اجر المحسنين اراد اجرهم فاكتفى بالمرتبط بالعموم ومن قرأ بثبتي بإثبات الياء فوجهه ان يجعل من بمعنى الذي يجوز على هذا الوجه ان يكون قوله ويصبر في موضع الرفع الا انه حذف الحركة للتخفيف اجراء المتماثلة وهذا لا يدل على براءة يوسف نزاهة جانبه عن كل سوء والا لم يكن من المتقين الصابرين فانوا والله لقد اثرك الله علينا اعترافا منهم بتفضيله عليهم بالتقوى والصبر وسيرة المحسنين وضموا الاحسنين ولا يلزم من ذلك ان لا يكونوا من انبياء وان اخبر بهم بعضهم لان الانبياء متفاوتون في الدرجات كما قال تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض وان كنا وان شاننا انا كنا خاطئين قال ابو عبيدة خطاء وخطاء بمعنى واحد وقال الاموي المخطئ من اراد الصواب فصار الى غيره ومنه قولهم المجتهد يخطئ ويصيب والمخاطئ من تعمد والا ينبغي قال ابو علي الجبائي انهم لم يعتقدوا عن ذلك الذي فعلوا بيوسف لانه وقع منهم قبل البلوغ ومثل ذلك لا يعد ذنبا وانما اعتدوا من حيث انهم اخطأوا بعد ذلك حين لم يظهروا لابيهم ما فعلوه ليعلم انه حي وان الذئب لم يأكله واعترض عليه فخر الدين الرازي بانه يبعد من مثل يعقوب ان يبعث جمعا من الصبيان من لم يبعث معهم رجلا بالغا عاقلا فالظاهر انه وقع ذلك منهم بعد البلوغ سلمنا لكن ليس كل ما لا يجب الاعتداد عنه لا يجب الاعتداد عنه ولما اعترفوا بفضله عليهم وبكونهم متعمدين للاثم قال يوسف لا تثريب عليكم لا تأنيب ولا توبيخ وقيل لا اذكر ذنبكم وقيل لا اجازيكم عندي على ما فعلتم وقيل لا تخليط ولا انساء عليكم واشتقاقه من الثرب هو الشحم الذي هو غشاء الكرش ومعناه ازالة الثرب كالتجليد والتقريد لازالة الجلد والفراء وذلك لانه اذا ذهب منه الثرب كان في غاية الهزال والعجف فصار مثلا للتقريع المدغم المضي وقوله اليوم اما ان يتعلق بالتثريب او بالاستقرار المقدر في عليكم اي لا اثرب عليكم اليوم الذي هو مظنة التثريب فكيف بغيره ثم ابتدأ فدعا لهم بغفرة ما فرط منهم ليكون عقاب الدارين عن الاعنهم واصل الدعاء ان يقع على لفظ المستقبل فاذا اوقعوه بلفظ الماضي فذلك للتفاؤل ويحتمل ان يكون اليوم منعلقا بالدعاء فيكون فيه بشارة بعاجل غفران الله لهم وحدوثها في ذلك اليوم يروى ان اخوته لما عرفوه ارسلوا اليه انك تدعونا الى طعامك بكرة وعشيا ونحن نستحي منك لما فرط منا فيك فقال يوسف ان اهل مصر وان ملكتهم فهم فانهم ينظرون الي شزرا ويقولون سبحان من بلغ حبتا عبد بيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت الان بكم وعظمت في العيون حيث علم الناس انكم اخوتي وانتي من حفدة ابراهيم وسول الله ص انا احفد يوم الفتح بعضادتي باب الكعبة فقال لقريش ما ترونني فاعل بكم قالوا نظن خيرا اخ كريم وابن اخ كريم وقد قدرت فقال ص اقول ما قال اخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم قال عطاء اخر شأ طلب الحوائج الى الشباب اسهل منها الا الى الشيوخ الا ترى الى قول يوسف لاخوته لا تثريب عليكم اليوم وقول يعقوب سوف استغفر لكم ولما عرفهم يوسف نفسه سئلهم عن ابيهم فقالوا اذهبت عينا فقال اذهبوا بقميصي هذا فالقوه على وجه ابي يأت بصيرا كقولك جاء البناء محكما ومثله فارتد بصيرا اي المراد يأت الي وهو بصير بدليله قوله وائتوني بأهلكم اجمعين قيل هو القميص المتوارث الذي كان في تعويذ وكان من الجنة اوحى الله اليه ان فيه عافية كل مبتلى وشفاء كل سقيم وقال الحكماء اعلم ان اباه ما كان اعمى وانما صار ضعيف البصر من كثرة البكاء فاذا القي عليه قميصه انشرح الصدر بقوى روحه وزال ضعفه روي ان يهوذا حمل القميص وقال انا احزنته بحمل القميص ملطوخا بالدم فافرحه كما احزنته فحمله وهو حافي حاسر من مصر الى كنعان وبينهما مسيرة ثمانين فرسخا عن الكلبي كان اهله نحوا من سبعين انسانا وقال مسروق ودخل قوم يوسف مصر وهم ثلثة وسبعون بين رجل وامرأة فخرجوا منها مع موسى عليه السلام نحو من ستمائة الف لما فصلت العير خرجت من عريش مصر فصار من البلد فصولا انفصل منه وجاوزه خبطا وفصل عنه كتاب اذا انفذه واذا كان فصل متعديا كان مصدره الفصل قال ابو هلال من حوله من قومه اي لاجله مجاهد هبت ريح فصفقت القميص ففاحت رائحة الجنة من الدنيا فعلم يعقوب انه ليس الدنيا من ريح الجنة الا ما كان من ذلك القميص قال اهل التحقيق ان الله تعالى اوصل اليه ريح يوسف عند انقضاء مدة المحنة ومجيء اوان الروح والفرح من مسيرة ثمان ومنع من وصول خبره اليه مع قرب البلدين في مدة ثمانين سنة او اربعين عند الاكثرين وكلاهما معجزة ليعقوب خارقة للعادة وذلك يدل على ان كل سهل فهو في زمان المحنة صعب وكل صعب فهو في زمان الاقبال سهل وقوله لولا ان تفندون جواب محذوف اي لولا تفنيدكم اياي لصدقتموني والتفنيد النسبة الى الفند وهو الخرف وتغير العقل من هرم يقع عجوزا مفندة لانها لم تكن ذات رأي فتفند في الكبر قالوا لابعد الحاضرين عنده تالله انك لفي ضلالك القديم اي في افراطك في محبته وترك التعريج على غيره فلما ان بعد عن الصواب في افراط محبة يوسف كما قال بنوه ان ابانا لفي ضلال مبين وقيل لفي شقائك القديم بما بكا على يوسف من الاحزان قال الحسن انما قالوا هذه الكلمة الغليظة لاعتقادهم ان يوسف قد مات فلما ان جاء ان صلاحه فلما ذهب عن ابرهم الروح قبل هو مع الفعل في محل الرفع بفعل مضمر اي فلما ظهر ان جاء البشير وهو يهوذا القاه على وجه البشير ويعقوب على وجهه فارتد بصيرا اي انقلب من العمى الى البصر او من الضعف الى القوة قال الم اقل لكم جوز نفي الكشاف ان يكون مفعولا محذوفا وهو قوله اني لاجد ريح يوسف وقوله لانبأنهم بأمرهم هذا وهو قوله اني اعلم من الله ما لا تعلمون وقوله اني اعلم من الله ما لا تعلمون روي انه سئل البشير كيف يوسف فقال هو ملك مصر قال ما اصنع بالملك على اي دين تركته قال على دين الاسلام قال الآن تمت النعمة ثم ان اولاده اخذوا يعتذرون اليه فوعدهم الاستغفار قال ابن عباس والاكثرون اراد ان يستغفر لهم في وقت السحر لانه ارجى الاوقات اجابة وعن ابن عباس في رواية اخرى انه اخرهم الى ليلة الجمعة بحثا عن وقت الاجابة وقيل اخر ليتعرف حالهم في الاخلاص وقيل استغفر لهم في الحال ووعدهم

شيخ مفند ولا يتهم

دوام الاستغفار في الاستقبال فقد روي انه كان يستغفر لهم كل ليلة جمعة في نيف وعشرين سنة وروي انه قام الى الصلوة في وقت السحر فلما فرغ رفع يديه وقال اللهم اغفر لجزعي على يوسف فلم يصبر عنه واغفر لولدي ما اتوا الى اخيهم فاوحى الله اليهم انه قد غفر لك ولهم اجمعين وروي انهم قالوا له وقد غلبتهم الكآبة ما يغنينا عنا عفوك ان لم يعف عنا ربنا فان لم يوح اليك بالعفو فلا قرت لنا عين ابدا فاستقبل القبلة فلما يعود وقام يوسف خلفهم ونوموا خلفهما اذ لذخا شعين عشرين سنة حتى جهدوا وظنوا انهم هلكوا فنزل جبريل فقال ان الله قد اجاب دعوتك في ولدك وعفا عما بينهم بعدك على النبوة واختلاف الناس في نبوتهم مشهور يحكى انه توجه يوسف الى ابيه جهازا ومائتي راحلة ليتجهز اليه بمن معه وخرج يوسف والملك اربعة الاف من الجند العظماء واهل مصر باجمعهم فتلقوا يعقوب هو بمشي وبنوه على الخيول فنظر الى الخيل والناس فقال يا يهودا اهذا زعون مصر قال لا هذا ولدك فلما القيه قال يعقوب السلام عليك يا مذهب الاحزان فاجابه يوسف قال فبكى حتى بصر قال الم تعلم ان القيمة تجمعنا قال بلى ولكن خشيت ان يسلب بنيك فيحال بيني وبينك ومعنى اوى اليه ابويه ضمهما اليه واعتنقهما قال ابن اسحق كانت امه رابيل الى ذلك الوقت اما بعد ان ماتت لا ان الله تعالى احياها ونشرها من قبرها لخفيفا لرؤيا ابو يوسف قيل المراد بابويه ابوه وخالته لان امه ماتت في النفاس بلخبه بنيامين حتى قيل بنيامين بالعبرانية الوجيع ولما توفيت امه تزوج ابوه بخالته فسماها الله تعالى احد الابوين لان الحالة قد تدعى اما لقيامها مقام الام او لان الخالة ام كما ان العم اب فكيف قد اجتمع ههنا الامران قال السدي كان دخولهم على يوسف قبل دخولهم مصر كانوا حين استقبلهم نزلوا بحلام في جمعا وبين هناك فدخلوا عليه وضم اليه ابويه وقال ادخلوا مصر فعلق هذا جازان يكون الاستثناء عائدا الى الدخول وعن ابن عباس ادخلوا مصر الى قيموا بها وقوله ان شاء الله امنين تعلق بالدخول المكيف بالامن فكانه قيل اسلموا وامنوا ان دخولكم وافامتكم ان شاء الله وجواب الشرط بالحقيقة محذوف اي تدخلوا مصر امنين ان شاء الله دخلتم امنين اراد الامن على انفسهم واموالهم واهليهم بحيث لا يخافون احدا وكانوا فيما سلف يخافون ملك مصر اراد الامن من الخطأ والشدة او من غيرهم اياهم بالجرم السالف ورفع ابويه على العرش المسترر الرفيع الذي كان يجلس عليه وخروا له سجدا لسائل ان يقول السجود لا يجوز لغير الله فكيف سجدوا ليوسف ايضا نعظيم الابوين تالي تعظيم الله سبحانه فمن ابن جاز سجدة ابويه له والجواب عن ابن عباس في رواية عطا ان المراد خروا لاجله وجدا لله سجدا لله فكانت سجدة الشكر لله سبحانه وكذا التاويل في قوله والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين اي انها سجدت لله تعالى لاجل طلب مصلحتي واعلاء منصبي واحسن من هذا ان يقال انهم جعلوا يوسف كالقبلة وسجدوا لله شكرا على لقائه او يراد بالسجدة التواضع التام على ما كانت عادتهم في ذلك الزمان من التخشع ولعلها ما كانت الا انحناء دون تغفير الجبهة واعترض على هذا الوجه بان لفظ الخرور رد باباه واجيب بانه قد يعنى به المرور وقال تعالى فخر عليهم السقف من فوقهم اي مروا وقيل الضمير عائد الى اخوته فقط وورد بان قوله هذا تاويل رؤياي من قبل ينبو عنه واجيب بان التعبير لا يلزم ان يكون مطابقا للرؤيا من كل الوجوه فيحتمل ان يكون السجدة في حق التواضع التام وفي حق ابويه بمجرد ذهابهما من كنعان الى مصر ففيه تعظيم تام للوالد والسماء قيل انما سجد الابوان لئلا تحمل الانفة اخوته على عدم السجود فيصير سببا لثوران الفتن واحياء الاحقاد والضغائن او لعله تعالى امر يعقوب بتلك السجدة لحكمة خفية لا يعرفها الا الله تعالى ورضي بذلك يوسف موافقة لامر الله وبؤيده ما روي عن ابن عباس ان يوسف لما راى سجودهم اقشعر جلده ولكن لم يقل شيئا وكان الامر بتلك السجدة كان من تمام النشديد والبلية والله اعلم وقد احسن بي اذ بقي حيث بعد اذ اخرجني من السجن لم يذكر اجاجه من البئر لانه نوع تثريب للاخوة وقد قال لا تثريب عليكم ولانه لم يكن يعتد لانه صار عبدا وصار مبتلى بالمرة وكان هذا الاخراج اقرب واشمل وجاء بكم من البدو اي من البادية سمي المكان باسم المصدر لظهور التخصص فيه من بعيد وكان يعقوب وولده بارض كنعان اهل مواش يتنقلون في المياه والصحارى قال ابن الانباري بدو موضع معروف هنالك روي عن ابن عباس ان يعقوب كان قد تحول اليه وسكن فيه ومنه قدم الى يوسف فعلى هذا كان يعقوب وولده اهل الحضر والبدو قصد هذا الموضع الذي بقي له بدا والمعنى جاء بكم من قصد بلد ذكره الواحدي في البسيط قال الجبائي والكعبي والقاضي انه تعالى اخبر عن يوسف انه اضاف الاحسان الى الله وسبب النزغ الى الشيطان وهو الافساد والاغراء ففيه دليل على ان الخير من الله دون الشر اجيب بانه انما اضاف الاحسان الى الله لان فعل الشيطان الا الوسوسة والقاصر في الداعية الى الشر فلا يقدر عليه الا الله تعالى فان العاقل لا يرى في ضرر نفسه ان ربي لطيف لما يشاء فاذا اراد حصول امر فهيا اسبابه وان كان في غاية البعد عن الاوهام انه هو العليم بالوجه الذي يسهل به الصعاب الحكيم في افعاله حتى يجري على الوجه الاصوب والنحو الاصلح يحكى ان يوسف اخذ يهدد يعقوب طاف معه في خزائنه فادخله خزائن الورق والذهب خزائن الحلي والثياب الصلاح وغير ذلك فلما ادخله خزائن الفراطيس قال يا بني ما اعقل عنك هذا القول ليس ما كتب الى على عثمان مراحل فقال ارني جبريل قال اوما تسئله قال انت ابسط اليه مني فسئله قال فجبريل الله اخرني بذلك لقوله واخاف ان ياكله الذئب قال فهلا خفتني ثم ان يعقوب اقام معه اربعا وعشرين سنة ثم مات واوصى ان يدفن بالشام الى جنب ابيه اسحق فمضى بنفسه ودفنه ثم عاد الى مصر وعاش بعد ذلك ثلاثا وعشرين سنة فلما تم امره وعلم انه لا بد وله قال رب قد اتيتني من الملك شيئا من ملك الدنيا او من ملك لائق بان يكون دون ملك نوفر وعلمتني من تاويل الاحاديث بعضا من ذلك لانه لا يمكن ان يحصل في العلم المتناهي والاستعداد المعين المحصور سوى المتناهي من التعلقات الدنيوية والكمالات الاخروية فاطر السموات والارض انت وصفة الثناء الاولى بك ان تعطيني مثل ما اعطيت اولا من الفضل وزيادة سابقة كالدنيا او من عدم محض انت ولي في الدنيا والاخرة

يوسف الصالحين ١٢

لانهم اصلاح مهماتي في الدارين غيرك ولا فائدة النداء والثناء كما هو شرط الادب الحسن في المسئلة فقال تعالى فوفى مسلما اراد الوفاة على حال الاسلام والختم بالحسنى كقول يعقوب ولا تموتن الا وانتم مسلمون والحقني بالصالحين من اباني او على العموم قبل الصلاح اول درجات المؤمنين فالواصل الى الفناء وهي النبوة كيف يليق به ان يطلب لبدنه والجواب ان اراد الالحاق بالاباء فظاهر وان اراد العموم فكذلك لان طلب الصلاح غير الالحاق باهل الصلاح عبر فان اجتماع النفوس المشرقة بالانوار الالهية له اثر عظيم وفوائد جمة كما مر ايا المستنيرة المتقابلة التي تعاكس اضواءها وتتكامل انوارها الى حيث لا يطيقها العيون الضعيفة هذا مع ان الختم على الصلاح نهاية مراتب الصديقين وههنا بحث للاشاعرة وهو ان التوفي على الاسلام والالحاق باهل الصلاح لو لم يكن من فعل الله تعالى كان طلبه من الله جاريا مجرى قول القائل افعل بي ما لا يفعل وهل هذا الا كتشنيع المعتزلة علينا اذا كان الفعل من الله فكيف يجوز ان يقول المكلف افعل مع انه ليس بفاعل اجاب الجبائي والكعبي بان المراد الطف بي بالافاضة على الاسلاح الى ان اموت فالحق بالصلحاء وردا بانه عدول عن الظاهر مع ان كل ما في مقدور الله من الالطاف فقد فعله في حق الكل سؤال اخر الانبياء يعلمون انهم يموتون على الاسلام البتة فما الفائدة في طلب الجواب العلم الاجمالي لا يغني عن العلم التفصيلي لا سيما في مقام الخشية والرهبة وفي التفسير الكبير المطلوب ههنا حالة زائدة على الاسلام التي هو ضد الكفر وهي الاستسلام لحكم الله والرضا بقضائه وعن قتادة وكثير من المفسرين انه تمنى الموت لان الدنيا دار البقاء في مرة الصلحاء ولم يتمن الموت بني قبله ولا بعده قال اهل التحقيق لا بعد من اجل العاقل اذ اكمل عقل ان يعظم رغبته في الموت لوجوه منها ان مراتب الموجودات ثلث المؤثر الذي لا يتاثر وهو الاله تعالى وتقدس والمتاثر الذي لا يؤثر وهو عالم الاجسام فانها قابلة للتشكيل والتصوير والصفات المختلفة والاعراض المتضادة وبتوسطها قسم ثالث هو عالم الارواح لانها تقبل الاثر والتصرف في العالم الالهي فتراها ابدا على عالم الاجسام تتصرف فيه وتؤثر للنفوس في التاثير والتاثر مراتب غير متناهية لان تاثيرها بحسب تاثرها فما فوقها والكمال الالهي غير متناه فاذن لا ينفك النفس نقصان ما والناقص اذا حصل له شعور بنقصانه وقد ناقى لذة الكمال بقي في القلق والالم الطالب لا سبيل له الى دفع هذا القلق والالم الى الموت فحق بتمني الموت ومنها ان سعادات الدنيا وان تهاسر يعة الزوال مشرفة على الفناء والالم الحاصل عند زوالها اشد من اللذة الحاصلة عند وجدانها مخلوطة بالمنغصات والاراذل من الخلق يشاركون الافاضل فيها فلو دل بما كانت حصة الاراذل اكثر فلا يجوز تمني العاقل موته ليتخلص من هذا الاوفات ومنها ان اللذات الجسمانية لا حقيقة لها لان حاصلها يرجع الى دفع الالام وقد قررنا هذا المعنى فيما سلف ومنها ان مداخل اللذات الدنيوية ثلثة لذة الاكل ولذة الوقاع ولذة الرياسة ولكل منها عيوب فلذة الاكل مع انها غير باقية بعد البلع فان المأكول يختلط بالبصاق المجتمع في الفم ولا شك ان شيئا منفرا ثم يصل الى المعدة يستحيل الى ما ذكره منفرا فكيف وقد صح في اليقين العقلاء من كانت همته ما يدخل في جوفه كانت قيمته ما يخرج من بطنه هذا مع اشتراك الحيوانات الخسيسة فيها وايضا اشتداد الجوع حاجة والحاجة نقص وكذا الكلام في لذة النكاح وعيوبها مع ان فيها فيحتاجا الى زيادة المال والنفقة للزوج والولد وما يلزمها والاحتياج الى المال يلقي المرء في مهالك الاكتساب ومهاوي الانتخاع ولذة الرياسة اردى عيوبها ان كل واحد يكره بالطبع ان يكون خادما مامورا ويحب ان يكون مخدوما متبوعا فسعي الانسان في الرياسة سعي في مخالفة كل من سواه ولا ريب ان هذا امر صعب الحصول منيع المرام واذا نال كان على شرف الزوال في كل حين واوان لان كثرة الاسباب توجب حصول الاثر فيكون دائما في الحزن والخوف فاذا تامل العاقل في هذه المعاني علم قطعا انه لا اصلاح في اللذات العاجلة ولكن النفس جبلت على طلبها والرغبة فيها فيكون دائما في بحر الاوفات وغمرات الحسرات فحق بتمني زوال هذه الحيوة وقد سبق منا في تمني الموت كلام اخر في سورة البقرة في تفسير قوله فتمنوا الموت ان كنتم صادقين فليتذكر وقال اهل السير لما توفي يوسف تخاصم اهل مصر وتشاجروا في دفنه كل يحب ان يدفن في محلتهم حتى هموا بالقتال فراوا من الراي ان عملوا له صندوقا من مرمر ويجعلوه فيه ويدفنوه في النيل بحيث يمر عليه الماء ثم يصل الى مصر ليكونوا فيه شرعا وكذلك افرائيم ومنشا وكذلك افرائيم نون وكذلك نون يوشع فتى موسى ثم بقي يوسف هناك الى ان بعث الله موسى فاخرج عظامه من مصر ودفنها عند قبر ابيه والله تعالى اعلم بحقايق الامور والناس يقولون ان بعد الموت الروح لا يتاسف على فوات شيء من المخلوقات الا على يوسف لقلبه مرات جمال الحق لا يشاهد الحق الا فيها فلذلك لا يضن عنها في انتظارها فلا عجب على ذلك الاوصاف البشرية يطول بها تفنن ذكر يوسف وابن اهل السلوة في تشفي من اهل العشق ابن الخل من الشجي ولا بد للمحب ولا من ملامة الخلق فاول ملامة ادم عليه السلام حين قالت الملائكة لاجله أتجعل فيها من يفسد فيها بل اول ملامة هو الله تعالى حين قال انه اعلم فيها وذلك اول محب ادعى المحبة وهو قوله لجهنم واعلم من الله من جاله وكماله اذ هبوا فتحسسوا فان الواجب على كل مسلم ان يطالب يوسف قلبه وينبا من سره وان ترك لطف الله والياس عن وجدانه كفر فلما رات الاوصاف البشرية اثار العزة من رب العزة على صفحات احوال يوسف القلب حين وصلوه بتسطير احكام الشريعة وقد بهرا راب الطريقة الى سرادقات حضرة القلب قالوا يا ايها العزيز مسنا واهلنا وهم القوى الانسانية ضر البعد عن الحضرة الربانية وجينا ببضاعة مزجاة من الاعمال البدنية فاوف لنا الكيل بافاضة سجال العوارف واسباغ ظلال العواطف انا كنا جاهلون اذ كنا على صفة الظلمة والجهولية لقد اثرك الله علينا بالطالب الصدق والشوق والمحبة والوصول والوصال وان كنا خاطئين في الافعال على اسنيقا الحظوظ الحيوانية التي تضر القلب والسر والروح لا تثريب عليكم اليوم لا ترصد ضها ما صدر بحكم من الله

ثم انتهى

تعلق وتربية القلب ان كان مضرا له ظاهرا كما ان ضيع اخوة يوسف في البدء نصا وسببا لزنعة متزلة في النهاية اذ هو ابهما يصير وهو نور جمال الله
ولما فصلت عن واردات القلب هبت نفحات لطائف الحق انك لفي ضلالك القديم شعرا عاذل العاشقين دع نفثة + اضلها الله كيف
يرشدها + فاذ بصير لان الروح كان بصيرا في بدء الفطرة ثم عمي لتعلقه بالدنيا وتصرفه فيها ثم صار بصيرا بوارد من القلب شعر +
وورد البشير بما قر الاعينا + وشفى النفوس من فائق غايات المنى + والقلب في بدء الامر كان محتاجا الى الروح في الاستكمال فلما كمل وصح القبول
فيض الحق بين اصبعين ونال مملكة الخلافة بصر الفرقة في النهاية نصا الروح محتاجا اليه لاستنارته بانوار الحق وذلك ان القلب بمثابة
المصباح في البداية الى التربية في قبول النار ولكن التربية يحتاج الى المصباح وتركيبه في النهاية ليقبل بواسطته النار اذ خلوا مصر ان شاء الله
لانه لا يصل الى الحضرة الاحدية الا بعد تنزهه المشيئة امنين من الانقطاع والانفصال ذوقوا له سجدا لما اراده وعرفوه انه عرش الحق تعالى فالتجلي
كان في الجبهة لوقوعه للعرش هذا ناويل ذوقي من قبل ان كنت نائما في يوم العدم اذ اخرجني من السجن الوجود ولم يقبل ان يجب لا تخرج من حب البشر بعد
ما رام من البدء والطبيعة انتفى الملك ملك الوصال والوصول فاطر سموات عالم الارواح وارض البشرية توفنا مسلما من بيد الوجود المجازي والحقني بقد
مع الباقين بك بفضلك وكرمك ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم وهم يمكرون وما اكثر
الناس ولو حرصت بمؤمنين وما تسئلهم عليه من اجر ان هو الا ذكر للعالمين وكاين من اية في السموات والارض يمرون
عليها وهم عنها معرضون وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون افامنوا ان تاتيهم غاشية من عذاب الله او تاتيهم
الساعة بغتة وهم لا يشعرون قل هذه سبيلي ادعوا الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني وسبحان الله وما انا من المشركين
وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم من اهل القرى افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين
من قبلهم ولدار الاخرة خير للذين اتقوا افلا تعقلون حتى اذا استياس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا جاءهم نصرنا
فنجي من نشاء ولا يرد باسنا عن القوم المجرمين لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب ما كان حديثا
يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون القراءة سبيلي بفتح الباء ابو
جعفر ونافع نوحي بالنون وكسر الحاء حفص الاخرون بالياء وفتح الحاء يعقلون على الغيبة ابو عمرو وحمزة وعلي وخلف هشام وابن كثير والاعشى الرحبي
والباقون بناء الخطاب كذبوا بالتخفيف عاصم وحمزة وعلي وخلف وبزيد الباقون بالتشديد فتح الضم النون وكسر الجيم المشددة وفتح الباء ابن عامر
عاصم وسهل ويعقوب فعلى هذا يكون فعلا ماضيا مبنيا للمفعول وعن الكسائي مثل هذا ولكن بسكون الباء وخطاء على انه بناء على انه فعل مستقبل
من الانجاء والنون لا يدغم في الجيم ومن التجية والنون المتحركة لا يدغم في الشاكن والقول ان كان فعلا ماضيا من التجية والنون المتحركة لا يدغم
كما في القراءة الاولى ولكن سكن الياء للتخفيف يلزم منه خطاء الاخرون قرأوا بنونين وتخفيف الجيم وسكون الياء فعلا مضارعا من الانجاء
على حكاية الحال الماضية الوقوف ليبتلي لابتداء النفي مع واو العطف يمكرون بمؤمنين اجر للعالمين معرضون مشركون لا يشعرون ومن اتبعني
المشركين القراء طامن قبلهم الا نوحي تعقلون نصر ناطلن قرأ نا فيجي بالتخفيف ولا وقف على من بناء ومن قرأ فيجي مشددة وصله بما قبله ووقف على من بناء الجزء
الالباب يفترى تفصيل ذلك الذي ذكر من بناء يوسف هو من اخبار الغيب نوحيه اليك مر تفسيره مثل هذا في آخر قصة زكريا في سورة آل عمران ومعنى اجماع
الامر العزم عليه كما مر في سورة يونس في قصة نوح وارادة غرهم على الغاء يوسف في البئر وهو المكر بعينه وذلك مع سائر الغوائل من الجحي على قميصه بدم
كذب وفي شراهم اياه بثمن بخس قال اهل النظم ان كفار قريش وجماعة من اليهود طلبوا هذه القصة من رسول الله ﷺ على سبيل التعنت فاعتقد رسول الله
انه انما ذكرها لهم اصروا على كفرهم فنزل وما اكثر الناس الآية اكثر خلق الله المكلفين او اكثر اهل مكة قاله ابن عباس ولو حرصت جوابه مثل ما تقدم
اي ولو وصفت فما هم بمؤمنين والحرص طلب الشيء باقصى ما يمكن من الاجتهاد ونظيره انك لا تهدي من احببت وما تسئلهم عليه
ملخدتهم به من اجر كما يسئل الفاضل ان هو الا ذكر وعظ من الله للعالمين عامة على لسان رسوله وكاين من اية لا كثرون على ان لفظ مركب من كاف
التشبيه واي التي هي في غاية الابهام اذا قطعت عن الاضافة لكنه انحى عن الجزئين معناها الافراد وصار الجموع كاسم مفرد بمعنى كم الخبرية والتمييز عن
الكاف لا عن اي كما في مثلك رجلا او اكثر اذا حال من ضمير وقدر في سورة البقرة في تفسير قوله سبحانه ان في خلق السموات والارض وسائر
نحو تفصيل بعض الايات السماوية والارضية الدالة على توحيد الصانع وصفات جلاله ومن جملة الايات فصص الاولين واحوال الماضين ومعنى
يمرون عليها يشاهدونها وهم عنها معرضون لا يعتبرون بها وقرئ والارض بالرفع على الابتداء خبره يمرون والمراد ما يرون من آثار الامم
الهالكة وغير ذلك من العبر والحاصل ان جملة العالم العلوي والعالم السفلي محتوية على الدلائل والبينات على وجود الصانع ونعوت كماله ولكن
الغافل يتعامى عن ذلك وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون وذلك انهم كانوا يقرون بالله ولئن سئلتهم من خلق السموات والارض
ليقولن الله لكنهم كانوا يثبتون له شريكا في العبودية هو الاصنام ويقولون هم الشفعاء وكان اهل مكة يقولون الملائكة بنات الله وعن الحسن
اهل الكتاب يقولون عزير ابن الله والمسيح ابن الله وعن ابن عباس هم الذين يشبهون الله بخلقه احتج الكرامية بهذا على ان الايمان عبارة عن مجرد الاقرار
اذ لو كان كذلك لما اجتمع مع الشرك غاشية عقوبة تغشاهم وتعمهم قل يا محمد لهم هذه سبيلي التي هي الدعوة الى الايمان سبيلي وشرحي وقوله ادعو الى الله

سورة يوسف

تفسير لسبيلي وعلى بصيرة حال من ادعو وجاء ايضا انا تاكيد للمستتر في ادعو ومن اتبعني عطف عليه ويجوز ان يكون على بصيرة حالا من ادعو او عاملة في انا او من اتبعني ويجوز ان يكون انا مبتدا ومعطوفا عليه ومن اتبعني على بصيرة خبرا مقدما فيكون ابتداء اخبارا اثر من اتبعه على تجدد برهان الاعلى هو وتشهى وقل يا محمد سبحان الله تنزيها لله عما اشركوا به وما انا من المشركين لا اشرك جليا ولا اشركا خفيا قال وما ارسلنا من قبلك في الا انبيا قبلك بشرا من بني آدم لان قبلا اسم للزمان السابق على ما اضيف اليه ومن يقيد استيعاب الطرفين في هذه السورة اريد الاستيعاب قوله الا رجالا لا رد على من زعم ان الرسول ينبغي ان يكون ملكا او يمكن ان يكون امرأة مثل عجاج المتشبه قوله من اهل القرى خصهم بالاستيناس لما في اهل البادية من الغلظ والجفاء فيما رحمة من الله لينت لهم قال اصم من بلعجفاء ومن اتبع الصيد غفل افلم يسيروا في الارض فينظروا الى مصارع الامم المكذبة انما قال افلم يسيروا بالفاء بخلاف ما في الروم والملائكة لان الفصل بقوله وما ارسلنا من قبلك فكان الفاء اشبه الواو ولدار الاخرة موصوف محذوف اي ولدار الساعة والحال الاخرة لان للناس بالبين حال الدنيا وحال الاخرة وبين الخبرية قدم في الانعام وانما خصت ههنا بالحذف لتقدم ذكر الساعة قال في الكشاف حتى غاية لمحذوف دل عليه الكلام او التقدير فتراخى نصرا ولئك الرجال حتى اذا استيأسوا عن النصر او عن ايمان القوم وظنوا انهم قد كذبوا فيما وجوه لقراءة التخفيف والتشديد ولا مكان عود الضمير في الفعلين الى الرسل والى المرسل اليهم الدال عليهم ذكر الرسل سابقا وذكرهم في انكم بشر وانا وجوه التخفيف فيها فظن الرسل انهم قد كذبوا اي كذبتهم انفسهم حين حدثتهم بانهم ينصرون وكذبت جاءهم لقولهم رجاء صادقا وكاذبا والمراد انه مدة التكذيب لعداوة من الكفار وانتظار النصر من الله قد تطاولت تمادت حتى توهموا ان لا نصر قال ابن عباس ظنوا حين ضعفوا وغلبوا انهم قد خلفوا ما وعدهم الله من النصر وكانوا بشرا الا ترى الى قوله وزلزلوا والعلماء حملوا قول ابن عباس على ما خطر بالبال شبه الوسواس وحديث النفس عالم البشرية واما الظن الذي هو ترجيح احد الجانبين على الاخر فلا لان الرسل اعرف الناس بالله وبان معاده مبرأ عن وصمة الاخلاف فيما وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوا فيما وعدوا من النصر والظفر فيما وظن الرسول اليهم انهم قد كذبوا من جهة الرسل اي كذبتهم الرسل في انهم ينصرون عليهم ولم يصدقوهم واما قراءة التشديد فان كان الظن بمعنى اليقين فمعناه ايقن الرسل ان الامم كذبوهم تكذيبا لا يصدر عنهم الايمان فحينئذ دعوا عليهم فنزل عذاب الاستيصال او كذبوهم فيما وعدهم من العذاب والنصرة عليهم ان كان بمعنى الحسبان فالمعنى توهم الرسل ان الذين امنوا بهم كذبوهم تكذيبا لا يصدر عنهم الايمان وهذا نازل على عائشة قالت ما وعد الله محمدا شيئا الا علم انه سيكون فيه ولكن البلاء لم يزل بالانبياء حتى خافوا ان يكذبهم الذين كانوا قد امنوا بهم لقد كان في قصصهم قصص الرسل اضافة المصدر الى الفاعل ويحسن ان يقرأ الضمير لاخوة يوسف لان لاختصاص هذه القصة بهم نوعا من الاعتبار وهي العبور الطرف المعلوم الى الطرف المجهول ووجه الاعتبار على العموم ان يعلم انه لا خير الا في العمل الصالح والتزود بزاد التقوى وان الملوك الذين عمروا البلاد وقهروا العباد ثم لم يراعوا حق الله في شيء من ذلك ما نالوا ما نالوا فرضوا وبقي اوزارهم وبالهم عليهم وعلى الخصوص ان الله تفضل على اعزاز يوسف بعد القائه في الجب واعلاء شانه بعد حبسه في السجن واجتماع اهله بعد تفرقهم عليه اظهار محمد واعلاء كلمته والكل مشتركون في الدلالة على صدق محمد لان هذا النوع من القصص الذي اخبر جملة الاحاديث رواه الاخباريون لم يطالع الكتب ولم يخالط العلماء لبل ظاهر برهانا باهرا على انه بطريق الوحي والتنزيل وانما يكون دليلا واعتبارا لاولي الالباب اصحاب العقول الذين يتاملون ويتفكرون لا الذين يمرون ويعرضون على ان الدليل دليل في نفسه للعقلاء وان لم ينظر فيه مستدل كما ان الابيض الحقيقي من له اهلية الوصف وان كان في نهاية الحمول ما كان مدلول القصص هو المقصوص والقرآن حدثا بفتح الظهير اعجازه ولكن كان تصديق الذي بين يديه من الكتب السماوية وتفصيل كل شيء يحتاج اليه في الدين لا تراه القانون الذي يستدل به المستدل والاجماع والقياس فيدل تفصيل كل شيء من واقعة يوسف مع اخوته قال الواحدي وعلى التفسير الذي هو ليس على عمومه لان المراد به الاصول والقوانين وما يؤول اليها وهدى في الدنيا ورحمة في الاخرة لقوم يؤمنون لانهم هم المنتفعون بذلك التاويل من بناء الغيب لان هذا الترتيب لا يعلمه الا الله او لا يجوز ان يملكوت السماء الغواصون في بحر بطن القرآن وما كنت لديهم بالصورة ولكن كنت حاضرا بالمعنى وما اكثر الناس وهم صفات الناسوتية وما تشتهيه عليه وما تشتهيه عليهم اجر لان اللاهوتية غنية عن محاجة الى الناسوتية وان دعتها الى الاستكمال لانها كاملة في ذاتها مكملة لغيرها وكان بين ان آية في سموات القلوب وارض النفوس تم الاوصاف الانسانية عليها وهم عنها معرضون لانها طاعة الدنيا وشهواتها وما يؤمن اكثر الصفات الانسانية بطلب الله وتبدل صفات الاوهم مشركون في طلب الدنيا وشهواتها وطلب الاخرة ونعيمها وما يؤمن اكثر الخلق بالله وطلبه الا وهم مشركون بربوبيته الكيمياء والطلب التهامهم لامر الله فكل من يرى السبب فهو مشرك وكل من يرى المسبب هو موحد كل شيء هالك في نظر الموحد الا وجهه وما يؤمن اكثر الناس بالله بقدرته وايجاده الا وهم مشركون في طلب الحاجة من غير الله غاشية جدبة تقهرهم وتسلب اختيارهم كما قيل العشق عذاب الله او نائبهم الساعة ساعة الاجتذاب الى الله هذه سبيلي لان طريق السير والسلوك مختص بهذه الامة الا رجالا من اهل قرى الملكوت دون مدن الملك والاجساد او رجالا من القرى وشبهان يعبر عن عالم الارواح بالقرى لتباطنها والقرى افل اجزاء من المدن افلم يسيروا في ارض البشرية على المحجة الشريعة والطريقة ليصلوا الى فضاء عالم الحقيقة وطنوا انهم قد كذبوا فيما وعدوا به الانبياء النصر ابناء الله للرسل الله حسبي ونعم الوكيل سورة الرعد مكية وقيل مدنية وهي ثلاث وتسعون اية نزلت بعد الحجر وهي خمس مائة وست وثمانون كلمة الفا وثلثمائة وخمس وسبعون حرفا ثلاثة الاف واربعمائة

بسم الله الرحمن الرحيم

الٓمٓرٰ تِلْكَ اٰيٰتُ الْكِتٰبِ وَالَّذِيْٓ اُنْزِلَ اِلَيْكَ مِنْ رَّبِّكَ الْحَقُّ وَلٰكِنَّ اَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُوْنَ ۝ اَللّٰهُ الَّذِيْ رَفَعَ السَّمٰوٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ
تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوٰى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَّجْرِيْ لِاَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْاَمْرَ يُفَصِّلُ الْاٰيٰتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوْقِنُوْنَ ۝ وَ
هُوَ الَّذِيْ مَدَّ الْاَرْضَ وَجَعَلَ فِيْهَا رَوَاسِيَ وَاَنْهٰرًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرٰتِ جَعَلَ فِيْهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي الَّيْلَ النَّهَارَ اِنَّ فِيْ ذٰلِكَ لَاٰيٰتٍ
لِّقَوْمٍ يَّتَفَكَّرُوْنَ ۝ وَفِي الْاَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجٰوِرٰتٌ وَّجَنّٰتٌ مِّنْ اَعْنَابٍ وَّزَرْعٌ وَّنَخِيْلٌ صِنْوَانٌ وَّغَيْرُ صِنْوَانٍ يُّسْقٰى بِمَآءٍ وَّاحِدٍ وَنُفَضِّلُ
بَعْضَهَا عَلٰى بَعْضٍ فِي الْاُكُلِ اِنَّ فِيْ ذٰلِكَ لَاٰيٰتٍ لِّقَوْمٍ يَّعْقِلُوْنَ ۝ وَاِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ ءَاِذَا كُنَّا تُرٰبًا ءَاِنَّا لَفِيْ خَلْقٍ جَدِيْدٍ اُولٰٓئِكَ
الَّذِيْنَ كَفَرُوْا بِرَبِّهِمْ وَاُولٰٓئِكَ الْاَغْلٰلُ فِيْٓ اَعْنَاقِهِمْ وَاُولٰٓئِكَ اَصْحٰبُ النَّارِ هُمْ فِيْهَا خٰلِدُوْنَ ۝ وَيَسْتَعْجِلُوْنَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ
وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثُلٰتُ وَاِنَّ رَبَّكَ لَذُوْ مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلٰى ظُلْمِهِمْ وَاِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيْدُ الْعِقَابِ ۝ وَيَقُوْلُ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا
لَوْلَآ اُنْزِلَ عَلَيْهِ اٰيَةٌ مِّنْ رَّبِّهٖ اِنَّمَآ اَنْتَ مُنْذِرٌ وَّلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ۝ اَللّٰهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ اُنْثٰى وَمَا تَغِيْضُ الْاَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ
عِنْدَهٗ بِمِقْدَارٍ ۝ عٰلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيْرُ الْمُتَعَالِ ۝ سَوَآءٌ مِّنْكُمْ مَّنْ اَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهٖ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۢ بِالَّيْلِ وَسَارِبٌۢ
بِالنَّهَارِ ۝ لَهٗ مُعَقِّبٰتٌ مِّنْۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهٖ يَحْفَظُوْنَهٗ مِنْ اَمْرِ اللّٰهِ اِنَّ اللّٰهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتّٰى يُغَيِّرُوْا مَا بِاَنْفُسِهِمْ وَاِذَآ اَرَادَ اللّٰهُ بِقَوْمٍ
سُوْٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهٗ وَمَا لَهُمْ مِّنْ دُوْنِهٖ مِنْ وَّالٍ ۝ الرعد ۱۳ ۝ قراءة ورش من ذونه من وال وقرأ ورش وزرع ونخيل صنوان وغير بالرفع فيهن ابن كثير وابو عمرو ويعقوب وحفص والمفضل الاخرون بالجر
فيهن عطفا على اعناب يسقى بالياء المثناة من تحت على تقدير يسقى كلها وللتغلبى ابن عامر وعاصم ويزيد ورويس بالتاء المثناة فوق لقوله جنات
بفضل على العنبة حمزة وعلى وخلف بالنون على نحن نفضل ادغم ابن كثير الهمزتين من واحدة على ايذا بقلب الثانية ياء والباقى كما مر نافع غير قالون وسهل وحقق
غيرهما ائذا ائنا بالمد والباقى مثله زيد قالون ادغم همزة واحدة ائنا همزتين ابن عامر هشام بادخل بينهما مدة ادغم همزة واحدة ائنا همزة ممدودة ثم
باء فيهما ابن كثير مثله ولكن بالمد ابو عمرو واذا ائنا همزتين فيهما عاصم حمزة وخلف هادى والى باء فى الوقف يعقوب ابن كثير غير ابن فليح وزمعة ورش
ابن شنبوذ عن قنبل بالياء فى الوقف وعن البزى بغير ياء المتعالى فى الحالين ابن كثير يعقوب فى وصل وعباس فى الوصل الوقوف المركوزة ايات الكتاب لا يؤمنون
والقمر مستطر يوقنون وانهارا لتهار يتفكرون بماء واحد نفضل بالنون ذا الاكل يعقلون جديد بربهم فى اعناقهم النار خالدون
المثلات ظلمهم من شىء فى الحالين العقاب من واق هاد وما يزداد وما بمقدار المتعال بالنهار امر الله ط ما بانفسهم فلا مرد له لا خلاف الحالين وان التفسير تلك
الايات التى فى هذه السورة ايات السورة العجيبة الكاملة فى بابها والذى انزل اليك من ربك اى القرآن كله هو الحق الذى لا محيد عنه والمراد انه لا
يخطر الحقية فى هذه السورة وحدها ثم اخذ فى تفصيل الحق فبدأ بالدلالة على صحة المبدأ والمعاد فقال الله مبتدأ خبره الذى والموصول صفة المبتدأ
وقوله يدبر الامر يفصل الايات خبر بعد خبر والعمد بضمتين جمع عمود وهو ما يعمد به اى يسند به شبه الاسطوانة وقوله ترونها كلام مستأنف على سبيل الاستشهاد
اى انتم ترونها مرفوعة بلا عمد وقال الحسن لا بد تقديم وتأخير تقديره رفع السموات ترونها مرفوعة بغير عمد وفيه تكلف وقيل ترونها صفة للعمد ثم
زعم من تمسك بالمفهوم ان للسموات عمدا لكنا لا نراها وهو مثل لبعد الظاهرين هى جبل من زبرجد محيطة بالدنيا يسمى جبل قاف ولا يخفى
سقوط هذا القول لان كل جسم لو كان معمدا بلزم ان يكون معمدا على شىء فذلك الجبل ايضا كان معتمدا على شىء وتسلسل وقال بعض من تورع من خفيض
الصورة الى ذروة عالم المعقول ان تلك العمد هى قدرة الله تعالى وحفظه الذى اوقفها فى العالى وهو كلام لا نعرف كيفيته فضلا
الاهمال اما قوله كل يجرى لاجل مسمى فعن ابن عباس ان للشمس مائة وثمانين منزلا فى مائة وثمانين يوما تنعود من حيث انتهت اليه واحدا واحدا فهذا معنى
تلك الايام وهو مجموع تلك الايام سنة تامة اقول ان صح هذا عنه فلعله اراد ايضا عدها فى دائرة نصف النهار وعنازلها عنها فى ايام السنة او اراد نزولها
فى فلكها الخارج المركز من الاوج الى الحضيض ثم صعودها من الحضيض الى الاوج فان لها بحسب كل جزء من تلك الاجزاء فى كل يوم من ايام السنة تعديلا خاصا
زائدا او ناقصا كما برهن عليه اهل النجوم واما القمر فسير فى منازله المشهورة وقال سائر المفسرين المراد كونهما متحركين الى يوم القيمة وبعد ذلك ينقطع الحركات
وينتهى المسير بكمولة واجل مسمى عندهم واللام للتاريخ كما يقول كتبت لثلث خلون وانما قال فى سورة لقمان الى اجل مسمى موافقة لقبل ذلك ومن
يسلم وجهه الى الله والفاء لله كما فى قوله اسلمت وجهى لله بدبر الامر اجمال بعد التفصيل الى امر العالم العلوى والعالم السفلى من اعلى العرش الى ما تحت الثرى
بحيث لا يشغله شان عن شان لان تدبيره لعالم الارواح كتدبيره لعالم الاشباح وتدبيره للكبير كتدبيره للصغير لا يختلف بالنسبة الى قدرته لحول
شىء من ذلك الى الايجاد والاعدام والاحياء والاماتة وتبديل الصور والاعراض وتغيير الاشكال والاوضاع بفصل الايات الدالة على وحدانيته
وقدرته ويجعل ان يراد بتدبير الامر تدبير عالم الملكوت ويكون معنى تفصيل الايات نزال الكتب وبعث الرسل وتكليف العباد الذى هو اثر ذلك
العالم فى العالم السفلى ويجوز ان يكون تدبير الامر اشارة الى القضاء وتفصيل الايات اشارة الى القدر وقوله لعلكم بلقاء ربكم توقنون على النقابل
اشارة الى اثبات المعاد لان المدبر بتدبيره وتقديره على الاوضاع المذكورة لا بد ان يعترف بالقدرة على الاعادة والجزاء ولما ذكر الدلائل السماوية
اتبعها الدلائل الارضية فقال وهو الذى مد الارض قال الاصمعى بسطها الى ما لا يدرك منتهاها وهذا الامتداد الظاهر محسوس لبصر الانسان فى كونها
لساحل الطرفين وجعل فيها رواسى جبالا لئوابت فى احيازها غير منتقلة عن اماكنها وكهيئة تكون الجبال على بسيط الارض لا يعلم تفصيلها الا موجدها
وزعم الفلاسفة القائلون بتاثير السموات فى الاجزاء الارضية القابلة لذلك لا تاثير بعد مقتضيا بالاجزاء المائية وغيرها وقد يعين على ذلك نزول

الرعد

الامطار وهبوب الرياح وهذا ان صح فعلم اجمالي وزعم بعضهم ان البخار كانت في جانب الشمال مدة كون حضيض الشمس هناك وحين انتقل الحضيض الى الجنوب انجذب الماء الى ذلك الجانب لان الشمس بصيرة الحضيض اقرب الى الارض فتوجب شدة التسخين الجاذبة للرطوبات فضلا الطين اللزج جزاء احد الجبال والاغوار بحسب المواضع المرتفعة والمنخفضة وباعانة من الشموا والاثار العلوية وبالجملة فالاسباب تنتهي لامحالة الى مسبب لاسبب له وهو الله سبحانه ومن الدلائل الدالة على وجود الصانع وحدانيته جريان الانهار العظيمة على وجه الارض الكائنة فيها من احتباس الامطار واكثر ذلك انما يتكون في الجبال فلذا قرن الجبال بالانهار في القرآن كثيرا كقوله وجعلنا فيها رواسي شامخات واسقيناكم ماء فراتا وقد يحصل فيها معادن الفلزات ومواضع الحوامل ومكامن الاجسام المائعة من النفط والقير الكبريت وغيرها وكل ذلك دليل على وجود فاعل مختار ومدبر قهار ثم حدث على الارض بتربية الماء وتغذيها انواع النبات فلذلك قال ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين والمفسرون فيه قولان الاول ان الارض خلق فيها من جميع الثمرات انواعا ازواجين زوجين ثم تكاثرت بعد ذلك النوع فيكون كل زوجين بالنسبة الى ذلك النوع كادم وحواء بالاضافة الى الانسان القول الثاني ان المراد بالزوجين الاسود والابيض والحامض والحامض الصغير والكبير وما اشبه ذلك من الاختلاف الصنفي وصف الزوجين بالاثنين للتاكيد مثل نفخة واحدة او قوله يغشى الليل النهار فقد مر تفسيره في الاعراف واما ذكر هذا الانعام في اثنا الدلائل الارضية لان النور والظلمة انما يحدثان في الجو الذي يسمية الحكماء كرة النسيم كرة البخار وليس فيما وراء ذلك ضياء ولا اظلام فتعاقب الليل والنهار من جملة الاحداث السفلية وان كان سببها طلوع الشمس وغروبها في الافق ويحتمل ان يقال ان هذا دليل سماوي وانه شيخا عاد مرة اخرى الى الدليل السماوي ثم الى الدليل الارضي وذلك قوله وفي الارض قطع متجاورات اي بقاع مختلفة مع كونها متجاورة ومتلاصقة طيبة الى سبخة وصلبة الى رخوة وصالحة للزرع لا للشجر الى اخره على خلاف فيه وفي هذا دلالة ظاهرة على ان الفاعل فاعل مختار موقع لافعاله على حسب ارادته وكذا الكروم والزروع والنخيل الكائنة في هذه القطع مختلفة الانواع متخالفة الثمار في اللون والطعم والشكل وهي تسقى بماء واحد فدل على ان هذا الاختلاف لا يستند الى الطبيعة فقط ولكنها بتقدير العزيز العليم وانما ذكر الزرع بعد الاعناب والنخيل لانها اكثر اما ان يكون كذلك او الوجود كقوله جعلنا لاحدهما جنتين من اعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا والصنوان جمع صنو وهي النخلة لها راس واصلها واحد وعن ابن الاعرابي الصنوان المثل ومنه قولهم عم الرجل صنوابيه فمعنى الاية على هذا ان اشجار النخيل قد يكون متماثلة وقد لا يكون والاكل الثمر الذي اوكل قال الزجاج وعن غيره انه عام في جميع المطعوم وانما اختلم الاية السابقة بقوله ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون وهذه بقوله لقوم يعقلون لان المقام الاول يحتاج الى التفكر لان الفلاسفة يسندون الحوادث السفلية الى الاباء الاثيرية والامهات العنصرية لكن العاقل اذا تفكر في اختصاص كل ممتزج بجزء معين وشكل معين وطبيعة وخاصية مخالفتين لغيره علم ان كل هذه الاختلافات لا يستند الى اشعة كواكب معدودة ولا الى طبائع عناصر محصورة كما اشير الى ذلك بقوله وفي الارض قطع الاية ولئن سلم ان الاتصالات الفلكية واختلافاتها على الفواعل والقوابل قد يرتقي الى حد يظهر منها هذه الاثار فلابد لكل مسبب من الانتهاء الى مسبب لا سبب فوقه وليس ذلك الا الله وحده فهذا مقام لا يجد الاعادم عقل بل فاقد حس والحاصل ان التفكر في الايات يوجب عقليته ما جعلت الايات دليلا عليه فهو الاول المؤدي الى الثاني والله ولي التوفيق ثم عاد سبحانه الى ذكر المعاد فقال وان تعجب يا محمد من تكذيبهم اياك بعد ما كانوا حكموا انك من الصادقين فهذا اعجب وان تعجب من عبادتهم الاصنام بعد الدلائل الدالة على التوحيد او ان تعجب يا محمد فقد عجبت في موضع العجب لانهم اعترفوا بانه تعالى رفع السموات بغير عمد وسخر الشمس والقمر على وفق مصالح العباد واظهر الغرائب العجائب في عالم الخلق ثم انكروا الاعادة التي هي اهون واسهل قال المتكلمون موضع العجب هو الذي لا يعرف سببه ذلك في حقه تعالى محال فالمراد وان تعجب فعجب عندك قولهم وان سلم ان المراد عجب عند الله كما قرئ في الصافات بل عجبت بضم التاء فتاويله انه محمول على النهاية في الابداع كما يقال لمن انكر عند الله ما قاله فان الانسان اذا تعجب من شيء انكره قال في الكشاف ثم ذكر الى اخر قولهم يجوز ان يكون في محل الرفع بدلا من قولهم وان يكون منصوبا بالقول واذا نصبت حمل عليه قوله أئنا لفي خلق جديد وهو نبعث وحشر ثم حكم عليهم بامور ثلثة الاول اولئك الذين كفروا بربهم يعني والئك الكاملون المتمادون في كفرهم وذلك ان انكار البعث لا يكون الا عن انكار القدرة او عن انكار كمالها بان يقر بوجوب الذات لا فاعل بالاختيار فلا يمكنه ايجاد الحيوان الا بواسطة الابوين وتاثير الطبايع والافلاك او انكار العلم بان يقر انه غير عالم بالجزئيات فلا يمكنه تمييز المطيع عن العاصي او تمييز اجزاء بدن زيد عن اجزاء بدن عمرو او انكار الصدق كما اذا قيل انه اخبر عنه ولكنه لا يفعل لان الكذب جائز عليه كما يكذب احدنا بناء على مصلحة عامة او خاصة وكل واحد من هذه العقايد كفر فضلا عن جميعها والثاني والثالث الاغلال في اعناقهم قال الاصم المراد بذلك كفرهم وذلتهم وانقيادهم للاصنام يقال للرجل هذا غل في عنقك للعمل الذي اذا كان لازما له وهو مصر على فعله وقال اخرون هو من جملة الوعيد ولابد من حمله على القولين اما على الاول فظاهر واما على الثاني فلان المراد انه سيجعل هذا المعنى واقعا حاصلا في الحال ويؤيد القول الثاني قوله اذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل والاول قوله انا جعلنا في اعناقهم اغلالا والثالث اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وربما يستدل الاشاعرة بان الصيغة للحصر فيدل على ان اهل الكبائر لا يخلدون في النار ونحن ان سلمنا في افادتها الحصر لم نسلم ان المراد بهذه النار بعذاب الاخرة وكانوا ينكرون البعث لذلك كما تقدم ويحتمل ان المراد انه سيجعل هذا المعنى واقعا حاصلا في الحال ويؤيد القول الثاني قوله اذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل والاول قوله انا جعلنا في اعناقهم اغلالا والثالث اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وربما يستدل الاشاعرة بان الصيغة للحصر فيدل على ان اهل الكبائر لا يخلدون في النار ونحن ان سلمنا في افادتها الحصر لم نسلم ان المراد بهذه النار ع

الجزء الثالث عشر

ضلال ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والاصال قل من رب السموات والارض
قل الله قل افاتخذتم من دونه اولياء لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا قل هل يستوي الاعمى والبصير ام هل تستوي الظلمات
والنور ام جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها
فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما توقدون عليه في النار ابتغاء حلية او متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فاما
الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض كذلك يضرب الله الامثال للذين استجابوا لربهم الحسنى والذين
لم يستجيبوا له لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به اولئك لهم سوء الحساب ومأواهم جهنم وبئس المهاد افمن
يعلم انما انزل اليك من ربك الحق كمن هو اعمى انما يتذكر اولوا الالباب الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق والذين
يصلون ما امر الله به ان يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم واقاموا الصلوة
وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرءون بالحسنة السيئة اولئك لهم عقبى الدار جنات عدن يدخلونها ومن صلح من
ابائهم وازواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار والذين ينقضون
عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار الله يبسط
الرزق لمن يشاء ويقدر وفرحوا بالحيوة الدنيا وما الحيوة الدنيا في الاخرة الا متاع ويقول الذين كفروا لولا انزل
عليه اية من ربه قل ان الله يضل من يشاء ويهدي اليه من اناب الذين امنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن
القلوب الذين امنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب الرا كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور
باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد الله الذي له ما في السموات وما في الارض وويل للكافرين من عذاب شديد الذين
يستحبون الحيوة الدنيا على الاخرة ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا اولئك في ضلال بعيد وما ارسلنا من رسول
الا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم ولقد ارسلنا موسى باياتنا ان اخرج
قومك من الظلمات الى النور وذكرهم بايام الله ان في ذلك لايات لكل صبار شكور واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله
عليكم اذ انجاكم من ال فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم
عظيم واذ تاذن ربكم لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد وقال موسى ان تكفروا انتم ومن في الارض
جميعا فان الله لغني حميد الم ياتكم نبؤا الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله
جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا ايديهم في افواههم وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به وانا لفي شك مما تدعوننا اليه مريب
قالت رسلهم افي الله شك فاطر السموات والارض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى اجل مسمى قالوا ان
انتم الا بشر مثلنا تريدون ان تصدونا عما كان يعبد اباؤنا فاتونا بسلطان مبين قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم
ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا ان ناتيكم بسلطان الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون وما لنا
الا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما اذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون وقال الذين كفروا لرسلهم
لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا فاوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الارض من بعدهم ذلك لمن
خاف مقامي وخاف وعيد واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد
يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ مثل الذين كفروا بربهم اعمالهم كرماد اشتدت
به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد الم تر ان الله خلق السموات والارض
بالحق ان يشا يذهبكم ويات بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز وبرزوا لله جميعا فقال الضعفاؤا للذين استكبروا انا
كنا لكم تبعا فهل انتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء قالوا لو هدانا الله لهديناكم سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا
من محيص وقال الشيطان لما قضي الامر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان
الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا انفسكم ما انا بمصرخكم وما انتم بمصرخي اني كفرت بما اشركتموني
من قبل ان الظالمين لهم عذاب اليم واذا زلفت الجنة للمتقين غير بعيد هذا ما توعدون لكل اواب حفيظ من خشي
الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد وكم اهلكنا قبلهم
من قرن هم اشد منهم بطشا فنقبوا في البلاد هل من محيص ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو
شهيد ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة ايام وما مسنا من لغوب فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك
قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن الليل فسبحه وادبار السجود واستمع يوم ينادي المناد من مكان قريب يوم يسمعون
الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج انا نحن نحيي ونميت والينا المصير يوم تشقق الارض عنهم سراعا ذلك حشر علينا يسير
نحن اعلم بما يقولون وما انت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد

ع

ع

ع

الله بخبر الجهد فاوقبل حتى قام عليه فقال يا محمد ما الى ان اسلمت فقال لك ما للمسلمين وعليك ما عليهم قال بجعل لى الامر بعدك قال لا ليس لك
الى ذلك ولكن الله يجعله حيث يشاء قال فيجعلنى على الوبر وانت على المدر وقال لا قال فماذا تجعل لى قال اجعل لك اعنة الخيل تغزو عليها قال اولست
بذلك الى اليوم وكان اوصى الى اربد بن ربيعة اذا رايتنى اكلمه فدر عليه من خلفه فاضربه بالسيف فجعل يخاصم رسول الله ويراجعه ويجادل فى الله يقول
الخبر عن ربك امن يخاصر هوام من جعد بعد فدار اربد خلف النبى ليضربه فاخترط من سيفه شبرا ثم حبسه الله فلم يقدر على سله وجعل عامر يومى الى اربد فالتفت
رسول الله فرأى اربد وما يصنع بسيفه فقال اللهم اكفنيهما بما شئت فارسل الله على اربد صاعقة فى يوم صائف فاحرقته وعلى عامر هاد باوقال يا محمد
ادع ربك نفتال اربد والله لاملانها عليك خيلا جردا وفتيانا مردا فقال رسول الله يمنعك الله عن ذلك وانبا قبيلة اربد الاوس والخزرج فنزل عامر بيت
امرأة سلولية فلما اصبح ضم عليه سلاحه وخرج وهو يقول واللات لئن اخبرنى محمد وصاحبه يعنى ملك الموت لانفذنهما برمحى فارسل الله اليه ملكا فلطمه
بجناحه فاذراه فى التراب وخرجت على ركبته غدة فى اوقات عظيمة فعاد الى بيت سلولية وهو يقول اغدة كغدة البعير وموت فى بيت سلولية ثم مات
على ظهر فرسه وانزل الله الابيات فى هذه القصة وقوله وهو شديد المحال معناه شديد المكر والكيد لاعدائه والمحالة شدة المماكرة ومنه يحال الكذا اذا
تكلف استعمال الحيلة واجتهد فيه ومحل بفلان اذا كاده وسعى به الى السلطان ومنه الحديث اللهم اجعل اعلى القرآن لنا شافعا ولا تجعله علينا ماحلا
مصدقا ومنه سنة المحل لشدتها وصعوبة امرها واما عبادات المفترين فقال مجاهد وقتادة شديد القوة ابو عبيدة شديد العقوبة الحسن شديد النقمة
وقيل شديد الحقد ومعناه راجع الى الارادة ايضا الزجاج مستخف مع اخفائك الارادة عنه ثم اثنى على نفسه بالحفيظة وشهد على الاصنام بالبطلان فقال له
دعوة الحق فاضاف الدعوة الى الحق الذى هو نقيض الباطل كما يضاف الكلمة الى الحق والمراد انه سبحانه يدعى فيستجيب الدعوة اذا اراد فهو حقيق بان يوجه اليه الدعاء لما فى دعوته من الجدوى والنفع بخلاف ما لا فايدة فى دعائه وعن الحسن الحق هو الله والمعنى له دعوة المدعو الحق الذى يسمع فيجيب ولهذا
انجا النبى صلى فى الكافرين حين دعا عليهم وعن ابن عباس دعوة الحق قوله لا اله الا الله وقيل الدعوة العبادة فان عبادته هى الحق والصدق وقد سلف
تحقيق الحق فى اول هذا الكتاب فى تفسير البسملة والذين يدعون من دونه اى الاصنام الذين يدعوهم ويعبدهم الكفار من دون الله لا يستجيبون
لشئ الا استجابة كاستجابة الماء من بسط يديه اليه بطلب منه ان يبلغ فاه والماء جماد لا يشعر به والحاصل ان الكفار وذلك لطلب كليهما اشتركا فى الخيبة
لاشتراكهما فى دعاء الجماد وقبل شبهوا فى قلة جدوى دعائهم لاصنامهم بمن اراد ان يغرف الماء بيديه ليشربه فبسطهما ناشرا اصابعه فلا يجرم لا يبلغ طلبته
ثم اكد خيبتهم بقوله وما دعاء الكافرين الا فى ضلال فى ضياع وذهاب عن المنفعة لانهم ان دعوا الله لم يجبهم لحقارة امرهم عنده وان دعوا الاصنام
لم يستطع اجابتهم ثم زاد فى الشناء فقال ولله يسجد من فى السموات والارض فان كان السجود بمعنى وضع الجبهة فذلك ظاهر فى المؤمنين لانهم يسجدون
له طوعا اى بسهولة ونشاط وكرها اى على رغب واصطبار ومجاهدة واما فى حق الكفار فمشكل ووجهه ان بقى المراد حقيقة له ان يسجد لاجله جميع المكلفين من
الملائكة والثقلين فجرى على الوجوب اما الوقوع وان كان بمعنى الانقياد والخضوع والاعتراف بالعبودية وترك الامتناع عن نفوذ مشيئته فيهم فلا اشكال يظهر
قوله وله اسلم من فى السموات والارض وقد مر فى ال عمران اما قوله وظلالهم فقد قال جمع من المفسرين كمجاهد والزجاج وابن الانبارى لا يبعد ان
يخلق الله للظلال انها ما يسجد بها لله ويخضع له كما جعل للجبال انها ما حتى اشتغلت بتسبيحه فظل المؤمن يسجد لله طوعا وهو طائع وظل الكافر يسجد
لغير الله كرها وتسجد لله طوعا وقال اخرون المراد من سجود الظلال تقلبها وامتدادها بحسب انتفاع الشمس وانحطاطها فهى منقادة مستسلمة لما اتاح
الله طما فى الاحوال وتخصيص الغدو والاصال بالذكر لغاية ظهورها وازديادها فى اوقتين ومعنى الغدو والاصال قد مر فى اخر الاعراف واعلم انه سبحانه
ذكر انه يسجد له فى النحل بعبارة اخرى فقال ولله يسجد ما فى السموات وما فى الارض من دابة والملائكة لانه تقدم ذكر ما خلق الله على العموم ولم يكن فيه
ذكر الملائكة ولا الانس بالتصريح فعم ليشمل الانس وصرح بالملائكة وقال فى الحج الم تر ان الله يسجد له من فى السموات ومن فى الارض تكريما من لانه تقدم
ذكر المؤمنين وسما الادبان فقدم ذكر من فى السموات تعظيما لهم وطما وذكر من فى الارض لانهم هم الذين تقدم ذكرهم واما فى هذه السورة فقد تقدم العقول
من الرعد والبرق ثم ذكر الملائكة وتسبيحهم ثم اخر الكلام الى ذكر الاصنام والكفار فبدا فى اخر السجود بذكر من فى السموات لذلك وذكر الارض تبعا ولم يد
من فيها استخفافا بالكفر واصنافهم فتبين انه ورد كل اية بما لائق بمقامها والله تعالى اعلم بمراده ثم اخبر عن التحقير بسؤال التقرير ردا على عبدة الاصنام
فقال قل من رب السموات والارض قل الله وهذه حكاية لاعترافهم لانهم كانوا يعترفون بانه الاله الاعظم وهذا كما يقول المناظر لصاحبه اذا قولك فاذا
قال هذا قولى قال هذا قولك فيحكى اقراره استيفاء منه ثم يقول له فبكم على هذا القول كمنت فى كيت وذلك قوله قل افاتخذتم ويجوز ان يكون تلقينا
لما يلزمهم انكارين له والهمزة فى افاتخذتم للانكار والمعنى بعد ان علمتموه رب السموات والارض اتخذتم من دونه اولياء جمادا ان عجزه عن تحصيل المنافع
والمضار لانفسهم فضلا عن غيرهم وموضع الانكار انهم جعلوا ما كان يجب ان يكون سبب التوحيد من العلم والاقرار سببا للاشراك ثم جعلوا مع ذلك
اخس الاشياء مكان اشرف الذوات وهذا اجهل لا مزيد عليه فلهذا شبههم بالاعمى وشبه جهلهم بالظلمات وانكر ان يكون شئ منها مساويا
لنقيضه فقال قل هل يستوى الاعمى والبصير ام هل تستوى الظلمات والنور جمع الظلمة وحد النور لان السبل المخترعة غير محصورة والصراط
المستقيم واحد ثم اكد الانكار المذكور بقوله ام جعلوا والمراد بل جعلوا لله شركاء خالقين مثل خلقه فتشابه الخلق الى خلق الله وخلقهم عليهم فلم
يدروا هذه الشركاء خلقوا مثل خلق الله حتى يتشابه الامر عليهم بل ليس لهم خلق اصلا بل كلما سوى الله عاجز عن الخلق بدليل قوله قل الله خالق كل شئ وهو

التوحيد الفهار المتوحد بالربوبية الذي لا يغالب وما علوه مربوب مقهور فالت المعتزلة للعبد فعل وتاثير ولكنا لا نقول انه يخالق كخالق الله لان العبد يفعل الجلب منفعة او دفع مضرة والله تعالى منزه عن ذلك واجيب بالمنع المخالفة من بعض الوجوه لا يقدح في المماثلة من وجه اخر ولو كان فعل العبد كالتحريك مثلا واقعا بقدرته لكان مثلا للتحريك الواقع بقدرة الله تعالى وهذا الاشكال وارد انهم على من يثبت للعبد كسبا ثم ضرب مثلا اخر للحق وحده وبه والباطل وشغله فقال انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها اي مياهها والوادي الفضاء المنخفض عن الجبال والتلال الذي يجري فيه السيل وقيل الوادي اسم للماء من حيث انه سال وفيه سالت مياهه فاعل الفاعل لا تعلم فاعل الا هذا وكانه حمل على فعيل فجمع على افعلة كجريب وجروب كما فعيلا حمل على فاعل فجمع على افعلة مثل يتيم وايتام وشريف واشراف كاصحاب انصاف صاحب وناصر وفال غيره ظهر وادوديه زاد وفند ومعنى التنكير فيه وبه ان المطر لا ياتي الا على طريق المناوبة بين البقاع فيسيل بعض وديته الارض دون بعض قال في الكشاف معنى بقدرها بمقدارها الذي عرفه الله انه نافع للمطر علمهم بدليل قوله واما ما ينفع الناس وقال الواحدي معناه سالت مياهه الاودية بقدرها الاودية فان صغر الوادي قل الماء وان اتسع كثر الماء والزبد هو الابيض المرتفع المنتفخ على وجه السيل ونحوه ومعنى رابيا قال الزجاج طافيا فوق الماء وقال غيره زائدا بسبب انتفاخه من ربا يربو اذا زاد ثم قال سبحانه اظهارا للكبرياء كما هو دابه من الملوك وربما توقف من عليه من الابتداء الغاية راجع الى وصفه بشاء من يشاء مثل زبد الماء او للتبعيض بمعنى وبعضه زبد مثله اراد به الاجسام المطروحة او اثبته والابقاد على الشيء قسمان احدهما ان لا يكون ذلك الشيء في النار كالاجر في قوله اوقد لي يا هامان على الطين والثاني ان يكون في النار كانواع الفلز وهذا قال ههنا زيادة لفظة في النار قال في الكشاف فائدته قوله ابتغاء حلية او متاع مثل فائدة قوله بقدرها الا ترى جمع بين الماء والفلز في النفع في قوله واما ما ينفع الناس اي واما ما ينفعهم به من الماء والفلز فذكر وجه الانتفاع بالفلز وهو اتخاذ الحلي من الذهب والفضة واتخاذ سائر ذوات البيت والمتاع من الحديد النحاس الرصاص والاسرب وما يتركب منها والمتاع كل ما تمتع به كذلك يضرب الله الحق والباطل اي يضرب الامثال للحق والباطل ومثله في اخوانه فاختصر الكلام بان حذف الامثال من الاول والحق والباطل من الثاني تاكيدا للمعطوف

او نقصان ثوابها والیہ الاشارۃ بقولہ ویخافون سوء الحساب والذین صبروا عن المعاصی وعلی الطاعات وعلی المصائب ابتغاء وجہ ربہم لا لاجل ان یقی ما اورعہ وما ازہدہ وما اصبرہ وغیر ذلک من الاغراض الفاسدۃ وانما یصبر علی التکالیف لانہا احکام المعبود الحق ویصبر علی الرزایا لانہا قسمۃ قاسم منصف فی ملکہ کیف یشاء او لانہ مشغول بالمقدر والقاضی لا بالقدر والقضاء وقد یرضی العاشق بالضرب والایلام لاستلذاذہ بالنظر الی وجہ معشوقہ فہکذا العارف یصبر علی البلایا والمحن لاستغراقہ فی بحر العرفان وفیضان انوار المعروف علیہ واقام الصلوۃ ولا یمنع دخول النوافل فیہا کقولہ ما زال العبد یتقرب الی بالنوافل حتی احببتہ وانفقوا مما رزقناہم سرا وعلانیۃ یتناول النفل لانہ فی السر افضل والفرض لانہ فی الجہر افضل کما مر فی اوائل سورۃ البقرۃ ویدرؤن بالحسنۃ السیئۃ ای یدفعون بالتوبۃ وہی الخصلۃ الحسنۃ المعصیۃ قال معاذ بن جبل اذا عملت سیئۃ فاعمل بجنبہا حسنۃ تمحہا او قیل لا یقابلون الشر بالشر انما یقابلونہ بالخیر کما روی عن الحسن اذا حوموا اعطوا واذا ظلموا اعفوا واذا قطعوا وصلوا وعن ابن عباس یدفعون بالحسن من الکلام ما ورد علیہم من سفیہ غیرہم یروی ان شقیق بن ابرہیم البلخی دخل علی عبد اللہ بن المبارک متفکرا فقال من این تبت قال من بلخ فقال وہل تعرف شقیقا فقال نعم فقال کیف طریقہ اصحابہ فقال اذا منعوا صبروا واذا اعطوا اشکروا فقال عمد اللہ ہکذا طریقۃ کلابنا وانما الکاملون الذین اذا منعوا شکروا واذا اعطوا اثروا وقیل مراد الآیۃ انہم اذا رأوا منکرا امروا بتغییرہ اولئک لہم عقبی الدار عاقبۃ الدنیا وہی الجنۃ التی ارادہا اللہ تعالی ان یکون مرجع اہلہا والعقبی مصدر کالعافیۃ ومثلہ البشری والقربی ویجوز ان یکون مضافا الی الفاعل والمعنی اولئک لہم ان یعقبوا مما لہم الدار التی ہی الجنۃ ومعنی جنات عدن تقدم فی سورۃ براءۃ ومن صلح معطوف علی فاعل یدخلونہا ویجوز ان یکون مفعولا معہ قال ابن عباس یرید من صدق کما صدقوا بہ وان لم یعمل مثل اعمالہم قال الزجاج بین ان الانساب لا ینفع اذا لم یحصل معہا اعمال صالحۃ قال الواحدی والاول اصح لان اللہ تعالی جعل من ثواب المطیع سرورہ بحضور اہلہ معہ فی الجنۃ فلو دخلوہا باعمالہم الصالحۃ لم یکن فی ذلک کرامۃ للمطیع ویمکن ان یوجہ قول الزجاج بانا لم نقصد بشارۃ المؤمن بان اہل الصلاح من اصولہ وفصولہ وازواجہ یجتمعون معہ فی دار الثواب فقد یمکن ان یکونوا جمیعا فی الجنۃ ولا یجتمعون فی موضع ولقائل ان یقول الدخول اعم من الاجتماع ولا دلالۃ للعام علی الخاص فتح اعتراض لواحدی والاباء جمع ابوی کل واحد منہم فکانہ قیل من بائہم وامہاتہم ولیس فی الآیۃ ما یدل علی التمییز بین زوجۃ وزوجہ ولعل الاولی من ماتت عنہا او ماتت عنہ وبوبہ ما روی عن سودۃ انہا لما ہم رسول اللہ ص بطلاقہا قالت دعنی بارسول اللہ احشر فی زمرۃ نسائک قال ابن عباس لہم خیمۃ من درۃ مجوفۃ طولہا فرسخ وعرضہا الہا ابواب مصاریعہا من ذہب یدخل علیہم الملائکۃ من کل باب یقولون لہم سلام علیکم بما صبرتم علی امر اللہ وقال ابو بکر الاصم من کل باب من ابواب البر کباب الصلوۃ وباب الزکوۃ وباب الصبر یقولون نعم ما اعقبکم اللہ بعد الدار الاولی وہذا یناسب قول حکماء الاسلام ان لکل مرتبۃ من مراتب الکمالات جوہرا قد سیاورہا علوا یختص بتلک الصفۃ فبعد المفارقۃ ینہض علی التفصیل الکاملۃ من ملک الصبر کمال مخصوص ومن ملک الشکر کذلک وعلی ہذا القیاس فقد یستدل بالآیۃ علی ان الملک افضل من البشر والا فلم یکن دخولہم علی المؤمنین موجبا لتہنیتہم واکرامہم ویمکن ان یجاب بان وجہ التکریم ہو مجیئہم باذن اللہ ومن عنده لا بمجرد المجیء والملائکۃ فی قولہ بما صبرتم یتعلق بالسلام والمعنی انما حصلت لکم ہذا السلامۃ بواسطۃ صبرکم او بدل صبرکم وروی عن النبی ص انہ کان یاتی قبور الشہداء علی رأس کل حول فیقول السلام علیکم بما صبرتم فنعم عقبی الدار ثم اتبع احوال السعداء احوال الاشقیاء وقد مر تفسیرہ فی اول البقرۃ علی ان الضد قد یعلم من الضد فیہ سوء الدار کان العاقبۃ لا یطلق الا علی العاقبۃ الحمیدۃ کقولہ والعاقبۃ للمتقین لان غیر الحمیدۃ لا یستاہل لان یکون عاقبۃ وقال فی الکشاف المراد سوء عاقبۃ الدنیا ولا حاجۃ الی ہذا الاضمار بناء ما قلنا قال ویجوز ان یراد بالدار جہنم ویسوء بہا عذابہا ذکرہا لہم لتظلم انہا بین سوء حالی المتاعصین کان لقائل ان یقول لہم قد فتح اللہ علیہم ابواب الرزق فی الدنیا فاجاب بقولہ اللہ یبسط الرزق والمراد ان الدنیا دار امتحان لا دار جزاء فقد یفوق ان یکون الجاہل الکافر خلی المال والعالم المؤمن بری الحال ولا تعلق لہذا المعنی بالکفر والایمان وللحصری ہو وجہ یوسع الرزق علی من یشاء کاہل مکۃ وبقدر ای یضیق ومعناہ انہ یعطیہ بقدر الضرورۃ وسد الرمق لا بفضل منہ شیء وفرحوا یعنی اہل مکۃ واضرابہم ببسط لہم من الدنیا فرح بطر واشر لا فرح یحدث بنعمۃ اللہ واظہار لفضلہ علیہم وما الحیوۃ الدنیا ونعیمہا فی جنب نعیم الآخرۃ الا متاع شیء یزہد فیتمتع بہا اما قلیلا ثم بعد ذلک حسرت لانہا نزر لا یجوز ومثل ہذا لا یوجب الفرح بل لا یجوز ثم حکی نوعا آخر من قبایح الکفرۃ فقال ویقول الذین کفروا لولا انزل علیہ آیۃ من ربہ وقد مر مثلہ فی ہذہ السورۃ وذکرنا انہ لیس بتکرار محض الا ان قولہ فی جوابہم قل ان اللہ یضل من یشاء ویہدی الیہ من اناب افبل علی الحق وحقیقۃ دخل فی نوبۃ الخبر فہنہ غموض واجیب بانہ جری مجری التعجب کانہ قیل ما اعظم عنادکم بعد ما انزلت من الآیات الباہرۃ ان الاضلال والہدایۃ من اللہ والمراد لا تشتغلوا بطلب الآیات ولکن تضرعوا الی اللہ فی طلب الہدایات فان الذی اضلہ اللہ الا یری الا بہ سحرا والذی ہداہ یراہ معجزۃ وقال الجبائی المعنی ان اللہ یضل من یشاء عن طریق الصواب بہذہ الآیۃ اقواما اخرین فلولا انکم تستحقون العقاب لہذکم الی الثواب بانزال ما اقترحتموہ وقیل المراد انہ تعالی انزل آیات ظاہرۃ ولکن الاضلال والہدایۃ من اللہ فلو شاء لہذاکم فلا فائدۃ فی تکثیر المعجزات الذین امنوا بدل ممن اناب وتطمئن قلوبہم عن ابن عباس یرید اذا سمعوا القرآن خشعت قلوبہم واطمأنت الاطمینان بایات لوعدنا بہا لوجل من آیات لوعد بہا حیث قال اذا ذکر اللہ وجلت قلوبہم والمراد ان علمہم بکون القرآن معجزا یوجب حصول الطمانینۃ لہم بانہ سبحانہ واحد لا شریک لہ صادق فی وعدہ ووعیدہ وبان محمدا نبی حق الا بذکر اللہ تطمئن القلوب التحقیق فیہ ان الانسان متوسط الوثیقۃ بین عالم الارواح وعالم الاجساد فاذا توجہ الی عالم الجسد استقا

علی الطاعات متعلق بمحذوف وقوی یتعلق بمحذوف ای یصبرون ابتغاء وجہ ربہم الصبر فی مقابلۃ عقبی الدار

التركيب

الجزء الثالث

الى التعرف به فيظهر له هناك امور ضرورية في التعيش ودونها البس بالهوى من خوف القفار فيقوى فكره ويضطرب احواله اما اذا توجه الى عالم الروح فانه يرى الاضطراب وينوجد المطلب بحصل الاستغراق في بحار العرفان والاستنارة بنور الايقان ومن وقع في لجة البحر لا يبالي ان يزيد وقوعا انا الغريق فما خوفي من البلل وقيل ان الاكسار اذا وقعت منه نزوة على النحاس انقلبت هباء صافيا ابدا على كر الدهور فاكسر جلال الله اذا وقع في القلب السليم كيف لا يقلبه جوهرا صافيا نورانيا امنا من التغير والزوال الذين امنوا مبتدأ خبره طوبى لهم وجوز في الكشاف ان يكون بدلا على حد في المضاف اليه قلوب الذين امنوا وطوبى مصدر طاب بطيب كبشرى ورواه منقلبة عن باء لضمة ما قبلها والام للبيان مثل سقيا لك والمعنى لطيب لهم على الدعاء والخبر عن ابن عباس من فرح وقرة عين الضحاك عيش لهم قتادة خير لهم الاصح خير وكرامة الزجاج عيش طيب لكل منقارب العبارة الجامعة ان الطيب لا شيء في كل الامور حاصل لهم وقيل طوبى شجرة في الجنة حكاه الاصم ان اصلها في دار النبي ص وفي دار كل مؤمن منها غصن روى عن رسول الله ص انه قال طوبى شجرة غرسها الله بيده بنبت الحلي والحلل وان اعضاءها لتزهر من وراء سور الجنة وعن بعضهم ان طوبى هي الجنة بالحبشية والمآب المرجع التأويل هو الذي يؤيد برق انوار الجلال فيغلب عليهم خوف الانقطاع والياس ويريهم برق اضواء الجمال فيغلب عليهم طمع الوصل ورجاء الاستيناس وينشئ السحاب الثقال بالوصل والافضال الثقال بمطر القبول والاقبال ويسبح الرعد وهو الملك المخلوق من نور الهيبة والجلال فيقع الهيبة في قلوب الخلق كلام حتى الملائكة فيسبحون من خيفته ويرسل صواعق القهر فيصيب بها من يشاء من اهل الخذلان فيحرق حسن استعدادهم في قبول الايمان ومن بتابع ذلك انهم يجادلون في ذات الله وفي صفاته كالفلاسفة الذين لا يتبعون الا ظنا والشرابح وكبعض المتكلمين من اهل الاهواء والبدع له دعوة الحق اي دعوة حق لمن دعاه فيستجيبه كما قال السموات والارض ائتيا طائعين وايضا له دعاء من يدعون الخلق بالحق الى الحق والذين يدعون من دونه اي بغير الحق لا يستجيبون لهم بشيء اذ لا يتأثر في الخلق نعم كمن يبسط يديه الى الماء اراءة الى الحق اثر يريد بشره وما هو ببالغه فلا يستجابون على الحقيقة وان استجيبوا في الظاهر لانهم استجابوا لهم على الهدى كما دعوا الى الحق بالهوى يدل عليه قوله وما دعاء الكافرين الا في ضلال ولله يسجد من في السموات والارض من الملائكة وارواح الانبياء والاولياء والصلحاء طوعا ومن ارواح الكافرين والمنافقين في الشياطين كرها بالتذلل والتسخير تحت الاحكام والتقدير ظلالهم اي نفوسهم فان النفوس ظلال الارواح وليس السجود من شأنها الا نادرا بالتسوية الامر حم اوب فانها تسجد بتبعية الروح معنى اخر ولله يسجد من في سموات القلوب والارواح والعقول طوعا ومن في ارض النفوس من صفات النفس النفوس الحيوانية والسبعية والشيطانية كرها وظلالهم وهي اثارها وتنابعها اخر ولله يسجد الارواح في الحقيقة وظلالهم وهي اجسامهم بالتبعية وهذا التسخير بمعنى وضع الجبهة وخص الوقتان بالذكر لان اثار الغدرة فيهما اكثر وان اريد الانقياد والتسخير احتمل ان يراد بالوقتين وقتا الانتباه والنوم فقط الاول يطلع شمس الروح من افق الجسد في الثاني يغرب فيه انزل من سما القلوب ماء المحبة فسالت اودية النفوس فاحتمل السهل زبدا رابيا من الاخلاق الذميمة النفسانية والحيوانية وانزل من سماء الارواح ماء مشاهدة انوار الجمال فسالت اودية القلوب فاحتمل السهل زبدا رابيا من الاوصاف البشرية وانزل من سماء الاسرار ماء كشوف الجمال فسالت اودية الاسرار فاحتمل السهل زبدا رابيا من انانيته اوحانيته وانزل من سما الجبروت ماء تجلي صفات الالوهية فسالت اودية الاسرار بقدرها فاحتمل السهل زبدا لوجود المجازي ومما توقدون عليه من البقاء في نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة فالبقي والاندروهي المذكية بالفنا ابتغاء حلية وهي التخلية بالبقاء الحقيقي او متاع وهو التمتع برزبد مثله مثل زبد البشرية وهو زبد المعرفة والتوحيد فاما الزبد في الاحوال كلها فيذهب جفاء بالفناء واما ما ينفع الناس من البقاء بالله فيمكث في ارض الوحدة المستعدة لقبول الفيض الاطف للذين استجابوا لربهم الحسنى وهي العناية الازلية التي هي الاستجابة من شأنها كقوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى والذين لم يستجيبوا له حين دعاهم للوصول والوصال لو حصل لهم ملء ارض البشرية من انواع اللذات والحظوظ واضعافها لجعلوه فداء لاعذاب المقطيعة وانفقوا مما رزقناهم اي انفصلوا عما سواه ليتصلوا به سرا بالانقطاع عما يشغل بواطنهم وعلانية بالانفصال عما يشغل ظواهرهم ويدرؤن بالاعمال والاحوال الحسنة صد الطلب الاحوال السيئة من اوقاع والقراف والملائكة يدخلون عليهم تبركا وتيمنا بهم بنعالهم من كل باب دخلوها بالاستفلال على اقدام السير بالله الى الله سلام عليكم بما صبرتم عن غير الله وعلى صد الطلب الابد كر الله تطمئن القلوب القلوب ربعة قلب قاس كقلوب الكفار والمنافقين فاطمئنانه بالدنيا وشهواتها رضوا بالحيوة الدنيا واطمأنوا بها وقلب ناس وهو قلب المسلم المذنب كقوله فنسي ولم نجد له عزما فاطمئنانه بالتوبة فتاب عليه وهدى وقلب مشتاق وهو قلب المؤمن فاطمئنانه بذكر الله كما في الابرار وقلب جذلان وهو قلب الانبياء وخواص الاولياء فاطمئنانه بالله وصفاته كقول الخليل ص ولكن ليطمئن قلبي اي يتجلى صفات الاحياء واما قلب مطمئن الغلب عليه نور الاطمئنان من مراءاة قلبه على نفسه فتصير مطمئنة ايضا فتسخن بحدثان العناية لخطاب ارجعي اشارة الى ان الاطمئنان ثمرة غرس شجرة الايمان والعمل الصالح في ارض القلب فقال الذين امنوا الآية فالاشارة بطوبى الى حقيقة شجرة لا اله الا الله ومثل كلمة طيبة كشجرة طيبة ولم يكن الا في قلب النبي ص وبتبعيته في قلوب المؤمنين ولهذا قال ص طوبى شجرة اصلها في داري وفرعها على اهل الجنة فافهم اهل الجنة فافهم كذلك ارسلناك في امة قد خلت من قبلها امم لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي لا اله الا هو عليه توكلت واليه متاب ولو ان قرانا سيرت به الجبال او قطعت به الارض او كلم به الموتى بل لله الامر جميعا افلم ييأس الذين امنوا ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة او

من صفات القلب

الرعد

تحل قريبا من دارهم حتى يأتي وعد الله إن الله لا يخلف الميعاد ولقد استهزئ برسل من قبلك فأمليت للذين كفروا
ع ١١ ثم أخذتهم فكيف كان عقاب أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت وجعلوا لله شركاء قل سموهم أم تنبئونه بما لا يعلم في الأرض
أم بظاهر من القول بل زين للذين كفروا مكرهم وصدوا عن السبيل ومن يضلل الله فما له من هاد لهم عذاب في الحيوة
الدنيا ولعذاب الآخرة أشق وما لهم من الله من واق مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الأنهار أكلها دائم
وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك ومن
الأحزاب من ينكر بعضه قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به إليه أدعو وإليه مآب وكذلك أنزلناه حكما عربيا
ع ١٢ ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا واق ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم
أزواجا وذرية وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله لكل أجل كتاب يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب
وإما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب أولم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من
أطرافها والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب وقد مكر الذين من قبلهم فلله المكر جميعا يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم
الكافرين لمن عقبى الدار ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب

القراءة متاب وعقابي وما بي بالياء في الحالين يعقوب والسرندبي بخلف قنبل واتفق سهل وعباس في الوصل بل زين ونحوه بالارقام على رهشام وصد وضم
الصاد وكذلك في حم المؤمن عاصم وحمزة وعلي وخلف يعقوب البانون بفتحها وبثبت محققا من الاثبات ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب عاصم الاخرون با
التشديد من التثبيت الكافرين على التوحيد ابو عمرو وابو جعفر ونافع وابن كثير والبانون الكفار على الجمع الوقوف بالرحمن الا هو لانقطاع النظم مع تخ
القائل متاب المولى ط لان جواب المحذوف لكان هذا القرآن جمعا في الموضعين وعد الله المعاد أخذتهم للاستفهام مع الفاء عقاب بما كسبت
لحق الخبر المحذوف التقدير لا ينفع ولا يضر ولان قوله وجعلوا يصلح استئنافا او حالا بإضمار قد شركاء سموهم لحق الاستفهام من القول عن السبيل
هاد شق لانفاق الجملتين مع النفي في الثانية واق المتقون لان التقدير فيما يتلى عليك مثل الجنة والموصل وجه يدل عليه التفسير الأكل لها وظلها التفاوت
قد يقبل الوصل اجوز لان الجمع بين بيان الحال هن ادل على الانبتا النار بعضه ولا اشرك بشرط عربيا العلم لان ما بعده جواب لو في ذرية بإذن الله
كتاب يثبت والوصل اجوز لتمام مقصود الكلام الكتاب احسانا اطراد الفاصلة لحكم حسانا جميعا كل نفس الدار رسلا وبينكم للعطف الكتاب للتفسير عن ابن
عباس والحسن أرسلنا الانبياء قبلك ذرية ازواجا قد خلت من قبلها امم وقال اخرون معنى التشبيه كما ارسلنا الى امم وانبناهم كتبا يتلى عليهم كذلك انبناك
هذا الكتاب انت تتلو عليهم فلما ومتاعهم وقال في الكشاف معناه مثل ذلك الارسال ارسلناك يعني ارسلناك ارسالا لا ريب فيه وفضل على سائر الارسال
ثم فسر كيف ارسله فقال في آية قد خلت من قبلها امم كثيرة فهي اخوالا مم وانت خاتم الانبيا ثم ذكر مقصود الارسال فقال لتتلوا عليهم الذي اوحينا اليك وهم يكفرون بحال هو لاء انهم يكفرون بالرحمن المفسرين خلاف في تخصيص لفظ الرحمن بالمقام فقال جار الله كفرهم بالبليغ الرحمة الذي وسعت رحمته
كل شيء وما بهم من نعمة فمنه فكفروا بنعمته في ارسال مثلهم وانزال هذا القرآن بالمعجز المصدق لسائر الكتب عليهم وعن ابن عباس نزلت في
كفار قريش حين قال لهم النبي صلعم اسجدوا للرحمن فقالوا وما الرحمن فقيل للنبي صلعم قل لهم ان الرحمن الذي انكم معرضون هو ربي لا إله إلا هو واحد فلها والمتاع
عن الشركاء عليه توكلت في نصرتي عليكم واليه متاب رجوعي فيثيبني على مصابرتكم وقيل نزلت في صلح الحديبية حين اراد وا كتاب الصلح فقال رسول
الله صلعم لعلي ع اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل ابن عمرو والمشركون ما نعرف الرحمن الا صاحب اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب كتب باسمك اللهم وهكذا
كان اهل الجاهلية يكتبون فانزل الله الآية فعلها هانين الوجهين كان الذم منوجها على كفرهم باطلاق هذا الاسم على غير الله تعالى لا على جحودهم واشراكهم
روي ان اهل مكة نقبوا في فناء الكعبة فاتاهم رسول الله صلعم وعرض عليهم الاسلام فقال له رؤساؤهم كابي جهل وعبد الله بن امية المخزومي سيرلنا جبال
مكة حتى ينفسح المكان علينا واجعل لنا فيها انهارا نزرع فيها واحي لنا بعض موتانا لنسئلهم احق ما تقول ام باطل فان كان عيسى يحيي الموتى او سخر لنا
الريح حتى نركبها ونسير في البلاد فقد كانت الريح مسخرة لسليمان ولست بأهون على ربك منه فنزل قوله ولو ان قرانا سيرت به الجبال عن مقارها او
ابلت عن مراكزها او قطعت به الارض اي وقع به السير في البلاد فوق المعتاد شبه طي الارض او شققت عن سرعتها فجعلت انهارا وعيونا او كلم به الموتى
بعد احيائهم به لكان هذا القرآن قال الواحدي لما سئل عن رسول الله صلعم بعد نزول هذا الوحي قال والذي نفسي بيده لقد اعطاني ما سالتم ولو
شئت لكان ولكنه خيرني بين ان ندخل باب الرحمة فيؤمن مؤمنكم وبين ان يكلمكم الى ما اخترتم لانفسكم ثم ان كفركم يعذبكم عذابا لا يعذب به احدا من
العالمين فاخترت باب الرحمة وقال الزجاج معناه ولو ان قرانا وقع به تسيير الجبال وتقطيع الارض وتكليم الموتى اي لغيبهم لما امنوا به كقوله ولو اننا
نزلنا اليهم الملائكة الآية وقال في الكشاف هذا الآية تعظيم شان القرآن ومعنى تقطيع الارض تصدعها كقوله لو انزلنا هذا القرآن على جبل
لرايته خاشعا متصدعا وقيل في الكشاف عن الفراء ان الآية بتعلق بما قبلها والمعنى وهم يكفرون بالرحمن وبدليل هذا الكلام وهو قوله ولو ان
قرانا سيرت به الجبال وما بعدها اعتراض ثم قال ردا عليهم بل لله الامر جميعا قال اهل السنة يعني انشاء فعل وانشاء لم يفعل ولا اعتراض لاحد عليهم
وقالت المعتزلة العقدة على الايات التي اقترحوها الا ان علمه بان اظهارها مفسدة بصرفه او لان يلجئهم الى الايمان الا انه ينافي التكليف على

الرعد

ع

ارسلناك كاف

المراد هم

الاخبار قالوا ويعضد قوله أم ينايس الذين امنوا ان لو يشاء الله مشيئة الالجاء لهدى الناس جميعا او لو يشاء لهداهم الى الجنة والمراد نفي العموم لا عموم النفي وذلك انه ما شاء هداية الاطفال والمجانين اجاب اهل السنة بان كل هذا خلاف الظاهر ومعنى افلم ييأس افلم يعلم وهذا لغة قوم من النخع وقال الزجاج انه مجاز لان اليأس عن الشيء عالما بانه لا يكون نظيره استعمال الرجاء في معنى الخوف والنسيان في معنى الترك لتضمنهما اياهما ويؤيده قراءة علي وابن عباس وجماعة افلم يتبين وهو تفسير افلم ييأس وقيل ان قراءتهم اصل والمشهورة تصحيف وقيل من حجة ان الكاتب كتبه مسنوء السنات وهذا القول ستجيء جلية الظن بارباب النقات الحفظة غير ذلك وهذا قال في الكشاف هذه والله قرية ما فيها مرية ويجوز ان يتعلق ان لو يشاء بامنوا معناه افلم يقنط من ايمان هؤلاء الكفرة الذين امنوا ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ثم اوعد الكافرين بقوله ولا يزال الذين كفروا يعني عامة الكفار تصيبهم بما صنعوا من كفرهم وسوء اعمالهم قارعة داهية تقرعهم من البسي والقتل وتحل القاعة قريبا من دارهم فتطير اليهم شرارها حتى يأتي وعد الله وهو اسلامهم او موتهم او القيمة وقيل خاصة في اهل مكة وكان رسول الله صلعم لا يزال يبعث السرايا حول مكة فتغير عليهم وتخطف منهم وعلى هذا احتمل ان يكون قوله او تحل خطابا له اي تحل انت يا محمد قريبا من دارهم بجيشك كما في الحديبية حتى يأتي وعد الله وهو فتح مكة وكان قد وعده الله الفتح عموما وخصوصا وكان كما وعد وكان معجزا ان الله لا يخلف الميعاد قد مر البحث عليه في اول سورة ال عمران ثم ازداد في الوعيد فقال ولقد استهزئ بها لانبيائها والاملاء الامهال وقد مر هنا والاستفهام في قوله فكيف كان عقاب للتقرير والتهديد ثم اورد على الجزاء بحرف الحاجز والتوبيخ والتعجب عقوبهم فقال أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت معنى القائم الحفيظ والرقيب الله العالم بكل المعلومات القادر على كل الممكنات كمن ليس كذلك وجوز في الكشاف ان يقدر الخبر بحيث يمكن عطف وجعلوا عليه التقدير أمن هو بهذه الصفة لم يوحدوه وجعلوا له شركاء فيكون قوله لله من وضع الظاهر مقام الضمير وذكر السيد صاحب حل العقد انه يجوز ان يجعل الواو في قوله وجعلوا لله للحال وبضمير المبتدأ خبر يكون المبتدأ معه جملة مفيدة لانكارها بقيد مقارنتها من الحال والتقدير أمن هو قائم على كل نفس موجود في الحال ثم جعلوا له شركاء فانهم الظاهر مقام المضمر كما قلنا تقريرا للاطهنة وتصريحا بها وانه هو الذي يستحق العبادة وحده وهذا كما تقول معطي الناس ومغنيهم موجود وبخير مثلي ثم زاد في المحاجة فقال قل سموهم اي جعلتم له شركاء فسموهم له من هم وابنوه باسمائهم وانما يقال ذلك في الشيء المستخف الذي لا يستحق ان يلتفت اليه فيقال سمان شئت بعيرا ناحر من ان يبتاع ويذكر ولكنك ان شئت ان تضع له اسما فافعل وقيل المراد سموهم بالالهة على سبيل التهديد قال في الكشاف ام في قوله ام تنبئونه منقطعة كقولك للرجل قل لي من زيد ام هو قل من ان تعرف اقول وذلك لانه لا شيء محض اذ لو كان الشريك هو موجودا وهو ارضي لتعلق علم العالم الذات المحيط بجميع المستقبلات ونحوه قل أتنبئون الله بما لا يعلم وقد مر في اول يونس ثم اكد هذا المعنى بقوله ام بظاهر من القول اي بل انتم سموهم شركاء بظاهر من الكلام من غير ان يكون له حقيقة كقوله ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها وهذا الاحتجاج من اعجب الاساليب التي اختص بها القرآن الكريم المعجز فلله در شان التنزيل ثم بين شبهتهم فقال بل زين للذين كفروا مكرهم قال الواحدي معنى بل ههنا كما يقال دع ذكر الدليل فانه لا فائدة فيه اترك ذا وكذا والكلام في ان المزين هو الله تعالى او غيره قد مر في اول سورة ال عمران وكذا البحث فيمن قرأ وصد وابتم الصاد واما من قرأ بالفتح فيحتمل ان يكون لازما اي اعرضوا عنه ويحتمل ان يكون متعديا اي صرفوا غيرهم والخلاف في قوله ومن يضلل الله تقدم في مواضع منها انوا الاعراف ثم عاد الى الابعاد فقال لهم عذاب في الحيوة الدنيا من القتل والاسر والنهب والذم والمصائب لامراضهم لانها فاسدة بسبب الموت بخلاف ايمان المؤمنين فانها صادرة لانها مامور بالصبر عليها والعقاب لا يكون كذلك ولعذاب الاخرة اشق لانه اشد ادوم وما لهم من الله اي من عذابه من واق من حافظ او ما لهم من جهة الله واق اي دافع ومانع من رحمته بل انما يمنع رحمته منهم باختياره وحكمه ثم عقب الوعيد بالوعد فقال مثل الجنة وتقديره عند سيتبوئها قصصنا عليكم مثل الجنة وقال غير الخبر تخريجا كما تقول صفة زيد اسمر وقال الزجاج انه تمثيل للغائب بالشاهد ومعناه مثل الجنة جنة تجري من تحتها الانهار وقيل ان فائدة الخبر ترجع الى قوله اكلها دائم كانه قال مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الانهار كما تعلمون من حال جنانكم الا هذه فان اكلها دائم كقوله لا مقطوعة ولا ممنوعة وظلها دائم ايضا والمراد انه لا حر هناك ولا برد ولا شمس ولا زمهرير ولا ظلمة وقد مر هذا البحث في سورة النساء في قوله وندخلهم ظلا ظليلا قيل في الآية دلالة على ان حركات الجنة لا تنتهي الى سكون دائم كما يقوله ابو الهذيل وانباعه قال القاضي وفيها دليل على ان الجنة لم تخلق بعد والا لانقطع اكلها لقوله تعالى كل من عليها فان كل شيء هالك الا وجهه قال ولم يكن ان تحصل الان في السموات جنات تمنع بها الملائكة ومن بعد حيا من الانبياء والشهداء وغيرهم الا ان جنة الخلد خاصة انما تخلق بعد الاعادة واجيب بانا نخصص عموم كل شيء هالك بالدليل الدال على ان الجنة مخلوقة وهو قوله اعدت للمتقين ثم ذكر عقائد الفرق في شان القرآن المتلو فقال والذين اتيناهم الكتاب قيل اراد بالكتاب القرآن يعني ان المسلمين يفرحون بما انزل اليك من الشرايع والعلوم ومن الاحزاب الجماعات من اليهود والنصارى وغيرهم من ينكر بعضه لانهم كانوا لا ينكرون الا فاصح بعض الاحكام المطابقة لشرائعهم وعقايدهم وانما انكروا ما يختص بنبوة الاسلام من نعت الرسول وغيره قال الحسن فتادة واعترض عليه بان اهل الاسلام هم بعينهم اهل القرآن معلوم ولا فائدة في ذكره ويمكن ان يقال المراد زيادة الفرح والاستبشار بما فيه من العلوم والفوايد وانهم يتلقون نزول الوحي بالبشر والطلاقة لا بالتثاقل والجهالة وقيل الكتاب التوراة والانجيل والمراد من اسلم من اليهود كعبد الله بن سلام وكعب من اسلم من النصارى عددهم ثمانون رجلا اربعون بنجران واثنان وثلثون بارض الحبشة فرحوا بالقرآن لانهم امنوا به صدقوه والاحزاب بقية اهل الكتاب المشركون قال ابن عباس وقال مجاهد اراد ان اليهود والنصارى كلهم يفرحون بما انزل اليك لانه مصدق

الرعد

لما معهم ومن سائر الكفرة من بنكر بعضه واعترض بانهم كلهم لا يفرحون بكل ما انزل الى رسولنا وقوله بما انزل يفيد العموم واجيب بالمنع من ان ما يفيد العموم الصحيح الاستثناء والصحيح ادخال كل عليه لانكرر ادخال بعض ولا نقض كما بين في محله بان يصرح بطريقته فقال قل انما امرت ان اعبد الله ما امرت الا بعبادته وعدم الاشراك به وبدء جمع فيه جميع وظائف العبد ثم ذكر اتم مع كماله مكمل فقال اليه ادعو خصه بالذكر على العموم دون غيره كائنا من كان ثم ختم بذكر المعاد فقال واليه مآب لا مرجع الا اليه ومن تامل في هذه الالفاظ عرف انها مع قلتها مشتملة على حاصل علوم المبدا والوسط والمعاد ثم ذكر بعض فضائل القران وارعد على الاعراض عن اتباعه فقال وكذلك انزلناه الضمير يعود الى ما في قوله بما انزل اليك او الى القران في قوله ولو ان قرانا وجاء التشبيه كما انزلنا الكتب على الانبياء بلسانهم كذلك انزلنا اليك هذا القران وقال في الكشاف معناه ومثل ذلك الانزال انزلناه اي ما اوجبنا فيه بعبادة الله وتوحيده والدعوة اليه والى دينه والانذار بدار الجزاء حكما عربيا نصب على الحال اي حكمة مترجمة بلسان العرب وقيل سمي حكما لانه حكم على جميع المكلفين بقبوله والعمل به او لانه اشتمل على اصول الاحكام والشرايع بجعل نفس الحكم للمبالغة روي ان الكفار كانوا يدعون رسول الله صلعم الى امور ليوافقهم فيها ضمنا ان يصلي الى قبلتهم بعد ما حوله الله عنها فاوعد على ذلك وعن ابن عباس الخطاب له والمراد امته وقدروا الوجوه في مثله فاوايل سورة البقرة قال الكلبي عيرت اليهود رسول الله صلعم وقالت ما نرى لهذا الرجل همة الا النساء والنكاح ولو كان نبيا كما زعم لشغله امر النبوة عن النساء فانزل الله تعالى ولقد ارسلنا رسلا الاية وبيان ان الرسل كانوا من جنس البشر لا من جنس الملك وما كان لهم نقص قبل الزواج والاولاد فقد كان لسليمان ثلثمائة امرأة منكوحة وسبعمائة سرية ولداود مائة وذراري يعقوب اكثر من ان تحصر وكانوا يفرحون الايات فاجاب الله تعالى عنه بقوله وما كان لرسول ان ياتي بايته الا باذن الله ولكل شيء من معجز واحد وازيد على ذلك بل اصل النبوة وتعين المعجز الواحد مفوض الى مشيئته سبحانه ولا حكم لاحد عليه وكان رسول الله صلعم يخوفهم بنزول العذاب وظهور نصرة الاسلام وذوبه وكانوا يكذبونه ويستبطئونه موصوفا جيبوا بقوله لكل اجل كتاب اي لكل وقت حكم مكتوب وحادث معين لا يتاخر ذلك الحكم او الحادث عنه ولا يتقدم عليه وقيل هذا على القلب اي لكل مكتوب وقت معين والتحقيق انه لاحاجة الى ارتكاب القلب لان المعنى يقتضي اللازم وكانوا ينكرون النسخ في الشرايع وفي التكاليف فنزل يمحو الله ما يشاء ويثبت اي يثبته فاستغنى بالتصريح عن الكتابة والمحو عن اثبات الكتابة ونحوها وقيل لا يثبت قولا ان الاول اقتضاء عامة وانه سبحانه يمحو من الرزق ويزيد فيه وكذا القول في الاجل والسعادة والشقاوة والايمان والكفر وهو مذهب عمر بن مسعود وقد رواه جابر عن رسول الله صلعم والذاهبون اليه كانوا يدعون ويتضرعون الى الله تعالى ان يجعلهم سعداء ان كانوا اشقياء وهذا الابتاء في قوة حجة العلم لان المحو والاثبات ايضا من جملة ما قضى به الثاني انها خاصة في بعض الاشياء فقيل اراد نسخ حكم واثبات اخر مكانه وقد مر تمام البحث في البقرة في قوله ما ننسخ من اية وقيل يمحو من ديوان الحفظة ما ليس بحسنة ولا سيئة لانهم مامورون بكتبة كل قول وفعل ويثبت غيره واعترض الاصم عليه بانه تعالى ذم الكفار لاجل هذا الكتاب لا بغاد صغيرة ولا كبيرة الا احصاها واجاب القاضي بان المراد صغاير التوب كبائرها وردبان هذا اصطلاح المتكلمين والمفهوم اللغوي اعم منه واولى المباحاث ايضا وقيل يمحو بالتوبة ما يشاء من الكفر والمعاصي ويثبت بدله الحسنة كقوله فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وقيل يثبت في اول السنة احكام تلك السنة فاذا مضت السنة نسخت كذا في المستقبل وقيل يمحو نور القمر ويثبت نور الشمس ويمحو الدنيا ويثبت الاخرة اما قوله وعنده ام الكتاب اي اصله فقيل هو اللوح المحفوظ عن النبي صلعم كان الله ولا شيء ثم خلق اللوح المحفوظ واثبت فيه احوال جميع الخلق الى يوم القيمة فعلم هذا عند الله كتابان احدهما اللوح المحفوظ وانه لا يتغير وثانيهما الذي يكتبه الملائكة على الخلق وهو محل المحو والاثبات روى ابو الدرداء عن النبي صلعم ان الله سبحانه في ثلث ساعات يقبل من الليل ينظر في الكتاب الذي لا ينظر فيه احد غيره فيمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء وقيل هو علم الله تعالى المتعلق بجميع الموجودات والمعلومات وانه لا يتغير ولا يتبدل بتغير الازمنة وتبدلها وقد مر تحقيقه في مواضع والمباين كيفية انطباق الحوادث على اوقاتها قال وان ما نرينك بعض الذي نعدهم من العذاب الى توفيناك قبل ذلك فليس يجب علينا الا التبليغ وما جاوزهم الا علينا والبلاغ يعني التبليغ كالسلام والكلام ثم ذكر ان اثار حصول تلك المواعيد وامارات انها قد ظهرت وقربت وان نباشر الظفر قد طلع لاحت فقال اولم يروا انا ناتي الارض يعني اثبان القهر والغلبة بدليل نقصها من اطرافها والارض مكة كان المسلمون يرون من اطرافها ونواحيها في البعوث والسرايا والجيوش والان صارت الارض اعم واشمل ولله الحمد على اعلاء شان المسلمين زاده الله علوا فلا يزال ينقص شيء من ديار الكفر ويزيد في بلاد الاسلام ونقل عن ابن عباس ان المراد بنقص اطراف الارض موت اشرافها وكبرائها وعلمائها وصلحائها قال الواحدي الذي بالمقام هو القول الاول وقد يوجه الثاني بانه اراد انهم اذا شاهدوا هذه الاعتبار فيما الذي يؤمنهم ان يقلب الله عليهم الامر فيجعلهم اذلة مغلوبين بعد ان كانوا اعزة غالبين ثم اكد هذا المعنى بقوله والله يحكم ومحل لا معقب لحكمه نصب على الحال والمعقب الذي يكر على الشيء فيبطله وذلك انه يعقبه بالرد والابطال فكانه قيل والله يحكم نافذ الحكم وهو سريع الحساب عن ابن عباس سريع الانتقام فيعاقبهم في الدنيا ثم سلى نبيه صلعم بقوله وقد مكر الذين من قبلهم برسلهم كمرود بابراهيم وفرعون بموسى واليهود بعيسى ولله المكر جميعا فالواحدي لان مكر جميع الماكرين بخليقة واراداته ولا تاثير لا بضر الا باذنه ولا يؤثر الا بتقديره وقال المعتزلي انه تعالى جعل مكرهم كلا مكرا بالاضافة الى مكره وقيل اراد فلله جزاء مكر الماكرين قال الواحدي والقول الاول اظهر بدليل قوله يعلم ما تكسب كل نفس يريد ان اكتسابها باسرها معلوم لله تعالى وخلاف معلومه ممتنع الوقوع فلا يقدر العبد على خلاف معلومه ونا قضت المعتزلة بانه اثبت لكل نفس كسبا فدل على انه مقدور العبد واجيب بان المقتضي للعلم

Muhammad Ali Lahore

عند فاهو مجمع القدرة والداعي وهذا معنى قولهم الكبر حامل للعصبة ثم الابتر وعبد الخويجا فقال وسيعلم الكفار من فز اعلى ظاهر ومن فز اعلى الوحدة فالمراد بالمحادين عن دين الله ابو جهل وعتبة واضرابهما من المشركين وهم خمسة والمقسمون هم ثمانية وعشرون ثم ذكر وجه حاصل شبههم مع الجواب القاطع بقوله ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا والمراد من هذه الشهادة انه اظهر المعجزات على وفق دعواه ولا شهادة اعلى من هذه لان الالوهية مما لا يقبل الا على الظن وهذه تفيد القطع بصحة نبوته ثم عطف على اسم الله ومن عنده علم الكتاب اي الذي حصل عنده علم القرآن وفهم معانيه واشتماله على الاسرار الالهية والنظم الانيق والاسلوب العجيب الفائق لقوى البشر فمن علم هذا الكتاب على هذا الوجه شهد بانه معجز ظاهر وان الذي اظهر هذا المعجز عليه بيده حق ورسول صدق وعن الحسن بن سعيد وعن الحسن بن سعيد جبير والزجاج ان الكتاب هو اللوح المحفوظ والمعنى كفى بالله بيني وبينكم شهيدا وبالذي لا يسلم علم ما في اللوح المحفوظ الا هو يعني الله عز وجل شهيدا وبعضهم قراءة من قرأ ومن عنده علم من الجارة واعترض على هذا القول بان عطف الصفة على الموصوف بعيد لان شهد بهذا بعيد والقفيه وانما يوزن بدا لقفيه وقيل المراد شهادة اهل الكتاب من الذين امنوا برسول الله كعبد الله بن سلام وسلمان الفارسي وتميم الداري لانهم يشهدون بنعته في كتبهم والاعتراض ان اثبات النبوة بقول الواحد والاثنين مع جواز الكذب على مثلهما لكونهم غير معصومين لا يجوز وقال الزجاج الاشبه ان الله تعالى لا يستشهد على صحة حكمه بغيره وعن الحسن والله ما يعني الا الله وعن سعيد بن جبير ان التوراة مكية وابن سلام واصحابه امنوا بالمدينة بعد الهجرة والله اعلم مراد التأويل وهم يكفرون بالرحمن يعني ان الصفة الرحمانية اقتضت ايجاد جميع الموجودات وافاضة جميع النعم كما ان صفة القهارية كانت مقتضية للوحدة بان لا يكون معه شيء ولا نعمة اجل من بعثة الرسل ففيه صلاح الدارين فلم فاذا جحدوا الرسول فقد جحدوا الرحمن وهذا سبب تخصيص هذا الاسم بالمقام كقوله ان كل من في السموات والارض الا اتي الرحمن عبدا ولقائل ان يقول الجواب هو الذي ربي لا اله الا هو لا يستحق العبادة الا هو ولا اقوص امري الا اليه والينا مرجعي كما كان منعما بالهداية مرتبا بحسب النفوس وقطعا عن ارض البشرية وكلما به موصلا القلوب الى منزلة علية بحسب هممهم بما صنعوا من كفرهم بالرحمن قادرا عن الاحكام الازلية تفرعهم في انواع المعاملات التي تصدر عنهم موجبة للشقاوة او تحل قريبا من دارهم قابلهم بان تصدر تلك المعاملات ممن يحجبهم عن الله لا لشغل وسلب عن قربه حتى يأتي فعند الله عند ذلك الشقاوة الازلية ومن امارات الشقاوة الاستهزاء بالانبياء والاولياء ثم اخذ نهاه امسكهم لئلا يرجعوا عن مقام الشقاوة انه عذبني الحيوة الدنيا بالبعد والحجاب عبودية النفس بالهوى ولعذاب الاخرة بانواع الحسرات والتحسر بالميتات والملكات الموجبة للدركات اكلها دائم هي مشاهدات الجمال ومكاشفات الجلال وظلها اي انهم في ظل معاملاتهم واحوالهم التابعة لتمسكهم جودهم على الدوام والذين انبناهم الكتاب هم السر والروح والقلب الذين فهموا اسرار القرآن ومن الاحزاب النفس والهوى والقوى من بكم بعضه لثقل التكليف عليهم وللجهل بفوائده ولئن اتبعت اهواءهم المخالفين بالشريعة الطلب من بعد ما جاءك من العلم وهو طلب الوصال بدل الانابة وجعلنا لهم ازواجا وذرية فيه ان الوسائط جعلت بينهم العنانية في البداية فقوام من حضيض الحيوانية الى اوج الروحانية ثم الى معارج النبوة والرسالة في النهاية فلم يبق فيهم من دواعي البشرية ما يجرهم الى الارواح بالطبيعة والركون الى الاولاد بخصائص الحيوانية بل ربهم الله سبحانه في ذلك على وفق الشريعة بخصوصية الخلافة باظهار صفة الخالقية ومثله وما جعلناهم جسدا لا ياكلون الطعام بحو الله ما يشاء الاهل المستعدة من فاعل اهل الشقاوة ويثبت لهم من حصل اهل السعادة وبالعكس لاهل الشقاوة وعنده ام الكتاب الذي قدر فيه ان الاخائم كل من الفريقين واما نرينك بالكشف بعض مقاماتهم كما اخبرت العشرة المبشرة باتهم في الجنة وعن غيرهم بانهم في النار او ما نتوفينك قبل ان ترى ذلك فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب سورة ابراهيم عليه السلام مكية غير ثلاث آيات نزلت بالمدينة الر كتاب انزلناه اليك وهي الم تر الى الذين بدلوا الى ثلاثة الاف واربع مائة وثلاثون بعدة كلمها ثمانمائة وخمس وخمسون الفا

بسم الله الرحمن الرحيم

الر كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد الله الذي له ما في السموات وما في الارض وويل للكافرين من عذاب شديد الذين يستحبون الحيوة الدنيا على الاخرة ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا اولئك في ضلال بعيد وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم ولقد ارسلنا موسى بايتنا ان اخرج قومك من الظلمات الى النور وذكرهم بايام الله ان في ذلك لايات لكل صبار شكور واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ انجيكم من ال فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم واذ تاذن ربكم لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد وقال موسى ان تكفروا انتم ومن في الارض جميعا فان الله لغني حميد الم ياتكم نبا الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا ايديهم في افواههم وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به وانا لفي شك مما تدعوننا اليه مريب قالت رسلهم افي الله شك فاطر السموات والارض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى اجل مسمى قالوا ان انتم الا بشر مثلنا تريدون ان تصدونا عما كان يعبد اباؤنا فاتونا بسلطان مبين قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا ان ناتيكم بسلطان الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون

وما لنا ألا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون وقال الذين كفروا لرسلهم
لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الأرض من بعدهم ذلك لمن خاف
مقامي وخاف وعيد واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ القراءة الله الذي بالرفع على الابتداء والخالبين ابو جعفر ونافع وابن عامر
المفضل وقوله يعقوب الحراعي عن ابن فليح بالرفع اذا ابتدأ وبالخفض اذا وصل الباقون بالجر مطلقا وعبد بالهمز في الحالين يعقوب في رواية رويس وسهل وعباس
في الوصل الوقوف آتوه الجهد ط لمن قرأ الله بالرفع وما في الارض ط شديدا بناء على ان الذين صفة الكافرين عموما بناء على ما قلنا او على ان الذين منصوب
او مرفوع على الذم اي اعني الذين او هم الذين وان جعل الذين مبتدأ خبره اولئك ضلال فلا وقف على عوجا ولك ان تقف على شديد للابتداء بعيد
لبيبين لهم لان قوله فيضل حكم مبتدأ خارج عن تعليل الارسال وبعد من بشاء ط الحكيم بإذن الله ط شكورا ساذكر اعظم لشديد جميعا لان ما بعده جزاء
حميد وثمود لم يعطف جعله مستأنفا ومن عطف فوقه على من بعدهم الا الله ط بالأرض ط نصلا لئلا يوهم الاستخبار والاخبار مستطرف لتقدم همزة
الاستفهام في يريدون مبين من عبادي ط بإذن الله ط المؤمنون سبلنا ط اذيتمونا ط المتوكلون في ملتنا ط من بعدهم ط وعيد ط لان ما بعده وصف صديد
لذلك بمبت ط غليظ التفسير كون السورة مكية او مدنية تمامه في الاحكام للعرف المنسوخ من التاسخ وغير ذلك المكية والمدنية سبيان قوله الر
كتاب اي السورة المسماة بالر كتاب انزلناه اليك لغرض كذا وان كان او مذكور او على جهة التعديد فقوله كتاب خبر مبتدا محذوف اي هذا القرآن او هذه
السورة كتاب الظلمات استعارة لطرق الضلال ومظانه والنور مستعار للحق واللام في لتخرج للغرض عند المعتزلة وللعاقبة عند الحكيم وان شئت فقل العاقبة
واللام في الناس للجنس لمستغرق ظاهر ففيه دليل على ان دعوته عامة ومعنى اخراج النبي صلعم اياهم من الظلمات الى النور انه سبحانه جعل انزال الكتاب عليه دعوته
اياهم الى الحق واسطة لهدايتهم لا امطر ولكن باذن ربهم اي بتسهيله وتيسيره وكل ميسر لما خلق له والحاصل ان المراد من الاذن معنى يقتضي ترجيح جانب
الوجود على جانب العدم وهو حاصل الرجحان ففد حصل الوجوب عند المحققين وللكلام تعبير عن ذلك المعنى بدعائه الايمان احق بالايمن قال ابن عرفة
تعالى لا يمكن الا بالتعليل للذي عبر عنه بالاخراج من الظلمات الى النور واجيب بان معنى الاخراج التنبيه واما المعرفة فانما يحصل من الدليل وقوله الى صراط مستقيم بدل
من قوله الى النور بتكرير العامل الجار وجوز في الكشاف ان يكون على جهة الاستيناف كانه قيل الى اي نور فقيل الى صراط الحميد وفي ذكر الوصفين تأكيد لحقية
الصراط واستئثار لان العزيز هو القادر الغالب الحميد هو الكامل في خصاله من العلم والغنى وغير ذلك ولا ريب ان العزيز من هذه صفته كان سبيلا الذي
يخلع عباده مفضيا الى صلاح حالهم دنيا واخرا لا حاجة الى ارتكاب عبث وقبيح قال بعض العلماء انما قدم ذكر العزيز لان اول العلم بالله العلم بكونه
قادرا غالبا وهو معنى العزيز ثم بعد ذلك العلم بكونه غنيا عن الحاجات والتفاوت في هذا معنى الحميد ثم اثنى على نفسه تحقيقا لحقيقة صراطه وبيانا للوجه في العبث
فقال الله الذي مبتدأ وخبرا او المبتدأ محذوف تقديره هو الله ومن قرأ بالفعل انه عطف بيان للموصفين بناء على ان لفظ الله جار مجرى اسم العلم وقد سبق
هذا البحث مشبعا في تفسير البسملة من سورة الفاتحة ثم غلم الا يوجد عبد من لا يعترف بوجوده ولا يقر بوحدانيته وذلك قوله ولئن سألتهم من خلق السموات والارض
ليقولن الله وهو ما عليهم بالهلاك والثبور وكل سوء في الكشاف وجه اتصال قوله من عذاب شديد بالويل انهم يقولون ما يقولون من العذاب يقولون يا ويلاه الذين يستحبون اي
يؤثرون بخسا ون لان المؤثر للشيء على غيره كانه يطلب نفسه ان يكون ذلك الشيء عنده احب من الاخر وذلك ان الانسان قد يحب الشيء ولكنه يكره
كونه محبا له اما اذا احب الشيء وطلب كونه محبا له واحب تلك المحبة فتلك نهاية المحبة وهذا شان محبة اهل الدنيا للدنيا ولكنها اذا قرنت بالضلال
وقوله ويصدون عن سبيل الله اشارة الى الضلال وقوله ويبغونها عوجا اراد به الاضلال بالقاء الشكوك والشبهات واجتماع هذه الخصال هاهنا
الضلال فلهذا وصف ضلالهم بالبعد عن الحق لا ترفع عنه الطرف لاخر فيهما غاية الخلاف ويمكن ان يكون اسنادا مجازيا باعتبار ان صاحبه
بعيد عن طريق الحق ثم لما من على تكليف المكلفين بانزال الكتاب وارسال الرسول ذكر ان من كمال تلك النعمة ان يكون ذلك الكتاب بلسان اخيهم ليتمكنوا
بالابانة على ان اللغات اصطلاحية وضعها البشر احد وجماعة وحصل التعريف للبافين بالاشارة والقرائن كالاطفال قالوا ان كانت توقيفية فالتوقيف
انما يكون بالوحي والوحي موقوف على لغة سابقة لقوله وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه اي ملغتهم لزم الدور واجيب بان الابة تختص برسول لله قوم
ولا قوم لادم فيتهيأ التوقيف لبنه فيندفع الدور وتمسك طائفة من اليهود بهذه الابة في ان محمدا رسول الله لكن الى العرب لا الى قومه
وهم الذين عرفوا فصاحة القرآن واعجازه فيكون القرآن حجة عليهم لا على غيرهم والجواب سلمنا ان قومه هم العرب ولكن قوم النبي اخص من اهل دعوته فقد
يكون اهل دعوته الناس كافة بل الثقلين كما في حق نبينا صلعم لان التحدي وقع بالفريقين في قوله قل لئن اجتمعت الانس والجن وانما يكون اولى الالسنة اقوم
الرسول اولا الهم ليبين لهم فيفهموا عنه ما يدعوهم اليه ثم يبوبوا لتراجم في كل امة من امم دعوته مقام الاصل ويكفي التطويل ويؤمن اللبس التخليط ويوجب
للمفسر الثواب الجزيل في التعلم والتعليم والارشاد والاجتهاد وقال المعتزلة ان معنى قوله الا بان وهي قوله ليخرج الناس وسطها وهو قوله
ليبين لهم فان فائدة التبيين انما يظهر اذا كان المكلف قادرة واعيا واخوها وهو قوله الحكيم فان الحكيم انما خلق الكفر والقبايح بدلا على صحة مذهب
الاعتزال وقال الاشاعرة قوله باذن ربهم وقوله فيضل الله من يشاء وقوله العزيز لا يجامع ان يكون لغيره قدرة وتصرف يؤيد من هنا ان قول
الخ حققنا مسئلة الجبر مرارا فنذكر ومما يخص هذا الموضع قول الفراء اذا ذكر فعل وبعده فعل اخر فان لم يكن النسق مشاكلا للاول فالرفع على الاستيناف هو

الجزء الثالث عشر

الصحيح كسواه بنصبكم ونغير بالرفع بظهر في الآية قوله فضل بالرفع على الاستئناف كما تقول وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليكون بيانه لهم
ذلك أشرع بلغة لغتهم وعاداتهم ومع ذلك فإن المضل والهادي هو الله والبيان لا يوجب حصول الهداية إلا إذا جعله الله واسطة وسببا لما بين أن المقصود
من بعثة بيضاء هو اخراج الناس من الظلمات إلى النور أراد ان يبين أن الغرض من ارسال جميع الأنبياء لم يكن إلا ذلك وذكر لذلك مثالا لأخص موسى بالذكر
لان امة اكثر الامم سوى محمد كما جاء في الحديث ولكثرة معجزاته الظاهرة ومعنى اخرج لأن الارسال فيه معنى القول ويجوز ان يكون ان ناصبة والتقدير بأن
اخرج ومعنى التذكير بأيام الله الانذار بوقوع بعض ما وقع على الامم قبلهم ويقال ايام العرب حروبها وما ايامها وعن ابن عباس أيام الله نعماؤه من تظليل الغمام و
انزال المن والسلوى وما ذكره اهلاك القرون والايام التي كانوا تحت تسخير فرعون والمراد عظائم بالترغيب والترهيب وإن في ذلك لتذكيرا لتنبيه
دلائل لكل صبار شكور على الضراء والسراء وذلك ان فائدة الايات انما تعود عليهم حيث ينتفعون بها ولما امر الله موسى بالتذكير حكى عنه ذكرهم ولم
يقل هيهنا بأيامهم كما ذكر في المائدة اقتصارا على ما ذكره هناك وقوله عليكم ان كان صلة للتنعيم بمعنى الانعام فقوله اذ انجاكم ظرف للانعام ايضا وان كان
مستفادا بمعنى اذكروا نعمة الله مستقرة عليكم جاز ان ينتصب اذ انجاكم بعليكم وفي الوجهين جاز ان يكون اذ بدلا من النعمة اي اذكروا وقت انجائكم وهو بدل
الاشتمال وما في الآية قد مر في اول البقرة ومن جملة النعم قوله واذ تأذن اي واذكروا حين اذن ربكم ايذانا بليغا ينفي عنه الشكوك وتراجع معه الشبهات
وقد لقنه في واخر الاعراف ان فيه معنى القسم ولذلك جعلت اللام الموطئة للشرط والنون المؤكدة في الجزاء وقد سلف منا في هذا الكتاب ان
الشكر بالحقيقة عبارة عن صرف العبد جميع اقسام ما انعم الله تعالى به عليه فيما اعطاه لاجله ولا شك ان المكلف اذا سلك هذا الطريق كان دائما في مطالعة
اقسام نعم الله وفي ملاحظة دقائق لطفه وصنعه وفي اتعاب الجوارح في الاعمال الصالحة الكاسئة لانوار الملكات المجيدة وشغل النفس بمطالعة النعم يوجب مزيد
محبة المنعم وقد يترقى العبد من هذه الحالة الى ان يصير جميع همه شاغلا له عن رؤية النعم ويصد ومنه الاعمال الصالحة بطريق الاعتياد حتى يصير الطبع
طباعا والتكلف خلقا وهذا معنى قوله الشكر مزيد لانعام وقد يقبض عليه بحكم وعد الله الذي هو الحق والصدق وسجال مواهبه الدنيوية والدينية
لانه مقتضى اتساع طبيعا مفاد الواجب لوجود سحاب رحمته فيه نورا لوجوب فلا غرو اذ الاعجاب بفقاد ذلك النور كثير من الممكنات ويفتح عليه باب التصرف
في الخلق بالحق والحق وان كان حال المكلف بعيدا مما نحن بصدد اظهاره عليه ضد ذلك الاثار لا محالة وذلك قوله ولئن كفرتم يعني كفران النعم ان عذابي لشديد يعني
ثم ان منافع الشكر ومضار الكفران لا يعود الا الى صاحبه وعليه والله تعالى غني عن ذلك كله فقال ان تكفروا انتم الا يذ وذلك لذاته واجب الوجود في جميع صفاته
وان يكون كل الاكوان غنيا عن الحاجات متصفا بكل الكمالات وان لم يكن حامدا قولا الم يأتكم يحتمل ان يكون خطابا من موسى لقومه مذكرا لهم الغرض
تخويفهم بمثل هلاك من تقدم من القرون فيكون داخلا تحت التذكير بأيام الله واحتمل ان يكون مخاطبة من الله على لسان موسى لقومه يذكرهم امر القرون
الاولى قال ابو مسلم والاكثرون على انها ابتداء مخاطبة لقوم الرسول محمد بما طرهم عن مخاطبة نفسه وقوله والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله ان كان جملة من
مبتدا وخبر فالجملة اعتراض وان كان قوله والذين من بعدهم معطوفا على قوم نوح فقوله لا يعلمهم إلا الله وحده اعتراض ثم ان عدم العلم اما ان يكون
راجعا الى صفاتهم بان يكون احوالهم اخلاقهم ومدة اعمارهم غير معلومة وإما ان يكون فيما بين القرون القوام فما بلغنا اخبارهم كما روي عن ابن عباس
ان بين عدنان واسمعيل ثلثون ابا لا يعرفون وكان ابن مسعود اذا قرأ هذه الآية قال كذب النسابون يعني انهم يدعون علم الانساب فدفى الله عليهم ذلك
العباد ونظم الآية قوله وقد نبأ بعض ذلك كثيرا منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك قال القاضي وعلى هذا الوجه لا يمكن القطع بهذا الاستثناء
من لدن آدم على الاطلاق لانه لو امكن ذلك لم يبعد تحصيل العلم بالانساب الموصولة ثم انه تعالى حكى عن هؤلاء الاقوام انهم لما جاءتهم رسلهم بالبينات اتوا بامور
احدها انهم ردوا ايديهم في افواههم وفيه قولان احدهما ان المراد باليد الفم الجارحة وعلى هذا فيه احتمالان الاول ان الكفار ردوا ايديهم في افواههم
فعضوها غيظا وغيرا مما جاءت به الرسل كقوله عضوا عليكم الانامل من الغيظ قاله ابن عباس وابن مسعود وهو الاظهر ووضعوا الايدي على الافواه ضحكا
واستهزاء كما يفعله المتحابان اذا وضعوا ايديهم على افواههم مشيرين بذلك الى الانبياء ان اسكتوا عن ذكر هذا الكلام واسكتوا عن ذكر هذا الحديث قاله الكلبي
او اشاروا بايديهم الى السنتهم والى ما تكلموا به من قولهم انا كفرنا بما ارسلتم به راجع هذا جوابنا لكم ليس عندنا غيره فانا طالبهم من التصديق وهذا القول
قوي لعطف قوله وقالوا على قوله فردوا والاحتمال الثاني ان يكون الضمير راجعا الى الرسل والمراد ان الرسل لما اسمعوهم سكتوا ووضعوا
ايديهم على افواههم اراد وا انهم لا يعودون الى ذلك الكلام البتة او يكون الضمير الاخير راجعا الى الرسل والمعنى ان الكفار اخذوا ايديهم
الرسل ووضعوها على افواههم ليسكتوا او يقطعوا كلامهم او يكون الضمير الاخير فقط عائدا الى الرسل والمراد ان الكفار لما سمعوا وعظ الانبياء وفصلهم
اشاروا بايديهم الى افواه الرسل تكذيبا لهم وردا عليهم ووضعوا ايديهم على افواه الانبياء منعا لهم من الكلام هذه جملة الاحتمالات على القول الاول
القول الثاني ان ذكروا اليد والفم توسع ومجاز عن الى مسلم ان المراد باليد ما انطبقت الرسل بانواههم من الحج لان ذلك لا يليق لوحي من اجل التعمل انهم اذا كذبوا
الانبياء لم يبطلوها فانكأهم ردوها الى حيث جاءت منه على طريق المثل ونقل محمد بن جرير عن بعضهم انه يقال للرجل اذا امسك عن الجواب رد في فيه
فمعناه انهم سكتوا عن الجواب زجرا بانهم فما اجابوا بالتكذيب فالوا انا كفرنا بما ارسلتم به والمراد بما زعمتم ان الله ارسلكم به وكانهم في اول الامر
حاولوا اسكات الانبياء في المرتبة الثانية صرحوا بالكفر ثم نوعوا امرهم على الشك فلنا اراد وا انا كافرون برسالتكم وان نزلنا عن هذا المقام فلا اقل
من انا شك في صحة نبوتكم ومع كمال الشك لا يطمع في الاعتراف بنبوتكم ثم انه سبحانه حكى جواب الرسل وذلك قولهم أفي الله شك فاطر السموات والارض

ادخل همزة الانكار على الطرف ان الكلام ليس في الشك انما هو في المشكوك فيه وان وجود الله لا يحتمل الشك قال الشيخ المذنب المفتقر الى عفو ربه الكريم مؤلف الكتاب الحسن بن محمد المشتهر بنظام النيسابوري نظم الله احواله في الدارين ان كان من عقيدتي ان العلم بوجود الواجب في الخارج من جملة البديهيات وكان يستبعد ذلك كثير من اقراني واصحابي اذا رأوا ان الاقدمين ما زالوا يبرهنون على ذلك في الكتب الكلامية والحكمية فكتبت لاجلهم رسالة في الالهيات مشتملة على دلائل تجري مجرى التنبيهات على ذلك المعنى فان الضرورة قاضية فيه بها وان البحث في الاقتناص الى البراهين والآن ارى ان اذكر بعض تلك التنبيهات في هذا المقام لانها مقررة لقوله سبحانه انني في شك فاقول وبالله التوفيق المفهوم بالنظر الى ذاته الخارج اما ان يكون واجب الوجود فقط او واجب العدم فقط او ممكن الوجود والعدم فقط او واجب الوجود والعدم معا او واجب الوجود ممكن الوجود والعدم معا او واجب العدم وممكن الوجود والعدم معا او واجب الوجود واجب العدم وممكن الوجود والعدم جميعا فهذه اقسام سبعة والعقل الصريح لا يشك في استحالة خمسة اقسام منها في الخارج الاول واجب لعدم لذاته فقط الثاني واجب الوجود لذاته واجب العدم في ذاته معا الثالث واجب الوجود لذاته وممكن الوجود والعدم لذاته الرابع واجب العدم لذاته وممكن الوجود والعدم في ذاته ثم نقول ان العقل كما لا يشك في استحالة الوجود الخارجي لهذه الاقسام الخمسة ينبغي ان لا يشك في وجود الواجب لذاته فقط في الخارج لانه لو لم يكن موجودا في الخارج كان معدوما في الخارج فان كان عدمه لذاته كان من القسم الثاني من الممتنعات وان كان لغيره كان من القسم الثالث منها وكلاهما محال اذ المفروض خلافه فثبت كونه موجودا في الخارج بالضرورة وهو المطلوب بهذه طريقة عذراء ينسرق لنا من غير احتياج الى دور ولا تسلسل ودليلها المنوع المشهور وجه ثان الموجود في الخارج اما واجب او ممكن وهذه قضية انفصالية ضرورية بينها لانها ان كانت مستغنية عن المؤثر في وجوده الخارجي فواجب الا فممكن فنقول ان كانت القسمة حقيقية حتى يكون المعنى ان الموجود في الخارج هذان النوعان فقد ثبت وجود الواجب في الخارج بالضرورة وهو المطلوب ان كانت القسمة مانعة الجمع فقط لا محالة تكون مانعة الخلو فقط اما كونها مانعة الخلو فلاستحالة العقل رفعهما معا في الخارج ضرورة ثبوت موجود ما في الخارج بالضرورة واما انها ليست مانعة الجمع فلان الممكن موجود بالضرورة ولا منافاة بين وجود الواجب وجود الممكن بالضرورة والا لاستدل العقلاء من وجود الممكن على انتفاء الواجب بل يستدلون منه على نقيضه واذا كان الجمع بين الواجب والممكن ممكنا في الوجود والممكن موجود بالضرورة مع انه مفتقر في وجوده الى مؤثر موجود فلان يكون الواجب موجودا يكون اولى بالضرورة لاستغنائه عن المؤثر وكون ذاته كافية في ايجاب الوجود له وهذه مقدمة جلية مكشوفة لمن تأمل في مفهوم واجب الوجود لا معنى لوجوب الوجود الا انه وجود يوجد لنفسه من تلقاء نفسه ومع قطع النظر عما سواه ولهذا قال المحققون ان الوجود يقع على الواجب وعلى الممكن بالتشكيك بمعنى ان في الواجب اولى واولى منه في الممكن وجه ثالث طبيعة الواجب لطبيعة الممكن من حيث ذاتيهما اشتركا في صحة وجودهما الخارجي بالضرورة ويفترقان في ان الواجب ذاته كافية في ايجاب الوجود له والممكن لا يكفي فيه ذلك بل يحتاج في ايجاب وجوده الخارجي الى الغير ولا ريب ان الاول اقرب الى طبيعة الوجوب الثاني لان الموقوف على مقدمات اكثر اعسر وجودا والثاني واقع بالضرورة فالاول اولى ان يكون ضروري الوقوع وجه رابع نسبة كل محمول الى موضوعه لا يخلو في نفس الامر من ان يكون بالوجوب او بالامكان او بالامتناع فنسبة الوجود الخارجي الى الماهية الخارجية من حيث ذاتها لا يخلو من احد الامور الثلثة لكن نسبتها بالامتناع ظاهرة الاستحالة فهي اما بالامكان او بالوجوب لا شك ان نسبتها لو ورد الى ذات الموجود او لمن ينتسب الى غيره اذ الاصل عدم الغير فكل ما دل البرهان على ان وجوده من غيره لغيره او نفس محكم عليه بانه ممكن الوجود وما لا فلا برهان فيه على ذلك بل يدل على وجوب وجوده بجميع صفاته الكمالية فهو واجب الوجود من شك في وجوده او وجود من تلقاء نفسه ويكون متصفا بجميع الكمالات بعد مشاهدة ما وجوده من غيره وهو عرضة للتقايض والزوال كان هالا لان يحكم بخساسة نفسه لان نفس الامكان نقص لا نقص فوقه لاستتباعه العجز والافتقار وعدم العدم عليه الذي لا ضعف مثله والوجود المتصف بهذه الصفة بالضرورة فالوجود الذي يجوز العقل الصريح متصفا بصفة الوجود كيف لا يكون متصفا ومن استبهم عليه مثل هذا المجلى فلا بأس من ان نفسر خبر سادس مفتخر ذات الشيء اقرب انجابا له عند العقل من مقتضى كل ما يغايره لكن الوجود الذي مقتضاه الامكان ثابت في الخارج مع ان ثبوته في الخارج مقتض الغير فالوجود الذي مقتضاه الوجوب ثابت بالطريق الاولى وجه سابع الوجود الممكن ثابت بالضرورة وليس ثبوت ذلك الوجود من تلقاء نفسه والامكان وجودا واجبا لانا لا نعني بالوجود الواجب الا هذا فاما ان يكون من وجود واجب هو المطلوب او من وجود مثله وهو محال لانه يكون ثابتا في نفسه بتصور هذه افادة مثله فاذن حصل لنا وجود ممكن موصوف بالثبوت في نفسه وموصوفا بكونه مفيدا لوجود مثله فاذا صح هذان الوصفان للوجود الممكن المفتقر فكيف لا يصحان للوجود الواجب الغني بل نسبتهما الى الثاني اولى من نسبتهما الى الاول بحكم الفهم الصحيح وجه ثامن كون الشيء موجودا في نفسه اقرب قبولا عند العقل من كونه موجدا لغيره اذ ليس كل من له وجود في نفسه يكون موجدا لغيره وكل موجد لغيره موجود في نفسه واذا كان اتصاف الوجود الممكن مع ضعفه بعيدا لا مرية عن القبول والعناد فكيف لا يكون اتصاف الوجود الواجب مع قوته بأمرهما من القبول والانقياد حقيقا باسع انجذاب النفوس السليمة وغير السليمة من الانبياء والاولياء والحكماء وسائر العقلاء من اخوان الصفا واخدان الوفا وارباب البدع والاهواء الى وجود واجب وجدوا الى انفسهم وطالعوا ملكوت السموات والارض وما لهما في الاحوال الواردة عليهم من كشف رب او هجوم نعم اجل دليل على وجود رب جليل منزه عن سمات النقص والافول في حيز الامكان مفيض للخيرات مدبر للممكنات وهذا قال رب السموات والارض عن الظلمة المعاندين ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله ثم اخبر

انهم يعتقدون عن لسانهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ان لم يكن وجودهم عن تحقيق وصدق وانما كانوا ممكنين في انظار اهل الدين من الله وشفعاء منهم فالحاصل ان المؤمن المتدين والملحد الجاحد سيان في ان يشهد فطرته بوجود صانع للعالم واجب الذات وصفاته ولا ادل من ذلك على ان ضرورة الوجود وجه عاشر وهو الاستدلال بالامكان كل موجود سوى الواجب فله ظهور في الخارج لكنه اذا اعتبر في نفسه لم يكن له ذلك من تلقاء نفسه فكان فقره الى نفسه وذلك القول له في وقت الامكان وازا كان ما مقتضى ذاته الا قول طالعا فما مقتضى ذاته الطلوع او بان يكون طالعا وجه حادي عشر وهو الاستدلال بالانفس من تامل في ذاته وفرض شخص هو اطلق لا يحس فيه بمنافاة وتغفل الخواص عن انعالها وجد شيئا هو هو وبذلك يصح اثبته وهو نفسه الناطقة التي تسميها الابدان فتسمى الملك الى المدينة يتصرف فيها كيف تشاء ومهما انقطعت علاقته عن ابدان صاحبه وانحرط في سلك الجمادات فكما ان البدن لضعفه وخسته مفتقر في قوامه وفي اموره الى مدبر يدبره ويقيمه فجميع العالم الجسماني بل الممكنات باسرها لخستها وفقرها بالذات تستند لا محالة الى ما هو اشرف منها وذلك ما وجوده من تلقاء نفسه هو الواجب الحق تعالى شانه ولولاه لبطل نظام العالم ولم يكن من الوجود عين ولا اثر وجه ثاني عشر وهو انور الوجوه واظهرها وهو الاستدلال بالنور على النور لا شك ان نورا يعني به ما هو ظاهر في نفسه مظهر لغيره فنقول ان كان ظهوره في نفسه بنفسه فهو المطلوب والا فيحتاج الى ما يظهره لا يمكن ان لا يكون ظاهرا في نفسه لان ما لا يكون له ظهور في نفسه لا يفيد ظهورا لغيره فننقل الكلام الى ذلك الظاهر بان نقول ان كان ظهوره في نفسه بنفسه فهو المطلوب والا فيحتاج الى ما يظهره وما يظهره لا يمكن ان لا يكون ظاهرا في نفسه لان ما لا يكون له ظهور في نفسه لا يفيد ظهورا لغيره فننقل الكلام الى ذلك الظاهر بان نقول ان كان ظهوره في نفسه بنفسه فذاك والا احتاج الى ما يظهره ولا بد ان ينتهي في طرف الصعود الى ما يكون ظهوره في نفسه بنفسه لا لما مر في طرف النزول الى الظاهر المفروض ولانها بما لا نهاية له محال من اي جانب فرض لا ينهض العمدة البرهنية نقضا علينا بناء على انها مسبوقة بوجودات لا يتناهى فان لا تناهيها في جانب الازل محال عندنا وكانا قد كتبنا في بعض كتبنا بيان استحالة ذلك فان نقلت الكلام الى نهض الواجب قلت الغيض الواقع في زمان الحال مسبوق بافاضات غير متناهية بالمحالة قلنا لو سلمنا ذلك لكنه لا يستحيل في الواجب لذاته وجوده وافاضاته المعتبرة كلها مقتضيات ذاته ومقتضى ذات الشيء يدوم بدوام الشيء ومستحيل انفكاكه عنه فالافاضة فيضانا بعد الافاضة غير وكون وجوده من اثره ولا يلزم من كون مطلق الفيض ازليا ان يكون الفيض المخصوص ازليا واذا ثبت وجوب انتهاء الظاهر المفروض الى ما هو ظاهر في نفسه بنفسه ثبت المطلوب وهو وجود نور الانوار تعالى شانه وبمرهانه وهو نهاية الممكنات في جانب الازل وبدايتها في جانب الابد فهو قديم ازلي لان وجوده مقتضى ذاته وما بالذات لا يزول فهو ابدي في الدوام هذا ما سنح من المنهات لهذا الضعيف اثبتها في هذا الكتاب الشريف لينفع انشاء الله على وجه الدهر وينظر فيها من هو من اهلها في كل عصر والله المستعان قال بعض العقلاء من لطم على وجه صبي فذلك اللطم يدل على وجود الصانع المختار وعلى حصول التكليف وعلى ثبوت دار الجزاء وعلى ضرورة بعثة النبي اما الاول فلان الصبي يصيح ويقول من الذي ضربني وما ذاك الا بشهادة فطرته على ان هذا اللطم لما حدث بعد عدمه فلا بد ان يكون حدوثه لاجل فاعل مختار ادخله في الوجود واذا كان هذا حال الحادث مع حقارته هكذا فما ظنك بجميع الحوادث الكائنة في العالم العلوي والعالم السفلي واما دلالته على وجوب التكليف فلان ذلك الصبي ينادي بصيحه ويقول له ضربني ذلك الضارب وفيه دلالة على ان الافعال الانسانية داخلة تحت التكليف ان الانسان ما خلق حتى يفعل الا شيء اشتهى واما دلالته على الجزاء فلانه يطلب الجزاء على ذلك اللطم ولا يتركه ما امكنه واذا كان الحال في هذا الفعل القليل كذلك فكيف يكون في جميع الاعمال واما وجوب النبوة فلانهم يحتاجون الى انسان يبين لهم ان العقوبة الواجبة على ذلك القدر من الجناية كم هي ولا فائدة في بعثة النبي الا تبيين الشرايع والاحكام ومما يدعو العاقل الى الاعتراف بالمبدإ والمعاد انا نراهم اثم بان ان الامر على خلاف ما نراه فلا ضرورة فيه البتة اما اذا انكروا الصانع والتكليف والجزاء وكانت هذه الامور في الخارج ثابتة حقة ففي انكارها اعظم المضار فيلزم على العاقل ان يعترف بها هذا ما هو اخذا بالاحوط ثم ان الرسل بعد التنبيه على وجود الصانع ذكروا فائدة الدعوة وغايتها وذلك تنان الاولى قوله يدعوكم الى الايمان ليغفر لكم من ذنوبكم استدل بالاية من حيث ان زيادة من في الاثبات تدل على قوله تعالى في موضع اخر ان الله يغفر الذنوب جميعا واجيب بانه لا يلزم من غفران جميع الذنوب لاشخص محمد غفران جميع الذنوب لغيرهم فالوجه ان يكون من للتبعيض تميزا بين الفريقين وقد مر ذكرنا استغفار الانبياء فانها جانت للكافرين لا مفر منه كما في هذه الاية وفي سورة الاحقاف قال لخطاب المؤمنين في سورة الصف يغفر لكم ذنوبكم بغير من وقيل اراد ان يغفر لهم ما بينهم وبين الله بخلاف ما بينهم وبين العباد من المظالم وقيل من للبدل اي ليكون المغفور بدلا من الذنوب ضعيف بل تعلم بوجد لها في اللغة نظير وعن الاصم انه اراد اذا بتم يغفر لكم بعض الذنوب التي هي الكبائر فاما الصغائر فالحاجة الى غفرانها لانها مغفورة وزيفه القاضي بان التصغير انما تكون مغفورة من الموحدين حيث يرجى توابهم على عقابها فاما من لا ثواب له اصلا فلا يكون شيء من ذنوبه صغيرا لا كبيرا مغفورا وقيل المراد ان الكافر قد ينسى بعض ذنوبه في حال توبته وايمانه فلا يكون المغفور منها الا ما ذكره وتاب منه وقال الامام فخر الدين الرازي في الاية دلالة على انه تعالى قد يغفر ذنب اهل الايمان من غير توبة لانه وعد بغفران بعض الذنوب مطلقا من غير اشتراط التوبة وذلك البعض ليس هو الكفر لانعقاد هم الاجماع على انه تعالى لا يغفر الكفر الا بالتوبة عنه والدخول في الايمان فوجب ان يكون ذلك البعض هو ما عدا الكفر من الذنوب لقائل ان يقول لانا لم نسلم انه لا يشترط التوبة في الاية لان قوله يدعوكم الى الايمان معناه امنوا ليغفر لكم فكانه

ابراهيم

قبل ان الايمان شرط غفران بعض الذنب فلم لا يجوز ان يكون ذلك البعض هو الكفر الغاية الثانية قوله ويؤخركم الى اجل مسمى عن ابن عباس اى بتأخير
فى الدنيا باللذات والطيبات الى الموت الطبيعى والاعاجلكم بعذاب الاستيصال وقد تحقيق الاجل فى اول الانعام ثم شرع فى حكاية شبه الكفار والجواب
ثالث الاولى قولهم ان انتم الا بشر مثلنا وذلك لاعتقادهم ان الاشخاص الانسانية متساوية فى تمام الماهية فيمتنع ان يبلغ التفاوت بينهم الى هذا
الحد مع اشتراك الكل فى ضروريات البشرية من الحاجة الى الاكل والشرب والوقاع وغير ذلك الثانية التمسك بطريقة التقليد وذلك قولهم
لتريدون ان تصدونا عما كان يعبد اباؤنا الثالثة انكارهم دلالة المعجزة على الصدق وعلى تقدير التسليم زعموا انهم اتوا بمعجزات اصلا الاعتقاد
ان معجزاتهم من جنس الامور المعتادة فاقترحوا سلطانا مبينا اى برهانا باهرا ومعجزا قاهرا ثم ان الانبياء سلموا انهم بشر مثلهم ولكنهم وصفوا انفسهم بمزيد
من عند الله بطريق المنة والعطية وبهذا استدل من جعل النبوة محض العطاء من الله اجاب المخالف بانهم لم يدعوا فضائلهم النفسانية والجسمانية
تواضعا منهم ولانه قد علم انه لا يختصهم بتلك الكرامة الا وهم اهل لها لخصائص فيهم واما الشبهة الثانية فانما لم يدعوا الجواب عنها لان صحة النبوة لهذه
فاعدة التقليد واما الشبهة الثالثة فجوابها وما كان لنا اى ما صح منا ان نأتى بآية اقترحتموها من تلقاء انفسنا وانما ذلك امر يتعلق بمشيئة الله
والظاهر ان الانبياء لما اجابوا عن شبهاتهم بما اجابوا فالقوم اخذوا فى السفاهة والتخويف فعند ذلك قالت الانبياء وعلى الله فليتوكل المؤمنون
الى قوله وعلى الله فليتوكل المتوكلون قال علماء المعانى الاول لاستحداث التوكل والثانى للتسبب فى ابقائه وادامته وقيل معنى الاول ان الذين
يطلبون المعجزات يجب عليهم ان يتوكلوا فى حصولها على الله لا علينا فان شاء اظهرها وان شاء لم يظهرها ومعنى الثانى ابدأوا التوكل على الله فى
دفع شر الكفار وسفاهتهم وفى قولهم وقد هدانا سبلنا اشارة الى ما سهل الله عليهم من طريقة التكميل والارشاد وتحمل اعباء الرسالة والصبر
على مناعبها فان ناثير نفوسهم فى عالم الارواح كناثير النفس فى عالم الاجسام بالاضاءة والانارة وقد عرفوا بالنفوس المشرقة بالانوار الالهية وبالنور
الصريح انه تشابههم من كيد الاعداء ومكر الحساد فى قولهم ولنصبرن على ما اذيتمونا دليل على ان الصبر مفتاح الفرج ومطلع الخيرات ومنتهى السعادات
اما قول الكفار للرسل او لتعودن فى ملتنا فقد مر البحث عليه فى سورة الاعراف فى قصة شعيب فقال صاحب الكشاف لعود ههنا بمعنى الصيرورة
حلفوا ان يخرجوهم البتة لان يصيروا كافرين مثلهم فاوحى الله اليهم ربهم لنهلكن الظالمين اوحى الايجاء مجرى القول لانه ضرب منه او ضمن
القول معنى الايحاء من اذى جاره ورثه الله داره ذلك لمن يخشى الله به من اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين ديارهم حق لمن خاف مقامى يريد
موقفه الذى يقف عباده يوم القيمة وهو موقف الحساب والمقام مصدر اضيف الى الياء على الحفظ والمراقبة كقوله أفمن هو قائم
على كل نفس او قيامى بالعدل والصواب مثل قائما بالقسط او المقام مقحم اى خافنى مثل سلام الله على المجلس العالى وخاف وعيد قال الواحدى
هو اسم من الايعاد للتهديد قال المحققون الخوف من الله معتبر للخوف من وعيد الله كما ان حب الله معتبر لحب ثواب الله وهذه فائدة عطف احد الخوفين
على الآخر قوله واستفتحوا الضمير اما للرسل والمعنى استنصروا الله على اعدائهم او استحكموا الله وسألوا القضاء بينهم من الفاتح وهى الحاكمة
واما للكفرة بناء على ظنهم انهم على الحق والرسل على الباطل وعلى الاول يكون فى الكلام اضمار التقدير فنصروا وفازوا بالمقصود وخاب كل جبار
عنيد معاند واصل العنود الميل من العند الناحية والجانب كان كلا من المتعاندين فى جانب اخر قبل الجبار وهو المتكبر اشارة الى ان فيه
خلق الاستكبار والعنيد اشارة الى الاثر الصادر عن ذلك الخلق وهو كونه مجانبا للحق معرضا عنه واصل الكلام على الاول واستفتح الرسل وخاب
الكفرة بان سبب خيبتهم عن السعادة الحقيقية تجبرهم وعنادهم من ورائه من بين يديه يقال الموت وراء كل احد وذلك ان قدام وخلف
كلاهما متوار عن الشخص اكملا فى لفظ وراء على كل واحد منهما وقال ابو عبيدة هو من الاضداد لان احدهما ينقلب الى الاخر وهذا وصف له
فى الدنيا والى الاخرة حين يبعث فى يوقف قال جار الله قوله ويسقى معطوف على محذوف تقديره يلقى فى جهنم ما يلقى ويسقى من ماء صديد اى
من ماء بهذا نوعه او صفته هذا والصديد ما يسيل من جلود اهل النار واشتقاقه من الصد لانه يصد الناظر عن دنوه او تناوله وقيل يخلق الله
فى جهنم ما يشبه الصديد فى النتن والغلظ والقذارة يجرعه بتكلف جرعة بعد جرعة لا يكاد يسيغه اى يقارب الاساغة فضلا عن الاساغة قيل ليس
المراد بالاساغة مجرد حصول المشروب فى الجوف لان هذا المعنى حاصل لاهل النار بدليل قوله يصهر به ما فى بطونهم وانما المراد جريان المشروب فى الحلق
بالاستطابة وقبول النفس لا بالكراهة والتأذى فلم يجعل ان يراد بالاساغة مجرد الحصول والابتلاع قوله يصهر به لا تدل على الحصول لقوله قبله يصب
من فوق رؤسهم الحميم بما يذيب الموت من كل مكان من جسده حتى من ابهام رجله وقيل من اصل كل شعرة وقيل المراد ان موجبات الموت احاطت به من
جميع الجهات ومع ذلك فانه لا يموت فيها ولا يحيى ثم اخبر الله تعالى بانه بعد ان يسقى كل وقت يفرغ من اكله وقت المستقبلة يكون اشد وانكى مما
قبله فقال ومن ورائه عذاب غليظ عن الفضيل هو قطع الانفاس وحبسها فى الاجساد قال فى الكشاف يحتمل ان يكون اهل مكة استفتحوا الله استطلبوا
والفتح المطر فى سنى القحط التى سلطت عليهم بدعوة رسول الله صلعم فلم يسقوا فدعوا بسقيا فانزل الله ترجمة ذلك وانه يجاء كل جبار عنيد وانه يسقى فى جهنم بدل
سقياه ما هو اخر وهو صديد اهل النار وعلى هذا التفسير يكون قوله واستفتحوا كلاما مستانفا منقطعا عن حديث الرسل وامهم الذاريات
بسم الله الرحمن الرحيم الذاريات هو الاسم الاعظم ابتدأ بخلق عالم الدنيا اظهارا لصفات الرحمانية التى هى للمبالغة لاشتمال الحيوان والجماد والكون
والكاف فى الرحيم وبخلق عالم الاخرة اظهارا لصفة الرحيمية لاختصاصها بالمؤمنين خاصة قوله الواء بالالف وبلطف ان انزلنا فانبتنا لتخرج

وعلى ان ينتصب
المفعول له مع
اختلاف الفاعل
الفاعل

الناس بالكاف نوره من ظلمات عالم الطبيعة والكثرة الى نور عالم الروح والوحدة باذن ربهم الذي ربيتهم هو لا انت وفي قوله الى صراط اشارة الى الفعل
هو طريق الوصول الى حضيض العز واستر باستار مظاهر القهر واللطف في الاختتام بقوله الله الذي له ما في السموات وما في الارض اشارة
الى امر بقي في تعالله وهي الممكنات لم يصل الى صفاتها يصل الى ذاته ومن وصل الى ذاته بالخروج عن اناينه الى هويته انتفع صفاته واعماله وويل
للكافرين من شدة الم الانقطاع عن الله ثم اخبر ان الكافر الحقيقي هو الذي قنع بالايمان النظري فاقبل على الدنيا واعرض عن المولى فضل وامثل
الا بلسان قومه اي بتكلم معهم بلسانهم وانما ارسلنا بواسطة جبريل المجدد موسى القلب باياتك عصا التذكر واليد البيضاء من الصدق
والاخلاص ان اخرج قومك وهم الروح والسر والخفي من ظلمات الوجود المجازي الى نور الوجود الحقيقي وذكرهم بايام الله التي كان الله ولم يكن معه شيء وهو
يحييهم بلاهم ان في ذلك المذكر لايات في فناء الوجود لكل صبار بالله مع الله عن غير الله شكور لنعمة الوجود الحقيقي بدل الوجود المجازي ولئن
شكرتم بالطاعة لازيدنكم في القرب اليكم لازيدنكم في محبتي لكم لازيدنكم في المحبة لازيدنكم في الوصول لازيدنكم في التجلي ولئن شكرتم
في التجلي لازيدنكم في الفناء عنكم ولئن شكرتم في الفناء لازيدنكم في البقاء ولئن شكرتم في البقاء لازيدنكم في الوحدة ولئن كفرتم نعمتي في
المعاملات كلها ان عذابي لشديد وقال موسى القلب ان تكفروا انتم بها الروح والسر والخفي بالاعراض عن الحق والاقبال على الطبيعة
النفس ومن في ارض البشرية من النفس والهوى والطبيعة بدعوكم من المكونات الى الملكوت ليغفر لكم بصفة الغفار بعض ذنوبكم التي اصابتكم من
حجاب عالم الخلق ويؤخركم في الخلق باخلاقه الى اجل مسمى هو وقت الفناء في الذات وعلى الله فليتوكل المتوكلون التوكل مقامات فتوكل المبتدي
قطع النظر عن الاسباب في طلب المرام ثقة بالمسبب وتوكل المنتهي قطع تعلق ما سوى الله والاعتصام بالله وهو خاف مقامي وهو مقام الوصول
الى الله هذا مقام الاخص واما خوف الخواص فهو من مقام الجنة وخوف العوام من مقام النار وخاف وعيد القطيعة واستبصر القلب والروح من
امر الله على النفس والهوى من ورائه اي قدام النفس ومتابعة الهوى جهنم الصفات الذميمة ويسقى من ماء صديد هو ما يتولد من الصفات
والاخلاق من الافعال الرذيلة يسقى من ماء صديد هو ما يتولد من الصفات يسقى منه صاحب النفس الامارة يجرعه بالتكلف ولا يكاد يسيغه
لانه يلبس من شر به باسباب الموت من كل مكان من كل فعل مذموم ومن ورائه عذاب غليظ هو عذاب القطيعة والبعد والله اعلم بالصواب
مثل الذين كفروا بربهم اعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو
الضلال البعيد الم تر ان الله خلق السموات والارض بالحق ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله
بعزيز وبرزوا لله جميعا فقال الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل انتم مغنون عنا من عذاب الله
من شيء قالوا لو هدانا الله لهديناكم سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص وقال الشيطان لما قضي الامر
ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني
ولوموا انفسكم ما انا بمصرخكم وما انتم بمصرخي اني كفرت بما اشركتمون من قبل ان الظالمين لهم عذاب اليم
وادخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم تحيتهم فيها
سلام الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي اكلها كل حين
باذن ربها ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون ومثل كلمة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما
لها من قرار يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الاخرة ويضل الله الظالمين ويفعل
ما يشاء الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا واحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار وجعلوا لله
اندادا ليضلوا عن سبيله قل تمتعوا فان مصيركم الى النار قل لعبادي الذين امنوا يقيموا الصلوة وينفقوا مما رزقناهم
سرا وعلانية من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال الله الذي خلق السموات والارض وانزل من السماء
ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بامره وسخر لكم الانهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين و
سخر لكم الليل والنهار واتاكم من كل ما سألتموه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الانسان لظلوم كفار

القراء الزياج على الجمع ابو جعفر ونافع الباقون على التوحيد خالق السموات والارض بلفظ اسم الفاعل حمزة وعلي وخلف الباقون بلفظ الفعل
سلسلا باسكان اللام حيث كان ابو عمرو وعلي بفتح الهاء حفص بضم حي بكسر الهاء حمزة الاخوين بالفتح اشركتمون بالياء في الحالين سهل ويعقوب
وابن شنبوذ عن قنبل وافق ابو عمرو يزيد وقنبه واسمعيل في الوصل البوار مالنا ابو عمرو وعلي بفتح الهاء ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب
الباقون بضمها لعبادي الذين مرسلة الهاء ابن عامر وحمزة وعلي ويعقوب الاعشى الباقون بالفتح من كل ما التنوين يزيد وعباس الباقون
بالاضافة لا خوف عاصف بنا على ان ما بعده مستأنف كان سائلا قال فهل يقدرون من اعمالهم على شيء فقيل لا يقدرون من اعمالهم على شيء البعيد
بالخط جديد لان ما بعده تتمة معنى الكلام بعزيز من شط ثمود بناكم محيص فاخلفتكم فاستجبتم لي لاختلاف الجملتين انفسكم لا يبدل النفير بمصرخ
لخوان من قال ان الا يبدل بقوله الى كفرت بتنح فجوابه ان الكفر بالاشراك واجب كالايمان من قبل اليم باذن ربهم سلام في السماء

ابراهيم

ربها ثم ذكر ون السبع الرابع من قرأ ط وفي الاخوج لتكرار اسم الله تعالى في الفعلين مع ان كليهما مستقل بخلاف قوله ويفعل الله الا ترى المغني
بيان قوله ويضلل الله ما يشاء البوار الهلاك مصدر لان ما بعده يصلح استيناف او حالا من فاعل احلوا او من مفعوله او من كليهما يصلونها اصلوا نفسا
حسن سبيلا الى النار ولا يحسن حالا لان فعل الكفر بلم يخرج الا نهار حا ثبين والتهاريح لحسن هذا الوقوف مع العطف لتفصيل النعم نبهما على الشكر
سالنموه لابتداء الشرط مع تمام الكلام لا يحصوها كفار النعم لما ذكر في الآيات المتقدمة انواع عذاب الكفار اراد ان يبين غاية حسرتهم
وبهاية خيبتهم فقال مثل الذين وا رتفاعه عند سيبتو على الابتداء والخبر محذوف اي فيما يتلى او نقص عليكم مثلهم وقوله اعمالهم
كرماد جملة مستانفة على تقدير سؤال سائل يقول كيف مثلهم وقال الفراء المضاف محذوف اي مثل اعمال الذين كفروا وانما جاز ان
استغنا بذكره ثانيا وقيل المثل صفة فيها غرابة فاخبر عنه بالجملة المراد صفة الذين كفروا اعمالهم كرماد كقولك صفة زيد عرضه مصون وماله
غير مخزون ويجوز ان يكون اعمالهم بدلا والخبر كرماد وحده والمراد باعمال الكفرة المكارم التي كانت لهم من صلة الارحام وعتق الرقاب وفك
الاسارى وعقر الابل للاضياف واغاثة الملهوفين واغاثة المظلومين شبهها في حبوطها لبنائها على غير اساس التوحيد والايمان برماد طيرته
الريح في يوم عاصف قال الزجاج جعل العصف للبوم وهو ما فيه يعني الريح مجازا كقولك يوم ماطر قال الفراء وان شئت قلت في يوم ذي
عصوف او في يوم عاصف الريح فحذف لذكره مرة وقيل المراد من اعمالهم عبادا تهم للاصنام ووجه حسرتهم انهم تعبوا ابدانهم فيها دهرا طويلا
ثم لم ينتفعوا بذلك بل استضروا به وقوله مما كسبوا على شيء الفهاس عكسه كما في البقرة لان على من صلة القدرة وهنا مما كسبوا صفة
لشيء ولكنه قدم في هذه السورة لان الكسب اعني العمل اكثر في ضرب له المثل هو المفعول به الا ان لو ولهذا اشار اليه بقوله ذلك هو الضلال
البعيد اي عن الحق والثواب ثم كان لسائل ان يسئل كيف يليق بحكمته اضاعة افعال المكلفين فقال ألم تر ان الله خلق السموات والارض
بالحق مستبنفة للفوائد والحكم دالة على وجوب اصابة القدر بخبوط الاعمال انما يلزم من كفر المكلفين وكونها غير مبنية على قاعدة الايمان والاخلاص
الامر انه سبحانه يمكن ان يوجد افعاله عبثا وخلقا وسهوا ثم بين كمال قدرته واستغنائه عن الظلم والقبائح وعن عمل كل عامل عاجل فقال ان يشأ
يذهبكم وقد مر مثله في سورة النساء وما ذلك على الله بعزيز يمتنع ركا تقدر الذات لاختصاصه بمقدور دون مقدور فان قيل الغرض من
الابنية اظهار القدرة وزجر المكلفين عن المعصية وذلك انما يتم بقوله ان يشأ يذهبكم فما فائدة قوله ويأت بخلق جديد وهل فيه دليل على ان الفناء
لا يوجد بدون القبض قلنا على تقدير تسليمه لا يحصر الفائدة فيه بل لعل الفائدة هي تاكيد التخويف فان التالم من تصور العدم المجرد ليس كالتالم
من تصور عدم مع افاضة غيره مقامه على ان الاذهاب لا يلزم منه الاعدام فيكون شبيها بعزل شخص ونصب غيره مقامه وللحكيم ان يستدل بقوله
يذهبكم على ان مادة الجوهر لا تعدم وانما تعدم الصور والاعراض والجواب ان الاذهاب ههنا بمعنى الاعدام ولو سلم فلا يلزم من عدم وقوع الاعدام
ههنا امتناعه في جميع الصور وفيه انه الخطوب بان يختبئ عقابه ويرجى ثوابه فلذلك اتبعه احوال الآخرة فقال وبرزوا بلفظ الماضي تحقيقا للوقوع
مثل وسيق ونادى والتركيب يدل على ظهور بعد الخفاء ومنه امرأة برزة اذا كانت تظهر للناس وبرز فلان على اقرانه اذا فاقهم ومعنى برزوا لله
وهو سبحانه لا يخفى عليه شيء انهم كانوا يستترون من الناس عند ارتكاب القبائح ويظنون ان ذلك خاف على الله فاذا كان يوم القيامة انكشفوا لله
فاذا كان القهار انكشفوا لله عند انفسهم وعلموا ان الله لا يخفى عليه خافية والمضاف محذوف اي برزوا لحساب الله وحكمه قال ابو بكر الاصم قوله وبرزوا
لله هو المراد من قوله ومن وراء عذاب غليظ وعلى قواعد الحكماء النفس اذا فارقت الجسد زال الغطاء وكشف الوطاء وظهر عليها آثار الملكات
الهيئات التي كان بمنعها عن الشعور بها اشتغالها بعالم الحس فذلك هو البروز لله فان كانوا من السعداء برزوا لموقف الجمال بصفاتهم القدسية
وهيئاتهم النورية فاجل تلك الاحوال وباطوبى لاهل النوال وان كانوا من الاشقياء برزوا لموقف الجلال باوصافهم الذميمة وهيئاتهم المظلمة
فاعظم تلك الفضيحة وما اشنع تلك الهيئة تركب الضعفو بوا وقبل الهمزة على لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة فيميلها الى الواو ومثله علوا في استكبروا
والضعفا العوام والاراذل والذين استكبروا سادتهم واشرافهم الذين استنكفوا عن عبادة ربهم تعالى فضلوا واضلوا قال الفراء اكثر اهل اللغة على
ان التبع جمع تابع كخادم وخدم وحارس وحرس ويجوز الزجاج ان يكون التبع مصدرا اي ذوي اتباع اي الكفار في الامور الدنيوية فهل انتم
مغنون هل يمكنكم دفع عذاب الله عنا ومن في من عذاب الله للتبعيض والمعنى هل تدفعون عنا بعض الشيء الذي هو عذاب
الله او كلها للتبعيض بمعنى هل انتم مغنون عنا بعض شيء هو بعض عذاب الله قالوا لو هدانا الله لهديناكم عن ابن عباس لو ارشدنا الله لارشدناكم قال الواحدي معناه انهم اتهموا دعوهم الى الضلال لان الله اضلهم ولو هداهم لدعوهم الى الهدى وقال في الكشاف لعلهم قالوا
ذلك مع انهم كذبوا فيه كقولهم يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم واعترض عليه بان هذا خلاف مذهبه لانهم لا يجوز
صدور الكذب عن اهل الفيهة كما مر في اوائل الانعام في قوله والله ربنا ما كنا مشركين وجوز ايضا ان يكون المراد لو كنا من اهل اللطف
فلطف بنا ربنا واهتدينا لهدينا كما في الايمان وزيف بان كل ما في مقدور الله تعالى من الالطاف فقد فعله وقيل لو هدانا الله
طريق النجاة من العذاب لاهتدينا عنكم وسلكنا بكم طريق النجاة بكوه هذا التفسير قوله سواء علينا اجزعنا ام صبرنا واعربه كقوله
سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم اراد وا افناطهم من دفع العذاب بالكلية اوارادوا ان عذاب الضعفاء لهم وتوبيخهم اياهم نوع

من الجزع ولا فائدة فيه ولا في الصبر جوز في الكشاف ان يكون قوله سواء عليهم من كلام الضعفاء والمستكبرين جميعا نظرا في وصل كلام انسان بكلام انسان اخر قوله ذلك ليعلم اني لم اخنه والمحيص النجي والمهرب مصدر كالمغيب والمحيض او مكان كالمبيت والمصيف لما ذكر مناظرة شياطين الانس بعضهم مناظرة شيطان الجن ومعنى قضي الامر قطع وفرغ منه وذلك حين انقضاء الحساب والاكثرون على انه بعد استقرار دخول الاشقياء النار والسعداء الجنة وعند اهل السنة هو بعد خروج الفساق من النار فليس بعد ذلك الا الدوام في الجنة او في النار يروى ان الشيطان يقوم عند ذلك خطيبا في النار فيقول ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم الوعد وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا انفسكم وقضي بينهم يقول الكافرون فقد وجد المسلمون من يشفع لهم فمن يشفع لنا فما هو الا ابليس هو الذي اضلنا فاتونه ويسلونه عند ذلك بقول هذا القول ووعد الحق من اضافة الموصوف الى صفته مثل مسجد الجامع وناولها وعد اليوم الحق وهو البعث والجزاء على الاعمال وفي الاية اضماران الاول ووعدكم وعد الحق فوفى لكم بما وعدكم والثاني ووعدتكم خلاف ذلك فاخلفتكم الوعد ووجه الاضمار الاول دلالة الحال عليه لانهم كانوا يشاهدون وليس وراء العيان بيان ولان ذكر نقيضه وهو اخلاف الوعد من الشيطان يغني عنه ووجه الثاني ايضا مثل ذلك ثم ذكر طريقي وسوسته عند اراءتهم فقال وما كان لي عليكم من سلطان من تسلط وقهر فاقسركم على الكفر والمعاصي الا ان دعوتكم قال النحويون هذا الاستثناء منقطع لان الدعاء ليس من جنس السلطان فالمراد لكن دعائي اياكم الى الضلال بوسوسة وبكن ان يوجه الاستثناء بالاتصال لان قدرة الانسان على حمل الغير على عمل من الاعمال تارة يكون بالقسر تارة بتقوية الداعية في قلبه بالغاء الوساوس اليه فهذا نوع من انواع التسلط فلا تلوموني ولوموا انفسكم لانكم ما سمعتم مني الا الدعاء والتزيين وكنتم سمعتم دلائل الله وشاهدتم مجيء انبيائه فكان من الواجب عليكم ان لا تغتروا بقولي ولا تلتفتوا الي فان قلت المعتزلة في الاية دلالة على ان الانسان هو الذي يختار الشقاوة او السعادة وليس من الله الا التمكين ولا من الشيطان الا التزيين ولو كان الامر كما يزعم المجبر لقال فلا تلوموني ولا انفسكم فان الله قضى عليكم الكفر واجبركم عليه وقول الشيطان وان لم يصلح للحجة الا ان عدم انكار الله تعالى عليه حجة هذا مع ان اول كلام اللعين مبني على الانصاف والصدق فكذا ينبغي ان يكون اخره قال المحققون الشيطان الاصلي هو النفس وذلك ان الانسان اذا احس بشيء اورد كه ترتب عليه شعوره بكونه ملائما له او بكونه منافرا له ويتبع هذا الشعور الميل الجازم الى الفعل والى الترك وكل هذه الاشياء من شان النفس الانسانية ايضا جوهر علوي مجرد فلا يبعد وصول اثر احدهما الى الاخر وذهب بعض الحكماء الى ان كل روح من ارواح البشر فانه ينسب الى روح معين من الارواح السماوية والنفس الناطقة هي روح الانسان كما قال تعالى ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها وقوله ان عبادي ليس لك عليهم سلطان اشارة الى عصمتهم بالاطمئنان الحاصل في النوم واليقظة هذا اذا كانت مشتركة فانها توسوسها بالخواطر الاثمة والافعال القبيحة والقوة العاقلة كانوا يسمونها من تلك الارواح بالطبع التام وذكر بعض العلماء احتمالا اخر وهو ان النفوس البشرية اذا فارقت ابدانها تتوب في تلك الصفات التي اكتسبتها في تلك الابدان وكملت فيها فاذا حدثت نفس اخرى مشاكلة لتلك النفس المفارقة من بدن مشاكل لبدن تلك النفس المفارقة حدثت بين تلك النفس المفارقة وبين هذا البدن نوع تعلق فتصير تلك النفس المفارقة معاونة لهذه النفس المتعلقة بهذا البدن وبعضد هاهنا في احوالها وافعالها فاذا كان هذا المعنى في ابواب الخير والشر كان الطاهر ان كان في باب الشر كان وسوسة ثم حكى الله سبحانه عن الشيطان انه قال ما انا بمصرخكم قال ابن عباس برئ بعضكم من بعض ولا منقذكم قال ابن الاعرابي الصارخ المستغيث والمصرخ المغيث صرخ فلان اذا استغاث وقال واغوثاه واصرخني اي اغثني وعاب الخريون على حمزة انه قرأ وما انتم بمصرخي لان ياء الاضافة لا يكون الا مفتوحة حيث قبلها الف نحو عصاي فاما بالها وقبلها ياء وحاصل ما عابوا عليه انهم لم يجدوا له نظيرا في استعمال العرب لكنك تعلم ان القراءة حجة على غيره قوله اني كفرت بما اشركتموني ان كانت ما مصدرية فالمعنى اني كفرت اي اتاجاحد وما كان لي رضى باشراككم في الدنيا مع الله في الطاعة او اني كفرت من قبل حين ابيت السجود لادم بالله الذي اشركتموني به ووجه نظم الكلام على هذا التفسير ان ابليس كانه يقول لا تاثير لوسوستي في كفركم بدليل اني كفرت بالله قبل ان كفرتم وما كان كفري بسبب وسوستي اخرى والاوم التسلسل فثبت بهذا ان سبب الوقوع في الكفر شيء اخر سوى الوسوسة وهذا النظير يناسب اصول الاشاعرة اما قوله ان الظالمين لهم عذاب اليم فالاظهر انه كلام الله ويحتمل ابليس ومن تابعه من المتقين وليس ببعيد ان يكون من تمة كلام ابليس قطعا لاطماع اولئك الكفار عن اعانته ثم شرع في بيان السعداء وقال وادخل على لفظ الماضي تحقيقا للوقوع وقوله باذن ربهم متعلق بادخل اي ادخلتهم الملائكة الجنة باذن الله وامره وقرأ الحسن ادخل على لفظ المتكلم قال في الكشاف فعلى هذا يتعلق قوله باذن ربهم بما بعده يعني ان الملائكة يحيونهم باذن ربهم وقد تقدم معنى قوله تحيتهم فيها سلام في اول سورة يونس ثم لما بين احوال السعداء وكان قد ذكر احوال اضدادهم اراد ان يذكر لكل من الفريقين مثلا قال في الكشاف كلمة طيبة نصب بمضمر اي جعل كلمة طيبة وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا او ضرب بمعنى جعل اي جعل الله كلمة طيبة مثلا ثم قال كشجرة طيبة وقال اهل العقد ظن ان الوجه ان يجعل قوله كلمة عطف بيان وقوله كشجرة مفعولا ثانيا عن ابن عباس الكلمة الطيبة هي قول لا اله الا الله محمد رسول الله والشجرة الطيبة شجرة في الجنة عن ابن عمر هي النخلة وقيل الكلمة الطيبة كل كلمة حسنة كالتسبيح والتحميد والاستغفار والتوبة والدعوة والشجرة كل شجرة ثمرة طيبة الثمار كالنخلة وشجرة التين والعنب والرمان وغير ذلك وقيل لا حاجة بنا الى تعيين تلك الشجرة والمراد ان الشجرة الموصوفة ينبغي لكل عاقل ان يبني في بستانه

ابراهيم

وادخارها لنفسه سواء كان لها وجود في الدنيا او لم يكن اما صفات الشجرة فالاولى كونها طيبة وتشمل طيب المنظر والشكل واذا اخذ وطيب الفواكه المتولدة منها وطيب منافعها واثنانيتها اصلها ثابت راسخ امن من الانقطاع والاستئصال ان الشيء الطيب اتما يكمل الفرح بحصوله اذا امن انقراضه وزواله والثالثة فروعها في السماء اعني جهة العلو وهكذا ناكيد لرسوخ اصله فان الاصل كلما كان اقوى وارسخ كان الفرع اعلى واشمخ ومن فوائد ارتفاع الاغصان بعدها عن عفونات الارض ونقاوتها عن الفاذورات قال في الكشاف فرعها اعلاها واسماها ويجوز ان يريد وفروعها على الاكتفاء بلفظ الجنس له الصفة الرابعة تؤتي اكلها كل حين اي تعطي ثمرها كل وقت وقته الله لاثمارها وعن ابن عباس الحين سنة اشهر لان من حملها الى صرامها ستة اشهر وقال مجاهد وابن زيد سنة لان الشجرة من العام الى العام تحمل الثمرة ولا سيما النخلة اذا تركوا عليها التمر بقي من السنة وقال الزجاج الحين الوقت طال ام قصر والمراد انه ينتفع بها في كل وقت يعرض ليلا ونهارا صيفا وشتاء باذن ربها بتيسير خالقها وتكوينه قال المحققون معرفة الله تعالى لا تستفاد الا من مجنسه وطاعة هي الشجرة الطيبة ولا لذيذ لا لهي لان المدركات المحسوسة اتما تصير مدركة للملائمات شيء من المحسوسات شبيها من الحاسة اما نور معرفة الله واثرها فانما يتفطن ويبصر في جميع جواهر النفس حتى انه يكاد يجذب به ثم ان سائر اللذات منقطعة مشاهدة ولذة المعرفة لا يكاد يفنى الى حد وان عروق هذه الشجرة ثابتة راسخة في جوهر النفس التي لطفت ولها شعب واغصان صاعدة في هواء العالم الروحاني بجمعها العظيم لامر الله ومنشأ ورقها القوة النظرية وغايتها الحكمة العملية بافنائها واصولها وفروعها واغصانها ثابتة في فضاء العالم الجسماني ومنتهى القوة العملية وفائدتها الحكمة الخلقية التي بجمعها الشفقة على خلق الله عموما وخصوصا واثر رسوخ شجرة المعرفة في القلب بكون نظرها للاعتبار فاعتبروا يا اولي الابصار وسمعها الحكمة الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه ونطقه بالصدق والصواب قولوا قولا سديدا وكذا الكلام في سائر الافواه والاعضاء وهذا لك واب الاذكار تختص مراتب الاستعداد واذا صاحبها النقص كما لا يخفى هذه الفضائل فقد يكون مكملا لغيره وذلك قوله تؤتي اكلها كل حين وفي قوله باذن ربها اشارة الى ان النظر في جميع هذه المراتب يجب ان يكون على الخوض لا على الخوض وعلى المنعم لا على النعم ويضرب الله الامثال لعلهم يتذكرون المبدء والمعاد وابانة فخامتها الكمال على النقصان واثر العرفان للعرفان فيكون روح جوهر نفسه كلمة طيبة كما قال في حق عيسى كلمة من الله واذا عرفت الكلمة الطيبة والشجرة الطيبة سهل عليك معرفة ضدهما فالكلمة الخبيثة كالشرك وكل كلمة قبيحة وكل نفس شريرة والشجرة الخبيثة الباطل وكل شجرة لا يطيب ثمرها كشجرة الحنظل والثوم ونحو ذلك ومعنى اجتثت استوصلت وحقيقة الاجتثاث اخذ الجثة كلها ما لها من قرار اي من استقرار مصدر كالثبات والبيات وعن قتادة انه قيل لبعض العلماء ما بقول في كلمة خبيثة فقال ما اعلم لها في الارض مستقرا ولا في السماء مصعدا الا ان يلزم عنوصا لجمها حتى يولج بها الفيهم قلت وذلك ان الباطل لا قائل به ولا يوافقه فهو من هو بصدد الاعتبار فهو مضمحل زائل والحق يفيض ذلك بل الباطل لا يستقر صاحبه عليه ولا يحصل له برد اليقين وكذا النفس الخبيثة لا يكون لها طمانينة ولا وقار بل اتما تسعى في الطرق المضلة والسبل المنحرفة كالذي استهوته الشياطين في الارض حيران ولما شبه حال الفريقين باشجار بين حال احدهما فقال يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت اي الذي ثبت بالحجة والبرهان وتمكن في قلب صاحبه بحيث لا يمكن التشكيك فيه مجال هذا في الحيوة الدنيا فالجزم اذا فتوا في دينهم بزلوا كاصحاب الاخدود والذين اشتروا بالمناشير وشقت لحومهم بامشاط الحديد وتثبيتهم في الاخرة انهم اذا سئلوا في القبور لم يتلعثموا واذا وقفوا بين يدي الجبار لم يبهتوا عن ابن عباس مرادهم على الشهادة في الحيوة الدنيا يثبتهم الله عليها في قبورهم بلفظها وقد ورد في حديث سوال القبر عن البر بن عازب مثل ذلك والسبب العقلي يوجب رسوخ الملكة بحيث لا يزول بتبدل الاحوال وتقلب الاطوار واما تفسير الاخرة ههنا بالقبر لان الميت ينقطع بالموت عن احكام الدنيا ويدخل في احكام الاخرة فمعناه لانه يثبت الله الذين امنوا بالله ويلهج الايمان بقلوبهم في الدارين او يثبتهم الله فيهما بسبب القول الثابت على القول الثابت وقيل معناه لانه يثبتهم الله على الثواب الكرامة بسبب القول الكرامة الثابت الذي كانت بصدد عنهم حال ما كانوا في الحيوة الدنيا وسبصدد عنهم حال ما يكونون في الاخرة ويرد عليه ان الاخرة ليست دار عمل وان كان قوله في الحيوة الدنيا متعلقا بقوله يثبت اي يثبتهم على الثواب في الدارين بسبب القول ويرد عليه ان الدنيا ليست دار ثواب ويمكن ان يناقش في هذا الايراد لقوله سبحانه من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حيوة طيبة ويضل الله الظالمين الذين وضعوا الباطل موضع الحق والشرك بدل التوحيد في الدارين فالجزم اذا سئلوا في قبورهم قالوا لا ندري ويفعل الله ما يشاء من التثبيت في الضلال ولا اعتراض لاحد عليه او من منع الالطاف ومنعها كما يقتضيه الحكمة ثم عجب مما لي مكة بقوله الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله اي شكر نعمة كفرا لما وضعوا مكان شكر الكفر او بدلوا نفس النعمة كفرا اي سلبوا النعمة فلم ينتفعوا بها الا الكفر وذلك ان الله تعالى اسكنهم حرمه ووسع عليهم معايشهم واكرمهم بمحمد صلعم فلم يقوموا بشكر ذلك النعم فضربهم بالقحط سبع سنين وقتلوا يوم بدر وبقي الكفر طوقا في اعناقهم واعنان من يتعهم وذلك قوله واحلوا قومهم دار البوار اي الهلاك وقوله جهنم عطف بيان وبئس القرار اي المقر مصدر سمي به قوله ليضلوا من فتح الياء فاللام للغرض والعاقبة ومن قرأ بفتحها فاللام للعاقبة لان العاقل لا يريد ضلال نفسه ولكنه قد يريد اضلال الغير لصلحة دنيوية واتما حسن استعمال اللام لاجل العاقبة من حيث انها تشبه الغاية والغرض من قبل حصول احد المرتبين في المشابهة احد الامور المصححة للمجاز قل تمتعوا امر وعيد وتهديد فعل جاء قبله ابدان بانهم لا نعماسهم في التمتع بالحاضر مامورون به فكانهم امروا بمطاعم هوامر الشهوة والمعنى ان دفع على ما انتم عليه من الاستمتاع لامر الشهوة فان مصيركم الى النار وانما سمي عيش الكفا

تمتعا لان امهالهم في الدنيا على اي وجه يفرض يكون اسهل مما اعدلهم في الآخرة من العقاب في النار كما نزل فيهم روي عن عمر انه قال هم من الاحمرين من قريش بوا المغيرة وبوا امنه فاما بوا المغيرة فكفتهم يوم بدر واما بوا امنه فتمتعوا حتى حين وقيل هم مشيخة العرب جبلة بن الايهم واصحابه ولما امر الكافرين بالتمتع بنعيم الدنيا هدد بامر يبطله ثم يحث المؤمنين على خلاف ذلك وهو الاقبال على ما ينفعهم الآخرة فقال قل لعبادي الذين المقول محذوف لان جواب قل يدل عليه التقدير قل لهم اقيموا الصلوة وانفقوا يقيموا الصلوة وينفقوا وجوز بعضهم ان يكون المذكور هو المقول بناء على انه امر غايب محذوف اللام واتما حسن الحذف لان الامر الذي هو قل عوض منه ولو قيل يقيموا الصلوة وينفقوا بدون حذف اللام لم يجز والحال المحالة اذا انفقوا اموالكم في الدنيا حتى تجدوا ثواب ذلك الانفاق في هذا اليوم الذي لا انتفاع فيه بمبايعة ولا مصافاة وانما ينتفع بالانفاق لوجه الله وفي المحالة في هذه الايتين قوله في البقرة لا بيع فيه ولا خلة الايتان في اثباتها في قوله الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين لان المتقين هي التي بينها ميل الطبيعة وربما النفس المتبتلة هي التي يوجبها الاشتراك في الايمان والعمل الصالح ولما ختم احوال المعاد عاد الى المبدأ فاخبره الذي خلق السموات والارض وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم وقد مر في اول البقرة والمراد من السماء جهة العلو وقيل نفس السماء وزيف بان الانسان ربما كان واقفا على قلل الجبال ويرى الغيم اسفل منه واذا نزل من تلك الجبال يرى الغيم حاطرا عليه وسخر لكم الفلك كقوله في واسط البقرة والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وقد مر ومعنى بامره بتسخيره وتقديره لانه خلق موادها واطلع صنعتها وجعل الماء بحيث يسهل على جميع جريها وان الملك العظيم قد يوصف بانه يفعل وانما يقال انه امر بكذا ومنهم من حمل الامر على الظاهر اي بقوله كن وسخر لكم الانهار وجه المنة فيها ان البحر قلما ينتفع بزراعة العمارة والزراعة للعفة والملوحة ففجر الله الانهار والعيون والابار الصالحة للانتفاع بها كما لا يخفى وسخر لكم الشمس والقمر اي صيرهما تحت تصرفكم وتقديره بحيث يعود انتفاع ذلك عليكم من التسخين والترطيب والاضاءة والانارة لانهما مدان للناس وقوله دائبين نصب على الحال والدؤب مر والشيء في العمل على عادة مطردة اي يدأبان في سيرهما وانارتهما وسائر منافعهما وخواصهما وهكذا معنى التسخير في قوله وسخر لكم الليل والنهار اي قدرهذين العرضين المتعاقبين لراحة الانسان ولمعاشه ولما فصل طرفا من النعم اجمل الباقية منها بقوله واتاكم من كل ما سئلتموه اي بعض جميع ما سالتموه ومن فيه اما تبعيضية والجملة نصب على الحال اي اتاكم من جميع ذلك غير سائليه وموصوفة بمعناه واتاكم من كل ذلك ما احتجتم اليه وطلبتموه بلسان الحال ثم بين ان نعم الله على عبيده غير متناهية فقال وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها لا تقدرون على تعدادها لكثرتها بل لعدم تناهيها قال ابو حاتم النعمة ههنا اسم اقيم مقام المصدر كالنقمة بمعنى الانتقام ولهذا لم تجمع ومن تامل في تشريح الابدان ضرورة في اعضاء الحيوان واجزائها من العروق الدقاق والاوردة والشرايين وفي كل واحد من الاعضاء البسيطة والمركبة ووقف على منافعها عرف بعض ما تولى الله تعالى عباده ايجاده وازاحة الانفال عنه وبتفكره في احوال الاجسام السفلية والعلوية ووقف من بديع صنعتها وعظيم منفعتها على ما يقتضيه منه العجب انتهى الى الملكوت في ودينة الحيرة والدهشة وتلاشى عقله عند ادنى سرادقات العزة والهيبة قال الحكيم اذا اخذت اللقمة الواحدة لتضعها في الفم فانظر الى ما قبلها والى ما بعدها اما الذي قبلها فكم من الطحن والزرع وغير ذلك من الآلات المهيئة والاسباب الفاعلية والقابلية حتى ينتهي الى الافلاك والعناصر واما الذي بعدها فكم القوى المعينة على الجذب والامساك والهضم والدفع وكم الاعضاء الحاملة لتلك القوى وكم ابواب الامور المنافعة في ذلك الباب خارجة عن ابدك او داخلة فيه فانها لا تكاد تحصر واذا كانت نعم الله تعالى في تناول لقمة واحدة تبلغ هذا المبلغ فكيف فيما جاوز ذلك هذا اذا كنت في عالم الاجسام فاذا تخطيت الى عالم الارواح ولجلت طرف عقلك في مبادي القدس وحظاير الانس وصادفت بعض ما هنالك من الكرامات واللذات فلعلك تعرف حق النعمة اذ تعرق في لجة المنة او تعرف من بعد المحنة والنعم هنالك على وفق الاستعداد وادراك النعم بمقدار الفهم والرشاد فان كنت اهلا لها فذاك والا فلم لا يقسك ان الانسان اي هذا الجنس لظلوم بظلم النعمة باغفال شكرها كفار شديد الكفران لها وذلك انه مجبول على النسيان والملالة فلا يدان يقع في اغفال شكر النعمة ان نسيها او في كفران النعمة اذا ملها وقيل ظلوم في الشدائد بالشكاية والجزع كفار في السعة بالمنع واعلم انه ختم الاية في هذه السورة بما ختم وختمها في النحل بقوله ان الله لغفور رحيم وكانه قال ان كنتم ظلوما فانا غفور وان كنت كفارا فانا رحيم فلا اقابل تقصيرك الا بالتوبة ولا اجازي جفاك الا بالوفاء تلك صفتي في الاخذ وهذه صفتي في الاعطاء التاويل يقرر ما ذكر من الفوائد الفاتحة لقوله تجيئا من القوي والضعيف فقال الضعفاء وهم المقلدة للذين استكبروا من المتبوعين انا كفرت بما اشركتمون من الملعبين حين لا ينفع نفسا ايمانها او دخل فيه اشارة الى ان الانسان اذا خلي وطباعه لا بد دخل الجنة لا تخاف ظلوما جحودا لاسفلا الطبع وانما بد خلة الله بفضله وعنايته جنات القلوب تجري من تحتها انهار الحكمة خالدين فيها باذن ربهم اي بعنايته والا لم يبق فيها ساعة كما لم يبق ادم جنة اهل القلوب لسلامة قلوبهم وتحتهم على اهل النفوس لمرض قلوبهم لسلوهم من شر نفوسهم وزاد الحاطبهم الجاهلون قالوا سلاما الا نزلك لم تشاهد بنور النبوة كيف ضرب الله مثلا للاستعداد الانساني القابل للفيض الالهي دون سائر الحيوانات فانه كلمة طيبة هي كلمة التوحيد كشجرة طيبة عن لوث الحدوث ثمرة اثمار شواهد انوار القدم اصلها ثابت في الحضرة

ابراهيم

النفر صح

الالهية فانها صفة فائزة بذاتها وفرعها في سماء القلوب نوتي اكلها من انوار المشاهدات والمكاشفات كل حين بتقرب العبد الى ربه بتقرب الرب تعالى اليه وبضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون الحالة الاولى فيسعون في ادراكها ومثل كلمة طيبة كشجرة طيبة اجتثت من فوق ارض البشرية ما لها من قرار لانها من الاعمال الفانية انكلمة الذين امنوا منكم في مقام الايمان بها لان كلمة لا اله الا الله والشجرة حقايقها في الجبروت الدنيا والاخرة لان ثمراتها الاعمال ينقطع بالموت وسائر ارباب الاحوال لا ينقطع ابدا الا اذا حلوا قومهم ارواحهم وقلوبهم ونفوسهم وابدانهم انزلوا ابدانهم جهنم البعد ونفوسهم الذكاء قلوبهم العمى والصمم والجهل وارواحهم العلوية اسفل سافلين الطبيعة فبدلوا نعم الاخلاق الحميدة كفرا لاوصاف الذميمة الله الذي خلق سموات القلوب وارض النفوس وانزل من سماء القلوب بالحكمة فاخرج به ثمرات الطاعات رزقا لارواحكم وسخر لكم فلك الشريعة لتجري في بحر الطريقة بامر الحق لا باهوية والطبع ولكم ارباب المطلب من سفن انكسرت بنكباء الهوى وسخر لكم انهار العلوم الدينية وشمس الكشوف ثم المشاهدات وليل البشرية ونهار الروحانية ومعنى التسخير في الكل جعلها اسبابا بالاستكمال النفس الانسانية وانا كم من كل ما سالتموه من سائر الاشياء المعينة على الله جميع العالم بالحقيقة شيء لوجود الانسان وسبب كماليته وهو ثمرة شجرة المكونات فلذلك قال وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها لان مخلوقاته غير محصورة وكلها مخلوق لاستكمال الانسان الا الانسان الظلوم بافساد استعداده كفارا لا يعرف قدر نعمة الله في حقه وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَ

وچون گفت ابراهيم پروردگار من بگردان اين شهر مكه را امن

اجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي ۖ وَمَنْ عَصَانِي

دور دار مرا و پسران مرا از آنكه بپرستيم بتان را پروردگارا بدرستيكه ايشان گمراه كردند بسيار از مردمان پس هر كه پيروي مرا پس بدرستيكه او از من است و هر كه نافرماني

فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا

پس بدرستيكه تو آمرزنده مهربانى پروردگار ما بدرستيكه من ساكن گردانيدم از فرزندان خود بزمين بيابانى نيست در او زراعت نزد خانه تو

لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ

تا برپا دارند نماز را پس گردان دلهاى برخى از مردمان را بسوى ايشان و روزى ده ايشان را از ميوها شايد كه ايشان

رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي

پروردگار ما بدرستيكه تو ميدانى آنچه پنهان ميداريم و آنچه آشكارا ميكنيم و پوشيده نيست بر خدا هيچ چيز در زمين

وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي ع

بخشيد مرا بر پيرى اسمعيل و اسحق بدرستيكه پروردگار من هر آينه شنونده دعاست پروردگارا گردان مرا برپادارنده نماز و از فرزندان

رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا

پروردگار ما و قبول كن دعاى مرا پروردگار ما بيامرز مرا و والدين مرا و

عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ

از آنچه ميكنند ستمكاران را انما جز اين نيست كه تاخير ميكند ايشان را براى روزى كه خيره ميماند در آن چشمها شتابان

وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ

و دلهاى ايشان تهى باشد حالى و بيم كن مردمان را از روزى كه بيايد ايشان را

نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ

عذاب پس گويد آنانكه ستم كردند پروردگارا باز پس ما را تا اجابت كنيم دعوت ترا و پيروى كنيم رسولان را آيا نبوديد كه سوگند ياد ميكرديد پيش از اين

ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللَّهِ

كه نيست شما را از زوال و ساكن شديد در مسكنهاى كسانى كه ستم كردند بر خويشتن و روشن شد بر شما كه چگونه كرديم با ايشان و زديم براى شما داستانها را و بدرستيكه حيله كردند

مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ

حيله ايشان و نزد خدا حيله ايشان است اگرچه بود حيله ايشان كه زايل شود از آن كوهها پس مپندار البته خدا را خلاف كننده وعده او پيغمبران او را بدرستيكه خدا

ذُو انتِقَامٍ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ ۖ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ

صاحب انتقام است روزيكه تبديل كرده شود زمين بغير اين زمين و آسمانها و ظاهر شوند از براى خداى يكتاى غالب و ببيني گناهكاران را از آن روز

مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ اللَّهَ

سريع الحساب هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا انما هو اله واحد وليذكر اولوا الالباب

القراءة ابراهام بالالف هشام والاخفش عن ابن ذكوان الى اسكنت بفتح الباء ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو ومن عصاني بالامالة على دعلن بالياء في المحالين ابن كثير وبعقوب وقراء ابو عمرو ويزيد وورش وحمزة وسهل والبرجمي والحمار عن هبيرة واحمد بن فرج عن ابي عمرو عن اسمعيل بالياء في الوصل والباقون والهاشمي عن ابن فليح بغير ياء في المحالين نؤخرهم بالنون عباس والمفضل في رواية ابي زيد الاخرون بالياء النزول بفتح الاول ورفع الاخر على الباقون بكسر الاول ونصب الاخر الفهار مثل البوارط بكسر الفاء وسكون الطاء والراء مكسورة منونة ان على انه اسم فاعل زيد عن يعقوب والوقف على قراءته ان بالياء الوقوف الاصنام طامن الناس منهن فصلا بين النقيضين مع انحاد الكلام رجيم المحرم الان قوله لهفيموا يتعلق بقوله اسكنت وكلمة ربنا نكرار يشكرون وما تعلنون وما خفي طوما في السماء الا واسحق الدعاء ومن ذريتي قد قبل الوصل وله للعطف وربنا نكرر دعاء اسكنت ظالمون يا الاصنام الان ما بعد حال طرفهم لاحتمال ان قوله وافئدة تام يكون من صفات اهل المحشر وان يكون من صفة الكفار في الدنيا هواه طرفهم بان قوله يخب جواب اخرنا الوسلطانا والا للعطف على اضمار لا للزوم وعند الله مكرهم الجبال رسله طان انتقامه لا يختص بوقت والتقدير اذكر يوم القهار ٢ الاصفاد لان الجملة بعد من صفات المجرمين التاء للعلق لام كي ما كسبت لحسنا الالباب للتفسير فصل ابرهيم يحتمل ان يكون مثالا للكلمة الطيبة وان يكون دعاء الى التوحيد وانكار الاصنام وان يكون تعديدا لبعض نعمه على عبيده فان وجود الصالحين لا سيما الانبياء والمرسلين رحمة فيما بين العالمين كما قال لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا وذلك بدعاء ابرهيم ومن نسله وعلى نبينا صلى الله سبحانه عليه وسلم ورضاها قوله ربنا يعلم هذا البلد امنا وقد ترى في البقرة الفرق بين هذا العبارة وبين ما هنالك لا ريب ان في مكة مزيدا من بركة دعائه حتى ان الناس مع شدة العداوة بينهم كانوا يتلاقون بمكة فلا يجاف بعضهم بعضا وكان الخائف اذا التجأ بمكة امن والملوك هناك استباحوا ليس في غيرها واتم فهم طلب الامن على سائر المطالب لانه لولاه لم ينفع الانسان شيء آخر من مهمات الدين والدنيا ومن هنا جاء التلفظ بكلمة الكفر عند الاكراه وسئل بعض الحكماء ان الامن افضل ام الصحة فقال الامن بلا ان شاء لو انكسر رجلها فانها تصح زمان ثم انها تقبل على الزمن والاكل واتها اذا ربطت في موضع وربط بازائها تمسك عن العلف لا تتناول شيئا الى ان تموت فدل على ذلك على ان الضرر الحاصل من الخوف اشد من الالم الحاصل للجسد ومنها قوله واجنبني وبني ان نعبد الاصنام قال جار الله اهل الحجاز يقولون جنبني بالتشديد واهل نجد جنبني واجنبني وفائدة الطلب الاجتناب حاصل لئلا تثبت الاداة لا انال من هضم النفس واظهار الفقر والخشوع والتماس العصمة من الشرك الخفي اما قوله وبني فقيل اراد بنيه من صلبه وانهم ما عبدوا صنما بمكة دعا لنفسه وقبل اولاده واولاد اولاده ممن كانوا موجودين حال دعوته وقال مجاهد وابن عتيبة لم يعبد احد من ولد ابرهيم صنما وهو التمثال المصور وانما عبدت العرب الاوثان بمعنى الحجارة المخصوصة كانت لكل قوم وزعموا ان البيت حجر فيه ما نصبنا حجرا فهو بمنزلة البيت فكانوا يعبدون بذلك الحجر وسموه الدوار لذلك استبان بقال طاف بالبيت لا بقي دار بالبيت وضعف هذا الجواب بانا اذا عبدنا غير الله فالوثن والصنم سبحان الله ما اسبحا وضعف الجواب بما يتبين كونهم مصورين كقوله ان الذين تدعون من دون الله عبادا امثالكم الا بات الى قوله وترتهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون وقيل ان هذا الدعاء مختص بالمؤمنين من اولاده بدليل قوله ومن ذريتي اي من اهلي ومنهم منه ان من لم يتبعه في دينه فانه ليس من اهله كقوله لابن نوح انه ليس من اهلك وقيل تروان عمم الدعاء الا انه اجيب في البعض كقوله ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين قال الاشاعرة ولم يكن الايمان والكفر بخلق الله تعالى لم يكن لا لتماس التبعيد عن الكفر معنى وحمله المعتزلة على نحو الالطاف ما قوله رب انهن اضللن كثيرا فانفقوا على ان نسبة الاضلال اليهن مجاز لانهن جمادات فهو كقولهم فتنهم الدنيا وغرتهم اي صارت سببا للفتنة والاغترار بها فان يتعدى على الملة الحنيفية فانه اي هو بعض اشراط الخصاصية من عصاني فانك غفور رحيم قال الزجاج معناه ومن عصاني ثم تاب وقيل ان هذا الدعاء كان قبل ان يعلم ان الله لا يغفر الشرك وقيل المراد انك قادر على ان تغفر له وترحمه بان تنقله من الكفر الى الاسلام وقيل اراد ان يهلهم حتى يتوبوا قبل ومن عصاني فيما دون الشرك فاستدل الاشاعرة باطلاقه من غير اشتراط التوبة على انه شفاعة في اسقاط العقاب عن اهل الكبائر واذا ثبت هذا في حق ابرهيم ثبت في حق نبينا بالطريق الاولى ثم اراد ان يعطف الله بدعائه قلوب الناس كلهم او جلهم على اسمعيل ومن ولده بمكة ان يرزقهم من الثمرات فعلل ذلك بمقدمة فقال ربنا اني اسكنت من ذريتي اي بعضهم بواد غير ذي زرع اي لم يكن فيه شيء من زرع قط كقولك فرارا غير ذي عوج اي لا عوج فيه اصلا ولم يوجد ذلك في زمن من الازمان وقد سبق في سورة البقرة قصة مجيء ابرهيم بهاجر واسمعيل واتيانه هاجر الهنالك وفي قوله عند بيتك المحرم دليل على انه دعا هذا الدعوة بعد بناء البيت لان في حين مجيئه بهما ومعه كون البيت محرما ان الله حرم التعرض له والتهاون به وجعل ما حوله حراما لاجل حرمته وانه لم يزل ممتنعا عزيزا ممنوعا بها به كل جبار كالشيء المحرم الذي حفه ان يجتنبه وقيل سمي محرما لانه حرم على الطوفان ان يتمكن منه كما سمي عتيقا لانه عتق منه فلم يستول عليه او حرم على المكلفين ان يقربوه بالدعاء والاقذار ولانه امر الجاعلين البيت ان يجرموا على انفسهم شيئا كان يحل لهم من قبل ربنا ليتموا الصلوة اي ما اسكنتهم بهذا الواد ذي الفقر الا لاقامة الصلوة عند البيت وعمارته بالذكر

ل افئدة من الناس من للتبعيض اي افئدة من افئدة الناس تهوي مجاهد لو قال افئدة

الناس

ابراهيم

الناس وجمعكم عليه فارس والروم والترك والهند وعن سعيد بن جبير لو قال افئدة الناس تحج اليهود والنصارى والمجوس لكنه اراد افئدة المسلمين وجوز في الكشاف ان يكون من للتبعيض كقولك القلب مني سقيم وعلى هذا فانما يحصل التبعض من تنكير افئدة فكانه قيل افئدة ناس ومعنى هوى شرع اليهم وتطير نحوهم شوقا ونزاعا وقيل تحط وتخدر الاصمعي هوى يهوي هويا اذا سقط من علو الى سفل وفي هذا الدعاء قولان احدهما ميل الناس الى ذلك البلد للنسك والطاعة والاخر نقل الافئدة اليهم للتجارة وفي ضمن ذلك يتسع معايشهم ويكثر ارزاقهم ومع ذلك فقد صرح بها فقال وارزقهم من الثمرات فلما جرم اجاب الله دعاءه فجعله حرما امنا يجبى اليه ثمرات كل شيء وقيل اراد ان يحصل حولها القرى والمزارع والبساطين ثم ختم الاية بقوله لعلهم يشكرون لبعد ان لم يحصوا الاصلي من منافع الدنيا وسعة الرزق هو التفرغ لاداء العبادات وافادة الوطاب لشرعية ثم اتبع ذلك سبحانه تمهيدا لدعوة اخرى وتعريضا ببقية الحاجات فقال ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن على الاطلاق لان الغيب والشهادة بالاضافة الى العالم الذات سيان وقيل ما نخفي من الوجد بسبب الفرقة بيننا وبين اسمعيل وما نعلن من البكاء والدعاء او اراد ما جرى بينه وبين هاجر حين قالت له دعوة عند الوداع الى من تكلنا فقال الى الله اكلكم قال المفسرون وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء من كلام الله عز وجل يضعف قول ابراهيم ويحتمل ان يكون من كلام ابراهيم ومن الاستغراق اي لا يخفى عليه الذي يستحق العبادة لذاته شيء ما في الوجود مكان يفرض الحمد لله وهب لي على الكبر اي مع كبر السن وفي حال الشيخوخة اسمعيل واسحق وكانا كذلك لكونه تعالى عالما بالعواقب والمستقبلات شكر ربه على هذه الموهبة لان المنتظر الولد في حال فوت الناس من الولادة اعظم لانها تنتهي الى حد الخوارق فكانه رمز الى انه طلب الله سبحانه ان يبقيهما بعده ولهذا ختم الاية بقوله ان ربي لسميع الدعاء وهو من اضافة الصفة الى مفعولها اي مجيب الدعاء او الى فاعلها بان يجعل دعاء الله سميعا على الاستعارة المجازية والمراد سماع الله تعالى ويحتمل ان يكون قوله ان ربي لسميع الدعاء رمزا الى ما كان قد دعا ربه وسأله اياه بقوله رب هب لي من الصالحين روي ان اسمعيل ولد له وهو ابن سبع وتسعين سنة وولد له اسحق وهو ابن مائة وثلث عشرة سنة وقيل اسمعيل لاربع وستين واسحق لتسعين وعن سعيد بن جبير لم يولد لابراهيم الا بعد مائة وسبع عشرة سنة ثم ختم الاية بقوله رب اجعلني مقيم الصلوة اي مديمها وصل ربنا اي واجعل بعض ذريتي كذلك لانه علم باعلام الله تعالى انه يكون من ذريته كفار وذلك قوله سبحانه لا ينال عهدي الظالمين ربنا وتقبل دعائي عن ابن عباس اي عبادتي وحمله على نقيضه الاعم السابقة ولانه اغير بعيد وربنا اغفر لي طلب المغفرة لابويه بشرط الاسلام لان مثل هذا انما يصدر عن الانبياء والاولياء ومقام الخوف الدهشة على ان زلل الاولى لا يمنع منهم وحسنات الابرار سيئات المقربين اما قوله ولوالدي فانما عرض عليه بانه كيف يستغفر لابويه وهما كافران وتبين بانه قال ذلك لشرط الاسلام ويقويه قوله تعالى الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك مستثنى من الاشياء التي يوثى فيها بابراهيم لو كان استغفاره مشروطا باسلام ابيه لكان استغفارا صحيحا فلم يحتج الى الاستثناء وقيل اراد بوالديه ادم وحواء والصحيح في الجواب انه استغفر له بناء على الجواز اذ العقل والمنع النقلي بعد ذلك لانه ابنه نوه بقوله يوم يقوم الحساب اي يثبت مستقرا من قولهم قام الغائم على الرجل ومثله قولهم قامت الحرب على ساقها او اسند الى الحساب قيام اهل الحساب مجازا او المضاف محذوف مثل واسئل القرية ثم عاد الى بيان الجزاء والمعاد لان دعاء ابراهيم ع فذا خرا لذكر الحساب فقال ولا تحسبن الله غافلا لان كان الخطاب لكل مكلف وللنبي والمراد امته فلا اشكال وان كان للنبي ص فمعناه التثبت على ما كان عليه من انه لا يحسب الله الا عالما بجميع المعلومات او المراد لا تحسبه بما لهم معاملة الغافل عما يفعل ولكن اوقيت عليهم الحاسب على التغير والتطهير وعن ابن عيينة تسلية للمظلوم وتهديد للظالم فلا تظن ان تولي ينتقم للمظلوم من الظالم لزم ان يكون غافلا عن الظلم او عاجزا عن الانتقام او راضيا بالظلم وكل ذلك مناف لوجوب الوجود المستلزم لجميع الكمالات انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار اي ابصارهم كقوله واشتعل الرأس شيبا اذا شخص بصر الجبان اذا بهت عينه مفتوحة لا تطرف وانما ذلك اذا كان عند غاية الحيرة وسقوط القوة مهطعين مسرعين قاله ابو عبيدة والغالب من حال من يبغي بصره شاخصا من شدة الخوف ان يبقى واقفا فيخبر الله تعالى ان حالهم بخلاف هذا المعنى لانهم مع شخوص ابصارهم يكونون مسرعين نحو ذلك البلاء وقال احمد المهطع الذي يظر اذله وخضوع وقيل هو الساكت المقبل برؤسهم رافعيها وهذا ايضا بخلاف المعتاد لان الغالب من يشاهد البلاء ان يطرق راسه لكيلا يرى ما يريد بهم طرفهم الطرف تخريك الاجفان على الوجه الذي خلق وجبل عليه وسمي العين بالطرف تسمية بفعلها اي لا يرجع اليهم ان يطرفوا عيونهم والمراد دوام الشخوص المذكور وقيل لا يرجع اليهم نظرهم فينظروا الى انفسهم وافئدتهم هواء والهواء الخلاء الذي يشغله الاجرام وصف قلوبهم بذلك لانه لا قوة فيها لان الاحمق يضاف قلبه هواء والمعنى ان قلوب الكفار خالية يوم القيمة عن جميع الخواطر والافكار لعظم ما نالهم وعن كل رجاء وامل لما تحققوه من العذاب والاظهر ان هذه الحالة لهم عند المحاسبة لتقدم قوله يوم يقوم الحساب وقيل هي عند ما يتمنى السعداء من الاشفياء وقيل عند اجابة الداعي والقيام من القبور وعن ابن جريج اراد ان افئدتهم الكفار في الدنيا صفر من الخير خاوية منه وقال ابو عبيدة جوف لا عقول لهم وانذر الناس يوم يأتيهم العذاب مفعول ثان لانذر اليوم يوم القيمة والكلام في العذاب المفهوم السابق من شخوص الابصار وغيره او المعلوم وهو عذاب النار ومعنى اخرنا امهلنا الى امد وحد من الزمان قريب يدل عليه هلا لنا بالعذاب العاجل او يوم موتهم معذبين بشدة السكرات ولقاء الملائكة بلا بشرى او لم تكونوا على اضمار القول اي فيقال لهم

ذلك وانفسهم اما بيان الحال حيث بواشد بدارا ملوا بعيدا واما بلسان المقال اشارة بطرا وجهلا وسفها وما لكم من زوال جواب القسم ولو قيل بالنافي من زوال على حكاية لفظ المقسمين لجاز من حيث العربية والمعنى اقسمتم انكم باقون في الدنيا لا تزالون بالموت والفناء ولا ينتقلون الى دار اخرى هي دار الجزاء كقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت ثم زادهم توبيخا بقوله وسكنتم استقر تم في مساكن الذين ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصي وهم قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم وتبين لكم بالاخبار والمشاهدة والعيان كيف فعلنا بهم من اصناف العقوبات وضربنا لكم الامثال قال جار الله اراد بصفات ما فعلوا وما فعل بهم وفي الغرابة كالامثال المضروبة لكل ظالم وقال غيره المراد ما اورده القرآن ومن لا تزال القدرة على الاعادة والابداء وعلى العذاب المعجل والمؤجل ثم حكى مكرهم لذلك الظلم فقال وقد مكروا مكرهم اي مكرهم العظيم الذي استفرغوا فيه جهدهم وقيل الضمير عائد الى قوم محمد كما قال وان يمكروا بك الذين كفروا ليثبتوك وقيل اراد ما نقل ان نمرود حاول الصعود الى السماء فاتخذ لنفسه تابوتا وربط قوائمه الاربع بنسور وكان قد جوعها ورفع من الجوانب الاربعة على التابوت عصيا اربعة وعلق على كل واحد منها قطعة من اللحم ثم اقعد صاحبي في ذلك التابوت فلما بصرت النسور ذلك اللحم تصاعدت في جو الهواء ثلثمائة اي وغابت الارض عن عين نمرود وراء السماء بحالها فعكس ذلك العصا التي عليها اللحم فحبطت النسور الى الارض وضعف هذا الوجه لانه لا يكاد يقدم عاقل على مثل هذا الخطر وعند الله مكرهم ان كان مضافا الى الفاعل فالمعنى ومكتوب عند الله مكرهم فيجازيهم عليه باعظم من ذلك وان كان مضافا الى المفعول فمعناه وعند مكرهم الذي يمكرهم به وهو عذابهم الذي يستحقونه بها بهم من حيث لا يشعرون اما قوله وان كان مكرهم لتزول منه قرئ بكسر اللام الاولى ونصب الثانية فوجهان احدهما ان يكون مخففة من الثقيلة فزوال الجبال مثل لعظم مكرهم وشدته اي وان الشان كان مكرهم معدا لذلك وثانيهما ان يكون نافية واللام المكسورة لتاكيد النفي كقوله وما كان الله ليضيع ايمانكم والمعنى ومحال ان تزول الجبال بمكرهم على ان الجبال مثل لايات الله وشرائعه الثابتة على حالها ابد الدهر ومن قرأ بفتح اللام الاولى ورفع الثانية فان مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة والمعنى كما مر ثم انه سبحانه اكد كونه مجازيا للاهل المكر على مكرهم بقوله فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله فان قيل بما ان الله قدم المفعول الثاني وهو الوعد على المفعول الاول ليعلم انه غير مخلف الوعد على الاطلاق ثم قال رسله تنبيها على انه اذا لم يكن من شانه اخلاف الوعد فكيف يخلفه رسله الذين هم صفوته والمراد بالوعد قوله انا لننصر رسلنا كتب الله لاغلبن انا ورسلي ونحوها من الايات قوله والله عزيز ذو انتقام قد مر في اول آل عمران يوم تبدل الارض قال الزجاج انتصب يوم على البدل من يوم يأتيهم او على الظرف للانتقام والاظهر انتصابه باذكر كما مر في الوقوف ومعنى قوله والسموات اي وتبدل السموات قال اهل اللغة التبديل التغيير وقد يكون في الذوات كقولك بدلت الدراهم دنانير وفي الاوصاف كقولك بدلت الحلقة خاتما اذا اذبتها وسويتها خاتما فنقلتها من شكل الى شكل وتفسيره عما سيناسب بوجه ثان قال هي تلك الارض وانما تغير فتسير عليها جبالها وتفجر بحارها وتسوى فلا يرى فيها عوج ولا امت وتبدل السماء بانتثار كواكبها وكسوف شمسها وخسوف قمرها وانشقاقها وكونها ابوابا وعن ابي هريرة ان النبي ص قال تبدل الارض غير الارض فبسطها ومدها مد الاديم العكاظي لا ترى فيها عوجا ولا امتا وهذا القول يناسب مذهب الحكماء في ان الذوات لا تنطرق اليها العدم وانما تبعد صفاتها واحوالها فانهم جوزوا انعدام الصور مع انها جواهر عندهم وتفسير ابن مسعود يناسب الوجه الاول قال يحشر الناس على ارض بيضاء لم يخطأ عليها احد خطيئة وعن علي تبدل ارضا من فضة وسموات من ذهب وعن الضحاك ارضا من فضة بيضاء كالصحائف قيل لا يبعد ان يجعل الله الارض جهنم والسموات الجنة وبروزهما لله فلذكرهما في السورة وتخصيص الواحد القهار بالموضع لعظم وطوله وانه لا مستغاث وقتئذ لغيره ولا حكم يومئذ لاحد الا له يتفرد بحكمه ويقهر ما سواه ومن بنائع نصره قوله وترى المجرمين يومئذ مقرنين قرن بعضهم مع بعض لان الجنسية علة الضم ومع الشياطين الذين اضلوهم قال الحكماء هي الملكات الذميمة والعقايد الفاسدة التي اكتسبوها في تعلقهم بالابدان وقوله في الاصفاد اما الفيود واما ان يتعلق بمقرنين واما ان يكون وصفا مستقلا اي مقرنين مصفدين وقيل الاصفاد الاغلال والمعنى قرنت ايديهم وارجلهم الى رقابهم بالاغلال وحظ العقل فيه ان الملكات الحاصلة في جوهر النفس انما تحصل بتكرير الافعال الصادرة من الجوارح والاعضاء سرابيلهم جمع سربال وهو القميص من قطران هو ما يتحلب من شجر يسمى الابهل فيطبخ فيهنأ به الابل الجرب فتحرق الجرب بحدته وقد يبلغ حرارته الجوف ومن شانه ان يسرع فيه اشتعال النار وقد يستنبر به وهو اسود اللون منتن الريح فيطلى به جلود اهل النار حتى يعود طلاؤه لهم كالسرابيل فيجمع عليهم اللذع والحرقة والاشتعال والسواد والنتن على ان التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين والوجه العقلي فيه ان البدن بمنزلة القميص للنفس كما يحصل للنفس من الالام والغموم فانما يحصل بسبب هذا البدن فلهذا البدن لذع وحرقة في جوهر النفس بفوذ الشهوة والحرص والغضب وسائر اخلاط الملكات الرديئة فيه ومن قرأ من قطران فالقطر النحاس والصفر المذاب والآني المتناهي حره قال ابن الانباري وتلك النار لا تبطل ذلك السربال ولا تنهبه كما لا يهلك النار اجسامهم والاغلال التي كانت عليهم وتغشى وجوههم النار خص الوجه بالذكر لانه اعز موضع في ظاهر البدن واشرفه فعبر به عن الكل قوله ليجزي اللام متعلقة ببرزت او بمجموع ما ذكر قبل بفعل بالمجرمين ما يفعل ليجزي الله كل ما كسبت قال الواحدي اراد

نفوس لكفار لان ما سبق لا يليق الا بهم ويحتمل ان يراد كل نفس بحرفه وبطبيعته لانه تعالى اذا عاقب المجرمين لاجرامهم علم انه يليق بالمطيعين اطاعتهم ثم اشار الى القرآن او الى ما في السورة او الى ما مر من قوله ولا تحسبن الله غافلا الى ههنا فقال هذا بلاغ كفاية للناس في التذكير والموعظة ليفعلوا وليتذكروا بما فيه من البلاغ ثم رمز الى استكمال القوة النظرية بقوله وليعلموا انما هو اله واحد والى استكمال القوة العملية بقوله وليتذكر اولوا الالباب لانهم اذا خافوا ما انذروا به ردعهم الخوف الى استكمال النفس بحسب القوتين والله ولي التوفيق التأويل واذ قال ابرهيم الروح ربي اجعل بلدا القلب مطمئنا من وسوسة الشيطان وهو حابس النفس اذا قاد الهوى واجنبني وبني ان نعبد الاصنام وهو كل ما سوى الله نفس النفس لتقيدها وصنم القلب لتعلقه وصنم الروح الارتياحات العلمية وصنم السر العرفان والقربات وصنم الخفي الركون الى المكاشفات والمشاهدات وانواع الكرامات ومن عصاني فانك غفور فيه تلويحان احدهما لم يقل ومن عصاك اشارة الى ان عصيان الله لا يستحق المغفرة والرحمة والثاني لم يقل فانا اغفره وارحم عليه لان عالم الطبيعة البشرية يقتضي المكافاة وانما المغفرة والرحمة من شان الغني المطلق ربنا اسكنت من ذريتي هم صفات الروح والعقل والسر الخفي وادغير ذي زرع وهو وادي النفس غير ذي زرع لحرمة بيتك المحرم على ما سواك وهو كعبة العقل القلب حرام ان يكون بيتا لغيرك لا يسعه رضى ولا تسعه وانما يسعه قلب عبدك المؤمن وفيه اشارة الى دعاء ابراهيم وكانه قال ان ضيعت هاجر واسمعيل فقد ضيعت محلي وفي قوله ليقيموا الصلوة اشارة الى انه لولا تعلق الروح بالجسد لما امر بالصلوة التي هي استكمال الروح بالاعمال البدنية ولولا عرض هذا الاستكمال لم يحصل ذلك التعلق فاجعل افئدة الصفات النفسانية تهوي الى الصفات الروحانية وارزقهم من ثمرات الصفات اللاهوتية لعلهم يشكرون فضلك النعم التي ليس بإزائها الملائكة المقربون وفي هذا سر عظيم لا يمكن افشاؤه ربنا انك تعلم ما نخفي من الدعاء وما نعلن من ظاهر القضية وما يخفى على الله من شيء في ارض المعاملات الصورية ولا في سماء القلوب من انقلوب على الكبرى بعد تعالي الروح بالقالب بتعميل السر والخفي بفهم الصلوة دائم العروج فان الصلوة معراج المؤمن ربنا اغفر لي ولوالدي بان الاب العلوية والامهات السفلية لئلا يحجبني عن ربي يوم يقوم حساب بكما لينجو كل نفس بفضلها لا كون في حساب الكاملين لا في حساب الناقصين ولا تحسبن اي لم يكن الله غافلا عن الاولين بل اكمل بفضائلهم وقدوا تمام بآخرهم ليبلغوا الى ما قدر لهم من الاعمال فاتمها موعد عند الاعمار وينال بها كل من اهل الاستعداد والاستفادة الى مناز لهم ما لكم من زوال فيه من بطالة مذهب لنا سخنة زعموا ان نفوسهم لا تزال تتعلق بالاجساد وتسكن في مساكن الذين ظلموا انفسهم بابدان مثل ابدانهم منهمكين في ظلمات الاخلاق الذميمة وعملتم مقدار مكرهم وان كان مكرهم بحيث تزول منه الجبال عن اماكنها ولكنه لا يخرق شعرة الا باذن الله بقضائه يوم تبدل الارض غير الارض للطبيعة بارض القلوب فيضمحل ظلمانيتها بانوار القلوب وبرزوا لله الواحد القهار سموات الاسرار دون سموات الارواح فان سموات الارواح اذا خلت لكواكب الاسرار تحت انوار كواكبها تنطوي اشعة شموسها بل تبدل الارض الوجود المجازي عند اشراق تجلي انوار هويته بحقائق انوار الوجود الحقيقي كما قال واشرقت الارض بنور ربها وحق برزوا لله الواحد القهار فان شموس الارواح يصير مقهورة في تجلي نور الاسرار الوقتية وترى المجرمين يوم التجلي مقرنين في سموات الصفات الذميمة لا يستطيعون الرد لشعاع سلاسل من قطران لعاد ظلمات النفوس لهم محجوبون بهما عن الله وتغشى وجوههم نار الحسرات والقطيعة هذا بلاغ للناس الذين هم اغلام الوجود وليعلموا انما هو اله واحد فيعبدوه ولا يتخذوا الهة غيره من الدنيا والهوى ويتعظ ويتذكر اولوا الالباب اغلام الشهوة فيحجروا عن تصرف الجهل في مملكة البدن بالاجماع وحرفها الف وسبع مائة واحد واثنان وسبعون كلمتها ثمانمائة واربعة وعشرون ياتها تسع

بسم الله الرحمن الرحيم

الر تلك ايات الكتاب وقرآن مبين ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ذرهم ياكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم ما تسبق من امة اجلها وما يستاخرون وقالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون لو ما تاتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين ما ننزل الملائكة الا بالحق وما كانوا اذا منظرين انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ولقد ارسلنا من قبلك في شيع الاولين وما ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزءون كذلك نسلكه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به وقد خلت سنة الاولين ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا انما سكرت ابصارنا بل نحن

قَوْمٌ مَسْحُورُونَ ۝ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ۝ وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ
گروهی سحر کرده شده گان و بدرستیکه گردانیدیم در آسمان برجها و آراستیم آنرا برای نگرندگان و نگاه داشتیم آنرا از هر شیطان رانده شده
إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ ۝ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ
مگر آنکه بدزدد گوش فرا داشت پس از پی او آمد شهابی روشن و زمین گستردیم آنرا و افکندیم بر آن کوههای استوار و رویانیدیم در آن از هر چیز
مَوْزُونٍ ۝ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ ۝ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ
سنجیده و ساختیم برای شما در زمین معایش و کسانرا که نیستید مر ایشانرا روزی دهندگان و نیست هیچ چیز مگر نزد ماست خزینهای آن و نمی فرستیم آنرا مگر باندازه
مَعْلُومٍ ۝ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ۝ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ
دانسته شده و فرستادیم بادها را بارگیرنده پس فرو فرستادیم از آسمان آبرا پس نوشانیدیم شمارا آن و نیستید شما مر آنرا انبارکنندگان و بدرستیکه ما البته ما زنده میکنیم
ع نَحْنُ الْوَارِثُونَ ۝ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ۝ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ
و میمیرانیم و ما ماییم وارثان و بدرستیکه دانستیم پیشروندگانرا از شما و بدرستیکه دانستیم واپس ماندگانرا و بدرستیکه پروردگار تو اوست محشور میکند آنرا
حَكِيمٌ عَلِيمٌ ۝ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ۝ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ
درست داناست و بدرستیکه آفریدیم آدمی را از گل خشک شده از لای بوی گرفته شده و جنی را آفریدیم پیش از آن
السَّمُومِ ۝ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ۝ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ
از آتش و یاد کن چون گفت پروردگار تو مر ملائکه را بدرستیکه من آفریننده ام آدمی را از گل خشک شده از لای بوی گرفته شده پس چون راست کردم او را و دمیدم
فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ۝ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۝ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ
در او از روح خود پس بیفتید مر او را سجده کنان پس سجده کردند فرشتگان همگی مگر شیطان که ابا کرد که باشد با سجده کنندگان
قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ۝ قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ
گفت ای شیطان چیست ترا که نباشی با سجده کنندگان گفت نیستم که سجده کنم مر آدمی را که آفریدی او را از گل خشک شده از لای
مَسْنُونٍ ۝ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ۝ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ۝ قَالَ فَأَنْظِرْنِي إِلَى
بوی گرفته شده گفت پس بیرون رو از بهشت پس بدرستیکه تو رانده شده و بدرستیکه بر تو لعنت تا روز جزا گفت
يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ۝ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ۝ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ
پروردگار پس مهلت ده مرا تا روزی که برانگیخته شوند گفت پس بدرستیکه تو از مهلت داده شده گانی تا روز وقت دانسته شده گفت پروردگارا بسبب آنکه گمراه کردی مرا البته بیارایم
فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ۝ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ۝ إِنَّ عِبَادِي
در زمین و هر آینه بگمراه کنم ایشانرا همگی مگر بندگان تو از ایشان که خالص کرده شده اند گفت این راهیست بر من راست
لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ۝ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ
بدرستیکه بندگان من نیست مر تو را بر ایشان تسلطی مگر هر که پیروی کرد مر او را از گمراهان و بدرستیکه جهنم هر آینه وعده گاه ایشانست همه مر آنرا هفت درست مر
بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ۝ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۝ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ ۝ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى
هر دری را از ایشان بهره جدا کرده شده بدرستیکه پرهیزگاران در بهشتها و سرچشمه ها داخل شوید آنرا بسلامتی ایمان دارید و برکشیدیم آنچه بود در سینه های ایشان از کینه برادران
سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ۝ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ۝ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۝ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ
بر تختها روبروی یکدیگر نمیرسد ایشان را در آنها رنجی و نیستند ایشان از آنها بیرون کرده شدگان خبر ده بندگان مرا بدرستیکه منم آمرزنده مهربان و بدرستیکه عذاب من همانست عذاب دردناک

القراءة وبما بفتح الباء مخففة ابو جعفر ونافع وعاصم غير الثمونى وروبما بضم الباء خفيفة الثمونى الباقون بالفتح والتشديد ما تنزل بالنون الملائكة بالنصب حمزة وعلى وخلف وعاصم غير ابى بكر وحماد ما تنزل بضم التاء وفتح الزاى المشددة الملائكة بالرفع ابو بكر وحماد الباقون مثله ولكن بفتح التاء ما تنزل بالادغام البرجى وابن فليح سكرت خفيفة ابن كثير فحنا بالتشديد بن بدا الريح على التوحيد حمزة وخلف وحفص اطعلى بكسر اللام ورفع الباء على التعت يعقوب الاخرون على جار او مجرور او عيون بكسر العين حمزة وعلى وابن كثير وابن ذكوان والاعشى ويحيى وحماد الباقون بضمها

نبئ عبادى مثل بنتنا عبادى الى بالفتح فيهما ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو والاخرون بالاسكان الوقوف الجزء الرابع عشر اللوائف تمهين مسلمين معلوم ومايسخرون ولمجنون لان التخصيص له صدد الكلام الصادقين منظرين محافظون الاولين يعرجون مسحورون للناظرين رجيم مبين موزون برازقين خزائنه بقدر معلوم الفصل بين معنيين الجمع والتفريق فى التنزيل فاسقيناكموه لانتفاء الجملتين مع انتفاء احتمال ما بعده الاستيناف والحال بخازنين الوارثون المستاخرين يحشرهم عليم مسنون لانتفاء الجملتين مع تقدم المفعول فى الثانية السموم مسنون ساجدين اجمعون الا ابليس الساجدين مسنون رجيم الدين يبعثون من المنظرين المعلوم اجمعين المخلصين مستقيم

الغاوين

العاذرين بجمعين وابوابه مفسوره وعيونه لازادة الفصل بعده امتين متقابلتين بحرجين الجيم الاولى مضمومة والثانية مفتوحة والنون ساكنة والباء مفتوحة او مضمومة وربما جاء الواو مفتوحة والباء مشددة وانما دخلت على المضارع مع انه مختص بالماضي لان الترجي في اخبار الله بمنزلة الماضي المقطوع به وفي مخففة فكانه قيل وربما ودها فاعلم ان ربما تكف رب عن العمل فيهيئها بذلك للدخول على الفعل وقيل ان ما بمعنى شيء اي ربت شيء يودّ الذين كفروا وربت للتقليل وادخلوها على تهم بكثرة وتواصل فامعنى التقليل واجب بناء على عادة العرب اذا اردوا التكثير ذكروا لفظا وضع لاجل التقليل كما اذا اردوا اليقين ذكروا لفظا وضع للشك والمقصود اظهار التوقع والاعراض عن التصريح بالتعريض فيقولون ربما ندم على ما فعلت لعلك تندم على فعلك وان كان العلم حاصلا بكثرة الندم ووجوده بغير شك اذا كان الندم قليلا او مشكوكا فيه نحو عليك ان لا تفعل هذا الفعل لان العقلاء يحترزون من الغم القليل كما يحترزون من الكثير ومن الغم المظنون كما من المتيقن يعني الا ينبغي لو كانوا يودون الاسلام مرة واحدة كان جديرا بالمسارعة اليه فكيف وهم يودونه في كل ساعة وقوله لو كانوا مسلمين اخبار عن ودادهم كقولك حلف بالله ليفعلن ولو قيل لو كنا مسلمين جاز من حيث المعنى كقولك حلف بالله لافعلن ويكون هذه الودادة قال الزجاج ان الكافر كلما رأى حالا من احوال العذاب ورأى حالا من احوال المسلم ود لو كان مسلما وعلى هذا فقد قيل في وجه التقليل ان العذاب يشغلهم عن كثير التمني فكأن قلة التمني هي عند الموت اذا شاهدوا ما هنالك من العذاب وقيل اذا سودت وجوههم وزرقت اعينهم ود لو كانوا مسلمين عن الحسن اذا كان يوم القيامة اخرج الله من النار من شاء الله من اهل القبلة فقال الكفار لهم انتم مسلمون فقالوا بلى فقالوا فما اغنى عنكم اسلامكم وقد صرتم معنا في النار فيغضب الله لهم فيأمر لكل من كان من اهل القبلة بالخروج فعند ذلك يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وروى مجاهد عن ابن عباس انه قال اذا رأى الله رحم المؤمنين واخرجهم من النار وبدخلهم الجنة بشفاعة الملائكة والانبياء حتى انه تعالى اخر الامر يقول من كان من المسلمين فليدخل الجنة هنالك يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ردهم ظاهر امر رسول الله صلعم بانه يخلصهم ويشفعهم فاخبر الله تعالى عنه على انه سيحدث بعد ذلك ما يصدهم عن الايمان ويفعل بالمكلف ما يكون له منصرفا عن الدين وقال المعتزلة ليس هذا اذا ونحوه الا اذا هو هذيان وعبث وقبيح طمع النبي صلعم في ايمانهم وليس اتيانهم من اهل الخذلان ولا يجيء منهم الا ما هم فيه ولا زاجر لهم ولا واعظ الا معاينة ما يندمون به على لا يفهم الوعظ وفي الاية تنبيه على ايثار التلذذ والتمتع وما يؤدي اليه طول الامل ليس من اخلاق المؤمنين ومعنى ايلهم الامل يشغلهم الرجاء عن الايمان والدار الاخرة ليست من الدنيا بالكم الهي طبعا اذا سلوت عنه وتركته وراء ظهرك عنه واطمأن عنه وعن ابن زيد ان النبي صلعم خط خطا وقال هذا اجله وخط خطا قريبا منه وقال هذا الامل بينما هو كذلك اذ جاءه الاقرب فسوف يعلمون متى صنعهم مزيد تأكيد للتهديد بذكر ما هو نهاية في الوقوع والتقدير وما اهلكنا من قرية الا وقد كتبنا اهلاكها كتابا مكتوبا معلوما وهو اجلها الذي كتب في اللوح قال جار الله قوله ولها كتاب جملة واقعة صفة لقرية ولم تدخل الواو لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف وذكر التبريزي في المفتاح ان هذا سهو لان الفصل بين الموصوف والصفة لا يجوز ولكن الجملة حال من قرية ومثل هذا جائز ولو كان ذو الحال نكرة محضة كقولك جاءني رجل وعليه كتفه سبف لعدم التباس الحال بالوصف لكان الفاصلة بالواو وكيف وقد تأتي الفاصلة في الاكثر بكلمة الا وذو الحال فيها من المعرفة اذا التقدير وما اهلكنا قرية من القرى من قبل افادة من الاستغراق فان قوم المراد بهذا الهلاك الاستئصال الذي كان ينزله الله بالكفار المعاندين من الامم السالفة وقال الخوارزمي اراد الموت والاول اقرب لانه تعالى اوجز بليغ وكانه قيل ان هذا الامهال لا ينبغي ان يغتر به العاقل فان لكل امة وقتا معينا في نزول العذاب لا يتأخر وقيل اراد مجموع الامرين قال صاحب النظم اذا كان السبق واقعا على تحصيل معنى جاز حذف كقولك سبقني فلان فمات اي جازه وخلفه واتى قبل عنه وما بلغه واذا كان واقعا على زمان فعلى العكس كقولك سبقني فلانا عام كذا معناه مضى قبل ان يبلغه فمعنى الاية انه لا يحصل اجل امة قبل وقته ولا بعده كما لا يكون حادث قبل وقته عن الاجل في اول سورة الانعام وانما لم تدخل الواو في الاية الا ولا تدخل في اخر في قوله وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون حمل على اللفظ وحذف المعنى متعلق بيشعركم وهو عند المعتزلة دليل على ان الكفار شرع في تهديد بعض منهم ومطاعنهم في النبي فالاولى انهم كانوا يحكمون عليه بالجنون لانهم كانوا يسمعون منه ما لا يوافق اهواءهم ولا يطابق اهواءهم وانما ناداه بها الذي نزل عليه الذكر مع انهم كانوا لا يقرون بنزول الوحي عليه تهكما للكلام استهزاء وتهكما او اراد بها الذي نزل عليه الوحي في زعمه واعتقاده وعند اصحابه وانما عدل عن انك اليه لوما فانبنا بالملائكة لو ما حرف تخصيص مركب من لا المعدة للنفي وما المزيدة فافاد المجموع الحث على الفعل الذي جاء هو عليه والمعنى هلا فانبنا بالملائكة لشهدوا على صدقك في بعض دعاويك على انذارك والمراد هلا فانبنا بطلائع الملائكة العذاب ان كنت من الصادقين في ان تكفر بنا عاجل فاجاب الله سبحانه عن شبههم بقوله ما ننزل الملائكة الا بالحق اي ما ننزلهم لمصالحكم والغاية التي لا حكمة في ان يأتيكم عيانا فان امر التكليف مبني على الاخفاء والالجاء ولا فائدة في نعوت بكم اذا اصروا على الكفر فيصيرون الى الهلاك والاستئصال وانهم لا ينظرون اي لا يمهلون او لا يؤخرون الى انقضاء الدنيا والى يوم القيامة وانما لم يؤخر الاستئصال وذلك لسنة الله وما

كانوا اذا منظرين فان التكليف يزول عند نزول الملائكة وقد علم الله من المصلحة ان لا يصلهم هذه الامنية لما علم من ايمان بعضهم او ايمان اولادهم وقالت الاشاعرة الا بالموت او العذاب قال صاحب النظم لفظ اذن مركب من اذ ومن حين ومن ان الدال على مجيء فعل بعده فحففت الهمزة بحذفها بعد نقل حركتها وكانه قيل وما كانوا منظرين ان كان ما طلبوا وقال غيره اذن جواب وجزاء تقديره ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين وما اخر عذابهم ثم انكر على الكفار استهزاءهم في قولهم يا ايها الذي نزل عليه الذكر وقال على سبيل التوكيد لنا نحن نزلنا الذكر ثم دل على كونه منزلا من عنده فقال وانا له لحافظون لانه لو كان من قول البشر او لم يكن انه لم يبق محفوظا من التغيير والاختلاف وقيل الضمير في له لرسول الله صلعم كقوله والله يعصمك من الناس والقول الاول اوضح ووجه حفظ القرآن قيل هو جعله معجزا مباينا لكلام البشر حتى لو زاد واحد فيه شيئا ظهر لكل العقلاء ولم يخف فلذلك يبقى مصونا عن التحريف وقيل حفظ بالدرس والبحث فلم يزل طائفة يحفظونه ويدرسونه ويكبونه في القراطيس باحتياط بليغ وجد كامل حتى ان الشيخ المهيب لو تفوه لحن في حرف من كتاب الله قال له بعض الصبيان اخطأت ومن جملة اعجاز القرآن وصدقه انه سبحانه اخبر عن بقائه محفوظا عن التغيير والتحريف وكان كما اخبر بعد سبعمائة سنة فلم يبق للموحد شك في اعجازه وههنا نكتة هي انه سبحانه تولى حفظ القرآن ولم يكله الى غيره فبقي محفوظا على مر الدهور بخلاف الكتب المتقدمة فانه لما تولى حفظها الربانيون والاحبار فاختلفوا فيما بينهم ووقع التحريف ثم ذكر ان عادة هؤلاء الجهال مع جميع الانبياء كذلك والغرض تسلية النبي صلعم وفي الكلام اضمار التقدير ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الا انه حذف ذكر الرسل لانه لا ارسال عليه ومعنى في شيع الاولين في امم واتباعهم وقد مر معنى الشيعة في اخر الانعام قال جار الله معنى ارسلنا فيهم جعلناهم رسلا فيما بينهم قال القراء اضافة الشيع الى الاولين من اضافة الموصوف الى الصفة كقولهم حق اليقين وبجانب الغرب قوله وما بايتهم حكاية حال ماضية وانما كان الاستهزاء بالرسل عادة الجهلة في كل قرن لان الفطام عن المالوف شديد وكون الانسان مسخرا مما تمثله او نال حاجاته من المال والجاه والقبول اشد على النفس الكلي فيه هو الحدثان وعدم التوفيق من الله سبحانه ووضوح مظاهر الفهر في الازل قوله كذلك نسلكه اسلك ادخال الشيء في الشيء كالخيط في الخيط وقالت الاشاعرة الضمير في نسلكه يجب عوده الى اقرب المذكور وهو الاستهزاء الدال عليه يستهزءون واما الضمير في قوله لا يؤمنون به فيعود الى المذكور لو عاد الى الاستهزاء وعدم الايمان بالاستهزاء حق وصواب لما فيه من وجوه اللوم على الكفار ولا يلزم من تغاير الضمائر عودها على شيء واحد وان كان الاحسن ذلك والحاصل ان مقتضى الدليل عود الضمير الى الاقرب الا اذا منع مانع اعتباره وقال بعض الادباء منهم قوله لا يؤمنون به تفسير للكناية في قوله نسلكه اي يجعل في قلوبهم ان لا يؤمنوا به فتدل الكناية على ان الكفر والضلال والاستهزاء ونحوها من الافعال كلها بخلق الله وايجاده وقالت المعتزلة الضمير ان يعود الى الذكر لانه شبه هذا السلك بعمل خرقه وليس الانزيل الذكر والمعنى مثل ذلك الفصل نسلك الذكر في قلوب المجرمين ومحل لا يؤمنون به نصب على الحال اي غير مؤمن به وهو يدل على قوله كذلك نسلكه والحاصل انا نلقيه في قلوبهم مكذبا مستهزأ به غير مقبول نظير ما اذا انزلت بلئيم حاجة فلم يجبك اليها فقلت كذلك انزلها باللئام بمعنى مثل هذا الانزال انزلها عليهم مردودة غير مقضية وغرض بان النون انما يستعمله الواحد المتكلم اظهارا للعظمة والجلال ومثل هذا التعظيم انما يحسن ممن اذا فعل فعلا يظهر له اثر قوي كامل انا اذا فعل بحيث يكون منازعة ومدافعة فالباعث عليه فانه يستقيم ذكره على سبيل التعظيم والامر ههنا كذلك لانه تعالى سلك اسماع القرآن وتحفيظ وتعليمه في قلب الكافر لاجل ان يؤمن به ثم انه لما لم يقبله ولم يؤمن به صار فعل الله كالهدر الضائع وصار الشيطان كالغالب المدافع فكيف يحسن ذكر النون المشعر بالتعظيم في هذا المقام اما قوله وقد خلت سنة الاولين فقيل الى طريقهم التي بينها الله في اهلاكهم حين كذبوا برسلهم وبالذكر المنزل عليهم وهذا يناسب تفسير المعتزلة وفيه وعيد للاهل مكة على تكذيبهم وقيل قد مضت سنة الله في الاولين بان يسلك الكفر والضلال في قلوبهم وهذا قول الزجاج ويناسب تفسير الاشاعرة ثم حكى اصرارهم على الجهل والتكذيب بقوله ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا اي هؤلاء الكفار فيه يعرجون بتصاعدون لقالوا انما سكرت ابصارنا هو من سكر الشراب ومن سكر السبق في سكرت النهر اذا سد وحبسه الجري والتركيب يدل على قطع الشيء من سنة الجاري عليه ومنه السكر في الشراب لانه يقطع عما كان عليه من الصفاء وحال الصحو فمعنى الاية حيرت ابصارنا ووقع بها من قبل النظر ما يقع بالرجل السكران وحبست عن افعالها بحيث لا يبصرون بها ولا يدركون الاشياء على حقائقها عن ابن عباس المراد لو ظل المشركون يصعدون في تلك المعارج وينظرون الى ملكوت الله تعالى وقدرته وسلطانه والى عبادة الملائكة الذين هم من خشية ربهم مشفقون لشككوا في تلك الرؤية ولقالوا مصرين على كفرهم وجهلهم كما جحدوا سائر المعجزات من انشقاق القمر وما خص به النبي صلعم من القرآن المعجز الذي لا يستطيع الجن والانس ان يأتوا بمثله قال الكشاف ذكر الظلول يعني انه قال فظلوا ولم يقل فبقوا ليجعل عروجهم بالنهار ليكونوا مستوضحين لما يرون وقال انما سكرت ليدل على انهم يبتون القول بان ذلك ليس الا لسكر اللابصار وقيل الضمير في ظلوا للملائكة اي لو رأوا هم الملائكة يصعدون في السماء عيانا لقالوا ان السحرة سحرونا وجعلونا بحيث نشاهد هذه الاباطيل التي لا حقيقة لها وههنا سؤال وهو انه كيف جاز من جم غفير ان يصيروا شاكين فيما يشاهدونه بالعين المستلزم للنهار الواضح واجيب بانه قوم مخصوصون لم يبلغوا مبلغ التواتر وكانوا رؤساء قليلة العدد فجاز ان تواطئوهم على المكابرة والعناد لا سيما اذا جمعهم غرض معتبر كدفع عجز او غلبة خصم ولما اجاب عن شبه منكري النبوة بما اجاب كان القول بالنبوة مقررا

الحجر

على القول بالتسامح البعيد كالاول فقال ولقد جعلنا في السماء بروجا اثني عشر عند اهل النجوم وذلك انهم نظروا الفلك الثامن عندهم
باثني عشر قسما مشاركة ثم اجروا على كل قسم باوله منه من اول الحمل وسموا كل قسم باسم ما يقابله من الفلك فصار الفلك ايضا مقسما باثني عشر
عشرة قطعة كل منها تشبه ضلعا من ضلاع البطيخ يسمى برجا والا سلم ان هذه البروج مختلفة الطباع كل ثلثة منها على طبيعة عنصر من العناصر الاربعة
فالدلو مثلا يسمى الحمل والاسد والقوس مثلثة نارية والثور والسنبلة والجدي مثلثة ارضية والجوزا والميزان والدلو مثلثة هوائية والسرطان
والعقرب والحوت مثلثة مائية ثم ان كانت اجزاء الفلك مختلفة في الماهية على ما يجوزه المتكلمون او كانت متساوية في تمام الماهية مختلفة في التاثير
كما يقول به الحكيم فعلى التقديرين يكون اختصاص كل جزء بطبيعة معينة او تاثير معين مع تساوي الكل في حقيقة الجسمية دالا على صانع حكيم ومدبر
قدير الدليل الاخير وزيناها اي الشمس والقمر والنجوم للناظرين بنظر الاعتبار والاستبصار قال المنجمون ان الكواكب الثابتة كلها على الفلك
الثامن وهذا لا بأس في الا بد على ما يمكن ان يسبق الى الوهم لانها سواكن في سماء الدنيا او في سموات اخر فوقها فلا بد ان يكون ظهورها في السماء الدنيا
فلا يكون السماء الدنيا مزينة بها والا لا بد لا يدل الا على هذا القدر ونظير هذه الاية قوله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح ومثله
في سورة الملك الدليل الثالث قوله وحفظا اي حفظنا السماء من كل شيطان رجيم الا من استرق السمع نصب على الاستثناء المنقطع اي لكن
من استرق جاز ان يكون محفوظا اي الا من استرق وعن ابن عباس رضي الله عنه الحفظ البيض فانبعه اي ادركه وخطفة شهاب مبين ظاهر للبصرين و
الشهاب شعلة نار ساطع وقد يسمى الكوكب شهابا لاجل لمعانه وبريقه قال ابن عباس كانت الشياطين لا يحجبون عن السموات وكانوا يدخلونها ويسمعون
اخبار الغيوب عن الملائكة فيلقونها على الكهنة فلما ولد عيسى ممنوعا من ثلث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم ممنوعا من السموات كلها وهذا هو المراد بحفظ السموات
كما لو حفظ احد دنانيره من يختلس ويختني منه انفسا واشرق السمع في استماع الكلام مستخبرا قال الحكماء ان الارض اذا سخنت بالشمس ارتفع منها بخار رطب
فاذا بلغ النار الذي دون الفلك احترق بها واشتعل لهيبة فيحدث منها انواع من جملتها الشهب فلا ريب انها كانت موجودة قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم
الا انها لم تكن مسلطة على الشياطين واتما فيض كونها رجوما للشياطين في زمن عيسى عليه السلام لسؤاله كيف يجوز ان يشاهد هؤلاء الجن واحدا كان
او اكثر من جنسهم يستمعون السمع فيخبرون ثم انهم مع ذلك يعبدون من مثل صنيعهم والجواب اذا جاء القضاء عمي البصر فاذا قيض الله لطائفة منهم
الجن لطغيانها فقد زاد في المحنة في درك المقصود ما عندها بقدم على العمل المفضي الى الهلاك والبوار اخوفا ورد في الاخبار ان بين
كل سماء مسيرة خمسمائة عام فهؤلاء الجن ان قدروا على خرق السماء ناقض قوله سبحانه هل ترى من فطور وان لم يقدروا فكيف يمكنهم استماع اسرار
الملائكة من ذلك البعد ولكيف يسمعون كلام الملائكة حال كونهم في الارض واجيب بانا سلمنا ان بعد ما بين ذلك البعد والا ان نحن الفلك لعله قد
غلبا وقد روى الزهري عن علي بن الحسين عن علي بن ابي طالب قال بينما النبي صلى الله عليه وسلم جالس في نفر من اصحابه اذ رمي بنجم فاستنار فقال ما كنتم تقولون
في الجاهلية اذا حدث مثل هذا فقالوا كنا نقول يولد عظيم او يموت عظيم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يرمى لموت احد ولا لحيوته ولكن ربنا تعالى اذا قضى امرا
في السماء سبحت حملة العرش ثم سبح كل سماء حتى ينتهي التسبيح الى هذه السماء ويستخبر اهل السماء حملة العرش ماذا قال ربكم فيخبرهم ولا
يزال ينتهي ذلك الخبر من سماء الى سماء الى ان ينتهي الخبر الى هذه السماء ويخطف الجن فيرمون فما جاؤا به فهو حق ولكنهم يزيدون او ينقصون فلهذا
يكون فيهم الكذب فكيف يحترق النار النار والجواب ان الاقوى قد يبطل الاضعف ان كان من جنسه اخر ان هذا الرجم لو كان من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم
فكيف يبقى بعد وفاته الجواب هذا من المعجزات الباقية والغرض منه ابطال الكهانة اخر ان الشهب قد يحدث بالقرب من الارض والا لم يكن الا حراسا شديدة
فكيف تمنع الشياطين من الوصول الى الفلك حين الاسترقاق واجيب بان البعد عندنا غير مانع من السماع فلعله تعالى اجرى عادته بانهم
اذا وقعوا في تلك المواضع سمعوا كلام الملائكة اخر لو كان تمكنهم تمكنهم فعل اخبار الملائكة الى الكهنة فكيف يقدرون على نقل اسرار الغيوب
واجيب بانه تعالى اقدرهم على شيء واعجزهم عن شيء ولا يسئل عما يفعل واقول لعل السبب فيه ان نسبتهم الى الروحانيات اكثر اخاذا جوزتم
في الجملة اطلاع الجن على بعض المغيبات فقد ارتفع الوثوق عن اخبار النبي صلى الله عليه وسلم عن بعض الغيوب فلا يكون دليلا على صدقه لانا نقول انه تعالى اخبر انهم عجزوا
عن ذلك بعد مولد النبي صلى الله عليه وسلم لانا نقول صدق هذا الكلام مبني على صحة نبوته فلو اثبتنا صحة نبوته بهذا الدور والجواب انا نعرف صحة نبوته بدلائل اخر حتى
لا يلزم الدور وانما اخبر عن بعض المغيبات ليكون معجزا له ولم يكن مبتدأ بالدليل الرابع قوله والارض مددناها او لقينا فيها رواسي وانبتنا فيها
مر تفسيره مثله في اول سورة الرعد الدليل الخامس وجعلنا لكم فيها اي في الارض وفي الجبال الرواسي من كل شيء موزون بميزان الحكمة ومقدر
بمقدار الحاجة وذلك ان الوزن سبب معرفة المقدار فاطلق اسم السبب على المسبب وقيل الحلية والوزن وقدر في ابواب النعمة والنقمة وقيل اراد ان معظم
من العناصر معلوم وكذا مقدار تاثير الشمس والكواكب فيها وقيل اي متناسب محكوم عليه عند العقول السليمة بالحكمة بقال كلام موزون
اي مناسب فلان موزون الحركات وقيل اراد ما يوزن من نحو الذهب والفضة والنحاس وغيرها من الموزونات كالفواكه والنبات وجعلنا لكم
فيها اهل الارض وفي تلك الموزونات معايش هو ما يتوصل به الى المعيشة وقد مر في اول الاعراف ومن عطف على معايش اي جعلنا لكم من لستم له
برازقين او عطف على محل لكم لان على الجر وقط فانه لا يجوز الا في الكثر الا باعادة الجار والتقدير وجعلنا لكم معايش ولمن لستم له برازقين وارادوا بهم
العيال والمماليك والخدم الذين رزقهم في الحقيقة هو الله تعالى وكل الاباء والسادات والمخادم وبه خص فيه بحكمه التغليب عبر وبه العقد ون

الكهنة

الى الكهنة

الانعام والدواب والوحش والطير كقوله وما من دابة في الارض ولا طائر يطير الا امم امثالكم وقد ذكر غيره من يعقل بصفة من يعقل بوجه ما من الشبه كقوله تأيها النمل ادخلوا مساكنكم والدواب تشمئز منه العقول من جهة اقحامها لانه لا رزق لها عند الحاجة بحكم انزال الماء الا مرة في بعض السنين واشتداد عطش الوحوش ورفعت رأسها الى السماء فانزل الله المطر ثم يبين غايته قدرته وبهاءته حكمته فقال وان من شيء الا عندنا خزائنه قال جمع المفسرون اراد بالشيء ههنا المطر الذي هو سبب الارزاق لبني آدم وغيرهم من الطيور والوحش وذلك انه لما ذكر معايشهم وبين ان خزائن المطر الذي هو سبب المعايش عنده في امر وحكمه وتدبيره وقوله وما ننزله الا بقدر معلوم عن ابن عباس يريد قدر الكفاية وقال الحليمي ما من عام بأكثر مطرا من عام آخر ولكنه يقطر قطرا بحسب ما يخرون زرعا اكان الجر واعلم ان لفظ الابد لا يدل على هذين القولين فلو ساعدهما نقل صحيح امكن ان يقبلهما العقل والا كان شبه تحكم والظاهر عموم الحكم وان ذكر الخزائن تمثيل لاقتدار على كل مقدور والمعنى ان جميع الممكنات مقدورة ومملوكة له يخرجها من العدم الى الوجود كيف شاء وهي وان كانت غير متناهية بالقوة لان كلا منها يمكن ان يقع في اوقات غير محصورة على سبيل البدل وكذا الكلام في الاجسام وسائر الاعراض والاوصاف فاختصاص ذلك الخارج الى الوجود بمقدار معين ووجه معين وزمان معين وحيز معين دون غيره من الصفات المعينة دون اضدادها لابد ان يكون بتخصيص مخصص ويقدير مقدر وهو المراد من قوله وما ننزله الا بقدر معلوم وقد يتمسك بالآية بعض المعتزلة في ان المعدوم شيء قال المراد ان تلك المقدورات والممكنات كانت مستقرة عند الله بمعنى انها كانت ثابتة من حيث انها حقائق وماهيات ثم انه تعالى قال اخرج بعضها من العدم الى الوجود الدليل الناس قوله وارسلنا الرياح وقرئ الرياح فالاكثرون للجمع قال ابن عباس معناه ملاقح جمع ملقحة لانها تلقح السحاب بعد انها تحمل الماء وتحمله الى السحاب كما تلقح الشجرة بتقويبها وتنميتها الى ان يخرج ثمرها قاله الحسن وقتادة والضحاك وقد جاء في كلام العرب فاعل بمعنى مفعل قال وتحمل مما تلقح الطوائح يريد المطاوح جمع مطيحة وقال ابن الانباري يقول العرب اقبل اللبن فهو بادئ ثم مقبل قال الزجاج معناه ذوات لقاح لانها تعصر السحاب وتدره كما تدر اللقحة يقال رجل لاقح اي ذو ريح ولابن وتامر اي ذو لبن وذو تمر وقيل ان الريح نفسها لاقح اي حاملة للسحاب والماء من قولهم حملت حاملا ثقالا واحاملة للخير والرزق كما قيل لضدها الريح العقيم فاسقيناكموه اي جعلناه لكم سقيا قال ابو علي يقي سقيته الماء اذا اعطاه قدر ما يرويه واسقيته نهرا اي جعلته شربا له والذي يؤكد هذا احتلاف اللفظ في قوله وسقاهم ربهم شرابا طهورا ويقال سقيته لشفته واسقيته لماشيته وارضه وما انتم له بخازنين نفي منهم لما اثبته لنفسه في قوله وان من شيء الا عندنا خزائنه اي نحن الخازنون للماء لا انتم اراد عظم قدرته وعجز من سواه الدليل السابع وقوله وانا لنحن نحيي ونميت والغرض الاستدلال باحصاء الاحياء والاماتة فيه على انه واحد في ملكه وملكه قال اكثر المفسرين اتى بوصف المنبات فيما قبل لهذا الاحياء مختص بالحيوان او منهم من يجعله على القدر المشترك بين احياء النبات وبين احياء الحيوان ونحن الوارثون مجاز عن بقائه بعد هلاك ما عداه كما مر في اوائل عمر انه في قوله ولله ميراث السموات والارض وقوله ولقد علمنا عن ابن عباس في رواية عطا المستقدمين يريد اهل طاعة الله والمستأخرين يريد المتخلفين عن طاعته وروي انه صف رغب الناس في الصف الاول في الجماعة فازدحم الناس عليه فانزل الله الآية والمعنى انا نجزيهم على قدر نياتهم وقال الضحاك ومقاتل يعني في صف الشهداء وقال ابن عباس في رواية الكلبي كانت امرأة حسناء تصلي خلف رسول الله ﷺ وكان قوم يتقدمون الى الصف الاول لئلا يروها ويتأخر آخرون يتخلفون ليروها اذا ركعوا فانزل الله هذه الآية ليعلم ان من تخلف باطنا فنزلت وقيل المستقدمون هم الاموات والمستأخرون هم الاحياء وهذا القول شاذ بل المناسب ما قبل لا بد لما بعدها وقيل المستقدمون هم الامم السالفة والمستأخرون هم امة محمد ﷺ وقال عكرمة المستقدمون من خلق والمستأخرون من لم يخلق بعد والظاهر العموم وان علمه تعالى شامل لجميع الذوات والاحوال الماضية والمستقبلة ولا ينبغي ان يخص لا بد عجالة دون اخرى ثم نبه على ان الحشر والنشر امر واجب ولا يقدر على ذلك احد الا هو فقال وان ربك هو يحشرهم انه حكيم عليم فلحكمته يبني امر العباد على التكليف والجزاء ولعلمه قدر على توفيته مقام والجزاء الدليل الثامن الاستدلال على خلق الانسان خاصة وذلك انه لا بد من انتهاء الناس الى انسان اول ضرورة امتناع القول بوجود حوادث لا اول لها وقد اجمع المفسرون على ان آدم عمر وروايته كتب الشيعة عن محمد بن علي الباقر انه قال انقضى قبل آدم الذي هو ابو نا الف الف دم او اكثر وكيف كان فلا بد من انسان هو اول الناس والاقرب انه تعالى خلق اولا من ماء ثم من طين ثم من حمأ مسنون ثم من صلصال كالفخار وقد كان قادرا على خلقه من غير اجساد كان بل كان قادرا على خلقه ابتداء وانما خلقه على هذا الترتيب لحض الشبهة اولما كان فيه من دلائل الملائكة والجن او لغير ذلك من المصالح ولا شك ان خلق الانسان من هذه الامور اعجب خلق الشيء من شكله وجنسه والصلصال الطين اليابس الذي يصلصل اي يصوت وهو غير مطبوخ فاذا طبخ فهو فخار وقيل هو متضعف صل اذا انتن والحمأ الاسود المتغير من الطين وكذلك الحمأة بالتسكين المسنون المصور من سننت الوجه اي صورته قال سيبويه وقال ابو عبيدة المسنون المصبوب المفرغ اي افرغ صورة انسانا كما يفرغ الصورة من الجواهر المذابة وقال ابن السكيت سمعت اعرابيا يقول معناه متغير منتن وكانه من سنن الحجر على الحجر اذا حككته به قال ذو الرمة يصل منها سنن لا يكون الامتنانا قال في الكشاف قوله من حمأ صفة صلصالا اي خلقه من صلصال كائن من حمأ ذلك ولا يبعد ان يكون بدلا اي خلقه من حمأ قال وحق مسنون بمعنى مصور ان يكون صفة لصلصال كأنه افرغ الحمأ فصور منها تمثال انسان اجوف فيبس حتى اذا نقر صلصل ثم غيره بعد ذلك الى ما يريد اخرجه قوله والجان قال الحسن ومقاتل وقتادة وهو رواية عطا عن ابن عباس في رواية اخرى هو ابو الجن كما ان ابا الناس وهو قول الاكثرين والتركيب

الحجر

يدل على السموم النوارية عن الاعين وقد ورد فيها سلف ولا استبعاد في تفسير الاستعاذة في قول الكتاب خلقناه من قبل قال ابن عباس اي من قبل خلق
ادم والسموم الريح الحارة النافذة في المسام يكون في النهار وقد يكون بالليل ومساء البدن الخروق الخفية التي يبرز منها العرق وبخار البدن
الباطن ولا شك ان تلك الريح فيها نار ولها نفوذ على ما ورد في الخبر انه نفخ جهنم قال ابن مسعود هذه السموم جزء من سبعين جزءا من سموم النار التي خلق الله
منها الجان ولا استبعاد في خلق الله الحيوان من النار فانا نشاهد السمندر فانه يعيش فيها وعلى ولادة فاعدة الحكيم كل ما مزج من العناصر فانه يكن
ان يغلب عليها احدها وح يكون مكانه من الجزء الغالب والحرارة مفوية للروح لامضادة لها ثم انه لما استدل بحدوث الانسان الاول على كونه
قادرا مختارا ذكر بعده ما يقرره والمراد بكونه بشرا انه يكون جسما كثيفا يباشر بها في الملائكة والجن لانهما شتركان في اللطافة اجسامهم والبشرة ظاهر
الجلد من كل حيوان فاذا سويته عدلت خلقته واكملتها او سويت اجزاء بدنه بعد ان لم تكن والاكمال والاعتدال والمزج التابع لذلك اعتدال الاخلاط
او شخصتها او نفخت فيه من الروح التفخ اجراء الريح في بخاري جسم لطيف في عمران الروح جسم لطيف كالحمل سائلة البدن فعناه ظاهر ومن قال انه
جوهر مجرد لا حال في متحيز فمعنى النفخ عنده تطهير البدن لاجعل تعلق النفس التعلقة به قال جار الله ليس ثمة نفخ ولا منفوخ وانما هو تمثيل لتعيين
ما يهيئ به قصد تمام الكلام في الروح سوف يجيء ان شاء الله في قوله ويسئلونك عن الروح والاضافة في ان الاضافة في قوله من روحي للتشريف و
التكريم مثل ناقة الله وبيت الله والفاء في قوله فقعوا للدلالة على ان وقوعهم في السجود كان واجبا عليهم عقيب التسوية والنفخ من غير تراخ قال المبرد
قوله كلهم ازال احتمال ان بعض الملائكة لم يسجد وقوله اجمعون ازال احتمال انهم سجدوا متفرقين وقال سيبويه والخليل اجمعون توكيد بعد
توكيد ورجح الزجاج هذا القول لان اجمع معرفة فلا يقع حالا ولو صح ان يكون حالا لوجب ان يكون منصوبا لافادة المعنى الذي ذكره المبرد ثم استثنى ابليس
من الملائكة وقد سلف ما له الاستثناء في اول سورة البقرة ثم استانف على تقدير سؤال سائل هل سجد فقال لم ابى ان يكون مع الساجدين بمعنى
لم استنكر ثم قال سبحانه بخطاب تشريف وتعنيف لاعظمهم وشريفهم يا ابليس ما لك الا تكون مع الساجدين وقال بعض المتكلمين ما الجأه على ان
يعصي ربه لان تكليم الله بلا واسطة منصب شريف فكيف يهينه اللعين قال جار الله حرف الجر مع ان محذوف ومعناه لاي غرض لك في الامتناع
من السجود قال ولا يكاد الكلام لتأكيد النفي يصح ويتأتى في حال ان يجد لشرف حاصل بهذا اللعين اثر وعلى لطيف وارده حتما كتشبث
اصله نور الى شريف اصل ادم ظلماني حسبما عارض النص بالقياس فاخرج منها فانك رجيم اي مطرود من الجنة او من السماء او من جملة الملائكة وضرب
يوم الدين اي يوم الجزاء حدا للتعنيف باعلى عادة العرب في امثالهم كما مر في قوله ما دامت السموات والارض او اراد اللعن المجرد من غير تعذيب
حتى ازجاء ذلك اليوم عذبه بما ينسى اللعن معه قال صاحب الكشاف وقول هذا ان اريد باللعن مجرد الطرد عن الحضرة اما ان اريد به الابعاد
من كل خير فيتعين الوجه الاول الا عند من اثبت لابليس حالا تغفر واتمازكا اللعنة ههنا بلام الجنس لانه ذكر ادم بلفظ الجمع حيث قال اني خالق
بشرا ولما خصص ادم بالاضافة الى نفسه في سورة ص حيث قال لما خلقت بيدي خصص اللعنة ايضا بالاضافة فقال وان عليك لعنتي الى يوم الدين
ارتب فانظر الى قدر ما تضمنته اوائل الاعراف ومعنى اولئك لما مر ان ابليس لما لعنه واشار اليه بعينه صار كالمعلوم والمراد به منه وقت القرب من
البعث الذي يموت فيه الخلائق كلهم ليشمل الموت اللعين ايضا وقيل لم يجب الى ذلك وانظرني الى يوم لا يعلمه الا الله قال رب بما اغويتني فلازين
مبالغته في الاغراء مفعول لازين محذوف اي لازين لهم المعاصي في الارض اي الدنيا التي هي دار الغرور او دار اثارة قدر على الاضلال اراده وهو
في انتظام هذا على الترتيب لاولاده وهم في الارض اقدر او اراد لاجعلن مكان الذنوب عندهم الارض بان ازين لارزقهم اعيانهم واحدثهم ان الراحة
هي في الارض وحدها كقوله صروحها او ان يعتذر بالمحل من ذهب ضروعها من التصنيف يخرج في عرفها ثم استثنى اللعين عباد الله المخلصين لانه
علم ان كيده لا يؤثر فيهم قال بعض الحذاق احترز ابليس بهذا الاستثناء عن الكذب فيعلم منه ان الكذب في غاية الشناعة والاخلاص فعله
الشيء خالصا لله من غير شائبة الغير لا اقل من ان يكون حق الله فيه راجحا او مساويا ولما ذكر ابليس من الاستثناء ما ذكر قال الله سبحانه هذا يعني
الاخلاص طريق مستقيم علي ان اراعيه او علي مرجوع الي علي بضاعتي وكرامتي وقيل لما ذكر اللعين انه يغوي بني ادم الا من عصمه الله سبحانه بين ان
هذا الكلام تفويض الامور الى مشيئته تعالى فاشار اليه بقوله هذا اي تفويض الامور الي ارادتي ومشيئتي صعب على الشيطان وعلى البشر وهو من
علي بالتنوين هو من علو الشرف اي الاخلاص او طريق التفويض الي الله والايمان بقضائه طريق رفيع مستقيم لا عوج له وقال جار الله هذا اشارة
الى ما بعده وهو قوله ان عبادي ليس لك عليهم سلطان قال الكاملي المذكورون في هذه الاية هم الذين استثناهم ابليس وذلك انه لما ذكر
الا عبادك منهم انه لا يفدر على اغواء المخلصين فصدقهم الله في الاستثناء فقال ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من تبعك ممن
من تبعك من الغواة فللشيطان عليهم وهذا يناسب اصول الاشاعرة وقال اخرون هذا تكذيب لابليس وذلك انه اوهم بما ذكر ان له سلطانا على
على عباد الله الذين لا يكونون من المخلصين فبين تعالى انه ليس له على احد منهم سلطان ولا قدرة اصلا الا الغواية لا بالجبر والقهر بل من
الوسوسة والتزيين بقوله وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم وهذا يناسب اصول الاعتزال وان جهنم لموعدهم اجمعين قال ابن عباس
يريد بابليس من تبعه من الغاوين لها سبعة ابواب اي سبع طبقات بعضها فوق بعض فاعلاها للموحدين والثاني لليهود والثالث للنصارى
والرابع للصابئين والخامس للمجوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين وعن ابن عباس في رواية ابن جريج ان جهنم لها دركات كما للجنة ابواب وقيل بعضها

النار والحطمة لعبدة الاصنام وسقر للمجوس والسعير للنصارى والجحيم للصابئين والهاوية للموحدين وقبل ان فراجهنم مقسوم بسبعة اقسام لكل قسم باب معين لكل باب جزء من اتباع ابليس مقسوم له فسبحان الله سبحانه والسبب فيه ان مراتب الكفر مختلفة بالغلظ والخفة فلا جرم صارت مراتب العقاب ايضا متفاوتة بحسبها ثم عقب الوعد بالوعد فقال ان المتقين في جنات وعيون وعن جمهور المعتزلة انهما اثنان لان التقوى جمع المعاصي والامر بقبله المدح وقال جمهور الصحابة والتابعين هم الذين اتقوا الشرك بالله واحتجوا عليه بانه اذا التقى مرة واحدة صدق عليه انه اتقى وكذا الكلام في الضارب الكاتب فليس من شرط صدق الوصف كونه اتيا بجميع اصنافه وافراده الا ان الامة اجمعوا على ان التقوى على الشرك شرط في حصول هذا الحكم والا لما بقي مدح وقوله الا عباد الله منهم المخلصين اي عبادك ليس لك عليهم سلطان فلزمه اعتبار الايمان في هذا الحكم والظاهر ان لا يراد شرط اخر لان التخصيص خلاف الظاهر فكلما كان افل كان وفق مقتضى الاصل فثبت ان المتقين يتناول جميع الفائلين بكلمة الاسلام وهي لا اله الا الله محمد رسول الله قولا واعتقادا سواء كان من اهل الطاعة او من اهل المعصية ثم ان الجنات قد جاءت في القرآن على اربع اقسام قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان ثم قال ومن دونهما جنتان واما العيون فاما ان يراد بها الانهار المذكورة في قوله فيهما انهار من ماء غير اسن الاية واما ان يراد بها منابع غير ذلك ثم ان كل واحد من المتقين يحتمل ان يختص بعين وينتفع بها كل من في جملته من الحور والولدان ويكون ذلك على قدر حاجتهم وعلى حسب شهوتهم ويحتمل ان يجري من بعضهم الى بعض ويحتمل لانهم مطهرون من كل حقد وحسد فان قيل اذا كانوا في جنات فكيف يعقل ان يقول لهم الله تعالى وبعض الملائكة ادخلوها فالجواب لعل المراد انهم لما ملكوا الجنات فكلما اراد وان ينتقلوا من جنة الى اخرى قيل لهم ذلك ومعنى بسلام اي مع السلامة من آفات البغض والانقطاع قوله ونزعنا ما في صدورهم من غل قد مر تفسيره في الاعراف اخوانا نصب على الحال وكذلك على سرر متقابلين والمراد بالاخوة اخوة الدين والتعاطف والتراجع سرير قيل هو المجلس المرتفع المهيأ للسرور وقال الليث سرير العين مستقره الذي يطمان عليه لحسان سروره وفرحه والتركيب يدل على العز والنفاسة ومنه قولهم سراوي لا فضل موضع منه ومنه السراة الذي يكنى عن ابن عباس يريد على سرر من ذهب مكللة بالزبرجد والدر والياقوت وعن مجاهد يريد بهم الاسرة حيثما داروا فهم يكونون في جميع احوالهم متقابلين والتقابل التواجه يفيض التدابر والتقابل الاخوان يوجب المذة والسرور ليكون كل منهم مقبلا على الاخر بالكلية والتقابل الاحداث يكون بقابل التضاد والتمانع فيكون موجبا للتباغض والتحالف واعلم ان الثواب منفعة مقرونة بالتعظيم خالصة عن الافات امنة من الزوال فقوله ان المتقين اشارة الى المنفعة وقوله ادخلوها ادخلوها اشارة الى انها مقرونة بالتعظيم وقوله ونزعنا الى قوله لا يمسهم فيها نصب اي نعب ولا يمسهم فيها لا يحوجهم الى كونها سالمة من المنغصات الا ان قوله ونزعنا ما في صدورهم اشارة الى نفي الصفات الروحانية وقوله لا يمسهم اشارة الى نفي الصفات الجسدانية وقوله وما هم منها بمخرجين مفيد للبقاء الخلود ثم تذكر الوعد والوعيد زاده تقريرا وتمكينا في النفوس فقال نبئ عبادي وفيه من التوكيدات ما لا يخفى منها اشهاد الرسول واعلامه منها اشعارهم باطلاق لفظ العباد عليهم ثم باضافتهم الى نفسه ومنها التوكيد بان وبالفصل وبصيغة الغفور والرحيم مع نوع تكرير وكل ذلك يدل على ان جانب الرحمة غالب كما قال سبقت رحمتي غضبي بل ربما يؤذن الذين كفروا الى النفوس الكافرة لو كانوا مستعدين لاوامر الله ونواهيه انما يكون عند استيلاء سلطان الذكر على القلب الروح ونور صفاتها بنور الذكر فيغلب النور على ظلمة النفس وصفاتها وبذلك احوالها من الامارية الى الاطمئنان فتمت حينئذ حلاوة الاسلام وطعم الايمان لو كانت من بدو الخلق مسلمة مؤمنة كالقلب والروح ثم هذه النفس التي ذاقت حلاوة الاسلام ثم عادت المشوم الى طبعها واستحلت المشارب الدنيوية بقوله ذرهم يأكلوا ويتمتعوا الذين كفروا الى النفوس الكافرة لو كانوا مستعدين لاوامر الله ونواهيه انما يكون عند استيلاء سلطان الذكر على القلب الروح ونور صفاتها بنور الذكر فيغلب النور على ظلمة النفس وصفاتها وبذلك احوالها من الامارية الى الاطمئنان فتمت حينئذ حلاوة الاسلام وطعم الايمان لو كانت من بدو الخلق مسلمة مؤمنة كالقلب والروح ثم هذه النفس التي ذاقت حلاوة الاسلام ثم عادت المشوم الى طبعها واستحلت المشارب الدنيوية بقوله ذرهم يأكلوا وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم اي استعدادها الا ولها كتاب مكتوب في علم الله من سوء اعماله واحواله فالشقي من الناس اجلها حتى يظهر منها ما هو سبب هلاكها ولا يغتر الحظة بعد سنيفاء استيفاء اكلها وقوله وقالوا يعني النفوس المذمومة مخاطبا للقلب الذاكر لولا ما تأتينا بصفات الملائكة المنافقين وفيه اشارة الى ان النفس الامارة لا يؤمن بما انزل الله الى القلوب من الانوار الالهية حتى يصير مطمئنة مستعدة لهذه الصفات ولو ان لم تقبل او انها وكمال استعداد القلوب ما كانوا اذا من موخرين من الهلاك تضيق بطائفتهم انا نحن نزلنا كلمة لا اله الا الله في قلوب المؤمنين كنز في قلوبهم الايمان والمنافق يقول ذلك ولكن لم ينزل في قلبه ولم يحفظ ولو فتحنا عليهم بابا من سماء القلب لارتكبوا في الباب ولقد جعلنا في سماء القلب بروج الاطوار فكما ان البروج منازل السيارات فكذلك الاطوار منازل شموس المشاهدات وانوار المكاشفات وسيارات اللوامع والطوالع وزينا ها لاهل النظر الناظرين الى الله وحفظناها من وساوس الشيطان وهواجس النفس الامارة ولكن من استرق السمع من النفس الشيطان فاتبعه شهاب ثاقب من انوار تلك الشواهد فيمحق الباطل ويثبت الحق والارض مددناها بانبساط ارض البشرية بمثل نفس الحيوانات الى ان ارساها الله بحبال العقل وصفا القلب وجعلنا لكم فيها معايش هي اسباب الوصول والوصال ومن لستم له برازقين وهو جوهر المحبة وان من شيء من مواهب الحق ومجلى جماله نفاد ولكل شيء خزائن فلصورة الاجسام خزائن ولاسمها خزائن ولمعناها خزائن وكذا للونها ولطمها ولخواصها من المنافع والمضار وكذا الظلمانية والنورانية وما نملكها وما نحن له بخازنين وفيه لطف الله وفيه مخزون في قلوب العباد خزائن صفات الله تعالى باجمعها وارسلنا رياح العناية لواقح لاشجار القلوب بانهار الكشوف وبامثار الشواهد كما قال بعضهم ذاهبة بماء الكرم على اسرار العارفين اعتقهم من هواجس النفس وسرعوناتها طهارة بهم وظهرت القلوب نتائج ذلك وهي الاعتصام بالله والاعتماد عليه فان لنا من بنا الهداية ماء الحكمة وما انتم له بخازنين في اصل

الخلفة فان المخلوق لا يوصف بالحكمة الا مجازا وانا نحن نحيي قلوبا ولباسنا بانوار جمالنا وبث نفوسهم بسطوة جلالنا ونحن الوارثون بعد فنا
وجودهم ليبقوا ببقائنا وان ربك هو يحشرهم المستفيد من الخطاب فيدسه والسالكون الى اسفل سافلين الطبيعة خاطب بلبس النفس بقوله
وان عليك للعنة الى يوم الدين الى ان تطلع شمس شواهدنا من مشرق الروح ويصير رمس النفس مشرقة ويتبدل صفاتها الذميمة المظلمة
بالاخلاق الروحانية المحمدية الى يوم يبعثون اى يبعث الارواح في قيامة العشق وهو الوقت المعلوم الذي يتجلى الرب فيه لارواح العشاق فيمحو
نور التجلي من الارواح الى النفوس فيجعلها مطمئنة بما اغويتني اضللتني من طريق الامانة بين الارواح في ارض البشرية من الاعمال القبيحة
التي بورث الاخلاق الحميدة وبها تزينه الارواح وتوفيقها ولاغوينهم اجمعين عما كانوا عليه من الاعمال الروحانية الملكية الى لا يبقى الا
لعبادك الذين خلصوا من حبس الوجود بمجذبات الالطاف هذا صراط اى هو طريق اهل الاستقامة في السير الى الله المنقطعين عن غير ان
عبادي ليس لك عليهم سلطان حجة يتعلق بذلك الحجة طلبتهم واغواءهم فانهم بلاهم وان من خصوصية العبودية المضافة الى الحضرة الحرية
عما سواها لها سبعة ابواب من الحرص والشرة والحقد والحسد والغضب والشهوة والكبر والابواب السبعة اشارة الى الحواس الخمس الظاهرة والى
الوهم والخيال فانهما اصلا الحواس الباطنة لان الاول يدرك المعاني والثاني يدرك الصور والباقية اعني المفكرة والحافظة والذاكرة من
اعوانهما واكثر ما يستعمل الانسان هذه المشاعر انما يستعملها في الاحوال الدنيوية المفضية الى الهلاك فلاجرم صارت ابوابا لجهنم فاذا استعملها
في تحصيل السعادات الباقية بحسب صرف العقل العزيزي صون مع العقل ابوابا لسبا بالحصول الجنة ادخلوها بسلام والسلام من الله جل جلاله
امنين من رفع موانع الخروج والدخول بعد الوصول فان الصبر في الله لا يمكن الا بالله وحده بانه وهذا قال جبرئيل ليلة المعراج لو دنوت انملة
لاحترقت ونزعنا فيه ان نزع الغل من الصدور لا يكون الا بنزع الصفات الارواح القدسية مطهرات عن علايق القوى الشهوانية والغضبية
مبرات من جوارث الوهم والخيال ومعرفتها بالهامات النفوس المتصفات عن كدورات عالم الاجساد ونوازع الخيال والاوهام اذا وقع عليها
انوار جمال الله وجلاله انعكست منها الى من في مثل درجاتها كما ينعكس المرايا الصافية المحاذية فيزداد كل منها في نفسها بصفاء صفاتها وفي قوله
نبئ عبادي اشارة الى ان سلوك السالكين مطهر الطاهرين يجب ان يكون على قدمي الرجاء والخوف وجناحي الانس والجذب والله الموفق بالصواب

وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرٰهِيمَ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلٰمًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ قَالُوا لَا تَوْجَلْ
وخبر ده ايشان را از مهمان ابراهيم كه درآمدند بر او پس سلام كردند بر او گفت ما از شما ترسانيم

إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلٰمٍ عَلِيمٍ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلٰى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ قَالُوا بَشَّرْنٰكَ بِالْحَقِّ فَلَا
كه ما مژده مى دهيم ترا بپسر دانا گفت آيا مژده مى دهيد مرا بر آنكه رسيد مرا پيرى پس بچه چيز مژده مى دهيد مرا گفتند مژده داديم ترا براستى پس

تَكُنْ مِنَ الْقٰنِطِينَ قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ قَالُوا
مباش از نوميدان گفت و كيست نوميد شونده از رحمت پروردگار او مگر گمراهان گفت پس چيست كار شما اى فرستادگان

إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلٰى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغٰبِرِينَ فَلَمَّا
بپرستيكه ما فرستاده شديم بسوى گروهى گناهكاران مگر خاندان لوط بپرستيكه ما رهانندگانيم ايشان را همه مگر زن او مقدر كرديم كه او هر آينه از باقيماندگان است پس چون

جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ قَالُوا بَلْ جِئْنٰكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ وَأَتَيْنٰكَ
آمدند لوط را فرستادگان گفت بپرستيكه شما گروهى ناشناخته گفتند بلكه آورديم ترا بآنچه بودند در آن شك مى بردند

بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصٰدِقُونَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ
بپرستيكه ما هر آينه راستگويانيم پس ببر بپاره از شب با خانواده خود و پيروى كن پشتهاى ايشان را و نبايد كه بگردد از شما احدى و برويد

تُؤْمَرُونَ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذٰلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هٰؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ
كجا مامور شده ايد و گذارديم باو اين امر را بدرستيكه ريشه اينها بريده شدنى است بصبح و آمدند اهل شهر

قَالَ إِنَّ هٰؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعٰلَمِينَ قَالَ هٰؤُلَاءِ
گفت بپرستيكه اينها مهمان منند پس رسوا مكنيد مرا و بترسيد از خدا و خوار مكنيد مرا گفتند آيا منع نكرديم ترا از جهانيان

بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فٰعِلِينَ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ فَجَعَلْنَا
دختران من اگر هستيد شما كنندگان بجان تو كه ايشان هر آينه در مستى خود ايشان حيران مى شدند پس گرفت ايشان را فرياد مهيب وقت روشن شدن

عٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيٰتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ
زبر شان را زير شان و باريانيديم بر ايشان سنگها از سنگ گل بپرستيكه در اين هر آينه نشانها مر فراستكنندگان را و بپرستيكه اين

إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَإِنْ كَانَ أَصْحٰبُ الْأَيْكَةِ لَظٰلِمِينَ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُبِينٍ

وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ ۝ وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ۝ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ

بُيُوتًا آمِنِينَ ۝ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ۝ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ

وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ۝ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ

الْعَلِيمُ ۝ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ۝ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا

مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝ وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ۝ كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ

الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ۝ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ

وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ۝ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ۝ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ

وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ۝ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ۝ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ

القراءة ادخلوا بابا مدغما ابو عمرو وحمزة وخلف غير هشام ادخلوا الباب بكسر الخاء وضم الشين حمزة لا تخزون بالتشديد يشعرون بالتشديد وكسر النون الحفص نافع مثله ولكن مشدد النون ابن كثير البافون بفتح النون وفتح الهاء على الدرج بضم بكسر النون ابو عمرو وسهل ويعقوب على وخلف كذلك ابو الاخوين بالضم ال لوط مدغما حيث كان شعاع لم يخفه بالتخفيف يعقوب بعضون حمزة وعلي وخلف بالتشديد قد رنا بالتخفيف حيث كان ابو بكر وحماد بخلاف ان يفتح الباء ابو جعفر ونافع انا بفتح باء المتكلم ابو جعفر ونافع ابن كثير وابو عمرو ابو عمرو ادخلوا بضم الخاء ادخلوا بكسر الشين فانه محال سلاما وجلون وعليه تبشرون ه الضالون ه المرسلون ه الا امرأته قدرنا الا آل لوط اجمعين ه الا امرأته قدرنا بعده مفعول والكسر لدخول اللام في الخبر الغابرين ه المرسلون ه لكان ما بعده جواب لما منكرون ه يمترون ه لصادقون ه تؤمرون ه مصبحين ه يستبشرون ه فلا تفضحون ه للعطف ولا تخزون ه العالمين ه فاعلين ه لابتداء القسم يعمهون ه مشرقين ه لاتصال الفعل بما الصيحة مصبحين ه المتوسمين ه مقيم للمؤمنين ه لانتقام الفصة لظالمين ه لاتصال الانتقام بظلمهم تمامه لان الواو للابتداء والواو وصل لما بعده الحال وهو حال من الضمير في مصبحين ه لانتقام المرسلين ه لان الواو بعده الحال اي وقد اتيناهم معجزين ه للعطف منين ه معجبين ه الاتصال فيكسبون ه لبيان الفصل لا يشعرون ه العلم العظيم المؤمنين ه بين ه لجواز تعلق الكاف بقوله فاحذرهم وبقوله فانتقمنا لجواز تعلق بما قبله وبما بعده اعلم انا علمنا ان كلا من تمام البحث بحتى يتضح التفسير المقسمين ه عضين ه اجمعين ه يعلمون ه المشركين ه المستهزئين ه آخر ه الا تمام التشديد مع الفاء يعلمون ه يقولون ه لاتصال لام بالتسبيح ساجدا ه للعطف الظن ه التفسير ثم سبحانه عطف ثم اعبد ربك لكي يكون سماع هذه النصوص مرغبا في الطاعة الموجبة للفوز بدرجات الاولياء ومحذرا من المعصية المستوجبة لدركات الاشقياء والا فقد علم ان المؤمنين واهلاك الظالمين وكل ذلك بقوله ما ذكر من انه غفور رحيم للمؤمنين وان عذابه عذاب اليم للكافرين وعنده المغفرة للتائبين معذب بغيرهم وقد فسر اكثر هذه القصة في سورة هود فقد ذكرنا هو مختص بالمقام هنا وجلون معناه خائفون خافه لامتناعهم من الاكل او لدخولهم بغير اذن في غير وقت انا نبشرك استبشار ه معنى تعجيل التبشير عن الوجل بتبشره بالولد الذكور ويكون عليما قبل اراد وا بعلم نبوة وقيل العلم مطلق وقوله على ان مسني ه موضع الحال اي مع هذه الحالة استفهم منكرا للولادة في حالة الطهر لانها امر عجيبة عادة لا لانه شك في قدرة الله تعالى ولذلك قال فبم تبشرون ما استفهامية حذفت الفها معنى النحو كانه قال فبلماذا عجوتم تبشرون او انكر لا تبشرون ليس في الحقيقة لان ذلك امر غير مضبوط والعلم والحس ما قبل فيدان لا يكون قوله بما صلة للتبشير بل يكون سئلوا عن وجه والطريق بغير بعني اذا كان الطريق المعتاد ممتنعا فبأي طريق تبشرني بالولد بعد ذلك قالوا لك جوابا لتبشرناك بالحق الذي لا لبس فيه او لتبشرناك بالولد بطريق هو حق وذلك قول الله وعده واقدر على خلق الولد من غير ابوين فضلا من شيخ فان وعجوز عاقر قال ابو حاتم حذف نافع ياء المتكلم مع النون واسقاط الحرفين لا يجوز واجيب بانه لما جاز الا لياء اكتفاء بالكسرة دون الواو لزم ان يرد ها كما اوردت في قراءة التشديد انما كسرت النون الجمع لاجل الياء وكلنا اللعنين فصيحة قيل عظم فرحه بالملك لبشارة قد هشر عن الجواب لما نظم المضارب وقيل طلب من بدا التمانينة كقوله ولكن ليطمئن قلبي عن ابن عباس بربنا بالحق



نهى الله ان يخرج من صلب بنيهم اسحق من صلب اسحق اكثر الانبياء وقوله والاتكل من ابنائهم لا يدل على انه كان فاسقا فقد ينهى عن الشيء لبنائه كقوله ولا تطع الكافرين ولذلك اكد ابوهم نهيهم بقوله ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون اى المخطئون طريق الصواب او الكافرون وفيه انه لم يستكر ذلك فنوطا من رحمته ولكن استبعاده له في العادة التي اجراها الله هما الغنان فنط يقنط مثل ضرب يضرب وقنط يقنط مثل علم يعلم وزعم الفارسي ان الاول اعلى اللغتين ثم سئل عما لاجله ارسلهم الله حيث قال فما خطبكم والخطب الشان العظيم وقيل انهم لما بشروا بالولد الذكر العليم فما وجه السئوال عن مجيئهم واجاب الاصم بان المراد بما الامر الذي جئتم فيه سوى البشرى وقال القاضي اذا علم ان المقصود لم يكن التبشير فقط لكان الملك الواحد كافيا وقيل علما انه لو كان تمام الغرض البشارة لذكروها اول ما دخلوا قبل ان يوجس ابوهم منهم خيفة فلم لعله استصغر امر البشارة اما لاجل التواضع واما لانه وقع خاصة فسئلهم عن الامر الذي هو اعظم من ذلك واعم بعظيما شانهم قالوا انا ارسلنا زعم صاحب الكشاف ان الارسال ههنا بمعنى التعذيب والاهلاك كارسال الجراد والسهم الى المرمى وقول كاتبه لا حاجة الى هذا التجوز لقوله في سورة الذاريات انا ارسلنا الى قوم مجرمين لنرسل عليهم حجارة من طين فالتقدير انا ارسلنا اليهم لنهلكهم الا آل لوط وعلى هذا يكون الاستثناء منقطعا لاختلاف الجنسين فان القوم موصوفون بالاجرام دون آل لوط ويكون قوله انا لمنجوهم جاريا مجرى جواب لكن كانه قيل لكن قوم لوط يحق ويكون قوله الا امرأته استثناء اى ارسلنا اليهم لنهلكهم الا امرأته كقول المقر لفلان على عشرة الا ثلثة الا واحدا وجوز في الكشاف ان يكون قوله الا آل لوط مستثنى من الضمير في مجرمين حيث يكون الاستثناء متصلا اى الى قوم قد اجرموا كلهم الا آل لوط وحدهم ولم يجوز الاستثناء من الاستثناء بناء على ان آل لوط مستثنى من مفعول ارسلنا او مجرمين والا امرأته من معمول منجوهم وقد عرفت ما فيه على انه اذا جعل الارسال بمعنى الاهلاك كما قرره هو والامر اما ما ذكرناه اولا اى لما استعد ومع وفور فضله قال اعمل الخير قدر الشيء وقدره بالتخفيف والتثقيل جعل الشيء على مقدار غيره ومنه قدر الله الاقوات اى جعلها على مقدار الكفاية وقدر الامور اى جعلها على مقدار ما يكون في ابواب الخير والشر وقيل في معنى قدرنا وقال كنا نحن او نتاج دوننا وقيل قضينا وكل متقارب والمشدد في هذا المعنى اكثر استعمالا والواقع جواب سئوال كانه قيل فما بالها استثنيت من الناجين من قبل فقيل انها لمن الباقين في العذاب اى الماضين هلاكا وهو من كلامه فقال في الكشاف على فعل المقدر مع ان التعليق من خصائص افعال القلوب سدت مسد المفعولين لان المعنى قضينا اليها هذا الامر وقطعنا عنها وحيا بانا لاخضامهم بريقا كما يقول خاصمته فخصمته وقيل الضمير للامر الذي دل عليه ارسلنا او امرنا بدليل قوله ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين وقيل الى لوط والخبر بانهم مرسلون الى قوم مجرمين فهو بعيد دل الى لوط عليه قوله فما خطبكم ايها المرسلون قال اى لوط انكم قوم منكرون بنكركم نفسه وبنفر منكم وذلك انهم هجموا عليه فلم يعرفهم وخاف عليهم بطرقهم فعرفهم بذلك قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون اى بما تنكرنا بسببه نوهب لجئناك بما فيه فرحك وشفيك من حسدوك وهو العذاب لانكم تخبرهم به وهم يشكون في وقوعه وانينا بالحق اليقين الذي لا شك فيه وانا لصادقون فيما اخبرناك به فاسر بالهلك بقطع من الليل اى في اخر وقد في سورة هود وارتد منها فوله واتبع ادبارهم لا تلتفت منكم احد وامضوا حيث تؤمرون كانه قيل اين امرنا فقيل امامكم حيث تؤمرون ولا يخفى عليه حالهم فقيل لا بل زيادة بيان لكيفية الاسراء لئلا يتوهم الالتفات فيكون ذلك ابلغ في الزجر وليستثن امرأتك كما مر في السورة من قوله الا آل لوط انا لمنجوهم اجمعين الا امرأته فان جبار الله انما امر باتباع ادبارهم ونهاهم عن الالتفات ليكونوا فارغ البال من حالهم مجتمعي قلب لشكر الله ولئلا يخاف منهم احد فيعرضه ذلك للعذاب ولذا ابشاهدوا عذاب قومهم فيرقوا لهم مع انهم ليسوا من اهل الرقة عليهم ولوطوا نفوسهم على الهجرة ولا يخترعوا على ما خلقوا عليه ويجوز ان يكون النهي عن الالتفات كناية عن مواصلة السير وترك التوانى لان من يلتفت لابد ان يقع له وقفة حيث تؤمرون قال الجوهري مضى الشيء ومضى ذهب ومضى في الامر مضيا نفذ وقال في الكشاف عدى وامضوا الى حيث تعدية الى الظرف المبهم لان حيث مبهمة الا ترى انك تقول اجلس حيث جلس زيد فتضيف حيث الى الفعل ولا تقول جلست مكان جلس زيد فكذلك الضمير في تؤمرون قلت حاصل الكلام يرجع الى قولك اذهبوا الى المكان الذي تؤمرون بالذهاب اليه وانفذوا امر الله بالذهاب الى هناك عن ابن عباس انه الشام وقيل مصر وقال المفضل حيث يقول لكم جبريل وكانت قرية معتزلة عما عمل اهلها عمل قوم لوط ثم اخبر عن حالهم مجملا فقال وقضينا اى اوحينا وانزلنا ذلك بمعنى اوحينا اليه ذلك الامر مقضيا مبتوتا ثم فسر ذلك الامر بقوله ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين اى لما قصدوا اصطلمناهم عن اخرهم حال ظهور الصبح ودخولهم فيه وفي هذا الاجمال والتفسير تفخيم لشان الامر وتعظيم له ثم عكى ما ابتدئ قوم لوط من الفعال بعد نزول الملائكة فقال وجاء اهل المدينة اى اهل سدوم الذين هو بقاضيها المثل قبيل الجور من قاضي سدوم يستبشرون بظهور الشر وبمجيء الملائكة لانهم رأوهم مرد احسن الوجوه لوطا قال لوط لما قصدوا اضيافه ان هؤلاء ضيفي فلا تفضحون بفضيحة ضيفي لان الضيف يجب اكرامه فاذا اسيئ اليه في دار المضيف كان ذلك اهانة وفضيحة المضيف يقال فضحه يفضحه فضحا وفضيحة اذا اظهر من امره ما يلزمه العار واتقوا الله ولا تخزون من الخزي هو دفاعوا في جواب لوط اولم ننهك عن ان تجير احدا من العالمين اى السنا نهيناك عن ان تكلم في شان احد من الناس اذا قصدناه بالفاحشة وكانوا ينهون عن كل احد وكان لوط عرضهم على الفاحشة وحدهم ظنا منه انه لا يقدم عليها غيرهم من الخارجين وقيل لهموه عن ضيافة الناس وانزاله في داره قال هؤلاء بناتي ان كنتم فاعلين يريد نساء امته كما مر في هود قال حذار الله ان تنكحوا غير اهلكن من المسلمات فانهن لكم حلال وما اظنكم تفعلون وقيل

الحجر

وقيل ان كنتم تبذرون فضاء الشهوة فيما احل تقصدون ما حرم ثم قال للملائكة لوطا هم امرأته مبتدأ محذوف الخبر لكثرة الاستعمال اى شيء
او هو مما اقسم به لعمرك والعمر بالفتح والضم واحد الا انهم خصوا القسم بالمفتوح او لان الحلف كثير المدور على السنتهم انهم لفي سكرتهم
غوايتهم التي اذا هبت عقولهم حتى لم يتميزوا بين خطائهم وصوابهم يتحيرون فيه يعمهون يقبلون قولك والذي تأمرهم به من ترك البنين الى البنات
وقيل انه سبحانه خاطب سول الله صلعم واقسم بحياته صلعم كرامة له صلعم وما اقسم بحيوة احد قط وذلك يدل على انه اكرم الخلق على الله فاخذتهم الصيحة
مشرقين داخلين في الشروق وهو بزوغ الشمس كان ابتداء العذاب من اول الصبح لقوله مصبحين اذ بين الصبح بقريب وغلبة كانت عند طلوع الشمس
قال المفسرون هي صيحة جبريل قلت يحتمل ان يكون صيحة قلب المدائن وارسال الحجارة عليهم قال بعض المفسرين انما قال وامطرنا عليهم وفي
سورة هود وامطرنا عليها لانه اراد هاهنا من شذ من القرية منهم وقيل سبب تخصيص هذه السورة بجمع المذكر هو بناء القصة على قوله انا ارسلنا
الى قوم مجرمين ان في ذلك لايات للمتوسمين المتفرسين وحقيقة التوسم التثبت في النظر حتى يعرف حقيقة سمة الشيء فعبر به عن التأمل والتفكر
وانما سمي ذلك الفراسة لان آثارها للبصيرة مثل ثابت يسلكه الناس المارة من الحجاز الى الشام يشاهدون آثار قرى قوم لوط وعفر منهم ان اتما قال وانها لعلى سبيل مقيم

او بالعكس كما قال الاية والمقصود في الوصفين تميز البعض عن الكل تنبيها على مزية ذلك البعض وشرفه فان قلت ليس لطعف الكل على البعض نظير والاستدلال بالاية استدلال لصورة النزاع من غير دليل قلنا يكفي بقوله ولقد اتيناك قد دليلا على انه من القرآن وعن ابن عمر وسعيد جبير في رواية ان السبع المثاني هي السبع الطوال سميت بذلك لما وقع فيها من تكرير القصص والمواعظ والوعد والوعيد وغير ذلك لانها تثني على الله تعالى العظمة وصفاته الحسنى وانكر الزجاج هذا القول لان هذه السورة مكية واكثر تلك السور مدنية واجيب بان المراد من الايتاء انزالها الى السماء الدنيا والمكية والمدنية في ذلك سيان وضعف بان المراد الحاق لفظ الايتاء على ما يتصل بعد اليه خلاف الظاهر وقال ابو مسلم السبع المثاني هي القرآن دون الطوال والمئين وتوقف المفصل واحتجوا عليه بما روي عن علي رضي الله عنه قال ان الله اعطاني السبع المثاني مكان الانجيل واعطاني المثاني مكان الزبور وفضلني ربي بالمفصل قال الواحدي والقول في تسمية هذه السورة مثاني كالقول في تسمية الطول مثاني وروي عن ابن عباس وابن هبيرة وابن الحاجب القرآن لقوله سبحانه كتابا متشابها مثاني وانها سبعة اسباع كررفيها دلائل التوحيد والنبوة والتكاليف ومعنى العطف على هذا القول الجمعية كقوله الى الملك القوم وابن الهمام وكانه قيل اتيناك ما هو الجامع لكونه سبعا مثاني ولكونه قرانا عظيما قال الزجاج وقد ناجب الكشاف ومن في المثاني للبيان او للتبعيض اذا اريد بالسبع الفاتحة او الطول والبيان اذا اريد الاسباع وما عرف رسوله نعمة الدنيا وغيرها فيها تقرير من الله ذات العاجلة لان كل نعمة وان عظمت فانها بالنسبة الى نعمة القرآن ضئيلة حقيرة ومن اتبع بالقرآن اعلم يستغني فليس متاع وعظم صغير اذ قول ابي بكر من اوتي القرآن فرأى ان احدا اوتي من الدنيا افضل مما اوتي فقد صغر عظيما وعظم صغيرا فمن حق قارئ القرآن الواقف على معانيه ان لا يشغل سره بالالتفات الى الدنيا وزهرتها قال الواحدي انما يكون ما اعطينا الذي اذا دام النظر نحوه وادامة النظر اليه يدل على استحسانه ومنه قول الكشاف معنى لا تمدن لا تطمح بصرك طموح راغب فيه متمن له الى فامتعنا بهم ازواجا منهم اصنافا من الكفار قال ابن قتيبة وقال الجوهري الازواج القرناء قال بعضهم لا تمدن عينيك اي لا تحسدن احدا على ما اوتي من الدنيا وضعف بان الحسد منهي عنه مطلقا فكيف يخصص الرسول به ويمكن ان يجاب بان المراد منه نهي التكوين كقوله ولا تكونن من المشركين او المراد الغبطة فهي محظورة عليه صلى الله عليه وسلم مطلقا منصبه وان كانت جائزة لامته وروي انه وافت من بلاد الشام سبع قوافل لليهود بن قريظة والنظير فيها انواع البر والطيب الجوهر فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها ولانفقناها في سبيل الله فقال لهم الله عز وجل لقد اعطيتكم سبع اياة هي خير من هذه القوافل السبع وانما قال في هذه السورة لا تمدن بغير واو العطف لانه لم يسبق طلب بخلاف ما في سورة طه لما نهاه عن الالتفات اليهم انفسهم وان يحصل لهم في قلبه قدر ووزن فقال ولا تحزن عليهم اي على انهم لم يؤمنوا فتموت بكمدهم الاسلام ويتنعش هم المؤمنون وكما امره بالتكبر على الاغنياء والترفع عنهم اذا كانوا كفارا امره بالتواضع للفقراء اذا كانوا مؤمنين فقال واخفض جناحك للمؤمنين الخفض نقيض الرفع وجناحا الانسان يداه وخفضهما كناية عن اللين والرفق وانما قال في سورة الشعراء بزيادة لمن اتبعك لانه قال قبله وانذر عشيرتك الاقربين فلو لم يذكر هذه الزيادة لكان الظاهر ان اللام للعهد فخصص الامر بخفض الجناح مختصا بالاقربين من عشيرته فزيد لمن اتبعك لتعلم ان هذا التشريف شامل لجميع متبعيه من الامة ولما بعثه على الرفق باهل الايمان امره بالانذار لكل المكلفين فقال وقل اني انا النذير المبين ويدخل تحته كونه مبلغا بجميع التكاليف لان كل ما كان واجبا ترتب على تركه عذاب وكل ما كان حراما ترتب على فعله عقاب ويدخل في كونه شارحا لجميع مراتب اهل التكليف من الجنة والنار فالانذار بالنار والاحذار بالجنة هو الاخبار عما يوجب الحرمان عنها وفي متعلق قوله ولقد اتيناك اجازان لنا عليك مثل ما انزلنا على المقتسمين ومن هم قيل اهل الكتاب الذين جعلوا القرآن عضين اي اجزاء جمع عضة واصلها عضوة فعلة من عضى الشاة اذا جعلها اجزاء واعضاء او فعلة من عضهه اذا بهته فالمحذوف منها الهاء لا الواو ومن عكرمة العضة التحريك بلسان قريش يقولون للساحرة عاضهة وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم العاضهة والمستعضهة فينقصانها الهاء ايضا وجمعت العضة بالمعنى جمع القلة لما لحقها من الحذف فجعلوا الجمع بالواو والنون عوضا عما لحقها من الحذف كسنين لهذا الابتداء ان اليهود اقتسموا القرآن الى حق وباطل وجزوه فقالوا بعضه حق موافق للتوراة والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما ويجوز ان يراد بالقرآن ما يقرؤنه من كتبهم وقد اقتسموه بتحريفهم وبالاقرار بالبعض والتكذيب بالبعض كقوله افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض وفي هذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن تكذيب قومه وعداوتهم وتهديد وسط بين المتعلق بقوله لا تمدن لانه تهديد للمسلية لما فيه من النهي عن الالتفات الى دنياهم والتاسف على كفرهم ومن الاقبال بالكلية على المؤمنين الوجه الثاني ان يتعلق بقوله النذير المبين وعلى هذا لا يكون بد من التزام اضمار او زيادة اما الاضمار فان يكون التقدير انا النذير عذابا كما انزلنا كقولك رايت القمر ونحوها كالقمر واما الزيادة فان يكون الكاف زائدة كقوله ليس كمثله شيء ويمكن ان يبقى الكاف بمعنى مثل ولا حاجة الى التزام والتقدير انذر قريشا مثل ما انزلنا على المقتسمين وهم اما اليهود وعذابهم ما جرى على قريظة والنضير فيكون قد جعل المتوقع بمنزلة الواقع وهو من الاعجاز لانه اخبار بما سيكون وقد كان واما غيرهم من اهل مكة او من قوم صالح قال ابن عباس الذين اقتسموا طرق مكة وبعد اخلها ايام الموسم فقعدوا في كل مدخل متفرقين ينفرون الناس عن الايمان بالله ورسوله بقول بعضهم لا تغتروا بالخارج منا فانه ساحر وبقول الاخر كذاب او شاعر فاهلكهم الله يوم بدر وقيل بافناك وكانوا فيها من اربعين منهم الوليد المغيرة والعاص

وابل والاسود بن عبد المطلب فقال عكرمة اقتسموا القرآن استهزاء وكان يقول بعضهم سورة البقرة لي وبقول الآخر سورة آل عمران لي وقال مقاتل اقتسموه وقال بعضهم سحر وبعضهم شعر وبعضهم كذب بعضهم اساطير الاولين وقال ابن زيد المقتسمون هم الذين تقاسموا بالله ليبيتنه واصحابه كما سيجيء في سورة النمل ومنهم وعلى هذا يكون قوله الذين جعلوا منصوبا بالنذير اي انذر العضين الذين جزؤا القرآن الى سحر وشعر واساطير مثل ما انزلنا على المقتسمين ثم اقسم على سبيل الوعيد فقال فوربك لنسئلنهم لا بد وقدر بعضهم مثله في اول الاعراف وذلك قوله فلنسئلن الذين ارسل اليهم والاظهر ان الضمير عائد الى جميع المكلفين المنذرين وان السؤال يكون عن جميع الاعمال وقد يخص الضمير بالمقتسمين والسؤال بالاقتسام ثم شجع نبيه فقال فاصدع اي اجهر بما تؤمر واظهره وفرق بين الحق والباطل واصل الصدع الشق والفصل ومنه سمي الصبح صدعا كما سمي فلقا وصدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا قال النحويون الجار محذوف والمعنى بالذي تؤمر من الشرائع مثل مررت بزيد وجوز ان يكون ما مصدرية اي بامرك وشأنك مصدر من المبني للمفعول وقالوا وما زال النبي صلى الله عليه وسلم مستخفيا حتى نزلت هذه الآية ثم قال وأعرض عن المشركين اي لا تبال بهم ولا تلتفت الى لومهم اياك على اظهار الدعوة وهذا الامر انما يرد القتال حتى يلزم النسخ على ما ظن بل يؤكدها ثم اكد النهي عن الاكتراث بهم وقوى قلبه فقال انا كفيناك المستهزئين ولا ريب انهم طبقة دون طبقة وشوكة فدروا على الاستهزاء بالرسول مع جلالة قدره والآية لا تفيد الا هذا القدر لكن المفسرين ذكروا عددهم واسماءهم مع اختلاف بينهم والاشهر على ما رواه عروة بن الزبير انهم خمسة نفر من اشراف الوليد بن المغيرة والعاص وابل والاسود بن عبد يغوث والاسود بن عبد المطلب والحارث بن الطلاطلة عن ابن عباس ما تواكلهم قبل يوم بدر وقال جبريل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم اكفيكهم فاومى الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم يعطف تعظما لاخذه فاصاب عرقا في عقبه فقطعه فمات واومى الى انف العاص وابل فدخلت فيها شوكة فمال لدغ فانتفخ رجله حتى صارت كالرحى ومات واشار الى عين الاسود بن المطلب فعمي واشار الى انف الحارث فامتخط قيحا فمات والى اسود بن عبد يغوث وهو في اصل شجرة فجعل ينطح راسه بالشجر ويضرب وجهه بالشوك حتى مات ثم زاد في تسليته فقال ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون من المطاعن فيك وفي القرآن لان الجملة البشرية والمزاج الانساني يقتضي ذلك ثم امره بالكشف عما ناب به بان يشتغل بما يزيل عنه ذلك من التسبيح والتحميد والتسجود والتعبد الى اليقين عن ابن عباس هو الموت يعني بعد ذلك لا تمام منغص ولا يجب على احد ما دام المكلف حيا وهذا كما قيل في تحديد مدة طلب العلم اقرأ الى الممات اللهم الا ان يقال على اطلاقات سيأتي زوال غموض القلب قال المحققون لا تنكشف له انوار عالم الربوبية فيهون في نظره المصائب الدنيوية فلا يستوحش من فقد انها ولا يستأنس بوجدانها وقال اهل السنة اذا نزل الى العبد بعض المكاره فعليه ان يفزع الى الله بالذكر الدائم والتسجود وسائر انواع العبادة فكانه يقول وجب على عباداتك سواء اعطيتني الخير او الشر في المكاره وقال المعتزلة من اعتقد تنزه الله عن القبائح سهل عليه تحمل المشاق لانه يعلم انه تعالى عدل منزه عما لا فائدة فيه ولا غرض فيطيب قلبه الناوي في بشارة ثوابه اشارة الى ان الطالب الصادق وان كان مستاضعيف فعليه ان لا يترك الصلوة بعد الاربعين بل ما دام قائما ينبغي ان لا يفتر من رحمة الله فيقرب البيت بالاعمال القلبية ليقرب البيت باضعاف الالطاف فيخرج من صلبك وجد بات الاعطاف فيخرج من صلبك وجد ورحم فليتقلا ما علينا من علوم اللدنية وهو واعظ الله تعالى في قلب مؤمن ان في ذلك لايات لاصحاب القلوب المتوسمين بشواهد احكام الغيب وما خلقنا سموات الارواح وارض الاشباح وما بينهما من النفوس والقلوب والاسرار والحقيقات الا بالحق اي الا لمظهر الحق ومظهره هو الانسان المخصص بذلك من بين سائر المخلوقات وان الساعة اي قيام القيامة لاتيته الشهود لاهل الفناء وان ربك هو الخلاق لصور المخلوقات ولمعانيها ولحقايقها الا يعلم من خلق ان يعلم الظهر فانه وصفاته ومظهر بينهما وليس ذلك ليس في السموات والارض وما بينهما الا الانسان الكامل وغيره مختص بظهر بعض الصفات دون الذات وان كان ملكا فلهذا قال ولقد اتيناك سبعا اي سبع صفات ذاتية لله تبارك وتعالى السمع والبصر والكلام والحيوة والعلم والارادة والقدرة من المثاني اي من خصوصية المظهر به للذات والصفات والقرآن العظيم ولهذا صار خلقه عظيما لانه كان خلقه القرآن لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا من اهل الدنيا والاخرة واخفض جناحك للمؤمنين بعد المقام ليصلوا بجناح همتك اليه على المقتسمين الذين قسموا الله على انفسهم فصاروا مظاهر الفهر الذين جعلوا القرآن عضين اي جزؤها في الاستعمال فقوم ظاهره بالبطال ثم الظاهر يربا كلون وقوم حفظوه لبقاء الحفاظ ويربحون الزيد وقوم حصلوا نفسه فرباه وابلغ اظهارا للفضل وطلبا للشهرة وقوم استنبطوا معانيه فظهر على قوال الهم مذاهبهم فكفروا افادوا القرآن بنهيهم انا كفيناك المستهزئين الذين يستعملون الشريعة بالطبيعة استهزاء بدين الله الذين يجعلون مع الله الها اخر من الهوى والدنيا فسبح بحمد ربك لا تلتفت منهم وكن من الساجدين بحمد الشكر واعبد ربك حتى يأتيك اليقين الذي لا بد لك منه فيحصل لك اليقين بالمعاد بعد القرآن فانه يحصل فوق مقام الخوف كما ان اليقين فيما لا بد منه يحصل فوق اشارات الادلة فيكون اشارة الى ان سورة النحل مكية غير تلك الايات وآياتها مائة وثمان وعشرون سورة وكلماتها سبعة الاف واربع مائة وسبعة وسبعون حرفا واحد وثمانون الف حرف وثمانمائة وثمان وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

أتى أمر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا
آمد فرمان خدا پس طلب تعجيل مكنيد منزه است و برتر است از آنچه شريك مي‌سازند فرو مي‌فرستد ملائكه را با روح
أنه لا إله إلا أنا فاتقون خلق السموات والأرض بالحق تعالى عما يشركون خلق الإنسان من نطفة فإذا
از امر خود بر هر كه بخواهد از بندگان خود كه بيم دهيد آفريد آسمانها و زمين را براستي برتر است از آنچه شريك مي‌سازند آفريد انسان را از نطفه پس ناگهان
هو خصيم مبين والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ولكم فيها جمال حين تريحون
او صاحب جدل آشكار است و چهارپايان را آفريد براي شما در آنها گرمي و منفعتها و از آنها مي‌خوريد و براي شما در آنها زينتي است وقتي كه شامگاه آوريد
وحين تسرحون وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرؤوف رحيم
و وقتي كه صبحگاه رها كنيد و بر ميدارند بارهاي گران شما را به شهري كه نباشيد رسنده آن مگر بمشقت بدرستيكه پروردگار شما البته مهربان است
والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر
و اسبها و استران را و خرها را براي سوار شويد آنها را و براي زينت و مي‌آفريند آنچه را نمي‌دانيد و بر خداست بيان راه و بر خيزد از آن كج راه
ولو شاء لهداكم أجمعين هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ينبت
و اگر خواستي هر آينه هدايت كردي شما را همه او ذات كه فرو فرستاد از آسمان براي شما از آب آشاميدني و از آن درختان كه در آن چرا مي‌دهيد
لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون وسخر
براي شما بآن كشت را و زيتون و درختان خرما و انگورها و از همه ميوه‌ها بدرستيكه در اين البته نشانيست براي گروهي كه تفكر مي‌كنند و مسخر گردانيد
لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون وما ذرأ لكم
براي شما شب را و روز را و آفتاب را و ماه را و ستارگان مسخر شده‌اند بفرمان او بدرستيكه در ان البته نشانيهاست مر گروهي را كه تعقل مي‌كنند و آنچه آفريد براي شما
في الأرض مختلفا ألوانه إن في ذلك لآية لقوم يذكرون وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما
در زمين كه مختلف است رنگهاش بدرستيكه در ان البته نشانيست مر گروهي را كه متذكر مي‌شوند و او ذات كه مسخر گردانيد دريا را تا بخوريد از آن گوشتي
طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون
تازه و بيرون آريد از آن زيوري كه مي‌پوشيد آنرا و مي‌بيني كشتيها را شكافنده آب در آن و تا بجوئيد از فضل او و باشد كه شما شكر كنيد
وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وأنهارا وسبلا لعلكم تهتدون وعلامات وبالنجم هم يهتدون أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا
و افكند در زمين كوههاي استوار را كه مبادا كه بجنبد شما را و نهرها و راهها تا بيابيد شما راه را و علامتها و بستاره هم راه مي‌يابند
تذكرون وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم والله يعلم ما تسرون وما تعلنون
پس آيا پند نمي‌گيريد و اگر بشماريد نعمت خدا را نتوانيد آنرا بشمار در آوريد بدرستيكه خدا البته آمرزنده مهربان است و خدا مي‌داند آنچه را پنهان مي‌داريد و آنچه را آشكار مي‌كنيد
والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون إلهكم
و آنانكه مي‌خوانند از جز خدا نمي‌آفريند چيزي را و ايشان آفريده مي‌شوند مردگانند نه زندگان و نميدانند كه كي برانگيخته شوند خداي
إله واحد فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون لا جرم أن الله يعلم ما يسرون وما
شما يكتاست پس آنانكه ايمان نمي‌آرند بآخرت دلهايشان منكر است و ايشان متكبرند ناچار است كه خدا مي‌داند آنچه را پنهان مي‌دارند و آنچه
يعلنون إنه لا يحب المستكبرين القراءة تشركون وما بعده بتاء الخطاب حمزة وعلي وخلف والباقون على الغيبة تفعل بالفتحات
آشكار مي‌كنند بدرستيكه او دوست نميدارد متكبران را الثلث الملائكة بالرفع سهل ويعقوب وزيد وأبو بكر مثله لكن بضم التاء القواتبة جبلة ينزل
الأنزال الملائكة بالنصب ابن كثير وأبو عمرو وروح والباقون بالتشديد من التنزيل إلا النفر فتح الشين يزيد الباقون بكسرها تلبسونها
بالنون يحيى وحماد الأخوان بتاء الغيبة والشمس والقمر والنجوم مسخرات كلها مرفوعات ابن عامر ورفق حفص والمفضل في النجوم مسخرات الباقون
بنصب الجميع على أن مسخرات حال تسرون وتعلنون بالتاء فيهما الخزاز عن عاصم وهبيرة الأخوان بناء الخطاب يدعون على الغيبة سهل
ويعقوب وعاصم غير الأعشى الباقون على الخطاب الوقوف فلا تستعجلوه ط تشركون ه فاتقون ه مبين ه خلقها ج لاحتمال
تمام الكلام واحتمال أن يكون لكم متعلقا بما بعده والوقف على لكم ه يأكلون ه للعطف تسرحون ط لذلك الأنفس رحيم ه لأن الخيل مفعول خلقها وزينة
ما لا تعلمون ه جائر أجمعين ه تهتدون ه والنهار لمن قرأ والشمس ما بعده بالرفع ومن نصب الشمس والقمر ورفع النجوم وقف على القمر
ومن وقف الكل وقف على بأمره ه يعقلون ه لأن ما بعده مفعول سخر لآية ط تذكرون ه تلبسونها ج لأن قوله وترى الخ فعل مستأنف مع اتصال المعنى
تشكرون ه يهتدون ه لأن قوله وعلامات عطف على سبلا وعلامات ط يهتدون ه لا يخلق ط تذكرون ه لا تحصوها ط رحيم ه ما يعلنون ه
يخلقون ط لأن التقدير هم موات غير أحياء لاختلاف الجملتين وما يشعرون ه لأن ما بعده مفعول يبعثون ه واحد ج لأن ما بعده مبتدأ مع الفاء مستكبرون

التفسير الكبير

وما يعلمون المستكبرين النفيهم هذه السورة ختمت سورة النعام بذمهم وحكى الاصم عن بعضهم ان كلها مدنية وقال الاخرون من اولها الى قوله لكن الذين اتقوا ربهم مدنية وما سوى ذلك مكي عن ابن عباس رضي الله عنه قال اهل النظم ان رسول الله كان يخوفهم بعذاب الدنيا نازه وهو القتل والاسر فيما يعلمهم كما حصل في يوم بدر وتارة بعذاب الآخرة ثم ان القوم لما شاهدوا شيئا من ذلك قالوا على تكذيبه وكانوا يستعجلون ما وعدوا به استهزاء وروي انه لما نزل اقترب للناس حسابهم عن قريب قال الكفار فيما بينهم ان هذا بزعم ان القيامة قد قربت فامسكوا عن بعض ما كانوا يعملون حتى ننظر ما هو كائن فلما تأخر قالوا ما نرى شيئا فنزلت اقترب للناس حسابهم فاشفقوا وانتظروا فوقها فلما امتدت الايام قالوا يا محمد ما نرى شيئا مما تخوفنا به فنزلت اتى امر الله فلا تستعجلوه وقيل نزلت في رسول الله ودفع الناس وسهم نزلت فلا تستعجلوه فاطمأنوا والحاصل ان قوله اتى امر الله جواب عن شبههم اجراء لما يجب وقوعه مجرى الواقع كما يقول من طلب الاغاثة وقرب حصولها جاءك الغوث فلا تجزع والمراد اتى امر الله بذلك حكمه فقد وقع واتى فاما المحكوم به فانه لم يقع لانه تعالى حكم بوقوعه وقت معين فقبل مجيء ذلك الوقت لا يجوز ان يقال انه موجود فلا تستعجلوني ولا تطلبوا حصوله قبل حضور ذلك الوقت ثم ان المشركين كانوا يقولون هب يا محمد انا سلمنا صحة ما تقول من انه تعالى حكم بانزال العذاب علينا اثناء الدنيا ولقائنا في الآخرة الا انا نعبد هذه الاصنام لانها تشفع لنا عند الله فكيف نستحق العذاب بسبب عبادة الشفعاء فاجاب الله عن هذه الشبهة بقوله سبحانه وتعالى عما يشركون كما مر في اول سورة يونس والمراد تنزيه نفسه عن الاضداد والانداد وان يكون لاحد من الارواح والاجسام ان يشفع عنده الا باذنه او يستعجل في حكم من احكامه او قضيته قبل اوانهم كما توهموا فان قيل انه تعالى يقضي على طائفة بالنقص على الآخرين بالقهر ولكن كيف صرت واثقا على اجراء الله تعالى في ملكه وملكوته دوننا ومن اين حصل لك هذا الفضل علينا قلنا ان الله سبحانه شبههم بقوله تنزل الملائكة الآية والمراد انه لما كان يختص بعض عبيده بانزال الوحي عليه ويامره بان يكلف سائر العباد بمعرفة الله وتوحيده وتنزيهه عن صفات النقص فظهر بهذا البيان ان هذه الآيات منتظمة على احسن الوجوه قال الواحدي روى عطاء عن ابن عباس ان الله تعالى اراد بالملائكة ههنا جبريل وحده وتثمينه لوليد بالجمع اذا كان رئيسا مطاعا جائز واذا كان هذا النقيض فالمراد بالروح كلام الله تعالى وكقوله وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا قال المحققون الروح الاصلي هو القرآن الذي به حياة المبدأ والوسط والمعاد فيه تحصل استراق العقل بالعقل بكل شيء جوهره الروح وبالروح يكمل حال الجسد فهو الاصل والنافع عليه وبهذه المناسبة سمي جبريل روحا وعيسى روحا وعن ابي عبيدة ان الروح ههنا جبريل والباء بمعنى مع اي تنزل الملائكة مع جبريل وذلك انه في اكثر الاحوال كان ينزل ومعه اقوام من الملائكة كما في يوم بدر وحنين وكان ينزل على رسول الله ملك الجبال وملك البحار وخزان الجنة وغيرهم قال في الكشاف بالروح من امره اي بما يحيي القلوب الميتة بالجهل من وحيه او بما يقوم به الدين من امره معناه الروح في الجسد فالعبرة من امره معنا ان ذلك التنزيل والتنزل لا يكون الا بامر الله كقوله وما نتنزل الا بامر ربك قال الزجاج ان انذروا وابلغوا من الروح اي ينزلهم بان انذروا وان اما مفسرة لان تنزيل الوحي فيه معنى القول واما مخففة من الثقيلة وضمير الشان مقدر اي بان الشان لا اله الا انا فاتقون وانما التفت الى تشكل القوة العلمية ومنه يعلم ان التفات متى كملت من هاتين الجهتين حصل لها روح حقيقي وحينئذ يدبر وسعادة سرمدية تبر قال الامام فخر الدين الرازي انا لا نعلم كون ابليس غير صادق ولا معصوم من الكذب الا بالدلائل التي عينت وصحت الدلائل التي عينت موقوفة على صدق محمد وصدقه موقوف على ان هذا القرآن معجز من قبل الله لا من قبل شيطان خبيث والعلم بذلك يتوقف على العلم بان جبريل صادق مبرأ من التلبيس افعال الشياطين وح يلزم الدور وهذا مقام صعب قد ذكرنا مرارا ان الفرق بين المعجز والسحر هو ان صاحب المعجز يدعو الى الخير وصاحب السحر يدعو الى الشر والفرق بين الملك والشيطان هو ان الملك يلهم بالخير والشيطان يوسوس به واذا كان الامر كذلك فكيف يشتبه المعجز بالسحر وجبريل بالملبس من اين يلزم الدور انا بين الله سبحانه ان روح الارواح وروح الاجساد هو ان يعرف الحق لذاته والخير لاجل ان يجعله اشعة كاملة من التوحيد سببا من الاشرف وهو السموات الى الادون وهو الارضيات فقال خلق السموات والارض بالحق وقد مر تفسيره مثله مرارا وقوله تعالى عما يشركون تنزيه لذاته عمن يشاركه في الالهية والقدم والتدبير والتاثير والصنع والابداع فالفائدة المطلوبة من هذا الكلام غير الفائدة المطلوبة من مثله في اول السورة كما ذكرنا فلا تكرار ثم ان اشرف الاجسام بعد الفلكيات بدن الانسان فلهذا عقب الذكور بقوله خلق الانسان من نطفة قال الاطباء ان الغذاء اذا وصل الى المعدة حصل له هناك هضم واذا وصل الى الكبد حصل فيها هضم ثان وفي العروق له هضم ثالث وفي جواهر الاعضاء هضم رابع وح يصير جزءا من العضو المغتذي بينها يتم عند استيلاء الحرارة على البدن وقت هيجان الشهوة فيحصل ذوبان جملة الاعضاء ويجتمع منه النطفة في اوعيتها وعلى هذا يكون النطفة جسما مختلفا الاجزاء والطبائع وان كانت مختلفة في الحس انها ما شابهت هذا الاجزاء وكيف ما كان فالمقتضي لتولد البدن منها ليس هو الطبيعة الحاصلة لجوهر النطفة ولم التطعم لان الطبيعة ما يؤثر بالذات والايجاب لا بالتدبير والاختيار والقوة الطبيعية اذا عملت في مادة مشابهة الاجزاء وجب ان يكون فعلها هو الكرة وعلى هذا تعرف عوار حكماء في قولهم ان الطبيعة يجب ان يكون فعلها الكرة واذا عملت في مادة مختلفة الاجزاء وكل مركب فانه يحيل الى شيء ما فانه يلزم ان يكون الحيوان على شكل كرات مضمومة بعضها الى بعض وكلا الامرين غير مطابق للواقع فعلمنا ان حدوث هذه الاعضاء على هذا الترتيب الخاص ليس بالطبيعة وانما هو بتدبير الفاعل المختار وهو الله سبحانه وهو كيف كان والنطفة رطوبة سريعة الاستحالة

فالاعوان

فالاجزاء الموجودة فيها لا يحفظ الوضع والنسبة فالجزء الذي وهو مادة الدماغ يمكن حصوله في الاسفل والجزء الذي هو مادة القلب قد يحصل في الفوق فلا يكون حدوث اعضاء الحيوان على هذا الترتيب الخاص دائما ولا اكثريا وحيث كان كذلك علمنا ان حدوثها باحداث مدبر مختار ثم ان نزلنا عن جميع هذه المراتب فالخلاف بيننا وبين الحكيم ان الطبيعة خرقاء وانها ليست واجبة الوجود لذاتها فلا بد من الانتهاء الى الصانع الحكيم الخبير اما قوله فاذا هو خصيم مبين فقد ذكرنا فيه وجهين الاول فاذا هو مساو لمجادل عن نفسه مبين للحجة بعد ان كان نطفة لا حس به ولا حراك وتقرير ذلك ان النفوس الانسانية في اول الفطرة اقل فهما وذكاء من نفوس الحيوانات الا ترى ان ولد الانسان يحتاج كما يخرج من البيضة يعرف القصد بوجه من العقد ويهرب من المرة ويلتجئ الى الام ويميز بين الغذاء الذي لا يوافقه وبين الطعام الذي يوافقه وحال الطفل بخلاف ذلك فانتقاله من تلك الحالة الخسيسة الى ان يقوى على معرفة الالهيات والفلكيات والعنصريات وعلى ايراد الشكوك والشبهات على البديهيات والمقدمات انما يكون بتدبير اله مختار قدير ينقل الارواح من النقصان الى الكمال ومن الجهالة الى المعرفة الوجه الثاني ان المراد فاذا هو خصيم لربه منكر على خالقه قائل من يحيي العظام وهي رميم فعلى الوجه الاول جوزان يكون الخصيم فعيلا بمعنى مفاعل كالاكيل والشريب وان يكون بمعنى مختصم وعلى الوجه الثاني تعين كونه بمعنى مفاعل والترجيح من الوجهين للاول بناء على ان هذه الاية مسوقة للتقرير الدال على وجود الصانع الحكيم وقدرته لا لاجل وصف الانسان بالتمادي في اللجاج والكفران وقد يرجح الثاني بما روي ان ابي بن خلف الجمحي جاء بعظم رميم الى رسول الله صلعم فقال يا محمد انزعم ان الله يحيي هذا بعد ما قد رم فنزلت ثم اردف بتكوين الانسان بتكوين الحيوانات التي ينتفع بها الانسان في ضروراته من الاكل والركوب وجر الاثقال وفي غضون ذلك بأنواع من الاعراض الصحيحة كالتزين والجمال فقال والانعام خلقها هي الازواج الثمانية المذكورة في سورة الانعام وهي الضان والمعز والابل والبقر وان شئت قلت الابل والبقر والغنم قال في الكشاف واكثر ما يقع هذا اللفظ على الابل قلت ويمكن ان يستدل على ذلك بقوله بعد ذلك وتحمل اثقالكم لان هذا الوصف لا يليق الا بالابل وانتصابها بمضمر يفسره الظاهر ويجوز ان يكون معطوفا على الانسان اي خلق الانسان والانعام ثم فان خلقها لكم اي فاخلقها الا لكم ولمصالحكم بجنس الانسان قال صاحب النظم واحسن الوجهين ان يكون الوقف عند قوله خلقها بدليل انه عطف عليه قوله ولكم فيها جمال والدفء اسم ما يدفأ به كالملاء اسم ما يملأ به وهو الدفاء من لباس معمول من صوف ووبر وشعر قال الجوهري الدفاء نتاج الابل والبانها وما ينتفع به منها والدفء ايضا التسخن وقوله ومنافع قالوا المراد نسلها ودرها والمنافع بالحقيقة اعم من ذلك فقد ينتفع بها بالبيع والاقتراض بالقود والاثواب ولباس الحجاج اما قوله ومنها تاكلون فتقديم الظرف المؤذن بالاختصاص فلان الاكل منها هو الذي يتعلق به اكثر ما كلهم عادة واما الاكل من غيرها كالدجاج وصيد البر والبحر فكغير المعتد به بالاضافة الى ما يحصل منها لانكم تحرثون بالبقر وتكسبون باكرية الابل وتتزينون بنتاجها والبانها وجلودها جميع ما تشتهون من الاطعمة قوله حين تريحون الاراحة رد الابل الى مراحها حيث تاوي اليه ليلا وتسرحون اخراجها بالغداة الى المرعى وقدمت الاراحة لان الجمال فيها اظهر حين تقبل ملاء البطون حافلة الضروع تاوي الى الحظائر حاضنة لاهلها قوله بشق الانفس من قرا بفتح الشين فمعناه المشقة فيكون مصدر شق الامر عليه شقا وحقيقته ذهاب بعضه لان الشق الذي هو الصدع ومن قرا بالكسر فمعناه النصف كانه يذهب بنصف قوته لما بها من الجهد فان جاز ان يسمى المضي قوله لم تكونوا راجعين الى الفرض والتقدير لو لم يخلق الابل لم يكونوا الا كذلك وتمام الفعل لم تكونوا حاملين اثقالكم الى البلد بدليل قوله وتحمل اثقالكم لاجل المبالغة كانه قيل قد علمنا انكم لا تبلغونه بانفسكم الا بجهد ومشقة وذهاب قوة فضلا عن ان تحملوا على ظهوركم اثقالكم ويجوز ان يكون العائد الى الاثقال محذوفا اي لم تكونوا بالغيها الا بالشق او المراد بالاثقال الاجساد عن ابن عباس تفسر لبلد بمكة الى اليمن والشام قال الواحدي هذا قوله والمراد كل بلد لو تكلفه بلوغه على غير هذا شق عليكم وخص ابن عباس هذه البلاد لانها اكثر متاجرهم ثم قال ان ربكم لرؤف رحيم اذ لا يخلق هذه الحوامل لاجل ان يشق هذه المصالح اجنح منكر والكرامات بالابتداء على امتناع طي الارض كما ينقل عن بعض الاولياء والجواب ان الامتناع العادي لا ينافي الامكان الذاتي والخيل والبغال والحمير معطوفات على الانعام اي وخلق هو له الركوب والزينة فانتصب على انه مفعول له معطوف على محل لتركبوها وانما لم يقل والتتزينوا بها ليكون المعطوف والمعطوف عليه على سنن واحد لان الركوب فعل المخاطبين واما الزينة ففعل الزائن وهو الخالق وفيه والتحقيق فيه ان الركوب احد الامور المعتبرة في المقصود بخلاف التزين بالشيء فانه قلما يلتفت اليه ارباب الهمم العالية لانه يورث العجب ويشبه غالبا وكانه قال خلقها لتركبوها فقنعوا عن انفسكم بواسطتها فضروب الاعيان والمشقة واما التزين بها فهو حاصل في نفس الامر لكنه غير مقصود بالذات احتج المعتزلة القائلون بان افعال الله معللة بالمصالح بان قوله لتركبوها يقتضي ان هذه الحيوانات مخلوقة لهذه المصالح والجواب ان استتباع الفائدة والفايدة مسلم ولكن التعليل ممنوع واحتج الحنفية بالاية على تحريم لحوم الخيل من وجوه احدها ان افراد هذه الانواع الثلثة بالذكر يوجب اشتراكها في الحكم لكن البغال والحمير محرمان فكذا الخيل وثانيها ان منفعة الاكل اعظم منه من الركوب والتزين فلو كان اكل لحم الخيل جايزا لكان هذا المعنى اولى بالذكر وثالثها ان قوله فيما قبل ومنها تاكلون يقتضي الحصر فيجب ان لا يجوز اكل ما عدا الانعام الا بدليل منفصل والاصل عدمه ورابعها ان قوله

الجزء الرابع عشر

لتركبوها يقتضي ان تمام المقصود من خلق هذه الاشياء الثلثة هو الركوب والزينة فلو كان حمل اثقالها مقصودا لزم ان يكون ما هو تمام المقصود بعض المقصود هذا محال والجواب ان تحريم الخيل محل النزاع وتحريم الحمير بنص الكتاب ممنوع لما روى عن جماعة من الصحابة انه صلى الله عليه وسلم اخبر عن لحوم الحمر الاهلية فلو كان للاباحة دلالة على تحريم لحم الخيل لفهموه منها قبل ذلك العام لان الاباحة مكية عند الاكثرين ولو فهموا منها التحريم قبل ذلك لما بقي لتخصيص التحريم بهذه السنة فائدة واذا لم يكن لحم الحمر والخيل محرمين لم يكن لتحريم البغال المتولدة منهما وجه وايضا كون معظم المنتفع به في الاكل بالنسبة الى هذه الانواع ممنوع بل الركوب والزينة هما اعظم المنافع فيها ولهذا جعلا تمام المقصود منها فكانما اعطى الاكثر والمعظم حكم الكل وانتفاء الحصر في قوله ومنها ناكلون ممنوع بل لعل الظرف قدم لرعاية الفاصلة ثم ان انواع الغرائب العجائب المخلوقة في هذا العالم لا احد لها ولا حصر فلهذا اشار الى ما يقع منها على سبيل الاجمال فقال ويخلق ما لا تعلمون الكشف وتفاصيله بل نوعه وجنسه فان مركبات العالم السفلي وغرائب العالم العلوي لا يعلمها الا موجدها وروى عطاء ومقاتل والضحاك عن ابن عباس انه قال ان عن يمين العرش بحرا من نور مثل السموات السبع والارضين السبع والبحار السبعة يدخل فيه جبريل كل سحر فيغتسل فيزداد نورا الى نوره وجمالا الى جماله ثم ينتفض فيخلق الله تعالى من كل نفطة يقع من رأسه كذا وكذا الف ملك يدخل منهم كل يوم سبعون الف ملك البيت المعمور والكعبة ايضا سبعون الفا ثم لا يعودون اليه الى يوم القيمة وقيل المراد ما خلق في الجنة والنار مما لا يبلغه فهم احد ولا وهمه ولما ذكر بعض دلائل التوحيد بين انه ذكرها ازاحة للعذر وازالة للشبهة ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة فقال وعلى الله قصد السبيل ذكر صاحب الكشاف ان السبيل للجنس والقصد مصدر بمعنى الفاعل بقي سبيل قصد وقاصد اي مستقيم كما تقول قصد الوجه الذي يؤمه السالك لا يعدل عنه والجور المايل عن الاستقامة احتج المعتزلة بالاية على مسئلتين من اصولهم احديهما ان تعريج على الله تعالى الارشاد والهداية لان كلمة على للوجوب والمضاف محذوف اي وعلى الله بيان قصد السبيل فالمعنى ان هداية الطريق الموصل الى الحق واجبة عليه والثانية انه لا يضل احدا ولا يغويه ولا الفعل وعلى الله قصد السبيل وعليه جائرها اي عليه الجور فلما غير اسلوب الكلام فانلا ومن الجائر دل على انه اراد ان بين ما يجوز اضافته اليه من السبيلين وما لا يجوز والجواب عن الاول بعد تسليم افادته كلمة على الوجوب انه وجوب بحسب الفضل والكرم لا بمعنى استحقاق الذم على الترك وعن الثاني ان دلالة قوله ومنها جائر على ما ذكرتم ليست دلالة المطابقة ولا التضمن ولا الالتزام لان قول القائل من السبيل سبل محرفة لا يفيد الا الاخبار بوجود الانحراف في بعض السبل فاما ان فاعل تلك السبيل من هو فلا دلالة للكلام عليه اصلا على ان قوله ولو شاء لهداكم اجمعين بنا قض ما ادعيتم وتفسير المشية بمشية الالجاء والقسر باطل هذا الى الجنة خلاف الظاهر كما مر مرارا ولما استدل على وجود الصانع الحكيم بعجائب احوال الحيوانات اراد ان يذكر الاستدلال على المطلوب بغرائب احوال النبات فقال هو الذي انزل من السماء ماء وقوله لكم متعلق بانزل او بقوله شراب جزء له والشراب ما يشرب كالطعام لما يطعم والمراد ان الماء النازل من السماء قسمان بعضه يبقى لاجل الشرب كما هو ويحتمل ان يكون الماء المحبوس في الابار والعيون منه كقوله فاسكناه في الارض وبعضه يحصل منه شجر يرعاه المواشي قال الزجاج كل ما ينبت من الارض نهو شجر لان تركيبه يدل على الاختلاط ومنه تشاجر القوم اذا اختلط اصوات بعضهم بالبعض ومعنى الاختلاط حاصل في العشب والكلا وفيما له ساق وقال ابن قتيبة المراد بالشجر في الاية الكلاء وفي حديث عكرمة لا تاكلوا من الشجر فانه سحت اراد الكلاء وقيل الشجر كل ما له ساق كقوله والنجم والشجر يسجدان والعطف يقتضي التغاير فلما كان النجم لا ساق له وجب ان يكون الشجر ما له ساق واجيب بان عطف الجنس على النوع جائز وبان قوله فيه تسيمون من سامت الماشية اذا رعت واسامها صاحبها وهو من السومة العلامة لانها تؤثر بالرعي علامات في الارض يقتضي ان يكون الشجر هو العشب ليمكن الرعي ورد بان الابل قد ترعى الاشجار الكبار وحين ذكر مرعى الحيوان اتبعه ذكر غذاء الانسان فقال ينبت لكم به الزرع الذي هو الغذاء الاصلي والزيتون الذي هو فاكهة من وجه وغذاء من وجه لكثرة منافعه من الدهن والخبل والاعناب اللذين هما اشرف الفواكه ثم اشار الى سائر الثمرات بقوله ومن كل الثمرات كما اجمل الحيوانات التي لا يعلمون ذكرها بقوله ويخلق ما لا تعلمون قال في الكشاف انما ذكر بقل وكل الثمرات بل زاد من التبعيضية لان كلها لا يكون الا في الجنة واعلم انه قدم الغذاء الحيواني على الغذاء النباتي لان النعمة فيه اعظم لانه تارة يرعى فتشبها بعيدان الانسان وفي ذكر الغذاء الحيواني وهو الزرع وغيره بناء على مكارم الاخلاق وهو ان يكون اهتمام الانسان بحال من يخدمه اكمل من اهتمامه بحال نفسه وانما عكس الترتيب في قوله كلوا وارعوا انعامكم بناء على ما هو الواجب في نفس الامر كقوله صدا بدا بنفسك ثم بمن تعول فقوله وسخر لكم الليل والنهار معنى تسخيرهما للناس تصييرهما نافعين لهم بحسب مصالحهم على سنن واحد بتعاقبان دائما كالعبد المطواع وكذا الكلام في تسخير الشمس والقمر والنجوم كما مر في الاعراف وفي سورة ابرهيم وهذا حسم لمادة شبهة من يزعم ان حركات الافلاك لا فائدة هي المقتضية لتعاقب الليل والنهار ومسيرات الكواكب هي المستند عنها للحوادث السفلية فانه ان سلم لهم فلك فلا بد لتلك الحركات والمسيرات من انتهاء الى صانع قديم منزه عن التغير والامكان مبرء عن الحدوث والنقصان وهو الله سبحانه اشار الى ذلك بقوله ان في ذلك لايات لقوم يعقلون قال جار الله جمع الاية وذكر العقل لان الاثار العلوية اظهر دلالة على القدرة الباهرة وابين شهادة للكبرياء والعظمة وقال غيره انما جمع الايات لتطابق قوله مسخرات ومثله في هذه السورة في موضع اخر مسخرات في جو السماء ما يمسكهن الا الله ان في ذلك لايات وانما جمع لان كلا من تسخير الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم اثر في نفسها اثنان الليل والنهار وتخالف مسيرات

الكواكب

النحل

الكواكب كما هو مقرر في علم الهيئة بخلاف قوله بنبت لكم فان مطلق الانبات اعم من واحد وكذا قوله وما ذرأ لكم في الارض اي خلق فيها من حيوان وشجر وثمر وغير ذلك مختلفا الوانه فان ذرهذه الاشياء على حالة واحدة اختلاف الالوان والاشكال مع تساويها في الطبيعة الجسمية وفي ناطس الفلكيات فيها اثر واحد على وجود الصانع تعالى شأنه وتقدس اسمه على الامكان هذه الاعتبارات والا فقد كل شيء له اثر فدل على انه واحد وانما خص المقام الاول بالتفكر لامكان ايراد الشبهة المذكورة وخص المقام الثاني بالعقل لان كونه بعدا مظنة الشبهة واذا حل العلة فلم يعترف بعدها بالوحدانية فلا عقل له وخص المقام الثالث بالتذكر لمزيد الدلالة لان شك بعد ذلك فلا حس له ومن جملة الايات التي في الخفيفة انعام على الانسان فتخير الجر بالركوب عليه والاستفاع باكلا ولبسا والمراد باللحم الطري السمك قال ابن الاعرابي لحم طري غير مهموز ومصدره طراوة بقي شيء طري اي غض من الطراوة وقال قطرب طرأ اللحم وطرئ طراوة والمراد في الاية السمك وما في معناه قال في الكشاف وصفه بالطراوة لان الفساد اسرع اليه فيسارع الى اكله خيفة الفساد عليه وقال المتكلمون انه لما خرج من البحر المالح الزعاف الحيوان الذي لحمه في غاية العذوبة علم انه لم يحدث بحسب الطبع بل بقدرة الله تعالى وحكمته بحيث ظهر للعقل من اصله قال اكثر الفقهاء ومنهم ابو حنيفة والشافعي من حلف لا ياكل لحما فاكل سمكا لم يحنث لان اللحم لا يتناوله عرفا وبني الايمان على العرف والعادة ولهذا لو قال لغلامه اشتر لحما فجاء بالسمك كان حقيقا بالانكار عليه وردّ عليهم الامام فخر الدين الرازي بانه اذا قال لغلامه اشتر لحما فجاء باللحم العصفور كان حقيقا بالانكار مع انكم تقولون انه يحنث باكل لحم العصفور فثبت ان العرف مضطرب والرجوع الى نص القرآن متعين فليس فوق بيان الله بيان ولقائل ان يقول لعل الانكار في هذه الصورة لما جاء من قبل ندرة شراء العصفور او شراء لحمه فانما يشتري كله ولم يجئ من اطلاق اللحم على لحمه ومن منافع البحر استخراج الحلية منه قالوا واراد بالحلية اللؤلؤ والمرجان والمراد بلبسهم لبس نسائهم لانهن من جملتهم ولا يرد ان تزيين النساء لاجلهم ولقائل ان يقول لا مانع من تزيين الرجال باللآلي ونحوها شرعا فلا حاجة الى هذا التكلف استدل الامام فخر الدين بالاية في ابطال قول الشافعية انه لا زكوة في الحلي قال لان اللام فيها وفي قوله تتخذون للعهد السابق ولا معهود الا ما ذكر من الحلية فصار معنى الحديث لا زكوة في ذلك الحلي وهذا باطل بالاتفاق ولقائل ان يقول لم لا يجوز ان يكون اللام للجنس فيشمل المصوغ من الذهب الفضة ايضا فيكون الحديث مخصصا بالاية ان ثبت صحته وفي عجائب البحر ومنافعه قوله سبحانه وتعالى مواخر فيه قال اهل اللغة مخر السفينة شقها الماء بصدرها وعن الفراء اذا صوت ورياحها الفلك بالرياح وقال ابن عباس مواخر اي جواري وانما حسن هذا التفسير لانها لا تشق الماء الا اذا كانت جارية وقوله لتبتغوا من فضله اي لتجروا فيه فتطلبوا الربح من فضل الله وانا وجدتم فضله واحسانه فلعلكم تقدمون على شكره واعلم ان قوله مواخر فيه جاء على القياس لان موضع الظرف المتعلق بمواخر بعد مضي مفعول ترى واما في سورة الملائكة فقدم الظرف ليكون موافقا لقوله ومن كل تاكلون ولتقدم الجار في قوله ومن كل تاكلون حذف لحظه منه هناك والواو في ولتبتغوا في هذه السورة للعطف على لام العلة في لتاكلوا وقوله وترى الفلك مواخر فيه اعتراض في السورتين مجرى المثل ولهذا وحد الخطاب في قوله وترى وقيل وبعد جمع اي لو حضرتها انت طلبا لربه بهذه الصفة ويمكن ان يقال انما قال في الملائكة فيه مواخر بتقديم الظرف لئلا يفصل بين لام العلة وبين متعلقها وهو مواخر ولم يكتف بتعلق المتعلقين وانما بنيا الكلام على ان قوله فيه متعلق بمواخر لانه اقرب هذا وبعد ذلك والله اعلم قوله ان تميد بكم اي كراهة ان تميد الارض بكم والباء للتعدية او للمصاحبة والميد الحركة والاضطراب يمينا وشمالا يروى انه تعالى خلق الارض فجعلت تمور فقالت الملائكة ما هي بمقر احد على ظهرها فاصبحت وقد ارسيت بالجبال فلم تدر الملائكة بم خلقت فقال جمهور المفسرين ان السفينة اذا القيت على وجه الماء فانها تميل من جانب الى جانب وتضطرب فاذا وضعت الاجرام الثقيلة في تلك السفينة استقرت على وجه الماء فهكذا الارض لما بسطت استقرت على الماء بسبب ثقل الجبال واعترض عليه بان السفينة انما تضطرب على الماء لتخلخلها وخفتها بسبب الهواء الداخل في مجاويف الخشب ومسامها اما الارض فجسم كثيف ثقيل من شانها الرسوب في الماء على ما هو مشاهد من حال اجزائها المنفصلة عنها فان كان طبيعة الكل كذلك فكيف يعقل طفوها حتى توجب الجبال ارسائها وتثبيتها ولم تكن طبيعة الكل كذلك حتى يكون طافية مائدة وقد ارساها الله تعالى بالجبال فالرسو والرسوخ انما يتصور على جسم واقف وليس الا الماء فنقل الكلام الى وقوف الماء وحينئذ المعين فان كان بحسب الطبيعة فهذا خلاف النقدير وان كان بسبب امر خارج فلا بد من انتهائه الى ما لا يكون واقفا بالطبع بل كان واقفا بخالق القادر المختار ويمكنه ان يجعل الارض المخصوصة فلم لا تقول مثله في تمكين الارض هذا الخصم ما قاله الامام فخر الدين الرازي وانتسب المقام الى الصعود والاشكال واستراح لحله وجعلها مبتنيا على قولين الحكماء وهو ان الارض جسم كري والكرة اذا كانت صحيحة الاستدارة فانها تستقر بادنى سبب فلما احدث الله سبحانه على وجهها هذه الخشونات الجارية مجرى الاوتاد منعها عن السلاسة والحركة قلت في هذا الحال خلل اما اولا فلكونه مبتنيا على غير قواعد اهل النظر واما ثانيا فلما ثبت في الحكمة ان نسبة اعظم جبل في الارض وهو الارتفاع وسحان وثلث وتسع الى جميع الارض كنسبة خمس عشرة شعيرة الى كرة قطرها ذراع ولا ريب ان ذلك القدر من الشعيرة لا يخرج الكرة المذكورة عن صحة الاستدارة بحيث يمنعها عن سلاسة الحركة فكذا ينبغي ان يكون حال الجبال بالنسبة الى كرة الارض والجواب الصحيح على قاعدة اهل الشرع ان يقال لا نسلم ان الارض بكليتها لها الطبيعة موجبة لحالة من الاحوال وعلى تقدير التسليم فلا نسلم ان لها طبيعة الرسوب بل لعل طبيعتها الطفو فلهذا احتاجت الى الرواسي وانما قوله لم ارسى الله الماء في

حتى وقع الوقف الارض من غير انساء فلا يخفى سقوطه مع القول بالفاعل المختار فلو سبط والاسباب مدخل في الامور العادية وان لم تفعل بانفسها
هذا وان حركة الارض عند الزلازل لانشاء في حكم بعد اضطرابها لان ثبات الحركة بجزء الشيء لا ينافي قبولها عن كلية وشبهوا الزلزلة وهي حركة قطعة
من الارض لاحتقان البخارات في داخلها وطلبها المنفذ باختلاج يحصل في جزء معين من بدن الحيوان قوله سبحانه وابقاها معطوف على رواسي
اي وجعل فيها رواسي لان الالقاء ههنا بمعنى الجعل والخلق كقوله وألقيت عليك محبة مني وكذا قوله وسبلا اي اظهرها وبينها لاجل ان
تهتدوا بها في اسفاركم ولما ذكر انه اظهر في الارض سبلا هيئة ذكر انه اظهر في تلك السبل علامات مخصوصة وهي كل ما يستدل به السائر كالجبال
والسهل وغير ذلك يحكي ان جماعة يتهمون التراب فعرفوا بالطرقات فقال الاخفش تم الكلام عند قوله وعلامات وقوله وبالنجم هم يهتدون
كلام منفصل عن الاول والمراد بالنجم الجنس كما يقال كثر الدراهم في ايدي الناس وعن السدي هو الثريا والفرقدان وبنات نعش والجدي قال بعض المفسرين
اراد بقوله هم يهتدون اهل البحر لتقدم ذكر البحر ومنافعه وقيل اراد اعم من ذلك فاهل البر ايضا قد يحصل لهم الاهتداء بالنجوم في الطرق والمسالك
في معرفة القبلة وانما جيء بالضمير الغائب لعوده الى السائرين لدلالة عليهم ذكر السبل وقال في الكشاف كانه اراد قريشا فقد كان لهم اهتداء بالنجوم
في مسايرهم وكان لهم بذلك علم لم يكن مثله لغيرهم فكان الشكر اوجب عليهم والاعتبار ألزم لهم فخصصوا بتقديم النجم والتخام لفظهم كانه قيل وبالنجم
خصوصا هو لا خصوصا يهتدون ثم لما عدد الايات الدالة على الصانع ووحدانيته وانصافه بجميع صفات الكمال والامتنان بوجه اهل الشرك والعناد فقال
افمن يخلق كمن لا يخلق اي كالاصنام التي لا تخلق شيئا الا انها جزاها مجرى اولي العلم فاطلق عليها لفظ من التي هي لاولي العقل بناء على زعمهم انها الهة او لاجل
المشاكلة بينه وبين من يخلق او اراد من يخلق ليس كمن لا يخلق من اولي العلم فكيف بما لا علم عنده او اراد كل ما عبد من دون الله مغلبا فيه اولوا العلم
منهم واعلم ان اهل السنة يقولون ان المشبه به يجب ان يكون اقوى واتم في وجه الشبه من المشبه ليلحق الاضعف بالاقوى في وجه الشبه كقولك وجه
كالقمر ولا ريب ان الخالق اقوى من غير الخالق فكان حق النظم في الظاهر ان يقال افمن لا يخلق كمن لا يخلق والقران ورد على العكس وهو عند العلماء
زيادة التوبيخ ليكون كانهم جعلوا غير الخالق اقوى حالا واعرف من الخالق قال في الكشاف انهم جعلوا الله من جنس المخلوقات وشبهها بها حيث جعلوا
غيره في التشبيه والتعبير فانكر عليهم ذلك ولوضوح كون هذا الامر منكرا عند من له ادنى عقل بل حتى قال افلا تذكرون وفيه مزيد توبيخ وتجهيل
لانتفاء الحالة كالحاصل لان ما يحصل عند العقل بادنى تذكر ومع ذلك فهم غافلون قال بعض الاشاعرة في الآية دلالة على ان العبد غير خالق لافعال
نفسه لان الآية سيقت لبيان امتياز ذات الخالق فيجب ان يكون المراد من يخلق ما تقدم ذكره من السموات والارض والانسان والحيوان
والنبات والبحار والجبال والنجوم او من يقول بخلق الاجسام فقط لان كل من كان خالقا لشيء كان خالقا لوجوده وهذا الفعل كما لا يدل على ان كل من كان خالقا
فانه يجب ان يكون عالما بتفاصيل ما يقوله انهم ان جعلوا يعبدون بها اردنا ان الانسان افضل من الصنم والافضل لا يليق به عبادة الاخس فكذا ههنا وقال
الكعبي لفظ من لا يطلق لفظ الخالق على العبد ومن اطلق ذلك فقد اخطأ الا في مواضع ذكرها الله تعالى كقوله واذ تخلق من الطين فعلم
هذا لا يتوجه عليهم السؤال الا ان اصحابنا هاشم يطلقون لفظ الخالق على العبد حتى ان ابا عبد الله البصري قال اطلاق لفظ الخالق على العبد
حقيقة وعلى الله مجاز لان الخلق عبارة عن التقدير وهو الظن والحسبان ثم انه فرغ من تعديد الايات التي هي بالنسبة الى المكلفين نعم قال وان
تعدوا نعمة الله لا تحصوها وقد مر تفسيره في سورة ابراهيم قال العقلاء ان كل جزء من اجزاء البدن الانساني لو ظهر فيه ادنى خلل لنغص العمر على
الانسان وتمنى ان يفوق النبات لو كان في ملكه حتى يزول عنه ذلك الخلل ثم انه سبحانه يدبر احوال بدن الانسان على الوجه الملائم له غالبا
مع ان الانسان لا علم له بوجود ذلك الجزء ولا بمصالحه ومفاسده ولكن هذا المثال حاضر في ذهنك وقس عليه سائر نعم الله تعالى حتى تعرف تقصيرك
وقصورك عن شكر اداء نعمة فضلا عن جميعها وعلى هذا اختم الآية بقوله ان الله لغفور رحيم يغفر التقصير الصادر عنكم في اداء شكر النعم ويرحمكم حيث
لا يقطعها عنكم بالتفريط ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها كما توالى اشتغالهم بعبادة غير الله بسبب ضروب من الكفران والمكافأة حق الوسول ثم
اوعدهم بقوله والله يعلم ما تسرون وما تعلنون وفيه ايضا تعريض وتوبيخ بسبب ان الاله يجب ان يكون عالما بالسر والعلانية والاصنام التي عبدوها
جمادات لا تعلم شيئا اصلا فكيف يحسن عبادتها ثم زاد في التوبيخ فقال والذين يدعون اي الالهة الذين يدعوهم الكفار من دون الله لا يخلقون
شيئا وقد ذكر هذا المعنى في قوله لكن لا يخلق وزاد ههنا قوله وهم يخلقون اي يخلق الله او بالنحت والتصوير وهم لا يقدرون على نحو ذلك فهم اعجز
من عبدتهم نفى عن هذه الالهة زيادة بان لا تنفي عنهم صفة الكمال واثبت صفة النقصان وكذلك قوله اموات غير احياء يستلزم ذلك من وجهين لان
من الاموات ما يعقب حياة كالنطفة والحبة ومنها ما لا يقبل الحياة كالحجارة واما الحيوان فانه لا يقبل الحياة اصلا وفيه ان لا يلزم
يجب ان يكون حيا لا يعقبه موت وحال هذه الاصنام بالعكس وفيه ان هؤلاء الكفار في غاية الغباوة وقد تقرر في المعقول ان الواحد مع النبي الجاهل يعتقد
مختلفين يشبه على بلادته وما يشعرون ايان يبعثون ضمير للالهة اما الضمير في ايان يبعثون فاما للالهة ايضا وهو بعيد وما روي عن ابن عباس ان الله تعالى
يبعث الاصنام لها ارواح ومعها شياطينها فيؤمر بالكل الى النار وايا ما كان اي لا يشعر الالهة متى يبعث عبدتهم فيكون فيه حكم بالمشركين من
حيث ان الظاهر لا يعلمون وقت بعثهم فكيف يكون لهم وقت جزاء منهم على عبادتهم وفيه ترك لا بد من البعث وانه من لوازم التكليف واما للاحياء فمتى
بعثت الاصنام لها ارواح ومعها شياطينها فهم ما لا يعلمون وقت بعثهم فكيف يشعرون ما لا يعلم حتى الا الحي القيوم سبحانه وجوز في الكشاف ان يراد بالذين يدعون هم الكفار

ای لا یعلم هؤلاء الالهة

ثلاثة

النحل ۱۶

الملائكة فان ناسا منهم كانوا يعبدونهم ومعناه انهم اموات لا بد لهن من الموت غير احياء التي باقية حيوتهم ولا علم لهم بوقت بعثهم ولما زيف طريقة عبدة الاصنام صرح بما هو الحق في نفس الامر فقال الهكم اله واحد ثم ذكر ما لاجله اصر الكفار على شركهم فقال والذين لا يؤمنون بالاخرة قلوبهم منكرة للوحدانية اولكل كلا يخالف هواهم وهم مستكبرون عن قبول الحق وذلك ان المؤمن بالبعث والجزاء يوثر فيه الترغيب والترهيب فينقاد للحق اسرع واما الجاحد للمعاد فلا يقبل الا ما يوافق رايه وبلايم طبعه فيبقى في ظلمة الانكار لا جرم اصحقا ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون فيجازيهم على ما اسروا من الاستكبار واعلنوا من العناد انه لا يحب المستكبرين عن التوحيد المختصين بالمشركين وكل مستكبر فيدخل هو لا محالة اولا بالان الكلام فيهم اتم وقيل الناس طبقات ثلث العالمون والخطاب معهم بالعتاب اذ كانوا مشتغلين الى الدنيا وزخارفها وهم اصحاب النفوس والغافلون والخطاب معهم بوعد الثواب لرغبتهم في الطاعات والاعمال الصالحات وهم ارباب العقول والعاشقون والخطاب معهم بوصل رب الارباب لاشتياقهم الى جمال ذي الجلال فحين قال في الازل الى امر الله استعجل ارواح كل طبقة منهم للخروج من العدم الى الوجود تحويلا للمقصود وطلبا للمفقود فخاطبهم بقوله فلا تستعجلوه فانه سيصيب كل طبقة منكم ما كتب له في الصفحة الازلية والله سبحانه منزه عن ان يشاركه في الحكم احد فلا مبدل لكلماته بالروح من مواهبه ما يحيي القلوب من المواهب الربانية من امره الوارد على الجوارح بالتكاليف الشرعية وعلى النفوس باداب الطريقة وعلى القلوب بالاشارات وعلى الارواح بملازمة الحضرة المكاشفات وعلى الاسرار بامر قباب المشاهدات وعلى الهويات بتجلي الصفات الا فالذوات على من يشاء من عباده من الانبياء والاولياء ان انذروا اعلموا اوصاف وجودكم بدلالتها اني انا الا اله فاتقون عن ان تتخذوا بامانيتكم خلق سموات الارواح وارض الاشباح وجعلها مظهرا لافاعيله فهو الفاعل لما يظهر على الارواح والاشباح تعالى عما يشركون الارواح والاشباح في احاطة افاعيله الى غير خلق الانسان من نطفة لا علم لها ولا فعل فاذا هو خصيم مبين بما يجادل لشركة نعمة الوجود والافاعيل الانعام الى الصفات الحيوانية خلقها لكم فيها دفء لابدانكم ومنافع ومنها تاكلون باستفادة ما يحلل ولكم فيها جمال حين تريحون في الغدوات وحين تسرحون في الاستراحات وتحمل ثقالكم الى اوطان لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس ان ربكم لرؤف رحيم اذا افنيتم انفسكم في جنبه بقيكم ببقاء عظموته والخيل والبغال والحمير صفات تحلقون بكم لا تتمام ركب الروح عند السير الى عالم الجبروت وزينة عند رجوعه بالجذبة الى مستقر الذات اهبطه منه ويخلق ما لا تعلمون وهو قبول فيض الله بلا واسطة وعلى الله قصد السبيل بحذف الجار يعني قصد السبيل الى الله وهو الجائر يعني نفوسكم تحيد عن الفضاء وبدل الوجود هو الذي انزل من السماء سماء الكرم ماء الفيض منه شراب الجنة لقلوبكم ومنه شجر الثوى للبشرية ورواجها فيه ترعون مواشي نفوسكم بنبت لكم زرع الطاعات وزيتون الصدق ونخيل الاخلاق الحميدة واعناب الواردات الربانية ومن كل الثمرات المعقولات والمشاهدات والمكاشفات وسخر لكم ليل البشرية ونهار الروحانية وشمس الروح ونور القلب ونجوم الحواس والقوى وسخرها استعمالها على وفق الشريعة وقانون الطريقة وما ذرا لكم في ارض جبلتكم من الاستعدادات يثلون في كل عالم بلونه من عوالم الملكية والشيطانية والحيوانية وسخر لكم بحر العلوم لتاكلوا منه الفوائد الغيبية الستة الطرية وتستخرجوا منه جواهر المعاني فتلبسوا بها ارواحكم النورانية وترى الفلك السوابح ومذاهب جواريه في بحر العلوم لتبتغوا الاسرار الخفية عن الملائكة والقى في ارض البشرية رجال الوقار والسكينة لئلا تميد بكم صفات البشرية عن جادة الشريعة والطريقة وانهارا من ماء الحكمة وسبلا الى الهداية والعناية وعلامات من الشواهد والكشوف وبنجم الجذبة الالهية هم يهتدون فيخرجون من ظلمات الوجود المجازي الى نور الوجود الحقيقي فمن يخلق الله فيه هذه الكمالات كمن لا يخلقها فيه من الملائكة وغيرهم وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وهي قسمان نعمة الاعطاف وهي ما يتعلق بوجود النعمة ظاهرة وباطنة ونعمة الالطاف وهي ما يتعلق بوجود المنعم من الذوات والصفات والله يعلم ما تسرون من اداء شكر نعمة القلوب وما تعلنون من اداء الشكر بالاجساد والذين يدعون من دون الله من الهوى والدنيا لا يخلقون شيئا من المنافع وهم يخلقون بنعت الدنيا الطلب لتحصيلها ولهذا قال اموات غير احياء وما يشعرون ايان يبعثهم دواعي البشرية والذين لا يؤمنون بالاخرة بما في عالم الغيب قلوبهم منكرة لاهل الحق لانهم لا يتجاوزون عالم الحس بعلم ما يسرون من الانكار وما يعلنون من الاستكبار انه لا يحب المستكبرين واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم قالوا اساطير الاولين ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة ومن اوزار

وچون گفته شود مر ايشانرا چه چيز فرو فرستاد پروردگار شما گويند چيزها نيست كه فرو فرستاده است نابرادر بلكه افسانهاست كه نقل ميكنند مردمان روزگار قديم تا بردارند بدوش گناهان خود را تمام

الذين يضلونهم بغير علم الا ساء ما يزرون قد مكر الذين من قبلهم فاتى الله بنيانهم من القواعد

كه گمراه ميكنند ايشانرا بدون علم آگاه باشيد بد است آنچه برميدارند تحقيق كه مكر كردند آنانكه پيش ازايشان

فخر عليهم السقف من فوقهم واتيهم العذاب من حيث لا يشعرون ثم يوم القيمة يخزيهم ويقول اين

پس فرود آمد برايشان سقف از بالاشان و آمد ايشانرا عذاب از جايكه نميدانستند پس روز قيامت خوار ميكند ايشانرا و ميگويد كجا

شركائي الذين كنتم تشاقون فيهم قال الذين اوتوا العلم ان الخزي اليوم والسوء على الكافرين الذين

شريكان من كه بوديد كه با ايشان دشمني ميكرديد در باره ايشان گفتند آنانكه داده شدند علم را بدرستيكه رسوائي امروز و بدبختي بر كافران است آنانكه

توفيهم الملائكة ظالمي انفسهم فالقوا السلم ما كنا نعمل من سوء بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون فادخلوا

ميميرانند ايشانرا فرشتگان در حالتيكه ستمكاران باشند بر نفسهاي خود پس بيفكنند صلح را ما نبوديم ميكرديم هيچ بدي آري بدرستيكه خدا داناست بآنچه بوديد ميكرديد پس درآئيد

ابواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين ۝ وقيل للذين اتقوا ماذا انزل ربكم
قالوا خيرا للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة ولدار الاخرة خير ولنعم دار المتقين ۝ جنات
عدن يدخلونها تجري من تحتها الانهار لهم فيها ما يشاءون كذلك يجزي الله المتقين ۝ الذين
تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون ۝ هل ينظرون الا ان تاتيهم
الملائكة او ياتي امر ربك كذلك فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم يظلمون
ع فاصابهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون ۝ وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما
عبدنا من دونه من شيء نحن ولا اباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء كذلك فعل الذين من قبلهم فهل
على الرسل الا البلاغ المبين ۝ ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت
فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ۝
ان تحرص على هداهم فان الله لا يهدي من يضل وما لهم من ناصرين ۝ واقسموا بالله جهد ايمانهم لا
يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا ولكن اكثر الناس لا يعلمون ۝ ليبين لهم الذي يختلفون فيه وليعلم
الذين كفروا انهم كانوا كاذبين ۝ انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون ۝ والذين هاجروا
في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولاجر الاخرة اكبر لو كانوا يعلمون ۝ الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون

القراءة شركائي مثل هذا في معظم ابن كثير والخزاز عن البزي وقرأ الخزاز عن هبيرة شركائي الذين مسهلة الياء الباقون بفتح الياء وكذلك في الكهف القصص تشاقون بكسر النون نافع الاخرون بفتحها تتوفاهم وما بعده بالامالة حمزة وخلف لا بعد بفتح الياء وكسر الذال عاصم وحمزة وعلي وخلف الباقون بضم الياء وفتح الذال كن فيكون بالنصب ابن عامر وعلي الباقون بالرفع الوقوف بكم لان ما بعده جواب اذا الاولين للتعلق الثاني يوم القيمة لان قوله ومن اوزارهم صفة لمحذوف اي بغير علم فابن كثير وه لا يشعرون وه فهم طالكافرين وه بناء على ان ما بعده صفة انفسهم وطول الكلام من سوء يعملون وه خالدين فيها طالمتكبرين وه مضى الجزء ما انزل ربكم فخبر احسنة وخبر المتقين وه لان ما بعده بدل اشتمال الطيبين لان ما بعده حال اخر سلام عليكم لا لان قوله ادخلوا مفعول يقولون يعلمون وه ربك ط من قبلهم ط يظلمون يستهزءون وه من شيء ط الثاني من قبلهم للاستفهام مع الفاء المبين وه الطاغوت ج لانقضاء النظم مع اتصال المعنى الضلالة ط المكذبين وه ايمانهم لا لان ما بعده جواب القسم يموت ط لا يعلمون ج لتعلق لام كي كاذبين فيكون وه حسنة ط الكبرى لان جواب لو محذوف اي لو كانوا يعلمون لما اختاروا الدنيا على الاخرة ولو وصل لصار قوله ولاجر الاخرة متعلقا بالشرط ان لو كانوا يعلمون وهو محال يعلمون ط بناء على ان الذين صبروا بدل من الذين هاجروا يتوكلون وه

التفسير لما بالغ في تقرير دلائل التوحيد اردفها بذكر شبهات منكريها والتنبيه على فسادها فالشبهة الاولى انهم طعنوا في القرآن وعدوه من قبيل الاساطير قال النحويون ماذا منصوب بانزل بمعنى اي شيء انزل ربكم او ما مبتدأ وذا موصولة والجملة صلتها والمجموع خبر المبتدأ وعلى التقديرين فقوله اساطير الاولين بالرفع ليس بجواب للكفار ولا لكان المعنى الذي انزله ربنا اساطير الاولين والكفار لا يقرون بالانزال فهو اذن كلام مستانف كأنه لما قيل لهم ماذا انزل قالوا هو اساطير الاولين وفي الكشاف معناه المنزل اساطير الاولين وذكر في دفع التناقض انهم على

التحرير كقوله ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون وجوزكونه منصوبا ولم يقرأ بها واخلص الى السائل فقيل هو كلام بعضهم لبعض وقيل هو قول المسلمين لهم وقيل هو قول المقسمين الذين اقسموا مداخل مكة ينفرون عن رسول الله ص اذا سألهم وفود الحاج عما نزل على رسول الله ص قالوا احاديث الاولين واباطيلهم ليس فيه شئ من العلوم والفضائح والحقائق والدقائق ثم انه تعالى اقتصر في جواب شبههم على محض الوعيد لانه قد ثبت بالتحدي كما مر ذكره مرارا ان القرآن معجز تحدوا بالقرآن جملة ثم بعشر سور ثم بسورة فعجزوا عن المعارضة فكان طعنهم فيه بعد ذلك مجرد المكابرة والعناد فلم يستحقوا في الجواب الا التهديد والوعيد واللام في قوله ليحملوا ليس لام الغرض لانهم لم يصفوا القرآن بكونه اساطير لغرض حمل الاوزار ولكن لما كانت عاقبتهم ذلك حسن التعليل به فكان لام العاقبة وقوله كاملة معناه انه تعالى لا يخفف من عقابهم شيئا وفيه دليل على انه تعالى قد يسقط بعض العقاب عن المؤمنين لان هذا المعنى لو كان حاصلا في حق الكل لم يكن لتخصيص هؤلاء الكفار بهذا الكمال فائدة قال الواحدي لفظة من في قوله ومن اوزار الذين ليست للتبعيض فانه لا يخفف عن الاتباع بعض اوزار هم لقوله ص ايما داع دعا الى الضلالة فاتبع كان عليه وزره من اتبعه لا ينقص من اثامهم شئ ولكنها للابتداء اي ليحملوا ما فدانشاء من اوزار الاتباع او للبيان اي ليحملوا ما هو محبس اوزارهم ومعنى بغير علم ان هؤلاء الرؤساء انما يقدمون على هذا الاضلال جهالا منهم بما يستحقونه من العذاب الشديد على ذلك الاضلال وقال في الكشاف بغير علم حال من المفعول اي يضلون من لا يعلم انهم ضلال وانما وصف بالضلال واحتمال الوزر من ضلوه وان لم يعلم لانه كان عليه ان يبحث ويظر بعقله حتى يميز بين الحق والمبطل ثم اوعدهم بما هو النهاية في التهديد فقال الا ساء ما يزرون ووزنهم ثم حكى حال اضرابهم من المتقدمين فقال قد مكر الذين من قبلهم ذهب اكثر المفسرين الى ان المراد به نمرود بن كنعان بنى صرحا عظيما ببابل طوله خمسة الاف ذراع وقيل فرسخان ورام الصعود الى السماء ليقاتل اهلها فاهب الله الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا والله اعلم والصرح في البحر فاحدث نمرود وتبلبلت بومئذ السن الناس من الفزع فتكلموا بثلثة وسبعين لسانا ولذلك سميت بابل وكان لسان الناس قبل ذلك بالسريانية وابتلاه الله ببعوضة دخلت في خياشيمه فاهلكته والحكاية مشهورة والاصح ان الابنية عامة في جميع المبطلين الذين يجادلون الحق الضرب المحقين وعلى القول الاول معنى قوله فاتى الله اي امر وحكم بنيانهم من القواعد وهي اساطين البناء التي يعمد اوالاساس انه اسقط السقف عليهم بعد هدم القواعد وفائدة زيادة قوله من فوقهم التنصيص على ان الابنية هدمت وهم ما توا تحتها وعلى انه لم يكون الكلام محض التمثيل واراد انهم سوروا منصوبا وجبلا ليمكروا بها رسل الله فهلكوا هم في تلك الحبال كحال قوم بنوا بنيانا وعمدوه بالاساطين فاتى البنيان من الاساطين بان ضعضعت فيسقط عليهم السقف فهلكوا ونحوه من حفر بئرا لاخيه فقد وقع فيه وبعبارة اخرى من حفر لاخيه جبا وقع فيه منكبا تم بين ان عذابهم غير مقصور على عذاب الدنيا بل الله تعالى يخزيهم يوم القيمة بادخالهم النار اذا من ندخل النار فقد اخزيته ويقول مع ذلك لاجل الاهانة والتوبيخ اين شركائي الاضافة لادنى ملابسة او هي حكاية لاضافتهم اياهم في الدنيا والذين كنتم تشاقون تخاصمون المؤمنين مشاقة الله ثم ذكر على سبيل الاستبيان قال الذين اوتوا العلم عن ابن عباس هم الملائكة وقال الاخرون هم الانبياء والعلماء من امم الذين كانوا يعظونهم ولا يلتفتون اليهم فيقولون ذلك يوم القيمة شماتة بهم قال لمرجئة قولهم ان الخزي اليوم والسوء على الكافرين يدل على ان ماهية الخزي والسوء مختصة بالكافرين فيمتنع من غيرهم اما قوله فالقوا السلم فعن ابن عباس لم يريدانهم اسلموا واقروا بالعبودية عند الموت وقيل انه في يوم القيمة وقولهم ما كنا نعمل من سوء اراد وا الشرك فالوه على وجه الكذب والجحود ومن يجوز الكذب على اهل القيمة قال اراد وا به انتفاعهم وظنوهم فرد عليهم اولوا العلم او الملائكة بقولهم بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون في الدنيا فلا ينفعكم هذا الكذب وانى يجاز بكم على الكفر الذي علمنا منكم قال في الكشاف وهذا ايضا من الشماتة وكذلك فادخلوا ابواب جهنم وفي ذكر الابواب اشارة الى تفاوت منازلهم في دركات جهنم ثم قال فلبئس مثوى المتكبرين عن قبول التوحيد وسائر ما انزل الانبياء والفاء للعطف على فاء التعقيب فادخلوا واللام للتاكيد يجري مجرى القسم موافقة لقوله بعد ذلك ولنعم دار المتقين ولا نظير لها في كل القرآن ثم اتبع اوصاف الاشقياء احوال السعداء فقال وقيل للذين اتقوا الاية وانما ذكر الجواب ههنا بالنصب ليكون الجواب مطابقا لما مكث في بيتا من غير طعم اي انزل خيرا او قالوا خيرا الا شرا فاله الكفار او قالوا قولا خيرا ولو رفعوا لاوهم انه كلام مستانف كما في جواب الكفار وليس بمنزل روي ان احبار العرب كانوا يبعثون ايام الموسم من يأتيهم بخبر النبي ص فاذا جاء الوافد كفه المقسمون وامروه بالانحراف كما مر ذكره فكان الوافد يقول كيف ارجع الى قومي دون ان استطلع امر محمد ص واراه فيلقى اصحاب رسول الله ص ويخبر ونه بصدقه وانه نبي مبعوث فهم الذين قالوا خيرا وجوز في الكشاف ان يكون للذين احسنوا وما بعده بدلا من خيرا كانه تفسير الخير هذا القول وجوز في الكشاف ان يكون كلاما مبتدا على سبيل الوعد فيكون قوله الخير من جملة احسانهم اما قوله في هذه الدنيا فاما ان يتعلق بما قبله فالمعنى الذين جازوا بالاحسان في هذه الدنيا لهم في الاخرة حسنة هي الثواب العظيم او المضاعف لسبعمائة او اكثر واما ان يتعلق بما بعده والتقدير الذين احسنوا لهم الحسنة في الدنيا باستحقاق المدح والثناء او بالظفر على اعداء الدين باللسان والسنان وفتح البلاد له او بفتح ابواب المكاشفات والمشاهدات والحاصل انهم في الدنيا مكافاة باحسانهم ولدار الاخرة خير منها ثم بين الخير بقوله ولنعم دار المتقين دار الاخرة فحذف المخصوص بالمدح لتقدم ذكره ثم قال جنات عدن

اى هذه فيكون للبناء محذوفا والجنات مبتدأ وما بعدها خبرا وجنات عدن هى المخصوص بالمدح فالجنات يدل على المقصود والبساتين
والعدن على الدوام والاقامة وقوله تجرى من تحتها الانهار على انه حصل هناك ابنية مرتفعة هم عليها والانهار تجرى من تحتهم وقوله لهم فيها ما
يشاؤن ابلغ من قولنا فى موضع اخر فيها ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين وفى تقديم الظرف دلالة على ان الانسان لا يجد كل ما يريده الا
فى الجنة وقوله الذين تتوفاهم الملائكة المفسرون على ان هذا التوفى هو قبض الارواح وقوله طيبين اى طاهرين عن دنس الكفر والمعاصى
او دنس الكفر وحده وهذه كلمة جامعة لشمول انواع البر التى عد العلماء ثوابها بانه فلا يكون لصاحب هذه الحالة تألم بالموت ودليله قوله يقولون
سلام عليكم روى انه اذا اشرف العبد المؤمن جاءه ملك يقول السلام عليك يا ولى الله يقرأ عليك السلام ويبشره بالجنة فعند ذلك قولا ادخلوا
الجنة بما كنتم تعملون وعن الحسن المراد بهذا التوفى هو وفاة الحشر لانه لا يوجد عند قبض الروح فى الدنيا ادخلوا الجنة اذ الاولون قالوا البشارة
بالجنة بمنزلة الدخول فيها قوله سبحانه هل ينظرون الا ان تأتيهم الملائكة جواب شبهة اخرى لمنكرى النبوة فانهم طلبوا من النبى صلعم ان ينزل عليهم ملكا
من السماء ليشهد على صدقه فى ادعاء النبوة فقال تعالى هل ينظرون فى تصديق نبوتك الا ان تأتيهم الملائكة شاهدين بذلك ويحتمل ان يقال
انهم لما طعنوا فى القرآن بانه اساطير الاولين اوعدهم الله بما اوعدهم وصف القرآن بكونه حقا وصدقا وذكر جزاء المنفقين ثم ذكر ان اولئك الكفار
لا يرجعون عن كفرهم بسبب البيانات التى ذكرناها الا ان تأتيهم الملائكة بالنهد بد او لقبض الارواح او اتاهم امر ربك وهو العذاب لستأصل والقهر
كذلك فعل الذين من قبلهم فاصابهم الهلاك المجل وما ظلمهم الله بتدميرهم فانما انزل بهم ما استحقوه بكفرهم فاصابهم سيئات ما عملوا اى
اى جزاء سيئات اعمالهم او هو من باب الصفاق والمشاكلة كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها وحاق بهم اى نزل بهم على وجه الاحاطة عقاب استهزائهم
الشبهة الثالثة لمنكرى النبوة انهم تشبثوا بمسئلة الجبر فقالوا لو شاء الله ما عبدنا الا بشر وقد تقدم تفسير مثلها فى اخر سورة الانعام وذكرنا اسرار المتشابه
هناك وكذا استدلال المعتزلة بها وجواب الاشاعرة وعمها وزاد بعض الاشاعرة فقالوا ان المشركين ذكروا هذا الكلام على جهة الاستهزاء
كما قال قوم شعيب اصلوتك تأمرك ولو شاء الله لهديناكم ولو شاء الله لجمعهم على الهدى وقال اخرون انه سبحانه اجاب عن شبههم وهى انه لما كان
الكل من الله كان بعثة الانبياء عبثا بقوله كذلك فعل الذين من قبلهم يعنى انهم اعترضوا على احكام الله وطلبوا لها العلة فعل من تقدمهم من
الكفرة فهل على الرسل الا البلاغ المبين اى ما عليهم الا البلاغ فاما تحصيل الايمان فليس اليهم ثم انه اكد هذا المعنى بقوله ولقد بعثنا فى
كل امة رسولا الى قوله ومنهم من حقت عليه الضلالة وفيه دلالة على ان امر الله قد لا يوافق ارادته فانه الكل بامر الكل بالايمان ولا يريد
الهداية الا للبعض اذ لو اراد الكل لآمن الكل ولنزل العذاب على قوم لكنه كفر ونزل لقوله فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين
ثم خصص الخطاب فقال لرسوله ان تحرص على هداهم فان الله لا يهدى من يضل لا يرشد احدا اضله قال ابن عباس وقال الفراء لا يهدى معناه لا يهتدى
ومن قرأ على البناء للمفعول فمعناه لا تقدر انت ولا احد على هداية من اضله الله فلن يكون مهديا منصورا ولا يخفى ان اول الآية ظاهر يوافق
مذهب المعتزلة اما قوله كذلك فعل الذين من قبلهم الى الآيات فانهم قد صاروا فيها الى التناوب فقالوا معناه ان متقدميهم اشركوا
وحرموا لاجل الله فلما بينوا على قبح فعلهم اسندوه الى الله فهل على الرسل الا ان يبلغوا الحق ولان الله بين من اظلم وخلق القبائح والمنكرات وما
من امة الا وقد بعث الله فيهم رسولا يأمرهم بالحق الذى هو عبادة الله وينهاهم عن الشر الذى هو طاعة الطاغوت فمنهم من هدى الله لانه
من اهل اللطف ومنهم من ثبت عليه الضلالة لانه عرف مصمما على الكفر والمراد منهم من حكم الله عليه بالاهتداء ومنهم من صار محكوما عليه بالضلال
لظهور ضلاله ومنهم من هداه الله الى الجنة ومنهم من اضله عنها فسيروا فى الارض فانظروا ما فعلت بالمكذبين حتى لا يبقى لكم شبهة فى ان
لا اقدر الشر ولا اشاء ثم ذكر عناد قريش وحرص رسول الله صلعم على ايمانهم وعرفه ان منهم من حقت عليه الضلالة وانه لا يلطف بمن يخذل
لانه عبث والله تعالى منزه عن العبث فهذا تنبيه لفريقين لاشتمال الآيات مسئلة الجبر والقدر على الجهتين وعلينا الاختيار بعقلك دون
هوالك الشبهة الرابعة قدحهم فى الحشر والنشر لزم ابطال النبوة وذلك انهم اقسموا بالله جهد ايمانهم اى اغلظ الايمان كما مر فى المائدة كانهم
ادعوا علما ضروريا بان الشئ اذا فنى وصار عدما محضا فانه لا يعود بعينه بل العائد يكون شيئا اخر فاكدوا ادعاءهم بالقسم الغليظ فاجاب
الله عن شبههم بقوله بلى وهو اثبات لما بعد النفى اى بلى يبعثهم وقوله وعدا مصدر مؤكد لما دل عليه بلى لان بعثهم وعد من الله تعالى اى وعد
البعث وعدا عليه حقا لا خلاف فيه ولكن اكثر الناس لا يعلمون انهم يبعثون وان وعد الله حق ثم ذكر لم بعثهم حقيقة البعث فقال ليبين
اى يبعث كل من يموت من المؤمنين والكافرين ليبين لهم الحق الذى اختلفوا فيه بيانا عيانا لا يشتبه فيه المطيع بالعاصى والحق بالمبطل والمظلوم
بالظالم والصادق بالكاذب وجوز بعضهم ان يكون قوله ليبين متعلقا بقوله ولقد بعثنا اى بعثناه ليبين لهم ما اختلفوا فيه وانهم كانوا على
الضلالة قبله مفترين على الله الكذب فى ادعاء الشريك له وفى قولهم بمجرد هواهم هذا حلال الله وهذا حرام ثم برهن على امكان البعث بقوله
انما قولنا وهو مبتدأ خبره ان نقول وقد فسرنا مثل هذه الآية فى سورة البقرة وذكرنا فيه مباحث عميقة لفظية ومعنوية فلا حاجة الى الاعادة
والغرض انه سبحانه لا مانع له من الايجاد والاعدام ولا يتوقف ايجاده الا على تعلق ارادته والمشية فكيف يمتنع عليه البعث الذى هو اهون من
الابداء قال فى الكشاف فيه ان يكون بالنصب عطفا على نقول فان قلت لا مانع من كونه منصوبا باضمار ان لوقوعه فى جواب الامر بعد الفاء وقد مر

النحل

في البقرة احتج بعض الاشاعرة بالاية على قدم القرآن قال انه لو كان حادثا لافتقر الى ان يقول له كن ثم الكلام في هذا اللفظ كالكلام في الاول وتسلسل والجواب بعد تسليم ان هذا ليس مثلا وان ثم قوة ان اذا لا يفيد التكرار فلا يلزم في كل ما يحدثه الله تعالى ان يقول له كن وكيف يصح ان يكون لفظة كن قديمة والكاف مقدم على النون بزمان محصور ولو سلم فلا يجوز من قدم لفظة كن قدم القرآن على ان هذا انما قولنا لشيء اذا اردناه يقتضي كون القول واقعا بالارادة وما كان كذلك فهو محدث واما على القول بكلة اذا ولا شك انها للاستقبال وكذا قولك ان تقول ثم ان كلمة كن منقطعة على المكون بزمان واحد والمتقدم على المحدث بزمان يكون محدثا فلخص من هذه الادلة ان الكلام المسموع لا بد ان يكون محدثا هذا ملخص ما قاله الامام فخر الدين الرازي ولعل لناظره نظرا ولما حكى الله سبحانه من انكار الكفار احكى من انكار البعث واجرامهم بعد ذلك والحالة هذه ايذاء المسلمين وانزال الضرر والهوان بهم وحث بالمؤمنين بهاجروا تلك الديار فذكر ثواب المهاجرين فقال والذين هاجروا في الله اي لحقه وسبيله من بعد ما ظلموا التبوئنهم في الدنيا حسنة او مباءة حسنة هي المدينة اراهم اهلها وبوؤهم قال الحسن والشعبي قتادة وقيل لتنزلنهم منزلة حسنة هي الغلبة على اهل مكة الذين ظلموهم بل على العرب قاطبة بل على اهل المشرق والمغرب قال ابن عباس نزلت لابناء جماعة منهم صهيب وبلال وعمار وخباب جعل المشركون يكوم بعد يوم بهم ليردوهم عن الاسلام فقال صهيب انا رجل كبير ان كنت عليكم اضركم فافتدى منهم بما له وهاجر فلما راه ابو بكر قال له ربح البيع يا صهيب قال لعمر بيع العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه اتما الخير قوله لو كانوا يعلمون فاما ان يرجع الى الكفار اي لو علموا ان الله يجمع لهؤلاء المستضعفين خير الدنيا والاخرة لرغبوا في دينهم واما ان يعود الى المهاجرين اي لو علموا ان اجر الاخرة اكبر لزادوا في اجتهادهم وصبرهم ثم مدحهم بقوله الذين صبروا على هم الذين والمراد صبرهم على العذاب وعلى مفارقة الوطن الذي هو حرم الله وعلى المجاهدة في سبيل الله بالنفوس والاموال قال المحققون الصبر حبس النفس على خلاف ما تشتهيه من اللذات العاجلة وهو سبب التسلي والتوكل هو الانقطاع بالكلية عما سوى الحق وهو اخر الطريق والله ولي التوفيق فان العارفين بالصبر سادوا وبالتوكل طاروا ثم الله تعالى رد على قول الكفار وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر

وفرستادیم پیش از تو مگر مردانرا که وحی میکردیم بایشان پس بپرسید از اهل دانش اگر نمیدانید بحجتها وکتابها

وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون افامن الذين مكروا السيئات ان يخسف الله

وفرو فرستادیم بسوی تو قرآن را تا بیان کنی از برای مردم آنچه فرو فرستاده شده بایشان تا بدان اندیشه کنند آیا پس ایمن شدند آنانکه مکر میکنند بدیها

بهم الارض او يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون او يأخذهم في تقلبهم فما هم بمعجزين او يأخذهم على تخوف

باینکه فرو برد زمین را با ایشان یا بیاید بایشان عذاب از جائیکه ندانند یا بگیرد ایشان را در رفت و آمد ایشان پس نیستند ایشان عاجز کننده خدا را یا بگیرد ایشان را بر ترس

فان ربكم لرؤف رحيم اولم يروا الى ما خلق الله من شيء يتفيؤا ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون

پس بیگمان پروردگار شما البته مهربان رحیم است یا ندیدند بسوی آنچه آفریده خدا از چیزی که میگردد سایه‌های آن از راست و چپها سجده کنندگان خدا را و ایشان

ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون يخافون ربهم من فوقهم

ومر خدا را سجده میکند آنچه در آسمانها و در زمین است از جنبنده و فرشتگان و ایشان سرکشی نمیکنند

ع ويفعلون ما يؤمرون وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد فاياي فارهبون وله ما في

ومیکنند آنچه امر میشوند و گفت خدا که مگیرید دو خدا را دو خدا نیست جز این نیست که او خدای یگانه است پس از من بترسید و مر او راست

السموات والارض وله الدين واصبا افغير الله تتقون وما بكم من نعمة فمن الله ثم اذا مسكم الضر فاليه تجارون

در آسمانها و زمین هست و مر او راست دین گردن نهاده یا پس غیر خدا میپرهیزید و آنچه باشد شما را از نعمت پس از خداست پس چون برسد شما را زیان پس بسوی او میزارید

ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون ليكفروا بما اتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون

پس چون دفع کند زیان را از شما ناگهان گروهی از شما بپروردگار خود شرک میآورند

ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم تالله لتسئلن عما كنتم تفترون ويجعلون لله البنات سبحانه

و میگردانند برای آنچه نمیدانند بهری از آنچه روزی دادیم ایشان را بخدا سوگند که مرآینه پرسیده شوید از آنچه بدروغ میبستید و میگردانند برای خدا دختران را پاک است او را

ولهم ما يشتهون واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ايمسكه

و ایشان راست آنچه خواهند و چون مژده داده شود یکی از ایشان بمؤنث میگردد روی او سیاه و او خشمناک است پنهان میشود از قوم بسبب آنچه مژده داده شد او را آیا نگاه دارد او را

على هون ام يدسه في التراب الا ساء ما يحكمون للذين لا يؤمنون بالاخرة مثل السوء ولله المثل الاعلى وهو العزيز الحكيم

بر خواری یا پنهان کند او را در خاک آگاه باشید بد است آنچه حکم میکنند از برای کسانیکه ایمان نمیاورند بآخرت صفت بد و مر خدا را صفت برتر و او است غالب درست کار

القراءة نوحي بالنون حفص غير الحزاز والبانون بالبناء للمفعول والخطاب لمحمد والاولى بناء الخطاب لمحمد وعلى خلف يفتؤا بناء التانيث ابو عمرو وسهل ويعقوب الغيبة الوقوف لا يعلمون ط لتعلق اللام والزبر ط يتفكرون ه لا يشعرون ط لعطف جملتين مختلفتين ه كذلك على خوف ط للفصل بين الاستخبار والاخبار رحيم ه واحد ه

نصف الربع ١٤

لا يستكبرون ه ما يؤمرون به سجدة اثنين ٢ للابتداء بما مع اتحاد القائل واحد ٣ للعدول مع التقاء فارهبون ه واصبا ينفون ه يحارون ٤ لان ثم
لترتيب الاخبار مع شدة اتصال المعنى يشركون ٥ تعلو لام كي لانهم ط للعدول والغاء للاستيناف يعلمون ه رزقناهم تفترون ه سجانه لا لان ما بعده
من جملة مفعول يجعلون وسجانه معترض للتنزيه يشتهون ه كظيم ٦ لاحتمال ان ما بعده وصف لكظيم او استيناف طبشرط لان التقدير متفكرا في نفسه
المسئلة ٢ الزاي طما يحكمون ه السوء لتضاد الجملتين معنى العطف لفظا لا على الحكم ٣ النفير لتهمة الخامسة ان قريشا كانوا يقولون الله اعلم واجل
من ان يكون رسوله بشرا فاجابهم بقوله وما ارسلنا من قبلك الا رجالا والمراد ان هذه عادة مستمرة من اول زمان الخلق والتكليف وزعم ابو
علي الجبائي انه لم يبعث الا الانبيا الا من هو معصوم او رجال من الملائكة قال القاضي ولعله اراد الملك الذي يرسل الى الانبيا بحضرة امهم كما روي ان
جبريل عليه السلام كان يأتي في صورة دحية وفي صورة سراقة وانما افيد ذا بحضرة الامم لان الملائكة قد يقفون على صورتهم الاصلية عند بلاغ الرسالة
من الله الى نبيه كما رؤي جبريل على صورته التي هو عليها مرتين وعليه تأولوا قوله ولقد راه نزلة اخرى ثم ذكروا انهم كانوا مقرين بان اليهود
لنصارى اصحاب العلوم والكتب فارهم الله اعذر فريقا بان يرجعوا في هذه المسئلة ليبينوا لهم ضعف هذه الشبهة وسقوطها وذلك قوله فاسئلوا
اهل الذكر قال بعض الاصوليين فيه دليل على انه يجوز للمجتهد تقليد مجتهد اخر فيها يشبه عليه واحتج نفاة القياس بالآية قالوا لو كان التعبد
بالقياس واجبا لوجب على المكلف السؤال بل كان عليه ان يستنبط ذلك الحكم بواسطة القياس واجيب بانه قد ثبت العمل بالقياس باجماع الصحابة والاجماع اقوى
من ظاهر النص اما قوله بالبينات ففي متعلقه وجوه منها ان يتعلق بارسلنا داخلا تحت حكم الاستثناء مع رجالا وانكر الفراء ذلك قال ان صلة
ما قبل الا لا تجوز في ما بعدها الا لان المستثنى عنه هو مجموع ما قبل الا مع صلته كما لو قيل ما ارسلنا بالبينات الا رجالا ولما لم يصح هذا
ولما لم يجز ان يكون المجموع مذكورا بتمامه امتنع ادخال الاستثناء عليه ومنها ان يتعلق برجالا لصفة له اي رجالا متلبسين بالبينات ومنها ان
يتعلق بارسلنا مضمرا نظيره ما مر في الآية الخامسة ثم نقول مر زيد فالفراء منها ان يتعلق بيوحى اي يوحى اليهم بالبينات ومنها ان يتعلق بالذكر
بناء على ان تعيين العلوم منها ان يتعلق بلا تعلمون اي ان كنتم لا تعلمون بالبينات وبالزبر فاسئلوا فان في الكشاف الشرط ههنا في معنى النفي كقولك
الا تجيبني ان كنت عبدي فاعطني حقي فالمذكور انما هو عدم علمهم مقرونا بكونهم مقرين كما ان عمل الاجير ثابت وسلم جار الله ان مثل قوله فاسئلوا جواب الشرط على
هذا الوجه واما على الوجوه المتقدمة فجزم الشرط اعتراض بناء على ان جواب الشرط هو ما دل عليه قوله وما ارسلنا وعندي ان هذا الجزم ليس بحتم ويجوز
على كل الوجوه ان يكون مثل فاسئلوا جوابا والله اعلم واهل الذكر اهل التوراة والانجيل كقوله ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر يعني التوراة وقال الزجاج
سلوا كل من يذكر علم ويحفظ وقوله بالبينات والزبر لفظ جامع لكل ما يكمل به الرسالة لان مدارها على المعجزات الدالة على صدق من يدعي
الرسالة وهي البينات وعلى التكاليف التي يعتنى بها باب العبادة وهي الزبر ثم قال وانزلنا اليك الذكر اي القرآن الذي هو موعظة وتنبيه تذكر
لاهل الغفلة والنسيان وبيان العناية المشتملة على الاوائل وهي تبيين الاحكام والشرايع بالنسبة الى الرسول وارادة التأمل والتفكر في المبدا والمعاد
بالاضافة الى المكلفين في ظاهر هذا النص لانه على ان القرآن كله مجمل ومن هنا ذهب بعضهم الى انه متى وقع التعارض بين القرآن والخبر وجب
تقديم الخبر لان القرآن مجمل والخبر مبين له واجيب بمنع الكلية فان القرآن ما هو محكم وقوله لتبين محمول على المتشابهات لان المجملات قال بعض من نفى
القياس لو كان القياس حجة لما وجب على الرسول ان يبين للمكلفين ما انزل الله عليه من الاحكام بل كان له ان يفوض بعضها الى راي القائس واجيب بانا
لما بينا ان القياس من جملة الخ فالقياس ايضا راجع الى بيان الرسول ثم لما ذكر شبهات المنكرين مع اجوبتها شرع في التهديد والوعيد والانذار
والتبشير فقال افامن الذين مكروا السيئات اي المكرات السيئات اراد اهل مكة ومن حول المدينة قال الكلبي عنى بهذا المكر اشتغالهم بعبادة
غير الله والاقرب ان المراد سعيهم في ابذاء الرسول وابذاء اصحابه على سبيل الخفية ان يخسف الله بهم الارض كما خسف بقارون او ياتيهم العذاب
او ملائكة العذاب من السما من حيث لا يشعرون كما فعل بقوم لوط او ياخذهم في تقلبهم فما هم بمعجزين فاتين ذكر المفسرون في هذا التقلب
وجوها منها انه تعالى ياخذهم في اسفارهم ومتاجرهم فانه قادر على ان يهلكهم في السفر كما انه قادر على ان يهلكهم في الحضر وهم لا يفوتون الله بسبب
ضربهم في البلاد البعيدة ومنها انه ياخذهم بالليل والنهار في احوال اقبالهم وادبارهم وذهابهم ومجيئهم وحقيقته في حال تصرفهم في الامور التي
تصرف فيها امثالهم ومنها انه اراد في حال ما يتقلبون في قضاء اوطارهم بحيث الحيل فيحول الله بينهم وبين مقاصدهم وحيلهم والتقلب بالمعنى
الاول ماخوذ من قوله لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد وبالمعنى الثالث من قوله وقلبوا لك الامور اي ياخذهم على تخوف على حالة تخوفهم
وتوقعهم للهلاك بان يكون قد اهلك قوما قبلهم فكان انواع الخوف بادية فيهم ظاهرا عليهم فهو خلاف قوله من حيث لا يشعرون وقيل التخوف
التنقص والمعنى انه ياخذهم بطريق التنقص شيئا بعد شيء في دارهم واموالهم وانفسهم حتى يأتي الفناء على الكل عن عمر انه قال على المنبر ما تقولون
فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا التخوف التنقص فقال هل تعرف العرب ذلك في اشعارها قال نعم شاعرنا ابو كبير تخوف الرحل
منها تامكا قردا كما تخوف عود النبعة السفن قوله تامكا قردا اي سناما مرتفعا مستديرا كما والسفن ما ينحت به النبي ومنه السفينة لانها تسفن وجه
الماء كما مر في البحر فقال عمر ايها الناس عليكم بديوانكم فالوا وما ديواننا قال شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم ثم ختم الآية بقوله فان ربكم لرؤف
رحيم وقد ذهب المفسرون الى ان معناه انه يمهل في اكثر الامر لانه رؤف رحيم فلا يعجل بالعذاب اقول يحتمل ان يكون قوله فان ربكم تعليلا لقوله افامن

كفوله

النحل

كقوله ما ترى بربك الكريم وتخوف الماكرين بما خوف بعد ذكر ما يدل على كمال قدرته في تدبير احوال العالم العلوي والسفلي وسكانهما فقال اولم يروا الى ما خلق الله قال جار الله ما معنى بيانه من شيء وقال اهل المعاني قوله يتفيؤ ظلاله اخبار عن شيء وليس بوصف لدوح يتفيأ يتفعل من الفيء واصله الرجوع ومنه فيء الموالي وقال الازهري يتفيؤ الظلال رجوعها بعد انصياف النهار والتفيؤ لا يكون الا بالعشي وما ترى عند الشمس في الغداة ظل وقال ثعلب اخبر عن ابي عبيدة ان كل ما كانت عليه الشمس فزالت عنه فهو فيء وظل وما لم تكن عليه الشمس فهو ظل وقوله ظلاله اضاف الظلال الى مفرد ومعناه الاضافة الى ذوي الظلال ووجه حسنه كون المرجوع اليه واحدا في اللفظ وان كان كثيرا في المعنى وهو قوله الى ما خلق ثم اشار الى ظهوره اضاف لظهوره وهو جمع الى ضمير مفرد لانه يعود الى لفظ واحد اريد به الكثرة وهو ما ثم يكون قال الجوهري تفيأت الظلال اي تقلبت وقوله عن اليمين والشمائل قال اهل التفسير ومنهم الفراء انه وحد اليمين لانه اراد واحدا من ذوات الاظلال وجمع الشمائل لانه اراد كلها لان قوله ما خلق الله لفظه مفرد ومعناه جمع وقيل ان العرب اذا ذكرت شيئين جمعت عن احدهما بلفظ الواحد كقوله وجعل الظلمات والنور ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وقيل المراد باليمين التفظ الذي هو مشرق الشمس واتها واحد والشمائل عبارة عن الانحراف الواقع في ذلك الاظلال بعد وقوعها على الارض وهي كثيرة وانما عبر عن المشرق باليمين لان اغلب جانبي الانسان يمينه ومنه نظهر الحركة القوية وكذا جانب الشرق فانه في جوانب الفلك ومنه نظهر الحركة اليومية التي هي اسرع الحركات وافواها ويمكن ان يقال ان الانسان اذا توجه الى الشرق الذي هو اول الجوانب بالاعتبار الشرقي كان الجنوب يمينه والشمال شماله ولاريب ان وصول الشمس الى فلك نصف النهار يختلف بحسب البلاد وقد يتفاوت من الجنوب الى الشمال وبالعكس في بلد واحد واذا كان عرضنا فاضلا عن الميل الكلي ومن المعلوم ان الشمس حين وصولها الى نصف النهار ان كانت في جنوب سمت الرأس رفع ظلها الى جانب الشمال وان كانت في شماله رفع ظلها الى الجنوب فيحتمل ان يراد بتفيؤ الاظلال تقلبها في هاتين الجهتين والله اعلم اما قوله سجدا لله فانه حال من الظلال ومعنى سجودها انقيادها لامر الله منتقلة من جانب الى جانب حسب تحريك الصانع لها على ما هو مخصوص به ومقادير معلومة ذكرنا بعضها في كتبنا النجومية وقد بنى المتأخرون على الاظلال مسائل كثيرة منها الشكل الموسوم بالطاسي وقد ورد كر بعضهم في تفسير هذا السجود ان هذه الاظلال واقعة على الارض ملصقة بها على هيئة الساجد وقولهم يخرون حال اخرى من الظلال وانما جمع بالواو والنون لانهم شبهوا العقلاء من حيث طاعتها لله سبحانه وقال جار الله اليمين والشمائل استعارة عن يمين الانسان وشماله وجانبا الشيء ما يرجع الظلال من جانبيه لانها جانب منفادة لله غير ممتنعة عليه فيما سخرها له من التفيؤ والاجرام في انفسها داخرة ايضا صاغرة منفادة لافعال الله فيها لا يمتنع ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة قال الاخفش اي من الدواب واخبر بالواحد كما يقول ما اتاني من رجل مثله وما اتاني من اتان قال ابن عباس يريد كل ما دب على الارض والوجه في تخصيص الدابة والملائكة بالذكر انه علم من ابتداء الظلال ان الجمادات بأسرها منقادة له فبقي في هذه الابتداء الحيوانات بأسرها فصاكه ذلك ثم عطف عليها الملائكة اما الشر فهنا واما لانها ليست مما يدب ولكنها نظير الجماعين وبين التوعين مغايرة لقوله وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه وعلى قاعدة الحكماء وجد المغايرة انها ارواح مجردة ليست من شأنها الحركة والدبيب فاما جنا الله من دابة يجوز ان يكون بيانا لما في السموات وما في الارض جميعا على ان ما في السموات خلق الله يدبون فيها كما يدب الانس في الارض ويجوز ان يكون بيانا لما في الارض وحده ويراد بما في السموات الخالق الذي له الروح ان يكون بيانا لما في الارض وحده ويراد بما في السموات الملائكة خصوصا من بين الساجدين لانهم اطوع الخلق واعبدهم ويجوز ان يراد بما في السموات الملائكة ويقول فقال ما الملائكة الا ارض من الحفظة وغيرهما انتهى كلامه ثم شرع يثني في صفة الملائكة وذكر عصمتهم فقال لهم وهم لا يستكبرون يخافون على انحاء من اوجه لنفي استكبارهم لان الخوف ثوعد الاستكبار ونوزن من فوقهم اما ان يتعلق بيخافون والمعنى يخافون ربهم ان يرسل عليهم عذابا من فوقهم واما ان يكون حالا من الرب اي يخافونه غالبا قاهرا وبحث الفوقية قد تقدم في الانعام في قوله وهو القاهر فوق عباده وزعم بعض الطاعنين في عصمة الملائكة ان تعالى وصفهم بالخوف وحصول الخوف يجب بجواز الاقدام على الذنوب وهب انهم فعلوا كل ما امر وا به من اين علم انهم تركوا كل ما نهوا عنه والجواب عن الاول انهم انما يخافون من العذاب لقوله تعالى انه من دونه فذلك التخويف يجب ان يكون الذنب وعن ابن عباس ان هذا الخوف خوف الاجلال كقوله انما يخشى الله من عباده العلماء ولا ريب انه كلما كانت معرفة جلال الله اتم كانت الطمأنينة والخوف اعظم وعن الثاني ان النهي عن الشيء امر بضده دلالة على ان ابليس لم يكن من الملائكة لانه ابى واستكبر وانهم لا يستكبرون وقد يستدل بها على ان الملك افضل من البشر لان كل المخلوقات والا لما خصهم بالذكر من بينها ولخلو بواطنهم وظواهرهم من الاخلاق الذميمة وانعدام البشر في الدواعي الشهوية والغضبية وبعضها ورد في حقه قال الانسان ما اكفره وقال ضم ما شاء الامر فيه بمعصية عير بحيث ذكر ابو قال ابو هاشم التفخ في نوعه كالتفخ في امته فضل الشيخ على الشاب القادم بعده وطول مدته ولا شك ان الملائكة خلقوا قبل البشر بسنين متطاولة وفرون متمادية وانهم سبقوا الطاعة والعبودية ومن سن سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها وتمام البحث في هذه المسئلة مذكور في اول سورة البقرة وفي قوله ما يؤمرون دلالة على ان الملائكة مكلفون بالامر والنهي والوعد والوعيد راجين خائفين ولما بين ان كل ما سواه في عالمي الارواح والاجسام فانه منقاد خاضع لجلاله وكبريائه اتبعه النهي عن الشرك فقال وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد فسئل ان التثنية والواحد حيث كانا بابه لان على العدد الخاص فما

الفائدة في وصف الطين باثنين ووصف الله بواحد واجيب بوجوه منها قول صاحب النظم ان فيه نقد بما دناهما اي لا تتخذوا اثنين الهين ومنها ان تكرير العبادة لاجل المبالغة في التنفير عن اتخاذ الشريك ومنها قول الاهل المعاني ان فائدة الوصف والبيان هي ان يعلم ان النهي راجع الى التعدد لا الى الجنسية ولهذا لو قلت انما هو اله ولم تؤكد بواحد سبق الى الوهم انك تثبت الالهية لا الوحدانية وكيف لا يحتاج المقام الى التوكيد والاتيان به منافية للالهية لاستلزام تعدد الواجب كون كل منهما مركبا من جزئين مابه الاشتراك في الوجوب الذاتي ومابه الامتياز ولكل اتركب يوجب الافتقار الى البسائط والافتقار ينافي الوجوب ودليل المنع ايضا بعين على المطلوب كما لو اراد احدهما تحريك جسم معين واراد الاخر تسكينه اوقوى احدهما على خلاف الاخر ولا يقوى او قدر احدهما على ان يسكن ملكه عن الاخر ولا يقدر ثم نقل الكلام عن الغيبة الى التكلم على طريقة الالتفات قائلا فاياي فاعبدون وقد مر مثله في اول البقرة ثم لما قرر وحدته وانه يجب ان يخص بالرهبة منه والرغبة اليه ذكر ان الكل ملكه وملكه فقال وله ما في السموات والارض فقالت الاشاعرة ليس المراد من كونها لله انها مفعولة لاجله والغرض طاعته لان منها الجمادات والحيوانات التي يكون بها الغرض الشهوة واللذة لا الغرض الطاعة فالمراد ان كلها بخلقه وتكوينه ومن جملتها وان كان افعال العباد ثم قال وله الدين واصبا فالدين الطاعة والواصب الدائم ومفاده واصبه بعبده لا غاية لها وبقي المريض وصب لكون ذلك المرض لازما له واتصابه على الحال العامل فيه ما في الظرف من معنى الفعل قال ابن قتيبة ليس احد بدان له ويطاع الا انقطع ذلك بسبب من حال الحياة او الموت الا الحق سبحانه فان طاعته واجبة ابدا ويحتمل ان يكون الدين بمعنى الملك اي وله الدين ذا كلفة ومشقة ولذلك سمي تكليفا وله الجزاء سرمدا لا يزول بمعنى الثواب والعقاب وقال بعض المحققين قوله وله ما في السموات والارض اشارة الى احتياج الكل اليه في حال حدوثه وقوله وله الدين اي الانقياد واصبا اشارة الى ان جميع الممكنات مفتقرة اليه في حال وجوده لان الصحيح ان الممكن حال بقائه لا يستغني عن المرجح ثم انكر ان يكون الممكن مع شدة افتقاره اليه يختشى غيره فقال أفغير الله تتقون ثم من عليهم بقوله وما بكم من نعمة فمن الله ما يعني الذي وبكم صلته ومن تبعيضية والضمير في الجار او بها او قوله فمن الله خبر وفيما شرطية وفعل الشرط محذوف اي ما يكن وقال جار الله معناه اي شيء حل بكم او اتصل بكم من نعمة فهو من الله فالاشارة الى افضل النعم نعمة الايمان والاية تشمل العموم فهو من نعم الله والنعمة امادينية او دنيوية نفسانية او بدنية او خارجة كالسعادات الباقية وغيرها وكل واحد من هذه جنس تحتها انواع لا حصر لها والكل من الله فعلى العاقل ان لا يشكر الا اياه ثم بين ان حال الانسان بعد استغراقه في بحار نعم الله فانه اذا مسكم الضر فاليه تجارون ما تضرعون الا اليه والجؤار رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون قال جار الله يجوز ان يكون الخطاب للمشركين ومنكم للبيان لا للتبعيض كأنه قال فاذا فريق كافر هم انتم ويجوز ان يكون فيهم من اعتبر كقوله فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد قوله واظهر الوجهين الاول والمعنى ان فريقا منكم يبقى على مثل ما كان عليه عند الضر في ان لا يفزع الا الى الله وفريقا ينقلب عن حاله فيشرك بالله ولعل هذه صفة الاكثر من الجم الغفير من الانسان ولهذا قال ليكفروا بما آتيناهم اي ليكفروا بنعمنا التي عددناها عليهم في الشرك كفران النعمة ويجوز ان يكون لام العاقبة اللهم لك الحمد على نعمة عافية الكفران والمراد بقوله ما آتيناهم كشف الضر وازالة المكروه او الفران والشرايع او جميع النعم الظاهرة والباطنة التي انعم الله بها على الانسان ثم قال على سبيل التهديد فتمتعوا بالالتفات نظرا الى اول الكلام فتمتعوا فسوف تعلمون عاقبة كفركم ومثله في الروم كما سبق واما في العنكبوت فانه قال ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا بالعطف على القياس ثم ترقى الى نوع اخر من قبائح اعمال بني آدم فقال ويجعلون لما لا يعلمون الضمير الاول للمشركين والثاني قيل لهم وقيل للاصنام التي لا يوصف بالعلم والشعور ورجح الاول بان نفي العلم عن الحي حقيقة وعن الجماد مجاز وبان جمع السلامة بالعقلاء اليق وقد يرجح الثاني بان الاول يفضي الى الاضمار كأنه قيل ويجعلون لما لا يعلمون في طاعته نصيبا ولا الاعراض عنه ضرا وقال مجاهد يعلمون ان الله خلقهم ورزقهم وينفعهم ثم يجعلون لما لا يعلمون انه يضرهم نصيبا او يجعلون لما لا يعلمون انها تنفعهم او السبب في صدورها معبودة والمراد بجعل النصيب ما مر في الانعام في قوله وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا وقيل البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي عن الحسن قيل هم المجوس الذين يزعمون موجودات هذا العالم على الكواكب السبعة فيقولون لاجل كذا وكذا من المعادن والنبات والحيوان للمشتري كذا الى اخر الكواكب ثم اوعدهم الله بقوله تالله لتسئلن عما كنتم تفترون على الله من ان له شريكا وان الاصنام هي المقربة اليها مع انه لا شعور لها بشيء اصلا او المراد بالافتراء قولهم هذا حلال وهذا حرام من غير اذن شرعي وقولهم ان لغير الله تاثيرا في هذا العالم وفي يكون هذا السؤال قبل عند القبر من الموت ومعاينة ملائكة العذاب وقبل في القبر والاظهر انه في الاخرة وهذا في حق هؤلاء الاقوام خاصة كقوله فوربك لنسئلنهم اجمعين عما كانوا يعملون في الام عامة قوله ويجعلون لله البنات نوع اخر من القبائح وكانت خزاعة وكنانة تقول الملائكة بنات الله قال الامام فخر الدين الرازي اظن ان ذلك لان الملائكة يستترون عن العيون كالنساء وضما طلان الثالث على الشعر لاستتارها عن ان يدرك بالابصار لضوها الباهر ونورها الفاهر وسبحانه تنزيها لذاته عن نسبة الولد اليه او يجب قولهم ومحل ما في قوله ولهم ما يشتهون اما الرفع على الابتداء او النصب اي وجعلوا لهم ما يشتهون يعني البنين في الزجاج جواز النصب قال لان العرب تقول جعل له كذا وهو يعني نفسه انما تقول جعل لنفسه كذا فلو كان منصوبا لقيل ولا نفسهم ما يشتهون ثم ذكر خاتمة كلامهم للايذان بانهم الذين جعلوها

في قوله وما بكم من نعمة فمن الله

تعريف عائشة رضي الله عنها

تحسين الشعر

النحل

الله تعالى فقال وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه اى صار مسودا ويحتمل ان يكون استعمل ظل لان وضع الحمل يتفق بالليل غالبا فيظل نهاره
مسود الوجه وهو كظيم مملوء حزنا وغيظا على المرأة قال اهل المعانى جعل سوداد الوجه وهو كظيم كناية عن الغم والكآبة لان الانسان اذا قوى
فرحه انبسط الروح من قلبه وصعد الى الاطراف والاستيلاء الوجه لما بين القلب والدماغ من التعلق الشديد فاستنار الوجه واشرق واذا قوى
غمه انحصر الروح فى داخل القلب فلم يفض منه اثر قوى على الوجه فلذلك يصفر او يسود ويتوارى يستخفى من القوم من سوء ما بشر به من اجل سوء
البشرى به لم يظهر لهم ما احدث نفسه بتدبير فيها ماذا يصنع بها وذلك قوله أيمسكه اى يمسكه على هون ذل وهوان والظاهر ان هذا صفة المولود
يمسكها على هوان منه لها وقال عطاء عن ابن عباس رضى الله عنهما يصفر لاب اى يمسكها مع الرضاء بهوان نفسه ام يدسه فى التراب اى يدفنه حيا والدس اخفاء الشئ
فى الشئ واتمام الضمير فى يمسكه وفى عتبار ما بشر به كانوا مختلفين فى قتل البنات فمنهم من يحتقر الحقيرة ويدفنها الى ان يموت ومنهم من يرميها من
شاهق جبل ومنهم من يغرقها ومنهم من يذبحها وكانوا يفعلون ذلك نارة للغيرة والحمية واخرى خوفا من الفقر والفاقة وروى ان
رجلا قال يا رسول الله والدتى بقيت بالخير افاجد اجرا ان اصل امى وقد كانت لى فى الجاهلية ابنة وامرأة فكرهت امرأتى ان تدع ابنتى معها واحببتها فلما انتهيت الى
واد بعيد الغور اتيتها فاخذت بيدها فدفعتها فى الوادى فقالت يا ابتاه قتلتنى فكلما ذكرت قولها لم ينفعنى شئ فقال لهم ما فى الجاهلية فقد هدمه الاسلام فهدم الاستغفار ولا
ان الاسى الذى لهذا احملها عندهم كانت غاية الكراهية والتغير ومع ذلك اثبتوها لله تعالى عن الصاحبة والولد فلذلك قال الا ساء ما يحكمون
للذين لا يؤمنون بالآخرة ولهذا يقدمون على القتل والايذاء مثل السوء وصفة السوء وهى الحاجة الى الاولاد الذكور وكراهة الاناث وهم
خشية الاملاق والغرام الشحيح البالغ ولله المثل الاعلى وهو اضداد صفات المخلوقين من الغنى الكامل والجود الشامل فهو الغنى الذى لا يغالب فلا
يتضرر بان ينسب اليه ما لا يليق به الحكيم فى خلق الذكور والاناث وفى الوعيد على قتل البنات قال الشافعى ان هؤلاء المشركين استحقوا النار باصرارهم على قتل
البنات الى الله واتى اسهل من اضافة الفواحش والقبائح كلها اليه وهذا شان الجهلة واجانب الاشاعرة بانه ليس كل ما قبح متعاطى العرف فانه يقبح من الله
الا ترى ان قتل الولد ظلما واقع بارادته وعلمه وبالغ فى تحسين صورهن وتقوية الشهوة فيهم وفيهن ثم جمع بين الكل وازال الحائل والمانع فان هذا لا يليق
حسن من الله تعالى وقبيح من كل الخلق فعلمنا ان التعويل على هذه الوجوه المبنية على العرف انما يحسن اذا كانت مسبوقة بالة تل القطعية اليقينية
وقد تمسك البراهمة بهذه القطعية امتناع الولد على الله تعالى لان الجوهر حسنت تقويتها بهذه الوجوه الاقناعية اما افعال العباد فقد ثبت بالدلائل اليقينية ان
خالقها هو الله تعالى فكيف يمكن الحاق احد الصورتين بالاخرى والله اعلم بالتاويل ان نخسف بهم ارض البشرية ودكانا السفلى او نسقط عليهم العذاب بالمكر
والاسترداج من حيث لا يشعرون انتر من ابائهم من قبل الاعمال الذميمة او من قبل الاعمال الاخروية او باخذهم فى تقلبهم من اعمال الدنيا الى اعمال
الاخرة بالموت او من اعمال الاخرة الى اعمال الدنيا بالهوى او يأخذهم على تخوف تنقص من مطاعمهم ومدخراتهم بالاشعور بهم فان ربكم لرءوف رحيم
بالعباد اذ اعطاهم حسن الاستعداد رحيم حين لا يأخذهم بعد فساد الاستعداد فى الحال لعلهم يتوبون فى المال فيقبل توبتهم بالفضل والقبول
ما خلق الله من شئ وهو عالم الاجسام فان عالم الارواح خلق من لا شئ يفيء ظلاله فان الاجسام ظلال الارواح فتارة يميل بعمل السعادة الى اصحاب
اليمين واخرى يميل بعمل اهل الشقاء الى اصحاب الشمال يسجد لله منفادين لامره مسخرين لما خلقوا لاجله واتما وحد اليمين وجمع الشمال لكثرة اصحاب
الشمال وسجود كل موجود بما سجاله كما ان تسبيح كل منهم بلايم لسانه وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين اراد بالاله الاخر الهوى لقوله ص ما عبد الله
ابغض على الله من الهوى يجعلون بعض اصحاب النفوس والاهواء مما لا يعلمون لان علمهم باحوالهم بسبب الاتباع ما رزقناهم من الطاعات تالله
لتسئلن عما كنتم تفترون والسؤال عن المعاملات انما هو بعد بل الصفات وتغير الاحوال من سمة السعادة الى سمة الشقاوة وبالعكس ويجعلون
لله البنات اظن ان البنات اشارة الى صفات فيها نوع نقص كالتجسيم والتشبيه والحلول والاتحاد ونسبته الى الظلم والجور والتعطيل
وعدم الاستقلال بالتاثير وغير ذلك مما لا يليق بغاية جلاله ونهاية كماله فلهذا قال سبحانه ولهم ما يشتهون بعد ان كل احد يجب ان يوصف
بغاية الكمال وينفر وجهه اذا نبه على عيب فيه ولا يعلم ان مطلق الكمال لا يليق الا بالواجب الذات ونقص الامكان يستلزم جمع النقصانات
ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون
ساعة ولا يستقدمون ويجعلون لله ما يكرهون وتصف السنتهم الكذب ان لهم الحسنى لا جرم
ان لهم النار وانهم مفرطون تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك فزين لهم الشيطان اعمالهم فهو
وليهم اليوم ولهم عذاب اليم وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه وهدى ورحمة
لقوم يؤمنون والله انزل من السماء ماء فاحيا به الارض بعد موتها ان فى ذلك لاية لقوم يسمعون

وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ
وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ
وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ
فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً
لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ

القراءة لا جرم في المثل لا ريب فيه مفرطون بكسر الراء المشددة وبن يدي مفرطون بكسر الراء المخففة نافع وقتيبة الباقون بفتحها مخففة نسقيكم بفتح النون نافع وابن عامر وسهل ويعقوب أبكر وحماد الآخرون بضمها الوقوف مستمي للظرف مع الفاء ولا يستقدمون هنا الحلي وقبل على تم بلا جزم وهو تكلف مفرطون اليم فيه للعطف على موضع لنسقيكم بقدير الانبيا ناوهدى ورحمة مونها يعمون لعبرة لا تقف على اشبه ما بعده بالوصف للشاربين حسنا يعقلون ويعرشون للعطف للذة للعدول للناس يتفكرون شيئا قدير التفسير لما حكى عن القوم عظيم كفرهم وقبيح قولهم بين غاية كرمه وسعة رحمته حيث لم يعاجلهم بالعقوبة فقال ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم الآية فزعم بعض الطاعنين في عصمة الانبيا انه اضاف الظلم الى ضمير الناس والانبيا من جملة الناس فوجب ان يكونوا ظالمين عاصين ويؤكد هذا قوله ما ترك عليها من دابة فانه لو لم يصدر من الانبيا ذنب لم يكن لاقتنائهم وجه وجوابه انه لم يصدق انه لم يبق على الارض واحد والجواب لانه عموم الناس في الآية لقوله سبحانه في موضع اخر فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات ولا ريب ان المقتصدين والسابقين ليسوا ظالمين فالمراد بالناس اما كل العصاة الذين استحقوا العقاب والذين يقدر ذكرهم من المشركين واما قوله من دابة فعن ابن عباس اراد من دابة قد وجب عليها لفظ قوله ان شر الدواب عند الله الذين كفروا ولو سلم ان المراد بها كل من يدب عليها فلعل الهلاك في حق الظلمة يكون عذابا وفي غيرهم امحانا وقد وقعت هذه الواقعة في زمان نوح عم وايضا من المعلوم انه لا احد الا وفي اباطنه من يستحق العذاب فلو اهلكوا لبطل تسليم ولادي الى فناء الناس بل الدواب كلها لان الدواب مخلوقة لمنافع العباد ومصالحهم عن ابي هريرة انه سمع رجلا يقول ان الظالم لا يضر الا نفسه فقال بلى والله حتى ان الحبارى لتموت في وكرها بظلم الظالم وعن ابن مسعود كاد الجعل يهلك في جحره بذنب ابن ادم وقيل لو يؤاخذهم لانقطع القطر وفي انقطاعه انقطاع النبات وفي انقطاع النبات فناء الدواب لما ثبت في المعتزلة ان الظلم والمعاصي ليست من افعال الله تعالى والا لم يجز منهم بها فرضا ولم يصح الظلم البتة فنا بذلك على ان الظلم هو المؤثر في العقاب فان الباء للعلية وجواب الاشارة معلوم وهو انه لا يسئل عما يفعل وايضا المعارضة بالعلم والداعي ووجوب انتهاء الكل اليه قال بعض الاصوليين الاصل في المضار انحرمة لان الضرر لا يجوز ان يكون مشروعا ابتداء بالاجماع ولقوله تعالى ما جعل عليكم في الدين من حرج يريد الله بكم اليسر ولقوله ص لا ضرر ولا ضرار في الاسلام ما معون من جهة مسلما ولا ان يكون مشروعا على وجه يكون جزاء على جرم سابق بهذه الآية لان كلمة لو وضعت لانتفاء الشيء لانتفاء غيره فالآية تقتضي انه تعالى ما اخذ الناس بظلمهم واثر ترك على ظهرها دابة كما هو المشاهد اذا ثبت هذا الاصل فنقول اذا وقعت حادثة مشتملة على المضار فان وجدنا نصا على كونها مشروعة قضينا به لقدمها الخاص على العام والا قضينا عليها بالحرمة بناء على هذا الاصل ولقائل ان يقول لم لا يجوز ان يكون الضرر مشروعا على وجه يفضي الى جرم سابق والآية لا تنافي ذلك لانها لا تدل الا على انه سبحانه لا يؤاخذ بكل ظلم اما على انه لا يؤاخذ ببعض انواع الظلم فلا دليل فيه وقوله وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير ومنهم من قال بناء على القاعدة المذكورة ان كل ما يريده الانسان وجب ان يكون مشروعا في حقه لان المنع منه ضرر والضرر غير مشروع وكل ما يكرهه الانسان لزم ان يكون محرما لان وجوده ضرر والضرر غير مشروع فالذي يتمسك به في اثبات الاحكام من القياس اما ان يكون على وفق هذه القاعدة او على خلافها والاول باطل لان هذا الاصل يغني عنه وكذا الثاني لان النص راجح على القياس ولقائل ان يقول نوقض الادلة على المدلول الواحد غير ممتنع اما قوله ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى فعن ابن عباس في رواية عطا اثر به اجل الفتنة لان معظم العذاب يوافيهم يوم القيامة وقيل اراد منتهى العمر لان المشركين يؤاخذون بالذنوب اذا جاوزوا من الدنيا وباقي الآية قد مر تفسيرها في اوائل سورة الاعراف واعلم انه سبحانه قال في هذه السورة ما ترك عليها من دابة وفي سورة الملائكة ما ترك على ظهرها فاطاء كناية عن الارض ولم يتقدم ذكرها هيهنا والعرب يجوز ذلك في كلمات لخصوصها بين يدي كل متكلم وسامع منها الارض والسما فلان افضل من عليها واكرم من يحملها ومنها العالم انها اليوم الثالثة ومنها الاصابع يقول الذي شفهن خمسا

النحل ١٦

من واحد بعضا لاصابع من ابدا تمام ابدى الظهر في هذه السورة قليلا بالنسبة بظهر الدابة فكثرها بمستعمل الظهر بخلاف سورة الملائكة
فانه قد تقدم ذكر الارض في قوله أولم يسيروا في الارض وفي قوله وفجرنا الارض فلم يكن ملتبسا ويمكن ان يقال ههنا بظلم لما دل على ظهرها وحين
قال هنالك بما كسبوا فان ظهرها احتراز عن الجمع بين الظاهرين لانها تثقل في الكلام وليست كقول الامم سوى العرب فلم يجمع بينهما في شطيرة واحدة
ثم عاد الى حكاية كلامهم الحمقاء فقال تجعلون لله ما يكرهون لانفسهم من البنات ولا يبعد ان يندرج فيه سائر ما يكرهون من الشركاء في
الرياسة ومن الاستخفاف في النهاد ون برسلهم ورسالتهم وانهم يجعلون اكثر اموالهم لله واكرمها للاصنام عن بعضهم انه قال لو جل من مال وليس
كيف يكون يوم القيمة اذا قال الله تعالى فاما دفع الى السلاطين واعوانهم فنون بالدواب والثياب وانواع الاموال الفاخرة واذا قال هاتوا
ما دفع الي فنون بالكسر والخرق وما لا يأبه له اما استحيى من ذلك الموقف ثم قال وتصف ألسنتهم الكذب قال الفراء والزجاج بدل منه
قوله ان لهم الحسنى عن مجاهد ان الحسنى البنون كانت قريش يقولون لله البنات ولنا البنون وقال غيره هي الجنة اي انهم مع جعلهم لله ما يكرهون
وحكموا لانفسهم بالجنة والثواب من الله وانهم يفوزون برضوان الله بسبب هذا القول زعما منهم انهم على الدين الحق والمذهب الحسن وكيف
يحكمون بذلك وكانوا منكرين للقيمة الجواب انه كان فيهم من يقر بالبعث ولذلك كانوا يربطون البعير على قبر الميت ويتركونه الى ان يموت رضا
منهم ان الميت اذا حشر فانه يحشر معه مركوبه وبتقدير انهم كانوا منكرين فلعلهم قالوا ان كان محمد صادقا في دعوى الحشر والقيمة فانه يحصل
لنا الجنة والثواب بسبب هذا الدين الحق الذي نحن عليه بتقدير ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى ومن الناس من رجح هذا القول لانه تعالى رد
عليهم بعد ذلك بقوله لا جرم ان لهم النار قال الزجاج لا رد لقولهم اي الامر كما وصفوا وجوابه لا مكسبة لذلك القول ان لهم النار فان مع ما بعدها
في محل النصب لوقوع الكسب عليه وقال غيره ان في موضع رفع والمعنى حق بان لهم النار وانهم مفرطون من قرأ بكسر الراء المخففة فهو من
الافراط في المعاصي وفي الافتراء على الله وجوز ابو علي الفارسي ان يكون من افرط اي صار ذا فرط مثل اجرب اي صار ذا جرب ومن قرأ بفتحها مخففة
فهو من افرط فلانا اذا خلفه وتركه فالمعنى انهم متروكون في النار منسيون ومن قرأ بكسر الراء مشددة فهو من التفريط في الطاعات وقرئ
بفتح الراء مشددة من فرطه في طلب الماء اذا قدمه وجاء افرطه بمعناه ايضا فالمراد انهم يقدمون الى النار ويعجلون اليها ثم بين سبحانه ان مثل
صنيع قريش قد صدر عن سائر الامم فقال تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك اي رسلا فزين لهم الشيطان اعمالهم فالمعتزلة لو كان
خالق الاعمال هو الله تعالى فما معنى تزيين الشيطان ومن اين يجب توجه الذم وان خالق ذلك العمل اجدر بان يكون وليا لهم من الداعي
اليه واجيب بان لو سائط معتبرة وانتهاء الكل اليه ضروري قال جار الله فهو وليهم اليوم حكاية لحال الماضية التي كان يزين لهم الشيطان
اعمالهم فيها والمراد فهو وليهم اي قرينهم في الدنيا فجعل اليوم عبارة عن زمان الدنيا او اليوم عبر عبارة عن يوم الاخرة الذي يعذبون فيه
في النار فهو حكاية الحال الا تيه والولي الناصر اي هو ناصرهم يوم القيمة فقط والمراد نفي الناصر عنهم على ابلغ الوجوه لان الشيطان لا يتصور
منه النصر اصلا واذا كان الناصر محصورا فيه لزم ان لا يبصره بالضرورة قال ويجوز ان يرجع الضمير في وليهم الى المشركين قريش واقرانهم الكفار
قبلهم اعمالهم فهو ولي هؤلاء لانهم منهم ويجوز ان يكون على حذف المضاف اي فهو ولي امثالهم اليوم ثم ذكر سبحانه انه ما اهلك من هلك الا بعد
اقامة الحجة وازاحة العلة فقال وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه كالتوحيد والجبر والقدر والاقرار بالبعث والانكار
له وكتحريم الاشياء المحللة كالبحيرة والسائبة وتحليل الاشياء المحرمة كالميتة والدم وهدى ورحمة انتصابا على انهما مفعولا لهما ولا حاجة الى اللام
لانهما افعال فاعل الفعل المعلل بخلاف التبيين فانه فعل المخاطب لا فعل المنزل ولهذا دخل عليه اللام قال الكعبي وصف القرآن بكونه هدى ورحمة
لقوم يؤمنون لا بد وان يكون كذلك في حق الكل وحق المؤمنون بالذكر من حيث انه قبلوه وانتفعوا وكما اعاد الكلام في وعيد الكفار عاد الى تقرير الادلة
فقال والله انزل من السماء ماء فاحيى به الارض بعد موتها وفي العنكبوت من بعد موتها الا ان هناك سؤال تقرير والتقرير يجامع الى التحقيق
فقيد الظرف بمن للاستيعاب وايضا حذف من هذه السورة موافقة لقوله عما قريب ليكذا بعد علم شيئا واثباته احذف من هنا بخلاف ما في
النحل لانه اجمل الكلام في هذه السورة فقال والله خلقكم ثم يتوفاكم والطيب في النحل فقال خلقكم من تراب ثم من نطفة فاقتضى الايجاز الحذف والاطناب
الاثبات ان في ذلك لآية لقوم يسمعون سماع تامل وتدبر فمن لم يسمع لم يتدبر فانه اصم ثم استدل بعجائب احوال الحيوانات فقال وان
لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه وفي سورة المؤمنين مما في بطونها فذكر النحويون ان الانعام من جملة الكلمات التي لفظها مفرد و
معناها جمع كالرهط والقوم والنعم فجاز تذكيره حملا على اللفظ وتانيثه حملا على المعنى قال المبرد هذا شايع في القرآن قال تعالى فلما رأى القمر
بازغة قال هذا ربي بمعنى هذا الشخص الطالع وقال ان هذه تذكرة فمن شاء ذكره اي ذكر هذا الشيء وعد سيبويه الانعام في الاسماء المفردة
الواردة على افعال وجوز في الكشاف ان يكون تانيثه على اتاثر تكسير نعم وقيل ان الانعام ههنا بمعنى النعم لان الالف واللام يمحو الاحاد بالجمع والجمع
بالاحاد قلت ما ذكره الامام حسن الا انه لا يفيد جوابا عن التخصيص ولعل السر في ان الضمير في هذه السورة يعود الى البعض وهو الاناث لان اللبن لا يكون
للكل فالتقدير وان لكم في بعض الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه واما في المؤمنين فانه لما عطف عليه ما يعود على الكل ولا يقتصر على البعض وهو
قوله ولكم فيها منافع ومنها تاكلون وعلمنا ان يحتمل ان يكون المراد به البعض فانه ليكون مقابلا لان المراد بها الكل ورد الكلي من الصالح عن ابن

عباس انه قال اذا استقر العلف في الكرش صار اسفله فرثا واعلاه دما واوسطه لبنا خالصا فجرى الدم في العروق واللبن في الضرع وبقي الفرث كما هو فهذا هو قوله تعالى من بين فرث ودم لبنا خالصا لا يشوبه الدم ولا الفرث واكثر الاطباء هذا القول لانه على خلاف الحس والتجربة اما الحس فلان الانعام تذبح فجامنها اللبن لا يرى في كرشها دم واللبن واما التجربة فلان الدم لو كان في المعدة والكرش كان يجب اذا بقي ان يبقى الدم واللبن كذلك بل الحق ان اول العلف حصل له في معدته او كرشه هضم اول فما كان منه صافيا انجذب الى الكبد وما كان كثيفا نزل الى الامعاء ثم ان لم يحصل في الكبد ينضج فيها ويصير ما ذلك هو الهضم الثاني ويكون مخلوطا بالصفراء والسوداء وزيادة المائية اما الصفراء فيذهب الى المرارة والسوداء الى القحال والماء الى الكلية وفيها الى المثانة واما ذلك الدم فانه يدخل في الاوردة وهي العروق النابتة من الكبد وهناك يحصل الهضم الثالث وبين الكبد والضرع عروق كثيرة فينصب الدم في تلك العروق الى الضرع وهو لحم غدد ذي خوابض فينقلب الدم هناك الى صورة اللبن وانما اختص هذا المعنى بالحيوان لان الحكمة الالهية اقتضت قذف كل شيء على الوجه اللائق به والذكر من كل حيوان اسخن واخف والانثى ابرد وارطب من بدن الانثى يحتاج الى مزيد رطوبة ليصير مادة لتوليد الولد ويتسع بدنها لئلا ان تلك الرطوبات التي كانت تصير مادة للولد بقيت في بدن الجنين حين كان في الرحم ينصب بعد نفصال الجنين الى الثدي فيصير مادة لغذاء الطفل واعلم ان الله تعالى خلق في اسفل المعدة منفذا يخرج منه ثفل الغذاء فاذا تناول الانسان غذاء او شربة رقيقة انطبق ذلك المنفذ انطباقا كاملا الى ان تكمل انهضامه في المعدة ويجذب ما صفا منه الى الكبد وبقي الثفل هناك فحينئذ ينفتح ذلك المنفذ وينزل منه ذلك الثفل لهذا الانطباق والانفتاح بحسب الحاجة وبعد المنفعة فالانسان الابقدر والفاعل الحكيم وايضا انه تعالى اودع في الكبد قوة جاذبة للاجزاء اللطيفة التي في ذلك المأكول والمشروب طابخة لها حتى ينقلب تارة دون الاجزاء الكثيفة وفي المعدة بالعكس واودع في المرارة قوة جاذبة لزيادة المائية ومخصصة لكل واحد من هذا الاعضاء بفعله الخاص به لا يمكن لاحد من العالم الخبير ان يذكر الكلام في انصباب مادة اللبن الى الثدي في وقت يحتاج الطفل الى الغذاء وتوزعها على جميع البدن في غير ذلك الوقت ثم انه تعالى احدث في علة نقوبا صغيرة يخرج اللبن الخالص منها وقت المص او الحلب فهي بمنزلة المصفاة للبن يخرج اللطيف منها ويبقى الكثيف فهذا الطريق يصير خالصا سائغا للشاربين اي سهل المرور في الحلق حتى قبل ان يتم بعض احد باللبن فطر من عجائب حال اللبن اجتماعه من اجسام مختلفة مع اتحادها واحدة في الحس فمنها الدم وهو حار رطب ومنها الاجزاء المائية وهي باردة رطبة ومنها الجبن وهو بارد يابس وكلها حاصلة من مشرب واحد ثم انه تعالى الهم الطفل الصغير مص الثدي عند انفصاله من الام وكل ذلك يدل على عناية كاملة ورحمة شاملة وقدرة باهرة قال المحققون في تعليل هذه الاطوار الى ان يصير لبنا خالصا سائغا يدل على انه تعالى قادر على تقليب الانسان في اطوار الى ان يصير مستعد للبقاء الابدي والله اعلم قال جار الله من ذهب للتبعيض ومن قوله من بين فرث للابتداء الغاية فهو صلة لنسقيكم كقولك سقيته من الحوض وجوز ان يكون حالا من قوله لبنا مقدما عليه متعلق بمحذوف اي كائنا من بين كذا وكذا وانما قدم لانه موضع العبرة فهو جدير بالتقديم قال الشافعية ليس بمستكره ان يسلك المني مسلك البول وهو ظاهر كما انه يخرج اللبن من بين الفرث والدم ظاهرا اما قوله ومن ثمرات النخيل والاعناب اي ومن الاعناب فاما ان يتعلق بمحذوف اي ونسقيكم من ثمرات النخيل ومن الاعناب اذا عصرتم وحذف لدلالة ما تقدم عليه فيكون قوله تتخذون منه بيانا وكشفا عن كنه حقيقة الاسقاء واما ان يتعلق بتتخذون فيكون قوله منه تكريرا للظرف لاجل التأكيد نظير قولك زيد في الدار فيها واما ذكر الضمير في منه لانه يعود الى المذكور او الى المضاف المحذوف الذي هو العصير كانه قيل ومن عصير ثمرات النخيل ومن عصير الاعناب تتخذون منه واحتمل ان يكون تتخذون صفة موصوف محذوف كقوله وما منا الا له مقام معلوم اي وما منا احد الا وله مقام معلوم فالتقدير ومن ثمرات النخيل ومن الاعناب ثمرا تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا لانهم يأكلون بعضها ويتخذون من بعضها السكر وهو الخمر سمي بالمصدر من سكر سكرا وسكرا نحو رشد رشدا ورشدا وعلى هذا التفسير ففي الآية قولان احدهما وبه روي عن الشعبي والنخعي انها منسوخة فان السورة مكية وتحريم الخمر نزل في المائدة وهي مدنية وثانيهما انها جامعة بين العتاب والمنة وذكر المنفعة لا ينافي الحرمة على ان في الآية تنبيها على الحرمة ايضا لانه تعالى بين بينها وبين الرزق الحسن في الذكر فوجب في السكر ان لا يكون رزقا حسنا لا بحسب الشرع قبل بحسب الشريعة هذا ما عليه الاكثرون وقيل السكر النبيذ وهو عصير العنب اذا طبخ حتى يذهب ثلثاه ثم يترك حتى يشتد وهو حلال عند ابي حنيفة احتج السكر واحتج بانها لا تدل على ان السكر حلال لانه تعالى انما ذكره في معرض الانعام والمنة ودل الحديث على ان الخمر حلال حرام لعينها وهذا يقتضي ان يكون السكر شيئا غير الخمر وكل من اثبت هذه المغايرة قال انه النبيذ المطبوخ وحكى عن ابي علي الجبائي انه صنف كتابا في تحليل النبيذ فلما اخذت منه السن العالية قيل له لو شربت منه ما يقوي بصرك فقيل له فقد صنفت في تحليله فقال لنا ولله ابدي في الشيطان فقبح عندي في المرات والاناء وقيل السكر الطعم قاله ابو عبيدة وقيل السكر الرزق الحسن واحتج من قال انه يتخذون منه ماهو سكر ورزق حسن ومن عجيب احوال النحل لحال المناسب عسلها والمناسب اللبن في موافقة اللذة في الخروج من البطن فلذلك افردها بالذكر عقيب ذلك قائلا واوحى ربك باعتماد وبا الانسان الى النحل الى الهمها وعلمها على وجه هو اعلم به ولله حق لغريب امرها وعجيب صنعتها ان يطلق عليه لفظ الايحاء وذلك انها تبني البيوت المسدسة من الاضلاع المتساوية التي لا يمكن للعقلاء تركيب مثالها الا بالمساطر والفرجار ثم انها قد علم من الهندسة ان

النحل

تلك البيوت لو كانت مشكلة بما سوى المسدسات فانه يبقى بالضرورة فيما بينها فرج خالية فاضاعة ذلك الحيوان الضعيف في هذه الحكمة الدقيقة من الاعاجيب ومن غرائب امرها ان لها رئيسا هو اعظم جثة من البقية وهم يخدمونه ويتبعون نهيه وامره ومنها انها اذا نفرت عن وكرها جمعت الجمعية الى موضع اخر فاذا اراد واعودها الى وكرها ضربوا الطبول والملاهي والآلات الموسيقى وبواسطة تلك الالحان يقدرون على رد ها الى وكارها ولو بالحيلة فان غرائب هذا الحيوان اكثر من ان تحصى واشهر من ان تخفى والغرض ان امتياز هذا الحيوان بهذه الخواص العجيبة الدالة على الذكاء والكياسة حالة شبيهة بالوحي بمعنى الالهام قال الزجاج يجوز ان يكون سميت نحلا لانه تعالى انحل الناس العسل بواسطتها وهي مؤنثة في لغة اهل الحجاز ولذلك قال تعالى ان اتخذي وهو ان المفسرة لان الايحاء فيه معنى القول ومعنى من في قوله من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون اي يبنون ويرفعون البعضية لانها لا تبني بيوتا في كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش ولكنها تبني في مساكن بها وفقها وبالبعض بها وكثيرا ما ينتهجها الناس ويصلح احوالها ثم كلي من كل الثمرات اي بعضا من كل ثمرة تشتهينها فاذا اكلتها فاسلكي سبل ربك اي الطرق التي الهمك فيها عمل العسل للاجمع ذلول وهي حال من السبل لان الله ذللها لها وسهلها عليها او من المضمر في فاسلكي اي وايت ذلك منقادة لما امرت به غير ممتنعة او المراد فاسلكي ما اكلت من سبل ربك المذللة اي في مسالك التي يحيل فيها بقدرته النور المرعسلا وهي احوال ومنافع ما كلي واراد انك اذا اكلت الثمار من المواضع البعيدة من بيوتك فاسلكي راجعة الى بيوتك سبل ربك لا تتوعر عليك ولا تضلين فيها فقد يحكي انها ربما اجدب عليها فاحوجها فسافرت الى البلد البعيد في طلب النجعة ويجوز ان يريد بقوله ثم كلي اقصدي اكل الثمرات فاسلكي في طلبها تلك سبل ربك واعلم ان ظاهر قوله ان اتخذي ثم كلي فاسلكي امر من الناس من قال لا يبعد ان يكون لهذه الحيوانات عقول يتوجه بها اليها من الله امر نهي ومنهم من انكر ذلك وقال المراد انه سبحانه خلق فيها غرائز وطبائع يوجد بها هذه الاحوال وتمام الكلام فيه سيجيء في سورة النمل اما حديث العسل من النحل فالاصح عند الاطباء ان الله تعالى اودع هذا العالم على وجه يحدث في اطوار طل لطيف في الليالي ويقع على اوراق الاشجار فقد يكون كثيرا يجمع منها اجزاء محسوسة وهي التي يجنيها النحل ويخزنها وقد يكون قليلا مستقرا على الاوراق والازهار وهو الذي الهم الله تعالى هذا النحل فيلتقط تلك الذرات بافواهها وناكلها ويغتذي بها فاذا شبعت لفظت من افواهها وذهبت بها ووضعتها في بيوتها ادخارا لنفسها فاذا اجتمع في بيوتها شيء محسوس من تلك الاجزاء الطلية فذلك هو العسل ولا يبعد ان يحصل تلك الاجزاء في افواهها نوع هضم وتغير ويصح طبخة فيها فلذلك قال يخرج من بطونها اي من افواهها ومن الناس من زعم ان النحل تاكل من الازهار الطيبة والاوراق العطرية فما شاء الله تعالى انقلب تلك الاجسام في داخل بدنها عسلا ثم انها تبقي مرة اخرى فذلك هو العسل قال العقلاء والقول الاول اقرب الى التجربة والقياس فان طبيعة النحل قريبة من العسل في الطعم والشكل ولا شك انه طل محدث في الطوا ويقع على اطراف الاشجار والازهار فكذا العسل وايضا النحل انما تغتذي بالعسل وطعامها يتولد منه بقية في بيوتها بعد الاشتهار ولكن قوله تعالى يخرج من بطونها شراب اي ما يشرب بعضهم القول الثاني وقوله مختلفا الوانه اي منه ابيض واصفر واحمر واسود بحسب اختلاف الاماكن وامزجة النحل واختلاف الازهار والاعشاب التي ترعى فيها ثم وصفه بقوله فيه شفاء للناس لانه من جملة الاشربة والادوية المشتهاة النافعة ولهذا يقع في اكثر المعاجين وتذكير شفاء لتعظيم الشفاء الذي فيه او لان بعض فيه الشفاء فان كل دواء كذلك وعن ابي سعيد ان رجلا اتاه فقال ان اخي يشتكي بطنه فقال اسقه عسلا فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب فاسقه عسلا فقد صدق الله وكذب بطن اخيك فسقاه فشفاه الله فبرا كانما انشط من عقال قال اهل المعاني انه صلى الله عليه وسلم كان عالما بانه سيظهر نفعه فلهذا قال اسقه عسلا حتى يظهر النفع في الحال وعن عبد الله بن مسعود العسل شفاء من كل داء والقرآن شفاء لما في الصدور فعليكم بالشفائين القرآن والعسل واعلم انه سبحانه ختم الآية الاولى بقوله لقوم يعقلون لان نزول الماء من السماء واحياء الارض بسببه امر مشاهد محسوس فمنكر ذلك فاقد الحس واتما خص بالذكر حس السمع لان لفظ القرآن المتلى على الامة مسموع وختم الآية الثانية بالعقل لانه يحتاج الى نوع تدبر فالمعرض عنه فاقد العقل دون الحس وختم الثالثة بالتفكر لان امر النحل وقصتها العجيبة من انقيادها لالهامها واتخاذها البيوت على اشكال يعجز عنها الحاذق من اتم تنبيها الزهر والطل ثم خروج ذلك من بطونها اعجابا او قيئا يقتضي فكرا بليغا ولما ذكر بعض عجائب احوال الحيوان اتبعه خلق الانسان فقال والله خلقكم ولم تكونوا شيئا ثم يتوفيكم عند انقضاء اجالكم ومنكم من يرد الى ارذل العمر اي اخسه واحقره عن علي عمر هو خمس وسبعون سنة وعن قتادة تسعون سنة وقال السدي هو حالة الخرف لبله قوله لكيلا يعلم بعد علم شيئا اي يصير الى حالة شبيهة بحال الطفل في النسيان وعدم التذكر وقيل لئلا يعقل بعد عقله الاول شيئا او لا يعلم زيادة على علمه وقيل ان الرد الى ارذل العمر ليس في المسلمين والمسلم لا يرد بسبب العمر لاكرامه على الله تعالى وتظهر الآية قوله ثم رددناه اسفل سافلين الا الذين امنوا وعملوا الصالحات واعلم ان العقلاء ضبطوا مراتب عمر الانسان في اربع اولها سن النشوء وثانيها سن الوقوف وهو سن الشباب وثالثها سن الانحطاط الخفي البشير وهو سن الكهولة ورابعها سن الانحطاط الظاهر وهو سن الشيخوخة وذكر الاطباء اصحاب الطبيعي ان بدن الانسان مخلوق من الماء ومن دم الطمث وهما جوهران حاران ورطبان والحرارة اذا عملت في الجسم الرطب قلبته طوبة فلا يزال ما في هذين الجوهرين من قوة الحرارة يفعل ما في العضو من الطوبة حتى يصلب ويظهر العظم والغضروف والعصب والوتر والرباط وسائر الاعضاء فاذا تم تكوين البدن وكمل بعد ذلك ينفصل الجنين من رحم الام وتكون رطوبة البدن بعد

زائدة على حرارة فيكون الاعضاء قابلة للتمدد والازدياد والنماء وهو سن الشباب وغايته الى ثلثين سنة ثم يضعف رطوبات البدن اقل ويكون وافية بحفظ الحرارة العزيزية الاصلية الا انها لا يكون زائدة على هذا القدر وهو سن الوقوف والشباب وغايته خمس سنين وبها يتم الاربعون ثم يقل الرطوبات بحيث لا يكون وافية بحفظ الحرارة العزيزية وح يظهر النقصان قليلا الى استين وهي سن الكهولة ثم يظهر جدا الى تمام ثمانية وعشرين سنة قال المتكلمون هذا التعليل ضعيف لان رطوبات البدن في كل حال كونه منتا كانت كثيرة ولذلك كانت الحرارة العزيزية معمورة ثم انها مع ذلك كانت تؤثر على تحليل اكثر الرطوبات حتى تفنيها من حد التمويت والمنوبة الى ان صارت عظما وعضروفا وغضروفا رباطا فعند ما تولدت الاعضاء وكمل البدن وقلت الرطوبات وجب ان يقوى الحرارة العزيزية قوة ازيد مما كانت قبل ذلك فوجب ان يكون تحليل الرطوبات بعد تولد البدن وكماله اكثر من تحليلها قبل تولد البدن وليس الامر كذلك لانه قبل تولد البدن انتقل جسم الدم والمني الى ان صار عظما وعصبا اما بعد تولد البدن فلم يحصل مثل هذا الانتقال ولا عشر عشيره فعلمنا ان البدن انما تولد بتدبير قادر حكيم لا لاجل ما قالوه ويوجه اخر الحرارة الحاصلة في بدن الانسان الكامل العزيزية اما ان يكون هي عين ما كان حاصلا في جوهر النطفة او صارت ازيد مما كانت والاول باطل لان الحار العزيزي الحاصل في جوهر النطفة كان بمقدار جرم النطفة فاذا كبر البدن وجب ان لا يظهر منه في هذا البدن اثر اصلا واما الثاني فنقول سلمنا ان الحرارة تتزايد بحسب تزايد البدن لكنا لا نسلم ان تزايدها يوجب تزايد القوة والصحة ساعة فساعة فلم لا يجوز ان الانهدام البدن الحيواني ابدا وليس كذلك ويوجه ثالث هب ان الرطوبة العزيزية صارت معادلة للحرارة العزيزية فلم قلتم ان الحرارة العزيزية يجب ان تصير اقل مما كانت حتى ينتقل الانسان من سن الشباب الى سن النقصان قالوا السبب فيه انه اذا حصل هذا الاستواء فالحرارة العزيزية بعد ذلك تؤثر في تجفيف الرطوبة العزيزية فتقل الرطوبات العزيزية حتى صارت بحيث لا تفي بحفظ الحرارة العزيزية واذا حصلت هذه الحال ضعفت الحرارة العزيزية ايضا لان الرطوبات العزيزية كالغذاء للحرارة العزيزية فاذا قل الغذاء ضعف المغتذي فبقي الامر ان لا يبقى من الرطوبة شيء لان الحرارة العزيزية توجب قلة الرطوبة العزيزية وقلتها توجب ضعف الحرارة العزيزية فيلزم من ضعف احديهما ضعف الاخرى فتطفئ الحرارة ايضا ويحصل الموت واورد عليهم ان الحرارة اذا اثرت في تجفيف الرطوبة وقللها فلم لا يجوز ان يورد القوة الغاذية بدلها فاجابوا بان القوة الغاذية لا تفي بايراد البدل قال الامام فخر الدين الرازي واورد عليهم ان القوة الغاذية انما تعجز عن هذا الايراد اذا كانت الحرارة العزيزية ضعيفة وذلك انما يكون الحرارة العزيزية ضعيفة ان لو قلت الرطوبة العزيزية وانما يحصل هذا القلة اذا عجزت الغاذية عن ايراد البدل وهذا دور محال فثبت ان اسناد هذه الاحوال الى الطبائع والقوى غير ممكن فيتعين اسنادها الى القادر المختار الحكيم ولهذا ختم الآية بقوله ان الله عليم قدير يعلم مقادير المصالح والمفاسد ويقدر على تحصيلها كما يريد واما الطبيعة فجاهلة عاجزة قلت لا شك ان نسبة هذه الامور الى مجرد الطبيعة كفر وجعل لها شبيها بالوجود بالاتفاق ولكن انكار القوى والطبائع ايضا بعيد عن الانصاف والحق انها وسائط والآلات لما فوقها من المبادي والعلل الى ان ينتهي الامر الى مسبب الاسباب ومبدأ الكل وقد ثبت عند الحكيم ان كل قوة جسمانية فانها متناهية الاثر فلا محالة تعجز القوة الغاذية اخر الامر عن ايراد بدل ما يتحلل فيحل الاجل بتقدير العليم القدير التواب ولو يؤاخذ الله النفوس الناسية بما ظلمت على القلوب الارواح ما ترك على ظهرها من دابة من صفات الحيوانية ولكن يؤاخذهم الى اجل مسمى فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون وانما صفات النفس بصفات القلب الروح في جبلته واوانه ولهذا يؤاخذهم الشقاء الى اوان العكس من ذلك ويجعلون لله ما يكرهون اي يعاملون الله باعمال كما يكرهون ان يعاملهم بها غيرهم ويقول لهم انفسهم ان تلك المعاملة حسنة والله انزل من سماء العزة ملة بيان القرآن فاحيا بها ارض قلوب الامم بكم بعد موتها باختلافهم على انبيائهم ان في ذلك لآية لقوم يسمعون كلام الله من الله وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث الخواطر الشيطانية ودم الخواطر النفسانية لبنا خالصا من الاطعام الربانية سائغا للشاربين جاء لاهل هذا الشرب ومن ثمرات نخيل الطاعات واعناب المجاهدات تتخذون منه سكرا وهو ما يجعل منها شراب النفس فتسكر النفس فتارة تميل عن الحق والصراط المستقيم ميلان السكران وتارة تظهر دعوتها بالافعال والاحوال الدنية وسمعة ورئاء الناس والترقي الحسن ما يكون منه شراب القلب والروح فيزداد منه الشوق والمحبة والصدق والطلب شعر شرب الحب كما سابعد كاس فانفد الشراب وما روية وأوحى ربك الى النحل اشارة الى حال السالك السائر ان اتخذي من الجبال بيوتا اي الاعتزال عن الخلق والتبتل الى الله كان رسول الله صلعم يتحنث في غار حرا اسبوعا واسبوعين وشهرا ولا بد ان ينظف كما ان النحل يحترز عن النجاسات وفيها ان نحل الارواح اتخذت من جبال النفوس بيوتا ومن شجر القلوب مما يعرشون من الاسرار ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب الحكم والمواعظ مختلف الالوان من المعارف والاسرار والدقائق والحقائق فيه شفاء للقلوب الناسية القاسية عن ذكر الله والله خلقكم اخرجكم من العدم الى الوجود ثم يتوفيكم عن الوجود الحادث ومنكم من يرد الى ارذل العمر وهو مقام الفناء في الله لكيلا يعلم بعد فناء علم شيء بعد ان علم شيئا علما يقينيا ان الله عليم قدير

وَاللّٰهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلٰى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلٰى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ
وخدا افزونی داد شما را بر خلق در روزی پس نیستند آنکه افزونی داده شدند برگردانندگان روزی خود را بر آنچه مالک شده‌اند از بندگان پس ایشان و آنان در آن برابرند

أَفَبِنِعْمَةِ اللّٰهِ يَجْحَدُونَ ۝ وَاللّٰهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ
پس بنعمت خدا انکار میکنند و خدا کرد برای شما از جنس خودتان پسرها و نوادگان و روزی داد شما

مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللّٰهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ۝ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا
از پاکیزه‌ها آیا پس بباطل میگروند و بنعمت خدا ایشان کافران میشوند و میپرستند از غیر خدا آنچه مالک نمیباشد برای ایشان روزی

مِنَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ۝ فَلَا تَضْرِبُوا لِلّٰهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللّٰهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝ ضَرَبَ اللّٰهُ
از آسمان و زمین چیزی را و نتوانی ندارند پس مزنید برای خدا مثلها بدرستیکه خدا میداند و شما نمیدانید نقد خدا

مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلٰى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ
مثل بنده دیگر خریدی که او را در چیزی بر چیزی و کسیکه روزی دادیم او را از خود روزی خوب پس او انفاق میکند از او پنهان و آشکارا آیا یکسان میشوند

الْحَمْدُ لِلّٰهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝ وَضَرَبَ اللّٰهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلٰى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلٰى
ستایش مر خدا را بلکه بیشترین ایشان نمیدانند و زد خدا مثل دو مرد که یکی از ایشان گنگ است که او را در چیزی بر چیزی داد و گران است بر

مَوْلٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلٰى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝ وَلِلّٰهِ
صاحبش هر کجا که متوجه میکند او را هیچ خیری یا کیست او و کسیکه میفرماید بعدالت و او راست بر راه راست و مر خدا را

غَيْبُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللّٰهَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ وَاللّٰهُ
نهانی آسمانها و زمین و نیست فرمان قیامت مگر چون نظر انداختن چشم یا آن نزدیکتر است بدرستیکه خدا بر هر چیزی توانا است و خدا

أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ
بیرون آورد شما را از شکمهای مادرانتان که نمیدانستید چیزی را و گردانید برای شما گوش و دیدها و دلها باشد که شما شکر کنید

أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللّٰهُ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝ وَاللّٰهُ جَعَلَ
آیا ندیدند بسوی مرغان رام شده در میان آسمان نگاه میدارد ایشان را مگر خدا بدرستیکه در آن هر آینه نشانهاست برای گروهی که ایمان میآورند و خدا گردانید

لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ
برای شما از خانهای شما آرامگاه و گردانید برای شما از پوستهای شتران و گوسفندان خانها که سبک میبینید آنها را روز کوچ شما و روز مقام شما و از

أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلٰى حِينٍ ۝ وَاللّٰهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَ
پشمهای آنها و کرکهای آنها و موهای آنها پوشش و فرش و مایه کامگاری تا هنگامی و خدا گردانید برای شما از آنچه آفرید سایه‌ها و

جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ
گردانید برای شما از کوهها خانهای پنهان و گردانید برای شما پیراهنها که نگاهدارد شما را از گرما و پیراهنها که نگاهدارد شما را از آسیب شما همچنین تمام میکند نعمت خود را

عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ۝ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ۝ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللّٰهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ۝
بر شما باشد که شما منقاد شوید پس اگر روگردانند پس نیست بر تو مگر رسانیدن آشکار میشناسند نعمت خدا را پس انکار میکنند و بیشترشان کافرانند

القراءة يجحدون بناء الخطاب ابو بكر وحماد لاخوون على الغيبة من بطون امهاتكم ونحوها بكسر الطاء وفتح الميم على امهاتكم بكسرهما حمزة الباقون بضم الطاء وفتح الميم الا تعلمون واعلى الخطاب عاصم وحمزة وخلف وسهل ويعقوب ظعنكم بسكون العين عاصم وحمزة وعلي وخلف وابن عامر الباقون بفتحها الوقوف في الرزق ه لاختلاف الجملتين مع الفاء سواء ط يجحدون ه من الطيبات ط يكفرون ه للعطف لا يستطيعون ه لابتداء النهي مع فاء التعقيب لامثال ط لا يعلمون وانتم لا تعلمون ط كان بل للاعراض عن الاول لا يعلمون ه مولاه لان الجملة بعده صفة احدهما فلا يوقف على مستقيم لاتحاد الكلام والارض ط اقرب قدير ه شيئا للعطف والاقدرة للتعلق لعلكم تشكرون ه الستة ط للفصل بين الاستجبار والاخبار الا الله يؤمنون ه اقامتكم لا للوقوع جعل على اثاثا الى حين ط باسكم ط تسلمون المبين ه الكافرون ه التفسير لما بين خلق الانسان وتقلبه في اطواره انها لعبر اراد ان يذكر طرفا من ما برا حواله لعله يتذكر وقال والله فضل بعضكم على بعض في الرزق ولا ريب ان ذلك امر مقسوم من قبل القسام والا لم يكن الغافل وغي البال والعاقل ردي الحال وليس هذا التفاوت مختصا بالمال وانما هو حاصل في الحسن والفح والصحة والسقم وغير ذلك فلرب مملوك بقاد الجنائب بين يديه ولا يمكنه ركوب واحدة منها وربما اخضوت الاطمة الشهية والفواكه العطرة عنده ولا يقدر على شاول شيء منها وربما رأى انسانا كامل القوة صحيح المزاج شديد البطش ولا يجد ملاء بطنه طعاما والمفسرون ذكروا لاجله قولان احدهما ان المراد نفي ركون السعادة والنحوسة والغنى والفقر بقسمة الله تعالى وانه جعل بعض الناس مواليا وبعضهم مماليك وليس لهما لك رازقا للعبد وانما الرازق للعبد والمولى

الربع

هو الله فلا تحسبن الموالي المفضلون انهم يرزقون مما ملكتم من عندهم شيئا من الرزق انما الملك رزقهم اجرينه لهم على ايديهم وتابيهما ان المراد الرزق على من اثبت لله شريكا كالصنم او كعيسى فضرب له مثلا فقال انه لا تشوون بينكم وبين عبيدكم فيما انعمت عليكم ولا ترزقون رزقكم عليهم حتى تساووا في المطعم والملبس فالفاء في قوله فهم فيه سواء للتعليل والمعنى ان نفول بمعنى حتى اي حتى يكون عبيدهم معهم سواء في الرزق فكيف رضيتم ان تجعلوا عبيدي لي شركاء عن ابن درستويه انه سمع رسول الله ص يقول في العبيد انما هم اخوانكم فاكسوهم مما تلبسون واطعموهم مما تطعمون فاراد عبد بعد ذلك الا ورداؤه رداؤه وازاره ازاره من غير ان يتفاوت افبنعمة الله وهي انه جعلهم موالي مفضلين لا عبيدا مفضولين يجحدون او جعل عدم التسوية بينهم وبين عبيدهم من جملة محود النعم او جعل اعتقاد اهلية العبادة لغير الله كفرا بنعمة الله والجحود بمعنى الكفران فلذلك عداه بالباء قال ابو عبيدة وابو حاتم قراءة العبية وهي الكبر اولى لقرب المخرج عنه ولانه لو كان خطابا لظاهر المسلمين وانهم لا يخاطبون بجحد نعمة البتة لحالة الاخوة من احوال الانسان فواعجبا لطوله والله جعل لكم من انفسكم اي من جنسكم ازواجا ليكون الانس بهن اتم ولا ريب ان تخليق الذكور والاناث مستند الى قدرة الله وتكوينه والطبيعيون قد يذكرون له وجها قالوا ان المني اذا انصب الى الخصية اليمنى من الذكر تم انصبابه منها الى الجانب الايمن من الرحم كان المولد ذكرا وانما في الذكورة بناء على ان الذكر اسخن مزاجا وكذا الجانب الايمن وان انصب من الخصية اليسرى الى الجانب الايسر من الرحم كان المولد انثى وانما في الانوثة واذا نصب اليمنى الى الايسر كان ذكرا في طبيعة الاناث وان كان بالعكس كان بالعكس قال الامام فخر الدين الرازي هذه العلة ضعيفة فقد رايتا في النساء من كان مزاجه في غاية السخونة وفي الرجال من كان مزاجه في غاية البرودة ولقائل ان يقول الكلام في المزاج الصنفي لا في المزاج الشخصي وهذا الامام لم يفرق بينهما فاعترض باحدهما على الاخر وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة اصل الحفد الاسراع في الخدمة والفاعل حافد والجمع حفدة فقيل اراد بها في الابناء الاختان على البنات وقيل الولاد الاولاد وقيل الولاد المرأة من الزوج الاول وقيل الخدم والاعوان وقيل البنون انفسهم لانهم الجامعون بين الامرين النبوة والخدمة وقيل الاولى دخول الكل فيه ثم ذكر انعاما عليهم بالمطعوم والطيبات لان لذة المنكوح لا تضاهيه الا بعد الفراغ من لذة المطعوم او بعد الفراغ من تحصيل اسبابها او ورد من التبعيضية لان لذة كل الطيبات لا يكون الا في الجنة ثم ختم الاية بقوله افبالباطل يؤمنون فقبل الباطل هو ما اعتقدوه من منفعة الاصنام وبركتها وشفاعتها ونعمة الله ما اجريه في الايات السابقة وقيل الباطل ما زين لهم الشيطان من تحريم البحيرة والسائبة وغيرهما ونعمة الله ما احل لهم وانما قال بهما ونعمة الله هم يكفرون وفي اخر العنكبوت وبنعمة الله يكفرون لان تلك الايات اشتملت على النعمة فلم يحتج الى زيادة ضمير الغائب واما الاية فقد سبق مخاطبات كثيرة فلم يكن بد من ضمير الغائب لئلا يلتبس بالخطاب ولما عدد بعض الايات الدالة على الانفراد بالتوحيد انكر جميع اهل الشرك عليهم فقال ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا قال جار الله ان كان بمعنى المصدر نصب شيئا اي لا يملك ان يرزق شيئا وان اريد المرزوق كان شيئا كان بدلا منه بمعنى قليلا او يكون تاكيدا لا يملك شيئا من الملك من السموات والارض صلة للرزق ان كان مصدرا بمعنى لا يرزق من السموات مطرا ولا من الارض نباتا وصفة ان كان اسما لما يرزق اما الضمير في ولا يستطيعون فعائد الى ما بعد ان قيل لا يملك على اللفظ وجمع بالواو والنون بناء على زعمهم ان الاصنام الهتهم والفائدة في نفي الاستطاعة عنهم ان من لا يملك شيئا قد يكون موصوفا باستطاعة ان يملك بطريق من الطرق فبين تعالى انها لا تملك ولا تستطيع تحصيل الملك وجوز في الكشاف ان يكون الضمير للكفار اي لا يستطيع هؤلاء مع انهم احياء منصرفون فكيف بالجماد الذي لا حس له فلا تضربوا له الامثال اي لا تجعلوا فان ضارب المثل مشبه حالا بحال ووقعت بقيته وقال الزجاج لا تجعلوا لله مثلا لانه واحد لا مثل له وكانوا يقولون ان لها العالم اجل من ان يعبد دون الواحد متا فكانوا يتوسلون الى الاصنام والكواكب كما ان اصاغر الناس يتخذون اكابر حضرة الملك وادلتك لا يكادون يجدون الملك فتهوا عن غير الحقيقة والاخلاص وعلل النهي بقوله ان الله يعلم ما عليكم من العقاب في امثالكم وانتم لا تعلمون ما في عباداتها من العذاب وفيه ان القياس الذي توهموه ليس بصحيح والنص يجب تقديمه على ذلك وقيل ان الله يعلم كيف يضرب الامثال وانتم لا تعلمون ثم علم كيف يضرب فقال ضرب الله مثلا ثم ابدل من المثل قوله عبدا مملوكا لا يقدر الى قوله هل يستوون فان جميع الناس عبيد الله فلا يلزم من كونه عبدا كونه مملوكا وقوله لا يقدر على شيء ليخرج العبد المأذون والمكاتب فانهما يقدران على التصرف احتج الفقهاء بالاية على ان العبد لا يملك شيئا وان ملكه السيد لان قوله لا يقدر حكم مذكور عقيب الوصف المناسب فدل على ان العبد بإنسانيته وحدها في علة للذل والمهودية وعدم القدرة فتعم العموم وهو ان كل عبد فهو لا يقدر على التصرف وايضا قوله ومن رزقناه منا رزقا حسنا يقتضي ان لا يحصل للقسم الاول هذا الوصف فلو ملك العبد شيئا ما صدق عليه ان الله قد اتاه الرزق الحسن فلم يثبت الامتياز والاكثرون على ان عدم اقتدار العبد مخصوص بما يتعلق بالمال وعن ابن عباس انه لا يملك الطلاق ايضا قال جار الله الظاهر من قوله ومن رزقناه موصوفا كانه قيل وحر رزقناه لبطابق عبدا ولا يمتنع ان يكون موصولة وجمع قوله هل يستوون لانه اراد الاحرار والمفسرون في ضرب المثل اقوال فالاكثرون على انه اراد انا لو رضينا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء وحرا كوهبا غنيا كثير الانفاق سرا وجهرا فصريح العقل يشهد بانه لا يجوز التسوية بينهما مع استوائهما في الخلقة والصورة فكيف يجوز للعاقل ان يسوي بين الله القادر على الرزق والافضال وبين الاصنام التي لا يملك ولا يقدر البتة وقيل العبد المملوك هو الكافر المحروم عن طاعة الله وعبوديته والاخر هو المؤمن المشتغل بالتعظيم لامر الله

والشفقة على خلق الله والغرض انهما لا يستويان في الوثبة والشرف والقرب من رضوان الله وقيل العبد هو الصنم لقوله ان كل من في السموات والارض الا اتي الرحمن عبدا والثاني عابد الصنم والمراد انهما لا يستويان في القدرة والتصرف كما ان الاول جماد وهذا انسان فكيف يجوز الحكم بان الاول مساو للعالمين الحمد لشكال بن عباس اراد الحمد لله على ما انعم علينا بالتوحيد وقيل معناه كل الحمد لله وليس شيء من الحمد للاصنام لانه لا نعمة لها على احد بل اكثرهم لا يعلمون ان كل الحمد وقيل اراد قل الحمد لله والخطاب للرسول صلعم والمراد من رزقه الله رزقا حسنا ومنه بالقدرة والاختيار والتصرف من العبد لان الضعيف قبل لما ذكر مثلا مطابقا للغرض كما شفا عن المقصود قال الحمد لله اي على قوة هذه الحجة وظهور هذه البينة بل اكثرهم لا يعلمون قوتها وظهورها ثم ضرب مثلا ثانيا لنفسه ولما يفيض على عباده من النعم الدينية والدنيوية وللاصنام التي هي اموات لا تضر ولا تنفع بل يصل منها الى من يعبدها اعظم المضار اما تفسير الالفاظ فالابكم العي المفوه فلان بكم بكما وبكاما وقيل هو الابتر اللسان الذي لا يحسن الكلام وروي ثعلب عن ابن الاعرابي انه الذي لا يسمع ولا يبصر وقوله وهو كل على مولاه اصله من العلة الذي هو نقيض الحدة يقال كل السكين اذا غلظت فلم يقدر على الكلام فلان عن الكلام اذا ثقل عليه ولم ينبعث فيه وفلان كل على مولاه اي ثقيل وعيال على من يلي امره وبقوله اينما يوجهه حيثما يرسله لا يأتي بخير لم يخ في مطلبه والتوجه ان ترسل صاحبك في وجه معين من الطريق هل يستوي هو اي الموصوف بهذه الصفات المذكورة ومن يأمر الناس بالعدل وهو على نفسه على صراط مستقيم على سيرة صالحة ودين قويم عبر صرف الى طرفي الافراط والتفريط ولا شك ان الامر بالعدل يجب ان يكون عالما حتى يمكنه التمييز بين العدل والجور قادرا حتى يتأتى منه الاتيان بالخير والامر به وكلا الوصفين ينافض كونه كلا لا يقدر قال مجاهد هذا مثل لا له الخالق وعابده يعني من دونه اما الابكم فلان الصنم لا نطق له البتة ولا يقدر على شيء وهو كل على عابده لانه لا ينفق عليهم وهم ينفقون عليه والى اي وجه يوجهه الصنم لا يأتي بخير واما الذي يأمر بالعدل فهو الله سبحانه وروى الواحدي باسناده عن عكرمة عن ابن عباس قال نزلت الآية المتقدمة في هشام بن عمرو وهو الذي ينفق اليسار وجبر وهو لاه ابو الجوار الذي كان ينهاه عنه وهذه الآية نزلت في اسيد بن ابي العيص وفي عثمان بن عفان مولاه والاول ان المقصود من الآية كل عبد موصوف بالصفات المذكورة ومن الآية الثانية كل رجل جاهل عاجز وكل من هو بضد ذلك من كونه شامل العلم كامل القدرة وليس الا الله سبحانه فلذلك مدح نفسه بقوله ولله غيب السموات والارض اي يختص به علم ما غاب عن العباد فهما او اراد بغيبهما يوم القيامة لان علمه غائب عن غير الله ويؤيد هذا التفسير قوله وما امر الساعة الا كلمح البصر اللمح النظر السريع ولا بد فيه من زمان يتقلب فيه الحدقة نحو المرئي وكل زمان بل للتخيير فلذلك قال او هو اقرب وليس هذا من قبيل الغلط وانما هو كلام في غاية الصدق لان مدة ما بين الخطاب وقيام الساعة متناهية ومنها الى الابد غير متناه ولا نسبة للمتناهي الى غير المتناهي وقيل معنى امر الساعة ان امانة الاحياء والموتى كلام يكون في اقرب وقت واقله ثم اكده بقوله ان الله على كل شيء قدير ثم زاد في التأكيد بذكر حالة اخرى للانسان دالة على غاية قدرته ونهاية زلفه فقال والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا قال جار الله هو في موضع الحال اي غير عالمين شيئا من حق المنعم الذي خلقكم في البطون وسوّيكم وصوّركم ثم اخرجكم من الضيق الى السعة وقوله وجعل لكم معناه وما ركب فيكم هذه الاشياء الا لان لازالة الجهل الذي ولدتم عليه واجتلاب العلم والعمل به من شكر النعم وعبادة المنعم عطفوه والترقي الى ما يسعدكم والافئدة في فؤاد كالاعزة في غزاب هو من جموع القلة التي تستعمل في مقام الكثرة ايضا لعدم ورود غيرها وعلم الحكماء ان الانسان في مبدأ فطرته حال عن المعارف والعلوم الا انه تعالى خلق السمع والبصر والفؤاد وسائر القوى المدركة حتى اذا شعرت بالمحسوسات وكثرة ورود المحسوسات عليه حفظ تلك المعنيات وحضرت صورها في ذهنه ثم ان مجرد حضور تلك الحفايق ان كان كافيا في جزم الذهن بثبوت بعضها وانتفاء بعضها عن بعض فذاك الاحكام علوم بديهية وان لم يكن كذلك بل كانت متوقفة على علوم سابقة عليها والا عليها لا بد وان تنتهي الى البديهيات قطعا للدور والتسلسل فهي علوم كسبية وظهر ان السبب الاول لحدوث هذه المعارف في النفوس الانسانية هو ان الله تعالى خلق السمع والقوى المدركة والمصور الجزئية وعند ان النفس قبل البدن موجودة عالمة بعلوم جمة وهي التي ينبغي ان يسمى بالبديهيات وانما الابدان اعدادها عليها عند انفصالها الجنين من الام لضعف البدن واشتغالها بتدبيره حتى اذا قوي وترقى ظهرت اثارها شيئا فشيئا وقد برهنا على هذه المعاني في كتب الحكمة فالمراد بقوله لا تعلمون شيئا انه لا يظهر انه يعلم شيئا بكسب العلوم المتوقفة على التعلم وبعد هذا ان اراد ان نصرفوا كل آلة فيما خلقت لاجله وليس اولا للترتيب حتى يلزم من عطف جعل على اخرج ان يكون جعل السمع والبصر متأخرا عن الاخراج من البطون فقد مر في اول البقرة في تفسير قوله ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم انه لم وحد السمع وجمع غيره ثم ذكر دليلا اخر على كمال قدرته فقال ألم يروا الى الطير مسخرات يعني تلك الطيران بما خلق لها من الاجنحة وسائر الاسباب الموانية لذلك كوفة قوام الهواء والهائها من بسط الجناح وقبضه مسخرات في الماء وفي جو السماء اي في الهواء المباعد من الارض في سمت العلو وهو ضاف عيسى وكلامه راوما يمسكهن الا الله بقدرته او بما خلق لها من الآلات التي يتأتى لها بها التصرف عليها الطيران ومن جملة احوال الانسان قوله والله جعل لكم من بيوتكم سكنا هو ما يسكن اليه من بيت او الف وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا هي القباب الادم والاخباء التي تستخفونها اي تعدونها خفيفة الحمل في الضرب والنقض والنقل يوم ظعنكم اي سفركم في ورد من وعلا

والظعن بفتح العين وسكونها سير اهل البادية لبغية ثم استعمل في كل تنقل لسفر او يوم اقامتكم لا يثقل عليكم حفظها وعقلها من مكان ويمكن ان يكون
يوم ظعنكم حفظ اي يوم ترحلون خف عليكم حملها وثقلها ويوم تنزلون وتقيمون في مكان لا يثقل عليكم ضربها ومن اصوافها وهي للضان و
اوبارها وهي للمعز اثاثا دهو متاع البيت قال الفراء لا واحد له وقال ابو عبيدة الاثاث المال اجمع الابل والغنم والعبيد والمتاع الواحدة
اثاثة قال ابن عباس اثاثا اي طرائف بسطا وثيابا وكسوة وقال الخليل اصله من اث البنات والشعر يئث اذا كثر فعلى انه لما عطف قوله و
متاعا على اثاثا فوجب ان يغايرا فما الفرق واجيب بان الاثاث ما يكتسى به المرء ويستعمل من الغطاء والوطاء والمتاع ما يفرش في المنازل وبه
يرفق لا يبعد ان يراد بالاثاث والمتاع ما هو الجامع بين الوصفين كونه اثاثا وكونه متاعا يتمتع به الى حين اي الى ان تقضوا اوطارکم منه او الى
ان يبلى وتفنى والى الموت ولما الغيبة ثم ان المسافر قد لا يكون له حمام وانيسة يستظل بها الفقراء لعارض او لحاجة الى ان يستظل بشجر او جدار
او غمام ونحوها فلذلك قال والله جعل لكم مما خلق ظلالا او قد يحتاج المسافر الى حصن يأوي اليه او نزوله والى ما يدفع به عن نفسه فان الحر و
البرد وسائر المكاره وكذا المقيم فلذلك من بقوله وجعل لكم من الجبال اكنانا هو جمع كن وهو ما يستكن به ويتوقى بسببه الامطار كالبيوت المنحوتة
في الجبال وكالغيران والكهوف وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وهي القمصان والثياب من الصوف والقطن والكتان وغيرها وانما لم يذكر
البرد لان الوقاية من الحر اهم عندهم لغلبة الحرارة في بلادهم على ان ذكر احد الضدين يغني في الاغلب عن ذكر الاخر لتلازمهما في الخطور بالبال
غالبا بشهادة الوجدان قال الزجاج كل ما لبسته فهو سربال فعلى هذا يشمل الزغبي والكتف والسادج والخشن من الثياب وسرابيل تقيكم باسكم كالدروع
والجواشن كذلك يتم نعمته اي مثل ما خلق هذه الاشياء لكم وانعم بها وانعم عليكم فانه يتم نعم الدين والدنيا لعلكم تسلمون قال ابن عباس لعلكم
يا اهل مكة تخلصون لله الربوبية وتعلمون انه لا يقدر على هذه الانعام سواه وعنه تنقرفون بفتح التاء والالف من الاسلام اي تسلم قلوبكم من الشرك
او تشكرون فتسلمون من العذاب وقيل تسلمون من الجرح يلبس الدروع فان تولوا فقد تمهد عذرك انما عليك البلاغ المبين وليس البلاغ
المحدث ثم ذمهم بانهم يعرفون نعمة الله التي عددناها حيث يعترفون بها وبانها من عند الله ثم ينكرونها بعبادة غيره من انعم بها وبقولهم هي
لله ولكنها بشفاعة الهتنا ومعتقدهم بتعبيد ربنة الانكار عن العرفان وقيل انكارها قولهم ورثناها من ابائنا او وصل الينا بخت ينصر فلان او انهم
لا يستعملونها في طلب رضوان الله وقيل يعرفون نبوة محمد ص كما تعرف ابناءهم ثم ينكرون نبوته عنادا وانما قال واكثرهم الكافرون لانه استعمل
الاكثر مقام الكل او اراد بالبالغين العقلاء منهم دون الاطفال والمجانين او اراد كفر الجحود ولم يكن كفر كلهم كذلك بل كان فيهم من كفر للجهل بصدق
الرسول لانهم لم يفهم الحجة عليه بعد هذا ما قاله المفرقون قلت يحتمل ان يراد بالكافرين المصرون الثابتون على كفرهم وقد علم الله ان في مطلق
الكفرة من يؤمن فلهذا استثناهم والله تعالى اعلم ثم اعلم ان تباين فضل الارواح على القلوب في رزق المكاشفات والمشاهدات بعد الفناء و
الوصال البقاء وفضل القلوب على النفوس في رزق الزهد والورع والتقوى والصدق واليقين والايمان والتوكل والتسليم والرضا وفضل
النفوس على الابدان في رزق التزكية والتخلية وفضل ابدان المؤمنين على ابدان الكافرين بحمل اعباء الشريعة فالارواح بواد والقلوب بواد
والنفوس بواد والابدان بواد والقلوب على النفوس والنفوس على الابدان افبنعمة الله التي انعم بها علي اولبانه تجحدون يا منكري هذا الحديث والله
جعل لكم من انفسكم ازواجا يعني ازدواج الارواح والاشباح وجعل لكم من ازواجكم بنين وهم القلوب وحفدة وهم النفوس انبا لباطل
وهو الزخارف والوساوس بنعمة الله التي انعم بها على ارباب القلوب يكفرون ويعبدون من دون الله كالدنيا والهوى والامال
لهم رزقا من السموات القلوب ارض النفوس شيئا من الكمالات التي اودع الله فيهن ولا يستطيعون استخراجها بعبادة
غير الله فلا تضربوا لله الامثال بان تزيدوا ان تصلوا الى المقاصد بغير طريق الله ضرب الله مثلا عبدا مملوكا للهوى والدنيا ومن رزقنا
ولاية كاملة يتصرف بها في بواطن المستعدين وظواهرهم بل اكثرهم لا يعلمون اولياء الله لانهم تحت قباب الله لا يعرفهم غيره احدها ابكم هو
النفس الحيوانية التي لا يقدر على شيء من العلم والعقل والايمان وهو ثقل على مولى الروح المسمى بالنفس الناطقة لانها مادة بالشر
وليله عجيب سموات الارواح والارض النفوس لا يقف على خاصيتها غيره ولو وكل كلا منها الى طبعها لم يرجع الى ربها ورجوعها يكون بالاماتة
والاحياء وبينها عن وصافها وبحيها بصفاته وهو المراد بامر الساعة لان الامانة يتجلى صفات الجلال والاحياء يتجلى صفات الجمال واذا تجلى الله عبدا
لم يبق له زمان ولا مكان فلذلك قال او هو اقرب وح يكون فانيا عن وجوده باقيا ببقائه والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون
شيئا من امور الدنيا والاخرة ولا مما كانت ارواحكم تعلمه في عالم الارواح ولا مما كانت تعلمه ذراتكم من فهم خطاب الست بربكم وجواب بلى
وجعل لاجلكم السمع والابصار والافئدة كالحيوانات ولارواحكم كالملائكة ولاسراركم سمعا يسمع به من الله وبصرا يبصر به سر الله وفؤادا يعرف
به الله وبوجه اخر والله اخرجكم من بطون امهاتكم وهو الام الجهنمي لا تعلمون شيئا قبل ان يعلمكم الله سبحانه اسماء كل شيء فتجلى لكم بربوبيته فنور سمعه
اعطاكم سمعا تسمعون به خطاب الست بربكم ونور بصره اعطاكم ابصارا تبصرون به جماله ونور علمه اعطاكم فؤادا تعرفون به كماله ونور كلامه
اعطاكم لسانا تجيبونه بقولكم بلى لعلكم تشكرون فلا تسمعون بهذا السمع الا كلاما ولا تبصرون بهذا البصر الا جمالا ولا تخبرون بهذا الفؤاد الا انه
ولا تكلمون بهذا الكلام الا معبرا الى طير الارواح سجان الذي جعل سماء القلوب مسكنا في مثل الاحشاء الا الله يحكم لذلك قال والله جعل

النحل ١٦

لكم من جلود الانعام التي هي احسار اشتركت فيها سائر الحيوانات بيوتا فتخف ارواحكم اياها وهي النفوس الحيوانية وقواها وقت السير الى الله والنقلة للاستراحة والمرتبة ومن اصوافها الصفات الحيوانية والحواس والقوى اثاثا الآلات للسير وما يتمتع بها الى حين الوصول والوصال والله جعل لكم مما خلق ظلالا اي جعل عالم الخلق ظل عالم الامر يستظل بها الارواح بعد طلوع شمس التجلي والا لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره وجعل لكم من جبال الفلوب اكنانا يعني بها الارواح وجعل لكم سرابيل من الصفات البشرية تقيكم حرارة المحبة وسرابيل من الصفات الروحانية تقيكم بأسكم الوسارس الحواس كذلك يحفظكم من الافات دينكم بالكرامات حتى يتم نعمته الوصول عليكم ولعلكم من قطع الطريق تسلمون يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون الكافرون بنعمة الله انهارها الله اعلم ويوم نبعث من كل امة شهيدا ثم لا يؤذن للذين كفروا ولا هم يستعتبون

و روز بكه برانگيزيم از هر امتي گواه آنگه كافر شده اند و نرنجانند ايشان را تا عتبي كنند و صحبت دارند

واذا رأى الذين ظلموا العذاب فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون واذا رأى الذين اشركوا شركاءهم قالوا

و چون ببينند ناگه عذاب را پس سبك كرده نشود از ايشان و نه ايشان را مهلت داده شود و چون ببينند آنكه شريك آورده اند با خدا گويند

ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك فألقوا اليهم القول انكم لكاذبون والقوا الى الله

پروردگارا اينها شريكان ما اند كه بوديم مي خوانديم از غير تو پس بيندازند بديشان گفتار را بدرستي كه شما دروغ زنيد و بيندازند بخدا

يومئذ السلم وضل عنهم ما كانوا يفترون الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب

آن روز تسليم را و گم شد از ايشان آنچه بودند دروغ مي بستند آنانكه كافر شدند و باز داشتند

بما كانوا يفسدون ويوم نبعث في كل امة شهيدا عليهم من انفسهم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء

بسبب آنكه مي فساد كردند و روز كه برانگيزيم در هر امتي گواهي بر ايشان از خودشان و آوريم ترا گواه بر

ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ان الله يأمر بالعدل

و فرستاديم بر تو كتاب را بيان كننده هر چيز و راه نمايي و رحمتي و بشارتي مسلمانان را بدرستيكه خدا مي فرمايد به عدالت

والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون واوفوا بعهد الله

و نيكوكاري و بعطا كردن بصاحب قرابت و منع ميكند از كار زشت و ناپسند و پند ميدهد شما را باندكه پند گيريد و وفا كنيد بعهد خدا

اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ان الله يعلم ما تفعلون

چون عهد كرديد و مشكنيد سوگندها را بعد از استوار كردن آنها و بگيريد كرديد خدا را بر شما گواه بدرستيكه خدا ميداند آنچه ميكنيد

ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا تتخذون ايمانكم دخلا بينكم ان تكون امة هي ازكى

و مباشيد چون زني كه كرد تابيده رشته اش را از بعد محكم كردن پاره پاره مي گرداند آنرا مفتله ميكنيد سوگندهاي خود را ميان خود بسبب

من امة انما يبلوكم الله به وليبينن لكم يوم القيمة ما كنتم فيه تختلفون ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة

آنكه گروهي از گروهي بيشتر است همانا مي آزمايد شما را خدا بدان و هر آينه بيان خواهد كرد براي شما روز قيامت آنچه در آن اختلاف ميكرديد و اگر خواستي خدا هر آينه گردانيدي شما را

ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء ولتسئلن عما كنتم تعملون ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم فتزل قدم بعد

و ليكن گمراه ميكند هر كه را ميخواهد و راه مينمايد هر كه را ميخواهد و هر آينه پرسيده شويد از آنچه بوديد ميكرديد و مگيريد سوگندهاي خود را

ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا

پس بلغزد قدمي بعد از ثابت بودن آن و بچشيد بدي را بسبب آنكه باز داشتيد از راه خدا و مر شما راست عذاب بزرگ و عوض مگيريد بپيمان خدا

انما عند الله هو خير لكم ان كنتم تعلمون ما عندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا

بدرستيكه آنچه نزد خداست بهتر شما را اگر شما بدانيد آنچه نزد شماست بپايان ميرسد و آنچه نزد خداست باقي است و هر آينه جزا دهيم

اجرهم باحسن ما كانوا يعملون من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم اجرهم باحسن

صبر كنندگان را مزدشان بهتر آنچه بودند مي كردند هر كه كار شايسته كند از مرد يا زن و او

ما كانوا يعملون فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم انه ليس له سلطان على الذين امنوا

مؤمن هر آينه زنده گردانيم او را زندگاني پاكيزه و هر آينه جزا دهيم ايشان را مزدشان بهتر آنچه بودند مي كردند

وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون

پس چون خواني قرآن را پس پناه جوي بخدا از شيطان رانده شده بدرستيكه نيست مر او را تسلطي بر آنانكه گرويدند و بر پروردگار خود توكل ميكنند بدرستيكه تسلط او بر آنانكه دوست ميدارند او را و آنانكه هستند بسبب او مشركان

القراءة والتجزية بالتاء ابن كثير وعاصم وحماد والنقاش عن ابن ذكوان الآخرون بالنون فراءات القرآن مثل انشانا الوقوف يستعتبون ٥ ولا هم ينظرون ٥ من دونك ٥ لاختلاف الجملتين مع التاء لكاذبون ٥ للعطف مع اتراسا ينتفرون ٥ يفسدون ٥ على هؤلاء ٥ الواو لاستيناف المسلمين ٥ والبغي ٥ لاحتمال ابعد

الجزء الرابع عشر

الحال والاستيناف فتكون ثم كفيلا لا تفعلون وانكانا ما بنا على ان التقدير اتتخذون من اتخذ به ط يختلفون به وهكذا من يشاء ط يعلمون عن سبيل الله لانقطاع القلم مع اتصال المنع عظيم فليلا ط يعلمون باقي يعلمون ط تبتغونها بالعدول عن الوحدان الى الجمع مع انهما ضميرا من يعلمون ان ثم يكونوا مشركين والتفسير ما بين من حال القوم انهم عرفوا نعمة الله ثم انكروها وان اكثرهم كافرون ابعد اصناف وعبد بوح الفهم والتقدير واذكر يوم نبعث من كل امة شهيدا او يوم وقوعها فيما وقوعها فيه وشهيدها وعليهم بالايمان والتصديق والكفر والتكذيب ثم لا يؤذن للذين كفروا اي في الاعتذار لانجدلهم ولا عذر او في كثرة الكلام او في الرجوع الى دار الدنيا والى التكليف ليظهر طمعهم كونهم ايسين من رحمة الله تعالى او المراد ان يسكت اهل الجمع كلهم حتى يشهد شهودهم لانهم يستعتبون لان العتاب انما يطلب لاجل العود الى الرضا فاذا كان على عزم السخط فلا فائدة في العتاب فلما قيل شعر اذا ذهب العتاب فليس ود ويبقى الود ما بقي العتاب ؛ وقال في الكشاف اي لا يقبل لهم اعتذار ولا هم يستعتبون لان الآخرة ليست بدار عمل ومعنى ثم ان المنع من الكلام اصعب شهادة الانبياء عليهم واذا رأى الذين ظلموا وهم المشركون العذاب لعبدتهم ثقل عليهم فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون ينتبهوا فان النوبة هنالك غير موجودة او غير مقبولة وفيه ان عذابهم خالص عن النفع دائم كما يقول المتكلمون واذا رأى الذين اشركوا شركاءهم وهي الاصنام او الشياطين الذين دعوا الكفار الى الكفر وكانوا قرناءهم في النار قال الحسن قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك عبدهم من دون الله ابو مسلم الاصح مقصور المشركين احالتهم الذنب على تلك الاصنام ظنا منهم ان ذلك يجيبهم من عذاب الله او ينقص منهم منه وزيفه القاضي بان الكفار يعلمون في الآخرة علما ضروريا ان العذاب ينزل بهم ولا نصرة ولا شفاعة في الفائدة في هذا القول والانصاف انا لغرابتي بتعلق بكل واحد بهوت فد يقول ما لا فائدة فيه على ان العلم الضروري الذي ادعاه القاضي ممنوع وقيل ان المشركين يقولون هذا الكلام تجاه حصول تلك الاصنام مع انه لا ذنب لها واعترافا بانهم كانوا خاطئين في عبادتها فالقوا اليهم القول اي قال الاصنام او الشياطين للكفار انكم لكاذبون فان قيل ان المشركين اشاروا الى الاصنام ان هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك وقد كانوا صادقين في ذلك فكيف كذبتهم الاصنام فالجواب ان المراد من قولهم هؤلاء شركاؤنا هؤلاء شركاء الله تعالى المعبودة فكذبتهم الاصنام في اثبات هذه الشركة وفي قولهم انها تستحق العبادة قال جار الله ان اراد بالشركاء الشياطين جاز ان يلقوا كاذبين في قولهم انكم لكاذبون كما يقول الشيطان اني كفرت بما اشركتمون من قبل والقوا الى الله يومئذ السلم عن الكلبي استسلم العابد والمعبود وقرأ لله هنا وبيده وبابله من الشركاء والاندادوقال اخرون الضمير للذين ظلموا والقاء السلم الاستسلام لامر الله بعد الاباء والذين اباؤا وضل عنهم غاب عنهم فلا يرونه ولا ينفعونه من ان شرك الله او ان الحق عنهم حين كذبوهم وبرئوا منهم الذين كفروا وصدوا عن قيل معناه الصد عن المسجد الحرام او ازدناهم العموم زدناهم عذابا لاجل الاضلال فوق العذاب الذي استحقوه للضلال وايضا عذاب الاستنان من سن سنة سيئة فله وزرها ومن عمل بها ومن المفسرين من فصل ذلك الزيادة فعن ابن عباس هي خمسة انهار من نار تسيل من تحت العرش بعدد بون بها ثلثة على مقدار الليل واثنان على مقدار النهار وقيل حيات امثال البخت وعقارب اشباه البغال انيابها كالنخل الطوال تلسع احداهن اللسعة فيجد صاحبها حمتها اربعين خريفا وقيل يخرجون من النار الى الزمهرير فيبادرون من شدة برده الى النار ثم علل زيادة عذابهم بكونهم مضلين اموال الناس بالعدوان والاحتيال فيعلم منه ان من عالج الدين القويم بالبدع واللسان فانه يزيده الله تعالى اجرا على اجرهم اعاد حكاية بعث الشهداء لما ينط بها من زيادة فائدة بين احدهما كون الشهداء من انفسهم لان كل نبي فهو من جنس امته والاخرى ان الشهيد يكون شاهدا في الامة لا مشاركا فيها وفسر لا قسم الشهيد في هذه الآية بانه تعالى ينطق عشرة من اعضاء الانسان حتى يشهد عليه وهي الاذنان والعينان واليدان والرجلان والبدن والجلد اللتان وهذا ذكر لفظة ووصف الشهيد بكونه من انفسهم ثم شرف نبينا صلعم بقوله وجئنا بك شهيدا على هؤلاء اي على امتك لا ريب في تخصيصه بعد التعميم لانه على فضله ينظر قوله في سورة النساء فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا قال الامام فخر الدين الرازي الامر عبارة عن القرن والجماعة فيعلم من الآية انه لا بد في كل عصر من اقوام يقوم الحجة بقولهم ويكونون شهداء على غيرهم وهم اهل الحل والعقد فيكون اجماعهم حجة ولقائل ان يقول الامر في الآية هي الجماعة الذين بعث النبي اليهم والى من سيوجد منهم الى اخر زمان دينه فيكون نبي تلك الامة وحده شهيدا عليهم ولا دلالة للآية على هذا القيد فمن اين حصل لك ان اجماع اهل الحل والعقد في كل عصر حجة ثم بين انه اراح عليهم فيما كلفوا به فلا حجة لهم ولا معذرة فقال ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء اي بيانا له والتاء للمبالغة ونظيره من المصادر التلقاء والتبيان ما يتبين به الشيء وقد مر في الاعراف قال الفقهاء انما كان القرآن تبيانا لجميع الاحكام المستنبطة من السنة والاجماع والقياس لان اجتهاد كلها يستند الى الكتاب حيث امر فيه باتباع رسول الله وطاعته وورد فيه ومن يتبع غير سبيل المؤمنين وما نهى عنه واوعد عليه وقال اخرون ان علم اصول الدين كلها في القرآن واما علم الفروع فالاصل براءة الذمة الا ما ورد به نص القرآن فاذن القرآن وان بين جميع الاحكام والقياس ضائع ولعل التبيان انما هو للعلماء خاصة والهدى لجميع الخلق اذ الحوالهم والرحمة في بسطها وهو مدة العمر بعد الاسلام والبشرى في الآجل كما قال سبحانه ان الذين قالوا ربنا الله الآية وقوله والبشرى والله اعلم بمراده وقد ذكر ان في القرآن تبيان كل شيء ذكر عبيد بن جابر ان جامعة لاصول التكاليف كلها تعبدنا بقوله ان الله يأمر بالعدل عن ابن عباس ان عثمان

النحل

ابن مظعون الجمحي فقال ما اسلمت ولا الاحبان رسول الله صلعم ولم ينفر الاسلام في قلبي فحضرت ذات يوم فيما هو يحدث اذ رايت بصره شخص الى السماء ثم خفضه عن يمينه ثم عاد لمثل ذلك فسئلته فقال بينا انا اصلي ذلك اذ اجبريل عليه السلام نزل عن يميني فقال يا محمد ان الله يامرك بالعدل الاية فقر عثمان فمن ثمة استقر الايمان في قلبي واحببت محمدا صلعم وعن ابن مسعود هي اجمع اية في القران وعن قتادة ليس من خلق حسن كان في الجاهلية يعمل به ويستحسن الا امر الله تعالى به في هذه الاية وليس من خلق سيئ الا وقد نهى الله تعالى عنه فيها قال المفسرون العدل هو الاداء الفرايض وعن ابن عباس هو قول لا اله الا الله والاحسان هو الاتيان بالمندوبات والمستحسنات شرعا وعرفا وايتاء ذي القربى صلة الرحم بالمال فلذلك افردها بالذكر بقوله وايتاء ذي القربى الفحشاء هي الامور والمتزايدة في القبح فلذلك افردها بالذكر وهي الكبائر وقد تخص بالزنا او بالبخل والمنكر ما انكره العقول ولا يعرف في شريعة ولا سنة والبغي هو الاستطالة قال جار الله حين استفتح من الخطب لعنة الملاعين على امير المؤمنين علي ع وعلى نبينا الصلوة والسلام افتتح هذه الاية مقامها واعلم ان العدل عبارة عن الامر المتوسط بين طرفي الافراط والتفريط واتى بالعناية في جميع الاشياء ولنذكر له امثلة اما في الاعتقادات فالقول بنفي الاله تعطيل محض واثبات اكثر من اله واحد تشريك وتعجيز والعدل هو قول لا اله الا الله كما نقل عن ابن عباس هذا ما اتفق عليه ارباب المذاهب ثم ان الاشعري يقول القول بنفي الصفات عنه سبحانه تعطيل والقول باثبات المكان والاعضاء تشبيه والعدل اثبات صفات الكمال من الحي والعلم والقدرة والارادة والكراهة والسمع والبصر والكلام ونفي غيرها وبوجه اخر نفي الصفات تعطيل واثبات الصفات الحادثة تشبيه والعدل اثبات صفات ازلية قديمة غير متغيرة وايضا القول بان العبد لا قدرة له اصلا جبر محض والقول بانه مستقل في التصرف قدر محض وتفويض والعدل امر بين الامرين وهو ان العبد يفعل الافعال ولكن بواسطة قدرة وداعية يخلقها الله تعالى فيه وايضا القول بان الله لا يؤاخذ عبده بشيء من الذنوب مساهلة عظيمة والقول بانه يخلد في النار عبده العارف به بالمعصية الواحدة تشديد عظيم والعدل انه يخرج من النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من الايمان والمعتزلي يقول العدل في هذه الاصول نوع اخر وقد مر ذكره واما عناية العدل فيما يتعلق بافعال الجوارح فان قوما من نفاة التكليف يقولون لا يجب على العبد الاشتغال بشيء من الطاعات ولا الاحتراز عن شيء من المعاصي وقال قوم من المتصوفة ان الواجب على الانسان ان يجتنب عن كل الطيبات ويبالغ في تعذيب نفسه وان يحترز عن كل ما يميل اليه الطبع حتى التزوج والاولى بالمرء ان يختص هذان الطريقان مذمومان والوسط هو ما جاء به محمد صلعم لان التشديد غالب في دين موسى فليس شرعه على القاتل الا القصاص وبحرم مخالطة الحائض والتساهل في دين عيسى غالب فلا قصاص على القاتل الا تعزيرا ولا يحرم وطي الحائض والعدل ما يحكم به شرعنا من جواز العفو واخذ الدية وحرم وطي الحايض دون مخالطتها ولذلك قال وكذلك جعلناكم امة وسطا وقال والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ولما بالغ رسول الله صلعم في العبادات قيل له طه ما انزلنا عليك القران لتشقى ولما اخذ قوم في المساهلة نزل افحسبتم انما خلقناكم عبثا والمراد بالعبث الوسط في كل الامور وقد ورد في شرعنا النهي عن الخصاء قال بعض العقلاء والحكمة فيه ان رباط ذلك العضو جسم شديد الحس فاذا قطعت تلك الجلدة بقي راس ذلك العضو بارزا فيصلب بكثرة ملاقاة الثياب وغيرها فيضعف حسه ويقل شعوره فيقل لذة الوقاع فيقل الرغبة فيه فالانتضاء وقطع الالات كما ذهب اليه المانوية مذموم وايضا تلك الجلدة مما اعتبر في تقوية تلك اللذة مذموم والوسط العدل هو الختان بعد البلوغ للعبد هو التظيف وسهولة غسل الخشفة والا فلعل اللذة بعد الختان اكثر لملاقاة الحاس المحسوس للحائل ومن الكلمات المشهورة قولهم بالعدل قامت السموات والارضون ومعناه ان مفاد هذين العنصرين لو لم يكن معادلة مكافية بحسب الكمية والكيفية لاستولى الغالب على المغلوب وينقلب الطبايع كلها الى الطبيعة الجرم الغالب لو كان بعد الشمس من الارض اقل مما هو الان لاحترق كل ما في هذا العالم وان كان اكثر استولى البرد والجمود وكذا القول في مقادير حركات الكواكب مراتب سرعتها وابطائها فان كلا منها مقدرة على ما يليق بنظام العالم وقوامه وفيما ذكرنا اشارة مختصرة الى تحقيق العدل واما الاحسان فهو المبالغة في ادا الطاعات بحسب الكمية وبحسب الكيفية ومن ههنا قال الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فكان المبالغ المخلص في ادا الطاعات يوصل الفعل الحسن الى نفسه بالحقيقة يدخل في الاحسان انواع التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله واشرف انواع الاشفاق صلة الرحم بالمال فلاجرم افرد بالذكر كما مر ثم انه تعالى اودع في النفس البشرية قوى اربعا الشهوية البهيمية والغضبية السبعية والوهمية الشيطانية والعقلية الملكية وهذه الاخيرة لا يحتاج الى التهذيب لان منابع الارواح القدسية واما الثلاث الاول فيحتاج الى التاديب والتهذيب بمقتضى الشريعة فالامر بالعدل اشارة الى التعريف والنهي عن الفحشاء عبارة عن المنع من تحصيل اللذات الشهوية الخارجة عن اذن الشريعة والنهي عن المنكر عبارة عن الافراط الحاصل في اثار القوة الغضبية من ايذا الناس وايصال الشر اليهم من غير ما استحقاق والنهي عن البغي اشارة الى المنع من افراط القوة الوهمية كالاستعلا على الناس والترفع وحب الرياسة والتقدم ممن ليسوا هلا لذلك واخص هذه المراتب عند العقلاء القوة الشهوانية واوسطها الغضبية واعلاها الوهمية فلهذا بدا سبحانه بالفحشاء ثم بالمنكر ثم بالبغي ولان اصول الاخلاق التي الكتاب كلها مذكورة في الاية لاجرم ختمها بقوله بعظكم لعلكم تذكرون لانها كافية في باب الموعظة والتذكر والارتقاء من حضيض عالم البشرية الى ذروة عالم الارواح المقدسة قال الكعبي في الاية دلالة على ان الله تعالى لا يخلق الجور والفحشاء والا فكيف ينهاهم عما يخلقها فيهم وعورض بالعلم والداعي كما مر مرارا واعلم انه لا يلزم

هذا ما قال الشارحان

من اراد بما لله تذكر العبد والتذكر من فعل الله بالانقاد لامر فعل العبد ان يطلب الله تعالى والتذكر كان طلب اليمين في وسعه محال فعنى لعلكم تذكرون ارادة من تكونوا على حالة التذكر لا ارادة ان تحصلوا التذكر ثم خص من جملة المأمورات الوفاء بالعهد فقال واوفوا بعهد الله خصصه جار الله بالبيعة لرسول الله ص لقوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وقال الاصم المراد منه جميع ما فرض الله في الاموال من حق الشرع وقيل هو اليمين بالاجماع العموم وهو كل عهد يلزم الانسان باختياره بدليل قوله اذا عاهدتم وقول من قال العهد هو اليمين يلزم منه ان يكون قوله سبحانه ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها اعاد بعد توثيقها باسم الله تكرارا اذ كل واحد منهما يمين فصيحان قال الزجاج الاصل الواو والطمزة بدل من الا بدليل ان على الفرق بين الايمان المؤكدة وبين لغو اليمين كقولهم لا والله وبلى والله وايضا الا بين من العموما الذي دخله التخصيص لما روى انه ص قال من حلف على يمين ورأى غيرها خيرا منها فليأت الذي هو خير ثم ليكفر وقد مر بحث الايمان في البقرة وفي المائدة في قوله لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم الآية وقد جعلتم الله عليكم كفيلا اي شاهدا ورقيبا لان الكفيل مراع لحال المكفول بر ان الله يعلم ما تفعلون فيجازيكم بحسب الخير والشر وفيه ترغيب وترهيب ثم اكد وجوب الوفاء وتحريم النقض بقوله ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها اي من بعد قوة الغزل بامرارها وفتلها قال الزجاج انتصب نكاثا على المصدر كان معنى نقضت نكثت وذهبت بان انكاثا اسم مصدر وانما هو جمع نكث بكسر النون وهو ما ينكث فتله وقال الواحدي هو مفعول ثان كما يقول كسوته ثوبا وقطعا وفرقا جزاء اي جعلها قطعا واجزاء كذا ههنا اي جعلتم عزلها انكاثا قلت يحتمل ان يكون حالا مؤكدة قال ابن قتيبة هذا الآية متصلة بما قبلها والتقدير واوفوا بعهد الله ولا تنقضوا الايمان فانكم ان فعلتم ذلك كنتم مثل امرأة غزلت غزلا واحكمته ثم جعلته انكاثا فعلى هذا المشبه امرأة غير معينة ولا حاجة بنا الى التشبيه الى ان يكون المشبه به موجودا في الخارج وقيل المراد امرأة معينة من قريش ريطة بنت سعد بن تيم كانت خرقاء تغزل هي وجواريها طول النهار ثم تنام هي فينقضن طاقات غزلهن قال جار الله تتخذون حال ودخلا مفعول ثان لا تتخذوا اي لا تنقضوا ايمانكم متخذين بها دخلا بينكم اي مفسدة ودغلا وقال الواحدي اي غشا وخيانة وقال الجوهري اي مكرا وخديعة وقال غيره الدخل ما ادخل في الشيء على فساد وقوله ان يكون امة هكذا يكون امة يعني جماعة قريش هي اربى اي اذيد واوفر عددا وما الامة هي جماعة المؤمنين قال مجاهد كانوا اذا حالفوا الحلفاء ثم يجدون من هو اكثر منهم واشرف فينقضون حلف الاولين ويحالفون الذين هم اعز واوسع منعا منهما يبلوكم الله بما يامركم به وينهاكم عنه وقد تقدم ذكر الامر والنهي وقال جار الله الضمير لقوله ان يكون لا ترجع معنى المصدر اي يختبركم بكونهم اربى لينظر انتمتكون بحمل الوفاء مع قلة المؤمنين وفقرهم ام تغدرون بكثرة قريش وثروتهم ثم حذرهم من مخالفة الاسلام وانذرهم بقوله وليبينن لكم يوم القيمة باظهار الدرجات والكرامات للاولياء وبغير الدركات والبليات للاشقياء ما كنتم فيه تختلفون حيث تدعون انكم على الحق والمؤمنون على الباطل فينقضون عهودهم ثم بين انه سبحانه قادر على ان يجمع المؤمنين والكافرين على الوفاء وسائر ابواب الايمان ولكنه يحكم الالهية يضل من يشاء ويهدي من يشاء والمعتزلة حملوا المشيئة على مشيئة الالجاء بدليل قوله ولتسئلن عما كنتم تعملون ولو كانت اعمال العباد بخلق الله تعالى لكان سؤالهم عبثا جوابه الاشاعرة بانه لا يسئل عما يفعل وروى الواحدي ان عمر قال يا رب خلقت الخلق فتضل من تشاء وتهدي من تشاء فقال يا عمر اعرض عن هذا فاعاده ثانيا فقال اعرض عن هذا والاحوط اسمك عن النبوة فقال المفسرون لما نهاهم عن نقض مطلق الايمان اراد ان ينهاهم عن نقض ايمان مخصوص افهموا عليها وهو نقض بيعة رسول الله ص والدليل على هذا التخصيص قوله فتزل قدم بعد ثبوتها لان هذا الوعيد لا يليق بنقض عهد غير النبي ص قال جار الله وحد القدم ونكر لاستعظام ان تزل قدم واحدة عن طريق الحق بعد ان ثبت عليه فكيف اقدام كثيرة وهذا مثل يضرب لمن وقع في بلاء بعد عافية ولا ريب ان من نقض عهد الاسلام وزلت قدمه عن محجة الدين القويم فقد سقط من درجات العالية الى الدركات الهاوية بيانه قوله وتذوقوا السوء الذي بما صددتم بصدكم او بصدكم غيركم عن سبيل الله لان المرتد قد يقتدي به غيره ولكم عذاب عظيم في الآخرة ويحتمل ان يراد ان ذلك السوء الذي تذوقونه هو عذاب عظيم قال جار الله كان قوم اسلموا بمكة ثم زين لهم الشيطان نقض البيعة لكونهم مستضعفين هناك فاوعدهم الله على ذلك ثم نهاهم عن الميل لما كان بعدهم من قريش من عرض الدنيا ان رجعوا عن الاسلام فقال ولا تشتروا الآية ثم ذكر دليلا قاطعا على ان ما عند الله خير فقال ما عندكم ينفد وما عند الله من خزائن رحمته باق وفيه دليل على ان نعيم الجنة باق لاهلها لا ينقطع وقال مجاهد صفوان انه منقطع والآية حجة عليه ولنجزين الذين صبروا على ما التزموه من شرائع الاسلام اجرهم باحسن ما كانوا يعملون اي بالواجبات والمندوبات لا بالمباحات فانه لا ثواب على فعلها ولا عقاب بتركها بحزاء اشرف وافضل من عملهم كقوله من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ثم عم الوعد على اي عمل صالح كان فقال من عمل صالحا كائنا ما كان ولا كلام في عمومه الا ان زاد فوله من ذكر او انثى تاكيدا وازالة لوهم التخصيص والمبالغة في تقرير الوعد من اعظم دلائل الكرم ثم جعل الايمان شرطا في كون العمل الصالح منجيا للثواب حيث قال وهو مؤمن فاستدل به على ان لا ايمان معتبر للعمل الصالح فان شرط الشيء ما اختلف الحيوة الطيبة فقيل هي القناعة وقيل هي الجنة عن الحسن سعادة جبر فيها وقيل هي الرزق الحلال وقيل هي ما يتلذذ به من مشقة وادناه ومكروه لقوله تعالى يا ايها الانسان انك

كادح الى ربك كدحا فملاقيه بين ان هذا الكدح وهو التعب في العمل باق الى ان يصل الى ربه وما بعد ذلك نجوه بلا موت وغنى بلا فقر وصحة بلا مرض وملك بلا زوال وسعادة بلا انتقال وقال السدي ان هذه الجنة الفردوس الاكثرون على انها في الدنيا لقوله بعد ذلك ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون وعلى هذا فاطيب الجنة قيل هو الرزق الحلال وقيل عبادة الله مع الاكل الحلال وقيل القناعة او رزق يوم بيوم كان النبي صلعم يدعو اللهم اجعل رزق آل محمد كفافا قال المحققون وهذا هو المختار لان المؤمن الذي صلح عمله ان كان موسرا فان كان معسرا فعنه من الشوق والعقد والرضا بالقضاء ما يطيب عيشه واما الكافر والفاجر فان الحرص لا يدعه ان يتهنا بعيشه ابدا ويعظم اسفه على ما يفوته لانه عاشق الدنيا معانقها والعاشق يعشق فرق المؤمن المنشرح قلبه بنور المعرفة والجمال فانه فلما يفرغ لحب الدنيا مالها وجاهها ويسوى عنده وجودها وفقدها وخيرها وشرها ونفعها وضرها وبركة الصلوح والقنوع مما لا ينكرها عاقل اللهم اجعلنا من اهلها ثم ان ظاهر الآية يقتضي ان العمل الصالح انما يفيد الاثر المخصوص بشرط الايمان وظاهر قوله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره يدل على ان العمل الخير مطلقا يفيد اثرا مطلقا فلا منافاة بينهما ثم ذكر الاستعاذة التي هي من جملة الاعمال الصالحة وبها تخلص الاعمال عن الوساوس فقال وان ما قرأت القرآن اشارة الى ان ما ذكرت قرائنها اطلاقا لاسم المسبب على السبب وقد بحث الاستعاذة مسنونة في اول هذا الكتاب انه ليس له سلطان تسلط وولاية على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون وهذا معنى الاستعاذة فان معناها بالحقيقة راجع الى التبري عما سوى الله والتوجه بالكلية اليه والاعتماد في جميع الامور عليه انما سلطانه على الذين يتولونه عن ابن عباس اي يطيعونه وتولية اي اطعته وتوليت عنه اي اعرضت عنه اما الضمير الواحد في قوله والذين هم به مشركون فقيل راجع الى الرب وقيل الى الشيطان اي بسببه والاول ويوم يبعث فيه اشارة الى ان ارواح الانبياء اشرف على امتهم في حال حيوتهم وبعد وفاتهم وفيه ان الدنيا مزرعة الاخرة فلا يقبل في الظهر اعتذار واذا راى الذين ظلموا اي وضعوا الكفر واعمال الطبيعة موضع الايمان واعمال الشريعة فلا يخفف عن ارواحهم اثقال الاخلاق الذميمة ولا هم ينظرون لتبديل مذمومها بحمودها واذا راى الذين اشركوا وهم عبدة الدنيا والهوى انكم لكاذبون في ادعوناكم الى عبادتنا فانا كنا مشغولين بتسبيح الله سبحانه وطاعته وصدوا عن سبيل الله منعوا الارواح والقلوب عن طلب الله ردناهم عذاب الحرمان عن الكمال فوق خسران النسيان بما فسادا الاستعداد الفطري وخبثا بك شهيدا لان روحه شاهد على جميع الارواح والقلوب لنفوس لقوله اول ما خلق الله روحي ونبينا الكل شيء يهتدي اليه السالك في اثنا سلوكه ان الله يامر بالعدل وهو وضع الاشياء واسباب تحصيل الكمال في مواضعها بحيث يؤدي الى مقام الوصال والكمال والاحسان وهو ان تحسن الى الخلق بما اعطاك الله كقوله واحسن كما احسن الله اليك في قوله وايتاء ذي القربى اشارة الى ان من جملة العدالة رعاية حال الاقربين فيما ذكر بتكميل نفسك بما هو اقرب اليه قربا معنويا لا صوريا وينهى عن الفحشاء وهو صرف ما انا الله عنه غير مصروف عنه والمنكر وهو ضد المعروف وهو ان لا تحسن الى غيرك والبغي وهو ان لا تراعي الترتيب المذكور في باب الارشاد والتكميل واوفوا بعهد الله يوم الميثاق وقد جعلتم الله عليكم كفيلا بجزاء وفائكم ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها فيه اشارة الى حال المريد ان تكون انه هي اهل الدنيا في الدنيا على حالا من امتهم اهل الاخرة ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم مع المشايخ شبكة نصطادون بها الدنيا وقبول الخلق فتزل اقدامكم عن صراط الطلب من ذكر او انثى هما القلب والنفس والعمل الصالح من النفس استعمال الشريعة والطريقة ومن القلب التوجه الى الله بالكلية والحيوة الطيبة للنفس ان تصير مطمئنة مستعدة لقبول فيض ارجعي الى ربك وللقلب ان يصير فانيا عن انانيته باقيا بشهود الحق وجماله روح يطيب عن دنس الانانية ولوث الحدوث فاستعذ بالله الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله ظاهرا وبالحقيقة لامته لان شيطانه اسلم على يده فلم يحتج الى الاستعاذة من شيطانه بل هو خواص امته كقوله انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون وفيها اصلاح المؤمن فان ابليس لا يخلص قلبه لا يتخلص عن غش صفات نفسه الا بنار الوسوسة لان المؤمن يطلع على بقايا صفات نفسه بما يكون الوسوسة من جنسه فيزيد في رياضته وملازمة الذكر حتى ينجي تلك البقايا والله تعالى اعلم بالصواب

ع

وإذ بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون قل نزله روح القدس

وچون بدل كنيم آيتي را بجاى آيه ديگر وخداوند داناتر است بآنچه فرو فرستد گويند جز اين نيست كه تو دروغ بافته اى بلكه بيشتر ايشان نميدانند بگو فرو آورد اورا روح پاك

من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان

از پروردگار تو براستى تا ثابت گرداند آنانرا كه گرويدند وراه نمودنى است وبشارتى است مسلمانان ومى دانيم بدستيكه ايشان ميگويند جز اين نيست كه مى آموزد اورا آدمى زبان

الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين إن الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله

آنكه مى كجانند ازراست بسوى او عجمى است واين زبانيست عربى روشن بدستيكه آنانكه نميگروند بنشانهاى خدا

ولهم عذاب أليم إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون من كفر بالله من

واز براى ايشانست عذابى دردناك جز اين نيست كه مى بندند دروغ را آنانكه نميگروند بنشانهاى خدا وآنگروه اينانند دروغگويان كسيكه كافر شد بخدا از

بعد ايمانه الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم
بعد ايمان آوردن مگر آنكه مجبور كرده شود وحال آنكه دلش آرميده باشد بايمان ولكن كسيكه باز كند بكفر ازينه پس برايشان است خشمى از خدا و مرايشان را
عذاب عظيم ذلك بانهم استحبوا الحيوة الدنيا على الاخرة وان الله لا يهدى القوم الكافرين اولئك الذين
عذابى بزرگ آن بسبب آنست كه ايشان اختيار كردند زندگانى دنيا را بر آخرت وبدستيكه خدا راه نمينمايد گروه كافران را آنگروه كه
طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم واولئك هم الغافلون لا جرم انهم فى الاخرة هم الخسرون ثم ان ربك
مهر نهاد خدا بر دلهاى ايشان وگوشهاى ايشان وچشمهاى ايشان واينگروه ايشانند بيخبران ناچار بدستيكه ايشان در آخرت ايشانند زيانكاران پس بدستيكه پروردگار تو
للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم يوم تاتى كل نفس تجادل
مر آنانرا كه هجرت كردند از بعد آنكه عذاب كرده شدند پس جهاد كردند وصبر نمودند بدستيكه پروردگار تو از بعد آن هر آينه آمرزنده مهربان است روزيكه آيد هر نفسى كه مجادله كند
ع عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون وضرب الله مثلا قرية كانت امنة مطمئنة ياتيها رزقها رغدا
از جهت خويش ووفا داده شود هر نفسى را آنچه كرده است وايشان ستم كرده نشوند ومزد خداوند شهرى آرميده ايمن آمده است روزيش فراوان
من كل مكان فكفرت بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ولقد جاءهم رسول
از هر جا پس كفران ورزيدند بنعمتهاى خدا پس چشانيد ش خدا لباس گرسنگى وبيم بآنچه كه ميكردند وبتحقيق آمد ايشانرا رسولى
منهم فكذبوه فاخذهم العذاب وهم ظالمون فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمت الله ان
از ايشان پس تكذيب كردند او را پس گرفت ايشان را عذاب ايشان ستمكاران پس بخوريد از آنچه روزى داد شما را خدا حلال پاكيزه وشكر كنيد نعمت خدا را اگر
كنتم اياه تعبدون انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ
هستيد او را پرستيد جز اين نيست حرام كرد بر شما مردار وخون وگوشت خوك وآنچه بانگ زده شد براى غير خدا پس آنكه مضطر شد نه باغى
ولا عاد فان الله غفور رحيم ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله
ونه عادى پس بدستيكه خدا آمرزنده مهربان است وگوئيد براى وصف كردن زبانهاى شما دروغ را كه اين حلال است واين حرام
الكذب ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع قليل ولهم عذاب اليم وعلى الذين
دروغ را بدستيكه كسانيكه بر خدا دروغ را افترا ميكنند رستگار نميشوند مايه عيش كمى است از براى ايشان ونست عذابى دردناك وبر آنان كه
هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل وما ظلمناهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون ثم ان ربك للذين
يهود شدند حرام كرديم آنرا كه حكايت كرديم بر تو از پيش وستم نكرديم بايشان را ولكن بودند كه بخويشتن ايشان ستم ميكردند پس بدستيكه پروردگار تو آنانرا كه
عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم ان ابرهيم كان امة
كار بد كردند بسبب نادانى پس توبه كردند پس از آن وكار نيكو كردند بدستيكه پروردگار تو از پس آن هر آينه آمرزنده مهربان است بدستيكه ابراهيم پيشوا بود
قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين شاكرا لانعمه اجتبيه وهداه الى صراط مستقيم وآتيناه فى الدنيا
مطيع از براى خدا حق پرست وهيچ نبود از مشركان شكر كننده مر نعمتهاى او را برگزيدش وهدايت كردش براه راست ودادش در دنيا
حسنة وانه فى الاخرة لمن الصالحين ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابرهيم حنيفا وما كان من المشركين
نيكى وبدستيكه او در آخرت هر آينه از نيكوكاران است پس وحى فرستاديم بسوى تو كه پيروى كن كيش ابراهيم را حق گراى
ع انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه وان ربك ليحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون ادع الى سبيل
جز اين نيست كه نهاده شد شنبه بر آنانكه اختلاف كردند در آن وبدستيكه پروردگار تو هر آينه حكم ميكند روز قيامت در آنچه بودند در آن اختلاف ميكردند بخوان براه
ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى احسن ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين
پروردگار تو بحكمت وپند نيكو ومناظره كن ايشان را بآنچه خوبتر است بدستيكه پروردگار تو اوست داناتر بآنكه گمراه شد از راه او واوست داناتر بهدايت يافتگان
وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين واصبر وما صبرك الا بالله
وعقوبت ميكنيد پس عقوبت كنيد مانند آنچه عقوبت كرده شديد بآن واگر صبر كنيد هر آينه صبر كردن بهتر است از براى صبر كنندگان وصبر كن ونيست صبر تو
ولا تحزن عليهم ولا تك فى ضيق مما يمكرون ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون
مگر بخواست خدا واندوهگين مباش بر ايشان ومباش در تنگى از آنچه مكر ميكنند بدستيكه خدا با آنانست كه پرهيزگارى كردند وآنانكه ايشان نيكوكارانند

النحل

مع العطف لكانوا بون عضب من الله لانقطاع النظم مع اتصال المعنى عظيم على الاخرة للعطف ابصارهم لاختلاف الجملتين لغافلون ٥ الخاسرون ٥ وجبرا لان ان الثانية تكرار الاول لطول الكلام بصلته وخبرها واحد رحيم لا يظلمون ٥ يصنعون ٥ ظالمون ٥ طبعا لعطف المتفقين بعبدون ٥ لغيرالله به ج رحيم ٥ على الله الكذب لا يفلحون ٥ قليل لعطف المتفقين ولاسيما اذا فاد رطم متاع اليم من قبل لا يبدل النفي مع النفي لعطف يظلمون ٥ واصلوا للامر رحيم ٥ حنيفا من المشركين ٥ كان شاكرا لوصف اخر وبدل من حنيفا لانه مستقيم ٥ الصالحين ٥ لان ثم لترتيب الاخبار حنيفا ط المشركين ط اختلفوا ط يختلفون ٥ احسن بالمهتدين ٥ عوقبتم به ط للصابرين ٥ يمكرون ٥ محسنون ٥ التفسير هذا شروع في حكاية شبهات منكري نبوة محمد ص قال ابن عباس كان اذا نزلت اية فيها شدة ثم نزلت اية لين منها قالت كفار قريش ان محمدا ليتهزم اصحابه بامرهم اليوم بامر وينهاهم عنه غدا وما يقوله الا من عند نفسه فنزل واذا بدلنا ومعنى التبديل رفع الشيء مع وضع غيره مكانه وتبديل الاية رفعها باية اخرى غيرها وهو نسخها باية سواها والله اعلم بما ينزل شيئا فشيئا على حسب المصالح معاظائم مخففا او بالعكس بل اكثرهم لا يعلمون فوائد النسخ والتبديل قال ابو مسلم اراد بتبديل اية تحويل القبلة من بيت المقدس الى الكعبة وسائر العلماء اطبقوا على ان المراد بهذا التبديل النسخ ونقل عن الشافعي ان القرآن لا ينسخ بالسنة لانه تعالى اخبر بتبديل الاية مكان الاية وضعف بانه لا يلزم من وجود التبديل بالاية نفي التبديل بغيرها كالسنة المتواترة اذ لا دلالة في الاية على الحصر وقد مر مباحث النسخ مفصلة مستوفاة في سورة البقرة قل نزله اي القرآن روح القدس هو جبريل والاضافة للمبالغة مثل حاتم الجود والمراد الروح المقدس المطهر عن دنس الاثام من ربك صلة نزله اي ابتداء تنزيله من عنده وقوله بالحق حال اي ملتبسا بالحكمة الصواب ليثبت الذين امنوا كقوله واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا بقول كل من الناسخ والمنسوخ من عند ربنا وكل منهما في وقته خير وصلاح لان الذي نزله حكيم لا يفعل الا ما هو خير في او انه وصواب بالنسبة الى المكلف حين ما يكلف به وهدى وبشرى معطوفان على محل ليثبت اي تثبيتا لهم وارشادا وبشارة وفيه تعريض بحصول اضداد هذه الخصال لغيرهم ثم حكى شبهة اخرى عنهم كانوا يقولون ان محمدا يستفيد القصص الاخبار من انسان اخر ويتعلمها منه واختلف في ذلك البشر فقيل كان غلاما لحويطب ابن عبد العزى فاسلم وحسن اسلامه اسمه عايش ويعيش وكان صاحب كتب قيل هو جبر غلام رومي كان اسمه بالحضرمي وقيل عبدان جبر ويسار كانا يصنعان السيوف بمكة ويقرءان التوراة والانجيل وكان رسول الله ص اذا مر وقف عليهما يسمع ما يقرءان فقالوا انما يعلمه وقيل هو سلمان الفارسي ثم اجاب عن شبهتهم فقال مستانفا لسان الذي والسنة اللغة والمعنى لسان الرجل الذي يلحدون يميلون قولهم عن الاستقامة اليه لسان اعجمي غير بين وهذا القرآن لسان عربي مبين ذو بيان وفصاحة وقد مر في الاعراف ان تركيب الالحاد يدل على الامالة ومنه الملحد لانه امال مذهبه عن الاديان كلها قال ابو الفتح الموصلي تركيب ع ج م يدل على الابهام والخفاء ضد البيان والافصاح ومنه عجم الزبيب لاستتاره وخفائه والعجماء البهيمة وصلوة الظهر والعصر عجماوان لان القراءة فيهما سرية واعجمت الكتاب اي ازلت عجمته ثم ان العرب لشدة كل من لا يعرف لسانهم ولا يتكلم بلغتهم اعجميا وقالوا زياد الاعجم لانه كان في لسانه عجمة مع انه كان عربيا وحاصل الجواب هب ان محمدا يتعلم المعاني من ذلك الرجل الا انه لا يقدح في المقصود لان القرآن بفصاحته ايضا معجز لما ذكر في جوابهم وبجهلهم وهددهم بقوله ان الذين لا يؤمنون بايات الله لا يهديهم الله يعني ان سبب عدم ايمانهم هو ان الله لا يهديهم كقوله ختم الله على قلوبهم وقد مر الامام فخر الدين بان الله اذا طرق الجنة بل يسوقهم الى النار وهذا التفسير مناسب لاصول المعتزلة فلا ادري كيف قال البيهقي ثم لما بين انهم لبسوا مظاهر اللطف فقد كان قد بنى الامر في جوابهم على تسليم ما ادعى الخصم من انه يتعلم من ذلك البشر ادان بين ان الذي قالوا خبر صحيح ولا صادق في نفس الامر فقال انما يفتري الكذب وفيه ايضا رد لقولهم انما انت مفتر يعني انما يليق افتراء الكذب بمن لا يؤمن لانه لا يرهب عقابا على الافتراء واولئك اشارة الى قريش والذين لا يؤمنون لهم الذين لا يؤمنون فهم الكاذبون او هم الكاملون في الكذب لان تكذيب بايات الله اعظم الكذب او هم الذين من شانهم الكذب وذلك يجرهم الى ان لا يجتنبوه مرة ولا دين اولئك هم الكاذبون في قولهم انما انت مفتر ومما يدل على كذبهم عقلا انهم اعداء له وكلام العدو يضرب من الهذيان ولا شهادة للمتهم وايضا ان امر التعليم لا يتم في مجلس واحد ولكنه يحتاج الى ان مدة مديدة ولو كان كذلك لاشتهر وانتشر وايضا ان العلوم الموجودة في القرآن كثيرة والمعلم يجب ان يكون عالما حاذقا من المتعلم فلو كان مثل هذا العالم الذي يتعلم منه مثل النبي ص موجودا في ذلك العصر لم يخف حاله وحال الناس اليه دون النبي فقال بعض علماء المعاني عطف الجملة الاسمية التي هي قوله واولئك هم الكاذبون على ما قبلها وهي فعلية لدلالة على ان من اقدم على الكذب فانه دخل في الكفر تنبيها على ان صفة الكفر فيهم ثابتة راسخة كما يقول كذبت انت كاذب زيادة في الوصف بالكذب على سبيل الاستمرار والاعتياد ولا افتراء اعظم من انكار الالهية والنبوة روي ان النبي ص قبل له هل يكذب المؤمن قال لا وقرأ هذه الاية ثم ان سبحانه من كمال عنايته اراد ان يفرق بين الكفر اللساني وحده وبين اللساني المنضم اليه القلبي فقال من كفر بالله اختلف العلماء في اعرابه فالاكثرون على انه بدل اما من الذين لا يؤمنون بايات الله وما بينهما اعتراض والمعنى انما يفتري الكذب من كفر واستثنى منهم المكره فلم يدخل تحت حكم الافتراء ثم قال ولكن من شرح بالكفر صدرا اي طاب به نفسا واعتقد فعليهم غضب واما من المبتدا الذي هو اولئك او من الخبر الذي هو الكاذبون وقيل منصوب على الذم

التفسير

مكان الاية مثل اية نحل

لا يهديهم

على التفسير

والتعلم

ى لعمر حتى من كفر وجوز بعضهم ان يكون من شرطه والجواب محذوف لان جواب من شرح دل عليه كانه قيل من كفر بالله فعليه غضب الا
من اكره ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب واتما صح استثناء المكره من الكافر مع انه ليس بكافر لانه ظهر منه بعد الايمان ما مثله
يظهر من الكافر طوعا فلهذه المشاكلة صح الاستثناء قال ابن عباس نزلت في عمار بن ياسر وذلك ان المشركين بمكة اخذوه واباه ياسرا
امه سمية وصهيبا وبلالا وخبابا وسالما فعذبوهم فاما سمية فانها ربطت بين بعيرين ووجئ قبلها عرثه وقيل لها انك اسلمت من اجل
الرجال وقتلت وقتل زوجها ياسر معها اول قتيل في الاسلام فاما عمار فانه اعطاهم ما اراد والسنته مكرها فاخبر رسول الله ص بان عمارا
كفر فقال كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فاتى عمار رسول الله ص يبكي فجعل ص يمسح عينيه وقال له ما لك ان عادوا لك فعد لهم
ما قلت فمن هنا حكم العلماء بان الاكراه يجوز التلفظ بكلمة الكفر وحد الاكراه ان يعذب بعذاب لا طاقة له به كالتخويف بالقتل والضرب الشديد
وسائر الايلامات القوية واجمعوا على ان قلبه عند ذلك يجب ان يكون مطمئنا بالكفر وان يقتصر على التعريض ما امكن مثل ان يقول ان
محمدا كذاب يعني عند الكفار او يعني بمحمد اخر ويذكره على نية الاستفهام بمعنى الانكار واذا اعجله من اكرهه عن احضار هذه النية او لم تطاوعه
خونه زال عنه بقية كره هذه النية كان ملوما وعفو الله متوقع ولو صبر المكره عليه حتى صرح بالكفر من غير توريه وطلب منه ان يقول الا اريد
بقلبي سوءا ذكره بلسانه فهيهنا يتعين اما الكذب واما توريط النفس كذبا للعذاب فمن الناس من قال يباح له الكذب ح ومنهم من قال ليس له
ذلك واختاره القاضي لان الكذب انما يقبح لكونه كذبا فوجب ان يقبح على كل حال ولو خرج الكذب عن القبح لغاية بعض المصالح لم يمتنع ان
يفعل الله الكذب لمصلحة ما فلا يبقى وثوق بوعده ووعيده وللاكراه مراتب منها ان يجب الفعل المكره عليه كما لو اكره على شرب الخمر واكل
الميتة لما فيه من صون النفس ح عدم اضرار بالغير ولا اهانة لحق الله ومنها ان يصير الفعل مباحا لا واجبا كما لو اكره على التلفظ بكلمة الكفر
لما روي ان بلالا لما صبر على العذاب كان يقول احد احد حتى ملوه وتركوه ولم يقبل رسول الله ص بذلك وفعلت بلال عظموه ولان في ترك التقية
والصبر على القتل او التعذيب اعزاز للاسلام ومنها انه لا يجب ولا يباح بل يحرم كما اذا اكره على قتل انسان او على قطع عضو من اعضائه فهيهنا
يبقى الفعل على الحرمة لان اصلية روح لو قتل فللعلماء قولان احدهما لا يلزم القصاص وبه قال ابو حنيفة والشافعي في احد قوليه لانه قتل عن نفسه
فاشبه قتل الصائل ولانه كالة للمكره ولذلك يجب القصاص على المكره وثانيهما وبه قال احمد والشافعي في اصح قوليه ان عليه القصاص لانه
قتل عدوانا لاستبقاء نفسه فصار كما لو قتل المضطر انسانا فاكله ومن الافعال ما لا يمكن الاكراه عليه كالوضوء والصلاة لان الاكراه يوجب الخوف الشديد وذلك يمنع من انبعاث
الآلة فلو دخل زنا في الوجود علم انه وقع بالاختيار لا بالاكراه والاصح ان الاكراه فيه متصور وان الحد يسقط وعن ابي حنيفة انه ان اكره السلطان
لم يجب الحد وان اكره بعض الرعية وجب قال بعض الاصوليين في قوله وقلبه مطمئن بالايمان دلالة على ان محل الايمان هو القلب فهو اما الاعضاء
ان كان الايمان معرفة دائما كلام النفس ان كان تصديقا وانتصاب صدرا على التمييز واصله ولكن من شرح بالكفر صدره فعدل الى النصب
للمبالغة وبنا الكلام على الابهام ثم التفسير فوله ذلك بانهم اي ذلك الارتداد بسبب انهم رجحوا الدنيا على الاخرة ولاجل انه تعالى
هداهم الى الايمان ولم يعصمهم عن الكفر قال جار الله ذلك الوعيد والغضب للعذاب بسبب استحقاقهم خذلان الله بكفرهم وهذا
البحث كما يجئ الطبع والختم والخلاف في تفسيرهما بين الاشاعرة والمعتزلة قد مر في اول سورة البقرة وفي غيرها فلا حاجة الى الاعادة اولئك
هم الغافلون اي الكاملون في الغفلة اذ غفلوا عن تدبر العواقب لا جرم انهم في الاخرة هم الخاسرون وقال في اوائل سورة هود لا جرم انهم في الاخرة هم الاخسرون
لان اولئك صدوا عن سبيل الله وصدوا غيرهم فضلوا واضلوا ولذلك ضوعف لهم العذاب فهم الاخسرون وهؤلاء صدوا بانفسهم
فهم الخاسرون ويمكن ان يقال ان ما قبل الفواصل في تلك السورة لم يعتمد على الف قبلها مثل يبصرون يفترون وفي هذه السورة اعتمد
على الالف مثل الكافرين الكاذبون فجاء مرجل في كل سورة على ما ينا سبها ولما ذكر حال من اكره اتبعه حال من هاجر من بعد ما فتن فقال ثم ان ربك
الله معنى ثم ان ربك ثبات حال هؤلاء من حال عمار واصحابه ومعنى ان ربك لهم انه لا على لهم فينصرهم ولا يخذلهم ويحتمل ان يكون
الجار متعلقا بالخبر على نية التاخير تكريرا لطول الكلام من قوله من بعد ما فتنوا بفتح الفاء مبنيا للفاعل فرجعان فتن وافتتن بمعنى ط
والمراد ان اولئك الضعفاء لما ذكروا كلمة الكفر على سبيل التقية فكانهم فتنوا انفسهم لان الرخصة في اظهار كلمة الكفر ما نزلت بعد وارد
ان اكابر المشركين الذين اذوا فقراء المسلمين لونا بلوا وهاجروا وصبروا فان الله يقبل توبتهم ومعنى ثم على هذا التفسير لما هو من قول بعضهم
مبنيا للمفعول فالمراد ان المستضعفين المعذبين الذين حملهم اقوياء المشركين على الردة والرجوع عن الايمان ان هاجروا وجاهدوا
وصبروا فان الله يغفر لهم تكلمهم بكلمة الكفر قال الحسن هؤلاء الذين هاجروا من المؤمنين كانوا بمكة فعرضت لهم فتنة فارتدوا وشكوا في
الرسول ثم اسلموا وهاجروا فنزلت الاية فيهم لعنى ثم بعد حالة الغفران والرحمة عن حالة الارتداد والشك في امر الرسول الا ان ربك سبحانه يكون
يغفر لهم اذا تابوا وقيل نزلت في عبد الله بن ابي سرح ارتد فلما كان يوم الفتح امر النبي ص بقتله فاستجار له عثمان فاجاره رسول الله ص ثم انه
اسلم وحسن اسلامه وهذا ان صح لو جعلنا الاية مدنية ومثله ما روي عن قتادة انه لما انزل الله ان اهل مكة لا يقبل منهم اسلام
يهاجر وكتب بها اهل المدينة الى اصحابهم من اهل مكة فلما جاءتهم ذلك خرجوا فلحقهم المشركون فردوهم فنزلت فلما احسب الناس ان يتركوا

ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون فكتبوا بها الهم فنبا بعوا بها ثم ان يخرجوا فان لحق بهم المشركون من اهل مكة فقاتلوهم حتى يخرجوا او يلحقوا بالله فادركهم المشركون فقاتلوهم فمنهم من قتل ومنهم من نجا فانزلت هذه الآية والضمير في قوله من بعدها يرجع الى الافعال المذكورة من الهجرة والجهاد والصبر فالحاصل ان الآية انما نازلة فيمن عذب فلم يرتد ومع ذلك هاجروا وجاهدوا واما نازلة فيمن اظهر الكفر تقية فبين تعالى ان حاله اذا هاجر وجاهد وصبر كحال من لم يكن كذلك واما نازلة فيمن ارتد ثم تاب فلم يجب القيام بموجب الغضب بل يرجى له المغفرة والرحمة قال الزجاج يوم يأتي منصوب بقوله رحيم او باضمار اذكروا اذكرهم واندرهم ومعنى الآية ظاهر الا ان في قوله عن نفسها اشكالا من حيث اضافة النفس الى ضمير النفس واجيب بان المراد بالنفس الاولى جملة بدن الحي وبالنفس الثانية الذات فكانه قيل يوم يأتي كل انسان يجادل عن ذاته لا يهمه شان غيره ومعنى المجادلة عنها الاعتذار عنها كقولهم هؤلاء اضلونا ما كنا مشركين ونحو ذلك عن بعضهم نزغة جهنم زفرة لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل الا جثا لركبتيه يقول يا رب نفسي حتى ان ابرهيم الخليل عليه السلام يفعل ذلك ثم اوعد الكفار بافات الدنيا ايضا فقال وضرب الله مثلا قرية يحتمل ان يكون مقدرة اي سيكون مقدرة وان يكون معينة موجودة اما مكة او غيرها وذهب كثير من المفسرين الى انها مكة وقال الاقرب انها غيرها لان مثل مكة يكون غيرها فضربها الله مثل لمكة انذارا من مثل عاقبتها قال العقلاء ثلثة لبس لها نهاية الامن والصحة والكفاية فوصف الله تعالى تلك القرية بالامن ثم بالاطمينان اشارة الى ان هواء تلك البلدة لاعتدال لها ملائم لامزجة اهلها حتى اطمانوا واستقروا ولم يخرجوا الى الانتقال طلبا للصحة ثم قال يأتيها رزقها رغدا من كل مكان لكانة على حصول الكفاية لهم باكثر وجه فان في الكشاف الانعم جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كذرع واذرع او جمع نعم كبؤس وابؤس قلت لعله عليه الرحمة طلب الضبط والا فالحاجة الى هذا التكلف كذا اطلق الاكثرون ان جمع فعلة يجيء على افعل فيقال اتمار وجمع القلة ثنيها بالادنى على الاعلى يعني ان كفران النعم القليلة يوجب العذاب فكيف بكفران النعم الكثيرة العظيمة وهذا مثل لاهل مكة كانوا في الامن والقناعة والخصب ثم انعم الله عليهم بالنعمة العظيمة وهو محمد ﷺ فكفروا بها وبالغوا في ايذائه فسلط الله عليهم البلاء عذبهم بالجوع سبع سنين حتى اكلوا الجيف والعظام المحرقة والفرو وكان النبي ﷺ يبعث اليهم السرايا فيغيرون عليهم فقال ابن راوندي قال لابن الاعرابي الاديب هل يذاق اللباس قال ابن الاعرابي لا باس بها انما الناس ذهبوا الى ان محمدا لما كان عربيا كانه طعن في الآية ان المناسب هو ان لو قيل فكساها الله لباس الجوع او فاذاقها الله طعم الجوع فرد عليه ابن الاعرابي والذي اجاب به علماء البيان ان هذا من باب الاستعارة وذلك انه استعار اللباس لما غشي الانسان من بعض الحوادث كالجوع والخوف لاشتماله عليه اشتمال اللباس على اللابس ثم ذكروا لوصف ملائما للمستعار له وهو الجوع والخوف جرى عندهم مجرى الحقيقة فيقولون ذاق فلان البؤس والضر واذا قرن غير فكانت الاستعارة مجردة ولو قال فكساها كانت مرشحة وقد سلف متا تقرير هذا الاصطلاح في المقدمة التاسعة من مقدمات الكتاب وترشيح الاستعارة وان كان مستحسنا من جهة المبالغة الا ان التجريد ترجيحا من حيث انه رجوع الى جانب المستعار له فازدادا الكلام وضوحا وقيل ان اصل الذوق في الفم ثم قد يستعار فيوضع موضع الشريف والاختبار فيقول انا ظرفا فاذوق ما عنده شعرا قال ومن يذق الدنيا فاني طعمها ... ومن يعش ابها عد بها وعذابها ... فعمني ذاق لباس الجوع والخوف على فلان تعرف ما ظهر عليه من الضمور وشحوب اللون وتغير الحال وكسوف البال فجوى الآية عرفها اثر لباس الجوع وقيل حمل اللباس على المماسة والتقدير فاذاقها الله مماسة الجوع والخوف بما كانوا يصنعون قال ابن عباس بدل شغلهم بالنبي ﷺ من التكذيب والهم بقتله والاخراج من مكة قال الفراء كل الصفات اجريت على القرية الا قوله يصنعون فانه على ان المراد في الحقيقة اهلها ولما ذكر المثل والممثل قال ولقد جاءهم يعني اهل مكة رسول منهم من انفسهم يعرفون نسبه واصله وشبهه فكذبوه فاخذهم العذاب وهم ملبسون بالظلم قال ابن عباس يعني بالعذاب الجوع الذي كان بمكة وقبل القتل يوم بدر وقيل ان قول ابن عباس اولى والمراد ان ذلك الجوع بسبب كفرهم فانهم تركوا الكفر فكلوا مما رزقكم الله من الغنائم فاكل الغنائم سبب ترك الكفر فلذلك وصله بالفاء وقال الكلبي ان رؤساء مكة كلموا رسول الله ﷺ حتى جهد الناس فقالوا ادع ربك لنا حتى يرفع عنا ما نال الفرث من النساء والصبيان وكانت الميسرة قد قطعت عنهم باذن رسول الله ﷺ فاذن في الحمل فحمل الطعام اليهم فذلك قوله فكلوا ورجح قول ابن عباس بانه تعالى قال بعد ذلك انما حرم عليكم الميتة فالمراد انكم لما امنتم وتركتم الكفر فكلوا الحلال الطيب هو الغنيمة واتركوا الخبائث وهو الميتة والدم وانما خص سبحانه اعادة تحريم هذه الاشياء البقرة والمائدة والانعام وفي هذه السورة قطعا للاعذار وازالة للشبهة ثم ان بقية طريقة الكفار في الزيادة على هذه المحرمات كالبحيرة والسائبة وغيرهما فقال لا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب قال الكسائي والزجاج ما مصدرية وانتصاب الكذب بلا تقولوا اي ولا تقولوا الكذب لاجل وصف السنتكم قوله هذا حلال وهذا حرام بدل من الكذب ولك ان تنصب الكذب لاجل وتنصف وتجعل ما مصدرية ايضا اي ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام بوصف السنتكم الكذب ومعناه لا تحرموا ولا تحللوا لاجل قول تنطق به السنتكم من غير حجة ودليل ويجوز ان تكون ما موصولة اي ولا تقولوا للذي تصف السنتكم الكذب فيه هذا حلال وهذا حرام فحذف الضمير لكونه معلوما وقوله تصف السنتكم الكذب من فصيح الكلام وبليغه كان مهية الكذب مجهولة وكلامهم يكشف عن حقيقته نظيره قولهم وجهه يصف الجمال وعينه يصف السحر واللام في قوله لتفتروا لام العاقبة لا الغرض المقصود من ذكره بيان انه كذب على الله فان قوله لما تصف السنتكم الكذب لم يكن فيه هذا البيان ثم اوعد المفترين بقوله ان الذين يفترون على الله

والنجاح

نقل

بيا اما كان سمع

لا اظن ان احدا يذوق على ذرا للوع والحوع صح

وقوله متاع قال الزجاج اى متاعهم وعن ابن عباس اراد ان متاع كل الدنيا قليل والمعنى ان منفعتهم فيما هم عليه من افعال الجاهلية
او ان نعيم الدنيا كلها بالنزول عنهم عما قريب والعقاب لازم الا ليتم خص محرمات اليهود بالذكر فقال وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا
عليك من قبل يعنى فى سورة الانعام عند قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر ثم قال وما ظلمناهم كقوله هناك ذلك جزيناهم
ببغيهم ثم بين ان الافتراء على الله ومخالفة امره لا ينعم من التوبة وحصول المغفرة والرحمة وقوله بجهالة فى موضع الحال اى عملوا السوء جاهلين
غير عارفين بالله وبعقابه او غير متاملين نصوحا عاقبة لغلبة الشهوة عليهم ان ربك من بعد هما من بعد ذلك التسبب او التوبة او الجهالة
ولما بالغ فى بطلان مذاهب المشركين ونهى الحواريين عن مشيهم ومطاعنهم وكان ابراهيم رئيس الموحدين وقدوة اكابر النبيين ذكره الله
تعالى فى آخر هذه السورة فقال ان ابراهيم كان امة اى هو وحده امة من الامم لكماله بجميع صفات الخير وليس لله بمستنكر ان يجمع العالم فى واحد
وعن مجاهد كان مؤمنا وحده والناس كلهم كفار فلهذا قبل انه امة وكان رسول الله ص يقول فى زيد بن عمرو بن نفيل يبعث الله وحده
وعن شهر بن حوشب لم يكن زمن الا وفيه اربعة عشر يدفع بهم الله عن اهل الارض الا من ابراهيم فانه وحده وقيل امة بمعنى مأموم اى نبوه
الناس ليأخذوا من افعال الخير او بمعنى مؤتم به كقوله انى جاعلك للناس اماما او قيل انه من باب اطلاق المسبب على السبب فيه خصلة لله
لتضمنه الامتياز عن سواهم فان الله قانتا بما امر الله وعن ابن عباس مطيعا لله حنيفا مائلا الى الاسلام مبلا لابن لما عنه وقال ابن عباس
المراد انه اول من اختتن واقام مناسك الحج وضحى وما كان من المشركين قط لانى الصغر ولا فى الكبر شاكرا لانعمه وان كانت قليلة فضلا عن
النعم الكثيرة يروى انه كان لا يتغدى الا مع ضيف فلم يجد ذات يوم ضيفا فاخر غداءه فاذا هو بفوج من الملائكة فى صورة البشر قد عناهم الى
الطعام فجعلوا له ان يهب جدا ما فقال الان وجبتم مؤاكلتكم شكرا لله على اتخاذها وابتلاكم اجتباه اختصه واصطفاه للنبوة وهداه الى
صراط مستقيم اى ملة الاسلام وآتيناه فى الدنيا حسنة عن قتاده هى ان الله جعله الى اهل الاديان كلها وقيل الاموال والاولاد وقيل
قبول الناس له والصلاة عليه كما صليت على ابراهيم وانه فى الآخرة لمن الصالحين الى اعلى مقاماتهم من الجنة بخلاف الدعاء فانه يخفى بالصالحين قال فى
الكشاف معنى ثم فى قوله ثم اوحينا اليك بعيد هذا التعظيم من بين سائر النعوت التى اثنى الله بها على ابراهيم لتعلم ان اجل ما اوحى الى محمد
الله اتباع ملة ابراهيم فى الاصول من التوحيد والمعاد وغيرهما كاختيار يوم الجمعة للفراغ وترك العمل فان اهل التظم كان لسائل ان يسئل
لما اختار اليهود السبت مع ان ابراهيم كان اختار الجمعة فاجاب الله سبحانه بقوله انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه فاختاره بعضهم
للفراغ واختار بعضهم الجمعة روى الكلبى عن ابى صالح عن ابن عباس انه قال امرهم موسى بالجمعة وقال تفرغوا فى كل سبعة ايام يوما واحدا فابوا ان
يقبلوا ذلك وقالوا لا نريد الا اليوم الذى فرغ الله فيه من الخلق وهو يوم السبت فعدد عليهم ثم جاءهم عيسى بالجمعة ايضا فقالت النصارى لا
نريد ان يكون عندهم بعد عيدنا فاتخذوا الاحد وروى ابو هريرة عن النبى ص ان الله كتب يوم الجمعة على من كان قبلنا فاختلفوا فيه وهدانا الله
له فالناس لنا تبع اليهود غدا والنصارى بعد غد وقال صاحب الكشاف لتسبيت مصدر سبت اليهود اذا عظمت سبتها والمعنى انما جعل وبال السبت
وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه واختلافهم فيه انهم احلوا الصيد فيه تارة وكان الواجب عليهم ان يقطعوا نظيره على كل واحد وضعف القول
الاول بان اليهود متفقون على تعيين يوم السبت للفراغ ويمكن ان يقال لعل فيه من اختار الجمعة فى قديم الدهر ثم وقع الاختلاف بسوال النصارى
يقولون ان يوم الاحد مبدأ الخلق والنكوين على ما اتفق عليه اهل الملل انتهى خلق العالم فى ستة ايام اولها الاحد فجعل عيدا معقولا
اليهود قالت يوم السبت هو اليوم الذى فرغ الله فيه من الاعمال فنحن نوافق ربنا فاوجب جعل الجمعة عيدا والجواب بعد التعبد هو ان يوم الجمعة
يوم التمام والكمال وذلك يوجب الفرح والسرور فجعله عيدا لذلك ثم اوعد اليهود بقوله وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ولما امر محمدا باتباع ابراهيم ص وهو
المنابعة فقال ادع الى سبيل ربك لانه وفيه ان طريقة ص فى الدعوة كانت هكذا وتقرير ذلك ان الداعى الى مذهب لا بد ان يكون
قوله مبنيا على حجة وهى اما ان يكون يقينية قطعية مبرأة من شائبة احتمال النقيض واما ان يكون مفيدة للظن القوى والاول لا يمكن
ملتقطا اليها فى اكثر العلوم وقد يكون الجدال والخصام غالبا على المدعو فيحتاج حينئذ الى الزام والخصام بدليل مركب من مقدمات مشهورة مسلمة
عند الجمهور او من مقدمات مشهورة مسلمة عند الجمهور ومن مقدمات مسلمة عند الخصم فقوله بالحكمة اشارة الى استعمال البحث القطعية المفيدة
للبقين والمكالمة بهذا الطريق انما يكون مع الطالبين البالغين فى الاستعداد الى درجة الكمال وقوله والموعظة الحسنة اشارة الى استعمال
الدلائل الاقناعية الموقعة للتصديق بمقدمات مقبولة واهل هذه المكالمة اقوام انحطت درجتهم عن درجة الطائفة الاولى انهم يقنعون على القطع
الاصلية طاهرون عن دنس التعصب كدورات الجدال وهم عامة الخلق وليس للدعوة الا هذان الطريقان لكن الداعى قد يضطر مع الخصم
الالد الى استعمال البحث الملزمة المفحمة كما قلنا فلهذا السبب عطف على الدعوة قوله وجادلهم بالتى اى بالطريقة التى هى احسن وكان طريق
الجدال لا يكن سلوكه مقصودا بالذات وانما اضطر الداعى اليه لاجل كون الخصم مشاغبا وانما استحسن هذا الطريق لكون الداعى محفاظا
وغرضه صحيحا فان كان مبطلا واراد تغليط السامع لم يكن جدله حسنا ولبنى دليله مغالطة هكذا ينبغى ان يتصور تفسير هذه الآية فان كلام المفسر
الطاهر بين فيه غير مضبوط وجوز فى الكشاف ان يريد بالقرآن اى ادعهم بالكتاب الذى هو حكمة وموعظة حسنة وجادلهم بأحسن طرق المجادلة

من الرفق واللين من غير فظاظة ولا تعنيف لما حث على الدعوة بالطرق المذكورة بين ان الرشد والهداية ليس الى البشر وانما ذلك الى الله تعالى
ان ربك هو اعلم الآية اى هو العالم بضلال النفوس واهتدائها وكذورتها وصفائها وهو جعل الدعوة سببا لسعادتها او واسطة لشقاوتها
ثم ان الدعوة بضم بتكليف المدعوين بالرجوع باعن الدين المألوف والقطام منه شديد وربما يجر المقاولة الى المقاتلة فحم امر الداعى وانباءه
بوعاية العدل فى حال القتال قال قاتلوا ان عاقبتم اى ان رغبتم فى استيفاء القصاص ان وقع قتل فاقتصوا بالمثل ولا تزيدوا عليه والآية
عامة وقد يخصصها رواة اسباب النزول بقصة حمزة قالوا ان المشركين مثلوا بالمسلمين يوم احد بقروا بطونهم وقطعوا مذاكيرهم ما تركوا احدا غيره
ممثولا لاحظه ابن الزاهب فوقف رسول الله صلعم على حمزة وقد شق بطنه وقد روى فزم مبقور البطن فقال ما وال لئن احلنى الله اظفرنى الله مثل
سبعين مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وكف عما اراده قاله ابن عباس فى رواية عطاء وابى بن كعب برهما ذهبوا الى ان خواتيم سورة النحل مدنية
ولا خلاف فى تحريم المثلة وقد وردت الاخبار بالنهى عنها حتى بالكلب العقور وقيل نزلت حين كان المسلمون قد امروا بالقتال مع من بها لهم ولا
يبدؤا بالقتال فهو كقوله وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم امر الله تعالى ان يعاقبوا بمثل ما اصيبوا به من العقوبة ولا يزيدوا وقال مجاهد
النحى وان تصبروا الخ نهى المظلوم عن استيفاء الزيادة من الظالم وقوله وان عاقبتم ومثله ان الاولى له ان لا يفعل كقول الطبيب للمريض فكنت
تأكل التفاح ثم انتقل من التعريض الى بعض التصريح فقال لئن صبرتم لهو خير اى صبركم خير لكم فوضع المظهر موضع المضمر
من الله عليهم اى وضعفا لهم او جنس الصبر خير للصابرين جنسهم ثم صرح كل التصريح فقال واصبر ثم ذكر ما يعينه على الصبر على النفس فقال وما
صبرك الا بالله اى بتوفيقه وتثبيت وربطه على قلبه وهذا سبب كلى مفيد للصبر وانما السبب الخاص القريب فى ذلك قوله ولا تحزن عليهم
ولا تك فى ضيق الآية دل ذلك ان اقدام الانسان على الانتقام لا يكون الا عند هيجان الغضب وثوران الحمية الا ترى انهم لما نهوا عن الحزن عليهم
قيل له على اثر ذلك ولا تحزن على الكافرين كقوله فلا تأس على القوم الكافرين والآية حين توقع مكروه فى المستقبل واشار الى ذلك بقوله
ولا تك فى ضيق من فرأيكسر الضاد فظاهر وهو من الكلام المقلوب الذى يشيع عليه اهل الالباس لان الضيق وصف فهو يكون فى الانسان
ولا يكون الانسان فيه وفيه لطيفة اخرى هى ان الضيق اذا عظم وقوى صار كالشئ المحيط به من جميع الجوانب ومن فتح بعضها فانما على انه مقيد
ايضا او على انه مخفف ضيق وانما لم يقل ولا تكن بالنون كما فى اخر النمل موافقة لما قبله ولم يكن من المشركين ولان الحزن ههنا اكثر بناء على انها
وردت فى قلب يحزن بنو لغ بالحذف فى النهى عن الحزن ثم ختم السورة بآية جامعة لجميع المأمورات والمنهيات فقال ان الله مع الذين اتقوا
المعاصى كلها والذين هم محسنون فى الطاعات بان يعبدوا الله مخلصين عن شوائب الرياء وقيل ان الله مع الذين اتقوا استيفاء الزيادة و
الذين هم محسنون فى ترك اصل الانتقام فان اردت مع الذين اتقوا ان اكون معك بالنصر والتأييد فكن من المتقين من المحسنين وفيه ان
الامر بالمعروف والنهى عن المنكر يجب ان يكون بالرفق واللين مرتبة مرتبة وقيل الذين اتقوا اشارة الى المعظم لامر الله والذين هم محسنون اشارة الى
الشفقة على خلق الله وعنه قال بعض المشايخ كمال الطريق صدق مع الحق وخلق مع الخلق واختصرهم من بنان فقيل له اوصنى فقال انما الوصية
من الملك للملك اوصيكم بخواتيم سورة النحل التنازيل وآدابنا انا انزلنا هذا القرآن امراض القلوب فى كل وقت بنوع اخر على ما يعلم
من المصالح فلذلك قال والله اعلم بما ينزل وبشر المسلمين الذين استسلموا للطبيب المعالج حتى صارت قلوبهم سليمة انما يعلم بشر فيه انكار
حب القلوب وعلاجها من شأن البشر بنظر العقل لانه مبنى على معرفة الامراض وكيفيتها ومعرفة الادوية وخواصها وكيفية استعمالها ومعرفة
الامزجة والاختلاف احوالها وان القلوب بيد الله يقلبها هو كيف يشاء يضيق عن معالجتها انظار عقول البشر وهذا قال ابن عيينة وابن
مرضت فهو يشفين الآية اذا علم بتعليم الله كقوله وعلمك ما لم تكن تعلم ومع هذا كان يقول عن نحكم بالظاهر ونكل السرائر الى الله لا يعلم
من كلام الله اسراره وحقائقه والعلم فيه كما قال فاما بشراه بلسانك انما يبشر الذكى بلسان الافراز من شأن النفس الامارة الكافرة الى الايمان
بآيات الله وذلك هم الكاذبون اى هم الذين استمروا على الكذب لان المؤمن قد يكذب فى بعض الاحوال الا انه يصير على ذلك وهكذا
جميع المعاصى ولهذا لا يخرج المؤمن بالكلية ولكن ينقص الكذب بما ينزع به الى التوبة الى اصله قال النبى صلعم ما يزال العبد يكذب ويتحرى
الكذب حتى يكتب عند الله كذابا من كفر بالله بعد ايمانه اشارة الى المريد المريد بنسيم رياح نفحات الحق بشام قلبه فتحصل هبوب نفحاته
اصطكاك اهوية سالم الباطن واخرى سحب البشرية فلم يدر اضاءت ما فاق سماء القلب اشرقت ارض النفس فامن بحقيقة الطلب
اطاق احتمال التعب فاستوقد نار الشوق والمحبة فلما اضاءت ما حوله وبدا له فى لاجتهاد جدة وحوله هبت عليه الكمان فاضاءت مزاج
قلبه ذهب الله بنوره واخمدت نار الطلب لما لم تحتمل الطبيعة الا من اكوى على اساس فعل وقول يخالف نظر الناس معاملات اهل الطبيعة ليتوهم
بها فى الظاهر ويخالفهم بالباطن حتى يخلص من شوب صحبتهم استجبوا الكفار ومحبة الدنيا وشهواتها على محبة الله وان الله لا يهدى القوم
الكافرين بنعمته واولئك هم الغافلون عما اعد الله لعباده الصالحين هم الخاسرون لان الاعتناء عن العبودية يورث خسران القلوب عن فوز
الربوبية ثم ان ربك للذين هاجروا نفوسهم وهواهم من بعد ما فتنوا بمحاسن الخلق ونواهيه ثم جاهدوا النفوس فيصبروا على اوامر الحق
وصبروا على تركيبها وتخليتها ممسكين به بل ارادة الشيخ يوم يأتى ارباب النفوس يجادل عن نفسها على قدر بقاء وجود فادفع الصاع

اوجد بالمنافعها حتی ان کل نبی یقول نفسی نفسی الا محمدا صم فانہ یقول بالکلیۃ عن نفسہ بان ببقاء ربہ فیقول امتی امتی لانہ معصوم ذنب وجودہ المتقدم
فی الدنیا والمتاخر فی الاخرۃ بما فتح اللہ لہ لیلۃ المعراج ان واجہ بخطاب سلام علیک ایہا النبی فضی عن وجودہ بالسلام وبقی بوجودہ بالرحمۃ
فکان رحمۃ مہداۃ بین کافۃ الناس کافۃ ولکن رفع الذلۃ من تلک الاضافۃ وجب لمن تابعہ فلہذا قال السلام علینا وعلی عباد اللہ الصالحین
یعنی الذین صلحوا بعد الذبح بین الوجود فی طلب المقصود فہم شخص الانسان کانت منتہاہ اہلہ وہو الروح الانسانی مطمئنۃ
بان کرامۃ اللہ بایہا زرقہا من المواہب من کل مکان وحال وحشما فکفرت النفس الامارۃ فاذاقہا اللہ لباس الجوع وہو انقطاع مواد التوفیق
فاکلوا من حیفۃ الدنیا ومسۃ المسلمات والخوف وہو خوف الانقطاع عن اللہ ولقد جاءہم رسلنا بالبینات الواردات الوبلیۃ فما تخلفوا باخلاقہ
وکلوا مما رزقکم اللہ من انوار الشریعۃ واسرار الطریقۃ ہذا حلال وہذا حرام علی عادۃ اہل العبادۃ الاباحۃ وعلی الذین ہادوا ای تابوا عنا
من موانع الوصول ما قصصنا علیک فی بدو نزولک حتی کنت محررا عن صحبۃ حدیجۃ وشعب الحرا اسبوعا واسبوعین وما ظلمناہم بحرمان
ذلک علیہم بل انعمنا بہ علیہم ولکن کانوا انفسہم یظلمون بالاعراض عنا بعد الاقبال علینا ثم ان المشرکین من لہ شرکۃ مع اللہ فی
الوجود اتبع ملۃ ابرہیم الظاہر حتی یتبین لک ہو الباطن وقد اذہب الی ربہا شبانی ذاہب الی ربی واسری بمحمد لیلا سبحان الذی اسری
بعبدہ لیلا وہو خلیل وانت حبیب لتعلق الخلیل فی الدنیا فیتعلق الخلیل فی الاخرۃ الناس محتاجون الی شفاعتی یوم القیمۃ حتی ابرہیم وان
عاقبتم نفس الامارۃ فعاقبوا ای بالغوا فی عطایہا بالغطاء عن مالوفاتہا بمثل ما عوقبتم بہ من الانقطاع عن مواد التوفیق والمواہب
ولئن صبرتم علی معاقبتہم طوعا خیرا لان عناق الحبیب علی قدر عقاب العدو وہی اعدی عدوک نفسک التی بین جنبیک واصبر علی
معاقبۃ النفس ومخالفۃ الہوی وما صبرک الا باللہ ولا یقدر احد ان یتصف بصفۃ الا بہ بان یتجلی بتلک الصفۃ لہ ولا تحزن
علی التلف وجنودہا عند المعاقبۃ فان فیہا صلاح حالہم ومالہم فلا تک فی ضیق مما یمکرون فان مکرہم یندفع بمعونۃ اللہ عند الفرار الیہ

سورۃ بنی اسرائیل مکیۃ الا قولہ وان کادوا الی قولہ وقد جاءک الحق وہی اثنتان وخمسون آیۃ ومائتان وستون کلمۃ
الف وخمسمائۃ وثلثۃ وستون حرفا

بسم اللہ الرحمن الرحیم

سُبْحَانَ الَّذِیْٓ اَسْرٰی بِعَبْدِہٖ لَیْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ اِلَی الْمَسْجِدِ الْاَقْصَا الَّذِیْ بٰرَکْنَا حَوْلَہٗ لِنُرِیَہٗ
مِنْ اٰیٰتِنَا اِنَّہٗ ہُوَ السَّمِیْعُ الْبَصِیْرُ وَاٰتَیْنَا مُوْسَی الْکِتٰبَ وَجَعَلْنٰہُ ہُدًی لِّبَنِیْٓ اِسْرَآءِیْلَ اَلَّا تَتَّخِذُوْا
مِنْ دُوْنِیْ وَکِیْلًا ذُرِّیَّۃَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوْحٍ اِنَّہٗ کَانَ عَبْدًا شَکُوْرًا وَقَضَیْنَآ اِلٰی بَنِیْٓ اِسْرَآءِیْلَ فِی الْکِتٰبِ
لَتُفْسِدُنَّ فِی الْاَرْضِ مَرَّتَیْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا کَبِیْرًا فَاِذَا جَآءَ وَعْدُ اُوْلٰىہُمَا بَعَثْنَا عَلَیْکُمْ عِبَادًا لَّنَآ اُولِیْ
بَاْسٍ شَدِیْدٍ فَجَاسُوْا خِلٰلَ الدِّیَارِ وَکَانَ وَعْدًا مَّفْعُوْلًا ثُمَّ رَدَدْنَا لَکُمُ الْکَرَّۃَ عَلَیْہِمْ وَاَمْدَدْنٰکُمْ بِاَمْوَالٍ
وَّبَنِیْنَ وَجَعَلْنٰکُمْ اَکْثَرَ نَفِیْرًا اِنْ اَحْسَنْتُمْ اَحْسَنْتُمْ لِاَنْفُسِکُمْ وَاِنْ اَسَاْتُمْ فَلَہَا فَاِذَا جَآءَ وَعْدُ الْاٰخِرَۃِ لِیَسُوْٓءٗا
وُجُوْہَکُمْ وَلِیَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ کَمَا دَخَلُوْہُ اَوَّلَ مَرَّۃٍ وَّلِیُتَبِّرُوْا مَا عَلَوْا تَتْبِیْرًا عَسٰی رَبُّکُمْ اَنْ یَّرْحَمَکُمْ وَاِنْ
عُدْتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَہَنَّمَ لِلْکٰفِرِیْنَ حَصِیْرًا اِنَّ ہٰذَا الْقُرْاٰنَ یَہْدِیْ لِلَّتِیْ ہِیَ اَقْوَمُ وَیُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِیْنَ
الَّذِیْنَ یَعْمَلُوْنَ الصّٰلِحٰتِ اَنَّ لَہُمْ اَجْرًا کَبِیْرًا وَّاَنَّ الَّذِیْنَ لَا یُؤْمِنُوْنَ بِالْاٰخِرَۃِ اَعْتَدْنَا لَہُمْ عَذَابًا اَلِیْمًا ع
وَیَدْعُ الْاِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَآءَہٗ بِالْخَیْرِ وَکَانَ الْاِنْسَانُ عَجُوْلًا وَجَعَلْنَا الَّیْلَ وَالنَّہَارَ اٰیَتَیْنِ فَمَحَوْنَآ اٰیَۃَ الَّیْلِ
وَجَعَلْنَآ اٰیَۃَ النَّہَارِ مُبْصِرَۃً لِّتَبْتَغُوْا فَضْلًا مِّنْ رَّبِّکُمْ وَلِتَعْلَمُوْا عَدَدَ السِّنِیْنَ وَالْحِسَابَ وَکُلَّ شَیْءٍ فَصَّلْنٰہُ

وکل

وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ
عَلَيْكَ حَسِيبًا مَّنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا
كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ
فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا مَّن كَانَ
يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا وَ
مَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا كُلًّا نُّمِدُّ هَٰؤُلَاءِ
وَهَٰؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ
تَفْضِيلًا القراءة بتخذ وابناء الغيبة ابو عمرو وعباس مجرا الباقون بنا، الخطاب ساثم بالمد ابو عمرو ويزيد واختلفا عن ورش والاعشى وحمزة
وابن ذكوان في الوقف ليسوؤا بنا الغيبة على التوحيد ابن عامر وحمزة وابو بكر وحماد ولنسوؤا بالنون على الباقون ليسوؤا على الجمع ويدخلوا مخففا
حمزة وعلي ويخرج بالبناء مجهولا يزيد ويخرج لازما يعقوب الاخرون بالنون منعد بالتفاه مشدد ابن عامر ويزيد وروح والتفاش عن
ابن ذكوان بالامالة الباقون محققة وقراء حمزة وعلي وخلف بالامالة اقرأ كتابك بغير همز الاعشى واوقف حمزة في الوقف امرأ من باب المقام
يعقوب اوقوف الجزء الخامس عشر اباشاط البصرة لمن قرأ تتخذ وابناء الخطاب لامكان ان يجعل من تمام مناداي توحيد شكورا كبيرا الذباح
منصوبا على نقلها فلما ط لان ما بعده عائد الى قوله فاذا جاء وعلى هذا لهما مع اعتراض العوارض تقبيرا بحكم الابتداء بالشرط مع العطف عليه
حذرا من توهم العطف حصيرا كبيرا للعطف لهما بالخبر ط عجولا والحساب ط تفضيلا عنفرط منشورا كتابك ط حسيبا لتعذر الشرط لنفس
الشرط مع العطف عليها ط الاخرى ط رسولا ندميرا بصيرا جهنم ج لاحتمال ما بعده الحال والاستيناف مدحورا مشكورا عطاء ربك ط
محظورا بعض ط تفضيلا النفير لما عزم على نبيه في خوانيم النحل جوامع مكارم الاخلاق حكى طرفا مما خصه به من المعجزات فقال سبحان الذي
وهو اسم علم للتسبيح وقد مر اعرابه في قوله سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا والمراد تنزيه الله من كل ما لا يليق بجلاله وآثاره وسرى وسرى لغتان بمعنى
انه لما وصل النبي ص الى المراتب العلية في معارج وحي الله اليه بالحمد بما اشرفك فقال يا رب تنسبني الى نفسك بالعبودية فانزل فيه سبحان
الذي اسرى بعبده وقوله ليلا نصب على الظرف وهنا كذا الاسراء وفي النكرة تقليل مدة الاسراء لان التنكير فيه معنى البعضية اخبر
انه اسرى به في بعض الليل من المسجد الحرام عن النبي ص انه انما اتى المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان اذ انه جبريل بالبراق
قيل المراد بالمسجد الحرام الحرم لاحاطته بالمسجد والتباسه به وعن ابن عباس الحرم كله مسجد والى هذا القول ذهب الاكثرون قالوا انه اسرى به
من دار ام هانى بنت ابي طالب قبل الهجرة بسنة وعن ابن الحسن انه كان قبل البعثة الى المسجد الاقصى هو بيت المقدس سمي بذلك
بالاقصى لبعد المسافة بينه وبين المسجد الحرام ولم يكن حوله وراءه مسجد الذي باركنا حوله بريد بركات الدين والدنيا لانه متعبد الانبياء
من وقت موسى ومهبط الوحي وهو محفوف بالانهار الجارية والاشجار المثمرة وقوله اسرى مع قوله باركنا سلوك لطريقة الالتفات لتزيينه
من آياتنا بيان لحكمة الاسراء سؤال اراه ابو هيعم ملكوت السموات والارض واراه محمدا بعض آياته فيلزم ان يكون معراج ابراهيم افضل
الجواب لعل بعض الآيات المضافة الى الله تعالى اشرف واجل من ملكوت السموات والارض كلها ولهذا اختم الآية بقوله انه هو السميع لاقوال
محمد البصير بافعاله المهذبة الخالصة فيكرمه على حسب ذلك واعلم ان الاكثرين من علماء الاسلام اتفقوا على ان اسرى بجسد رسول الله
والاقلون على انه ما اسرى الا بروحه حكى محمد بن جرير الطبري في تفسيره عن جماعة انه قال كان ذلك رؤيا وانه ما فقد جسد رسول الله ص
لكن خرج بروحه وحكى هذا القول عن عائشة ايضا وقد احتج بعض العقلاء على هذا القول بوجوه منها ان الحركة الحسية البالغة في السرعة
الى هذا الحد غير معقولة ومنها ان صعوده الى السموات يوجب خرق الفلك ومنها انه لو صح ذلك لكان من اعظم معجزاته فوجب ان يكون مشهورا
من العجم الغفير حتى يستدل بذلك على صدقه وما الفائدة في اسرائه ليلا على حين غفلة من الناس ومنها ان الانسان عبارة عن الروح وجزء
لا يتبعض من اول عمره الى آخره والاجزاء البدنية في التغير والانتقال والابدال متغايرة فلان الانسان يدرك ذاته حين ما يكون غافلا

عشر من الجزء الخامس

عن جميع جوارحه واعضائه ومنها قوله سبحانه وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس وما تلك الرؤيا الا حديث المعراج وانما كانت فتنة للناس لان كثيرا ممن اسلم ممن ارتد وكفر به ومنها ان حديث المعراج الجسماني اشتمل على اشياء بعيدة عن العقل كشق بطنه وتطهيره بماء زمزم وركوب البراق وايجاب خمسين صلوة فان ذلك يقتضي نسخ الحكم قبل حضور وقته وانه يوجب البداء اجاب الاكثرون عن الاول بان حركة الرسول ﷺ من مكة الى فوق الفلك الاعظم لم يكن الا نصف القطر الى نصف الدور وسنة الواحد الى ثلثمائة وستين هي نصف حركة الفلك في يوم وليلة واذا كان الاكثر واقعا فالاقل بالامكان اولى ولو كان القول بمعراج محمد ﷺ في ليلة واحدة ممتنعا لكان القول بنزول جبرئيل من العرش الى مكة في لحظة واحدة ممتنعا لان الملائكة ايضا اجسام عند جمهور المسلمين وكذا القول في حركات الجن والشياطين وقد سخر الله تعالى لسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وقد قال الذي عنده علم من الكتاب انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك فكان عرش بلقيس في افصى اليمن وسليمان في الشام وعلى قول من يقول ان الابصار بخروج الشعاع وعلى قول من يقول ان الابصار بانتقال شعاع العين من ابصر الى الكواكب الثابتة في ان واحد يثبت ان المعراج امر ممكن في نفسه اقصى ما في الباب الاستبعاد وخرق العادة ولكنه ليس مخصوصا بهذه الصورة واما ذلك امر حاصل في جميع المعجزات وعن الثاني ان الخرق والالتيام عند حكماء الاسلام جائز وعن الثالث ان فائدة الاسراء قد عاينت لبحث شاهد العالم العلوي والعرش والكرسي وما فيها وعليها لتحصل له قلبه زيادة قوة وطمانينة بها انقطعت علقة عن الكون ولم يبق مشغول القلب بشيء من امور الدنيا والاخرة وعن الرابع ان العبد عبارة عن مجموع الروح والجسد وعن الخامس ان تلك الرؤيا هي بعينها هي حكاية المعراج كما سيجيء في تفسيره ولو سلم انها غير المعراج فالرؤيا بمعنى الرؤية وعن السادس انه لا اعتراض على الله تعالى في شيء من افعاله وانه على كل شيء قدير واعلم انه ليس في الاية دلالة على العروج من بيت المقدس الى السموات والى ما فوق العرش الا اذا ورد الحديث بذلك ومنهم من استدل على ذلك بأول سورة النجم او بقوله لتركبن طبقا عن طبق وتفسيرهما مذكور في موضعه روي انه كان ﷺ نائما في بيت ام هانئ بعد صلوة العشاء فاسرى به ورجع من ليلته وقص القصة على ام هانئ وقال مثل ذلك للنبيين وصلى بهم وقام ليخرج الى المسجد فتشبثت ام هانئ بثوبه وقالت اخشى ان يكذبك قومك فقال وان كذبوني فخرج فجلس ابو جهل فاخبر برسول الله ﷺ بحديث الاسراء به من مكة الى بيت المقدس ومنه عرج الى السماء ورأى ما فيها من العجائب ولقي الانبياء وبلغ البيت المعمور وسدرة المنتهى فقال ابو جهل يا معشر بني كعب لوه هلم تحدثهم من بين مصفق وواضع يده على رأسه تعجبا وانكارا وارتد ناس ممن كان امن به وصدقه ورجال الى ابي بكر رضي الله عنه فقال ان كان قال ذلك لقد صدق قالوا اتصدقه على ذلك قال اني لاصدقه على ابعد من ذلك فمن اجل ذلك سمي الصديق وكان فيهم من سافر الى الشام فاستنعتوه المسجد فجلى له ﷺ بيت المقدس فطفق ينظر اليه وينعته لهم فقالوا اما النعت فقد اصاب فقالوا اخبرنا عن عيرنا فاخبرهم بعدد جمالها واحوالها وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل ادرم فخرجوا يشتدون ذلك اليوم نحو الثنية فقال قائلهم هذه والله الشمس قد اشرفت وقال اخر وهذه والله العير قد اقبلت يقدمها جمل ادرم كما قال محمد ﷺ ثم لم يؤمنوا قالوا اما هذا الا سحر مبين ولما حكى طرفا من اكرام موسى قال ولقد اتينا موسى الكتاب اي التوراة وجعلناه هدى لبني اسرائيل اخرجناهم بواسطته من ظلمات الجهل والكفر الى نور العلم والدين الا تتخذوا امر قرئ على الغيبة فان ناصبته ولام العاقبة محذوف اي لئلا يتخذوا ومن قرأ على الخطاب فان مفسرة بمعناها اي لا تتخذوا او القول كتبنا لهم ان افعل كذا او زائدة والقول مضمر بعني قلنا لهم لا تتخذوا من دوني وكيلا ربا تكلون اليه امركم يا ذرية من حملنا مع نوح قال قتادة الناس كلهم ذرية نوح ع لانه كان معه في السفينة ثلثة بنين سام وحام وياقث والناس كلهم من ذريته او لانك فقوله يا ذرية فاتم مقام قولنا يا ايها الناس وعلى القراءة الاولى انتصب ذرية على الاختصاص وعلى القراءتين احتمل ان ينتصب على انه مفعول اخر لتتخذوا لانه لا يجعلوهم ربا بأن يقولوا ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا ومن ذرية المحمولين مع نوح عيسى وعزير ثم علل النهي عن الاشراك بقوله انه كان عبدا شكورا اي نبئ ذرية من امن بمن حمل معه فجعلوه اسوتكم كما جعلوا اباكم اسوتهم في الشكر لله وعدم اتخاذ الشريك له ويجوز ان يكون تعليلا لاختصاص بني اسرائيل والثناء عليهم بانهم اولاد المحمولين مع نوح فهم متصلون به فلهذا استأهلوا الاختصاص ويجوز ان يكون ثناء على نوح بطريق الاستطراد روي من شكره انه اذا اكل قال الحمد لله الذي اطعمني ولو شاء اجاعني واذا شرب قال الحمد لله الذي سقاني ولو شاء اظمأني واذا اكتسى قال الحمد لله الذي كساني ولو شاء اعراني واذا احتذى قال الحمد لله الذي حذاني ولو شاء احفاني واذا قضى حاجته قال الحمد لله الذي اخرج عني اذاه في عافية ولو شاء حبسه كان اذا اراد الافطار عرض طعامه على من امن به فان وجد محتاجا اثره به ثم ذكر ان كثيرا من بني اسرائيل ما اهتدوا بهدى التوراة فقال وقضينا الى بني اسرائيل اوحينا اليهم وحيا مقضيا مقطوعا به في الكتاب الذي هو التوراة وقوله لتفسدن جواب قسم محذوف او جرى القضاء المبتوت مجرى القسم كأنه قيل واقسمنا لتفسدن في الارض ارض مصر مرتين ولتعلن لتعظمن وتستولن على الناس علوا كبيرا استطالة عظيما وبغيا شديدا فاذا جاء وعد عقاب اولاهما اولى المرتين بعثنا ارسلنا وسلطنا عليكم عبادا لنا اولي بأس شديد اصحاب جدة وشدة قتال فجاسوا تردوا للغارة خلال الديار اوساطها وفرجها يعني ديار بيت المقدس وكان وعد العقاب وعدا

مفعولا لابد من وقوعه ثم رددنا لكم الكرة الدولة والغلبة عليهم على الذين بعثوا عليكم حين نبتم ورجعتم عن الفساد والعلو وجعلناكم
اكثر نفيرا مما كنتم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه احتج الاشاعرة بقوله سبحانه وقضينا بعثا وكان وعدا مفعولا على صحة القضاء
والقدر وان الفساد والتخريب والقتل والاسر كلها بفعله واجابت المعتزلة بان المراد انه خلى بينهم وبين ما فعلوا ولم يمنعهم عن تخريب بيت المقدس
واحراق التوراة وقتل حفاظها وضعف بان تفسير البعث بالتخلية وعدم المنع خلاف الظاهر على ان الدليل الكلي العقلي قد دل على وجوب انتهاء
الكل اليه ولما حكى عنهم انهم حين عصوا سلط عليهم اعداءهم مهد قاعدة كلية في الاحسان والاساءة فقال ان احسنتم احسنتم لانفسكم
وان اسأتم فلها لم يضف فعلها اوفاعلها للتقابل مع ان حروف الاضافة تقوم مقام البعض قال اهل الاشارة انه اعاد الاحسان ولم يذكر الاساءة الا
فيه دليل على ان جانب الرحمة اغلب فاذا جاء وعد عقاب المرة الاخرة بعثناهم حذف جواب اذا لدلالة ذكره اولا عليه ومعنى ليسوؤا وجوهكم
ليجعلها الله اثر الوعد والبعث وليجعلوها بادية اثار المساءة والكآبة فيها لان اثار الاعراض النفسانية الحاصلة في القلب تمتد ظهر على
الوجه ويتبين واما علوا ليهلكوا كل شيء غلبوه واستولوا عليه ويجوز ان يكون ما بمعنى المدة اي مادام سلطانهم جاريا على بني اسرائيل وقوله
تتبيرا ذكر المصدر ازالة للشك وتحقيقا للخبر وروي ان بني اسرائيل تعظموا وتكبروا واستحلوا المحارم وقتلوا الانبياء وسفكوا الدماء وذلك
اول الفسادين فسلط الله عليهم بختنصر وسنحاريب جنوده اوجالوت عن ابن عباس قتلوا علماءهم واحرقوا التوراة وسبوا منهم سبعين
الفا وبقوا في الذل الى ان قيض الله ملكا من اهل بابل وتزوج بامراة من بني اسرائيل وطلب من ذلك الملك ان يرد بني اسرائيل الى بيت المقدس
ففعل وبعد مدة فاشت فيهم الانبياء ورجعوا الى احسن ما كانوا عليه ثم افسدوا فقتلوا زكريا ويحيى وقصدوا قتل عيسى مريم وهذا قاله
الاسكافي فانتقم منهم اليهود بسببهم وقيل ان الروم يقال له قسطنطين الملك وقال صاحب الكشاف المرة الاولى قتل زكريا وحبس ارميا
والاخرة قتل يحيى زكريا وقصد قتل عيسى واعلم انه لا يتعلق كثير غرض بمعرفة اعيان هؤلاء الاقوام والمقصود الاصلي الذي دل عليه القرآن
هو انهم كلما عصوا وافسدوا سلط الله اعداءهم وفيه تحذير للعقلاء من مخالفة اوامر الله ونواهيه ثم قال عسى ربكم يا بني اسرائيل ان يرحمكم
بعد انتقامه منكم في المرة الثانية وان عدتم للثالثة عدنا لها قال اهل السير ثم انهم قد عادوا الى الفعل الا بنبي وهو تكذيب محمد
كتمان ما ورد من نعته في التوراة والانجيل فعاد الله عليهم بالتعذيب على ايدي العرب فجرى على بني قريظة وبني قينقاع ويهود
خيبر ما جرى من القتل والاجلاء ثم البائقون منهم مقهورون بالجزية لا حشة لهم ولا عزة فيهم في عذاب الى يوم القيمة واما بعد ذلك
فهو قوله وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا اي محبسا حاصرا او محصورا لا يخلصون منه ابدا وعن الحسن بساطا كما يبسط الحصير المنسوج
ثم لما شرح فعله في حق عباده المخلصين كمحمد وموسى وفي عبيده العاصين كاكثر بني اسرائيل وكان في ذلك تنبيه على ان طاعة الله توجب
كل خير وكرامة ومعصيته تقتضي كل شر وعار عظم شان القرآن المبين للاحكام الهادي للانام فقال ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم
اي الحالة او الشريعة او الطريقة التي هي اقوم وفي حذف الموصوف فخامة يعرفها اهل البلاغة لعموم الاعتبار وذهاب اوهام كل مذهب قيل هذا
الشيء اقوم من ذلك اتما يصح في شيئين يشتركان في معنى الاستقامة ثم يكون للاول فضل على الاخر وكيف يتصور في غير هذا الدين
شيء من الاستقامة حتى يستقيم التفضيل واجيب بان افعل ههنا بمعنى الفاعل كقولنا الله اكبر اي هو الكبير وكقولهم الناقص والاشج اعدلا
لابني مروان اي عادلا بني مروان ويمكن ان يقال لا شيء من الاديان الا وفيه نوع من الاستقامة كالاعتراف بالله الواجب بالذات والاقرار
لاصول الاخلاق ومكارم العادات وقوانين السياسات الا ان بعض الخلل ابطل الكل فالكل ينهدم بانهدام الجزء ثم ان كون القرآن
هاديا الى الاعتقادات الاصوب والعمل الاصلح يتجلى اثره وذلك هو البشارة بالاجر الكبير لاهل الايمان والعمل الصالح وبالعذاب الاليم لغيرهم
فان قيل لفظ البشارة بمعنى الانذار يستعمل للتهكم اذ البشارة مطلق الخبر الغير للبشرة فكانه قيل للذين لا يؤمنون بالاخرة ان لهم
عذابا ويجوز ان يبشر المؤمنين بشارتين احديهما ثوابهم والاخرى بعذاب اعدائهم قال في الكشاف كيف ذكر المؤمنين الابرار والكفار
ولم يذكر الفسقة واجاب على اصول الاعتزال بان الناس كانوا صنفين اما من اهل التقوى واما من اهل الشر وانما حدث اصحاب المنزلة بين المنزلتين
بعد ذلك فلم يشهد الجواب منه عجب فان هذا الصنف لو سلم انه لم يكن موجودا في ذلك العصر الا ان حكم ما يذكر في القرآن الذي
فيه اصول الاحكام على ان ذكر الفساق من الامة في القرآن المكي والمدني موجود قال تعالى فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ثم عباده
الذين اسرفوا على انفسهم والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم واذا كان ذكرهم في القرآن مرادا والله تعالى بعد ههنا اوصاف
القرآن على جهة المدح فاي مقام ارقى لذكر هذا الوصف من ههنا والجواب الحق ان الكفار جعلوا فاسقين اهل الايمان
والله اعلم قيل هذه الاية واردة في شرح احوال اليهود وهم ما كانوا ينكرون الايمان بالاخرة والجواب المنع من الخصوص ولو سلم فانهم بالكلية
كانوا ينكرون الايمان فبعضهم انكروا المعاد الجسماني وبعضهم قالوا ان تمسنا النار الا اياما واعلم انه سبحانه قال ههنا اجرا كبيرا وفي اول الكهف
اجرا حسنا رعاية للمقابلة والا فالاجر الكبير والاجر الحسن كلاهما الجنة ولما بين ان القرآن كاف في الهداية ذكر ان الانسان قد يعدل
عن التمسك باحكام فقال ويدع الانسان اي جنس الكافر وقد ذكر جمع من المفسرين انه النضر بن الحرث دعا اللهم ان كان هذا هو

الحق فاضرب عنقه فاجاب الله دعاءه وضربت رقبته صبرا وكان بعضهم يقول انينا بعذاب الله واخرون متى هذا الوعد جهلا منهم و
اعتقادا ان محمدا كاذب قيل المراد انه يدعو الله عند غضبه وضجره فيلعن نفسه وولده وماله ولو استجيب له في الخير لهلك يروى انه صلى
رفع له سورة بيت زمعة اسرا فاقبل يمان بالليل فقالت له مالك يمان فشكا الم الفقر فارجف من كثافة فلما نام اخرج يده وهرب فلما
اصبح النبي صلى دعا به فاعلم بشانه فقال صلى اللهم اقطع يده فرفع سورة يده بها يتوقع الاجابة وان يقطع الله يده بها فقال النبي صلى اني سالت
الله ان يجعل لعنتي ودعائي على من لا يستحق من اهلي رحمة لان لي اعراضا كما يغضب البشر فلم ترد سورة يده بها وكان الانسان عجولا يستعجل
بالعذاب مع انه اوانه ويسرع الى طلب كل ما يقع في قلبه ويخطر بباله معتقدا ان خيرا فيه وان كان ذلك عند التامل مضرة اله وقيل
اراد بهذا الانسان ادم وذلك انه لما انتهى الروح الى سرته نظر الى جسده فاعجبه ما رآه فذهب لينهض فلم يقدر ولبس هذا القول بالحقيقة
مغايرا للاول لان اصل الادمي اذا كان كذلك كان كل فرد منه متصفا بهذه الحالة قال اهل التنظم لما ذكر نعمة الدين وهو القران اردفها
بنعمة الدنيا فقال وجعلنا الليل والنهار اي بينين وفيه ان القران لانهم المقصود منه الا بنوعيه المحكم والمتشابه فكذا الزمان لا يكمل الانتفاع
به الا بمجريه الليل والنهار فالمحكم كالنهار في وضوحه والمتشابه بمنزلة الليل في خفائه وبوجه اخر لما ذكر دلائل النبوة والتوحيد واكدها بدليل
اخر من عجائب الزمان وبوجه اخر لما وصف الانسان بكونه عجولا اي منتقلا من حالة الى حالة ومن صفة الى صفة بين ان كل احوال هذا العالم
كذلك فينتقل الضوء من الانارة الى الظلام وبالعكس وينتقل القمر من النقصان الى الامتلاء وبالضد فمحونا اية الليل هي من اضافة الشيء الى
نفسه للبيان كقولك نفس الشيء او ذاته اي محونا الاية التي هي الليل اي جعلنا الليل بحيث الضوء مطموسة مظلما لا اشتباه فيه شيء كما لا يستبان
ما في اللوح المحو جعلنا الاية التي هي النهار مبصرة ذات ابصار وذلك باعتبار من فيها اي يبصر فيها الاشياء ويستبان او يدرك بها ايضا الاضافة
لانها سببه وقيل المضاف محذوف والتقدير وجعلنا ذوي اية الليل والنهار اثنين فمحونا اية الليل التي هي القمر حيث لم يخلق له شعاع كشعاع
الشمس فيرى به الاشباح وتتغير بتغيره وجعلنا الشمس ذات شعاع يبصر ضوءها كل شيء لتبتغوا فضلا من ربكم لتتصرفوا بابتغاء ارزاقكم في النهار او
بشعاع الشمس لما يستلزم للنهار التصرف في وجوه معايشكم ولتعلموا باختلاف الجديدين وبزيادة ضوء القمر ونقصانه عدد السنين الشمسية
او القمرية المركبة من الشهور ولتعلموا جنس الحساب المبني على الساعات والايام والشهور والسنين والادوار وقيل اراد بمحو القمر الكلف الذي في
وجهه سببه في الشرع ما روي ان الشمس والقمر كانا سواء في النور والضوء فارسل الله تعالى جبريل فامر جناحه على وجه القمر فاذهب عنه اثر الماء
وسببه عند الفلاسفة انه اذا تكون في وجه القمر اجسام قليلة الضوء كان ذلك في اجرام الكواكب في اجرام الافلاك ولما كانت تلك الاجرام اقل ضوءا من جرم القمر
لاجرم شوهدت تلك الاجرام في وجه القمر كالكلف في وجه الانسان وقد ذكرنا له وجها اخر في الهيئة فال اهل التجارب ان اختلاف احوال القمر في مقادير
النور له اثر عظيم في احوال هذا العالم ومصالحه لا سيما في احوال البحار والبحاريين على ما بينوه في الاطباء الا ان الكلف ليس له مدخل في ابتغاء فضل
الله وفي معرفة الحساب بالتفصيل العام وقيل ان الكلف نقص من نور القمر حتى لم يشرع على ازالة ظلام الليل بالكلية فبقي في وقت السكون والراحة بحالة
وفي وقت التردد في طلب المعاش بحالة وصار تعاقب الليل والنهار سببا لمعرفة الايام وما يتركب منها كان منها ثم قال وكل شيء مما يفتقر من البشر في دينكم
ودنياكم فصلناه تفصيلا بيناه بيانا غير ملتبس حتى انوا اهل العذار فلا يطلب من يطلب الا عن بينة فلذلك قال وكل انسان الزمناه طائره اي عمله في عنقه وبوجه اخر لما شرح احوال الشمس والقمر والنهار والليل لابتغاء المعاش والتردد في طلب المعاش والتاهب لمعرفة المواقيت وكان الغرض الاصلي من
الكل هو الاشتغال بخدمة المعبود وتهذيب الافعال واصلاح الاقوال ذكر ان الانسان مؤاخذ في عرصة القيمة باقواله وافعاله وساير احواله
يظهر انه هل الى بما هو المقصود من خلقه ام لا قال اكثر اهل اللغة ان العرب اذا اراد وا الاقدام على عمل من الاعمال اعتبروا احوال الطائر انه يطير
بنفسه او يجتاج الى ان زعاجه واذا طار فهل يطير مهنا منا او متياسرا او صاعدا في الجو فاعتبروا ذلك من الاحوال التي كانوا يعتبرونها ويسمون كل
واحد منها على ما يسوقهم علمهم اليه من خير او شر فاطلاق الطائر على العمل لشبهه للشيء باسم لازمه وقال ابو عبيدة الطائر عند العرب الحظ و
البخت فالطائر ما وقع للشخص في الازل مما هو نصيبه من العقل والعلم والعمر والرزق والسعادة والشقاوة كانه طائر يطير اليه من وكر الازل
وظلمات عالم الغيب طيرانا لا انتهاء له ولا غاية الا ان انتهى الى ذلك الشخص في وقته المقدر من غير خلاص ولا مناص وفي هذا دليل على انه لا يظهر
في الابد الا ما حكم الله به في الازل والكتابة الابدية لا يتم الا بما عناها الازلية واتى سبحانه اكد هذا المعنى باضافة الالزام الى نفسه ثم بقوله في
عنقه فجعل هذا الامر في عنقه اي محقق تكوا لزمك لا محتفظا فان كان خيرا يزينه كان كالطوق وان كان شرا يشينه كان كالغل ومن امثال
العرب بقلدها طوق الحمامة ويخرج من قرابا لنون فظاهر قوله يلقيه منشورا صفة ان للكتاب ويلقاه صفة ومنشورا حال من مفعول يلقاه و
قرا بالياء مجهولا او لازما فالضمير للطائر وكتابا حال منه بقي لفت الشيء ولفاه غيره عن الحسن يا ابن ادم بسطت الصحيفة وطويت في قبرك
معك ثم اذا بعثت خلدت فيها في عنقك اقرا كتابك على اضمار القول قال قتاده يقرا ذلك اليوم من لم يكن قارئا وبنفسك فاعل كفى
حسيبا تمييز بمعنى حاسبا لان كثيرا من فعيل بالضم كفريب بعيد لكنه من فعل بالفتح غريب منه ما قال سيبويه ضريب المذاكير بمعنى ضاربها
وصريم بمعنى صارم وعلى متعلق بحسيب على حد قولك حسب عليه كذا ويجوز ان يكون الحسيب بمعنى الكافي ثم وضع موضع الشهيد نعدي بعلى لان

الشاهد

الشاهد يكفي المدعي ما ادعوه وذكر حسيبا بمعنى رجلا حسيبا لانه يعبر بالشهيد والغالب ان الشهادة يتولاها الرجال كالقضاء والامارة والنفس مادل بالشخص وحمل فعيل بمعنى فاعل على فعيل بمعنى مفعول كقتيل ويجوز ان يكون الحسيب بمعنى المحاسب قال الحسن عدل والله جعله من جعلك حسيب نفسك وقال السدي يقول الكافر يوم مدان انك قضيت انك لست بظالم للعبيد فاجعلني احاسب نفسي فيقال له اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وروى ابو هريرة عن النبي ﷺ ان المؤمن يؤتى الفناء صحيفته وسيئاته في ظهرها بعيطه الناس عليها وحسناته في جوف صحيفته وهو يقرأها حتى اذا طن انها قد ذهبت قال الله تعالى قد غفرتها لك بما بين يديك فيعظم سروره ويبصر من الذين قال الله في حقهم وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة قال الحكيم الترمذي يوجب تقرير الآثار فكل عمل يصدر من الانسان خيرا وشرا فانه يحصل منه في جوهر روحه اثر مخصوص الا ان ذلك الاثر يخفى مادام الروح متعلقا مشتغلا بواردات الحواس والقوى فاذا انقطعت علائقه عن البدن وقامت فيما منه لان النفس كما انها كانت مساكنة مستقرة في الجسد وعند ذلك قامت وتوجهت عن الصعود الى العالم العلوي بزال الغطاء ينكشف الاحوال ويظهر على لوح النفس نقش كل شيء عمله في مدة عمره وهذا معنى الكتابة والقراءة بحسب العقل وانه لا يبقى في ما ورد في النقل ثم بين ان ثواب العمل الصالح وعقاب سيئه مختص بفاعله لا يتعدى منه الى غيره فقال ﴿ولا تزر وازرة وزر اخرى﴾ قال الجبائي فيه دلالة على ان الاطفال لا يعذبون بكفر اباهم وان الوزر والاثم ليس من فعل الله والا لم يأخذ العبد بكسب غيره بل كان يجب ان لا وزر اصلا لان العبد لا يوصف بالوزر لانه غير مختار وجواب الاشاعرة ان الوزر مختص بافعال المكلفين من الثقلين وقد جعل الله ذلك في صحف ما رواه ابن عمران الميت ليعذب ببكاء اهله واستدل به جماعة من الفقهاء في الامتناع من ضرب الدية على العاقلة ويمكن ان يجاب بانه ما من حامل الا وقد حملت اثقالا وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا فقد استدل به الاشاعرة على ان وجوب شكر المنعم لا يثبت بالعقل بل بالسمع لان الوجوب لا يتقرر ما لم يتقرر ترتب العقاب على الترك ولا عقاب قبل الشرع بحكم هذه الآية اجاب المعتزلة بانه لو لم يثبت الوجوب لم يثبت الوجوب الشرعي لان النبي اذا جاء وادعى المعجزة فهل يجب على المستمع قبول قوله والتأمل في معجزته او لا يجب الثاني باطل بالاتفاق وعلى الاول ان وجب بالعقل فهو المدعى وان وجب بالشرع فذلك الشارع ان كان ذلك النبي لزم اثبات النبي بنفسه وان كان غيره دار او تسلسل وبوجه اخر اذا وجب النبي بعض الافعال وحرم بعضها فلا معنى لذلك الا ترتب العقاب على الترك والفعل ثم اذا وجب على المكلف ان يجتهد في معرفة الاثبات ولا يجب الا بسبب الى الثاني بالاتفاق وعلى الاول يلزم الوجوب العقلي والا لزم الدور او التسلسل ثم ان مذهب اهل السنة جواز العفو عن عقاب الكبيرة ماهية الوجوب حاصلة مع عدم العقاب ولا ذم مع جواز العفو فلم يبق الا ان ماهية الواجب انما تتقرر بسبب حصول الخوف من العقاب ولا يكون هذا الخوف الا بمحض العقل فثبت ان الوجوب العقلي لا يمكن دفعه فاما ان يجري الامر على ظاهره ويبقى العقل هو رسول الله الحاكم بل هو الرسول الذي لولاه لما تقرر بعثة رسول احد من الرسل ويمحى الانبياء كالتنبيه على النظم كالايقاظ من رقدة الغفلة والجهل وان كانت لا تزهم قبل بعثة الرسل الا انها بعد البعثة الزم واما ان يخصص عموم الامر فيقال المراد وما كنا معذبين في الاحوال الا بسبب الى معرفة وجوبها الا بالشرع الا بعد مجيء الشرع ربما ارتضى الامام فخر الدين الرازي ان مجرد العقل سبب لان يجب علينا فعل ما ينتفع به وترك ما يستضر به اما مجرد العقل لا يدل على ان يجب على الله شيء وذلك لانا مجبولون على طلب النفع والاحتراز عن الضرر والله تعالى منزه عن ذلك ولقائل ان يقول ان سبحانه منزه عن الانتفاع بالاستضرار الا ان حكيم جواد فلم لا يتفضل من الحكيم الجواد بترك ما ينتفع بغيره وفعل ما يستضر به واذا قبح منه ذلك حسن منه ضده والحكيم لا يترك الاحسن فصدور ذلك الاحسن منه البتة هو الذي لك ان تشتهيه وجوبا كما وصف به نفسه في قوله كان على ربك حتما مقضيا او لكم من ايات القرآن دالة على ان الفعل قد يصدر منه صدورا لا يحتمل النقيض مع ذلك قوله واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها الا للمفسرين في معنى امرنا قولان الاول ان المراد به الامر الذي هو نقيض النهي وعلى هذا اختلفوا في المامور به فالاكثرون على ان الطاعة هي الخبر وقال في الكشاف معناه واذا دنا وقت اهلاك قوم ولم يبق من زمان امهالهم الا قليل امرناهم بالفسق ففسقوا ولما كان من اصول الاشعرية ان الله تعالى لا يامر بالفحشاء ذكروا ان الامر بالفسق ههنا مجاز ووجهه ان نصب عليهم النعم نصبا فجعلوها ذريعة الى المعاصي واتباع الشهوات فكان ايتاء النعمة سببا لايثارهم الفسوق على الايمان فكانهم ماموورون بذلك ثم جعل تقدير امرناهم بالطاعة ففسقوا من قبيل التكليف بعلم الغيب ولم يجوزوا ان تكون من قبيل الامر فحشا فانه يفهم منه ان المامور به طاعة ولكنه حكم بانه مثل امرته فقام او امرته فقام فانه لا يفهم منه الا ان المامور به قيام او قراءة ولقائل ان يقول كما ان قوله امرته فعصاني يدل على ان المامور به شيء غير المعصية منافية للامر فيما قضاه فكذلك قوله امرته ففسق يدل على ان المامور به شيء غير الفسق لان الفسق عبارة عن الاتيان بضد المامور به فكونه فسقا ينافي كونه ماموراً به كما ان كونه معصية ينافي كونه ماموراً به وهذا ظاهر فلا ادري كيف حمل الله على قوله مع ضعفه ومخالفته اصله القول الثاني ان معنى امرنا مترفيها اكثرنا فساقها قال الواحدي يقول العرب امر القوم اذا كثروا وامرهم الله اذا اكثرهم وامرهم ايضا بالقصر واحتج ابو عبيدة على صحة هذه اللغة بقوله صلى الله عليه وسلم خير المال سكة مابورة ومهرة مامورة فالسكة النخيل المصطفة والمهرة المامورة النتاج وقيل

حمل بعضهم الحديث على الامر صدقا للنهي اي قال الله لها كوني كثيرة النسل فكانت وروي ان رجلا من المشركين قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اترى امر هذا حفيرا فقال صلى الله عليه وسلم اترسبا اي سيكثر ويسكر والمترف في اللغة المنعم الذي فلا بطرة النعمة وسعة العيش ففسقوا فيها اخرجوا امرهم الله فحق عليها القول استوجبت العذاب فدمرناها اهلكناها على سبيل الاتصال قال الاشاعرة ظاهر الاية يدل على ان الله تعالى اهلاكهم ابتداء ثم توسل الى اهلاكهم بهذا الطريق وهو قوله فحق عليها القول اي بالكفر ثم التعذيب قال الكعبي ان سائر الايات دلت على ان الله تعالى لا يعذب الا بعد ان يبعث الرسل بالانذار كقوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وقوله ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم فتلك الايات محكمة وهذه من المتشابهات فيجب حمل هذه على تلك قال في التفسير الكبير احسن الناس كلاما في تاويل هذه الاية الفعال فانه ذكر وجهين الاول اخبر الله انه لا يعذب احدا بما علمه حجة على العاصي من علم انه عاص بل بامر حتى يظهر عصيانه للناس مع عقابه ومعنى الاية واذا اردنا اهلاك قوم بسبب ظهور المعاصي منهم لم نهلكهم بالعذاب في اول ظهور المعصية منهم بل امرنا مترفيها بالطاعة عن ذلك المعاصي وحثهم المترفين بذلك لان نعمة الله عليهم اكثر فكان الشكر عليهم اوجب فاذا لم يرجعوا واصروا وجب عليهم البلاء صبا وزعم الجبائي ان المراد بالارادة الدنو والمشارفة كقولك اذا اراد المريض ان يموت او اراد مرضه شدد واذا اراد الغلام ان يفترسه الحزن من كل جهة ليس المعنى ان المريض يريد ان يموت والتاجر يريد ان يفتقر وانما عنيت ترسيبها الى ذلك فمعنى الاية واذا قرب وقت اهلاك قرية قللنا مثله عن صاحب الكشاف ولا يخفى انه عدول عن الظاهر ثم ذكر ان هذه عادة الجبار يتمع القرون الخالية فقال وكم اهلكنا فكم مفعول اهلكنا ومن القرون بيان لكم وتمييز له اراد بهم عادا وثمود ونحوهما ثم خاطب سوله بما هو وعيد للناس كافة فقال وكفى بربك الاية قال القراء انما يجوز ادخال الباء في المرفوع اذا كان يمدح به صاحبه او يذم كقولك كفاك برد اكرمه به رجلا وطاب بطعامك طعاما ولا يقال جاءني بزيد قام اخوك وفي الاية اشارة عظيمة لاهل الطاعة وانذار شديد لغيرهم لان العلم التام مع القدرة الكاملة والحكمة الشاملة يقتضي ايصال الجزاء الى كل احد بقدر استحقاقه ثم اكد المعنى المذكور من قوله وكل انسان الزمناه طائره ومن قوله من اهتدى فانما يهتدي لنفسه بقوله من كان يريد العاجلة اي المنفعة او الدار العاجلة عجلنا له فيها ثم قيد العجل بقيد بن احدهما قوله ما نشاء ولهذا ترى كثيرا من هؤلاء يتمنون ما يتمنون ولا يعطون الا بعضا منه وثانيهما قوله لمن نريد وهو بدل من له بدل البعض من الكل لان الضمير يرجع الى من وهو للعموم ولهذا ترى كثيرا منهم يتمنون البعض اليسير من الدنيا ولا يتمنون فيجمع عليهم فقر الدنيا وحرمان الاخرة بل عذابها لقوله ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا مطرودا من رحمة الله ومن اراد الاخرة بان يعتقد بها ويتمنى عن دار الغرور وسعى لها سعيها اي حق السعي لاجلها وذلك ان يكون الذي يوسل به الى الفوز بثواب الاخرة من جملة الضرب والطاعات وعلى نوعين الشرع والعقل لا البدعة والهوى وهو مؤمن لان شيئا من صور الاعمال الصالحة لا يوجب الثواب الا بعد تقديم الايمان فاولئك كان سعيهم مشكورا قال العلماء الشكر عبارة عن مجموع امور ثلثة اعتقاد كونه محسنا في تلك الاعمال والثناء عليه بالقول والاتيان بافعال بدل على كونه معظما عند ذلك المشكور والله سبحانه وتعالى عامل المطيعين بهذه الامور الثلثة لانه يعلم كونهم محسنين في تلك الاعمال وانه يثني عليهم بكلامه وبعاملهم المعاملات الدالة على كونهم معظمين عند الله وفي قوله من كان يريد العاجلة دون ان يقول من اراد العاجلة كما قال ومن اراد الاخرة اشارة الى ان مريد نفع الدنيا لا يكون مذموما الا اذا كان غالبا في ذلك ثابت القدم فسيح الامل ومريد الاخرة يكون محوطا بادنى التفاتة بعد وجود الشروط قال الاشاعرة ان مجموع القدرة مع الداعي هو الموجب للفعل ونحن نشكر الله على الايمان لانه اعطى القدرة والداعية ولكنه حين حصل الايمان للعبد واستتبع الطاعة الباقية صار العبد ايضا مشكورا لاضافات بين الامرين وقالت المعتزلة نحن لا نشكر الله على الايمان لان المدح على عمل لا يعد المدوح فيه قال تعالى ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا ولكنا نشكره على ما اعطانا من القدرة والعقل وانزل الكتب وارضح الدلائل واعلم انه تعالى ذكر صنفين من الناس كل صنف خيرات الدنيا وقاصد خيرات الاخرة وههنا ثلثة اقسام اخر الاول ان يكون طلب الاخرة في عمل راجحا فقبل انه غير مقبول ايضا لما روي ان النبي صلعم قال حكايتا عن رب العزة انا اغنى الاغنياء عن الشرك من عمل عملا اشرك فيه غيري تركته وشركه وقيل يعارض المثل بالمثل ويبقى الفضل زائدا عنه خالصا لطلب الاخرة فيقع في خير القبول الثاني ان يكون طلب الدنيا وطلب الاخرة متعادلين الثالث ان يكون طلب الدنيا راجحا واتفقوا على ان هذين القسمين ايضا لا يقبلان الا انهما على خلل خير من الرياء المحض ثم بين كمال رافته وشمول رحمته فقال كلا اي كل واحد من الفريقين نمد هؤلاء ونزيدهم من عطائنا على ما لحق من غير انقطاع بالمعصية وقوله هؤلاء بدل من كل ومن عطاء ربك متعلق بنمد وما كان عطاء ربك محظورا ممنوعا من المكلف بسبب عصيانه انظر يا محمد او يا من له اهلية النظر والاعتبار الى عطائنا المباح للفريقين في الدنيا كيف فضلنا بعضهم على بعض فاوصلناه الى المؤمن وقبضناه عن مؤمن اخر واوصلناه الى الكافر وقبضناه عن كافر اخر ليكون بعضهم تحت تسخير بعض وللاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا لان نسبة التفاضل في درجات الاخرة الى التفاضل في درجات الدنيا كنسبة الاخرة الى الدنيا وقيل المراد ان المؤمنين يتفاوتون في الثواب فيظهر فضيلة المؤمنين على الكافرين وعلى بعضهم بانهما المباهي بالرفع منك في مجالس الدنيا اما ترغب في المباهات بالرفع في مجالس الاخرة وهي اكبر وافضل التاويل في نفسه بقوله سبحان عن الاتحاد الكلي ولكن اخبر عن مقام وصول حبيبه فقوله اسرى اشارة الى الجذبة الخفية عن الاغيار

وقوله بعد اشارة الى مقام تضحى نسبة العبد بها التي هي اخر مقامات السالكين وقوله لهذا اذ من ذلك الجذب كاد يكون خفيا عن الجاذب كما ان ذا هلا عن انانيته وقوله من المسجد الحرام هو مقام يحرم فيه الالتفات الى ماسوى الله الى المسجد الاقصى هو مقام الفناء في الله الذي باركنا حوله بالبقاء بالله لنريه من اياتنا التي لا تسمع اذن ولا ابصر عين انه هو السميع البصير فلا يصل احد اليه الا اذا سمع به وابصر به هذا ما خطر ببالي الضعيف في تاويل هذه الاية فان كان صوابا فمن فضل الله وعطائه والا فمني ومن الشيطان تجاسوا خلال الديار الجسد اليه بالنسل فلك التركيب وخلال الديار المعنوية حين استولت الصفات الدنية على الخصال الحميدة لتخريب بيت حفظ من القلب ثم رددنا لكم الكرة عليهم باستيلاء واود القلب فمنا جاثون النفس وامددناكم باموال الطاعات وبنين الايمان والايقان فاذا جاء وعد الاخرة جين ان ندع القوى لبعضها ليسوؤا وجوه قلوبكم يجب سوء اعمالكم وان عدتم الى الجهل عدنا الى الفضل وان عدتم الى الندم عدنا الى الكرم او ان عدتم الى العبودية عدنا الى الربوبية او ان عدتم الى الفترات عدنا الى الجذبات وجعلنا اهل البشرية وهي الروحانية فحوانا اية الليل وهي قمر القلب فمحونا نور العقل حين تطلع شمس شهود الحق وهي اية النهار فاذا طلع الصبا استغنى عن المصباح لتبتغوا فضلا من ربكم وهو محل ذاته وصفاته وقد اختص الانسان بين المخلوقات ولتعلموا ايام الطلب وحساب السير من مقام الى مقام وكل شيء يحتاج اليه السالك بيناه بالاشارات من كان يريد المعاجلة انقلب الانسان بين اصبعي نفحات الرحمن ولطفه ويجب ذلك بحول وجعله الى الدنيا حتى يؤول امره الى دركات البعد ويحول الى الاخرة حتى يصل الى درجات الوصال والله المستعان على ما تصفون

ع لا تجعل مع الله الها اخر فتقعد مذموما مخذولا وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه

كمراد تكبر بس بخشيم كه اين كرده شما دشمنان او كه اشتيد وحكم كرد بر درد كار شما كه بر نرسيد كه او

وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما

وبجا آريد بهمگي نيكوكردن اينكه برسند نزد تو يكي از هر دو ايشان يا هر دو ايشان پس مگو مران هر دو را اف و زجر مكن ايشان را و بگو مر ايشان را سخن

واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا ربكم اعلم بما في نفوسكم ان تكونوا صالحين

و فرود آور مر ايشان را بال خواري را از مهرباني و بگو پروردگارا بيامرز بر ايشان هر دو را چنانكه پروريدند مرا در خردي پروردگار شما داناتر است بچه در نفسهاي شماست اگر

فانه كان للاوابين غفورا وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا ان المبذرين

پس بدرستيكه او هست مر بازگشتگان را آمرزنده و بده صاحب قرابت را حقش و بيچاره را و

كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها

باشند برادران شيطانها و هست شيطان مر پروردگار خويش را ناسپاس و اگر اعراض كني از ايشان تو براي طلب رحمتي از پروردگارت كه اميد ميداري

فقل لهم قولا ميسورا ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا

پس بگو مر ايشان را گفتاري آسان و مكن دست را بسته بگردنت و مكش آنرا كاملا كشادن

ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا ولا تقتلوا اولادكم خشية

بدرستيكه پروردگار تو فراخ ميكرداند روزي را مر هر كه را خواهد و تنگ ميكرداند بدرستيكه او هست بندگانش آگاه

املاق نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطأ كبيرا ولا تقربوا الزنى انه كان فاحشة وساء سبيلا

از بهر تنگدستي ما روزي ميدهيم ايشان را و شما را بدرستيكه كشتن ايشان هست گناهي بزرگ و نزديك مكرديد زنا را بدرستيكه او هست زشتي و بد است راه

ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف

و مكشيد نفس را كه حرام كرد خدا مگر بحق و كسيكه كشته شد ظلم پس بتحقيق كرديم مر وارث او را بر ولي خون او تسلطي پس نبايد اسراف كند

في القتل انه كان منصورا ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن حتى يبلغ اشده واوفوا

در قتل بدرستيكه او هست يارري كرده شده و نزديك مكرديد مال يتيم را مگر بآنچه آن بهتر است تا برسد بكمال خويش و وفا كنيد

بالعهد ان العهد كان مسئولا واوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير و

بپيمان بدرستيكه عهد هست پرسيده شده و تمام كنيد پيمانه را چون پيمانه كنيد و وزن كنيد بترازوي راست اين بهتر است

احسن تاويلا ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه

خوبتر بحسب عاقبت و مرو در پي آنچه نباشد مر ترا بان دانشي بدرستيكه گوش و چشم و دل همه اينها باشد از آنها

مسئولا ولا تمش في الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا كل ذلك كان

پرسيده شونده و راه مرو در زمين از روي كبر و ناز بدرستيكه تو هرگز نتواني شكافت زمين را و هرگز نرسي بكوهها دراز شدن همه اينها باشد

سيئه عند ربك مكروها ذلك مما اوحى اليك ربك من الحكمة ولا تجعل مع الله الها اخر فتلقى

في جهنم ملوما مدحورا افاصفيكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة اناثا انكم لتقولون قولا عظيما القراءة

ترجمه ملامت كرده شده رانده شده پس خاص كردانيد پروردگار شما پسران را وگرفت از فرشتگان دختران بدرستيكه شما البته ميگوئيد سخن بزرگ بلغات

متنى حمزه وعلى وخلف قنا بالجر والتنوين ط ابو جعفر ونافع وحفص الفا بالفتح ابن كثير وابن عامر وسهل ويعقوب غير مجاهد خطأ والمفصل

والباقون بالكسر بسطها كل البسط مثل بسطه خطأ بفتحتين من غير مد يزيد وابن ذكوان غير ابن مجاهد خطاء بالفتح ثم السكون ابن مجاهد

عن ابن ذكوان خطاء بالكسر والمد ابن كثير والمدنيان بالكسر ثم السكون فالف نرف على الخطاب حمزه وعلى وخلف ابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان

بالفحاس مكسورا الفا حيث كان حمزه وعلى وخلف عاصم غير ابي بكر وحماد والمفضل وقراء ابو شيط والتمون غير النقار بالمناسبة

على اضافة نسبي الى ضمير كل حمزه وعلى وخلف عاصم وابن عامر وسهل الا تمون سبعة على المنابث الوقوف محض ولاه احسانا ط كريما صغارا

في نفوسكم ط عمورا ه بندر الشباط كفورا ه مهجورا ه محسورا ه ويقدر ط بصيرا املاق ط واياكم كبيرا فاحشة ط سبيلا ه الا بالحق ط لان الشرط

في امر قد يقع نادرا حار جاعن التمني في الفعل ما منصورا ه اشد بالعهد على نقد بر فان مسئولا ه المستقيم ط ناوبلا ه بر علم ط مسئولا ه مرحا ج لاحتمال

اضمار الفا. او الواو طولا ه مكروها ه الحكمة ط مدحورا ه اناثا ط عظيما ه النفس لما اجمل الاعمال الرديئة في قوله وسعى لها وهو مؤمن اخذ في تفصيل

احد في تفصيل ذلك مبتدا باشرفها الذي هو التوحيد فقال لا تجعل مع الله الها آخر والخطاب للنبي ص في الظاهر ولكنه في الحقيقة عام

للمكلفين وبحسبان بقي ان الخطاب للانسان كانه قيل يا ايها الانسان لا تجعل الا قول مضمرا في قلبك لكل مكلف لا تجعل وتما يؤيد ذلك قوله

وقضى ربك فان ذلك الخطاب لا يليق بالنبي ص لان ابويه ما بلغا الكبر عنده وانتصب قوله فتقعد على انه جواب للنهي والفاء في التحقيق عاطفة

والتقدير لا يكن منك جعل فقعود وفيه وجوه منها ان المراد به المكث بقي ما يصنع فلان فيقول هو قاعد اي ساكت حال اي ما كث سواء كان قائما

او جالسا ومنها ان من شان المذموم المخذول ان يقعد نادما متفكرا على ما فرط منه فالقعود على هذا حقيقة ومنها انه كناية عن عدم القدرة

على تحصيل الخيرات فان السعي فيها يسمى بالقيام والعجز عنه يلزمه ان ينفي عداعن الطلب ومنها انه بمعنى الصيرورة من قولهم تحد الشفرة

حتى قعدت كانها حربة بمعنى صارت ولا ريب ان الشرك جامع على نفسه للذم والخذلان لانه تشريك بضعيف بعض التهم الحاصلة لحقيرة من

الله الى غير فيستوجب الذم بالكفران ويستحق الخذلان من حيث انه لما فوض امره الى الشريك المعدوم او العاجز الناقص يبقى بلا ناصر ومعين

وايضا الكمال في الوحدة والنقصان في الكثرة فمثبت الشريك واقع في جانب النقصان فيورثه الذم والخذلان ولما ذكر ما هو الركن الاعظم

في الايمان اتبعه سائر الشعار والشرائع فقال وقضى ربك اي امر امرا جازما وحكم حكما قطعا ان لا تعبدوا اي بان لا تعبدوا فان ناصبة

ويجوز ان يكون مفسرة والفعل وهي بمعناه اي لا تعبدوا وقد روى الضحاك وسعيد بن جبير وميمون بن مهران عن ابن عباس انه

كان الاصل في هذه الاية وقضى ربك وبه قرأ علي وعبد الله فالتصقت الواو بالصاد نظرا وقضى ربك ثم قال ولو كان على القضاء

ما عصى الله احد قط لان خلاف قضاء الله ممتنع وضعف هذا القول بانه يوجب بجواز وقوع التحريف والتصحيف في القرآن امر بعبادته نفسه

ثم اردفه بالامر ببر الوالدين في نظير الكلام بان يحسنوا بالوالدين او واحسنوا بالوالدين احسانا ولا يجوز ان يتعلق الباء في بالوالدين

بالاحسان على ما ذهب اليه الواحدي لان المصدر لا يتقدمه عليه صلته وقدم مرارا واهل البصرة تفسير قوله وبالوالدين احسانا وانه لم يجعل

الاحسان اليهما نائبا عن العبادة لله بحكم ان واحدا من المنتسبين بالحكمة كان يضرب اباه ويقول هو الذي ادخلني في عالم الكون والفساد وعرضني

للفقر والعمى في الزمانة وقيل لابي العلاء المعري ما ذا تكتب على قبرك قال اكتبوا عليه هذه جناية ابي علي وما جنيت على احد وقال ثلاث

الزواج والولد وزلت بهم بغمة العدم التي سبقت وصدت عن نعيم العاجل ولو انهم ولدوا لعانوا شدة ترمي بهم في موبقات

الاجل وقيل للاسكندر استاذك اعظم منة عليك ام والدك فقال الاستاذ اعظم منة لانه يحمل انواع الشدائد والمحن عند تعليمه حتى

اوصلني الى نور العلم فاما الوالد فانه طلب تحصيل لذاته الوقاعية لنفسه فاخرجني الى افات عالم الكون والفساد ومن هنا قيل خير الاباء من علك

وقال العقلاء وهبك الوالد اول الامر لذاته الوقاعية ايها ما بايصال الخير الى الولد ودفع الافات عنه من اول دخول الولد في الوجود

الى ان يكبر بل الى اخر عمره لا ينكر ولا يكفر ولهذا نكر احسانا اي احسنوا اليهما احسانا عظيما كاملا يجزاء على وفور احسانهما اليك على

ان البادي بالبر لا يكافى لانه اسبق منه ثم فصل طرفا من الاحسان المامور به فقال اما يبلغن هي ان الشرطية زيدت عليها ما الابهامية

لتاكيد معنى الشرط ثم ادخلت النون المشددة لزيادة التقرير والتاكيد كانه قيل ان هذا الشرط مما سيقع البتة عادة فليكن هذا الجزاء

مرتبا عليه والا فالتقرير والتاكيد لا يليق بالشرط الذي هو مبناه على از دراد الحكيم وقال النحويون ان الشرط الذي من حيث الجزم وعدم

الثبوت فلهذا صح دخول النون المؤكدة فيه ومن قرأ الفعل على التوحيد فضمير احدهما او كلاهما فاعله لكن الاول بالاستقلال والثاني

بتبعية العطف ومن قرأ على التثنية فاحدهما بدل من الف الضمير الراجع الى الوالدين وكلاهما عطف على البدل لاستلزام العطف

المشاركة دون المباينة وكلا مفرد افظا مثنى معنى والفه عن واو وعند الكوفيين اصله كال لمعهد للاحاطة فحذف بحذف احد اللامين

وزيد الف التثنية لتعرف ان المراد الاحاطة في المثنى كما في الجمع وضعف بانه لو كان كذلك لوجب ان يقال الزيدان

بدل شاذ ولا يجوز ان يكون توكيدا لانه لا يتقدم معطوفا على المؤكد صح

بكسر الثاء كقوله طرقتها نهارا صاحبي السجن قال في الكشاف معنى عندك هو ان بكرا وبحرا انكانا اعلى ولديهما لا كافل لهما غيرك نهما عندك في يمنه وكنفه وهما اسما الافعال وفي اف لغات ضم الهمزة مع الحركات وفي الفا الثلثة بالتنوين وبدونه وارف بكسرتين بلا تنوين وافي مما لا كسر له واف كخاف وافه منونة وقد تتبع الميم النونة بقال افه وتفه وهي من اسماء الافعال وفي تفسيرها وجوه قال الفراء بقول العرب فلان يتأفف من ريح وجدها اي يقول اف اف قال الاصمعي اف وتف صوتان للاذى والتف في صوت الاظفار بقي ذلك عند سقط الشيء ثم كثر حتى استعملوه في كل ما يتأذون به وقيل معنى اف القلة من الانتف هو الشيء القليل وتف اتباع له نحو شيطان ليطان وخبث دبث وروي ثعلب عن ابن الاعرابي ان الاف الوسخ والتف القذر يصلح اصلا اذا سقط عليه تراب ونحوه نفخ فيه ليزيله فالصوت الحاصل عند تلك النفخة هو قول القائل اف ثم وسعوا فذكروه عند كل مكروه يصل اليهم وقال الزجاج معناه التنن وبه فسر مجاهد الا بناء ٢ تقذرك حين كنت تخرجه وتبول وفي رواية اخرى عن مجاهد اذا وجدت منهما ما تجد من ولدك فلا تقل لهما اف ولا تفعل ما تفعل المتبرم وانتهرهما قال بعض الاصوليين منع التأفيف يدل على المنع من سائر انواع الاذية لانه لفظة ومعنى الاية لا تعرض لهما بنوع من انواع الايذاء والا بحاشرك ان تقول لا تملك فلانا بقهر او لا تضربه بدليل ان العرف على انه لا يملك شيئا اصلا وقال الاكثرون منهم ان الشرع اذا نص على حكم صورة وسكت عن صورة اخرى فاذا اردنا الحاق المسكوت عنها بالمنصوص عليها فاما ان يكون الحكم في محل السكوت اخفى من الحكم في محل الذكر وهو اكثر القياسات واما ان يتساويا واما ان يكون الحكم في محل السكوت اظهر وهو القياس الجلي ومثاله المنع من التأفيف فانه مخاير للمنع من الضرب عقلا لان الملك الكبير اذا اخذ مملوكا اخر عدوا له فقد يقول للجلاد اياك ثم اياك ان تضربه او تشافهه بكلمة موحشة لكن اضرب فيه هذا معقول في الجملة الا ان قرينة تعظيم الوالدين صيرته من باب الاستدلال بالادنى على الاعلى فدل على المنع عن جميع انواع الايذاء ثم اكد هذا المعنى بقوله ولا تنهرهما والنهر والانتهار خوان بقهر وانتهره اذا استقبله بكلام يزجره وقابل لها بدل التأفيف النهر قولا كريما جميلا مشتملا على حسن الادب وترك ايذاء في القول والمروءة والحياء والاحتشام وقال عمر رضي الله عنه الحظا القول الكريم ان يقول له يا ابتاه ويا امتاه ولا يسميهما باسمهما وقول ابو ابراهيم لابيه اذر يا التقم على النداء تقديم لحق الله على حق الابوين قالوا ولا باس بهذا الغيبة كما قالت عائشة رضي الله عنها في ابو بكر كذا وسئل سعيد بن المسيب عن القول الكريم فقال هو قول العبد المذنب للسيد الفظ واخفض لهما جناح الذل ذكر الفراء في معنى خفض الجناح وجهين الاول ان الطائر اذا اراد ضم فرخه اليه للتربية خفض له جناحه فلهذا صار خفض الجناح كناية عن حسن التدبير فكانه قال للوالد اكفل والدك بان تضمها الى نفسك كما فعلا ذلك في حال صغرك والثاني ان الطائر اذا اراد الطيران والارتفاع نشر جناحه واذا اراد النزول خفض جناحه فصار خفض الجناح كناية عن فعل التواضع فسمي ذلك الارتفاع وهذه اضافة الجناح الى الذل وجهها الاول انها كاضافة حاتم الى الجود في قولك حاتم الجود فالاصل فيه الجناح الذليل والذل الثاني سلوك سبيل الاستعارة كانه تخيل للذل جناحا ثم اثبت له ذلك الجناح خفضا كقول لبيد اذا اصبحت بيد الشمال زمامها فاثبت للشمال يدا ثم وضع زمام الريح في يد الشمال وقوله من الرحمة في من معنى التعليل اي من اجل فرط الشفقة والعطف عليهما لكبرهما وافتقارهما اليوم الى من كان افقر خلق الله اليهما بالامس ولا تكلف برحمتك التي لا دوام لها ولكن وكل ربهما كما ربياني ليس المراد رحمة مثل رحمتهما علي واما الكاف لا فقران الشبهين في الوجوه كما وقع ذلك فلم تقع هذه الرحمة بازاء تلك الرحمة ولا شبهة في ان الشيء اذا انسخ وزال قال بعض المفسرين هذه الاية منسوخة بقوله تعالى ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين وقيل مخصوص لان التخصيص وقع من الاول وقبل النسخ ولا تخصيص لان الوالدين اذا كانا كافرين فلا ان يدعو الله لهما بالهداية والارشاد ويطلب لهما بعد حصول الايمان ثم ان ظاهر الامر للوجوب من غير تكرار فيكفي في العمر مرة واحدة ويحتمل ان يقال ان الانسان لوالديه في كل يوم مرة او في كل شهر او في كل سنة فقال نرجو ان يجزيهما اذا دعا لهما في اواخر التشهدات كما ان الله تعالى قال يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وكانوا يقرون الصلوة عليه في التشهد وكما قال الله تعالى واذكروا الله في ايام معدودات فهم يذكرون في ادبار الصلوة تلك الدعوات ايضا كما ذكرهما واذكر شيئا من انعامهما وسئل ايضا عن الصدقة عن الميت فقال كل ذلك افضل اليه ولا شيء انفع له من الاستغفار ولو كان شيء افضل منه لامركم به للابوين وعن النبي صلعم رضا الله في رضا الوالدين وسخطه في سخطهما وروي عن سعيد بن المسيب البار لا يموت ميتة سوء وقال رجل لرسول الله صلعم ان ابوي بلغا من الكبر اني اتولى منهما ما ولدا مني في الصغر فهل قضيتهما حقهما قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقائك وانت تفعل ذلك وتريد موتهما شكا رجل الى رسول الله صلعم اباه واراد اخذ ماله فدعا به فاذا شيخ يتوكا على عصا فسئله فقال انه كان ضعيفا وانا قوي فقيرا وانا غني فكنت لا امنعه شيئا من مالي اليوم وانا ضعيف هو قوي وانا فقير وهو غني فكنت لا امنعه شيئا انا ضعيف هو قوي وانا فقير وهو غني ويخل وعلى بالنفقة فبكى صلعم وقال ما من حجر ولا مدر سمع ذلك الا بكى ثم قال للولد انت ومالك لابيك مرتين وشكا اليه اخ سوء عاق امه فقال لم تكن سبته الحامل حين حملتك تسعة اشهر قال انها سبته الحامل قال لم تكن كذلك حين ارضعتك حولين قال انها سبته الحامل قال لم تكن كذلك حين اسهرت الليل واظمأت نهارها وقال لقد جازيتها قال ما فعلت قال هجرت بها على عاتقي قال ما جازيتها ولو طلاقها وقال الفقهاء لا يذهب بالبر الى البعثة واذا بعث اليهما فعل ولا بأس بالخروج باخذ الاذن منهما اذا شرطا ثم قال سبحانه ربكم اعلم بما في نفوسكم اي بما في ضمائركم من الاخلاص وعدمه

وغير منونة صح

لا تنفد رفعها كما انها لا تنفد ك صح

في كل الطاعات ان تكونوا صالحين فاصدين الصلاح والبر الى الوالدين ثم فرط منكم ما دون ذلك فانيبوا الى الله واستغفروه منها فانه كان للاوابين غفورا اللام العهد كما روى عن سعيد جبير هو في البادرة تكون من الرجل الى ابيه لا يريد بذلك الا الخير والخير فيشمل كل من فرط منه جناية ثم منها ويندرج تحته الجاني على ابويه التائب من جنايته لورود ما على اثره ثم وصى بغير الابوين من الاقارب بعد التوصية بهما فقال وآت ذا القربى حقه فصل الخطاب لرسول الله ص ان يؤتي ذا القربى الذي وجبت لهم في الفيء والغنيمة واوجب عليه اخراج حق المساكين وابناء السبيل ايضا من هذين المالين والاظهر انه خطاب لكل انسان كما في قوله وقضى ربك واما الحق المامور به للاقارب فهو اذا كانوا محارم كالابوين والولد وكانوا فقراء عاجزين عن الكسب كان الرجل موسرا ان ينفق عليهم بقدر الحاجة وعند الشافعي لا ينفق الا على الولد والوالدين وان كانوا مياسير ولم يكونوا محارم كابناء العم فحقهم صلتهم بالمودة والزيارة وحسن المعاشرة على اليسار والضراء وفي عطف المساكين وابن السبيل على ذي القربى دليل على ان المراد بالحق الحق المالي وقد تقدم وصف المسكين وابن السبيل في البقرة وفي التوبة ثم نهى عن التبذير وهو تفريق المال كما يفرق المبذر وهو الاسراف المذموم كانت الجاهلية تخر ابها وتياسر عليها وتنفق اموالها في الفخر والسمعة كما ذكر واذا لك في اشعارها فنهوا عن ذلك وامروا بالانفاق فيما تقرب الى الله قال ابن مسعود التبذير انفاق المال في غير حقه وعن مجاهد لو انفق مالا في باطل كان مبذرا ولو انفق صاعا في حق لم يكن مبذرا وقال ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين اي امثالهم في الشرارة واصدقائهم من حيث انهم يطيعونهم في الامر بالاسراف او هم قرناؤهم في النار على سبيل التهكم وكان الشيطان لربه كفورا لانه يستعمل قواه التي ركبها الله فيه في المعاصي والافساد والاضلال وكذلك من رزقه الله مالا او جاها فصرفه الى غير مرضاة الله كان كفور النعمة الله ثم علم ادبا حسنا في رد السائل اذا فقد الامر الذي ذلك ضرورة فقال وامّا تعرضن عنهم وكان النبي ص اذا سئل شيئا وليس عنده اعرض عن السائل وسكت حياء والقول الميسور الرد بالطريق الاحسن وقيل للين السهل قال في الكشاف يسرت له الامر اذا سهلته وقيل القول المعروف كقوله قول معروف ومغفرة خير وذلك ان القول المتعارف لا يخلو الى تكلف وقيل ادع لهم بان يسهل الله عليهم اسباب الرزق اي دعاء فيه يسر قال جار الله فقوله ابتغاء رحمة امّا ان يتعلق بجواب الشرط منفقا ما عليه اي فقل لهم قولا سهلا لينا وعدهم وعدا جميلا ابتغاء رحمة من الله ترجوها بسبب حسن عليهم وامّا ان يتعلق بالشرط اي وان اعرضت عنهم لفقد رزق من ربك ترجوان يفتح لك فردهم ردا جميلا فتبتغي لهم رزقا ورحمة ووضع الابتغاء موضع الفقد لان فاقد الرزق مبتغ له فالفقد سبب الابتغاء فاطلق المسبب على السبب وجوز ان يكون الاعراض كناية عن عدم الاعطاء فان من ابى ان يعطي اعرض بوجهه ولما ذكر ادب المنع ونهى عن التبذير صور ادب الانفاق فقال ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك وهو لغة مثل لغاية الامساك بحيث يضيق على نفسه واهله في سلوك سبيل الانفاق ولا تبسطها كل البسط اي الوسع في الانفاق بحيث لا يبقى في يدك شيء وحين نهى عن طرفي التفريط والافراط المذمومين بقي الخلق الفاضل المتوسط بالجود وهو العدل والوسط ثم بين غاية استعمال الطرفين قائلا فتقعد ملوما اي مما عند الناس بالبخل محسورا بالاسراف اي منقطعا عن المقاصل بسبب الفقر بغير محسوب منقطع عن التصرف لا شيء ان المال مطية الحوائج والاعمال وكثيرا ما يلام الرجل على تضييع المال بالكلية وابقاء الاهل والولد في الضر والمحنة وعن جابر بينا رسول الله ص جالس اذا تاه صبي فقال اتاتي تشكيك درعا فقال ص من ساعة الى ساعة نظهر فعدا الصبي فذهب الى امه فقالت له فما اتى تشكيك الدرع التي عليك فدخل داره ودرعه عريانا واذن بلال وانتظروه فلم يخرج للصلوة فنزلت الاية وقيل اعطى الاقرع بن حابس مائة من الابل وعيينة بن حصين مثلها من عباس مرداس واشباههم فجعل يعطي ويهب العبيد بين عيينة والاقرع وما كان حصن ولا حابس يفوقان جدي في محجه وما كنت دون امرئ منهما ومن يضع اليوم لا يرفع فقال ص يا ابا بكر قطع لسانه عني اعطه مائة من الابل فزاد ثم انه تعالى سلى نبيه ص بان الذي زهد من الاصناف ليس لهوان منه على الله ولا لبخل به عليه ولكنه تابع المشيئة الحاقة الرزق فقال ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر اي يضيق لمن اراد كان بعبادة بصائرهم خبيرا بصيرا فالتفاوت في الارزاق ليس لاجل البخل ولكن لرعاية الاصلح ويمكن ان يكون مراد الاية ان البسط الكلي والقبض الكلي من شان رب الخبير البصير وليس للعبد الا الاقتصاد ويحتمل ان يراد انه تعالى مع غاية قدرته وسعة جوده يراعي وسط الحالين فلا يبلغ بالمبسوط غاية مراده ولا بالمقبوض عليه اقصى مكروهه فاستنوا بسنته وتخلقوا باخلاقه وفي الاية دلالة على انه هو المتكفل بارزاق العباد فلذلك قال بعده ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق وايضا لما علم كيفية البر بالوالدين اراد ان يعلم كيفية البر بالاولاد فبر الاباء مكافاة وبر الابناء ابتداء اصطناع وفيه نظام العالم وبقاء النوع الانساني كان قتل الاولاد ان كان لخوف الفقر فهو لسوء الظن بالله وان كان لاجل الغيرة على البنات فهو سعي في تخريب العالم والاول ضد التعظيم لامر الله والثاني ضد الشفقة على خلق الله ومن رغب عن تحمل الولد فكانه رغب عن رحمة الله قال ولد المؤمن جن ممن يدع الترك منه جنا وكانوا يقتلون البنات لعجز البنات عن الكسب وقدرة البنين عليه لسبي الناس عليهم على القتل والغارة وايضا كانوا يخافون ان فقرها تفقر اكفاءها فيضطر الى نكاحها من غير الاكفاء وذلك عار شديد فبين الله سبحانه ان الموجب للرحمة والشفقة كونه ولدا لا هذا قال اولادكم وبين ان الخوف من الفقر لا وجه له لان الله هو الرزاق لكل وكثيرا ما يكون الابن اخوف من البنت بعد البلوغ وكلا الصنفين يشتركان في الانفاق عليهما قبل البلوغ والنهي عن قتل الاولاد المسند الى الاباء المشار اليهم بالكاف المضاف الى مثل ذلك ولا افراد في اختلاط النسب فقال ولا تقربوا

الكشاف ج ٢

الزنى وهذا الذم ان يؤلا لان تؤتم على العلل التي يقولها اترك كان فاحشة اي خصلة مذمومة في الفحش وساء سبيلا سبيله فاستدل القائلون بالتحسين والتقبيح العقليين بهذا التعليل على ان الاشياء لا تخلو اما ان تقبح بذواتها بل لوجوه عائدة اليها في انفسها او ان تكليف العباد ونهيهم على وفق مصالحهم في المعاش والمعاد من مفاسد الزنى اختلاط الانساب وتضييع الاولاد واهمال تربيتهم فان الولد اذا لم يكن منسوبا الى شخص معين لم يكن احد بالقيام بتربيته اولى من الاخر وكذا المرأة التي ولدته اذا لم توجد بسبب شرعي للتزاوج صارت هي مرادة بالوطء من كل رجل لم يحصل الالف والمحبة ولا يتم السكون الا الازواج وتنوب كل رجل على كل امرأة اراد بحسب شهوته ومقتضى طبعه فيهيج بالفسوق والحروب بعد التشبيه باليهائم وايضا ليس المقصود من المرأة مجرد قضاء الشهوة ولكن المقصود الكلي هو ان يكون شريكة له في ترتيب المنزل واعداد مهماته والقيام بامور الاولاد والعبيد ولن يتم هذه المقاصد الا اذا كانت مقصورة الهمة على رجل واحد منقطعة الطمع عن غيره وايضا فمتى يوجب ان كل واحد من هذا لا يتكلم الا في اوقات المعاونة فاقتضاء المرأة على الواحد من الرجال سعي في تقليل ذلك العمل وكفى في قبح الزنى ان مرتكبه من الرجال والنساء يستقذره كل عقل سليم ويخطئه ذلك عند ذوي الاعتبار وقد ذكرنا في التفسير بكسر التاء وصف الزنى وانه اخوه يكون مقتا ان الزانية بضم الميم مقوتة مكروهة وهو هم لان ذلك قد ورد في اول سورة النساء في نكاح منكوحات الاباء ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء الا ما قد سلف انه كان فاحشة ومقتا وانما ينهى عليه لئلا يقتدي غيره في السهو ولما فرغ من التكاليف الاحياط فاخر عنه فقال ولا تقتلوا النفس التي حرم الله وفي التصريح بالتحريم بعد النهي تأكيد للحظر ولا ريب ان اهمال قتل الانسان هو التحريم لا تضرر والاصل في المضار الحرمة ولان الانسان خلق للاشتغال بالعبادة ولا يتم الا بالحياة وكمال البنية ولكن لما ثبت لاسباب عرضية فلهذا قال الا بالحق وهذا مجمل فبين حال الحق بقوله ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا اي تسلطا على استيفاء القصاص فظاهره يدل على انه لا سبب لحل القتل الا اذا قتل مظلوما وظاهر قوله لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلث كفر بعد ايمان وزنى بعد احصان وقتل نفس بغير حق يقتضي حصر هذه الثلثة في ان ابيح دمه على القول بتخصيص عموم القرآن بخبر الواحد ويحمل ان يقول قوله ومن قتل مظلوما كلام مستأنف لحديث بتمامه تفسير لقوله الا بالحق فلا يلزم التفريع المذكور ثم انه تعالى ذكر ثلث اياته اخرى على حصول سبب رابع وهو قوله انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله وايضا اخرى على سبب خامس وهو الكفر الاصلي اقتلوهم حيث ثقفتموهم هذا وقد ابدلت الفقهاء اسبابا اخر منها ان تارك الصلوة يقتل عند الشافعي دون ابي حنيفة وكذا اللائط ومنها الساحر اذا قال قتلت فلانا بسحري وجوز بعضهم قتل من يمنع الزكوة او باقي الاركان والذين منعوا القتل في هذه الصور قالوا الاصل حرمة القتل كما بيناه فلا يزال هذا الدليل الا بمعارض اقوى منه والاقل من الدليل او هو مثله لم يزل المنع ثم انه سبحانه اثبت لولي الدم سلطانا واريد بيان ان هذه السلطنة تحصل فيما ذا فقيل انه لما قال فلا يسرف في القتل عرف ان قتل القاتل اسراف فلا تحصل السلطنة الا في قتل القاتل وقيل معناه فلا يسرف القاتل في القتل انه لما حصلت له سلطنة استيفاء القصاص وسلطنة استيفاء الدية بعفو الولي مثلا كان القصاص في القتل الى قوله فمن عفي له اخيه فاتباع بالمعروف على ان لا يقدم على استيفاء القتل وان يكتفي بالعفو واخذ الدية فثبت ان هذه الاية لا يجوز التمسك بها في مسئلة ان موجب العمد القصاص عند الشافعي ان التنوين في قوله مظلوما للتنكير وهو يدل على ان المقتول ما لم يكن كاملا في وصف المظلومية لم يدخل تحت هذا النص فيعلم منه ان المسلم لا يقتل بالذمي لشرف فان ذمته غير معصومة كالشرك ولان النصارى قالوا بالتثليث وقد قال تعالى قتلوا المشركين فثبت ان الذمي غير كامل في المظلومية فلا يندرج في الاية وايضا ليس فيها دلالة على ان الحر يقتل بالعبد لانها وان كانت عامة الا ان قوله الحر بالحر والعبد بالعبد خاص والخاص مقدم على العام سمن قرأ فلا يسرف بالتاء الفوقانية فعلى خطاب الولي او قاتل المظلوم ومن قرأ على الغيبة فالضمير للولي اي فلا يقتل غير القاتل ولا اثنين والقاتل واحد كعادة الجاهلية وعن مجاهد ان الضمير في قوله انه كان منصورا للمقتول اي حسبه ان الله قد نصره بايجاب القصاص فلا تسرفوا عليه او بنصره بمعونة السلطان والمؤمنين فلا يتبع طاووسا حضر واما المظلوم فان الله ينصره في الدنيا بايجاب القصاص على القاتل وفي الاخرة باعطاء الثواب اما الذي يقتل ولا يسرف في قتله فانه منصور بايجاب القصاص على المسرف ولما ذكر النهي عن اتلاف النفوس في المبادي وفيما وراءها اتبعه النهي عن اتلاف الاموال وكان اهمها الحفظ وراعاية مال اليتيم فقال ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي بالطريقة التي هي احسن وهي ثمرة ايتاء ذوي القربى وروى مجاهد عن ابن عباس اذا كان محتاجا الولي اكل بالمعروف فاذا ميسر قضاه وان لم يوسر فلا شيء عليه ويتصرف الولي في مال اليتيم على الوجه المذكور حتى يبلغ اليتيم اشده بان يكمل قواه العقلية والحسية كما مر في اخر الانعام واوفوا بالعهد يتناول كل عقد جرى بين انسانين على وفق الشرع وقانون المعاملات والمناكحات وغيرها الا اذا دل دليل خاص على ان العهد كان مسئولا اي مطلوبا بطلب المعاهدين لا يضيعه ويفي به او هو على حذف المضاف والمراد ان صاحب العهد مسئول او هو تجهيل كانه يقال للعهد لم نكث نكثتا للناكث كقوله واذا الموؤدة سئلت ثم امر بايفاء الكيل فيما يكال والوزن فيما يوزن والقسطاس بضم القاف وكسرها هو القبان المسمى بالفرسطون وقيل كل ميزان صغيرا وكبيرا والاصح انه لغة العرب والقسط التعديل والعدل وقيل روحي شريا ذلك لا يفاء والوزن المعتدل خير من التطفيف واحسن تاويلا عاقبة من ان اذا رجع اما في الدنيا فلانه اذا اشتهر بالامانة عن الخيانة قال القلوب اليه وعول الناس عليه فينفق عليه ابواب المعاملات واما في الاخرة فظاهر قال الحكيم ان نقصان الكيل والوزن قليل

والوعيد عليه شديد ولعار فيه عظيم فيجب على العاقل ان يحترز عنه ثم امر باصلاح اللسان والقلب فقال ولا تقف اى لا تتبع من قولك فعوت فلانا اذا اتبعت اثره ومنه قافية الشعر لانها تقفو اكل بيت القصيدة المشهورة بالقافية لانهم يتبعونها اثار اقدام الناس ويسندون بر على احوالهم اى التسبب لمراد النهى عن ان يقول الرجل ما لا يعلم او يعمل بما لا يعلم له بوجه وقضيته كلية ولكن المفسرين حملوها على صور مخصوصة فقيل نهى المشركين عن تقليد اسلافهم فى الاطعمة والبحيرة والتحليل والتحريم والمعاد كقوله ان يتبعون الا الظن وما هم الا يخرصون الا نفس هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وعن محمد بن الحنفية المراد شهادة الزور ومثله عن ابن عباس لا تشهد الا بما ترى عيناك وتسمع اذناك ووعاه قلبك وقيل انه نهى عن القذف ورمى المحصنين والمحصنات بالاكاذيب كانت عادة العرب جارية بذلك يذكرونها فى اطجاءها وبيا العوفى فهمه وقال فناده معناه لا تقل سمعت ولم تسمع ورأيت ولم تر وعلمت ولم تعلم وقيل الفؤاد هو القلب وهو فى معنى القلبة لانه يقال فى فؤاده ومنه الحديث من فقأ مؤمنا بما لبس فيه حبسه الله فى ردغة الخبال حتى يأتى بالمخرج اى يتوب وردغة الخبال بفتح الدال وسكونها عصارة اهل النار من القيح والصديد واحتج نفاة القياس بالاية زعما منهم ان الحكم فى دين الله بالقياس حكم بغير المعلوم واجيب بان العلم فى هذه الاية اريد به الظن قال تعالى فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار ولا ريب انه تارة يمكن العلم بايمانهن بناء على اقرارهن واخرى لا يفيد الا الظن سلمنا ان الكلام الظن وقع فى الخبر لان الشرع قد اقام الظن الغالب مقام العلم وامر بالعمل به وترتيب باقى الدلائل قاطعا على وجوب العمل بالظن الغالب لان ذلك الدليل لئن عقليا فبالاتفاق ولا نقليا الا تواتر اما كان قطعيا لو كان منقولا نقلا متواترا وكانت دلالته على ثبوت هذا المطلب دلالة قطعية غير محتملة للنقيض ولو حصل مثل هذا الدليل لوصل الى الكل ولم يبق خلاف ونوقض بان الدليل الذى عولتم عليه وهو هذا الاية تمسك بعام مخصوص للاتفاق على ان العمل بالتمسك به ظنى وهو جائز وكذا الاجتهاد فى القبلة وفى قيم المتلفات وارش الجنايات وكذا الحكم بكون الشخص المعين كالذابح مؤمنا لجواز ان يجد او لوارث لخصوص التوارث او الميت لبد فى مقابر المسلمين والحقيقة اكثر الاعمال المعتبرة فى الدنيا من الاسفار وطلب الارباح والمعاملات الى الاجال المعتبرة والاعتماد على صدق الغير وعدالة الاعداء كلها مظنونة وقال من يحكم بالظاهر والتمسك بالعام المخصوص لا يفيد الا الظن فلو دلت هذه الاية على ان التمسك بالظن غير جائز لزم ان لا يجوز التمسك بهذه الاية وكل ما يقضى ثبوته الى نفيه يسقط الاستدلال به واجيب بانا نعلم بالتواتر الظاهر من دين محمد ص ان التمسك بالبراءة الاصلية جائز وورد بان كون العام المخصص حجة غير معلوم بالتواتر ثم علل النهى بقوله ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك اشارة الى الاعضاء الثلثة وان لم يكن ذوات العقول كقوله والعيش بعد اولئك الايام كان عنه مسئولا فان فى الكشاف عنه فى موضع الرفع بالفاعلية مثل غير المغضوب عليهم وفيه نظر لان المسند اليه الفعل او شبهه لا يتقدم عليه والجواب ان بقى الفاعل مسندا الى المحذوف والثانى مفسره وكيف يسئل عن هذه الجوارح قيل يسئل صاحبها عما استعملها فيه لانها الات والمستعمل لها هو الروح الانسانى فان استعملها فى الخير استحق الثواب والا فالعقاب وقيل انه تعالى يطوى الاعضاء حتى يسئلها عن افعالها ولا تمش فى الارض مرحا نصب على الحال مع انه مصدر اى ذا مرح وهو شدة الفرح وفى وضع المصدر موضع الصفة نوع من التاكيد مثل انما هو اله واحد وهو نهى عن مشية اهل الخيلاء والكبر انك لن تخرق الارض لن تقطعها بشدة وطئك ولن تبلغ الجبال طولا لا مصدر فى موضع الحال من الفاعل او المفعول او تمييز او مفعول له او مصدر من معنى تبلغ بين ضعف الادمى بانفراده فى حال التحفى لا يقدر على خرق الارض وحال ارتفاعه لا يقدر على الوصول الى رؤس الجبال فلا يليق به ان يتكبر بجهل اخر كانه قيل له انك خلقى ضعيف محصور بين عجزه من فوقك وتراب من تحتك فلا تفعل بفعل المقتدر القوى وقيل انه مثل ومعناه كما انك لن تخرق الارض فى مشيتك ولن تبلغ الجبال طولا فكذلك لا تبلغ ما اردت بكبرك وعجبك فيه يأس للانسان من بلوغ ارادته كل ذلك اى كان سيئه من قرأ بالاضافة فظاهر لان المذكور من قوله لا تجعل مع الله الها اخر بعضها حسن وهو الامور وبعضها سيئ وهو المنهيات فالمعنى ما كان من ذلك الا شيئا سيئا فاتركوه وعند الله ويمكن ان يراد بسيئ ذلك الخصال طرف الافراط او التفريط ومن قرأ سيئة على التانيث فقوله ذلك اشارة الى المنهيات خاصة وقيل ان الكلام قد تم عند قوله ولا تجعل مع الله الها اخر ثم قال كل ذلك اشارة الى ما نهى عنه فى قوله ولا تقف الا ترى انه قال سيئه على التانيث مع قوله مكروها على التذكير لان تجعل السيئة فى معنى الذنب والاثم قالت المعتزلة الكراهة تقتضى الارادة فقوله مكروها يدل على ان المنهيات لا تكون مرادة لله تعالى لانها مكروهة عنده واذا لم تكن مرادة له لم تكن خلوقة له لان الخلق بدون الارادة محال اجاب الاشاعرة بان المراد من كراهتها كونها منهيا عنها وترتب الوعيد على تركها لان كونها سيئة يدل على كونها منهية واجيب بانه لا بأس بالتكرار لاجل التاكيد وذلك الذى ذكر من قوله لا تجعل الى هنا الغاية وتلقى الى الخمسة وعشرين تكليفا مما اوحى اليك ربك من الحكمة سمى حكمة لانه كلام محكم لا مدخل فيه للفساد بوجه وعن ابن عباس انها كانت فى الواح موسى وباصطلاح الحكماء ان الحكمة عبارة عن معرفة الحق لذاته والخير لاجل العمل به لا ريب ان الامر بالتوحيد راس الحكمة النظرية وسائر التكاليف مشتملة على اصول مكارم الاخلاق وهى الحكمة العملية ولقد جعل الله سبحانه فاتحة هذه التكاليف المنهى عن الشرك وكذا خاتمتها لان التوحيد راس كل حكمة وصلاحها ومن فقده لم ينفعه شئ من العلوم وان بلغ الاقران والاكفاء حيارى يائسين وفى الماء وفى هذا النكوير فيقذفه فريب على الاول كونه مذموما ملحوظا وذلك اشارة الى حال المشرك والدنيا ورتب على الثانى انه

الفصد والحجامة وسائر المعالجات وكذا مع

بالنفي في جهنم ملوما مدحورا وانما حالة في الاخرة وقد الغي هنا شرط الالغاء وههنا اشار الى ان للانسان في الدنيا صورة اختيار بخلاف الاخرة
والله اعلم بمراده وقد يفرق بين الذم واللوم فيقال الذم هو ان يكون الفعل الذي اقدم عليه قبيح منكر واللوم هو ان يقال له لم فعلت مثل هذا الفعل
وما ذلك الذي حملك عليه وما استفدت من هذا العمل الا الخاني الفقر ونحو ذلك والمدحور بان المخذول والمدحور عبارة عن الضعيف
يقال خاذلت عضاوة اي ضعفت والمدحور المطرود والطرد عبارة عن الاستخفاف والاهانة ثم انكر على المشركين الفاعلين بان الملائكة بنات
الله فقال افاصفيكم ربكم على وجه الخلوص والصفاء بالبنين الذين هم افضل الاولاد واتخذ من الملائكة اولادا انكم لتقولون
قولا عظيما باضافة الاولاد الى من لا يجوز له الولد لقدمه وتنزهه عن صفات الاجسام ثم بانكم تفضلون عليه انفسكم حيث تجعلون له ما تكرهون
وهذا خلاف معقولكم وعادتكم فان العبيد لا يؤثرون بالاجود والاصفى والسادة بالادون والاردى ثم بجعلكم الملائكة الذين هم اعلى
خلق الله على الاطلاق اوانا للتفضيل على المذهبين احسن لتصنيفين وهو الاناث الناقص بنتهم يقطع تفاوتهم عن الكونين من بين
الثقلين فقال والله ولا يجعل مع الله الها آخر من الدنيا والاخرة ثم شرف امته بتبعيته فقال وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وانما قال
ربك لانه اصل في التربية والامر بتبع له فمن حكم في الاول انه لا يعبد غير الله لم يعبد غير الله وبالوالدين والمراد الروح والبدن و
الاحسان بهما ان يراهما في العبودية لعبد الله كانهما يريانه اما يبلغن عندك يخاطب القلب وهو مسكن الروح عند كبره وهو
بلوغه اعلى مراتب القرب وعجزه عند سطوات بحلي صفات الالوهية وحيدريه والدال لسكن حذرا لاستعمالها عند العجز ولا تنهرهما عند الاستراحة
واقل لهما عند استعمالها في العبودية ولا تنكر عليهما فانك حدث الربية منهما لان الفلك طفل تولد بازدواج الروح والبدن وقد جعل التربية منهما صوتا ومعنى
الى ان صار قابلا للتجلي الخالص ربكم اعلم بما في نفوسكم من الاستعداد ان تكونوا صالحين مستعدين للخلافة فانه كان للاوابين الراجعين من
انانيته الى هويته دون من كان مفسدا بنفسه غفورا ساترا بانوار جماله اخبر عن ادب الخلافة فانها اوان سعي القرب وهو التضرع فان لنفسك عليك حقا
من التشرف والتقرب ولقد صرفنا في هذا القرآن ليذكروا وما يزيدهم الا نفورا قل لو كان معه آلهة كما يقولون اذا

وبگوئيد گردانيديم در اين قرآن پند گيرند و بخود راه نكردند مگر بگريز بود او الهان همچنان كه

لابتغوا الى ذي العرش سبيلا سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا تسبح له السموات السبع والارض ومن

ميجستند بسوي صاحب عرش راهي منزه است او و برتر است از آنچه ميگويند برتري بزرگ تسبيح

فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان حليما غفورا واذا قرأت القرآن جعلنا

در آنها است و نيست هيچ چيز مگر آنكه تسبيح ميكند بستايش او و ليكن نمي فهميد تسبيح ايشان را زيرا كه او بردبار آمرزنده است وچون بخواني قرآن را ميگردانيم

بينك وبين الذين لا يؤمنون بالاخرة حجابا مستورا وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي اذانهم

ميان تو و ميان آنان كه نميگروند بآخرت پرده پوشيده و ميگردانيم بر دلهاي ايشان پوششها مبادا كه بفهمند آنرا و در گوشهاي ايشان

وقرا واذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على ادبارهم نفورا نحن اعلم بما يستمعون به اذ يستمعون

گرانيء و چون ياد كني پروردگار خود را در قرآن تنها برگردند بر پشتهاي خود رميدگان ما داناتريم بآنچه گوش ميدارند بدو وقتي كه

اليك واذ هم نجوى اذ يقول الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا انظر كيف ضربوا لك الامثال

بتو و وقتي كه ايشان رازگويانند وقتي كه ميگويند ستمكاران نيستيد شما پيروي نكنيد مگر مردي را سحر كرده شده بنگر چگونه زنند براي تو

فضلوا فلا يستطيعون سبيلا وقالوا اذا كنا عظاما ورفاتا انا لمبعوثون خلقا جديدا قل كونوا

مثلها را پس گمراه شدند پس نميتوانند يافتن راهي و گفتند آيا چون باشيم استخوانها و ريزه ريزه آيا ما هر آينه برانگيخته شدگانيم بآفرينشي تازه بگو باشيد

ربع ۱۵

حجارة او حديدا او خلقا مما يكبر في صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم اول مرة

سنگها يا آهن يا خلقي بزرگ آيد در سينهاي شما پس زود باشد كه گويند كيست كه باز ما را آورد گويگو آنكه بيافريد شما را اول بار

فسينغضون اليك رؤسهم ويقولون متى هو قل عسى ان يكون قريبا يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده

پس بزودي بجنبانند بسوي تو سرهاي خود را و بگويند كه كي خواهد بود بگو شايد كه نزديك باشد روزيكه فرا خواند شما را پس اجابت ميكنيد بستايش او

وتظنون ان لبثتم الا قليلا وقل لعبادي يقولوا التي هي احسن ان الشيطان ينزغ بينهم ان

و گمان ميبريد كه درنگ نكرديد مگر اندكي و بگو مر بندگان مرا كه بگويند با يكديگر سخني كه نيكوتر است بدرستيكه شيطان

كان للانسان عدوا مبينا ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم او ان يشأ يعذبكم وما ارسلناك عليهم وكيلا

شايد كه ميان ايشان فساد كند بدرستيكه شيطان هست مر آدميان را دشمن آشكار پروردگار شما داناتر است بشما اگر خواهد رحم كند بشما را يا اگر خواهد عذاب كند شما را و نفرستاديم ترا بر ايشان نگهدار

وربك اعلم بمن في السموات والارض ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبورا قل ادعوا

الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم تحويلا اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة
ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا وان من قرية الا نحن مهلكوها
قبل يوم القيمة او معذبوها عذابا شديدا كان ذلك في الكتاب مسطورا وما منعنا ان نرسل بالايات الا ان كذب بها
الاولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالايات الا تخويفا واذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس وما
جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن ونخوفهم فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا القراءة

لبيان ما ذكر من الكون في القرآن ومعه وعلى وخلف لاخوين تبتغي بالتاء والكاف من الذين كما يقولون في الغيبة ابن كثير وحفص
يقولون على الخطاب ومعه وعلى وخلف تبتغي بتاء الغائبة ابو عمرو وسهل ويعقوب ومعه وعلى وخلف يدعون بياء الغيبة ابو بكر وحماد والمفضل والخزاز عن هبيرة
والباقون على الخطاب اذا للقول فيه كما مر في ان وعد وكذا الخلاف في سورة التوبة والوقوف ليدعون ويبتغون سبيلا
كيف يشاء حيث شاء ومستورا للعطف فورقوا ومسطورا سيأتي بعد ان شاء الله تعالى كذا في المنار مع زيادة والسين للاستئناف بعد ما اول مرة
ما فعلناه مع ثمود فريناه دليلا واحسن بيانه لعلكم تذكرون ويتذكروا ومنعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات الا تخويفا واذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن ونخوفهم فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا

الكلام في الاستفهام وانواعه وما يتعلق به من الاحكام

الاستفهام طلب الفهم والعلم بشيء لم يكن معلوما من قبل وهو اما حقيقي او مجازي والحقيقي اما تصوري او تصديقي والتصوري اما ان يكون بالهمزة او بهل او بما او بمن او بأي او بكم او بكيف او بأين او بمتى او بأنى او بأيان والتصديقي اما ان يكون بالهمزة او بهل والمجازي ما يكون بالهمزة او بهل او بما او بمن او بأي او بكم او بكيف او بأين او بمتى او بأنى او بأيان والمراد بها الذكر بهما هنا من قرأ محققا
هو الذي كبر والتمام الا ان الذي هو نقيض النقصان وقال الاستاذ هو بلوغ الشيء منتهى غايته وقيل ما لا يفوقه شيء من نوعه ثم قال الحكيم اذا ان تحصيل
الامر من الامور علما ان فعل العقل بعد ان يعبر سببا لعدم وتعذر وجوده فالتقرير والتبيين عند بيع ضلالا من ذلك الفعل وما الخبر ان هذا التصريف يريهم
تفهموا علما انه ما اراد الايمان منهم من سبقت لهم الشقاوة كان اذا قرأها ان الذي لم يخضع عليها اذا عاد الى قوله تعالى يقولوا ثم دل على التوحيد الذي امر
به في قوله ولا تجعل مع الله الها آخر فقال قل لو كان معه آلهة كما يقول المشركون من اثبات الشركاء الى آخره يقولون دون ما يقولون ايها المشركون
وفي قوله اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا اي لطلبوا من مثالك المشركين وجه الوصلة الى الكتاب قلت اعمل اذا هنا ظرف لما دل عليه لابتغوا
لطلبوا اذا لو كان معه آلهة بلا ابتداء الملوك بعضهم ببعض مثل ما يكون بينهم وهذا الآية ناطقة بأن الله تعالى منزه عن صفات المخلوقين
دليل الناطق وسيحي بحثه في سورة الاخلاص ان شاء الله تعالى تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا تسبح له السماوات السبع والارض ومن فيهن
غلب الاعلى المرتبة العالية والقدرة التامة وان من شيء الا يسبح بحمده الا يقدرون ان تحدثوا الا فكيف يعقلون ان تعلموا كيف الله تعالى تنزه نفسه عن
قولهم فقال سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا فوضع التعالي موضع التنزه لما كان موضع التشنيع وهو التعالي كقوله انتم من الارض ثم اثنى عليه
العلو بالكبرياء والعظمة التي هي من لوازم الالهية لان من اتصف بالكمال المطلق والعظمة المطلقة يستحق ان يعبد ويسبح ويثنى عليه ثم نبه على انهم
غاية ضلالهم وغاية عظمته بقوله تسبح له الآية فان العقلاء اذا سبح لهم شيء من الاشياء كالسماوات والارض ومن فيهن دلالة الاحوال على
وجود الصانع الحكيم وتنزيهه عن كل ما لا يليق به من الشركاء والاضداد والانداد والاصنام والاوثان وغيرها من الاشياء التي لا تعقل ولا تسمع
فتعين حمل التسبيح ههنا على المعنى الثاني ليشمل الكل هذا ما عليه المحققون وعورض بأنه لو كان المراد بالتسبيح ما ذكرتم لم يفهم ولكن لا نفقه
تسبيحهم لان التسبيح بهذا الوجه مفهوم معلوم واجيب بأن دلالة كل شيء على وجود الصانع معلومة على الاجمال دون التفصيل لانا اذا
نظرنا نظرة واحدة فلا شك انها تدل من وجوه لا تحصى ولكن عند ذلك لا نعرف من كل واحد منها الا نوعا واحدا من الطبع والطعم واللون والحيز والجهة وغيرها
لا نعلمها الا الله تعالى بعد الخطاب للمشركين انهم وان كانوا مقرين بالحال الا انهم ما اثبتوا له شريكا وانكروا قدرته على البعث والاعادة ولم ينظروا
في العجز الدلالة على انه تعالى منزه عما يصفه المشركون فكأنهم لم يفقهوا التسبيح اذ لم يوجد منهم ابدا لا يقال التسبيح وجد منهم لانا نقول انه كان حاصلا لكن لا يفقهون
لعلمكم بالعقل على خلافه لان سوء نظركم وفهم بعض الظاهرين ان ما سوى الحي المكلف لا يسبح الله بالسنة بشرية كما يليق ولسانه الذي لا يفقهون
يعني ايضا ان الجواد اذا ذبح لا يسبح ولا يعقل ان يعض الشجر اذا كسر فاورد عليه ان كثيرا من الاشجار لا يسبح فكيف صار ذبح الحيوان ما يعلم

عن التسبيح وكذا كسر الغصن يمكن ان يجاب بان تسبيح كل شئ لعلة يختص بتركيبه الذي خلق عليه فاذا ابطل ذلك التركيب فذلك التظلم لم يبق مسبحا
مكلفا وعلى ذلك النحو اعترض عليه ايضا بانه اذا جاز في الجمادات ان تكون عالمة بان الله سبحانه مستحق لان يسبح له مع انها ليست ظاهرا اسند علمنا
بان العلم يكونه تعالى حيا لانا نستدل بكونه عالما قادرا على كونه حيا وبامكان ان يجاب بانا نستدل على ذلك بالاذن الشرعي ولو سلم ان العلم يستدل
الحي وعقلا فقد قيل ان لكل موجود حيوة يليق به ولما نوع من الاحياء شرع في التبوان فقال واذ قرأت القرآن الخ وقوم كانوا يؤذون رسول
الله صلعم اذا قرأ القرآن عليهم بمكة وكان كلما قرأ القرآن قام عن يمينه وعن يساره احزاب وكانوا يصفقون ويصفرون ويخلطون عليه بالاشعار
وعن ابن عباس كان رسول الله صلعم جالسا ومعاذ بن جبل وابو بكر اذا قبلت اسلم ابي طالب سمعا فتية من بني الوسوسة وهي نفوذ مذمومة وانتنا ودينه فلبثوا ما شاء الله فعضنا
فقال ابو بكر يا رسول الله صلعم ان معنا خبرا نخشى عليك فقال رسول الله صلعم وهي نفوذ هذه الاباة فجاءوا ذات يوم وقالوا ان رسول الله صلعم وقالت ان قريشا
قد علمت اني ابنة سيدها وان صاحبك هذا ان صاحبك هذا فقال ابو بكر اما ورب هذه الكعبة ما هي لك وعن ابن عباس ان ابا سفيان والنضر بن الحرث وابا الحارث ج ر
جهل وغيرهم كانوا يجالسون الرسول صلعم ويستمعون منه فقال النضر ما ادري ما يقول محمد صلعم غير انه اذا رمى شفتيه بحركان بشئ وقال ابو سفيان اني ارى
بعض ما يقول حقا وقال ابو جهل هو مجنون وقال ابو لهب كلهن وقاحة وعن ابن عبد العزى هو شاعر ونزلت وكان رسول الله صلعم اذا اراد تلاوة القرآن
تلا قبلها ثلاثة ابيات وهي مسوقة الكلام لتعليل ما قبلها كأنه قيل انا جعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا ان يسمعوه الخ والمراد بالذين لا يؤمنون
هم الجاحدون اقرأت من استدللت الخ وكان الله نعم بمعنى بئس وكان هذه الاباة من عتاة المشركين وذلك قولهم جعلنا بيننا وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة ج
حجابا مستورا اي ذا ستر فهو بمعنى مفعول وهذا كذلك فاعل على ذلك كثير النحويين وقال بعضهم ان مفعولا قد يجيء بمعنى فاعل كمشئوما ومسعودا ومنحوسا
مدبورا اي ذا شؤم وذا سعود وذا نحس وذا دبور والاكثر في مثل هذا ان يعطى الفاعل حكم المفعول مثل مشؤم ومسعود ومنحوس ومدبور وقيل ان حجاب مجاز عن
ذلك الحجاب من زيادة التوبيخ وذلك الحجاب شئ لا يدرى كنهه مستور وعلى هذا يصح قول الاشاعرة انه يجوز ان يكون الحاسة سليمة والمرئي
حاضرا والمانع غير حاصل كالحجاب الذي بيننا وبين ما وراء الجبل شيئا منعه عن الرؤية ويحتمل ان يراد بحجابا مانعا ومنيعا او حجابا غير مستور بغيره او حجاب بمعنى
مصون فكأنه مصدر المجيء به على القول الثاني في الاية ان المراد بالحجاب القلب والختم واستدل الاشاعرة به وبقوله وجعلنا على قلوبهم الاية على صحة
ما ذهبوا اليه من خلق الكفر والايمان كما مر في سورة الانعام في قوله ومنهم من يستمع اليك وجعلنا على قلوبهم اكنة والحجاب بان المراد انهم يطلبون موضعه
بالكلية ليقفوا على حقيقته ويعلموا استحالة رؤيته فامنه الله من شرهم بان جعل على قلوبهم ما شغلهم عن فهم القرآن وفي اذانهم عاصمهم من سماع صوته
قال الكعبي ان هذه الآية تدل على ان الكافر لا يسمى كافرا الا بعد ان يعلم الله منه انه لا يؤمن ابدا لقوله هنا انا جعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه الخ
وقد علم الله منهم ذلك بما اوحى الى نبيه من قولهم انا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب ومن قبل اهل الشرك انهم كانوا يحتجون
ان يذكر الله وحده كما اذا سمعوا ذكر الله من ذكر الهتهم نفروا وانصرفوا عن المجلس فقال الله تعالى واذا ذكرت ربك في القرآن وحده
وهو مصدر مستعار للاسم او على حذف مضاف اي ذوي نفور او جمع نافر كقاعد وقعود او نفور مصدر من غير لفظ الفعل او جمع نافر كقاعد
وقعود وقد علم الله منهم انهم يستمعون به ليسخروا منه بما يسمعون من القرآن قال مجاهد نزلت في النضر بن الحرث وفي وضع الجار كما يقولون يستمعون بالطرائف
مصاحبين بها اياهم وهم ظالمون في ذلك حيث يستمعون بما لا يستمع به وقد علم الله منهم انهم يستمعون اذ هم نجوى اي وبما يتناجون به اذ هم ذوو
نجوى اذ يقول الظالمون او بدل من اذ هم اذ يقول الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا اي ما تتبعون الا رجلا مسحورا سحر فاختلط عقله
قال من جرت الاكاذيب على لسانه وقيل ساحر وقيل ذو سحر وقيل مسحور اذا اكل السحور وقيل مسحور اذا اصيب بسحره وقيل مسحور اصابه طامس المطر اكثر مما ينبغي فافسد عليه
وقال مجاهد مسحورا مخدوعا كانت تحدثه نفسه بالباطل وقال بعضهم ان بعض الناس قال لبعض ان محمدا يأتينا بالحق ويدعونا الى الجنة والبعث بعد الموت
ان الشيطان يأتيه بذلك وقال ابو عبيدة يريد انه ساحر وهو الرئة يقول انه بشر مثلكم قال ابن قتيبة كأنه ارى ما يأكل على هذا انه بشر مثلكم
مع ان المشركين قد رموه بالوان ما نظن كيف ضربوا لك الامثال اي شبهوك بكل منهم لتبغي اخرى فقالوا انت كاهن وشاعر وساحر ومعلم ومجنون فضلوا
في جميع ذلك عن طريق الحق فلا يستطيعون سبيلا الى الهدى والبيان اصلا ومن جوز على الانبياء الكذب كالحشوية استدل به وحين نزع من شبهاتهم القوم في
التبوان حكى شبههم في امر المعاد وابطلها لما ذكر ان القوم وصفوه بانه مسحور فاسد العقل ذكر ما كانوا في ذمهم الا على احتلاط العقل وهو دعوى
الانسان انه يصير حيا بعد ان كان عظاما ورفاتا والموات لا يجوز ان يصير حيا من كل شئ بكر وهو اسم لكل ما رض وفتت ثم منه رفت عظام
الميت ورفاته اذا كسرها وفتتها والشبهة ان الانسان اذا مات جفت اعضاؤه وتناثرت وتفرقت في جوانب الهواء واختلطت بها بامثالها
من العناصر وكيف يعقل بعد ذلك اجتماعها بأعيانها ثم عود الحيوة اليها فذلك الجحود ع فاجاب الله تعالى عن شبههم بان اعادة بدن الميت الى حالة
الحيوة امر ممكن ولو فرضتم ان بدنه قد صار بعد شئ من الحيوة ورطوبة الى وعضاضة ومن جنس ما ركب منه البشر كالحجارة او الحديد فهو كقول
القائل الطمع ذا وانا فلان فيقول كون ابن الخليفة ذا ومن شئت فاطلب مني حتى اما قوله خلقا مما يكبر في صدوركم فالمراد فرضوا شيئا آخر بعد
عن قبول الحيوة من الحجر والحديد بحيث يشبه عقولكم كونه قابلا لوصف الحيوة وعلى هذا لا حاجة الى تعيين ذلك الشئ وقال مجاهد اراد السموات والارض وعن ابن عباس لو تملكون الخ اي لو صرتم بدل انكم نفس الموت فان الله يعيد الحيوة اليها وهذا انما يحسن على سبيل المبالغة كما

يقال هو روح مجسم او وجود محض والاظهر الثاني لان انقلاب الجسم عرضا محال وبتقدير التسليم فالموت كيف يقبل الحيوة لان الضد يمتنع ان يقبل الضد وفي قوله قل الله نظر لكن مرة بيان كاف وبرهان شاف كما تقدم لما سلم ان خالق الحيوة هو الله فذلك الاجسام في الجملة قابلة للحيوة والعقل والله العالم علم بجميع المخترعات والكليات فلا يشتبه عليه الاجزاء بدن كل من الاموات واذا قدر على جعلها متصفة بالحيوة اول الامر فانه يقدر على اعادتها الى الحيوة في ثاني الحال اولى لزوم اوكما بان البعث ممكن وان فرضنا بدن الميت اي شيء اردتم كما انهم سلموا امكانه ولكن يجاهلون ويتغافلون اعن تعيين المعيد فقالوا من يعيدنا فاجاب بانه الفاطر الاول ثم زادوا في الاعتراض فسئلوا عن تعيين الوقت بقولهم ومتى هو فذلك قوله مستغفضون اليك رؤسهم اي فيحركونها تعجبا واستهزاء قال ابو الهيثم يقال للرجل اذا اخبر بشيء تحرك راسك الى فوق والى اسفل انكارا له انغض راسه قال المفسرون عسى من الله واجب فعلم منه قرب وقت البعث ولكن وقف على التعيين مما استاثر الله بعلمه لا يقال كيف يكون قريبا وقد انقرض اكثر من سبعمائة سنة ولم يظهر لنا نقول كل ما هو آت قريب واذا كان ما مضى اكثر مما بقي فان الباقي قليل فقوله يوم يدعوكم منصوب باذكروا والمراد يوم يدعوكم كان ما كان او هو بدل من قريبا والمعنى عسى ان يكون البعث يوم يدعوكم بالنداء الذي يسمعكم وهو النفخة الاخيرة وروي ان اسرافيل ينادي ايتها الاجساد البالية والعظام النخرة والاجزاء المتفرقة عودي كما كنتم والاستجابة موافقة الداعي فيما دعى اليه وهي مثل الاجابة بزيادة تاكيد لما في السين من طلب الموافقة فان في الكشاف لدعائه والاستجابة كلاهما مجاز والمعنى يوم يبعثكم فتبعثون مطاوعين منقادين وقوله بحمده حال منهم اي حامدين وهي مبالغة في انقيادهم للبعث كقولك لمن تامره بامر يشق عليه ستجابر وانت حامد شاكر اي ستهيئ لي حالة تحمد الله وتشكره على ان اكفوا مئونتك بذلك العمل وهذا يذكر في معرض التهديد وقال سعيد بن جبير يخرجون من قبورهم وينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك وقال قتادة بحمده اي بمعرفته وطاعته لان التسبيح والتحميد معرفة وطاعة ومن هنا قال بعضهم حمدا حين لا ينفعهم الحمد وقال اخرون الخطاب مختص بالمؤمنين لانهم الذين يليق بهم الحمد لله على احسانه اليهم وتظنون ان لبثتم الا قليلا عن قتادة يحاقرون الدنيا في انفسهم حين عاينوا الاخرة ومثله قول الحسن معناه تقارب وقت البعث وكانك بالدنيا لم تكن وبالاخرة لم تزل وقال ابن عباس يريد ما بين النفختين الاولى والثانية فانه يرفع عنهم العذاب في ذلك الوقت وقيل اراد استقصارهم مدة لبثهم في عرصة القيامة حين عاينوا هول النار ثم امر المؤمنين بالرفق واللين عند ارادة الحجة على المخالفين فقال وقل لعبادي اي المؤمنين لان لفظ العباد يختص بهم في اكثر القرآن فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه يقال طيب الكلام وطيبه بمعنى وقيل اراد بالعباد الكفار اي قل لعبادي الذين اقروا بكونهم عبادا لي يقولوا الكلمة التي هي احسن والمعنى هي ان لا تكون محلولة بالسب واللعن والغلظة ثم نبه على وجه المنفعة بهذا الطريق فقال ان الشيطان ينزغ بينهم اي بين القريقين جميعا فيزيد الغضب تهاملا للنفرة ويمنع حصول المقصود ثم قال ربكم اعلم بكم ان يشا يرحمكم ايها المؤمنون بالانجاء من كفار مكة ومن ايذائهم او ان يشا يعذبكم بتسليطهم عليكم وما ارسلناك يا محمد عليهم وكيلا اي حافظا موكولا اليك امرهم انما انت بشير وندير والهداية الى الله وقال جار الله الكلمة التي هي احسن مفسرة بقوله ربكم اعلم بكم الى اخره اي قولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا تقولوا لهم انكم من اهل النار وانكم معذبون وما اشبه ذلك مما يهيج غيظهم وقوله ان الشيطان ينزغ بينهم اعتراض وقيل المراد بالعباد الكفار اي قل لعبادي الذين اقروا بكونهم عبادا لي يقولوا الكلمة التي احسن هي كلمة التوحيد والبراءة من الشرك والاضداد لان ذلك احسن بالبعد بقدر من الاشراك ووصفه بالقدرة على الحشر احسن منه وصفه بالعزة عنها والحامل على مثل هذه العقائد هو الشيطان المعادي ثم قال لهم ربكم اعلم بكم ان يشا يرحمكم بتوفيق الهداية او ان يشا يعذبكم بالاماتة على الكفر الا ان تلك المشيئة غائبة عنكم فلا تقطعوا في الجدال والطلب ثم قال لرسوله وما ارسلناك عليهم وكيلا حتى تقسرهم على الاسلام وما عليك الا البلاغ على سبيل الرفق والمداراة وهذا قبل نزول الامر بالسيف وقيل نزلت في عمر بن الخطاب شتم رجل فامره الله بالعفو وقيل اول ما ابتداء المشركين المسلمين شكوا الى رسول الله صلعم فنزلت وحين قال ربكم اعلم بكم عمم الحكم فقال وربك اعلم بمن في السموات والارض يعني ان علمه غير مقصور عليكم ولا على احوالكم بل علمه متعلق بجميع الموجودات وبما يليق بكل منها وبذلك حصل التمايز والتفاضل كما قال ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وفيه رد على اهل مكة اذا نكروا ان يكون يتيم ابي طالب مفضلا على الخلائق بعبادون صناديد قريش واكابرهم وانما خصهم لانهم يقولون وآتينا داود زبورا لعلم ان التفضيل ليس بالمال والملك وهم بالعلم والدين فان داود كان ملكا عظيما ولم يذكره الله سبحانه الا بمزيد ايتاء الكتاب وفيه ايضا اشارة الى ان محمدا صلعم خاتم الانبياء وامته خير الامم بدليل قوله ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون اي محمد وامته ومعنى التكبير في زبور انه كامل في كونه كتابا والزبور زبور كالعباس وعباس والحسن حسن او المراد بعض الزبر او الزبور كما يسمى بعض القرآن قرانا وقيل ان كفار قريش ما كانوا اهل نظر وجدال بل كانوا يرجعون الى اليهود في استزاح الشبهات وكانت اليهود يقولون انه لا نبي بعد موسى ولا كتاب بعد التوراة فنقض الله كلامهم بانزال الزبور على داود بعد موسى ثم رد على طائفة من المشركين كانوا يعبدون ما تماثل على انها صور الملائكة او على طائفة من اهل الكتاب كانوا يقولون بالهية عيسى ومريم وعزير فقال قل ادعوا الذين زعمتم من دونه وقيل اراد بالذين زعمتم نفرا من الجن عندهم ناس من العرب ثم اسلم الجن ولم يشعروا انهم تخصصت لانه بالحق هو لا الطوائف لان قوله بعد ذلك يبتغون الى ربهم الوسيلة لا يليق بالجمادات قال ابن عباس كل موضع في كتاب الله ورد فيه لفظ الزعم فهو بمعنى الكذب وقيل ان المعبود الحق هو الذي قدر على ازالة الضر وتحويله من حال الى حال ومن مكان

الى مكان وهذه الذى زعمتم انها الهة لا يقدرون على شئ من ذلك فوجب القطع بانها ليست بالهة سئوال ما الدليل على ان الملائكة لا تقدر لها على كشف الضر فان علتم لا تارتهان او لتلك الكفار كانوا يتضرعون اليها ولا يحصل الاجابة فلنا ان المسلمين ايضا يتضرعون الى الله ولا يجابون وينقد بر الاجابة فى بعض الاوقات فالكفار ايضا يحصل مطلوبهم احيانا فيقولون لنتم ان الملائكة جوابة ان الله قدرة قوية بان كان له الاعظم خالق العالم فكمال قدرته معلوم متفق عليه وكمال قدرة الملائكة غير معلوم ولا متفق عليه بل المتفق عليه ان قدرتهم بالنسبة الى قدرته قليلة جدا فوجب واذا كان كذلك وجب ان يكون الاشتغال بعبادة الاله الاعظم اولى واجدر اخذا بالمعلوم المتيقن دون المظنون الموهوم على ان اهل السنة قاطعون بانه لا تاثير لشئ فى الوجود الا لله تعالى يقول مؤلف هذا التفسير اضعف عباد الله تعالى واحوجهم اليه الخسب محمد المشتهر بنظام النبهانى يورى نظم الله احواله فى ولاده واخواه رايت فى بعض الكتب مرقوما عن امير المؤمنين على رضى الله عنه من رفع الى ملك او طلب كفاية مهم فليسبح فى خلوة وليقل فى سجدة الهى انت الذى قلت قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا فيا من يملك كشف الضر عنا وتحويله اكشف غايتى فانه اذا قال ذلك كشف الله عنه ضره وكفى مهمه وقد جربت فوجد كذلك ثم اعلم ان الله تعالى اكد عدم اقتدار معبوديهم بيان غاية افتقارهم الى الله تعالى وحده لما نفع ودفع المضار فقال اولئك وهو مبتدا والذين يدعون صفته ويبتغون خبره يعنى ان اولئك المعبودين يطلبون الى ربهم الوسيلة اى القربة فى الحوايج وايهم بدل من واو يبتغون وهو موصول وصدر صلته محذوف اى يبتغى من هو اقرب الوسيلة الى الله فكيف بغيره الاقرب والدليل على هذا الاضمار اقرار جميع الكفار بامكانهم الثانى وجوز فى الكشاف ان يضمن يبتغون الوسيلة يعنى يحوصون فكانه قيل يحوصون ايهم يكون اقرب الى الله وذلك بازدياد الخير والطاعة والصلاح ويرجونه ويخافونه كغيرهم من العباد وقيل اولئك الذين يدعون هم الانبياء الذين ذكرهم الله فى قوله ولقد فضلنا بعض النبيين الى الذين عظمت منزلتهم وهم الانبياء الداعون للامم الى الله لا يعبدون الا الله لا يبتغون الوسيلة الا اليه فانتم احق بالعتاب واحق بهذا القائل على صحة قوله بان الله تعالى قال يخافون عذابه والملائكة لا يعصون الله فكيف يخافون واجيب بانهم يخافون عذابه لو اقدموا على الذنب لقوله ومن يقل منهم انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم ان عذاب ربك محظورا اى محفوظا بان يحذره كل احد من ملك مقرب نبى مرسل فضلا عن غيرهم فان لم يحذره بعض الجملة فانه لا يخرج عن كونه واجب الحذر ثم بين ما آل حال الدنيا واهلها فقال وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيمة بالموت والاستيصال او تعذبوها بالقتل وانواع العذاب كالسبى والاغتنام وقبل اهلها الذين لا تصلح والتعذيب للطالحة كان ذلك فى الكتاب وهو اللوح المحفوظ مسطورا فلا بد له من ان يجد بل قطعتم بوقوعا خوفا من سنته فقال وما منعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون منع للترك من اجل لزوم خلاف الحكمة او المشيئة عن سعيد بن جبير ان كفار قريش اقترحوا من النبى صلعم ان يجعل لهم الصفا ذهبا وان ينحل عنهم الجبال فاحيى ويزرعوا فقال ان شئت فعلت لكنهم ان كفروا بعد ذلك اهلكتهم فقال الرسول صلعم لا اريد ذلك وانزل الله الآية والمعنى وما صرفنا عن ارسال ما يقترحونه من الآيات الا ان كذب بها الذين هم امثالهم من المطبوع على قلوبهم كعاد وثمود وانها لو ارسلت لكذبوا بها فكذبوا واستوجبوا عذاب الاستيصال على ما اجرت الله تعالى به عادته والحاصل ان المانع من ارسال الآيات التى اقترحوها هو ان الاقتراح مع التكذيب موجب للهلاك الكلى وقد عزمنا ان نؤخر امم من بعث الينا الى يوم القيمة ويحتمل ان يراد انهم مقلدون لآبائهم فلا يؤمنون فيكون ارسال الآيات ضائعا ثم استشهد على ما ذكر بقصة صالح وناقة لان اثارها لا تزال فى بلاد العرب فريبة يبصرها صادرهم وواردهم وهذا معنى قوله مبصرة او الماد حال كون الناقة آية مبينة يبصر المتامل بها رشدها فظلموا بانفسهم بقتلها او كفروا بها بمعنى انهم جحدوا كونها من الله قاله ابن قتيبة وما نرسل بالآيات المقترحة الا تخويفا من نزول العذاب العاجل بمعنى ان من انكرها عجل او المراد وما نرسل بها ايات القرآن وغيرها من المعجزات الا انذارا بعذاب الآخرة على المعنى المذكور وحين امتنع من ارسال الآيات المقترحة على رسوله للصالح لمن كور قوى قلبه بوعد النصر بالغلبة فقال واذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس اى اتاهم فى قبضته وقدرته فلا يقدرون على خلافك اذ انت فى تصرف وبقوبات حتى تبلغ الرسالة عن الحجال بينهم وبينه ان يقتلوه كما قال والله يعصمك من الناس وقيل اراد بالناس من اهل مكة واحاط فى معنى الاستقبال الا ان خبر الله تعالى لما كان واجب الوقوع عبر عنه بلفظ الماضى عند بعضهم فى وقت بدر اتا قوله وما جعلنا الرؤيا التى اريناك الا فتنة للناس فقيل رؤيا العين الا انه تعالى اراه فى المنام مصارع كفار قريش حتى قال والله لكانى انظر الى مصارع القوم وهو يومى بيده الى الارض هذا مصرع فلان هذا مصرع فلان فلما سمع قريش ذلك جعلوا يرونه اياه سخرية وكانوا يستعجلون بما وعد الثانى انكارا وبه اليه الرؤيا التى اريناك ان يدخل مكة وبذلك اصحابه واخبر فلما منع من البيت الحرام عام الحديبية كان ذلك فتنة لبعض القوم وقال عمر لابى بكر فلم اخبرنا رسول الله صلعم انا ندخل البيت ونطوف به فقال ابو بكر انه لم يخبرنا بفعل ذلك فى هذه السنة فسنفعل ذلك فى سنة اخرى فلما جاء العام القابل دخلها وانزل الله تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق الثانى قول سعيد بن المسيب عن ابن عباس فى رواية عطاء ان رسول الله صلعم بنى امية ينزون على منبره نزو القردة فساءه ذلك الرابع وهو قول اكثر المفسرين ان المراد بهذه الرؤيا هى حديث الاسراء ثم اختلفوا فالاكثرون على ان الرؤيا بمعنى الرؤية بفال رايت بعينى رؤية ورؤيا او سماها رؤيا على قول المكذبين حين قالوا العلها رؤيا نوما وخيال حلم لا انهم حملوا الاسراء كانى المنام وقد مر البحث فى ذلك

السورة قوله والشجرة فيه شذوذ ما تأخروا التقديم وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا شجرة الملعونة في القرآن الآية فقال الأكثرون أنها شجرة الزقوم لعنت في القرآن حيث لعن طاعموها قال عز من قائل إن شجرة الزقوم طعام الأثيم ووصفت باللعن لأنها الأبعاد وهي في أصل الجحيم في البعد مكان من رحمة الله والعرب يقول لكل طعام مكروه صار ملعون وأنشد فيها أن أبا جهل وغيره قالوا إن محمدا يخوفنا بالزقوم ثم يقول ينبت فيها الشجر فأنزل الله تعالى هذه الآية ونظيره قوله إنا جعلناها فتنة للظالمين ومن شاهد حال السفل والتعاس كيف يتعجب من قدرة الله على إنبات الشجر من جنس لا يعمل فيه النار وعن ابن عباس الشجرة الملعونة بنو أمية وعنه هي الكشوث الذي يلتوي بالشجر يجعل في الشراب وقيل هي الشيطان وقيل إنه سؤال أي تعلق لحديث الرؤيا بذكر الشجرة أما قبل من الكلام جوابه كأنه قيل لم لما طلبوا هذه المعجزات ثم أنك لم تظهرها صار عدم ظهورها شبهة في أنك لست بصادق في دعوى النبوة الآن وقوع هذه الشبهة لا يبعد أن يكون سببا لوقوع الشبهة العظيمة ثم إنها ما أوجبت ضعفا في أمرك ولا فتورا في اجتماع الخلق عليك ثم ذكر سببا آخر وهو أنه تعالى لا يظهر المقترحات عليهم نقال ونخوفهم بحادث الدنيا والآخرة فما يزيدهم إلا طغيانا كبيرا منادبا التأويل لا تبغوا إلى ذي العرش سبيلا يشتمل معنيين لأنهم إن كانوا أكبر منه أو مثالا له طلبوا طريقا إلى انتزاع صاحب العرش وتنزع الملك منه قهرا وإن كانوا دونه منه طلبوا إليه الوسيلة بالخدمة والعبودية على أن الناقص لا يصلح للإلهية وهذا قريب من التفسير وإن من شيء إلا يسبح بحمده لكل ذرة من ذرات الموجودات ملكوت لقوله سبحان الذي بيده ملكوت كل شيء والملكوت باطن الكون وهو الآخرة والآخرة حيوان لا جماد لقوله وإن الدار الآخرة لهي الحيوان فلكل ذرة لسان ملكوني ناطق بالتسبيح والحمد تنزيها لصانعه وحمدا له على ما أولاه من نعمه وهذا اللسان ينطق الحصى في كف النبي وبه ينطق الأرض يوم القيمة يومئذ تحدث أخبارها وبه ينطق الجوارح انطقنا الله الذي أنطق كل شيء وبه ينطق السموات والأرض قالتا أتينا طائعين إن كان حليما لا يزل إذا خرج من العدم من يكفره ويجحده غفورا لمن تاب عن كفره وإذا قرأت القرآن فيه إشارة إلى أن من قرأ القرآن بتمامه وصل إلى أعلى معارج القدس وأفصح مدارج الأنس كما جاء في الحديث يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق قال أبو سليمان الخطابي جاء في الآثار أن عدد آي القرآن على قدر درجات الجنة فمن دخل الجنة فمن استوعب جميع أي القرآن ارتقى إلى أعلى درجاتها الجنة قال المحققون استيفاء جميع آي القرآن هو أن يتخلق بأخلاقه ويتصف بأوصافه بل بأخلاق الله وصفات الله وهذا يكون بعد العبور عن حجب الظلمانية والنورانية فيكون بينه وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا لم يقل ساترا لأن الحجاب يستر الواصل فيكون الواصل مستورا بالحجاب عن المنقطع ولو على أدبارهم لأنهم من سوء مزاجهم لا يكادون يفقهون العدل الصالح فالحلاوة في مذاقهم مرارة إذ يقول الظالمون من ظلمهم لأنهم وضعوا المسحور مكان المبعوث وخلفا مما يكبر في صدورهم أي لو كان قلوبكم التي في صدوركم أشد من الحجارة والحديد فالله قادر على إحيائها وتليينها فيفهم العشق بقولها لتي هي أحسن شرف من عبده بتشريف الإضافة يظهر منه القول الأحسن هو الإخلاص لا إله إلا الله مخلصا والفعل الأحسن هو أن يكون منادبا بآداب الشريعة والطريقة والخلق الأحسن هو أن يكون محسنا إليهم بالحلم الإحسان والشكر منهم ويجاوز عن سيئاتهم ويعيش فيهم بالنصيحة يأمرهم بالمعروف بالإعراف عن الجاهلين وينهاهم عن المنكر بالنصيحة إن الشيطان ينزغ بينهم إذا لم يعيشوا بالنصيحة وآتينا داود زبورا فيه إن فضل النبيين على داود كفضل القرآن على الزبور وإن من قرية من قرى قالب الإنسان إلا نحن مهلكوها بموت قلبه ورقبل موت قالبه فمن مات قلبه فقد فاتت فيها منه أو معذبوها بأنواع البلايا والمجاهدات نفي السر إلى الله ذو بيان الصفات ونفي السر بالله ذو بيان الذات أحاط بالناس علم مقتضى كل نفس من الخير والشر وما جعلنا الرؤيا التي أريناك كان الوحي يصل إلى النبي صلى الله عليه وسلم في مبدأ أمره بطريق المنام وكان في ذلك إخبار للناس عن وقته يظهر الموافق من المنافق والصادق في ودادته وهكذا كان في الشجرة وجودا بليس ابتلاء للناس لم يكن المحيط بأحوال الناس حاجة إلى الابتلاء ولكنه يعامل معاملة المختبر والله أعلم بالصواب

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ

عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ

جَزَاءً مَوْفُورًا وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي

الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ

وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا وَإِذَا

مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا أَفَأَمِنْتُمْ

الانفصال في السر إلى الله

ع

الخسف

أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ

کہ فرو برد بشما طرف بیابان فرستد برشما پس نیابید برای خود نگہبانی یا ایمن شدید کہ باز گرداند شما را

فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا وَلَقَدْ

در آن مرتبہ دیگر پس فرستد بر شما سنگ ریزہ پس نیابید برای خود کارگذارندہ پس غرق کند شما را بکفر کہ کافر شدید پس نیابید برای خود برما بآن ازیرا آنکہ بشما رسد

كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ

گرامی کردیم فرزندان آدم را بر بر و بحر در بیابان و دریا و روزی دادیم ایشان را از پاکیزہ

مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ

از آنکہ افزودیم ایشان را فضل روزی دادنی روزی کہ بخوانیم هر گروہی را باشوی پیشوای ایشان پس هر کہ داده شد کتابش بدست راستش

كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا القراءة الاولى

نامہ خود را و ستم کردہ نشود مقدار رشتہ و کسیکہ باشد در این جہان کور پس او در آخرت کور و گمراہ تر است در راہ

بالتاء فى الحالين ابن كثير غير الطائى عن ابن فليح وسهل ويعقوب وقنبل وابو جعفر وبالتاء ابو عمرو فى الوصل الباقون بالحذف يدعو بضم الكاف ابن كثير وابو عمرو والباقون بالكسر المفضل ابو بكر عن الاعشى عن ابى بكر عن عاصم الاخوان بكسرها ان يخسف ويرسل ان يعيدكم فيرسل فنغرقكم كلها بالنون ابن كثير وابو عمرو والباقون على الغيبة الا يعقوب ويعيدكم فنغرقكم بالنون الفوقانية على التضمير الذى مر فى الحج ويعيدهم فنغرقهم بالاماله اعنى بالتفخيم ابو عمرو وبصرى والبزى وورش من طريق ابى الفرج وعلى غير بصرى وحمزة وحلف ويحيى وحماد جميعا بالاماله الباقون جميعا بالتفخيم الوقوف بلا خلاف بناء لاتحاد فاعل فعل قبله وفعل بعده بالواو عطف على نحو اقسم المحذوف مع ايلاء الكلام قبله موفورا وعدم للعدول عن وداه سلطانا وكيلا فضلناهم وجاءه الآيات اعرضتم كفورا وكيلا للعطف نتبعا تفضيلا بامامهم قبيلا سبيلا التفسير قال اهل النظم اذا ذكر ان الرسول كان من قوم فى بلدة عظيمة ومحلة شديدة اراد ان يبين ان جميع الانبياء كانوا كذلك حتى آدم عليه السلام وايضا ان القوم كان منشأ تنعمهم وافتراحاتهم الفاسدة الامر من الكبر والحسد فبين الله سبحانه ان هذه عادة قديمة سنها ابليس لعنه الله عليه وايضا لما وصف القوم بزيادة الطغيان عقيب التخويف اراد ان يذكر السبب لحصول هذا الطغيان وهو قول ابليس لأحتنكن ذريته وهذه القصة ذكرها الله تعالى فى سبع سور البقرة والاعراف والحجر وهذه السورة والكهف وطه وص ونحن قد استقصينا القول فيه فلا حاجة الى الاعادة فلنقتصر على تفسير الالفاظ قال جار الله طينا حال اما من الموصول والعامل فيها اسجد معناه أسجد كان له وهو طين او الاصل واما من الراجع الى الموصول من اصله نقدر اأسجد لمن كان فى وقت خلقه طينا ومعنى الاستفهام انكار ما رأى الاشرف على زعمه يجد منه الادون ولذلك قال ارأيتك اى اخبرنى عن هذا الذى كرمته على لم كرمته وانما خبر منه فاختصر الكلام لكونه معلوما ويمكن ان يقال هذا مبتدأ والاستفهام فيه مقدر ومعناه اخبرنى اهذا الذى كرمته على والاشارة هنا بقصد الاستحقار وقيل ان هذا مفعول ارأيت لان الكاف لمجرد الخطاب كما تقول على وجه التعجب والانكار ابصرت او علمت هذا بمعنى لو ابصرته او علمته لكان يجب ان لا تكرم على ثم ابتدأ فقال لئن اخرتنى واللام موطئة للقسم المحذوف وجوابه لأحتنكن ذريته لاستأصلنهم بالاغواء من احتنك الجراد الارض اذا جرد ما عليها اكلا وهو الحنك ومنه ماذكر سيبويه احنك الشاتين اى اكلهما وقال ابو مسلم هو افتعال من الحنك يقال منه حنك الدابة يحنكها اذا جعل فى حنكها الاسفل حبلا تقودها به كانه يملكهم كما يملك الفارس فرسه بلجامه واتما ظن ابليس ذلك لانه سمع قول الملائكة فى حقهم اتجعل فيها من يفسد فيها او نظر اليه فتوسم انه خلق شهوانى الى غير ذلك من قواه البهيمية والبهيمية او قاس ذرية آدم عليه حين عمل وسوسة فيه وضعفه جارا لله بيان الظاهر انه قال ذلك قبل اكل آدم من الشجرة فقال الله تعالى اذهب ليس لك ولا منه تفضل الجنى وانما المراد امض لشانك الذى اخترته لا نأخذك بالعقوبة فى الحال وانما نؤخرك لاتمام امرك فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا جزاؤهم وجزاؤن غلب المخاطب على الغائب لان الاصل فى المعاصى وغيرها تغليب الغائب وجوز فى الكشاف ان يكون التفاتا بعد الخطاب على طريقة الالتفات فى انتم جزاء موفورا على المصدر والعامل فيه معنى تجازون المضمر والمدلول عليه بقوله فان جهنم جزاؤكم او على الحال الموطئة والموفور الموفر قولهم فرس صاحب عرضه فره وقيل هو بمعنى الوافر ثم اكدا لامهال والخذلان بقوله واستفزز من استطعت منهم بصوتك استفزه الخوف استفزازا اى حركه واستخفه وصوته دعاؤه الى معصية الله وقيل الغناء واللهو واجلب عليهم بخيلك ورجلك قال الفراء ابو عبيدة احلب من الجلبة والصياح اى صح عليهم وقال الزجاج اجمع عليهم كل ما تقدر عليه من مكايدك فالاجلاب الجمع والباء بخيلك زائدة وقال ابن السكيت الاجلاب الاغارة والخيل يقع على الفرسان قال صه يا خيل الله اركبى وعلى الاولى جميعا والرجل بسكون الجيم جمع راجل كتاجر وتجر وصاحب وصحب وبكسر الجيم صفة معناه وجعلك الرجل وتضم جيمه ايضا مثل ندس وندس وحذر وحذر وعن ابن عباس كل راكب وراجل فى معصية الله فهو من خيل ابليس ورجله وقيل يحتمل ان يكون لابليس جند من الشياطين بعضها راكب بعضها راجل والاقرب ان هذا كلام ورد تمثيلا فقد بقى الرجل الجند الامر جندا بخيلك ورجلك قال فى الكشاف مثلت حاله فى تسلطه على من يغويه بمغوار رفع على قوم

فصوت بهم صوتا يستفزهم من اماكنهم ويبلغهم عن مراكزهم واجلب عليهم بخيله ورجاله حتى استاصلهم اما المشاركة في الاموال
فهي كل تصرف في المال لاعلى وجه الشرع سواء كان اخذا من غير عوض او وضعا في غير حق كالزنا والغصب والسرقة ومثل هذه يثبت اذن الانتفاع
وجعلها بجزة وسابية والمشاركة في الاولاد دعوى الولد بغير سبب يحصله بالدعاء الى الزنا او تسميتهم بعبد اللات وعبد العزى او بينهم
لا كما ينبغي حتى يشاوروا غير راشدين ولا موزونين ولا متدينين بدين الحق وعدهم بتزيين المعاصي في اعينهم وتزهيدهم فيها وتثقيل الطاعات
والعبادات عليهم وتنفيرهم عنها وهذه قضية كلية وربما يحصل المقترن نعم بعضهم ان المراد وعدهم بالنار لا بالجنة ولا نار تقبل بالكرامة
على الله بالاثواب الاحتساب ومثل هذا بشفاعة الاصنام والاماني الباطلة وايثار العاجل على الاجل ثم بقي ان يكون لوعد الشيطان عاقبة
حميدة فقال وما يعدهم الشيطان الا غرورا لانه انما يعد عوالم اللذات البهيمية او السبعية او الحيوانية واكثرها دفع الالم وكلها لا اصل
لها او لا دوام ومن اراد الاستقصاء في هذا الباب فعليه بمطالعة باب ذم الغرور من كتاب احياء علوم الدين للشيخ الامام زين الغزالي رحمه الله و
لما قال للشيطان فاني على سبيل الوعد والتهديد افعل ما تقدر عليه ربط جاش سائر المكلفين بقوله ان عبادي ليس لك عليهم سلطان
قال الجبائي المراد كل عباده لانه استثنى منه في غير هذا الموضع قائلا الا من تبعك وقال اهل السنة المراد عباد الله المخلصين ثم زاد في تقوية
جانب المكلف فحتم الامر بقوله وكفى بربك وكيلا فهو يدفع كيد الشيطان وبعضهم من اغوائه ثم عدد على بني آدم بعض ما انعم عليهم ليكون
تذكيرا لهم ويحثهم على الاقبال فقال ربكم الذي يزجي لكم اي يسير لاجلكم الفلك في البحر والازجاء سوق الشيء حالا بعد حال لتبتغوا من فضله الربح
بالتجارة انه كان بكم رحيما فلذلك هداكم لمصالح المعاش المؤدية الى منافع المعاد واذا مسكم الضر اي خوف الغرق في البحر ضل من تدعون
ذهب عنكم وخواطركم كل من تدعونه في حوادثكم الا اياه وحده فانكم تقصدون برحمته جانبكم او المراد ضل من تدعون من الالهة عن اغاثتكم
ولكن المثلة هو الذي توجبه وحده فكان الاستثناء منقطعا فلما نجاكم من ذلك الضر واخرجكم الى البر اعرضتم عن الاخلاص وكان الانسان
كفورا لنعم الله لا تزعد الشدة بمكان برحمة الله وفي الرضاء بعرض عنه ثم انكر عليهم سوء معاملتهم فقال افامنتم ان يخسف بكم جانب البر فامنتم
فعلكم ذلك على الاعراض ان يخسف بعضه دون الشيء في الشيء منه عين حامية التي تغار حتى حد فيها الرأس وخسف الفم دخل تحت الحجاب و
هو ثورة الظل عند الحكماء ربكم حال وانما قال جانب البر لانه ذكر البحر بعد الا بانه الاول وهو جانب البر جانب خسف جانب البر بهم قلبه وهم عليه
فالخسف تغييب تحت الماء فهبوا انكم نجوتم من هول البحر فهل امنتم من هول البر فانه قادر على تسليط انواع البر عليكم اما من جانب تحت بالخسوف
واما من جانب الفوق بامطار الحجارة وذلك او يرسل عليكم حاصبا وهي الريح التي تحصب اي ترمي بالحصباء قال الزجاج الحاصب التراب
الذي فيه حصباء فالحاصب في الحصبا كاللابن واللابن والتامر واللابن ولا يخفى ان هذين العذابين اشد من غرق البحر ثم لا تجدوا لكم وكيلا يصرف
ذلك عنكم ام امنتم ان يعيدكم فيه تارة اخرى بان يقوي دواعيكم ويوفر حوائجكم الى ركوب البحر فيرسل عليكم قاصفا من الريح فيكسر مراكبكم
صوت شديد والقاصف الكاسر فتغرقوا من الريح بالله فتغرقكم بما كفرتم اي بسبب كفركم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا مطالبا بتبعتنا
لانكار ما نزل بكم او لصرفه عنكم فهو كقوله ولا يخاف عقباها ثم اجمل ذكر النعمة بقوله ولقد كرمنا بني آدم وقد ذكر المفسرون في تكريمه وجوها
منها الحفظ فيه بقدرة الانسان على ابداع العلوم التي استنبطها هو او غيره الدنيا وتبقى على وجه الدهر مصونة عن الاندراس محفوظة عن
الانطماس اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم ومنها الصورة الحسنة وصوركم فاحسن صوركم ومنها القامة المعتدلة لقد خلقنا الانسان
في احسن تقويم ومنها ان كل شيء يأكل بفيه الا ابن آدم يحكى عن الرشيد انه حضر اذيه طعام فاحضر الملاعق وعند ابو يوسف فقال
له الجماز في تفسير جيد لابن عباس ان هذا التكريم هو انه جعل لهم اصابع يأكلون بها فرد الملاعق واكل باصابعه

تكرم غير بائن من ذلك ودلالة ختم التكريم بقوله وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفريعه على ما تقدم الكثير هنا بمعنى الجميع فشنع عليه جار الله بأنه شنيع في الحق وفاش في العين لبشاعة قول القائل وفضلناهم على جميع من خلقنا والانصاف ان كون الكثير بمعنى الجميع لا ينكره هذا المتشيع لانه لا يلزم من افادة اللفظ معنى لفظ اخر بمعنى انه يرجع الحاصل الى ذلك بدلالة الالتزام او بحكم العرف ان يوضع ذلك اللفظ موضعه ويطلق عليه ان التفسير لا يقوم مقام المفسر لبينة كان هذا معجزة وان ذلك فكيف بتعي الذوق بحاله وايضا فالحاصل هو قولنا على جميع ممن خلقنا فان الدعوى هو ان كثيرا من الشيء قائم مقام كل ذلك الشيء حتى يلزم البشاعة من قبل الجمع بين لفظ الكل ومن التبعيضية هذا وان الحق في المسئلة هو اجراء الكلام على اتم ظاهره وان لا ينزل على ما ترجح في محاولات الله شيء لا يكون للانسان تفضيل عليه لانه سبحانه ذكر هذا الكلام في معرض المدح ولو كان الانسان مفضلا على الكل لم يقع مدح الله تعالى الا منصبا على ذكر البعض وكل من اثبت هذا القسم قال انه هو الملائكة بل بعض الملك افضل من اكثر الانسان وان كان بوجد في خواص الانسان من هو افضل من جمهور الملائكة بل من خواصهم والى هذا ذهب عباس واختاره الزجاج على ما رواه الواحدي في البسيط واما ان الملائكة افضل من كل البشر على ما زعم جار الله وامثاله فانه تحكم محض لما ذكرنا من انواع كرامات الانسان في الدنيا شرح احوال درجاته في الاخرة فقال يوم ندعو وهو منصوب باضمار اذكر وبقوله فضلناهم على عادة الله في الاخبار عن المتقدم بما عظمهم من الكرامة والثواب وعلى هذا يكون التكوين في الدنيا والتفضيل في الاخرة ولا وقف على تفضيلا والامام في اللغة كل ما يؤتم به من بناء ومقدمة في الدين او كتاب او دين والباء في قوله بامامهم للالصاق كما تقول ادعوك باسمك ابي هريرة مرفوعا اترى بنادى يوم القيمة يا امة موسى يا امة عيسى يا امة محمد فيقوم اهل الحق الذين اتبعوا الانبياء فياخذون كتبهم بايمانهم ثم ينادي باتباع فرعون وفلان وفلان من رؤساء الضلال واكابر الكفر ويجوز ان يتعلق الباء بمحذوف وهو الحال والتقدير ندعو كل اناس متلبسين بامامهم اي بدعوتهم وامامهم فيهم نحو ركب بجنوده وروي الضحاك وابن زيد انه ينادي يوم القيمة يا اهل القرآن يا اهل التوراة يا اهل الانجيل وقال الحسن يدعون بكتابهم التي فيها اعمالهم فيقال يا اصحاب كتاب الخير ويا اصحاب كتاب الشر وهو قول اتباع الائمة ايضا قال صاحب الكشاف من بدع التفاسير ان الامام جمع ام وان الناس يدعون يوم القيمة بامهاتهم والحكمة في ذلك دعاية حق عيسى واظهار شرف الحسن والحسين وان لا يفتضح اولاد الزنى ثم قال ولبعض شعرائهم ابدع اصحة لفظا واعم بها حكمة وقال في التفسير الكبير كل خلق يظهر من الانسان حسن كالعقل والشجاعة والعلم او قبيح كاضدادها فالداعي الى تلك الافعال خلق باطن كالامام له كالطبع والمنشأ ويوم القيمة انما هو انما يظهر الثواب والعقاب بناء على الافعال الناشئة من تلك الاخلاق فمن اولى هؤلاء معنى الجمع ولذلك قيل نحو انا فاولئك يقرؤن وحتى اصحاب اليمين بقراءة كتابهم كان قراءة اصحاب الشمال كذلك لما يعرض لهم من الخجل والفضيحة ومن كان في هذه الدنيا اعمى لا خلاف ان المراد بهذا العمى عمى القلب واما قوله فهو في الاخرة اعمى فيحتمل ان يراد به عمى البصر كقوله ونحشرهم يوم القيمة عميا قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا ويحتمل زيادة العقوبة ويحتمل ان يراد عمى القلب قال ابن عباس المراد ومن كان اعمى في هذه النعم التي عددها من قوله ربكم الذي يزجي الى قوله تفضيلا فهو في الاخرة التي لم ير ولم يعاين اعمى بالطرف ايضا لان الضلال عن معرفة احوال الاخرة اقرب وقوعا فعلى هذا يكون الاعمى في الموضعين في الدنيا ومثله ما روي ابو دون عن الضحاك من كان في الدنيا اعمى عما يرى من قدرة خالق السماء والارض والجبال والناس والدواب فهو عن امر الاخرة وتحصيل العلم بها اعمى قال المفسرون لا يبعد ان يكون اعمى على هذا التفسير افعل التفضيل ودليله قراءة ابي عمرو بالفتح الاولى وتضعيفها التاء لان الاول الفرد واقعة في الطرف فكانت عرضة للاماتة وبطنة الخلاف الثاني فان تمامه بمن وكانت الفرد في حكم وسط الكلمة هذا قول صاحب الكشاف تابعا لابي علي الفارسي واقول الوجه نظرا لان الامالة ليست مختصة بالوقوع الكلمة مثل شيبان والكافرين ونحوهما وهذا فرع قوي بانا لكليهما مع تباين هذا الاحتمال والثاني ولعل من لم يمل الثاني داعي المشاكلة بينه وبين اضل والله اعلم وقال الحسن في الاخرة اي في الدار الاخرة وقتادة انه في الدنيا يقبل توبته وفي الاخرة لا يقبل وقيل المراد بالعمى في الاخرة انه لا يهتدي الى طريق الجنة والى ملتبسها ولا ينتهج بها ولا يمكن ان يراد بها الجهل بالله لان اهل الاخرة يعرفون الله بالضرورة الفاذ بل من استطعت منهم بصوتك اي بكل ما يمكنك من الاصوات المبتدعة ومقالات اهل الطبيعة انه ليس لك عليهم سلطان لانهم بخصوصية العبودية تخلصوا عن رق الكونين وتعلق العالمين وكفى بربك وكيلا اي في ان يتولى امورهم ويصيب صالح احوالهم ربكم الذي يزجي لكم فلك الشريعة لتجروا بحر الحقيقة لتبتغوا من فضله جذبة العناية فلما ركبتم الى بر الوصول والوصال اعرضتم عن بحر العجز وركبتم الاعمال حاصبا من مطر الفقر فاصفا من ريح الابتلاء بالبأساء والضراء او هو يغرقكم في بحر الشبهات ولقد كرمنا بني آدم بالكرامات الباهرة لهذه العامة المؤمنين والكافر وهي تخمير طينته بيديه وتصويره في الرحم بنفسه وبالكرامة الروحانية الخاصة من النبوة والولاية والهداية والجذبة كما قال وحملناهم في البر والبحر اي عبرنا بهم من بر البشرية وبحر الروحانية الى ساحل الربانية ورزقناهم من طيبات المواهب بقول الكشوف وفضلناهم على كثير اي على الملائكة لانهم الخلق الكثير من مخلوقات الله وبيان تفضيل حسن استعدادهم لقبول فيض نور الله بلا واسطة وهو المراد بالامانة في قوله انا عرضنا الامانة ندعو كل اناس بامامهم من الدنيا والاخرة وغيرهما ينقال يا اهل الدنيا ويا اهل الاخرة ويا اهل الله فمن اوتي كتابه بيمينه هنا اشارة الى ان اهل الله لا يؤتون كتابهم كالاجانب

حسابهم واهل الشمال يقولون الكتاب ولكنهم لا يقدرون على القراءة لانهم عمى والقراءة يحتاج الى الابصار بالابصار وبالبصائر والله اعلم
وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا وَلَوْلَا أَنْ
ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ
عَلَيْنَا نَصِيرًا وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا سُنَّةَ
مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ
اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ
مَقَامًا مَحْمُودًا وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا
نَصِيرًا وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ
وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا
مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا وَيَسْأَلُونَكَ ع
عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا
إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا قُلْ لَئِنِ
اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا
وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا

القراءة خلفك

ابن كثير وابو جعفر ونافع وابو عمرو وابو بكر وحماد الا حفصا وخلف بكسر الخاء وبالالف نزل من مخففا ابو عمرو ويعقوب البانون بالتشديد
وتأبجانبه مثل ناع بيد وابن ذكوان وناى بغير الهمزة مثل رمى حمزة غير خلف والعجلي وحماد ويحيى وعباس وابو شعيب ونصير
مثله ولكن بكسر النون على غير نصير وخلف العجلي وخلف لنفسد البانون بفتحتين كرى الوقوف خليلا ها التعلوا اذا نصيرا ها قليلا ها
تحويلا وقرآن الفجر مشهودا نافلة لك في الوصل اولا لان عسى وعد على التهجد محمودا نصيرا وزهوقا الباطل ها زهوقا ها للمؤمنين ولا ان ما بعد
من صلة ما خسارا بجانبه لعطف جملة الظرف بوساء شاكلته سبيلا عن الروح ها قليلا ها وكيلا ها من ربك ها كبيرا ظهيرا نصف الجزء
مثل لعطف المتفقين لفظا المختلفين معنى كفورا هاء النفر لما عدد في الايات المتقدمة افاض نعمه على بني ادم وشرح احوال السعداء اردفه
بما يجري مجرى تحذير السعداء من الاغترار بوسوس الاشقياء عن ابن عباس في رواية عطاء ان وفد ثقيف قالوا للنبي صلعم لا نحالف امرا حتى
نعطيها خصالا نفخر بها على العرب لا تحشر منا احد لا نؤخذ عشورا موالنا ولا نحشر ولا نحني وكل ربا لنا فهو موضوع عنا وان
وان تمتعنا باللات سنة ولا تكسرها بايدينا عند راس الحول وان تمنع من فصد وادبنا وجع فصد شجره فاذا سالنك العرب لم فعلت ذلك
فقل ان الله امرني بها وجاء بكتاب لهم بكسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله لثقيف لا يحشرون ولا يعشرون فقالوا ولا يحنون فسكت
رسول الله ثم قال للكاتب اكتب ولا يحنون والكاتب ينظر الى رسول الله فقام عمر بن الخطاب فسل سيفه وقال اسعر ثم قلب بنبابا معشر
ثقيف اسعر الله قلوبكم اذا فقالوا لسنا نكلمك انما نكلم محمدا وقال عمر اما تزدرون رسول الله صلعم اسمع عن الكلام كراهية لما تذكرونه فانزل الله الاية

وهذه القصة وقعت بعد الحجرة فلهذا قال المفسرون انها بمكة وروى ان قريشا قالوا له اجعل بيننا وبينك فرجة فزلت وقال الحسن ان الكفار اخذوا رسول الله ص بمكة قبل الهجرة فقالوا يا محمد عن ذم الهتنا وشتمها فان كان ذلك حقا كان فلان وفلان بهذا الامر احق منك فوقع في قلب رسول الله ص بكف عن شتم الهتهم فنزلت وروى عن سعيد جبير انهم كانوا يستلم الحجر فمنعه قريش وقالوا لا ندعك حتى تستلم الهتنا فوقع في نفسه ان يفعل ذلك كراهية فنزلت قال الفقال من المعلوم ان المشركين كانوا يسبون في ابطال رسول الله ص بما فيه ما يفقدون عليه فنارة كانوا يقولون لو عبد الهتنا عبدنا الهك فنزلت قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون وتارة كانوا يقولون له نحن نعبد الهك سنة وانت تعبد الهتنا سنة وعرضوا عليه الاموال الكثيرة والنسوان الجميلة ليترك دعاء النبوة فنزل ولا تمدن جنبك الى ما متعنا ودعوه الى طرد المؤمنين فنزل ولا تطرد الذين يدعون ربهم وكل ذلك دليل على انهم قصدوا ان يفتنوه عن دينه ويلوه عن منهجه فلو لم يكن شئ من الروايات المذكورة موجودة لكان للآية محمل صحيح والمعنى وان الشان قاربوا ان يخدعوك فاتنين واصل الفتنة الاختبار ومنه فتنت الصائغ الذهب اذا عملت في كل من ازال الشئ عن جهته وجعله وذلك انهم اعطاهم ما سالوه مخالفة لحكم القرآن وافتراء على الله من تبديل الوعد بالوعيد وغير ذلك واذا لاتخذوك اي ولو افتتنت لاتخذوك خليلا ولكنت لهم ولينا وخرجت من ولايتي ولولا ان ثبتناك لولا ان قويناك بالعصمة وربطنا على قلبك بالتثبيت لقاربت ان تميل الى مرادهم شيئا قليلا قال ابن عباس ربط حيث سكن عن جوابهم قال قتادة لما نزلت هذه الآية قال النبي ص اللهم لا تكلني الى نفسي طرفة عين ثم توعده في ذلك اشد الوعيد فقال اذا لاذقناك اي لو قاربت ان تركن اليهم اذن لكون لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات عذاب الدنيا وعذاب الاخرة والضعف عبارة عن ضم الشئ الى مثله وقال صاحب الكشاف المراد بعذاب الممات وهو عذاب القبر وعذاب الحيوة وهو عذاب الاخرة اي عذابا مضاعفا في الدارين يعني مضاعفا فكان اصل الكلام عذابا ضعفا في الحيوة الدنيا وعذابا ضعفا في الممات فحذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه ثم اضيف الصفة كاضافة الموصوف فقيل ضعف الحيوة وضعف الممات كما يقال لاذقناك اليم الحيوة واليم الممات وقال في التفسير الكبير حاصل الكلام انك لو مكنت خواطر الشيطان من قلبك وعقدت على الركون اليهم لاستحقت تضعيف العذاب عليك في الدنيا والاخرة ولصار عذابك مثلي عذاب الغير في الدنيا ومثلي عذابه في الاخرة والسبب في تضعيف هذا العذاب ان انعام الله تعالى في حقك اكثر فكان ذنوبهم وكذا عقوبتها اعظم بنظير ما ثبت في الشاهد من بات منكم بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين ثم ان اثبات الضعف لا يدل على نفي ما زاد عليه لان دليل الخطاب لا عبرة به فقد يبقى الضعف الى ما لا حد له كما جاء في الحديث من سن سنة سيئة فله وزرها ومن عمل بها الى يوم القيمة ثم لا تجد لك علينا نصيرا يعني لو دنوت لك لم تجد احدا يخلصك من عذابنا واعلم ان القرب من الفتنة لا يدل على الوقوع فيها والتهديد على المعصية لا يدل على الاقدام عليها فلا يلزم من الآية طعن في عصمة النبي ص وفيها تنبيه لا عصمة من الخواص الا بتوفيق الله وتثبيته على الحق وقالت المعتزلة المراد بهذا التثبيت الالطاف الصارفة عن ذلك وهي ما اخطر الله ببالك من ذكر وعده ووعيده وكونه نبيا من عنده واجتنابه لو لم يوجد المقتضي للاقدام على ذلك الفعل المحذور وهو لم يكن الى ايجاد المانع حاجة وليس ذلك المقتضي الا القدرة مع الداعي ولا ذلك المانع الا عدم احدهما معارضة للداعي الاول فقد وجدها الله تعالى عند ذلك ثم ذكر طرفا اخر من مكائدهم فقال وان كادوا ليستفزونك ان مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة كما في الآية الاولى ومعنى ليستفزونك ليزعجونك كما مر في قوله واستفزز وا الارض اما ارض مكة كما قال قتادة ومجاهد وبن عليه ان كاد للمقاربة لا للحصول لكن الاخراج قد حصل لقوله وكاين من قرية هي اشد قوة من قريتك التي اخرجتك وبين ان بقاءهم هو اخراجه ولكن الله منعهم من ذلك حتى هاجر بامر ربه فالمراد بالاخراج على ارادة الاخراج بجواز وضع قوله وانئذ لا يلبثون وهو معطوف على ليستفزونك اي لا يبقون بعدك الا زمانا قليلا لو اخرجوك لاستوصلوا لكنهم لم يقع الاستيصال فدل على ذلك على عدم وقوع الاخراج ومن جوز وقوع الاخراج قال المراد بعدم اللبث انهم اهلكوا بعد خروجه بقليل واما ارض المدينة فمقدسة المدينة على ما روي عن ابن عباس ان رسول الله ص لما هاجر الى المدينة حسدته اليهود وكرهوا قربه منهم وقالوا يا ابا القاسم ان الانبياء بعثوا بالشام وهي بالمقدسة وكانت مهاجر ابراهيم فلو خرجت الى الشام لامنا بك واتبعناك وقد علمنا انه لا يمنعك من الخروج الا خوف الوبا فان كنت رسول الله فالله مانعك منهم فعسكر رسول الله ص على اميال من المدينة او بذي الحليفة حتى يجتمع اليه اصحابه وبراه الناس عيانا على اميال من المدينة او بذي الحليفة حتى يجتمع اليه الخروج الى الشام لحرصه على دخول الناس في دين الله فنزلت الآية فرجع وعلى هذا القول يكون هذه الآية بالمدينة والخلاف في معنى الخلف كما مر في قوله بمقعدهم خلاف رسول الله وقرئ وانا لا يلبثوا بحذف النون على اعمال ان هي كون الجملة برأسها معطوفة على جملة قوله وان كادوا ليستفزونك ثم بين ان عادته تعالى جارية بان كل قوم اخرجوا رسولهم من بين ظهرانيهم فانه يهلكهم فقال سنة من قد ارسلنا وهو منصوب على المصدر المؤكد اي سن الله ذلك سنة ولا تجد لسنتنا تحويلا لان الاسباب الكلية لا تزول فتقف توزع كل من اجزاء الزمان على حادث معين بسبب معين فيبدل احد الحوادث ويحويلها الى وقت اخر يقتضي تغير الاسباب عن اوضاعها وهو محال عقلا وعادة قال اهل النظم لما قرر الاحياء والمعاد والجزاء اردفها بذكر اشرف الطاعات وهي الصلوة وايضا لما قال وان كادوا

يستغفر وبأن امر بالاشتغال بعبادة تفويضا للامور الى الله وتوسيلا الى فضله ثم دفع شر اعدائه بنظيره فوله في سورة طه فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ذهب كثير من المفسرين كابي حنيفة وسعيد بن جبير منقولا عن ابن عباس ان دلوك الشمس هو غروبها وعلى هذا لا تشمل الآية صلوتي الظهر والعصر اكثر الصحابة والتابعين على ان دلوك الشمس زوالها عن كبد السماء وروي ما روي انه صلى اتاه جبرئيل لدلوك الشمس فصلى بي الظهر فالوا واشتقاقه من الدلك لان الانسان يدلك عينيه اذا نظر اليها وهي في كبد السماء وعلى هذا التفسير تشمل الآية جميع الصلوة الخمس وحمل كلام الله على ما هو اكثر فائدة اولى واللام بمعنى الوقت او للتعليل اي لادم الصلوة في هذا الوقت الى غسق الليل اي ظلمته قال الكسائي غسق الليل غسوقا اي اظلم والاسم الغسق بفتح السين والتركيب يدور على السيلان ومنه يقال غسقت العين اذا هملت وكان الظلام انهمال على الدنيا وتراكم وهذا عند سيبويه الشفق الابيض فاستدل به بعض الشافعية على ان اول وقت العشاء الآخرة يدخل بغروب الشفق الاحمر لان الممدود الى غاية يكون منتفيا قبل حصول تلك الغاية وهذا الاستدلال مبني على ان الغاية لا يدخل في ذي الغاية وعلى ان الآية بجب ان تشمل جميع الصلوة والمخصم المنع في المقامين ثم ان المفسرين اجمعوا على ان المراد بقران الفجر هو صلوة الصبح لتسمية بعض اجزائه وسمي بعض شعبة الصلوة ركوعا وسجودا وقنوتا قال جار الله انه حجة على ابن علية والاصم في زعمهما ان القراءة ليست بركن فان اجزاء الصلوة اعم من اركانها وبهذا استمسك الفقهاء الصلوة الى الاركان وابعاض وهيئات فلا يتم هذا الاعتراض في الآية مسائل الاولى استدل بعض الشيعة بها على جواز الجمع بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء مطلقا واجيبت بان الآية مخصوصة بفعل الرسول او بقوله صلوا كما رايتموني اصلي وبستثنى منه عذر السفر والمطر لعدم الدليل المخصص في تلك الصورة فلزم ابقاؤها على الجواز الاصلي الثانية استدل بعض الشافعية بها على ان التغليس بصلوة الصبح افضل من التنوير لوجوه منها ان اضافة القران الى الفجر والتقدير اقم قران الفجر وظاهر الامر للوجوب لا اقل من الندب حتى لا يكثر مخالفة الدليل والفجر انما يحار ظلمة الليل فلزم ان يكون اقامة الفجر في اول الوقت افضل ومنها ان حرص الفجر باضافة القرآن اليه فدل على ذلك ان طول القراءة في هذه الصلوة مطلوب لانه اذا شرع في اداء في اول الوقت ومنها انه وصف قران الفجر بكونه مشهودا فقيل اي يشهده الكثير من المصلين في الغالب او من حقه ان يكون مشهودا بالجماعة الكثيرة وقال اكثر المفسرين معناه ان ملائكة الليل وملائكة النهار يجتمعون في صلوة الصبح تنزل هؤلاء فهو في اخر دبوان الليل واول دبوان النهار وقيل انهم يجتمعون خلف الامام تنزل ملائكة النهار جميعهم وهم في صلوة الغداة قبل ان يعرج ملائكة الليل فاذا فرغ الامام من صلوته عرجت ملائكة الليل ومكثت ملائكة النهار ثم ان ملائكة النهار اذا صعدت قال ربنا اتيناك عبادك يصلون لك وبقول ملائكة النهار ربنا اقبلنا عبادك فهم يصلون فيقول الله للملائكة اشهدوا فاني قد غفرت لهم والغرض ان المكلف اذا شرع في صلوة الصبح في اخر الظلمة الذي هو اول الفجر كانت ملائكة الليل حاضرين بعد ثم اذا امتدت هذه الصلوة بسبب تنويل القراءة وتكثيرها زالت الظلمة بالكلية او بالاكثر وحضرت ملائكة النهار وهذا المعنى لا يحصل اذا ابتدئ بها وقت التنوير قال اهل التحقيق اذا شرع في صلوة الصبح في اول وقتها شاهد في اثنائها انقلاب العالم من الظلمة التي هي نظيرة الموت الى الضياء الذي هو نظير الحياة قال فتفي عقلا من هذه الحالة الى عجيب صنع الخالق المدبر للانفس والافاق فيزداد بصيرة وايمانا ومعرفة وايمانا ويفتح عليه ابواب المكاشفة والمشاهدة واذا كان هذا المعنى في الجماعة الكثيرة صارت نفوسهم كالمرايا المتقابلة المتعاكسة اضواؤها الواقعة على كل منها فيزداد كل منهم نورا وبهاء فيحتمل ان يكون قوله مشهودا اشارة الى هذه الاحوال المشاهدة ولا ريب انه اذا شرع في الصلوة اول انتباهه من النوم قبل ان يرد على لوح عقله وفكره النقوش الفاسدة من الامور الدنيوية كان اولى فان الانبياء ما بعثوا الا لازالة مثل هذه الامراض عن النفوس ثم حث على قيام الليل فقال ومن الليل فتهجد به قال ابو عبيدة وابن الاعرابي هذا من الاضداد لا تقول تهجد الا اذا نام وهجد ايضا اذا صلى من الليل وقوسط الازهري فقال الهجود في الاصل هو النوم بالليل لكن لما الفعل فيه لاجل التجنب ومنه ناتم وخرج اذا القى الاثم والحرج عن نفسه فكان المتهجد يدفع الهجود عن نفسه وبوجبه اخيرا لما كان غرض المصلي بالليل ان يطيب فاده وهجوده بعد الموت سمي بذلك الاعتبار متهجدا وربما بقي سمي تهجدا لان الاصل فيه ان يرقد ثم يصلي فهو صلوة بعد رقاد كما كانت لرسول الله صلعم ولداود كما جاء في الحديث افضل الصيام صيام داود كان ينام ثلثه ويقوم سدسه قال جار الله معنى ومن الليل وعليك بعض الليل فتهجد به وقال في التفسير الكبير تقديره واقم الصلوة في بعض الليل فتهجد به اي بالقران ومعنى نافلة زائدة كما مر في اول الانفال ثم من ذهب الى ان صلوة الليل كانت واجبة على النبي صلعم زعم ان معناها كونها فريضة زائدة على الصلوة الخمس والمراد ان فرضيتها نسخت عنك فصارت تطوعا زائدة على الفرائض ويرد عليه ان الامر ظاهر الوجوب فيكون بين قوله فتهجد وبين قوله نافلة تعارض وكذا الاعتراض على قول من يقول ان صلوة الليل لم تكن واجبة عليه ويمكن ان يجاب عنه بان قوله نافلة قرينة صارفة للوجوب الى الندب وعن مجاهد انه كان كل طاعة بلي بها النبي سوى المكتوبة فان ثابرها لا يكون في كفارة الذنوب لا تغفر له ذنبه ما تقدم منه وما تاخر وانما تكون مؤثرة في زيادة الدرجات وكثرة الثواب ولا كذلك حال الامة فكانه قيل للنبي ان هذه الطاعات زوائد ونوافل في حقك لا في حق غيرك لان غيرك يحتاج اليها في تكفير السيئات وعن يقتيد التهجد بقوله نافلة لك يعلم ان قوله اقم الصلوة عام له ولكل امته وان كان ظاهر خطاب

معه ثم وعده على اقامة الفرائض والنوافل بقوله عسى ان يبعثك ربك ولا ريب ان عسى من الكريم اطماع واجبة فان الكشاف انتصب مقاما محمودا على الظرف اى عسى ان يبعثك يوم القيمة فيقيمك مقاما محمودا او ضمن يبعثك معنى يقيمك اى هو حال اى يبعثك خاما مقاما محمودا قيل اتر سطالوس فى كل ما يجلب الحمد من انواع الكرامات والاولى ان يختص ذلك بالشفاعة لان الحمد انما يكون بازاء انعام ولا انعام للنبى على امته فى الاخرة الا انعام الشفاعة اذ لا انعام اجل منها لان السعى فى تخليص الغير من العقاب هو من السعى فى ايصال الثواب اليه وقد روى ابو هريرة عن النبى ص هو المقام الذى اشفع فيه لامتى واما ما روى عن حذيفة ان المقام المحمود هو ان يجمع الناس فى صعيد واحد ولا يتكلم بشر فاول مدعو محمد فيقول لبيك وسعديك والشر ليس اليك والمهتدى من هديته عبدك بين يديك وبك وانيك لا ملجأ ولا منجا منك الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت فليس بقوى لان هذا القول من محمد لا يوجب حمد الله من امته الا ان يكون من مقدمات الشفاعة فيرجع الى الاول وقيل اراد مقاما يحمد عاقبته وروى الواحدى عن ابن مسعود ان ذلك حين يقعد محمد معه على العرش وتعقب بلزوم التحيز له تعالى قوله فلدخل صدق وخرج صدق فى مصدران بمعنى الادخال والاخراج والاضافة الى الصدق لاجل المبالغة نحو حاتم الجود اى ادخالا لا يشاهل ان يستتبع ادخالا ولا يرى فيه ما يكره قال الحسن وقتادة نزلت حين امر بالهجرة بريد ادخلنى المدينة واخرجنى من مكة وقيل ان اليهود لما قالوا له اذهب الى الشام فانه مسكن الانبياء وحرم رسول الله ص على الذهاب اليه فكانه قيل له المعبود واحد فى كل البلاد فاطلب النصرة من عند الله فداوم على الصلوة وارجع الى مفرك ومسكنك وقيل رب ادخلنى المدينة مدخل صدق واخرجنى منها الى مكة مخرج صدق اى فتحها لى فعلى هذين القولين يكون الكلام عودا الى الواقعة المذكورة فى وان كادوا ليستفزونك والاولى ان يقال ان وعد عام فى كل ما يدخل فيه وقيل البسملة تتكرر من اول كل سورة وقيل اراد ادخال مكة ظاهرا عليها بالفتح واخراجه منها امنا من المشركين وقيل ادخلنى الغار واخرجنى منه سالما وقيل ادخلنى فيما حملنى من عظيم الامر وهو النبوة واخرجنى منه موديا لما كلفنى من غير تفريط وقيل الى المدينة ادخلنى الصلوة واخرجنى منها مع الصدق والاخلاص والقيام بلوازم الحضور وادخلنى مجاز دلائل التوحيد واخرجنى من الاشتغال بالدليل الى ضياء معرفة المدلول وقال صاحب الكشاف ادخلنى القبر ادخالا مرضيا واخرجنى منه عند البعث ملقى بالكرامة يدل على هذا التفسير ذكره على اثر ذكر البعث ليجعل الى من ان نصرا حجة ظاهرة تتصرف بها على جميع من خالفنى اوطلكا وعنادا من اعوان الاسلام وذويه ثم ثم شرفه باسمخاذ دعائه بقوله وقل جاء الحق الى الاسلام وزهق الباطل اضمحل الشرك من زهقت نفسه اذا خرجت ان الباطل كان زهوقا غير ثابت فى كل وقت وان انتفت له دولة وصولة كانت كذا روى العرجى عن ابن مسعود ان النبى ص دخل مكة يوم الفتح وحول البيت ثلثمائة وستون صنما فطفق يطعنها بعود فى يده ويقول جاء الحق وزهق الباطل فيكب الصنم لوجهه حتى الفاها جميعا وبنى ضبة خزانة نوق الكعبة وكان من قواديرصفر فقال باعلى ارم به فحمل رسول الله ص حتى صعد فرمى به فكسره فلما رجع الى اهل مكة سجدوا وقالوا ما رايتا رجلا اسحر من محمد فلا جرم كذبهم الله وصدق نبيه بقوله وننزل من القرآن من للبيان كقوله من الاوثان او للتبعيض اى ننزل ما هو شفاء وهو هذا القرآن او بعض هذا الجنس وقيل زائدة ولما كانت ازالة المرض بعد منزعة على السعى فى تكميل موجبات الصحة ذكر ان القرآن شفاء من الامراض الروحانية كالعقائد الفاسدة والاخلاق الذميمة ومن الامراض الجسمانية ايضا لما فى ايراده من التيمن والبركة وحصول الشفاء للمرض كما قال ص من لم يستشف بالقرآن فلا شفاه الله ثم ان رحمة للمؤمنين لما فيه من كيفية اقتناص العلوم الجليلة والاخلاق الفاضلة التى بها يصير الانسان الى جوار الملائكة المقربين بل الى جناب رب العالمين ولما كان قبول القابل شرطا فى ظهور الاثر من الفاعل فلا جرم لا يزيد القرآن الظالمين الذين وضعوا التكذيب موضع التصديق والشك موضع الايقان والاطمئنان الا خسارا لان البلاء عن النفع كلما عظم زاد شرا فلا يزال سماع القرآن يزيد المشركين غيظا وحقدا وبعدهم ذلك الى زيادة ارتكاب الاعمال القبيحة وهلم جرا الى ان يدفع الله مكرهم ثم ذكر فى شبه خصلة الانسان التى جبل عليه فقال واذا انعمنا على الانسان اى على هذا الجنس بالصحة والغنى وعن ابن عباس انه الوليد بن المغيرة وفى التخصيص نظر الا ان يكون سبب النزول اعرض وناى بجانبه لناى البعد والبانة للتعدية او للمصاحبة وهو تاكيد للاعراض لان الاعراض عن الشئ هو ان يوليه عرض وجهه اى ناحيته والناى بالجانب ان يلوى عنه عطفه ويوليه ظهره واراد الاستكبار لان هذا الفعل من شان المستكبرين ومن قراءته فاما من النوء بمعنى النهوض مستثقلا واما مغلوب كقولهم راعه رانى واذا مسه الشر من مرض وفقر كان يؤسا شديد القنوط من روح الله والحاصل ان فاز بالمطلوب الدنيوى وظفر بالمقصود الدنى نسى المنعم الحقيقى وان فاته شئ من ذلك سئول عليه الاسف حتى كاد يتلف نفسه وبه نفث كلتا الخصلتين مذمومة ولا مقتضى لهما الا العجز والطيش وكل يعمل على شاكلته اى على طريقته التى تشاكل حاله التى جبل عليها من قولهم فلان ذو شواكل وهى الطرق التى تتشعب منه قربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا لا يخفى عليه شئ ورتباه عالما بخاصية كل نفس ومقتضى جوهرها المشرق او المظلم سؤال قالوا ان النفوس مختلفة بالماهيات او هى متساوية الحقائق واختلاف احوالها لاختلاف مزاجها بدليل انها كانت تتمرن تعقد الملح وتلين الحديد وتبيض ثوب القصار وتسود وجهه ولما انجر الكلام الى ذكر الكلام الانسانى وما جبل هو عليه لزم البحث عن ماهية الروح فلذلك قال ويسئلونك عن الروح ذكر المفسرون فى سبب نزوله انه ان اليهود قالوا لقريش سلوا محمدا ص عن ثلث عن اصحاب الكهف وعن ذى القرنين وعن الروح فان اجاب

عن الاولين واما المسألة الثانية فهو بين لان ذكر الروح مبهم في التوراة وان اجاب عن الكل او سكت فليس يتبين بهذين لهم الفصلين واما امر الروح من امر ربي اي مما استأثر الله بعلمه فقد مر على سؤالهم ومن الناس من طعن في هذه الرواية لوجوه منها ان الروح ليس اعلى شانا من الله تعالى واذا كانت معرفة الله تعالى ممكنة بل حاصلة فالمانع من معرفة الروح ومنها ان هذه المسألة يعرفها الفلاسفة والمتكلمون فكيف يليق بالنبي ان يقول انه لا اعرفها مع وفور علمه وكمال معرفته وكيف يصح ما روي عن ابن عباس يريد لقد مضى النبي ص وما يعلم الروح ومنها ان جعل الحكاية دليلا على النبوة غير معقول ونحن نتفحص عن المسألة فنقول السؤال عن الروح اما ان يكون عن حقيقته او عن حال من احواله كونه متحيزا او قديما او حادثا او باقيا بعد البدن او فانيا وعلى التقديرين البقاء ما سعادة وشقاوة وبالجملة فالمباحث المتعلقة بالروح كثيرة وقوله تعالى ويسئلونك عن الروح ليس فيه ما يدل على تعيين شيء من هذه المسائل فالاولى ان يحمل السؤال على السؤال عن الحقيقة لان معرفة حقيقة الشيء اهم واقدم من معرفة حال من احواله فيكون قوله قل الروح من امر ربي ومرادا ان الروح جوهر بسيط مجرد حصل بمجرد الامر وهو قوله كن فيكون لان الاية دلت على ان الروح من امر الرب وقال في اخر سورة يس انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون يفيد ان الروح اذا اراده فانما يقول له كن فيكون ومنه يعلم انه شيء مغاير للاجسام المتوقفة على المادة والمدة والاعراض المتوقفة على الاجسام والتركيب محض والا لتوقف على انضمام اجزائه ولا يلزم من كون الروح كذلك كونه مشاركا للباري تعالى في الحقيقة فان الاشتراك في اللوازم لا يقتضي الاشتراك في الملزومات وليس في الاية دلالة على حدوث الروح الا بحسب الاثبات بل لمستدل ان يستدل بها على قدمه بالزمان اذ لو كان متوقفا على الزمان لم يكن حاصلا بمجرد الامر المفروض خلافه ولما كان امر الروح مشتبها على الناس كلهم او جلهم ختم الاية بقوله وما اوتيتم من العلم الا قليلا وذلك ان الانسان وان كمل علمه وكثرت معرفته بحقايق الاشياء ودقائقها فان ما علم يكون اقل مما لم يعلم فاذا نسب معلوماته الى معلومات الله شاء ايهما بقوله ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله ان الله عزيز حكيم قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا فان كل شيء فانه لا نسبة للمتناهي الى اصلا وقال بعض المفسرين هو خطاب لليهود خاصة لانهم قالوا للنبي ص قد اوتينا التوراة وفيها الحكمة وقد تلوت ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا فقيل لهم ان علم التوراة قليل في جنب علم الله وذكر الامام فخر الدين الرازي ان قوله الروح من امر ربي يدل على ان الروح حادث لان الامر قد جاء بمعنى الفعل قال تعالى وما امر فرعون برشيد اي فعله وقال والملائكة باسطوا ايديهم اي فاعلوا واذا حصل الروح بفعل الله وتكوينه كان من المحدثات قلت هذا محل النزاع فان الخصم لا يسلم ان كل ما هو من فعل الله وايجاده فانه حادث ثم ذكر جوابا اخر على حدوث الروح مستنبطا من قوله سبحانه وما اوتيتم من العلم الا قليلا ووجه تقريره ان الانسان بل نوعه في مبدا الفطرة خال عن العلوم والمعارف ثم لا يزال يحصل له المعارف فهو دائما في التبدل والتغير من النقصان الى الكمال وكل متغير محدث ومنع كلية هذه القضية عند الخصم مشهور على ان حمل وقت خلو العلم على اول الفطر تخصيص من غير دليل مع ان ظاهر الاية يدل على ان الانسان وان اوتي حظا من العلم وافرا فانه قليل بالاضافة الى علم الذات وقيل الروح المذكور في الاية هو القرآن الذي يشبه الروح كان القوم استعظموا امره فسئلوا انه من جنس الشعر او من جنس الكهانة فاجابهم الله تعالى بانه ليس من جنس كلام البشر وانما هو كلام ظهر بامر الله ووجد وتنزل وقيل هو ملك من عظماء العظم والشرف وهو المراد من قوله تعالى يوم يقوم الروح والملئكة صفا وينقل عن علي عليه السلام انه سبعين الف جزء وكل جزء سبعون الف لسان لكل لسان سبعون الف لغة يسبح الله تعالى بتلك اللغات كلها ويخلق الله من كل تسبيحة ملكا يطير مع الملائكة يوم القيمة ولم يخلق الله خلقا اعظم من الروح غير العرش ولو شاء الله ان يبلع السموات السبع والارضين السبع بلقمة واحدة لفعل واما ما هذه الرواية فمستبعد في نفسه لا بقطع الامكان ولا دليل للاعتراض عقلا عليه وقال الحسن في تفسيره هذا الروح جبريل كانهم سئلوا الرسول كيف جبريل في نفسه وكيف اتيانه بالوحي فامر بان يقول الروح من امر ربي اي نزوله بامر الرب كقوله وما نتنزل الا بامر ربك وقال مجاهد الروح خلق ليسوا بالملائكة على صور بني ادم ايدي وارجل ورؤس ياكلون كما ياكل الناس ويلبسوا بالناس وزيف هذه الاقوال بان صرف السؤال عن الروح الانساني الذي تقرروا على معرفته الى اشياء مجهولة الوجود مستنكر واعلم ان للعقلاء في حقيقة الانسان اختلافات كثيرة واذا كان حال العلم بادنى الاشياء الى الانسان وهو نفسه هكذا فاظنك بما هو لا بعد ولنذكر بعض تلك المذاهب فلعل الحق في بعضها فنقول العلم الضروري حاصل بوجود شيء يشير اليه كل واحد بقوله انا عند تلك الاشارة اما ان يكون جوهرا مجردا او جسما او هو هذه البنية او جسما داخلا فيها او خارجا عنها او عرضا اما المتكلمون فالجمهور منهم ذهبوا الى ان الانسان هو هذا الهيكل المحسوس وزيف بان الانسان لم يزل دائما في التغير والتبدل والمشار اليه بانا واحد من اول العمر الى اخره وبان الانسان غير غافل عن نفسه حين ما يكون غافلا عن اجزاء بدنه وبان النصوص الواردة في القرآن والخبر كقوله عز من قائل ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات بل احياء بانها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية عليها خذوا وعشيا وكقوله ص اولياء الله لا يموتون ولكن ينقلون من دار الى دار القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران وقوله في خطبة طويلة حتى اذا حمل الميت على نعشه فرفرف رحمه فوق النعش يقول يا اهلي ويا ولدي لا تلعبن بكم الدنيا كما لعبت في جمعك المال من حله وغير حله فالهنا لغيرك والتبعة علي فاحذروا مثل ما حل بي توجب مغايرة النفس للبدن وبان جميع قوى الدنيا من ارباب الملل والنحل يعتقدون ان موتاهم يرون ويدركون ويعرفون احوال اهلهم بالخبر وبان الميت قد يرى في المنام فيخبر عن امور غائبة ويكون كما اخبر وبان

الانسان قد يقطع عضو من اعضائه ويعلم يقينا انه هو الذي كان قبل ذلك وبثبوت المسخ في حق طائفة من اهل الكتاب ليس المسخ الا تغيير الهيئة مع بقاء الحقيقة وبان جبريل قد راى في صورة دحية وابليس راى في صورة الشيخ النجدي فعلم ان لا عبرة بالهيئة وبان الزاني يزني فرجه فيضرب على ظهره فعلم ان المتلذذ والمتالم شيء آخر سوى المغتصب وبانا نعلم ضرورة ان العالم الفاهم الخطاب انما هو ناحية القلب ليس جملة البدن ولا شيء من الاعضاء اما ان قبل الانسان جسم هو في داخل البدن فاعلم ان احدا من العقلاء لا يقول بان الانسان عبارة عن الاعضاء الكثيفة الصلبة التي غلبت عليها الارضية كالعظم والغضروف والعصب او النزر الرباط والشحم واللحم والجلد ولكن منهم من قال انه الجسم الذي غلب عليه المائية من الاخلاط الاربعة اعني الدم بدليل انه اذا خرج لزم الموت ومنهم من قال انه الذي غلب عليه الهوائية والنارية وهو الروح الذي في القلب وجزء لا يتجزى في الدماغ ومنهم من يقول المختلط بهذه الارواح القلبية والدماغية اجزاء نارية سماه بالحرارة العزيزية وهي الانسان ومنهم من قال اذا كون بدن الانسان وتم استعداده تقدفت فيه اجرام سماوية نورانية لطيفة الجوهر على طبيعة ضوء الشمس قابلة للتبديل والتحليل وللتفرق والتمزق تفوذ النار في الفحم والدهن في التمسم وماء الورد في الورد وهذا التفوذ هو المراد بقوله ونفخت فيه من روحي ثم اذا تولد في البدن اخلاط غليظة منعت من سريان تلك الاجسام فيها فانفصلت لذلك عن البدن فتح بعرض الموت للجوهر قال الامام فخر الدين الرازي هذا ما ذهب اليه ثابت بن قرة وغيره وهو مذهب قوي شريف يجب التامل فيه فانه شديد المطابقة لما في الكتب الالهية من احوال الحياة والموت قلنا اما نفوذ الجوهر النوري في البدن كنفوذ الدهن في التمسم واما انه اجرام او اجسام ففيه نظر واعلم انه لم يذهب احد الى ان الانسان جسم خارج عن البدن ولا الى انه عرض حال في البدن الا ما نقل عن الاصطخري وعن ابي الحسين البصري من المعتزلة ان الانسان عبارة عن اجزاء لا تتجزا هي اجزاء العناصر بمقدار مخصوص وعلى نسبة معلومة تخص هذا الشخص ومن شيوخ المعتزلة من قال الانسان عبارة عن اجزاء مخصوصة بشرط كونها موصوفة باعراض مخصوصة هي الحياة والعلم والقدرة ومنهم من قال انه عبارة عن سائر الحيوان بشكل جسده وهيئة اعضائه والصحيح من المذاهب عند اكثر علماء الاسلام كالشيخ ابي القاسم الراغب الاصفهاني والشيخ ابي حامد الغزالي ومن قدماء المعتزلة معمر بن عباد السلمي ومن الشيعة الشيخ المفيد رحمه ومن الكرامية جماعة ومن اقوال اساطين الحكماء كلهم ان الروح الانساني جوهر مجرد ليس داخل العالم الجسماني ولا خارجه ولا متصل به ولا منفصل عنه ولكنه متعلق بالبدن تعلق التدبير والتصرف كما ان الله العالم لا تعلق له بالعالم الا على سبيل التصرف والتدبير ومهما انقطع علاقته عن البدن فلا يبقى البدن معطلا مهينا واستدلوا على هذا المطلوب بحجج منها ما اختاره الامام فخر الدين الرازي وهي لو كان الانسان جوهرا متحيزا اعني ذا نهاية مخصوصة اذ لو كان صفة فانه يلزم كون الشيء الواحد متحيزا مرتين وهو لزم اجتماع المثلين وايضا لم لا يجعل احدهما ذاتا والاخر صفة او من العكس وايضا المتحيز الثاني ان كان عين الذات فهو المقصود وان كان صفة لزم التسلسل واذا كان المتحيز عين ذات لزم انه متى عرف ذاته عرف متحيزه لكنا قد نعرف ذاتنا مع الجهل بالتحيز والامتداد في الجهات الثلث وذلك ظاهر عند الاختبار والامتحان واذا كان اللازم باطلا فالملزوم مثله وعورض بانه لو كان الانسان جوهرا مجردا لكان كل من عرف ذاته عرف مجرده وليس كذلك واجيب بالفرق بين التحيز وهو صفة ثبوتية وبين التجرد وهو صفة سلبية وبانا نعلم ان الشيء الذي يشير اليه كل واحد بقوله انا واحد بالبديهة ولان الغضب مثلا حالة نفسانية يحدث عند محاولة دفع المنافي ومحاولة رفع المنافي مشروط بالشعور بكون الشيء منافيا فالذي يغضب لا بد ان يكون هو بعينه مدركا ولان اشتغال الناس بالغضب اضبط بالبديهة منعهم من الاشتغال بالشهوة والا بينا بالبديهة انهما صفتان مختلفتان لجوهر واحد اذ لو كان لكل منهما مبدء مستقل لم يكن اشتغال احدهما بفعل ما مانعا للاخر وايضا اذا ادركنا شيئا فقد يكون الادراك سببا لحصول الشهوة وقد يكون سببا للغضب فعلمنا ان صاحب الادراك بعينه هو صاحب الشهوة والغضب وايضا النفس لا يمكنها ان يتحرك بالارادة الا عند حصول الداعي ولا معنى للداعي الا الشعور بجزء من اجزاء المحل بانه ملائم او منافر وهذا يقتضي ان المحرك بالارادة هو بعينه المدرك للخير والشر واللذة والمؤذي والنافع والضار وهو المبصر والسامع والشام والذائق واللامس والمتخيل والمتفكر والمتذكر والغاضب والشاطر والاحوال مختلفة وقوى متغايرة واذا ثبت ذلك فلو كانت النفس عبارة عن جملة البدن كان الكل اثرا واحدا ولو كانت عبارة عن اجزاء البدن كانت قوى متباينة في جميع اجزاء البدن والوجود يخالف الكل يحصل اليقين بان النفس شيء مغاير للكل البدن ولكل جزء من اجزائه ومنها ان الاستقراء يدل على ان احوال النفس بالضد من احوال الجسد اذ قبل شكل التثليث مثلا امتنع ان يقبل شكل التربيع ولا كذلك حال النفس فان ادراك كل صورة يعينها على ادراك ما عداها ولان الانسان مهما وذكاء بادراك المعلوم وايضا كثرة الافكار توجب قوة للنفس ويستدعي استيلاء على الدماغ وقد يصير البدن اوباب لرياضة عنايته بالحافظة والحزن وقوته نفوسهم بحيث لا يلتفتون الى المسائل الطبية اصحاب الشوكة والقوة ومما يختص بهذه الاية التي نحن في تفسيرها ان الروح لو كان جسما مستقلا من حالة الى حالة لكان مساويا للبدن في كونه مركبا من اجسام متغيرة من صفة الى صفة فحين سئل رسول الله صلعم عن الروح كان الانسب ان يقول انه جسم كان كذا ثم صار كذا وكذا كما ذكرنا في كيفية تولد البدن انه كان نطفة ثم صار علقة ثم مضغة الى اخره ولا حاجة الى الجواب وقد ان الارواح مخلوقة قبل الاجساد بدليل ما روي عن النبي صلعم انه قال الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف وهذا يدل على ان الارواح كانت مجتمعة قبل الاجساد ثم تفرقت فيها فتعارف ما شاء الله منها ثم وقع التناكر بعد التعارف بسبب الاجساد والله اعلم بحقائق

الامور قال اهل التظلم ما بين ان ما اتاهم من العلم الا القليل اراد ان يبين انه لو شاء ان ياخذ منهم ذلك القليل لقدر عليه فقال ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك فلت في تسبب علم القرآن الى القلة خروج من الادب فالاولى وجه النظم ان يقال انه لما كشف لهم الغطاء عن مسئلة الروح وبين ان ذلك من العلوم الا لهية لانها بنظر اعلى العلوم الانسانية القليلة وكان فيه بيان كمال علمه تعالى ونقصان علم الانسان اراد ان يبين غاية قدرته ونهاية ضعف الانسان ايضا فبين انه قادر على ذهاب القرآن ونحوه عن الصدور والمصاحف وسيكون ذلك في اخوان زمان كما جاء في الروايات لا يجد الذي هو اكمل انواع الانسان من يتوكل عليه الله باسترداده فضلا عن غيره الا رحمة من ربك استثناء منقطع الا ان يحمل ربك فيرده عليك كان رحمة يتوكل عليه بالرد او منقطع معناه ولكن رحمة من ربك توكنه غير بل هو يبقيه مفضلة بابقاء القرآن ثم انتقاء عليك وبهذا وبسائر النعم الخصائص المراد بكان عليك كبيرا وبيان نعمة القرآن وبقائه محفوظا في الصدور مستورا في الدفاتر من اجل النعم واشرفها فعلى كل ذي علم ان لا يغفل عن شكرها والقيام بمراعاتها جعلنا الله ممن يراعي حق القرآن ويعمل بمقتضاه واحتج الكعبي بالاية على ان القرآن مخلوق لان ما يمكن ان الله والذهاب به يستحيل ان يكون قديما واجيب بان الذاهب عن القلوب الذهاب بالنقوش الدالة عليه في الصحف لا يوجب حدوث الكلام الذي النفسي الذي هو محل النزاع ثم دل على ان الذي اوحي اليه ليس من جنس كلام المخلوقين فقال قل لئن اجتمعت الانس والجن الاية وقد مر وجه اعجاز القرآن في اوائل سورة البقرة فان قيل هب انه ظهر عجز الانسان عن معارضته فكيف يعرف عجز الجن عن معارضته ولا يجوز ان يقال ان الجن اعانوه على هذا التاليف سعيا في ضلال الخلق واغراء محمد بانه من كلام الجن يوجب الدور والجواب لا حد ان يقول ان الجن لبسوا فصحاء فكيف يعقل ان يكون القرآن كلامهم لانا نقول التحدي مع الجن انما يحسن لو كانوا فصحاء فالجواب ان عجز البشر عن معارضته يكفي في اثبات كونه معجزا ثم ان الصادق الذي ثبت صدقه بظهور المعجز على وفق دعواه اخبر ان الجن ايضا عاجزون عن الاتيان بمثل القرآن فسقط السؤال بالكلية على انه سبحانه قد اجاب عنه في اخر سورة الشعراء بقوله هل انبئكم على من تنزل الشياطين وسوف يجيء تفسيره ان شاء الله تعالى قالت المعتزلة التحدي بالقديم محال واجيب بمثل ما مر ان محل النزاع هو الكلام النفسي لا الالفاظ التي يقع التحدي بها وبفصاحتها ثم بين انهم مع ظهور عجزهم بقوله مصرفنا على كفرهم فقال ولقد صرفنا وددنا وكررنا للناس في هذا القرآن من كل مثل من كل معنى هو كالمثل في غرابته وحسنه وذلك كدلائل التوحيد والنبوة والمعاد كالفصول الادبية وغيرها من المواعظ والنصائح فابى اكثر الناس غير بعض النفوس القدسية الا كفورا وجحودا قال اهل البرهان انما لم يذكر الناس في اوائل السور حين قال ولقد صرفنا في هذا القرآن لبدء والتقدم ذكرهم في السورة وذكرهم في الكهف انما لم يجز كرهم وذكر الناس ههنا دون جوز ذكرهم فعالا للناس لان ذكر الجن ايضا قد جرى وقدم الناس على قوله في هذا القرآن تغليبا في قوله قل لئن اجتمعت الانس والجن واما في الكهف وغيرها فقد جاء الله تعالى به في القرآن فكانت الاعادة بالقرآن اكثر فكان تقديمه احد رالتاويل وان كادوا ليفتنونك اي من عمي قلوبهم ولولا ان تثبتناك بالقول الثابت وهو قولك لا اله الا الله الى ان يلفظ حقيقة لا اله الا الله شيئا قليلا وانما وصفه بالقلة لان بشريته مغلوبة روحانيته مغالبة ضعف الجثة وضعف لما شاء بحمي نفسك واذا قال عذاب جثتها واسبلانها على الروح ونسبت قلبك واذا قال عذاب نماته وضعف حلك وبعده عن الجنة سبب من قبل رسلنا اي جرت عادة الله تعالى بان يجعل لكل نبي عدوا يؤذيه ويكون سببا في خلاص الانبياء والاولياء عن رذائل الاخلاق فقال اقم الصلوة اي داوها بالقلب الحاضر بها واعلم ان قرآن الفجر كان مشهودا والشواهد الحق بل الحق مشهود له ثم ادخلني مدخل صدق اي بعد الستر بالله واخرجني من جوك وانانيته واجعل من لدنك لا من لدنك لان لدنك غير وفيان كل شيء مقام فانه لا يصل الى مقامه الا بسعي يليق بذلك المقام كقوله وسعى لها سعيها روي ان رجلا جاء الى النبي ﷺ يعرض حاجة فقال ﷺ ما تريد فقال ما رافقك في الجنة فقال ﷺ او غير ذلك فقال اوتحب بذلك امر فقال في الجنة فقال النبي ﷺ فاعني على نفسك بكثرة السجود جاء الحق من الوارد والشواهد ويخلص صفات الجمال والجلال ويمحق الباطل وهو كل ما خلا الله من الجواهر والاعراض كقوله الا كل شيء ما خلا الله باطل وننزل من القرآن ما هو شفاء لان كلام الحبيب طبيب القلوب ان الاحاديث من سلسبيل قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي قال العارفون لله تعالى عالمان عالم الامر الذي خلق لا من شيء وعالم الخلق الذي خلق من شيء ويعبر عنهما بالاخوة والدنيا بالملكوت والملك والغيب والشهادة والمعنى والصورة والباطن والظاهر الارواح والاجسام وما روي انهم قالوا اول ما خلق الله جوهرة ونور وبرودة فنظر اليها فذابت اول ما خلق الله اللوح اول ما خلق الله روحي ونور بصري واول ما خلق الله العقل واول ما خلق الله القلم وما قيل من بعض السلف ان اول ما خلق الله على الاطلاق ملك كروبي فالا سماء مختلفة والمسمى واحد وهو روح النبي ﷺ فباعتبار انه كان درة صدفية الوجود سمي درة وجوهرا وباعتبار نوريته سمي نورا وباعتبار وفور عقله سمي عقلا ان قال له اقبل الى الدنيا رحمة للعالمين فاقبل ثم قال له اوبرا ارجع الى ربك فارغب عنها وارجع الى المعراج ثم قال له وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا احب الي منك بك اعرف وبك اخذ بعفو طاعة من اخذ منك الدين والشريعة وبك اعطي واعفو بشفاعتك اعطي الدرجات العالية وبك اعاقب الكافرين وبك اثيب المؤمنين باعتبار وجوبان الامور على وفق متابعته والافناء بسر سنة قبله وباعتبار غلبة الصفات الملائكية عليه سمي ملكا كروبيا لان كل الارواح خلقت من روحه كما ان ام الارواح ومجلاها محمد اقبل له امي وقد ورد في الحديث ادم ومن دونه تحت لوائي يوم القيمة ولما كان الروح خليفة الله تعالى اتصف بالازلية دون الابدية ولما كان الجسد خليفة الروح فبالروح

فواسدوفيا سدلم يكن الجسد انسانا ولا ابدنا الا بتعقيد الروح ثم اخبر عن عزة القرآن وغيرة الرحمن بقوله ولئن شئنا لنذهبن الاية وفيه انه لا يقدر على الاتيان والذهاب به الا الله تعالى لكنه اكد هذا المعنى بقوله قل لئن اجتمعت الانس والجن كل ما هو مسطور عن العيون فينا وان الملائكة ايضا وفيه انه لا مثل لصفاته حتى الكلام كما انه لا مثل لذاته والله تعالى اعلم بالصواب وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا

از زمين چشمه بيا سند نوا بوستاني از صرع وانگور پس روان سازي نهرها ميان ايشان روان مي خيزي تا بحكم ايشان را

من الارض ينبوعا او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا او تسقط السماء

كما زعمت علينا كسفا او تاتي بالله والملائكة قبيلا او يكون لك بيت من زخرف او ترقى في السماء ولن

آنچنان كه دعوي كردي بر ما پاره پاره يا بيارد بر سر ما خدا و فرشتگان را گفتيد يا خانه مرو را خواز طلا يا بالا روي در آسمان و باور

نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا وما منع الناس

نداريم بر كرد ترا تا بالا نرفتن او بر برا بكند بگو منزه است پروردگار من آيا هستم مگر آدمي رسول و منع كرد مردمان را

ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا ان قالوا ابعث الله بشرا رسولا قل لو كان في الارض ملئكة يمشون مطمئنين

كه بگروند چون آمد ايشان را هدايت مگر آنكه گفتند آيا برانگيخت خدا آدمي را رسول بگو اگر هستند در زمين فرشتگان

لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم انه كان بعباده خبيرا بصيرا

راه نمايند فرو فرستاده بوديم بر ايشان از آسمان فرشته را رسول بگو بس است خدا گواه ميان من و ميان شما بدرستيكه او بندگان خود را ميبيند

ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم اولياء من دونه ونحشرهم يوم القيمة على

و كسي را كه هدايت كند خدا پس او است راه يافته و كسي را كه گمراه كند پس هرگز خواهي يافت مر ايشان را يارانرا از غير او و محشر كنيم ايشان را روز قيامت بر

وجوههم عميا وبكما وصما ماويهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا ذلك جزاؤهم بانهم كفروا بايتنا

روهاشان كوران و گنگان و كران جاي ايشان دوزخ هر گاه فرو نشيند زيادت كنيم ايشان را از جهة آنرا فرو فرستادن شعله آنرا اين جزاي ايشان است بسبب آنكه ايشان كافر شدند بنشانهاي ما

وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا ائنا لمبعوثون خلقا جديدا اولم يروا ان الله الذي خلق السموت و

و گفتند آيا چون شويم استخوانها و ريزه ريزه آيا ما هر آينه برانگيخته شدگان خلقي تازه آيا نديدند بدرستيكه خداي كه

الارض قادر على ان يخلق مثلهم وجعل لهم اجلا لا ريب فيه فابى الظلمون الا كفورا قل لو انتم تملكون

آفريد آسمانها و زمين را قادر است بر آنكه بيافريند مانند ايشان را و گردانيد براي ايشان زمانه را كه شك نيست در آن پس سر باز زدند ستمكاران مگر ناسپاسي بگو اگر شما مالك ميبوديد

خزائن رحمة ربي اذا لامسكتم خشية الانفاق وكان الانسان قتورا ولقد اتينا موسى تسع اياة بينت فسئل بني

خزينها رحمت پروردگار مرا آنگاه امساك ميكرديد بشما از ترس آنكه خرج كردن بخيل و گفتيم داديم موسي را پرسيدند از

اسرائيل اذ جاءهم فقال له فرعون اني لاظنك يموسى مسحورا قال لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب

اسرائيل چون آمد ايشان را پس گفت مر او را فرعون بدرستيكه من هر آينه گمان ميبرم تو را اي موسي جادو كرده شده گفت موسي بتحقيق دانسته اين را كه فرو نفرستاده است

السموت والارض بصائر وانى لاظنك يفرعون مثبورا فاراد ان يستفزهم من الارض فاغرقنه ومن

آسمانها و زمين را بينشها و بدرستيكه من هر آينه گمان ميبرم تو را اي فرعون هلاك كرده شده پس خواست كه برگند ايشان را از زمين پس غرق كرديم او را و هر كه

معه جميعا وقلنا من بعده لبني اسرائيل اسكنوا الارض فاذا جاء وعد الاخرة جئنا بكم لفيفا وبالحق

با او بهمه و گفتيم از پس او مر بني اسرائيل را كه ساكن شويد در زمين پس چون آيد وعده آخرت آوريم شما را آميخته با هم

انزلنه وبالحق نزل وما ارسلنك الا مبشرا ونذيرا وقرانا فرقنه لتقرأه على الناس على مكث ونزلنه

فرو فرستاديم او را و بحق فرو آمد و نفرستاديم تو را مگر مژده دهنده و بيم كننده و قرآني كه جدا جدا كرديم او را تا بخواني آنرا بر مردمان بدرنگ و فرو فرستاديم او را

تنزيلا قل امنوا به او لا تؤمنوا ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا و

فرو فرستادني بگو بگرويد بدان يا نگرويد بدرستيكه كساني كه داده شدند علم را پيش از آن چون خوانده ميشود بر ايشان بر روي افتند بسجده

يقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا قل ادعوا

ميگويند منزه است پروردگار ما بدرستيكه هست وعده پروردگار ما هر آينه كرده شده و بر روي ميافتند بر زنخها گريان و ميافزايد ايشان را فروتني بگو بخوانيد

الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا وقل

خدا را يا بخوانيد رحمن هر كدام را كه بخوانيد پس مر او را است نامهاي نيك و مخوان نماز خود را و آهسته مكن آنرا و بگير ميان آن راهي و بگو

الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا الفراه بفتح

ستايش مر خدا را است كه نگرفت فرزندي و نبود مر او را انباز در پادشاهي و نبود مر او را يار از خواري و بزرگ كن او را تعظيم كردني

وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

ع

والمراد بالجن

من الفجر يعقوب عاصم وحمزة وعلي وخلف سوى المفضل وابن الغالب الآخرون من التفجير تكثير الفعل وان كان الفاعل والمفعول مفرداً تنزل
بالتخفيف ابو عمرو ويعقوب الآخرون بالتشديد كسفا بفتح السين ابو جعفر ونافع وعاصم وابن ذكوان الباقون بالاسكان قال سنجان بلفظ
الماضي ابن كثير وابن عامر الباقون قل على الامر للنبي المصدق باثبات الياء في الحالين سهل ونافع وابو عمرو في الوصل الباقون بحذف الياء وقفا
اذا بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابو عمرو وحبث ذهاهم بادغام الثاء في الزاء ابو عمرو وحمزة وعلي وخلف وهشام وسهل لقد علمت بضم التاء على التكلم
على الآخرون بفتحها للاتباع اوادعوا بكسر الواو عاصم وحمزة وروبس بخفان على اياتم بيندبان ماندعوا ويتم هذا الوقف ووقف ابان الباقون
على كلمة واحدة الوقوف بينوعاة نفجر قبلا في التماء الابناء التفجير بعد طول المضي وقبل الوصل لان قوله وان تؤمن لرقيك من كلامهم
نفرؤه ملء رسولا رسولا وبينكم شهيدا المضيء لعطف جملتي الشرط مع التضاد من دون ان لان الواو لا يحتمل الاستيناف ربما جهنم سعيرا جدد
لاريب فيه لشاهد الاستفهام الى الاخبار كفوراه الانفاق فتوراه مسحوراه بصائر للانبياء بان مع اتحاد الفاعل مثبوراه جميعا للعطف لعنقاء
لانقطاع النظم المعنوي لا بتداء التفي ومنذ براه احترازا من ايهام العطف تنزيلا اوكانوا منواط سجدا المفعول مخشوعا هجره الزحمن الضاد
الشرط الخمسة لانقطاع نظم الشرط الى التي مع اتحاد المراد سبيلا تكبيرا التفسير ليس من شرط كون النبي صادقا فوائد المعجزات وتبلغ الآيات لان
فتح هذا الباب يوجب نفي المقصود وهو ان لا يثبت نبوة ابدا ولكن العجز الواضح يكفي في صدق النبي وافتراح الزيادة من جملة العناد فلا جرم لما
بين الله سبحانه اعجاز القرآن حكى مقترحات المعاندين بيانا لتعنتهم على الكفر قال ابن عباس ان رؤساء مكة ارسلوا الى رسول الله صلعم
جلوس عند الكعبة فاتاهم فقالوا يا محمد ان اردت مكة ضيقة فنسير لجبالها فتفتح وتجري لنا فيها ينبوعا نزرع فيها فقال لا انا مرعليه فقال فاتنا
منهم او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتجري الانهار خلالها بتفجيرا فقال لا افعل وعليه نقبل له او تكون لك بيت من زخرف اي من ذهب
نغنيك عنا فقال لا انا مرعليه فقيل له فاذا كنت لا تستطيع الخير فاسقط السماء كما زعمت علينا كسفا فقال عبد الله بن امية لخبر
واته لعمة رسول الله لا اؤمن بك ابدا حتى تتخذ سلما فتصعد عليه ونحن ننظر فتاتي بار بعة من الملائكة فيشهدون لك بانك رسول الله ثم
بعد ذلك لا ادري او من بك ام لا فانزل الله هذه الآيات والتشريع في تفجير الماء فقوله ينبوعا اي عينا غزيرة من شانها النبوع من غير انقطاع
والياء زائدة كيعسوب من عب الماء وقوله او تكون لك جنة عطف تلك كالتفجير الانهار لاجلنا تفجيرها من اجلك وقوله كما زعمت اشارة الى قوله
سبحانه ان نشا نخسف بهم الارض ونسقط عليهم كسفا من السماء او اشارة الى ما مر في السورة من قوله او تاتي بالله والملائكة قبيلا او يكون لك بيت
من زخرف او ترقى في السماء اي اجعل السماء قطعا منفرقة كما زعمت ان ربك ان شاء فعل ان الكشاف الكسف بكون كسرة وسدر وسدرة وقال ابو علي الكسف بالسكون الشيء اذا عطيته والشيء
المطبوع كالتمر للمطعون واشتقاقه على ما قال ابن بدر من كسفت الثوب كسفا اذا قطعته وقال الزجاج من كسفت الشيء اذا غطيته كانه قيل
او تسقطها طبقا علينا وهو نصب على الحال في القراءتين ومعنى قبيلا كفيلا بما ندعي من صحة النبوة والمراد وتاتي بالله قبيلا او بالملائكة قبيلا
فاختصر والمراد المقابل كالعشير بمعنى المعاشر وهذا دليل على غاية جهلهم حيث اراد ان يجعلوا الله تعالى الذي يجب عليه المقابلة والمعاينة نظير قولهم لولا انزل
علينا الملائكة او نرى ربنا وقال ابن عباس اراد فوجا بعد فوج وقال الليث كل جند من الجن والانس قبيل وقد مر في تفسير قوله انه يريكم هو وقبيله
قوله بيت من زخرف قال مجاهد كنا لا ندري ما الزخرف حتى رايناه في قراءة عبد الله او يكون لك بيت من ذهب قال الزجاج هو الزينة
ولا شيء في محسن البيت وتزيينه كالذهب الى قوله في السماء اي في معارجها فحذف المضاف بقي في السلم درجة والمصدر في الاصل فعول
كالقعود ومعنى لن نؤمن لرقيك لن نؤمن بك لاجل رقيك حتى تنزل علينا كتابا من السماء فيه تصديقك فقال الرسول منجبا من اقتراحاتهم او
تخبرنا بالله ان حكمانهم ومن قولهم او تاتي بالله سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا فان طلبتم هذه الاشياء ان اتى بها من تلقاء
نفسي فالبشر لا يقدر على امثال ذلك فكيف قدرنا عليها وان اردتم ان اطلب من الله اظهارها على يدي فالرسول اذا اتى بمعجز واحد وجب
به ولا ضرورة الى طلب الزيادة وانا عبد مامور ليس لي ان احكم على الله بما ليس بمصلحة في الدعوة ثم حكى عنهم شبهة اخرى فقال وما منع الناس
ان يؤمنوا الى الايمان بالقرآن وبنبوة محمد اذ جاءهم الهدى وهو الوحي المعجز الهادي الى طريق النجاة الا ان قالوا منكرين ابعث الله بشرا رسولا
ثم اجاب عن شبهتهم بقوله قل لو كان في الارض ملائكة يمشون على الارض كما يمشي الانس مطمئنين ساكنين بها لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا
لان الرسول لا بد ان يكون من جنس مرسل اليهم فكانت اعنهم لتنزيل الرسول من جنس الملائكة امر بين احدهما كون سكان الارض ملائكة والثاني
كونهم ماشين مثلا الاقدام غير قادرين على الطيران باجنحتهم الى السماء اذ لو كانوا قادرين على ذلك لطاروا وسمعوا من اهلها ما يجب معرفته
وسماعه فلا يكون بعثة الملك اليهم فائدة وجوز في الكشاف ان يكون قوله بشرا رسولا منصوبين على الحال من رسولا بل زعم ان المعنى له
اجوب ولعل ذلك لان الانكار توجه الى كون الرسول متصفا بحالة البشرية لا الى الكبسر واذا كان احد المتضايفين المتقابلين حالا لزم ان يكون
الآخر كذلك ثم ختم الكلام بما يجري مجرى التهديد فقال كفى بالله الآية وذلك ان اظهار المعجزة على وفق دعوى النبي شهادة من الله تعالى له على
الصدق فاذا لم تسمع هذه الشهادة وهو عليم بسرائر الامور وخفيات الضمائر فكيف بظواهرها علم ان هذا مجرد الحسد والعناد من

والعناد بهم على حسب ذلك ثم بين ان الاقرار والانكار مستندان الى مشيته وتقديره فقال ومن يهد الله فلا مضل له وقد مر خلاف المتكلمين من الاشاعرة
ومثله في آخر الاعراف في غيره وقوله فهو المهتد حمل على اللفظ وقوله فمن يجادلهم حمل على المعنى والخطاب في لن يجادلنا للنبي او لكل من يصح الخطاب والاولياء
والانصار والحشر على الوجوه اما بمعنى السحب عليها كقوله يوم يسحبون في النار على وجوههم اما بمعنى المشي عليها كما روي انه سئل عن ذلك فقال ان الذي امشاهم
على اقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم وقيل لابن عباس تقدم اخبر الله تعالى عنهم بانهم يمرون وينظرون ويسمعون حيث قال ورأى المجرمون النار وهنا
قال لا يشعرون اسمعوها تغيظا وزفيرا فكيف الجمع بين ذلك وبين قوله عميا وبكما وصما فاجاب بانهم لا يرون ما يسرهم ولا ينظرون نحو نظر من يحذر نقمة منهم ولا يسمعون
ما يلذ مسامعهم وفي رواية عطا انهم عموا عن النظر الى ما جعل الله لاوليائه كرامة بمخاطبته للمشركين المفترين بصم عن ابتاع الله على دينه وقال مقاتل هذه
الاحوال بعد قوله تعالى لهم اخسؤا فيها ولا تكلمون او بعد ان يجاسبوا ثم يذهب بهم الى النار وانما جعلوا وزرا في الحوامل حين وضعن على ما كانوا عليه في الدنيا من الغامي
والتمادي عن الحق وعن عدم النظر بكلما خبت اي سكن لهبها عن النار بجوجوا واخباها غيرها اي خمدها زدناهم سعيرا قال ابن قتيبة اي تسعرا وهو التلهب
ولا دليل في خبو النار تخفيف لهبها فكيف يجمع بينه وبين قوله لا يخفف عنهم العذاب واجيب بانه يحصل لهم في الحال الاولى خوف حصول الحالة الثانية فيستمر
العذاب وبهذا عظم العذاب صار التفاوت الحاصل في الوقتين مشعورا به ويحتمل ان يقال المراد بعدم التخفيف انه لا يحتمل نقصان محسوس او معتد به بين الخبو
والتسعر وقال في الكشاف لانهم لما كذبوا بالاعادة بعد الافناء جعل الله جزاءهم ان سلط النار على جزاءهم بان كلما خبت بعد ان اكلتهم تعيدها ثم بعد اكلها فيزيدها
في الاشتعال منهم وما يدل على هذا التغيير قوله ذلك الجزاء وهم الآية ثم ابدى لجاحد نحو ان يستبعد المذكور في الجزاء ما مفاده اولم يروا الآية ونحوه ذلك ان من قدر على
خلق السموات والارض كان على اعادة من هو دونهما اقدر وعلى هذا فالمراد من خلقهم اعادتهم بعد الافناء كما يقول المتكلمون من ان الاعادة مثل الابداء
ومن قال الاعادة قادر على افنائهم وايجاد غيرهم بصورتهم ليوحدوه ويتركوا الاعتراض عليه كقوله ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد اي يفنيهم ويخلق بدلهم
البعث امر ممكن في نفسه كان لو وقوعه وقد علموا عنده فقال وجعل لهم اي لبعثهم اجلا لا ريب فيه قال جار الله قوله وجعل معطوف على قوله اولم
يروا والمعنى قد علموا بدليل العقل انه قادر على خلق امثالهم وجعل لهم وافيا يحتمل ان يكون الواو للاستيناف وخبر النظم كما مر لما طلبوا اجراء
الانهار والعيون في ارضهم ليتسع معايشهم بين الله تعالى انهم لو ملكوا خزائن رحمة الله وهي من نعمه وسائر نعمه على خلقه التي لا نهاية لها لبخلوا
على مجاهم وشحهم فضلا ان يملكوا خزائن نفسه الفناء والنفاد قال النحويون كلمة لو حقها ان يدخل على الافعال دون الاسماء لانها حين
يكون على معناها الاصلي يفيد انتفاء الشيء لانتفاء غيره والاسم يدل على الذوات والفعل هو الذي يدل على الاثار والاحوال لان الذوات وان
انها هيهنا بمعنى ان الشرطية وهي مختصة بالفعل فلا بد من تقدير فعل بعدها فاصل الكلام لو تملكون مرتين فاضمر الفعل ثم اضمار على شريطة التفسير وتملكون مع
فصل الضمير المتصل منفصلا لسقوط ما كان يتصل هو مبرد فانتم فاعل الفعل المضمر وتملكون تفسيره وقال علما البيان فائدة هذا التصرف الدال على
الاختصاص انهم ممن يختصون بالشح المبالغ وذلك لان الفعل الاول لما سقط لاجل المفسر رد الكلام في صورة المبتدأ والخبر من حيث انه لا يفصل
الفعل بل الفاعل كما في قول حاتم لو ذات سوار لطمتني لا يفصل اللطم بل اللاطم اي لو جرى لطمتني وقوله خشية الانفاق اي خوف الفقر من انفقوا له
اذا ذهب واسكم من رزق المفعول معناه لبخلتم وكان الانسان قتورا اي بخيلا شحيحا والقتر والاقتار والتقتير التضييق في الانفاق وهذا الخبر لا بيان فيه
قد يوجد في الانسان من هو كريم جواد لان اللام للجنس اي هذا الجنس من شأنه الشح اذا كان بانيا على طبيعته لانه خلق محتاجا الى المضار وذات المسكن والملبس
والمطعوم ولا بد له في تحصيل هذه الاشياء من المال فيمنعه يدفع حاجاته ويتم الامور المتوقفة على التعاون فلا جرم يحب المال ويمسك لايام الضرورة والفاقة
وقل الناس من يحب المال محبة ذاتية لا عرضية فان الاصل في الانسان هو البخل والجود منه انما هو امر تكلفي او عرضي طلبا للثناء او الثواب وقيل المراد
بهذا الانسان المعهود السابق ممن قالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا بين الله تعالى انهم لو ملكوا خزائن الارض لبخلوا فيها ثم قال ولقد اتينا موسى تسع اياتكانه
اراد انا اتيناه معجزات نفسا وتبعا لهذه الامور التي اقترحوها بل اقوى منها اعظم فلم ينجع علم الاضطرار فيها الى ما طلبوه من التجل ولكن لعدم المصلحة او لعدم
استيلاء الغايرة لعلمنا باصرارهم والختم على قلوبهم عن ابن عباس ان الايات التسع هن العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم والبحر والجوع
والطور الذي نتقه على بني اسرائيل وعن الحسن الطوفان والسنون ونقص الثمرات وان كان البحر والجوع والطور وعن عمر رضي عبد العزيز انه سئل محمد بن كعب عنهن
فذكر من جملتها حل عقدة اللسان والطمس على اموالهم فقال لعمرك لا يكون لفيفة الا هكذا اخرج يا غلام الجراب فاخرج فنفضه فاذا بيض مكسور بنصفين
وجوز مكسور وفوم وعدس كلها مجازة وعن صفوان بن عسال ان بعض اليهود سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال اوحى الله الى موسى ان قل لبني
اسرائيل لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تسحروا ولا تاكلوا الربوا ولا تمشوا بريء الى ذي سلطان
ليقتله ولا تقذفوا محصنة ولا تفروا من الزحف وانتم يا يهود خاصة لا تعدوا في السبت فقام اليهود يقبلون يد موسى ورجليه وقالوا نشهد انك نبي ولولا
انا نخاف القتل لاتبعناك قال الامام فخر الدين الرازي هو اجود ما قيل في الايات التسع واول عدد الاحكام والايات البينات فيعد الله لا ان يقال النهي
عن مساوي الاخلاق والعادات من جملة علامات النبوة قال بعض العلماء اجابهم النبي بتسع وزاد واحدة مختصهم درروي بود وهذا الحديث لم يدل
ولا تقذفوا محصنة وشك شعبة في انه قال ولا تفروا او قال ولا تولوا الفرار وقيل ان كان لموسى يا نحو كان المن والسلوى عليه وعلى قومه
وكالايات التي عدها بعضهم من التسع وتركها بعضهم الا ان تخصيص العدد بالذكر لا يقدح في الزيادة عليه هكذا قال الاصوليون ولكن الذي يليه

ان لا يكون للتخصيص فائدة والذي يدور في خلدي ان سبب التخصيص هو مرجع جميع معجزاته الى تسع انواع كالسنين ونقص الثمرات مثلا فانها نوع واحد وهو القحط وقد يعبر بالماء عما به الاشتراك ولكن لا بد عندي من اعتقاد الاحتياج الى التسع لاجل خبر الصادق واما قوله فسئل بنو اسرائيل فالخطاب فيه للنبي والسؤال هو الذي استدعاه المزيد الطمانينة والايقان لان الادلة اذا تظاهرت كان ذلك اقوى واثبت والمسئولون مؤمنو بني اسرائيل كعبد الله بن سلام واصحابه وقوله اذ جاءهم يتعلق ببينا او بمحذوف تقديره اذكر او هو للتعليل فالمراد سؤالهم مجرد ذلك لانه جاءهم ولي بما ابانهم ويحتمل ان يكون الخطاب لموسى فيفيد القول اي فقلنا له حين جاءهم سل بني اسرائيل اي سلهم من فرعون وقل له ارسل معي بني اسرائيل او سلهم عن اديانهم وعن حالهم بينهم او سلهم عن ان يعاضدك ويساعدك في الامور والمسحور الذي سحر فخولط عقله وقيل هو بمعنى الساحر كالمشؤوم والميمون قاله الفراء وعن محمد بن جرير الطبري ان معنا اعطى علم السحر فنفذ على بعض الناس فظاهر لان موسى كان عالما بصحة الامر وان هذه الايات منزلها رب السموات والارض فاذا رأى لا اشك في امري بسبب شك كان كمن شك في شك ومن زعما بفتحها فالمراد بين ان كفر فرعون كفر جحود وعناد كقوله وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا وقوله للذين هؤلاء كقوله والعنهم عذابا لا الايام وصغى صغارا بمعنى مكتوف وانتصابها على الحال كانه اشار بقوله ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض فاذا رأى لا اشك في امري بسبب تشكك كمن شك في شك ومن زعم انها افعال جارحة للعادة وبقوله بصائر الى ان فاعلها انما فعل لغرض صدق المدعي فهم خذل المعجز مجموع القبيلتين ثم قارع موسى ظن فرعون بظنه فقال اني لاظنك يا فرعون مثبورا قال الفراء اي ملعونا محبوسا عن الخير من قولهم ما ثبرك عن هذا اي ما منعك وصرفك وقال مجاهد وقتادة اي هالكا من الثبور الهلاك ولا ريب ان ظن موسى اصح من ظنه لان انكار ما علم صحته يستعقب لا محالة ويلا وثبورا وحسرة ولهذا قال فاراد اي فرعون ان يستفزهم من الارض اي يستخف موسى وقومه من بسيط الارض او من ارض مصر بالقتل والاستيصال وبالنفي والاخراج والحاصل ان فرعون عوض بقبض المقصود عن هو وقومه واسكن بنو اسرائيل كانه تحقيقا لقوله ولا يجوز المكر السيئ الا باهله ثم اخبر عن المعاد فقال فاذا جاء وعد الاخرة وهو قيام الساعة جئنا بكم يعني معشر المكلفين كلهم لفيفا جماعات من قبايل شتى وذوي اديان ومذاهب مختلفة وذلك لاجل الحكم والجزاء والفصل والقضاء ولما بين اعجاز القرآن واجاب عن شبهات القوم اراد ان يعظم شان القرآن ويذكر جلالة قدره فقال وبالحق انزلناه التقديم للتخصيص اي ما اردنا بانزاله الا تقرير الحق في مركزه وتمكين الصواب في نصابه قال الجبار الله اي ما انزلنا القرآن الا بالحكم المقتضية لانزاله وما نزل الا ملتبسا بالحكم لاشتماله على الهدايات الى كل خير وما انزلناه من السماء الا بالحق محفوظا بالرصد من الملائكة وما نزل على الرسول الا محفوظا بهم من تخليط الشياطين وقال الحق هو الثابت كما ان الباطل هو الزاهق ولا ريب ان هذا الكتاب الكريم يشتمل على دلايل التوحيد وصفات الجلال والاكرام وعلى تعظيم الملئكة واقرار النبوات واثبات المعاد وعلى اصول الاديان والملل التي لا يتطرق اليها النسخ والتبديل وكل هذه الامور يدل على المعنى المذكور لانها مما يبقى ببقاء الدهور قال ابو علي الفارسي انما في الموضعين بمعنى مع كما في قولك خرج بسلاحه اي انزل القرآن مع الحق ونزل هو مع الحق ويحتمل ان يكون انبا الثانية كما في قولك نزلت بزيد فيكون الحق عبارة عن محمد صلى الله عليه وسلم كان القرآن نزل مبرا عليه وما ارسلناك الا مبشرا بالجنة ونذيرا من النار ليس اليك وراء هذين شئ من اكراه على الدين والاتيان بشئ مما اقترحوه ثم ان القوم كانوا من تعنتهم طعنوا في القرآن من جهة انه لم ينزل دفعة واحدة واجاب عن شبههم بقوله وقرآنا هو منصوب بفعل يفسره فرقناه اي جعلناه نازلا مفرقا منجما وعن ابن عباس انه قرأه مشددا وقال انزل في بومين او ثلثة بل كان بين اوله واخره عشرون سنة يعني ان فرق بالتخفيف بدل على فصل مقارب قال ابو عبيدة التخفيف اعجب الي لان بقيته بناه وليس للتشديد بمعنى الا انزل متفرقا فالفرق يتضمن التبيين وهو كذلك ما رواه ثعلب عن ابن الاعرابي انه قال فرقت بين الكلام وفرقت بين الاجسام واقول ان ابن عباس عبر بالفصل بين اوله وبين اخره فراى التشديد اولى ولعل المراد بالفصول المتقاربة التي فيما بين المدة بدليل قوله لتقرأه على الناس على مكث بضم الميم اي على مهل وتؤدة ولقوله ونزلناه تنزيلا اي على حسب المصالح والحوادث ثم خاطب نبيه بان يقول للمفترحين امنوا به او لا تؤمنوا اي ان لم تؤمنوا به فقد امن به من هو خير منكم وهم العلماء الذين قرأوا الكتب من قبل نزول القرآن قال مجاهد هم ناس من اهل الكتاب حين سمعوا ما انزل على محمد خروا واسجدا منهم زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وعبد الله بن سلام وفي قوله يخرون للاذقان يسجدون دون ان يقول يسجدون مبالغة من وجهين احدهما انه قد يخر ولا يسجد وهو السقوط بالذقن قال الزجاج كان الذقن يجمع اللحيين وكانه بدء الانسان بالخرور للسجود قال ابو علي الارض من وجهها الذقن قلت هذا ان صح للمعنى فلا يطهر منه لتغيير العبارة فائدة وقال غيره المراد لتعفير اللحية في التراب فان ذلك غاية الخضوع وان الانسان اذا استولى عليه خوف الله تقرفر بما سقط على الارض معفرا عليه وثانيهما ان ليقل يخرون على الاذقان كما هو ظاهر وانما قال للاذقان لان اللام للاختصاص وكانهم خصوا اذقانهم بالخرور او خصوا الخرور بها ذقانهم ثم حكى انهم في سجودهم انهم يراعون شرايط التنزيه والتعظيم فقالوا سبحان ربنا ان كان وعد ربنا بانزال القرآن وبعثة محمد صلى الله عليه وسلم في كتبنا مفعولا اي لا بد وان لمخففة من الثقيلة ولهذا دخلت اللام في خبرها ثم ذكر انهم كما خروا لاذقانهم في حال كونهم ساجدين هذه حالها حال كونهم باكين ويجوز ان يكون التكرير لاجل الدلالة على تكرر الفعل منهم بدليل قوله ويزيدهم اي القرآن خشوعا لين قلوبهم وطمانينة عن تشمر اراده ان يعلمهم كيفية الخشوع في الدعاء فقال قل ادعوا عن ابن عباس سمعه ابو جهل يقول يا الله يا رحمن فقال انه يزعم انا ان نعبد الهين وهو يدعو الها اخر فنزل ان اهل الكتاب قالوا انك لتقل ذكر الرحمن وقد اكثر الله في التوراة من هذا الاسم فنزلت قال ابن الله ادعوا الله او ادعوا الرحمن بمعنى التسمية لا النداء وهو يتعدى الى مفعولين تقول دعوت زيدا بمعنى سميته زيدا ثم ان احدهما استغناء عنه فتقول دعوت زيدا وللتخيير والمعنى على السبب الاول سموه بهذا الاسم وبهذا وعلى السبب الثاني اذكروا الله هذا او اذكروا الرحمن هذا ايا ما تدعوا

يعني ان هذين الاسمين سميم وذو ميم فالتنوين عوض عن المضاف اليه وما صلة زيدت لتأكيد الابهام والضمير في فلا يرجع الى احد الاسمين ولكن الى المسمى
وكان اصل الكلام ان يقال فهو اي المسمى بالله اسم حسن فوضع موضعه قوله فلله الاسماء الحسنى لانه اذا حسنت اسماؤه كلها حسن الاسماء استقلالها بمعنى
الجلال والاكرام وقد مر في اخر الاعراف ثم ذكر كيفية اخرى للدعاء فقال ولا تجهر بصلاتك اي بقراءة صلوتك على حذف المضاف للعلم بان الجهر
والمخافة من نعوت الصوت لا الصلوة افعالها هو من اطلاق الكل واراده الجزء لانه اي الجهر يوجب خفوت صوته خفوتا اذا انقطع كلامه ضعف وسكن وخفت
الزرع اذا ذبل وخافت الرجل بقراءته اذا لم يبين قراءته ثم ربما يرفع الصوت روى سعد جبير عن ابن عباس ان رسول الله ﷺ كان يرفع صوته بالقراءة فاذا
سمعه المشركون سبوه وسبوا من جاء به فاوحى الله اليه ولا تجهر بصلاتك فيسمعه المشركون فيسبوا الله عدوا بغير علم ولا تخافت بها فلا يسمع
اصحابك وابتغ بين ذلك الذي ذكر من الجهر والمخافتة سبيلا وسطا وروى ان النبي ﷺ طاف بالليل دون اصحابه فكان ابو بكر يخفي صوته في صلوته
ويقول ناجي ربي وقد علم حاجتي وكان عمر يرفع صوته ويقول ازجر الشيطان واوقظ الوسنان فامر النبي ﷺ ابا بكر ان يرفع صوته قليلا وامر عمر
ان يخفض قليلا فقرأت لابنه على حسب ذلك وقيل معناه ولا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها كلها وابتغ بين ذلك سبيلا بان تجهر بصلوة الليل و
تخافت بصلوة النهار وعن عائشة وابي هريرة ومجاهد ان الصلوة هيهنا الدعاء وقد يرى هذا مرفوعا قال الحسن لا يراءي بعلانيتها ولا يسيء بسريرتها
وابتغ الجهر اسماع غيره الذنوب وهو الموجب للتغيير والتوبيخ وعلى هذا ذهب قوم الى ان الاية منسوخة بقوله ادعوا ربكم تضرعا وخفية قال
جار الله ابتغاء السبيل مثل لابتغاء الوجه الوسط في القراءة ولما امر ان لا يذكر ولا ينادى الا باسمائه الحسنى نبه على كيفية التحميد بقوله وقل
الحمد لله الآية قال في الكشاف كيف لا وصف ينفي الولد والشريك والذل بكلمة التحميد واجاب بان من هذا وصفه هو الذي يقدر على ايجاد كل شيء فهو
الذي يستحق جنس الحمد واصل الولد والشريك والذل بكلمة التحميد واجاب بان من هذا وصفه يتولد من جزء من اجزاء الولد فاولى الولد ان لا يكون ولدا
والحدث محتاج والمحتاج لا يقدر على كل الانعام فلا يستحق كمال الحمد وايضا الولد يحمله والجبل لا يستحق الحمد والشريك في الملك اما بقصور او تسفل
بالمالكية فيفتقر الى من يتم بمشاركته امورا لكثرة ومصالح تهمه وكل من كان كذلك كان عاجزا بالنظر الى ذاته فلا يتم فيصادق فلا يستحق حمدا على الاطلاق
وهكذا حكم من كان له ولي يدل الى الحمد جيبا من اجل ذل به واستفاده لامر عزة وقوة وافاضة اولى بمعنى الناصري ناصرا من اجل عدله به ليدفعها
بموالاته وايضا قد يمنع الشريك من اصابة الخير الى اوليائه والذي يكون له ولي من الذل يكون محتاجا اليه فينعم عليه دون من استغنى عنه اما اذا كان
منزها عن الولد وعن الشريك وعن ان يكون له ولي من الذل يكون مستوجبا لاعظم انواع الحمد ومستحقا لاجل اقسام الشكر فالامام فخر الدين
الرازي التكبير انواع منها تكبير الله في ذاته وهو ان يعتقد انه واجب الوجود لذاته غني عن كل ما سواه ومنها تكبيره في صفاته ان يعتقد انها كلها من
صفات الجلال والاكرام وفي غاية العظمة ونهاية الكمال وانها منزهة عن سمات النقص والزوال والحدوث والانتقال ومنها تكبيره في افعاله وعند
بعود مسئلة الجبر والقدر قال سمعت ان الاستاذ ابا اسحق الاسفرايني كان جالسا في دار الصاحب عباد فدخل القاضي عبد الرحمن احمد الحمداني
فلما راه قال سبحان من تنزه عن الفحشاء فقال الاستاذ سبحان من لا يجري في ملكه الا ما يشاء ومنها تكبيره في احكامه وهو ان يعتقد ان احكامه
كلها جارية على سنن الصواب وقانون العدالة وقضية الاستقامة ومنها تكبيره عن هذا التكبير وتعظيمه عن هذا التعظيم وكان النبي ﷺ اذا افتتح
الغلام من بني عبد المطلب علمه هذه الاية والله اعلم الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا
يقول وسع كل شيء رحمته وعلمه فكبره تكبيرا لما كان هو عليه من تركيبه النفوس وتصفيته القلوب ومجلبة الارواح وتخييره بتابيع الحكمة من ارض لقلوب لا بنان تجمل المشاهدات
اعنان الممكنات شفقات في جنان المواصلات ان بعث الله بشرا رسولا ليحببوا من كون البشر رسولا حين علم ان الملك على خلاف من البشر وغفلوا عن تبلغه الاشياء
الكاملة حيث جعلوه مسجود الملئكة المقربين واودع فيه سر الخلافة ما وهم جميع الحرص والشهوات كلما سكنت ناز تشهوه باستيفاء حظها ازدادت
سعيرا باشتعال طلب شهوة اخرى لسبع ايات بينات قال السبع المحفوظ الحفظ الدين المعروف بدلالة ايراد الايات التي تدل على بهوته فيما يتعلق
بنفسه حاشية كالقلادة في اليم واحاجيه منه وبه يتبين في مجرى العا ح عليه ويحوذ لك وبالحق انزلناه الآية لان الارواح المتعلقة بالعالم السفلي
احتاجت بالعلوم الى العالم العلوي احتياجا من هم القرآن لقوله رحمه ويجمل الله جميعا وبالحق نزلناه القرآن لقوله رحمه وبالحق نزل والتميز بين اهل السعادة والشقاوة بالاتباع
وعدمه ان الذين وقوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم في الازل اذا يتلى عليهم في الازل عند خالق السنة ربكم يخرون للاذقان سجدا للاجابة يقولون بلى ويخرون للاذقان
في عالم الصوت يبكون فالمواضع والسجود من شان الارواح والبكاء والخشوع من شان الاجسام بين ان الارواح انما ارسلت الى الابدان للعبودية وذكر الله
فقال قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى اي كل اسم من سمائه حسن فادعوه حسنا وهو الدعاء بالاخلاص ولا تجهر بصلاتك رياء
وسمعة ولا تخافت بها بان تخفيها بالكلية فتحرموا المثابة والاسوة الحسنة وابتغ بين ذلك سبيلا باظهار الفرايض واخفاء النوافل والله اعلم

سورة الكهف مكية الا قوله واصبر نفسك الآية وهي مائة واحدى عشرة وثلثمائة وثمانون حرفا وكلماتها الف وخمسمائة وسبعة

وسبعون اياتها مائتان واحدى عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما لينذر بأسا شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين
ستايش خداى را كه فرستاد بر بنده خود قرآن را و نكرد در او هيچ كجى راست
يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا ماكثين فيه ابدا وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ما لهم
كردار نيك كه ايشان را مزد نيكوست جاويدان در آن بهشت و بيم كند آنان را كه گفتند خدا فرزند دارد
به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من افواههم ان يقولون الا كذبا فلعلك باخع نفسك
نه ايشان را و نه پدران ايشان بزرگ است سخن كه بيرون مى آيد از دهان ايشان كه مى گويند جز دروغ را پس شايد تو بكشى خود را
على اثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم
بر پى ايشان اگر ايمان نياورند باين سخن از اندوه ما آراستيم آنچه بر زمين است براى آنكه بيازماييم ايشان را
ايهم احسن عملا وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا ام حسبت ان اصحاب الكهف و
كدام يك نيكوتر كردارند و ما هر آينه گردانندگانيم آنچه بر آنست خاك بى گياه آيا پنداشتى تو كه ياران كهف
الرقيم كانوا من اياتنا عجبا اذ اوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا اتنا من لدنك رحمة
و رقيم از نشانهاى ما شگفت بودند چون جاى گرفتند جوانان در غار پس گفتند خدايا بده ما را از نزد خود
وهيئ لنا من امرنا رشدا فضربنا على اذانهم في الكهف سنين عددا ثم بعثناهم لنعلم اى الحزبين
رحمتى و راست گردان براى ما از كار ما راستى پس زدم بر گوشهاى ايشان در غار سالهاى شمرده پس برانگيختيم ايشان را
احصى لما لبثوا امدا نحن نقص عليك نبأهم بالحق انهم فتية امنوا بربهم وزدناهم هدى و
تا بدانيم كدام از دو گروه شمردند مدت درنگ خود را نيكوتر نگاه داشتند آنچه درنگ كردند ما مى گوييم بر تو خبر ايشان را براستى بدرستيكه ايشان جوانان بودند كه ايمان آوردند بخداى خود و افزوديم ايشان را راه
وربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا
و استوار كرديم بر دلهاى ايشان چون برخاستند پس گفتند پروردگار آسمانها و زمين هرگز نخوانيم جز او خداى را بتحقيق كه گفتيم
اذا شططا هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه الهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن اظلم ممن
از راه صواب دور هر آينه اين گروه ما گرفتند از غير او خدايان چرا نمى آرند بر ايشان بحجتى ظاهر پس كيست ستمكارتر از آنكس
افترى على الله كذبا واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم
كه بر خدا دروغ بست و چون بيكسو شديد از ايشان و از آنچه مى پرستند جز خدا پس جاى گيريد در غار تا بگستراند بر شما پروردگار شما
من رحمته ويهيئ لكم من امركم مرفقا وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين و
از رحمت خود و آماده كند براى شما از كار شما آسايشى و مى بينى آفتاب را چون برآيد مى گردد از غار ايشان بسوى راست او
اذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه ذلك من ايات الله من يهد الله فهو المهتد
و چون فرو شود مى گذرد از جانب چپ ايشان و ايشان در فراخى از آن اين از نشانهاى خداست هر كه را راه نمايد خدا
ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا وتحسبهم ايقاظا وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين
چون فرو شود بسوى چپ و هر كه را گمراه كند خدا پس هرگز نيابى او را دوستى راه نما و مى پندارى ايشان را بيدار
وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا و
و ايشان خفته و ما مى گردانيم ايشان را بسوى راست و بسوى چپ و سگ ايشان گسترانيده دو دست خود را بدر غار
لملئت منهم رعبا وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما
اگر ديدى ايشان را برگشتى از ايشان بگريختى و هر آينه پر شدى از ايشان بيم و همچنين برانگيختيم ايشان را تا پرسند ميان خود چند درنگ كرديم گفت
او بعض يوم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة فلينظر
يا پاره روز گفتند پروردگار شما داناتر است باندازه درنگ شما پس فرستيد يكى از شما را بشهر خود پس بنگرد
ايها ازكى طعاما فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعرن بكم احدا انهم ان يظهروا
كدام از آن پاكيزه است خوردن پس بياورد براى شما روزى از آن و بايد كه نرمى كند و بايد كه نشناساند بشما كسى را
عليكم يرجموكم او يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا اذا ابدا وكذلك اعثرنا عليهم ليعلموا ان
بر شما سنگسار كنند شما را يا برگردانند شما را در كيش خود و هرگز رستگار نشويد هرگز و همچنين پيدا كرديم بر ايشان تا بدانند كه
وعد الله حق وان الساعة لا ريب فيها اذ يتنازعون بينهم امرهم فقالوا ابنوا عليهم بنيانا
وعده خدا راست است و بدرستيكه قيامت نيست شكى در آن چون مى نزاعيدند ميان خود كار ايشان پس گفتند برآورند

ربهم اعلم بهم ما قال الذين غلبوا على امرهم لنتخذن عليهم مسجدا سيقولون ثلثة رابعهم
خدایش ان دانا تر است باینان کشتند انانکه غالب شدند بر کارشان البته گیریم بر ایشان مسجدی زود گویند سه اند چهارمشان
كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي
سگشان و میگویند پنج اند ششمشان سگشان گمان بردنی بنا بیند و میگویند هفت اند هشتمشان سگشان بگو پروردگارم
اعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم احدا ولا
داناتر است بشمارشان کسی ندانند شمارشان مگر اندکی پس مشو در ایشان مگر جدالی آشکارا و مپرس در ایشان از ایشان کسی و
تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله واذكر ربك اذا نسيت وقل عسى ان يهدين ربي
مگو البته چیزرا بدرستیکه من کننده آنرا فردا مگر اینکه خواهد خدا و یاد کن خدایرا چون فراموش کنی و بگو شاید که راه نماید پروردگارم
لاقرب من هذا رشدا ولبثوا في كهفهم ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا قل الله اعلم بما لبثوا له
تا نزدیکتر بدهد از این راه راست و درنگ کردند در غارشان سیصد سال و افزودند نه
غيب السموت والارض ابصر به واسمع ما لهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه احدا
پنهانی آسمانها و زمین بینا شنوا نیست مر ایشانرا جز او و انباز نگرداند در حکم او کسی

القراءة من لدنه باشمام الدال شيء بالضم وكسر النون ووصل الهاء بالياء يحيى الاخوين بضم الدال وسكون النون وضم الهاء يبشر مخففا حمزة وعلي الباقون بالتشديد يهيئ لنا ويهيئ لكم بتليين الهمز فيهما الاوقف وفي الوقف وابدال الهمزة الفا ابو عمرو وهبيد والاعشى والاصبهاني عن ورش وحمزة في الوقف مرفقا بفتح الميم وكسر الفاء ابو جعفر ونافع وابن عامر والاعشى والبرجمي الاخوين على العكس تزاور تحفيفا بحذف تاء المضارعة عاصم وحمزة وعلي وخلف تزور بتشديد الراء ابن عامر مثل يحزن ويعقوب الباقون تزاور بتشديد بالواو لادغام التاء فيه المهدي كام في بمحان الملتف مشددة للبزي غير ابو جعفر ونافع وابن كثير وقرا ابو عمرو وهبيد والاعشى والاصبهاني عن ورش وحمزة في الوقف غير مموزة بورتكم بسكون الواو ابو عمرو وحمزة وحماد وابو بكر والخزاز غير هبيرة وعباس بكسر الراء وادغام القاف في الكاف الاخوين بكسر الراء مظهرا رب اعلم بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو ان يهدين وان نرني وان يؤتين وان تعلمني بالياء ات في الحالين بمهل ويعقوب وابن كثير غير ابن فليح وزمعة وروى ابن شنبوذ عن قنبل كلها بالياء في الحالين وعن البزي وابن فليح كلها بغير ياء في الحالين وقف ابو جعفر ونافع وابو عمرو بالياء في الوصل ثلثمائة سنين بالاضافة حمزة وعلي وخلف بالتنوين ولا تشرك بالتاء على النهي ابن عامر وروح وزيد الاخوون ولا يشرك بياء العينة ورفع الكاف الوقوف عوجا لان قبلها ليس بصفة له ولكنه انتصب بمحذوف دل عليه المتلو وهو انزل ولم يجعل للموصل وجه وهو ان يكون حالا عن الكتاب والعبد وما بينهما اعتراض حسنا ابداه ولدنه لان ما بعده يحتمل الصفة او ابتداء واخبارا والوقف اوضح ليكون ادعاء الولد مطلقا كما هو الظاهر لا بائهم من قولهم كذبا واسفا عما وقع جزاء لتمام القصة وما بعده استفهام تقرير وتعجيب عجبا رشدا عدادا للعطف فاداه بالحق طهدى ثم والوصل اولى لتعطف شطاه الهمز لابتداء الخضم بين طكذبا مرفقا فجوة منط ايات الله طهو المهتد ج مرشدا ه وقوفه والاولى الوصل على ان ما بعده حال اي وقد وارى نقلبهم الشمال الوصل احسن على ان المعنى نقلبهم باسطا ذراعيه بالوصيد طرعبا بالهمز ط كما ليتم ط بعض يوم ط احدا ه ابده لا يصلح ان يكون ظرفا للاعثار عليهم وان يكون منصوبا باضمار اذكر بينا ط بهم ط مسجدا ه رابعهم كلبهم فصلا بين المقالين مع التفاوت بالغيب لوقوع العارض كلبهم ط قليل ظاهرا حدا ه يشاء الله لا تفاوت الجملتين مع عارض الظرف والاستثناء رشدا ه سنعا ه لبثوا ه لاحتمال ان ما بعده مفعول قل او اخبار مستانف او الارض لا ابتداء التعجب اسمع من قولك لمن قرا ولا تشرك على النهي ومن قرا على العتبة اخبارا جوز وقفه لاختلاف الجملتين احدا ه التفسير الصق الحمد والتنكير المذكورين في اخر السورة المتقدمة بالحمد على اجزل نعمائه على العباد وهي نعمة انزال الكتاب على محمد ﷺ قال بعض العلماء نزه نفسه في اول سورة بحمان عما لا ينبغي وهو اشارة الى كونه كاملا في ذاته ومحمد في اول هذه السورة وهو اشارة الى كونه مكملا لغيره وقدم تنبيها على ان مقام التسبيح مبدا ومقام التحميد هاهنا موافقا لما ورد في الذكر سبحان الله والحمد لله وقدم ان الاسراء اول درجاته كاملا لان فيه تكميل الارواح البشرية ونقلها من حضيض البهيمية الى اوج الملكية ولا شك ان المنافع المعتبرة اكثر من ان تحاصر كما ورد في الخبر من تعلم وعلم وعلم فذاك يدعى عظيما في السموات وانزال الكتاب على النبي نعمة عليه وعلينا اما انه نعمة عليه فلانه اطلع بواسطته على اسرار التوحيد ونعوت الجلال والاكرام واحوال الملائكة والانبياء وسائر النفوس المقدسة وعلى كيفية القضاء والقدر وتعلق احوال العالم السفلي بالعالم العلوي والشهادة بالغيب وارتباط احدهما بالاخر واما انه نعمة علينا فلانا نستفيد منه يوما فيوما مثل ذلك ونعرف منه الاحكام الشرعية المفصلة الى صلاح المعاش والمعاد وفي انتضاء فيما وجوه فاختار صاحب الكشاف ان يكون منصوبا بمضمر اي جعله قيما ولم ينزل فيما ولابد ان يكون حالا لان العطف يدل على ان الكلام وجعله حالا لابد على نفسها وقال جامع لاصقتها فاحالا ان متواليان الا ان الاولى جملة والثانية مفرد وقيل حال من الضمير في قوله ولم يجعل له فائدة الجمع بين نفي العوج واثبات الاستقامة هي التاكيد فربما يستقيم في الظاهر لا يخ عراد في عوج في الحقيقة هذا تفسير عباس ويحتمل ان يراد نفي

سائر الكتب مصدقا لها شاهدا بصحتها وانه تتم بمصالح العباد وما لابد لهم من الشرع والاحكام وعلى هذا يكون قوله ولم يجعل له عوجا اشارة الى انه كامل في ذاته مبرأ عن الاختلاف والتناقض مشتمل على كل ما هو في نفس الامر حق وصدق وقوله قيما اشارة الى انه مكمل لغيره مصلح لمحسن بيانه وارشاده لاحوال معاشه ومعاده فيكون الايذان بظهر قوله في اول البقرة لا ريب فيه هدى للمتقين ثم اراد ان يفصل ما اجمله في قوله قيما فقال لينذر بأسا شديدا من لدنه وحذف المنذر للعلم به لعمومه ولتظهر اللسان عن ذكره اى لينذر الذين كفروا عذابا اليما صادرا من عنده والاجل الحسن الجنة بدليل قوله ماكثين فيه ابدا وهو حال من الضمير في لهم ثم كرر الانذار وذكر المنذر بخصوصه وحذف المنذر به وهو البأس الشديد لتقدم ذكره وقد يذكر ضمنه كلمة ثم يعطف عليها بعض ما يتبينها على كونه اعظم جزئيات الكلي فوقع عطف الانذار المخصوص على الانذار المطلق دليل على ان افحش انواع الكفر والمعصية اتخاذ الولد لله تعالى يأباه بعض كفار قريش من ان الملئكة بنات الله وقالت اليهود عزير بن الله وقالت النصارى المسيح بن الله ثم قال لما لهم بأي الوالد والولد ما اتخذ الله اياه من علم ولا لآبائهم وانتفاء العلم بالشيء اما بالجهل بالطريق الموصل اليه واما لانه في نفسه محال فلا يتعلق به العلم لذلك وهو المراد في الآية اى فوله هذا لم يصدر عن علم ولكن عن مجرد سفه وتقليد لآبائهم الذين مثلهم في الجهالة قال جار الله الضمير في قوله كبرت تعود الى قولهم اتخذ الله ولدا ويسمى كلمة كما يسمون القصيدة بها قلت ويجوز ان يعود الى المضمر ذهنى يفسره الظاهر كقولهم ربه رجلا ونعم امرأة عندي قال الواحدي انتصب كلمة على التمييز وذلك انك لو قلت كبرت المقالة او الكلمة جاز ان يتوهم انها كبرت كذبا او جهلا او افراء فلما قلت كلمة فسرتها من محتملاتها وقرأ ابو عمرو كلمة بالرفع على الفاعلية كما يقال عظم قولك قال اهل البيان النصب اقوى ابلغ لافادته التعجب من جهة الصيغة ومن جهة التمييز كأنه قيل ما اكبرها كلمة وفي وصف الكلمة بقوله تخرج من افواههم مبالغة اخرى من جهتين الاولى ان كبيرا من وساوس الشيطان وهواجس القلوب لا يتمالك العقلاء ان يتفوهوا به احيانا وخجلا فيما بينهم فكيف بالمكابر لمستحيل من انكاره والنطق به فما اشنع فعلهم وما اعظم جرمهم الثانية ان هذا الذي يقولونه لا يحكم به عقلهم وفكرهم البتة لكونه في غاية البطلان وكأنه شيء يجري على ألسنتهم بطريق التقليد احتج النظام على مذهبه ان الكلام جسم بان الخروج عبارة عن الحركة والحركة من خواص الاجسام والجواب ان الخارج من الفم هو الهواء لان الحروف والاصوات كيفيات قائمة بالهواء فمنذ الى الحال الذي هو من شأن المحل مجازا ثم زاد في تقبيح صورتهم بقوله ان يقولون الا كذبا وفيه ابطال قول من زعم ان الكذب هو الخبر الذي لا يطابق المخبر عنه مع علمه قائله بانه غير مطابق وذلك لان القيد لا اثر له في موجوبها مع انه تعالى سماه كذبا ثم سلى رسوله ﷺ بقوله فلعلك باخع قال الليث يقال بخع الرجل نفسه اذا قتلها غيظا وقال الاخفش والفراء اصل البخع الجهد يروى ان عائشة ذكرت عمر فقالت بخع الارض اى جهدها حتى اخذ ما فيها من اموال الملوك وقال الكسائي بخعه الارض الذا غلبته حتى جعلها صعبة بسبب منابعة الحراثة وبخع الرجل نفسه اذا انكبها واسفا منصوب على المصدر اى تأسف اسفا وهذا الفعل لما لم يكن من جنس الكلام جيء بالمصدر قال الزجاج هو مصدر في موضع الحال ومفعول له اى لغيظ الحزن شبه ابا هم حين لم يؤمنوا بالقرآن واعرضوا عن تدبره بحال رجل فارقه احبته فهو يتأسف عليهم والحاصل انه قال له لا تعظم حزنك عليهم بسبب كفرهم فانه ليس عليك الا البلاغ وعلينا المحاسبة الايمان وهم فلعلك ايها الرسول الطاف الله بهذا يستدل على القرآن فان قال قد علمنا ان الله خلق الارض قبل السماء بدليل قوله في آخر حم السجدة قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام سواء للسائلين ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين فقضاهن سبع سموات في يومين وقال ايضا في سورة النازعات ءأنتم اشد خلقا ام السماء بناها رفع سمكها فسواها واغطش ليلها واخرج ضحاها والارض بعد ذلك دحاها اخرج منها ماءها ومرعاها والجبال ارساها متاعا لكم ولانعامكم فقد ذكر في هذه الآية ان الارض خلقت بعد السماء وفي الآية الاولى ان السماء خلقت بعد الارض فكيف الجمع بين الآيتين قلنا قد ذكرنا في سورة البقرة في تفسير قوله واذ ابتلى ابرهيم ربه والكلام في ابتلاء ابرهيم ربه والكلام في ابتلاء الرب عبده بالامر والنهي والاختبار وقدمنا هذا البحث بتمامه

مخصوصة بانها من خزاين رحمته وهي المغفرة والرزق والامن من الاعداء وهيئ لنا اي اصلح لنا من قولك هيأت الامر فتهيأ لنا من امرنا الذي نحن عليه من مفارقة الكفار رشدا اي امرا ذا رشد حتى نكون بسببه راشدين غير ضالين فيكون من للابتداء ويجوز ان يكون للتبيين كما في قولك رايت منك اسدا اي اجبل امرنا رشدا نكرة وضعها على انها تمام والاصل فيه ان المفعول محذوف وهو الجواب كما بني على امر اي بني عليها القبر وسنين ظرف لبثوا وعددا اي ذوات عدد وهو مصدر وصف به والمراد بهذا الوصف القلة لان الكثير قليل عند الله وان يوما عند بعض الكافرين كالف سنة مما تعدون واما الكثرة فقال الزجاج اذا قل فهم مقدار عدده فلم يحتج الى العد واذا كثر احتاج الى ان يعد ثم يعتنى بضبطه فاهم ليعلم ليظهر معلوما وفعل العلم معلق لما في اي من معنى الاستفهام فارتفع اي الحزبين على الابتداء وخبره احصى وهو فعل ماض وما في لما لبثوا مصدرية اي احصى امد اللبثهم فيكون الجار والمجرور صفة للامد فلما قدم صار حالا من امد وقيل اللام زايدة وما بمعنى الذي وامدا تمييز والتقدير احصى الذي لبثوه امدا والامد الغاية زعم بعضهم ان احصى فعل التفضيل كما في قولهم اعدى من الجرب وافلس من ابن المذلق ولا يستقيم في الكشاف لان الشاذ لا يقاس عليه واختلفوا في بعث الحزبين فعن عطاء عن ابن عباس ان اصحاب الكهف حزب والملوك الذين تداولوا المدينة ملكا بعد ملك حزب وقال مجاهد الحزبان من اصحاب الكهف وذلك انهما لما انتبهوا اختلفوا فقال بعضهم لبثنا يوما او بعض يوم وقال آخرون ربكم اعلم بما لبثتم وذلك حين جلسوا ان لبثتم قد نظروا فقال الفوا انطائفتين من المسلمين في زمان اصحاب الكهف اختلفوا في مدة لبثهم نحن نقص عليك نبأهم بالحق اي على وجه الصدق انهم فتية آمنوا بربهم اي بوضع الظاهر موضع المضمر وزدناهم هدى اي بالتوفيق والتثبيت وربطنا على قلوبهم قويناها بالهام الصبر على قراقا الحق والاوطان والفرار بالدين الى بعض الغيران اذ قاموا فقالوا هذا القيام اقوال عن مجاهد انهم اجتمعوا وراء المدينة من غير ميعاد فقال رجل منهم هو اكبر القوم اني لاجد في نفسي شيئا ما اظن احدا يجده احد ان ربي رب السموات والارض فقالوا نحن كذلك في انفسنا فقاموا جميعا فقالوا ربنا رب السموات والارض وقال الكثر المفسرين انه كان لهم ملك جبار يقال له دقيانوس وكان يدعو الناس الى عبادة الطواغيت فتبين الله هؤلاء الفتية وعصمهم حتى قاموا بين يديه فقالوا ربنا رب السموات والارض وعن عطاء ومقاتل انهم قالوا ذلك عند قيامهم من النوم والشطط الافراط في الظلم والابعاد فيه من شط اذا بعد والمراد قولا ذا شطط اي بعيد عن الحق هؤلاء مبتدأ وقومنا عطف بيان او بدل والخبر واتخذوا خبر هو اخبار في معنى انكار وفي اسم الاشارة تحقير لهم لولا يأتون عليهم هلا يأتون على حقيقة الهيتهم او على صحة عبادتهم بسلطان بين بحجة ظاهرة استدل بعدم الدليل على عدم الشركاء والاضداد فاستدل بعض العلماء بذلك على ان هذه طريقة صحيحة ويمكن ان يجاب بانه انما ذكر ذلك على سبيل التبكيت فمن المعلوم ان لا اتيان بسلطان على عبادة الاوثان محال وفيه دليل على فساد التقليد وبوكده قوله فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا بنسبة الشريك اليه وخاطب بعضهم بعضا حين صمم عزمهم على الفرار بالدين وقوله وما يعبدون عطف على الضمير المنصوب يعني واذ اعتزلتموهم معبوديهم وقوله الا الله استثناء منقطع على الظاهر ويجوز ان يكون متصلا بناء على ان المشركين يقرون بالخالق الاكبر وقيل هو كلام معترض اخبارا من الله تعالى عن الفتية انهم ابعدوا غير الله فاما فيه قال القراء فاوا الى الكهف جواب اذ ومعنى اذ هبوا اليه واجعلوه ماويكم يبسط لكم ربكم من رحمته يبسطها لكم ويفسح لكم في الانتفاع وقيل فتح الميم افيس وكسرها اكثر وقيل المرفق بالكسر ما ارتفقت به والمرفق بالفتح الامر الرافق وكان الكسائي ينكر في مرفق الا بدل الاكثر الميم فلولا ذلك لقلت بفضل الله وتوكلا عليه واما الآية اخبرهم بنبي في عصرهم منهم او من غيرهم وترى الشمس ايها الانسان اذا طلعت تزاور اصله من الزور بفتح الميم فلولا ذلك لقلت بفضل الله وتوكلا عليه واما الآية اخبرهم بنبي في عصرهم الواو وهو الميل ومنه زاره اذا مال عنه والمراد ان الشمس تعدل عن سمتهم الى الجهتين فلا يقع عليهم والتجوز المتسع من المكان ومنه الحديث فاذا وجدوا فجوة نص وقال المفسرون في الآية قولان احدهما انهم في ظل هار يم كلما لا تصيبهم الشمس في طلوعها ولا غروبها مع انهم في مكان واسع منفتح والى هذا الجواب اشار بقوله ذلك من آيات الله وثانيهما ان باب ذلك الكهف كان مفتوحا الى جانب الشمال فاذا طلعت الشمس كانت على الكهف واذا غربت كانت على يمينه فلذلك كانت الشمس لا تصل اليهم ثم انهم كانوا مع ذلك في منفسح من الغار بنالهم فيه روح الهواء وبرد النسيم واعترض بان علم وصول الشمس اليهم لا يكون اية من آيات الله على هذا التقدير واجيب بان المشار اليه حفظهم في ذلك الغار مدة طويلة والمفضي من بيان وضع الغار بهذين مكانهم ثم بين الله سبحانه لطفه بهم بصونه ابدانهم عن الفساد في تلك المدة المديدة كما لطف بهم في اول الامر بالهداية فكان فيه ثناء عليهم وتذكير لغيرهم ان الهداية وضدها كليهما بمشيئة الله وعنايته الازلية وباطنه وظهره الذي سبق القلم وقال جار الله فيه تنبيه على ان من سلك طريقة الراشدين الممدحين هو الذي اجاب الفلاح ومن تعرض للخسران فلن يجد من يليه ويرشده ثم حكى طرفا آخر من غرايب احوالهم فقال وتحسبهم ايقاظا هو جمع يقظ بكسر القاف كانكار في جمع نكد وهو نوع جمع راقد كقعود في قاعد وامتنع في التفسير الكبير وقيل عيونهم مفتحة وهم نيام فيحسبهم الناظر لذلك ايقاظا وقال الزجاج لكثرة تقلبهم وقيل لهم تقلبتان في السنة وقيل تقلبة واحدة في يوم عاشوراء وعن مجاهد يمكثون رقودا على ايمانهم سبع سنين ثم يقلبون على شمايلهم فيمكثون رقودا سبع سنين وفائدة تقلبهم ظاهرة وهي ان لا يأكل لحومهم الارض قال ابن عباس وتعجب منه الامام فخر الدين قال والله تعالى قادر على حفظهم من غير تقليب وانا اقول لا ريب في قدرة الله تعالى ولكن الوسايط معتبرة في اغلب الاحوال وكلهم باسط حكاية الحال الماضية ولهذا عمل في المفعول به والوصيد الفناء وقيل العتبة والباب قال السدي الكهف لا يكون له عتبة ولا باب وانما اراد ان الكلب ببصه موضع العتبة من البيت عن ابن عباس هربوا للامر ملكهم فمروا برعاء معه كلب فتبعهم

على وجوههم ومعه كلبه وقال كعب وابكلب فنبح عليهم فطردوه فعادوا فعلوا ذلك ثلث مرات فقال لهم الكلب ما تريدون منى انا احباء الله فناموا حتى احرسكم وقال عبيد عمر وكان ذلك طلب صيدهم والاطلاع على الشئ الاشراف عليه قال الزجاج قوله فرارا منصوب على المصدر لانه بمعنى التولية وسبب الرعب هيبة الله اياها وقيل طول اظفارهم وشعورهم وعظم اجرامهم ووحشة مكانهم منه فحكى ان معاوية غزا الروم فقال لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا اليهم فقال له ابن عباس ليس لك ذلك قد منع الله منه من هو خير منك فقال لو اطلعت عليهم لولوليت منهم فرارا فقال ابن عباس لا انتهى حتى اعلم علمهم فبعث ناسا فقال لهم اذهبوا فانظروا ففعلوا فلما دخلوا الكهف بعث الله ريحا فاخرجتهم وكان اشارة الى المذكور قبل اى كما انمناهم تلك النومة فعلنا بهم ما فعلنا من الكرامات كذلك بعثناهم وفيه تذكير لقدرته على الاماتة والبعث جميعا ثم ذكر غاية بعثهم فقال ليتساءلوا اى ليقع التساءل بينهم والاختلاف التنازع في مدة اللبث غرض صحيح لما فيه من انكشاف الحال وظهور اثار القدرة قال قائل منهم كم لبثتم قال ابن عباس هو رئيسهم يملخا ردعلم ذلك الى الله ثم حين راى المغرب في شعورهم واظفارهم وبشرتهم والقائهم فابعثوا للتسبيب كانه قيل واذ قد حصل التباس من بعثتهم مدة اللبث فخذوا في شئ اخر مما يهمكم والورق الفضة مضروبة اوغير مضروبة وفي توزيعهم الورق عند قرارهم دليل على ان مساك بعض ما يحتاج اليه الانسان في سفره وحضره لا ينافي التوكل على الله والمدينة طرسوس قال في الكشاف فيها معناه اى اهلها ازكى طعاما واقول يحتمل ان يعود الضمير الى الاطعمة ذهنا كقولك زيد طيب باعلى ان الاب هو زيد ويجوز ان يراد اى اطعمة المدينة ازكى طعاما على الوجه المذكور عن ابن عباس ويريد ما حل من الذبائح لان عامة اهل بلدهم كانوا مجوسا وبهم قوم يخفون ايمانهم وقال مجاهد احل ومن المغصوب لان ملكهم كان ظالما وقيل ايها الطيب والذبح وقيل الرخص ليتلطف ليتكلف اللطف فيما يباشره من امر المبايعة حتى لا يغبن والاظهار انهم طلبوا اللطف في امر التخفي حتى لا يعرف بوجه قوله ولا يشعرن بكم احدا اى لا يفعلن ما يؤدي الى الشعور وبسببه اياهم ان يظهروا ويطلعوا على مكانكم او عليكم برجمكم يقتلوكم اخبث القتلة وهي الرجم وكانت عادتهم او يعيدوكم في ملتهم بالاكراه العنيف قال في الكشاف العود في معنى الصيرورة اكثر شئ في كلامهم يقولون ما عدت افعل كذا يريدون ابتداء الفعل قلت يحتمل ان يكون العود ههنا على معناه الاصلي لاحتمال ان يكون اصحاب الكهف على ملة اهل المدينة قبل ان هداهم الله وفي ازين معنى الشرط كانه قال ان رجعتم الى دينهم فلن تفلحوا ابدا فالمخففون لا خوف على الكفار وبدعة اعظم من هدى بن فعى الاولى هلاك الدنيا وفي الثانية هلاك الاخرة وانما نفى الفلاح على التابيد مع ان كفرهم الكفر لا بصر لانهم خانوا ان يجرم ظاهر الموافقة الى الكفر القلبي وكما انمناهم وبعثناهم اعثرنا عليهم سمى الاعلام اعثارا والعلم عثورا الان من كان غافلا عن شئ فعثر به نظر اليه وعرفه وكان الاعثار سببا لحصول العلم واليقين وفي مبلغ الاعثار قولان احدهما انه طال شعورهم واظفارهم طولا مخالفا للعادة وتغيرت بشرتهم فعرفوا بذلك والاكثرون قالوا ان ذلك الرجل لما ذهب بالورق الى السوق وكانت دراهم قبائوسية اتهموه بانه وجد كنزا فذهبوا به الى الملك فقال له من ابن وجدت هذه الدراهم قال بعتها امس منشيا من الثمر فعرف الملك انه ما وجد كنزا وان الله بعثه بعد موته فقص عليه القصة ثم ذكر سبحانه غاية الاعثار فقال ليعلموا ان وعد الله حق يعني ان ذلك العصر من كان ينكر البعث الا انه كان مع كفره منصفا فجعل الله امر الفتية دليلا للملك وقيل بل اختلفوا امنة في ذلك الزمان فقال البعض البعث للجسد والروح بعثا جميعا وقال اخرون الروح بعث واما الجسد فتاكله الارض ثم ان ذلك الملك كان يتضرع ان يظهر له اية يستدل بها على ما هو الحق في المسئلة فاطلعه الله تعالى على امر اصحاب الكهف حتى يقرر عنده صحة بعث الاجساد الان انبانا هم بعد ذلك النوم الطويل يشبه من يموت ثم يبعث فالمراد بالتنازع هو اختلافهم في حقيقة البعث والضمائر في قوله اذ يتنازعون بينهم امرهم يعود الى ذلك الامر وقيل اراد اذ يتنازع الناس بينهم امر اصحاب الكهف ويتكلمون في قصتهم او يتنازعون بينهم تدبير امرهم حين توفوا كيف يحفرون مكانهم وكيف يسدون الطريق اليهم فقالوا ابنوا على باب كهفهم بنيانا يروى انه اظلهم الملك واهل المدينة معه وابصروهم وحمدوا الله على اية الدالة على البعث ثم قالت الفتية للملك نستودعك الله ونعيذك بربنا من شر الجن والانس ثم رجعوا الى مضاجعهم وتوفى الله انفسهم فالقى الملك عليهم ثيابا وامر فجعل لكل واحد تابوتا من ذهب فراهم في المنام كارهين للذهب فجعلها من الساج وبنى على باب الكهف مسجدا فيكون فيه دليل على ان اولئك الاقوام كانوا عارفين بالله تعالى ومعترفين بالعبادة وقيل ان الكفار قالوا انهم كانوا على ديننا ونحن عليهم بنيانا والمسلمون قالوا بل كانوا على ديننا فنحن عليهم مسجدا وقيل انهم تنازعوا في عددهم واسمائهم قال جابر رضي الله عنه سمعت نبيكم صلعم يقول اصحاب الكهف سبعة وكلبهم سابعهم وقال ابن عباس رضي الله عنهما انا من القليل الذين استثنى الله تعالى بهم من كلام المتنازعين كانهم تذاكروا امرهم وتناقلوا الكلام في انسابهم واحوالهم فلما لم يهتدوا الى حقيقة قالوا ان ذلك وهو من كلام الله عز وجل رد لقول الخائضين في حديثهم من اولئك المتنازعين ومن الذين تنازعوا منهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل الكتاب فغلبوا على امرهم المسلمون وملكهم المسلم لانهم بنوا عليهم مسجدا يصلي فيه المسلمون ويتبركون بمكانهم وكانوا اولى بهم وبالبنا عليهم حفظا لزيهم طاف ظننا بها سيقولون يعني الخائضين في قصتهم من المؤمنين ومن اهل الكتاب المعاصرين وكان كما اخبر فكان معجزا يروى ان السيد العاقب اصحابهما من اهل نجران كانوا عند النبي صلعم فجرى ذكر اصحاب الكهف فقال السيد وكان يعقوبيا هم ثلثة رابعهم كلبهم وقال العاقب وكان سطوريا هم خمسة سادسهم كلبهم فوقف الله تعالى رجما بالغيب اى يرمون رميا بالخبر الخفي عن قال ابن عباس رضي الله عنهما انا ممن استثنى الله تعالى بهم من غير تدبر وكشف ما يؤيد رجم بالظن مكان قولهم فلن وقال المسلمون هم سبعة وثامنهم كلبهم قال العلماء وهذا قول يحكى عنها المسلمون باخبار رسول الله صلعم عن لسان جبريل عليه السلام والذي يدل عليه امور منها ما روى عن علي رضي الله عنه انهم سبعة نقراسمائهم يملخا ومشلينيا هؤلاء اصحاب يمين الملك وكان عن يساره

مرنوش ديمرنوس وشاذنوس وكان يستشيرهؤلاء الستة في امره والسابع الراعي الذي وافقهم واسمه كفشطوطوش واسم مدينتهم افسوس واسم كلبهم قطمير وقيل ريان عن ابن عباس ان اسماء اصحاب الكهف تصلح للطالب الهرب واطفاء الحريق تكتب في خرقة ويرمى بها في وسط النار ويقال الطفل يكتب بوضع تحت راسه في المهد وللحوت يكتب على القرطاس ويرفع على خشب منصوب في وسط الزرع وللضربان وللحمى الثلثة والصداع والغنى والجاه والدخول على السلطان يشد على الفخذ اليمنى والعسر للولادة يشد على فخذها الايسر ولحفظ المال والكون في البحر والنجاة من القتل ومنها قول صاحب الكشاف ان الواو في قوله وثامنهم سمى التي تدخل على الجملة الواقعة صفة للنكرة في قولك جاء في رجل ومعه آخر كما يدخل على الجملة الواقعة حالا من المعرفة في قولك مررت بزيد ومعه سيف وفائدتها توكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على ان ثبوتها امر ثابت مستقر لان الواو مقتضاها الجمعية وكانهم وصفوا بكونهم سبعة مرتبين بحيث ان القولين الاولين فيهم وصفوا بهما وصفوا مرة واحدة ولقائل ان يقول ان العاطف لا بوسط بين الوصف والموصوف البتة لشدة الاتصال بينهما ومقتضى الواو وهو الحالة المتوسطة بين كمال الاتصال وكمال الانقطاع بل الواو اما للعطف عطف الجملة على الجملة واما للحال وجاز لانهم لم يسبوا غازي الحال لكونه لامكان التباس الحال بالصفة في نحو قوله رايت رجلا راكبا وههنا الالتباس مرتفع لمكان الواو ومنها قول بعضهم ان الضمير في قوله ويقولون سبعة الله تعالى والجمع للتعظيم ومنها قول ابن عباس رضي الله عنه وقعت الواو انقطعت العدة اي طريق بعدها عدة غاير بالفتها اياها وثبتانهم سبعة وثامنهم كلبهم على القطع والثبات ومنها انه خص القولين الاولين بزيادة قوله رجما بالغيب بتخصيص الشيء بالوصف يدل على ان الحال في الباقي بخلافه فمن البعيد ان يذكر الله تعالى جملة الاقوال الباطلة ولا يذكر الحق على انه سبحانه منعه عن المناظرة معهم وعن الاستفتاء منهم في هذا الباب وهذا المنع انما يصح اذا علم حكم هذه الواقعة وايضا الله تعالى قال ما يعلمهم الا قليل وبعد لا يحصل العلم بذلك للنبي ﷺ ويحصل لغير النبي ﷺ كعلي وكابن عباس رضي الله عنهم فالقليل وقد عرفت قولهما في هذا الباب واذا حصل فالظاهر انه حصل لهذا الوجه لان الاصل فيما سواه العدم وقيل الضمير في يقولون لاهل الكتاب خاصة اي يقول اهل الكتاب منهم كذا وكذا ولا علم بذلك الا في قليل منهم وقوله رجما في الموضعين الاخرين ويقولون بغير السين لانهما للاستقبال ايضا الا ان ذلك يحتمل ان يكون لاجل الصيغة التي تصلح له وان يكون لتقدير السين بحكم العطف كما تقول قد كرمني وانعم اي قد انعم اما فائدة تخصيص الواو في قوله وثامنهم فقد عرفت انفا وقد يقال ان لعدد السبعة عند العرب شانا ولا عدد الا وللسنة في مظان المبالغة من ذلك قوله تعالى ان تستغفر لهم سبعين مرة لان هذا العدد سبعة عقود فاذا وصلوا الى الثانية ذكروا القطايد على الاستيناف كقوله في ابواب الجنة وفتحت ابوابها وكقوله ثيبات وابكارا وزيف القفال هذا الوجه بقوله تعالى هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر وذلك انه لم يذكر الواو في الثامن والاضافة ان هذا الترتيب ليس في موضعه لان وجود الواو هو الذي يفتقر الى التوجيه اما عدمه فعلى الاصل وبين التوجيه والايجاب بون بعيد والقائل بصدق الاول دون الاخير متهم عن تبيينه عن الجدال مع اهل الكتاب في شان اصحاب الكهف ثم قال الامر اظهر فانقطاع جدال الله اي جدالا غير متعمق فيه وهو ان نقص عليهم ما اوحى الله اليك بحسب الامكان من غير تحميل ولا تعنيف وقال في التفسير الكبير المراد ان لا يكذبهم في تعيين ذلك العدد بل يقول هذا التعيين لا دليل عليه فوجب التوقف فيه عن الاستفتاء منهم في شانهم لان المفتي يجب ان يكون عالما بما يفتي به وههنا الامر بالعكس ولا سيما في باب واقعة اصحاب الكهف كما بينا ولنذكر ههنا مسئلة جواز الكرامات وما يتوقف هي عليه فنقول الولي مشتق من الولي وهو القرب ففعيل بمعنى فاعل او مفعول والمراد انه توالت طاعاته من غير تخلل معصية وقيل بمعنى مفعول كقتيل وذلك ان الحق سبحانه تولى حفظه وحراسته وقرب منه بالفضل والاحسان فاذا ظهر فعل خارق للعادة على انسان فان كان مقرونا بدعوى الالهية كما نقل ان فرعون يظهر على يده الخوارق وكما يقال ان الدجال يسكون منه ذلك فهذا القسم يجوز ان يسمى اهانة لان شكله وخلقه يدل على كذبه فلا يفضي الى التلبيس وان كان مقرونا بدعوى النبوة فان كان صادقة فاوجب ان لا يحصل له المعارض وان كان كاذبا وجب بحكم ان هو ان الكاذب يستحيل ان يظهر منه الفعل الخارق والبارد هو جمهور المعتزلة وخالفهم ابو الحسين البصري وصاحبه محمود الخوارزمي في جواز ظهور خوارق العادات على من كان مردودا عند الله وسموه بالاستدراج وفرقوا بين النبي الصادق والساحر الخبيث بالدعاء الى الخير والى الشر وان كان مقرونا بدعوى الولاية فصاحبه هو الولي ومن المحققين من لم يجوز للولي دعوى الولاية لانه مامور بالاخفاء ثم ان المعتزلة انكروا كرامات الاولياء واثبتها اهل السنة مستدلين بالقرآن والاخبار والآثار والمعقول اما القرآن فكقصة مريم وقصة اصحاب الكهف قال القاضي لا بد ان يكون في ذلك الزمان نبي يمكن اسناد تلك الكرامات اليه فاما ان نقلهم على الدوام او غير خارق للعادة حتى يجعل ذلك معجزا لاحد اما نقلهم من النوم بعد ثلثمائة سنة فهذا ايضا لا يمكن جعله معجزة لان الناس لم يصدقوهم في هذه الواقعة لانهم لم يعرفوا كونهم صادقين في هذه الشرائط لم نوجد فامتنع جعل هذه الواقعة دعوى الا ان يقولوا طول هذه المدة وعرفوا ان هؤلاء الذين جاؤا في هذا الوقت هم الذين ناموا قبل ذلك بثلثمائة وتسع سنين وكل هذه الشرائط لم توجد فامتنع جعل هذه الواقعة معجزة لاحد من الانبياء فلم يبق الا ان يجعل كرامة لهم ولقائل ان يقول لم لا يجوز ان يكون نفس بعثهم معجزا لنبي ذلك الزمان واما ان ذلك البعث بعد نوم طويل فغير بادر اما ذكر اخر كما مر من حمد الدرع وغيره واما الاخبار فمنها ما اخرج في الصحاح عن ابي هريرة عن النبي ﷺ انه قال لم يتكلم في المهد الا ثلثة عيسى ومريم وصبي في زمان جريج وصبي اخر اما عيسى فقد عرفتموه واما جريج فكان رجلا عابدا في بني اسرائيل وكانت له امه وكان يوما يصلي اذ اتته امه فقالت يا رب الصبلوني جرام ورايتها ثم

فما معنى الاخفاء بالولاية

صلى فدعته تابا مثل ذلك ثلث مرار وكان يصلي بعدها فاشتد ذلك على امه فقالت اللهم لا تمتها حتى ترينها الموميسات وكانت في بني اسرائيل زانية فقال لهم انا افتن جريجا حتى يزني فاتته فلم يقدر عليه شيئا وكان هناك راع ياوي بالليل الى صومعته فاراودت الراعي على نفسها فاتاها فولدت غلاما وقالت ولدي هذا من جريج فاتاه بنو اسرائيل وكسروا صومعته قال ابو هريرة كاني انظر الى النبي ﷺ حين قال يا غلام من ابوك فقال فلان الراعي فندم القوم على ما كان منهم واعتذروا اليه وقالوا نبني صومعتك من ذهب وفضة فابى عليهم وبناها كما كانت واما الصبي الاخر فان امراة كانت معها صبي ترضعه اذ مر بها شاب جميل ذو شارة فقالت اللهم اجعل ابني مثل هذا فقال الصبي اللهم لا تجعلني مثله ثم مر بها امراة ذكروا انها سرقت وزنت وعوقبت فقال اللهم لا تجعل ابني مثل هذه فقال اللهم اجعلني مثلها فقالت امر في ذلك فقال انا راكب جبار من الجبابرة وان هذه قيل لها سرقت ولم تسرق وزنت ولم تزن وهي تقول حسبي الله ومنها ما روى عن ابن عمر ان رسول الله ﷺ قال انطلق ثلثة رهط ممن كان قبلكم فاواهم المبيت الى غار فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فقالوا انه لا يفيكم من هذه الصخرة الا ان تدعوا الله بصالح اعمالكم فقال رجل منهم كان لي ابوان شيخان كبيران فكنت لا اغبق قبلهما اهلا ولا مالا فنات في طلب شجر يوما فلم ارح عليهما حتى رقدا فحلبت لهما غبوقهما فجئتهما به فوجدتهما نائمين فكرهت ان اوقظهما وكرهت ان اغبق قبلهما فلبثت والقدح في يدي انتظر استيقاظهما حتى طهر الفجر فاستيقظا فشربا غبوقهما اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة فانفرجت فرجا لا يستطيعون الخروج منه قال الاخر اللهم انه كانت لي ابنة عم وكانت احب الناس الي فاردتها عن نفسها فامتنعت حتى المت بسنة من السنين فجاءتني فاعطيتها ما لا عظيما على ان تخلي بيني وبين نفسها فلما قدرت عليها قالت لا اذن لك ان تفك الخاتم الا بحقه فتحرجت من ذلك العمل وتركتها وتركت المال معها اللهم فان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة غير انهم لا يستطيعون الخروج منها قال رسول الله ﷺ ثم قال الثالث اللهم اني استاجرت اجراء فاعطيتهم اجورهم غير رجل واحد منهم ترك الذي له وذهب فثمرت اجره حتى كثرت منه الاموال فجاءني بعد حين فقال يا عبد الله ادالي اجري فقلت له كل ما ترى من الابل والغنم والرقيق من اجرك فقال يا عبد الله لا تستهزئ بي فقلت لا استهزئ بك فاخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئا اللهم فان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون وهذا حديث صحيح متفق عليه ومنها قول عمر من اشعث اغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو اقسم على الله لابره ولم يفرق بين شيء ومنها ما رواه سعيد المسيب عن ابي هريرة عن النبي ﷺ قال بينما رجل يسوق بقرة قد حمل عليها اذ التفتت البقرة وقالت اني لم اخلق لهذا وانما خلقت للحرث فقال الناس سبحان الله فقال النبي ﷺ امنت بهذا وابو بكر وعمر وما هما ثم ومنها رواه ابو هريرة عن النبي ﷺ بينا رجل سمع رعدا او صوتا في السحاب ان اسق حديقة فلان فمال فعدوت الى تلك الحديقة فاذا رجل قائم فيها فقلت له ما اسمك قال فلان بن فلان فقلت فما تصنع بحديقتك هذه اذا صرمتها قال ولم تسئل عن ذلك قلت اني سمعت صوتا في السحاب ان اسق حديقة فلان قال اما اذ قلت فاني اجعلها اثلاثا فاجعل لنفسي ولاهلي ثلثا واجعل للمساكين وابناء السبيل ثلثا واما الاثار فمن كرامات ابي بكر الصديق انه لما حمل جنازته الى باب قبر النبي ﷺ ونودي السلم عليك يا رسول الله هذا ابو بكر بالباب فاذا الباب قد فتح فاذا هاتف يهتف من القبر ادخلوا الحبيب الى الحبيب ومن كرامات عمر ما روي انه بعث جيشا واسر عليهم رجلا يدعى سارية بن حصين فبينا عمر يوم الجمعة يخطب جعل يصيح في خطبته يا سارية الجبل الجبل فقال علي بن ابي طالب عليه السلام وكتب تاريخ هذه الكلمة فقدم رسول ذلك الجيش فقال يا امير المؤمنين غزونا يوم الجمعة في وقت الخطبة فهزمونا فاذا بانسان يصيح يا سارية الجبل فاسندنا ظهورنا الى الجبل فهزم الله الكفار وظفرنا بالغنائم العظيمة قال بعض العلماء كان ذلك بالحقيقة معجزة للنبي ﷺ لانه قال لابي بكر وعمر انتما صنوا بمنزلة السمع والبصر لاجرم قدر على رؤية الجيش من بعد ومنها ما روي ان نيل مصر كان في الجاهلية يقف في كل سنة مرة واحدة وكان لا يجري حتى يلقى فيه جارية حسناء فلما جاء الاسلام كتب عمرو بن العاص بهذه الحالة الى عمر على الخوف من عمر امير المؤمنين الى نيل مصر اما بعد فان كنت تجري بامرك فلا حاجة لنا فيك وان كنت تجري بامر الله فاجر على بركة الله وامر ان يلقى الخنفساء في النيل فجرى ولم يقف بعد ذلك ووقعت الزلزلة بالمدينة فضرب عمر الدرة على الارض فقال اسكني باذن الله تعالى فوقفت في الحال ويروى ان رسول ملك الروم جاء الى عمر وطلب داره وذهب الى داره مثل قصور الملوك فقالوا له ليس له ذلك انما هو في الصحراء بضرب اللبن فلما ذهب الى الصحراء راى عمر واضعا درته تحت راسه وهو نائم على التراب فتعجب الرسول من ذلك وقال في نفسه اهل الشرق والغرب يخافون منه وهو على هذه الصفة فسل سيفه ليقتله فاخرج الله اشد منه من الارض فخافه فالقى السيف فانتبه عمر واسلم الرجل فلا اهل الشرق لم يتفق لاحد من اول عهد ادم الى الان ما يشبه له فانه مع غاية البعد عن التكلفات كيف قدر على ذلك السياسات ولا شك ان هذا من اعظم الكرامات واما عثمان فمن انه قال مر بت في طريق فوقعت عيني على امراة ثم دخلت على عثمان فقال مالي اراك تدخلون علي واقاتا وانا ظاهره عليكم فقلت وحي نزل بعد رسول الله فقال لا ولكن فراسة صادقة وقيل انما طعن السيف قول قطرة سقطت من مدية سقطت على المصحف على قوله فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم ويروى ان حجاج الغفاري انتزع العصا من يده وكسرها في ركبته فوقعت الاكلة في ركبته وانا علي صلوات الله عليه فيروى ان واحدا من اصحابه سرق وكان عبدا اسود فاتي به الى علي عليه السلام فقال اسرقت قال بلى فقطع يده فانصرف من عنده علي فلقيه سلمان الفارسي وابن الكوا فقال ابن الكوا من قطع يدك قال امير المؤمنين ويعتو المسلمين وخشن الرسول وزوج البتول فقال قطع يدك وتمدحه قال لا امدحه فقطع لحمي وخلصني من النار فسمع سلمان ذلك فاخبر به عليا عليه السلام فدعا الاسود ووضع يده على ساعده وغطاه بمندیل ودعا بدعوات فسمعناه صوتا من السماء ارفع الرداء عن اليد فرفعنا الرداء فاذا اليد كما كانت باذن الله تعالى واما سائر الصحابة رضي الله عنهم

المتقدم انه قال ركب البحر فانكسرت السفينة التي كنت فيها فركب لوحا من الواحها فطرحني اللوح في اجمة فيها اسد فخرج الي اسد فقلت يا ابا الحارث انا مولى رسول الله فقال فتقدم ودلني على الطريق همهم فظننت انه يودعني ورجع ورقنا بت عن انس ان اسيد حضير ورجل اخر من الانصار حدثا من عند رسول الله حين ذهب من الليل قطع وكان ليلة مظلمة وفي يد كل واحد منهما عصا فاضاءت عصا احدهما حتى مشيا في ضوئها فلما افترقا اضاءت لكل واحد منهما عصاه حتى مشى في ضوئها وبلغ منزله وقيل لخالد بن الوليد ان في عسكرك من يشرب الخمر وركب فرسه ليلا فطاف في العسكر فراى رجلا على فرس ومعه زق من خمر فقال ما هذا فقال خل فقال خالد اللهم احمله خلا فذهب الرجل الى اصحابه وقال اتيتكم بخمر ما شربت العرب مثلها فلما فتحوا ازقاهم خل فقالوا والله ما جئتنا الا بخل فقال هذه والله دعوة خالد ومن الوقايع المشهورة ان خالد بن الوليد اكل كفا من السم على اسم الله وماضره وعن ابن عمر انه كان في بعض اسفاره فلقي جماعة على طريق خائفين من السبع فطرد السبع عن طريقهم ثم قال انما يسلط على ابن ادم ما يخافه ولو انه لم يخف غير الله لما سلط عليه شيئ وروى ان النبي بعث العلا بن الحضرمي في غزاة فحال بينهم وبين المطلوب قطعة من البحر فدعا باسم الله الاعظم فمشوا على الماء وفي كتب الصوفية من هذا الباب وايات كثيرة ولا سيما في كتاب تذكرة الاولياء ومن اراد هاتلبظا لعنها واما المعقول فهو ان الوجوب جبب العبد والعبد جبب الوجوب لقوله يحبهم ويحبونه فاذا بلغ العبد في طاعته مع عجزه الى حيث يفعل كلما امر الله فاي بعد ان يفعل الوجوب مع غاية قدرته وسعة جوده مرة واحدة فاذا يريد العبد وايضا لو امتنع اظهار الكرامة فذلك اما لاجل ان الله تعالى ليس اهلا له فان ذلك قدح في قدرته واما لان المؤمن ليس اهلا له وهو بعيد لان معرفة الله والتوفيق على طاعته اشرف العطايا واجزلها واذا لم يخل الفياض بالاشرف فلان لا يخل بالادون اولى ومن هنا قالت الحكماء ان النفس اذا قويت بحسب قوتها العلمية والعملية تصرفت في اجسام العالم السفلي كما تتصرف في جسده قلت وذلك لان النفس نور ولا بد للنور ان يؤثر بنوريته واشراقه بالمواظبة على العلم والعمل فيضا الانوار الالهية عليه حتى ينبسط وينفوذ على اثاره غيره والتصرف فيه والوصول الى هذا المقام هو المعنى بقول علي بن ابيطالب صلوات الله عليه والله ما قلعت باب خيبر بقوة جسدانية ولكن بقوة ربانية حجة المنكرين للكرامات ان ظهور الخوارق دليل على النبوة فلو حصل لغير النبي لبطلت هذه الدلالة وجوابه بالفرق بين المعجزة والكرامة بان المعجز مقرون بدعوى النبوة والكرامة مقرونة بدعوى الولاية وايضا النبي يدعي المعجزة ويقطع بها والولي اذا ادعى الكرامة لا يقطع بها وايضا انه يجب نفي المعارضة عن المعجزة ولا يجب نفيها عن الكرامة جميع هذا عند من يجوز للولي دعوى الولاية واما من لا يجوز ذلك من حيث ان النبي ما مور باظهارها لضرورة الدعوة والولي ليس كذلك ولكن اظهارها يوجب طلب الاشتهار والفخر المنهيين عنه فانه يفرق بينهما بان المعجز مسبوق بدعوى النبوة والكرامة غير مسبوقة بشيء من ذلك قالوا فان قيل حكاية عن الله سبحانه لن يتقرب الي المتقربون بمثل اداء ما افترضت عليهم لكن المتقرب الى الله باداء الفرايض لا يحصل له شيء من الكرامات فالمتقرب اليه باداء النوافل اولى بان لا يحصل له ذلك واجيب بان الكلام في المتقرب اليه باداء الفرايض والنوافل جميعا قالوا فان تعم ويحمل انفاقكم الى بلده لتكونوا بالغيه لا بشق الانفس قلنا قول بطي الارض للاولياء طعن في الاية وطعن في محمد حين لم يصل المدينة الى مكة الا في ايام واجيب بان الاية وردت على ما هو المعهود المتعارف وكرامات الاولياء احوال نادرة فيصح استثناؤه من ذلك العموم وان لم يكن قاصرا عن تناول بعض الاولياء ولكنه يتفق له ذلك او لعله انفق له السفر قالوا اذا ادعى الولي على انسان دينا فان لم يطالبه بالبينة كان تاركا للحق وفي غير ذلك السفر مع البينة على المدعي وان طالبه كان عبثا لان ظهور الكرامة على يده دليل قاطع على انه لا يكذب ومع الدليل القاطع لا يجوز العمل بالظن والجواب مثل ما مر من ان التمادي لا يحكم به قالوا لو جاز ظهور الكرامة على بعض الاولياء لجاز على كلهم واذا كثرت الكرامات تقلب حرف العادة وتفاقمها واجيب بان المطيعين فيهم قلة لقوله تعالى وقليل من عبادي الشكور والولي فيهم اعز من الكبريت الاحمر باتفاق الكرامة للولي ايضا على سبيل الندرة فكيف يجوز ان يطلعهم عليها معتادا والفرق بين الكرامات والاستدراج هو ان يعطيه الله كرامة يريده في الدنيا ليزداد رغبته وصلاته وقد يسمى مكرا وكيدا وصلاة الاستدراج والفرق بينهما ان صاحب الكرامة لا يستدرج بها ولكنه يخاف سوء الخاتمة وصاحب الاستدراج ليس كذلك او نوى وتهيأ له وانما كان الاستدراج بالكرامات قطعيا للطريق والفتح اعتقاد انه يستحق لذلك وان له حقا على الحق او يعظم شانه في عينه ويفخر بها لا بالمكرم ولا ريب ان الاعجاب مهلك ولهذا وقع ابليس فيها ووقع العبد الصالح هو الذي يزداد تذللا وتواضعا بين يدي مولاه بازدياد اثار الكرامة لا يستكثرها ولكنه يخاف سوء الخاتمة والولاية عليه قرئ المقري في مجلس الاستاذ ابي علي الدقاق له بضعة الكلم الطيب العمل الصالح يرفعه فقال لعلام رفع العمل ان لا يبقى منه في نظرك شيء فان بقي فهو غير مرفوع واختلف في ان الولي هل يعرف كونه وليا قال الاستاذ ابو بكر بن فورك لا يجوز لان ذلك يوجب الامن لان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون والامن بهذا في اعتقاد فيه يدل على الله تعالى وبقضي من قال العبودية الموجب لحظ الله وكيف يامن الولي وقد وصف الله عباده الخلصين بقوله يدعوننا رغبا ورهبا وايضا ان طاعة العبد ومعاصيهم لا تؤثر في محبة الحق وعداوته لانها محدثة متناهية وصفاته قديمة غير متناهية والحدث المتناهي لا يعارض القديم غير المتناهي فقد يكون العبد في عين المعصية وبغيضا في الازل هو المحبة وقد يكون في عين الطاعة ومبغضا هو المبغضة وهذا لا يحصل الجزم بكيفية الخاتمة قبل موته فان الله سبحانه من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ولم يقل من عمل حسنة ومن كانت محبته لا لعلة امتنع ان يصير عدو لا لعلة المعصية وبالعكس لمحبة الحق وعداوته من الاسرار التي لا يطلع عليها الا الله ومن اطلعه عليها الله وقال الاستاذ ابو علي الدقاق وتلميذه ابو القاسم القشيري ان للولاية ركنين احدهما انقياد الشريعة في الظاهر والثاني كونه في الباطن مستغرقا في نور

الحقيقة فاذا حصل هذان الامران وعرف الانسان ذلك عرف لا محالة ان كونه وليا وعلامة ان يكون كونه حزبا لله واستيناسه بذكر الله فثبت
لا ريب ان مداخل الاغلاط فيهذا الباب كثيرة ودون الوصول الى علم الربوبية حجب واستار من بيان وانوار فالجزم بالولاية خطر والقضاء بالمحبة
عسر والله تعالى اعلم قال المفسرون ان اليهود بعثت قريشا سلوا محمدا عن مسائل ثلث عن الروح وعن اصحاب الكهف وعن ذي القرنين فسألوه فقال
اجيبكم عنها غدا ولم يستثن فاحتبس الوحي عنه خمس عشرة ليلة وقيل اربعين يوما ثم نزل قوله ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله
اي فاعل ذلك غدا اي فيما يستقبل من الزمان ولم يرد الغد بعينه وقوله الا ان يشاء الله ان نقوله بان ياذن لك في ذلك الاخبار كان معنى صحيحا او
لكنه لا يكون موافقا لسبب النزول فالمعنى الموافق هو ان يكون قوله هذا في موضع الحال اي لا تقولنه الا متلبسا بان يشاء الله يعني قائلا ان شاء
الله وهذا نهي تاديب لنبيه صلى الله عليه وسلم لان الانسان اذا قال سافعل الفعل الفلاني غدا لم يبعد ان يموت قبل مجيء الغد او يعوقه عن ذلك عائق فلو لم يقل
انشاء الله صار كاذبا فيهذا الوعد والكذب منهي وجوز في الكشاف ان يكون انشاء الله في كلمة تابيد كانه قيل ولا تقولنه ابدا قال اهل السنة
في صحة الاستثناء بعد مدة طويلة دليل على ان ارادة الله تعالى غالبة وارادة العبد مغلوبة ويؤكده انه اذا قال المديون للفارض على اداء الدين غدا ثم
قال ان شاء الله فانه يجاب بعدم النقض ولم يحنث بالاتفاق وما ذاك الا لان الله ما شاء ذلك الفعل مع انه امره باداء الدين وانما يقع الطلاق في
قول الرجل لامراته انت طالق ان شاء الله لان مشيئة الله غير معلومة فيلزم الدور لتوقف العلم بالمشيئة على العلم بوقوع الطلاق وبالعكس واستدل
القائلون بان المعدوم شيء بقوله ولا تقولن لشيء انه فاعل ذلك الا ان يشاء الله والذي يشاء فعله غدا معلوم مع انه سماه شيئا في الحال واجيب بانه مجاز
كقوله اعصر خمرا واذكر ربك اي مشيئة ربك اذا نسيت كلمة الاستثناء ثم تنبهت لها وللعلماء في هذه النسبة الى الذكر خلاف فعن ابن عباس التعبير
وعن طاوس هو على ما يثناه فان ام في مجلسه وعن عطا يستثني على مقدار حلبة ناقة غزيرة وعند عامة الفقهاء لا اثر له في الاحكام ما لم يكن
موصولا قالوا ان الايمان الكثيرة دلت على وجوب الوفاء بالعهد والعقد فاذا اتى بالعهد وجب عليه الوفاء بمقتضاه خالفنا هذا الدليل
فيما اذا كان منفصلا ولم يمكن هذا التوجيه فوجب الرجوع الى اصل الدليل وقيل اراد واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت كلمة الاستثناء
وقيد بعث على الاهتمام بها وقيل ذكره اذا اعتراك النسيان في بعض الامور ليذكر المنسي واذكره اذا تركت بعض ما امرك به وليس لهذين القولين شاهد
ارتباط بما قبله وكذا قول من حمله على اذاء الصلوة المنسية عند ذكرها واختلفوا في المشار اليه بقوله لاقرب من هذا فالظاهر عند صاحب الكشاف
ان المراد اذا نسيت شيئا فاذكر ربك وذكر ربك عندنسيانه ان تقول عسى ربي ان يهدين لشيء اخر بدل لهذا المنسي اقرب منه رشدا وادنى لخير وصفة
وقيل ان نزل قوله انشاء الله ليس بحنث وذكره احسن فقوله هذا اشارة الى النزل واقرب منه ذكر هذه الكلمة وقيل انه اشارة الى بنا اصحاب الكهف
وصفا لعل الله يؤتيني من البينات والحجج على انبوتي ما هو اعظم في الدلالة واقرب رشدا من بنائهم وقد فعل ذلك حيث اتاه من قصص الانبياء
والاخبار بالغيبات ما هو اعظم وادل عن قتاده انه قوله سبحانه وليتوا في كهفهم حكاية لاهل الكتاب وقل الله اعلم بما لبثوا رد عليهم ويؤيده
قراءة عبد الله وقالوا لبثوا والجمهور على انه بيان لما اجمل في قوله فضربنا على اذانهم في الكهف سنين عددا والمراد من قوله قل الله اعلم ان لا تجادلوا
الحق الذي اخبر الله به ولا تلتفتوا الى ما سواه من اختلاف اهل الاديان نظيره قوله قل ربي اعلم بعدتهم لبعد قوله ربعة وتامنهم كلبهم قال النحويون سنين
عطف بيان للثلثمائة لان بمعنى سنة لانها واخواتها مجرورة مفرد وقيل بمعنى تقديم وتاخير اي لبثوا ثلثمائة سنين تسعا ومن قرا بالاضافة فعلى وضع الجمع موضع الواحد
في التمييز كما مر في قوله وقطعناهم اثنتي عشرة اسباطا امما قوله وازدادوا تسعا اي تسع سنين لانه ما قيل عليه دون ان يقول ولبثوا ثلثمائة سنة
وتسع بالسنين القمرية وهذا شيء تقريبي وقيل انهم لما استكملوا ثلثمائة شمسية وزادت بما مر مما من الانتباه ثم انفق ما اوجب بقاءهم في النوم بعد ذلك
تسع سنين ثم اكد قوله الله اعلم بما لبثوا بقوله له غيب السموات والارض اي ليس لغيره ما خفي فيهما من احوالهما واحوال سكانهما وهو مختص بذلك
ثم زاد في المبالغة فجاء بما دل على التعجب من ادراكه للمبصرات والمسموعات والضمير في قوله مالهم لاهل السموات والارض وفيه بيان لكمال قدرته وان
الكل تحت قهره وتسخيره وانه لا يتولى امورهم غيره ولا يشرك في حكمه وقضائه قيل اصحاب الكهف احد منهم ومن قرا لا تشرك على النهي فهو معطوف على
مقدر تقديره فلا تقولن والمراد انه لا يسال احدا عما اخبره الله به من بنا اصحاب الكهف وافتضر على بيانه وقيل الضمير في مالهم لاصحاب الكهف اي انه هو الذي حفظهم
في ذلك النوم الطويل وتولى امرهم وقيل ليس للمختلفين في مدة لبثهم من دون الله من يتولى امورهم فكيف يعلمون هذه الواقعة من اعلام نبوتك وقيل
فيه نوع تهديد لانهم لما ذكروا في هذا الباب اقوالا على خلاف قول الله فقد استوجبوا العقاب من الله تعالى انه ليس لهم من دونه ولي يمنع العقاب عنهم
واعلم ان الناس اختلفوا في زمان لبث اصحاب الكهف في مكانهم فقيل كانوا قبل موسى وانه ذكرهم في التوراة فلهذا سالت اليهود قريشا سالت اليهود او قبل رجعوا
الكهف قبل المسيح واخبر هو بخبرهم ثم لبثوا في الوقت الذي بين عيسى ومحمد عليهما السلام وحكى الفقال ان تمليخا لما دخلوا الكهف فهم بعد عيسى وقيل
انهم لم يموتوا ولا يموتون الى يوم القيمة وذكروا على ما يجيء في باب الزمان من كتاب استفا ان اوسطاطاليس الحكيم زعم انه عرض لقوم من اهل الصين
حال تشبه حال اصحاب الكهف ثم قال ابو علي ويدل الدليل على انهم كانوا قبل اصحاب الكهف واما المكان فحكى الفقال عن محمد موسى الخوارزمي
المنجم ان الواثق انفذه الى ملك الروم ليعرف احوال اصحاب الكهف فوجه معه طائفة الى ان نزل اوضع قال وان الرجل الموكل بذلك المقام فزعني ان الدخول
عليهم فدخلت فرايت الشعر على صدورهم قد نبت وعرفت انهم موتى واحتلت وان الناس كانوا قد بنوا على باب الكهف بالاد وبنوا المحفة الحافظة لابدانهم الموتى

سورة الكهف

عن البلى كالصبر وغيره قلت حين لم يملأ الخوارزمى رعبا من الاطلاع عليهم حصل القطع بانهم ليسوا اصحاب الكهف والرقيم ولو صح ما حكيناه عن معاوية حين غزا الروم حصل ظن غالب بانهم منهم والله تعالى اعلم **النأويل** الحمد لله الذى انزل على عبده الكتاب والعبد الحقيقى من يكون حرا عن الكونين وهو محمد ﷺ اذ يقول امنى ابيت يوم يقول كل نبى نفسى نفسى لانه هو الذى صح نسبة العبودية كما ينبغى اطلق على اسم العبد مطلقا وفيما لسائر الانبياء كما قال عبده زكريا واذكر عبدنا داود ولانه كان خلقه القرآن قبل ولم يجعل له اى لمحمد عوجا لاستقيم بنبذ القرآن ومن استقامة قلبه نال ليلة المعراج ربه فرأى وحى الى عبده ما اوحى بلا واسطة جبريل ونال قابلية الاستقامة بامر التكوين بقوله فاستقم كما امرت اجرا حسنا هو التمتع من حسن الله وجماله فلعلك باخع نفسك كان من غاية عليه الصلوة والسلام ان يبالغ فى المأمور به حتى ينهى عنه بالغ فى الدعوة والشفقة على امته حتى قيل له لا تبخع نفسك وبالغ فى الانفاق الى ان اعطى قميصه فقعد عريانا فنهى عنه بقوله ولا تبسطها كل البسط انا جعلنا ما على الارض زينة لها اى زينا الدنيا وشهواتها للخلق ملائما لطباعهم وجعلناها محل ابتلاء للمحب والسائل لنبلوهم ايهم احسن عملا فى زهدها وتركها وقيل ايهم احسن عملا فى حفظ نفسه طلبا لله ومرضاته ثم اخبر عن سعادة السادة الذين اعرضوا عن الدنيا وابتلوا على المولى بقوله ام حسبت ومعناه لا تعجب من حالهم فان فى امثل من هو اعجب حالا منهم فتيهم اصحاب الخلوات الذين كهفهم بيت الخلوة ورقيمهم قلوبهم المرقومة برقم المحبة فانهم اووا الى الكهف خوفا من الغار فرارا وفروا منه فهؤلاء اووا الى الخلوة شوقا الى لقائه وفرارا الى ربهم طلبوا النجاة من شره والخروج من الغار بالسلامة بقولهم ربنا انا الآية فهؤلاء طلبوا الخلاص من شر نفوسهم والخروج من ظلمات الغار المجازى للوصول الى نور الوجود الحقيقى فضرب بنا على اذان باطنهم وحواسهم الاخرى فى مدة الخلوة لمحو النقوش الفاسدة عن الواح نفوسهم وانتقاشها بالعلوم الالهية ينبذ الانوار الالهية لبعثهم الله عنهم وبعثهم ليريهم من آياته ما يريد وهو سر قولهم ثم بعثناهم اى جنبناهم بنا لنعلم اى الحزبين اصحاب الخلوة ام اصحاب السلوة احصى لما اكثر فائدة وانفع عائدة لامة نبينا فى الدنيا التى هى مزرعة الاخرة وزدناهم هدى فانهم كانوا مهديين بدون الايمان الغيبى فلما تمنوا ثم بعثناهم حتى صار الايمان ايقانا والغيب عيانا اتخذوا من دونه الهة من الدنيا والهوى وترى الشمس اذا طلعت قال الشيخ المحقق نجم الدين المعروف بدايه هذا اخبار عن اصناف الطائفة باصنافه وفيه اشارة الى ان نور ولايتهم يغلب نور الشمس ويرده عن الكهف كما يغلب نور المؤمن نار جهنم لقوله ﷺ ان المؤمن اذا ورد النار يستغيث النار ويقول جز يا مؤمن فقد اطفأ نورك لهبى ومن فى فجوة منه فى متسع وفراغ من ذلك التوحيد يدفع عنهم كل ضرر وبراعيهم عن بلى اجسادهم وبثاثهم قلت يحتمل ان يراد ان شمس الرفع او المعرفة والولاية اذا طلعت من افق الهداية واشرقت فى سماء الواردات وهو حالة الشكر وغلبات الوجد لا يصرف فى مقابلتها الى امر يتعلق بالعقبى وهو جانب اليمين واذا غربت اى سكنت تلك الغلبات وظهرت حالة الصحو ليلتفت هم ارواحهم الى امر يتعلق بالدنيا وهو جانب الشمال بل تخرق عن الجهتين الى المولى وهم فى مقام دفاع وفراغ مما يشغلهم عن الله ويحسبهم ايقاظا منصرفين فى امور الدنيا وهم رقود عنها لانهم يتصرفون فيها لاجل الحق لا لحظ النفس او يحسبهم ايقاظا مشغولين بامور الاخرة لان الناس بنام فاذا ماتوا انتبهوا وهم رقود مصرفون فى امور الدنيا لان الناس بهم يرقدون ويتصرفون وفى قوله ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال اشارة الى انهم فى التسليم لمقلب القلوب فى الاحوال كلها كالميت بين يدى الغسال قيل فى الاية دلالة على ان المريد الذى يربيه الله بلا واسطة المشايخ تكامل مرة فى ثلثمائة وتسع سنين والذى يربيه بواسطتهم ثم امره فى ازاء بنات فعدده ولهذا يكون ثمرة البساتين الذهب وثمرة الجبال فى قوله وكلبهم باسط اشارة ان كلب نفوسهم نائمة معطلة عن الاعمال بهار بيد القلوب والارواح معنى ان هذا النوع من التربية من قبيل القدرة الالهية التى اختصهم بها ويمكن ان يراد ان نفوسهم صارت بحيث تطيعهم فى جميع الاحوال وتحرسهم عما يضرهم وملئت منهم رعبا بما شاهدت عليهم من انوار الانوار التى دنوا منها وتجلى بهيبة الجمعية والعظمة التى البسناهم لبثنا يوما او بعض يوم لان ايام الوصال قصيرة فلما رأوا انهم فى هشة الوصال وجوة الاحوال قالوا ربكم اعلم بما لبثتم لانه كان حاضرا معكم وانتم غيب عنكم فابعثوا احدكم فانظروا انهم ما احتاجوا مدة ثلثمائة وتسع سنين بما نالوا من غذاء الروح كقوله ﷺ ابيت عند ربى يطعمنى ويسقينى فلما رجعوا من عند الله الحى الى عبدة نفسهم احتاجوا الى الغذاء الجسمانى ازكى طعاما اى ما رجعوا الى العالم الجسمانى تعللوا من جمال الله بمشاهدة كل جميل وتوسلوا الى تلك الملاطفات بلطافة الاغذية الجسمانية وزكائها ولا يشعرن بكم احدا فيه ان ارباب المعرفة والمحبة يجب ان يحترزوا عن شعور اهل الغفلة والسلوة ليبلوا ان وعد الله حق باجماع القلوب المنيبة حق قدره الامر فيما اظهر وابدى واسر واخفى يسقولون ان القوى والاركان الاصلية للانسان ثلثة الحيوانية والطبيعية والنفسانية التى منشأها القلب والكبد والدماغ رابعهم كلبهم هو النفس الناطقة ويقولون خمسة هو الحواس الظاهرة سادسهم النفس ويقولون سبعة هو الحواس الظاهرة مع الوهم المدرك للمعانى والخيال المدرك للصور ثامنهم كلبهم هو النفس المدرك للكليات قل ربى اعلم بعدتهم لان القوى الباطنة والظاهرة وافاعيلها وغاياتها لا يعلمهن الا الله سبحانه ومن اطلعه الله عليه وذلك قوله ما يعلمهم الا قليل والله اعلم بالصواب

وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا ۝ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ

(وبخوان آنچه وحى كرده شد بسوى تو از قرآن — ضمان توست تغيير دهنده سخنان او — و نيابى از غير او پناهگاهى ۝ وشكيبا كن نفس خود را با آنكه)

يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

(ميخوانند پروردگار خود را بامداد و شبانگاه ميخواهند خوشنودى او را و در نگذارد چشمهايت از ايشان)

وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ
فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا
يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ
يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا
عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا
جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا
وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ
مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا
﴿٣٥﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ
يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ
بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ
مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ
صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ
كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ
تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَ
خَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ
فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ



وخلف الآخرون على التثنية لكن بالتشديد من غير الف في الحالين قتيبة وابن عامر وابن فليح ويعقوب بالالف في الوصل بغير الف في الوقف واتفقوا على الالف في الوقف بوجه احد مفتوحة ايا ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو وابن ذكوان بفتح الياء السرايدي عن قنبل عورا بضم الغين وكذا في الملك الرحمن بالنون بفتحها ولم يكن لم يبالغ الغينة الوكاية بكسر الواو وحمزة وعلى وخلف الآخرون بناء النائبة وفتح الواو والله الحق بالوقف ابو عمرو وعلى الآخرون بالجر خفيا بسكون الفاء عاصم وحمزة وخلف الباقون بضمها الريح على التوحيد حمزة وعلى وخلف الوقوف من كتاب عبد الاختلاف الجملتين بعده عنهم لان ما بعده يصلح حالا وما قبلها ما محذوف الا لغلد لا لحال العناب فرطاه فليكفل لان الامر للتهديد بدليل انا اعتدنا فلو وصل صار مطلقا نارا لان ما بعده صفة سرادقها الوجوه المشارب مرتفقا عملا لاحتمال كون اولئك مع ما بعده خبر ان الذين وقوله انا لا نضيع جملة معترضة الارائك الثواب مرتفقا رزقا تمييزا للعطف ضرة للعدل مع الفاء نفرة النفسة لاتحاد العامل بلا عطف بداءة فائمة الان ما بعده شك من قول الكافر البعث منقلبا وجلا لتمام الاستفهام احداه ما شاء الله لا تمام المقول لا بالله لابتداء الشرط المحذوف وجوابه مع اتحاد القائل والمقول له وولداه لاحتمال كون ما بعده جوابا للشرط ذلقاه طلباه احداه منظرة وقبل يوقف على هنالك ولا وجه ان يبتدأ بهنالك اي عند ذلك يظهر لكل سلطان الله ونفاذ امره الحق على القراءتين عقباه الرياح مفتداه زينة الحمولة الدنيا نصلا بين المجمل الفاني والمؤجل الباقي مع اتفاق الجملتين املاه النفسير لما اجاب عن سؤالهم بما اجابا مرتبة ان يواظب على تلاوة الكتاب الموحى اليه وعلى الصبر مع الفقراء الذين امنوا بما انزل عليه واحتمل ان يكون امر من التلاوة اي اتبع ما اوحي اليك والزم العمل بمقتضاه وقوله من كتاب ربك بيان للذي اوحي اليه ثم بين سبب اللزوم بقوله لا مبدل لكلماته اي لا يقدر احد على تغييرها وانما يقدر على ذلك هو وحده فليس لك ولا لغيرك الا المواظبة على العلم والعمل به وكده قوله ولن تجد من دونه ملتحدا اي ملجأ تعدل اليه ان همزت بدلت فرضا واصل اللحد الميل كما مر في قوله يلحدون في اسمائه في سورة الاعراف واقدر سؤلهم في سورة الانعام عن طرد فقراء المؤمنين بقوله ولا تطرد الذين الآية واعلم ان هذه السورة مجلس التفس معهم ومراقبة احوالهم بقوله ولا تعد عيناك فالجار والله انما المقبل ولا تعدهم عيناك من عداه اذا جاوزه لانه ضمن معنى نبا وقيل بالغ من جهة تحصيل المعنيين جميعا كانه قيل ولا تفتحهم عيناك مجاوزتين الى غيرهم ثم لطاه عن الالتفات الى الاغنياء الكفرة الذين التمسوا منه طرد الفقراء حتى يؤمنوا بزعمهم فقال ولا تطع من اغفلنا قلبه قال اهل السنة معنى الاغفال ايجاد الغفلة وخلقها فيهم او من اغفلها ازالتها بغير سمتها اي لم نسمه بالذكر ولم نجعلهم من الذين كتبنا في قلوبهم الايمان ويؤيد هذا المعنى ان الغفلة عن الذكر لو كانت بايجاد العبد والقضاء الى ايجاد الغفلة عن الشيء لا ينصور الامع الشعور بذلك لانه ثم اجماع الضدين وقالت المعتزلة معنى اغفلناه وجدناه غافلا بالحد لان والتخلية بينه وبين الامتناء الموبرة الى الغفلة يؤيده قوله واتبع هويه بالواو دون الفاء اذ لو كان اتباع الهوى من تلقاء خلق الغفلة في القلب لفضل فاتبع بالفاء ويمكن ان يجاب بانه لا يلزم من كون الشيء في نفس الامر بتخلق الشيء ان يعتبر كونه بتخلقه والفاء من لوازم الثاني دون الاول على ان الملازمة بين الغفلة عن ذكر الله وبين متابعة الهوى غير كلية فقد يكون الانسان غافلا عن ذكر الله ومع ذلك لا يتبع هواه بل ينهى نفسه عنه وقد يكون ذاكرا لله ومع ذلك يتبع هواه فرطا اي مجاوزا عن حد الاعتدال من قولهم فرس فرط اذا كان متقدما للخيل ويلزم منه ان يكون نابذا للحق وراء ظهره وانت اذا تأملت وجدت حال الاغنياء المتخيرين بخلاف الفقراء المؤمنين لان هؤلاء الفقراء يدعون ربهم بالغدوة والعشي ابتغاء وجهه طلبا لمرضاته فاقبل على الحق وشغلوا عن الخلق والاغنياء قد اعرضوا عن المولى وانبوا على الدنيا فوقعوا في ظلمة الهوى وبقوا في تيه الجهل والعمى وانما يجوز طرد الفقراء لاجل ايمان الاغنياء لان من ترك الايمان حذرا من مجالسة الفقراء كلا ايمان فوجب ان لا يلتفت اليه ثم بين ان الحق ما هو ومن اين هو فقال وقل الحق من ربكم اي الدين الحق حاصل من ربكم ووجد من عند الله ويحتمل ان يراد بالحق الصبر مع الفقراء وقال في الكشاف الحق خبر مبتدأ محذوف والمعنى هذا الحق وزاح العلل فلم يبق الا اختيار الايمان او الكفر وفيه دليل على ان الايمان والكفر والطاعة والمعصية كلها مفوضة الى مشيئة العبد واختياره وحمله الاشاعرة على امر التهديد وقالوا ان الفعل الاختياري يمتنع حصوله بدون القصد اليه ثم ذلك القصد لا بد ان يقع بالاختيار والقصد فنقل الكلام اليه ولا يتسلسل فلا بد ان ينتهي الى قصد واختيار يخلقه الله فيه فالانسان مضطر في صورة مختار في صورة هذا التهديد لانه على انه سبحانه لا ينفع بايمان المؤمنين ولا يضر بكفر الكافرين ثم بين وعيد الظالمين الذين وصفوا الكفر موضع الايمان وتحقير المؤمنين لاجل فقرهم كان تعظيمهم لاجل ايمانهم فقال انا اعتدنا اي اعددنا وهيأنا للظالمين نارا احاط بهم سرادقها وهو الحجرة التي تكون حول الفسطاط فاينتقم للنار شبيها بذلك يحيط بهم من جميع الجهات والمراد انه لا مخلص لهم منها ولا فرج وقيل هو حائط من نار يحيط بطبقهم وقيل هو دخان يحيط بالكفار قبل دخولهم النار وهو المراد بقوله انطلقوا الى ظل ذي ثلاث شعب وقوله يغاثوا بماء وارد على سبيل التهكم كقولهم عتابك السيف والمهل كل ما اذيب من المعدنيات كالذهب والفضة والنحاس قاله ابو عبيدة والاخفش وقيل دردي الزيت وقيل الصديد والقيح وضرب من القطران وهذه الاستغاثة اما لطلب الشراب كقوله نسقى من عين آنية واما لدفع الحر لاجل التبريد كقوله حكاية عنهم افيضوا علينا من الماء وبرد ما هنا اذا استغاثوا من حرهم صب عليهم القطران الذي يعم كل ابدانهم كالقميص وقد يفسر بهذا قوله سرابيلهم من قطران عن النبي ﷺ هو يعني المهل كعكر الزيت اذا قرب الى فيه سقطت فروة وجهه وهذا معنى قوله يشوي الوجوه بئس الشراب ذلك لان المقصود من الشراب الالتذاذ بالاحساء وهذا يحرقها ويشويها وساءت اي النار مرتفقا متكأ لاهلها وضع المرفق لانه يتكئ عليه قال جار الله هذه المشاكلة قوله في اهل الجنة وحسنت مرتفقا والا فلا ارتفاق لاهل النار الا ان يؤتى بمعنى ارتفق انتصب مرتفقا وزعم بعضهم كعادة المعتزلة

وقال قائلون ان الشياطين رفقاء اهل النار من الانس والمعنى ساءت النار مجمعا لاولئك الرفقاء ثم شرع في وعد المؤمنين فقال ان الذين امنوا الآية فان جعلت ما الا نضيع اعتراضا فظاهر وان جعلتها خبرا واولئك خبرا آخر او كلاما مستأنفا فالاجر المبهم هو المعنى العموم ومن احسن يقوم مقام الرابط المحذوف والتقدير من احسن عملا منهم وتفسير جنات عدن قد مر في سورة التوبة والرعد ولاهل الجنة لباسان لباس التجلي ولباس التنزه لم يسم فاعل يحلون للتعظيم وهو الله جل وعلا او الملائكة بامره ومن في من ساور للابتداء وفي من ذهب للتبيين وتنكيرا ساور وكابهام اقصاها امرها في الحسن واساور اهل الجنة بعضها من ذهب كما هنا الآية وبعضها من فضة لقوله وحلوا اساور من فضة وبعضها لؤلؤ كقوله في الحج ولؤلؤا وجمع في لباس السندس وهو ما رق من الديباج وبين الاستبرق وهو الغليظ منه جمعا بين النوعين والاستبرق عند بعضهم معرب سمي فعل يحلون اشارة الى ان الحلي بفضل الله بها عليهم كرما وجودا ونسب اللبس اليهم بتنبيها على انهم امنوجوه لعلمهم ثم وصفهم بهيئة المتنعمين والملوك من الاتكاء على الاسرة والارائك جمع اريكة ثم ان الكفار كانوا يفتخرون بخدمهم وحشمهم واموالهم واصناف تمتعاتهم على الفقراء المؤمنين فضرب الله مثلا للطائفتين ينبهها على ان متاع الدنيا لا يوجب الافتخار لاحتمال ان يصير الغني فقيرا والفقير غنيا انما الفخر بالاعمال الصالحات والمراد مثل حال الكافر والمؤمنين بحال رجلين وكانا اخوين من بني اسرائيل احدهما كافر اسمه قطرس والآخر مؤمن اسمه يهوذا وقيل هما المذكوران في سورة والصافات في قوله قال قائل منهم اني كان لي قرين ورثا من ابيهما ثمانية الاف دينار فتشاطرا بها فاشترى الكافر ارضا بالف فقال المؤمن اللهم اني اشتريت ارضا بالف دينار وانا اشتري منك ارضا في الجنة بالف فتصدق به ثم بنى اخوه دارا بالف فقال اللهم اني اشتري منك دارا في الجنة بالف فتصدق به ثم تزوج امرأة بالف فقال اللهم اني جعلت الفاصداقا للحور ثم اشترى اخوه خدما ومتاعا بالف فقال اللهم اني اشتريت منك الولدان المخلدين بالف فتصدق به ثم اصابته حاجة فجلس لاخيه على طريقه فمر في حشمه فتعرض له وطرده وتجرع على التصدق فيما لم يقبل مما مثل لاخوين من بني مخزوم مؤمن وهو ابو سلمة قبل رسول الله ﷺ وكافر وهو الاسود بن عبد الاشد اما قوله وحففناهما بنخل فقال صاحب الكشاف انه ينبغي الى المفعول الثاني بالباء ومعناه جعلنا النخيل محيطا بالجنتين وهذا مما يؤيد الذاهبين في كرومهم ان يجعلوها موزرة بالاشجار ولاسيما المثمرة منها وخاصة النخيل اذا امكن وجعلنا بينهما زرعا فهما جامعان للاقوات والفواكه وميزانهما ثابت في كل وقت يمتفع اخرى متواصلة منشأ بكر وكل منهما ممنوع من بوفاء الثمار اتمام الاكل وانت محمول على لفظ كلتا لان لفظه مفرد ولو قيل اتتا على المعنى لجاز والظلم اصله النقصان وهو المراد ههنا ونونا من قرأ بالتخفيف فظاهر لانه نظر الى احد ومن قرأ بالتشديد فللمبالغة لان النهر يمتد في وسطها فهو كالانهار وكان له ثمر قال الكسائي الثمر اسم الواحد والثمر جمع وجمعه اثمار ثم ثمر كشاب وكتب بالحركة او بالسكون وذكر اهل اللغة ان الثمر بالضم انواع الاموال من الذهب والفضة وغيرهما والثمر بالفتح حمل الشجر وقال قطرب كانا بوعمرو بن العلا يقول الثمر المال والولد اي كان يملك مع الجنتين اشياء من النقود وغيرها وكان متمكنا من عمارة الارض ومر سائر التمتعات كيف شاء والمحاورة مراجعة الكلام من حار اذا رجع والنفر الانصار والحشم الذين يقومون بالذب عنه وقيل الاولاد الذكور لانهم ينفرون معه دون الاناث ثم ان الكافر كان اراد ان يحتال سبيلا يطوف به في الجنتين ويديم ما فيهما وبقاءه بما ملك من المال دون زوال ذلك فوله سبحانه ودخل جنته قال جار الله معنى افراد الجنة بعد التثنية انه لا نصيب له في الجنة التي وعد المؤمنون فما ملكه في الدنيا هو جنة لا غير لم يقصد الجنتين ولا واحدة منهما قلت لا يبعد ان يكون قد دخل مع اخيه جنة واحدة منهما او جعل مجموع الجنتين في حكم جنة واحدة منهما او جعل مجموع يؤيده توحيد الضمير على اكثر القراءات في قوله لاجدن خيرا منهما وانما وصفه بقوله وهو ظالم لنفسه لانه لما اغتر بتلك النعم ولم يجعلها وسيلة الى الايمان بالله والاعتراف بالبعث وسائر ما عقدوا ان الله كان واضعا للنعم في غير موضعها على ان لفظة الجنة بخصوصها مما يجب ان يستدل بها على احوال النشور كقوله عز من قائل وترى الارض هامدة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت ان الذي احياها لمحي الموتى عكس الكافر المقتضين زعم دوام جنته التي هي بصدد الزوال قائلا ما اظن ان تبيد اي تهلك هذه الجنة ابدا وذلك لطول املة وامتلاء الحرص عليه واغتراره بالمهلة حتى انكر المحسوس وادعى غاية الظن بامتناع النشور مع قيام الدلائل العقلية والحسية على امكانه ووجوبه للاهل الشرعية على وجوبه قائلا وما اظن الساعة قائمة ثم اقسم على انه ان رد الى ربه فرضا وتقديرا كما يزعم صاحبه ان له ربا وانه سيرد اليه وجد خيرا من جنته في الدنيا كانه قاس الغائب على الشاهد واداعى ان النعم الدنيوية لن يكون مستدرجة اصلا وانما يكون منحققا وكرامة ومنقلبا نصب على التمييز اي مرجع ذلك وعاقبته لكونها باقية بزعمه خيرا من هذه لكونها فانية حسا وفي اعتقاده كما قال بعض العلماء الرد يتضمن كراهة المرد واليه فلهذا قال ولئن رددت اي عن حتى هذا الذي اظن ان لا تبيد هذه ابدا الى ربي ولما لم يسبق مثل هذا المعنى في حم قال هناك ولئن رجعت الى ربي فقوله الكفر ذلك زعم الجهود ان اخاه انما حكم بكفره لانه انكر البعث واقول يحتمل ان يكون كافرا بالله ايضا بل مشركا لقوله بعد ذلك بالنهي لو اشرك بربي احدا ولقول اخيه معرضا به لكنا هو الله ربي ولين في قوله ولئن رددت الى ربي دلالة على انه كان عارفا بربه بيد انه يحتمل ان يكون قد قال ان لله بزعم صاحبي كما اشرنا اليه وقوله خلقك من تراب اي خلق اصلك وهو اشارة الى عمارة البعيدة وقوله من نطفة اشارة الى عمارة القريبة ومعنى سواك رجلا عدلك وكملك حال كونك انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال المكلفين ويجوز ان يكون رجلا نعتا او لعل الستر في تخصيص الله سبحانه في هذا المقام لهذا الوصف هو ان يكون دليلا على وجود الصانع اولا الا ان الاسناد الى هذا المطلوب يحتاج الانسان فيه الى اسناد آخر الا ان وجه اشارة الى امكان البعث لان الذي قدر على الاعادة وهي انه خلقه فقيرا لا عين ولا اثر ثم خلقه

للعبوية والاقرار له للفخر والانكار ثم استدرك بقوله اكفرت كانه قال لا اجبت انا كافرا بالله لكني مؤمن موحد واصل لكنا لكن انا حذفت الهمزة بعد القاء حركتها على ما قبلها ثم استثقل اجتماع النونين فسكنت الاولى وادغمت في الثانية وضمير الغائب للشان والجملة بعده خبر للشان والمجموع خبر انا والراجع بالضمير بتقدير الكلام لكن انا الشان الله ربي قال اهل العربية اثبات الف انا في الوصل ضعيف لكن قراءة ابن عامر قوية بناء على ان الالف كالعوض عن حذف الهمزة ولولا للتخضيض وفعله قلت وادخلت ظرف وقع في البين توسعا وقوله ما شاء الله خبر مبتدا محذوف وجملة شرطية محذوف وقع الجزاء تقدير الكلام الامر ما شاء الله او اي شيء شاء الله كان امتثالا لما علمه الله بالاية فانه لا يدخل في الوجود شيء الا بامر الله ومشيته واجاب الكعبي بان المراد ما شاء الله مما تولى فعله لا ما هو من فعل العباد والجواب ان هذا مما يخرج الكلام عن الفائدة فانه كقول القائل للسماء فوقنا واجاب القفال بانه اراد ما شاء الله من عمارة هذا البستان وتؤيده قوله لا قوة الا بالله اي ما قوينا على عمارته وتدبير امره فهو بمعونة الله وتوفيقه بانه تخصيص للظاهر من غير دليل على ان عمارة ذلك البستان لعلها حصلت بالظلم والعدوان فالتحقيق انه لا قوة لاحد على امر من الامور الا باعانة الله وافاده عن عروة بن الزبير انه كان يتيما حائطا بام الرطب فيدخل من شاء وكان اذا دخله رد دهشة حتى يخرج ثم لما علمه الايمان وفوض الامر الى مشيئة الله اجابه من افتخاره بالمال والنفر فقال ان ترني انا اقل منك مالا وولدا فعسى ربي ان يؤتين خيرا من جنتك في الدنيا او في الاخرة جنة خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا هو مصدر كالغفران بمعنى الحساب اي مقدارا قضى به عليها بتخريبها او عذابا حسابا بان يوقع عليها ما يحاسب به من الصواعق فتصير صعيدا زلقا ارضا بيضاء بزلق عليها لملاستها وزلقا وغورا كلاما موصوفا بالمصدر كقولهم فلان زور وصوم اخر سحانه عن تحقق وقد المؤمن فقال واحيط بثمره وهو عبارة عن اهلاكه والكلية من احاطة العدو بالشخص كقوله الا ان يحاط بكم فاصبح يقلب كفيه اي يندم على ما انفق فيها لان النادم يفعل ذلك غالبا كما قد يعض انامله وهي خاوية على عروشها اي ساقطة عروشها على الارض وسقوط فوقها الكرم وقد عرفت في البقرة في قصة عزير وقوله يا ليتني لم اشرك تذكر لموعظة اخيه وتبعيد له لا لظاهره على ما قلنا من ان كان غير عارف بالله بل كان عابدا صنم ومن ذهب الى انه جعل كافرا لانكاره البعث فسره بان الكافر لما اغتر بكثرة الاموال والاولاد فكانه اتخذه شريكا في اعطاء الغنى او انه لما عجز الله عن البعث فقد جعله مساويا له في هذا الباب وهو نوع من الاشراك وليس هذا الكلام منه مما على الشرك دربغة في التوحيد المحض لكنه رغب في الايمان رغبة في جنته وطمعا في دوام ذلك عليه فلهذا لم يصر بذلك مقبولا ووصفه بعد ذلك بقوله ولم يكن له فئة طائفة من دون الله لانه وحده قادر على نصرة العباد وما كان منتصرا ممتنعا بقوته عن انتقام الله ولما علم من قصة الرجلين ان النصرة والعاقبة المحمودة كانت للمؤمن على الكافر علم ان الامر هكذا يكون في حق كل مؤمن وكافر فقيل هنالك اي في مثل ذلك الوقت والمقام الولاية الحق والولاية بالفتح النصرة والتولي والولاية بالكسر السلطان والملك والمراد في مثل تلك الحالة الشديدة يثوب الى الله ويلجئ اليه كل مضطر يعني ان قول الكافر يا ليتني لم اصب عند الجاء واضطرار وجزعا ورجاء من شوم كفره ولولا ذلك لم يقلها وقيل هنالك اشارة الى الاخرة كقوله لمن الملك اليوم لله وعقبا بضم القاف وسكونها بمعنى العاقبة لان من عمل لوجه الله لم يخسر فظ ثم ضرب مثلا اخر لحياة فرعون فقال واضرب لهم الاية وقد مر مثله في اوائل يونس انما مثل الحيوة الدنيا كماء ومعنى فاختلط به النبات بسببه وقيل معناه روي النبات ورقة اختلاط المائعة وذلك لان الاختلاط يكون من الجانبين والهشيم ما تهشم ويحطم والذرو التفريق والاذهاب يقال ذرته الريح تذروه وتذريه ذروا وذريا وكان الله على كل شيء مقتدرا فمن تكوينه ولا تنهيه وسطا واذهابه اخرا ولا ريب ان احوال الدنيا ايضا كذلك تظهر اولا في غاية الحسن والنضارة ثم تتوالى ادبارا الى ان تتكامل ثم تنتهي الى الزوال والفناء ومثل هذا ليس للعاقل ان يبتهج به وحين مهد القاعدة الكلية خصصها بصورة جزئية فقال المال والبنون زينة الحيوة الدنيا والباقيات الصالحات هي اعمال الخير التي يبقى ثمرها خيرا عند ربك ثوابا اي تعلق ثواب خيرا لان الجواد المطلق افضل مسئول واكرم مامول وقيل هن الصلوات الخمس وقيل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وفي التسبيح تنزيه له عن كل ما لا ينبغي وفي الحمد اقرار له بكونه مبدأ لافادة كل ما ينبغي وفي التهليل اعتراف بانه لا شيء في الامكان منتصفا بالوصفين الا هو وفي التكبير اذعان لغاية عظمته وانه اجل من ان يعظم وقيل الطيب من القول والاصح كل عمل اريد به وجه الله وعنده قال قتادة الباقيات الصالحات هي الباقية لصاحبها وانما قال خير مع ان الكل كذلك لان الاول لما كان مشتركا بين الخير والشر وكان الشر ايضا يبقى ثمرها قال خير ليدل على ان الباقيات الصالحات خير من الباقيات السيئات وانما قال عند ربك لان الثواب لا يعتد به الا عند الله وقيل لان الثواب الذي يعطيه الله يكون اكمل مما يعطيه غيره وقيل لان الثواب الذي يعطيه الله لا يكون معجلا بل يكون مؤجلا وقيل لان الثواب الذي يعطيه الله لا يكون مشوبا بالرياء والسمعة وقيل لان الثواب الذي يعطيه الله لا يكون مشوبا بالنقصان والزوال وقيل لان الثواب الذي يعطيه الله لا يكون مشوبا بالخوف والحزن وقيل لان الثواب الذي يعطيه الله لا يكون مشوبا بالحسد والمنازعة وقيل لان الثواب الذي يعطيه الله لا يكون مشوبا بالمضرة والمذمة وقيل لان الثواب الذي يعطيه الله لا يكون مشوبا بالمعارضة والمزاح

لذاتك لانهم رغبوا فيها وكلفوا وقضوا ما عليهم من المجاهدات ويقي ما لهم من المشاهدات مثلا رجلين منا النفس الكافرة والقلب المؤمن
جعلنا لاحدهما وهو النفس جنتين هما الهوى والدنيا من عناب الشهوات وحففناها بنخل حب الرياسة وجعلنا بينهما زرعا من المشتهيات البهيمية
وفجرنا خلالهما نهرا من قوى البشرية والحواس وكان له ثمر من انواع الشهوات وهو يحاوره بجاذب النفس لقلبنا انا اكثر منك مالا واعز نفرا
من وقتنا المذموم وهو يظلم لنفسه في الاستمتاع بجنة الدنيا على وفق الهوى لا جدن خيرا منها لانه عز بالله وكرم فلا جرم بقوله ما اظن ان تبيد هذه
هذا قلت ما شاء الله اي تصرفت في جنة الدنيا كما شاء الله على ما انفق فيها من العمر وحسن الاستعداد كما انزلناه هو الروح العلوي الذي نزل الى اسفل
الجسد فاختلط الروح بالاخلاق الذميمة فصبغ هيئتها لذاتها فتدروه رياح الاهوية المختلفة فتكون حالة اخلاق
روح اذ كنه العبادة الا ترى فبعثت اليه هذان من اهل الكمال فرباه بما العلم والعمل حتى يصير شجرة طيبة والباقيات الصالحات اي ما فيها منك وبقي منك
والله اعلم ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم احدا وعرضوا على ربك
بالصواب وروز كه برداريم كوهها را وبينى زمين را بيرون آمده وگرد كنيم ايشان را پس نگذاريم از ايشان
صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم اول مرة بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا ووضع الكتاب
صف زده بيكبارگى راست آمديد بما چنانكه آفريديم شما را اول مرتبه بلكه گمان كرديد كه نگردانيم براى شما وعده كار
فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا
پس مى بينى گناهكاران را ترسندگان از آنچه در او ثبت ميكنند بر اعمال بد خويش ميگويند واى بر ما چيست اين نامه را نميگذارد
كبيرة الا احصيها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا واذ قلنا للملئكة اسجدوا
بزرگى مگر آنكه شمارد آنرا و يابند آنچه كردند حاضر و ستم نكند پروردگار تو هيچ كس را و چون گفتيم فرشتگان را كه سجده بريد
لادم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه افتتخذونه وذريته اولياء من دوني
آدم را پس سجده كردند مگر ابليس كه بود از جن پس بيرون شد از فرمان پروردگار خود آيا پس گرفتيد او را و فرزندان او را
وهم لكم عدو بئس للظلمين بدلا ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم
دوستان مر شما را دشمنند و بد است مر ستمكاران را بدلى حاضر نكردم ايشان را آفريدن آسمانها و زمين
وما كنت متخذ المضلين عضدا ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا
و نبوده كه گيرنده گمراهان را بازوى و روزيكه گويد بخوانيد انبازان مرا آنكه گمان كرديد پس بخواندند ايشان را پس
لهم وجعلنا بينهم موبقا ورا المجرمون النار فظنوا انهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفا
ايشان را و گردانيديم ميان ايشان هلاكگاهى را و ديدند گناهكاران آتش را پس گمان كردند كه ايشان در افتندگانند در آن و نيابند از آن گردانيدنى
ولقد صرفنا في هذا القران للناس من كل مثل وكان الانسان اكثر شيء جدلا وما منع
و بدرستيكه گردانيديم در اين قرآن مر مردمان را از هر مثلى و باشد آدمى بيشتر چيزى بحكار و نباشد
الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم الا ان تاتيهم سنة الاولين او ياتيهم
مردمان را آنكه بگروند چون آمد ايشان را راه راست و آمرزش خواهند از خداى ايشان مگر آنكه بيايد ايشان را راه پيشينيان
العذاب قبلا وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين ويجادل الذين كفروا بالباطل
عذاب روبرو و نميفرستيم پيغمبران را مگر مژدگانى دهندگان و بيم نمايندگان و ستيزه ميكنند آنانكه كافر شدند
ليدحضوا به الحق واتخذوا اياتي وما انذروا هزوا ومن اظلم ممن ذكر بايت ربه فاعرض
تا باطل كنند بآن حق را و گرفتند نشانهاى مرا و آنچه بيم كرده شدند بآن ريشخند و كيست ستمكارتر از آنكه يادكرده شود بآيتهاى خداوند او پس
عنها ونسي ما قدمت يداه انا جعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا وان
روى گردانيد از آنها و فراموش كرد آنچه پيش فرستاده است دستهاى او بدرستيكه ما كرديم بر دلهاى ايشان پوششها تا نفهمند آنرا و در گوشهاى ايشان
تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا
بخوانى ايشان را بسوى راه راست پس راه نيابند هرگز و خداوند تو آمرزنده صاحب بخشش است اگر گيرد ايشان را بآنچه
لعجل لهم العذاب بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا وتلك القرى اهلكناهم لما
بكردند شتاب كردى مر ايشان را در عذاب بلكه مر ايشان راست وعده كه نيابند از غير او پناهى و آن دهها هلاك كرديم ايشان را چون
ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا القراءة نسير الجبال على بنا الفعل للمفعول ورفع الجبال ابن كثير وابن عامر وابو
ستم كردند و كرديم مر هلاكت ايشان را وعده قراءت نسير على بنا الفعل للفاعل ونصب الجبال ما اشهد نام يزيد الاخرون على اشهدتهم

وما كنت على الخطاب دون ابن وردان عن يزيد بالياء على التكلم ويوم نقول بالنون حمزة والباقون على الغيبة لهلكهم بفتح الميم وكسر اللام حفص لهلكهم بفتحهما يحيى وحماد والمفضل بالياء بضم الميم وفتح اللام الوقوف بادية لان التقدير وقد حشرناهم قبل ذلك احداً للابتداء مع العطف صفاً للعدول والخفاء يؤاخذهم لفجئتمونا اول مرة لان بل قد يبدو بمعنى ان الكلام منحدر موعداً احصيها لاستيناف الواو بعد تمام الاستفهام مع احتمال الحال باضمار قد حاضراً احداً الا ابليس امر بربط عدداً طبقاً عضدهم عضداً موبقاً مصرفاً مثل احداً قبلاً وعضداً بالاحتمال ما بعد الحال والاستيناف هزواه بياناً وقراءة ابداه الرحمة العذاب سوءلاه موعداً التفسير لما بين خاسئة الدنيا وشر الآخرة اردفه باحوال يوم القيمة واهوالها وفيه رد على اغنياء المشركين الذين افتخروا بكثرة الاموال والاولاد على فقراء المسلمين والتقدير واذكر يوم كذا عطفاً على واضرب ويحورا ان ينتصب بالقول المضمر قبل ولقد جئتمونا وفاعل التسيير هو الله ثم الا انه سمى على احدى القراءتين ولم يسم في الاخرى فتسييرها اما الى العدم لقوله ويسئلونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً وبث الجبال بساً فكانت هباءً منبثاً واما على موضع لا يعلم الا الله وترى الارض بارزة لانه لا يبقى على وجهها شيء يستره من العمارات ولا من الجبال والاشجار واما لانها بارزة في بطنها من الاموات لقوله والقت ما فيها وتخلت فيكون الاسناد مجازياً اى بارزاً ما في جوفها وحشرناهم الضمير للخلائق المعلوم حكماً فلم نغادر منهم احداً من الاولين والآخرين بئس ما غادره واغدره اذا تركه والترك غير لائق ومنه الغدر ترك الوفاء والغدير ما غادره السيل لان اللائق بحال السيل ان يذهب بالماكل ولا يخفى ان اللائق بحال رب العزة ان لا يترك احداً من خلقه غير محشور والا كان قد ساوى علمه وحكمته وقدرته قال الشبهة في قوله وعرضوا على ربك دليل على ان حجانه في مكان يمكن ان يعرض عليه اهل القيمة وكل في قوله لقد جئتمونا واجب بانه تقع شبه وتوهم في الموضع الذي يسئلهم فيه عن اعمالهم بالعرض عليه وبالمجيء الى حكمه كما يعرض الجند على السلطان وانتصب صفاً على الحال اى مصطفين ظاهرين ترى جماعاتهم كما يرى كل واحد لا يحجب احداً واحداً والصف ما واحده اما جمع كقوله يخرجكم طفلاً اى اطفالاً او فيل صفاً اى فيلة ما وبه فسر قوله فاذكروا اسم الله عليها صوافن وقال الفقال يشبه ان يكون الصف واحداً الى الظهور والبروز ومنه التصفصف للصحراء وهذا اقرب من الاول وقد مر في الانعام ان وجه التشبيه في قوله خلقناكم انهم يبعثون عراة لا شيء معهم والمراد بعثاتهم كما انشأناكم وزعمهم ان لن نجعل الله لهم موعداً اى وفاء لانجاز ما وعد واعلى السنة الانبياء اما ان يكون خبراً واما الان اضافتهم يشبه فعل من يزعم ذلك ووضع الكتاب اى جنسه وهو صحيفة اعمال والوضع اما حسي وهو ان يوضع كتاب كل انسان في يده اما في اليمين او في الشمال واما فعلي ومعناه النشر والاعتبار فترى المجرمين مشفقين خائفين مما في الكتاب لانهم خائفون خوف العقاب وخوف الافتضاح ومعنى النداء في يا ويلتنا قد مر في المائدة في قوله يا ويلى اعجزت وقوله صغيرة او كبيرة صفتان للهنة او المعصية او الفعلة وهي عبارة عن الاحاطة وضبط كل ما صدر عنهم لان الاحصاء اما صغاراً واما كباراً فاذا حصر الصنفين فقد حصر الكل وعن الفضيل نحوا لله من الصغائر قبل الكبائر قلت وذلك ان تلك الصغائر هي التجرؤ عليها على الكبائر وعن ابن عباس الصغيرة التبسم والكبيرة القهقهة وعن سعيد بن جبير الصغيرة المسيس والكبيرة الزنا وجوز في الكشاف ان يريد ما كان عندهم صغائر وكبائر وتمام البحث في المسئلة اسلفناه في اوايل سورة النساء في تفسير قوله ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه فتذكر ووجدوا اما عملوا حاضراً في الصحف مثبتاً فيها او وجدوا جزاء ما عملوا ظاهراً على صفحات احوالهم ولا يظلم ربك احداً استدل الجبائي به على بطلان مذهب اشاعرة في ان الاطفال يجوز ان تعذب بذنوب اباءهم فان ذلك ظلم والجواب انا الظلم انما يتصور في حق من تصرف في غير ملكه قالوا ولو ثبت ان لحكم المالكية ان يفعل ما يشاء من غير اعتراض عليه لم يكن لهذا الاخبار فائدة واجيب بان تلك القضية بعد الدلائل العقلية علمت من مثل هذه الآية عن رسول الله ﷺ يحاسب الناس في القيمة على ثلثة يوسف وايوب وسليمان يدعو المملوك فيقول له لما شغلك عني فيقول جعلني عبداً لا دري فلم يزل يعني فيدعوا يوسف فيقول كان هذا عبداً مثلك فلم يمنعه ذلك ان عبدك فيؤمر به الى النار ثم يدعى المبتلى فاذا قال شغلني بالبلاء دعا ايوب فيقول فداك بلاؤه بهذا شدد من بلائك فلم يمنعه ذلك من عبادتي فيؤمر به الى النار ثم يؤتى بالملك في الدنيا مع ما اتاه الله من الغنى والسعة فيقول كالماذا عملت فيما اتيتك فيقول شغلني الملك عن ذلك فيدعى سليمان فيقول هذا عبدك سليمان اتيته اكثر مما اتيتك فلم يشغله ذلك عن عبادتي اذهب فلا اعذبك فيؤمر به الى النار ثم انه سبحانه عاد الى الرد على ارباب الجهلاء من قريش فذكر قصة ادم واستكبار ابليس عليه فقال جار الله قوله كان من الجن كلام مستانف جار مجرى التعليل بعد استثنا ابليس من الساجدين كان قائلاً قال ما له لم يسجد فقيل كان من الجن ففسق والفاء للتسبيب اى كونه من الجن في صلبه ولو كان ملكاً لما فسق لبتوت عصمة الملائكة وقال آخرون انه استثناء الجن من الاستثناء عن البعض فيشمل الملائكة والنوع المسمى بالجن ثم من لم يوجب عصمة الملائكة فظاهر ومن اوجبها لكان بمعنى ما راى مسخ عن جوهر الملائكة الى جوهر الجن وقد سلف هذا البحث بتمامه في اول سورة البقرة ومعنى ففسق عن امر ربه خرج عن طاعته وحكى الزجاج عن الخليل وسيبويه انه لما امر فعصى كان سبب فسقه هو ذلك الامر الشاق فلما حصل ذلك الفسق فلهذا حسن ان يقال فسق عن امر ربه وقال قطرب هو على حذف المضاف اى فسق عن ترك امر ربه ثم عجب من حال من اطاع ابليس في الكفر والمعاصي وخالف امر الله فقال افتتخذونه وذريته اولياء من دوني وتتركون عبادتي وطاعتي بئس للظالمين بدلاً اى بئس البدل من الله ابليس وذريته من اهل الكتاب وعرفوا صحتها فلن لا يصح الاحتجاج بها عليهم وان لم يعتقدوا وكون محمد ﷺ نبياً بئس للظالمين بدلاً اى بئس البدل من الله ابليس لمن اتبعه بدل طاعته قال الجبائي في الآية دلالة على ان لا يريد الكفر ولا يخلق فيه والا لم يصح هذا الذم والتوبيخ وعورض

بالعلم والداعي كما مر مرارا فال اهل التحقيق ان الداعي لكفار قريش الى تركهم دين محمد ﷺ هو التجبر والعجب والرفع والتكبر وهذا شان ابليس ومن تابعه فكل من كان غرضه من العلم والعمل الفخر على الاقران والترفع على ابناء الزمان فانه مقتدى بابليس وذريته وهذا مقام صعب نسال الله الخلاص منه ثم دل على فساد عقيدة اهل الشرك وبطلان طريقتهم بقوله ما اشهدتهم فالاكثرون على ان الضمير للشركاء والمراد انهم لو كانوا شركاء الى في خلق السموات والارض وفي خلق انفسهم يعني لو كان بعضهم يشاهد بعض خلق بعض شاركين له في فعله ولا تفاسلوا انفسكم لا يمكن ان يكونوا شركاء الى في العبادة لكن الملزوم المساوي منتف فاللازم مثله يؤيد هذا التفسير قوله وما كنت متخذ المضلين اي تتخذهم عضدا لعوانا توضع المضلين موضع الضمير تنبيها عليهم بالاضلال وقيل الضمير للمشركين الذين لتمسوا طرد فقراء المؤمنين والمراد انهم ما كانوا شركائي في تدبير العالم بدليل انى ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم وما اعتضدت بهم في تدبير الدنيا والاخرة بل هم قوم كسائر الخلق يظهر ان من افترح علينا اقتراحات عظيمة فانا نقول له لست سلطان البلد ولا تدبير المملكة حتى نقبل منك كل اقتراحاتك وقيل اراد بهؤلاء الظالمين جاهلون بما جرى به القلم في الازل من احوال السعادة وضدها لانهم لم يكونوا شاهدين خلق العالم فكيف يمكنهم ان يحكموا بحسن حالهم عند الله وبشرفهم ورفعتهم عند الخلق وبانضداد هذه الاحوال للفقراء ومن قراوا كان بفتح التاء فالخطاب للرسول والمعنى وما صح للاعتضاد بهم وما ينبغي لك ان تعتبرهم ثم عاد الى ما هو بيانهم باحوال يوم القيمة واضاف الشركاء الى نفسه على معتقدهم توبيخا لهم وفحوى الكلام يا محمد احوالهم واحوال الهتهم يوم القيمة اذ يقول الله لهم نادوا اى ادعوا من زعمتم انهم شركاء فاهلكنا هم للعبادة فال المفسرون اراد الجن فدعوهم لم يذكر في هذه الاية انهم كيف دعوا فال الشركاء ولعل المراد بما في الاية الشدة هلاك كفولهم لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا وقال الفراء البين الوصل والمراد جعلنا تواصلهم في الدنيا هلاكا يوم القيمة وفي الكشاف الموبق المهلك وهو مصدر كالموزد اى جعلنا بينهم وادیا من اودية جهنم مشتركا هو كان الهلاك والعذاب الشديد يهلكون فيه جميعا وجوز ان يريد بالشركاء الملائكة وعزيرا وعيسى وجرهم وبالموبق البرزخ اى جعلنا بينهم امدا بعيدا وهيلا فيه الشر الفرط بعده لانهم في نعيم جهنم وهم في اعلى الجنان فوله فظنوا قبل علموا وايقنوا والاظهر ان الكفار يرون النار من مكان بعيد فيغلب على ظنونهم انهم مخالطوها واقعون فيها في ذلك الساعة من غير تاخير ولا مهلة لشدة ما يستعيض من غيظها فظنوا اذا انهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا ولم يجدوا عنها مصرفا اى معدلا الى غيرها لان الملئكة يسوقونهم اليها اخرا لامر ولما ذكر ان الكفرة افتخروا على فقراء المسلمين بكثرة اموالهم ومنصرفاتهم واجاب عن شبههم واوهامهم الفاسدة وضرب لامثال الناقصة وحكى اقوال الاخرة قال ولقد صرفنا وقد مر تفسيره في السورة المتقدمة وحين ابتلى الكفار بجدالهم وكانوا ابدا يعالجون بالاعذار الواهية ختم الاية بقوله وكان الانسان اكثر شيء جدلا يعني ان الاية التي بنا في شان الجدال فضلها واحد بعد واحد فان الانسان اكثر ها خصوصا بقوله اكثر شيء كقوله اولم يروا وقد مر في الانعام وكثرة جدل الانسان لسعة مضطربه فيما بين وقوع الملكة الى حقيض البهيمة فليس له في جانبي التضاعد والتسافل مقام معلوم قال اهل البرهان قوله تعالى في سورة بني اسرائيل وما منع الناس ان يؤمنوا ازجاء هم الهدى وقال في هذه السورة بزيادة ويستغفروا ربهم لان المعنى هناك ما منعهم عن الايمان بمحمد ﷺ الا قولهم ابعث الله بشرا رسولا هلا ملكا وحملوا ان انجاس بورك التواني ومعنا في هذا الموضع ما منعهم الاباء والاستغفار والاتيان بسنة المرسلين وانتظار ذلك وعن ابن عباس الاطلب سنتهم وهو قولهم ايتنا هذا اهو الحق وزاد في هذه السورة وليستغفروا ربهم لان قوم نوح امروا بالاستغفار استغفروا ربكم انه كان غفارا وكان اقوام هود وصالح امنوا بالاستغفار ثم توبوا اليه وقوم صالح وامنوا بالاستغفار ثم توبوا اليه ان ربي قريب مجيب وقوم شعيب استغفروا ربكم ثم توبوا اليه ان ربي رحيم ودود فلما خوفهم هذا الاولين اجرى الخاطبين بخواتم الخواتم لا يقدمون على الايمان والاستغفار الا عند نزول عذاب لا يستاصل او عند تواصل اصناف البلاء عليهم او من قرائنهم ان اراد تواجميع وقيل قال المعتزلة في الاية دلالة على ان لا مانع من الايمان اصلا وقالت الاشاعرة العلم بانه لا مؤمن والداعي لدى يخلقه الله في الكافر يمنعانه فالمراد فقدان الموانع المحسوسة ثم بين انا ما ارسل الرسل مبشرين بالثواب على الطاعة ومنذرين بالعقاب على المعصية لكي يؤمنوا طوعا وبين ان مع هذه الاحوال يجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به ليبطلوا بالحق من ادحاض القدم وهو ان لا قها والحذ وابانى وما انذروا اى الذي انذروا من العقاب انذارا هم هزوا وموضع استهزاء فال ابن عباس الله حذاهم فولهم ما انتم الا بشر مثلنا ولو شاء الله لانزل ملئكة وما انبئنا للكذب فال اهل العرفان قوله ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه اى بالقران يبدل قوله ان يفقهوه بتذكير الضمير فاعرض عنها ونسي ما قدمت يداه من الكفر والمعاصي فلم يتفكر وفي عاقبتها ولم يتدبر في خواتيمها مثل القدرية وانما قال في النجم ثم اعرض عنها لان ما في هذه السورة في الكفار الاحياء الذين بانهم متوقع بعد اى ذكروا فاعرضوا عقيب ذلك وما في النجم في الكفار الاموات بدليل قوله ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم اى كرورة بعد اخرى وزمانا بعد زمان ثم اعرضوا عنها الموت فلم يؤمنوا وانقطع رجاؤهم وقوله انا جعلنا وقدم بيانه في الانعام الى قوله فلن يهتدوا ابدا مثل الحجة وقد مر في القران دليلا لاحد الفريقين الا ومعه ليل للفريق الاخر فهذا مثله بتلاء من الله ولعله اراد بذلك اظهار مغفرته ورحمته على عباده كما قال ورتبك الغفور ذو الرحمة قال المفسرون الضمير في قوله لو يؤاخذهم لاهل مكة الذين اقترحوا في عداوة رسول الله ﷺ والموعد يوم بدر وقيل لا يبعد ان يكون الضمير للناس في قوله ولقد ضربنا للناس والموعد القيمة والموئل الملجا يوئل اذا لجا والى الله اذ لجا اليه قال الامام فخر الدين الرازي انما ذكر لفظ المبالغة في المغفرة دون الرحمة لان المغفرة ترك الاضرار والرحمة ربما

النفع وقدرة الله تعم فيتعلق بالاول لان لا مضار لانهاية لها ممكن ولا يتعلق بالثاني لان فعل ما لانهاية له محال اول هذا فرق دقيق لوسئل عنه النقل على ان قوله ذو الرحمة ايضا لا يخلو عن مبالغة وكثيرا ما ورد في القرآن انه غفور رحيم بلفظ المبالغة في الجانبين وفي تعلق القدرة بترك غير المتناهي ايضا نظر لان مقدورات الله متناهية لا فرق في ذلك بين المبقى والمفروك ثم اشار الى فرق آخر بين اعتبار التعبير فقال وتلك القرى باسم الاشارة مبتداء وفيه تعظيم لشانهم او تبعيد لزمانهم ومكانهم والقرى صفة وما بعده خبره ولا يخفى ان المضاف اي وتلك اصحاب القرى اهلكناهم ويجوز ان يكون تلك القرى منصوبا باضمار اهلكنا على شريطة التفسير وجعلنا لزمان اهلاكهم اولا اهلاكهم اوفى اهلاكهم موعدا وعدا لوقت وعدا بتاخرون عنه كما ضربنا لاهل مكة يوم بدر والمراد انا عجلنا اهلاكهم ومع ذلك لم ندع ان نصرنا لرسولنا وقتا يمكنهم التوبة قبل ذلك النبأ والخبر ويوم نسير الجبال وهي الابدان الجامدة عن السلوك ونرى الارض النفوس بارزة خالية عن موانع الطريق وحشرناهم جمع القوى البشرية وعرضوا على ربك صفا لكل قوة ولكل جوهر نشاة يليق بها فالروح في صف الارواح والقلب في صف القلوب وكذا البقية وقوله لقد جئتمونا كما خلقناكم اول مرة على هيئة الفطرة وقيل الانبياء في صف والاولياء في صف والمؤمنون في صف والكافرون والمنافقون في الصف الاخير لا يغادر صغيرة هي كل تفرق في شيء بالشهوة النفسانية وان كان من المباحات ولا كبيرة هي الصرف في الدنيا على وجه محب الدنيا راس كل خطيئة ما اشهدتهم لاني لا اشهد الا اولياني كما فلت سرهم ايانا في الافاق وفي انفسهم وراى المجرمون النار راوا في الدنيا اسباب النار من الشهوات والاثام فوقعوا فيها ولم يجدوا عنها مصرفا من الديانة والايمان الحقيقي فازاروا النار في الاخرة ايقنوا انهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفا كما يغشون ويموتون وكما تموتون تبعثون وكان الانسان اكثر شيء جدلا فنازعه مجادل في التوحيد واخرى في النبوة ومرة في الاصول ومرة في الفروع ولهذا كثرت المذاهب والاديان والملل والنحل وسئال الصواب من ملهم وطامع الناس ان يوفقوا ازجاء هم اسباب الهداية ويستغفروا ربهم انكانوا من نبيهم الا ان تاتيهم سنة الاولين من الانبياء والاولياء والمؤمنين وهي جريان العناية لاهل الهداية كقوله في حضرة النبي والله لولا الله ما اهتدينا او ياتيهم العذاب قبلا كقوله لابي جهل انا بنى المستهزئين وإذ قال موسى لفتيه لا ابرح حتى ابلغ مجمع البحرين او امضي حقبا فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله في البحر سربا فلما جاوزا قال لفتيه اتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قال ارايت اذ اوينا الى الصخرة فاني نسيت الحوت وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا قال ذلك ما كنا نبغ فارتدا على اثارهما قصصا فوجدا عبدا من عبادنا اتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمن مما علمت رشدا قال انك لن تستطيع معي صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا قال ستجدني ان شاء الله صابرا ولا اعصي لك امرا قال فان اتبعتني فلا تسئلني عن شيء حتى احدث لك منه ذكرا فانطلقا حتى اذا ركبا في السفينة خرقها قال اخرقتها لتغرق اهلها لقد جئت شيئا امرا قال الم اقل انك لن تستطيع معي صبرا قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من امري عسرا فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما فقتله قال اقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا قال الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا قال ان سالتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني

عذرا فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية استطعما اهلها فابوا ان يضيفوهما فوجدا فيها جدارا

يريد ان ينقض فاقامه قال لو شئت لاتخذت عليه اجرا قال هذا فراق بيني وبينك

سانبئك بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر

فاردت ان اعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا واما الغلام فكان ابواه مؤمنين

فخشينا ان يرهقهما طغيانا وكفرا فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه زكوة واقرب رحما و

اما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان ابوهما صالحا فاراد

ربك ان يبلغا اشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن امري ذلك تاويل

ما لم تسطع عليه صبرا القراءة انبا بضم الهاء محض وقرأ على بالاشمام مع كسرها يقفى بالياء في الحالين

انبأتك تنبئك براء وشعبة انبأ على الخط المصحف رشد بفتحتين ابو عمرو ويعقوب بضمتين ابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان

الباقون برشد بضم الراء وسكون الشين مثل بخل بفتح الياء محض بخذف ان بفتح الياء ابو جعفر ونافع فلا دسائل بنون التاكيد للتثقيل وابثات

الياء ابو جعفر ونافع وابن عامر بخذف الياء ابن مجاهد عن ابن ذكوان والاحسن اثباتها لانه شاذ عن اهل الشام الاخرون بنون لونا غير وصلا و

ان الغرق اسكانها بنيا العنبة وفتحها مع فتح اللواء ورفع الاهل حمزة وعلي وخلف الباقون ببناء الخطاب مضمومة وكسر الراء من الاعراف وبصلها هل اكيد

على فاعلة ابو جعفر ونافع وابن عامر ويعقوب الاخرون ذكيرة على فعيلة بتشديد الياء حيث كان ابو جعفر ونافع غير اسماعيل وابن ذكوان وسهل ويعقوب وابو

بكر وحماد نكرا وتعجبني الصحبة مع وزيد الاخرون من المصاحبة من لدني خفيفا ابو جعفر ونافع وابو بكر وحماد والمفضل بضمتين من الاضافة المفضل

لخذت من اتخذ غيا ابو عمرو وسهل ويعقوب الباقون بكسرتها وقرا ابن كثير بالاظهار لخذت من الاتخاذ وقرا حفص والمفضل والاعشى والبرجمي منظور

بدلا هما من البدل وكذا في سورة التحريم ويون وعلم ابو جعفر ونافع وابو عمرو الاخرون مع الابدال ادغما بتشديد الميمين ابن عامر وزيد عباس وسهل ويعقوب

الباقون بسكون الحاء الوقوف خاسرين بالغداة الابتداء بالانقطاع النظم مع قصد انفصال المعنى نصباه الموت لتمام الاستفهام التعجب مع اتحاد القائل والمقول

حالا ان ذكره ان بعده لا يتهيا والحال في الجر وقيل عليه تم كلام موسى عجبا ابتدا موسى عجبا اي عجب الله لذلك عجبا والوصل اجود اي يتبعه عجبا

او اتخاذا عجبا وقف به قد قيل تمام قول احدهما والابتداء بفعلهما والوجه الوصل لعطف الفعل وسرعة الرجوع على الامور فقصاه لانصال النظم و

اتحاد الحال العلماء رشدا صبرا خبرا امره ذكره فانطلقا لان حتى اذا للابتداء مزهاء اهلها لانقطاع النظم واتحاد القائل امراه صبرا عليه فانطلقا

لما مر فصله لان قال جواب اذا بغير فصل للفصل بين الاخبار والاخبار بكراه نصف السبع ونصف القرآن والجزء السادس عشر والربع الثالث صبرا فلا

تسالني لاختلاف الحالين عذرا فانطلقا انه قام اجراه وبينك صبرا عصاه وكفرا للعطف مع الابتداء رحما صالحا لما قبلها من باب عن امر وقف

صبرا لانقطاع الفصة التفسير هذا وقصة اوردها الله تعالى ليعين على المقاصد السابقة مع كونها مستقلة في الافادة اما نفعها في قصة اصحاب الكهف

فهو ان اليهود ان اخبرهم محمد عنها فهو نبي وان لا فلا فذكر الله تعالى قصة موسى والخضر ليدلها على ان النبي لا يلزم ان يكون عالما بجميع الفضل والاحوال وانما نفعها

في الرد على كفار قريش حيث افتخروا على فقراء المسلمين بكثرة الاموال والانصار فهو ان موسى مع كثرة علمه وعلو منصبه استحكم موجبا الشرف التام

في خضوعه لخضر لاجل العلم فدل ذلك على ان التواضع خير من التكبر واكثر العلماء على ان موسى المذكور في الآية هو موسى بن عمران صاحب

التوراة والمعجزات وعن سعيد بن جبير انه قال لابن عباس ان نوفا ابن امراة كعب يزعم ان الخضر ليس بصاحب موسى بن عمران وانما هو صاحب موسى من بني اسرائيل

وهو فتاه كان نبيا قبل موسى بن عمران فقال ابن عباس كذب عدو الله واجمع الاكثرون على صحة قولهم بان موسى حيث اطلق في القرآن اريد به موسى بن عمران

فاو كان المراد ههنا شخصا اخر لوجب تقييده بحيث يتميز عن المشهور جمعا للافلين والى ذهب جمهور اليهود ان موسى بن عمران بعد ان خصه الله تعالى

بالمعجزات القاهرة التي لم تتفق لمن قبله ولا بعده ان يتوهم بالعلم والاستفادة واجيب بان العالم الكامل في اكثر العلوم قد يجهل بعض المسائل

فيحتاج الى تعلمها الى من يخص بعلمها اما فتى موسى فالاكثرون على انه يوشع بن نون وروي هذا القول عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن ابي

كعب عن النبي وقيل هو اخو يوشع وكان مصاحبا لموسى في السفر وعن الحسن انه اراد عبده ويؤيده ما روي انه قال لبعل احد كرفتاى فتاني ولا

عباده ثم اعلم انه قال اهل السير ان موسى لما ظهر على سر مع بني اسرائيل واستقروا بها بعد هلاك القبط امره الله ان يذكر قومه النعمة فقام فيهم خطيبا فذكر نعمة الله فقال انه اصطفى نبيكم وكلمه فقالوا له قد علمنا هذا فاى الناس اعلم قال انا فعتب الله عليه حين لم يرد العلم الى الله فاوحى الله اليه بل اعلم منك عبدا بمجمع البحرين وهو الخضر وكان الخضر في ايام افريدون قبل موسى ع وكان على مقدمة ذي القرنين الاكبر وبقي الى ايام موسى ع روى ان موسى سال ربه اى عبادك احب اليك قال الذي يذكرني ولا ينساني قال فاى عبادك اقضى قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى قال فاى عبادك اعلم قال الذي يبتغي علم الناس الى علمه عسى ان يصيب كلمة تدل على الهدى وترده عن ردى فقال ان كان في عبادك من هو اعلم مني فادللني عليه قال اعلم منك الخضر قال فاين اطلبه قال على الساحل عند الصخرة قال يا رب كيف لي به قال تاخذ حوتا في مكتل فحيثما فقدته فهو هناك فقال لفتاه اذا فقدت الحوت فاخبرني فرقد موسى ع فاضطرب الحوت ووقع في البحر فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا فناه بوقوعه في البحر فاذا رجل مسجى بثوبه فسلم عليه موسى فقال وانى بارضنا السلام فعرفه نفسه فقال يا موسى انا على علم علمنيه الله لا تعلمه انت وانت على علم علمكه الله لا اعلمه انا فلما ركبا السفينة جاء عصفور فوقع على حرفها فقرع في الماء فقال الخضر ما ينقص علمي وعلمك من علم الله مقدار ما اخذ هذا العصفور من البحر قلت وهذا صحيح لان علم الانسان متناه وعلم الله غير متناه ولا نسبة للمتناهي الى غير المتناهي اصلا ولنرجع الى التفسير قال الزجاج وبعضهم جاز الله لا ابرح بمعنى لا ازال وقد حذف الخبر لدلالة حال السفر عليه ولان قوله حتى ابلغ غاية مضروبة فلا بد لها من ذي غاية فالمعنى لا ازال اسير حتى ابلغ على ان حتى هو الجر حذف المضاف وهو المسير وافيم المضاف اليه وهو انا المتكلم مقامه فانقلب الفعل من لفظ الغايب الى لفظ المتكلم وجوزا ايضا ان يكون لا ابرح بمعنى لا ازول من برح المكان والمعنى لا ابرح ما انا عليه اى لا ازال المسير الطلب حتى ابلغ مجمع البحرين يعني ملتقى بحر فارس والروم وقد شرحنا وضع البحار في سورة البقرة في تفسير قوله والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وقيل اراد بحر طبرستان وقيل افريقية ومن غرايب التفاسير ان البحرين موسى والخضر لانهما بحرا العلم وهذا مع غرابته مستشنع جدا لان احد البحرين اذا كان هو موسى فكيف يصح ان يقول حتى ابلغ مجمع البحرين اذ يؤول حاصل المعنى الى قولنا حتى ابلغ بكانا يجتمع فيه بحران من العلم احدهما انا او امضي حقبا اسير زمانا طويلا قال ابن عباس رضي الله عنهما الحقب بالضم ثمانون سنة وبعضهم اكثر من ذلك وقيل انه تعالى اعلم موسى حال هذا العالم وما اعلمه موضعه بعينه فقال موسى لا ازال امضي حتى يجتمع البحران او اصير البحر واحدا او امضي دهرا طويلا حتى اجد هذا العالم وهذا اخبار من موسى ع بلزوم وطن نفسه على تحمل التعب الشديد الى ان يلقاه وفيه تنبيه على شرف العلم وان طالب العلم ينبغي له ان لا يسافر ويتحمل المشاق في الطلب من غير ملال وكلال فلما بلغا مجمع بينهما قال جمهور المفسرين الضمير للبحرين اى التقى فاما موسى وبلغ المكان الذي وعد فيه لقاء الخضر ولا بد للبين من فائدة ولعل المراد حيث يكاد يلتقي وسط ما امتد من البحرين طولا او اضافة بمعنى في اى مجمعا في وسط البحرين فيكون كالتفصيل لمجمع البحرين والبيان والايضاح بكلام علام الغيوب تعالى اولى من بكلام موسى والبين بمعنى الافتراق اى البحران المفترقان بمجمعهما هنالك ويحمل على هذا ان يعود الضمير الى موسى والخضر اى وصلا الى الموضع الذي وعد اجتماع مثلهما هنالك او البين بمعنى الوصل لانه من الاضداد فيفيد مزيدا لتاكيد كقولهم جد جده وهذه الوجوه مما لم احدهما في التفاسير فان كن صوابا فمن الله والافمني ومن الشيطان نسيا حوتهما لانه تعالى جعل انفلات الحوت حيا علامة على مسكن الخضر قيل ان القوم كان يغسل السمكة لانها كانت مملوحة فطفرت وسارت وقيل ان يوشع توضا في ذلك المكان فانتضح الماء على الحوت الميت فعاش ووثب الى الماء وقيل انفجر هناك عين من الجنة ووصلت قطرات من تلك العين الى السمكة فحييت وطفرت الى البحر ونسبا الحوت الذهول عن الامتثال لهذه الحالة المخصوصة على الوصول الى المطلوب والسبب في هذا الذهول مع ان هذه الحالة كانت امارة لهما على الطلبة التي تناهضا من اجلها هو ان يوشع كان قد تعود مشاهدة الخوارق الظاهرة فلم يبق لحوت السمكة وقيام الماء وانتصابه مثل الطاق ونفوذها في مثل السرب موقع عنده وقيل ان موسى لما استعظم على نفسه ازال الله عن قلبه صاحبه هذا العلم الذي يشبه الضروري تنبيها لموسى على ان العلم لا يحصل الا بتعليم الله وحفظه على قلوب عباده وانتصاب قوله سربا على انه مفعول ثان لاتخذ اى اتخذ سبيله سربا وموريا في الارض وذلك ان الله تعالى امسك اجزاء الماء الجري وجعله كالكوة حتى سرى الحوت فيه معجزة لموسى وللخضر وقيل السرب هو الذهاب والتقدير سرب في البحر سربا الا انه اقيم قوله واتخذ سبيله مقام سرب فلما جاوزا اى موسى وفتاه الموعد المعين وهو الصخرة قال موسى لفتاه آتنا غداءنا وهو ما يؤكل بالغداة لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا تعبا وجوعا قال المفسرون قوله من سفرنا هذا اشارة الى مسيرهما وراء الصخرة ولم ينصب لاجاع قبل ذلك قال الفتى متعجبا ارايت وهو محذوف لدلالة قوله فاني نسيت الحوت عليه كانه قال ارايت ما دهاني ووقع لي اذ اوينا الى الصخرة قبل هي الصخرة التي دون نهر الزيت فاني نسيت الحوت عليه ثم ذكر ما يجري مجرى السبب في وقوع ذلك النسيان فقال وما انسانيه الا الشيطان وان اذكره بدل الاشتمال من الهاء في انسانيه اى وما انساني ذكره قال الكعبي لو كان النسيان بخلق الله وارادته لكان انساد ذلك الى الله تعالى اولى من انساده الى الشيطان اذ ليس في وسعه ولا اثر وقال القاضي المراد بانسانيه الشيطان ان يشغل قلب الانسان بوساوسه التي هي من فعله دون النسيان الذي يضاد الذكر لان ذلك لا يصح ان يكون الا من قبل الله تعالى قال اهل البرهان لما كان اتخاذ الحوت سبيلا في البحر ماكا ينبغي اى انه الذي كان طلبه لانه امارة الظفر بالمطلوب عقيب النسيان ذكرا ولا فاتخذ بالفاء ولما جعل بينهما ثانيا جملة معترضة هي قوله وما انسانيه ازال بعض التعقيب وبقي العطف المجرد فقال واتخذ سبيله

شلما

بالواو وانتصاب عجبا كما مر في سربا قال ﷺ كان للحوت سربا ولموسى ومن تبعه عجبا قال موسى ذلك يعني اتخاذ الحوت لسبيله في البحر ما كنا نبغي اي انه الذي كنا نطلبه لانه امارة الظفر بالمطلوب فارتدا على اثارهما قصا على طريقهما المسلوك قصصا مصدر لانه بمعنى الارتداد على الاثر اي يتبعان اثارهما اتباعا او هو مصدر في موضع الحال اي جعلا على الطريق الذي جاء منه مقتصين فوجدا عبدا من عبادنا الاكثرون على ان ذلك العبد كان نبيا لانه نعت وصفه بقوله اتيناه رحمة من عندنا والرحمة هي الوحي والنبوة بدليل قوله ايقسمون رحمة ربك ونحن قسمنا بينهم معيشتهم وما كنت ترجو ان يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك ومنع ان كل رحمة نبوة قلنا وصفه بقوله وعلمناه من لدنا علما والعلم المختص به نحو هو الوحي والاخبار بالغيوب وايضا قال في اخر القصة وما فعلته عن امري اي عرفته وفعلته بامر الله وذلك مستلزم للوحي وروي ان موسى لما وصل اليه قال السلام عليك فقال وعليك السلام يا نبي اسرائيل فقال من عرفك هذا قال الذي بعثك الى الصوفية سموا العلوم الحاصلة بطريق المكاشفات العلوم اللدنية والحقيقة فيها اذا ضعفت القوى الحسية والجبلية بواسطة الرياضة فوجب القوة العقلية واشرقت الانوار الالهية على جواهر العقل ويفيض عليه من عالم الارواح انوار يستعد بسببها لملاحظة اسرار الملكوت ومطالعة عالم اللاهوت والاكثرون ابوا على ان ذلك العبد هو الخضر سمي بذلك لانه كان لا يقف موقفا الا اخضر ذلك الموقف قال الجبائي روي ان الخضر انما بعث بعد موسى من بني اسرائيل فان صحت الرواية لم يكن ذلك العبد الخضر لانه بعث بعده وبتقدير كونه معاصرا له فانه اظهر المعجز على موسى حين قال وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا وان موسى اظهر التواضع له حين قال له اعصي لك امرا مع انه كان مبعوثا الى الكافة بنبي اسرائيل لم يجز ان يكون الخضر افضل والا لم يكن اعلى حالا من النبي وان لم يكن الرواية صحيحة لان لا يكون الخضر من بني اسرائيل لم يجز ان يكون الخضر افضل من موسى لانه تعالى قال لبني اسرائيل واني فضلتكم على العالمين واجيب بانه يجوز ان يكون غير النبي فوق النبي في علوم لا يوقف نبوته عليها قال العلماء ان موسى رأى مع الخضر في قوله هل ابعك انواعا من الادب منها انه جعل نفسه تبعا له مطلقا وفيه ان المتعلم يجب عليه الخدمة وتسليم النفس والانقياد لامثاله فعال الاستاذ وافعاله على جهة التبعية لا الامتثال فان المتابعة هي الاتيان بمثل فعل الغير لاجل كونه فعلا لذلك الغير ولهذا لسنا متبعين لليهود في قولنا لا اله الا الله لانا لا نقول كلمة التوحيد لاجل انهم قالوا ها بل لقيامها الدليل على قولها ولكنا متابعون في الصلوات الخمس للنبي لانا نأتي بها لاجل انه اتى بها ومنها ان استاذ في اتيان هذه التبعية ومنها انه قال ان علمت ما علمت وفيه اقرار على استاذه بالعلم وفيه انه لا يطلب منه الا بعض علمه ولم يطلب منه ان يجعله مساويا له في العلم كما يطلب الفقير من الغني ان يرفع اليه جزءا من اجزاء ماله لا كله وفيه اعتراف بان ذلك العلم علم الله تعالى والاسمى فاعله وفيه اشعار بان تعاطيه على هذا التعليم شبيه بانعام الله عليه وفيه ومن هنا قيل ان عند من علمني حرفا ومنها ان الخضر عرف انه نبي صاحب المعجزات المشهورة ثم انه مع هذه المناصب العلية والمراتب السنية لم يطلب منه المال والجاه وانما طلب التعليم فقال على ان تعلمني فدل ذلك على ان التواضع كمال فوق كمال العلم وانه لا يحسن صرف الهمة الا الى تحصيله وفيه ان كل من كان اشد اطلاعا بالعلوم اكثر كان علمه بنقائصها من البعد والاستعداد اكثر وكان حرصه على ازديادها اوفر ومنها انه قال رشدا وهو يصلح ان يكون مفعولا لتعلمني و لعلمتاني علما ذا رشد اي رشد يرقى في دنيا وفيه تعظيم لما سيعلمه فان الارشاد هو الامر الذي لو لم يحصل حصل الضلال ثم انه تعالى حكى عن الخضر انه قال بظواهر الامور شرعا فانما للسان يعبر عليها وخبرا بمعنى اي لم تحط به خبرك او هو مصدر لكونه في معنى الاحاطة امتدلت الاشاعرة بالاية على ان الانقطاع لا يحصل قبل الفعل والا لكانت الاستطاعة على الصبر حاصلة قبل الصبر فيكون قول الخضر بمعنى الانقطاعة كذبا وكذا قوله وكيف تصبر لانه استفهام في معنى الانكار اي لا تصبر البتة اجاب الجبائي بانه اراد بنفي الاستطاعة انه يثقل عليه الصبر لانه لا يستطيعه يقال في العرف ان فلانا لا يستطيع ان يرى فلانا وان يجالسه اذا كان يثقل عليه ذلك ولهذا قال له موسى ستجدني ان شاء الله صابرا ولا اعصي لك امرا اعصي اي بمجدني غير عاص لك امرا ويجوز ان يكون قوله ولا اعصي جملة مستأنفة معطوفة على مثلها اي ستجدني ولا اعصي قال اهل السنة في قوله ان شاء الله بطريق التبرك والصبر مأمور به دليل على انه تعالى لا يأمر بما لا يريده من العبد الا ما اوجبه عليه قالت المعتزلة انما ذكره بطريق الادب واجيب بان هذا الادب ان صح معناه فقد ثبت المطلوب وان فسد في ادب في ذكر الكلام الباطل قالت الاصوليون في قوله ولا اعصي دليل على ان ظاهر الامر للوجوب لان تارك الامر عصى هذه الاية والعاصي يستحق العقاب لقوله ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم قال المحققون في قول الخضر تغليط وتجهيل وفي قول موسى تحمل وتواضع فدل ذلك على ان المعلم ان رأى التغليط على المتعلم فيما تعبده نفعا وارشادا الى الخير فالواجب عليه ذكره وعلى المتعلم ان يتلقاه بالبشر والطلاقة ثم قال فان اتبعتني فلا تسألني شرط على موسى في اتباعه ان لا يسأل عما خفي عليه وجه صحته حتى يكون الخضر هو المبتدئ بتعليمه اياه واخباره عن وجه الحكمة فيها تطفلا على اهل الجبر يطلبان السفينة وقال الرازي وجوه الانبياء وجمل عروة الخضر فحلوها بلا اجرة فلما حصلوا في اللجة اخذ الخضر الفاس فخرق السفينة بان قلع لوحين من الواحها مما يلي الماء فجعل موسى يسد الخرق بثيابه ويقول اخرقتها لتغرق اهلها لقد جئت شيئا امرا انيت شيئا عظيما يقال امر الامر اذا عظم وهو في الشيء العجيب الذي لا يعرف له شبيه امرا مر اجنح الطاعنون في عصمة الانبياء بان موسى اعترض على الخضر بعد تكيد العهود والمواثيق وذلك ذنب واجيب بانه لم يقل ذلك اعتراضا وتوبيخا ولكنه احتج بان يقف على حكمة ذلك الامر الخارج عن العادة او انه خالف الشرط بناء على النسيان ولهذا قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا مؤاخذة على الناسي وما موصولة او موصوفة او مصدرية اي بالذي نسيته وجوز في الكشاف ان لا يكون ناسيا في الحقيقة ولكنه اوهم بقوله لا تؤاخذني بما نسيت انه

قد نسي ليبسط عذره في الاعتراض على العالم وهو من معاريض الكلام التي ينفي بها الكذب مع التوصل الى الغرض وجوز ايضا ان يكون النسيان بمعنى الترك اي بما تركت من شيئك اولا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من امري عسرا اوارد باحرام المنايعزاي تشير علي منايعنك بالاعتراض ومنه المنافقة وانما قال في هذه القصة خرقها بغير فاء لانه جعله جزاء للشرط وفي قصة الغلام بنتاول الشاب البالغ كما بتناول الصغير ومنه قولهم راى الشيخ خرمن شهد الغلام واصله من الاغتلام وهو شدة الشبق وليس في القران انهما كيف اضياه وهل كان يلعب مع جمع من الغلمان اوكان منفردا وهل كان مسلما اوكان كافرا وهل كان بالغا اوكان صغيرا واسم الغلام بالصغير اليق الا انه بغير نفس بالبالغ البتة لان الصبي لا يقتل قضاصا وعن ابن عباس ان نجدة الحروري الخارجي كتب اليه كيف جاز قتله وقد نهى رسول الله ﷺ عن قتل الولدان فكتب اليه ان علمت من حال الولدان ما علمه عالم موسى فلك ان تقتل قال الكسائي الزاكية والزكية لغتان ومعناهما الطاهرة ظاهرة عنده قبل النكر اقل من الامر لان قتل نفس واحدة اهون من اغراق اهل السفينة وقيل النكر اشد لان ذلك كان خرقا يمكنه تداركه بالسد وهذا لا سبيل الى تداركه وايضا الامر العجب الذي يتعجب منه في الخير والشر والنكر ما ينكره العقول فهو شر وظاهر الاية يدل على ان موسى استبعد ان يقتل النفس الا بالنفس وليس كذلك لانه قد يحل القتل باسباب الا سباب ولعله اعتبر السبب الاقوى واختلفوا في كيفية قتله فقيل قتله بضربة برجله الحائط وعن سعيد جبير اضجعه ثم ذبحه بالسكين ثم انه سبحانه حكى عن الخضر انه زاد على ان ذكره ما عاهد عليه فقال الم اقل لك وانما زاد ههنا لك لان الانكار اكثر وجوب العتاب اقوى وقيل اكد التقرير الثاني بقوله لك كما تقول لمن توبخه لك القول ولك اعني وقيل بين في الثاني المقول له لما لم يبين في الاول فعند هذا قال موسى ان سالتك عن شيء بعدها بعد هذه المرة او المسئلة فلا تصاحبني فهاهنا صرح مع صعوبته على المتعلم لظهوره عنده كما قال قد بلغت من لدني عذرا وهذا كلام نادم شديد الندامة حرجه المقال واضطره الحال الى الاعتراف وسلوك سبيل الانصاف عن رسول الله ﷺ رحم الله اخي موسى استحى فقال ان سالتك فاثبت فاعتذر حتى اتينا اهل قرية هي انطاكية وقيل الابلة وهي اسبعد ارض الله من السما استطعما اهلها وكان حق الايجاز ان يقول استطعماهم فوضع الظاهر موضع المضمر للتاكيد كقوله ليث الغرابي غداه بغث بثنا كان الغراب مقطع الاوداج وايضا لعله كره اجتماع الضميرين المتصلين في مثل هذا اللفظ لما فيه من الكلفة والبشاعة والاستطالة فابوان يضيفوهما فابوا ان يضيفوهما يقال اضاه وضيفه اذا انزله وجعله ضيفه والتركيب يدار على الميل من ضاف السهم عن الغرض اذا مال عنه فسمي الميل الى المضيف عن البيت كانوا اهل قرية لئاما قيل الاستطعام ليس من عادة الكرام فكيف فعلوا ما علموا وايضا الضيافة من المندوبات وترك المندوب غير منكر فكيف جاز لموسى ان يغضب عليهم حتى ترك عهده صاحبه وقال لو شئت لاتخذت عليه اجرا واجيبوا بانا لو حملنا الاجتماع بحيث ضعف عن الطاعة او اشرف على الهلاك لزمه الاستطعام ووجب اجابته والسفيه ان يقول لو كان قد بلغ الجوع الى حد الهلاك لقدر على اصلاح الجدار ويجيب ان يقول انه اقام الجدار معجزة فقد روي انه مسحه بيده فقام واستوى وقيل اقامه بعمود حمله به وقيل بفضة وبناه ودروي انه كان ارتفاع الجدار مائة ذراع قال اهل الاعتبار وشر القرى التي لا يضاف الضيف فيها ولا يعرف لابن السبيل حقه ويحكى ان اهل تلك القرية لما سمعوا نزول هذه الاية اسمجوا وجاؤا الى رسول الله ﷺ بجمام الذهب فقالوا يا رسول الله نشتري بهذا الذهب ان تجعل الباناء اي فانوا ان يضيفوهما فامتنع رسول الله ﷺ عن ذلك قوله يريد ان ينقض معناه يسرع سقوطه من انقض الطائر اذا هوى في طيرانه بتوفي فتضمنه فانقض ويحتمل ان يكون افعل من النقض كاحمر من الحمرة فالنون يكون اصلية واحدى الصادين مكررة زائدة عكس الاول وامتنع ان الارادة للمدانا ه والمشارفة تشبيها الجماد بالاحياء نظيره ولما امكنت عن موسى الغضب قلنا انبانا بغين ولما ابقاه الخضر الجدار ورأى موسى من الحرمان وسبس الحاجة قال لصاحبه لو شئت لاتخذت عليه اجرا الطفيه على عملك حتى ينتفع بالمنزوده ويتخذ افعل من تخذ كاتبع من تبع وليس من الاخذ على الاصح قال الخضر مشيرا الى الفراق المنصوب في قوله فلا تصاحبني او مشيرا الا السؤال والاعتراض هذا فراق بيني الاضافة بمعنى في اي فراق او مبين فراق بيني وبينك وحكى الفقال ان البين ههنا بمعنى الوصل ثم شرع في تفسير الحكم التي تضمنتها افعاله وتلك الحكم تشترك في اصل واحد هو انه اذا تعارض الضرران وجب تحمل الادنى لدفع الاعلى فقال اما السفينة فكانت لمساكين قيل كانت لعشرة اخوة خمسة منهم زمنى وخمسة يعملون في البحر وقد تقدم استدلال الشافعي بهذه الاية على ان الفقير اسوء حالا من المسكين وكان وراءهم ملك وهو موسى بلندى والوراء ههنا بمعنى الامام وقد تقدم في قوله ومن ورائه عذاب غليظ وقيل اراد خلفهم وكان طريقهم في الرجوع عليه وما كان عندهم خبر باخذ كل سفينة اي غير معيبة غصبا ولا يخفى ان الضرر الحاصل من التخريب اهون من فوات السفينة بالكلية والتخريب وان كان محرما نصرفي ملك الغير الا انه اذا تضمن نفعا زائدا لم يكن بباس ولعل مثل هذا التصرف كان جائزا في تلك الشريعة او لعله كان من مخصوصات النبي قال جار الله قوله فاردت ان اعيبها مسبب عن خوف اعتيبها وكان حقه ان يتاخر عن السبب لكنه قدم للعناية اي تنجب من هذا وهو ما رايتني انا مامور به وايضا خوف الغصب ليس هو السبب وحده ولكن مع كونهم لمساكين فوسط ارادة العيب بين المسكنة والغصب كوسط الظن بين المبتدا والخبر في قولك زيد ظني مقيم في ان يتعلق بالطرفين واما الغلام فقد قيل انه كان باغيا قاطع الطريق يقدم على الافعال المنكرة وكان ابواه مضطرين الى الغصب لبه والذب عنه فكانا باغيين في الفسق لذلك واحتمل ان يوحى ذلك الى الكفر والارتداد كما قال فخشينا ان يرهقهما طغيانا وكفرا بين رهقه اي غشيه وارهقه اياه وقيل انه كان صبيا الا انه تعلم من حاله انه لو صار بالغا صدرت عنه هذه المفاسد فاعلم الخضر بحاله الراهن

بقتله لئلا يرتد الابوان بسببه ومثل هذا لا يجوز الا اذا كان الخضر بالوحي فيقل اذا وجد فحقنا ان يخشى الوالدين طغيانا عليهما وكفرا بعقوق
ان فقنا ان يقرن بايمانهما طغيانه وكفره يجتمع في بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر ويجوز ان يكون قوله فخشينا من كلام الله تعالى كرهنا
كراهة من خاف سوء عاقبة امر فغيره وان كره الظهارة والبقاء من الذنوب كانه بازاء قول موسى نفسا زاكية والرحم الرحمة والعطف يعني
الاشفاق على الابوين يروى انهما ولدت لهما جارية فزوجها نبي فولدت نبيا هدى الله على يديه امة من الامم ويروى انها ولدت سبعين نبيا وقيل
ابدلهما ابنا مؤمنا وقيل اسم الغلام المقتول الحيسور وفي نسخة الحسين واما الجدار فكان لغلامين قيل اسمهما اصرم وصريم وقوله في المدينة بعيدة
قوله انها اهل قرية فيرد لانه على انها القرية لا بناء في المدينة ومعنى الاجتماع والاقامة مراعى فيهما اما الكنز فقيل هو المال لقوله ويستخرجا وكان
المفهوم منه عند اطلاقه هو المال وقيل صحف فيها علم لقوله وكان ابوهما صالحا وفي المال لا يليق باهل الصلاح وعورض بقول قتادة احل الكنز
لمن قبلنا وحرم علينا ومن الغنيمة علينا واحلت لنا وجمع بعضهم بين الامرين فقال لوحا من ذهب مكتوبا فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن و
عجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يرى الدنيا وتقلبها كيف يطمئن
اليها لا اله الا الله محمد رسول الله وفي قوله وكان ابوهما صالحا دلالة على ان صلاح الاباء يفيد العناية باحوال الابناء عن جعفر محمد عليه السلام كان بين
الغلامين وبين الاب الذي حفظا فيه سبعة اباء وذكر ان صلاح ايهما ان الناس يضعون الودايع عنده فيردها اليهم سألته فقلت لعلهما الا يتيمين
اليتيمين كانا جاهلين بحال الكنز ووصيهما كان عالما به الا ترى غايب وفاشترف الجدار على السقوط ورحمة من ربك مصدر منصوب بارادة لا نرى في معنى
رحمها او مفعول له وما فعلته عن امري اي اجتهادي ورايي وانما فعلته بامر الله سؤال لم قال في الاول فاردنا ان اعيبها وفي الثاني فاراد ربك ان يبلغا
فاراد ربك الجواب ان الاول اسناد في الظاهر فاسنده الى نفسه وفي الثالث نعام محض فاسنده الى الله سبحانه وفي الثاني فسا من حيث القتل
والغلام من حيث التبديل فجمع بين الامرين ويمكن ان يقال ان القتل كان منه ولكن ارتفاقا للروح كان من الله ويحتمل ان يقال الوحدة في الاول على
الاصل والجمع في الثاني تنبيه على انه من العلما المؤيدين بالعلوم الدينية والاسناد الى الله بالاخرة اشارة الى انه لا ارادة الا ارادة الله وما
تشاؤن الا ان يشاء الله ذلك الذي ذكر من اسرار تلك الوقايع تاويلها لم تستطع عليه صبرا اي برجع المقصود من تلك الافاعيل الى ما فرقنا واصل
تستطع تستطيع كما في قوله اينك بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا الا ان تاء حذف لاجل التخفيف وهذا شاذ من جهة القياس ولكنه ليس بشاذ في
الاستعمال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي موسى لو لبث مع صاحبه لابصر اعجب الاعاجيب ولكنه قال ان سألتك بعدها فلا تصاحبني قد بلغ
من عذر فيما بينه وبين ربه ان ضرب له اجلين وقيل ان موسى لقنه فيما قال ان سألتك بعدها فلا تصاحبني فقد بلغت من لدني عذرا وفي الطريق الرفيق
قبل ان من شرطهما ان يكون احدهما امرا والاخر مامورا وان يعلم الرفيق عزيمته ومقصده حتى يكون على بصيرة من صحبته وان لا يساهل من متاعب السفر
حتى يظفر بمقصوده وان يكون نيته طلب الشيخ بقصدي به فان طالب الشيخ في الحقيقة هو طالب الحق ومجمع البحرين هو مجمع بحر الحق وبحر الخلق وقيل
عين الحيوة الحقيقية فاذا وقعت قطرة منها على حوت قلب المريد حيي واتخذ سبيله في بحر الولاية سربا فلما جاوزا فيه اشارة الى ان المريد في اثناء
السلوك لو نظرت اليه الملائكة اصاب قلبه الكلال لزوسولت له نفسه التجاوز عن صحبة الشيخ ظانا ان مقصوده يحصل من غير واسطة الشيخ هيهات فانه
ظن فاسد ومتاع كاسد الا ان ادركته العناية الازلية وردت اليه صدق الارادة فيقول الرفيق التوفيق انثنا عداءنا وهو هذا الشيخ وبركة صحبته
لقد لقينا من سفرنا هذا الذي جاوزنا صحبة الشيخ نصبا وقد رايت ذا وتبنا الى الصخرة صخرة النفس وتسويلها فاني نسيت حوت القلب لما كنا
نبغي من حوت القلب الميت المملح بملح حب الدنيا وزينتها ان نجعله سبيله في بحر ولاية شيخ كامل فوجدا عبدا من عبادنا احرار من رق غيرنا وفي قوله و
علمناه من لدنا علما اشارة الى انه لقم اطلعه على بواطن الاشيا وحقايقها وهذا النوع من العلم لا يمكن تعلمه وانما يحصل بتصفية النفس و
تجريد القلب عن تعلقات الجسمانية وقد ذهب موسى الى تعلم العلم فكان الواجب على الخضر ان يظهر له علما يمكن تعلمه فبين علم الخضر وبين مقصد
موسى كان تباين وتناف فلهذا قال الخضر انك لن تستطيع معي صبرا وفي اظهار المسائل الثلثة اشارة الى ما قلنا من ان العلم الظاهر بيان
علم الله ولبس من التعليم والتعلم في شيء واذا تامل العاقل السالك في قول موسى هل اتبعك الخ وفي قول الخضر فان اتبعتني فلا تسالني الخ
وجد اصول الشرايط التي شرطها الصوفية للمريد وللشيخ مودعة فيها وفي تفصيلها طول وقد اشرنا في التفسير الى طرف منها ومن اراد الكلام
فعليه بمطالعة كتاب اداب المريدين للشيخ المحقق اي النجيب السهروردي تغمده الله بغفرانه حتى اذا ركبا في السفينة الشريعة خرقها الهدم الموهن
في الظاهر مع صلاح الحال في الباطن وفيما بينه وبين علام الغيوب وفي مثل هذا قد يفعله كثير من المحققين طردا للعوام وهذا من البناهي والعجب
اخرقها لتغرق اهلها في اودية الضلال اذا افتقد وابلبل حتى اذا لقيا غلاما هو النفس الامارة فقتله بسكين الرياضة ومسها المجاهدة حتى ابانا
اهل قرية هي الجسد وهم القوى الانسانية من الحواس وغيرها امتطعما اهلها بطلب فاعيلها التي تخصها فابوا ان يضيفوهما بلقطا خواصها
كما ينبغي لكلا لهما وضعفها فوجدا فيها جدارا هو التعلق الحائل بين النفس الناطقة وبين عالم الجزاء يريدان ينقض بقطع العلاقة فاقامه بقوته
البدن والرفق بالقوى الحواس كما قيل نفسك مطيتك فارفق بها لو شئت لاخذت عليه اجرا ثوابا جزيلا اي لو شئت لصبرت على شدة الرياضة الى ان تصير
الانوار وسبل الكشوف اما السفينة فكانت لمساكين هم العوام الذين يعملون في بحر الدنيا وليس لهم في تجارة عالم الربوبية بصيرة يسلكون حتى يصلوا
الى ملوك محل الظهار فاردت ان اعيبها في الظاهر لا يسلطهم بالاخلاص في البواطن وكان وراءهم ملك هو السلطان يأخذ كل سفينة غصبا الا ان كل

عبارة عن الانكسار والذل والخشوع فانها للشيطان لا للرحمن واما الغلام فكان ابواه وسما القلب الروح مؤمنين فاردنا ان يبدلهما
ربهما خيرا منه زكوة هو النفس المطمئنة والملهمة وكان مخزنا لهما هو حصول الكمالات النظرية والعملية وكانا بوسا وهو العقل المفارق
صالحا كاملا بالفعل فهذا ادخر فاراد ربك ان يبلغا اشدهما بتربية الشيخ وارشاده على سبيل الرفق والمداراة ويستخرجا ما كانا مدخرا

وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنْ ذِى الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ۝ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِى الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ
شَىْءٍ سَبَبًا ۝ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ۝ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا
قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ۝ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ
ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ۝ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ
مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ۝ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ۝ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن
دُونِهَا سِتْرًا ۝ كَذَٰلِكَ ۖ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ۝ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ۝ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ
مِن دُونِهِمَا قَوْمًا ۙ لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ۝ قَالُوا۟ يَٰذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى
الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ۝ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى
بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ۝ ءَاتُونِى زُبَرَ الْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ
إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ۝ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ۝ قَالَ
هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ۝ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ
يَمُوجُ فِى بَعْضٍ وَنُفِخَ فِى الصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ۝ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا ۝ ٱلَّذِينَ
كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ عَن ذِكْرِى وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ۝ أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن يَتَّخِذُوا۟
عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا ۝ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ۝ ٱلَّذِينَ
ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ
وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ۝ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا۟ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى
وَرُسُلِى هُزُوًا ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ۝ خَٰلِدِينَ فِيهَا
لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ۝ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ

ربي ولو جئنا بمثله مددا قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد فمن كان

برورد گارم و اگر آوردیم بمانند آن افزونی بگو جز این نیست که من مردمی‌ام مثل شما وحی کرده شد بمن بدرستی که خدای شما خدای یگانه است پس باشد

يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا القراءة فاتبع مقطوعة

امیدوار دیدار خدا باید که پس بکند کردار نیک و نباید که شریک گرداند در پرستیدن پروردگار خود را ابن عامر و عاصم و حمزة و علی و خلف

الباقون بالتشديد هو صوله حامد بالالف من غير همز ابن عامر و يزيد و حمزة و علی و خلف و عاصم غير حفص الباقون همزة بالهمزة من غير الف جزاء

الحسنى بالنصب و نافع يعقوب و حمزة و علی و خلف و عاصم غير ابي بكر و حماد الاخرون بضمها يفقهون بضم الياء و كسر القاف حمزة و علی و خلف الباقون

بفتحها باجوج و ماجوج حيث كان مهموزا عاصم غير الثموني فهل نجعل و بابره بادغام اللام في النون علی و هشام خراجا بالالف حمزة و علی و خلف و عاصم

غير ابي بكر و حماد و جعل الباقون بضمها مكنى ابن كثير الباقون بادغام النون في النون ردما آتوني بمحى حماد و الابتداء بكسر الالف اصدفين بضم

الصاد و الدال ابن كثير و ابن عامر و ابو عمرو و سهل و يعقوب المفضل مخبر ابو بكر و حماد بضم الصاد و اسكان الدال الاخرون بفتح الصاد و الدال قال

آتوني و الابتداء بكسر الالف بمحى حماد و حمزة فما اسطاعوا بالادغام حمزة غير حماد و قرا ابو نشيط و الثموني فما اصطاعوا بالصاد و هو اصبح من تقل

ابن مهران دكاء بالمد حمزة و علی و خلف و عاصم غير المفضل و الخزاز عن هبيرة الحسب الذين بسكون السين و رفع الباء يزيد و يعقوب و الاعشى في اختياره

دونه اولیا بفتح الياء الملك ابو جعفر و نافع و ابن وردان بنقد بالياء العنبة حمزة و علی و خلف و ابن مجاهد و النقاش عن ابن ذكوان الوقوف القرنين اذكره

سببا الاسباب فاتبع اسما فوما الحسنى انكره الخلاف الجملتين شرا لان ثم لزينب الاخبار مبتدا سنزيه كذلك اي كذلك اهلكنا قبل الذين كانوا عنده مغرب

الشمس و قبل بتبدئ بكذلك اي ذلك كذلك و الامر كذلك و قبل اي احطنا بما لديه من العدد و العدد كذلك اي كعلمنا بقوم سبق ذكرهم خبرا ثم سببا فوما قولا

سدا ردما الحديد انفخوا نارا الآن قال جواب اذا فرغ لان ما بعده ابتداء اخبار بقضاه من ربي لعطف الجملتين المختلفتين بكذلك لذلك احقا

لانقطاع الفصة جمعا للعطف عرضا سمعا اولياء طنزا لا اعمالا للفصل بين الاستخبار و الاخبار لان لقدير بهم الذين و يجوز ان يكون

نصبا على الذم او جرا على البدل ضعفا وزنا هزوا نزلا اعمالا حولا مددا واحدا لابتداء الشرط مع فاء التعقيب احدا التفسير لما اجاب عن

سؤالين من سؤلة اليهود شرع في السؤال الثالث و الجواب عنه و اصح الاقوال ان ذا القرنين هو الاسكندر بن فيلقوس الرومي الذي ملك الدنيا

باسرها اذ لو كان غيره لانتشر خبره و لم يخف مكانه عادة يحكى انه لما مات بوبه جمع ملك الروم بعد انكفاء طوائف ثم قصد ملوك المغرب فهزمهم و امعن حتى

انتهى الى البحر الاخضر ثم عاد الى مصر فبنى الاسكندرية و سماها باسم نفسه ثم دخل الشام و قصد بني اسرائيل و ورد بيت المقدس و ذبح فيه ثم

عطف الى ارمينية و باب الابواب و ذا نيت له العرابنون و القبط و البربر ثم توجه نحو ذارا بن دارا و هزمه مرتين الى ان قتله و استولى على جميع ملك الفرس

ثم قصد الهند و الصين و غزا الامم البعيدة و رجع الى خراسان و بنى المدن الكثيرة و رجع الى العراق و مرض بشهرزور و مات بها قال الامام فخر الدين

الرازي لما ثبت بالقرآن ان ذا القرنين كان رجلا ملك الارض بالكلية و بالغ فيها و ثبت من علم التاريخ ان من هذا شانه ما كان الا الاسكندر وجب

القطع بان ذا القرنين هو الاسكندر قال و فيه اشكال لانه كان تلميذ الارسطاطاليس الحكيم و كان على مذهبه فعظم الله اباه يوجب الحكم بان مذهب

ارسطو حق و صدق و ذلك مما لا يهبل اليه قلب كل من ذهب اليه الفلاسفة باطلا فلعله اخذ منهم ما صفا و ترك ما كدر و السبب في تسميته بذي

القرنين انه بلغ قرني الشمس اي مطلعها و مغربها و روي عن النبي ﷺ انه طاف قرني الدنيا يعني جانبيها شرقها و غربها و قيل كان له قرنان صغيران و قيل

انه رئي في رؤيا قرنان من الناس و عن وهب انما سمي بذلك لانه ملك الروم و فارس و بري الروم و الترك و عنه كانت صفحتا راسه من نحاس و قيل كان

على راسه ما يشبه القرنين و قيل لشجاع كما يسمى الشجاع كبشا كانه ينطح اقرانه و قيل راى في المنام كانه صعد الفلك و تعلق بطرفي الشمس

اي بقرنيها و زعم الفرس ان دارا الاكبر تزوج بابنة فيلقوس فلما قربت منها وجدها حبلى منكرة فردها الى ابيها و كانت قد حملت منه بالاسكندر و ولدت

الاسكندر و بقي عند فيلقوس و اظهر انه ابنه و هو في الحقيقة ابن دارا الاكبر و قال ابو الريحان انه من ملوك حمير و الدليل عليه انا لا نعلم ملكا

من اليمن كذي يزن و غيره و يرى انه ملك الدنيا باسرها اربعة ذو القرنين و سليمان و مسلمان و نمرود بخت نصر و هما كافران و اختلفوا في ذي

قيل كان عبدا صالحا ملكه الله الارض و اعطاه العلم و الحكمة و البسه الهيبة و سخر له النور و الظلمة فاذا سرى لهذا النور ضاء امامه و محا الظلمة من ورائه

و من على عن سخر له السحاب مدت له الاسباب بسط له النور واجب الله و احبه و سالة ابن الكوا و كان من اصحابه ما ذو القرنين املك ام نبي فقال

ليس بملك و لا نبي و لكن كان عبدا صالحا ضرب على قرنه الايمن في طاعة الله اي في جهاده فمات ثم بعثه الله فضرب على قرنه الايسر فمات فبعثه الله فسمي

ذو القرنين و فيكم مثله يعني نفسه قالوا و كان ذو القرنين يدعو الناس الى التوحيد فيقتلونه فيحييه الله و قيل كان نبيا لقوله انا مكنا له في الارض

و التمكين المعتد به هو النبوة و لقوله و اتيناه من كل شئ سببا و ظاهره العموم فكون قد نال اسباب النبوة و لقوله قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب

و تكليم الله بلا واسطة لا يصلح الا للنبي و قيل كان ملكا من الملائكة عن عمر انه سمع رجلا يقول يا ذا القرنين فقال اللهم غفرا اما رضيتم ان تسموا

باسامي الانبياء حتى تسميتهم باسامي الملائكة قوله سالوه عليكم اي سافعل هذا ان وفقني الله تم و انزل فيه وحيا و الخطاب في عليكم للسائلين و هم

اليهود و قرئ كما في جعل و اضرابه و اتيناه من كل شئ سببا طريقا موصلا اليه و السبب في اللغة هو الحبل و المراد ههنا كل ما يتوصل الى المطلوب من علم او قدرة

اذا لزوذلك انه اراد بلوغ المغرب فاتبع سببا واصله اليه وكل اراد المشرق فاتبع سببا موصلا واذا اراد بلوغ السند فاتبع سببا ادى اليه ثم
انه سبحانه شرع في نعت مسيره الى المغرب فقال فاتبع سببا اى سلك طريقا افضى به الى سفر المغرب ومن قرا بقطع الهمزة فمعناه اتبع نفسه سببا
حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حامئة اى حارة ومن قرا بعد ذلك الف مهموزا فمعناه ذات حمأة اى طين اسود ولا تنافي بين
القراءتين فمن الجائز ان يكون العين جامعة للوصفين عن ابي ذر قال كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم فراى الشمس حين غابت فقال اتدري
يا اباذر اين تغرب هذه قلت الله ورسوله اعلم قال فانها تغرب في عين حامئة قال علماء الاسلام قد ثبت بالدلائل اليقينية ان الارض كرة وهي
في وسط العالم وان السماء محيطة بها من جميع الجوانب وان الشمس في فلكها تدور وبدورانه الفلك وايضا فقد وضح ان جرم الشمس اكبر من جرم الارض
مائة مرة وستين مرة تقريبا فكيف يعقل دخولها في عين من عيون الارض فنقول قد ثبت بالادلة اليقينية ان الارض كرة وهي
وراء البحر الغربي في الماء كما ان راكب البحر يرى الشمس تغيب في الماء لانه لا يرى الساحل وبهذا قال وجدها تغرب في عين وهي لا شك
ان البحار الغربية فوقها السحونة وهي حامئة وايضا حمئة لكثرة ما في البحار من الطين الاسود ما قوله وجد عندها قوما فالضمير اما للشمس او للعين
وذلك ان الانسان لما خيل ان الشمس تغرب هناك كان سكان ذلك الموضع كانهم سكنوا بالقرب من الشمس قال ابن جريج هناك مدينة لها اثنا عشر
الف باب لولا اصوات اهلها سمع الناس وجوب الشمس حين تجب كانوا كعرفا بالله تخبره الله بين ان يعذبهم بالقتل وان يعذ فيهم حسنا وهو رايهم
احيا فاختار الدعوة والاجتهاد فقال اما من ظلم بالاصرار على الشرك فسوف نعذبه بالقتل في الدنيا ثم يرد الى ربه في الاخرة عذابا نكرا منكرا طبعا
روى صاحب الكشاف عن قتادة انه كان يطبخ من كفر في القدور وهو العذاب النكر ومن امن اعطاه وكساه وبينه نظرا لان العذاب النكر بعد ان يرد الى
ربه لا يمكن ان يكون من فعل ذي القرنين ومن قرا جزاء بالنصب ادخل الفعلة الحسنى جزاء ومن قرا بالرفع اراد فله الفعلة الحسنى التي هي كلمة الشهادة
او فله ان مجازى المثوبة الحسنى وسنقول لم امر ما اى مما نامر به الناس من الزكوة والخراج وغير ذلك ليسرا اى تولا ذا يسر لين بالصعب الشاق ثم حكى سفره
الى اقصى الشرق فقال ثم اتبع سببا اى هيا اسبابا يليق بسفر المشرق حتى اذا بلغ مطلع الشمس كان طلوعها وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها
ستراعرفوا به ان الستر حوالا بنية ودلك لان ارضهم لا تمسكها فليس هناك شجر ولا جبل ولا ابنية تمنع شعاع الشمس وتدفع حره عنهم فاذا طلعت الشمس
دخلوا في اسارب لهم واذا غربت اشتغلوا بتحصيل المعائش فحالهم بالضد من احوال سائر الخلق وعلى هذا فان الستر الذي اتاهم عراة كالزنج وغيرهم من
كل من سكن في البلاد الغربية من خط الاستواء كما حكى صاحب الكشاف عن بعضهم انه قال خرجت حتى جاوزت الصين فسالت عن هؤلاء فقيل بينك
وبينهم مسيرة يوم وليلة فبلغتهم فاذا احدهم يفرش اذنه ويلبس الاخرى وحين قرب طلوع الشمس سمعت لهم جلبة عالية فغشي علي ثم افقت فلما طلعت الشمس
اذا هي توقف الماء كهيئة الدنبق فدخلوا سربا لهم فلما ارتفع النهار خرجوا الى البر فجعلوا يتصايحون في السرب ويطرحون نارا في الشمس فيطفئها لهم والمقصود
في منعاتي قوله كذلك وجوه احدها كما امرنا في القرءتين اتبع هذه الاسباب حتى بلغ ما بلغ وقد علمنا حين بلغ مكانا عنده من الصعاب ما عند ذلك الملك
والاستقلال به التي لم نجعل لهم سترا مثل ذلك الستر الذي جعلنا لكم من الابنية او الثياب الثالث بلغ مطلع الشمس مثل الذي بلغ من مغربها الرابع
تطلع على قوم مثل ذلك القبيل الذي تغرب عليهم فقضى في هؤلاء كما قضى في اولئك من تعذيب الظالمين والاحسان الى المؤمنين وقد سبق بعض
هذه الوجوه في الوقوف ثم حكى سفره الى ناحية القطب الشمالي بعد هيئة اسبابا فقال ثم اتبع سببا حتى اذا بلغ بين السدين قيل السدان كان بخلق الله
وهو بضم السين حتى يكون بمعنى مفعول اى هو مما فعل الله وخلقه واذا كان من عمل العباد فهو بالفتح حتى يكون حدثانا له ابو عبيدة والاخفش الابناري
وانتصب بين على انه مفعول به كما ارتفع بالفاعلية في قوله لقد تقطع بينكم قال الامام فخر الدين الرازي الاظهر ان موضع السدين في ناحية الشمال
فقيل جبلان بين ارمينية واذربيجان وقيل في منقطع ارض الترك وسكن محمد بن جرير الطبري في ناحية بحران صاحب اذربيجان ابام فتحها وجرانا من ناحية
الخزر فشاهده ووصفه بنيان رفيع وراء خندق وثيق منيع وقيل ان الواثق راى في المنام كانه فتح هذا الردم وبعث بعض الحدم اليه ليعاينه فخرجوا
من باب الابواب حتى وصلوا اليه وشاهدوه ووصفوا انه بناء من لبن من حديد مشدة من النحاس المذاب عليه باب مقفل ثم ان ذلك الانسان لما عاد
الوجوع اخرجهم الدليل الى البقاع المحاذية لسمرقند فقال ابو ريحان البيروني ومقتضى هذا الخبر ان هذا الموضع في الربع الغربي الشمالي من المعمورة والله
اعلم بحقيقة الحال ولما بلغ الاسكندر ما بين الجبلين وجد من دونهما اى من وراءهما بحارا وثبتوا لا يكادون يفقهون قولا بانفسهم او يفقهون
غيرهم قولهم لانهم لا يعرفون غير لغة انفسهم سؤال كيف فهم منهم ذو القرنين ان ياجوج وماجوج مفسدون في الارض الخ واجيب بان كان مع البناء اد
لعله فهم ما في ضميرهم بالقرائن والاشارات او بوحي والهام وبما اسمان اعجميان بدليل منع الصرف وقيل مشتقان من اجاج الظليم في مشيه اذا مر وله
وناج النار اذا لهب ومن ج الريق اذا مج سموا بذلك لشدتهم وسرعة حركتهم وبما من ولد يافث وقيل ياجوج من الترك وماجوج من الجيل والديلم
ومن الناس من وصفهم بصغر الجثة وقصر القامة حتى الشبر ومنهم من وصفهم بطول القامة وكبر الجثة واثبت لهم مخالب حضر اسا كاضراس السباع امتا
افسادهم في الارض فقيل كانوا يقتلون الناس وقيل ياكلون لحومهم وقيل يخرجون ايام الربيع فلا يتركون شيئا اخضر الا اكلوه ولا يابسا الا احتملوه
فهل نجعل لك خرجا اى جعلا تخرجه من اموالنا ونظيره بما النول والنوال وقيل الخرج ما يخرج كل احد من ماله والخراج ما يجبه السلطان من البلد كل
سنة وقال قطرب الخرج الجزية والخراج في الارض قال ابو الفرزدق ما كنى عبد ردى اى جعلني عبد رديا فكيف اذا كنت من اهال والبساتين عما ينبت لون لي من الخرج

قول سليمان فما اتاني الله خير مما اتيكم فاعينوني بقوة بالات ورجال وصناع وقيل بمال صرفه فيهذا المهم ولا اخذه لنفسي والردم اكبر السدين من ثوب مردم رقاع فوق رقاع وزبر الحديد قطعه قال الخليل الزبرة من الحديد القطعة الضخمة من قرأ اتوني بالمد فظاهر ومن قرأ ائتوني من الاتيان فعلى حذف باء التعدية والنصب بنزع الخافض ثم هيهنا اضمار اي فاتوه بها فوضع بعضها فوق بعض حتى اذا ساوى بين الصدفين وسمى على القرائن جانبا الجبلين لانهما يتصادفان اي يتقابلان افرغ عليه قطرا المعنى فالاول صب عليه النحاس المذاب وقطرا منصوب بافرغ والتقدير اتوني قطرا افرغ عليه قطرا فحذف الاول لدلالة الثاني عليه وهذا مجمل ما يستدل به البصريون في ان المختار عند تنازع الفعلين هو اعمال الثاني اذ لو عمل الاول لقال افرغه عليه يحكى انه حفر الاساس حتى بلغ الماء وجعل الاساس من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينهما الحطب والفحم حتى سد ما بين الجبلين الى اعلاهما ثم وضع المنافيخ حتى اذا صارت كالنار صب النحاس المذاب على الحديد المحمى فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار جبلا صلدا وقيل بعد ما بين السدين مائة فرسخ وعن رسول الله ﷺ ان رجلا اخبره به فقال كيف رأيته قال كالبرد المحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء فقال قد رأيته والله رأيته قال العلماء هذا معجز من ذي القرنين لان تلك الزبر الكثيرة اذا صارت كالنار لم يقدر الادمي على القرب منه وكانه تعرف تلك الحرارة العظيمة عن ابدان اولئك الناقبين فما استطاعوا ان يظهروه اي يعلوه لارتفاعه وملاسته وما استطاعوا له نقبا لصلابته وثخانته لما تكرر لفظ الاستطاعة مرادا حذف عنها التاء تخفيفا في الموضعين واعاد ذكرها بالاخرة تنبيها على الاصل ورجوعا الى البداية ثم قال ذو القرنين هذا السد وهذا الاقدار والتمكين نعمة من الله عز وجل ورحمة على عباده فاذا جاء اي ناجم الفتنة جعله دكا مدكوكا مبسوطا مستويا بالارض وكلما انبسط بعد ارتفاع فقد اندك ومن قرأه دكاء بالمد فعلى الوصف اي جعله ارضا مستوية وكان وعد ربي حقا وهذا اخر حكاية ذي القرنين ثم شرع سبحانه في بقية الحادثة فقال وتركنا بعضهم يومئذ اي يوم جيء بالسد وجعل الناقبون لا يقدرون على النقب يموجون حين يخرجون من وراء السد زحمين في البلاد يروى انهم يأتون البحيرة فيشربون ماءها ويأكلون دوابها ولا يقدرون ان يأتوا مكة ولا المدينة وبيت المقدس ثم يبعث الله نغفا وهو دود يكون في انوف الابل والغنم فيدخل اذانهم فيموتون وقيل اراد ان قوم السد لما منعوا من الخروج ماج بعضهم في بعض خلفا وقيل الضمير للخلق والمراد يوم القيمة اي وجعلنا الخلق يضطربون ويختلط انسهم وجنهم جاريا في نفخ الصور من اتيان القيمة ويجيء وصفه ومعنى عرض جهنم ابرازها وكشفها للذين عموا عنها في الدنيا وفي ذلك نوع من العقاب للكفار لما تبدا مهم من الغم والفزع عن ابن كرز اي عن اباني لبني نظر اليها فاذكر بالتعظيم فاطلق المسبب على السبب وعن القرآن وتامل معانيه وصفهم بالعمى عن الدلائل والآثار فان ادان بصفهم بالصمم عن استماع الحق فقال وكانوا لا يستطيعون سمعا وهو ابلغ من ان لو قال وكانوا صما لان الاصم قد يستطيع السمع اذا صيح به وهؤلاء زالت عنهم الاستطاعة بالكلية فتخلل الاشارة بالاية على ان الاستطاعة مع الفعل لانهما لما لم يسمعوا لم يستطيعوا واجيب بان المراد من نفي الاستطاعة النفرة والاستثقال ثم اعقب ذلك بالتوبيخ والوعيد فقال افحسب الذين كفروا والمراد افظوا انهم ينتفعون بما عبدوه مع اعراضهم عن تدبر ايات الله وتمردهم عن قبول امره وامر رسوله وفيه اضمار تقديره افحسبوا اتخاذ عبادي اولياء نافعا والعبا انا عتدنا اي اعددنا جهنم للكافرين الذين يتبعونهم واما الاصنام فقال ومن قرأ بكسر السين فمعناه افكافيهم ومحسبهم ان يتخذوهم اولياء على الابتداء والخبر او على انه مثل قولك الزنديان يربيان ذلك لا يكفيهم ولا ينفعهم عند الله كما حسبوا قال الزجاج النزل الماوى والمنزل وقيل انزل الذي يعد للضيف فيكون لهم تهكما بهم نحو فبشرهم بعذاب اليم الذين ضل سعيهم اي ضاع وبطل فعزعلى انهم الرهبان كقوله عاملة ناصبة وروي عنه ﷺ ان منهم اهل حروراء وعن مجاهد اهل الكتاب والتحقيق انه يندرج فيه كل من اتى بعمل خير لا يبتني على ايمان واخلاص عن ابي سعيد الخدري بانا نأتي يوم القيمة وعندنا اعمالنا نعظم كجبال تهامة فاذا وزنوها لم تزن شيئا وذلك قوله فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا قال القاضي ان من غلبت معاصيه طاعاته صار ما فعله من الطاعة كان لم يكن فلا يدخل في الوزن شيء من طاعاته وهذا مبني على الاحباط والتكفير وفي قوله فحبطت اعمالهم اشارة الى ذلك والمراد فنرد ري بهم ولا يكون لهم عندنا وزن ومقدار وقيل لا يقام لهم ميزان لان الميزان انما يوضع لاهل الحسنات والسيئات من الموحدين لا لذلك الذي ذكرناه من انواع الوعيد جزاؤهم وقوله جهنم عطف بيان للجزاء والسبب فيه انهم ضموا الى الكفر بالله اتخاذ ايات الله واتخاذ رسله هزؤا وتكذيبا ويجوز ان يكون كل الامرين سببا مستقلا لاستحقاق العذاب ثم اردف الوعيد بالوعد على عادته عن قتادة الفردوس اوسط الجنة وافضلها وعن كعب ليس في الجنة اعلى من جنة الفردوس وفيها الاثمرون بالمعروف والناهون عن المنكر وعن مجاهد الفردوس هو البستان بالرومية وعن النبي ﷺ الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين مسيرة عام والفردوس اعلاها درجة ومنها الانهار الاربعة فاذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فان فوقها عرش الرحمن ومنه تفجر انهار الجنة قال اهل السنة جعل جنات الفردوس نزلا فالاكرام التام يكون وراء ذلك وليس الا الرؤية ونظيره انه جعل جهنم باسرها نزلا لان وراءها هو العذاب الحقيقي وهو عذاب الحجاب كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون والحول التحول وفيه انه لا مزيد على نعيم الفردوس حتى تنازعهم انفسهم الى تلك الزيادة ويجوز ان يريد انا كبد الخلود اي لا تحول فيطلب كقوله ولا ترى الضب بها ينجحر ولما ذكر انواع الدلايل والبيان وشرح اقاصيص من سلف عنها نبه على كمال حال القرآن والمداد اسم لما يمد به الشيء كالحبر الذي للدواة والسراج والمعنى لو كتبت كلمات علم الله وحكمته وفرض ان عين البحر مداد لها لنفد البحر قبل نفاد الكلمات ولو جئنا بمثله اي بمثل البحر مددا لنفد ايضا وهو تمثيل من مثل كقول لبيد على اليمنة مثلها زبدا والمدد والمداد واحد وعن ابن عباس قال لما نزلت قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي الاية قال يا محمد والذي بعثك بالحق نبيا لو ان البحر مداد لكلمات الله ونفد البحر قبل ان تنفد كلمات الله ثم جئنا بمثله مددا لنفد ايضا ثم قرأ قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد وعن ابن عباس قال لما نزلت وما اوتيتم من العلم الا قليلا قالت اليهود ما اعطينا من العلم الا قليلا فنزلت هذه الاية يعني ان ذلك خير كثير ولكنه قليل في جنب علم الله فقال الا شاعرة ان كلمات الله ثم

واحد واعترض عليه بهذه الآية فانها صريحة في اثبات كلمات كثيرة لله تعالى واجيب بان المراد من الكلمات متعلقات علم الله تعالى وزعم الجبائي ان قوله قبل ان تنفد كلمات ربي يدل على ان كلمات الله قد ينفد بالجملة وما ثبت عدمه امتنع قدمه واجيب بان المراد الالفاظ الدالة على تلك المتعلقات الا انه قلنا الانصاف ان نفاد شئ قبل نفاد شئ آخر لا يدل على نفاد الشئ الآخر ولا على عدم نفاده فلا يستفاد من الآية الا كثرة كلمات الله تعالى بحيث لا يضبطها عقول البشر انها متناهية او غير متناهية فلا دليل في الآية على احد النقيضين ولكن الحق في نفس الامر ان كلمات الله لا يتناهى لانها ان بقيت لمعلوماته تعالى وهي غير متناهية بالبرهان ثم امر بتبليغ ان يسلك سبيل التواضع وهو ان حاله مقصور على البشرية لا يتخطاها الى الملكية الا انه امتاز بتبليغ الوحي اليه وكفى به برهانا ومباينة ثم بين ان الموحى هو انما الهكم اله واحد وفي تخصيص هذا الوحي بالذكر فائدة مع ان يستدل به على صدقه فان من علامات صدق مدعي النبوة ان يدعو الى التوحيد ثم ان يدعو الى العمل الصالح المقرون بالاخلاص وذلك قوله فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا قال المفسرون النهي عن الاشراك بالعبادة هو ان لا يرجو بعمله ولا ينبغي الا وجه ربه يروى ان جندب بن زهير قال لرسول الله ﷺ اني اعمل العمل لله فاذا اطلع عليه سرني فقال ان الله لا يقبل ما شورك فيه وروي انه قال له لك اجران اجر السر واجر العلانية قال العلماء الرواية الاولى محمولة على ما اذا قصد بعمله الرياء والسمعة والرواية الثانية محمولة على ما اذا قصد ان يقتدى به قال في الكشاف عن رسول الله ﷺ من قرأ عند مضجعه قل انما انا بشر مثلكم كان له نورا وفي مضجعه نورا بلا الى مكة حشو ذلك النور ملئكة يصلون عليه حتى يقوم وان كان مضجعه بمكة كان له نورا بلا الى مضجعه الى بيت المعمور حشو ذلك النور ملئكة يصلون عليه حتى يستيقظ التأويل ما بين ان الانسان كالامكنة وكراماتها وكما يمكن ان يخصص بالنزهة والرياضة اذا ران يتبين ان الانسان الكامل انما هو ليسعى الخلافة في الارض واوتي اسباب كل شئ في عالم الوسايط والاسباب فبذلك يصير كاملا في نفسه مكملا لغيره فتبع مسببا من اسباب الوصول الى عالم السفلي وهو معترك شمل الروح الانساني فوجدها تغرب في عين حمئة هي عالم القوى والطبايع الاجسادي وجد عندها قوما هم القوى البدنية والنفوس الارضية قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذبهم بالقتل بسبب ان الرياضة وسيف المجاهدة واما ان تتخذ فيهم حسنا هو الرفق والمداراة قال اما من ظلم بوضع خاصية وامتعالها في غير موضعها فسوف نعذبه بقهره على خلافها هو رده وهو ثم يرد الى ربه وهو الشيخ الكامل الذي يربيه فيعذبه عذابا نكرا هو المنع عن شهواته او يرد الى الله تعالى فيعذبه بعذاب البعد والقطيعة واما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى هو مقام الوصول والوصال وسنقول له من امرنا يسرا هو التخفيف والاستراحة بعد الفناء والمجاهدة ثم اتبع اسبابا للوصول الى عالم الارواح وهو مطلع شمس النفس الناطقة الانسانية فوجدها تطلع على قوم مجردين عن العلايق الجسمانية والعوايق السائرة حتى اذا بلغ بين السدين وهو عالم التعشق والهيمان والجولان في جو اسباب قوام البدن وقيامه على وجه الجسمانية الى اصلاح المعاد ونظامه وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا وهم العوام الذين فطروا على عرق الجهل البسيط ان ياجوج وماجوج القوى الطبايع مفسدون في الارض البشرية باستعمال خواصها في غير ما خلقت هي لاجلها فهل نجعل لك خرجا هو زلة الوجود بدل الموجود فاعينوني بقوة همة صادقة واوعية زبر الحديد ملكات راسخة وهمة ثابتة او فلوبا من كالحديد في المضاء كالجبال الراسيات في البقاء حتى اذا ساوى عرضها بين طرفي العمر كما قيل من المهد الى اللحد قال انفخوا بالمداومة على الاذكار والاوراد حتى اذا جعله نارا بتاثير حرارة الطاعة والذكر في حديد القلب قال ائتوني افرغ عليه قطرا هو جوهر المحبة وكيميا الاخلاص الناقية في سويداء القلوب المحبت لا ينفد فيه كيد الشيطان ولا يعلوه ما سوى الرحمن الله حسبي

سورة مريم مكية حروفها ثلثة الاف وثمانمائة وحرفان كلماتها تسعمائة واثنتان وتسعون واياتها ثمان وتسعون

بسم الله الرحمن الرحيم

كهيعص ذكر رحمت ربك عبده زكريا اذ نادى ربه نداء خفيا قال رب اني وهن
بكن حروف هجاء ياد كردن بخشش پروردگار تو بنده او زكريا چون او را ندا كرد پروردگار خود را پنهان گفت
العظم مني واشتعل الرأس شيبا ولم اكن بدعائك رب شقيا واني خفت الموالي من ورائي
استخوان مرا وشكفته گشت سر از پيري ونبوده ام بخواندن تو پروردگار من بدبخت وبدانكه من بيمناكم از پسران عم از پس من
وكانت امرأتي عاقرا فهب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من ال يعقوب واجعله رب رضيا
وباشد زن من نازاينده پس بخش مرا از نزد خود جانشيني كه ميراث برد مرا وميراث برد از ال يعقوب وگردانش اي پروردگار من پسنديده
يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا قال رب اني يكون لي غلام
اي زكريا ما مژده ميدهيم تو را بپسري كه نام او يحيى است نكرده ايم مر او را از پيش همنامي گفت پروردگارا چگونه باشد مرا پسر
وكانت امرأتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا قال كذلك قال ربك هو علي هين وقد
وباشد زن من نازاينده وتحقيق كه رسيديم من از پيري بخشكيدن گفت همچنين گفت پروردگار تو اين بر من آسان است وبتحقيق

خلقتك من قبل ولم تك شيئا قال رب اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلث ليال
که آفریده بودم ترا از پیش و هیچ چیز گفت پروردگار من گردان برای من نشانی گفت نشانی تو آنست که سخن نگوئی مردمان را سه شبان
سويا فخرج على قومه من المحراب فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا يا يحيى خذ الكتاب
تمام پس بیرون آمد بر گروه خود از عبادتگاه پس وحی فرستاد بسوی ایشان که تسبیح کنید بامداد و شبانگاه ای یحیی بگیر کتاب را
بقوة وآتيناه الحكم صبيا وحنانا من لدنا وزكوة وكان تقيا وبرا بوالديه ولم
بتوانائی و دادیم او را حکم در حال کودکی و مهربانی از نزد ما و پاکی و باشد پرهیزگار و نیکی بپدر و مادر و نه
يكن جبارا عصيا وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا القراءة كهيعص
بناشد گردنکش نافرمان و درود بر او روزی که زاده شد و روزیکه بمیرد و روزیکه برانگیخته بشود زنده بالامالة ابو عمرو

كهيعص بالامالة البا فقط حمزة وخلف فبنبرة وابن ذكوان وقرا على غير فبنبرة ويحيى وحماد بالامالتها وقرا ابو جعفر ونافع والخزاعي عن البزي
ابن فليح بين الفتح والكسر والى الفتح اقرب بفتحهما صادر ذكرهما ابو عمرو وحمزة وخلف وابن عامر وسهل من وراي بفتح الياء مهموز ابن كثير غير رفعه
والخزاعي عن البزي وقرا رفعه عن ابن كثير والخزاعي عن البزي من وراي مثل عصا برئ وبرث بالجزم فيهما ابو عمرو وعلى الباقون برفعهما بشر بالبنا
وكلف اخر السورة حمزة عنيا وحثيا وصليا وبكيا بكسر الاول وابل حمزة وعلي وافق حفص الا في بكيا الخزاز عن هبيرة عنيا الاولى بالكسر والثانية بالضم
وقد خلفنا لحمزة وعلي الاخرون خلفنا على التوحيد له اثر بفتح أبو جعفر ونافع وابو عمرو وعلى الباقون برفعهما بشر بالتثليث كل وابن شنبوذ عن
مكة الوقوف فيه بعض كوفة ذكرياه للجوار يعلو اذ بدا كذكر رحمة ربك لاحتمال انتصابه باذكر محمد وفاختياه شقيا ولم يعقوب والوجه
الوصل لعطف الجملتين المتفقتين بحتي لان ما بعده صفة غلام والاستيناف ليس بقوي سميا ه عنيا كذلك بنا على التقدير الاول كما
ايا سويا وعشيا ه بقوة صبيا ه للعطف اي اتينا الحكم وحنانا منا عليه وزكوة طنقيا ه عصيا ه حيا ه التقدير حروفا المعجم في الوقف تامة
وثلثة وقد جرت عادة العرب بالامالة الثنايا، وبفتح الثلاثيان وفي الزاي عند الامران لانه قد يلحق باخره ياء وقفا لا يلحق فيصير ثنايا ولا ريب ان
الفتح اصل والامالة فرع عليه فمن قرا بالامالة الهاء والياء معا فعلى العادة ومن قرا بفتحهما جميعا فعلى الاصل ومن قرا بالامالة احدهما فلرعاية الجانبين
وقد روي صاحب الكشاف عن الحسن انه قرا بضمهما فبعيد لانه يصير ان غير الكلمة فيهما واو فتبه بالضم على اصلها والبحث عن هذه الفواتح قد سلف في اول
البقرة وما يخص هذا الموضع ما روي عن ابن عباس ان قوله كهيعص ثناء من الله تعالى على نفسه فالكاف كاف لاسمه والهاء هاد والعين عالم
او عزيز والصاد صادق وعنه ايضا انه حمل الكاف على الكريم او الكبير والياء على الحكيم او على الحكيم او على الرفيع او على ان الياء من مجير وهذا التفسير
لا يخلو عن تحكم الا ان يسند الى الوحي والالهام وارتفع ذكر رحمة على الخبر اي هذا المتلو من القرآن ذكر رحمة ربك وانتصب عبده على انه مفعول
الذكر وذكر باعطف بيان وقرئ برفعهما على اضافة المصدر الى المفعول وعن الكلبي انه قرا بذكر بلفظ الماضي مشددا نارة ورحمة وعبده منصوبان
على المفعولية ومخففا اخرى وعبده مرفوع على الفاعلية وقرئ ذكره على الامر وسمي قراءة ابن معمر وقيل يحتمل على هذا ان يكون الرحمة عبارة عن ذكرها
لان كل نبي رحمة لامته ويجوز ان يكون رحمة لنبيناء لامته لان طريقه في الاخلاص والابتهال يصلح لان يقتدي به وكان ذكره رحمة لنا ولنبينا
وفي خفاء ندائه وجوه منها ان الاخفاء ابعد عن الرياء واد خل في الخشية وهذا فسره الحسن بانه نداء لا رياء فيه ومنها انه اخفاه لئلا يدل على طلب
الولد في غير وقته ومنها انه اسره من هوالبه الذين خافهم ومنها انه خفت صوته لضعفه وهرمه كما جا في صفة الشيخ صوته خفاه وسمعه نارات
لعله الى ما يفضي ما يفقد عليه من الصوت ومع ذلك كان خفيا لنهاية كبره ثم شرع في حكاية ندائه فقال رب اني وهن العظم مني الى قوله رب رضيا قال علماء المعاني في الآية لطايف وذلك اصل الكلام يارب قد ضعفت فان الشحوخة مشتملة على ضعف البدن وشيب الراس ثم ترك
الاجمال الى التفصيل لتوخي زيادة التقرير فضار ضعف بدني وشاب ابي ثم في القرينة الاولى عدل الى التصريح الى الكناية التي هي ابلغ منه فصار
وهنت عظامي فان وهن عظام البدن لازم لضعفه ثم بين الكناية على المبتدا للتقوي الحكم فحصل انا وهنت عظام بدني ثم سلك طريق الاجمال و
التفصيل لمزيد البيان فصار اني وهنت العظام من بدني فقد فصلت ثم نزل توسيط البدن لطلب مزيد اختصاص له فقلت ان وهنت العظام
او ان عظاما واهنة عندك فاذا قلت من بدني فقد فصلت ثم نزل توسيط البدن لطلب مزيد اختصاص العظام فاذا ان عظامي واهنة فحصل انه
وهنت العظام مني واذا حصل الوهن في هذا الجنس الذي هو اصلب الاعضاء وبه قوام البدن وقد يكون جنة لسائر الاعضاء الرئيسة كالقلب للدماغ
والفصل للقلب ففي الاعضاء الاخر اولى واما القرينة الاخرى فركبت الحقيقة فيها الى الاستعارة التي هي ابلغ فحصل اشتعل شيب راسي وشاب
الاستعارة فيه تبعية شبه انتشار الشيب بانتشار النار في بياض النار وشبه انتشاره في الشعر وفشوه فيه واخذه منه كل ما خذ باشتعال النار ثم اخرجه مخرج
الاستعارة بالكناية بان حذف المشبه به واداة التشبيه فصار اشتعل شيب راسي ويمكن تقرير الاستعارة بوجه اخر ويمكن ان يكون اشتعل اشتعل
بدل انتشر فيكون الاستعارة تبعية بصريحية وقرينتها ذكر الشيب ثم تركت هذه المرتبة الى ابلغ منها وهي اشتعل راسي شيبا وكونها ابلغ من جهات
منها انبنا الاشتعال الى الراس كما فاد تشمول الاشتعال الراس كما لو قلت اشتعل بيتي نارا امكان اشتعال النار في بيتي دون الاجمال والتفصيل

الواقعان في طرفي التمييز وهما تنكير شيبا للتعظيم كما هو حق التمييز ثم عدل الى مرتبة اخرى هي اشتعال الرأس مني شيبا للتوغل مزيدا للتقرير بالاشارة ثم ليبان على نحو وهن العظم مني ثم نزل لفظ مني لسبق ذكره في المرتبة الاولى ففي ذلك حالة نادرة المعنى على العقل دون اللفظ وكم بين الحوالتين مع ان بنا الكلام على الاختصار حيث قال رب بحذف حرف النداء وبأ المتكلم بناء على الاختصار في اخره وانما الطنب في هذه المقام لان هذه الاشارة كالعلم بما بين علماء المعاني ثم انه توسل الى الله عز وجل بما سلف له معه من الاستجابة فقال ولم اكن بدعائك رب شقيا كما حكى ان محتاجا قال لكريم انا الذي حسنت الي وقت كذا فقال مرحبا بمن توسل الينا وقضى حاجته تقول العرب سعد فلان بحاجته اذا ظفر بها وشقي بها اذا خاب ولم ينلها ومعنى بدعائك اي بدعائي اياك واعلم ان ذكريا عليه السلام قدم على السؤال امورا ثلثة الاول كونه ضعيفا والثاني انه لم يرد دعاءه والثالث كون المطلوب بالدعاء مبنيا للمنفعة في الدين وذلك قوله واني خفت الموالي قال ابن عباس والحسن اي الورثة وعن مجاهد العصبة وعن سائر صالح الكلالة وعن الاصم بنو العم وهم الذين يلونه في النسب وعن ابي مسلم الموالي هم بنو العم والمالك والصاحب وهو بهذا من تقدم ذكره كالولد والمختار انه اراد من الموالي الذين يخلفونه بعده اما في السياسة او في المال الذي كان له او في القيام بامر الدين وكان من عادتهم ان كل من كان الى صاحب الشرع اقرب كان منعتا للجورة وقوله من ورائي اي بعد موتي لا يتعلق بخفت لان الخوف بعد الموت محال ولكن بمحذوف اي الموالي الذين يخلفون من بعدي او بمعنى الولاية في الموالي خفت ولا يتهم وسوء خلقهم بعدي فان زكريا انضم له مع النبوة الملك فخاف بعده على احدهما او عليهما وسبب الخوف لقرائن والامارات التي ظهرت له من صفائح احوالهم واخلاقهم وانما قال خفت بلفظ الماضي لانه قصد به الاخبار عن تقادم الخوف ثم استغنى بدلالة الحال كمسئلة الوارث واظهار الحاجة عن الاخبار بوجود الخوف في الحال وورائي خفت الموالي بتشديد الفاء وعلى هذا فمعنى ورائي خلفي وبعدي اي قلوا وعجزوا عن امر الدين والاقامة بوظائفه والظرف متعلق بالموالي ومعنا قدامي والظرف متعلق بخفت اي وجدوا ولم يبق من يعضده ثم صرح بالمسئلة فانا اهب لي واكده بقوله من لدنك اي لبيانا صادرا من عندك مضافا الى اخراعك لاني وامرأتي لا اصلح للولادة من قوارير تين وبرث بالجزم فيهما جواب الدعاء ومن قوارير فيهما قال الاكثرون ومنهم جار الله قالوا انه صفة وقال صاحب المفتاح الاولى حمله على الاستيناف كانه قيل لم تطلب الولد فقال يجيبني ترثني اي نبوتي لئلا يلزم منه انه لم يوهب من وصف لهلا لك يحيى مثل زكريا واعترض بان حمله على الاستيناف يوجب الاخبار عما لم يقع وكذب النبي امتنع من كونه غير مستجاب الدعوة واجيب بان عدم ترتب الغرض من طلب الولد لا يوجب الكذب وقول الاعتراض باذ لان المعنى يؤول الى قولنا هب لي ولدا موصوفا بالوراثة او بان الغرض منه الوراثة او هب لي وليا اخر عنه بانه يرثني وعلى التقادير يلزم عدم الاستجابة او الكذب والحق في الجواب هو ما سلف لنا في قصة زكريا من سورة ال عمران ان النبي لا يطلب في الدعا الا الاصلح حتى لو كان الاصلح غير ما طلبه صرفه الله تعالى عنه كان المصروف فيه هو بالحقيقة مطلوبه ويمكن ان يقال لعل الوراثة قد تخصصت من يحيى وبقي من ذلك الكتاب والشرع معمولا بعد كما يا ايضا وقد روى صاحب الكشاف ههنا قراءة شاذة لا فائدة كثيرة في تعدادها الى قوله عن علي وجماعة وارث من ال يعقوب اي هو يرثني وبه وارث وليس في الجزم بد في علم البيان فضل هو ان الجزم الكلام عن ذكر الاول لحق بقول جاءني فلان فجاءني رجل لا غير بد الا الاول ولذلك لا تذكر اسم في الجملة الثانية والجزم الكلام عنه واقول يشبه ان يكون معنى الجزم بد هو ان الجزمة عن جميع الاوصاف المنافية للرجولية وكذا في الابن كانه جرده عن منافيات الوارثة باسرها واختلف المفسرون في انه طلب لذاته او طلب من يقوم مقامه ولذا كان او غيره والاول اظهر لقوله في ال عمران رب هب لي من لدنك ذرية طيبة ولقوله في سورة الانبياء رب لا تذرني فردا حجة المخالف لما تقرر انا نسلم ان الولد مستعظم وقال اني يكون لي غلام ولو كان دعاؤه لاجل الولد ما استعظم ذلك والجواب ما مر في ال عمران واختلفوا ايضا في الوارث فعن ابن عباس والحسن والضحاك هي وراثة المال وعنهم ايضا ان المراد بها وراثة المال والنبوة او بالعكس وفي رواية ابي صالح ان المراد في الموضعين النبوة فلفظ الارث مستعمل في المال دون ذكر امرهم ودنياهم واموالهم وفي العلم واورثنا بني اسرائيل الكتاب العلم وورثة الانبياء وحجة الاولين ما روي انه ص قال رحم الله زكريا وما عليه ان يرثه فان ظاهره يدل على انه يريد وراثة المال وكذا قوله انا معشر الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة ورد بان العلم والنبوة كيف يحصل بالميراث ولو كان المراد وراثة النبوة لم يحتج الى قوله واجعله رضيا لان النبي لا يكون الا مرضيا واجيب بانه اذا كان المعلوم من حال الابن انه يصير نبيا بعده فيقوم بامر الدين جاز ان يقول يرثني والمراد يكونه رضيا انه لا يوجد منه معصية ولا ذم بها كما جاء في حق يحيى وقد مر الحديث هناك ولا يلزم من هذا ان يكون يحيى مفضلا على غيره من الانبياء كلهم فلعل لبعضهم فضائل اخر يختص بها اختص الاشاعرة بالمسئلة لانه في مسئلة خلق الاعمال واجابت المعتزلة بانه يفعل بمرضوب الالطاف فيختار ما يصير رضيا عنده وزيف بان ارتكاب المجاز على خلاف الاصل وبان فعل الالطاف واجب على الله فطلب ذلك بالدعاء للتشريع عبث واعلم ان اكثر المفسرين على ان يعقوب المذكور في الاية هو يعقوب اسحق ابراهيم لان زوجة زكريا كانت من ذرية هارون بن داود من ولد سليمان بن داود ومن ولد يهودا بن يعقوب واما زكريا فقد كان من ولد هارون اخي موسى هارون وموسى من ولد لاوي بن يعقوب بن اسحق وكانت النبوة في سبط يعقوب وهو اسرائيل وزعم بعض المفسرين ان المراد هو يعقوب ماتان وهذا قول الكلبي ومقاتل وعن مقاتل ان بنبي ماتان كانوا رؤس بني اسرائيل وملوكهم قوله يا زكريا الاكثرون على انه نداء من الله تعالى لزكريا الخاطب من قوله رب اني وهن العظم مني الى قوله رب اني يكون لي غلام ومنهم من قال هو نداء الملك لقوله في ال عمران فنادته الملئكة وجوز بعضهم الامرين واختلفوا في عدم التسمي فقيل اراد انه لم يسم احد يحيى قبله وقيل اراد انه لا نظير له كقوله هل تعلم له سميا او ذلك انه جعل

وحصورا ولم يعص ولم يهم بمعصية فكانه جواب لقوله واجعله رب رضيا وابقى سمي يحيى قبل خلقه في الوجود وولد بين شيخ فان وعجوز عاقر فلا نظير لهذه الخواص قال بعض العلماء القول الاول اظهر لما في الثاني من العدول عن الظاهر ولا يصار اليه الا لضرورة كما في قوله فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا الا انا نعلم ان مجرد كونه اسما لا يقتضي عبادته فتقول المسمى هناك يراد به المثل والنظير ويمكن ان يقال ان التفرد بالاسم فيه ضرب من التعظيم فلا ضرورة في الآية ايضا قال جار الله انما قيل للمثل سمي لان كل متشاكلين يسمى كل منهما باسم المثل والشبيه والشكل والنظير فكل واحد منهما سمي لصاحبه قلت ويقرب هذا من اطلاق اللازم وارادة الملزوم ولم سمي يحيى تكلفوا لوجوهها فعن ابن عباس لانه نعم الحي عقر امه وعن قتادة لانه نعم احيى قلبه بالايمان والطاعة ومن كان ميتا فاحياه اذا دعاكم لما يحييكم ولهذا كان اول من امن بعيسى وقيل لانه استشهد والشهداء احياء وقيل لان الله احيى به لان زكريا بسببه لولده وقد بلغ من الكبر قال جار الله اي من اجل الكبر والطعن في السن العاليين فمن للتعليل ويجوز ان يكون للابتداء اي بلغت من مدارج الكبر مراتبه ما يسمى عتيا وهو اليبس والجساوة في المفاصل والعظام يقال عتا العود وعتيا اذا عسر طوله الى السماء فان قلت الى اي حالة اليبس سؤال المرتقي الى الغمران وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر فلم عكس الترتيب في هذه السورة واجيب بان الواو لا يعتبر الترتيب قلت ان ذلك ورد على الاصل وهو تقديم نفس سببه وههنا راعى القاصلة قال الامركل بضد يقال ثم ابتدا قائلا قال ربك فحل كذا رفع ويحتمل ان يكون نصبا بقول مضمر دل عليه هواي خلق الغلام على هين ويحتمل ان يكون اشارة الى قول زكريا اني يكون لي غلام اي كيف يعطيني الغلام بان يجعلني وزوجتي شابين او بان تزكا على الشيخوخة فاجيب بقوله كذلك اي هكذا الولد مع بقائك وبقاء زوجتك على حالتكما ولفظ هين مجاز عن كمال القدرة وهو فعيل من كلا هان الشيء يهون اذا لم يصعب ولم يمتنع عن المراد ولم يشق شيئا الا ان المعدم ليس بشيء اوشيئا بعد شيء كالنطفة او كالجواهر التي لم تتالف بعد وبينهما تناف استعار ذكريا لان عناق الذات ثم تغيرها في اطوار الصنائع ليس اهون من بدء بل اصنافا وهو احداث القوة المولدة في زكريا وصاحبته بعد ان لم يكن قال رب اجعل لي اية وقد مر تفسيره في اول عمران الاية قوله سويا قضاء انه صفة للبيان اي تاما كاملا والاكثرون على انه صفة زكريا اي انت سليم الجوارح مستوي الخلق وما بك خرس ولا عي فخرج على قومه من المحراب فهل كان له موضع يتفرد فيه للصلوة والعبادة ثم ينتقل الى قومه وقيل كان موضعا يصلي فيه وقيل الا انهم كانوا لا يخلونه للصلوة الا باذنه فاوحى اليهم عن مجاهد اشار بدليل قوله في اول العمران الا رمزا وعن ابن عباس كتب لهم على الارض وان عنى المفسرة وسبحوا اي صلوا او على ظاهره وهو قول سبحان الله عند الغالين ان البكرة صلوة الفجر والعشي صلوة العصر فلعلهم كانوا يصلون معها بين الصلوتين في محرابه وكان يخرج اليهم ويأذن لهم بلسانه فلما اعتقل لسانه اخرج اليهم كعادته ففهمهم المقصود بالاشارة او الكتابة وههنا اضمار والمراد فبلغ بحيى المبلغ الذي يجوز ان يخاطب فقلنا له يا يحيى خذ الكتاب اي التوراة لانها المعهود ويحتمل ان يكون كتابا مخصوصا وان كنا لا نعرفه الآن كقول عيسى في عباد الله اتاني الكتاب والمراد بالاخذ اما الاخذ من حيث الحس واما الاخذ من حيث المعنى وهو الفهم بمواجب كما ينبغي وذلك بجعيل ملكة يقتضي سهولة الاقدام على المامور به والاحجام عن المنهي عنه ثم اكده بقوله بقوة اي بجد وعزيمة وايتيناه الحكم اي الحكمة عن ابن عباس هو فهم التوراة والفقه في الدين ولذلك لما دعا الصبيان الى اللعب وهو صبي قال اللعب خلقت وعن معمر العقل وقيل النبوة وكل هذه الاوصاف على الاقوال من الحوادث كما في حق عيسى فلا امتناع الا من حيث العادة والحنان اصله في قولهم تحنن الشيء اذا تعطف ثم استعمل في الرحمة وهو المراد ههنا وما قيل انه يحتمل ان يراد حنانا منا على زكريا او على امه يحيى لا يساعده وجوه الواو وقيل اذ ارايتنا الحكم والحنان على عبادنا كقوله في بيتنا فيما رحمة من الله لنا لهم واراد بقوله وزكوة انه مع الاشفاق عليهم كان لا يخل بافاضة ما يجب عليهم لان الرافة في الدين ربما يورث ترك الواجب لهذا قال ولا تاخذكم بهما رافة في دين الله ولا يخفى انه لا يساعد هذا القول وجر لفظة منا وعن عطا ان معنى حنانا تعظيما لدينا وعن ابن عباس وقتادة والضحاك وابن جريج ان معنى زكوة عملا صالحا زكيا وقيل زكيناه بحسن الثناء عليه كما يزكى الشهود وقيل بركة كقول عيسى جعلني مباركا وقيل صدقة اي يتعطف على الناس ويتصدق عليهم ثم اخبر مجملا عن جملة احواله بقوله وكان تقيا يجتنب ما يغضب الله ولا يتم بمعصية قط وبرا بوالديه لان تعظيم الوالدين تالو تعظيم الله ولم يكن جبارا عصيا وذلك ان الزاهد في الدنيا قلما يخلو عن طلب ترفع والرغبة في احترام فذكر انه مع غاية زهده كان موصوفا بالتواضع للخلق وتحقير العبودية للحق قال سفيان الجبار الذي يقتل عند الغضب ليلة قوله انه اراد بان تقتلني كما قتلت نفسا ان تريد الا ان تكون جبارا في الارض ثم انه سبحانه سلم عليه في ثلثة مواطن هي اوحش المواطن واوحشها الى طلب السلامة فيها ويحتمل ان يكون هذا السلام من الملئكة عليه لانه لما كان باذن الله كان كسلام الله قيل انما قال يحيى هو المعتاد في احوال الهوية بينها على كونه من الشهداء وهم احياء الا انه يحيى في قصته عيسى ويوم ابعث حيا وذلك انه رؤي في الاحياء ان عيسى يموت بعد النزول والظاهر انه اراد ويوم يجعل حيا فوضع الاخص موضع الاعم تاكيدا قيل السلم عليه يوم ولد لا بدان يكون نفسه لامر يتقدم منه عمل يجزى عليه اما الاخران فيجوز ان يكونا لاجل الثواب قلت الكرامة خارق للعادة فيحتمل ان يوجد منه في بطن امه عمل يستحق الثواب كما يحكى ان امرأة قالت لمريم وما حاملان اني اراى في بطني يسجد لما في بطنك الثاوبل ان زكريا الروح نادى ربه بنداء خفيا من مزالسر قال رب اني وهن مني عظم الروحانية واشتعل شيب صفات البشرية والى خفت صفات النفس ان تغلب وكانت امرأتي يعني الجثة التي هي زوج الروح عاقرا لا تلد الا بموهبة من الله تهب لي من لدنك سالما لها فاعطاه الله نبتا وهو في الحقيقة القلب الذي هو معدن

اعتقل

لتكلم ع

مریم کید سوره

العلم اللدني فانه ولد الروح والنفس اعداعدة بمرتبتين وبرتبين من الیعقوبي يتصف بصفة الروح وجميع الصفات الروحانيات واحلة رب ضبابان
توطئ من تجلي صفات ربوبيتك ظاهرة بمظهره ولسوف يعطيك ربك فترضى اسمي يحيى ان الله احيا بنوره لم نجعل له من قبل سميا الامر الحيوانات ولامن
الملكة لانه هو الذي يقبل فيض الالوهية بلا واسطة وهو سر حمل الامانة كما قال ولكن ليبعثي قلب عبدك المؤمن وقد بلغت من الكبر اي بسبب طول
زمان تعلق القلب بالقالب عتيا يبسا وجفافا من غلبات صفات النفس اينك الا تكلم الناس الا مخاطبا الله ولا تلتفت الى ما سواه ثلث ليال هي ثلث
مراتب الجمادات والحيوانات والروحانيات سويا متمكنا فيها هذا الحال من غير تلون فخرج ذكريا الروح من محراب هواه وطبعه على قوم صفات نفسه و
قلبه وانابته فاشار اليهم ان كونوا منوجهين الى الله معرضين عما سواه اناء الليل واطراف النهار بل بكرة الازل وعشي الابد بالحي القلب خذ كتاب
الفيض الالهي المكتوب لك في الازل بقوة ربانية لا بقوة جسدانية لانه خلق ضعيفا واياك اياه الحكم صبيا اذ اخلق الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره
وزكوة وتطهرا من الالتفات الى غير ابا وبر ابوالديه الروح والقالب اما بالروح فلانا القلب محل قبول الفيض الالهي لان الفيض يصيب الروح اولا و
لكن لا يمسكه لغاية لطافته كما ان الهواء الصافي لا يقبل الضوء ينفذ فيه ولا يمسكه واما القلب ففيه صفا وكثافة فبالصفا يقبل الفيض وبالكثافة يمسكه وهذا
احد اسرار حمل الامانة واما بر والده القالب فهو انه مع انها على وفق الشريعة والطريقة ولكن جبارا عصيا كالنفس الامارة بالسوء وسلام عليه يوم
ولد في اصل خلقه ويوم يموت من استعمال المعاصي بالتوبة ويوم يبعث بالتربية والترقي الى مقام السلامة حبي وازكر في الكتاب

مريم اذ انتبذت من اهلها مكانا شرقيا فاتخذت من دونهم حجابا فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا
چون گرد از کردار ناشایسته دور شد جای برآمدن آفتاب پس گرفت از غیر ایشان پس فرستادیم بسوی او جبرئیل را پس بنمود او را آدمی
سويا قالت اني اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا قال انما انا رسول ربك لاهب لك غلاما
راست بر سبیکه من پناه میدهم بخدای از تو اگر هستی پرهیزگار گفت فرستاده خدای توام تا ببخشم ترا پسر
زكيا قالت اني يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم اك بغيا قال كذلك قال ربك هو علي
پاک گفت کجا باشد مرا پسر و نه دست کرده است مرا آدمی و نه باشم من بدکار گفت همچنین گفت پروردگار تو بر من
هين وليجعله اية للناس ورحمة منا وكان امرا مقضيا فحملته فانتبذت به مكانا قصيا
آسان است و تا گردانم او را نشانه مردمان و رحمتی از ما و باشد کاری حکم کرده شده پس برداشت او را پس بکشید
فاجاءها المخاض الى جذع النخلة قالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا فناداها من تحتها
پس آمدش درد زادن او بسوی بنه خرما گفت کاش من مرده بودمی پیش از این و بودمی فراموش شده پس ندا داد او را از زیر پای
الا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا فكلي
که اندوهگین مباش تحقیق گردانید خدای تو زیر قدم تو جوئی و در جنبان بسوی خود بنه خرما تا افتد بر تو
واشربي وقري عينا فاما ترين من البشر احدا فقولي اني نذرت للرحمن صوما فلن اكلم اليوم
و بیاشام خنک گردان چشم را پس اگر ببینی از آدمیان کسی را پس بگو تحقیق نذر کردم خدای را روزه پس سخن نگویم امروز
انسيا فاتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا يا اخت هرون ما كان ابوك امرا
آدمی را پس آورد او را قوم او برمیگرفتند او را گفتند ای مریم تحقیق آوردی چیزی را بزرگ ای خواهر هارون نبود پدر تو مرد
سوء وما كانت امك بغيا فاشارت اليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا قال اني
بد و نبود مادر تو زنکار پس اشارت کرد بسوی او گفتند چگونه سخن گوئیم با کسی که هست در گهواره کودک
عبد الله اتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا اينما كنت واوصاني بالصلوة والزكوة
بندهٔ خدایم داد مرا کتاب و گردانید مرا پیغمبر و گردانید مرا مبارک هر کجا باشم و وصیت کرد مرا
ما دمت حيا وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت
تا باشم زنده و نیکوکار بمادر من و نگردانید مرا جبار گنهکار و سلام بر من در روزیکه زادم و روزیکه بمیرم
ويوم ابعث حيا ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذي فيه يمترون ما كان لله ان يتخذ
و روز یکه برانگیخته شوم زنده این عیسی پسر مریم گفتار راست است که در او شک دارند
من ولد سبحانه اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون وان الله ربي وربكم فاعبدوه
پاک است او از ولد هر گاه حکم کند کاری را پس جز این نیست که میگوید او را باش پس میباشد و بدرستیکه خدا پروردگار من است و پروردگار شما پس پرستید او را
هذا صراط مستقيم فاختلف الاحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم
این راه راست است پس اختلاف کردند گروهها از میان ایشان پس وای بر آنانکه کافر شدند از وقت حاضر شدن روز بزرگ

عبد الحق الدهلوي

أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لٰكِنِ الظّٰلِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلٰلٍ مُبِينٍ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ
بشنو بآريد ما را وبينا باشند بر اكثر ايشان ستمكاران امروز در گمراهي آشكارا وبترسان ايشان را از روز اندوه
إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ الْقِرَاءَةُ
كرسانيده شود كار ايشان وغفلت دارند ايشان ايمان نمي آرند بدستيكه ما ارث بريم زمين را وهركه بر اوست وبسوي ما برگردانده

انى اعود بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو ويهب لك على الغيبة ابو عمرو ويعقوب وورش والحلواني عن قالون وحمزة في الوقف الآخرون لاهب على التكلم نسيا بفتح النون حمزة وحفص الباقون بكسرها من نحتها بكسر الميم على انه حرف جر ومجرور الثانية ابو جعفر ونافع وسهل وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير ابي بكر وحماد الباقون بفتحهما على ان من موصولة والظرف صلتها ساقطا بحذف تاء التفاعل حمزة والخزاز عن هبيرة ساقطا مع التفاعل حفص غير الخزاز ساقطا ببناء الغيبة على ان الضمير للجذع وبادغام التاء في السين سهل ويعقوب بضم وحما الباقون مثله ولكن ببناء التانيث على ان الضمير للنخلة تمالة مفتوحة الياء على وقراحمزة مرسلة الياء مفخمة في الوصل تمالة في لو تقف اوصابا تمالة على قول الحق بالنصب ابن عامر وعاصم ويعقوب وان الله بكسر الهمزة عاصم وحمزة وعلي وخلف ابن عامر وروح والمعدل عن زيد الوقوف ترهم ليلا يبصرن ظرفا لاذكر شرقيا للعطف زكياه ببناء كل الضمائر مرهبين لجواز كونوا واو مفخما او سعلفة مجذوف كما يجي متا لاختلاف الجملتين مقضيا وقضياه النخلة لزرقه الماضي من غير عاطف والاولى ان يكون استيناف مسنيا ه سريا ه جنيا ه عتيا ه للشرط مع الفاء احدا لان ما بعده جواب الشرط انسيا ه للعطف مع الاية تحملن ه فريا ه بغيا ه البتر صبيا ه عبد الله ط لان الجملة لا تقع صفة للمعرفة ويمكن ان تجعل معنى التحقق في ان عاملا فيكون حالا فلا يوقف انما كنت سن لطول الكلام حيا ه لذ لك والوصل اولى لان قوله وبرا معطوف على قوله مباركا بوالدتي لتبدل الكلام من الاتيان الى النفي شقيا ه حيا ه عيسى مريم على القراءتين لا حمال ان يراد قول الحق وان يجعل ما لا واما في قراءة الرفع فانما ان يكون بدلا من عيسى ويكون التقدير هو قول الحق يمترون ه من ولد ا متعلق الا للتنزيه سبحانه ط فيكون ه لم فرا وان بالكسر فعبده ط مستقيم من يتنم لان ما بعده مبتدا مع الفاء عليم وابصر الان ما بعده ظرف للبعيد مبين ه وسمعت عن مشايخي رحمهم الله ان الوقف على قوله فضي لا مر لازم لا افل من المطلوب لان ما بعده جملة مستانفة ولو وصلا وقع ان يكون حالا من الامر اي قضا وليس كذلك يرجعون ه التفسير هذا شروع في ابتداء خلق عيسى ذريان خلق الولد بين سبحن فا بنين ارد الى مناهج العادات من تخليق الولد من غير اب فلهذا احرف قصة عيسى عن قصة يحيى فريا من باب التفهم من الادنى الى الاعلى وقوله اذ بدل الاشتمال من مريم لان الازمان مشتملة على ما فيها وفي هذا الابدال تفخيم لشان الوقت كوقوع قصتها العجيبة فيه والانتباذ افتعال من النبذ الطرح كانها القت نفسها الى جانب معتزلة عن الناس في مكان بلقع شرقي بيت المقدس او شرقي دارها قال ابن عباس من ههنا اتخذ النصارى المشرق قبلة فاتخذت من دونهم حجابا لا مبدلا الاحتجاب من عرض صحيح فمن المفسرين من قال انها لما اتاها المخاض جيء بها عند عن كانها المعتاد ولكن تنظر الطهر فتغتسل وتعود لما طهرت جاءها جبريل عم وقيل طلبت الخلوة لاجل العبادة وقيل في مشرقة للاغتسال من الحيض محجبة بحايط او شيء يسترها وقيل كانت في منزل زوج اختها زكريا ولها محراب على حده تسكنه وكان زكريا اذا خرج اغلق عليها بابها فتمتنان تجد خلوة في الجبل لتقلى راسها فانجا لسقفها فخرجت وجلست في المشرقة وراء الجبل فاتاها الملك وذلك قوله فارسلنا اليها روحنا يعني جبريل لان الدين يحيى بروحه والاضافة للتشريف والتسمية مجازا كما تقول لمحبة انزروحي فتمثل لها حال كونه بشرا سويا باتم الخلق واحسن الصور وانما مثل لها في صورة الانسان لتستانس بكلامه ولا تنفر عنه وتدع الروحانى كجبريل مثلا نارة بالهيكل العظيم واخرى بالصغير عند مستبعد والذي اعتقده وان جبريل حسبما جوزوا ان يكون لاجزاء اصلية قليلة واجزاء فاضلة فتلك الاجزاء الاصلية يكون متمكنا من التشبيه بصورة الانسان ولندرة امثال هذه الامور لا يلزم منها قدح في العلوم العادية المستندة الى الاجناس فلا يلزم الشك في ان زيدا الذي نشاهده الان هو الذي شاهدناه بالامس قوله ان كنت نقيا اي ان كان يرجى منك ان تتقي الله وتجعل الاستعاذة به فائدة به منك وقيل انه كان في ذلك العصر انسانا فاجرا اسمه تقي وكان يتبع النساء فظنت ان ذلك الشخص هو ذلك الشخص فاستعاذت بالله وقيل ان ناقية اي فاكنت تقيا حين استحلت النظر الى وخلوتي وحين علم جبريل خوفها قال لها انما انا رسول ربك ارسلني لاهب لك او ليهب لك غلاما زكيا طاهرا من الذنوب بمنوعا على الزاهدة والعفة وكيف لا زال خوفها بمجرد التمثل احتمل ان يكون قد ظهر لها معجزة من جهة زكريا او ارهاصا لعيسى او الهاما من الله سبحانه وهل يقدر الملئكة على تركيب الاجزاء وخلق الحيوة والنطق حتى صح قول جبريل لاهب لك قال اجمعت الامة على ان لا قدرة للاجسام على ايجاد الجواهر واعدامها والا فالاستعانة في تاثير بعض الاجسام في بعضها الخاصية خصها الله بها وجبر صحح هذه القراءة ان جبريل صار سببا في الهبة بالنفخ في الدرع قال استغرابا من حيث العادة لا تشكيكا في قدرة الله اني يكون لي غلام لم تقل لي بشر ولا ما لانها تخاطب جبريل واما الكفاء بما سلف في ال عمران ولم يمسسني بشر ولما لم يكن بغيا ما الهاجرة تبعي الرجال عن البر اذ اصله بغوي على فعول فقلبت الواو ياء ثم ادغمت في الياء وكسرت الغين للمناسبة عن ابن حيي انه فعيل والا لقيل بغوا كنهوء المنكوحة فصغت بعدها عن زيادة الاعتبار بهذا الحري بزيزنا ساحتها عن الفحشاء ولما جرى في اول القصة من تمثل جبريل لها بصورة البشر خشيت انه يريدها بسوء فاستعاذت بالرحمن منه بخلاف هذه القصة في ال عمران فانها بنيت على الامن والاستبشار بقوله واذ قالت الملئكة يا مريم ان الله يبشرك فلم تخش الى هذه الزيادة وقال جار الله المراد بالمس عبارة عن النكاح الحلال لانه كناية عنه في قوله من قبل ان يمسوهن والمسلم

النساء وانما بنى في الزنا بحرها وجئت بها وبخوذ لك ولا يليق بهذا الكتاب والاداب فلذا لو سلم هذا من حيث اللغة الا انه لا يدل لزيادة قوله ولد الزنا
في هذا المقام من فائدة وقد عرفت ما سنح لنا والله اعلم فان لك قال ربك هو علي هين تفسيره كما مر في قصة زكريا ولنجعله اي ولنجعل الغلام او خلقه
اية للناس يستدل بها على كمال اقتداره على ابداع الغرائب فعلنا ذلك ويجوز ان يكون معطوفا على فعل مضمر يتعلق بما يدل عليه هين
اي نخلقه لنبين به قدرتنا ولنجعله اية وقدر مثل هذا في قوله ولقد مكناكم في الارض ولنعلمه ورحمة منا على عبادنا الان كل شيء رحمة لامنه فيه
يهدون الى صلاح الدارين وكان امرا مقضيا مقدرا في اللوح او امرا حقيقا بان يقضي به لكونه اية ورحمة وهذا مبني على ان رعاية الاصلح واجبة على الله
وههنا اضمار قال ابن عباس فاطمأنت الى قوله فدنى منها فنفخ في جيب درعها فوصلت النفخة الى بطنها فحملت وقيل في ذيلها فوصلت الى الفرج وقيل
في فمها وقيل ان النافخ هو الله كقوله فنفخت فيه من روحي وعلى هذا يقع تقديم ذكر جبريل كما لصنايع ولا سيما في قراءة من قرأ لاهب لك قيل حملته وهي
بنت ثلث عشرة سنة وقيل بنت عشر وقد ما صنعت بين قبل ان تحمل وكمدة حملها عن ابن عباس في رواية تسعة اشهر كما في سائر النساء لانها لو كانت مخالفة
لهن في هذه العادة لنالت بذكرها الله تعالى في اثناء ما جرى عليها وقيل ثمانية اشهر وهو لم يعش مولود لثمانية الا عيسى قال اهل التنجيم انما لا يعيش لانه لا يعود
الى منتهى القمر وهو مغير معين يسرع حركته وغلبة البرد والرطوبة عليه وعن عطاء وابي العالية لبثوا الضحاك سبعة اشهر وقيل حملته في ساعة
وصور في ساعة ووضعته في ساعة حين زالت الشمس يوم الثلثاء وعن ابن عباس في رواية اخرى كحملته بنبذة لقوله تعالى مثل عيسى عند الله الى قوله لكن فيكون
ولعل ان التعقيب في قوله فحملته فانتبذت به مكانا قصيا فجاءها المخاض وعلى هذا فالمكان القصي هو اقصى الدار او وراء الجبل بعيدا من اهلها ومعنى
انتبذت به اعتزلت مثل تبسر به وهو في بطنها وقصي مبالغة قاص ورد وي التعليل عن وهب قال ان مريم لما حملت فاول من عرف هو يوسف النجار ابن عمها وكانت
سميته وكانا يخدمان المسجد ولا يعلم اهل بيتها اكثر عبادة وصلاحا منهما فقال لها انه وقع في نفسي من امرك شيء ولا احب ان اكتمك فقالت قل
قولا جميلا فقال اخبريني يا مريم هل ينبت زرع بغير بذر وقال لتعلم انك تعلم ان الله تعالى انبت الزرع يوم خلقه من غير بذر او تقول ان الله لا يقدر على الانبات حتى
يستعين بالماء اما تعلم ان الله تعالى خلق ادم وامراته من غير ذكر وانثى فقال يوسف لا اقول هذا ولكني اقول ان الله قادر على ما يشاء وذلك انه عن قلبه
وكان ينوب عنها في خدمة المسجد لضيق قلبها واستيلاء الضعف من الحمل فجاءها المخاض فالجأها الى اصل نخلة فالجاء الله لجأ منقول من ألجأ الا ان استعماله
قد تغير بعد النقل الى معنى الالجاء الا ترى حيث لم يمكن المكان واجافه ريد كابى بلغته وابلغينه ونظيره ان حيث لم يستعمل الا في الاعطاء وله بقل انبت
المكان وانابته فلان قلت ما صلة مخصصة بالتعدية بعد تعميم والمخاض بفتح الميم وجع الولادة قال الجوهري مخضت الناقة بالكسر مخاضا مثل
سمع سماعا قيل طلبت الجذع لتستظل به وتعتمد عليه عند الولادة هروي انه كان جذع النخلة يابسا في الصحراء ليس لها راس ولا ثمرة ولا خضرة وكان
الوقت شتاء والتعريف اما كتعريف النجم والصعق لكون ذلك الجذع مشهورا هناك واما للجنس اي جذع هذه الشجرة خاصة اريد بها الطعم
منها الرطب الذي هو حرسة النفساء اي طعامها الموافق لها ولان النخلة اقل الاشياء صبرا على البرد ولا يتم الا بالدفاء فكان ذلك الرطب من ذلك
الجذع في الشتاء من دون لقاح وابارد ليلا على حصول الولد من غير ذكر قال في الكشاف واسم ما من حقه ان يطرح ويبنى لحرفة الطامث ونحوها وتطرح
الذبح لما من شانه ان يذبح وعن بعض العرب اذا ارتحلوا لو اطرحوا انساكم العصا والقدح والشطاط ونحوها تمتنت لو كانت شيئا لا يعبا به فضلا
ان ينسى في العادة ومعنى منسيا انه قد نسي واطرح فوجد فيه النسيان الذي هو ضد الذكر واما تمنت ذلك لما الحقها من فرط الحياء والخجل ولانهم يعدونها
وصمة عار فيه براءة ساحتها فتؤدي ذلك عليها او خوفها على الناس ان يعصوا الله بسببها ومن قرأ نسيا بالفتح فقد قال الفراء هما لغتان كالوتر والوتر
ويجوز ان يكون لتسمية بالمصدر كالحمل وقرئ نساء بالهمز وهو الحليب المخلوط بالماء يشا اهله لقلته وزارته فنادتها من تحتها الذي هو تحتها
او انسان تحتها يعني جبريل بناء على انه كان يقبل الولد كالقابلة او اراد اسفل من مكانها لان مريم كانت قريبا الى الشجرة منه وكان جبريل تحت الكمة
وهي فوقها فصاح بها لا تحزني وعن الحسن وسعيد جبير ان المراد به عيسى لان ذكره يلي ذكرها وقرب ولان موضع اللوث لا يليق بالملك ولان لقصد بهم
ان تكون معلومة للمسامع والذي علم كونه حاصلا تحتها هو الولد ويجري القولان فيمن قرا بكسر الميم وعن عكرمة وقتادة ان الضمير في تحتها للنخلة لقوله
سريا جمهور المفسرين على ان السري هو الجدول وروي ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم لانا لما يجري فيه وقيل هو من السرو وهو ما سخا في مروءته وبعد
فلان من سراوات قومه اي من اشرافهم وجمع السري سراة وجمع سراة سراوات عن الحسن كان والله عبدا سريا حجر هذا القايل ان النهر لا يكون تحتها بل الى
جنبها ولا يمكن ان يقال المراد ان النهر تحت امرها يجري بامرها ويقف بامرها كما في قوله وهذه الانهار تجري من تحتي لانه خلاف الظاهر واجيب بان المكان
المستوي اذا كان فيه مبدا معين فكل من كان اقرب منه كان فوق وكل من كان ابعد منه كان تحت واراد ان النهر تحت الكمة وهي فوقها وانما حمل السري
على النهر موافقة قوله واويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين وقوله فكلي واشربي وروي ان جبريل ضرب بعقبه فظهر ماء عذب فبذلك كان هناك ماء جار و
الاول اقرب لان قوله قد جعل ربك مشعرا بالاحداث في ذلك الوقت قال الفقال الجذع من النخلة هو الاسفل بادون الراس الذي عليه الثمر وقال
قطرب كل خشبة في اصل شجرة فهي جذع والتاء في قوله تجذع النخلة كالزايدة لان العرب تقول هزه وهزبه والمعنى حركي جذع النخلة او افعلي الهز بها رطبا
تميرا او مفعول تساقط على حسب القراءتين للارادة والتعدية وعن الاخفش المراد جواز انتصابها بهزي اي هزي اليك رطبا جنيا بجذع النخلة اي على جذعها

والجنى المأخوذ طريا والظاهر انه ما تم الا الرطب فقضاه وقيل انه كان على حاله وانه اثمر مع الرطب عنبا فقالوا اذا عسر كل هذه المرأة لم يكن لها خير من الرطب والتمر للنفساء عادة من ذلك الوقت وكذا الهيثم والمراد انه جمع لها في السري والرطب احدهما الاكل والشرب وقدم الاكل مع ان ذكر السري مقدم لان حياج النفساء الى اكل الرطب اشد من احتياجها الى شرب الماء لكثرة ما سال من الدماء والثانية سلوة الصدر لكونها معجزة لزكريا او ارطاما لعيسى وكرامتين لمريم واشار الى هذه بقوله وقري عينا لان قرة العين تلزم قوة القلب والتسلي من الصوم والاحزان وقيل ان لم النفس اشد من الم البدن فلم قدم دفع الم البدن على دفع الم القلب واجيب بان الخوف النفسي كان قليلا لتقدم بشارة جبرئيل فكان المذكور كافيا فاما من اصلها بين مثل لتمرين خففت الهمزة وسقطت نون الاعراب للجزم ثم بنيا الضمير لاتصاله بنون التاكيد وذلك بعد الحذف نون التاكيد وقد مر في قوله اما يبلغن عندك الكبر ان التاكيد فيه الصورة بقصد ان الشرط ما سيقع غالبا فان تزم لا بد ان يرى احد امارات عادة عن ان تمالك الصوم هنا الصمت وعن ابن عباس مثله وقال ابو عبيدة كل ممسك من طعام او كلام او سير فهو صائم وقيل اراد الصمت الا انهم كانوا لا يتكلمون في صيامهم قال القفال لعل مثل هذا النذر يجوز في شرعنا لان الاخبار عن كلام البشر مجرد الفكر لذكر الله تم وهو قريب لعله لا يجوز لما فيه من التضييق والتشديد ولا حرج في الاسلام وفي الكشاف نهى رسول الله ﷺ عن صوم الصمت وروي انه دخل ابو بكر الصديق على امرأة وقد نذرت انها لا تتكلم فقال لها ابو بكر ان الاسلام هدم هذا فتكلمي فان امرها بهذا النذر ومعناه ان كلام صبي قوي في ازالة التهمة وقيل ان نقوض الايمان الى الافضل اولى والثاني ان السكوت عن جدال السفيه اصون للعرض من مجاذبة الناس سفيه لم يجد مستافها وكيف اخبرتهم بالنذر وقيل بالاشارة ولا يلزم النقض وقيل خرق هذا الكلام بالقرينة العقلية وقوله انسيا اراد المبالغة في نفي الكلام او اراد اني لم اومر هذا اشبه بقوله فاما ترين من البشر فقولي اني نذرت لرحمن صوما فلن اكلم اليوم انسيا اراد ما سمعت من الناس من كتابة الملكة فلما كلمها جاءها مصداق ذلك فاحتملته فاتت به الى قومها وعن ابن عباس ان يوسف بن يعقوب لما انتهى بهم الى الغار فلبثوا فيه اربعين يوما حتى طهرت من نفاسها ثم جاءت تحمله فكلمها عيسى في الطريق فقال لها اما ابشرك فاني عبد الله ورسوله فلما دخلت به على قومها بناكوا وقالوا لقد جئت شيئا فريا يريد عاما من فري الجلد وليس في هذا ما يوجب تعييرا وذما لان امرها كان خارجا عن العادة ويحتمل ان يراد انه امر منكر خارج عن طريق العفة والصلاح فيكون توبيخا ويؤكده قولهم يا اخت هرون الآية واختلفوا في هرون فقيل كان اخاها من ابيها من امثل بني اسرائيل فهذا الظهر لان حمل اللفظ على الحقيقة اولى من غيره وقيل وروي عن النبي ﷺ انهم عنوا هرون النبي اخا موسى عليهما السلام وكانت من اعقاب هرون في طفرة الاخوة وبينهما الف سنة واكثر وعن ابن السدي كانت من اولاده والمراد انها واحدة منهم كما يقال يا اخا هذان اي يا واحدا منهم وقيل اراد رجلا صالحا في زمانها اي كنت عندنا مثلة في الصلاح يحكى ان بغيا زنا ربعون الفا كلهم يسمى هرون بتركايا باسمه وقيل كان رجلا طالحا معلنا بالفسق فشبهوها به بالتشبيه بنسبة وروي انهم هموا برجمها فاشارت ليراي ان عيسى هو الذي يحكم وبم عرفت ذلك اما بان كلمها في الطريق او بالهام او بالوحي الى زكريا او بقول جبرئيل على ان امرها بالسكوت بعد ما سبق من البشارة اشارة الى ذلك قيل كان المستنطق لعيسى زكريا وعن السدي كلما اشارت اليه غضبوا وقالوا السخرية بنا اشد بنا من زناها ثم قالوا كيف نكلم من كان في المهد قال اجابوا الله كان لا يقاع منطوق الجملة في زمان ماض منهم بصلح القريب والبعيد وههنا للزمان القريب غير الحال بدلالة الحال وهو حكاية حال ماضية اي كيف نكلم صبيا في المهد حتى يتكلم هذا ويحتمل ان هو كان زائدة نظرا الى اصل معنى وان كان بعيدا ارتباط مع رعاية الفاصلة او هو تامة وصبيا حال مؤكدة يروى انه رضع فلما سمع مقالتهم ترك الرضاع واقبل عليهم بوجهه وانكاء على يساره واشار بسبابته فقال اني عبد الله فكان هذا اول كلام قول النصارى انه في الكتاب هو الانجيل او التوراة فهما وقيل كمل الله عقله واستنباه طفلا بل في بطن امه وقيل اراد انه سبق في قضائه او جعل الاتي لا محالة كائنا فقد وجد والاول اظهر وصغر الجثم يفيد في كمال العقل وخرق العادة فيه اكثر قالوا ان كمال عقله في ذلك الوقت خارق للعادة فيكون المعجز منه دالا على النبي وهو غير جائز ولو كان نبيا في ذلك الوقت وجب ان يشتغل بتبيان الشرايع والاحكام ولو وقع ذلك لاشتهر ونقل والجواب ان بعض معجزات النبي لا بد ان يكون مقرونا باتحدي اما الكل فممنوع وبعبارة اخرى لا بد ان يكون مقرونا بفعل خارق للعادة فانه لا يلزم اقتران ما يتحدى به كذا الكلام في بيان الشرايع فان بعض الانبياء لا بد ان يقترن ببرهان كل واحد منهم وحالا انه على ان اشار الى بعض التكاليف بقوله واوصاني بالصلوة والزكوة كما يجيء وعن بعضهم انه كان نبيا لقوله وجعلني نبيا ولكنه ما كان رسولا لانه ما جاء بالشريعة في ذلك الوقت ومعنى كونه نبيا انه رفيع القدر على الاطلاق وضعف بان النبي في عرف الشرع اخص من ذلك ومعنى كونه مباركا اينما كنت نفاعا اجتماعا كنت روي ذلك عن رسول الله ﷺ وقيل معلما للخير وصلاحا لكثير من اهل الكتاب باخلاقهم فيه لا يفتح في منصبه كما قيل على تحت القوافي من معادنها وما على اذا لم يفهم البشر وهذه منة الله في انبيائه ورسله كلهم وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا وهروي ان مريم سلمت عيسى الى المكتب فقالت للمعلم ادفعه اليك على ان لا تضربه فقال له اكتب فقال له اي شيء اكتب فقال اكتب ابجد فقال له اكتب شيئا لا ادري ثم قال ان لم تعلمه ما هو فانا اعلمك الالف الاء الله والباء من بها الله والجيم جمال الله والدال ادراع الحي القيوم وقيل البركة اصلها من بروك البعير والمعنى جعلني ثابتا في دين الله مستقرا فيه ولا تزال راتعا وهو يحمي المولى ويريح الاكمه والابرص فقالت طوبى لبطن حملك وثدي ارضعك فقال عيسى مجيبا لها طوبى لمن تعلم كتاب الله واتبع طاعته ولم يجعل جبارا شقيا واوصاني بالصلوة والزكوة ما دمت حيا

في وقتها المعينة وهو وقت البلوغ واما في الحال بناء على انه كان مع صغره كامل العقل تام التركيب بحيث يقوى على اداء التكاليف وتوجيه قوله
ما دمت حيا وقبل الزكوة فيهما صدقة الفطر وقبل تطهير البدن من دنس الاثام وقبل اوصاني بان اقيم بهما وفي قوله وبر بوالدتي دلالة واشارة الى
براءة امه من الزنا والا لم يكن الرسول المعصوم مامورا بالبر بها قال بعض العلماء الاتجد العاق الا جبارا شقيا وتلا قوله وبر بوالدتي ولم يجعلني
جبارا شقيا ولا تجد سيئ الملكة الا مختالا فخورا وقرأ وما ملكت ايمانكم ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا وانما نفى عن عيسى الشقاوة والمعصية
عنه المعصية كما نفى عن يحيى لما جاء في الخبر ما احد من بني ادم الا اذنب او هم بذنب الا يحيى بن زكريا ومن عقائد اهل السنة ان الانبياء معصومون
عن الكبائر دون الصغائر قوله والسلام علي قال العلماء انما عرف السلام ههنا بعد تنكيره في قصة يحيى لان النكرة اذا تكررت تعرفت على ان تعريف
الجنس وترتيب من تنكيره وقيل ان الاول من الله والثاني عنه كثير قليل منك يكفيني ولكن قليلا لا يقوله قليل والى الارض منك باهدى الذي
لو ابصره الواشي لقرت بلابله بلاء وبان لا استطيع وبالمنى وبالوعد حتى يسام الوعد طله والثاني من عيسى في الكثير منه لا يبلغ معشار سلام الله
عن بعضهم ان عيسى قال ليحيى اتخبرني سلام الله عليك وسلمت على نفسي واجاب الحسن بان تسليمه على نفسه هو تسليم الله عليه وقال جار الله
فيه هذا التعريض بالغضة على متهمي مريم واعدائها من اليهود لانه ازاح عن جنس السلام خاصة فقد عرض بان شده عليهم نظير في قصة موسى
والسلام على من اتبع الهدى يعني ان العذاب على من كذب وتولى بري انه كلهم بهذه الكلمات ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغا يتكلم فيه الصبيان وعن اليهود والنصارى في
انهم انكروا تكلم عيسى في المهد قلت بان هذه الواقعة مما يتوفر الدواعي على نقلها فلو وجد لاشتهرت وتواترت مع شدة غلو النصارى فيه
مناقبه وايضا ان اليهود مع شدة عداوتهم له لو سمعوا كلامه في المهد بالغوا في قتله ودفعه في طفوليته واجاب المسلمون من حيث العقل بانه لو لا كلامه
الذي لهم على براءة نهاهم الذي قد نوه به لا قاموا عليها الحد ولم يتركوها ولعل حاضري كلامه قليلون فلذلك لم يبلغ مبلغ التواتر ولعل اليهود لم يحضروا
هناك فلذلك لم يشنعوا وقد بدد فعه والله اعلم ذلك الموصوف بالصفات المذكورة من قوله اني عبد الله الى اخره هو عيسى بن مريم وفي كونه ابنا لهذه
المرأة نفي كونه ابنا لله على ما زعمت النصارى لتواكد هذا المعنى بقوله قول الحق فان كان الحق هو اسم الله نحو قوله كلمة الله وانتصابه على المدح وان كان بمعنى قول
الثابت والصدق فانتصابه على انه مصدر مؤكد لمضمون الجملة المتقدمة نحو قولك هو عبد الله الحق وقول الحق بالاضافة الموصوف الى الصفة مثل حق اليقين
وقد مر بيانها ان قرئ على انه خبر بعد خبر او بدل او خبر مبتدأ محذوف ومعنى تمترون تشكون من المرية الشك والمراد بهم اليهود من المراء اللجاج وذلك ان
اليهود قالوا ساحر كذاب وقالت النصارى ابن الله وثالث ثلثة ثم صرح ببطلان معتقدهم فقال ما كان لله ما صح له وما استقام ان يتخذ من ولد كما لا
يستقيم ان لا يكون له شريك وقد مر مثل هذه الاية في سورة البقرة والذي نزيده ههنا ان بعضهم قال معنى الاية ما كان لله ان يقول لاحد انه ولدي ولا
هذا الخبر كذب لكذب يلحق بحكمته تعالى وزعم الجبائي بناء على هذا التفسير انه ليس لله ان يفعل كل شيء لان قوله ما كان لله ان يتخذ من ولد كقولنا ما كان
لله ان يظلم فلا يلحق شيء منها بحكمته وكمال الهيبة واجيب بان الكذب على الله محال والظلم يطرق في ملك الغير فلا يتصور في حضرة قاهر فان ردتم هذا المعنى
فلا نزاع وان اردتم شيئا اخر فما الدليل على امتناع ان يخرج بعض الاشاعرة بالاية على قدم كلام الله لان قوله كن ان كان قديما فهو المطلوب وان كان محدثا
احتاج في حدوثه الى قول اخر ويتسلسل واستدل المعتزلة بها على حدوث كلام الله قالوا ان قوله اذا تفضي للاستقبال وذلك القول مناف عن القضاء
الحدوث والمناف عن المحدث محدث وايضا القائل يقول للشيء القول متقدم عليه بالافضل والمتقدم على المحدث بزمان قليل محدث وكلا
الاستدلالين ضعيف لانه لا نزاع في حدوث الحروف وانما النزاع في كلام النفس وايضا قوله كن عبارة عن نفاذ قدرته ومشيته والا فليس ثم قول لان
الخطاب مع المعدوم عبث ومع الموجود تحصيل للحاصل ومن الناس من زعم ان المراد من قوله فيكون صيغة التكوين فانها زائدة على صفة القدرة
لانه قادر على جميع المقدورات سوى هذا وغير مكون لها ولعل هذا الزاعم سمى تعلق القدرة بالمقدور تكوينا ومن قرأ وان الله بالفتح فمعناه ولان الله ربي
وربكم فاعبدوه وقيل ان الربوبية هي سبب العبادة فمن لم يصح عبادته فمن لم يصح عبادته فمن لم يصح ان يعبد ولا رب بالحقيقة الا الله كانت جميع الوسائط
الاسباب الميتة فلا يستحق العبادة الا هو وههنا نكتة هي ان الله تعالى لا يصح ان يقول ان الله ربي وربكم فاعبدوه فالتقدير قل يا محمد بعد اظهار البراءة
الباهرة على ان عيسى عبد الله ان الله ربي وربكم وقال ابو مسلم الاصفهاني انه من تتمة كلام عيسى وما بينهما اعتراض وعرفهم منبه عهدا لهم حين
اخبرهم عن حاله وصفته ان كلتا عبد الله تعالى فاختلف الاحزاب من بينهم اي من بين اهل الكتاب قال الكلبي هم اليهود والنصارى وقيل
اختلفوا انهم تفقوا على ان يرجعوا الى علماء دينهم وهم يعقوب وشطور وملكا فقيل الاول انه قتل عيسى فقال هو الله هبط الى الارض فحلى و
رجع ثم صعد الى السماء فتبعه على ذلك كثير وهم اليعقوبية وسئل الثاني فقال هو ابن الله فنابعهم غيرهم النسطورية وسئل الثالث فقال
كذبوا وانما كان عبدا مخلوقا نبيا يطعم وينام فضارا خصمه وهو المؤمن المسلم وقيل كانوا اربعة والرابع اسمه اسرائيل فقال هو الرواما له والثلثة اقانيم
والروح واحد واعلم ان بحث الحلول والاتحاد مبسوط وقد تخلى الكلام وفيما الى مقامات يصعب المرتقى اليها فلذا للفضل فيه من ضل وذل عنه من زل والله سبحانه
اعلى من جميع ذلك وجل وويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم اي من شهودهم هذا الجزاء والحساب في ذلك اليوم او من ذلك اليوم او من مكان شهودهم او من مكان شهود
فيه وهو الموقف ويحتمل ان يكون المشهد مصدرا بمعنى الشهادة اي من يشهد عليهم الملئكة والانبياء او جوارحهم فيريا لكفر والقبائح او من مكان الشهادة او وقتها
وقيل هو ما قالوه وشهد وا بر في عيسى امر يوم ولادته ومعنى التعليل اي اويلهم من اجل المشهد وبسبب سوء صنيعهم واصر صنيعهم للتعجب والمراد انها بان

الحاسبين منهم حيدران يتعجب منهما في ذلك اليوم لبعد ما كانوا صما وعميا في الدنيا وذلك لكشف الغطاء ولحاق العيان بالخبر والتعجب استعظام الشيء بسبب عظمه ثم جوز استعمال لفظ التعجب عند مجرد الاستعظام من غير خفاء السبب ومن غير سبب قال سفيان قرأت عند شريح بل عجبت ويسخرون وقال ان الله لا يعجب من شيء انما يعجب من لا يعلم فذكرت ذلك لابراهيم النخعي فقال ان شريحا شاعر يعجبه علم وعبد الله اعلم بذلك منه والمعنى انه صدر من الله فعل لو صدر مثله عن الخلق لدل على حصول التعجب في قلوبهم وقيل معنى الآية انهم بما سيسمعون ويبصرون يوم يأتوننا هم اليوم وقيل كرر اسمع وابصر بهم لتعيير وتسوية فتهم والوجه هو الاول ويؤيده قوله لكن الظالمون اي لكنهم وضع المظهر موضع المضمر ليسوء وهو يوم التكليف في ضلال مبين حيث اغفلوا النظر والاستماع وتركوا الجد والاجتهاد في تحصيل الزاد للمعاد وهو يوم الحسرة لهم اهل النار فيه وقيل اهل الجنة ايضا اذا رأى الادنى مقام الاعلى والاول اصح لان هذه الخواطر لا توجد في الجنة لانها دار السرور وانما بدل من يوم الحسرة او منصوب بالحسرة ومعنى قضي الامر فرغ من الحساب وتصادر الفريقان الى الجنة والنار وعن النبي انه سئل عنه فقال يؤتى بالموت فيذبح كما يذبح الكبش والفريقان ينظران فيزداد اهل الجنة فرحا الى فرحهم واهل النار غما الى غمهم قال ارباب المعقول ان الموت عرض فلا يمكن ان يصير جوابا فالمراد انه لا موت بعد ذلك عن الحسن وهم في غفلة متعلق بقوله في ضلال مبين وقوله وانذرهم اعتراض ويحتمل ان يتعلق بانذرهم اي انذرهم على هذه الحال غافلين غير مؤمنين ويحتمل ان يكون ناظرا قالا انذرهم حين قضي الامر بيان الدلايل وشرح امر الثواب والعقاب ثم اخبر عنهم انهم في غفلة وهم لا يؤمنون ثم رد بقوله انا نحن نرث الارض ومن عليها اي امور الدنيا كما لا يزول وان الخلق كلهم يرجعون الى حيث لا يملك الحكم الا الله وفيه من التخويف والانذار ما فيه التأويل وقد ذكر في الكتاب الاولى ان مريم القلب اذا تبتلت من اهلها تفرغت من اهل الدنيا متوجها الى جانب شرقي النور الالهي فاتخذت من دونهم حجاب الخلوة والعزلة وارسلنا اليها روحنا وهو نور الالهام الرباني والخاطر الرحماني كقوله وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا فتمثل لها بشرا سويا كما تمثل روح التوحيد بحروف لا اله الا الله لانتفاء الخلق به قالت اني اعوذ بالرحمن منك ظنا منها انه يشغلها عن الله قال انما انا رسول الموارد الرباني لاهب لك غلاما زكيا طاهرا عن لوث الظلمة الا نيته وهو النفس المطمئنة القدسية ولم يمسسني بشر خاطر من عالم البشرية ولما لا يعبأ الطلب غيرا خلفت لاجله وهو التوجه الى عالم الروح المجرد فحملته بالقوة القريبة من الفعل فانتبذت به مكانا قصيا لافتقاره الى العبور على منازل الشريعة والطريقة فجاءها مخاض الطلب الى جذع النخلة وهي كلمة لا اله الا الله التي كان اصلها ثابتا في ارض نفسها قالت يا ليتني مت قبل هذا قال بعض اهل التحقيق هذه كلمة يذكرها الصالحون عند اشتداد الامر عليهم قال علي لو علمت يوم الجمل يا ليتني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة وعن بلال ليت بلالا لم تلده امه وقيل لم يرد انهم قالت ذلك لعلمها بان الله يغفر بدخول النار خلقا كثيرا بسبب تهمتها وبسبب الغلو والتقصير في حق ابنها فلشدة هيمان القلب قالت يا ليتني مت عن الدنيا بجسمه قبل هذا الوقت الذي عرفت باللذات الحقيقية وكنت نسيا منسيا فان الحمول زاحرة والشهرة آفة فتاها بلسان الحال من تحت ضرها من الاناة الاولى الاخروي فدحمل ربك تحتك اي تحت تصرفك سريا هو الغلام الموعود او جدول الكشوف والعلوم الدينية وهزي اليك بجذع النخلة بالمداومة على الذكر تساقط عليك رطبا جنيا من المشاهدات المكاشفات حالا فحالا فكلي واشربي من عيون الافضال وقري الثواب من نادنه ابيت عندي بطعمني ربي ويسقيني وقري عينا بانوار الجمال في حجرة الوصال فاما ترين من السوانح البشرية احدا فقولي اني نذرت للرحمن صوما كما قيل الدنيا بلو والناس فيها صواي عن الالتفات بغير الله فاتت به قومها من غاية الجمال لكمال احوال اهل الكمال يا اخت هرون النفس المطمئنة او الامارة بنا على ان هرون كان صالحا او طالحا ما كان ابوك وهو الروح المفارق ما مر سوء وما كانت امك وهي القالب بغيا تستأنف الى غير عالم الطبيعة التي خلقت لاجلها فاشارت اليه فيه ان هذا القوم مع اهل الاشارات في المهد مهد السر وذلك المتولد من نفخ الروح في مريم القالب ليس بناسوت ولا محالة ولا نفسية فخلقت لاجل ان يقوم عبدا لله لاجله وقوم عبده طمعا في جنته وقوم عبده الهوى وذلك قوله وقيل للذين كفروا اسمع بهم وابصر بهم يوما تأتينا لانهم بالله ليسمعون ويبصرون

وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا

(ویاد کن در کتاب ابرسیم را بدرستیکه او هست راستگو پیغمبری چون گفت مر پدرش را ای پدر مپرستید چیزی را که میشنود ونمیبیند)

يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَا أَبَتِ

(دفع نکند از تو چیزی را آمد مرا از علم که نیامد بتو پس پیروی کن مرا راه مینمایم ترا راه راست ای پدر)

لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ

(مپرست شیطان را بدرستیکه شیطان باشد مر خدای را فرمان پس بدرستیکه من میترسم اینکه برسد ترا عذاب از خدای)

لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَامٌ

(مر شیطان را دوست گفت یا میگردانی تو از خدایان من ای ابرهیم اگر نباز ایستی هر آینه سنگسار کنم ترا و دور کن مرا از من مدت دراز)

عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ

(بر تو سلامتی خواهم مر ترا از خدای من بدرستیکه او باشد بمن مهربان زود باشد که نیامرزد مر ترا پروردگار من بدرستیکه او باشد بمن مهربان و کناره میکنم از شما و آنچه میخوانید از غیر خدا و میخوانم پروردگار خود را)

أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ

(که نباشم بدعا بپروردگار خود شقی نا امید پس چون کناره کرد از ایشان و آنچه میپرستیدند از غیر خدا وبخشیدیم مر او را اسحق و یعقوب)

دیگر

اي يا اهل

وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ۝ وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ۝ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ
وهريك را از ايشان پيغمبر وكرديم ايشان را از رحمت خود وكردانيديم مر ايشان را زبان راست بلند ويادكن در كتاب موسى را بدرستيكه او
كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ۝ وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ۝ وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا
باشد پاك وفرستاده پيغمبر وندا كرديم او را از جانب كوه طور راست ونزديك گردانيديم او را در راز گفتن وبخشيديم او را از رحمت خود
أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ۝ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ۝ وَكَانَ
برادرش هرون را پيغمبر ويادكن در كتاب اسمعيل را بدرستيكه او بود راست كننده وعده وبود فرستاده پيغمبر وبود
يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ۝ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا
كه فرمودى اهل خود را بنماز وزكوة وبود نزد پروردگار خود پسنديده ويادكن در كتاب ادريس را بدرستيكه او بود راستگو
نَبِيًّا ۝ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۝ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا
پيغمبر • وبلند كرديم او را مكان بلند انكسانند كه انعام كرد خدا بر ايشان از پيغمبران از نسل آدم واز آنكه برداشتيم
مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا
با نوح وازفرزند ابراهيم واسرائيل واز آنكه راه نمود ما را وبرگزيد ما را چون خوانده شد بر ايشان
سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۝ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا
سجده كنندگان وگريان پس ترسيد از بعد ايشان فرزندى كه ضايع كردند نماز را ومتابعت كردند آرزوها را پس زود باشد كه ببينند سزاى گمراهى را
إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ۝ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي
مگر آنكه توبه كرد وبگروييد وكار شايسته كرد پس آنگروه درآيند بهشت را وستم كرده نميشوند هيچ چيز را بهشتهاى اقامت
وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا ۝ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ
كه وعده كرده خداى بندگان خود را بپنهان بدرستيكه او باشد وعده او آورده شده يعنى درآن بهشت نميشنوند
رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ۝ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ۝ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ
روزيشان درآن بامداد وشبانگاه اين بهشت است كه ميراث دهيم از بندگان خود هر كه باشد پرهيزكار وفرود نيايم
رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ۝ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
پروردگار تو مر او راست آنچه پيش است ما را وآنچه پس است ما را وآنچه ميان اينست وبنشايد پروردگار تو فراموش كار پروردگار آسمان وزمين
وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ۝ القراءة ۝ قرئ انه بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابو عمرو
وآنچه ميان آنهاست پس پرستيد او را وصبر كن مر پرستيدن او را آيا ميدانى مر او را همنامى
مخلصا بفتح اللام حمزة وعلى وخلف وعاصم غير المفضل الباقون
بكسرها ابرهام ومابعده هشام والاخفش عن البزى وان اذا بنى بالياء النحاة بئره وكاف سورة الحج فتبتر نورث بالتشديد ودبر الوقوف ابرهيم
بناء شيئا سوياه لا تعبد الشيطان عصياه ولياه يا ابرهيم وقد يوصل ويوقف على الهمزة عليا سلام عليك للابتداء بسين الاستقبال مع ان الفاعل
واحد لان ذا يطرد حفياه وادعوربى لانقطاع النظم والوصل ولان عسى طمع لا اجابة فوصل بالدعاء شقياه من دون الله لان ما بعده جواب لما ويعقوب
نبيا عليا موسى للابتداء بان مع ان المراد بالذكر اخلاص موسى بناءه بمجاه نبياه اسمعيل قلما ربنا للاشتراك مع العطف ان كونه مرضياه ادريس نبيا
عليا ه مع نوح على تقدير ومن ذرية ابرهيم وما بعده قوم اذا تتلى عليهم وكذا وجرى وقف على ذرية آدم او على اسرائيل والاصح ان الكل عطف على ذرية آدم
والوقف على فولد واجتبيناه للثلا يحتاج الى الحذف ويرجع ثناء السجود والبكاء الى الكل وبكيا ه عتيا ه بناء على ان جثيا بدل من الجثى بالعطف ما بناه
سلاما ه وعشيا ه نقيا ه بارزقا بلا اخلاف الجملتين ذلك لان قوله وما كان معطوف على تنزل مع وقوع العارض نسيا ه لان ما بعده بدل او خبر
مبتدا محذوف لعبادته هل تسمية النفير كان الذين اثبتوا معبودا سوى الله منهم من اثبت معبودا حيا عاقلا كالنصارى ومنهم من عبد معبودا جمادا كعبدة الاوثان
وكلا الفريقين ضال الا ان الفريق الثانى اضل وحين بين ضلال الفريق الاول شرع فى بيان ضلال الفريق الثانى تدريجا من الاسهل الى الاصعب وانما عبد
بعضهم ابرهيم لانه كان ابا العرب كلهم او اكثرهم بعلوشانه وكمال دينه فكانوا يقولون لهم ان كنتم مقلدين فقلدوه فى دينه عبدة الاوثان وعبادها وان كنتم
مستدلين فانظروا فى الدلايل التى ذكرها على ابيه والمراد بذكر الرسول اياه فى الكتاب ان يتلو ذلك على الناس كقوله واتل عليهم نبا ابرهيم الا هو سبحانه
هو الذى بدا ذكره فى تنزيله وقوله اذ قال بدل من ابرهيم وما بينهما اعتراض ولمكان هذا الاعتراض صار الوقف على ابرهيم مطلقا وجوز فى الكشاف ان يتعلق
ان كان او صديقا بنبيا ايكان جامعا لخصائص الصديقين والانبياء حين خاطب اباه بتلك المخاطبات والصديق من اتبع النبى المبالغة فهى اما مبالغة
صادق لان ملاك امر النبوة الصدق واما مبالغة مصدق وذلك لكثرة تصديقه الحق وهذا ايضا بالحقيقة يعود الى الاول لان مصدق الحق لا يكون
الا انه كان صادقا فيه والحاصل انه كان صادقا جدا فى قوله مصدقا لجميع من تقدم من الانبياء والكتب وكان نبيا فى نفسه رفيع القدر عند الله وعند

الناس بحيث جعلوا واسطة بينه وبين عباده وقيل انكان بمعنى صار والاصح انه بمعنى الثبوت والاستمرار اى انه لم يزل موصوفا بالصدق والنبوة في الاوقات الممكن له ذلك فيها والتاء في ابا عوض من ياء الاضافة وقدم في اول سورة يوسف وورد على ابيه الدليل والنصايح وصدق كلا منهما بالمنضم للرفق واللين سنة الغلب بهما وامثالا لامره على ما رواه ابو هريرة ان رسول الله ﷺ قال اوحى الله الى ابرهيم انك خليلي حسن خلقك ولو مع الكفار تدخل مداخل الابرار فان كلمتي سبقت لمن حسن خلقه واطاب مطعمه ان اسكنه حظيرة القدس واديثه من جواري وقوله لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر معنى المفعول لا مبنيا للفاعل فان الغرض نفي الفعلين على الاطلاق دون اثبات مفعولهما وموصوفا اى الذى لا يسمع ومعبودا لا يسمع وشيئا مفعول به من قوله اغنى غنى وجملتا اى ادغم ويجوز ان يكون بمعنى المصدر اى شيئا من الاغناء وعلى هذا يجوز ان يقدر نحوه مع الفعلين السابقين اى لا يسمع شيئا من الاسماع الى آخره وحاصل الدليل ان العبادة غاية الخضوع فلا يستحقها الا اشرف الموجودات لا اخسها وهو الجماد غاية عدم عن ذلك بل اخسها ما يقبل اشيئا يضر ينفعها او ضرها كالكواكب وغيرها فوقها لهم الليل لكواكب وسائر الممكنات ينتهي الاحتياج الى واجب الوجود فاجعل شيئا من هذه الاشياء معبودا فقد شورك الممكن والواجب في نهاية التعظيم وهذا مما ينبو عنه الطبع السليم ورفع الوسايط ما بين ادخل في الاخلاص وأقرب الى الخلاص وقوله يا ابت انى فقد جاءني بتنبيه وتبجح وقيل ان هذا العلم تجدد له حصوله فيكون اقرب الى التصديق وفي من العلم ما لم يأتك فائدة هي انه لم يسم اباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفايق ولكنه قال انه معي طائفة من العلم ليست معك فلا تستنكف وهبني اتبعك في مغارة وعندي معرفة بالدلالة لي

وسلاما واشفق على هذه الامة فقال وابعث فيهم رسولا فاشركه الله في الصلوة على النبي في الصلوات الخمس في حرمة كما قال ثم وابرهيم الذي وفى فجعل موطئ قدمه مباركا واتخذ واتخذ من مقام ابرهيم مصلى وعادى كل الخلق في الله حين قال فانهم عدو لي الا رب العالمين فلما جرم اتخذه الله خليلا ثم وفى فضله ابرهيم بقصته موسى لانه تلوه في الشرف والمخلص بكسر اللام الذي اخلص العبادة عن الشرك والرياء واخلص وجهه لله وبالفتح الله الذي خلصه لله وكان رسولا نبيا الرسول الذي معه كتاب من الانبياء والنبي الذي ينبئ عن الله عز وجل وان لم يكن معه كتاب وكان المتأمر بتكرار الامم قبل الاحض الا ان رعاية الفاصلة اقتضت عكس ذلك كقوله في طه هرون وموسى الايمن من اليمن اي من ناحية اليمن من موسى وهو من اليمن صفة للطور او الجانب وقربناه حالكونه نجيا اي مناجيا شبه تكليمه اياه من غير واسطة ملك بقرب بعض الملوك واحد من ندمائه للمناجاة والمسارة وعن ابي العالية ان القريب حسي قربته حتى سمع صريف القلم الذي كتبت به التوراة والاول اظهر ومنه قولهم للعبادة تقرب للملئكة انهم مقربون ووهبنا له من رحمتنا فيكون انجا بدلا وهرون عطف بيان كقولك رايت رجلا الحاك زيدا وبنيها حال من هرون قال ابن عباس كان هرون اكبر من موسى فيضرب الحبة الى معاضدته وموازرته وذلك بدعاء موسى في قوله واجعل لي وزيرا من اهلي وخص اسمعيل ابرهيم بصدق الوعد وانكان الانبيا كلهم صادقين فيما بينهم وبين الله او الناس لانه المشاهد المتواصف من خصاله انه وعد نفسه الصبر على الذبح فوفى به وعن ابن عباس انه وعد صاحبا له ان ينتظره فمكان فانتظره سنة عن رسول الله انه واعد رجلا ونسي ذلك الرجل فانتظره من الضحى الى وقت الهجير من غروب الشمس وسئل الشعبي عن الرجل يعد بميعاده الى اي وقت ينتظره فقال اذا واعده وقت الصلوة فانتظره الى وقت صلوة اخرى وكان يبدأ باهله في الامر بالصلاح والعبادة ليجعلهم قدوة لغيرهم ولان الابتداء بالاحسان الديني والدنيوي بمن هو اقرب وله قوا انفسكم واهليكم نارا ابدا بمن تعول ويحسن ان يوعظ اهله امته كلهم اقرباء وابا عد من حيث انه رئيسهم في جميعهم ما يلزم المرء في اهل خاصة من قضاء حقوق البضع والشفقة ورعاية مصالحهم الدينية والدنيوية وعلى القولين يندرج في الصلوة الصلوة المفروضة والمندوبة كصلوة التهجد وغيرها واما الزكوة فلا قرب انها الصدقة المفروضة وعن ابن عباس انها طاعة الله والاخلاص في افعالها كلها عند الله وانما ادريس فالاصح انه اسم عجمي بدليل منع الصرف كما مر ادراني آدم ويعقوب وغيرهما وقيل افعيل من الدرس لكثرة دراسته كتاب الله ولعل معنى بابا لاجمهر فريب من الدراسة فظنه الفائل مشتقا منها وفي رفعنا قولان منها ان المكان العلي شرف النبوة والزلفى عند الله وقد نزل عليه ثلثون صحيفة وهو اول من خط بالقلم ونظر في علم النجوم والحساب واول من خاط الثياب ولبسها وكانوا يلبسون الجلود واسمه اخنوخ من اجداد نوح لانه نوح ملك بن متوشلخ بن اخنوخ واهل البيتين بعضهم يسمونه هرمس وله نوادر في استخراج طوالع المواليد يسمى بيتي الهرمسين وقيل ان الله تعالى رفعه الى السما والى الجنة وهو حي لم يمت وقال اخرون رفع الى السما وقبض روحه عن ابن عباس انه سئل كعبا عن قوله ورفعناه مكانا عليا فقال لما جاءه خليل ملك الموت ان يكلم ملك الموت حتى يؤذن في قبض روحه فحمله ذلك الملك بين جناحيه فصعد به فلما كان في السما الرابعة اذا بملك الموت ينزل يعني لقبض روح ادريس ان ادريس في السما الرابعة وانا اقول كيف ذلك وهو في الارض فالتقيا زيد فرأى ملك الموت فقبض روحه هنالك وعن ابن عباس انه رفع الى السما السادسة وقيل الحسن المراد انه رفع الى الجنة ولا شئ اعلى منها اولئك المذكورون من لدن زكريا الى ادريس هم الذين انعم الله عليهم من النبيين من البيان الان جميع الانبيا منعم عليهم من ذرية ادم مي للتبعيض كما في قوله ومن جملتنا مع نوح ومن ذرية ابرهيم واسرائيل والمراد بمن هو من ذرية ادم ادريس لقربه منه بدليه من حمل نوح ابرهيم لانه من اولاد سام بن نوح وبذرية ابرهيم اسمعيل وبذرية اسرائيل موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى منهم لان مريم من ذريته ومن هديا بحمل العطف على الاولى والثانية وفي هذا التنبيه على ان هؤلا الانبيا اجمع لهم مع كمال الاحتشام في الانتساب ان جميع ما للعبوا هداية الله وبمن اجتبائه واصطفائه ثم ان جعلت اولئك جزاء الشرط كان اذا يتلى كلاما مستانفا وان جعلته صفة لكان خبرا وقد عرفت في الوقوف سائر الوجوه من قرا يتلى بالتذكير لان تانيث الايات غير حقيقي والفاصل حاصل والبكي جمع باك كقعود في ساجد ابدلت الواو ياء وادغمت وكسرما قبلها للمناسبة ومن زعم انه مصدر فقد سها لانه ورد بمعنى جمع عن رسول الله اتلوا القران وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا قال ابو مسلم اراد بالايات التي فيها ذكر العذاب فان غيره اطلاق الايات والحديث المذكور يدل على العموم لان كل ايات اذا فكر فيها المفكر صح ان يسجد عنده ويبكي فلذلك لعل المراد بايات الله ما خصهم الله به من الكتب المنزلة لان القران لم يكن منزلا واختلفوا في السجود فقيل هو الخشوع والخضوع وقيل الصلوة وقيل سجدة التلاوة على حسب ما تعتقد به ويحتمل انهم عند الخوف كانوا يتعبدون بالسجود قال الزجاج الانسان في حال خروره لا يكون ساجدا فالمراد خروا منتهين للسجود عن رسول الله اقرؤا القران يحزن فاذا نزل يحزن وعن ابن عباس اذا قرأتم سجدة قال سبحان الله لا تحملوا بالسجود حتى تبكوا فان لم تبك عين احدكم فليبك قلبه وقال لعلما بدة في سجدة التلاوة بما مر وفي غيرها فان قرأ اية تنزيل السجدة قال اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك واعوذ بك ان اكون من المستكبرين عن امرك وان قرأ سجدة سبحان قال اللهم اجعلني من البا كين اليك الخاشعين لك وان قرأ في هذه السورة قال اجعلني من عبادك المنعم عليهم المهديين الساجدين لك البا كين عند تلاوة اياتك ولما مدح هؤلا الانبيا ترغيبا لغيرهم في نسبهم وصف اضدادهم تنفيرا للناس عن طريقهم فقال فخلف وهو عقب السوء كما مر في الاعراف فاضاعوا الصلوة في مقابلة الخرور سجدا وابناع الشهوات بازاء البكاء عن ابن عباس هم اليهود تركوا الصلوة المفروضة وشربوا الخمر واستحلوا نكاح الاخت من الاب وعن ابراهيم النخعي ومجاهد اضاعوها بالتاخير وعن علي في قوله واتبعوا الشهوات من بنا الشديد وركب الشهوات وليس المشهور وعن قتادة هي في هذه الاية فسوف يلقون غيا قال الجبائي الله كل شر عندنا الغرمي وكل خير رشاد وقال الزجاج هو على حذف المضاف اي ذا غي

كقوله تلقوا اتاما اى مجازاة اثام وقيل عنيا عن طريق الجنة وقيل هو واد فى جهنم تستعيذ منه اودية النار واحتج بعضهم بقوله الا من تاب وامن على ان تارك الصلوة كافر والا لم يحتج الى تجديد الايمان والجواب انه ان كان المذكورون ممن الكفرة او اليهود كما يروى عن ابن عباس سقط الاستدلال واحتج الاشاعرة فى ان العمل ليس من الايمان لان العطف دليل التغاير واجاب الكعبى بانه عطف الايمان على التوبة مع انها من الايمان ومنع من ان التوبة من الايمان ولكنها شرطه لانها العزم على الترك والايمان قرار بالجنان واتما حذف الموصوف ههنا وقال فى الفرقان وعمل عملا صالحا لانه اوجز فى ذكر المعاصى فاوجز فى التوبة والمآل هنا ان قال هنا وهذا الاستثناء بحسب الغالب فقد يتوب عن كفره وامن ولم يدخل بعد وقت الصلوة او كانت المرأة حائضا ثم ماتت فهو من اهل النجاة مع انه لم يعمل صالحا ومعنى لا يظلمون شيئا لا ينقصون شيئا من جزاء اعمالهم بل يضاعف ثوابها على ان تقدم الكفر لا يضرهم بعد ان تابوا وتحمل ان ينتصب شيئا على المصدر اى شيئا من الظلم ومعنى جنات عدن قد مر فى سورة التوبة فى قوله ومساكن طيبة فى جنات عدن وصفها الله تعالى بالاقامة والدوام خلافا وفاء على جنات الدنيا ولما كانت الجنة مشتملة على جنات عدن ابدل منها ونصبها على الاختصاص وكذا انتصابها على المدح الذى قال جار الله عدن علم للمعنى العدن وهو الاقامة او هو علم لارض الجنة لكونها مكان اقامة ولولا ذلك لما ساغ الابدال لان النكرة لا تبدل من المعرفة الا موصوفة ولما ساغ وصفها بالتى ومعنى بالغيب مع الغيبة اى وعدها وهى غائبة عنهم غير حاضرة اوهم غائبون عنها لا يشاهدونها او الباء للتسبيبة اى وعدها عبادها بسبب يصدقون الغيب والايمان بالغيب خلاف حال المنافقين وقوله انه كان وعده مأتيا بالاولية هو مفعول بمعنى فاعل او على اصله لان ما اتى فقد اتيته وجوز فى الكشاف ان يكون من قولك اتى اليك احسانا اى كان وعده مفعولا فجعل قوله الا سلاما استثناء متصلا على التأويل لان اللغو فضول الكلام وما لا طائل تحته كما تقدم فى بيان اللغو فى البقرة وفى المائدة اى انكان تسليم بعضهم على بعض او تسليم الملئكة عليهم لغوا فلا يسمعون لغوا الا ذلك كقولهم عنا باطل السيف اى استئناء منقطع اى لا يسمعون فيها الا قولا يسلمون فيه من العيب والنقيصة ويجوز ان يكون متصلا بناء على ان معنى لا يسمعون فيها لغوا لا يسمعون فيها الا ما يتأذون به من اللغو وفضول الحديث لولا ما فيه من فائدة الاكرام وفى الآية بتنبيه ظاهر على وجوب انتفاء اللغو حيث نزه الله عنه الدار التى لا تكليف فيها ثم انه سبحانه من عادته ان يرغب كل قوم بما احبوه فى الدنيا فلذلك ذكر اسورة والذهب وليس الخمر التى كانت للعجم والارائك التى هى الحجال المضروبة على الاسرة وكانت من عادة اشراف اليمن ولا شئ كان احب الى العرب من الغداء والعشاء لانها العادة الوسطى المحمودة للمتمتعين منهم فوعدهم بذلك فائلا ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا هذا قول الحسن ولا يكون ثم ليل ولا نهار ولكن على التقدير اى يأكلون على مقدار الغداة الى العشى وقيل اراد دوام الرزق كما تقول انا عند فلان صباحا ومساء تريد الدوام ولا تقصد الوقتين المعلومين وقوله تلك الجنة التى نورث كقوله فى الاعراف ونودوا ان تلكموا الجنة اورثتموها وهى استعارة اى يبقى عليه الجنة كما يبقى على الوارث مال المورث قال القاضى فى الآية دلالة على ان الجنة تختص ببعض المكلفين وهى مركبة للكبائر واجيب بمنع الاختصاص وبانه يصدق على صاحب الكبيرة انه اتقى الكفر سئل ههنا ان قوله تلك الجنة التى نورث كلام الله وقوله بعده وما نتنزل الا بامر ربك خطاب جماعة لواحد وانه لا يليق الا بالملئكة الذين ينزلون على الرسول كما روى انه ربنا بعثت عشر سنين وانت تبطئ الى ان قال ما يمنعك ان تزورنا اكثر مما تزورنا فنزلت الآية وان سئل عن وجه تأكيد جبريل ما ذكره بقوله له ما بين ايدينا وما خلفنا من الجهات والاماكن او من الازمنة الماضية والمستقبلة وما بينهما من المكان والزمان الذى نحن فيه فلا ينتقل من جهة الى جهة او من زمان الى زمان الا بامر ربك ومشيئته وقيل له ما سلف من امر الدنيا وما يستقبل من امر الاخرة وما بين ذلك وهو ما بين النفختين اربعون سنة وقيل ما مضى من اعمارنا وما غبر منها والحال التى نحن فيها او ما قبل وجودنا او بعد فنائنا وقيل الارض التى بين ايدينا اذا نزلنا والتى وراء ظهورنا وقيل ما تحت الارض وعلى الاقوال فالمراد انه المحيط بكل شئ لا يخفى عليه خافية ولا يعزب عن علمه مثقال ذرة فكيف نقدم على فعل الا بامره وقال ابو مسلم فى وجه النظم انه قوله وما نتنزل من قول اهل الجنة لمن يحضرهم اى ما ننزل الجنة الا بامر ربك اما قوله وما كان ربك نسيا فعلى القول الاول معناه انه ما كان امتناع النزول الا لعدم الاذن ولم يكن لنزل الله اياكم لقوله ما ودعك ربك وما قلى وعلى قول غيره مسلم هو تأكيد لما قلنا نعم يجب الايمان بجميع الانبياء وانه لا يجوز عليهم ان ينسوا شيئا مما البتة وعلى قول ابى مسلم المراد انه ليس ناسيا لاعمال العاملين فيثيب كلا منهم بحسب عمله فيكون تتميم حكاية قول اهل الجنة او ابتداء كلام من الله ثم خطابا لرسوله ويتصل به قوله رب السموات والارض اى بل هو رب بهما وما بينهما فاعبده الفاء للسببية لانه كونه رب العالمين سبب موجب لان يعبد واصطبر لعبادته لم يقل على عبادته لانه جعل العبادة بمنزلة الحرب فى قولك للمحارب اصطبر لقرنك اى وجد الاصطبار لاجل لقائه ومنه ثم اكد وجوب عبادته بقوله هل تعلم له سميا اى لم يسم شيئا ويظهر حتى لا يخلص العبادة له لان عديم النظير لا يدان يصير على مواجب اذا نزلت تكاليفه خصوصا اذا كانت فائدتها راجعة الى المكلف وقيل اذا انه لا شريك له فى اسمه بيانه من وجهين احدهما انهم وان كانوا يطلقون لفظ الاله على الوثن الا انهم لم يطلقوا لفظ الله على من سواه وعن ابن عباس اذا لا يسمى بالرحمن غيره

سورة مريم

قلت وهذا صحيح ولعله هو السر في انه لم يكرر لفظ الرحمن في سورة تكرر فيها هذه السورة وثانيها هل يعلم سمي باسمه على الحق دون الباطل لان الشيء
على الباطل كما لا يسمية التأويل وقد ذكر في الكتاب الاول ابراهيم القلب انه كان صديقا للمصدوق تلك عرائب صادق صدق في اقواله وصادق
صدق في اخلاقه واحواله وصديق صدق في فناء مع الله في الله بالله وهو الفاني عن نفسه الباقي في بر تبصر اذ قال لا يبصر الروح الذي يعبد ضم الدنيا
بتبعية النفس قد جاء في من العلم اللدني ما لم يأتنا ان القلب محل للفيض الالهي قبل من الروح كالمرآة فانها تقبل النور لصفائها وتعكس النور عنها
لكثافتها وصفالها وهنا له المحق السر ويعقوب الخفي وناديناه من جانب الطور الايمن سمعنا موسى القلب من جانب طور الروح لا من جانب ادى
النفس الذي هو على اديره وكان يأمر اهله اي الجسم والنفس والقلب الروح بالصلوة لتوجه كل منهم توجها يليق بحاله وبالجملة اي تزكية كل واحد منهم
من الاخلاق الذميمة ورفعناه مكانا عليا في مقعد صدق عند مليك مقتدر عرفوا بقلوبهم على عبية العبود بهر تجليا بالتسليم للاحكام الازلية
وبكيا بكا السمع بدوبان الوجود على نار الشوق والمحبة عيادة بالغيب بعيبتهم عن الوجود قبل التكوين كقوله ان الله اشترى من المؤمنين اموالهم و
انفسهم بان لهم الجنة ولهم رزقهم رؤية الله على ما جاء في الحديث اكرمهم على الله من ينظر الى وجهه غدوا وعشيا وما تنزل الا بامر ربك المقدور في علم
الله سنادي اهل الغرة من مراد قال الغرة ان يا اهل الطبيعة افيقوا من الممتنيات دنيا ما تنزل من عالم الغيب الا بامر ربك وما كان ربك نسيا يحتاج
الى تذكير فمن يك هو ربهما وما بينهما من النفوس والقلوب والاسرار فاعبده باركان الشريعة بالجد واداب
الطريقة بنفسك وبالاعراض عن الدنيا والاقبال على المولى بقلبك وبالفناء في الله والبقاء بالله وحل وسر هل تعلم له نظيرا في المحبوبية لك والله اعلم بالصواب

وَيَقُولُ الْإِنسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ۝ أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا

ويكويد آدمي ۝ آيا وقتيكه بميرم زود باشد كه بيرون آيم زنده ۝ آدمي ۝ آيا ياد نميكند

فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ۝ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى

پس قسم بپروردگار تو كه گرد آريم ايشان را وديوان را پس حاضر سازيم ايشان را گرد دوزخ بزانو درآمده ۝ پس هر امتي را كه كشند از

الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ۝ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ۝ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا

پس باداديم ۝ بانكه اين را سزاوارتر بدان برايشان ۝ وهيچ از شما نيست مگر وارد شدني بر دوزخ

ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ۝ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا

پس بنجانيم پرهيزگاران را ۝ وبگذاريم ستمكاران را در آن بزانو درآمده ۝ وچون خوانده شود بر ايشان آيتهاي ما روشن گوينده

لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ۝ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِئْيًا

مر آنانرا كه بگرويدند ۝ كدام از دو گروه بهتر مقامي ۝ وبهتر مجلسي ۝ وچه هلاك كرديم پيش از ايشان از قرنها كه بهتر بودند از ايشان سامان ورويت

قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۝ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ

بگو هر كه باشد در گمراهي ۝ پس مهلت دهد او را خداي مهلتي ۝ تا به بينند آنچه وعده كرده شدند يا عذاب دنيا

فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ۝ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ

پس زود باشد كه بدانند هر كه او بدتر است مكانش وضعيف تر سپاه ۝ وزياد ميكند خدا آنانرا كه راه يافتند راه يافتني

خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ۝ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ۝ أَطَّلَعَ الْغَيْبَ

بهتر است نزد پروردگار تو ثواب را وبهتر است زنوبت باز آمدن را ۝ آيا پس ديدي آنكه كافر شد

أَمِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ۝ كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ۝ وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا

يا فرا گرفت نزد خدا ۝ پس نه چنان است زود باشد كه بنويسيم آنچه ميگويد ۝ ودراز كنيم مر او را از عذاب دراز كشيدني ۝ وميراث بريم از او آنچه ميگويد ۝ ويا بيايد ما را

وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ۝ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ۝ أَلَمْ

وفرا گرفتند از غير خدا خداوندان ۝ تا باشند مر ايشانرا عزيز ۝ نه چنان است زود باشد كه كافر شوند بپرستش ايشان

تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ۝ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ۝ يَوْمَ نَحْشُرُ

پس مشتاب بر كافران مگر در دهند بكنه ۝ روزي كه گرد آريم

الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ۝ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ۝ لَّا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ

پرهيزگاران را بسوي خداوند رحمت ۝ وبرانيم گنهكاران را بسوي دوزخ تشنه ۝ مالك نيستند شفاعت را مگر

عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ۝ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۝ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ۝ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ

آنكه گرفت نزد خداي رحمت ۝ وگفتند گرفت خداي رحمت فرزندي ۝ بدرستي آورديد چيزي زشت ۝ نزديك است آسمانها

مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ۝ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ۝ وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا

از هم بشكافند ازين وشكافته گردد زمين ۝ وبيفتد كوهها افتادني ۝ كه خواندند مر خداي

فرزندي را ۝ وسزاوار نيست مر خداي رحمت را كه گيرد فرزندي

إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرضِ إِلَّا آتِي الرَّحمَنِ عَبدًا لَقَد أَحصَاهُم وَعَدَّهُم عَدًّا وَكُلُّهُم
آتِيهِ يَومَ القِيٰمَةِ فَردًا إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ سَيَجعَلُ لَهُمُ الرَّحمٰنُ وُدًّا فَإِنَّمَا
يَسَّرنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ المُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَومًا لُدًّا وَكَم أَهلَكنَا قَبلَهُم مِن قَرنٍ
هَل تُحِسُّ مِنهُم مِن أَحَدٍ أَو تَسمَعُ لَهُم رِكزًا القراءة

ازامثل انكم في الانعام يذكر من الذكر ابن عامر ونافع وعاصم ويسهل ورويس والمعدل عن يزيد الآخرون بالتشديد بخبر وقفا بضم الميم الباقون بفتحها رتبا بالتشديد ابو جعفر ونافع عن ورش وابن ذكوان والاعشى وحمزة في الوقف وعن حمزة ايضا بالهمز في الوقف ليدل على اصل اللغة الآخرون بهمز بعدها ياء وولدا وما بعده بضم الواو وسكون اللام حمزة وعلى الآخرون بفتحهما بكاد على التذكير نافع وعلى بفطرن مرالانفطار ابو وسهل ويعقوب وحمزة وخلف وابن عامر والمفضل وابو بكر وحماد والخزاز عن هبيرة الباقون بفطرن من التفطر الوقوف حبتاه شيئا جبتاه للا وللعطف عيتاه للذ للصليتاه واردها لانقطاع النظم مع اتصال المعنى مقضيا تقريبا للنجاة من الورود مع ان ثم لترتيب الاخبار جبتاه امنوا لان ما بعدها مفعول فال ندتاه وردتاه مدا لان حق ما نهاء مد الصال الرؤية وجواب اذا محذوف وهو امنوا والسا غر لابتداء النهيد بحبدا ه هدا ه مرتاه وولداه لابتداء الاستفهام للتفويع عمدا ه للردع كلا ط مدا ه للعطف فرادا ه نصف الجزء عزا ه كلا ط ضدا ه ازا لا يعجل عليهم ط عدا ه وفدا ه وردا ه لئلا يشبه الجملة بالوصف عهدا ه حذرا من ايهام العطف ولدا ه الا لان ما بعده صفة هدا ه لان هذا التقدير لان دعوا ولدا ه عبدا ه فرادا ه وتدا ه لدا ه من قرن ط ركزا ه التفسير لما مر بيده وامنه بالتبعية ان يعبد والله ويضطر والعبارة تكان لمنكر ان يعترض بان هذه العبادات لا منفعة فيها في الدنيا لانها مشقة ولا في الاخرة لاستبعاد حشر الاجسام الى ما هنالك فلا جرم حكى قول المنكر ليجيب عن ذلك فقال ويقول الانسان وهو للجنس لان هذا الاستفهام مركوز في الطباع قيل النظر في الدليل اولان هذا القول اذا صدر عن بعض الافراد صح اسناده الى بني نوعه لانه منهم كما يقال بنو فلان قتلوا فلانا وانما القاتل واحد منهم وقيل المراد بالانسان ههنا شخص معين هو ابو جهل او ابي بن خلف وقيل بعض الجنس وهم الكفرة وانتصاب اذا بفعل مضمر يدل عليه اخراج المذكور لانه تفسير لان ما بعد لام الابتداء لا يعمل فيما قبله لا يقول ليوم لزيد قائم وانما جاز الجمع بين حرفي الاستقبال وبين لام الابتداء المفيدة للحال لان اللام ههنا خلصت لاجل التاكيد كما خلصت الهمزة في ايا الله للتعريض واضمحل عنها معنى التعريف وما في اذا ما للتوكيد ايضا وكانهم قالوا مستنكرين احقا اذا ما نخرج احياء حين تمكن فينا الفناء بالموت والمراد بالخروج ما مر الارض والخروج من حال الفنا او الندد ومن قولهم خرج فلان عالما اذا كان نادرا في العلم فكانه قال على سبيل الهزء ساخرج حيا نادرا وانما قدم الظرف واولى حرف الانكار من قبل ان ما بعد الموت وهو وقت كون الحيوة منكرة ومنه جاء الانكار كقولك لمن ساء الى محسن احسن الله عليك نعمة فلان ساءك اليه لان الانسان لا يصدر عنه هذا الانكار الا اذا لم يتذكر اولم يذكر العشاة الاولى فال سبحانه منبها على ذلك اولا يذكر وهمزة الانكار بين المعطوف عليه وحرف العطف قال العقلاء لو اجتمعت الخلايق على ايراد جزء من هذه الموجودات واعادتها لم يقدروا عليها لان خلق الذات مع الصفات اصعب من تغيير الذات في اطوار الصفات وهذا معلوم لكل صانع يتكرر عنده عمل لان الاول لم يستقر بعد في خزانة خيال والثاني في قرار تستقر له مثال واخذاه واذا كان حال من يتفاوت في قدرته الصعب والسهل كذلك فما الظن بمن لا يتوقف مقدوره الا على مجرد تعلق الارادة الازلية به وفي قوله ولم يك شيئا مجث قدم في اول السورة مثله وحين نبه على النكتة الفريدة اكدها بالاقسام قائلا فوربك لنحشرنهم الفا للاتيتا وهو يفيد الاعراض عن قصته والشروع في اخرى عقيبها والواو للقسم شرف المقسم به دليل كما ان العناية بالمقسم عليه اضافة القسم الى المخاطب هو لله لما جماع المفسرين تفخيم لشانه ورفع من مقداره والواو في الشياطين اما للعطف وانما معنى معا على ان كل كافر مقرون مع شيطانه في سلسلة واذا حشر جميع الناس حشرا واحدا وفيهم الكفرة مقرونين بالشياطين فقد حشروا مع الشياطين بل الكفرة وان كان الضمير عائدا الى منكري البعث فقط فلا اشكال وكذا في قوله لنحضرنهم حول جهنم جثيا اي جثاة على الركب عبر عنها على اقدامهم لما يديهشهم من شدة الامر الذي لا يطيقون معها القيام على الارجل او على العادة المعهودة في مواقف طلبات الملوك ومقاولاتهم ثم لننزعن لنميزن من كل شيعة طايفة شاعتا اي تبعتا عاويا من الغواة وقد يبنى بقسم في الانعام ايهم اشد فرقا بالنصب وهو ظاهر واما المعتبرون على الضم فذهب سيبويه الى انها منفية كما لا يلزم خلاف الفيلسوف من وجهين احدهما اعراب اي مع ان من حق الموصول ان يبنى والاخر حذف المبتداء مع ان الاصل فيه ان يكون مذكورا والتقدير ايهم هو اشد وذهب الخليل الى انها معربة ولكنها لم تنصب على ان يكون مفعولا لننزعن بل رفعت بتقدير الحكاية اي من كل شيعة مقول فيهم ايهم اشد فيكون من كل شيعة مفعولا لننزعن كقولك لاكلت من كل طعام اي بعضا من كل ويجوز ان يقدر لننزعن الذين يقال فيهم ايهم اشد قال سيبويه لو جاز اضرب ايهم افضل على الحكاية لجاز اضرب الفاسق الخبيث اي الذي هو

ولدا ه لاخيال تا بعده الحال والا ينبغيان

لم الفاسق الخبيث وهذا باب قلما يصيبه البحث في صنعة الكلام ومذهب يونس في مثله ان الفعل الذي قبل اي معلق عن العمل ويجيز التعليق في غير افعال القلوب ثم ان علقت قوله على الرحمن باشد كقولهم هو اشد على خصمه فظاهره ان علقته بالمصدر فذلك لا سبيل اليه عند النحويين لان المصدر لا يعمل فيما قبله فلو جاز ان يقال ان البيان للمحذوف فكانه سئل ان عنوه على من فقيل على الرحمن وكذا الكلام في اولى بها صليا تعلق والمجرور بها فعل من غيرنا وبل اوبصليا على النار بل صلى فلان النار يصلى صليا اذا احترق اخبارا ولا نذير من كل فرقة منا النذر هو اصل ثم بين بقوله ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا انهم اولى بالنار في الآخرة يقدمه اولا هم بالعذاب فاولاهم ولا ربات الضلال المضل يكون اولى بالتقدم من الضال وكذا الكافر المعاند بالنسبة الى المقلد وانكانوا مشتركين في شدة العتو ويجوز ان يراد بالذين هم اولى بصليها جميعا كانه قال ثم لنحن اعلم بتصلية هؤلاء وانهم اولى بالصلي لكون دركاتهم اسفل وان منكم الخطاب للناس من غير التفات او للالات المذكورة فيكون التفاتا وعلى التقديرين فان ربك الجنس كله لم يكن في قوله ثم ننجي الذين اتقوا وندر الظالمين فيها جثيا اشكال ولكنه يشكل بان المؤمنين كيف يردون النار واجيب بما روي عن جابر بن عبد الله انه سال رسول الله ﷺ عن ذلك فقال اذا دخل اهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض اليس قد وعدنا ربنا ان نرد النار وهي لم قد وردتموها وهي خامدة وعنه ﷺ ايضا ان رسول الله ﷺ قال الورود الدخول لا يبقى برّ ولا فاجر الا يدخلها فتكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت على ابراهيم حتى ان للنار ضجيجا من بردها واما قوله اولئك عنها مبعدون فالمراد عن عذابها وعن عباس يردونها كانها الحمى لنوم منهم من لم يفسر الورود ههنا بالدخول لان ابن عباس قال قد يرد الشيء الشيء ولم يدخله كقوله تعالى ولما ورد ماء مدين ومعلوم ان موسى لم يدخل الماء ولكنه اشرف عليه وبقي وورد القافلة البلد اذا قرب منه فالمراد بالورود جثوهم حولها وعن ابن مسعود الحسنى وقتادة هو الجواز على الصراط لان الصراط ممدود عليها وعن مجاهد هو مس الحمى جلده في الدنيا قال الحمى من فيح جهنم وفي رواية الحمى حظ كل مؤمن من النار وانا نريد بالناس وبالانسان الكفرة فلا اشكال في ورود هم النار ولكنه لا يطابقه قوله ثم ننجي الذين اتقوا وجه ارادة ان المتقين ليسا قوتا الى الجنة عقيب ورودهم الكفار لانهم يوردونها ثم يخلصون اسئلة كيف يندفع عنهم ضرر النار عند ورودهم بالدخول زعم بعضهم ان البقعة المسماة بجهنم لا يمتنع ان يكون في خلالها مواضع خالية عن النار اشباه الطرق الى دركات جهنم والمؤمنون يردون تلك المواضع والاصح انه سبحانه يزيل عنها طبيعة الاحراق بالنسبة الى المؤمنين وهو على كل شيء قدير وهذا لا يضر النار الملتكة الموكلين بالعذاب بالفائدة في ايراد المؤمنين النار اذا لم يتعذبوا بها فيه وجوه منها ان يزدادوا سرورا اذا راوا الخلاص منها ومنها افتضاح الكافر بان الله تعالى اطلع المؤمنين عليهم ومنها ان يزيد الله تعالى غمهم بالجنة فيضدها بين الاشياء هل يثبت في الاخبار كيفية دخول النار ثم خروج المتقين منها قد ثبت ان المحاسبة يكون في الارض وفي موضعها لقوله يوم تبدل الارض غير الارض وجهنم قريبة من الارض والجنة في السماء فالاجماع يكون في موضع الحساب ثم يدخلون من ذلك الموضع الى جهنم ثم يرفع الله اهل الجنة ويبقى اهل النار فيها قلت هذا على راي الفلاسفة الاملاميين ظاهر فالمحاسبة يكون في الارض ومرورا لكل على كرة النار ثم يرفع اهل الكمال الى السماء ويبقى الكفرة في النار ويؤيده قوله كان اي الورود على ربك حتما اي محتوما مصدر بمعنى المفعول مقضيا قضي وعزم ان لا يكون غيره وذلك ان الغير من جميع الحوانب على كرة النار واجتمعت المعتزلة بهذا على ان العقاب واجب على الله عقلا وقال الاشاعرة مثبته بالواجب من قبل استحالة النظر والخلف اليه وقد سبق ان المنفي عند المعتزلة من يجتنب المعاصي كلها وعندنا غيرهم هو الذي اجتنب الشرك فقط وقد هدم بالاية قاعدة القائل بعزل الزبير المبرئين واجيب بان تنجية المتقين منها اعم من ان يكون الى الجنة او الى غيرها وهب ان تنجيتهم الى الجنة الا ان الذي ظاعنه ومعصيته ميتا غير داخل في المتقين ولا في الظالمين فيبقى حكمه مسكوتا عنه ومر المعتزلة من تمسك بالوعيد بقوله ونذر الظالمين ومنع من ان الصيغة للعموم ولو سلم فمخصص بايات الوعد المارد على منكري البعث وقد ركيفية الحشر قال واذا تتلى عليهم ايتنا الاية والمراد انهم عارضوا اجز الله بكلام اعود فقالوا لو كنتم على الحق وكنا على الباطل لكان حالكم في الدنيا الطيب من حالنا ولم يكن بالعكس لان حكيم لا يليق به ان يهين اولياءه ويعز اعداءه يرد ان انهم كانوا يرجلون شعورهم ويدهنون ويطيبون ويتزينون ثم يدعون مفتخرين على فقراء المسلمين انهم اكرم على الله عز وجل منهم قال جار الله معنى تبيان نزلان الالفاظ ملخصة المعاني مبينة المقاصد اما محكمات او متشابهات قد بينها البيان بالمحكمات وبين الرسول قولا او فعلا او ظاهرات الاعجاز تحدى بها فلم يقدر على معارضتها او مجادليهن وعلى التقديرين يكون حالا مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا لان ايات الله لا يكون الا بينة او مبينة ومعنى للذين امنوا انهم خاطبوهم بذلك او يقولون هو بينة لاجلهم وفي شانهم والمقام بالضم موضع الاقامة اي المنزل وبالفتح موضع القيام والندي المجلس ومجتمع القوم حيث يندون وقوله اي الفريقين يعني المؤمنين بالايات والجاحدين لها امر الكلام المنصف على زعمهم والمقصود منه توفيرحظ على ما يظهر منا في احوال قيامنا وقعودنا وحسن الحال في الدنيا دليل ظاهر على الفضل والرفعة وضده امارة على النقص والضعة فاجابهم الله تعالى بقوله وكم اهلكنا اي كثيرا من القرون اهلكنا قبلهم اهل عصرهم في بيان المهلك ويجوز ان يكون زائدة للتاكيد وكما استفهامية للتقرير التكثيري او خبرية عند من يجوز زيادتها في الموجب وهم احسن في محل النصب صفة لكم او الجر صفة قرن والاثاث متاع البيت وقد مر في النحل في قوله اثاثا ومتاعا الى حين قال الجوهري هو من هززته جعلته رايت وهو مارائة العين من حال حسنة وقد يهمز ظاهره ومن الهمز فاما ان يكون على تخفيف الهمز اي قلب الهمزة ياء وادغم او يكون رويت الوانهم جعلوا

ويا ابى الضلال وحسنت قال جار الله الرى هو المنظر والهيئة فعل بمعنى مفعول وقرئ بهمز قبلها ياء على القلب كقولهم راء فى رأى وقرئ بالزاى المنقوطة واستفاقة من الزى بالفتح وهو الجمع لان الزى محاسن مجموعة وفى الآية حذف والتقدير احسن من هؤلاء والحاصل انه تعالى اهلك من كان اكثر وجاها منهم بذلك دليل على فساد احد مذهبيهم وهى ان كل من وجد الدنيا كان حبيبا لله او على فساد المقدمة الاخرى وهى ان كل من كان حبيبا لله فانه لا يوصل اليه غما ثم بين ان مآل الضال الى الخزى والنكال وان طالت مدته وكثرت عدته وقوله فليمدد له الرحمن خبر خرج على لفظ الامر ايذانا بوجوب الامهال وانه مفعول لا محالة لتقطع معاذير الضال وبقوله يوم القيمة اولا ثم كرة بعد ذكر وبزيادة انما كقوله انما نملى لهم ليزدادوا اثما او هو فى معنى الدعاء بان يمهله الله عز وجل ويفسح فى مدة حيوته والغاية احد الامرين المذكورين اى انقطاع العذر او ازدياد الاثم اما قوله حتى اذا رأوا الى آخره فقد قال فى الكشاف انه يحتمل ان يكون متصلا بقوله اى فليمدد له الى آخره وما بينهما اعتراض قالوا اى الفريقين خير مقاما واحسن ندبا حتى اذا رأوا ما يوعدون والمعنى لا يزالون يتوقعون هذا القول مولعين به الى ان يشاهدوا الموعود اى عينا اما العذاب فى الدنيا وهو غلبة المسلمين عليهم بالقتل والاسر وغير احوالهم من العز الى الذل ومن الغنى الى الفقر واما يوم القيمة ويحتمل ان يتصل بما يليها والمراد انهم لا ينفكون عن ضلالهم وسوء مقالتهم الى ان يعاينوا عذاب الدنيا او الساعة ومقدماتها وقوله فسيعلمون من هو شر مكانا واضعف جندا فى مقابلة قولهم خير مقاما واحسن ندبا الا ان مقالتهم هو مكانهم والندى المجلس الجامع لوجوه قومهم واعوانهم والجند الاعوان ولا ريب ان مكان القتل والاسر شر مكان فى الدنيا ومكان عذاب النار شر مكان فى الآخرة ولا شك ايضا انه لو كان لهم فى الوقتين ناصر قوى لم يلحقهم من الخزى والنكال ما لحقهم وحين بين حال اهل الضلال اراد ان يبين حال اهل الكمال فقال ويزيد الله الذين اهتدوا هدى وذلك ان بعض الاهتداء يجرى الى البعض الآخر كالايمان يجرى الى الاخلاص وبالعكس كما ان بعض الغوايات يجر الى بعضها ومنهم من فسر الزيادة بالعبادات المرتبة على الايمان والواو فى ويزيد للاستئناف وقد تكلف جار الله فقال انه للعطف على معنى فليمدد اى يزيد فى ضلال الضال بخذلانه ويزيد المهتدين هدايته بتوفيقه وقدر فى سورة الكهف ان الباقيات الصالحات فسرها الاكثرون بجميع الاعمال الصالحات المؤدية الى السعادات الباقيات وفسرها بعضهم بما هى اعظم ثوابا منها كالصلوات الخمس وغيرها وقوله خير يقتضى ان يكون مشاركا للمرتبى اصل الخيرية ويكون هذا اخبارا منه فان قدر ذلك فى الدنيا فبعض الاعمال الدنيوية المباحة او كسائر الاعمال الصالحة عند من يفسر الباقيات بمعنى الاخفى انها خير ثوابا وخير مردا اى مرجعا وعاقبة او منفعة من قولهم هل لهذا الامر مرد وان قدر ذلك فى الآخرة كما زعم جار الله ان المراد منه خير ثوابا من مفاخرات الكفار فيكون اطلاق الثواب على عقاب الكفار من قبيل انذهكم ومرتاب بولهم تحيتهم بينهم ضرب وجيع ويكون وجه التفضيل فى الخير ما قيل فى قولهم العسل احر من الشهاد اى ابلغ فى حره من الشهاد فى برده ثم اردف مقالتهم الحمقاء باخرى مثلها قائلا على سبيل التعجب افرايت كانه قال اخبرنى بقصة هذا الكافر واذكر حديثه عجيب حديث وليك وانما استعملوا ارايت بمعنى اخبرنى لان رؤية الشئ مرادفة لاصابة صحة الخبر عنه عن الحسن ترائى فى وليد المغيرة والمشهور انها فى العاص بن وائل قال خباب بن الارت كان لى عليه دين فتقاضيته وقال بعتنى لم تقض فقضيانى الاخر فقال لانكم تزعمون انكم تبعثون وان فى الجنة ذهبا وفضة وحريرا فانا اقضيك ثم فانى اوتى مالا وولدا فاعطى من ذا ولدا بضمتين فظاهر ومن قرأ بالضم فالسكون فاما جمع ولد كاسد فى اسد او بمعنى الولد كالعرب فى العرب فانكر الله سبحانه عليه بقوله اطلع الغيب من قولهم اطلع الجبل اى ارتقى الى اعلاه وكأن اختيار هذه الكلمة لشان كانه قال اوقد بلغ من عظم شانه ان ارتقى الى عالم الغيب الذى تفرد به علام الغيوب ام اتخذ عند الرحمن عهدا عن الكلبى صل عهدا الله اليه ان يؤتيه ذلك وعن قتادة هل له عمل صالح قدم فهو يرجو به ذلك بما يقول وقيل العهد كلمة الشهادة كلا ردع وتنبيه على الخطأ فيما تصوره لنفسه وتمناه وفى قوله سنكتب تبيين للتسويف مع ان الحفظة يكتبون ما قاله فى الحال دليل على ان السين لمجرد ردعه عن الوعد او اراد سنظهر له بالكتابة يوم القيمة ما استحق به ذلك وقيل نكتب ما يستوجب به العذاب ونمده نطول له من العذاب ونضاعف له من المدة مدة واحدة بعد مدة او مددا بعد مدد بالمصدر وهو موزون بفرط الغضب اعاذنا الله منه ثم عكس استهزاءه بقوله ونرثه ما يقول اى نسلبه عنه منتهى ما زعم انه ينالنا فى الآخرة من المال والولد لانه تعالى على الله فى قوله لاوتين ومن ينال على الله بكذبه لان ذلك غاية الجراءة ونهاية الاشتعثة ما اشتهاه الكافر ثم منى فى العاقبة ويأتينا فردا بلا مال ولا ولد ولا كلام صاحب الكشاف فى الوجهين مخبط فليتأمل فيه وكذا فى قوله فرد على الاول حال مقدرة نحو فادخلوها خالدين لا غير وسواء فى اتينا انه فرد اجعين بالف ثم بنفا وبون بعد ذلك وذلك ان الخلود لا يحقق الابعد الدخول اما انفراده فتحقق فى حالة الاتيان وانقطاع الحال بعد ذلك واشتراك الكل فى الاتيان منفردا لا مدخل له فى المقصود فلا ادرى ما حمله على هذا التكلف قال ويحتمل ان هذا القول انما يقوله ما دام حيا فاذا انقضى حاله بينه وبين ان يقوله ويأتينا منفردا عنه غير قائل له او اراد ان هذا القول لا ينساه ولا يلغيه بل يثبته فى صحيفة ليضربه بوجهه فى الموقف ويقرعه به ويأتينا على فقره ومسكنته فردا من المال والولد لعظم سؤله ومتمناه فيجمع عليه خطيئة تبعثه قوله وقفو سؤله وحين نوع من الرد على منكرى البعث شرع فى الرد على عبدة الاصنام فبين ولا غرضهم وذلك ان يتعززوا بآلهتهم ويتشفعوا بشفاعتهم ثم انكر عليهم وردعهم بقوله كلا ثم اخبر عنها لهم بقوله سيكفرون فان كان الضمير للمعبودين فهو اما الملئكة كقوله اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون او الجن اما الاصنام فلا يبعد ان يخلق الله الحياة بذلك كقوله والقوا اليهم القول انهم لكاذبون وان كان الضمير للعابدين فهو كقوله ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين

مستفهما صح

والمراد هب انا نعطيناه صح

بما لا مزيد عليه في باب الكراهة قائلا ان الذين امنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا الصحة لهم في القلوب ومودة من غير تأسيس الاسباب المعهود كما ترى او اصطناع وذلك كما يقذف في قلوب اعدائهم الرعب والسبب ما الا ان السوقية كان المؤمنون ممقوتين بين الكفرة فوعدهم الله الود بين الناس عند اظهار الاسلام واقاله ان يكون ذلك يوم الفتح بجيمهم الى خلقه بما يعرض من حسناتهم وعن النبي ﷺ قال العلي يا علي قل اللهم اجعل لي عندك عهدا واجعل لي في صدور المؤمنين مودة فانزل الله تعالى هذه الآية وعن ابن عباس يعني يحببهم الله ويحببهم الى خلقه وعن رسول الله ﷺ يقول الله عز وجل لجبرئيل قد احببت فلانا فاحبه فيحبه جبرئيل ثم ينادي في اهل السماء ان الله قد احب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء ثم يوضع له القبول في الارض وعن قتادة ما اقبل العبد الى الله عز وجل الا اقبل الله بقلوب العباد اليه وعن كعب قال لمكتوب في التوراة لا محبة لاحد في الارض حتى يكون ابتداؤها من الله تعالى بها على اهل السماء ثم على اهل الارض وتصديق ذلك في القرآن سيجعل لهم الرحمن ودا هذا قول جمهور المفسرين وعن ابي مسلم ان المراد سيهبهم في الجنة ما يتحابون واشتقاق المصدر يعني المفعول كثيرا وانما صار الى هذا القول لان المسلم المتقي يبغضه الكفار وقد يبغضه المسلمون اكثرهم وقد يحصل هذه المحبة للكفار والفساق فكيف يمدح بما يميل الناس الى اخلالهم وصحبتهم فكيف يمكن جعله انعاما في حق المؤمنين واجيبوا ان محبتهم في قلوبهم من فعل الله فحمل الكلام على اعطاء الثواب اولى واجيب ايضا ان المراد محبة الملائكة والانبياء اياه والصالحين ومثل هذا لا يحصل للكافر والفاسق بان يحمل على فعل الالطاف وخلق الداعية اكراما في قلوبهم ثم عظم شان ما في هذه السورة من التوحيد والنبوة وبيان الحشر والرد على الكفرة الضالة فقال ما انزلنا عليك القرآن الذي تبلغ هذه المنزلة وتبشر به واتقى وانذر فما انزلناه بلسانك الذي يلغث ويسمن ولكن انزلناه بلسان عربي مبين فصلناه لتبشر به وتنذر وما للتحقير الا لداعي الشديد المحض بالباطل كقوله في البقرة وهو الالد الخصام يريد اهل مكة ثم ختم السورة بما هو غاية في الانذار وغاية في التخويف لانه انذر عن انقضاء القرون الخالية بالفناء او بالافناء بحيث لم يبق منهم شخص ولا صوت يسمع فيعلم منه ان حالك حال الباقين ايام الى ذلك فيجتهد في تحصيل الزاد للمعاد ولا يصرف اهتمامه الى ما هو صدد الزوال والنفاد والركز الصوت الخفي وذكر الركز تنبيه على ان الكائن في الارض لا يكاد يسمع فكيف بالمدفون تحتها وقيل هو صوت النفس الانساني لجهلها بالحقائق وانما ميز عن الصفات البشرية تخرج حيا بالصفات الروحانية لخبثهم والشياطين لكل شخص قرين من الشياطين يحضرهم حول جهنم لقهرهم والطبيعة وان منكم من الانبياء والاولياء والمؤمنين والكافرين الا هو واردها وهو الهوى بقدم الشهوة حتما مقضيا لان حكمة الالهية اقتضت خلق هذا النوع المركب من العلوي والسفلي ثم تنجي الذين اتقوا الهوى بقدم الشريعة على طريق الطريقة الموصلة الى الحقيقة ايانا لحقائق والامر قال الذين كفروا استرالوا الحق للذين امنوا عتيقا وايقانا وكم اهلكنا بحب الدنيا والاغراق في بحار الشهوات والاطواق بنار المناصب للعرضيات ما يعذب وهم اولون على الانكار والغفلة واما الساعة وهي الانتقال عن الصفات البشرية عند قيام القيامة الكبرى والحجة وسيعلمون حزب الله من حزب الشيطان ويزيد الله بالترقي من الايمان الى الايقان الذين لا يتقاربون الى العيان ان دعوا للرحمن ولدا من فوائد ذكر اسم الرحمن ههنا ان الرحمانية انهلهم حتى قالوا ما قالوا والا فالالوهية مقتضية لاحدية الذات والصمدية في الحال وكلهم اتيه بتوجه الفتية فردا عن مشيته وارادته مخالفا فانهم يظنون ان لهم ارادة واختيارا فانما ايتيناه فيرانه لولا ما يتبرانه ذرا يتبرعلى قلب النبي ﷺ والانكيف يسع ظروف الحروف المحدثة المتناهية حقائق كلامه الازلية غير المتناهية وكم اهلكنا في تيه الضلالة او تمتعهم ذكرا بالثناء الحسن عليهم والله اعلم

سورة طه مكية حروفها خمسة آلاف وثمانمائة واثنان واربعون كلمها الف وثلثمائة واحد واربعون آيتها مائة وخمس وثلثون

بسم الله الرحمن الرحيم

طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى الا تذكرة لمن يخشى تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى الرحمن على العرش استوى له ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى وهل اتاك حديث موسى اذ رأى نارا فقال لاهله امكثوا اني انست نارا لعلي آتيكم منها بقبس او اجد على النار هدى فلما اتاها نودي يا موسى اني انا ربك فاخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى وانا اخترتك فاستمع لما يوحى اني انا الله لا اله الا انا فاعبدني واقم الصلوة لذكري ان الساعة آتية اكاد اخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي اتوكؤا عليها واهش بها على غنمي ولي فيها مآرب اخرى قال القها يا موسى فالقاها فاذا هي حية تسعى قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الاولى واضمم يدك الى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية اخرى لنريك من آياتنا الكبرى اذهب الى فرعون انه طغى قال رب اشرح لي صدري ويسر لي امري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيرا من اهلي هرون اخي اشدد به ازري واشركه في امري كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا انك كنت بنا بصيرا قال قد اوتيت سؤلك يا موسى ولقد مننا عليك مرة اخرى

قرأ ابن كثير وحده وفي امري

قرأ طه بامالة الطاء والهاء حمزة وعلي وخلف وابن عامر وحماد وعباد وقالون وابو عمرو ونافع بين اللفظين والكسر والى الفتح اقرب في الكشاف انا باخر مفتوح الطاء لاستعلائها واما مال الهاء والاخوان يشبعها الا هل المكي يضم لها واو كذا والمفضل خفية ان انت الا انا الله بفتح الهمزة المتكلم فيها ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو ويعقوب ابن عامر غير ابن مجاهد على النار هدى بالتنوين على البدل بعضهم من بعض او على اضمار هو ليبتدئ بالمعرفة بعد النكرة وحمزة وعلي وحفص وابن عامر وابو عمرو وابن كثير وابو عمرو ويعقوب بكسر الهمزة وفتح الياء نافع لبانا فون بكسر الهمزة وسكون الياء طوى منونا حيث كان عاصم حمزة وعلي وخلف وابن عامر وانا اخترناك على الجمع حمزة والمفضل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم اذ بانتي بفتح الياء نافع وابو جعفر ونافع وابو عمرو ولي فيها بالفتح حفص المفضل والاعشى والبرجمي والاصبهاني عن ورش مخيرا اخي اشدد بفتح الياء موصولين كيف جاءا عن البزي عن ابن فليح وابو عمرو اشدد بفتح الهمزة واشركه بضمهما على التكلم ابن عامر لبانا فون بضم الاول وفتح الثاني على الامر وصلا بالواو وابو عمرو وعبد الوارث عن ابي عمرو بضم الهمزة وكسر

والاصبهاني عن ورش وخرقه الوقف الاخرون بالهمز الوقوف طلحة كوفي من قال معناه يا رجل يا طالب يا هادي لم يقف لشقه الا استئنافا بخشية بناء
على ان تنزيلا لابد تذكرة الحاء لان الرحمن مبتدأ استوى الثرى والخفيه الاهوية الحسنى خشية موسى لتنزيلا يوهم ان ذكرى للايمان هذه يا موسى تعليل للابتداء
بان مع اتحاد المعمول طوى الاولى فتراخى اختر لك يوحى فاعبده للعطف لذكرى تسعى فردى يا موسى عصاى لامكان ان يجعل التوكأ مستأنفا اوحالا او
اضمر واشير بناء على ان هي بمعنى هذه اخرى يا موسى تسعى ولا تخف خلق السبع الاولى اية اخرى لتعلق اللام الكبرى للاية الاستئنافي الامر على ان المعمول
مقصد طغى صدرى امرى لسانى اقولى طوى كطول الكلام اهلى اخى لا وقف لمن قرأ اشد بفتح الهمزة جلوا للدعاء ومن فتح الياء فلم الوصل ومن قرأه بضم
الهمزة فله الجواز لاستئناف الدعاء على الدعاء بلا عاطف اذهبا ذكرى لا تعلق لكبراه بصيرا يا موسى التفسير ثم قولان احدهما انه من حرور والتهجي وقد سلف
في امثالها والذي ذاد وهم بها اموا منها قولي المغيلطا ثجرة طوى الهاء الهاوية وكانا قسيم بالجيم والثاء وهي ما مارى عن جعفر الصادق عن ان الطاء من
اهل الدال والهاء هذا بتهم وقيل اراد باطاهرا من الذنوب يا هارباً الى علام الغيوب وقيل سعيد جبير هو ناشئ باسهل الطيبا ظاهرا هادئ وقيل الطاء
تسعة في الحساب والفها خمسة وعشرون معنا بها ايها البدء القول الثاني انها كلمة معبدة ومعناها يا رجل روى عن ابن عباس والحسن ومجاهد معبد خير وقتادة وعكرمة الكلبي
ثم قال سعيد جبير بلسان النبطية وقال قتادة بلسان اليونانية وقال عكرمة بلسان الحبشة وقال الكلبي بلسان عك عن ابن عباس وهو معد هو اليوم في اليمن
الشين وض واصله طاء امر ابا لو على قلبت الهمزة هاء وذلك لما روى ان النبي ﷺ كان يقوم فيجد على احد خاصرتيه وارم بن بطاء الارض بقدميه معا ويأكد ما روى
انه ﷺ صلى بالليل حتى سمعت قدماه وقيل لما رأى تورم قدميه قال له جبريل ابق على نفسك فان لها عليك حقا ونزلت طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى اي تتعب نفسك اعناء
ولكنك بعثت بالحنيفية السهلة وعند الاكثر بمعنى لتشقى لتتعب بمعنى لتحزن على ان يؤمنوا والاشقاء يجيء بمعنى التعب منه امثل اشقى من رائض
مهرا وتعبت مثل اذا جاهل والنضر الحارث قالا لانك شقي لان تركت دين اباءك وقد الله عليهم بان القرآن هو السبب في كل سعادة نال احد الله ان
جعلت طه بعديد الاسما الحروف تنزيلا لما انزلنا ابتداء الكلام وان جعلته اسما للسورة فمبتدأ وما بعده خبره وقيل هو القرآن مقام المضمر الراجع
وان جعلته قسما فما بعده جوابه وكل واحد من الشقي تذكرة علة للفعل الاول وجيء بها مع اللام لانه ليس فعلا للفاعل الفعل المعلل والتأثير بحال
قطع اللام عنه لو جاز الاستثناء ولا يجوز ان يكون تذكرة بدلا من محل الشقي لاختلاف الجنسين فان التذكرة لا يمكن ان يحمل على الشقاء ولكنها نصبت على الاستثناء
المنقطع الذي فيه الا بمعنى لكن وفي قوله الشقي والا تذكرة وجاز هروهو ما انزلنا عليك القرآن لتتحمل منا عب لتبليغ الا لتكون تذكرة اي ما انزلنا عليك
هذا القول الشاق الا لهذا الغرض كما يقال ما شافهني بذلك الكلام لساداي الا ليعرفني غرضه فانتصب تذكرة على انه مفعول له واذا كانت منقطعة الا بمعنى
لكن جاز ان يكون تنزيلا بدلا منها واذا كانت مفعولا لاجلها لم يجز ان يكون تنزيلا بدلا منها لان الشيء لا يعلل بنفسه فالانزال لا يعلل بالتنزيل في الظاهر ويجوز
ان ينتصب تنزيلا بمضمر حذف انزل او ينزل انزلنا لان معنى ما انزلنا الا لتذكرة انزلناه او على المدح والاختصاص او يجيء مفعولا بمعنى انزل الله تذكرة من يخشى تنزيل الله
عز وجل اي لمن يخشى هو دل عليه الخشية لانه والمنتفع به وجمعه كون القرآن تذكرة انه ﷺ كان عظيم به وبدينه ومن خلق صفة تنزيلا لا يكون القرآن لغوا او كلاما
لم يكن مستقرا وفائدة الانتقال الى الغيبة من لفظ المتكلم حين لم يعقل تنزيلا منا اموا منها الافنان في الكلام على عادتهم ومنها تنسيق الصفات مع لفظ الغيبة ومنها
بالاستئثار لا الرحمن لكلام المطلع في انزالنا الى المختص بصفة العظمة والتبجيل قيل انزلنا حكاية كلام جبريل فلا التفات والصحيح العليا نابت الاعلى وصف
الله تواضعا لانه على عظم قدره من يحاول مثلها في علوها وبعد مرتقاها ويحصل مصر بعظيم شأن القرآن بالضرورة فعلى قدر المرسل يكون حال الرسالة ومن
قول الحكماء عقول الرجال على قدر ألسنتهم ارتفع الرحمن على المدح ويجوز ان يكون الرحمن اراد به مبتدأ مشابها بالابدال من خلق في الجر في الاستواء على العرش من جانبي المشبه والمشبه به
قدر متشابها في الانعام في قوله وهو لفاهر فوق عباده في الاعزة قوله ان ربكم الله الذي خلق السموات فلا حاجة الى الاعادة ثم الكد كالملك وملكه بقولها السموات
الابتر عن محمد كعب ما تحت الثرى هو ما تحت سبع الارضين وعن السدي هو الصخرة التي تحت الارض السابعة وقيل الثور او الحوت والتحقيق ان الثرى هو التراب الندي
وهو فاجاوز البحر من جرم الارض فالذي تحته هو ما بقي من جرم الارض الى المركز فيحتمل ان يكون هناك اشياء لا يعلمها الا الله سبحانه من المعادن وغيرها لا ريب ان
الكل لله سبحانه بين كمال علمه بقوله وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى فالسر ما اسر الرجل الى غيره واخفى من ذلك ما الخاطر به نفسه والسر هذا واخفى منه ما استسره وقيل اخفى
فعل ما تولاه بعلم اسرار العباد واخفى عنهم ما يعلم هو تلك هذه المعجزة جمع لانه لم يقع محيط بجميع الاشياء فلا يغرب عنه شيء قط ولا يحيط بشيء من الاشياء فلا يطلع على غيوبه احد الا
اللفظ بجمل غير بشاعة اذا حمل على هذا التفسير فلما قال لصاحبه كيف انت لديك وكيف طابق جزاء الشرط اجيب بان معنا ان تجهل بذكراه من دعاء او غيره فاعلم
انه غني عن جهلك فاما ان يكون لها جزم الجهر كقوله واذكر ربك في نفسك اما ان يكون تعليلا للجهر لان سماع الله وتامها هو لغرض لم يكن بقصد تجهر به من قوله
الابتر زجر المكلف عن اتباع ظاهره كانشاد باطنه وترغيبه في الطاعة ظاهرها وباطنها وقد شرحنا شيئا من حقيقة علم الله في تفسير قوله وعلم ادم الاسماء كلها وفي غير ذلك
من المواضع المناسبة فلنقتصر الان على ما ذكرناه الموحي بالقدرة والعلم على الوجه المذكور لا شريك له وهو الذي يستحق العبادة وغيره واعلم ان مراتب التوحيد
اربع الاقرار باللسان الاعتقاد بالقلب ثم تأكيد ذلك الاعتقاد بالحجج ثم الاستغراق في بحر المعرفة بحيث لا يدري في خاطره سوى الاحد الصمد الاول بدؤ والثاني نفاق
والثالث بدؤ الاول غير مفيد الا اذا اريد جملة كما ان الظرف يعرف وقتا ما ثم ان ملك الموت مكتوب في جبهته لا اله الا الله حتى اذا راه المؤمن تذكر كلمة الشهادة فيكفيه
ويؤيد ما ذكرنا ما روي انه من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان والاقرار بدؤ والثاني ايمان المشاهدة وفيه خلاف مشهور والاصح انه مقبول وانا المقام الرابع
الذي تفنى فيه الصديقين والحاصل من عبادة الله وسداده تفريق وتفصيل وترديد ونقض على ما قرره المحققون واعلم الفناء في الله والبقاء به قال المحققون لا اله الا الله تقتضي

الا قبلكم الا اذا كان غير يدبوغ وقد صلى النبي ﷺ في نعليه ثم خلعهما في الصلوة فخلع الناس نعالهم فلما سلم قال لهم خلعتم نعالكم قالوا خلعت فخلعنا قال فان جبرئيل اخبرني ان فيهما قذرا يريد ان موسى خلع نعليه والقاهما من وراء الوادي قال الجوهري طوى بكسر الطاء وضمها اسم موضع بالشام فمن صرفه جعله اسم واد ومكان ومن لم يصرفه جعله اسم بقعة وقال بعضهم طوى بالضم مثل طوى وهو لغة المثنى اي طوى مرتين اي قدس وقال الحسن ثنيت فيه البركة والتقديس مرتين ويحتمل ان يراد بوادي طوى مصلكك ومعنى الطي وعن ابن عباس انه تردد ذلك الوادي بهلا فطواه فكان المعنى بالوادي المقدس الذي طويته لها اي قطعته حتى ارتفعنا الى اعلاه وانا اخترتك اصطفيتك قيل فيه دلالة على ان النبوة لا تحصل الا باستحقاق وانما هي ابتداء عطية من الله تعالى وفي هذه الاخبار غاية اللطف في الرحمة ولكن في قوله فاستمع نهاية الجلال ففي الاول رجاء وفي الثاني خوف كانه قال لقد جاءك ارحم خلقي فاصغ اليه واجمع جميع همتك مصروفة اليه لما يوحى اي للذي يوحى ويحمل والوحي متعلق باستمع او باخترتك ثم قال انني انا الله لا اله الا انا وتب عليه فاعبدني لعلم ان عبادتي انما لزمت لالهيته ومن هنا قال العلماء ان الله معناه المستحق للعبادة قال الاصوليون تاخير البيان عن وقت الحاجة غير جائز ولكن عن وقت الخطاب جائز لانه امر بالعبادة ولم يذكر كيفيتها وايضا قال واقم الصلوة ولم يبين هيأتها اجاب القاضي عن هذا الاخير بانه لا يمتنع ان موسى عليه السلام قد عرف الصلوة التي تعبد الله بها شفاها وغيره من الانبياء فكان الخطاب متوجها الى ذلك ورد بانه كيف يأتي حمل الخطاب على ما ليس اولى قال لعلك قد بين له ولكن لم يحك الله تعالى سوى هذا القدر وربما ان البيان اكثر فائدة من المجمل فلو كان مذكورا لكان اولى بالحكاية ويقابل بان يقول سلمنا ان المبين اكثر فائدة للمخاطب ولكن لا نسلم ان حكاية المبين اولى فلعل حكاية المجمل تكفي لغرض صورة بعض هيأت ذلك التكليف مدوحا وان كان اصلها قبيحا وفي قوله لذكري وجوه لان اللام اما بمعنى الوقت او هي للتعليل والذكر اما بالبيان او هو ضد النسيان والباء للسببية او المصاحبة والاصل اقم الصلوة لان تذكرني او مصحوبة بذكري وهل يحتمل الكلام تقديرا مضافا فلم لا ولمثل هذه الاعتبارات تعددت الوجوه فمنها ان اللام للتعليل والباء منصوب اي لتذكرني فان ذكري ان تعبدني بصلوتي واذا اردت تذكري في الصلوة لا شغالها على الاذكار عن مجامع الفرق ان الملائكة الذكر على العبادة والصلوة في الاول حقيقة شرعية وفي الثاني مجاز او نقول في الاول نفس الصلوة مطلوبة بالذات وفي الثاني تكون مطلوبة بعرض الذكر واداء الذكر خاصة لانه سبحانه يذكر عبده ومنها ان المضاف مع ذلك محذوف اي لاخلاص ذكري وطلب حمدي ومنها ان الباء فاعل اي لاني ذكرتها في الكتب فرغبت بها اولا ذكرك بالمدح والثناء واجعل لك لسان صدق ومنها ان اللام للوقت كقولك جئتك لوقت كذا اي لاوقات ذكري وهي مواقيت الصلوة ومنها ان يجعل الذكر على ضد النسيان اي يكون الذكر اعم من فعل الخاصة من كونهم ذاكرين بقلوبهم وبألسنتهم في جميع الاحيان بذكر مولى الانعام ومولى الاحسان بذكر جنان لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وان اريد ذكر الصلوة بعد نسيانها وكان حق العبارة ان يقال للذكرها كقوله ﷺ من نام عن صلوة او نسيها فليصلها اذا ذكرها اي اذا ذكر صلوتي او ذكر الصلوة هو ذكر الله فاللام في الاصل مفعول والذكر والنسيان من الله عز وجل في الحقيقة فالباء فاعل قال الشافعي من فاتته صلوة يستحب ان يقضيها على ترتيب الاداء ولو بدأ بالتي حضر وقتها جاز ولو دخل عليه وقت فريضة وتذكر فائتة فان كان في الوقت سعة يستحب ان يبدأ بالفائتة وان بدأ بصلوة الوقت جاز واذا ضاق الوقت فانه يجب الابتداء بصلوة الوقت وان تذكر الفائتة بعد ما شرع في صلوة الوقت تمها ثم قضى الفائتة ويستحب ان يعيد صلوة الوقت بعدها وقال ابو حنيفة يجب الترتيب قضاء الفوائت ما لم يزد على صلوة يوم وليلة حتى لو تذكر حال صلوة الوقت بطلت الا ان يكون ضيق الوقت بحيث لو اشتغل بالفائتة خرج وقت المؤداة فحينئذ يجوز ان يمضي ويترك الفائتة لان الترتيب يسقط بالضيق كما يسقط بالنسيان وهذا يبطل حجة الشافعي ما روي في حديث قتادة انهم ناموا عن صلوة الفجر فانتبهوا بعد طلوع الشمس فامرهم النبي ﷺ ان يقوموا ويرتحلوا ثم صلاها ولو كان وقت الانتباه منتهيا للصلوة لما فعل ذلك فالجواب ان وقت التذكر لوجوب عليه ثم الوقت موسع بعد ذلك حجة ابي حنيفة قوله ﷺ فليصلها اذا ذكرها وفي حديث جابر ان عمر جاء الى النبي ﷺ يوم الخندق بعد ما غربت الشمس وجعل يسب كفار قريش ويقول يا رسول الله ﷺ ما صليت صلوة العصر حتى كادت تغيب الشمس فقال النبي ﷺ وانا والله ما صليتها بعد فقام الى البطحاء وصلى العصر بعدها وغابت الشمس ثم صلى المغرب بعدها واما القياس فانهما صلوتان فرضتان جمعهما وقت واحد في اليوم والليلة فاشبهتا صلوتي عرفة ومزدلفة فلما لم يجز اسقاط الترتيب بينهما وجب ان يكون كذلك بين سائر الصلوات دون اليوم والليلة اما اذا دخل في حد الكثرة فيسقط هذا الترتيب ثم لما امر موسى بالعبادة عامة وبالصلوة التي هي افضلها خاصة علل ذلك بقوله ان الساعة اتية سوال كاد نفسه اثبات واثباته نفي فقوله اكاد اخفيها يكون معناه لا اخفيها وهو اصل كقوله عند الله علم الساعة وكان قوله لتجزى كل نفس اما يليق بالاخفاء لا بالاظهار اذ لو كان المكلف عارفا وقت القيمة وكذا وقت الموت اشتغل بالمعاصي الى قريب من ذلك الوقت ثم تاب فيكون اغراء على المعصية والجواب لا نسلم ان كاد اثباتية نفي وانما هو للمقاربة فقط والباقي موكول الى القرينة ولئن سلم لكن المراد بعدم الاخفاء اخباره بانها اتية وان كان وقتها غير معين كما ان قوله اكاد افعل هي لمقاربة الاخفاء ولولا ما في الاخبار بانيتها مع تعيين وقتها من اللطف لما اخبر تعالى به بعض المفسرين في هذا المعنى فقال اراد اكاد اخفيها من نفسي اي لو صح اخفاؤها من نفسي لاخفيتها عنه واكد ذلك بانهم وجدوه في مصحف ابي كذلك فقال قطرب هذا على عادة العرب في المحاورة اذا بالغوا في كتمان الشيء فلو اكتمه من نفسي وقيل كاد من الله واجب اراد انا اخفيها من الخلق كقوله عسى ان يكون قريبا اي هو قريب قاله الحسن وعن ابي مسلم ان الكاد بمعنى اريد كقوله كذلك كدنا ليوسف ومنه قولهم لا افعل ذلك ولا اكاد اي لا اريد ان افعله وقيل اكاد صلة والمعنى ان الساعة اتية اخفيها وقال ابو الفتح الموصل الهمزة للازالة اي ازيل اظهارها معناه قرب اظهارها كقولك اقرب الشاعر ومثله مارض عن ابي الدرداء وسيبك جيد اخفيها بفتح الهمزة من خفيت اذا اظهرت وقوله لتجزى متعلق باخفيها كما قلنا او باتية فلولا القيمة لم يتميز المطيع من العاصي والمحسن من المسيء فذلك خلاف قضية العدالة والحكمة واحتج المعتزلة

للنبوة مع

والهيبة مع

بقوله

ظاهر لانه قال انما يسعى اى يسعيها فلو لم يكن اعمال العباد بسعيهم لم يصح هذا الاستدلال ولم يكن الثواب مستحقا على العمل لم يكن لباء السببية معنى والجواب ان اعتبار الوسط لا ينافى انتهاء الكل الى الله واستناد الجزاء الى عنايته الازلية التى لا علة لها ومعنى لقاء فى قوله بعيدة تلك اناة اذ اضع عندك فى خبرك بانك الساعة فلا تلتفت الى قول المخالف الذى يصد عن التصديق بالساعة لان قوله ناشئ عن الهوى واتباعه وبجواز ان يسلم ان يكون الضمير فى عنها للصلاة والمعنى تذكر شيئين ثم ترى ضمير هما الى السامع اعتمادا على انه يرد كلا منهما الى ما هو لائق به وذهب بان هذا التمهيد لا ضرورة له هنا واما الخطأ فالظاهر انه لموسى لان الكلام جمع معه جوز بعضهم ان يكون لنبينا صلعم والمقتضى للامر والنهى عن الصد الظاهر ان لا يؤمن بالساعة وهو بالحقيقة نهى للمؤمن عن التكذيب والوجه فيه ان صد الكافر عن الحق سبب للتكذيب فذكر المسبب ليدل على السبب او صد الكافر سبب لرخاوة الرجل فى الدين وبين شكيمته فذكر المسبب ليدل على السبب كما مر قيل كن فى الدنيا صلبا حتى لا يطمع فيك الكافر والذى دعانا الى هذا التمهى المبالغة فى معناه وهو ان فى التقليد الجاحد كثرة مزلة قدم فعلى المرء ان يكون مع المحقين وان قلوا لا مع غيرهم وان كثروا وفيه حث بليغ على العمل بالدليل وزجر قوى عن التقليد انذار بان الرد والاهمال مع اتباع الهوى وههنا استدلال الاصوليين على شرف علمهم ووجوب تعلمه كما لا يخفى من تشكيكه ونعم القاضى ان نسبة الصد الى الكافر بالبعث دليل على ان القبائح انما تصدر عن الجاهل الداعى كما مر مرارا قال اهل التحقيق قوله او لا الموسى اجمالى بغليك اشارة الى التخلية وتظهيره لوح الضمير عن الاغيار وما بعده اشارات الى التحلية وتحصيل ما ينبغى تحصيله واصل ذلك ترجع الى علم المبدا وهو قوله انى انا الله والى علم الوسط وهو قوله فاعبدنى وانه مشتمل على الاعمال الجسمانية وقوله لذكرى وهو مشتمل على الاعمال الروحانية والى علم المعاد وذلك قوله ان الساعة

ايتوا ايضا ان افتتاح الخطاب بقوله انا اخترتك وختم الكلام بقوله فلا يصدنك الى اخره وهو مقرر لتنبيها على ان رحمتى سبقت غضبى ان يكون العبد لا بد ان يكون سلوكه على قدر الرجاء والخوف قوله وما تلك مبتدا وخبره وبيمينك حال منتصب بمعنى الاشارة او الاستقرار وجوز الكوفيون ان يكون تلك اسما موصولا وصلته بيمينك اى والتى بيمينك هتل لم يقتل بيدك لا يحتمل ان يكون فى انبياء محاتم او شئ اخر وكان يلبس على الجواب سؤله ما الفائدة فى هذا السؤال اجاب بان الصانع الماهر اذا اراد ان يظهر من الشئ الحقير كفطاعير من حديد شيئا شريفا كالناموس المسرع منه على الحاضرين وبقولها هذا حتى انه بعد اظهاره صنعته يلزمه بقوله ويقول خذ واهذا انى اذا تذكرته فكانه قال لموسى هل تعرف حقيقة ما فى يمينك وانه خشبة يابسة حتى اذا قلبه بعصا كان قد نبهه على كمال قدرته الباهرة قال اهل الخطابة انه يشير الى ما اطلعه على تلك الانوار المقاعد عن الشر قال السماء اسمع ليتبع المتكلم اسمع كلامه نفسه حبا باللطف واعتبر بالتكليف بخبر موسى ودهش وكاد لا يعرف اليمين من الشمال فيقتل له وما تلك بيمينك يا موسى ليعرف موسى يمينه فهى التى تنهاه العصا وانما تكلم معه بكلام الالهية وقد يوحى ان يدهش كلم معه بكلام البشرية لانه الملك الذى تمثل له البشر والحجة لا لان السؤال عنه مما يقع بينه الغلط كما ان السائل لا يجوز عليه الغلط نظرا لحال المؤمن فى الغيرة بغلبة الرجاء والجمال الحبائى غير لا بتلك فيه فى الدنيا وهو اوحيد وهذا الاستفهام وعلى الاستبعاد لما عرف من عادة كمال الالهية اراد ان يعرفه نقصان البشرية فساعة من اضاع العصا فذكر فغفر الله لنعم ان فيها منافع جما ذكرت بنهاها عن ان عشق البشرة عشر عن حقيقات الامور الموفق والارث الخير خاطب موسى بلا واسطة ربما خاطب محمدا صلعم بواسطة جبريل فلزم ان يكون موسى افضل جوابه لما بدا له ما وحى اليك عندها اوحى بيانا لان الافضل ان كلامه مع موسى لم يكن سرا وكلامه مع محمد سر لان اهل له سؤالا وايضا حصل فى الدنيا شرف التكليم المتصل بها اجرى به دون الاخرة شرف التكليم للتسليم سلام قولا من رب رحيم يسلم ان موسى كان عند استقراره فى محل الجنة معلقا ومنافعها ومحدثها ايلفت الى الكون بين حبى عرضها عليه مراعاة لبشريته

القاها على عاتقه فحلوها ادلته من العروق والكنائن والجارف غيرها واذا كان في البحر ركزها وعرض الزند بن على شعبتها والقى عليها الكساء واستظل اذا قصر شاؤه وصلها وكان يقاتل بها السباع عن غنمه وقيل موسى هم كانا حسبانه تعالى مسألة عن المنافع عامة فقال ما هذه العصا الا كغيرها ولكنه لما سالته عنها وكلمتني ليسبها عرفت ان في فيها مارب اخر وقيل كان فيها من المعجزات انه كان يستقي بها فيطول بطول البئر وتصير شعبتاه دلوا وتكون بمنتهى الليل اذا ظهر عدو حاربت عنه اذا استهوى ثمره وكزها فاوروت وامرن وكان يحمل عليها زاده وسقاءه فجعلت تماشيه وركزها فنبع الماء فاذا رفعها نضب وكان يحمل عليها زاده وسقاءه فجعلت تماشيه وركزها فنبع الماء فاذا رفعها نضب وكانت بقية هذه الخوارق ان كانت بعد نبوة موسى فلا كلام وان كانت قبلها ففي صحة الرواية بعد لان كان الا ان تقدر بها عند بعد المنافع وعلى تقدير صحتها فلعلها ارهاص ومن معجزات نبينا ﷺ ما ذكر

على ما

اراد الله سبحانه ان يعرفه انه وما بايديهما مارب اخرى هم

قذاعها هاما اباه قال اهل الكتاب موسى لما قال ولي فيها مارب اخرى لانه خطر له ان قال لها ما موسى بوجه اخر كان تمنى جلية شيء وهو الفعل وفي يده شيء وهو العصا والرجال الهدى بالبداية الطلب فلم يريدها على ان السالك اذا دام في مقام الطلب والهرب كان مستقلا بنفسه طالبا الحظ فلا يحصل له كمال الاستغراق في بحر العرفان وفهم ان موسى مع جلالة منصبه وعلو شانه لم يمكن له الوصول الى حضرة الجلال حتى خلع النعل والقى العصا فانت مع العدد وقرن المعاصي كيف تمكنك الوصول اجابه قال الكلبي لا استطاعة قبل الفعل لان القدرة على القاء العصا ان توجد العصا وبعد ذلك قولنا او توجد هي خارجة عن يده وذلك تكليف بما لا يطاق من يده ما ليس في يده ويمكن ان يجاب بان القدرة مع القاء العصا قولنا فاذا حية تسعى في موضع اخر فاذا هي ثعبان وفي اخر كانها جان عبارات عن معنى واحد لان الحية اسم جنس يقع على الذكر والانثى والصغير والعظيم واما الثعبان وهو العظيم من الحيات والجان وهو الدقيق منها فبينهما تباين في الظاهر لا في الحصول لانها حين انقلابها كانت تكون حية صفراء دقيقة كالجان ثم تتورم وتتزايد جسمها حتى تصير ثعبانا اهولا وانها كانت في شخص ثعبان وسرعة حركة الجان وهذا وضعها بالنسبة الى هو هي شيء دبر غير وخفة حركة والعجب ان موسى قال لولا كونها على صفة الله تعالى في ذلك وجعلها معتكا له بان كانت اعظم معجزاته واما قبلها حيث قال لولا ان يكون في ذلك الوقت معجز تلوسي يعرف بها نبوته فضعيف لان النداء والنور والكلام لم يكن في الجهة الدالة لهذه ولان تتالي المعجزات كتتابع الحلم وكرامات ومنة لانه عرضها عليه ليشاهد ويوطن نفسه عليها لانها عند عدا قالوا لي بستر العيوب والعذير المناسب في صفو المشارب فكيف اذا وجد مجال لطعن وقدح وقد مر في الاعراف ان العصا كان لها عرف كعرف الفرس وكان بين لحييها اربعون ذراعا فلما رأى في ذلك الامر العجيب الهائل ملكه من الفزع والفرار ما يملك البشر عند لا هول حتى يذهل عن الدليل واخذ يفر ولم يلتفت ح مقام ففروا الى الله لم يفر عن شيء او لعله لما حصل له مقام المكالمة بقي في قلبه عجب فاذاه الله تعم ان بعد في فضل لا مكانى ولم يعاقب عالم البشرية وما الفرار والتعجب الا من الله وقد فقد ذكر انه قيل له دبر لا تخف اخ من ذهاب خوفه ولما بانه بقسر ادخل يده في فيها وقد لحيتها قال الشيخ ابو القاسم الانصاري ذلك الخوف من اقوى الدلائل على صدقة النبوة لان الساحر يعلم ان الذي اتى به موهوم فلا يخافه البتة وعن بعضهم امر خافها لانه ما الف ادم منها قلت يحتمل ان يكون خوف موسى وهجرانها من فوات المنافع المعدة وهذا على عد خوفه بقوله مستعيد سيرتها الاولى قال الله تعالى سنعيدها سيرتها من السيرة كالركبة من الركوب يقال لسار فلان سيرة حسنة ثم يتسع فيها فيقال لمعنى المذهب الطريقة وضمير سيرتها الاولى فيجوز ان ينتصب على الظرف اي في طريقتها الاولى قال ما كانت عصا او يكون اعادة منقولا بالهمزة من عاده بمعنى عاد اليه فنعكل المفعولين او يكون المراد بالاعادة الاتيان ثانيا ونصب سيرتها بفعل مضمر في موضع الحال اي سنعيدها تسير سيرتها الاولى حيث كانت تقوى كاهلها والمنها المار التي عرفتها قوى امره بمعجزة ثانية فقال واضمم يدك جناحك يقال لكل ناحيتين جناحان وضم جناحا العسكر وجناحا الانسان لجنبيها والاصل المستعمل من جناحا الطائر معها جناحا ضم يجمعها عند الطيران اي عسليها فقيل المراد بالاية تحت العضد بدليل قوله تخرج ومن ابن عباس معنى الصدك وضعف بانه لا طباقة قوله تخرج قلت لا يمتنع ان الصدك مستور بالقميص فيظهر عند ذلك مع الخروج وبهذا قوله في موضع اخر وادخل يدك في جيبك والسوء الرداءة والقبح في كل شيء نكى به عن البرص كما كنى عن العورة بالسوءة والبرص لبعض شيء عند العرب بحيث صار اسما لهم فكان جديرا بان يكنى عنه ومعنى بيضاء انها بتوقد كشعاع الشمس قال في الكشاف من غير سوء من صلة البيضاء كما يقال ابيضت من غير سوء قلت لعل المراد ان من للتعليل اي ليس سبب البياض هو السوء وانما السوء غيره وحقيقته يرجع الى الابتداء وبيضاء حال ان معا او متداخلتان واحتمال ان يتعلق اية بمضمر يدل عليه الكلام نحو خذه ودونك قوله لنريك من اياتنا انه لما اراه ولا بعد عندي ان يتعلق بالامر المذكور بناء على القول باضمار لنريك قال الحسن البدء الابجاز اعظم من العصا لانه تعم وصفها بالكبر وضعف بانه ليس في البداية تعبير النون واجاب بما في فضل تعبير النون والزيادة في الحجم وخلق الحية والقدرة على الامور الخارقة فالمراد لنريك بعض اياتنا الكبرى وتجوز في الكشاف ان يكون المراد لنريك بها الكبرى من اياتنا ويرد عليه لزوم ان يكون الايات الكبرى منحصرة فيها وليس كذلك فان معجزات نبينا محمد ﷺ اكبر من الكل ولقائل ان يقول شاهد على ذلك ثم صرح بالمقصود من المعجزات فقال اذهب الى فرعون وخصه بالذكر لان قومه متبع له ثم بين العلة في ذلك فقال انه طغى وهذا ان الله تعم قال الموسى اسمع كلامي واحفظه وبلغه الى فرعون واقض ما انت قاض فانك تعينه وتسمع ان معك بتدبيري وتنصري واني لست من سلطانك في شيء وانك لست تستكمل بها القوة في امر يعتد به الى مخلوق ضعيف من خلقي بطر نعمتي وامن بكري وغرته الدنيا حتى جحد حقي وانكر قدرتي الى اقتم بعزتي لولا الحجة والعذر الذي وضعت بيني وبين خلقي بطشت به بطشة شديدة جبارة ولكن هان علي وسقط من عيني فلم اعجل عليه ولم اعاجله بنقمتي وقلت قولا لينا لا يغره بلباس الدنيا وان ناصيته بيدي لا تطرف ولا تنفس الا بعلمي كلام طويل قال فسكت موسى سبعة ايام ثم جاءه ملك فقال له اجب ربك فيما امرك فعنده قال ربي اشرح لي صدري قال علماء المعاني ها هنا ولا بد لقيت اشرح لي وليسرني تعلم ان ثمة شرحا وميسرا ثم بين موضع الابهام بذكر الصدر والامر وكان وكد من جهة الاجمال ثم التفصيل كما

صدره وسع صنوا كما جاء في موضع اخر ويضيق صدري فارسل الله ان يبدل الضيق بالسعة حتى يفهم ما انزل عليه من الوحي وقيل اراد بشرحي على مخاطبة عوده
وعلى تحمل اعبائها الرشاد اعلم ان الكلام في الدعاء وشرائطه وفوائده وسائر ما يتعلق به قد سبق منا في البقرة في تفسير قوله سبحانا واذا سالك عبادي عني فاني
قريب لكن نذكر ههنا نكتا شريفة الاولى ان رقم كامل في الانذار لكن لا يخلو وذلك كما يقال انه سبحانا لا يعلم عدد مفصلا الحركات اهل الجنة لان كل ما لا يتناهي
متناه وحركات اهل الجنة غير متناهية فامتنع ذلك الا بالعضو في العلم بل لكونه في نفسه ممتنع الحصول وما كان الغرض من التكوين تكميل الناقصين وكان
الوجود اولى صفة من صفات الكمال احال الله سبحانه على هذه المائدة بعض المعدومات لانه لو احال كل عليها لدخل في الوجود لانها اثبات له ولا تتناهى القدرة
الذاتية لامتناع انحاء الموجود وكما ان رحمته اقتضت وضع مائدة الوجود لبعض المعدومات دون بعض حتى صار ذلك البعض حجابا مد ركا للمنافي واللام واللذة
والالم والخير والشر فقال الاحياء عند ذلك يا رب لا ارباب شر فينا بخلقة الوجود وخلقة الجهود ولكن ازدد ناحاجتنا الا ناحا العدم وحال الجمادية ما كانا تحا
الى اللام والموافي وما كانا تحاف المنافي واللوذي والان احتجنا الى طلب الملايم ودفع المنافي فان لم يكن لنا قدرة على الهرب والطلب كما كان من المفعد في
الطريق عرضة للافات وهدفا لسهام البليات فاقتضت الرحمة الكاملة تخصيص بعض الاحياء بالقدرة كما اقتضت تخصيص بعض المعدومات بالوجود وتخصيص
بعض الموجودات بالحيوة فقال القادرون عند ذلك لهذا الجود الكريم ان الحيوة والقدرة بلا عقل لا يكفيان لنا بهما مسخرة في حمل الاثقال فافض علينا
من العقل الذي هو اشرف مخلوقاتك فاعطى بعضهم العقل فحصل فاد راحهم نور البصيرة وجوهر الهداية فخاطبه مسلكا كما ان خاتم النبيين ص كان بعض
المخلوقات فنظر العقل في نفسه فراى نفسه كالحقة المملوة من الجواهر بل كسماء منيرة بالزواهر وهي العلوم الضرورية البديهية المركوزة في بداية العقول صانع
الاذهان بهندسها السائرون في ظلمات الشكوك وبحر الشبهات فاستدل العقل بتلك الارقام على راقم وبتلك النقوش على نقاش فعلم بهشتية الاول
الازلية وكاد يغرق في بحر السكر ويضيق عليه نطاق التاطه التدبر ويقع في تجاذب بايدي الاعدا الداخلة والخارجة وشياطين الجن والانس ضد ذلك قال
رب اشرح لي صدري ويسر لي امري فانتهاء جميع الحوادث اليه وتيسير الامور الكلية والجزئية من عنده هو الذي يعطي القابل قابلية والفاعل فاعلية الثاني انه تعم
خالجة ولا يا لا توحيد انني انا الله لا اله الا انا واثانيا انا العبادتي واثالثا اقم الصلوة لذكري ورابعا انا اكاد اخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى فاعرض الحكمة في جملة افاعيله وما ذلك
بيمينك وخامسا بعرض المعجزات الباهرة عليه لتعلم ان انا الكبرى وسادسا بارسال الى اعظم الناس كفرا وكانت هذه التكاليف الشاقة سببا
لضيق العطن وانحلال عقدة الصبر فلا جرم تضرع الى الله سبحانه قائلا رب اشرح لي صدري ويسر لي امري وههنا دقيقة هي ان شرح الصدر مقدم
لطلوع الانوار الالهية في القلب والاستماع مقدمة الفهم ولما اعطى موسى المقدمة فاستمع منه موسى على ذلك المنوال فقال رب اشرح لي صدري ولما
ال الامر الى محمد وكان خاتم النبيين ومعطوفا من الكائنات ومخاطبا بقوله الم نشرح لك صدرك اولى التجمل فقيل له وقد بينا لك علما ووصف
بقوله سراجا منيرا فشرح الصدر هو ان يصير الصدر بلا للنور والسراج المنير هو المعطي للنور فالتفاوت بين موسى ومحمد عليهما السلام هو التفاوت بين
الاخذ والمعطي ولهذا قال موسى اللهم اجعلني من امة محمد ثالثا انه تم ذكر عشرة اشياء ووصفها بالنور احدها ووصف تارة بنور الله نور السموات والارض
وثانيها الرسول قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين وثالثها الكتاب واتبعوا النور الذي انزل معه ورابعها الايمان يريدون ان يطفئوا نور الله وخامسها
على الله واشرقت الارض بنور ربها وسادسها ضيا القمر وجعل القمر فيهن نورا وجعل الظلمات والنور وثامنها البيان انا انزلنا التوراة فيها هدى
ونور وتاسعها الانبياء نور على نور وعاشرها المعرفة مثل نوره كمشكوة فيها مصباح فكان موسى قال اولا رب اشرح لي صدري بمعرفة انوار جلال
كبريائك وثانيا رب اشرح صدري بالتخلق باخلاقك وسلك ابنيائك وثالثا رب اشرح لي صدري بابتاع وحيك وامتثال امرك ونهيك ورابعا
رب اشرح لي صدري بنور الايمان والايقان بالهيبتك وخامسا رب اشرح لي صدري بالاطلاع على اسرار عدلك في قضائك وحكمك وسادسا رب
اشرح لي صدري بالاستقال من نور شمسك وقمرك الى انوار جلالك وعزتك كما فعله ابراهيم صلوات الرحمن عليه وسابعا رب اشرح لي صدري
عن مطالعة غيارك وبلك الى مطالعة انوارك وفضلك ولمعان عدلك وثامنا رب اشرح لي صدري بالاطلاع على مجامع ايات معاقد يقينك
في ارضك وسمائك وتاسعا رب اشرح لي صدري في ان اكون خلف صدق نبيا لائمة وعاشرا رب اشرح لي صدري بان يجعل سراج الايمان كالمشكوة التي
فيها المصباح الرابعة شرح الصدر عبارة عن ايقاظ النور في القلب حتى يصير القلب كالسراج ومستودع السراج محتاج الى سبعة اشياء زند وجر
وحراق وكبريت وسرجة وفتيلة ودهن فالزند الجاهدة والذين جاهدوا فينا والجر حجر التضرع ادعوا ربكم تضرعا وخفية والحراق منع الهوى
ولهى النفس عن الهوى والكبريت الانابة وانيبوا الى ربكم والسرجة الصبر واستعينوا بالصبر والصلوة والفتيلة الشكر لئن شكرتم لازيدنكم والدهن
الرضا واصبر لحكم ربك ثم اذا صلحت هذه الادوات فلا يعول عليها بل ينبغي ان تطلب المقصود من حضرة ربك بالتضرع والدعاء فلا جرم قال رب اشرح لي
صدري فهناك تستمع قد اوتيت سؤلك يا موسى اما هذا النور الروحاني المسمى بشرح الصدر افضل من الشمس الجسمانية لوجوه احدها الشمس يحجبها
الغيم وشمس المعرفة لا يحجبها السموات السبع البرصفعل الكلم الطيب وثانيها الشمس تغيب ليلا وشمس المعرفة لا تغيب ليلا ان ناشئة الليل هي اشد وطا
واقوم قيلا والمستغفرين بالاسحار الذي اسرى بعبده ليلا الليل للعاشقين ستر يا ليتا وقاته قدوم وعند الصباح يحمد القوم السرى
وثالثها الشمس تغني اذا الشمس كورت والمعرفة لا تفنى اصلها ثابت وفرعها في السماء سلام قولا من رب رحيم ورابعها الشمس اذا قارنها القمر
انكسفت وشمس التوحيد وهي اشهد ان لا اله الا الله اذا قارنها بقمر النبوة وهي اشهد ان محمدا رسول الله هم بضل نوره الى عالم الجواهر وخامسها

الشمس

الشمس تسود الوجه والمعرفة تبيض الوجوه يوم تبيض وجوه وتسود وجوه وسادسها الشمس تحرق والمعرفة تنجي من الاحراق جزيا مؤمن فقد اطفا نورك لهبي وسابعها الشمس تضدع والمعرفة تصعد اليه يصعد الكلم الطيب وثامنها الشمس ضعفتها في الدنيا والمعرفة منفعتها في الدارين فلتحيتنه حيوة طيبة ولنجزينهم اجرهم بأحسن ما كانوا يعملون وبوجه اخر الشمس زينة لاهل الارض والمعرفة زينة لاهل السماء وتاسعها الشمس فوقانية في الصوت نجاتية في المعنى والمعارف الالهية نجاتية الصوت فوقانية المعنى وفيه ان التحت مع الترفع والشرف مع التواضع وعاشرها الشمس تعرف احوال الخلوق والمعرفة يصل العبد الى الخالق والشمس يقع على الاولى والعدد والمعرفة لا تحصل الا للاولى لما كان شرح الصدر الذي هو اول مراتب الروحانيات اشرف من اعلى مراتب الجسمانيات بدا موسى بطلبه فقال رب اشرح لي صدري الثاني الشمس سراج وقدها الله تعم للفناء كل من عليها فان والمعرفة سراج استوقده للبقاء يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت والذي خلقه للفناء اذا قرب منه الشيطان احترق بحدائقها بارصدا والذي خلقه للبقاء كيف يقرب منه الشيطان رب اشرح لي صدري وايضا الشمس في السماء ثم لما مع بعدها تزيل الظلمة عن بيتك فشمس المعرفة مع قربها لانها في قلبك اولى ان تزيل ظلمة المعصية والكفر عن قلبك وايضا الانسان اذا استوقد سراجا فانه لا يزال يتعهده ويمده الله يقم هو الموقد لسراج المعرفة ولكن الله حبب اليكم الايمان افلا يمده هو معنى قوله رب اشرح لي صدري وايضا اذا كان في البيت سراج فان اللص لا يقرب منه وانت سبحانه قد اوقدت سراج المعرفة في قلبك فكيف يقربه الشيطان منه رب اشرح لي صدري وايضا المجوس اذا اوقدوا نارا لا يجوزون اطفاءها فالملك القدوس اذا اوقد سراج المعرفة في قلبك كيف يرضى اطفاءه رب اشرح لي صدري الثالث انه سبحانه اعطى قلب المؤمن ستة كرامات احدها او من كان مبنا فاحييناه وقال تعالى اولئك كتب في قلوبهم الايمان وايد هم بروح منه فاول ما خلق الله في قلب المؤمن الحياة لا الايمان لان الايمان لا يكون الا في قلب حي والحياة لا تكون الا بالروح فالروح اول ما خلق الله في قلب المؤمن ثم بعد الحياة النور قال الله تعالى الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكوة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كانها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور فالنور الاول نور الحياة والثاني نور الايمان والثالث نور القرآن والرابع نور الاسلام والخامس نور الاحسان والسادس نور السنة والسابع نور الهجرة والثامن نور الصلاة والتاسع نور الصبر والعاشر نور الصدقة والحادي عشر نور الذكر والثاني عشر نور الخوف والثالث عشر نور الرجاء والرابع عشر نور الحب والخامس عشر نور الرضا والسادس عشر نور اليقين والسابع عشر نور التوكل والثامن عشر نور التسليم والتاسع عشر نور الحياء والعشرون نور الصدق والحادي والعشرون نور الحكمة والثاني والعشرون نور العلم والثالث والعشرون نور العقل والرابع والعشرون نور الفهم والخامس والعشرون نور الفكر والسادس والعشرون نور الذكر والسابع والعشرون نور الهيبة والثامن والعشرون نور الهداية والتاسع والعشرون نور الرشد والثلاثون نور الفلاح والحادي والثلاثون نور الفوز والثاني والثلاثون نور الجنة والثالث والثلاثون نور الرؤية والرابع والثلاثون نور الكرامة والخامس والثلاثون نور الرحمة والسادس والثلاثون نور الرضوان والسابع والثلاثون نور الدرجات العلى والثامن والثلاثون نور الجوار والتاسع والثلاثون نور الانس والاربعون نور القرب والحادي والاربعون نور الوصال والثاني والاربعون نور اللقاء والثالث والاربعون نور الرؤية والرابع والاربعون نور الكرامة والخامس والاربعون نور الرحمة والسادس والاربعون نور الرضوان والسابع والاربعون نور الدرجات العلى والثامن والاربعون نور الجوار والتاسع والاربعون نور الانس والخمسون نور القرب والحادي والخمسون نور الوصال والثاني والخمسون نور اللقاء والثالث والخمسون نور الرؤية والرابع والخمسون نور الكرامة والخامس والخمسون نور الرحمة والسادس والخمسون نور الرضوان والسابع والخمسون نور الدرجات العلى والثامن والخمسون نور الجوار والتاسع والخمسون نور الانس والستون نور القرب والحادي والستون نور الوصال والثاني والستون نور اللقاء والثالث والستون نور الرؤية والرابع والستون نور الكرامة والخامس والستون نور الرحمة والسادس والستون نور الرضوان والسابع والستون نور الدرجات العلى والثامن والستون نور الجوار والتاسع والستون نور الانس والسبعون نور القرب والحادي والسبعون نور الوصال والثاني والسبعون نور اللقاء والثالث والسبعون نور الرؤية والرابع والسبعون نور الكرامة والخامس والسبعون نور الرحمة والسادس والسبعون نور الرضوان والسابع والسبعون نور الدرجات العلى والثامن والسبعون نور الجوار والتاسع والسبعون نور الانس والثمانون نور القرب والحادي والثمانون نور الوصال والثاني والثمانون نور اللقاء والثالث والثمانون نور الرؤية والرابع والثمانون نور الكرامة والخامس والثمانون نور الرحمة والسادس والثمانون نور الرضوان والسابع والثمانون نور الدرجات العلى والثامن والثمانون نور الجوار والتاسع والثمانون نور الانس والتسعون نور القرب والحادي والتسعون نور الوصال والثاني والتسعون نور اللقاء والثالث والتسعون نور الرؤية والرابع والتسعون نور الكرامة والخامس والتسعون نور الرحمة والسادس والتسعون نور الرضوان والسابع والتسعون نور الدرجات العلى والثامن والتسعون نور الجوار والتاسع والتسعون نور الانس والمائة نور القرب والحادي والمائة نور الوصال والثاني والمائة نور اللقاء والثالث والمائة نور الرؤية والرابع والمائة نور الكرامة والخامس والمائة نور الرحمة والسادس والمائة نور الرضوان والسابع والمائة نور الدرجات العلى والثامن والمائة نور الجوار والتاسع والمائة نور الانس والمائة والعشرة نور القرب والحادي والمائة والعشرة نور الوصال والثاني والمائة والعشرة نور اللقاء والثالث والمائة والعشرة نور الرؤية والرابع والمائة والعشرة نور الكرامة والخامس والمائة والعشرة نور الرحمة والسادس والمائة والعشرة نور الرضوان والسابع والمائة والعشرة نور الدرجات العلى والثامن والمائة والعشرة نور الجوار والتاسع والمائة والعشرة نور الانس والمائة والعشرون نور القرب والحادي والمائة والعشرون نور الوصال والثاني والمائة والعشرون نور اللقاء والثالث والمائة والعشرون نور الرؤية والرابع والمائة والعشرون نور الكرامة والخامس والمائة والعشرون نور الرحمة والسادس والمائة والعشرون نور الرضوان والسابع والمائة والعشرون نور الدرجات العلى والثامن والمائة والعشرون نور الجوار والتاسع والمائة والعشرون نور الانس والمائة والثلاثون نور القرب والحادي والمائة والثلاثون نور الوصال والثاني والمائة والثلاثون نور اللقاء والثالث والمائة والثلاثون نور الرؤية والرابع والمائة والثلاثون نور الكرامة والخامس والمائة والثلاثون نور الرحمة والسادس والمائة والثلاثون نور الرضوان والسابع والمائة والثلاثون نور الدرجات العلى والثامن والمائة والثلاثون نور الجوار والتاسع والمائة والثلاثون نور الانس والمائة والاربعون نور القرب والحادي والمائة والاربعون نور الوصال والثاني والمائة والاربعون نور اللقاء والثالث والمائة والاربعون نور الرؤية والرابع والمائة والاربعون نور الكرامة والخامس والمائة والاربعون نور الرحمة والسادس والمائة والاربعون نور الرضوان والسابع والمائة والاربعون نور الدرجات العلى والثامن والمائة والاربعون نور الجوار والتاسع والمائة والاربعون نور الانس والمائة والخمسون نور القرب والحادي والمائة والخمسون نور الوصال والثاني والمائة والخمسون نور اللقاء والثالث والمائة والخمسون نور الرؤية والرابع والمائة والخمسون نور الكرامة والخامس والمائة والخمسون نور الرحمة والسادس والمائة والخمسون نور الرضوان والسابع والمائة والخمسون نور الدرجات العلى والثامن والمائة والخمسون نور الجوار والتاسع والمائة والخمسون نور الانس والمائة والستون نور القرب والحادي والمائة والستون نور الوصال والثاني والمائة والستون نور اللقاء والثالث والمائة والستون نور الرؤية والرابع والمائة والستون نور الكرامة والخامس والمائة والستون نور الرحمة والسادس والمائة والستون نور الرضوان والسابع والمائة والستون نور الدرجات العلى والثامن والمائة والستون نور الجوار والتاسع والمائة والستون نور الانس والمائة والسبعون نور القرب والحادي والمائة والسبعون نور الوصال والثاني والمائة والسبعون نور اللقاء والثالث والمائة والسبعون نور الرؤية والرابع والمائة والسبعون نور الكرامة والخامس والمائة والسبعون نور الرحمة والسادس والمائة والسبعون نور الرضوان والسابع والمائة والسبعون نور الدرجات العلى والثامن والمائة والسبعون نور الجوار والتاسع والمائة والسبعون نور الانس والمائة والثمانون نور القرب والحادي والمائة والثمانون نور الوصال والثاني والمائة والثمانون نور اللقاء والثالث والمائة والثمانون نور الرؤية والرابع والمائة والثمانون نور الكرامة والخامس والمائة والثمانون نور الرحمة والسادس والمائة والثمانون نور الرضوان والسابع والمائة والثمانون نور الدرجات العلى والثامن والمائة والثمانون نور الجوار والتاسع والمائة والثمانون نور الانس والمائة والتسعون نور القرب والحادي والمائة والتسعون نور الوصال والثاني والمائة والتسعون نور اللقاء والثالث والمائة والتسعون نور الرؤية والرابع والمائة والتسعون نور الكرامة والخامس والمائة والتسعون نور الرحمة والسادس والمائة والتسعون نور الرضوان والسابع والمائة والتسعون نور الدرجات العلى والثامن والمائة والتسعون نور الجوار والتاسع والمائة والتسعون نور الانس والمائتان نور القرب والحادي والمائتان نور الوصال والثاني والمائتان نور اللقاء والثالث والمائتان نور الرؤية والرابع والمائتان نور الكرامة والخامس والمائتان نور الرحمة والسادس والمائتان نور الرضوان والسابع والمائتان نور الدرجات العلى والثامن والمائتان نور الجوار والتاسع والمائتان نور الانس والثلاثمائة نور القرب والحادي والثلاثمائة نور الوصال والثاني والثلاثمائة نور اللقاء والثالث والثلاثمائة نور الرؤية والرابع والثلاثمائة نور الكرامة والخامس والثلاثمائة نور الرحمة والسادس والثلاثمائة نور الرضوان والسابع والثلاثمائة نور الدرجات العلى والثامن والثلاثمائة نور الجوار والتاسع والثلاثمائة نور الانس والاربعمائة نور القرب والحادي والاربعمائة نور الوصال والثاني والاربعمائة نور اللقاء والثالث والاربعمائة نور الرؤية والرابع والاربعمائة نور الكرامة والخامس والاربعمائة نور الرحمة والسادس والاربعمائة نور الرضوان والسابع والاربعمائة نور الدرجات العلى والثامن والاربعمائة نور الجوار والتاسع والاربعمائة نور الانس والخمسمائة نور القرب والحادي والخمسمائة نور الوصال والثاني والخمسمائة نور اللقاء والثالث والخمسمائة نور الرؤية والرابع والخمسمائة نور الكرامة والخامس والخمسمائة نور الرحمة والسادس والخمسمائة نور الرضوان والسابع والخمسمائة نور الدرجات العلى والثامن والخمسمائة نور الجوار والتاسع والخمسمائة نور الانس والستمائة نور القرب والحادي والستمائة نور الوصال والثاني والستمائة نور اللقاء والثالث والستمائة نور الرؤية والرابع والستمائة نور الكرامة والخامس والستمائة نور الرحمة والسادس والستمائة نور الرضوان والسابع والستمائة نور الدرجات العلى والثامن والستمائة نور الجوار والتاسع والستمائة نور الانس والسبعمائة نور القرب والحادي والسبعمائة نور الوصال والثاني والسبعمائة نور اللقاء والثالث والسبعمائة نور الرؤية والرابع والسبعمائة نور الكرامة والخامس والسبعمائة نور الرحمة والسادس والسبعمائة نور الرضوان والسابع والسبعمائة نور الدرجات العلى والثامن والسبعمائة نور الجوار والتاسع والسبعمائة نور الانس والثمانمائة نور القرب والحادي والثمانمائة نور الوصال والثاني والثمانمائة نور اللقاء والثالث والثمانمائة نور الرؤية والرابع والثمانمائة نور الكرامة والخامس والثمانمائة نور الرحمة والسادس والثمانمائة نور الرضوان والسابع والثمانمائة نور الدرجات العلى والثامن والثمانمائة نور الجوار والتاسع والثمانمائة نور الانس والتسعمائة نور القرب والحادي والتسعمائة نور الوصال والثاني والتسعمائة نور اللقاء والثالث والتسعمائة نور الرؤية والرابع والتسعمائة نور الكرامة والخامس والتسعمائة نور الرحمة والسادس والتسعمائة نور الرضوان والسابع والتسعمائة نور الدرجات العلى والثامن والتسعمائة نور الجوار والتاسع والتسعمائة نور الانس والالف نور القرب والحادي والالف نور الوصال والثاني والالف نور اللقاء والثالث والالف نور الرؤية والرابع والالف نور الكرامة والخامس والالف نور الرحمة والسادس والالف نور الرضوان والسابع والالف نور الدرجات العلى والثامن والالف نور الجوار والتاسع والالف نور الانس والالف والعشرة نور القرب والحادي والالف والعشرة نور الوصال والثاني والالف والعشرة نور اللقاء والثالث والالف والعشرة نور الرؤية والرابع والالف والعشرة نور الكرامة والخامس والالف والعشرة نور الرحمة والسادس والالف والعشرة نور الرضوان والسابع والالف والعشرة نور الدرجات العلى والثامن والالف والعشرة نور الجوار والتاسع والالف والعشرة نور الانس والالف والعشرون نور القرب والحادي والالف والعشرون نور الوصال والثاني والالف والعشرون نور اللقاء والثالث والالف والعشرون نور الرؤية والرابع والالف والعشرون نور الكرامة والخامس والالف والعشرون نور الرحمة والسادس والالف والعشرون نور الرضوان والسابع والالف والعشرون نور الدرجات العلى والثامن والالف والعشرون نور الجوار والتاسع والالف والعشرون نور الانس والالف والثلاثون نور القرب والحادي والالف والثلاثون نور الوصال والثاني والالف والثلاثون نور اللقاء والثالث والالف والثلاثون نور الرؤية والرابع والالف والثلاثون نور الكرامة والخامس والالف والثلاثون نور الرحمة والسادس والالف والثلاثون نور الرضوان والسابع والالف والثلاثون نور الدرجات العلى والثامن والالف والثلاثون نور الجوار والتاسع والالف والثلاثون نور الانس والالف والاربعون نور القرب والحادي والالف والاربعون نور الوصال والثاني والالف والاربعون نور اللقاء والثالث والالف والاربعون نور الرؤية والرابع والالف والاربعون نور الكرامة والخامس والالف والاربعون نور الرحمة والسادس والالف والاربعون نور الرضوان والسابع والالف والاربعون نور الدرجات العلى والثامن والالف والاربعون نور الجوار والتاسع والالف والاربعون نور الانس والالف والخمسون نور القرب والحادي والالف والخمسون نور الوصال والثاني والالف والخمسون نور اللقاء والثالث والالف والخمسون نور الرؤية والرابع والالف والخمسون نور الكرامة والخامس والالف والخمسون نور الرحمة والسادس والالف والخمسون نور الرضوان والسابع والالف والخمسون نور الدرجات العلى والثامن والالف والخمسون نور الجوار والتاسع والالف والخمسون نور الانس والالف والستون نور القرب والحادي والالف والستون نور الوصال والثاني والالف والستون نور اللقاء والثالث والالف والستون نور الرؤية والرابع والالف والستون نور الكرامة والخامس والالف والستون نور الرحمة والسادس والالف والستون نور الرضوان والسابع والالف والستون نور الدرجات العلى والثامن والالف والستون نور الجوار والتاسع والالف والستون نور الانس والالف والسبعون نور القرب والحادي والالف والسبعون نور الوصال والثاني والالف والسبعون نور اللقاء والثالث والالف والسبعون نور الرؤية والرابع والالف والسبعون نور الكرامة والخامس والالف والسبعون نور الرحمة والسادس والالف والسبعون نور الرضوان والسابع والالف والسبعون نور الدرجات العلى والثامن والالف والسبعون نور الجوار والتاسع والالف والسبعون نور الانس والالف والثمانون نور القرب والحادي والالف والثمانون نور الوصال والثاني والالف والثمانون نور اللقاء والثالث والالف والثمانون نور الرؤية والرابع والالف والثمانون نور الكرامة والخامس والالف والثمانون نور الرحمة والسادس والالف والثمانون نور الرضوان والسابع والالف والثمانون نور الدرجات العلى والثامن والالف والثمانون نور الجوار والتاسع والالف والثمانون نور الانس والالف والتسعون نور القرب والحادي والالف والتسعون نور الوصال والثاني والالف والتسعون نور اللقاء والثالث والالف والتسعون نور الرؤية والرابع والالف والتسعون نور الكرامة والخامس والالف والتسعون نور الرحمة والسادس والالف والتسعون نور الرضوان والسابع والالف والتسعون نور الدرجات العلى والثامن والالف والتسعون نور الجوار والتاسع والالف والتسعون نور الانس والالفان نور القرب والحادي والالفان نور الوصال والثاني والالفان نور اللقاء والثالث والالفان نور الرؤية والرابع والالفان نور الكرامة والخامس والالفان نور الرحمة والسادس والالفان نور الرضوان والسابع والالفان نور الدرجات العلى والثامن والالفان نور الجوار والتاسع والالفان نور الانس والثلاثة الاف نور القرب والحادي والثلاثة الاف نور الوصال والثاني والثلاثة الاف نور اللقاء والثالث والثلاثة الاف نور الرؤية والرابع والثلاثة الاف نور الكرامة والخامس والثلاثة الاف نور الرحمة والسادس والثلاثة الاف نور الرضوان والسابع والثلاثة الاف نور الدرجات العلى والثامن والثلاثة الاف نور الجوار والتاسع والثلاثة الاف نور الانس والاربعة الاف نور القرب والحادي والاربعة الاف نور الوصال والثاني والاربعة الاف نور اللقاء والثالث والاربعة الاف نور الرؤية والرابع والاربعة الاف نور الكرامة والخامس والاربعة الاف نور الرحمة والسادس والاربعة الاف نور الرضوان والسابع والاربعة الاف نور الدرجات العلى والثامن والاربعة الاف نور الجوار والتاسع والاربعة الاف نور الانس والخمسة الاف نور القرب والحادي والخمسة الاف نور الوصال والثاني والخمسة الاف نور اللقاء والثالث والخمسة الاف نور الرؤية والرابع والخمسة الاف نور الكرامة والخامس والخمسة الاف نور الرحمة والسادس والخمسة الاف نور الرضوان والسابع والخمسة الاف نور الدرجات العلى والثامن والخمسة الاف نور الجوار والتاسع والخمسة الاف نور الانس والستة الاف نور القرب والحادي والستة الاف نور الوصال والثاني والستة الاف نور اللقاء والثالث والستة الاف نور الرؤية والرابع والستة الاف نور الكرامة والخامس والستة الاف نور الرحمة والسادس والستة الاف نور الرضوان والسابع والستة الاف نور الدرجات العلى والثامن والستة الاف نور الجوار والتاسع والستة الاف نور الانس والسبعة الاف نور القرب والحادي والسبعة الاف نور الوصال والثاني والسبعة الاف نور اللقاء والثالث والسبعة الاف نور الرؤية والرابع والسبعة الاف نور الكرامة والخامس والسبعة الاف نور الرحمة والسادس والسبعة الاف نور الرضوان والسابع والسبعة الاف نور الدرجات العلى والثامن والسبعة الاف نور الجوار والتاسع والسبعة الاف نور الانس والثمانة الاف نور القرب والحادي والثمانة الاف نور الوصال والثاني والثمانة الاف نور اللقاء والثالث والثمانة الاف نور الرؤية والرابع والثمانة الاف نور الكرامة والخامس والثمانة الاف نور الرحمة والسادس والثمانة الاف نور الرضوان والسابع والثمانة الاف نور الدرجات العلى والثامن والثمانة الاف نور الجوار والتاسع والثمانة الاف نور الانس والتسعة الاف نور القرب والحادي والتسعة الاف نور الوصال والثاني والتسعة الاف نور اللقاء والثالث والتسعة الاف نور الرؤية والرابع والتسعة الاف نور الكرامة والخامس والتسعة الاف نور الرحمة والسادس والتسعة الاف نور الرضوان والسابع والتسعة الاف نور الدرجات العلى والثامن والتسعة الاف نور الجوار والتاسع والتسعة الاف نور الانس والعشرة الاف نور القرب والحادي والعشرة الاف نور الوصال والثاني والعشرة الاف نور اللقاء والثالث والعشرة الاف نور الرؤية والرابع والعشرة الاف نور الكرامة والخامس والعشرة الاف نور الرحمة والسادس والعشرة الاف نور الرضوان والسابع والعشرة الاف نور الدرجات العلى والثامن والعشرة الاف نور الجوار والتاسع والعشرة الاف نور الانس والاحد عشر الف نور القرب والحادي والاحد عشر الف نور الوصال والثاني والاحد عشر الف نور اللقاء والثالث والاحد عشر الف نور الرؤية والرابع والاحد عشر الف نور الكرامة والخامس والاحد عشر الف نور الرحمة والسادس والاحد عشر الف نور الرضوان والسابع والاحد عشر الف نور الدرجات العلى والثامن والاحد عشر الف نور الجوار والتاسع والاحد عشر الف نور الانس والاثنا عشر الف نور القرب والحادي والاثنا عشر الف نور الوصال والثاني والاثنا عشر الف نور اللقاء والثالث والاثنا عشر الف نور الرؤية والرابع والاثنا عشر الف نور الكرامة والخامس والاثنا عشر الف نور الرحمة والسادس والاثنا عشر الف نور الرضوان والسابع والاثنا عشر الف نور الدرجات العلى والثامن والاثنا عشر الف نور الجوار والتاسع والاثنا عشر الف نور الانس والثلاثة عشر الف نور القرب والحادي والثلاثة عشر الف نور الوصال والثاني والثلاثة عشر الف نور اللقاء والثالث والثلاثة عشر الف نور الرؤية والرابع والثلاثة عشر الف نور الكرامة والخامس والثلاثة عشر الف نور الرحمة والسادس والثلاثة عشر الف نور الرضوان والسابع والثلاثة عشر الف نور الدرجات العلى والثامن والثلاثة عشر الف نور الجوار والتاسع والثلاثة عشر الف نور الانس والاربعة عشر الف نور القرب والحادي والاربعة عشر الف نور الوصال والثاني والاربعة عشر الف نور اللقاء والثالث والاربعة عشر الف نور الرؤية والرابع والاربعة عشر الف نور الكرامة والخامس والاربعة عشر الف نور الرحمة والسادس والاربعة عشر الف نور الرضوان والسابع والاربعة عشر الف نور الدرجات العلى والثامن والاربعة عشر الف نور الجوار والتاسع والاربعة عشر الف نور الانس والخمسة عشر الف نور القرب والحادي والخمسة عشر الف نور الوصال والثاني والخمسة عشر الف نور اللقاء والثالث والخمسة عشر الف نور الرؤية والرابع والخمسة عشر الف نور الكرامة والخامس والخمسة عشر الف نور الرحمة والسادس والخمسة عشر الف نور الرضوان والسابع والخمسة عشر الف نور الدرجات العلى والثامن والخمسة عشر الف نور الجوار والتاسع والخمسة عشر الف نور الانس والستة عشر الف نور القرب والحادي والستة عشر الف نور الوصال والثاني والستة عشر الف نور اللقاء والثالث والستة عشر الف نور الرؤية والرابع والستة عشر الف نور الكرامة والخامس والستة عشر الف نور الرحمة والسادس والستة عشر الف نور الرضوان والسابع والستة عشر الف نور الدرجات العلى والثامن والستة عشر الف نور الجوار والتاسع والستة عشر الف نور الانس والسبعة عشر الف نور القرب والحادي والسبعة عشر الف نور الوصال والثاني والسبعة عشر الف نور اللقاء والثالث والسبعة عشر الف نور الرؤية والرابع والسبعة عشر الف نور الكرامة والخامس والسبعة عشر الف نور الرحمة والسادس والسبعة عشر الف نور الرضوان والسابع والسبعة عشر الف نور الدرجات العلى والثامن والسبعة عشر الف نور الجوار والتاسع والسبعة عشر الف نور الانس والثمانية عشر الف نور القرب والحادي والثمانية عشر الف نور الوصال والثاني والثمانية عشر الف نور اللقاء والثالث والثمانية عشر الف نور الرؤية والرابع والثمانية عشر الف نور الكرامة والخامس والثمانية عشر الف نور الرحمة والسادس والثمانية عشر الف نور الرضوان والسابع والثمانية عشر الف نور الدرجات العلى والثامن والثمانية عشر الف نور الجوار والتاسع والثمانية عشر الف نور الانس والتسعة عشر الف نور القرب والحادي والتسعة عشر الف نور الوصال والثاني والتسعة عشر الف نور اللقاء والثالث والتسعة عشر الف نور الرؤية والرابع والتسعة عشر الف نور الكرامة والخامس والتسعة عشر الف نور الرحمة والسادس والتسعة عشر الف نور الرضوان والسابع والتسعة عشر الف نور الدرجات العلى والثامن والتسعة عشر الف نور الجوار والتاسع والتسعة عشر الف نور الانس والعشرون الف نور القرب والحادي والعشرون الف نور الوصال والثاني والعشرون الف نور اللقاء والثالث والعشرون الف نور الرؤية والرابع والعشرون الف نور الكرامة والخامس والعشرون الف نور الرحمة والسادس والعشرون الف نور الرضوان والسابع والعشرون الف نور الدرجات العلى والثامن والعشرون الف نور الجوار والتاسع والعشرون الف نور الانس والثلاثون الف نور القرب والحادي والثلاثون الف نور الوصال والثاني والثلاثون الف نور اللقاء والثالث والثلاثون الف نور الرؤية والرابع والثلاثون الف نور الكرامة والخامس والثلاثون الف نور الرحمة والسادس والثلاثون الف نور الرضوان والسابع والثلاثون الف نور الدرجات العلى والثامن والثلاثون الف نور الجوار والتاسع والثلاثون الف نور الانس والاربعون الف نور القرب والحادي والاربعون الف نور الوصال والثاني والاربعون الف نور اللقاء والثالث والاربعون الف نور الرؤية والرابع والاربعون الف نور الكرامة والخامس والاربعون الف نور الرحمة والسادس والاربعون الف نور الرضوان والسابع والاربعون الف نور الدرجات العلى والثامن والاربعون الف نور الجوار والتاسع والاربعون الف نور الانس والخمسون الف نور القرب والحادي والخمسون الف نور الوصال والثاني والخمسون الف نور اللقاء والثالث والخمسون الف نور الرؤية والرابع والخمسون الف نور الكرامة والخامس والخمسون الف نور الرحمة والسادس والخمسون الف نور الرضوان والسابع والخمسون الف نور الدرجات العلى والثامن والخمسون الف نور الجوار والتاسع والخمسون الف نور الانس والستون الف نور القرب والحادي والستون الف نور الوصال والثاني والستون الف نور اللقاء والثالث والستون الف نور الرؤية والرابع والستون الف نور الكرامة والخامس والستون الف نور الرحمة والسادس والستون الف نور الرضوان والسابع والستون الف نور الدرجات العلى والثامن والستون الف نور الجوار والتاسع والستون الف نور الانس والسبعون الف نور القرب والحادي والسبعون الف نور الوصال والثاني والسبعون الف نور اللقاء والثالث والسبعون الف نور الرؤية والرابع والسبعون الف نور الكرامة والخامس والسبعون الف نور الرحمة والسادس والسبعون الف نور الرضوان والسابع والسبعون الف نور الدرجات العلى والثامن والسبعون الف نور الجوار والتاسع والسبعون الف نور الانس والثمانون الف نور القرب والحادي والثمانون الف نور الوصال والثاني والثمانون الف نور اللقاء والثالث والثمانون الف نور الرؤية والرابع والثمانون الف نور الكرامة والخامس والثمانون الف نور الرحمة والسادس والثمانون الف نور الرضوان والسابع والثمانون الف نور الدرجات العلى والثامن والثمانون الف نور الجوار والتاسع والثمانون الف نور الانس والتسعون الف نور القرب والحادي والتسعون الف نور الوصال والثاني والتسعون الف نور اللقاء والثالث والتسعون الف نور الرؤية والرابع والتسعون الف نور الكرامة والخامس والتسعون الف نور الرحمة والسادس والتسعون الف نور الرضوان والسابع والتسعون الف نور الدرجات العلى والثامن والتسعون الف نور الجوار والتاسع والتسعون الف نور الانس والمائة الف نور القرب والحادي والمائة الف نور الوصال والثاني والمائة الف نور اللقاء والثالث والمائة الف نور الرؤية والرابع والمائة الف نور الكرامة والخامس والمائة الف نور الرحمة والسادس والمائة الف نور الرضوان والسابع والمائة الف نور الدرجات العلى والثامن والمائة الف نور الجوار والتاسع والمائة الف نور الانس والمائة والعشرة الف نور القرب والحادي والمائة والعشرة الف نور الوصال والثاني والمائة والعشرة الف نور اللقاء والثالث والمائة والعشرة الف نور الرؤية والرابع والمائة والعشرة الف نور الكرامة والخامس والمائة والعشرة الف نور الرحمة والسادس والمائة والعشرة الف نور الرضوان والسابع والمائة والعشرة الف نور الدرجات العلى والثامن والمائة والعشرة الف نور الجوار والتاسع والمائة والعشرة الف نور الانس والمائة والعشرون الف نور القرب والحادي والمائة والعشرون الف نور الوصال والثاني والمائة والعشرون الف نور اللقاء والثالث والمائة والعشرون الف نور الرؤية والرابع والمائة والعشرون الف نور الكرامة والخامس والمائة والعشرون الف نور الرحمة والسادس والمائة والعشرون الف نور الرضوان والسابع والمائة والعشرون الف نور الدرجات العلى والثامن والمائة والعشرون الف نور الجوار والتاسع والمائة والعشرون الف نور الانس والمائة والثلاثون الف نور القرب والحادي والمائة والثلاثون الف نور الوصال والثاني والمائة والثلاثون الف نور اللقاء والثالث والمائة والثلاثون الف نور الرؤية والرابع والمائة والثلاثون الف نور الكرامة والخامس والمائة والثلاثون الف نور الرحمة والسادس والمائة والثلاثون الف نور الرضوان والسابع والمائة والثلاثون الف نور الدرجات العلى والثامن والمائة والثلاثون الف نور الجوار والتاسع والمائة والثلاثون الف نور الانس والمائة والاربعون الف نور القرب والحادي والمائة والاربعون الف نور الوصال والثاني والمائة والاربعون الف نور اللقاء والثالث والمائة والاربعون الف نور الرؤية والرابع والمائة والاربعون الف نور الكرامة والخامس والمائة والاربعون الف نور الرحمة والسادس والمائة والاربعون الف نور الرضوان والسابع والمائة والاربعون الف نور الدرجات العلى والثامن والمائة والاربعون الف نور الجوار والتاسع والمائة والاربعون الف نور الانس والمائة والخمسون الف نور القرب والحادي والمائة والخمسون الف نور الوصال والثاني والمائة والخمسون الف نور اللقاء والثالث والمائة والخمسون الف نور الرؤية والرابع والمائة والخمسون الف نور الكرامة والخامس والمائة والخمسون الف نور الرحمة والسادس والمائة والخمسون الف نور الرضوان والسابع والمائة والخمسون الف نور الدرجات العلى والثامن والمائة والخمسون الف نور الجوار والتاسع والمائة والخمسون الف نور الانس والمائة والستون الف نور القرب والحادي والمائة والستون الف نور الوصال والثاني والمائة والستون الف نور اللقاء والثالث والمائة والستون الف نور الرؤية والرابع والمائة والستون الف نور الكرامة والخامس والمائة والستون الف نور الرحمة والسادس والمائة والستون الف نور الرضوان والسابع والمائة والستون الف نور الدرجات العلى والثامن والمائة والستون الف نور الجوار والتاسع والمائة والستون الف نور الانس والمائة والسبعون الف نور القرب والحادي والمائة والسبعون الف نور الوصال والثاني والمائة والسبعون الف نور اللقاء والثالث والمائة والسبعون الف نور الرؤية والرابع والمائة والسبعون الف نور الكرامة والخامس والمائة والسبعون الف نور الرحمة والسادس والمائة والسبعون الف نور الرضوان والسابع والمائة والسبعون الف نور الدرجات العلى والثامن والمائة والسبعون الف نور الجوار والتاسع والمائة والسبعون الف نور الانس والمائة والثمانون الف نور القرب والحادي والمائة والثمانون الف نور الوصال والثاني والمائة والثمانون الف نور اللقاء والثالث والمائة والثمانون الف نور الرؤية والرابع والمائة والثمانون الف نور الكرامة والخامس والمائة والثمانون الف نور الرحمة والسادس والمائة والثمانون الف نور الرضوان والسابع والمائة والثمانون الف نور الدرجات العلى والثامن والمائة والثمانون الف نور الجوار والتاسع والمائة والثمانون الف نور الانس والمائة والتسعون الف نور القرب والحادي والمائة والتسعون الف نور الوصال والثاني والمائة والتسعون الف نور اللقاء والثالث والمائة والتسعون الف نور الرؤية والرابع والمائة والتسعون الف نور الكرامة والخامس والمائة والتسعون الف نور الرحمة والسادس والمائة والتسعون الف نور الرضوان والسابع والمائة والتسعون الف نور الدرجات العلى والثامن والمائة والتسعون الف نور الجوار والتاسع والمائة والتسعون الف نور الانس والمائتان الف نور القرب والحادي والمائتان الف نور الوصال والثاني والمائتان الف نور اللقاء والثالث والمائتان الف نور الرؤية والرابع والمائتان الف نور الكرامة والخامس والمائتان الف نور الرحمة والسادس والمائتان الف نور الرضوان والسابع والمائتان الف نور الدرجات العلى والثامن والمائتان الف نور الجوار والتاسع والمائتان الف نور الانس والثلاثمائة الف نور القرب والحادي والثلاثمائة الف نور الوصال والثاني والثلاثمائة الف نور اللقاء والثالث والثلاثمائة الف نور الرؤية والرابع والثلاثمائة الف نور الكرامة والخامس والثلاثمائة الف نور الرحمة والسادس والثلاثمائة الف نور الرضوان والسابع والثلاثمائة الف نور الدرجات العلى والثامن والثلاثمائة الف نور الجوار والتاسع والثلاثمائة الف نور الانس والاربعمائة الف نور القرب والحادي والاربعمائة الف نور الوصال والثاني والاربعمائة الف نور اللقاء والثالث والاربعمائة الف نور الرؤية والرابع والاربعمائة الف نور الكرامة والخامس والاربعمائة الف نور الرحمة والسادس والاربعمائة الف نور الرضوان والسابع والاربعمائة الف نور الدرجات العلى والثامن والاربعمائة الف نور الجوار والتاسع والاربعمائة الف نور الانس والخمسمائة الف نور القرب والحادي والخمسمائة الف نور الوصال والثاني والخمسمائة الف نور اللقاء والثالث والخمسمائة الف نور الرؤية والرابع والخمسمائة الف نور الكرامة والخامس والخمسمائة الف نور الرحمة والسادس والخمسمائة الف نور الرضوان والسابع والخمسمائة الف نور الدرجات العلى والثامن والخمسمائة الف نور الجوار والتاسع والخمسمائة الف نور الانس والستمائة الف نور القرب والحادي والستمائة الف نور الوصال والثاني والستمائة الف نور اللقاء والثالث والستمائة الف نور الرؤية والرابع والستمائة الف نور الكرامة والخامس والستمائة الف نور الرحمة والسادس والستمائة الف نور الرضوان والسابع والستمائة الف نور الدرجات العلى والثامن والستمائة الف نور الجوار والتاسع والستمائة الف نور الانس والسبعمائة الف نور القرب والحادي والسبعمائة الف نور الوصال والثاني والسبعمائة الف نور اللقاء والثالث والسبعمائة الف نور الرؤية والرابع والسبعمائة الف نور الكرامة والخامس والسبعمائة الف نور الرحمة والسادس والسبعمائة الف نور الرضوان والسابع والسبعمائة الف نور الدرجات العلى والثامن والسبعمائة الف نور الجوار والتاسع والسبعمائة الف نور الانس والثمانمائة الف نور القرب والحادي والثمانمائة الف نور الوصال والثاني والثمانمائة الف نور اللقاء والثالث والثمانمائة الف نور الرؤية والرابع والثمانمائة الف نور الكرامة والخامس والثمانمائة الف نور الرحمة والسادس والثمانمائة الف نور الرضوان والسابع والثمانمائة الف نور الدرجات العلى والثامن والثمانمائة الف نور الجوار والتاسع والثمانمائة الف نور الانس والتسعمائة الف نور القرب والحادي والتسعمائة الف ن

تعالى والقوى الى الشيطان ثم ان الروح اخرج النفس اعانة للعقل فاخرج الحصم فى مقابلة الشهوة فالنفس توقفت على مغايب الدنيا والشهوة جذبت الى الدنيا ثم ان الروح امد النفس بالفكرة لتوقف على الحاضر والغايب المعايب على ما قال افكرها عن جزء من عبادة ستة فاخرج الشيطان فى مقابلة الفكرة والعقل ثم اخرج الروح الحلم والتبان فان العجلة ترى الحسن قبيحا والقبيح حسنا فاخرج الشيطان بازائه العجلة والمرعة فلهذا قال لهم ما دخل الرفق فى شئ الا زانه وما دخل الخرق فى شئ الا شانه وخلق الله السموات والارض فى ستة ايام ليتعلم منه الرفق والتبات فهذا هى الحصون الواقعة بين الصفين وقلب صدك هو المعركة ثم ان هذا الصدر الذى هو القلعة خندقا وهو الزهد فى الدنيا وله سور وهو الرغبة فى الاخرة وفى كل واحد هو تتمة فان كان الخندق عميقا والسور قويا عجز عسكر الشيطان وجنوده من الكبر والهوى والعجب والبخل وسوء الظن بالله من الهزيمة والغيبة وسائر الحصال الذميمة وحضر الملك فى القصر ويضيق الامر عليه ثم اذا جاء مدد التوفيق واخرج هذا العسكر من القلعة انفسح واتسع ربنا اشرح لى صدرى لتكن لغتى فى الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب الصدر مقر الاسلام والقلب مقر الايمان حسب الحكم الايمان وزين فى قلوبكم اولئك كتب فى قلوبهم الايمان والفؤاد مقر المشاهدة ما كذب الفؤاد ما راى واللب مقام التوحيد انما يتذكر اولوا الالباب الذين خرجوا من قشر الوجود المجازى يقول لبيك لوجود الحقيقى فان القلب كالروح المحفوظ فى العالم الصغير فاذا ركب العقل السفينة التوفيق والقاها فى بحار امواج المعقولات من عالم الروح وجاء بان هبت من رياح العظمة والكبرياء رجا السعادة نادة ودبور الادبار الخزى فى يضطر الراكب الى التماس انواع الحيل لنجاة وطلب افتتاح بوابات السعادات فيقول ربنا اشرح لى صدرى وانما سال موسى شرح الصدر دون القلب لان انشراح الصدر يستلزم انشراح القلب دون العكس وايضا شرح الصدر كالمقدمة لشرح القلب والحق كالنتيجة الاشارة فاذا علم انه طالب للمقدمة فلان يكرمه ان يمنعه النتيجة وايضا انما راعى الادب فى الطلب فاقتصر على طلب الادنى فلما رجع اعطى المقصود فقال قد اوتيت سؤلك يا موسى وحين اجترا فى طلب الرؤية بقوله ارنى انظر اليك اجيب بقوله لن ترانى واعلم ان جميع المهيات الممكنة كالبلور الصافى الموضوع فى مقابلة شمس القدس نور العظمة و مشرق الجلال فاذا وقع القلب لقفاتها حصلت له نسبة اليها باسرها فينعكس شعاع كبريائه الالهية من كل واحد منها الى القلب فيحرق القلب ويملؤه الحرق كلما كان اكثر كان احرق فلهذا قال موسى ربنا اشرح لى صدرى حتى اقوى على ازدياد درجات المكاشفات واصل الى مقام الاستغراق بانوار الجلال كما قال نبينا ما ارى الاشياء كما هى وههنا دقيقة وهى ان موسى لما زاد لفظة لى فى قوله ربنا اشرح لى وددنا ان يقول ربنا اشرح صدرك علما انه اذا دار بحر منفعة الشرح اليه فلا جرم يقول يوم القيمة نفسى نفسى وان نبينا صلعم فى مقام الهرب اذ قيل السلام عليك ايها النبى فقال السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فلا جرم يقول يوم القيمة امتى امتى وشتان ما بين من يتضرع الى الله ويقول ربنا اشرح لى صدرى وبين من يخاطب ولا يقول له اشرح لك صدرك ولا يخفى ان المراد بالشرح والتيسير هذا الاستعداد هو خلقهما وعند المعتزلة تحريك الدواعى والبواعث بفعل الطاف المصلحة فانه يحتمل ان يكون هذا من الالطاف ما لا يحسن منا لها لا بعد هذا السؤال اما قوله سبحانه واحلل عقدة من لسانى فاعلم ان النطق فضيلة عظيمة وموهبة جسيمة ولهذا قال خلق الانسان علمه البيان بغير توسط العاطف كانه انما يكون خالقا للانسان اذا علمه البيان وفى لسان الشاعر وهو هيهم لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبق الا صورة اللحم والدم وعن على كرم الله وجهه ما الانسان لولا اللسان الا صورة مصورة وهيئة مهملة وقالت العقلاء الرجل باصغريه اى بقلبه ولسانه وفى مناظرة ادم والملكة الرطهر الفضيلة الا بالنطق ومن تعريفات المتقدمين ان الانسان هو الحيوان الناطق وهذا النطق وان كان فى التحقيق هو ادراك المعانى الكلية لكن النطق اللسانى لا ريب انه اظهر خواص الادمى وقد ينظم بها سر همته ويعبر عما فى ضميره فقول موسى ربنا اشرح لى صدرى اشارة الى طلب الواقع فى قلبه وقوله ويسر لى امرى تنزيل ذلك التحصيل وقوله واحلل عقدة من لسانى طلب لهذه الكمال لان اللسان الة الافاضة والافادة وبه يتيسر ذلك الخطب الجسيم المنصب العظيم وحسبك بانى شرفا وفخرا سكوت الحاضرين وانت قائل ومن الناس من مدح الصمت بوجوه منها قولهم الصمت حكم وقليل فاعله وقولهم مقتل الرجل بين فكيه وفى توابع الكلام يابنى قل خيرا تغنم او اسكت عن شر تسلم ومنها ان الكلام خمسة اقسام فالذى هو ضرر خالص غالب هو مساو للمنفع واجب الترك احترازا من المستقبح والعبث والذى نفعه خالص او غالب عند المراعاة فالاولى تركه ومنها انه ما من موجود او معدوم معلوم الا واللسان يذمه ولا يمدحه ولا يصفه الا بالسوء وهو ان يصفه بالنقصان وهو ان يثبت له ما ينافى كماله او ينفى عنه ما يناقض نقصانه وهذا باطل بخلاف سائر الاعضاء فانها تمدح وتذم ومنها ان كل ما من موجود او معدوم معلوم لا يصل الا الى الانوان والسطوح الاذن لا يصل اليها الا اجساما كثيفة بائية فى الجوانح اما اللسان فانه رحب الميدان واسع المضطرب خفيف المؤنة سهل التناول لا يحتاج الى الان ولدوات المعصية به فكانت الافات فى ترك الكلام واسكات اللسان والانصات ان السمع فى نفسه ليس بفضيلة لانه امر عدمى والنطق فى نفسه فضيلة وانما يصير رذيلة لاستماع رضية مما عدها ذلك القائل فيرجع المحذور الى قائله ثم ان الشيخ رحمه الله امر اقال حين اصم او سكت فسلم فلو ترك الكلام لاربعة اسماء الصمت وهو اعتزالها حتى انه يستعمل فيما ليس بقوى على النطق كقولهم نام الناطق وصامت والسكوت وهو ترك الكلام ممن يقدر على الكلام والانصات هو السكوت مع استماع قال تعم فاستعمل الامر فى ضد الاصاخة وهو ما يصعب ادراكه كالسر والصوت من المكان البعيد اما العقد وقيل انها كانت فى اصل خلقته وعن ابن عباس انه كان فى لسانه حبسة بالجمرة وعقدتها فهم زعموا بقتله وقال هذا هو الذى نزهد ملكى على يده فقال له اشيئا نعطيك لا بعقل وان شئت فامتحنه بالتمر والجمر وقيل بالبيضة والجمر فاحضر بين يديه فاراد ان يمد يده الى الياقوت تحول جبرئيل يده الى الجمر فاخذها ووضعها فى فيه فظهر به عقد وتحلبن عند بعض الحروف فان

صحت هذه الرؤيا فالنار انما احرقته واثرت فيه لطغيانه نائبة غضب فرعون والا فالله سبحانه قادر على دفع الاحراق عمن طبع النار كما في حق ابويهم صلوات الرحمن عليه وكما في حق موسى حين القي في التنور وبرد ان يده احرقت ايضا وان فرعون اجتهد في علاجها فلم يبرأ وما دعا قال اني رب قد عوفي قال الذي ابيدك وقد عجز عنها وعن بعض العلماء انه لم تبرأ يده لئلا يعتقد بنو اسرائيل ان فرعون حرمته الموائد كالله من قضعة واحدة وقيل لم تحترق يده لانه انما احترقت اللسان لانه خاطبه بقوله يا ايت وما الحكمة في حل العقدة الا ظهر كيلا يقع في اداء الرسالة خلل فلهذا قال يفقهوا قولي وقيل لان العقدة في اللسان قد يقتضي الاستحقاق بالفضائل وعدم الالتفات اليه وقيل اظهار اللسان مخزة كما في حبس اللسان ذكرنا عن الكلام كان معجزا له فكذا اطلاق لسانه موسى كان معجزا في حقه وهل زالت تلك العقدة بالكلية فعن الحسن نعم لقوله قد اوتيت سؤلك والاصح انه بقي بعضها لقوله تعالى حكايته عن فرعون ام انا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين اي يقارب ان لا يبين وكان في لسانه الحبسة عن ذكر دلالة على انه طلب حل بعضها بحيث يفهم عنه فما جيدا ولم يطلب الفصاحة كلها لما قال اهل التحقيق وذلك لان حل العقدة بالكلية نصب محلة مع كان افصح العرب واعلمهم وقد قال لم تعم ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن فلما كان ذلك حقا لليتيم ايوطالب الاجرم ما زاد حوله وسن مطالب موسى قوله واجعل لي وزيرا من اهلي هرون قال اهل الاشتقاق الوزير من الوزر بالكسر فالسكون لانه يحمل عن الملك اوزاره وقيل من الوزر بفتحتين وهو الملجأ لان الملك يعتصم برايه ويلجأ اليه اموره او من المؤازرة وهي المعاونة فيكون من الازر القوة ومنه قوله تعالى اشد به ازري اي ظهري لانه محل القوة قال الجوهري ازرت فلانا اي قويته وشددته والعامة تقول وازرته وعلى هذا فيكون القياس ازرا بالهمز على ما حكي عن الاصمعي ووجه الغلبة حمل يفعل على مفاعل لاتحاد معنييهما في نحو عشير وجليس وضديد وغيرها وحمله على اخواته من نحو المؤازرة ويوازره والاقتصار بالوزير تحسين لباب الملوك العقلاء وقد سمعت حسنة بنيامين فقد الاذا اراد الله بملك خيرا جعل له وزيرا صالحا ان نسي ذكره وان ذكر اعانه وان اراد شرا كفه وكان ابو بشر ان يقول لا يستغني اجود السبوق عن الصيقل والا اكوم الدواب عن السوط ولا اعلم الملوك عن الوزير وكفى بمرتبة الوزارة منقبة وفخرا وشرفا وذكر ان النبي المؤيد بالمعجزات الباهرة ابتهل الى الله سبحانه في مقام القرب والمكالمة يطلب منه فيما على من اولى هما الوزير ان تؤدي الى التحقيق ولا تغيرها لذاتها وما فيها ويزرع في قارض الوزارة ما لم يتدنس عليه وقت حضوره قبل ان موسى خاف على نفسه لعجزه عن القيام بذلك الامر العظيم والخطب الجسيم فطلب المعين والاظهر انه راى ان التعاون على الدين والاظهار عليه مع خلوص نيته وصفاء طويته ابعد عن التهمة واعون على الغرض ولهذا حكي عن عيسى انه قال من انصاري الى الله وخوطب نبينا صلى الله عليه وسلم بقوله يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين وروي انه قال ان لي في السماء وزيرين وفي الارض وزيرين فالذان في السماء جبريل وميكائيل والذان في الارض ابو بكر وعمر فان موسى طلب ان يكون ذلك الوزير من اهله اي من اقاربه ليكون الثقة به اكثر وليكون الشرف في بيته اوفر وانه كان واثقا باخيه هرون فاراد ان يخصه بهذا المنصب الشريف قضاء لحقوق الاخاء فمن ثم المستوجبين فقد ظلم وكان اضيع منه لسانا واكبر سنا والبن جانبا قال اجاب الله وزيره وهرون مفعول اجعل الثاني منهما عناية بامر الوزارة اولى وزيرا مفعولان وهرون عطف بيان للوزير واخي في الوجهين بدل من هرون او عطف بيان اخر وقيل يجوز فيه الرفع على الابتداء واشدد جملة في موقع الصفة لوزيرا او استئنافية على هرون متعلق الازر به عبارة عن تقويته به وان يجعله ناصرا له فيما عسى يرد عليه من الشدائد والخطوب بل يجعله سببا له في امر النبوة وطريقا لوساطته لانه صرح بذلك في قوله واشركه في امري ثم ذكر غاية الاذن فان المقصد الاسنى هو الاستغراق في بحر التوحيد والغاية الاشراك فان المعاون مهيع الرغبات ومسهل سلوك سبل الخير فقال كي نسبحك كثيرا ونذكرك ذكرا كثيرا وقدم التسبيح وهو التنزيه لان النفي مقدم على الاثبات فيما لا وبه تزول العقائد الفاسدة وبالثاني تترسم النقوش الحسنة ثم ختم الاذعية بقوله انك كنت بنا بصيرا وبه توئذ منها ان فوض سبحانه الدعوات الى علمه بما جوفها وانها بصدد هلية الاجابة ام لا ومنه من حسن الادب ما لا يخفى ومنها ان عرض فقره واحتياجه الى علمه وانه مفتقر الى التعاون والتعاضد وهذا سؤال ما سأل وهو انه اعلم باحوال الخير هل يصلح لوزارته ام لا وان وزارته هل تصير سببا لكثرة التسبيح والذكر وحين راعى من مقابيح الادب انواع حسن الطلب ما بلغ غاية فلا جرم اجابه الله تعالى مطالبه بقوله قد اوتيت سؤلك والسؤال بمعنى المسؤول كالخبز بمعنى المخبوز والاكل بمعنى المأكول وزيادة قوله يا موسى بعد غاية الفاصلة لاجل كمال التميز والتعيين والله اعلم بصالح عباده ثم امن طائفة بظهارته بساط النبوة ما انزلنا عليك القرآن لا لتشقى بتحلقك بخلقه وتبتذل بسببك الاولون والاخرون من اهل السموات واهل الارضين فتثقل بامن خلق ارض لشريتك وسموات وتطيك الى هي اعلى الموجودات المكان كما قال اول ما خلق الله روحي لتستوي بصفته الروحانية على عرش قلبك ليكون معه وقت لا يسعك فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل لصفا في السموات الروحانية من الصفات الجبروتية وفي الارض البشرية من الصفات الذاتية وما بينهما اي بين سماء الروح وارض النفس وهو القلب مما هو من الايمان والايقان والاخلاق الحسنة والملكات الشريفة اي ما هو ركون في جبلة الانسانية وان يجتهد بالقول الظهر شيء من صفاتك بالسوء فانه يعلم السر وهو ما يظهر من سريرتك واخفى فانه هو اخفى من خفيك والسر هو اصطلاح الصوفية لطيفة بين الظهر والروح وهو معدن الاسرار الروحانية والخفي لطيفة بين الروح والحضرة الالهية وهو مهبط انوار الربوبية واسرارها وجملتها المعقولات وقد يجعل الكل انسانا عند نشأته الاولى فان كان كافرا فالاخفى لطيفة بين الروح والحضرة الالهية ويكون عند نشأته الاخرى ولا يعقل الا

تعالى والهمه الى الشيطان ثم ان الروح اخرج الغفلة اعانة للعقل فاخرج الخصم في مقابلة الشهوة فالغفلة توقف على مغايب الدنيا والشهوة تحرص لذات الدنيا ثم ان الروح امد الغفلة بالفكرة لتوقف على الحاضر والغايب على المغايب على ما قال افكرها عنه حين من عبادة سنة فاخرج الشيطان في مقابلة الفكرة والغفلة ثم اخرج الروح الحلم والتبان فان العجلة زي الحسن قبيحا والقبيح حسنا فاخرج الشيطان بازائه العجلة والمسارعة فلهذا قال ثم ما دخل الرفق في شيء الا زانه وما دخل الخرق في شيء الا شانه وخلق السموات والارض في ستة ايام ليتعلم منه الرفق والتبات فهذه هي الخصوص التي وقعت بين الشفتين وقلبك صندوقها هو المعدة ثم ان لهذا الصندوق الذي هو القلعة جندا وهو الزهد في الدنيا والسرور وهو الرغبة في الاخرة وفي كل ما هو لله فان كان الجند قويا والسور قويا عجز عسكر الشيطان وجنوده من الكبر والهوى والعجب والبخل وسوء الظن بالله من الدنيا والعقبى وسائر الخصال الذميمة وتحصن الملك في القصر ويضيق الامر عليه ثم اذا جاء ملك التوفيق واخرج هذا العسكر من القلعة انفسح واتسع ربك باشرح لي صدري لتكثر العدة في الفرق بين الصدر والقلب لفؤاد واللب الصدر مقر الاسلام والقلب مقر الايمان حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم ولكن كتب في قلوبهم الايمان والفؤاد مقر المشاهدة ما كذب الفؤاد ما راى واللب مقام التوحيد انما يتذكر اولوا الالباب الذين خرجوا من قشر الوجود المجازي وبقوا لباب الوجود الحقيقي فان القلب كاللوح المحفوظ العالم الصغير فاذا ركب العقل بسفينة التوفيق والقاها في بحار امواج المعقولات من عالم الروحانيات هبت من رياح العظمة والكبرياء رجاء السعادة تارة ودبور الادبار الخزي في بعض الاوقات الى التماس انوار الهدايات وطلب افتتاح ابواب السعادات فيقول رب اشرح لي صدري وتماثال موسى شرح الصدر دون القلب لان انشراح الصدر يستلزم انشراح القلب دون العكس وايضا شرح الصدر كالمقدمة لشرح القلب والمحل بكينونة الاشارة فاذا علم انه طالب للمقدمة فالاولى ان يبعثه لتحصيلها وايضا انه راعى الادب في الطلب فاقتصر على طلب الادنى فلما رجع اعطي المقصود فقال قد اوتيت سؤلك يا موسى وحين اجترأ في طلب الاعلى بقوله ارني انظر اليك اجيب بقوله لن ترانى واعلم ان جميع المهيات الممكنة كالبلور الصافي الموضوع في مقابلة شمس القدس نور العظمة ومشرق الجلال فاذا وقع للقلب التفات اليها حصلت له نسبة اليها باسرها فينعكس شعاع كبريائه الالهية من كل واحد منها الى القلب فيحترق القلب ويعلو ان الحرق كلما كان اكثر كان الاحتراق اتم فلهذا قال موسى رب اشرح لي صدري حتى اقوى على ازالة درجات الممكنات واصل الى مقام الاحتراق بانوار الجلال كما فان لنبينا صلعم ارنا الاشياء كما هي وههنا دقيقة وهي ان موسى لما زاد لفظة لي في قوله رب اشرح لي صدري وان يقول رب اشرح صدري علم انه اراد ان يهون عليه شرح الصدر فلا يحرج بقول يوم القيمة نفسي نفسي وان نبينا صلعم لما امن في مقام القرب اذ قيل السلام عليك ايها النبي فقال السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فلا يحرج بقول يوم القيمة امتي امتي وشتان ما بين من يتضرع الى الله ويقول رب اشرح لي صدري وبين من يخاطب كأنه يقول لا شرح لك صدرك ولا يخفى ان المراد بالشرح والتيسير عند اهل السنة هو خلقهما وعند المعتزلة تحريك الدواعي والبواعث بفعل الالطاف المسهلة فانه يحتمل ان يكون ههنا من الالطاف ما لا يحسن فعلها الا بعد هذا السؤال اما قوله سبحانه واحلل عقدة من لساني فاعلم ان النطق فضيلة عظيمة وموهبة جسيمة ولهذا قال خلق الانسان علمه البيان بغير توسط العاطف كانه انما يكون خالقا للانسان اذا علمه البيان وفي لسان الشاعر وهو زهير لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبق الا صورة اللحم والدم وعن علي كرم الله وجهه ما الانسان لولا اللسان الا صورة ممثولة وبهيمة مهملة وقالت العقلاء الرجل باصغريه المرء مخبوء تحت لسانه وفي مناظرة آدم والملكة لم يظهر فضيلة الا بالنطق ومن تعريفات الشهرستاني ان الانسان هو الحيوان الناطق هذا النطق وان كان في التحقيق هو ادراك المعاني الكلية لكن النطق اللساني لا ريب انه اظهر خواص الادمي وقد ينظر باسرها تذكرا والتعبير عما في ضميره يقول موسى رب اشرح لي صدري اشارة الى طلب الواقع في قلبه قوله ويسر لي امري تسهيل ذلك التحصيل وقوله واحلل طلب لسهولة الفهم لان الكمال ان اللسان الذي لا افاضة والافادة وبه يليق ذلك الخطاب الجسيم المنصب العظيم وحسبك بانه في شرفا وفخرا سكوت الخاضعين وانه قائل ومن الناس من مدح الصمت بوجوه منها قوله صلعم الصمت حكم وقليل فاعله وقولهم مقتل الرجل بين فكيه وفي توابع الكلام يا بني ان كلامك لا يخرج فقالين ومنها ان الكلام خمسة اقسام فالذي مضرته خالصة او غالبة عن منفعته الملاعاة فالاولى تركه ومنها انه ما من موجود ومعدوم معلوم لو موهوما الا واللسان يتناوله باثبات او نفي بحق او بباطل بخلاف سائر الاعضاء فانها لا تعين الا على الاتيان والسطوح الاذن لا تصل الى غير الاجسام كذا في الجواهر واما اللسان فانه رحب الميدان واسع المضطرب خفيف المؤنة سهل التناول لا يحتاج الى الاعوان والادوات للمعصية به فكان الاولى ترك الكلام وامساك اللسان والانصات ان السمع في نفسه ليس بفضيلة لانه امر عدمي والنطق في نفسه فضيلة وانما يصير رذيلة لاشتماعه على رذائل كثيرة مما عدها ذلك القائل فبرجع الحق الى ما قاله النبي صلعم رحم الله امرأ قال خيرا فغنم او سكت فسلم فالمراد بالكلام الرابعة اسماء الصمت وهو عبارة عن انه يستعمل فيما ليس يقوى على النطق كقولهم قال فلان برأسه وضامت الشكوت وهو ترك الكلام ممن يقدر على الكلام والانصات هو السكوت مع استماع قال نعم فاسمعوا له وانصتوا والاصاخة وهو ما يصعب ذكره كالسر والصوت من المكان البعيد اما العقدة وسببها انها كانت في اصل خلقته وعن ابن عباس انه في حال صباه اخذ بلحية فرعون ونتفها فهم فرعون بقتله وقال هذا هو الذي يزيل ملكي على يده فقال له اساسيه انه صبي لا يعقل وان شئت فامتحنه بالتمر والجمر وقيل بالياقوت والجمر فاحضرا بين يديه فاراد ان يمد يده الى الياقوت فحول جبريل يده الى الجمر فاخذها ووضعها في فيه فظهر به عقدة وتحبس عند بعض الحروف فان

صحت هذه الرؤيا فالنار انما احرقته واثرت فيه لطغيانه غضب فرعون والا فالله سبحانه قادر على دفع الاحراق عن جميع النار كما في حق ابرهيم صلوات الرحمن عليه وكما في حق موسى حين القي في التنور وبرد ان يده احرقت ايضا وان فرعون اجتهد في علاجها فلم يبرأ وساء فالا الى رب قد عوفي قال الذي ابرأه قد عجزت عنها وعن جميع العلماء انما يبرأ يدك لئلا يعقد بينه وبين فرعون حرمة المؤاكلة من صحفة واحدة وقيل لم يحترق يده لأنا الصق ظهرت باليد انما احترق اللسان لانه خاطبه بقوله يا ايت وما الحكمة في هذا العقد لا اظهر كيلا يقع في اداء الرسالة خلل فلهذا قال يفقهوا قولي وقيل لان العقد في اللسان قد يقتضي الاستحقاق بالقائل وعدم الالتفات اليه وقيل اظهار اللعجز فكما ان حبس لسان ذكريا عن الكلام كان معجزا له فكذا اطلاق لسان موسى كان معجزا في حقه وهل زالت تلك العقدة بالكلية فعن الحسن نعم لقوله قد اوتيت سؤلك والاصح انه بقي بعضها لقوله تعالى حكاية عن فرعون ام انا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين اي يقارب ان لا يبين وكان في لسان الحسن علي رضي الله عنه دلالة على انه طلب حل بعضها بحيث يفهم عنه فهما جيدا ولم يطلب فصاحة الكاملة قال اهل التحقيق وذلك لان حل العقدة بالكلية يضاد محل الحكمة كان افصح العرب لهجة وقد قال لغة هذيل لابانين هي احسن فلما كان ذلك حقا لليتيم ابي طالب لاجرم ما زاد حوله ومن مطالب موسى قوله واجعل لي وزيرا من اهلي هرون قال اهل الاشتقاق الوزير من الوزر بالكسر فالسكون لانه يتحمل عن الملك اوزاره وقيل او من الوزر بفتحتين وهو الملجأ لان الملك يعتصم برايه ويلجأ اليه في اموره او من المؤازرة وهي المعاونة فيكون من الازر القوة ومنه قوله تعالى اشد به ازري اي ظهري لانه محل القوة قال الجوهري ازرته فلانا اي قويته وشددته والعامة تقول وازرته وعلى هذا فيكون القياس ازهرا بالهمز على ما حكي عن الاصمعي ووجه القلب حمل يفعل على مفاعل لاتحاد معنييهما في نحو عشرته وجالسته وشاققته وغيرها وحمله على اخواته من محل المؤازرة ويؤازره ولان الامر بالوزير يجب ان يكون بما يجب للملوك العقلاء وقد استحسنه بنيامين فقال اذا اراد الله بملك خيرا قيض له وزيرا صالحا ان نسي ذكره وان ذكر اعانه وان اراد شرا كفه وكان ان يشيره ان يقول لا يستغني اجود السبوق عن الصيقل والا اكرم الدواب عن السوط والا علم الملوك عن الوزير وكفى بمرتبة الوزارة منقبة وفخرا وشرفا وذكر ان النبي المؤيد بالمعجزات الباهرة ابتهل الى الله سبحانه في مقام القرب والمكالمة يطلب منه شيئا فعوتب على عزاوله هذا الوزير ان يؤدي الى الله حقنا ولا يغتر بالدنيا وما فيها ويزهد في فارض الوزارة ما لم يتذكر وقت حضوره قبل ان موسى خاف على نفسه لتحمل عن القيام بذلك الامر العظيم والخطب الجسيم فطلب العون والاظهر انه راى ان التعاون على الدين والتظاهر عليه مع خلوص النية وصفاء الطوية ابعث على النهمة واعون على الغرض ولهذا حكي عن عيسى انه قال من انصاري الى الله وخوطب نبينا بقوله يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين مدد وانهم قال ان له في السماء وزيرين وفي الارض وزيرين فالذان في السماء جبريل وميكائيل والذان في الارض ابو بكر وعمر فان موسى طلب ان يكون ذلك الوزير من اهله اي من اقاربه ليكون اشفق له واكثر تاييدا وليكون الشرف في بيته او فرعا انه كان واثقا باخيه هرون فاراد ان يخصه بهذا المنصب الشريف قضاء لحقوق الاخاء من منع المستوجبين فقد ظلم ان كان افقر منه لسانا واكبر سنا والهن جانبا قال اجابه الله وزيرا وهرون مفعولا اجعل قد نابهما عناية بامر الوزارة فاولى وزيرا مفعولان وهرون عطف بيان للوزير واخي في الوجهين بدل من هرون او عطف بيان اخر وقيل يجوز نصب هرون على الاختصاص او مرفوعا على الابتداء واشدد جزمه بوقف على هرون ومعنى الازر عبارة عن تقويته به وان يجعله ناصرا له فيما عسى يرد عليه من الشدائد والخطوب بل يجعله سببا له في امر النبوة وطريقا لوسالته لانه صرح بذلك في قوله واشركه في امري ثم ذكر غاية الاشراك فان المقصد الاسنى هو الاستغراق في بحر التوحيد والغاية الاشراك فان التعاون يهيج الرغبات ويسهل سلوك سبل الخير فقال كي نسبحك كثيرا ونذكرك ذكرا كثيرا وقدم التسبيح وهو التنزيه لان النفي مقدم على الاثبات فيما لا وجه له لان العقائد الفاسدة وبالثاني تزكو النفوس الحسنة الجميلة ثم ختم الادعية بقوله انك كنت بنا بصيرا وبه تومئ انه فوض استجابة الدعوات الى علمه بما يجوز لهما وانهما بصدد اهلية الاجابة ام لا وفيه من حسن الادب ما لا يخفى ومنها ان غرض فقوه واحتياجه الى معاونة مفتقر الى التعاون والتعاضد وهذا سائل ما سال ومنها انه اعلم باحوال الحيوة هل يصلح للوزارة ام لا وان وزارته هل تقصر به الكثرة التسبيح والذكر وجبر داعي من تعاطى الادب انواع حسن الطلب ما يجب غايته فلا جرم اجابه الله تعالى مطالبه بقوله قد اوتيت سؤلك والسؤال بمعنى المسؤول كالخبز بمعنى المخبوز والاكل بمعنى المأكول وزيادة قوله يا موسى بعد غاية الفاصلة لاجل كمال التقرب والتعيين والله اعلم بمصالح عباده ثم امر طائفة بني اسرائيل بظهارة بساط النبوة ما انزلنا عليك القرآن لا لتشقى تخلقك بخلقه وتتعذب بسببك الاولون والاخرون من اهل السموات واهل الارضين تنزيلا ممن خلق الارض بشريتك والسموات بروحانيتك الى هو اعلى الموجودات والممكنات كما قال اول ما خلق الله روحي استوى بصفة الروحانية على عرش قلبك ليكون معه وقت لا يسعك فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل لصفاء الروحانية من الصفات الجسمانية وقرب الارض البشرية من الصفات الذميمة وما بينهما اي بين معالم الروح وارض النفس وهو القلب بما فيه من الايمان والايقان والاخلاص والمحبة الخ اي بما هو مركوز في جبلة الانسانية وان يجهر بالقول الظاهر شيئ من صفاتك بالقول فانه يعلم السر وهو ما يظهر من سبق لسانك واخفى مما هو في الله من خفيات والسر هو اصطلاح الصوفية لطيفة بين الخفي والروح وهو معدن الاسرار الروحانية والمخفى لطيفة بين الروح والحضرة الالهية وهو مهبط انوار الربوبية واسرارها وجملتها المعقولات وقد يحمل الكل انسان عند نشأته الاولى وان كان كافرا والاخفى لطيفة بين الروح والحضرة الالهية ويكون عند نشأته الاخرى ولا يخفى الا

المؤمن موحد ضا مهبط الانوار الربانية وجلها المشاهدة والمكاشفة وحقايق العلوم اللدنية ولهذا قال عقيبه لله لا اله الا هو لان مظهر الالوهية
وصفاتها العليا واسمائه الحسنى هو الحق المتجلى لا شئ اقرب الى الحضرة منه لانه هو سر وعلم الاسماء كلها وهو حقيقة قوله ان الله خلق ادم على
صورته وهل انا ك حديث موسى القلب راى نارا هو نور في الحقيقة ما نوس به من جانب طور الروح فقال لاهله وهم النفس وصفاتها امكثوا
في ظلمة الطبيعة الحيوانية اني انوار الشريعة واجد على النار هدى باذناب الطريقة الى الحقيقة فلما اتوه من شجرة القدس بخطاب الانس
فاخلع نعليك اى اترك الالتفات الى الزوجة والولد فان النعل في الاصل اهلك وهما المقدسان في نحو قولنا العالم محدث وكل محدث فله محدث وهو وجود وذلك انه اذا عرفت في لجة الامر فان ربقت المقدمات على ساحل الوسائط
وانا اخترتك يا موسى القلب من سائر خلقي وجودك من البدن والنفس والسر والروح فاستمع لما يوحى اليها تجليت بانانية الوهيتي
لانانية وجودك المجازي لا يبقى الا انا فاعبدني بافناء وجودك وادم المناجاة معي لينال ذكري اياك بالتجلي ان قبالة العشق اشتركا ذاجهما
لعظم شانهما الا ان مقتضى الكرم اقتضى ظهارها لاخص عبيده ليجزي كل نفس بما تسعى فالعبودية من السر والقلب النفس والقالب فلما
كان سعي الروح بحب الوصل الرجوع الى مكمن اضافته ونفخ فيه من روحي فجزاؤه من تجلي صفات الجلال بالعدم الناسوتية وكان سعي النفس بالخلو
عن الاكوان لقبول فيض الكون فجزاؤه بافاضة الفيض الالهي وسعي القلب بقطع تعلقات الكونين لتصفيته وقابليته لتجلي صفات الجمال
والجلال فجزاؤه بدوام التجلي وان يبيت عند ربه يطعمه ويسقيه من شراب الطهور الذي يزيل لوث الحدوث عن لوح القلوب لينكشف
حقايق القلوب وسعي النفس بتبديل الاخلاق وانتفاء الاوصاف الجبلية فجزاؤه باشراق نور ربها الازالة ظلمة صفاتها واطمينانها
الى ذكر ربها النصيرة قابلة الجذبة ارجعي الى ربك وسعي القالب باستعمال اركان الشريعة واذناب الطريقة فجزاؤه رفعة الدرجات وتجلي
الكرامات في الدارين فلا يصدنك عن هذه السعادات النفس الامارة بالسوء التي لا تؤمن بها ويحمل ان يقال كاد يخفى الساعة وحدها
الجنة والنار لئلا يكون عبادتي مشوبة بطمع الجنة وخوف النار قالوا العصا موسى في قوله هي عصاي واكاد علينا بقولنا انت اعلم بحالها
مني وفي قوله اتوكا عليها واكاد علينا بتكئي على لطف الله وكرمه فلهذا قيل له القها يا موسى وفي قوله واهش بها على غنمي اذ تنبي العصا
لا تكون واسطة لرزقنا عنا مرارا ما الرزاق هو الله خذها ولا تخف فان الضار والنافع هو الله وحده فلا يكن خوفك الا منه ولا
الا به واضمم يدك الى جناح قوتك تخرج بيضاء نقية من دون السوء اى عار الطمع وباقي الحقايق مذكور في التفسير وفي قوله
قد اوتيت بلفظ الماضي اشارة الى انه ذلك بالتقدير الازلي لا بالتدبير العملي والله اعلم بالصواب وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً
اُخْرٰى اِذْ اَوْحَيْنَآ اِلٰى اُمِّكَ مَا يُوْحٰٓى اَنِ اقْذِفِيْهِ فِي التَّابُوْتِ فَاقْذِفِيْهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَاْخُذْهُ عَدُوٌّ

لِّيْ وَعَدُوٌّ لَّهٗ وَاَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّيْ وَلِتُصْنَعَ عَلٰى عَيْنِيْٓ اِذْ تَمْشِيْٓ اُخْتُكَ فَتَقُوْلُ هَلْ اَدُلُّكُمْ عَلٰى مَنْ يَّكْفُلُهٗ
فَرَجَعْنٰكَ اِلٰٓى اُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنٰكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنّٰكَ فُتُوْنًا فَلَبِثْتَ سِنِيْنَ فِيْٓ اَهْلِ
مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلٰى قَدَرٍ يّٰمُوْسٰى وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِيْ اِذْهَبْ اَنْتَ وَاَخُوْكَ بِاٰيٰتِيْ وَلَا تَنِيَا فِيْ ذِكْرِيْ اِذْهَبَآ اِلٰى
فِرْعَوْنَ اِنَّهٗ طَغٰى فَقُوْلَا لَهٗ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهٗ يَتَذَكَّرُ اَوْ يَخْشٰى قَالَا رَبَّنَآ اِنَّنَا نَخَافُ اَنْ يَّفْرُطَ عَلَيْنَآ اَوْ اَنْ يَّطْغٰى
قَالَ لَا تَخَافَآ اِنَّنِيْ مَعَكُمَآ اَسْمَعُ وَاَرٰى فَاْتِيٰهُ فَقُوْلَآ اِنَّا رَسُوْلَا رَبِّكَ فَاَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيْٓ اِسْرَآءِيْلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ
جِئْنٰكَ بِاٰيَةٍ مِّنْ رَّبِّكَ وَالسَّلٰمُ عَلٰى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدٰى اِنَّا قَدْ اُوْحِيَ اِلَيْنَآ اَنَّ الْعَذَابَ عَلٰى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلّٰى قَالَ
فَمَنْ رَّبُّكُمَا يٰمُوْسٰى قَالَ رَبُّنَا الَّذِيْٓ اَعْطٰى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهٗ ثُمَّ هَدٰى قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُوْنِ الْاُوْلٰى قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ
رَبِّيْ فِيْ كِتٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّيْ وَلَا يَنْسَى الَّذِيْ جَعَلَ لَكُمُ الْاَرْضَ مَهْدًا وَّسَلَكَ لَكُمْ فِيْهَا سُبُلًا وَّاَنْزَلَ مِنَ السَّمَآءِ
مَآءً فَاَخْرَجْنَا بِهٖٓ اَزْوَاجًا مِّنْ نَّبَاتٍ شَتّٰى كُلُوْا وَارْعَوْا اَنْعَامَكُمْ اِنَّ فِيْ ذٰلِكَ لَاٰيٰتٍ لِّاُولِي النُّهٰى مِنْهَا خَلَقْنٰكُمْ وَفِيْهَا

نعيدكم وفيها نخرجكم تارة أخرى ولقد أريناه آياتنا كلها فكذب وأبى قال أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك
باز ببريم شما را ازان بيرون بسيار بريم شما را بار ديگر و تحقيق خود ديديم او را آيتها يعنو همه را پس تكذيب كرد و ابا نمود كفت آمده اى تا بيرون كنى ما را از زمين خود بسحر خود
يا موسى فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه نحن ولا أنت مكانا سوى قال موعدكم
اى موسى پس اورديم ترا بسحرى مانند آن پس بگردان ميان ما و ميان خود وعده كاهى كه خلاف نكنيم ازا و نه تو بكاهى همسوار كفت وعده شما
يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى فتولى فرعون فجمع كيده ثم أتى قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا
روز ارايش است و آنكه جمع شوند مردمان چاشتكاه پس باز كشت فرعون و فراهم آورد مكر خود پس آمد كفت مر ايشانرا موسى واى بر شما مبنديد بر خدا دروغ را
فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى فتنازعوا أمرهم بينهم وأسروا النجوى قالوا إن هذان لساحران يريدان
پس بر اندازد شما را بعذابى و بدرستيكه نوميد شد آنكه افترا بست پس كشايند مر كار شما را ميان خود و پنهان دارند راز كفتند بدرستيكه اين دو مرد ساحرند ميخواهند
أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى فأجمعوا كيدكم ثم ائتوا صفا وقد أفلح اليوم من
كه بيرون كنند شما را از زمين خود بسحر خود و مى برند اين شما را كه خوبتر است پس جمع كنيد مكر خود را پس بياييد صف كشيده و بدرستيكه كامياب شد امروز كه
استعلى قالوا يا موسى إما أن تلقى وإما أن نكون أول من ألقى قال بل ألقوا فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من
غالب آمد كفتند اى موسى يا اينست كه بيندازى و يا آنكه باشيم اول كسيكه افكند كفت بلكه بيفكنيد پس ناكاه رسنهاشان و عصاهاشان وانمود شد با موسى
سحرهم أنها تسعى فأوجس في نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى وألق ما في يمينك تلقف ما
از سحرشان كه ايشان مى شتابند پس يافت در خود ترسى موسى كفتيم ترس بدرستيكه تو توى برتر و بينداز آنچه در دست راست تست تا فرو برد
صنعوا إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى فألقي السحرة سجدا قالوا آمنا برب هرون وموسى قال
ساخته اند بدرستيكه آنچه را ساخته اند مكر ساحر است و رستكار نميشود ساحر هر جا آيد پس بيفكندند ساحران سجده كنان كفتند كرويديم بپروردكار هرون و موسى كفت
آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم في
ايمان آورديد مر او را پيش از آنكه دستور دهم مر شما را بدرستيكه او هر آينه بزرك شماست كه آموخت شما را سحر پس هر آينه خواهم بريد البته دستهاى شما و پاهاى شما از خلاف يكديكر و هر آينه بردارم شما را در
جذوع النخل ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض
تنهاى درخت و هر آينه خواهيد دانست كه كدام ما سخت تر است از روى عذاب و پاينده تر كفتند هرگز اختيار نخواهيم كرد ترا بر آنچه آمد ما را از حجتها و بر آنكه ايجاد كرد ما را پس حكم كن
ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر
آنچه تو حكم كننده جز اين نيست حكم ميكنى در اين زندكانى دنيا ما بدرستيكه ما كرويديم بپروردكار خود تا بيامرزد مر ما را خطاهاى ما را و آنچه را كه بر ما داشتى ما را بران از سحر
والله خير وأبقى إنه من يأت ربه مجرما فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى ومن يأته مؤمنا قد عمل
و خدا بهتر است و پاينده تر بدرستيكه هر كه آيد پروردكار خود را كناهكار پس مر او راست دوزخ نميرد در آن و نه زندكانى ميكند و آنكه آيد او را با ايمان درحالتى كه كرده باشد كار
الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء من
شايسته پس مر او راست مرتبهاى بلند بهشتهاى جاويدان ميرود از زير درختان او نهرها جاويدان در آن و آن پاداش كسى است
من تزكى القراءة بتشديد الزاي وتخفيفها وتضع بسكون الكاف والعين على الأمر يبدأ الأخوان بكسر اللام ويضم العين لنفسي اذهبي ذكرى اذهبا بفتح
كه پاك شد ياء المتكلم ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو وخلف بفتح اللام على انه فعل ماض لنا قون بالسكون مهدا وكذلك في الزخرف
عاصم وحمزة وعلي وخلف وروح الأخوان مهادا سوى بكسر السين ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو وعلى الأخوان بالضم لا
تظلفه بالجزم جوابا للامر يبدو يوم الزينة على الظرف هبيرة وقد خاب حيث كان بالامالة حمزة فيسحتكم من الاسحات حمزة وعلي وخلف و
روس وحفص الباقون بفتح الياء والحاء ان هذان مشددة هذين ابو عمرو هذان بالتشديد ابن كثير
الباقون بالتخفيف فاجعوا همزة الوصل وفتح الميم امر من الجمع ابو عمرو والأخوان على لفظ الامر من الاجماع وقد فلح بنقل الحركة الى اللام الجيش
كان ورش وعباس وحمزة في الوقف بخيا التاء الفوقانية ابن ذكوان وروح والمعدل عن زيد الباقون وابن مجاهد عن ابن ذكوان بالعقا
تلقفه بالتشديد والرفع على الاستيناف ابن ذكوان تلقف بالتخفيف والجزم حفص والمفضل وقرا البزي وابن فليح مشددة التاكيد سحر
على المصدر حمزة وعلي وخلف الباقون كيد ساحر على الوصف قال ائتم بالمد ابو عمرو وسهل ويعقوب ابن عامر وابو جعفر ونافع وابن كثير
عن ابن مجاهد وابي عون عن قنبل قال ائتم على الخبر بغير مد حفص وابن مجاهد وابو عون عن قنبل الباقون ائتم بزيادة همزة الاستفهام ومن
يا تره مخففة الهاء يزيد وقالون ويعقوب غير زيد وابو عمرو من طريق الهاشمي عن البزي ومن يا تنه بسكون الهاء خلاد ورجاء والمعلى وشجاع
والبزي بخلف عن ابي شعيب وبحق وحماد الباقون بالهمز على الاشباع الوقوف اخرى لا لان ان بعد تقدير المرة. ابو حي لا لان ان بعد تقدير ابو حي وعد له
منى جزما لان الواو قد تكون معمولة وتعلق اللام بالتبت وقد يكون عاطفة على محذوف فاني تحب ولتصنع ومن جزم اللام وقف على منى لا محالة لتعلم على

عينيه لئلا يوهم ان ظرف لتصنع من بكفله ط لانقطاع النظم وانتهاء الاستفهام على ان فاء التعقيب مع اتحاد القصة يجيز الوصل ولا يجوز
لابتداء مستأنف حتى قوله يا موسى لتنافي الكلام مع حتى الغاء مضمرة ذكرت في مثل ما قلنا والمضمر واضح كالابتداء مع الفاء حتى يصفى وان لا يعقد
لان قد لتوكيد الابتداء وقد انقطع النظم على ان اتحاد القول يجيز الوصل من ثلاث اذ ذاك فان الواو والابتداء بالحكاية لاحتمال ما بعده الصفة و
الاستيناف ولا يبنى بناء على ان الذي صفة الرب والاحسن تقديره هو الذي واعنى ان ما علل التفات شتى انعامكم التي هي وان في يا موسى سوى
ضحى على ان بعد ذلك لاختلاف الجملتين امر في النحوي لمثل سقا اسقيك الفي القولان التقديران فالقوا اما القوا فاذا حبالهم مع فاء التعقيب واذا القاء
المنادى ان للوقت يعني موسى الاعلى ما صنعوا كيد ساحر اني وموسى لكم الشر للقسم المحذوف ولا نقطاع النظم مع فاء التعقيب واتمام مفصول الكلام
التحل لا بتداء معنى القسم ولفظ استفهام بعقبه مع اتفاق الجملة واتحاد الكلام وابقى فاض الحبوة الدنيا من السحر وابقى جهنم ط ولا يقف محيى العلى لان
لان ما بعده بدل منهما تركن الفتشير من علينا من انعم ومن علينا ضد اي امتن علينا كان الله سبحانه قال لموسى اني راعيت صلاحك فلم أعرك
فكيف لا اعطيك مرادك بعد السؤال وكنت ربيناك من غير سابقة حق فلو منعتك الحال ط لكان ذلك رد ا بعد القبول وحرمانا بعد
الاحسان وذلك بناء في الكرم لذاتي قالوا المنة هضم الصنيعة فهي نوع من الاذى فقوله ولقد منا عليك يكون من الاذى لا من المنة فلت
يحتمل ان لا يكون المنة من المنع المطلق اذ بد وانما يكون بنبها على النعم وايقاظا من سنة الغفلة حتى يتلقى المكلف النعمة بالشكر والطاعة وانما قال
مرة اخرى لان الجملة قصة واحدة وان كانت مشتملة على منن كثيرة والوحي الى ام موسى اما ان يكون على لسان نبي في عصرها كشعيب مثلا او على لسانها
ملك لا على طريق النبوة كالوحي الى مريم في قوله واذ قالت الملائكة يا مريم او اراها في المنام اذ وضع ولدها في التابوت وقذفه في اليم ثم رده الله
اليها او القى في قلبها ذلك او لعل الانبياء المتقدمين كابراهيم واسحق ويعقوب اخبروا بذلك واشتهى خبره اليها ومعنى يا موسى ما يجب ان يوحى لمثلك من
الصلاح الدنيوي والديني وان امر عظيم ولا تنافي الاعلم الا بطريق الوحي وان هي المفسرة لان الايحاء في معنى القول والقذف جعل بمعنى الوضع اي ضعيه
في التابوت وقد مر معناه في البقرة في قصة طالوت قال جار الله الضميران اليا فيان في قوله فاقذفيه في اليم فليلقه عاد ان الى موسى
ايضا لما يؤدي الى تنافر النظم فان المقذوف والملقى اذا كان موسى وهو في حكم التابوت لزم ان يكون التابوت ايضا معدا فارسلي وهو بعيد
ان الضمير في قوله عدو له لموسى بالضرورة لان عداوة التابوت غير معقولة لزم اذا كان الضمير الاول والضمير الاخير لموسى فلا تناسب باعجاز القرآن ان
يكون الضمير الوسط لغيره ايضا لان المعنى صحيح واللفظ متناسب فلا حاجة الى العدول اعتمادا على الفهم وايضا هو الخبر والمراد بهما بل مصر والساحل
شاطئ النهر واصل الساحل المكان المنفرج لهذا قال رد به هو مغلوب لان الماء سخله وهو مسحول قال اهل الاشارة من خصوصية اشتراك القلب بين
الوحي ان يقذف في قلبه قذف الولد الذي هو اعز الاشياء في التابوت لتوكل بحر التسليم حتى يلقيه اليم بالساحل اراده الله ويشتهر بين
اتها جعلت في التابوت قطنا محلوجا فوضعته فيه وجصصته وغيرت به القفر في اليم وكان فرعون مر الى بستان فرعون نهر كبير فنبعا هو
جالس على راس بركة مع اسيته اذا بالتابوت قد مر به فامر به فاخرج ففتح فاذا صبي صبيح فعطف الناس وحبها فاحبه عدو الله حبا شديدا لا يتمالك ان يصبر عنه وطلب
اللقط بدل على ان التابوت لقط من الساحل فلعل اليم القاه بموضع من الساحل فيه فوهة فرعون فاداه النهر الى البركة اما كون فرعون
عدو الله من حمد كفره وعتوه وظاهر اما كونه عدو الموسى وهو صغير فبناء على المال ولانه لو ظهر له حال الطفل فيجازى من يربي حبيبه في حجر
عدوه فالوا كان بحضرته فرعون اربع مائة غلام وجارية فجيء بالتابوت ووعد من يسبق الى ذلك الاعناق فسابقوا جميعا ولم
باخذه الا واحد منهم فاعطى الكل والتمكن غير ان عدو الله سلم يجوز من كرمه جزاء لبعض اذعن له الكل على الاخذ فاكرم الاكرمين كيف لا يقبل عزم
المؤمنين على الطاعة والخير فالمراد منه اعناق الكل من التابوت وان وقع لبعضهم بقصد الفعل فقوله سنى اما ان يتعلق بالقيت ويكون صفة للمحبة
اي محبة حاصلة مني وعلى الوجهين فالمحبة اما محبة الله ومن احبه الله احبه القلوب واما محبة الناس التي زرعها الله في قلوبهم فقد يروى
انه كان انا ظر اليه يحرسه اطلق لفظ العين على الحلم لانها من هذا الوجه وايضا العين سبب الحراسة فاطلق السبب وارد المسبب بقال
عليك اذا دعى له بالحفظ والحياطة فالمجاز والحذف في موضع الحال من الضمير المجرور في لتصنع وجوز في الكشاف ان يكون اذ شرطا
لتصنع وليس بذلك وانما هو ظرف للقيت وبدل من اذ اوحينا على ان الوقتين من زمان واحد واسع بقول الرجل لقيت فلانا سنة كذا
ثم يقول وانا لقيته اذ ذاك وربما لقيه هو في اثرها وانت في اخرها برؤيا رآها او الهم فيها الفرعون ان فرعون اخذ واعلاما في اليم وان لا يتصنع من
امره كما قال سبحانه وحرمنا عليه المراضع جاءت موسى عليه السلام واسيتها منهم متفكرة فقالت هل ادلكم على من يكفله فجاءت بامه فقبل ثديها
اذ ذلك قوله فرجعناك الى امك وقال في القصص فرددناه الى امه نرصد بقية القول انا رادوه اليك كتيقن عيشها بلقائك ولا تحزن بسبب
وصول ابن عمها الى معدتك وقتلك نفسا بان قتل عشرة سنة نفسا هو القبطي الذي يجيء ذكره في القصص فنجيناك من الغم وهو انتصاب

التفسير

فرعون منك وقيل الخوف هو الفعل الغير قرين وارد بالتم خوف عباد الله وذلك قوله فاغفر لي فغفر لهم وفتناك فتونا مصدر على فعول المتعدي كالشكور والكفور وارجع كالطغوى او جمع فتنة على ترك الاعتداد بتاء التانيث كسبوح بلدة وحجور في حجرة والفتنة المحنة والابتلاء بخير وشر قال نعم وسلوكها بالشر والخير فتنة وفيها معنى التخليص من قولهم فتنت الذهب اذا اردت تخليصه عن سعيد بن جبير انه سال ابن عباس عن الفتون فقال اني خلصناك من محنة بعد محنة ولدتك عام كان يقتل فيه الولدان والفتنة اشد في البحر يقتل فرعون بقتلة وقتل بقتيلا واخر فتنة عشر سنين وصل الطريق وتفرقت غنمي في ليلة مظلمة وكان يقول عند كل واحدة نهذه فتنة يا ابن جبير قال العلماء لا يجوز اطلاق اسم الفتان على الله تعالى وان جاء وفتناك لانه صفة ذم في العرف وتجوز فتنة لبشر في اهل مدين وانه على ثمان مراحل من مصر في سورة القصص ثم العبرة قوله على قدر اي في وقت ستوفى فيه قضائي وقدري ان كلمك واستبثك فيه وعلى مقدار من الزمان يوحى فيه الى الانبياء وهو اربعين سنة او على موعد قدرته باخبار شعيب وغيره والصنع بالضم مصدر صنع البر معروفا او تجيا فعل للاصطناع افتعال اضعه واستعماله في الغير اكثر واصطنع فلان فلانا اذا اتخذه صنيعة واصطنعت فلانا لنفسي اذا اصطفيته وخرجته ومعناه احسنت اليه حتى اتخذته صنيعا الى قوله لنفسي اي لاصرفك جوامع همتك فيما امرك حتى لا تشغل بغيرها امرتك به من تبليغ الرسالة وافادة الحجة وقال جار الله مثل حالة التي لا يخالجه من يراه بعض الملوك اهلا للتقريب والتكريم يخصه بنفيس ما يصطنعه بالكرامة ويتخاصه لنفسه فلا يبصره الا بعينه ولا يسمع الا باذنه ولا يامن على مكنون سره سواه وقال غيره من المعتزلة انه سبحانه اذا كلف عباده وجب عليه ان يلطف بهم ومن جملة الالطاف ما لا يتم الا بمعجزة فلو لم يصطنع للرسالة التي في عهدة التوجه هذا امر فعله الله لاجل نفسه حتى يخرج عن عهدة ما وجب عليه ولما عاد عليه المنن التي اشار اليها بقوله الم نمنن عليك ذكر ذلك مرة بعد اخرى اما الامر فقوله اذهبا ذهبت ولحوق الواو فيه بيان ما الاجل اصطنعه وهو الابلاغ واداء الرسالة اما الي مع اياي لانهما لو ذهبا الا وهما ملزمة الايمان وهذا من اقوى الدلايل على فساد التقليد وما هذه الايات قيل العصا واليد لانه لم يجز الا ذكرهما فاما طلق الجمع على الاثنين او كان كلا منهما مشتملا على ايات اخر او لانه يستدل بكل منهما على وجود الفاعل وعلى كل عالم بكل وعلى نبوة موسى وعلى جواز الحشر بقلب الجماد حيوانا والظلم نشيرا ومثل قوله فيه اياك بثنيات مقام ابرهيم وقيل هما مع حل العقدة وقيل اراد بالذكر ما اذهبا اني امدكما بايات واظهرهما على ايديكما من رفع الاحياء الينا واما النهي فقوله ولا تنيا ونيا كبر لتوتر مثل تعد وفتر ونبا كبر حرف المضارعة تعالى للاتباع والوني بفتحتين الضعف والفتور والكلال الاحياء والمعنى لا تنسا في امل بل اتخذا ذكري وسيلة في تحصيل المقاصد واعتقدا ان امر امر الامور لا يتمشى لاحد الا بذكري فاذا لم تذكروني فاذكروني توجب علم الخوف من تقصيركما في نظره ما سواه لقوة نفسه واستئثاره باطنه وقيل اراد بالذكر تبليغ الرسالة فان الذكر يقع على قليل العبادة فضلا عن اعظمها فائدة وانمها غائدة وقيل اذكري في عدة مواضع وقد مر بانى لا ارضى بالكفر واعاقب عليه واثيب على الايمان وارضيه بالجملة كل ما يتعلق بالترهيب والترغيب والفائدة في تكرير قوله اذهبا الى فرعون والجواب بعد التكرير هو انا كيدان تثبيطا لاداء الرسالة معا لان يفرد موسى ولا يرد امره الذهاب الى كل بني اسرائيل والقبط والثاني مخصوص بفرعون لقطاعي ثم انه خوطب كلاهما وموسى حاضر فقط لان اصل الامر هو كقوله يا ايها النبي اتق الله وامثلة فشلتم ونفساء والفاعل واحد منهم ويحتمل ان تريد قد حضر وفشل رئيس الله عز وجل وحي الهي وهو ونصيران تلقى موسى وقيل انهم بذلك قيل سمع بخبره فتلقاه سوال الهام بتلقين القول للعبد والمعاند جوابه لان عادة الجبابرة اذا غلظ لهم في الكلام ان يزيدوا غلوا وعلوا وقيل لما امره من حق تربيته موسى شبه حق الابوة وكيف ذلك القول اللين الاصح انه نحو قوله تعالى هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى لان ظاهره الاستفهام والمشورة وعرض ما فيه صلاح المامور وقيل اراد عداه شبابا لا يهرم بعده وملكا لا ينزع منه الا بالموت وان يتولاه المطعم والمشرب والمنكح الى حين موته حكى عمرو بن ميار قال لبغى ان فرعون عمر اربعمائة وتسعا وستين سنة فقال له موسى ان اطعنى فلك مثل ما عمرت فاذا مت فلك الجنة وقيل اراد كنيا وهو من ذوى الكنى الثلاث ابو العباس وابو الوليد وابو مرة ويحتمل ان يكون امرا بالقول اللين لانه كان في موسى حدة وخشونة بحيث اذا غضب اشتعلت فلسنونة نارا فطالح حدته باللين ليكون حليما في اداء الرسالة او يحتمل ان يقال انكاره واصراره قالت المعتزلة حذرا ارسالها اليه مع العلم بانه لن يؤمن قطع العذر والزامه الحجة وقالت الاشاعرة العقول قاصرة عن معرفة سر القدر ولا سبيل الا التسليم وترك الاعتراض والسكوت بالطلب اللساني قالوا لو اتركن بدفع سكينا الى من علم قطعا انه يمزق بطن نفسه ثم يقول انى ما اردت بدفع السكين اليه الا الاحسان اليه وعرفنا انه قال والله يحلف به كاذب انه مكتوب في التوراة بفتح الراء لا لبس اسامي فليس فلا يؤمن فلا يؤمنا بنبي دليل على ان هرون لم يكن حاضرا وقد كان رسولا انه اشرح صدره وتيسير امره وكيف قالا انا نخاف فان حصول الخوف بعد شرح الصدر وضبط الاوامر النواهي وحفظ الشرائع والاحكام بحيث لا يتطرق اليها خلل وتخريب وهذا شيء احرز معقا برلزوال الخوف قلت لعلهما انما ان لا يتمكنا من اداء الرسالة بدليل قوله ان يفرط علينا اي يسبق منا الشامبادرتنا بالعقوبة او ان يطغى اي يجاوز الحد وان يقول قبل كما ينفع ان يجاوز حدا لاعتدال في معاقبتنا ان لم يعاجلنا فلا نتمكن من اقامة وظايف الاداء وابصر الدليل العقلي القطعي اذا انضاف الى الدليل النقلي زاده ايقانا وطمانينة ولهذا قال لا تخافا اني معكما اي بالنصرة والتاييد اسمع واري معاجزكما من قولك وعل فافعل كما ما يوجب عنايتي وحراستي فلا يتطرق عليكما الى ما تؤدانه مني فتقطعا عنكما اذا فارقتكما مقام المكالمة فضلا هذا لو لم نسبق عونكما ويجوز ان يكون الفعلان منزلين منزلة المفعول

المفعول كانه قيل انا سامع مبصر اذا كان الحافظ والشاهد كذلك تم الحفظ والكلمة النصرة قال بعض الاصوليين في الامر لا يفيد التكرار ولا على ان الامر لا يفيد الفور ولا كان تعلقها بالحوض معصية ولانها غير جائزة على الرسل في الاصح قال بعض المتكلمين منها ودليل على ان التمتع والنصر صفتان زائدتان على العلم والارادة والكراهة فان معتبر هي بالعلم واعلم ان بعض الحاصرين يقول لعام ولكن لا يبالي به ثم كرر الامر ثانيا فابياه وقولا فسئل انهما امرا بان يقولا لينا فكيف غلظا او لا بقوله انا رسولا ربك ففيه ايجاب بغيابه لهما واكراههم على طاعتهما وهذا انما يعظم على الجبار دعائيا بقوله فارسل معنا بني اسرائيل وفيه ارخال النقص في سلكه لانه كان يستخدمهم في الاعمال الشاقة وثانيا بقوله ولا تعذبهم وفيه منعهم عما يريده بهم واجيب بان هذا الفذ من التغليظ ضرورة في اداء الرسالة قيل ليس الا ان يقولا انا رسولا ربك قد جئناك بآية من ربك فارسل معنا بني اسرائيل ليكون ذكر المعجز مقرونا بادعاء الرسالة والجواب ان قوله فارسل من تتمة الدعوى وانما وحد قوله بآية وصعر اتيان بل لان القول اذهب انت واخوك بآياتي لا تنازع الجنس كانه قيل قد جئناك ببيان من عندي وبرهان قال في الكشاف قلت وفيه ايضا نوع من الادب كما لو قلت انا رجل قد حصلت شيئا من العلم ولعل عندك علوما جمة على ان تخصيص عدد بالذكر لا يدل على نفي الزائد عليه وابطل الاصل في معجزات موسى كان هي العصا ولهذا وقعت في معرض المعارضة كما ان الاصل في معجزات نبينا ما كان هو القرآن فوضع لذلك تعجيز الخصم والسلام اي جنس السلامة او سلام خزنة الجنة على من اتبع الهدى يحتمل ان يكون هذا ايهاما بقولا له فرعون ويحتمل ان يكون الرسالة قد تمت عند قوله بآية من ربك ويكون هذا وعدا بالسلامة من عقوبات الدارين لمن امن وصدق قالت الاشاعرة في قوله ان العذاب على من كذب وتولى دليل على ان مرتكب الكبائر من المؤمنين ترك العمل بمرجح على بعض الاوقات فوجب ان يبقى على اصله في نفي الدوام على العقاب المتناهي لانه بالنسبة الى النعيم المقيم الذي لا نهاية له كالمتناهي صلا وابيض العارف بالله قد اتبع الهدى فوجب ان يكون من اهل السلامة قال فمن ربكما يا موسى خاطب الاثنين ووحد النداء الى موسى لانه الاصل في ادعاء الرسالة وهرون وزيره ويجوز ان يعرض موسى عليه السلام بالنداء عما جرى بينه وبين هرون والوزارة التي كانت في تلك الساعة من موسى قال اهل الادب اذ ذهبا الى فرعون كان شديد البطش جبارا ومع ذلك فقد بالغا في الشفقة والتلطف بل شرع في المناظرة وطلب الحجة فدل على ان الشغف من غير حجة شيء ما كان يرتضيه فرعون مع كمال جهله وكفره فكيف يليق بذي لب ممن يدعي الاسلام والعلم وفي اشتغال موسى بالمناظرة دليل على بطلان التقليد وعلى ان القائل بان معرفة الله يستفاد من قول الرسول وفيه جواز حكاية كلام المبطل مقرونا بالجواب لئلا يبقى الشك في بينات الحق يجب عليه استماع شبه المبطل حتى يمكنه الاشتغال بحلها واعلم ان العلماء اختلفوا في كفر فرعون فقيل كان عارفا بالله الا انه كان معاندا بدليل قوله لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض وقوله وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا وقوله في سورة القصص وظنوا انهم الينا لا يرجعون وليس الانكار المعاد وانكار المبدأ وقوله في الشعراء وما ربت العالمين الى قوله ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون يعني انا اطلبت منه المهتدي وهو يتهرج الوجود فدل على انه عارف باصل الوجود وايضا ان ملك فرعون لم يتجاوز القبط ولم يبلغ الشام لان موسى لما هرب الى مدين قال لشعيب لا تخف نجوت من القوم الظالمين فكيف يعقل مثل هذا التخوف انه الاله العالم بل كل عاقل كملت بينة بالضرورة انه وجد بعد العدم فلا يكون واجب الوجود وايضا انه سأل فيهما ممن طالبا للكيفية وقد استحال ذلك في الالهية فكان موسى لما اقام الدلالة على الوجود ترك المناظرة والمنازعة معه فهنا لما اقام الظهور ورتع في مقام اصعب وهو العلم بما هية الله تعالى عجز عاجلة للنذير وايضا انه قال في الجواب بنا الذي اعطى كل شيء خلقه وصلة الدلالة بان يكون جملة معلومة الانسان ومن الناس من قال انه كان جاهلا بالله بعد اتفاقهم على ان العاقل لا يجوز ان يعتقد في نفسه انه خالق السموات والارض وما بينهما فمنهم من قال انه كان دهريا نافيا للمؤثر اصلا ومنهم من قال انه فلسفي قائل بالعلة الموجبة اراد من عبدة الكواكب اراد من الحلولية والمجسمة واما ادعاء الالهية والربوبية فمعناه انه يجب عليهم طاعته ولا نفيا لحكمه قال بعض العلماء انما قال فمن ربكما ولم يقل الهكما تعريضا بانه ربه موسى كما قال لم نربك فينا وليدا قلت يحتمل ان يكون تخصيص موسى بالنداء لتنبيهها على هذا المعنى ولم يعلم الكافرات لو نبه بالنداء عاها موسى شيء في قوله انا رسولا ربك عن هذه في الحقيقة ولا مشاركة بينهما الا في اللفظ وهذا كما عارض سحرة فرعون بارهم حبالهم وعصيهم على قوله انا احيي واميت ولم يعلم ان احياءه وامانته ليس من الاحياء والاماتة في شيء ثم شرع موسى في الدلالة على اثبات الصانع باحوال المخلوقات وفيه دلالة على ان موسى كان اصلا في النبوة وان عرجون راعي الارب ولم يجعل بالجواب جملة لان الاصل في النبوة هو موسى ولان فرعون خصص موسى بالنداء من قبل خلقه بسكون اللام فاما معنى الخليقة والتعبير المجرد وقدم المفعول الثاني ليتصل قوله ثم هدى والخليقة اي اعطى الملائق ما به قوامهم من المطعوم والمشروب الملبوس والمنكوح ثم هداهم الى كيفية الانتفاع بها فسخر لهم الحديد من الجبال والنار من الشجار وبركون الاغذية والادوية والاسلحة والاسعة ونظير هذا الكلام قوله الذي خلق سوى والذي قدر فهدى وقوله حكاية عن ابرهيم الذي خلقني فهو يهدين واما ان يكون الخلق بمعنى التصوير والشكل اي اعطى كل شيء صورة وشكلا الذي يطابق المنفعة المتولدة به فاعطى العين هيئة التي يطابق الابصار ولا اذن ما يوافق الاسماع والانف للشم والفم للنطق والرجل للمشي بل اعطى رجل الانسان شكلا يوافق سعيه ورجل الحيوانات الاخر شكلا يطابق مشيها بل اعطى ذوات الظفر رجلا توافق حاجتهن وكذلك الحافر ذوات المخالب وبل اراد اعطى كل حيوان نظيره في الخلق والصورة فجعل الحطار والخرتيت كذا

البعير والناقة والوحش المرأة ومن وراء خلفه بفتح اللام صفة للمضاف او المضاف اليه والمعقول لتشاء مزوك اى كل شئ خلقه الله لخلائق عقلا
وانعاما واعلم ان عجائب حكمة الله تعالى في مخلوقاته تحير الساحل ولم يقدروا على احصاء طرف منها في كتب التشريح وخواص الاحجار والنبات والحيوان لكنا
نذكر ههنا واحدا منها هي ان البطيخ يطول لثقل مائه بسط وتخفيف صاعد فالماء لذلك فوق الارض والهواء فوق الماء والنار فوق الكل ثم انه سبحانه
جعل العظم والشعر اضلاعا على هيئة الارض حمل مكانهما فوق البدن وجعل تحته الدماغ الذي هو منزل الماء وجعل تحته النفس الذي هو
الهواء وجعل تحته الحرارة الغريزية فما قلبك كالنار ليكون دليلا على وجود الفاعل المختار خلاف ما يقوله الدهرية والطبيعية وسائر الكفار و
ايضا اختص كل جسم بقوة وتركيب هذا اما ان يكون واجبا او جائزا والاول محال والا لم يقع فيها تغير والثاني يستدعي مرجحا فان كان ذلك
المرجح واجب الوجود لذاته فهو المطلوب ان كان جائز الوجود افتقر في اتصافها بالوجود الى موجد ولا بد من الانتهاء الى موجد يجب وجوده لذاته ثم
يستغني عن سائر الموجودات فما ثم الا الله الواحد القهار قال اهل النظام ان موسى لما قرر عليه امر الصانع قال فرعون ان كان وجود
الواجب في هذا الحد من الظهور فما بال القرون الاولى لم يؤمنوا وجحدوا وانقراض المجدد بالتقليد دليل الحال وانه لما هدده بالعذاب في قوله
ان العذاب على من كذب وتولى قال فما بال من كذبوا فاجابه بان هذا مما استأثر الله بعلمه وما انا الا عبد مثلك لا اعلم منه الا ما يخبرني علام
الغيوب وانه سأله عن احوال القرون الخالية وعن شقاء من شقي منهم وسعادة من سعد ليعرض موسى عن الفحص ويشتغل بالحكايات خوفا من ان يميل
قلوب ملائه الى جحد الباهرة وكلا بل الظاهرة فلم يلتفت موسى الى حديثه بل قال اعلمها عند ربي ولا يتعلق غرضي باحوالهم ويجوز ان يكون الكلام
قد انجر ضمنا او صريحا الى احاطة الله سبحانه بكل شئ فسأله عن الكافر قائلا فما بال سوالف القرون في تمادي كفرهم وتباعد اطرافهم كيف احاط
علمك باحوالهم واجوالهم فاجاب بان كل كائن محيط به علمه ولا يجوز عليه الخطأ والنسيان كما يجوز عليك ايها العبد الذليل القليل وقوله
علمها عند ربي مع قوله في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى بل المراد انه لم يعلم جميع الغيبيات مطلع على الكليات والجزئيات من احوال الموجودات والمعدومات مع
ذلك فان جميع الاحوال ثابتة في اللوح المحفوظ ثم كان للقائل ان يقول لعلها اثبتت في اللوح لاحتمال الخطأ والنسيان فقد ازال ذلك بقوله لا
يضل ربي ولا ينسى قال المجاهد هذا واحد المراد انه لا يذهب عنه شئ ولا يخفى عليه الا كثرون على القرف فقال الفضال الاول اشارة الى كونه عالما
بالكل والثاني اشارة الى بقاء ذلك العلم اي لا يضل عن معرفته الا شيئا وما علم من ذلك لا ينساه ولا يتغير علمه فيقال ضل الشيء اذا ذهب عنك
فلم يهتد له وقال مقاتل لا يخطئ الكتاب ربي ولا ينسى ما فيه وقال الحسن لا يخطئ وقت البعث ولا ينساهم وقال ابو عمرو ولا يغيب عن شئ ولا يعزب عنه شئ
وقال جبر لا يخطئ في التدبير فيفقد عن الصواب صوابا واذا عزب عنه شئ ينساه والوجوه متقاربة والتحقيق ما قاله الفضال وعن ابن عباس لا يترك
من كفر به حتى يبلغهم شره ولا يترك من وحده حتى يجازيه ولما ذكر الدليل العام الشامل لجميع المخلوقات السماوية والارضية من الانسان وسائر
الحيوانات وانواع النباتات والجمادات ذكر الدلائل الخاصة فقال الذي جعل لكم الارض مهدا اي كالمهد وهو ما يمهد للصبي قال ابو عبيدة الذي
اختاره مهادا لا تراسم لما يمهد والمهد مصدر وقال غيره المهد اسم والمهاد جمع وقال الفضل هما مصدران وسلك اي حصل لكم فيها سبلا او رسلها
بين الجبال والاودية والبراري يقال سلكت الشيء في الشيء سلكا بالفتح اي ادخلته فيه فاخرجنا اي اخرجنا الله اي بواسطة انزال الماء ومن المتكلمين من انكر تاثير الوسائط اسنادا وازواجا اي اصنافا سميت بذلك لانها مزدوجة بعضها ببعض وشتى صفة للازواج جمع شتيت
كمرضى ومرضى وصفة للنبات لانه مصدر يسمى به الانبات كما سمي بالنبت فاستوى فيه الواحد والجمع بمعنى انها مختلفة الطعم واللون والطعم والرائحة والشكل ثم بين انها اصناف والتقدير وفلنا او قائلين كلوا وارعوا انعامكم وذلك ان النبات بعضها يصلح للناس بعضها يصلح لبهائمهم واما خبر
الاكل يتضمن اباحة سائر وجوه الانتفاع كقوله ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل ثم ان الله تعالى ان ذكر النعم لم يخصص بعمل الانعام وقد جعل الله عليها نعما يفضل
عن حاجتهم ولا يقدرون على كلها قال الجوهري النهية بالضم واحدة النهى وهي العقول لانها تنهى عن القبيح وجوزوا ان يكون مصدرا
كالهدى وخص ارباب العقول بذلك لانهم هم المنتفعون بالنظر فيها والاستدلال بها على وجود صانعها منها خلقناكم لان ادم مخلوق من الارض
او لان بني ادم خلقوا من النطفة ودم الطمث المتولدة من الاغذية المنتهية الى العناصر الغالبة عليها الارضية او لما ورد في الخبر ان الملك ياخذ
من تربة المكان الذي يدفن فيه الادمي فيذرها على النطفة وفيها نعيدكم كما كان الجسد يصير ترابا فيختلط بالارض الامن يعذه الله الى النار وهو
ايضا يحتمل ان يعاد اليها بعد ذلك ومنها نخرجكم تارة اخرى بالحشر والبعث وبان نخرجكم انزالا وطيا ثم يجيئكم بعد الاخراج او المراد الاحياء
في القبور وههنا بحث وهو ان يكون قوله الذي جعل لكم الارض الى ههنا من تمام كلام موسى وهو ابتداء كلام من الله تعالى وعلى الاول يمكن
ان يوجه قوله فاخرجنا بان المراد فاخرجنا نحن معاشر عباده بذلك الماء بالجزئية والنوع ازواجا من نبات شتى الا ان قوله كلوا وارعوا الى
قوله ومنها نخرجكم لا يطابقه وان قبل ان كلام موسى تم عند قوله وانزل لكم من السماء ماء لم يصح قوله فاخرجنا ابتداء كلام من الله لكان فاء التعقيب
فالصواب ان تم كلام موسى عند قوله ولا ينسى ثم انه تعالى ابتدأ فقال الذي هو اي الله جعل الى اخره وعلى هذا يكون قوله فاخرجنا من قبيل
الالتفات افتنانا للكلام وايذانا بانه مطلع لنفاذ الامر في الاشياء المختلفة لامره تخصيصا بان مثل هذا لا يدخل تحت قدرة احد سواه والحاصل ان تم
شيئا عد عليهم ما علق بالارض من المنافع حيث جعلها لهم فراشا يقلبون عليها عند الاقامة ويسوونها لهم مسالك يقلبون فيها في اسفارهم وانبت فيها

تمام

أصنا النبات منا غالهم ولا فعانهم ثم ان الارض لهم كالام التي منها انشأوا وهي التي تخرجهم وتضمهم اذا ماتوا ثم يخرجون من الاجداث خروج
الاحياء من الارحام ومن ثم قال رسول الله عليه السلام تمتحوا بالارض اي تدوا واسجدوا عليها من عبرها بل وتمتعوا بها فانها لكم كزاد اي انها لكم كالام
ومنها خلقنا كم وفيها نعيدكم وهي بعد الموت كفاتكم قوله عز وعلا ولقد اريناه اياتنا اي عرفناه صحتها ثم ان كان التعريف فيلزم وصول المعرفة
فيكون كفره كفر جحود وعناد كقوله وجحدوا واستيقنتها انفسهم الاكاد كفرهما لذ وضلالهم لذ سؤال الجمع المضاف يفيد العموم ولا سيما اذا اكد
بالكل لكنه تعالى ما اراه جميع الايات كان من جملتها ما اظهرها على ايدي الاقدمين ولم يبق لموسى مثلها الجواب هذا التعريف الاصناف احد وبه
حذوا التعريف لعهد لو قيل الايات كلها وهي التي ذكرت في قوله ولقد اتينا موسى تسع ايات بينات ولو سلم العموم فلم لم تراه الايات
الدالة على التوحيد في قوله ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه وعلى النبوة باظهار المعجزات القاهرة وعلى المعاد الآت تسليم القدرة على الانشاء يستلزم
تسليم القدرة على الاعادة بالطريق الاولى واراد انه اراه اياته المختصة به وعدد عليه تسعا ايات الانبياء واحبا النبي الصادق جار مجرى ايراده
او اراده بعض الآيات كاراءة الكل كما ان تكذيب بعض الايات يستلزم تكذيب الكل كما قال فكذب اي الآيات كلها وانى تقول الحق قال لقد علمت
الا باء الامشاء نترا بوصف به الامن يتمكن من الفعل والترك والام بوجه الذم وجواب لا شاعرة انه لا يسئل عما يفعل ثم ان فرعون خاف
ان يميل قلوب ملائه الى قول موسى فذكر ما يوجب نفار القوم عن سماع الصلح في نبوته لادعاء امكان معارضته فاملا اجمعنا لنخرجنا فان
الاخراج من الديار قرينة الفتل بدليل قوله ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم فم طالب لمعارضة موعد فان جعلته زمان الوعد بان يجعل
قوله موعدكم يوم الزينة بالرفع كان الضمير في لا نخلفه عائدا الى الوعد المعلوم من الموعد او الى زمان الوعد مجازا وانتصب مكانا على انه ظرف لا وعد
المقدر وان جعلته مكان الوعد ليكون قوله مكانا بدلا منه فوجه عود الضمير في لا نخلفه مثلها فلنا ويكون قوله موعدكم يوم الزينة لقاءهم
لا معنى لانه لا بد لهم ان يجتمعوا يوم الزينة في مكان مشتهر عندهم وكانه قيل موعدكم مكان الاجتماع في يوم الزينة وان جعلته مصدرا
ليقع وصفه بعد الاخلاف من غير ان يكاب ضمار او يخون انتصب مكانا على انه ظرف تم من قرأ يوم الزينة بالنصب فظاهر اي عدكم ان نجاز وعدكم
في يوم الزينة او وقت وعدكم في يوم الزينة وفي يوم يحشر الناس هو ضحى اي يضحى ذلك اليوم ومن قرأ بالرفع فيقدر مضاف محذوف اي وعدكم
يوم الزينة ومعنى سوى بالكسر والضم عدلا وسطا بين الفريقين وهو معنى قول مجاهد توصف المكان بالاستواء اعتبارا لمنشأ وقال ابن زيد
اي مستويا لا يحجب شيء بارتفاعه وانخفاضه لسهل على كل الحاضرين ما يجري بين الفريقين وقال الكلبي مكانا سوى هذا المكان الذي نحن فيه الآن قال
القفال الاظهر ان قوله موعدكم يوم الزينة من قول فرعون لانه الطالب للاجتماع وقال الامام فخر الدين الرازي الاقرب انه من كلام موسى
ليكون الكلام مبنيا على السؤال والجواب لان تعيين يوم الزينة يقتضي اطلاع الكل على ما سيقع وهذا انما يليق بالمحب المحق الواثق
بالغلبة لا بالمبطل المزور على ان موعدكم خطاب الجمع وليس هناك الا موسى وهرون فاما ان يركب ان اقل الجمع اثنان وهو مذهب مرجوح
واما ان يقال الجمع للتعظيم ولم يكن فرعون لعظمها ويوم الزينة يوم عيدهم يتزينون فيه وعن مقاتل يوم النيروز وعن سعيد بن جبير يوم
سوقهم وعن ابن عباس هو يوم عاشوراء وانما قال ان يحشر الناس عبر بهم اقامة لاكثر الناس مقام الكل لانهم يجتمعون ذلك اليوم بانفسهم من غير حاشر لهم محل ان يحشر
رفع او جر عطفا على اليوم او الزينة عين اليوم اي الساعة وهي ضحى ذلك اليوم وانما واعدهم ذلك اليوم ليكون علو كلمة الله وزهوق الباطل على رؤس
الاشهاد ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وليشيع امره العجيب في الاقطار والاطراف الاكناف ففي ذلك تقوية دين الحق
وتكثير راغبيه وقلة شوكة المخالف وتوهين عزائمهم فتولى فرعون انصرف الى مقام نفسه الاسنا المعارضة فان صاحب التحر يحتاج في تدبير
السحر الى طول الزمان ولهذا طلب الموعد وقال فجمع كيده اي سنا الكيد واداة الحيلة والتمويه من مهرة
السحرة وعبر ذلك ثم اتى الموعد عن ابن عباس كانوا اثنين وسبعين ساحرا مع كل واحد منهم حبل وعصى وقيل اربع مائة وقيل اكثر من ذلك فنصب
لفرعون قبة طولها سبعون ذراعا فجلس فيها بحضرة الناس ثم ان موسى قال ويلكم افترون على الله كذبا بان تدعوا انه ارسلني اليكم
فيسحتكم اي يستأصلكم بعذاب من عنده بالقحط او غيره يقال سحته واسحته لغة اهل الحجاز والاسحات لغة اهل نجد وبني تميم ومعنى الاستيصال احد هم اخذها على اتم الوجوه والتنوين للتعظيم والاخبار
الخيبة والحرمان عن المقصود فان التمويه لا بقاء له فتنازعوا امرهم بينهم كقوله في الكهف فتنازعون بينهم امرهم اي وضع التنازع بينهم واسر النجوى
الفريقان فرعون وقومه قيل للتحزب ويؤيده ما روي عن ابن عباس ان نجواهم ان غلبنا موسى اتبعنا وعن قتادة ان كان ساحرا فسنغلبه وان كان من السماء
فله امر وعن وهب قال ولكم لا يتفاوتوا ما هذا بقول ساحر والاكثرون على الاول وذلك انهم تنازعوا واشاروا وقيل استمروا على شيء
واحد وهو انهم قالوا ان هذان لساحران الى اخر الآية لا اشكال في قراءة ابي عمرو وكذا في قراءة ابن كثير وبعض لانه كقولك ان زيدا لمنطلق واللام
فارقة بين المخففة والنافية واما من قرأ ان بالتشديد وهذان بالالف فاورد عليه ان ان لم تعمل في اللغة الفصحى واجيب بانه على لغة الحرث بن كعب يجعلها
وبعض بني عذرة ولبنها الزجاج الى كنانة وابن عيسى الى بعض بني ربيعة جعلوا التثنية كعصى وسعد ما حوله الف فلم يقلبوها ياء في الجر والنصب وقيل
ان بمعنى نعم وعن ابن كيسان ما هذان بمعنى ما هذا ساحران بمعنى ساحر ان ضعيف لانه لا يجوز مثله الا في ضرورة الشعر وانما وضع لام الابتداء في اسم ان وهو المبتدأ

والجواب ان القرن تجمعة على غيرهم وذكر الزجاج في جوابه ان التقدير عما ساحران فاللام داخلة على جملة الخبر فال وقد عرضت هذه القولة على محمد بن زياد وعلي بن سليمان بن سحنون فارتضاه كل منهم وذكروا انه اجود ما سمعناه في هذا الباب وضعف بعضهم بان المبتدأ انما يجوز حذفه لو كان امرا معلوما جليا ولا كان تكليفا بعلم الغيب للمخاطب اذا كان معروفا فقد يستغنى معرفته تأكيده بالام ولا يكون حذفا من باب الاختصار التأكيد من باب الاضمار والجمع بينهما محال مع ان ذكر المؤكد وحذف تأكيده احسن في الصور من عكس بعضهم البصريون من جعل الخبر في قولك زيد ضرب نفسه تأكيدا للمستكن فيدل ذلك على ان تأكيد المروي عنهم جائز وايضا لو كان ما ذهب اليه الزجاج جائزا لم يجز ان يسمى المبتدأ وحذفه ولو سلم فذكر اللام يدل على المبتدأ ولا يدل على تأكيد فكان حذف المبتدأ اولى وعن الثاني بان الكلام قد يكون مؤولا من وجه آخر فلا منافاة وانما المنافاة اذا كانت الجهتان واحدة وعن الثالث بانهم امتنعوا من حمل النفي على تأكيد في مثال المذكور لانهم راوا استناد الفعل الى المظهر وهو من اسناده الى المضمر لان تأكيد المثبت يمتنع على ما بينا ان المؤكد يسوغ فيه الحذف في الآية مضمر فان احدا من القراء لم يقرأ الكلام مذكور وعن الرابع بان قول المتقدمين عن هذا الوجه لا ينبغي كونه باطلا فانه ترك الاول والاخر يرجع الى التفسير قال الفراء قرئت اسم ولحوا لنا واشار انهم الذين هم قدوة لغيرهم يقال هم عريفة قومهم وهو طريفة قومه فجمع امر موسى في عين الحاضرين وصرفهم عنه بانه ساحر وانهم ان اتبعوه فقد ضل حراسكم من ديارهم وانه يقصد اخراجكم من ديارهم بما يبعض نفاصد وانه يريد ان يذهب باشرف قومه وكانوا قد ملكوا على القوم بنو اسرائيل لقول موسى ارسل معنا بني اسرائيل وجعلها الزجاج من باب حذف المضاف اي ما اهل طريقتكم المثلى ويسمون اهل هذه الطريقة المثلى والسنة الفضلى لان كل خير عالية فروعون والمثلى تانيث الامثل اي الاشبه بالحق ومنه من قال الطريقة هي هنا الجاه والمنصب لو ياتي حين الادعاء بسحر فاجمعوا من قرأ فاجمعوا من اجمع ومعناه ومن قرأ من الاجماع معناه اجعلوا كيدكم مجمعا عليه حتى لا تخلفوا نظيره فانه في سورة يونس فاجمعوا امركم وشركاءكم سواء فلا يدل الا على ان السحر افضل لهم وقال الزجاج معناه ائتوا بكيدكم كالكيد مجمعا عليه ثم امرهم بان ياتوا صفا اي مصطفين مجتمعين ليكون اهيب في الصدور وارفع في النفوس عن ابي عبيدة اتوا مصلى العيد لانه كان لا يصلي الا في المصلى بعينه لان الناس يصطفون فيه لعيدهم وصلوا وقد افلح اليوم من استعلى اي فاز من غلب هو اغرض واعلم ان قصة السحرة اكثرها اشبه بما مر في الاعراف وقد فسرناها هناك فنحن الان على ان نقتصر ونذكر ما هو المختص بهذه السورة اما ان ملعي اي خسر احد الامرين الكاذب من السحر والمعجز او الساحر حيث طلب السحر والمعجز لا يفلح ابدا او حيث ادعى ان ما جاء به سحر او حيث ادعى الالهية او حيث ادعى ان ما جاء به افضل من المعجز او حيث ادعى ان ما جاء به معجز او حيث ادعى ان ما جاء به معجز وسحر فاما ان يكون ما جاء به سحرا او معجزا او مجموعهما فان كان سحرا فهو مبطل لا محالة وان كان معجزا فهو محق لا محالة وان كان مجموعهما فهو مبطل لا محالة لان المعجز لا يعارض فثبت ان الساحر لا يفلح ابدا وقوله اليوم ظرف لقوله لا يفلح او لقوله تعالوا او لقوله ائتوا والوقت الذي قالوا فيه ذلك هو وقت الضحى وقيل ان الله تعالى اخر ذلك الى الليل وقيل انه شاهد شيئا لولا علمه بانه لا حقيقة لذلك الشيء لظن بنبيه انه سحر فيكون تمثيلا فاوجس اضمر في نفسه خيفة هو مفعول واوجس موسى فاعل اخر للفاصلة زيادة الخوف اما من حيلة الشيء حين ذهل عن الدليل وهو قول الحسن واما لانه خاف ان يخالج الناس شك فلا يتبعوه قاله مقاتل وخاف ان يساوره ما توهم عليه بسبب ذلك الوقت وخاف ان يتقرب بعض القوم قبل ان يشاهد او غلبته او خافوا نماء امره على الامر عليه وتكثره قال الله تعالى لا تخف مجملا بقوله انا لا نخاف لدى المرسلون ثم فصل ما اجمله في موضع اخر التاكيد ما لا يحتمل معنى الا ستيناف والتقييد بان والتوسيط بالفصل وكون الخبر معرفا واللفظ نكرة ومعناه انا علمنا انه لا يخاف لدينا ولم يقل انك لا تخاف لانه اراد ان يقول عما قال لنا عام من الاعراف لما في هذه السورة وما ذلك بيمينك وقال جار الله هو تصغير لشانها وهوين لامر السحرة اي انك لو عوذت الفرد الصغير الحرة الذي في يمينك فانه يبتلع بقدرة الله بذلك صفوا اي صدوا وافعلوا على وجه الكثرة وكثرتها وعظمها وهو تعظيم لشانها اي لا تحسبن بهذه الاجرام الكبيرة كان في تمويه شيء عظيم شانا من كلها انما صنعوا ان الذي فعلوه كيد ساحر فمن قرأ على الوصف ليعلم ان المقصود هو الجنس كما قال ولا يلد الا فاجرا ومن هذا الجنس ولو جمع لاوهم ان المراد هو العدد وانما نكرا ولا لان المراد تنكير الكيد كانه قال انما صنعوا كيد نوع من انواع السحر ومن اقسام السحر وجميع اقسام السحر وانواعه لا فلاح فيها ومن ظاهره الى لا اكره ان اري احدكم سبهللا لا في امر دنيا ولا في امر اخرة ومعنى سبهلل التحقير ذهبت في جزيرة ومعنى حيث اني انما كان وانا سلك فالقي السحرة سجدا قالوا امنا برب هارون وموسى سبحان الله ما اعجب امرهم لقوا صاحبهم وعدوهم للكفر والجحود القوا وسيم بعد ساعة للتوبة والخوف اعظم الفرق بين الالقائين وقد انتهم لم يقولوا ربكم حتى زال الخشية والتباس الامر وقولهم ربكم اخرا عكس قولهم اولا حيث قالوا اولا امنا برب العالمين ثم قالوا اخرا امنا برب هارون وموسى لانه لما قال انا رسول رب العالمين فلا جرم قالوا امنا برب العالمين لانهم لما كشف فلان كذا فلان كذا فلا منافاة ولا التجاء ثم ان فرعون لعب لما تخيل واكره على ايمانهم والهى شبهه في تلبيس تركيبه ثم ان سحرهم اعدهم وزجر في الصناعة او معلمهم واستادهم عن قول اهل مكة للمعلم امرني كبيري اي استادي في العلم او غيرهم وادعاهم بقطع الايدي والارجل خلافا فان في الكشاف من لابتداء الغاية لان القطع مبتدأ وناشئ من مخالفة العضو لا من وقوعه اياه قلت لا ارى ان يقال عاد فيها بمعنى انعقد الحال لغير معنى بضم معنى لا يبتدأ اي لا تضعن ايديكم وارجلكم مبتدأ من اجلكم المختلفين يمينا وشمالا ما يكون الجار والمجرور في موضع الحال اي لاقطعنها مختلفات جهات يمين وشمال على اصولها والاصوب ان يقال هي على اصلها شبه تمكن المصلوب في الجذع بتمكن المظروف في الظرف اثبات الشيء لنفسه وهو غير عطف باقتداره وقهره وما الفرق بين لاعذبنكم ولاصلبنكم ان موسى مع الهيبة لان موسى لم يكن قط من التعذيب في شيء قلت يحتمل ان يريد بقوله ربنا الله تعالى ونفسه فقد ذكر ان هرون وموسى قال سبوحا بدأ بالله في قوله ان العدة

على من كذب نوك وفي قوله فليحتكم بعذاب بؤيده قول التحرير في جوابه والله خير وابقى ان نؤثرك لن نختارك على ما جاءنا من البينات البحر
الظاهر ان على آثر نظرنا او الواو للقسم وعلى هذا يجوز ان يكون على ما جاءنا بمعنى في ما جاءنا اي لن نميل اليك الى الخالة زهده وعلى الوجه الاول
نحوى الكلام لن نترك طاعة خالقنا والتصدق بمعجزات نبيه لاجل موالك فاقض ما انت قاض انما تقضي هذه الحيوة الدنيا
اي مدة الحيوة العاجلة وقرئ تقضي متبنيا للمفعول هذه الحيوة بالرفع اجراء للظرف مجرى المفعول به اتساعا امثل صمتم يوم الجمعة الحاصل
ان قضاءك فحكمك مختص بمدة حيوتنا الفانية والايمان وتورياتك لا يزول العقل يقتضي تحمل الضرر الفاني للفوز بالنعماء الباقية
والخلاص من العقاب الابدي وذلك قولهم انا امنا بربنا ليغفر لنا خطايانا قال الحسن سبحان الله قوم كفار ثبت في قلوبهم الايمان طرفة عين
فلم يعلم عندهم ان قالوا في ذات الله تعالى فاقض ما انت قاض وشاهد احدهم لبضعة اشهر ان ستين غلاما في زينة الملك كانوا اقرب
خطايا منهم عهدا ما اظهروه من التحرز قالوا وما اكرهتنا عليه من التحرز في هذا الاكراء وجوه عن ابن عباس ان الفراعنة كانوا يكرهون
فبانهم على تعلم السحر ليوم الحاجة فكانوا من ذلك الفبيل فدعوا انهم قالوا لفرعون ارناه ونحن نأتيك فعل فوجدوه بمجرد عصاه فقالوا لما
سحر السحرة حلان السحرة اذا نام بطل فانوا ان نعارضوه ومن الحسن انهم سحروا من الذين مكرهين وزعم عمرو بن عبيد ان وجوه السلطان اكراه
وليس بقوي فلا اكراه الا مع الخوف مخشيا وجد حكم الاكراه والا فلا وربما في الآيات ابتداء اخبار من الله او حكى من تتمة كلامهم فيرفوقان
لعل الاول اولى لما ترى لسان من يبادر حيث لا حكم الا موفيقط استدلال المعتمد حال كون الآتي مجرما فان له جهنم لا يموت فيها موتة
مريحة ولا يحيى حيوة مهنئة قالت المعتزلة صاحب الكبيرة مجرم وكل مجرم فان له جهنم بالآية لعموم الشرطية بدليل صحة الاستثناء فيحصل القطع
بوعيد اصحاب الكبائر اجابت الاشاعرة بان المجرم كثيرا ما يجيء في القرآن بمعنى الكافر كقوله يسألون عن المجرمين ما سلككم في سقر الى قوله وكنا
نكذب بيوم الدين ولا ريب ان التكذيب بالبعث والجزاء كفر وكقوله ان الذين اجرموا كانوا من الذين امنوا يضحكون الى آخر السورة فلم قلتم
ان المجرم ههنا ليس بمعنى الكافر فيبطل المقدمة الاولى سلمنا لكن المقدمة الثانية كلها ممنوعة على الاطلاق واتما هي كلية مشروطة بعدم العفو
وح لا يحصل القطع بالوعيد على الاطلاق سلمنا المقدمتين والنتيجة لكن معارض بعموم الوعد في قوله ومن يأته مؤمنا فان قيل صاحب الكبيرة ايم
بانه ومؤمنا عندنا قلنا يصدق عليه المؤمن الايمان صدقه في الزمان الماضي كما تقدم ان يصدق على من قد ضرب لبنة بين الحال والزمان الماضي
منافاة كلية وهذا صحيح جاء في زيد قد قام بل ضرح قوله قد عمل الصالحات واتما حال وتكاتمه قبل ومن يأته قد آمن قد عمل والمن قبل ان عفا
المعصية يحبط ثواب الطاعة قلنا ممنوع بل العكس ولان الدفع اسهل من الرفع واتما لهذا على انا نأتي في بعض الصور لاجل الجملة الا لاجل
التشكيل وقوله نكالا من الشخوص من لم يتب بعد من الشرفة سلمنا ان قوله ومن يأته مؤمنا لا يتم صاحب الكبيرة الا ان قوله قد ظلم
الدرجات العلى من الجنة لمن اتى بالايمان والاعمال الصالحات اي لواجبات لان الزائد عليها غير محصور فما لم تكن له درجات لا يكون
لغيرهم ومالهم الا العصاة من اهل الايمان ثم عظم شان المذكور بقوله وذلك جزاء من تزكى اي قال لا اله الا الله قال ابن عباس وفيه دليل على ان
قوله ومن يأته مؤمنا يشمل صاحب الكبيرة ولقد اوحينا الى موسى ان اسر بعبادي فاضرب لهم طريقا في البحر
قال الحرون تزكى او تطهر من دنس الذنوب

يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى فاتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم واضل فرعون
قومه وما هدى يا بني اسرائيل قد انجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب الطور الايمن ونزلنا
عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي ومن يحلل عليه
غضبي فقد هوى وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى وما اعجلك عن قومك يا موسى
قال هم اولاء على اثري وعجلت اليك رب لترضى قال فانا قد فتنا قومك من بعدك واضلهم السامري
فرجع موسى الى قومه غضبان اسفا قال يا قوم الم يعدكم ربكم وعدا حسنا افطال عليكم العهد ام اردتم
ان يحل عليكم غضب من ربكم فاخلفتم موعدي قالوا ما اخلفنا موعدك بملكنا ولكنا حملنا اوزارا من زينة

القوم فقد فتناهم فكذلك ألقى السامري فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقال هذا إلهكم وإله موسى
فنسي أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا ولقد قال لهم هرون من قبل يا قوم إنما
فتنتم به وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى
قال يا هرون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعن أفعصيت أمري قال يا بن أم لا تأخذ بلحيتي ولا
برأسي إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي قال فما خطبك يا سامري
قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لي نفسي قال
فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس وإن لك موعدا لن تخلفه وانظر إلى إلهك الذي
ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفا إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو وسع كل
شيء علما كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكرا من أعرض عنه
فإنه يحمل يوم القيامة وزرا خالدين فيه وساء لهم يوم القيامة حملا يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا يتخافتون بينهم إن لبثتم
إلا عشرا نحن أعلم بما يقولون إذ يقول أمثلهم طريقة إن لبثتم إلا يوما ويسألونك عن الجبال
فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا يومئذ يتبعون الداعي
لا عوج له وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن
ورضي له قولا يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب
من حمل ظلما ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما وكذلك أنزلناه قرآنا
عربيا وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقرآن
من قبل أن يقضى إليك وحيه وقل رب زدني علما القرآن لا تخف دركا بالهمز حمزة الباقون لا تخاف دركا
بغير همز أبو عمرو ونافع وابن ذكوان وعاصم وحمزة ووافق الباقون على الوقف بالألف وكذلك
ووعدنا وكذلك ورزقنا وعلى الوصل بحذفها حمزة وعلى وخلف ويعقوب فيحل ومن يحلل بضم الحاء فيهما على الأخرون بالكسر يملكنا بفتح الميم أبو جعفر ونافع وعاصم
غير المفضل بضمها حمزة وعلى وخلف بكسرها الباقون والمفضل على أصله بفتح الحاء والميم مخففة أبو عمرو وسهل ويعقوب وحمزة وعلى وخلف
وحفص الأخرون بضم الحاء وكسر الميم مشددة ينفخ بالياء الساكنة قنبل بالنون أبو عمرو وسهل ويعقوب والباقون بالنون أبو عمرو ونافع غير
إسماعيل الوصل وقف يزيد وإسماعيل بفتح الياء الباقون بضمها بالنون أبو عامر وحمزة وعلى وخلف وعاصم غير حفص لم نصبره
بياء الخطاب على وخلف الباقون على النون فتنبذها مدغما أبو عمرو وحمزة وعلى وخلف ويزيد وهشام وسهل لن نخلفه بكسر اللام ابن كثير

الوقوف

وابو عمرو ويعقوب لا يحزنون بفتحها الحزن بفتح الزاء وضم الزاء بدل الاخرون عن البحر فلا تخف بالجزم على النهي بزكيران يقضي بالنون منبنيا للفاعل وخبره بالنصب يعقوب بالياء مضمومة وبفتح الضاد وخبره بالرفع الوقوف بسيا لان قوله لا تخاف يصلح صفة للطريق مع حذف الضمير العائد اي لا تخاف فيه ويصلح مستانفا ومن قرأ لا تخف فهو جواب لعدد العاطف ووقوع الحال مع تعقب النهي الامر الا ان يكون جوابا للامر فلا يوقف ولا يحسن ما عشيهم لان التقدير وقد اضل من قبل على الحال الماضية دون العطف لانه عند ما عشيهم لم يقع الاضلال وما هدى والسلوى عضين هوى اهتدى يا موسى لن نرضى السامري انفا الانسان في الماضي على لما مضى بلا ناسوخ سناط مومن السامري لا تمسني مساس قولا للعطف ولا نفعا فنتم للابتداء بان مع اتصال العطف امري موسى الا تتبعن ط امري راسي للابتداء بان مع اتصال المعنى واختار الفاء بل قولي يا سامري يمسى مساس من تخلفه لاختلاف الجملتين غاكفا للفتم المحذوف الا هو عالمين للاستيناف والحال كراه لان الشرطية تصلح صفة للذكرة وتصلح مستانفا بها وزهدا لان قوله خالدين حال من الضمير في عمل وهو عائد الى من ومن للجمع معنى فيه حملا لان يوم ينفخ بدل من يوم القيمة وزرقا لان ما بعده يصلح للصفة وعلا سنينا عشرا يوما سفنا صفصفا امتا لا عوج له لا اختلاف الجملتين همسا قولا عالما القيوم ظلما هضما تزاور تجيد لعطف الجملتين المتفقتين مع اعراض الطرف وما اضيف اليه عالما التفسير هذا شروع في قصة ابتداء بني اسرائيل اهالك عادهم وقد تقدم في البقرة وفي الاعراف وفي يونس ومعنى فاضرب لهم طريقا اجعل لهم من قولهم ضرب له في ماله سهما وضرب اللبن عملها واراد بين لهم طريقا في البحر بالضرب بالعصا حتى يتعلق فعل الضرب بالطريق ثم بين ان جميع الامر حاصل في ذلك الطريق اليبس مصدر وصف به ومثله اليهيم ونحوها العدد والعدد ويوصف به المؤنث لذلك فيقال ناقة يبس اذا جفت لبنها والدرك والدرك اسم من الادراك اي لا يدركك فرعون وجنوده ولا يلحقونك وفي لا تخشى اذا قرئ لا تخف الوجه هو الاستيناف اي وانت لا تخشى جوز في الكشاف ان يكون الالف للاطلاق من اجل الفاصلة كقوله وتظنون بالله الظنونا وان يكون كقول الشاعر كان لم ترى قبلي اسيرا ايمانيا اراد لم تر الا ما فعله وتضحك مني شيخة عبشمي قلت لعل هذا انما يجوز في الضرورة ولا ضرورة في الاية فانهم فرعون الخوهم جنوده او شيعهم ومعه جنوده كما مر في يونس فغشيهم اي علاهم ودهمهم من اليم ما غشيهم وهذا من جملة ما هو علم في باب الابهام لدلالته على انه غشيهم ما لا يعلم كنهه الا الله وقد سلف ضفي السور المذكورة ما حكي عن الاخبار وروي في الاثار وتسبب الاضلال الى فرعون لانه انتهى الكل الى ارادة الله ومشيته وقوله وما هدى تاكيد للاضلال وفيه تهكم بر في قوله وما اهديكم الا سبيل الرشاد ثم عدد ما انعم به على اسرائيل ويجوز ان يكون خطابا للنبي او للمعاصرين لان التنعم على الاباء تنعم في حق الابناء ومثله قوله وواعدناكم جانب الطور الايمن اي الواقع على يمين من انطلق من مصر الى الشام لان منقعر الواعدة غادن لهم وان كانت المواعدة لنبيهم فكتب التوراة في الواح قام عشر واستقام امرهما شهم ومعادهم كلوا من تنهر الفول وطغيانهم في الترزق وتشغلهم للهو والتنعم عن القيام بشكرها وبعد واحد درات الله بها بالاسراف والتفتير والغضب من قرا فيحلل الكسر فمعنى الوجوب من قولهم حل الدين يحل اذا وجب اداوه ومن قرا بالضم فمعنى النزول نزول شابحه من العقوبات والنكالات ومعنى هوى هلك واصله السقوط من مكان عال كالجبل وقيل هوى اي وقع في الهاوية سوال كيف اثبت المغفرة في حق من استجمع التوبة والايمان والعمل الصالح والمغفرة انما يتصور في حق من ذنب اجيب بان معنى قوله ثم اهتدى بعد الاوصاف المذكورة والاهتداء انما يكون قبلها الا انه لما كان معها الجواب اراد واتى لغفار لمن تاب من الكفر وامن وعمل صالحا وهذا دليل لمن ذهب الى وجوب تقديم التوبة من الكفر على الايمان والحاصل ان الغفران معود الى الذنوب السابقة على هذه الامور ويجوز ان يراد انه اذا تاب من الكفر واقبل على الايمان والعمل الصالح فان الله يغفر الصغاير التي تصدر عنه في خلال ذلك كقوله ان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم واما الاهتداء فالمراد به الاستقامة والثبات على الامور المذكورة كقوله ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ومعنى ثم الدلالة على تباين المرتبتين فان المداومة على الحد مما صعب من الشروع فيها كما قيل لكل شيء والعلى حركات ولكن عز في الرجال ثبات ونظير هذا العطف قوله واهلكنا ها بما سناد فقد الحبيب مهرز ان موسى قد مضى مع النقبا السبعين الى الطور على الموعد المضروب ثم قدموا شوقا الى كلام ربهم وتخبرها وعدم بناء على احيائه وظنوا ان ذلك اقرب الى رضا الله فانكر الله تعالى فقده فاقبل وما اعجلك عن قومك اي شيء عجل بك عنهم فالمراد بالقوم بالنفي الاجمع قومه على ما توهم بعضهم تؤكده قوله هم اولاء على اثري ولم يكن جميع قومه على اثره قال جار الله قد تضمن ما اتهمه به ربك لغرة شيئين احدهما انكار العجلة في نفسها والثاني السؤال عن سبب التقدم فكان ام الامر الى موسى تمهيدا لعذر من العجلة نفسها فاعمل بامرك يوحد مني الاقدام بسير ليس بيني وبينهم الا مسافة يتقدم بمثلها الوفد رؤساءهم وصفوتهم ثم عقبه بجواب السوال عن السبب فقال وعجلت اليك رب لترضى اي طلبت دوام رضاك عني او مزيد رضاك بناء على احتمال ان التعجيل الى مقام المكالمة والدنو من ذلك يوجب مزيد الثواب الكرامة وقيل لما انكر عليه الاستعجال رهش خوفا من العقاب فتغير في الجواب قال فانا قد فتنا قومك يعني جميع قوم الذين خلفهم مع هرون وكانوا ستمائة الف ما بين عشرين سنة فما فوقها ممن يعد للقتال الا اثنا عشر الفا برد ثم افاموا بعد

مفارقة بعشرين ليلة وحسبوها اربعين مع ايامها وقالوا قد كملنا العدة ثم كان امر العجل بعد ذلك فسئل اتدبر كيف قال لموسى هذه فقد
اتانا قد فسأله وسلمت واجيبت تدبر على عادة الله تعالى في اخباره عن الامور المترقبة بلفظ الماضي تحقيقا للوقوع او اراد بهذه الفتنة ان السامري افتتن
عنده موسى فعزم على ضلالة قومه عن ظاهر ولقائل ان يمنع كون هذه الاخبار عند مفقد موسى بل العلم عند رجوعه بدليل فاء التعقيب
في قوله فرجع موسى قال جار الله انه رجع بعد ما انقضى الاربعين ذي القعدة وعشر من الحجة واوفى انوار تبوك وسامري منسوب الى قبيلة من
اسرائيل يقال لها السامرة وقيل السامرة قوم من اليهود نجا لقولهم في بعض تيههم وقيل كان عجلا من كريان واسمه موسى من طفر وكان منافقا
وكان من قوم يعبدون البقر فالف لهم هذه الفتنة بمعنى الاضلال لا يجوز ان ينسب الى الله تعالى لانه بنا فمن قولهم راضلهم السامري وانما الفتنة
بمعنى الامتحان بالتكليف ومنه فتنت الذهب بالنار سميت بذلك لان السامري لما اخرج لهم العجل ضارة مكلفين بان يعتقدوا ان حيوانا جماد
الاجسام على ان العجل لا يصلح للالهية وقال الاشاعرة التهمة في كون النفس والقمر لها اعظم من العجل الذي له خوار وهو جسد من الذهب يجوز
لا يكون حد ذلك العجل تشديدا في التكليف فلا يكون فتنة من هذا الوجه ويجب حمله على خلق الضلال فيهم واجاب اصحابنا الضلال
الى السامري بان جميع المسببات العادية يضاف الى اسبابها في النظم وان كان الموجد لها في الحقيقة هو الله تعالى قال بعضهم الاسف الغضب وقرن
بين الاعتبارين والغضب ان لغيظ تغير يحول المعتاظ فلا يصح الا على الاجسام والغضب قد يراد به الاضرار بالمغضوب عليه فلهذا اتبع ظاهر على الله
سبحانه ثم عاتب موسى قومه بما مؤداه قوله الم يعدكم ربكم وعدا حسنا كانهم كانوا معترفين بالرب الاكبر لكنهم عبدوا العجل على التاويل الذي
تذكر عبدة الاصنام اوعلى تاويل الحلول والوعد الحسن هو انزال التوراة الخ فيها هدى ونور وقيل هو الثواب على الطاعات وقيل ناداهم
عن مجانبة هذا العهد المذكور من قوله ولا تطغوا فيه الى قوله ثم اهتدى وقيل وعدهم اهلاك فرعون ووعدهم ارضهم وديارهم وقد حصل
وضعها قوله افطال عليكم العهد اريد مدة مفارقتهم وعدوه ان يقيموا على امره بانزكهم عليه من الايمان فاختلفوا في موعده بعبادتهم
العجل وقيل الدعهد لهم بعلم شئتم من الاخبار بخبره والاكثرون على الاول لما تاثر وعدهم ثلثين كما امر الله تعم وواعدنا موسى ثلثين ليلة
فجاء بفصل الاربعين لقوله تعم وانهما بعشر فهما وفي انهم حسبوا العشر اربعين وقيل لم اراد انتم ان يحل عليكم غضب من ربكم قالوا هذا
لا يمكن اجراؤه على الظاهر لان عدم الارادة لا يريد هلاك نفسه ولكن لم يعصه وهو خلاف الموعد لما كان يوجب ذلك صح هذا الكلام لان مريد الشيء
مريد للمسبب بالعرض فصح العطف بالاية وما هو من قوله فاخلفتم موعدي عليكم غضب ان الغضب من صفات الافعال لا من صفات الذات لان صفة الذات لله
تعالى لا يتنزل في شيء من الاجسام وموعد موسى هو ما ذكروا من انهم وعدوه الاقامة على دينه الى ان يرجع اليهم من الطور وقيل وعدوه التحامل
بر والمجري على ثروة قالوا اما اخلفنا موعدك بملكنا بالحركات الثلثة اي بان ملكنا امرنا ولكنا امرنا وخلينا وراينا الخلفنا ولكن غلبنا
من جهة السامري وكيده والظاهر ان القائلين هم عبدة العجل وقيل انهم الذين لم يعبدوا العجل وقد يضيف الرجل فعل قرينة الى نفسه مكانهم
قالوا البشاشة توبت على عبدة العجل ما يفيد رواعلى ضعفهم ولم يقدروا انكم على خطا لفهم حذرا من التفرقة وزيادة الفتنة ثم ان القوم بينوا وجه
العذر بالحمل فقالوا ولكنا حملنا اوزارا من زينة القوم اي اثقالا من حلي القبط كما مر في الاعراف وقيل الاوزار الاثام وانها في الحقيقة اثقال
مخصوصة معنوية سموا بذلك لان الغنائم لم تحل لهم ولانهم كانوا مستامنين فحاربوا وليس للمستامن ان ياخذ فاحل الحربي
وقيل ان تلك الحلي كان الغلبة تبوئوها في مجامع الكفر ومجالس المعاصي فلذلك صدقت بانها اوزار كما يقال في الاثاث انها هي نقدوها
اي في الحفرة كان هرون امرهم بجمع الحلي لانتشار القوم موسى او في موضع امرهم السامري بذلك اعتقادا منهم ان ذلك الفعل السامري مثل فعلنا
اراهم انه يلقي حليا في يده مثل ما القوا وانما القى التراب الخ احدها من موطئ حافر فرس جبرئيل كما يجيء في قوله فقبضت قبضة من اثر الرسول
فنبذتها فاخرج لهم عجلا جسدا له خوار قد مر في الاعراف فقالوا اي السامري ومن تبعه هذا الهكم والهموسى فنسي هو ان يطلبه ههنا فذهب
ان يطلبه عند الطور وفسي السامري وترك ما كان عليه من الايمان الظم او نسي الاستدلال على ان العجل لا يجوز ان يكون الها بقوله افلا يرون
الا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا وقرئ الا نصب على تنها التاصيته قال العلم ظهور الخوارق على يد مدعي الالهية جائز لانه لا يظهر
الا لتباس وههنا كذلك فوجب ان لا يمنع خلق الحيوة في صورة العجل ورد عكرمة عن ابن عباس ان هرون مر بالسامري وهو يصنع العجل فقال ما تصنع
فقال اصنع ما ينفع ولا يضر فادع لي فقال اللهم اعطه ما سالك فلما مضى هرون قال السامري اللهم اني اسالك ان يخور فخار وعلى هذا التقدير
يكون معجزا للنبي لا للسامري ثم انه سبحانه اخبر ان هرون لم يال نصحا واشفاقا في شان نفسه وفي شان القوم وقبل ان يقول لهم السامري ما قال انما
شفقته على نفسه فهي انه ادخلها في زمرة الامرين بالمعروف الناهين عن المنكر وانما مثل نفسه وفي شان القوم قبل ان يقول لهم السامري
ما قال انما شفقته على نفسه فهي انه ادخلها في زمرة الامرين بالمعروف الناهين عن المنكر واما خيفة حين قال لهم يا قوم انما فتنتم به قال جار الله كانه لما
ما وقعت عليه ابصارهم حين طلع من الحفرة فتنوا به واستحسنوه وقيل ان يطلق السامري باده هرون فزجرهم عن ذلك واما ان هذا من جملة
الفتن ثم دعاهم الى الحق بقوله وان ربكم الرحمن ومن فوائد تخصيص هذا الاسم بالمقام انهم ان تابوا عما عزوا عليه فان الله يرحمهم ويقبل توبتهم
ثم ان الوسيلة الى معرفة كيفية عباده الله هو اتباع النبي وطاعته فقال فاتبعوني واطيعوا امري وهذا ترتيب في غاية الحسن واعلم ان المنعم

في الزمان الذي

الشفقة على خلق الله اصل عظيم في الدين وفاعله مثيب وروى النعمان بن بشير عن النبي ﷺ مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم مثل الجسد اذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى وبه يرد بان رسول الله ﷺ بينما هو جالس اذ نظر الى شاب على باب المسجد فقال ان اراد ان ينظر الى رجل من اهل النار فلينظر اليه فنهض الشاب توني وقال اللهم وسيدي هذا رسولك يشهد على نفسه وعلى اهل بيته انا من اهل النار وانا اعلم انه صادق فاذا كان الامر كذلك فاسأل الله ان يخلصني فداء منه وشفقة على خلقه حتى يرد نفسه ولا يسمع النار احد فهبط جبريل وقال يا محمد بشر الشاب بانه قد انقذه الله من النار بفضل شفقته عليك ورفقه بامتك وشفقته على الخلق قال اهل السنة فيها ان الشيعة يمسكون بقوله انت مني بمنزلة هرون من موسى ثم ان هرون ما منع التقية في مثل ذلك الجمع بل صعد المنبر وصرح بالحق ودعا الناس الى متابعته فلو كانت التقية عامة في كل الخطا لكان يجب على قوم الله وحجته ان يفعل ما فعل هرون من عدم التقية وخوف الشيعة ان يقولوا ان هرون صرح بالحق وخاف وسكت وانما عاتب موسى بما عاتب فاعتذروا بان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فهكذا على اصنع او لا من الشيعة فلما آل الامر الى ما آل اليه امرهم ما سألوا وانما قلت هذا على سبيل الحجة لا لاجل التعصب فان القوم قالوا احسن موعظة هرون بالتقليد والحجو قالوا ان نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى ولا يخفى ما في هذا الكلام من انواع التوكيد من جهة النفي بلن ومن لفظ البراح والعكوف ومن صيغة اسم الفاعل ومن تقديم الخبر المشعر بالحصر حكى تعالى انه جرى بين موسى وهرون بعد الرجوع وقوله ما منعك اذ رأيتهم ضلوا الا تتبعن كقوله ما منعك ان لا تسجد ان لا هذه مزيدة ام لا وقد مر في الاعراف وفي هذا الاتباع قولان فعن ابن عباس ما منعك من متابعتي ممن اطاعك والحرف في ترك الملقا بين اظهرهم وقال مقاتل اراد الاتباع في رضيته كانه قال هلا قاتلت من كفر بي من قومك لانك لا تباشر الامر كما كنت اباشره قال الاه ولتقولن في قوله افعصيت امري دلالة على ان تارك المأمور به عاص في العاصي يستحق العقاب لقوله ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم فيعلم منه ان الامر للوجوب ولفتح التاء عون في عصاني لانباء بان موسى اهل امر هرون بالباعه الا وعلى التقدير يكون هرون بتعداه الا فان لم يأمره او امره لكن اتبعه فلا منه لهرون ان يعتذر بما يكون ذريعا وان امره ولم يتبعه كان هرون عاصيا وايهم قوله افعصيت استفهاما بمعنى الانكار فما الذي حمل موسى كاذبا في تبرئة العصيان الى هرون وانما ان يكون هرون عاصيا وايهم اخذه بلحية هرون ورأسه ان كان بعد الحث والتفتيش عن هرون عاصيا فلا موسى في جانب كان ذلك ورأى جنايته حيرة الحيا او هي من باب قتل الاولاد وقد مر في اوائل البقرة في قضاء ما فاتك في هذا السؤال قوله ولم ترقب قولي في صيتة لك بحفظ الدهما واجتماع جمع التمثل بقوله مثلي حشيت ان تقول فرقت قال الامام ابو القاسم الانصاري هذا يرتفع من لدن لا لانه فات التحرز فاراد الانتحرز واحدة فامنوا وتحاموا في الدين ما تحاموا واما قوم موسى فوقفوا واذلوا مع زيادة تسع الايات التسع ومع غزوا بصنوا العجل وعكفوا على عبادته وعرفنا ان الغرض لا يحصل الا بعد اتيان الله تعالى لما فرغ موسى عن امر هرون اقبل على السامري ويمكن ان يكون بعيدا ثم حضر او ذهب الى موسى ليخاطبه فاجاب الله الخطب فصدر خطاب الامر اذا طلبه فاذا قيل لمن يفعل شيئا ما خطبك فمعناه ما طلبك لهذا الفعل والغرض منه الانكار عليه وتعظيم صنيعه قال ابو السامري بصرت بما لم يبصروا به قال ابن عباس ورواه ابو عبيدة علمت بما لم يعلموا به من البصيرة بالعلم يقال للعالم بصير وابصر قال ابن عباس وقرأ ابو مسلم اقبض بالضاد المعجمة من القبض وهو الاخذ بجميع الكف عامة القبض على ان المراد بالرسول جبريل وانما اضافه الى نفسه لانه اخذه من موضع طاهر وابته واسمها حيزوم فرس الحيزوم ومتى راه الاكثرون على انه راه يوم فلق البحر كان جبريل على الفرس وفرعون على حصان وكان لا يدخل البحر فتقدم جبريل منتصبا فرس فرعون وعن علي ان جبريل لما نزل ليذهب بموسى الى الطور ابصره السامري من بين الناس وكان راكب فرس وهم فقال ان لهذا شانا فقبض من تربة موطئ فرسه فلذلك اثر الرسول المرسل اليك يوم حلول المعاقم من المفسرين من جوز ان البصيرة السامري لم يعرف انه جبريل ومنهم من قال انه عرفه عن ابن عباس انما عرفه لانه رباه وصغره وحفظه من القتل حين امر فرعون بقتل كل ولد ذكر من اولاد بني اسرائيل فكان امرأة تلد وتطرح ولدها حيث لا يشعر بها فرعون فاخذ الملائكة الولد ان يمرون بهم حتى ترعوا وتغاطوا بالناس فكان السامري يأخذه جبريل ويجعل كف نفسه في فيه فيرضع منه العسل والماء فلم يزل يختلف اليه حتى عرفه وقال ابو مسلم الملاقي الرسول على جبريل في هذا المقام من غير قرينة تكليف بعلم الغيب انما تخصيص السامري من بين الناس برؤية جبريل وتمييزه فخاصية ترابية فاورثته ان لا يخلو عن بعثة لو جاز الملاع بعض الكفرة على اسرار هذا شانه فلقائل ان يقول لعل موسى اطلع على شيء آخر لاجله قدر على الخوارق فالاولى ان يراد بالرسول موسى فقد يواجه الحاضر بلفظ الغائب كما يقال ما قول الامير في كذا ويكون طلاق الرسول منه على موسى نوعا من التهكم لانه كان كافرا بمكذبا واراد باثره سنته ودينه من قولهم فلان يقفو اثر فلان اي عرفت ان الذي عليه الامير مجنون وقد كنت فيصت شيئا من سنتك نظرت منها فعلى قول الفاء تكون قوله كذلك سولت لي نفسي اشارة الى ما اوحى الله به الى السامري ليبرر الشيطان ان تلك التزيين اتى على الجماد صاحبوا وعلى قول ابي مسلم يشير الى ان اتباع اثر الرسول كان من تسويلات النفس الامارة فلذلك تركته ثم ان موسى ان لم يعفو في الدنيا وعفو في الاخرة وروي انه اراد ان يقتله فمنعه الله من ذلك وقال لا تقتله فانه مني وانا منه وقوله لا مساس وجوه الاول انه حرم عليه مماسة الناس لا تراد اتفق ان يماسه احد حم الماس والممسوس فلذلك اذا راى احدا صاح لا مساس وبقيا

ان نوحه بان بهم ذلك الى الارتداد ان المراد بمنع الناس من مخالطتهم قال مقاتل ان موسى لما خرج من مجلس شعيب وقال الله اخرج الى اهلك طويلا الى البراري اعرض لو تتكل عليه ربات الرحيل اذا ما شئت سهولا فلا يقول سهولا مساس وانما يقال لذلك وجيبا ان معنا على هلكة بتاي اجعلك باسا وتربي بحيث اذا الخبر تخيالك لم تقل الا امساس وقال ابو مسلم ان المراد انقطاع نسله وان يخبر بانه لا يمكن لمسانه المرأة اي مجامعتها واما حاله في الاخرة فذلك قوله وان لك موعدا لن تخلفه قال ابن عباس رضي الله عنهما فو الذي لا اله الا هو ما اخلف موعده واحدا خلقا ثم بين ما حال له فقال وانظر الى الهك الذي ظللت عليه عاكفا اي ظللت نحن حتى الالتين تحيف الحرفة من الاحراق نفيرا ليل علم انه صار رمادا وسالان لنذهبنه لنحرقنه بالنار ونذرينه في اليم قال السدي امر موسى بن يحرقه فاخذ الذهب ثم احرقه ثم نسفه وذاره في الريح نسفا ثم قال تعالى انما الهكم الله الذي لا اله الا هو وسع كل شيء علما قد مر تفسيره في الانعام قال مقاتل اي يعلم من يعبده وحين فرغ من قصة موسى في تثبيت سولنا ص قال كذلك اي مثل ما قصصنا عليك قصة موسى وفرعون والسامري نقص عليك من سائر اخبار الرسل مع امهم تكثيرا لمعجزاتك ثم عظم شان القرآن بقوله وقد اتيناك من لدنا ذكرا اي ما ذكرنا فيه كل ما يحتاج اليه المكلف في دينه وقد زيناه والوزر المعقوبة الثقيلة التي تثقل ظهر صاحبها والمراد جزاء الوزر وهو الا ثم خالدين فيه اي في ذلك الوزر او في حمله وساء فيه مضمر مبهم يفسره حملا والمخصوص بالذم محذوف تقديره ساء حملا وزرهم واللام في لهم تبيين كما في هيت لك ويجوز ان يكون شيء يتبع ويكون في تغيير الوزر والتنصيص على التمييز بهم حال من حمل لا من وزر ثم الكوة صاحب الكشاف النفخ الان يمنع وقوع الحال من التمييز وفيه نظر قال ابن السكيت جعل ما نفخ ما كان في بطن وعلى راس شجرة وبالكسر ما كان على ظهر وراس في الصور قولان اشهرهما انه القرن يؤيده قوله فاذا نقر في الناقور والثاني ان الصور جمع صورة كسورة وسور والنفخ فيها عبارة عن اعادة الارواح الى الاجساد كما ان النفخ في البوقات عند الاسفار وفي العسكر جعل الناس احياء بعد ان كانوا امواتا والاول اظهر لان النفخ في الالات لاعلام المطلوب اكثر منه لاعادة الاموات وانما جاز ان يعبر عن الجمع بصورة مفردة من حيث انها تراد ويقال صورة وصور كذرة وذر والنفخ ينفخ الروح فيها والكتبة يرد عليه ان النفخ يتكرر فلم يتعلق ثم نفخ فيه اخرى للاحياء كما تكرر بعد الموت الا ثابت من سؤال القبر وما بين هو مراد من النفخة الاولى والثانية اربعون عاما وعشر فجر ابن عباس عن الذين انخفت اصواتهم الا خرق قالت اعمارهم الكفار والعصاة من الزرق وجوه قال الخفاجي وقال مقاتل ان لون زرقة بعض شيء من الوان العيون الى الغبرة لان الروم اعداؤهم وهم زرق العيون ومن كلامهم في وصف العدو اسود الكبد اصهب السبال ازرق العين وقال الكلبي زرقا اي عميا قال الزجاج يحشرون عميا عن رؤية كل شيء الا عن رؤية بعضهم بعضا ويختص هذا بالابصار لقوله انه كان اية فتروها الى العيون ان حدقة من يبعث تبيض زرقا ويقال زرقا اي عطاشا كقوله ورد وقوله تعالى لا يرتد اليهم طرفهم وافئدتهم هواء حكاه الطبري عن ابن عباس وقال الاخفش يتخافتون يتسارون بينهم لغاية خوفهم لانه امثلات شدته رعبا وهو لا يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا لانها ايام سرورهم وتنعمهم وانما لانها قد انقضت والذاهب قليل وان طال ولا سيما بالقياس الى الابد السرمد كان ظهم يقولون قد دنشنا في الدنيا بالنهار الى الليل او الى العشي او الى الضحى او الى الغد او الى بعد غد فلذلك قال يلبثون الا عشرا اي عشرة ايام فقال اعلمهم بلبثا ان يوم القيمة اشد هولا وانما قال عشرا لان المراد عشر ليال وقال مقاتل لا يلبثون الا عشر ساعات اي بعض يوم وعلى هذا فانما ردد عليهم استقصارهم وقيل المراد بقولهم في القبور قال افضلهم وهو اعدلهم طريقة ان لبثتم الا يوما واحدا فلذلك قال ان لبثتم الا يوما وانما قال عشرا لان الليالي اسبق من الايام في التاريخ ولان الليل اخفى للاهوال والايام مشهودة ولان الليالي ظروف الايام وقيل لان الليالي تتخللها الايام فكانها عشر ايام وقيل لان الليالي عشر لان الشهر يستدير بها وقيل لان الليالي عشر لان الشهر ينقص عشرا ويتم عشرا فكانت اكثر من ال

وان ينصب الظن وحق الاقدام الى المحشر قوله الا لمن اذن له الرحمن يصلح ان يكون من منتصبا على المفعولية وان يكون مرفوعا على البدلية بتقدير
حذف المضاف اى لا تنفع الشفاعة الا شفاعة من اذن له الرحمن ومعنى اذن اى لاجله قولا قال الامام فخر الدين الرازى الاستثناء الاول اولى
لعدم التزام الاضمار ولان درجة الشافع رفيعة فلا تصلح ولا تحصل الا لمن اذن فيها وكان عند الله مرضيا فاوجدنا الاية على ذلك
كان من ايضا الواضحات بخلاف ما لو حملت على المشفوع وانول الاحتمالان متنافران بان نقول لان المشفوع لا يقبل الشفاعة فى حقه
الا اذا اذن الرحمن لاجله ينعود الى انشائى قالت المعتزلة الفاسق غير مرضى عند الله تعالى فوجب ان لا ينتفع بشفاعة الرسول والحبيب لانه قد رضى
لاجله قولا واحدا وهو كلمة الشهادة قالوا هب ان الفاسق قد رضى الله قوله لاجله فلم قلتم ان الاذن حاصل للشافع فى حقه والجواب انا ايم
نمنع من ان الاذن غير حاصل فى حقه على انه قال فى موضع اخر ولا يشفعون الا لمن ارتضى فلم يعتبر الا احد القيدين ثم اخبر عن نهاية علمه بقوله يعلم
ما بين ايديهم الضمير للذين يتبعون الداعى اى يعلم ما يقدمهم من الاحوال وما يستقبلونه ولا يحيطون به علما وقال الكلبى وقتادة
الضمير يرجع الى من اتخذ من الملائكة والانبياء كما مر فى اية الكرسى وفيه نظر لان من يعبد الملائكة لا يشفعون الا لمن ارتضى والله يعلم ما كان قبل خلقهم وما كان
منهم بعد خلقهم من امر الاخرة والثواب والعقاب وانهم لا يعلمون شيئا من ذلك فكيف يصلحون للمعبودية ثم ذكر غاية قدرته عز وعلا
الوجوه اى ذلت وقهرت الممكنات منقادين لامره كالاسارى عنا يعنو عنوا اذا اسر وقيل اراد وجوه العصاة فى القيامة كقوله تعالى
وجوه الذين كفروا واللائق بالوجوه بالذكر لان اثر الذكر والانكسار فيها ابين واظهر قال جار الله وقد خاب ما بعده اعتراض اى كل
من ظلم فهو خائب خاسر وكل اهل التنزيل يخصون الظلم ههنا بالشرك او بما رضوا لهذا العموم بعقوبة الوعد من قرأ فلا يخاف بالرفع
فعلا لا شيئا اى فهو لا يخاف كقوله فيتقم الله منه ومن قرأ فلا يخف فمعناه فليس من له لان النهى عن الخوف امر بالامن من منشئه
الظلم بانه لا احد يوفى حقه والهضم النقص من حقه كصفة المطففين فيقدر مضافا محذوفا اى فلا يخاف جزاء ظلم ولا هضما اى
لم يظلم ولم يهضم ومن فسر الظلم بانه العقاب لا على جريمة والهضم بانه النقص من الثواب فلا يحتاج الى تقدير المضاف قال ابو مسلم الظلم
ان ينقص من الثواب والهضم ان لا يوفى حقه من التعظيم لان الثواب مع كونه من اللذات لا يكون ثوابا الا اذا اقارنه التعظيم قال
جار الله وكذلك عطف على قوله لكل نفس اى ومثل ذلك الانزال وعلى نحو ما انزلنا سليل هؤلاء المضمنة للوعيد انزلنا
القرآن كله عربيا لان العرب افصل وعيزهم نبع لان النبى عربى وصرفنا فيه من الوعيد كررناه وفصلناه وبينا فى ضمنه الفرائض
والمحارم لان الوعيد يتعلق بترك احدهما وبفعل الاخر لعلهم يتقون او يحدث لهم ذكرا حمل جار الله الاول على اراده ترك لما
والثانى على فعل الخير والطاعة لان الذكر قد يطلق على الطاعة والعبادة فلك ان تقول ان القرآن ينفر عن الشر ويبعث على الطاعات
من حيث ان فهم معانيه يؤدى الى ذلك وانما قدم الاول على الثانى لان التخلية مقدمة على التحلية ويحتمل ان يكون التقوى عبارة عن
فعل الخيرات وترك المنكرات جميعا والذكر يكون محمولا على صدد التسبب اى ان شيئا من الترك والافعال لا يحدث ذكرا ما تاما
معانيه وكلمة او على الاول للتخيير والاباحة لا للشك وعلى الثانى يجوز ان يكون للشك وقيل اراد انزلنا القرآن ليتقوا فان لم يحصل
فلا اقل من ان يوجب القرآن لهم ذكرا اى شرفا ومنصبا كقوله وانه لذكر لك ولقومك وعلى التقدير يكون فى انزال القرآن دفع عظم
شان القرآن من وجه اخر وهو عظم شان منزله فانه تعالى الله الملك الحق ارفع صفاته عن صفات المخلوقين انزل القرآن لكى يحذروا
عما لا ينبغى وانزه عن الاغراض والاعواض لا انتفاع ولا انتفاع بطاعاتهم ومعاصيهم ومعنى الحق قد مر فى البسملة قال جار الله عند اسناد ظاهر لم ولما يتصرف
عليه عما من اوامر ونواهيه ووعده ووعيده والاداره بين ثوابه وعقابه وغير ذلك كما يجرى عليه امر ملكوته قال ابو مسلم ان قوله
ويسئلونك عن الجبال الى وهم ههنا كلام تام وقوله ولا تعجل خطاب مستانف وقال الجبائى ان صلى الله عليه كان يخاف ان ينسى شيئا فيقرء مع الملك فانه تعالى بين شرح كيفية نفع القرآن للمكلفين وبين انه سبحانه ما علل انتفاعهم بالقرآن بتذكرهم الطاعات والمعاصى وانه موصوف
بالملك القديم والقدرة الباهرة وكل من كان كذلك وجب ان يصون رسوله عن السهو والنسيان فى امر الوحى وما يتعلق بمصالح المعاش والمعاد
قال الاصم لا تعجل بالقرآن لانه يحصل لك الامان من السهو والنسيان من قبل ان يقضى اليك وحيه اى من قبل ان يتم نزول جبريل ونحوه قوله
ولا تحرك به لسانك لتعجل به قال مقاتل والكلبى ولم يكن عباس فى رواية عطاء وقال مجاهد وقتادة اراد ولا تعجل بالقرآن فتقراه على اصحابك
من قبل ان يوحى اليك بيانه اى لا تبلغ ما كان مجملا حتى يبين لك وقال الضحاك اتاه اهل مكة واسقف نجران فقالوا يا محمد اخبرنا
عن كذا وكذا وقد مضى لذلك احد وثلثون يوما ولم يوح عليه وشق المقالة ان الله قد غلبنا فنزلت هذه الاية اى لا تعجل بنزول
القرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه من اللوح المحفوظ الى اسرافيل ومنه الى جبريل ومنه اليك عن الحسن ان امرأة اتت النبى فقالت
زوجى لطم وجهى فقال بينكما القصاص فنزلت الاية فامسك رسول الله عن القصاص وانما نشأ هذه الاقوال لان قوله ولا تعجل بالقرآن يحتمل
التعجيل بقراءته فى نفسه او فى تاديته الى غيره او فى اعتقاد ظاهره او فى تعرف التغير بقضية النظم وقوله من قبل ان يقضى اليك وحيه
احتمل ان يراد من قبل ان يقضى اليك بيانه تماما او من قبل ان يقضى اليك بيانه فقد يجوز ان يحصل عقيب استثناء او شرط او غيرهما

من المخصصات

من الخصوصات البيّنات ويؤكد هذه المعاني قوله وقل ربّ زدني علما لان معرفة البيّنات علم زايد على معرفة الاجمال والتكوان هذا وان كان امرا جهاريا وكان الاولى تركه فلذلك نهى عنه قال جار الله لهذا الامر متضمن للتواضع لله والشكر له عند ما علم من ترتيب التعلم اي علمتني يا ربّ لطيفة في باب التعلم واريدا جميلا ما كان عندك فزدني علما الى علمك ومن فضايل العلم ان النبيّ ما امر بطلب الزيادة في شيء الا في العلم وفيه اشارة الى ان اسرار القرآن غير متناهية اللهم ان هذا العبد الضعيف معترف بقصوره ونقصانه كما فاسالك بما سالك به نبيك ان ترزقني بمتابعته علما ينفعني في الدارين التاويل ولقد وحينا الى موسى ان اسر بعبادي وهم صفات القلب من الاخلاق الحميدة سر بهم من مصر البشرية الى بحر الروحانية فاضرب لهم بعصا الذكر طريقا يبسا من ماء الهوى وطين الصفات الخبيثة ويا في التاويل كما مر في يونس وتركنا عليكم من صفاتنا وسلوى اخلاقنا فاتصفوا بطيبات اخلاقنا ولا تطغوا فيها فتسلب اسرار الروحية الى عزلتكم قال انا الحق وسبحاني فان الحالات لا تصلح للمقالات واني لغفار لمن رجع عن الطغيان واسن بالروحية وعمل صالحا في مقام العبودية ثم اهتدى فتحقق ان حضرة الربوبية منزهة عن دنس لونهم والحيال ومقام الوصال ساذن للقيال والقتال وعجلت اليك يا فتى ان الشوق ناطلب لقطع العلايق وان مطلوب لشايل لا ينبغي ان يكون الا رضاء الله فقد فتنا قومك من بعدك يا فتنة الامة والمريد مقرون بالنبي والشيخ بملكنا اي بارادتنا ومشيتنا ولكن ارادة الله ومشيته فكذلك القى السامري من غير اختيار منه ولكن باضطرار من القدر يا ابن ام قيل خاطب به ذلك ليذكره قول الملايكة يا ابن النساء الحيض هما للتراب رب الارباب فقبضت قبضة من اثر الرسول فنبذتها فيه ان الكرامة لاهل الكرامة كرامة ولاهل الغرامة استدراج وفتنة فيصر فريقا في الباطل والطبيعة لانه الحق والحقيقة قوله لا مساس فيه معارضة بقبض مقصود من اراد الجمعية والعلنية واتباع الناس اياه فعذب بالقهر والوحشة والنفار عن الخلق ردفا ان الوجه اشرف اعضاء الانسان والعين اشرف اعضاء الوجه وورود العين دلالة على خروجها عن الاعتدال واذا كان اشرف الاعضاء خارجا عن الاعتدال فما ظنك بغيرها وكذا الاخلاق الناشئة للامر جد وعنت الوجوه اي كل جهة بها فيسند الممكن الى الواجب ينبغون الذاعي كان كل ناس يدعى بامامهم فيتبعونه التتمة واهل الله لا يهزون الا الى الله نسئ قوله والله يدعوا الى دار السلام وعلى الله فليتوكل المتوكلون ولله در من قال

وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا

وبدرستيكه عهد كرديم بادم از پيش پس فراموش كرد ونيافتيم مر اورا عزم وچون گفتيم مر ملايكرا كه سجده كنيد مر آدم را پس سجده كردند

إِبْلِيسَ أَبَىٰ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ إِنَّ لَكَ أَلَّا

ابليس كراهيت نمود پس گفتيم اي آدم بدرستيكه اين دشمن است مر ترا ومر جفت ترا پس بيرون كند شمارا از بهشت پس بعنت شقي بدرستيكه مر ترا

تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ

گرسنه شوي در بهشت وبرهنه شوي ودر تشنه شوي در آن وبتابش آفتاب پس وسوسه كرد مر اورا شيطان گفت اي آدم آيا دلالت كنم شمارا

عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ

بردرخت جاودانى ودولتى كه نپوسد پس خوردند از آن پس ظاهر شد مر ايشانرا عورتهاى ايشان وبچسبانيدند بر آن دو از برگ

الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ

درخت ونافرمانى كرد آدم خداى خويش را پس برنجيد وبراه نشد وبركزيد اورا پروردگار او پس توبه پذيرفت از او وهدايت كرد شنوايى از آن همه پاره شما

لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي

مر پاره را دشمن پس اگر آيد شمارا از من هدايتى پس هر كه پيروى كند هدايت مرا پس گمراه نشود وبد بخت نگردد واگر روگردانيد از ذكر من

فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا قَالَ كَذَٰلِكَ

پس مر او راست زندگانى تنگ وحشر كنيم او را روز قيامت نابينا گويد پروردگارا چرا حشر كردى مرا نابينا وبدرستيكه بودم بينا گويد چنين

أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ

آمدند ترا آيات ما پس واگذاشتى آنرا وهمچنين امروز واگذاشته شوى ومجنين جزا ميدهيم هر كرا كه اسراف كرد وبگرويد بآيات پروردگار وبدرستيكه

الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ

آخرت سخت تر وپاينده تر است آيا پس هدايت نكرد ايشانرا كه بسيار هلاك كرديم پيش از ايشان از قرنها كه ميروند در مسكنهاى ايشان بدرستيكه در

لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ

همانا اينها هر صاحب خردرا واگر نبود كلمه كه پيش رفت از پروردگار تو لازم بودى عذاب بر ايشان وبمدتى نام برده شده پس صبر كن بر آنچه ميگويند

بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ وَلَا

وتسبيح كن بستايش پروردگار خود پيش از برآمدن آفتاب وپيش از فرو شدن آن وساعتهاى شب پس تسبيح كن وكنارهاى روز شايد كه تو خشنود شوى

مِنْهُمْ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقٰى
وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلٰوةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوٰى وَقَالُوا لَوْلَا
يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولٰى وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا
لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزٰى قُلْ كُلٌّ مُتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ
مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدٰى ﴿١٣٥﴾ اقْتَرَبَ

القراءة

على أن لا خضوع ولا يلزم منه دخول التاء المكسورة على المفتوحة
للفصل بالخبر ولا تجوز في المعطوف ما لا يجوز في المعطوف عليه انتهى بالإمالة لحمزة وعلى وخلف حيث وقع بفتح الياء أبو جعفر
ونافع وابن كثير رضي سبيلا للمفعول على أبو بكر وحماد والمفضل زهرة بفتح الهاء فيهنه وسهل ويعقوب لا يحزن تسكن هاء وقرأ
حمزة وعلى وخلف هذه السورة وكل سورة إذا بها على أبنا بالإمالة المفرطة وإن شاء بين الفتح والكسر الأولى وقف عليها الأبيض
أي فتشقى ولا تغرني لم يقرأ وأنك بالكسر ولا تضحى لا تشك الجنة لنوع عدولا عن ذكر حال اثنين إلى بيان نعل من هو المقصود
فعوى وهدى عدولا بدئ الشروع مع الفاء ولا يبقى يوم القيمة أعمى بصيرا فتبينها لعطف المختلفين منفي بالباء وبقي
مساكنهم النحو فيه عزوبها لعطف الجملتين مع اختلاف النظم ترضى لنفسهم فيه وابقى عليها ورزق ربك للتقوى من تتبع
الأولى ونخزى فتولوا السببين التقى رفع الفاء واهدى

التفسير

من أبناء فما فقد سبق ثم عظم شأن القرآن وبالغ فيه ذكر هذه القصة انجازا للموعد ومنها أنه كمال وصرفنا فيه من الوعيد ذكر هذه
القصة ليعلم أن طاعة بعضهم للشيطان امرهم وخلعة موروثة وذلك تدعها إلى آدم من قبل فنسي ولا عزما الذين صرفا جلهم الوعيد فنسي
وترك العهد ومنها أن قوله ولا تحمل بالقرآن دليل على أنه صلى الله عليه وسلم زاد على قدر الواجب في دعاية أمر الدين وكان مفرطا في أداء
الرسالة وحفظ ما أمر به فناسب العطف عليه فصة آدم لأنه كان موسوما بالتفريط والإفراط والتفريط كلاهما من باب ترك الأولى إذا كان
أول الأنبياء وخاتمهم موصوفين بما فيه نوع تقصير فأنت بغيرهما ومن هنا يعرف أفضلية الخاتم فانتسق في طلب الكمال إلى أن عوتب
عن جدا لا عتدال وآدم توسط في جنس النقصان فلا جرم وسم بالظلم والعصيان ومنها أن محمدا صلى الله عليه وآله أمر بأن يقول رب زدني علما
ثم ذكر عقيبه قصة آدم تنبيها على أن بني آدم صعوا مفتقرون في جميع أحوالهم إلى التضرع والدعا إلى الله حتى ينفتح عليهم أبواب التيسير في العلم
والعمل ومعنى عهدنا إلى آدم أمرناه ووصينا من قبل أي من قبل محمد وبالقرآن وفي النسيان معان لأن أحدها أنه نقيض الذكر عن الحسن والله
ما عصى قط إلا بنسيان والثاني أن معنى النزل وعلى هذا يحتمل أن يقال أقدم على الأكل من غير تأويل وأن يقال أقدم عليه بتأويل وندم في البقرة
قال الأصم لا إشارة عهد إليه أن لا يتعاون بوزه فإنه دليل الشيطان وهو الذي أغراه فيه والغرض فيه قولان أحدهما عزما على الذنب لأنه أخطأ ولم يعص
وثانيهما عزما في القوة على الذب بنيا وثالثها بالصبر إذا لم يكن من أهل العزم والنسيان إذا كان عن حقه أن يتصلب في المأمور به تصلبا
يؤمن الشيطان من التسويل قال جار الله قوله ولم نجد له يجوز أن يكون بمعنى العلم ومفعولاه لعزما أو أن يكون بمعنى يقتضي العدم كما
قال وعدمنا لعزما قوله وإذ قلنا للملائكة سلف في البقرة مستقصى قوله أن هذا عدو لك ذكر وفي سبب عداوته إياه أنه كان شنأ
غالما لقوله وعلم آدم الأسماء كلها والليس كان شحاجاهلا لا إثبات فضل بفضيلة أصلا والشح الجاهل إما أن يكون عدوا للشاب العالم أو
أبغض الماء والتراب مضادتهما فلا يخرجنكما فلا يكون سببا لأحراجكما لأنا لفاعل الحقيقي هو الله سبحانه فتشقى تمتنع بحالك الفوت وتحمل
ما يتعلق به الإنسان إسناد الشقاء إليه دعاء مع أشرافهما في الخروج لأن الرجل إضاف في باب الإنفاق والكسب والمرأة تابعة لهم بين
ذلك الشقاء بقوله لأن لا يجوع فيها إلى الجوهر والظمأ العطش وتقول ضحيت للشمس بالكسر أضحى ضحا حما وضحيا إذا برزت لها والمراد به الكون مع أن
الجنة ليس فيها شمس حتى يتصور فيها الضحا فكون هذه الأمور في الجنة ليست صفاتها في غيرها ولا ريب أن أصول المنافع في الدنيا هي الشبع
والري والكسوة والكن وأما المنكوح فمنفوت لأن مؤن النكاح يختص بالدنيا وأيضا يرجع إلى المذكور إن ترك أنه كان لباسهما الظفر فلما أضاف
الخطيئة نزع عنهما وتركت هذه الثياب على أطراف الأصابع فوسوس إليه الشيطان انتهى إليه وسوسه كما مر في الأعراف بيانا الوسوسة أنه قال يا آدم هل
أدلك على شجرة الخلد أي تأكل منها فتخلد وهو الخلود لأن من أكل منها خلد ثم كما قيل لجرير فرين بجيلة لأن من ناشراته حمى وملك لا يبلى أي
لا ينقطع ولا يزول والفاء في فأكلا لبيان أنهما امتثلا ذلك عقيبه لأنه لا امتثال بحصل بين حال التكليف وحال المخالفة فصل بالموت والمنهي

ان لا يمنع بعلم هذا القدر واجيب بالمنع ولو سلم فلم يكف الفضل بقي ان يقال ضعيف ولو سلم انه لا يكفي فلم استحال ان يجعل النبي ذلك كما جعل عدم جواز الرؤية على عمكم حين قال ربي انظر اليك وسماه على آدم قبل وسوسة بقوله تعالى فاكلا بالفاء والفاء شعر بالعلية كقول الضفادع ما عز رجم وما في الآية قد فسر نفسه في الاعراف الا تقربا وعصى آدم ربه فغوى قال بعض الناس ان آدم ذنبه كبيرة والام يوصف بالعصيان والغواية فان العاصي في الظاهر يسمى مذموما عرفا وشرعا وقد ترتب الوعيد عليها واجيب بان المعصية مخالفة للامر وقد لا يكون مندوبا وزيف بالمنع من ان المندوب غير مامور به ثم من ان مخالفة غاصا ولا كان الانبياء كلهم عصاة لانهم لا يكفون عن ترك المندوب قالوا فقال اشرت اليه في مرثيته فعصى وامر ربه فرواه فعصى واجيب بالمنع من ان هذا من مستعمل العرب لغة وبتسليم فلعله انما يقال ذلك اذا عرفت المشيئة لابد لان يفعل ذلك فح يكون معنى الايجاب حاصلا وان لم يكن وجوب شرعي لان ذلك لا يجامع عصمة الشارع وقيل ان ذنب صغيرهم عامة المعتزلة وزيف بان العاصي اسم من يستحق العقاب وهذا لا يليق بالصغير واجاب بوسلم الا سلمنا انه عصى في مصالح الدنيا لانها متصلة بالتكليف وهذا قال سبحانه فغوى اي خاب من نعيم الجنة لان الوسائل هو ان يتوصل بشئ الى شئ فيصل الى المقصود والغي ضده وانه سعى في طلب الخلود فنال ضده والمقصود من غيهم فغوى اي تألم من كثرة الاكل وزيفه جار الله وورد قول ابي مسلم بان مصالح الدنيا لا تكون مباحة فلا يوصف تاركها بالعصيان قلت في هذا نظر بل الاحوط في هذا الباب ان يعتقد كون ذلك الواقعة قبل النبوة بدليل قوله ثم اجتباه ربه اي اختاره للرسالة وهذي لحفظ اسناد العصمة اصل الاجتباء هو الجمع كما مر في احوال الاعراب يروى عن الامام لو وزن احلام بني آدم لرجح حلم آدم قد قال الله نعم ولم يحمده عزما قال العلماء فيه دليل على انه لا اراد له فضلا وما تعمد وكان لا يحالة زوال الجاه الفضائعية البصر والدليل قد يكون في غاية الظهور ومع ذلك يخفى على اعقل الناس كما يخفى على آدم عداوة ابليس وانه يعرض لمحظ الله في شأن حين امتنع من سجوده فكيف قبل ضده وسوسة لولا كتاب من الله سبق قال المحققون الاولى ان لا يطلق لفظ العاصي والغاوي على آدم وان عدد في القرآن وعصى آدم ربه فغوى لانه لم يصدر عنه الا ترك الاولى واحدة وصيغة اسم الفاعل ينبئ عن المزاولة وان كان المسلم اذا نهي عن الشرب والزنا وحسنت توبته لا يقال له شارب وزان لان استعمال هذه الصيغ عنه يشعر بالمداومة ولهذا لم يجز ان يقال لله تعالى انه مريد لكن يقال انه شاء ولهذا لم يجز ان يقال لغير ذلك قال فيطلق في حقه ما لم يطلق في حقه تعالى مثله في البقرة خاطبهما بالمخاطبة لانهما اصل البشر ثم عم الخطاب لهما ولذريتهما في قوله فاما ياتينكم امانا قوله بعضكم لبعض عدو فقد قال الفاضي يكفي في توفيه هذا الحكم حقه ان يكون ابليس والشياطين اعداء الناس والناس اعداء لهم فاذا يضاف الى ذلك عداوة بعض البشر بعضا لم يمنع وخولف في الكلام عن ابن عباس ضمن الله لمن اتبع القرآن ان لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة ثم قالوا قوله فمن تبع هداي فلا يضل ولا يشقى يدل على ان العقاب في الآخرة انما هو فضل عن الدين في هذه التكليف وانه كما لا يلزم الله شيء

او على ابدالهن من ازواجا والتقدير يرزوى زهرة وهى الزينة والبهجة ومن قرأ بفتح الهاء ومعناها ايضا وهى جمع زاهر كناتم لصفا الوانه وضوء اثاره لتقومه عليهم زاهر وهذه الدنيا بخلاف ما عليه المؤمنون لصفاء من نحو بالالوان والتفتح الثياب قوله لنفتنهم اى لنبلوهم كقوله انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم وقيل لنعذبهم كقوله لا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم وقال الكلبى وعاتل البيت عليهم فى التكليف لان الاجتناب عن المعاصى مع القدرة يكون اشق على النفس وذلك هو ثواب الاخرة او ما رزقناه من الاسلام والنبوة خير وابقى وقيل دائم الحلال الطيب الذى يجوز ان يسئل الى ربك خير من اموالهم التى غلب عليها الغصب والسرف وسائر وجوه الخبائث وابقى بركة وثمارا وحسن عاقبة وامر اهلك فى سورة مريم وكان يأمر اهله بالصلوة اى امتثل انت مع اهلك على عبادة الله وهن التسلف من كانوا اذا اصاب اهلهم خصاصة قال قوموا فصلوا فهذا امر الله رسوله ثم تلا هذه الاية وعن عروة بن الزبير انه كان اذا رأى ما عند السلاطين قرأ لا تمدن عينيك الاية ثم ينادى الصلوة الصلوة رحمكم الله كان رسول الله بعد نزول هذه الاية يذهب الى فاطمة وعلى كل صباح فيقول الصلوة وكان يفعل ذلك شهرا فقوله واصطبر عليها اى داوم عليها كما تأمرهم بها فحافظ عليها فان الوعظ يلتمس الفعل ثم منه يلتمس القبول لا تسألك رزقا كما يريد الملوك خراجا من رعيتهم والاشارة خرجا من عبيدهم بل نحن نرزقك كقوله وما اريد ان يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين والحاصل انا لما امرناك بالصلوة فذلك لا يخل بتكليفك بل انت تأمرهم بها وتحافظ عليها لا لانا ننتفع بها وقيل لا نسألك رزقا لنفسك ولا لاهلك بل نحن نرزقك واياهم فلا تهتم بامر الرزق والمعيشة وفرغ بالك لامر الاخرة وفى معناه قولهم من كان فى عمل الله كان الله فى عمله قال اهل الاشارة ورزق ربك رزقا الذى قوله انى عند ربى يطعمنى ويسقينى قال عبد الله بن سلام كان النبى اذا نزل باهله ضيق او شدة امرهم بالصلوة والعاقبة اى العاقبة المحمودة للمتقوى ثم عاد الى قوله فاصبر على ما يقولون فحكى تعنتهم وشبههم هى قولهم لولا يأتينا بآية من ربه كما اتم لم يعدوا بالقرآن الذى هو اجل شفاء لسقمهم فرد الله عليهم بقوله اولم تأتهم بينة ما فى الصحف الاولى لان القرآن برهان سائر الكتب المنزلة لانه معجز دونها فهو شاهد لها بالصحة وايقاعها عند الله وقيل اراد بالبينة ما فيها من البشارة بمحمد وعن ابن جريج انها ما فيها من قصص الامم المكذبة وبيان اهلاكهم بعد افتراح الايات وانما اتاهم هذا البيان فى القرآن فلهذا وصف القرآن بكونه بينة ما فى الصحف الاولى ثم بين الحكمة فى نزول الاية القرآن ولو انا اهلكنا هم بعذاب من قبل البرهان الذى هو الدال عليه البينة لقالوا انى فى القيمة لان الهلاك لا فضل له فى الدنيا وعن ابى سعيد الخدرى عن النبى ص قال يجىء على الله تعالى يوم القيمة ثلثة الهالك فى الفترة يقول لم يأتنى رسول وكان اطوع خلقك لى وملائكة لولا ارسلت الينا رسولا لكنا اطوع خلقك لى والمغلوب على عقله يقول لم تجعل لى عقلا انتفع به ويقول الصبى كنت صغيرا لا اعقل فرفع لهم نار ويقال ادخلوها فيدخلها من كان فى علم الله سعيدا ويكل من كان فى علمه انه شقى فيقول الله تعالى عصيتم الرسل فكيف برسولى لولا انكم طعن المعمر له فى هذا الخبر قالوا لو الا يحسن العقاب على ما يفعل وقال الجبائى فى الاية دلالة على وجوب فعل اللطف والمراد انه يجب ان يفعل بالمكلفين ما يؤمنون عنده والا كان لهم ان يقولوا هلا فعلت ذلك بنا لنؤمن وقال الكعبى فيها اوضح دليل على انه تعالى يقبل الاحتجاج من عباده وليس معنى قوله لا يسئل عما يفعل ان الخوض فيه يكون عدلا بل نا وبله انه لا يقع منه الا العدل واذا ثبت انه تعالى يقبل الحجة فلو لم يكونوا قادرين على ما امروا به لكان لهم فيه اعظم حجة واستدل اهل السنة بها على ان الوجوب لا يتحقق الا بالشرع ولا لكان انعقادها حاصلا قبل مجيئه ثم ختم السورة بوعيد اخر فقال قل كل اى كل منا ومنكم متربص عاقبة امره وهذا الانتظار اما قبل الموت بسبب الاخر بالجهاد او ظهور الدولة والغلبة او بالموت فان كل واحد من الفريقين ينتظر موت صاحبه ثم بعد الموت وهو ظهور اثر الثواب والعقاب وتميز المحق والمبطل وبتأييده قوله فستعلمون الاية وهذا من كلام المنصف وبالله التوفيق تمت

قد تمت المجلد الثانى المشتمل على خمس من الاجزاء المنسوبة لتفسير القرآن وتبعها القرآن الحمد لله على توالى وتسلسلا على محمد واله الكتب المصنف فى نسخة علقه مولفه الحسن محمد الحسينى النيسابورى نظاما لنيسابور بلدة الهند فى دار ملكها المدعو بدلت بادى فى اوائل صفر سنة ثلاثين وسبعمائة